

فاتيح الأدب العربي

تأليف
الدكتور عمر فروغ

المجلد الخامس

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

دار العالم للمطبوعات

تاريخ الأدب العربي

الجزء الخامس

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

تأليف

مفروق

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

شبكة كتب الشيعة

دار العالم للملايين

ص.ب. ١٠٨٥ - بيروت
تيلكس: ٢٣١٦٦ - فاكس: ٢٣١٦٦



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

دار العلم للملايين

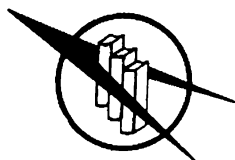
مؤسسة ثقافية للناشرين والنشرية والنشر

شارع ساراليس - خلف مكتبة الحلو

ص.ب. ١٠٨٥ - تلغراف، ٣٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

برقية، ملايين - تلغراف، ٢٣١٦٦ - ملايين

ببوتات - ببوتات



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية
أو الإلكترونية أو الميكانيكية - بغية ذلك النسخ أو التوزيع
أو التحويل أو أي شكل آخر أو أي وسيلة أخرى من الوسائل
أو أي شكل آخر من الوسائل - دون إذن خطي من الناشر.

الطبعة الأولى ١٩٨٢

الطبعة الرابعة

نيسان / أبريل ٢٠٠٦

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الخامس « من تاريخ الأدب العربي »، وهو يُورخُ للأدب العربي في المغرب (من قارة إفريقية) وفي الأندلس وصقلية (من قارة أوربة). وقد رأى القارئ الكريم أنني في هذه السلسلة قد أرختُ للأدب في المشرق ثم للمغرب، لا لأنَّ الأدبَ المشرقيَّ منفصلٌ من الأدبِ المغربي، بل لأنَّ هذا الفصلَ جعلَ مُعالجةَ الموضوع أيسرَ عليَّ.

وهذا الجزء الخامس يبدأ نحوَ سَنَةِ ٤٩٠ للهجرة (١٠٩٦ م) - قبل قيام البابوية بالحروب الصليبية على المسلمين والإسلام في الشرق - ثم ينتهي نحوَ سَنَةِ ٦٣٩ للهجرة (١٢٤٠ م). وهذه المدةَ عيْنُها تكادُ تنطبقُ أنطباقاً تاماً على المدة التي حكمَ المرابطون والمُوحِّدون في أثنائها في الأندلس.

إنَّ كُلَّ تقسيمٍ للأحقابِ السياسيةِ خاصَّةً (والاجتماعيةِ عامَّةً) تقسيمٌ عُرْفِيٌّ، ولكن لا بُدَّ من ذلك، من الناحيةِ العمليةِ. ثم يطلُّ في هذا التقسيمِ ثغراتٌ لا حيلةَ للمؤلفِ في سدِّها. ويزيدُ في هذه الثغراتِ في وقتنا هذا - وقتِ تنضيدِ الحُرُوفِ بالحسابِ (بتشديد السين) - فإنَّ « صفَّ الأحرفِ » سريعٌ جدًّا، فيضطرُّ المؤلفُ إلى تصحيحِ مِثَالِ الصَّفحاتِ في الأزمنةِ القصيرةِ. ثم إذا وقعَ خطأ في الترتيبِ (من المؤلفِ) أو في التنضيدِ (من العمال) فإنَّ إصلاحَه أكثرُ صُعوبةٍ ممَّا كان في عهدِ « الصف » بالحروفِ المنفردة، وخصوصاً في الكُتُبِ الكبيرةِ المبنيةِ على نظامِ جامعٍ في التأليفِ.

وقد وَقَعَ في هذا الجزء أيضاً أشياء من الاضطرابِ أصْلَحْنَا أوجهاً منه ثم بقيَ أوجهٌ سيِّرةٌ جدًّا لا تكادُ تَتمَرُضُ سبيلَ القارئِ إلَّا قليلاً. وكان من أمنيَّتِي أن يتناولَ الإصلاحَ هذه أيضاً، ولكنَّ الكمالَ في الأعمالِ الإنسانيةِ مستحيلٌ.

وقد بقيَ من هذه السلسلةِ جُزءٌ واحدٌ يبدأ بقيامِ بني نصرٍ أو بني الأحمر (في الأندلس) ثم ينتهي بمجيءِ الأتراكِ العثمانيين إلى المغرب (نحو سَنَةِ

٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)، ورُبَّما أمتدَّ ذلك الجزء السادس بِضْعَةَ عَشَرَ عاماً بِحَسَبِ تَراجُمِ
نَفَرٍ مِنَ الَّذِينَ تَرَجَّمَتْ لَهُمْ. وَذلكَ بَعْدَ جِيلٍ مِنَ الدَّهْرِ (نَحْوَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَاماً) مِنْ
سُقُوطِ دَوْلَةِ بَنِي نَصْرِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، وَخُرُوجِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ - فِي الْعَامِ
الَّذِي حَمَلَتْ الرِّيحُ فِيهِ كُولُومْبُوسَ إِلَى الْعَالَمِ الْجَدِيدِ (قَارَّةَ أَمِيرِكا) وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ
وَصَلَ إِلَى الْهِنْدِ.

هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ مَوْجُودٌ شَيْئَةً تَامٌ. وَحِينَما يَصِلُ هَذَا الْجُزْءُ الْخَامِسُ إِلَى يَدِ
الْقَارِئِ أَكُونُ أَنَا قَدْ دَفَعْتُ ذَلِكَ الْجُزْءَ السَّادِسَ إِلَى الْمَطْبَعَةِ أَوْ عَلَى وَشْكِ أَنْ أَدْفَعَهُ
إِلَى الْمَطْبَعَةِ، مَرَّةً وَاحِدَةً أَوْ أَقْسَاماً مُتَلَاخِجَةً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ عَلَى مَا أَقْدَرَ عَلَيهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ فِي كُلِّ عَمَلٍ،
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا السَّعْيُ. وَمَا الْوَصُولُ عَلَى الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ إِلَى تَحْقِيقِ أَشْيَاءٍ مِنْ
أَمَالِهِمْ - بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ - بِعَزِيزٍ.

فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٠١، ع. ف.

١٩٨١ / ٨ / ٢٣

تاريخ الأدب العربي الجزء الخامس

المرابطون في الأندلس: معركة الزلاقة - المغرب وصقلية
- الحياة السياسية في الأندلس - والحياة الاجتماعية -
الحياة الثقافية خاصة: في العلوم الرياضية والطبيعية - في
الطب خاصة: آل زهر - الفلسفة - الأدب - صورة الحياة
العامة: الحياة الثقافية - تاريخ الفكر - اللغة - النثر -
الشعر خاصة ٣٣ .

٧٠	ابن الملح	٥٠٠
٧٣	تميم بن المعز الصنهاجي	٥٠١
٧٧	عز الدولة الصادحي	
٨٠.....	ابن اللبانة	٥٠٧
٨٨	ابن طاهر القيسي	٥٠٧
٩١	ابو العرب مصعب بن محمد	٥٠٧
٩٣	ابن القصيرة الولي	٥٠٨
٩٥.....	سراج بن عبد الملك بن سراج	٥٠٨
٩٦	ابن قزمان الكبير	٥٠٨
١٠٠	أبو الحسن بن الحاج	٥١٠
١٠٢	الجزار السرقسطي	٥١٥
١٠٦.....	ابن النحوي التوزري	٥١٣
١٠٩	ابو القاسم بن الجد	٥١٥

١١٢	ابن القطاع	٥١٥
١١٥	ابن صارة الشنترفي	٥١٧
١٢١.....	أبو بكر بن عطية	٥١٨
	بنو القبطرونه:	
	- أبو محمد طلحة	
	- أبو الحسن محمد	
١٢٢.....	- أبو بكر عبد العزيز	
١٢٦	محمد بن بشير	٥٢٠
١٢٨	أبو بكر بن رحيم	٥٢٠
١٣١	المتنيّ الجزيري	٥٢٠
١٤٤.....	أبو بكر الطرطوشي	٥٢٠
١٥٢	ابن السيد البطليوسي	٥٢١
١٥٩	ابن أخت غانم	٥٢٥
١٦١	الأعمى التطيلي	٥٢٥
١٦٨.....	أبو عمرو الأندي	٥٢٥
١٧٠	أبو الحسن بن الباذش	٥٢٨
١٧٢	ابن الطراوة	٥٢٨
١٧٤	ابن الرزاق البلمسي	٥٢٩
١٨٠.....	أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي	٥٢٩
١٨٦	الفتح بن خاقان الإشبيلي	٥٢٩
١٩٢	ابن عبدون	٥٢٩
٢٠١	ابن حمديس الصقليّ	٥٢٩
٢١١.....	الرشيد العبادي	٥٣٠
٢١٣	أبو الحسن بن جودي	٥٣٠
٢١٥	ابن باجه	٥٣٣

٢١٨	ابن خفاجة	٥٣٣
٢٢٥	أبو الفضل بن شرف	٥٣٤
٢٣٠	أبو العباس بن العريف	٥٣٦
٢٣٢	ابن برنجال	٥٣٦
٢٣٣	الإمام المازري	٥٣٦
٢٣٧	أبو الطاهر التميمي القرطبي	٥٣٨
٢٤٥	ابن الفخار المالقي	٥٣٩
٢٤٩	أبو العلاء عبد الحق بن الجنان	٥٣٩
٢٥١	أبو بكر بن الجنان	
٢٥٤	ابن مجبر الصقلي	٥٤٠
٢٥٦	ابن بقي الأندلسي	
٢٦١	ابن أبي الخصال الغافقي	٥٤٠
٢٦٤	رفيع الدولة الصمادحي	٥٤١
٢٦٨	أبو محمد بن عطية	٥٤١
٢٧١	الحزومي الأعمى الغرناطي	٥٤١
٢٧٣	ابن بسام الشتريني	٥٤٤
٢٨٠	أبو القاسم الكلاعي	
٢٨٤	أبو بكر بن العربي	٥٤٣
٢٨٩	أبو بكر الحشني	٥٤٤
٢٨٩	ابن سلام المالقي	٥٤٤
٢٩٠	القاضي عياض	٥٤٤
٢٩٥	أبو بكر الأبيض	٥٤٤
٣٠٠	جعفر بن محمد الشنتمري	٥٤٧
٣٠٣	ابن ينق الشاطبي	٥٤٧
٣٠٥	ابن وكيل الاقليشي	

٣٠٧.....	ابن السراج الشتريني	٥٤٩
٣٠٩	يونس بن عيسى المرسي	
٣١٣	الحجاري صاحب المسهب	٥٥٠
٣٢٤	أبو جعفر بن عطية	٥٥٣
٣٢٧.....	أبو محمد بن الحاج	
٣٢٨	ابن قزمان الأصغر	٥٥٥
٣٣١	ابن الإمام الشلي	٥٥٥
٣٣٤	أبو بكر الصيرفي	
٣٣٨.....	أبو جعفر بن سعيد	٥٥٩
٣٥٠	نزهون بنت القلاعي الغرناطية	٥٦٠
٣٥٢	أبو العباس الجراوي المالقي	٥٦٠
٣٥٤	أخيل الرندي	
٣٥٧.....	أبو بكر اليكي	
	عصر الموحدين: الحياة الاجتماعية في أيام الموحدين -	
	... وفي أيام المرينيين - ... وفي أيام الحفصيين - الحديث	
	خاصة - الفقه - الفلسفة والتصوف - التاريخ -	
	الجغرافية - العلوم الرياضية والطبيعية - اللغة والنحو -	
٣٥٩	في الأدب وتاريخه - في النقد	
٣٨٦	ابن خيرة المواعيني	٥٦٤
٣٩٠	أبو حامد الغرناطي	٥٦٥
٣٩٨	ابن ظفر الصقلي	٥٦٥
٤٠٣.....	ابن المنخل الشلي	
٤٠٧	أبو غالب الغرناطي	
٤١١	ابن ميمون القرطبي	٥٦٧
٤١٣	أبو الحسن بن عياش	٥٦٨
٤١٦.....	أبو عامر بن الحمارة	٥٧٠

٤١٩	الأصم المرواني	
٤٢٢	ابن حبوس	٥٧٠
٤٢٥	أحمد بن مالك السرقسطي	٥٧١
٤٢٨	ابن سعد الخير البلنسي	٥٧١
٤٣٠	الرصاصي الرقاء البلنسي	٥٧٢
٤٣٦	ابن هردوس	
٤٣٧	أبو الحسن بن نزار	
٤٣٩	أبو جعفر الوقشي	٥٧٤
٤٤٢	أبو بكر بن خير الإشبيلي	٥٧٥
٤٤٣	اليسع بن عيسى بن حزم	٥٧٥
٤٤٥	الوهراني صاحب المنامات	٥٧٥
٤٥١	يونس بن محمد القسطلي	٥٧٦
٤٥٣	ابن سيد اللص الإشبيلي	٥٧٦
٤٥٥	أبو الطيب المسيلي	٥٧٨
٤٥٦	ابن بشكوال	٥٧٨
٤٥٨	الحزرجي الصقلي	
٤٦١	ابن الفراء الضرير	
٤٦٣	عبد الحق الإشبيلي	٥٨١
٤٦٥	أبو القاسم السهيلي	٥٨١
٤٧٠	ابن طفيل	٥٨١
٤٧٣	ابن غلنده	٥٨١
٤٧٥	أبو الحسن بن لبّال	٥٨٣
٤٧٧	ابن غالب الغرناطي	
٤٨٠	الكتندي	
٤٨٢	ابن زرقون	٥٨٦

٤٨٤	أبو بكر بن مغاور	٥٨٧
٤٨٦	ابن مجبر	٥٨٨
٤٩٠	حفصة بنت الحاج الركونية	٥٨٩
٤٩٣	الإمام الشاطبي	٥٩٠
٥١٢	ابن مضاء	٥٩٢
٥١٥	أبو الحسن الجبائي	٥٩٣
٥١٨	أبو مدين	٥٩٤
٥٢١	ابن صاحب الصلاة	
٥٢٤	ابن رشد	٥٩٥
٥٣٠	أبو القاسم بن البراق	٥٩٦
٥٣٩	أبو بكر بن زهر	٥٩٥
٥٤٤	عبد المنعم بن الفرس	٥٩٨
٥٤٦	ابن محشرة	٥٩٨
٥٦٧	عبد الوهاب القيسي المشي	٥٩٨
٥٥٠	صفوان بن ادريس	٥٩٨
٥٥٣	ابن عميرة الضبي	٥٩٩
٥٥٥	حمدة بنت زياد	٦٠٠
٥٥٧	ابن الفرس (أو المهر) الغرناطي	٦٠١
٥٦٠	أبو جعفر الذهبي	٦٠١
٥٦٢	أبو العباس السبتي	٦٠١
٥٦٤	الحكم الجلياني	٦٠٣
٥٦٨	أبو ذر الحثني	٦٠٤
٥٧٠	أبو عمران المارتلي	٦٠٤
٥٧١	السيد أبو الربيع الموحدى	٦٠٤
٥٧٤	أبو الحجاج البلوي	٦٠٤
٥٧٩	ابن شكيل الصدي	٦٠٥

٥٨١	أبو عبد الله بن يربوع	٦٠٦
٥٨٢	ابن بدرون	٦٠٨
٥٨٥	الكافى الأسود	
٥٨٧	ابن سيدراي	٦٠٩
٥٨٩	أبو العباس الجراوي	٦٠٩
٥٩٣	الجزولي النحوي	
٥٩٤	أبو جعفر المؤدب الحميري	٦١٠
٥٩٥	أبو البقاء البلنسي	٦١٠
٥٩٧	ابن خروف	٦١٠
٦٠٢	أبو محمد بن الحسن القرطبي	٦١١
٦٠٣	عبد البر بن فرسان	٦١١
٦٠٦	ابن حوط الله الحارثي	٦١٢
٦٠٨	ابن جبير	٦١٤
٦١٣	ابن حزمون المرسى	
٦١٧	ابن المرخي المغربي	٦١٦
٦١٨	أبو القاسم بن سميد	٦١٧
٦٢٢	أبو طلحة الإشبيلي	٦١٨
٦٢٤	الشريشي	٦١٩
٦٣٠	ابن عبد ربّه المالقي	٦٢٠
٦٣٢	أبو عبد الله محمد بن أصبغ (ابن المناصف)	٦٢٠
٦٣٤	ابن سالم المالقي	٦٢٠
٦٣٥	أبو الحسن بن حريق	٦٢٢
٦٣٧	ابن الفكّون	
٦٤٠	أبو القاسم بن هشام القرطبي	٦٢٣
٦٤٥	عبد السلام بن مبيش	٦٢٥

٦٤٧	أبو اسحاق بن أصبغ القرطبي	٦٢٧
٦٤٨	أبو الحسن بن الفضل المعافري	٦٢٧
٦٥٥	أبو زيد الفازازي	٦٢٧
٦٥٧	أبو الحجّاج التادلي بن الزيات	
٦٥٩	أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي	٦٢٨
٦٦٣	ابن معط الزواوي	٦٢٨
٦٦٧	أبو الوليد الشقندي	٦٢٩
٦٧٤	أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي	٦٢٩
٦٧٦	المأمون الموحي	٦٢٩
٦٧٨	ابن إدريس التحيي	٦٣٠
٦٧٩	أبو القاسم البلوي الإشبيلي	٦٣٢
٦٨٨	ابن طلحة الأنصاري	٦٣٢
٦٩٠	ابن دحية الكلبي	٦٣٣
٦٩٧	مرج الكحل	٦٣٤
٦٩٩	أبو الربيع بن سالم الكلاعي	٦٣٤
٧٠٥	أبو يحيى بن هشام القرطبي	٦٣٥
٧٠٧	أبو بكر الصابوني الإشبيلي	٦٣٦
٧١٥	ابن نعيم الحضرمي	٦٣٦
٧١٧	أبو الحجّاج الإشبيلي	٦٣٦
٧٣٠	ابن خبارة الخطّائي	٦٣٧
٧٢٢	محيي الدين بن عربي	٦٣٨
٧٣٤	سهل بن محمد الأزدي الغرناطي	٦٣٩
٧٣٩	أبو بكر بن قسّوم	٦٣٩

أ) مقدمة

يَخْرِصُ الْمُؤَلِّفُ عَادَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ كِتَابٍ لَهُ تَأْمًا فِي مَوْضُوعِهِ . إِنَّ هَذَا السَّنَى إِلَى الْكَمَالِ مَدْوَحٌ ، وَلَكِنْ الْوَصُولُ إِلَى الْكَمَالِ مُسْتَحِيلٌ .

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَصْطَدِّمُ بِهِ مُؤَرِّخُ الْأَدَبِ كَثْرَةُ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءُ . وَسَأَكْتَفِي هُنَا بِالْقَوْلِ الْمَشْهُورِ لِأَبْنِ قُتَيْبَةَ : لَوْ عَدَدْتُ كُلَّ مَنْ قَالَ شِعْرًا شَاعِرًا لَعَدَدْتُ جَمِيعَ الْعَرَبِ . فَلَا بُدَّ ، إِذَنْ ، مِنَ التَّخْيِيرِ وَمِنَ الْجَهْدِ فِي ذَلِكَ التَّخْيِيرِ عِنْدَ انْتِقَالِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُؤَرِّخِينَ لِلأَدَبِ وَالنُّحَاةِ وَالنُّقَادِ مِمَّنْ يَجِبُ ضَمُّهُمْ - أَوْ يَحْسُنُ ضَمُّهُمْ - إِلَى كِتَابِ عَامٍّ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ .

تَمَّ تَبَدُّو مَصَاعِبُ أُخْرَى . هُنَاكَ أَشْخَاصٌ مُكْثَرُونَ مِنَ النَّثْرِ وَالشُّعْرِ ، وَلَكِنْ نِتَاجُهُمْ نَازِلٌ عَنْ مَرْتَبَةِ الْجَوْدَةِ . إِنَّ هَؤُلَاءِ ، بَلَا رَيْبٍ ، مِنْ صُورَةِ الْجَانِبِ الْأَدَبِيِّ فِي حَيَاةِ الْأُمَمِ . وَلَكِنْ بَمَا أَنَّ الْمُؤَلِّفَ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّخْيِيرِ مِنْ أَصْحَابِ النِّتَاجِ الْجَيِّدِ ، فَمِنْ الْأَوَّلَى أَنْ يُهْمَلَ هَؤُلَاءِ الْأَدَبَاءُ الْعَادِيِّينَ الَّذِينَ لَا نَجْدُ فِي نِتَاجِهِمْ جَانِبًا جَدِيدًا أَوْ جَانِبًا مُفِيدًا وَأَنْ يُتْرَكَ مَكَانُهُمْ لِأُولَئِكَ الْمُقِلِّينَ مِنْ ذَوِي الْإِنْتِاجِ الْجَيِّدِ ، مَا أَمَكَنَ ذَلِكَ .

وَهُنَاكَ أَدَبَاءٌ وَشُعْرَاءٌ لَهُمْ نِتَاجٌ جَيِّدٌ ، وَلَكِنَّا نَجْهَلُ تَوَارِيخَ وَفَيَاتِهِمْ ، وَرُبَّمَا جَهَلْنَا عَصْرَهُمْ أَيْضًا ، فَلَا حِيلَةَ لِمُؤَلِّفِ كِتَابٍ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ قَائِمٍ عَلَى الْحَوَالِيَاتِ (تَوَالِي السَّنِينَ) فِي هَؤُلَاءِ . أَمَّا إِذَا كَانَ مُؤَلِّفٌ يَضَعُ قَامُوسًا فِي الْأَدَبِ (عَلَى أَحْرَفِ الْهَجَاءِ) ، فَإِنَّ بَامْكَانِهِ أَنْ يَضُمَّ إِلَى قَامُوسِهِ هَذَا أَشْخَاصًا نَجْهَلُ أَعْمَارَهُمْ أَوْ أَعْصَارَهُمْ . وَنَجْدُ أَيْضًا جَمَاعَةً مَشْهُورِينَ نَعْرِفُ تَارِيخَ وَفَيَاتِهِمْ ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدُنَّا نُصُوصٌ مِنْ نِتَاجِهِمْ . إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْلُكَ هَؤُلَاءِ فِي سِلْسِلَةٍ يُعَوِّثُنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدُنَّا نَصٌّ مِنْ نِتَاجِهِمْ يَقُومُ دَلِيلًا أَوْ شِبْهَ دَلِيلٍ عَلَى مَكَانَتِهِمْ .

تَمَّ يَأْتِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ شُعْرَاءُ (أَوْ أَدَبَاءُ) بِالْعَرَضِ كَالنُّحَاةِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالْعُلَمَاءِ

والفُقهاء، فما نفعل بهم؟ لقد ضَمَمْتُ أنا نفرًا من هؤلاء إلى هذه السلسلة كَأَنِّي بآجِه
وَأَبْنِ طُفْلِي (مخترع القصة العلمية) وَأَبْنِ رُشْدِي (الحفيد: الفيلسوف) ثم الشاطِئِي
صاحب « جِرْزِ الأَمَانِي » (وهي أَرْجُوزَةٌ فِي الْقِرَاءَاتِ: قِرَاءَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَأَبْنِ
مَالِكِ النَّحْوِيِّ.

من مشاكل التحقيق:

يقول أَبْنُ خَلْدُون^(١): إِنَّ مِنْ «مِغَالِطٍ»^(٢) الْمُؤَرِّخِينَ «الثَّقَّةَ بِالنَّاقِلِينَ». ولقد
قَصَدَ أَبْنُ خَلْدُونِ، بَلَا رَيْبٍ، أُولَئِكَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ لَا يَنْظُرُونَ فِي مَصَادِرِ أَخْبَارِهِمْ
أَوْ يَتَشَيَّعُونَ لآرَاءِ وَمَذَاهِبِ فُجَّانِيَّوْنِ الْحَقِّ وَيَجِيدُونَ عَنِ الصَّوَابِ فِيمَا رَوَوْا.

ونحن اليوم حينما نأتي إلى تاريخ الأدب نَقِفُ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ لَنَا وَمَنِ الَّذِينَ سَبَقُونَا
كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا كَمَا وَقَفَ أَبْنُ خَلْدُونِ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ سَبَقُوهُ. وَمَعَ أَنْ عِدَدًا كَبِيرًا
مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الَّتِي نَعْتَمِدُهَا الْيَوْمَ قَدْ ظَهَرَتْ وَعَلَى صَفَحَاتِهَا الْأُولَى «أَنَّهَا
مُحَقَّقَةٌ» أَوْ مُحَرَّرَةٌ^(٣) أَوْ أَنَّهَا بِاعْتِنَاءِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَإِنَّا نَجِدُ فِيهَا مَغَامِرًا^(٤) مُخْتَلَفَةً.
فَفِي كِتَابِ «زَادِ الْمُسَافِرِ» (بيروت ١٩٧٠ م) لَا تَجِدُ فِي «فَهْرَسْتِ الْأَعْلَامِ» رَقْمًا
مُنْتَظَمًا عَلَى صَفَحَاتِ ذَلِكَ الْكِتَابِ. إِنَّ «الْمُخْرُومِيَّ الْأَعْمَى الشَّرِيفَ» مَذْكُورٌ فِي
الْفَهْرَسْتِ عَلَى أَنَّ اسْمَهُ يَرِدُ عَلَى الصَّفَحَتَيْنِ ٧٥ وَ ٨٣، بَيْنَمَا هَذَا الْاسْمُ يَرِدُ عَلَى
الصَّفَحَتَيْنِ ١١٧ وَ ١٢٥. وَكَذَلِكَ شَأْنُ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ فِي ذَلِكَ الْفَهْرَسِ.

وَيَبْدُو أَنَّ النَّاشِرَ الْجَدِيدَ (لِلطَبْعَةِ الثَّانِيَةِ) قَدْ أَرَادَ أَنْ يُخَدِّثَ تَبْدِيلًا فِي شَكْلِ
طَبْعَتِهِ الثَّانِيَةِ فَضَمَّ أَرْقَامَ صَفَحَاتِ الْمُقَدِّمَةِ الَّتِي كَانَ «مُخْرِجُ الْكِتَابِ» قَدْ أَعَدَّهَا
لِلطَبْعَةِ الْأُولَى إِلَى صَفَحَاتِ مَتْنِ الْكِتَابِ فِي نَسْقٍ وَاحِدٍ، وَغَابَ عَنْهُ أَنْ فَهَارَسَ

(١) الْمُقَدِّمَةُ (الطَبْعَةُ الْأَدْبِيَّةُ، بِيروت ١٩٠٠ م)، ص ٩ (دَارُ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِي، بِيروت ١٩٦٦ م)، ص ١٢.

(٢) الْمِغَالِطَةُ (بِالْفَتْحِ): الْكَلَامُ يُغْلَطُ (سَهْوًا) أَوْ يُغَالَطُ بِهِ (قَصْدًا).

(٣) التَّحْقِيقُ هُنَا: ضَبْطُ النُّصْنِ فِي الْمَخْطُوطِ الَّذِي طُبِعَ مِنْهُ الْكِتَابُ الْمُحَقَّقُ. وَالتَّحْرِيرُ ضَبْطُ الْأَلْفَاظِ مِنْ
حَيْثُ الصَّحَّةُ.

(٤) الْمَغْمَرُ: الْمَغِيبُ (الطَّمْسُ: أَمْرُ خَطَاةٍ ظَاهِرٍ).

الكتاب (للأعلام الأشخاص - للمدن والأماكن - للقوافي) قد وُضِعَتْ للدلالة على صَفَحَات الطبعة الأولى.

- وفي كتاب « النبوغ المغربي » للأستاذ عبد الله كَنُون ثروة من التراجم المغربية والأخبار والمختارات نظماً ونثراً في مُعظم فَنُونِ الأدب. ولكن ترقمِ الصَّفَحَات مضطرباً: يبدأ الجزء الأول بالصفحة « واحدة » وينتهي بالصفحة ٣٣٨. ثم يبدأ الجزء الثاني بالرقم « واحد » إلى « تسعة » ثم من ٣٤١ إلى ٩٩٣ (فيكون هنالك أرقامٌ يَدُلُّ كُلُّ رقمٍ منها على صَفَحَتَيْن). هذا خطأ الناشر والطابع، وليس خطأ من المؤلف. ومع أن عدد الصَّفَحَات المكرورة كان قليلاً (نحو مائةِ صفحةٍ) فإنه لا يساعد على الوضوح عند إحالة القارئ إلى صفحةٍ من تلك الصفحات المكرورة.

وهنالك مشاكلٌ سَامِرٌ بها سريعاً: سَنَوَاتٌ وَفَيَاتٌ مُتَبَاعِدَةٌ (وهو كثير) - مصادرٌ تَحُلُطُ بين ترجمتي شخصين أو أكثر - إحالة القارئ على مصدرٍ ثم تَجِدُ الصفحةَ المُحالَ عليها تسردُ ترجمةَ شخصٍ غير المقصود - اضطرابٌ في الفهارس الهجائية: أسماءٌ في متن الكتاب لا تظهَرُ في الفهرس وأسماءٌ في الفهرس لا تَجِدُها في الصَّفَحَات المذكورة - أسماءٌ يَرِدُ كُلُّ اسمٍ منها (في الفهرس) في مكانين مُختلفين بصيغتين مختلفتين - أسماءٌ جُمِعَ اثْنانِ منها أو أكثرٌ في واحدة - ترتيبٌ مُخالفٌ للمألوف: الأصمعي، الأفلاطونية، أكل المرار (حق الألف المدودة، وهي في الحقيقة أَلْفَانِ، أن تأتي قبل ذلك: قبل تسعِ صَفَحَاتٍ في الفهرس الذي أعنيه)، الأغاقي (فقد جعل مرتبَ الفهرس الفين بعد الفاء)، آل البيت (الألف المدودة أيضاً جاءت متأخرة تسع صفحات وفُصِّلَ بينها وبين أختها باسم آخر هو « الأغاقي »)... العزيز بالله، الأيوبي، الهلاليون، أُلوف، اليوسفي، اليونان، أسرو القيس، أسفار، أغخل، مُحسن الأمين، محمد (ص)، محمد الفضل، محمد البرنسي (تأخّرت الباء عن الفاء)، محمد الفاسي، محمد بن ابراهيم (تأخّرت الألف عن الفاء)،..... محمد بن المنصور، محمد بن تاووت (تأخّرت التاء عن الميم).

وفي كتاب آخر (في حرف الميم من الفهرس): أبو مدني، المسيلي، الحاسي، الموارقة، معروف، مالك، المتنبي، ابن مقدم، مضر، المؤمناني، المالقي، الخ.

إِنَّ مِثْلَ هَذَا يَحْدُثُ فِي الْكُتُبِ الضَّخْمَةِ.

وَلَكِنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: بَيْنَ أَمْرٍ يَغِيبُ أحياناً عَنِ الْمُؤَلِّفِ (أَوْ الْمُحَقِّقِ) أَوْ لَا يَسْتَرَعِي اتِّبَاعَهُ عِنْدَ التَّصْحِيحِ (مَعَ أَنَّ التَّصْحِيحَ أحياناً يَقُومُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ) وَأَمْرٍ يُعْمِلُهُ الْمُؤَلِّفُ أَوْ الْمُحَقِّقُ حِينَ يَعْبُدُ بِهِ إِلَى نَفَرٍ أَقَلِّ مِنْهُ دِرَايةً.

أَمَّا أخطاءُ الأَمْرِ الأوَّلِ (الأخطاءُ العارضةُ) فَيُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهَا حِينَ يُعِيدُ الْمُؤَلِّفُ الطَّبْعَ. لَمَّا صَدَرَ الْجُزْءُ الثَّالِثُ مِنْ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ (تَسْعِمِائَةِ صَفْحَةٍ مِنَ الْمُتْنِ ثُمَّ مِنَ الْحَوَاشِي بِالْحَرْفِ الدَّقِيقِ - مَا عَدَا الْمُقَدِّمَاتِ وَالْفَهَارِسَ - وَالْمُتْنِ مُشْكُولٌ شَكْلاً كَامِلاً فِي الْأَكْثَرِ) كَانَ فِيهِ مِائَةُ غَلْطَةٍ أَوْ أَكْثَرُ. وَقَدْ صُحِّحَتْ هَذِهِ فِي الطَّبْعَةِ التَّالِيَةِ (وَلَعَلَّهُ لَا يَزَالُ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَخْطَاءِ). وَفِي كُلِّ طَبْعَةٍ يُحَاوِلُ الْمُؤَلِّفُ تَصْحِيحَ غَلْطَةٍ هُنَا وَغَلْطَةٍ هُنَاكَ.

وَلَكِنْ هُنَاكَ أَمْرٌ آخَرٌ: هُنَاكَ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ أَوْ الْمُحَقِّقِينَ لِلْمَصَادِرِ يَعْتَمِدُونَ مُسَاعِدِينَ مِنْ طُلَّامِهِمْ أَوْ أَصْدِقَائِهِمْ أَوْ زُمَلَاءِهِمْ أَوْ يَتَّخِذُونَ مُسْتَأْجَرِينَ لِذَلِكَ يَقُومُونَ بِعَدْرِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الْكِتَابِ الْحَقِّقِ (صُنْعِ الْفَهَارِسِ مِثْلاً). وَهَذَا الْاعْتِدَادُ ظَاهِرٌ جَدًّا. لَا يُمَكِّنُ لِحَقِّقِ كِتَابٍ (عَلَى هَذَا الْمُسْتَوَى) أَنْ يَشْكَلَ بَيْتاً مِنَ الشَّعْرِ مِثْلَ هَذَا الشَّكْلِ: فَهَلْ لَهِمْ سَائِلٌ عَنْهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ (وَيُضَعُ ضَمَّةٌ عَلَى الرَّاءِ مَكَانَ الْفَتْحَةِ). وَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَغْفَلَ مُحَقِّقٌ عَنْ أَنَّ بَيْتَ الشَّعْرِ:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدرِّ وأحذره إذا كان مزبداً

لِلْمُتَنَبِّيِّ وَلَيْسَ لِأَبِي الصَّلْتِ أُمِّيَّةٌ بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَيَرِدُ بَيْتَانِ مِنَ الشَّعْرِ مَرَّتَيْنِ فِي كِتَابَيْنِ لِمُحَقِّقٍ وَاحِدٍ. يَرِدَانِ مَرَّةً عَلَى الصُّورَةِ التَّالِيَةِ (٢: ٥٩٣):

- قُلْ لَابْنَ شَلْبُونِ مَقَالَ تَزَوَّهَ غَيْرِي بِجَارِيكِ الْهَجَاءِ فَجَارِ

(إِنَّا اقْتَسَمْنَا خَطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلَتْ بَرَّةً وَاحْتَمَلَتْ فَجَارِ)

وَبَلَى الْبَيْتَانِ (هُنَا) هَذِهِ الْجُمْلَةُ (فِي النَّصِّ نَفْسِهِ):

- وهذا (البيتُ الثاني) مُضَمَّن من شعر النابغة الذبياني.
وكذلك يَرِدُ هذانِ البيتانِ مرَّةً ثانية (٥ : ٢٧٤) على هذه الصورة الأخرى:

- قل لابن شلبون مقال تنزهه
غيري مجاريك الهجاء فجار
أنا اقتسمنا خططينا بيننا
فحملت برّة واحتملت فجارى

الملاحظة على الرواية الثانية:

- انَّ المحقّق لم يُشيرْ هنا إلى أنَّ البيت « إنا اقتسمنا ... » مأخوذٌ من النابغة.
وهو يعرف ذلك بلا شك. ثمَّ إنّ الرواية الثانية قد أفسدتِ الجِناسَ التامَّ في « فجارٍ
(في البيت الأوّل: الفاء للعطف؛ جار: فعل أمر من جارى)، ثمَّ في فجارٍ (اسم
للفجور: الانفماس في المعاصي، معدول عن الفاجرة ومبني على الكسر بلا تنوين).
وليس من المعقول أن تكونَ الروايتانِ مَضْبُوطَتَيْنِ ومُحرَّرَتَيْنِ بقلمِ مُحَقِّقٍ واحدٍ.
ولا ريبَ في أنَّ الذي ضَبَطَ الروايةَ الثانيةَ أقلُّ معرفةً بالنحو وتاريخ الأدب من
الذي ضَبَطَ الروايةَ الأولى.

وكذلك ليس من الممكن أن يكونَ محقّقُ الكتاب قد ضَبَطَ الظاءَ بالكسر في
البيت التالي: عاثتِ باحتك الظُّبا... (يقصد الأطباء جمع ظبي: الغزال)، بينما
المقصود الظُّبا (بضمّ الظاء جمع ظُبة - بضمّ ففتح بلا تشديد - : حدّ السيف).
لعلّ نفرًا من هؤلاء الذين يساعدون المحقّق ليسوا جهالًا ولكنهم يَفْصِدُونَ أن
يُوقِعُوا المحقّق في مثل هذه المآخذ. هنالك كتابٌ كبيرٌ قيّمٌ فيه كثيرٌ من هذه الأمور،
فرجائي إلى مُحَقِّقه - وهو زميلٌ وصديقٌ أَجَلُهُ وأَعْرِفُ مقدارَ علمه. ولقدِ اعتمدتُ
كتابَه أَعْتادًا كثيرًا ونوّهتُ بعمله في مواضعٍ من الأجزاء الأندلسية في هذه
السلسلة - رجائي أن يُرَى هو بقلمه على أجزاء ذلك الكتاب وأن يُعيد هو بنفسه وَضَعَ
« فهرس الأعلام » من جديد.

ويلحقُ بهذه المشاكلُ شيءٌ آسَهُ « التحقيق »:

تناولتُ كتاباً على صفحته الأولى « نشرٌ وتحقيق: تاج المفرق في تحلية علماء
المشرق، تأليف خالد بن عيسى البلوي الأندلسي، ثمَّ (بحرف أصغر): مقدّمة للكتاب
« بقلم الحسن السائح ».

إِنَّ الْحَسَنَ السَّائِحَ قَدْ حَقَّقَ «رِحْلَةَ الْبَلَوِيِّ» (ص: هـ)، ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَنْشُرَ الْمَقْدَمَةَ الَّتِي صَنَعَهَا لِلرَّحْلَةِ الْمُحَقَّقَةِ نَشْرًا مُسْتَقْلًا (وَلَا أَعْلَمُ فَائِدَةَ ذَلِكَ)، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ (الْمَطْبُوعَةَ وَحْدَهَا مُسْتَقْلَةٌ فِي الْكِتَابِ الَّذِي تَنَاوَلْتَهُ) - فِي الْحَقِيقَةِ - مُحَاوَلَةٌ لْجَمْعِ مَا تَفَرَّقَ فِي عَدَدٍ مِنَ الْكُتُبِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَوِيِّ. وَبَعْضُ مَا جَمَعَهُ الْحَسَنُ السَّائِحُ مِنَ الْكُتُبِ قَلِيلٌ الصِّلَةُ بِتَحْقِيقِ «رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ».

وَمِنْذَ مَطْلَعِ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ يَبْدَأُ صَاحِبُهَا بِاسْتِطْرَادٍ، هُوَ: «أَشْتَهَرَ الْمَغَارِبَةُ وَالْأَنْدَلُسِيُّونَ بِتَأْلِيفِ الرِّحَلَاتِ» (ص ١). ثُمَّ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْمَنْهَاجِ الَّذِي آتَبَعَهُ فِي التَّحْقِيقِ وَعَلَى أَصُولٍ (يَقْصِدُ: مَخْطُوطَاتٍ) الرِّحْلَةَ كَلَامًا فِي صُلْبِ الْمَوْضُوعِ. فَإِذَا جَاءَ إِلَى حَيَاةِ الْبَلَوِيِّ بَدَأَ بِعَنْوَانٍ هُوَ «قَبِيلَةُ الْبَلَوِيِّينَ» فَيَتَكَلَّمُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْإِتْسَابِ إِلَى هَذِهِ الْقَبِيلَةِ (ص ٣ - ٤). غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ اسْمَ الْقَبِيلَةِ (وَأَسْمَاهَا: بَلِيٌّ مِثْلَ عَلِيٍّ، رَاجِعِ الْقَامُوسَ ٤ : ٣٠٥). وَلَكِنَّهُ يُلْحِقُ بِكَلِمَةِ «بَلَوِي» حَاشِيَةً يَقُولُ فِيهَا: «الْبَلَوِيُّ مُفْرَدٌ بَلِيٌّ (كَذَا) كَعَلِيٍّ. وَالبَلِيَّةُ النَّافِقَةُ يَمُوتُ صَاحِبُهَا فَتُشَدُّ إِلَى قَبْرِهِ حَتَّى تَمُوتَ» (ص ٣).

وَبَعْدَ كَلَامٍ عَلَى حَيَاةِ الْبَلَوِيِّ يَنْتَقِلُ الْحَسَنُ السَّائِحُ إِلَى «فَنِّ الرِّحَلَاتِ وَدَوَاعِيهِ: الرِّحَلَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (ص ٦١ - ٧١). ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَافِيَّةِ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ، فَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْجُغْرَافِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ (ص ٧٣ - ٨٦) وَعَلَى أَدَبِ الرِّحَلَاتِ وَالْأُسْلُوبِ الْأَدَبِيِّ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ (ص ٨٨ - ٩١)، وَلَكِنْ لَا نَرَى فِي هَذَا الْفَصْلِ الطَّوِيلِ «الْأُسْلُوبَ الْأَدَبِيَّ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ» (ثَلَاثَ صَفَحَاتٍ كَامِلَةً) شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَوِيِّ مِنْ قُرْبٍ أَوْ مِنْ بَعْدٍ.

- إِنَّ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ، فِي الْحَقِيقَةِ، مُتَّكِّيًا لِتَحْلِيلِ حُرِّ بِدَوْرٍ حَوْلَ الْبَلَوِيِّ.

- لَا اعْتِرَاضَ لِي الْآنَ عَلَى الْحَسَنِ السَّائِحِ: إِنَّ مَا قَعَلَهُ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ يَفْعَلُهُ كَثِيرُونَ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَنَاوَلَ كِتَابًا لَهُمْ يَجْهَلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ التَّارِيخِ وَمِنَ الْأَدَبِ وَمِنَ الْعِلْمِ فَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَخْشُرُوا كُلَّ مَا يَغْرِفُونَهُ فِي كُلِّ مُنَاسِبَةٍ.

- لَيْسَ مَعْنَى مَا تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ «الْمَقْدَمَةُ» الَّتِي صَنَعَهَا الْحَسَنُ السَّائِحُ لِلتَّحْقِيقِ الَّتِي قَامَ بِهِ لِرِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ لَا جُهْدَ فِيهَا أَوْ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا. إِنَّمَا أُحْبِبْتُ هَذَا الْعَرَضَ

الذي طال فوق ما يَجِبُ أَنْ أَكْثِفَ عَنْ عِدَدٍ مِنَ الْمَصَاعِبِ الَّتِي يَلَاقِيهَا مُؤَلِّفُو الْكُتُبِ
الوَاسِعَةِ حِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُقَدِّمُوا لِلْقَارِئِ أَكْثَرَ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْمَعَارِفِ فِي أَقَلِّ مَا يُمْكِنُ
مِنَ اللَّفْظِ وَعَلَى أَوْضَحِ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَرَضِ.

- ولقد أَحَسَّ الْعَلَّامَةُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّائِحِ صُنْعاً فَنَشَرَ « تَاجَ الْمَفْرُوقِ » لِخَالِدِ بْنِ
عِيسَى الْبَلَوِيِّ (بِإِشْرَافِ اللَّجْنَةِ الْمُشْتَرِكَةِ لِنَشْرِ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ بَيْنَ الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ
وَدَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ - مَطْبَعَةُ فِضَالَةِ فِي الْمَحَدِّيَّةِ، بِالْمَغْرِبِ - بِلَا تَارِيخٍ
لِلطَبْعِ).

وَمِنْ مَشَاكِلِ الْفَهَارِسِ مَا يَلِي:

أَنْ نَفَرَأَ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ وَمِنَ الْمُحَقِّقِينَ لِلْكُتُبِ لَا يَضُمُونَ الْفَهَارِسَ بِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ
يَعْمَدُونَ بِوَضْعِهَا إِلَى آخَرِينَ. وَهَؤُلَاءِ الْآخَرُونَ (وْخُصُوصاً إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ)
يَتَّبِعُونَ مَنَهْجاً شَكْلِيّاً فِي وَضْعِ الْفَهَارِسِ الْمِجَاجِيَّةِ لِأَعْلَامِ الْأَشْخَاصِ: يُثَبِّتُونَ رَقْمَ كُلِّ
صَفْحَةٍ يَرِدُ فِيهَا الْأَسْمُ الْمَقْصُودُ وَرُوداً ظَاهِراً، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي قِيَمَةِ وَرُودِهِ فِي كُلِّ
صَفْحَةٍ. فَلَاخُذْ مَثَلًا وَاحِداً لَمْ أَتَخَيَّرْهُ، بَلْ وَقَعَ نَظَرِي عَلَيْهِ اتِّفَاقاً:

فِي « فِهْرِسْتِ الْأَعْلَامِ » (ص ٨): أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ النَّحْوِيُّ الْفَرْنَاطِيُّ (٢)
٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨ - ٢٣٠، ٢٤٢ الخ.

وَبِالرُّجُوعِ إِلَى الصَّفَحَاتِ الْمَذْكُورَةِ نَجِدُ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى أَثِيرِ الدِّينِ قَدْ وَرَدَ عَرَضاً
فِي الصَّفَحَاتِ ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ثُمَّ وَرَدَ مُتَّصِلاً عَلَى الصَّفَحَتَيْنِ
٢٣٠ وَ ٢٣١. فَالترقيم، إِذَنْ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩،
٢٣٠ - ٢٣١، الخ. إِنْ الَّذِي صَنَعَ هَذَا الْفَهْرَسَ جَعَلَ الْاسْتِمْرَارَ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَثِيرِ
الدِّينِ فِي الصَّفَحَاتِ ٢٢٨ إِلَى ٢٣٠، مَعَ أَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَّصِلَ عَلَى أَثِيرِ الدِّينِ جَاءَ عَلَى
الصَّفَحَتَيْنِ ٢٣٠ وَ ٢٣١ (وَقَدْ أَهْمَلَ صَانِعُ الْفَهْرِسِ الصَّفْحَةَ ٢٣١، لِأَنَّ اسْمَ أَثِيرِ
الدِّينِ أَبِي حَيَّانَ لَمْ يَرِدْ فِيهَا صَرَاحَةً، مَعَ أَنَّ النِّصَّ فِي تِلْكَ الصَّفْحَةِ مُتَعَلِّقٌ بِأَبِي
حَيَّانَ).

وَمِنْ الْمَشَاكِلِ أَيْضاً الْوُصُولُ إِلَى بَحْثٍ وَتَرَاجُمٍ مُفَصَّلَةٍ وَدَقِيقَةٍ فِي الْمَجَلَّاتِ :
لَا شَكَّ فِي أَنَّ قَارِئَ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ قَدْ رَأَى مِنْذُ مَطْلَعِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ أَنَّ كُلَّ تَرْجُمَةٍ

مقسومة أربعة أقسام : ١ - الترجمة الشخصية، ٢ - خصائص صاحب الترجمة، ٣ - مختارات من آثار (صاحب الترجمة) ٤ - ** المصادر والمراجع.

ويرى القارئ أيضاً أنني أوردُ في هذا القسم الرابع تلك الكتب التي ألفت في صاحب الترجمة المقصود ثم ما وردَ عنه في عددٍ من المصادر العامة. وأنا لا أستطيع، مع الأسف، أن أستفيدَ كلَّ ما قيل عنه في كلِّ مصدرٍ عامٍّ أو مرجعٍ عامٍّ. ومما يزيدُ في أسفي أنني لا أستطيع أن أستشهدَ بمقالاتٍ واسعةٍ دقيقةٍ جليّةٍ تصدرُ في المجلّات (أبتداءً بمجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق مثلاً، مروراً بمجلّة «العربي» في الكويت ومنتهاً بعددٍ من المجلّات المتخصّصة التي تكثرُ اليوم، كمجلّة معهد المخطوطات العربية التي تُصدرها جامعة الدول العربية والتي تتضمّن أعدادها أحياناً كتباً برُميتها حتّى لتتألف من كلّ عددٍ من أعداد هذه المجلّة كتابٌ كامل).

غير أن وصول المؤلف إلى بُحوث هذه المجلّات طویل الطريق وشاقٌّ أيضاً. أمّا وصول القارئ إليها فيمكن أن يكون من باب المستحيل.

وهذا الذي ينطبقُ على المجلّات العربية ينطبقُ أيضاً على المجلّات في اللغات الأخرى، وخصوصاً تلك المجلّات التي تنشرُ مقالاتها وبحوثها بلغاتٍ مختلفة.

ولكن ما الطريقُ إلى استخدام هذه المجلّات (بعد أن يكون القارئ العالم أو القارئ المؤلف قد أطلع على ما نُشرَ فيها)؟

لقد حاولَ نفرٌ من القائمين على عددٍ من هذه المجلّات أن يُوجدوا حلاً لهذه المشكلة فحرضوا - في أحيانٍ معيّنة - على أن يعملوا بُحوثَ جزءٍ من أجزاء مجلّتهم في شهرٍ ما (أو فصلٍ ما) تُعالجُ موضوعاً واحداً (فيكاد ذلك الجزء يكون كتاباً مستقلاً). غير أن هذا الحلَّ ظلَّ حلاً جزئياً قاصراً. وكذلك خرّست مجلّاتٌ عدّة على إصدار فهرس عامة (مرة في كلّ عشرِ سنواتٍ مثلاً). ولكن هذه الفهارس أيضاً حلٌّ جزئي.

هنالك، إذن، ثرواتٌ أدبيّة وعلميّة وتاريخيّة مُفرّقة في أعداد المجلّات الخاصّة والعامة لا سبيلَ سهلاً إلى الوصول إليها. ولكن لا أريدُ من قارئ هذه الكلمة أن يذهبَ به الظنُّ إلى أنني أقصدُ أن تقفَ هذه المجلّات عن الصدور، ولكنني أقصدُ أن

الفائدة الْعَمَلِيَّة من أجزاء هذه المجلّات - بعدَ زَمَنِ طويلٍ أو قصيرٍ من صُدُورها - تُصَبِّحُ فائدةً ضئيلةً في أكثر الأحيان.

وَمُنَظَّمُ المصادر والمراجع. ثَمَّا رَجَعْتُ إليه في هذا الجزء الخامس كُنْتُ قد رَجَعْتُ إليه في الجزء الرابع. وفي الجزء الرابع قُتِبَ به. أما ما رَجَعْتُ إليه في هذا الجزء ثَمَّا لم أَكُنْ قد رَجَعْتُ إليه من قَبْلُ فَيَرِدُ فيما يلي:

- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لآبن سميّد أبي الحسن عليّ بن موسى: اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (تحقيق إبراهيم الابياري)، القاهرة (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٢ هـ.
- الأصالة (مجلة تصدرها إدارة الشؤون الدينية في الجزائر).
- أعلام الجزائر.
- البحث العلمي (مجلة يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي: جامعة محمد الخامس - الرباط).
- البلغة في أئمة اللغة.
- تاريخ الجزائر العام، تأليف عبد الرحمن محمد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
- تحفة القادم = المقتضب من تحفة القادم.
- التشوّف إلى رجال التصوّف، تأليف يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات) - (اعتنى بتصحيحه أدولف فور)، الرباط (معهد الأبحاث العليا المغربية) ١٩٥٨ م.
- جذوة الاقتباس.
- الخريدة: خريدة القصر وجريدة العصر للماد الكاتب الأصغفاني:
- قسم شعراء الشام (عني بتحقيقه شكري فيصل): مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.
- قسم شعراء مصر (نشره أحمد أمين، شوقي ضيف، احسان عباس)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٢ م.
- قسم شعراء المغرب (تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م وما بعد (ثلاثة أجزاء).

الداية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
 رحلة التجاني لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
 زاد المسافر لأبي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسى، بيروت (دار الرائد العربي) ١٩٧٠ م.
 طبقات السبكي: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٤ هـ.
 النصوص الينانة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى، (بتحقيق ابراهيم الايباري)، الطبعة الثانية، القاهرة (دار المعارف بمصر)، مصر (مطابع دار المعارف) ١٩٦٧ م (تاريخ تقديم الطبعة الثانية).
 مجلة البحث العلمي = البحث العلمي.
 القدر المعلن = اختصار القدر المعلن.
 مجلة المقتبس لصاحبها محمد كرد علي، القاهرة ثم دمشق.
 المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن (بتحقيق ابراهيم الايباري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م.
 المطرب (المخرطوم): المطرب من أشعار هلال المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن.
 المعجم لابن الأبار: المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي، تأليف محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (بتحرير فرنسيسكو كوديرا أي زايدن)، مجريط (مطبع روخس) ١٨٨٥ م.
 معجم أعلام الجزائر.
 معجم الصديقي = المعجم لابن الأبار.
 معجم المطبوعات العربية والعربية، جمعه ورتبه يوسف البان سركيس (منشورات مكتبة يوسف البان سركيس)، مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م.
 معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، دمشق (مطبعة الترمي) ١٩٥٧ - ١٩٦١ م.
 المختضب من تحفة القادم لابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي) - (بتحقيق ابراهيم الايباري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م.
 المكتبة العربية الصقلية: نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم جمعها ميخائيل أماري، ليسك (مطبعة بروكهاوس) ١٨٥٧ م نشرت بالتصوير، بغداد (مكتبة المثنى بلا تاريخ).

- منهاج الرعيني = برنامج الرعيني .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (تحرير أحمد يوسف نجاتي)، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٦ م .
- النباهي = قضاة الأندلس (راجع الجزء الرابع).
- نوهض .

إنَّ تحريرَ المخطوطات (نشرَ نصوصها مضبوطةً بحسبِ الأصلِ المأخوذةِ عنه) وتحقيقها (تحرِّي صِحَّةِ كَلِمَاتِهَا وَجُمْلَتِهَا وَأَخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا) منهجٌ قام به المستشرقون لَمَّا بدأوا طبعَ كتبِ التُّراثِ العَرَبِيِّ (دواوينِ الشعرِ القديمِ وكتبِ التاريخِ ومجاميعِ الأدبِ وكتبِ الفقهِ وغير ذلك . ذلك هو التاريخُ ؛ لِأَنَّ المطبعةَ ظهرتْ في أورُوبةَ قبلَ أَنْ تَنْتَقِلَ إلى بلادِ العربِ والاسلامِ .

ولكنَّ لا بُدَّ من كَلِمَةٍ في «تَصحيحِ الكتبِ» العربية التي صدرَتْ في أوَّلِ عهدِ البلادِ العربيةِ بالمطبعةِ، مطبعة بولاق (من أحياءِ القاهرة - ولعلَّها المطبعة التي كان نابليون قد جاء بها). كان يُصَحِّحُ تلكَ الكتبِ في المطبعةِ الأميريةِ (بولاق) أديبٌ أسمه نصرُ المهوريني .

هو أبو الوفاء نصرُ بنُ الشيخِ نصرِ يونسَ المهورينيُّ المصريُّ الأزهريُّ، كان عارفاً بالفقهِ واللُّغةِ والأدبِ والتاريخِ . وقد أرسلته الحكومةُ المصريَّةُ (الأميريةُ: في أيامِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ مؤسِّسِ الأسرةِ العَلَوِيَّةِ) إماماً للبعثةِ المصريَّةِ التي كان أفرادُها يدرُسُون في فرنسَةَ^(١) . ويبدو أَنَّهُ قد بَقِيَ في فرنسَةَ مُدَّةً مَكَنَّتْهُ من أَنْ يَتَعَلَّمَ اللُّغةَ الفرنسيَّةَ .

(١) كان مُحَمَّدُ عَلِيٌّ باشا مؤسسَ الأسرةِ العَلَوِيَّةِ في مصر قد أرسلَ نفرًا من نِباهِ الطُلَّابِ لمتابعةِ الدراسةِ في أورُوبةِ (فرنسَه واسكتلَنده وفي الروسية؟) في العلومِ النظريةِ وفي الفنونِ العمليةِ . ولم يكن في الشرقِ العربي قبلَ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ نهضةٌ عصريَّةٌ في الدولةِ، ولكنَّ احتكاكَ العربِ بأورُوبةَ بعد حملةِ نابليون على مصر والشامِ، من ١٧٩٩ إلى ١٨٠١ للميلاد (١٢١٥ - ١٢١٧ هـ) دفعتَ مُحَمَّدَ عَلِيَّ باشا إلى تناولِ أسبابِ الحضارةِ المادِّيَّةِ من الغربِ الأورُوبيِّ . ويحسُنُ أَنْ نَعْلَمَ هُنَا أَنَّ البعثاتِ التي أرسلها مُحَمَّدُ عَلِيٌّ باشا إلى أورُوبةَ قد ساعدتْ على تطوُّرِ الحياةِ العلميَّةِ والحياةِ الأدبيَّةِ بين العربِ . وقد انتقل أثرُ هذا التطوُّرِ من مصر إلى سائرِ البلادِ العربيَّةِ . أمَّا ما درجَ عليه نفر من المتأدِّبينِ من نسبةِ بوادرِ النهضةِ =

ولما عاد نصرُ الهوريُّ من فرنسة إلى القاهرة تولى رئاسة التصحيح (تصحیح الكتب المطبوعة) في المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق). وقد صحَّح عدداً كبيراً من الكتب. ولا شك في أنه كان له معاونون في التصحيح، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون هو المسؤول عن الكتب التي صحَّحها هو وعن الكتب التي قد صحَّحها أعوانه أيضاً. ونحن نعرف أن الكتب التي خرَّجت من المطبعة الأميرية في بولاق كانت مضبوطة ضبطاً يدعو إلى الإعجاب (يزيد في الدقة كثيراً على بعض ما يُسمَّى اليوم «تحقيقاً»). ومن المنتظر أن يكون أعوانُ الهوريِّ في تصحيح الكتب بارعين مثله في أمر اللغة. غير أننا لا يجوز أن ننسى أن كثيراً من الضبط لنص الكتب المطبوعة في المطبعة الأميرية كان يرجع إلى الثنائي الذي أمتاز به القرن الماضي - إذا قورن ذلك الثنائي بالسرعة الطاغية على الناس في القرن الحاضر.

وكانت وفاة نصر الهوريِّ سنة ١٢٩١ للهجرة (١٨٧٤ م)^(١)

إن نصر الهوريِّ يستحق دراسة تُنصفه وتضع جهوده في ضبط الكتب التي صحَّح «ملازمها» (كما نقول في عالم الطباعة) في إطارها الصحيح بالكشف عن أمانة هذا الرجل ومقدرته وفي العمل الذي قام به في تصحيح الكتب. وقد كنت أقترحتُ على الدكتور إبراهيم مذكور - رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة - أن يتولَّى أحد أعضاء المجمع من الإخوة المصريين هذا العمل (وأهل مكة أدرى بشعابها). ولعله فاعلٌ - إن شاء الله.

ونعود إلى المستشرقين وتحقيق الكتب.

كانت الغاية من تحقيقي الكتب العربية - لما بدأ المستشرقون ينشرون تلك الكتب - إخراج كتب التراث العربي بالنص الذي جاءه على أقلام مؤلفيها. كان من المنتظر أن نرى كتباً نُشرت بالتصوير ثم كتباً نُشرت بالحروف مجردة من الشكل

الأدبية إلى نفر من الأدباء والصحاحيين في لبنان فيجب أن نصححه بأن هذا الذي كان في لبنان جاء بعد النفتح العربي في مصر بنحو جيل من الدهر أو يزيد. ولهذا القصة حديث طويل سيأتي.

(١) مروكلس، الملحق ٢: ٧٢٦. الأعلام للزركلي ٨: ٣٥١ (٢٩) معجم المطبوعات العربية لسركيس. الصفحات ١٩٠٢ - ١٩٠٤.

(ضبطِ الكَلِمَاتِ بِالْحَرَكَاتِ) ومن علاماتِ الوقفِ (إِشَارَاتِ التَّنْقِيطِ) كَيْ يَتْرَكَ مُحَقِّقُ
الكتابِ للقارئِ حُرِّيَّةَ آخْتِيَارِ «الْقِرَاءَةِ» الْمَوَاقِفَ بِحَسَبِ أَجْتِهَادِ الْقَارِئِ.

وكانتِ الْكُتُبُ الْكُبْرَى (العديدةُ الْأَجْزَاءِ) يَتَوَلَّى نَشْرَهَا فِي الْعَادَةِ بِضَعَةِ نَفَرٍ.
فَكِتَابُ الطَّبْرِيِّ فِي التَّارِيخِ: «تَارِيخُ الرُّسُلِ (أَوِ الْأُمَمِ) وَالْمُلُوكِ»، مثلاً، أَشْرَفَ عَلَى
تَحْقِيقِهِ الْمُسْتَشْرِقُ دِهْ حَوِيَهْ الْهَوْلَنْدِيُّ (فَهُوَ مُحَرِّرُ الْكِتَابِ أَوِ الْمُسْتَشْرِفُ عَلَى تَحْقِيقِهِ).
وَقَدْ عَاوَنَهُ فِي هَذَا التَّحْقِيقِ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ مِنْهُمْ نَوْلْدِكَةُ الْأَلْمَانِيُّ وَغَوِيْدِي
الْإِيْطَالِي وَهَوْتْسَا الْهَوْلَنْدِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَمُحَقِّقُو «تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ» لَمْ يَكْتَفُوا بِإِبْرَازِ النَّصِّ، بَلِ اسْتَعْرَضُوا الْقِرَاءَاتِ
الْمُخْتَلِفَةَ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الْعَدِيدَةِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَلَّوْا ضَبْطَ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ (وخصوصاً فِي
الْأَشْعَارِ) بِالْحَرَكَاتِ. فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نَتْرَكَ الْحُرِّيَّةَ الْمُطْلَقَةَ لِكُلِّ قَارِئٍ فِي آخْتِيَارِ
الْقِرَاءَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا (وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ بَعْدَ الْفَرْدِ مِنَ الْقُرَّاءِ الْعُلَمَاءِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا
الضَّبْطِ. وَرَبَّمَا كَانَ مِثْلُ هَذَا الضَّبْطِ لِمِثْلِ هَذَا الْفَرْدِ حَاجَةً عَلَى عِلْمِهِ وَدِرَايَتِهِ). غَيْرَ
أَنْ مُحَقِّقِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ كَانُوا يَسْتَحِقُّونَ الشُّكْرَ عَلَى تِلْكَ التَّيْسِعَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا فِي
ضَبْطِ أَقْسَامٍ مِنَ نَصِّ الْكِتَابِ بِالْحَرَكَاتِ.

وَلَقَدْ أَطْلُتُ الْكَلَامَ - مِنْ قَبْلُ فِي هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ - عَلَى الْأَخْطَاءِ الْعَارِضَةِ فِي نَشْرِ
كُتُبِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى نُقْطَةٍ أُخْرَى هُنَا. لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ
رَيْبٌ فِي حِمْلَةِ الْأَسْتِمَارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ حَيَاتِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى
«الشَّهَادَاتِ» يُعْطُونَهَا لِنَفَرٍ مِمَّنْ يُمْطَلَقُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي حَضَارَتِنَا وَثِقَاتِنَا لِيُخْبِرُوا
حَضَارَةَ قَوْمِنَا وَثِقَاتَهَا قَوْمَنَا بِأَيْدِيهِمْ. وَيَتَوَلَّى «تَخْرِيجَ» هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مُسْتَشْرِقُونَ
نَعْرِفُ كُتُبَهُمْ فَلَا يَسْتَحِقُّونَ بِهَا شَهَادَةً عَادِيَّةً.

حَضَرْتُ مُؤْتَمَرًا فِي أَوْرُوبَةِ (عَامِ ١٩٧٩) فَالَقَيْ بَعْضَ الْمُسْتَشْرِقِينَ مَقَالًا فِي «الْعُلُومِ
عِنْدَ الْعَرَبِ». لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَقَالِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ (إِذْ يَبْدُو أَنَّ ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِقُ لَمْ
يَكُنْ «حِصَانًا» فِي الرِّيَاضِيَّاتِ)، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْحَقِّدِ وَالتَّحَامُلِ. وَلَقَدْ
رَدَدْتُ عَلَى هَذَا الْمُسْتَشْرِقِ بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا أَعْلَمُ تَارِيخَ الْعُلُومِ عِنْدَ الْعَرَبِ
لَطَلَّابِ الْبِكَالُورِيَا الْلُبْنَانِيَّةِ. وَلَوْ أَنَّ طَالِبًا عِنْدِي كَتَبَ مِثْلَ هَذَا الْمَقَالِ الَّذِي قَرَأْتُهُ

أنت علينا الآن لَمْ أَسْتَحَقَّ عليه ثمانية من عشرين (مع نظرة من الرحة إلى الطالب).
ويبدو أن هذا سوء ليس خاصاً بالعرب.

فيما يلي قصّة لعلّها واقعة أو لعلّها كانت مثلاً مضروباً.

قيل إن ألكساندر دوماس الصغير (الابن) سأل أبنته مرّة فقال لها: أقرأت روايتي الأخيرة؟ فأجابته على ذلك بقولها: وهل قرأتها أنت؟

ولا شك في أن نقرأ كثيرين يضعون أسماءهم على كتب وهم لا يدرّون ما فيها. جرّت عادة منذ زمن قريب في بعض البلاد العربية أن يضع نقرأ كثيرين (ثمانية أو تسعة) - بمن كانت أسماءهم من ألقب الأسماء في ذلك الحين - أسماءهم، مثلاً، على كتاب لتعليم النحو العربي في المرحلة الابتدائية. وكانت الأسماء تُسرّد على غلاف الكتاب بحسب شهرة تلك الأسماء عند أنصاف المتعلمين. ولا ريب في أن الكتاب كان من تأليف صاحب الاسم الأخير في القائمة الطويلة. أمّا صاحب الاسم الذي ظهر مراراً أولاً في تلك القائمة فلم يكن صاحبه يعرف من الكتاب إلا أن اسمه وُضع على غلافه وإلا نصيبه السمين من حقوق التأليف.

وأحب أن أعود قليلاً إلى أولئك الذين يعمدون إلى غيرهم بتحقيق أقسام من الكتب التي ينشرونها فيقوم غيرهم بتشويه هذا التحقيق قصداً، انتقاماً من أولئك المحققين لأسباب كثيرة.

ليس من المعقول أن يكون محقق العدد الكبير من الكتب والمؤلف في فنون الأدب والشعر والبلاغة جاهلاً حقائق النحو المشهورة، ولا أن يعمد بتحقيق جزء من كتاب ينشره إلى رجل جاهل بتلك القواعد. وليس لهذه الأخطاء النحوية العادية إلا تفسير واحد: إن هؤلاء الذين أُجبروا على معاونة المحقق قد أرادوا أن ينشتموا من المحقق فدسّوا هذه الأخطاء في كتبه.

جاء في كتاب..... (٣: ٣٢٥ تم ٦: ٢٣٠) هذان البيتان:

أما في الدهر من أفتي إليه بأسراري فيؤنس بالجواب؟
أنلني، يا خير البرية خطّة ترقمني قدراً وتكسبني عزاً،

فَاعْتَرَى فِي أَهْلِي كَمَا آعْتَرَ بِيَدِ عَلَى سَفَرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا أَتَشْنَى فَرَزًا.

وقد جاءت كَلِمَةُ « فَيُونُس » في البيت الأول ثم كلمة « فَاعْتَرَى » في البيت الثالث بحركتين بالرفع (بالضمة) وحقها النصب (بالتفتحة) لأنها بعد فاء السببية (وقد جاءت الأولى بعد آستفهام وجاءت الثانية بعد فعل الطلب - أي بعد فعل أمر). فهل يُعْمَلُ أَنْ يُخْطِئَ اسْتَاذٌ كَبِيرٌ مِثْلَ هَذَا الْخَطَأِ. أَلَيْسَ قَوْلِي: « إِنَّ الَّذِينَ سَاعَدُوهُ فِي التَّحْقِيقِ قَدْ دَسَّوْا عَلَيْهِ هَذَا الْخَطَأَ » دِفَاعًا عَنْهُ.

ومثل ذلك (وأهون منه في كتب النحو) جزمُ الفعلِ المضارعِ بعدَ أَسْمِ الشرطِ. هنالك مثلاً بيتٌ (٥: ٥٩٢):

مَنْ يَبْتَغِي الْيَوْمَ صَدِيقًا كَمَا يَرْضَى فَقَدْ زَلَّتْ بِهِ بَغِيَّتُهُ.

يجب أن نقول « يبتغى » (مجزومة لأنها آسم الشرط، وعلامة جزمها حذف حرف العلة). والفاء في « فقد » (في الشطر الثاني) رابطة لجواب الشرط. وجواب الشرط « قد زلت به بغيته » (في محل جزم جواب الشرط).

وأسهل من ذلك البيت التالي: (٥: ٥٩١):

كَنْ وَحِيدًا مَا عَشْتُ تَحْيَا بِخَيْرٍ سَالًا مِنْ شُرُورِ كُلِّ الْبَرِيَّةِ.

يجب أن يقال « تحيى » (مجزومة في جواب الطلب). وعلامة جزمها حذف حرف العلة من « تحيا ».

ولا نزال في النحو. هنالك مقطوعة (٢: ٣٩٠) في صدرها:

بِجَامِعٍ جَلَّقَ رَبُّ الزَّعَامَةِ أَقَمَ تَلَقَّى الْعِنَايَةَ وَالْكَرَامَةَ

وَيَمَّ نَحْوَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَصَلَ بِهِ تَصِلُ دَارُ الْإِقَامَةِ

فإن كلمة « رَبِّ » محركة بالجر (بالكسر)، ظناً من الذي حركها بالكسر أنها بدل من « جامع ». وحق « رَبِّ » أن تحرك بالنصب (بالتفتحة) لأنها منادى مضاف (يا رَبَّ الكرامة). والبيتان يجب أن ينقطا كما يلي:

بِجَامِعٍ جَلَّقَ رَبُّ الزَّعَامَةِ، أَقَمَ تَلَقَّى الْعِنَايَةَ وَالْكَرَامَةَ؛

وَيَمَّ نَحْوَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَصَلَ بِهِ تَصِيلٌ دَارَ الْإِقَامَةِ.

(ولم ينس الناشر هنا أَنَّ «تَلَقَّ» و «تَصِيلٌ» مجزومتان في جواب الطلب بعد «أَقِمَّ» و «صَلَّ». وننتقل قليلاً إلى فهم معاني الشعر.

هناك بيتٌ يَرِدُ في مكانين (٤ : ٣٨١ و ٤٦٥) هو:

فلا صدرَ إلَّا فيه صدر مُثَقَّفٌ وحول الوريث للحماس ورود.

إنَّ كلمة صدر (الثانية) مضبوطة مرَّةً بضمة واحدة (صدرٌ مُثَقَّفٌ: أعلى الرمح)، وهذا صحيحٌ. وفي المكان الآخر ضُبِطَ التعبيرُ بضمَّتَيْنِ في جُزئيه: صدرٌ مُثَقَّفٌ (ولا معنى له). فهل من الممكن أن يكون ضابطُ هذا التعبير الواحدِ ضبطينِ مختلفينِ (أحدهما صواب والثاني منها خطأ) رجلاً واحداً؟

وهذا البيت (٤ : ٦٨):

لكن معاني حسنه تَمَّت كما قد تَمَّ عن صدأ الحديد فرنده.

يجوز أن تكون تَمَّت (في الشطر الأول) بالتاء. ولكن الشطر الثاني يحتاج إلى «تَمَّ» (بالنون): ظهر (إنَّ اللّمعان من خلال الصدأ يدلّ على جودة حديد هذا السيف).

وبيت آخر (٣ : ٣٩٣):

أقلَّ عتابَكَ إنَّ الكريمَ يجازي على جَبِّه بالقلبي

القلبي (بالكسر): البغض. وكلمة «يجازي» مضبوطة بكسرة تحت الزاي وينقطتين تحت الباء.

والحق أن يقال: يُجَاوِزُ (بالبناء للمجهول، كما تدلّ الآيات التالية لهذا البيت).

وبيت آخر هنا (٤ : ١٨٤):

- ولأبي جعفر بن سعيد في قوادة:

متاعة للنعل من كيسها موسرة في حمال اعسار.

إنَّ الكلمة الأولى في البيت يجب أن تكون «متاعة». والكلمة الثانية يمكن أن

تكون « النعل »، والنعل: الزوجة (أصبح المعنى مفهوماً).

وأخيراً هنا جُمْلَةٌ من النثر (٣ : ١٢٣) في الكلام على صُنع أوتارٍ للعود (آلة الطرب المعروفة). يقول زريابُ المغنّي العازف المشهور والذي ذهب إلى الأندلس ثم أدخل تطوُّراً على العود... : « وأوتاري من حرير لم يغزل (؟) بماء سخن ». يجب أن نقرأ: لم يُغْزَلْ أو لم يُغْمَسْ (وهذا أمر معروف عن زرياب في تاريخ الموسيقى).

ثم شيء يسير من البلاغة. في كتاب آخر (٧ : ١٣ - ١٤) يرِدُ هذان البيتان:

كلف بالغيد ما عَقَلْتُ نفسه السلوان مذ عقلا.

.....

أضمنتم أم جبرتمكم ثم ما آمنتم السبلا؟

إنَّ اللغة والمعنى والبلاغة تقضي أن يقول الشاعر ما « عَقَلْتُ »، وإلا فَسَدَ « الجنس » الذي أراده الشاعر. إنَّ « عقلت » و « عقلا » لا جناسَ فيها. ثم لا وجه هُنالك لقول الشاعر « آمنتم » (بمَدَّة على الهمزة) ولا ظِلٌّ للمعنى. والصواب « أمنتُم » (بشدَّة على الميم). ومراجعة الأبيات بين هذين البيتين تدلُّ على ذلك بوضوح.

وكذلك جاء في هذا الكتاب (١ : ١٦٩) تلك المقطوعة المشهورة:

شدوا المطيَّ، وقد نالوا المني مِنِّي

وقد تكلفَ المحقِّقُ وَضَعَ فَتَحَتَيْنِ على كلمة « مِنِّي » فأفسد على الشاعر « مُحَاوَلَةً تامَّ التجنيس » بين « المني » و « مِنِّي ». ومِنِّي في الأصل ممنوعةٌ من الصرف (للعَلَمِيَّة والتأنِيث).

ومع أن القاموس المحيط (٤ : ٣٩٢) يقول: مِنِّي مثل إلى.... وتُصَرَّفُ (فإنَّ مَنَعَهَا من الصَّرْفِ - وَهُوَ أَعْلَى طَبَقَةٍ في اللغة - يَدُلُّ، في هذا البيتِ على رِقَّةِ الحِسِّ في الشاعر.

يقول المقرِّي (نفع الطيب ٤ : ٥٠٠): « وقد عرَّفْتُ بآبن الأبار في أزهار الرياض بما لا مزيد عليه... »

ونأتي إلى كتاب المقرِّي « أزهار الرياض » فنَجِدُ على صفحة الغلاف منه:

« ضبطه وحقّقه وعلّق عليه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي »
ونبحث عن ابن الأبار في « أزهار الرياض » فيردّنا الفهرس الهجائي إلى الصّفحات
٢٣، ٢٤، ٢٥ من الجزء الأوّل (ص ٣٤٠، تحت « ابن الأبار »)، ثم إلى الصفحة
٣٧٩ من الجزء الثاني (ص ٣٩٩، تحت « أبو عبد الله بن الأبار »)، ثم إلى الصفحة
٦٣ من الجزء الثالث (ص ٣٣١، تحت « أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله
القضاعي »).

فأين يتكلّم المقرّي، إذن، في « أزهار الرياض » على ابن الأبار بما لا مزيدَ
عليه... (من التفصيل)؟

إنّ المقرّي، يُخصّ ابن الأبار بأربع وعشرين صفحة من الجزء الثاني من كتابه
« أزهار الرياض » (٢: ٢٠٤ - ٢٢٧). ولكنّ الفهارس الهجائية لا تُشير إلى هذه
الصّفحات أبداً.

فهل من المعقول أن يكونَ الأفاضلُ الذين ضبطوا نصّ « أزهار الرياض »
وحقّقه وعلّقوا عليه - كما قالوا هم أنفسهم - هم الذين صنعوا هذه الفهارس
الناقصة (فيما يتعلّق بابن الأبار) نقصاً معيّباً؟

٢٢ من ذي القعدة ١٤٠١

١٩ / ٩ / ١٩٨١.

ع. ف.

المرابطون في الأندلس

معركة الزلاقة

كَانَ الْإِسْبَانُ يُلْحِقُونَ عَلَى مَالِكِ الطَوَائِفِ، يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى أَقْسَامِ مِنْهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْقَرِضُ. وَكَانَ الْفُونْسُ السَّادِسُ (١٠٦٥ - ١١٠٩ م) يَقُودُ جِيوشًا كَثِيفَةً مِنَ الْبُشْكُنْسِ وَالْجَلَالَةِ وَالْإْفَرَنْجِ (مَنْ مُعْظَمُ أَمْحَلِهِ أَوْرُوبِيَّةٌ) وَيَطُوفُ بِدَوْلَاتِ مُلُوكِ الطَوَائِفِ يُفْسِدُ وَيَقْتُلُ وَيَسْبِي.

اسْتَنْجَدَ مُلُوكُ الطَوَائِفِ بِيُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ، فَجَازَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَلْتَقَى الْفُونْسَ السَّادِسَ فِي الزَّلَاقَةِ (سَاقَرْلِيَّاسَ)، إِلَى الشَّالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ بَطْلَيُْوسَ، عَلَى الْخُدُودِ بَيْنَ إِسْبَانِيَّةٍ وَالْبُرْتِغَالِ الْيَوْمَ، فِي ١٢ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٧٩ (١٠٨٦/١٠/٢٢ م). وَقَدْ انْتَصَرَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ عَلَى الْفُونْسِ السَّادِسِ وَرَدَّ خَطَرَهُ عَنْ مُلُوكِ الطَوَائِفِ. ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ تَرَكَ جَمِيعَ الْغَنَائِمِ لِلْمُلُوكِ الطَوَائِفِ وَتَرَكَ لَهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ جُنْدِيٍّ مِنْ جُنُودِهِ الْبَرْبَرِ وَعَادَ إِلَى مَرَاكُشَ. وَتَسَمَّى يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ بِاسْمِ «أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ».

غَيْرَ أَنَّ مُلُوكَ الطَوَائِفِ عَادُوا إِلَى التَّنَازَعِ وَإِلَى اسْتِنْجَادِ بَعْضِهِمْ بِمُلُوكِ الْفَرَنْجَةِ عَلَى بَعْضٍ. وَلَمَّا جَازَ يُوسُفُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ جَعَلَ مُلُوكُ الطَوَائِفِ يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الْإِسْبَانِ عَلَيْهِ. رَجَعَ يُوسُفُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا مَرَّةً ثَلَاثَةً (٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م) وَجَعَلَ يَسْتَوْلِي عَلَى دَوْلَاتِ الطَوَائِفِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً. وَفِي مَدَى عَشْرِ سَنَاتٍ دَخَلَتْ جَمِيعُ الْأَنْدَلُسِ فِي حُكْمِ الْمُرَابِطِينَ وَأَنْجَابَ عَنْهَا الْخَطَرُ. وَأَمْتَدَّ عُمُرُ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ - بِفَضْلِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ - مِائَةَ عَامٍ. غَيْرَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ مُؤَرِّخِي السِّيَاسَةِ وَالْأَدَبِ يَحْمِلُونَ عَلَى يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ وَيَتَّهِمُونَهُ بِالْأَسْتِبدَادِ وَبِحُبِّ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الدُّوَلَاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الصَّغِيرَةِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ قَدْ أَحْسَنَ

صُنْعاً لِأَنَّهُ حَفِظَ الْعَرَبَ وَالْعُرُوبَةَ وَالْإِسْلَامَ فِي الْأَنْدَلُسِ . أَمَّا الَّذِينَ ذَمُّوا يُوسُفَ بْنَ تَاشْفِينَ فَكَانُوا نَفَرًا مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَكَسَّبُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مِنَ الْبَلَاطَاتِ الْكَثِيرَةِ .

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ أَدْرَكَتِ الْبَابُورِيُّ وَأُورُوبَةُ أَنَّ لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى مُجَابَهَةِ يُوسُفَ بْنِ تَاشْفِينَ فَتَرَكُوا الْأَنْدَلُسَ وَشَأْنَهَا إِلَى حِينٍ ثُمَّ وَجَّهُوا قُوَاهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ وَقَامُوا بِالْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ (٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م) ، بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنْ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ .

وَيُعَدُّ يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ ؛ وَمِنْ حُسْنِ حِفْظِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ أَنَّهُ عَاشَ خَمْسِينَ سَنَةً فِي الْحُكْمِ (٤٥٠ - ٥٠٠ هـ) . ثُمَّ تَعَاقَبَ عَلَى عَرْشِ الْمُرَابِطِينَ أَرْبَعَةُ سَلَاطِينَ لَمْ يَكُنْ فِي أَيَّامِهِمْ مَا يُذَكَّرُ .

المغرب وصقلية

لَمْ تَسْتَطِعْ دَوْلَةُ الْمُرَابِطِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ ، فَقَدْ اسْتَمَرَّتْ دَوْلَةُ بَنِي زَيْرِي الصَّنَهَاجِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى (الْقَطْرُ التُونِسِيُّ) ، وَظَلَّتْ لِيَبْيَا تَابِعَةً لِلدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِي مِصْرَ . أَمَّا فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ (الْقَطْرُ الْجَزَائِرِيُّ) فَقَدْ نَشَأَتْ دَوْلَةُ بَنِي حَمَادٍ (٤٠٥ - ٥٤٧ هـ) فِي مِثْقَلَتَيْنِ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَمَدِينَةِ قُسْنَطِينَةِ (قُسْطَنْطِينَةِ) ، وَكَانَتْ تُقَاتِلُ أحيانًا دَوْلَةَ الْمُرَابِطِينَ .

وَيَعُمُّ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ ، فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْحِقْبَةِ أَمْرَانِ : رَحُفُ الْعَرَبِ (الْبَدَوِ) عَلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ اسْتِيلَاءُ النُّورْمَانِ عَلَى جَانِبٍ مِنَ السَّاحِلِ الْإِفْرِيقِيِّ .

١ - لَمَّا قَطَعَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسٍ الدَّعْوَةَ لِلْفَاطِمِيِّينَ ، سَرَحَ الْفَاطِمِيُّونَ (٤٤٣ هـ) جُمُوعًا مِنْ عَرَبِ بَنِي هِلَالٍ وَبَنِي سُلَيْمٍ كَانُوا يَنْزِلُونَ فِي صَعِيدِ مِصْرَ . وَقَدْ أَنْتَشَرَتْ هَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ فِي الْمَغْرِبِ ، مِنْ طَرَابُلُسِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَوَاسِطِ الْجَزَائِرِ ، تَعِمْتُ فَسَادًا بِالْقَتْلِ وَالتَّدمِيرِ . وَحِينَئِذٍ يَذْكُرُ ابْنُ خَلْدُونِ الْعَرَبَ بِالسُّوءِ وَبِأَنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْعُمُرَانِ وَأَنَّهُمْ يَخْرُبُونَ الْقُصُورَ حَتَّى يَأْخُذُوا أَخْشَابَهُ لِنَارِهِمْ وَلِبَنَاءِ خِيَامِهِمْ فَلِنَا يَعْني الْبَدَوِ ، قِيَاسًا عَلَى مَا فَعَلَهُ بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ فِي الْمَغْرِبِ (وَفِي الْقَيْرَوَانِ مِنَ الْقَطْرِ التُونِسِيِّ ، خَاصَّةً) .

٢- في سنة ٤٨٤ هـ استولى النورمان على جزيرة صقلية من أيدي العرب. ومع أن النورمان أحسنوا السيرة مع عرب صقلية واتخذوا الحضارة العربية حضارة لهم ولم يقبلوا أن يشتركوا في الحروب الصليبية محافظة على صلاتهم الحسنة بمسلمي الجزيرة، فإنهم كانوا طامحين إلى توسيع نفوذهم السياسي والاقتصادي. ففي سنة ٥٤٣ هـ استولى النورمان على طرابلس الغرب، بعد أن كانوا، سنة ٥٣٩ هـ، قد استولوا على جانب كبير من الساحل الإفريقي. وزاد بؤس المغرب حينما اجتمع عليه الدمار على يد البدو من بني هلال وبني سليم وعلى يد النورمان في وقت واحد.

الحياة السياسية في الأندلس...

امتد حكم المرابطين على الأندلس نصف قرن من الزمن أو يزيد قليلاً، من سنة ٤٨٤ إلى سنة ٥٣٩ للهجرة (١٠٩١ - ١١٤٤ م). وقد كان أمير المسلمين (سلطان المرابطين)، في أثناء تلك الحقبة، يُعين أحد أبنائه على الأندلس والياً ثم يجعل معه ولاة آخرين في قواعد البلاد (المدن الكبيرة). وحكم المرابطين في الأندلس كان - مثل كل حكم في كل مكان آخر وكل زمان آخر - أمناً وعدلاً وأزدهاراً في أيام قوتهم ثم ضعفاً وأضطراباً عاماً في أيام ضعفهم، حينما مال أمرهم إلى الزوال.

استطاع المرابطون أن يوحدوا البلاد التي كانوا يسيطرون عليها: المغرب والأندلس والسودان الغربي. ثم إنهم نشروا الأمن في هذه الأقطار وأبعدوا العدوان المسيحي عن الأندلس - ذلك العدوان الذي كان قد أذل الأندلسيين في أيام ملوك الطوائف - ثم قطعوا دابر الفتن. وحكم المرابطون بالشرع الإسلامي فالفؤوا الضرائب الكثيرة والجائرة من تلك التي كان ملوك الطوائف يجمعونها بأسلحة مختلفة وبوسائل مختلفة وبتسليط الحباية اليهود على الرعية. إن المرابطين لم يفرضوا من الجبايات إلا ما أوجبه القرآن الكريم أو جاء فيه حكم في الحديث أو السنة.

تلك عوامل ساعدت على الأمن فعاد كثيرون من الذين كانوا قد هجروا أراضيهم إلى أراضيهم فانتشرت الزراعة وازدهرت الصناعة وآسست التجارة الداخلية والتجارة الخارجية حتى أن أوروبا المسيحية كانت تعتمد، في تجارتها - في

الصادر والوارد - أسواق الأندلس وطُرُق مواصلاتها. ويحسُن أن نُشير هنا إلى بلدة ألمرية (وهي مرفأ في جنوبي الأندلس)، وقد أصبحت في تلك الفترة مركزاً صناعياً وتجارياً زاهراً لصناعة الحرير وصناعة النحاس.

... والحياة الاجتماعية

وكان لاختلاط المغاربة بالأندلسيين حسنات وسيئات. إنَّ اختلاط الشعب القوي بالشعب الضعيف (إذا اتَّفقا في الحضارة والثقافة) يزيدُ في قُوَّتهما. فأزديادُ السُكَّان في الأندلس ثم قيامُ المرابطين بالدفاع عن الأندلس والأندلسيين في وجهِ العدوان الإسباني الأوروبي المسيحي كانت لهما نتائجٌ جيدةٌ. ولكن لما ضَعُفَت السُّلْطَةُ قليلاً ثم زاد العنصرُ المغربي حدث شيء من الاضطراب: إنَّ المرابطين المغاربة البربر كانوا أقربَ في طباعهم إلى البداوة والجفاء، فكانوا يعيشون في الأكثر في شبهِ عَزَلَةٍ عن سُكَّان الأندلس، ثم إنَّهُم استَظَاعُوا لِمَكَانِ قُوَّتِهِم السياسية والحربية أن يتسلَّطوا على الأندلسيين فنشأ شيء من التُّغور بين المرابطين والأندلسيين، وخصوصاً حينما كانت جماعاتٌ من المرابطين يتجولون في البلاد ويَحْمِلُون أسلحتهم، وربما أَعْتَدُوا في أثناء ذلك على الناس.

ولقد شَجَعَ ذلك نفراً من سُفْهَاءِ الأندلس فَتَلَّثَمُوا - تقليداً للمرابطين - وحَمَلُوا السِّلَاحَ مِثْلَهُمْ وطافوا في البلاد يَعيِشُونَ في الأرضِ فساداً. ذلك كان بطبيعة الحال في زَمَنِ ضَعْفِ السُّلْطَةِ المركزية في أعقابِ الحُكْمِ المرابطي في الأندلس.

والمرأة الأندلسية بَرَزَتْ من أوَّلِ أمرِها. ولكن بروزها في المجتمعات زادَ مَعَ مجيء المرابطين. من المعروف أنَّ رجالَ المرابطين يَتَلَثَّمُونَ - من أجلِ ذلك يُعْرَفُ المرابطون أيضاً باسم المُلَّثَمِينَ - ولكن نساء المرابطين لا يَتَلَثَّمْنَ. فأزدادَ ظهورُ المرأة - المرابطية والأندلسية - في المجتمع وقَصَّدها الشُّعراءُ للمديحِ وأصحابِ الحاجاتِ في الدولة.

ولقد قلَّ، في أيامِ دولة المرابطين في الأندلس، تسلُّطُ النصارى واليهود في الأمور، ذلك التسلُّطُ الذي كان يُشَجِّعُ عليه من قبلُ ضَعْفُ ملوكِ الطوائفِ وعُدوانُ

ملوك الإيبان.

وعظم نفوذ الفقهاء في الأندلس حتى شاركوا الولاة في الحكم وحتى أنغمس نفرٌ كثير من منهم في أنتهاز الفرص لجمع المال من وجوه مختلفة. وقد كان من أثر ذلك أن نعم الناس من الفقهاء ومن الولاة المرابطين معاً.

الحياة الثقافية خاصة

وإذا نحن أتينا إلى التفصيل في المظاهر الأدبية والثقافية خاصة عسر علينا الفصل البات بين عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين، فإن نفراً كثيرين من العلماء والأدباء عاشوا في العصرين معاً. ويزيد هذا العسر إذا نحن جئنا إلى شاعر مثل ابن عبدون (ت ٥٢٩)، فإنه أدرك خمسة وأربعين سنة من عهد المرابطين في الأندلس، ولكن شهرته تقوم على قصيدته «البشامة»: الدهر يفجع بعد العين بالأثر. وهذه القصيدة من إنتاج عصر ملوك الطوائف.

ونحن نستطيع أن نقول إن الثقافة عامة والأدب خصوصاً قد انحطاً في عهد المرابطين عما كانا عليه في عصر ملوك الطوائف. إن دولة المرابطين كانت دولة بدوية في الأكثر، وكان همها الأول تثبيت أركان الحكم. ثم إنها كانت أيضاً دولة دينية سلفية لم تنظر بعين الرضا إلى الثقافة النظرية - والفلسفة منها خصوصاً - إلى جانب أن الولاة المرابطين (والسلاطين أو الخلفاء المرابطين أيضاً) لم يكونوا ذوي دراية وافية باللغة العربية. من أجل ذلك بار الشعر في بلاطات المرابطين في المغرب والأندلس، ونفر الشعراء الذين كانوا يرتزقون في بلاطات ملوك الطوائف رزقاً كبيراً من حكم المرابطين ثم حملوا على الحكام كلهم حتى على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وهو الذي مد عمر العروبة والإسلام في الأندلس - بانتصاره الباهر في معركة الزلاقة على الجيوش الأوروبية - مائة عام.



من أشهر الذين اشتغلوا بتفسير القرآن وبالحديث عبد الحق بن غالب بن عطية

(٤٨١ - ٥٤٢ هـ) من أهل غرناطة، تولى القضاء في المرية وفي غرناطة. وقد كان عارفاً بتفسير القرآن حافظاً للحديث وأديباً وشاعراً ونحويّاً، ألفَ تفسيراً (للقرآن) وإفياً زاد فيه على جميع الذين تقدّموه (في الأندلس) وأدركَ به شهرةً واسعة^(١). ثمّ نجدُ في علمه الحديث أبا الحسن رزين بن معاوية بن عمار القنبري (ت ٥٢٤ هـ)، له في الحديث تصانيف منها: تجريدُ الصحيح الستة^(٢) - أخبارُ مكةَ والمدينةَ وفضلها - (تجريد) ما يتضمّنه صحيحا مسلمَ والبخاريَ والموطأَ والسننُ للنسائيَ والترمذي^(٣). ثمّ نجدُ أيضاً أبا محمدَ عبدَ الله بنَ عليّ اللّخميّ الرّشاطي (٤٦٧ - ٥٤١ هـ) من أهل المرية، وله من الكتب: الإعلام بما في كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني من الأوهام^(٤) - اقتباسُ الأنوار والتّمسُّ الأزهار في أنساب الصحابة ورؤاة الآثار.

وكذلك نجدُ أبا بكر محمد بنَ خلف بنِ سليمانَ المعروف بابن فتحون الأوريلي (ت ٥١٩ هـ)، وله ذيلٌ على كتابِ «الاستيعاب»^(٥)، كما أن له كتباً في الحديث. وراجَ الكلامَ - في عصر المرابطين - على الفقه الخالص، على فروع الفقه (من العبادات والمعاملات) من المذهب المالكي، ولم يكن ثمة عنايةً بالتحريج العقلي للأحكام الفقهية، بل كان ذلك ممقوتاً حتى أن كتب الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وهي التي كانت تنحو نحو التّصوّف المعتدل في تفسير الأحكام، قد أحرقت علناً في المغرب.

(١) لابن عطية هذا ترجمة مفردة.

(٢) الصحيح الستة (في أحاديث رسول الله) هي: الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) والجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) ثم كتب السنن الأربعة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت ٢٧٣ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٧٨٩ م) ولأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي - ويعرف كتابه في السنن أيضاً باسم «الجامع الصحيح» (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م).

(٣) في بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٠، له: كتاب التجريد في الجمع بين الموطأ والسنن والحسن. أما الموطأ فهو لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ = ٧٩٥ م). راجع فيها بقي الحاشية السابقة.

(٤) الدارقطني هو أبو الحسن علي بن عمر الشافعي إمام أهل عصره في الحديث (ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م)، من أهل بغداد.

(٥) لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ).

وأشتهر في هذا العصر الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٤٥٠ - ٥٢٠ هـ) جدّ الفيلسوف أبي الوليد محمد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) فقد كان من أهل الدراية في الفقه ومن المؤلفين فيه.

ومع أن القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبكي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) - وحياته تنطبق على عصر المرابطين في الأندلس أنطباعاً كاملاً - كان فقيهاً في الدرّجة الأولى، فإنه كان أيضاً من علماء الحديث واللغة والنحو والتاريخ (راجع ترجمته).

ومن أعلام النحو في القرن السادس أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش الغرناطي (ت ٥٤٠ هـ). وأشهر منه في ذلك ابن السيد البطلنوسي (ت ٥٢١ هـ).

وفي هذا العصر نفر من المؤرخين منهم أبو عامر بن مسلمة (٤٣٢ - ٥١٠ هـ)، كان وزيراً في إشبيلية وكانت له عناية بالتاريخ، ألف «حديقة الأرتياح في وصف حقيقة الراح» وغيره.

ويلمّع في هذا العصر - في فلسفة التاريخ - أبو بكر الطرطوشي (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) صاحب كتاب «سراج الملوك»، وقد أشار الطرطوشي في هذا الكتاب إلى أشياء سيّوفاها ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) حقها في مقدّمته.

وفي نطاق تراجم الأدب له خاصّة، وما يتعلّق بها من النقد كثيراً أو قليلاً، هنالك الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بّسام الشنبري (ت ٥٤٢ هـ) وأبو عامر محمد بن يحيى بن ينق (ت ٥٤٧ هـ). وهنالك الحجاري صاحب كتاب «المُسهب» (ت نحو ٥٥٠ هـ) وله في هذا الجزء ترجمة وافية. ومع أن أبا بكر يحيى بن محمد الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي (ت ٥٥٧ هـ) قد أدرك حِقبة طيّبة من عصر الموحّدين، فإننا نذكره هنا لأنّه كان كاتباً للأمير المرابطي أبي حامد بن تاشفين، وقد ألف ابن الصيرفي لأبي حامد هذا كتاباً عنوانه «أخبار دولة لَمْتونة».

ومن المتصوّفة في هذا العصر أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العَرِيف الصنهاجي الأندلسي (ت في مراكش ٥٣٦ هـ) له كتاب «محاسن المجالس» (بروكلمن،

(الملحق ١ : ٧٧٦) وعبدُ السلام بنُ عبدِ الرحمن بنِ برَاجان اللُّخميّ الإشبيلي (ت ٥٣٦ هـ) له كُتُبٌ منها: «شرح معاني أسماء الله الحُسنى» (بروكلمن ١ : ٥٥٩) ثم أبو القاسم أحمد بنُ قسي الشُّبلي (ت ٥٤٦ هـ) له: «شرحُ حديثِ خَلْعِ النَّعْلَيْنِ وَأَقْبَاسُ الْأَنْوَارِ مِنْ مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ» (بروكلمن ١ : ٥٥٩، الملحق ١ : ٧٧٦).

- في العلوم الرياضيّة والطبيعية:

وقلَّ علماء الرياضيات والطبيعات في هذا العصر عمّا كنّا قد عَرَفْنَا مِنْهُمْ فِي العصر السابق. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّا نَذْكُرُ مِنْ هَؤُلَاءِ ابْنَ مَسْعُودِ الْإِشْبِيلِيّ (ت ٥٢٦ هـ) وَكَانَتْ لَهُ مِشَارَكَةٌ فِي الْفَلَكَ فِي حِسَابِ الْأَنْسَابِ (الْمُثَلَّثَات). ثُمَّ هُنَالِكَ جَابِرُ بْنُ أَفْلَحَ (ت ٥٤٠ هـ)، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْجَبْرِ وَالْفَلَكَ وَعِلْمُ الْحَيْلِ (الْمِيكَانِيك)، كَمَا كَانَ لَهُ عِدَدٌ مِنَ الْكُتُبِ فِي الْفَلَكَ خَاصَّةً. وَهُنَالِكَ أَيْضاً مِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّائِي الْأَنْدَلِسِيُّ (ت ٥٢٩ هـ)، وَكَانَ بَارِعاً فِي عِلْمِ الْحَيْلِ (مِنَ الْفِيزِيَاء) كَمَا كَانَ أَدِيباً شَاعِراً. ثُمَّ هُنَالِكَ ابْنُ بَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ)، وَلَهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرْجَمَتَانِ مُسْتَقْلَتَانِ.

- فِي الطَّبِّ خَاصَّةً: آلُ زُهْرٍ:

وَالطَّبُّ مِنَ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَقِلَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ مَنْ لَمْ يَشْتَغَلْ بِالطَّبِّ.

وَتَحْدُرُ الْإِشَارَةُ فِي عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ إِلَى آلِ زُهْرٍ، وَهُمْ أَسْرَةٌ كَانَ لَهَا وَجَاهَةٌ، فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْمَغْرِبِ مَعاً، كَمَا كَانَ لَهَا مَكَانَةٌ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ثُمَّ فِي التَّطْبِيبِ خَاصَّةً. وَأَصْلُ آلِ زُهْرٍ مِنْ شَاطِئَةِ (فِي شَرْقِي الْأَنْدَلُس) ثُمَّ أَنْتَقَلَوْا إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ. وَاتَّسَعَتْ شُهْرَةُ آلِ زُهْرٍ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ وَفِي الْمَشْرِقِ وَفِي أُورُوبَةِ الْمَسِيحِيَّةِ أَيْضاً. وَكَانَ أَوَّلُهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ زَهْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م)، وَقَدْ كَانَ لَهُ رَفَقٌ وَعِنَايَةٌ بِالْمَرْضَى يَحْتَالُ فِي مُعَالِجَةِ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ تَنَاوُلَ الْأَدْوِيَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَغْذِيَةِ. وَأَمَّا أَشْهُرُ آلِ زُهْرٍ وَأَعْظَمُهُمْ فِي الطَّبِّ وَالتَّطْبِيبِ فَهُوَ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ زُهْرٍ (٤٦٤ - ٥٥٧ هـ) - وَهُوَ ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ زُهْرٍ - لَهُ تَشْخِصٌ سَرِيرِيٌّ (بِالْمُرَاقَبَةِ الْيَوْمِيَّةِ) وَمَعْرِفَةٌ بِالْأَوْزَامِ الْحَبِيثَةِ (السَّرَطَانِ) وَبِالْبَلِّ الْمَعْوِي. وَكَانَ يَلْجَأُ إِلَى

التغذية الصناعية في معالجة الذين يَفْجِزون عن البلع، وذلك بإدخال الطعام من شِقْ يُخْدِثُهُ في المريء (أنبوب الطعام) أو مِنَ المستقيم (بالحقن الشرجي: من باب البدن).

وكذلك بَرَعَ في الطب ابنُ بَاجَه (ت ٥٣٣ هـ) مُعاصرُ آلِ زُهْرٍ ومُنافِسُهُم. وقد كَانَ آلُ زُهْرٍ مُتَسَلِّطِينَ في مُجْتَمَعِهِمْ فَيُقَالُ لَهُمْ دَسَّوْا لَهُ السَّمَّ لِأَنَّ مُقدَّرَتَهُ في التَّطْبِيبِ كَانَتْ تُزَاجِمُهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ وَعَلَى مَكَاسِبِهِمْ. وَلَقَدْ لَحِقَتْ أَبَا مِرْوَانَ بَنُ زُهْرٍ مِحْنَةٌ، إِذْ أَتَاهُمْ بِشَيْءٌ مِنَ الزَّيْعِ فِي أُمُورِ الدِّينِ فَسُجِنَ مُدَّةً فِي مَدِينَةِ مَرَّاكُش.

ثمَّ جَاءَ الحَفِيدُ ابْنُ زُهْرٍ (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) - وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (ابْنُ أَبِي مِرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَفِيدُ أَبِي الْعَلَاءِ زُهْرٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ)، وَقَدْ كَانَ نَجْمًا لَامِعًا فِي أَسْرَتِهِ وَزَمَانِهِ. وَلَكِنْ حَيَاتُهُ تَقَعُ فِي أَيَّامِ الْمُوحِدِينَ بَعْدَ انْقِضَاءِ حُكْمِ الْمُرَابِطِينَ. وَبَرَزَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) فِي مَعْرِفَةِ الْأَدْوِيَةِ، لَهُ كِتَابُ «الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ» لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْجَوْدَةِ (طبقات الأطباء ٢: ٥٢).

- الفلسفة:

وَلَمْ يَكُنْ حَظُّ الفِلسَفَةِ قَلِيلًا فِي أَيَّامِ الْمُرَابِطِينَ، فَقَدْ عَاشَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوْسِيُّ (ت ٥٢١ هـ) فَهُوَ - بِالإِضَافَةِ إِلَى بَرَاعَتِهِ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ ثُمَّ فِي الْفِقْهِ - قَدْ مَدَّ بَصَرَهُ إِلَى الفِلسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ مُعَاجَلَتِهِ عِدَدًا مِنَ الْمَشْكَلاتِ فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ «شَرْحُ الْخَمْسِ الْمَقَالَاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ» (بروكلمن، الملحق ١: ٧٥٨).

ثُمَّ نَجَدْنَا هُنَا أَيْضًا أَبَا الصَّلْتِ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّائِيَّ (ت ٥٢٩ هـ) فَقَدْ كَانَ مُشَارِكًا فِي عِدَدٍ مِنَ الْعُلُومِ كَعِلْمِ الْحَيْلِ (الميكانيك) وَالطَّبِّ وَالْفَلَسَفَةِ، إِلَى جَانِبِ بَرَاعَتِهِ فِي النِّظَمِ.

ثُمَّ هُنَاكَ ابْنُ بَاجَه (ت ٥٣٣ هـ) أَوَّلُ الْفَلَسَفَةِ الْعَقْلِيِّينَ عَلَى الْحَصْرِ. لَقَدْ أَقَامَ ابْنُ بَاجَه الْفَلَسَفَةَ الْعَقْلِيَّةَ عَلَى أَسَسٍ مِنَ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ غَيْرَهُ ذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ أَفْلَاطُونُ وَأَرِسْطُو قَدْ عُنِيَا بِالْمَنْطِقِ، مَعَ الْإِيْقَانِ بِأَنَّ أَفْلَاطُونَ قَدْ خَلَطَ الْمَنْطِقَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنَ الْخَيَالِ.

ثم هنالك أيضاً أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف الأنصاري الإشبيلي (ت ٥٣٧ هـ) له: كتاب «السكت والأماي في النقص على الغزالي» (بروكلمن، الملحق ١: ٧٦٢).

- الأدب

قيل إن الأدب لم يَزِدْهُرْ في أيام المرابطين لأن المرابطين كانوا لا يفهمون الشعر (ولا يتقنون اللغة العربية). وهنا موضع ملاحظات:

- ★ إن يوسف بن تاشفين وحده كان لا يقرب الشعراء:
- لم تكن معرفته بالعربية واسعة.
- كان في سبيل إنشاء دولة. وحينما تكون الدول في عُنفوان قوتها في دور التأسيس، فقلما يلتفت القائمون بذلك عادة إلى الشعر (كما اتفق مثلاً للمنصور العباسي مع بشار بن بُرد).
- إن الشعراء الذين كانوا يتكسبون من ملوك الطوائف (بحق وبلا حق) لما أهملهم يوسف بن تاشفين تقولوا عليه مثل تلك الأشياء.
- ★ ولكن علي بن يوسف بن تاشفين ونفراً ممن جاءوا بعده إلى إمارة المسلمين وإلى الولاية على المدن الأندلسية أستمعوا إلى الشعراء وأجازوهم على القصائد.
- فمن كبار الشعراء ومشاهيرهم في أيام المرابطين في الأندلس الأعمى التيطلي (ت ٥٢٠ هـ) وابن الزقاق وابن عبدون وابن خفاجة وابن بقي (ت ٥٤٠ هـ).
- أما الصورة الأدبية في هذا العصر فيجب أن نبدأ فيها بالكلام على المعتمد بن عباد الإشبيلي (ت ٤٨٨ هـ)، ونحن نشير إلى شعره الذي قاله في أسره في أغات (قرب مدينة مراكش). إن هذا الشعر من إنتاج عصر المرابطين. ولا غرابة إذا قلنا إن شعره هذا كان أصدق أشعاره عاطفةً وتعبيراً عن حاله معاً. من ذلك مثلاً قوله يتذكر أيامه الناعمة الخوالي في قصور إشبيلية:

كنتُ جِلْفَ الندى وربَّ السَّاحِ وحبيبَ النفوسِ والأرواحِ؛

إِذْ يَمِينِي لِلْبَذَلِ يَوْمَ الْعَطَايَا، وَلَقَبَضِ الْأَرْوَاحِ يَوْمَ الْكِفَاحِ،
 وَشِمَالِي لِقَبْضِ كُلِّ عَنَانٍ يُقْجِمُ الْخَيْلَ فِي مَجَالِ الرَّمَاحِ^(١).
 وَأَنَا الْيَوْمَ رَهْنُ أَسْرٍ وَفَقِيرٍ مُسْتَبَاحُ الْحِمَى مَهِيضُ الْجَنَاحِ^(٢).
 لَا أَجِيبُ الصَّرِيخَ إِنْ حَضَرَ النَّاسُ، وَلَا الْمُتَغَيِّنَ يَوْمَ السَّمَاحِ^(٣).
 عَادَ بَشْرِي الَّذِي عَهْدْتُ عُبُوساً: شَقَلْتَنِي الْأَشْجَانُ عَنْ أَفْرَاحِي^(٤).
 فَأَلْتَاخِي إِلَى الْعَيُونِ كَرِيهَةً؛ وَلَقَدْ كَانَ نُزْهَةً لِلْمَمَاحِ^(٥)!

وبعد أن كانت حركة التوشيح قد قوّيَ ساعدها منذ مطلع عصر ملوك الطوائف (ومنذ مطلع القرن الخامس)، عاد الشعراء إلى أصطناع الجزالة (سياقة الألفاظ الدقيقة الدلالة في التركيب المتن). ولكن التقليد ظلّ بادياً على قصائد هؤلاء الشعراء وخصوصاً من أثر ديوان المتنبي وديوان المعريّ المشرقيين. ولم تكتسب القصائد المُقلَّدة كثيراً من صحّة الشعر المشرقي وماتته.

غير أن هذا كله لم يمنع جانباً من الشعر الأندلسي من الاستمرار على سبيله الأول من حيث الرقة والبراعة في وصف الطبيعة، كما نرى عند ابن الرقاق (ت ٥٣٠ هـ) وعند خاله ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ)؛ ولا منع هذا أيضاً من بقاء الموشح الجميل، كما نرى عند ابن بقيّ القرطبي (ت ٥٤٠ هـ).

ولكنّ المستغرب في هذا الباب أن الغناء كان في هذا العصر ملتصقاً بالقصيد لا بالموشحات، مع أن الموشحات كانت قد نُظمت في الأصل لمواكبة الفلك. لقد كان الفيلسوف ابن باجة (ت ٥٣٣ هـ) - وابن باجة كان عالماً وشاعراً وموسيقياً أيضاً - يعلم الموسيقى، وكانت عنده قيان (جوار مغنيات) يصنعن لهنّ التلاحين، ويعلمهن الغناء.

(١) عنان الفرس: زمامه، لجامه، رسته. اقمع (أدخل) الخيل في مجال الرماح (في المعركة).

(٢) مستباح الحمى (غير قادر عن الدفاع عن ملكي). مهيض: مكسور.

(٣) الصريخ: نداء الحرب. المتغني: طالب الإحسان. السامح: الكرم.

(٤) البشر بالكسر: طلاقة الوجه. السرور. الشجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٥) والتأخي (النظر إلي).

لا يغيّب في هذا العصر تقليدُ الناثرين في الأندلس للناثرين المشاركة في الأسلوب (مع التقيصير) وفي الأغراض (مع عدد من أوجه البراعة). أما في الأسلوب فقد طمّنت الصناعة والسَّجْع منها خاصّةً على مُعظَم أبواب النثر، وإن لَمَعَ فيها أحياناً جُمْلٌ مُغرَبةٌ في الخيال الجميل قليلاً أو كثيراً، كقول أبي الفضل بن شرفٍ (ت ٥٣٤ هـ) مثلاً^(١) (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس، ص ٢٨٣): «العالمُ معَ العلم كالناظر للبحر يستعظمُ منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر - التعليم فِلاحة الأذهان، وليست كلُّ أرض مُنبِتة - الفاضلُ في الزمنِ السوء كالصباح في البرّاح»^(٢)، قد يُضيء لو تركته الرّياح .

وفي تقليدِ المشاركة نجد أبا عبد الله بن أبي الحِصَال (ت ٥٤٠ هـ) يجري على خُطى ابنِ نُبَاتَة الفارقي الخطيب (ت ٣٧٤ هـ) وأبي العلاء المَعْرِي (ت ٤٤٩ هـ) والحريّ صاحبِ المقامات (ت ٥١٦ هـ). وأما محمد بن عبد الغفور الكِلاعي (ت ٥٤٢ هـ) فقد اُشْتَدَّ إعجابه بالمَعْرِي ولم يُقلِّدْهُ فقط في أسلوب رسائله، ولكن في معاني عناوين تلك الرسائل أيضاً، فقد كتب^(٣) رسالة «الساجعة والغريب» مُعارضة لرسالة «الصاهل والشاحج»^(٤) لأبي العلاء (المعري). ثم عارضه بتأليف سمّاه «ثمرّة الألباب» مُضاهياً بذلك «سقط الزند»^(٥).

ومن الممكن أن نضمّ أبا الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج (ت ٥٠٨ هـ) إلى هذا العصر في هذا الباب، فإنه آبتدأ نوعاً من الرسائل جرى فيها مجرى التفكّه والسُّخرية حيناً أنشأ رسالة يشفع فيها لرجل يُعرف بالزُّرْزِير، فنشأ بعد ذلك نهجٌ في رسائل عُرِفَت بالزُّرْزُوريات لأنَّ ابنَ سراج كان قد تكلم على صاحبه الزُّرْزِير مُوازناً بين هذا الرجل وبين الصفات المتصلة بهذا الطائر .

(١) لابن شرف هذا (ت ٥٣٤ هـ) ترجمة مفردة.

(٢) البراح: الأرض الواسعة لا نبات فيها.

(٣) ابن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ) له ترجمة مفردة.

(٤) الساجعة: الهامة. الغريب الشديد السواد (الغراب). الصاهل: الحصان. الشاحج: المحار. والشحج يقال أيضاً لصوت البفل والغراب.

(٥) سقط الزند (ديوان شعر أبي العلاء المعري).

ونجد في هذا العصر نوعاً غريباً من الرسائل. إن نفرأ من أهل الأندلس لم يَكْتَبْ لهم حظاً بالذهاب إلى الحج، فكانوا يكتبون رسائل «مُوجَّهَةً إلى حضرة رسول الله ومطويةً على كثير من التشوُّق والتوسُّل» ثم يبعثون بها مع نفرٍ ذاهبين إلى الحج ليضعوها لهم على قبر الرسول في المدينة. وربما جعلوا مكانَ الرسائل قصيدةً. ونشير هنا إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) فقد أنشأ لهذا الغرض رسائل ونظم قصائد.

والمقامة تلحقُ بالرسالة. كَثُرَ اهتمامُ الأندلسيين في هذا العصر بالمقامات - وبمقامات الحريري خاصة - فتدارسها الأدبُ وشرحوها وحاولوا النسخَ على منوالها. من ذلك مثلاً مقامةُ للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) ومقامةُ لأبي إسحاق بن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) ومقامةُ لأبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) ثم المقامات اللزومية للسرَّسُطَفي الأشرَكوي (ت ٥٣٨ هـ) - راجع ترجمته.

غيرَ أن بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) كان قد ذَهَبَ بالبراعةِ في مادةِ المقامةِ (في القصة والموضوعات) كما كان الحريريُّ (ت ٥١٦ هـ) قد ذهب فيها بعدُ بالأسلوب فيها (الصناعة اللفظية والمعنوية). وجميع المقامات التي أُنشِئت بعد ذلك كانت تقليداً نازلاً عن المرتبة التي ارتفعت إليها مقاماتُ البديع ومقاماتُ الحريري.

- فمن أصحاب المقامات الوزيرُ أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم، ورَدَ في مقامة له (الذخيرة ٢: ١١٤):

.... وكان لي أليفٌ، وعقيدٌ شريف، من صرحه الإخوان، وصَيَّابةُ الفتيان،
ومُصاص^(١) أعيان الزمان. وحين سَوَّكتُ لي هَمِّي ما سَوَّكتُ^(٢) وخيلتُ لي أُمْنِيَّتِي ما
خَيْلتُ، أَجَلُّنا قَداحَ الرأيِ وأَسْهَمُنا بين القُربِ والنأيِ^(٣): شاورَ في أَمْرِي قَرِيبِي

(١) الأليف: الذي تعودَ صحبتك. العقيد: الكريم. صَيَّابة (سادة) الفتيان (الرجال الشجعان البارزين في قوسم اللبقة في سلوكهم). المصاص: الخلاصة.

(٢) سَوَّكتُ فلانَ لفلانَ أمراً: رُبُّتُه له وجَبَّه إليه وأغراه به.

(٣) أَجال: أدار. القَداح (بالكسر): قطعة من خشب عليها رقم أو علامة تستخدم في لعب الميسر (القمر). أَجلُّنا قَداحَ الرأي: تبادَلنا الرأيَ وقَلْبناه على وجوهه. النَّأي: البعاد، الغراق.

وَنَخَلَ لِي نَصِيحَتَهُ، وَقَالَ: أَرَى أَلَّا تَرِيَّ بَيْضَتَكَ وَأُرُومَتَكَ^(١)، وَأَنْ تُوْطِنَ أَرْضَكَ وَلَا تُفَارِقَ عَشِيرَتَكَ. وَأَرَبَا بِكَ عَنْ مَضَلَّاتِ الْمُنَى، وَأَعِيذُكَ مِنْ تُرْهَاتِ لَعْلٍ وَعَسَى^(٢)، فَتُخَسَّبَ كُلُّ بَيْضَاهُ شَحْمَةً وَتُظْنَ كُلُّ سُدَّاهُ تَمْرَةً^(٣). وَرَبِّيَا سَقَطَ الْعِشَاءَ بِكَ عَلَى سَرَحَانٍ، وَكُلُّ النَّاسِ بِكَرٍّ، وَفِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ^(٤).....

- ومن المترسلين الذين يقلّدون أسلوب المقامات في رسائلهم الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم، قال (الذخيرة ٣: ٤٣١ - ٤٣٢):

.... حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى دَارٍ مِنْفَرَجَةٍ الْأَقْطَارِ، مُسْتَوْفِزَةِ الْأَنْوَارِ^(٥) مُتَدَفِّقَةِ الْأَنْهَارِ، هَوَاوَاهَا جَلَامٌ لِلغَمِّ وَزِيَادَةُ فِي الْعُمَرِ، وَضَيَاوَاهَا شِفَاءٌ لِلْكُظْمِ^(٦) وَانْتِشَاحٌ لِلصَّدْرِ. وَكَأَنَّ مِيَاهَهَا تَتَبَعْتُ مِنْ بَنَانٍ سَيِّدَهَا فَصَارَتْ عَيْنًا سَلْسِيلًا وَكَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا^(٧)؛ أَوْ كَأَنَّهَا مَسَّتْ عَيْنًا حَيَوَانًا فَأَنْبَتَتْ مِنَ الزَّرْبُوجِ رِيحَانًا وَمِنَ الزُّمُرُودِ شَجَرًا فَيَنَانًا^(٨)، وَجَعَلَتْ مِنَ النَّارَنِجِ عُقِيَانًا وَمِنَ الْآسِ لَوْلُؤًا وَمِزْجَانًا^(٩). وَمِيلٌ بِنَا إِلَى التَّاجِ - وَهُوَ مُصَنَّعٌ عَلَى مَقَرِّ الْقَصْرِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ - مُرَدٌّ مِنْ قَوَارِيرِ^(١٠)

(١) نخل لي نصيحته: منحني خلاصة تفكيره في نصحي (إرادة الخير لي). رام يريم: ترك، هجر. البيضة:

الحصى (المسكن، دار القوم) ما يجب على المرء حمايته (الوطن). الأرومة: الأصل.

(٢) أربا بك (أرفع، أنزهك، لا أرضي لك). مضلات المني (الأماني الباطلة). الترهة: الفلاة الواسعة، التمني الكاذب. لعلى وعسى (كتابة عن قننى ما لا يكون).

(٣) أي تحدد بظواهر الأمور.

(٤) سقط العشاء بك على سرحان (ذئب): مثل، أصله: خرج رجل يطلب شيئاً يتعشاه (بأكله في المساء)، فلفني في طريقه ذئباً فأكله الذئب. كل الناس بكر - في كل واد بنو سعد، مثلاًل معناها أن الناس يشبه بعضهم بعضاً.

(٥) مستوفزة الأنوار: (ليس في القاموس معنى موافق لها - لعلى المقصود: منتشرة الأنوار).

(٦) الكظم: ذهاب الغضب.

(٧) بنان: رؤوس الأصابع. تتبعت من بنان سيدها (الكريم): بكثرة. عيناً سلسيلاً (ماؤها سائح، سهل في الحلق). مزاجها زنجبيلاً مزوجة بشيء طيب - (الزنجبيل نبت حريف الطعم طيب الرائحة).

(٨) عيناً حيواناً: شيئاً حياً (٩). الزبرجد والزمرّد (حجران كريمان أخضران). الریحان نبت طيب الرائحة. الفينان (الواسع)، واسع الظل.

(٩) النارنج: نوع من الليمون. العقيق والمرجان: (أحمران).

(١٠) ميل المجهول من مال. ميل بنا: ذهبوا بنا، قادونا المصنع: البناء العظيم. مرّد: مصقول، أملس.

قوارير: زجاج

وَالْبَيْسَ الصُّحَّحَ الْمُسْتَنِيرَ، وَقُلْدَ قِلَادَةِ الطَاوُوسِ وَنُقُطَ نَقَطِ الْعُرُوسِ (١).....

- وكان للجدِّ والهزل دَوْرٌ في هذا العصر، وفي النثر والشعر. فمن الذين سلكوا هذا المسلكَ الأديبُ أبو عبد الله محمد بن مسعود، قال من رُقعة كتبها إلى ابنه لما توجَّهَ أبْنُه إلى الغرب (غرب الأندلس) - وقد بلغه عنه أَنه آنغمسَ في اللهو والشَّراب - قال:

.... فَارَ، يَا بُنَيَّ، مَنْ اسْتَشْفَرَ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (٢) وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا، وَتَحَصَّنَ بِالْعَفَافِ وَتَبَلَّغَ بِالْكَفَافِ (٣)، فَلَمْ يَزَاجِرِ الْأَقْدَارَ وَلَا غَالِبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ (٤).... فَأَخْبِرْنِي، يَا تَاجَرَ الْبَحْرَيْنِ وَسِمَسَارَ الْعِرَاقَيْنِ وَدَلِيلَ الْمَجَازَيْنِ وَخَرِيَّتَ الْفَلَاتَيْنِ وَابْنَ عَظِيمِ الْقَرِيَّتَيْنِ (٥)، أَتُنِصُّ بِكَ مِنْ خَرَاجٍ وَلَا جِ مَاضٍ عَلَى السُّرَى وَالْإِدْلَاجِ (٦)، جَرِيءٌ عَلَى اللَّيْلِ الدَّاجِ، كَالسِّرَاجِ الْوَهَّاجِ

(١) قِلَادَةُ الطَاوُوسِ (كتابة عن تنوع الألوان وجالها). نقط العروس: صبح أصابع يد العروس بالحناء (٤).

(٢) استشعر: لبس (لباس) البرِّ والتقوى. العروة الوثقى (المنينة): الرباط المكين (كتابة عن الاتحاد).

(٣) تبَلَّغَ: أقصر على. اكتفى. الكفاف (ما يكفي لحفظ الحياة) الحد الأدنى مما يحتاج إليه الإنسان.

(٤) لم يزاحم الأقدار (لم يحاول أن يتغلب على عمرى الأيام). ولا غالب الليل والنهار (الزمن وما يأتي به من خير أو شر).

(٥) تاجر البحرين (التاجر بالؤلؤ). وسمسار المراقين (البصرة والكوفة): طريق التجارة من الهند والصين). ودليل المجازين: مكة والمدينة (٤) لشرف الزيارة إليها. الخريَّت: الدليل الحاذق الخبير. الفلاتان (العلاة: الأرض الواسعة الحالية. الفلاتان للتقنية؟) ابن عظيم القرينين - الصواب «أحد ابني عظيمي القرينين» (مكة والطائف). في القرآن الكريم ٣٤: ٣١، وقالوا: «لولا نزل (بالساء للمجهول مع تشديد الزاي) هذا القرآن على رجل من القرينين عظيم»، أي الوليد بن المغيرة (ت ١هـ = ٦٢٢م) زعيم قريش في الجاهلية وأحد أغنيائها الكبار، (من أهل مكة) ثم عروة بن مسعود الثقفي (ت ٩هـ = ٦٣٠م) من أهل الطائف، وكان أيضاً عظيماً في قومه (وقد أسلم، ولكن قومه قتلوه).

(٦) خَرَاجٌ: كثير الخروج. ولَّاجٌ: كثير الولوج (الدخول). وفي ناص العروس (الكوبت ٦: ٢٦٤): «و رجل خَرَاجٌ ولَّاجٌ (بتشديد الراء واللام) أو خروج ولوج (بتسهيل الراء واللام) أو خرجة ولجة (بضم ففتح ففتح فيها): كثير الدخول والخروج (عظيم النشاط، له مقدرة في معالجة الأمور). ماض (صاحب عزم) على السُّرَى (السفر في الليل) جريء على الإدلاج: سير الليل كله (بلا توقف).

صَحَّ عِنْدِي أَنَّ الْعِصْلَ فِي تِلْكَ الْجَهَةِ مُمَكِّنٌ غَيْرُ غَالٍ وَمُنْحَطٌّ غَيْرُ عَالٍ، فَتَنَاوَلْ إِقَامَتَهُ وَتَرْكِيبَهُ، وَأَتَقَنَّ صِنَاعَتَهُ وَتَرْبِيَّتَهُ. لَقَدْ نَسِيتُ، يَا بُنَيَّ، أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ بِنَسْخَةٍ فِي تَرْبِيبِ الْعِصْلِ الْمَشْرُوبِ مُطَابِقَةً لِّلْمَرْغُوبِ التَّقَطُّطِهَا مُغْتَنًا عَنْ فَلَانِ الْيَهُودِيِّ كَانَ أُنْتَخِبَهَا لِّلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَصْحَابِهِ....^(٢)

- ولأبي عبد الله محمد بن مسعود هذا أرجوزة خاطب بها الوزير ابن بَقَّته^(٣) على لسان جارية كان الوزير قد أهداها إليه وضاعت حالها بين يديه، فقال (الذخيرة ١ : ٥٥٣ - ٥٥٤) على لسان الجارية تشكو إلى الوزير ما تلاقيه في دار ابن مسعود:

وَهَبْنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعٍ	فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِيِّ الْمَوْضِعِ.
جَعَلْتَنِي أُسِيرَةً مَمْلُوكَةً	لَطْلَمَةٍ حَائِلَةٍ صُعْلُوكَةٍ ^(٤) ،
يُعْزَى، عَلَى الْفَالِ، إِلَى مَسْعُودٍ،	وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ ^(٥) .
كَمَا يُكَنَّى بِأَبِي الْبَيْضِ	أَسْوَدُ كَالسَّرْوَةِ فِي الظِّلْمِ ^(٦) .
أَلَا وَهَبْتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرٍ،	وَلَمْ أَكُنْ عِنْدَ فَقِيرٍ فَاجِرٍ.
أَوْ لِيَتَنِي كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ	فَرِيًّا حَازَ نَفِيسَ الْمَجْدِ،
يَضْرِبُ بِالسِّيفِ وَلَا يُقَاسِي	خُطَّةَ خَفِيفِ بَسْوَالِ النَّاسِ ^(٧) .
قَدْ كَسَدَتْ آدَابُهُ وَالشِّعْرُ،	فَمَا لَهُ عِنْدَ الْبَرَايِمَا قَدْرُ.
وَلَوْ تَرَاهُ سَائِرًا لِلسُّوقِ،	إِذَا بَدَأَ فِي كُسْوَةِ الْفُرْنُوقِ ^(٨) ،

(١) الداجي: المظلم. العارض: الغيم المقبل بظلم. التَّجَاج: الكثير الماء (غزير المطر).

(٢) المنصور بن أبي عامر: الحاجب (كبير الوزراء بالأُمُور في آخر الخلافة المروانية في الأندلس) (ت ٣٩٢ هـ).

(٣) قراءة هذا الاسم محيرة (راجع الذخيرة ١ : ٥٥٧، الحاشية ٥).

(٤) الطلعة: الوجه. حائل: متحول (متغير)، لا يعرف له لون ثابت. صعلوك: فقير.

(٥) يعزى: ينسب. على الفال: إذا تغافلنا به (ظننا فيه خيراً).

(٦) السروة شجرة طويلة مائلة في خضرتها إلى السواد (... لشدة سواده لا يرى).

(٧) خُطَّة (طريقة) خفف (ذل).

(٨) الفُرنُوق: طائر طويل الساق. إذا بدا في كسوة الفُرنُوق (عارياً أو كالعارى).

مُشْمَرًا فِي الْوَحْلِ عَنْ سَاقِيهِ مُدَاوِلًا عَصَاهُ فِي كَفَيْهِ.
فَمَرَّةً يُعْطِي وَأَلْفًا يَمْنَعُ، وَمَرَّةً يَمْشِي وَعَشْرًا يَقْضِعُ.

ونشأت في هذا العصر « مجاميع الشعر »، بدأها الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) بكتابين: « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَحِ أهل الأندلس » جمع فيه غاذج ثلاث طوائف من الذين قالوا الشعر قبل أيامه^(١): ثمانية عشر من الوزراء وتسعة عشر من الفقهاء وأربعة عشر من الأدباء، ذكر في مقدمة « المطمح » أن الذي ندبه إلى جمعها الوزير أبو العاصي حكيم بن الوليد^(٢). والذي يبدو أن الفتح بن خاقان قد جمع هذه الغاذج هَوْنًا وَعَفْوً يَدُهُ لِمُلْحَةٍ فِي كُلِّ نُمُودَجٍ عَظَاهُ أَهْلًا لِأَن تَذَكَّرَ فِي كِتَابِهِ. ولست أدري بأي شيء استحق « الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة » (ت ٣١٨ هـ) مكاناً في « المطمح » (ص ٥٨) بهذين البيتين وحدهما:

أَقْبَلَ فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ دَجَنٌ إِلَى مَكَانٍ كَالضَمِيرِ مَكْنِي^(٣)
لَنَا بِحُكْمٍ فِيهِ أَشْهُى فَنِّ فَأَنْتَ فِي ذَا الْيَوْمِ أَمْشَى مِنِّي^(٤).

مع أن الفتح بن خاقان قد ذمه وكشف عن إلحاده.

وأما « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » فهو أكبرُ حجماً من « المطمح » وأوفى اختياراً. ولكن يبدو أن الفتح قد قَصَرَهُ عَلَى المعاصرين له وزاد في مدحهم على حسب ما نال من عطائهم.

ولللغاذج التي اختارها الفتح في كِتَابَيْهِ « المطمح » و « القلائد » مقدماتٌ إنشائيةٌ لَفْظِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا فَائِدَةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَلَا هِيَ صَالِحَةٌ لِأَن تَكُونَ أَسَاسًا لِمَعْرِفَةِ خِصَائِصِ الشَّاعِرِ. وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَ يَحْلُمُهَا الْفَتْحُ عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ كَانَتْ تَسْتَنْدُ إِلَى رِضَا الْفَتْحِ عَنْهُ. فَالْغَالِبُ أَنَّ الْفَتْحَ قَدْ أَرَادَ التَّكْسُّبَ فِي « الْقَلَائِدِ »

(١) راجع بالشبا ٢٩٨.

(٢) راجع مقدمة المطمح (منقول بعضها في نفح الطيب ٧: ٦٠).

(٣) دجن: غيم. مكني (مستور عن عيون الناس).

(٤) لنا بحكم فيه (نحن نحكم فيه بما نشاء: نفعل ما نشاء من لهو). أمشى مني: أقدر على المشي مني (أبرع مني في ذلك اللون من اللهو).

من الشعراء الذين سلكهم في كتابه.

قال الفتح بن خاقان في مطلع « ترجمة » الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي^(١) في « المطمح » (ص ٤): « تجرّد للعليا وعرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوّغ ذلك الجنى^(٢). فما دون سابقه وارتقى إلى رتبة لم تكن للبينية ببطاقة^(٣). فالتاح في أفياء الخلافة وأرتاح إليها بعبطيه كشتوان السّلافة^(٤). وأسوّزّه المستنصر، وعنه كان يسمع وبه يُنصر.....^(٥) ».

هذا كلام قد يكون خلواً في الخيال، وهو منطوق على شيء من الحقيقة. ولكن لا يستطيع أحد أن يصل إلى هذا الشيء من الحقيقة إلا إذا كان عارفاً بالمصحفي وبأحواله معرفة تامة. وإنّ مما يؤسف له أنّ هذه الخطّة الرديئة قد تركت أثرها ظاهراً على كثيرين من الذين جمعوا مختارات من الشعر كابن بسّام (ت ٥٤٢ هـ) في « الذخيرة » حتى نصّل إلى لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في « الكتبية الكامنة » وسواها. وكذلك فعل الحجاري (ت ٥٥٠ هـ) لما وضع كتابه « المنهّب ». ثم أنتقل هذا السوء (مع الإيجاز) إلى « المغرب » لابن سعيد العنسي (ت ٦٨٥ هـ).

- النقد :

نبدأ في النقد الأدبي في هذا العصر بالفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مع أنّ نقده، يتعلّق في الأكثر بالشاعر لا بشعره. ثم إن أحكامه شخصية قاصرة في جمل عاطفية مسجوعة. ومع ذلك ففيها بذور من النقد مفيدة في عدد من الأحيان. فمن أحكامه التي لا فائدة فيها قوله في أبي عامر بن شهيد (المطمح ١٦): « عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حائز قصب السبق فيها. لا يُشبهه أحد من أهل زمانه، ولا يُنسق في نسق

-
- (١) للمصحفي هذا ترجمة مستقلة (ت ٣٧٢ هـ).
 - (٢) الجنى: الثمر. تسوّغ (ليست في القاموس): أجاز الأمر لنفسه، وجد ذلك الأمر سائغاً.
 - (٣) اللبينة: (٥) اللبين (الذي يرى على لبن الحيوان - البقر، مثلاً).
 - (٤) التاح: عطش، تغبّر (لا معنى لها هنا) - لعلّه يقصد رؤى. الشوان: السكران. السّلافة: الخمر.
 - (٥) المستنصر: الحكم (مكت في الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ) ابن عبد الرحمن الناصر. عنه يسمع وبه يبصر (يعتمد عليه في أعماله).

من درّ البيان وجّهانه. توغلّ في شِباب البلاغة وطُرُقها، وأخذ على مُعاطيها ما بين مَقَرِّها ومَشْرِقها. لا يقاومه عُمُرُو بن بحر ولا تراه يغترف إلا من بحر.....»، وأما أحكامه التي تنطوي على شيء من الفائدة فقوله في أبي حفصٍ أحمد بن بُريد (المطمح ٢٤): «وأبو حفصٍ هذا بديعُ الإحسان بليغ القلم واللسان، مليحُ الكتابة فصيح الخطابة. وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرقِ بَيْنَهما. وشعره مُثَقَّف المباني.....».

وعرَضَ ابنُ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) في مقدمة ديوانه لشيء من النقد المنظم فأعتمد في تقديم الشاعر على ما في شعره من جَزَالَةٍ ورِقَّة. ثم هو يرى أَنَّ الشعرَ قائمٌ في الأصل على التخيل (على الزيادة فيما يرى الشاعر في الواقع) وليس في ذلك شيءٌ من الكَذِبِ ضرورة. وابنُ خَفَاجَةَ أميلُ إلى الأخذ بالجانب الفني (جمال التعبير وغرابته) منه إلى الجانب الأخلاقي (موافقة الشاعر في أقواله لعادات زمانه ومكانه) لأنه يذهب إلى أن الشعرَ تعبيرٌ عن الواقع الشخصي للشاعر نفسه.

ولأبي الطاهر الاشتراكي (ت ٥٣٨ هـ) أحكامٌ ساقفا في مقامتين له: أحكامٌ عامةٌ قليلةُ الفائدة جمَعَ أكثرَها من أقوالِ الذين سبقوه (راجع ترجمته).

ومَعَ أن ابنَ بَسَّامٍ (ت ٥٤٢ هـ) صاحبَ «الذخيرة» قد سار في تعريف الشعراء على خطى الفتح بن خاقان أو قريباً من ذلك في النثر الأنيق المسجوع، فإن في كتابه «الذخيرة» أسساً للنقد متفرقة لا نَجِدَ فيها شيئاً من الابتكار. كان ابنُ بَسَّامٍ يُريد إبرازَ بدائعِ الأدب الأندلسي لَوَمًا لأولئك الذين يَرَوْنَ الإحسانَ في شعرِ المَشَارِقَةِ وحدهم. ثم إنه يميلُ إلى الجانب الأخلاقي في الشعر فيَحْمِلُ على الهجاء ويُهْمِلُ إيراد ما قُبِحَ منه. وأما كُرَّةُ ابنِ بَسَّامٍ للإكثار من المعاني الفلسفية في الشعر وتُفَوِّره من الاستعارات البعيدة ثم استحسانه الإشارةَ إلى الأحوال دون التفصيلِ فيها إلى جانبِ مَذْهِبِهِ للبديهة والآنجال فأشياء مشهورةٌ عند ابنِ رَشِيقٍ (ت ٤٥٦ هـ). وابنِ بَسَّامٍ لا يَفْسَحُ في كتابه الواسع مكاناً للموشحات.

أما الذي قَصَدَ إلى النقد في هذا العصر ثم توفَّرَ عليه فكان ابنُ عبدِ الغفور الكِلَاعي (ت ٥٤٣ هـ) في كتابه إحكام صنعة الكلام، «مَعَ العلم بأن هذا الكتابُ

أَلَصَقُ بعلم البلاغة عامةً منه بغير النقد خاصةً. وأكثر أهتمامه في هذا الكتاب بالنثر، وقد وفاه حقه من جعله أنواعاً ومن تعريف تلك الأنواع. وهو يُفَضِّلُ النثر على الشعر.

ومَعَ تأخُّر ابن خيرة الموعيني (ت ٥٦٤ هـ) في الزمن فإننا نستطيع أن نسلِّكه في عصر المرابطين. لابن خيرة كتب في النقد منها «الرَّيْحَانُ والرَّيْعَانُ» اعتمد فيه كثيراً من كتب المشاركة. فهو يرى حُسْنَ مخارج اللفظة المُفْرَدَةِ (بتباعد مخارج حروفها طلباً للوضوح في اللفظ) وحسن تأليفها (تركيبها في الجملة) مع الموافقة بين اللفظ والمعنى. ويرى أيضاً الابتعاد (في الشعر) عن الضَّرُورَاتِ (الجوازات الشاذة) وعن الحشو والإخلال (زيادة الألفاظ أو نقصها عما يجب). ولكن لا بأس بالكذب (المبالغة) في الشعر. أمّا الخطابة فيجب أن تكون أقرب إلى الواقع.

صورة الحياة العامة

كانت الصلاتُ بين العدوتين: العدوَّة الأوروپيَّة (الأندلس) والعدوَّة الإفريقية (المغرب) وثيقة دائماً، وكان التبادل الاجتماعي والثقافي كثيراً. ولما بسط المرابطون نفوذهم السياسي على الأندلس كثُرت تلك الصلاتُ وتوثقت. وقبل مجيء المرابطين إلى الأندلس كانت الأندلس من الناحية السياسة في دَرَكٍ انحطاطها. فلما انتصر يوسفُ بنُ تاشفينَ على الإسبان وحطَّم مقاومتهم العسكرية، إلى حين، استروح المسلمون في الأندلس ريحَ القوة وتجدد أملهم في البقاء. وأدرك نصارى الأندلس أنهم قد هُزموا في معركةٍ فاصلة (معركة الزلاقة) ولكنهم لم يتركوا القتال. ثم إن نصارى أوروپة (بزعمامة البابوية) زادت في عزميتها على الحرب. ولما أيقنت البابوية أنها لن تقوى على مُجابهة يوسف بن تاشفين وجهت وجهها نحو الشرق ونقلت حربها الصليبية من الأندلس إلى فلسطين.

بعدَ القضاء على ملوك الطوائف أصبح للأندلس حاكمٌ واحد، كان أميراً من المرابطين. وكان هذا الأمير المرابطي يُعَيِّنُ على قواعد الأندلس (الدُنُ الكُبيرة فيها) ولاةً. ويبدو أن الولاة كانوا دائماً من المرابطين (أهل المغرب) ولكن الوزراء كان

بالإمكان أن يكونوا من الأندلسيين، فلقد وَزَرَ ابنُ باجَّةَ مثلاً لأبي بكرٍ بنِ إبراهيمَ اللستوني في غرناطة. وكذلك لم تكنْ مُدَّةُ الوُلاَةِ على الأندلس تطولُ في العادة - وإنْ كان سِيرُ بنُ أبي بكرٍ قد ظَلَّ في ولايته إشبيليةَ سبعاً وعشرينَ سَنَةً - كيلا يُحاولَ أحدٌ منهمُ الاستبدادَ بالبلدِ الذي تحتَ يَدِهِ.

ثمَّ إنَّ المرابطينَ حَرَصُوا على دَوامِ العَدَلِ في الرَعِيَّةِ، فقد كتبَ أبو القاسمِ بنُ الجَدِّ (على لسانِ يوسُفَ بنِ تاشفين) رسالةً إلى أبي محمدِ بنِ فاطمةَ (أحدِ عُمالِهِ - ولا رَيْبَ في أَنَّ فَحْوَى هذه الرسالةِ يُمكنُ أن يَنْطبقَ على أهلِ المغربِ وعلى أهلِ الأندلسِ) يقولُ:

« فَاتَّخِذِ الْحَقَّ إِمَامَكَ وَمَلِّكَ يَدَكَ زِمَامَهُ، وَأَجِرْ عَلَيْهِ فِي الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ أَحْكَامَكَ. وَارْفَعْ لِدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ حِجَابَكَ وَلَا تَسُدَّ فِي وَجْهِ الْمُسْتَظْهِرِ بَابَكَ. وَوَطِّئْهُ لِلرَّعِيَّةِ - حَاطَهَا اللَّهُ - أَكْنَافَكَ. وَابْذُلْ لَهَا إِنْصَافَكَ. وَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهَا مَنْ يَرْفُقُ بِهَا وَيَقْدِلُ فِيهَا، وَاطَّرَحْ كُلَّ مَنْ يَعْجِفُ^(١) عَلَيْهَا وَيُؤْذِيهَا. وَمَنْ سَبَّبَ عَلَيْهَا مِنْ عَمَّاكَ زِيَادَةً أَوْ خَرَقَ فِي أَمْرِهَا عَادَةً، أَوْ غَيَّرَ رِسْماً أَوْ بَدَّلَ حُكْماً، أَوْ أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا دِرْهَماً ظُلْماً، فَاعْزِلْهُ عَنْ عَمَلِهِ وَعَاقِبْهُ فِي بَدَنِهِ، وَالزِّمَّهُ رَدَّ مَا أَخَذَ - تَعَدَّياً - إِلَى أَهْلِهِ وَاجْمَعْهُ نَكَالاً^(٢) لغيرِهِ حَتَّى لَا يُقَدِّمَ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ فِعْلِهِ » (فلائد العقيان ١٢٧ - ١٢٨).

وكان لوزراء المرابطين سُلْطَةٌ واسعة لا تقتصر على المغرب فقط بل تتناول الأندلس أيضاً، كما كان للقضاة مثل تلك السلطة، ذلك لأنه كان للفقهاء أثرٌ كبير في نُصرة المرابطين، فقد كانوا حَبَّبُوا حُكْمَ المرابطين إلى الناس - بعد أن كان حُكْمُ ملوكِ الطوائف قد أَمَلَّ الناسَ لكثرة ما كان في عهدهم من الترف ومن الحُرُوب التي ضَيَّعَتْ بلاداً كثيرةً فنقلتها من حُكْمِ ملوكِ الطوائفِ المسلمين إلى حُكْمِ ملوكِ الإِسبانيِّين النصارى.

(١) حاف: جار وظلم.

(٢) النكال: العقاب (بشدة تردع الآخرين من الوقوع في الذنوب).

وهؤلاء القضاة الذين أصبحت لهم السلطة الواسعة على الناس في المغرب والأندلس معاً، بما كان المرابطون قد خولّوهم من المكانة لم يتركهم سلاطين المرابطين بلا نصّح أو تذكير بلزوم العدل في الناس والرفق بهم. إن القاضي لما أصبحت له السلطة والرقابة على القضاء والفتيا والشورى والخطبة (يوم الجمعة) وعلى أحكام السوق كلّها (رقابة سلوك الناس ثم الفصل في منازعاتهم)، مما كاد يجعله حاكماً فرداً، مالّ في عدد من الأحوال إلى شيء من الاستبداد وإساءة التصرف. من أجل ذلك كتب ابن القصيرة الإشبيلي (ت ٥٠٨ هـ) إلى قاضي الجماعة بقُرطبة ابن حمدين (تولى القضاء من سنة ٤٩٠ إلى وفاته في المحرم من سنة ٥٠٨) - على لسان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين - (الذخيرة ٢: ٣٦١):

«.... استهد الله يديك، واستعن به يُعَنِّكَ في صدرك وورديك^(١). وتولّ القضاء الذي ولاكّه الله بجدّ وحزم وجلدٍ وعزم. وأمنّ القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه... وآس^(٢) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع قوي في حيفك ولا يتأسّ ضعيف من عدلك. ولا يكنّ عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحقّ له، ولا أضعف من القوي حتى تأخذ الحقّ منه.....» (إن هذه الرسالة - والجمل الأخيرة منها خاصة - مأخوذة من رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء).

ومع هذا كلّهُ فقد أساء نفرٌ من القضاة تصرّفهم في الرعية وأموال الرعية، حتى قال الشاعر الأندلسي ابنُ البُني يهجو قاضي قضاة قُرطبة ابنَ حمدين نفسه (المعجب ١٢٢: راجع نفع ٤٤٨ - هي للأبيض).

أهل القضاء، لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الزمان العاتم^(٣)

(١) الصدر (الرجوع عن الماء بعد الشرب) والورد (بالكسر) والورود (الذهاب إلى الماء للشرب): في جميع أعمالك.

(٢) آسى بين الشخصين: سوى بينهما.

(٣) عم (يفتح ففتح) الليل: بدأ ظلامه. أدلج: سار في أول الليل. الناموس: الثريزة (القانون) - لبس ناموسكم (تخذتم عليكم في القضاء ساراً على استغلال القضاء وظلم الناس).

فَمَلَكْتُمُو الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ^(١)، وَقَسَمْتُمُو الْأَمْوَالَ بَيْنَ الْقَاسِمِ^(٢).
وَرَكِبْتُمُو شُهَبَ الدَّوَابِّ بِأَشْهَبِ^(٣)، وَبَاضَغِ صُبَغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ^(٤).

★ ★ ★

والمغاربة كانوا دائماً كِثَاراً في الأندلس، ولكنهم الآن أصبحوا أهلَ طَبَقَةٍ سائِدةٍ وأخذ كثيرون من الأندلسيين يقلدونهم في اللثام^(٥) خاصة ويسيثون التصرف في الأمور أيضاً، بالإضافة إلى حياة الترف البالغ التي كانوا يَحْيَوْنَهَا. وبرزت المرأة في الأندلس - تشبهاً بالمرأة الصنهاجية من اللثمين^(٦) - فوق ما كان لها من البروز قبل الحكم المرابطي في الأندلس. ثم لم يَخُلْ عصر المرابطين في الأندلس من مثل رجل شعوبي كأي عامر بن غرسية (راجع أخباره المفصلة في الجزء الرابع).

الحياة الثقافية

إنَّ الاتجاهَ الدينيَّ الواضحَ في نشأة دولة المرابطين ظَهَرَ بارزاً جِدّاً في الحديث. غَيْرَ أَنَّ جُهدَ المُحَدِّثِينَ انصَرَفَ إلى أمورٍ جانبيةٍ في الأكثر: في مختاراتٍ مُعَيَّنةٍ من كتب الحديث وفي تعريفِ رجالِ السَّنَدِ في الحديث وفي أشياءٍ من أصولِ التَّحْدِيثِ،

(١) مذهب مالك (بن أنس): المذهب الرسمي في المغرب والأندلس - ملكتم الدنيا بمذهب مالك: استغلتمم انتاؤكم إلى المذهب الرسمي للحصول على المغنم الشخصية.

(٢) وقسموا (اقتسموا) الأموال (بينكم) بَيْنَ الْقَاسِمِ = أبو عبد الله عبد الرحمن بن قاسم العتقي (بضم ففتح) فقيه مصري ١٣٢ - ١٩١ هـ) تفقه على الإمام مالك وصحبه عشرين سنة. وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك. وهو صاحب «المدونة» (المصدر الرئيس في الفقه المالكي)، وعنه أخذها سحنون (ت ٢٤٠ هـ).

(٣) ركبتم شهب الدواب (البغال): نلتم المناصب العالية وتتمتع بالحياة الناعمة. وأشهب بن عبد العزيز القيسي (١٤٥ - ٢٠٤ هـ) فقيه مصر في زمانه صحب الإمام مالك زماناً.

(٤) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصري (ت ٢٢٥ هـ) كان تلميذ ابن القاسم. صبغت لكم (اللقمة) بأدم (بفتح ففتح): وضع لكم دسم على خبزكم (تتمتع في الحياة).

(٥) اللثام: القناع - جعل الأندلسيون يضمنون اللثام على وجوههم (تقليداً للمرابطين لينصرفوا كأنهم حكام أو أعيان).

(٦) كانت المرأة من المرابطين برزة (تكشف عن وجوها - بخلاف الرجال من قومها).

نذكر من هؤلاء: الحسين بن محمد الفسائي الجبائي (ت ٤٩٨ هـ) له «تقييد المَهمل وتمييز المُشكِـل من رجال الصّـحـيـحـين»، وله «الكُنَى والألقاب». وقد كان بارعاً في التحديث، رَحَلَ الناسُ إليه وأخذوا عنه. وهناك رَزِيْنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعَبْدَرِيُّ (ت ٥٢٤ هـ) له «التجريدُ في الجمعِ بين الموطأ والصّحاح الخمس»، وله «أخبارُ مكّة والمدينة وفضائلها». ولعبد الله بن عليّ الرُّشَاطِيّ (ت ٥٤١ هـ) تصانيفُ في تصحيح كُتُب الحديث وفي أنساب الصّحابة. وكذلك لابن وكيل الإقليشيّ (ت ٥٤٩ هـ) مُختاراتٌ من كتب الحديث وشيء من التأكيد على الجانبِ الصوفي منها. ومثله في الميلِ إلى الجانبِ الصوفيّ عبدُ الحميد بن عُمَرَ الميانيشيّ (ت ٥٧٩ هـ). وكان لعمد بن عليّ بن ياسين الأنصاريّ الجبائيّ مُختاراتٌ من رواياتٍ من أسم كل واحدٍ منهم محدّد. واشهرُ هؤلاء في العصرِ الذي نعالجه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) والقاضي عياضُ بن موسى (ت ٥٤٤ هـ).

وكان الميلُ في هذا العصر إلى الفقه السلفيّ مع التشدّد في الجوانب النظرية منه وفي الفروع أيضاً. لقد رَفَعَ المرابطون (في المغرب وفي الأندلس) لواء السُنّة ورفَقُوا الرأي والفلسفة، وبلغَ من تشدّدِهم أن أحرَقُوا كُتُب الإمام أبي حامد الغزاليّ (ت ٥٠٥ هـ) مع العلم بأن الصلّات بين الغزاليّ ويوسف بن تاشفين كانت حسنة، وكان من المنتظر أن يستجيب الغزاليّ لدعوة يوسف بن تاشفين في الهيء إلى المغرب لولا وفاة ابن تاشفين في سنة ٥٠٠ هـ. غير أن هذا التشدّد لم يمنع من الجدَلِ ومن اتجاه نفَرٍ من الفقهاء نحو عِلْم الكلام من أمثال ابن السّيد البَطْلَوَيْي (ت ٥٢١ هـ) ويحيى ابن عُمَرَ بن سعدون القرطبيّ (ت ٥٦٧ هـ). ولقد ذَهَبَ بالشُّهرة في أصول الفقه والكلام وفي فروع الفقه أيضاً أبو بكر بن العربي والقاضي عياض.

ثم يحسنُ أن نذكرَ من فقهاء هذا العصرِ أبا الوليد بن رُشْدِ الجَدِّ (ت ٥٢٠ هـ) ومحمد بن عليّ المازريّ الصّقْلِيّ (ت ٥٣٦ هـ) ثم أبا بكر بن العربيّ والقاضي عياضاً أيضاً.

ثم ننتقلُ إلى العلومِ الرياضيّة والعلومِ الطبيعيّة.

كان إبراهيم بن يحيى المعروفُ بابن النقّاش الزرقاليّ (ت ٤٩٣ هـ) بارعاً في علوم

الفلك النظرية والعملية له كتاب العمل بالصحيحة الزيجية (للاستدلال على حركات النجوم) وكتاب حركات النجوم الثابتة (الثابتة بالإضافة إلى الأرض)، وله أيضاً «المدخل إلى علم النجوم». ثم هو أبرع أهل زمانه في رصد النجوم.

ولأبي الصلت أُمِّيَّة بن عبد العزيز (ت ٥٢٩ هـ) براعة في الطب والأدب وغيرها، ولكن براعته البارزة كانت في الفيزياء وفي علم الحيل (الميكانيك) خاصة.

واشتهر في هذا العصر عالمان في الجغرافية أحدهما الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ) صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ألفه حينما انتقل إلى جزيرة صقلية لملكها رُجَّار (روجر) الثاني النورماني، ولذلك يُعرف كتابه أيضاً بعنوان «الكتاب الرُّجَّاري». ولقد استعان الشريف الإدريسي في تأليف هذا الكتاب بنفَر من العلماء كان يبعثُ بهم إلى الأقطار المختلفة (والقريبة منه) مع المساحين والرسامين لدراسة طبيعة البلاد التي يذهبون إليها. ولقد وضع الشريف الإدريسي للعالم المعروف في زمانه خارطة على شيء كثير من الدقة واصطلح فيها على أن يكون الجنوب في جانبها الأعلى (بخلاف ما عليه الاصطلاح اليوم من أن الشمال هو الجانب الأعلى). ثم إنه رسم العالم على كُرَّة من الفضة. ثم يأتي هنا أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني (ت ٥٦٥ هـ)، وكان رحالة كثير الأسفار بعيداً زار بلاد البلغار والروس والحزر وخوارزم (في الجانب الشرقي من أوروبا خاصة). وللمازني كتب منها: المغرب في عجائب المغرب - تحفة الكبار في أسفار البحار.

واشتهر في هذا العصر يحيى بن محمد بن العوام (ت نحو ٥٨٠ هـ) صاحب كتاب «الفلاحة النبطية» جمعه من مصادر مختلفة يونانية في الأكثر ثم أضاف إليه ملاحظاته الكثيرة.

ولمَعَ الطب في هذه الحقبة من التاريخ لمعاناً شديداً. لقد ازدان هذا العصر بأثنين من بني زُهرٍ أولهما أبو العلاء زُهر بن عبد الملك (ت ٥٢٥ هـ) وكان بارعاً جداً في التطبيب فنال منزلة سامية عند المرابطين، ولكنه كان أيضاً بذيء اللسان كثير التكبر. أهدى إليه رجل نسخة من كتاب «القانون» لابن سينا (ولم يكن كتاب القانون قد وصل بعد إلى الأندلس) فازدري الكتاب وجعل يقطعُ منه طُرراً (قطعاً)

يَكْتَسِبُ عَلَيْهَا وَصَفَاتِهِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَمَلُ فِي نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الثِّقَةِ بِالنَفْسِ وَعَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبِرَاعَةِ، فَإِنَّهُ - فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - يَدُلُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْجَهْلِ وَقِلَّةِ التَّهْذِيبِ. وَكَذَلِكَ بَرَّعَ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُهَيْرٍ (ت ٥٥٧ هـ) فِي التَّطْبِيبِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَكَانَ نَاجِحاً جَمَعَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ثَرَوَةً عَظِيمَةً. وَلَكِنْ كَانَتْ لَهُ آرَاءٌ شَاذَةٌ مِنْهَا أَنَّهُ مَنَعَ الْحَمَامَ (الْإِغْتِسَالُ بِالْمَاءِ) ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمَاءَ يُدْخِلُ عَلَى الْجَسْمِ عُفُونَةً تَضُرُّ بِهِ. وَلَعَلَّ ابْنَ زُهَيْرٍ هَذَا كَانَ مُتَأَثِّراً بِسُلُوكِهِ فِي ذَلِكَ بِنَصَارَى أَوْ رُوبَةَ النَّسَبِ كَانُوا يَمْنَعُونَ الْإِغْتِسَالَ، لِأَنَّ الْإِغْتِسَالَ يُزِيلُ أَثَرُ مَاءِ «التَّعْمِيدِ» الَّذِي كَانَ يُطْفَلُهُمْ يُغَمِّسُ فِيهِ لِإِدْخَالِهِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ.

وَمِنَ الْبَارِعِينَ فِي الْمُدَاوَاةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) كَانَ عَارِفاً بِالْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ جَامِعاً لِمَا عَرَفَ الْأَوَائِلَ (الْقَدَمَاءُ : الْيُونَانِ) مِنْهَا (طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢ : ٥٢). وَكَانَتْ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا : «دَفْعُ الْمَضَارِّ الْكُلِّيَّةِ لِلْأَبْدَانِ الْإِنْسَانِيَّةِ» (٢) (بِرُوكْلَمَنْ ١ : ٦٤٣). وَفِي تِلْكَ الْحَقِيقَةِ نَفْسُهَا عَاشَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ أَسْلَمَ الْغَافِقِيُّ الَّذِي بَلَغَ أَشَدَّهُ فِي الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ السَّادِسِ، وَكَانَ كَحَالاً (طَبِيباً لِلْعَيُونِ)، وَلَهُ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ (بِرُوكْلَمَنْ، الْمُلْحَقُ ١ : ٨٩١).



وَنَضِجَتْ الْفَلَسَفَةُ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِظُهُورِ ابْنِ بَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) خَاصَّةً. كَانَ ابْنُ بَاجَةَ عَلَماً وَأَدِيباً وَمُوسِيقِياً وَفِيلَسُوفاً وَطَبِيباً. غَيْرَ أَنَّ شُهْرَتَهُ بِالْفَلَسَفَةِ غَطَّتْ عَلَى كُلِّ فَنٍّ آخَرَ لَهُ، فَهُوَ الَّذِي بَنَى التَّفَكِيرَ الْفَلَسَفِيَّ عَلَى الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ وَأَقْتَرَبَ بِالْفَلَسَفَةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ عِلْماً ثُمَّ قَالَ إِنَّ التَّصَوُّفَ يُمِيتُ الْحَيَاةَ وَيَمْنَعُ التَّفَكِيرَ السَّوِيَّ فِي الْمُتَصَوِّفِ. وَبِحَسْنٍ أَنْ نَذْكُرَ فِي هَذِهِ التَّوْطِئَةِ ابْنَ السَّيِّدِ الْبَطْلَانِيَّ (ت ٥٢١ هـ) فَلَقَدْ كَانَ هُوَ أَيْضاً أَدِيباً وَلُغَوِيّاً وَفَقِيهاً وَفِيلَسُوفاً. وَتَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى كِتَابِهِ «الْحَدَائِقُ» وَهُوَ خَمْسُ مَقَالَاتٍ فِلَسَفِيَّةٍ سَهْلَةٍ الْأَسْلُوبِ مُوجِزَةٌ الْبَحْثِ تَتَنَاوَلُ عِدَّةً مِنَ الْأَرَاءِ الْيُونَانِيَّةِ عِنْدَ أَفْلَاطُونٍ خَاصَّةً - لَا تَتَّفَقُ دَائِماً مَعَ آرَاءِ أَفْلَاطُونِ، وَتِلْكَ مُشْكَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا مَجَالَ لِلتَّبَسُّطِ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَسْطَرِ.

ويبرز في هذا الدور أبو بكر الطرطوشي (ت ٥٢٥ هـ) فيلسوفاً اجتماعياً سابقاً في تحليل التاريخ على ابن خلدون. وابن خلدون يشير إلى ذلك صراحةً ويرى أن كثيراً من آرائه التاريخية قد وردت عند الطرطوشي هذا، ولكن ابن خلدون - كما يقول ابن خلدون نفسه - قد زاد على الطرطوشي في تنظيم هذه الآراء وفي التبسط فيها وضرب الأمثلة عليها - راجع ترجمة الطرطوشي (في هذا الجزء) وترجمة عبد الرحمن ابن خلدون في الجزء التالي).

وبينا كان ابن باجه يرفض التصوف كان أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف (ت نحو ٥٣٦ هـ) يثق في التصوف طريقاً جديداً هو الزهد في كل شيء إلا في الله، وذلك هو التخلي الكامل عن كل أمر من أمور الدنيا. ونحن نشم في ذلك شيئاً من رائحة الهندوكية. وابن العريف هذا كتاب «معاني المجالس» ذكر فيه الصفات التي رآها هو ضرورية في المتصوف. وكانت له أيضاً قصيدة صوفية. ويبدو أن التصوف قد انحرف انحرفاً أكبر مع أبي القاسم أحمد بن القيسي (٢) الذي قتله المرابطون سنة ٥٤٦ هـ، فإنه كان قد أقام للمريدين من أتباعه رباطاً في غربي الأندلس (البرتغال اليوم)، وله كتاب «شرح حديث خلع النعلين» (صاحب هذين النعلين: رسول الله) وأقتباس الأنوار من موضع (؟ موطىء) القدمين (بروكلمان، الملحق ١: ٧٧٦).

ويبدو أن اهتمام المؤرخين في هذا الدور كان منصرفاً إلى كتب التراجم وكتب الخصائص الجانبية، فمن هؤلاء المؤرخين: ابن مديني (ت ٤٩٥ هـ) ومحمد بن علقمة الصديقي (ت ٥٠٩ هـ) له «البيان الواضح في الملم الفادح» (في تاريخ مدينة بلنسية وتغلب الإسبان عليها وميختها). ثم هنالك عبد الجبار بن عبد الله بن أصبغ (ت ٥١٦ هـ) له «عيون الإمامة ونواظر السياسة» ومحمد بن فيره بن سكرة الصديقي (توفي ٥١٦ أيضاً) ثم محمد بن يحيى بن يتيق (ت ٥٤٧ هـ) له كتاب «ملوك الأندلس والأعيان والشعراء» ثم أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري القرناطي له «أخبار دولة لمتونة» (المرابطين) ثم محمد بن أحمد الطرطوشي البلوي (ت ٥٥٩ هـ) - وهو مؤلف موسمي - له من الكتب: كتاب «أنموذج العلوم»

وكتاب « دُرَرُ القلائد وَغُرَرُ الفوائد » وكتاب « أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها ». ثم هنالك أَلَيْسَعُ بْنُ عَيْسَى بْنِ حَزْمِ الغافقي (ت ٥٧٥ هـ) له: كتاب « فضائل أهل المغرب » وكتاب « المغرب في محاسن أهل المغرب ». وأشهر هؤلاء كُلُّهُمْ ابنُ بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) صاحبُ كتاب « الصلة ».

تاريخ الفكر

ما دامت حركة المرابطين قد بدأت دينيةً وِرْدَةً فعلياً على ما انتشر من الترف وتوابعه في عصر ملوك الطوائف، فقد كان من المنتظر ألا تلقى الفلسفة في أيام المرابطين أرضاً صالحةً وخصوصاً إذا نحن علمنا أن الفلسفة في الأصل نتاج يوناني غريبٌ ووثنِيٌّ. من أجل ذلك يقول عبد الواحد المراكشي (المعجب ١٢٣)، راجع (١٢٨): « ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويخطي عنده إلا من علم علم الفروع - أغني فروع مذهب مالك - فنَفَقَتْ في ذلك الزمان كُتُبُ المذهب وعُملُ بِمقتضاها ونُبذَ ما سواها، وكثر ذلك، حتى نسي النظر (أي التفكير بالتأويل) في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم يكن أحد من أهل ذلك الزمان يعتني بها كل الاعتناء. ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علم الكلام. وقرّر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد فكان (أمير المسلمين) يُكْتَبُ عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه؛ وتَوَعَّدَ مَنْ وُجِدَ عنده شيء من كتبه. ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي - رحمه الله - المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها وتقدم بالوعيد الشديد من سفك الدّم واستئصال المال إلى مَنْ وُجِدَ عنده شيء منها. واشتد الأمر في ذلك ».

ثم « استُغْنِي في ذلك الأمر الفقيه أبو الحسن البرنجي فافق بتأديب مُحَرِّقِهَا وتَضْمِينِهِ ثَمَنَهَا. وتابَعَهُ على ذلك آثنان آخران من الفقهاء » (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٥٨ - ٥٩). ومع ذلك فلم يمنع هذا كله من أن

ينصرف نَفَرٌ إلى الفلسفة كابن السيد البطلاني (ت ٥٢١ هـ) الأديب الذي آلف أيضاً في الفلسفة. غير أن كتابه «الحقائق» مزيجٌ من الآراء الإسلامية والآراء اليونانية والآراء الهندية وشيءٌ من علم الكلام. وقد سَمَى ابنُ السيد البطلاني كتابه هذا «كتابَ الحقائق في المطالب العالية الفلسفية المويضة» (القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م). وهذا الكتاب في الحقيقة نُتِفَ من آراءٍ مختلفة: ففي أصلِ العالم يأخذ من أفلاطون فيما يتعلق بالمادة والصورة وبترتيب الفيض، كما يأخذ عن نيقوماخوس الجرشي أنَّ العدَدَ هو أولُ الموجودات. ويأخذ من أرسطو كلاماً في طبقات النفوس: النفس النباتية والنفس الحيوانية (البهيمية) والنفس الإنسانية، ويُعرجُ في أثناء ذلك على آراء الفارابي في صلة العقول (في أثناء الفيض عن الموجود الأول: الله) بالأفلاك.

أما فيلسوفُ هذا العصر والفيلسوفُ الأولُ في ترتيب الزمن فهو ابنُ باجه صاحبُ كتاب «تدبير المتوحد». ولقد كان في عداوة المرابطين للتفلسفِ أثرٌ في اتجاه ابنِ باجه نحو القول بأن «المتوحد» هو الرجل ذو الفطرة الفائقة الذي يضطرُّ إلى أن يعيشَ بين عوامِّ الناس.

ويذكرُ بروكلمن (الملحق ١: ٤٨١) أن لأبي الحسنِ سلامَ بنِ سلامَ الباهلي (ت ٥٤٤ هـ) كتاباً في الأخلاق (القاهرة ١٢٩٨ هـ). أما الشاعرُ أبو عامرِ الشنتريني (ت ٥٤٥ هـ) ففي أبياته آراءٌ في الموت والحياة (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٢٨ - ١٢٩) لا تبلغُ إلى أن تكونَ تفلسفاً (ولم أعثرُ على الشنتريني هذا في فهرس كتاب «الذخيرة» (بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م).

اللغة

وفي أيام المرابطين اتسعت الدراسات اللغوية، ففي باب المُحمدين من «بغية الوعاة» للسيوطي، ومن الذين وقعتْ وقفاتُهم بين ٥١٦ و ٥٤٠ للهجرة (١١٢٥ - ١١٤٥ م) جماعة منهم (على ترتيب الوفيات): أبو عبد الله محمد بن الفرَج الكتاني الصقلي المعروف بالذكي (ص ٩٠) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خُلصة الأندلسي

(ص ٥٢) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيمن السعدي الغرناطي (ص ١٧) وأبو جعفر محمد بن حكيم بن باقي الجذامي السرقسطي المقتول في تِلْسان سنة ٥٣٨ (ص ٣٨) وأبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الأشركوني والمتوفى في قرطبة سنة ٥٣٨ أيضاً (ص ١٢٠) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن خَيْثَمَة القيسي (ص ١٧) وأبو عبيد الله محمد بن مسعود بن خَلْصة بن أبي الخصال الغافقي (ص ١٠٤). كلُّ هؤلاء كانوا بارعين وجامعين لفنون كثيرة من اللغة ومن العربية (النحو) وغيرها. ويحسُّ أن نُشيرَ إشارة خاصة إلى ابن القطّاع الصِقْلِيّ عليّ بن جعفر السعدي (٣٣ - ٥١٤ هـ) وإلى ابن السيد البَطْلَيْوْسِيّ (ت ٥٢١ هـ). ثم هنالك أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنبري (ت ٥٤٩) النحوي أحدُ أئمة العربية المُبرِّزين فيها (ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بَرِّي المِصْرِيّ اللُّغَوِيّ النُحَوِيّ) قرأ العربية بالأندلس وقَدِمَ مِصْرَ سنة ٥١٥ وأقام بها وأقرأ الناس العربية. ثم أُنْتُقل إلى اليمن. ثم إنه عاد إلى مِصْرَ فكان له في جامعها (بالقُسطاط) حَلَقَةٌ لإِقراء النحو. وكانت وفاته في مِصْرَ (نفع الطيب ٢: ٢٣٨؛ راجع الوافي بالوفيات ٤: ٤٦، بغية الوعاة ٦٨ - ووفاته هنا ٥٥٠؛ راجع بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣).

النثر

وإذا نحن نظرنا إلى النثر على أنه أسلوبٌ للتعبير - في هذه الحِقْبة أيضاً - وجدنا أن التقليد فيه للمشاركة كان أكثرَ من تقليد الأندلسيين للمشاركة في الشعر. ولقد غَلَبَ السَّجْعُ والاقْتِباسُ (من القرآن الكريم والشعر والأمثال وغيرها) ولُزُوم ما لا يَلْزَمُ خاصةً غَلَبَةً ظاهرة على نثرهم. ولكن النثر الأندلسي ظل في جميع فنونه أقلَّ متانةً من النثر المشرقي وأقلَّ ابتكاراً. أما المثالان العظيمان اللذان كانا يُحْتَدَيَانِ في النثر فكانا الجاحظ وأبا الغلاء المعري. وأغرم السرقسطي (ت ٥٣٨) وابن عبد الغفور (ت ٥٤٢) بتقليد المعري في لُزُوم ما لا يلزم خاصةً ثم في فنون كثيرة أيضاً.

وكذلك كان تقليد الأندلسيين، في هذا الدور أيضاً، للرسائل الديوانية وللمقامات التي ابتكرها المشاركة تقليداً كبيراً.

وَمَعَ أَنَّ الَّذِينَ نَقَدُوا الْفُنُونَ الْمُخْتَلِفَةَ (مِنَ النَّثْرِ وَالشَّعْرِ وَالْفَلَسَفَةِ) كَانُوا كَثِيرِينَ، فَإِنَّ النَّدَّ عِنْدَهُمْ كَانَ فِطْرِيًّا لَفْظِيًّا. إِنَّهُ كَانَ أَحْكَامًا مُفْرَدَةً لَا تَرْجِعُ إِلَى مِنْهَجٍ مُّثَنٍّ وَلَا إِلَى قَوَاعِدٍ مُحْكَمَةٍ، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ أحيانًا عَصَبِيَّةٌ أُنْدَلُسِيَّةٌ وَلَذَتْهَا فِي نَفُوسِ هَؤُلَاءِ النَّاقِدِينَ نَفُورٌ عَلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُفَرِّقُونَ فِي الْإِعْجَابِ بِالْأَدَبِ الْمَشْرِقِيِّ وَبِالْأَدْبَاءِ الْمَشَارِقَةِ. وَيَبْدُو لَنَا أَنَّ ابْنَ بَسَّامٍ الشَّنَرِيَّيْنِ قَدْ أَلَّفَ كِتَابَهُ الْوَاسِعَ الْقِيَمِ «الذَّخِيرَةَ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ» لِمَقَاوِمِ تِلْكَ التَّزَعُّعِ الْمُتَطَرِّفَةِ فِي الْإِعْجَابِ بِالْأَدَبِ الْمَشْرِقِيِّ. وَفِي مَقْدَمَةِ «الذَّخِيرَةِ» زُفْرَةٌ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ التَّزَعُّعِ. يَقُولُ ابْنُ بَسَّامٍ مِثْلًا (الذَّخِيرَةُ ١: ١٢):

«.... إِنَّ أَهْلَ هَذَا الْأَفْقِ (أَيَّ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ) أَبَوْا إِلَّا مُتَابِعَةَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، يَرْجِعُونَ إِلَى أَخْبَارِهِمُ الْمُعْتَادَةِ رُجُوعَ الْحَدِيثِ إِلَى قِتَادَةَ^(١)، حَتَّى لَوْ نَعَقَ بِتِلْكَ الْآفَاقِ غُرَابٌ أَوْ طَنْ بِأَقْصَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ذُبَابٌ، لَجَثَوْا عَلَى هَذَا صَنْبًا وَتَلَّوْا ذَلِكَ كِتَابًا مُحْكَمًا^(٢). (هَذَا) وَأَخْبَارُهُمْ (أَيَّ أَخْبَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ) الْبَاهِرَةُ وَأَشْعَارُهُمُ السَّائِرَةُ مَرْمَى الْقَصِيَّةِ وَمُنَاخِ الرِّذْيَةِ^(٣)، لَا يُعَمَّرُ بِهَا جَنَانٌ وَلَا خَلَدٌ^(٤)، وَلَا يُصَرَّفُ فِيهَا لِسَانٌ وَلَا يَدٌ. فَعَاظَنِي مِنْهُمْ ذَلِكَ وَأَنْفَتُ مِمَّا هُنَاكَ. وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِجَمْعِ مَا وَجَدْتُ مِنْ حَسَنَاتِ دَهْرِي وَتَتَبِعْتُ مَحَاسِنَ أَهْلِ بَلَدِي وَعَصْرِي.... وَقَدْ مَجَّبَتِ الْأَسْمَاعُ «يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ وَالسَّنْدِ»، وَمَلَّتِ الطُّبَاعُ «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدٍ....»^(٥).

(١) قِتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ (بَكْرُ الدَّالِ) الْبَصْرِيُّ (٦١ - ١١٨ هـ) مَفْسِّرٌ لِلْقُرْآنِ وَحَافِظٌ لِلْحَدِيثِ.

(٢) جَنَّا: اعْتَمَدَ عَلَى رَكْبَتَيْهِ. كِتَابٌ مُحْكَمٌ: لَا خَطَأَ فِيهِ.

(٣) فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيط (٤: ٣٧٨): الْقَصِيَّةُ النَّاقَةُ الْكَرْمِيَّةُ النَّجِيَّةُ الْمُبْدَعَةُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) عَنْ الْإِسْتِمَالِ. وَالرِّذْلَةُ (بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ) ضِدُّهَا. وَالرِّذْيَةُ: النَّاقَةُ الْمَرِيضَةُ أَوْ الضَّعِيفَةُ. مَرْمَى الْقَصِيَّةِ وَمُنَاخِ الرِّذْيَةِ (لَا تَنْتَشِرُ أَخْبَارُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ كَالنَّاقَةِ الْقَصِيَّةِ الَّتِي يَضُنُّ أَهْلُهَا بِهَا عَنْ السَّفَرِ عَلَيْهَا وَكَالنَّاقَةِ الرِّذْيَةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ السَّفَرَ).

(٤) لَا يَمُورُ بِهَا جَنَانٌ (بِالْفَتْحِ: قَلْبٌ) وَلَا خَلَدٌ (بِفَتْحٍ فَفَتْحٌ: الْبَالُ، الذَّاكِرَةُ) - لَا يَجِبُهَا أَحَدٌ وَلَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ.

(٥) مَجَّبٌ: قَذْفٌ (الْمَاءُ مِنْ فَمِهِ، كَرِهَ الشَّيْءَ). «يَا دَارَ مَيَّةَ» مَطْلَعٌ مَعْلُوقَةٌ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِيَّةُ. وَ«لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ» مَطْلَعٌ مَعْلُوقَةٌ طَرَفَةُ بْنُ الْمَعْدِ.

وأما النقدُ (رؤية الحسنات والسيئات في القطعة المنقودة) فكان أحكاماً في جُمْل يُمكنُ أَنْ تَغْنِيَ أشياء كثيرةَ ويمكن أيضاً ألا تَغْنِي شيئاً أبداً. وربما كان لها صلةٌ بالأديب الذي تنقُدُ نتاجه وربّما لم يكن لها صلةٌ بذلك كُلّه. بدأ ابنُ بسّامٍ كلامه على أبي عامرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملك بنِ شُهيدٍ بالمقطع التالي (الذخيرة ١ : ١٩١ - ١٩٢):

«وكان أبو عامرٍ شيخَ الحضرةِ العُظمى^(١) وقَتَّاهَا، ومبدأُ الغايةِ القصوى ومُنْتَهَاهَا. وَيَنبُوعُ آيَاتِهَا ومادّةُ حَيَاتِهَا وحَقِيقَةُ ذَاتِهَا وابنُ سَاسِهَا وأَسَاتِهَا^(٢) وَمَعْنَى أَسْمَائِهَا ومُسَمِّيَاتِهَا: نادرةُ الفَلَکِ الدَّوَّارِ وأعجوبةُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ. إِنَّ هَزَلَ فَسَجَعُ الحِمَامِ، أو جَدَ فزَيْرُ الأَسَدِ الضَّرْغَامِ. نَظَمَ كَمَا اتَّسَقَ الدُّرُّ على النَحْوَرِ، ونَشَرَ كَمَا خُلِطَ المِسْكُ بالكافورِ، إلى نوادرٍ كَأَطْرَافِ القَنَا الأملود^(٣) تشقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ، و(إلى) جَوَابٍ يَجْرِي بِجَرَى النَفْسِ وَيَسْبِقُ الطَّرْفَ المُخْتَلِسَ^(٤)».

وبعدَ أن كان ابنُ بسّامٍ قد نَقَمَ من الأندلسيّين تقليدَهُمُ المِشَارِقَةَ واقتباسَهُمُ منهم، رأينا عنده هو مثلُ ذلك كُلّه. ولا يَفْعَلُ أحدٌ في هذا النصِّ لآبِ بسّامٍ عن اقتباسِ ابنِ بسّامٍ من بيت أبي الطيّب المتنبّي:

رامياتٍ بأَسْمِهِم ريشها المَهْدُ بَ تشقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ^(٥).

ومَعَ أَنَّ ابنَ بسّامٍ كان أحياناً كثيرةً يَرْجِعُ إلى الكلامِ الواضحِ الدقيقِ في دراسةِ الشعرِ والشعراءِ، فَإِنَّ جماعةَ غيرِ ابنِ بسّامٍ، من أهلِ عصرِهِ، كالفتحِ بنِ

(١) فني (الرجل ذو النجدة والقدرة) الحضرة العظمى (عاصمة الدولة: قرطبة) - كان مشهوراً في قرطبة يرجع الناس في القول إليه.

(٢) الأساة جمع أسر (طبيب).

(٣) القنا جمع قنّاة: قصبة، رمح. الأملود أو الأملد: اللَّيْنُ الناعم من الفصوص (يحدّج الرمح إذا كان ينثني من غير أن ينصف).

(٤) الطرف: البصر. المختلس (النظرة السريعة). ويجوز أن تكون «المختلس» بكسر اللام (أي النظر السريع الخاطف).

(٥) المهدب (بالضم) جمع هدبة (بالضم): شجرة الجفن. ريشها المهدب (يوضع عادة في أسفل السهم ريش ليساعده على المرور باستقامة وسهولة في الهواء) والمتنبّي يشبّه أهداب عيون المحبوبة بريش السهام (وعيون المحبوبة بالسهام).

خاقان مثلاً، كانوا لا ينتقلون عن الألفاظ القليلة المجدوى في نقد الشعر والنثر. ولملكك تعجبُ إذا عَلِمْتَ أن ابنَ بَسامٍ وأندادَه في هذا المضمار لا يُشيرون، في مُعْظَم الأحيان، إلى سَنَةِ المَوْلَد أو الوفاة ولا يُعَرِّجون على حادثٍ مُعَيَّن في حياة الأديب. قال الفتحُ بنُ خاقانٍ (قلائد العقيان ١٤٤) في الوزير الكاتب أبي محمد بن القاسم^(١):

«رَجُلٌ زَهَتْ بِهِ السِّيَاسَةُ والتَّدْبِيرُ، وَجَبَلٌ دُونَهُ يَلْمَمُ وَثِيرٌ^(٢)، وَوَقَارٌ لَا يُسْتَفْزَرُ وَلَوْ دَارَتْ عَلَيْهِ العُقَارُ^(٣). إِذَا كَتَبَ بَاهَتْ البُذُورُ رُفْعَتُهُ، وَقَرِطَتْ أَفْنَدَةَ المعَانِي نَزْعَتُهُ^(٤). وَضَعَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَفْرِقِهَا، وَأَطْلَعَتِ فِي مَشْرِقِهَا، فَأَظْهَرَ جَمَالَهَا وَعَظَّرَ صَبَاها وَسَهَّالَهَا^(٥)....»

ويلحقُ بالنقد الأدبي تاريخُ الأدبِ، ومُثَلًّا عصرُ المرابطين في ذلك ابنُ بَسامٍ والفتحُ بنُ خاقانٍ نَفْسُهما. ومن المُولَم أن كتابَ ابنِ القَطايعِ الصِّقْلِيِّ (ت ٥١٤) «الدُّرَّةُ الخَطِيرةُ في شُعرَاءِ الجَزِيرَةِ (صقلية)» لم يَصِلْ إلينا.

الشعر خاصة

لقد أُصِيبَ الشَّعْرُ في عصرِ المرابطين بالكساد.

ولكن «للكساد» في هذا الموضعُ مَعْنَيَانِ.

(١)

(٢) بللم وثير جيلان.

(٣) العقار (بالضم): الخمر.

(٤) الرقعة التي يكتب عليها (بأسلوبه أو بخطه) تزيد (في البهاء: الجمال) على القمر ليلة البدر. فرطت أفئدة المعاني نزعتَه (٢) - إذا نزع (مدَّ قلمه إلى الدواة ثم أخرجه وبدأ يكتب به أتمي بعمان صائبة كل الصواب) الأصل الاستعارة أن الرجل يزع (بكسر الزاي) السهم في وتر القوس ثم يرسلها فتصيب الهدف.

(٥) المفروق: مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس (أكرم موضع في الإنسان). الصبا (بالفتح) ريح الشرق. والشمال (بالفتح) ريح الشمال (والصبا والشمال، في نجد، محبوبتان للرطوبة وللبرودة التي فيها) بخلاف ما يعرف في الشام أو غربي آسية، مثلاً، حيث يكون الصبا شديدة الحرارة والجفاف، والشمال شديدة البرد والجفاف.

ذكر المستشرق نيكل^(١) كَسَادَ الشعر فقال: « بعد سقوط ملوك الطوائف في أثناء عصر المرابطين انحطَّ نَظْمُ الشعر المألوف (الفصيح) انحطاطاً كبيراً. وكان يوسف (ابن تاشفين) - كما كنا قد رأينا - لا يكادُ يفهم الكلامَ العربي السائر، دَعَكَ من الأسلوب الأدبي الكثير الصَّنعة. أما ابنه عَلِيٌّ فكان أحسنَ معرفةً باللغة العربية، ولكن تفكيره كان مُتَّجِهاً إلى الأمور الدينية وإلى الرصانة (في أحوال الحياة). وقد كان ثَمَّةَ قِلَّةٍ من أحياء ذلك العصر المجيد (عصر ملوك الطوائف) لا يزالون على قَيْدِ الحياة ثم أَسْتَطَاعُوا أَنْ يَجِدُوا مَلْجَأاً لهم في بلاطي شاطِبَةٍ وسَرَقِشْطَةٍ حيثُ كان الأمراءُ المرابطون من الشبان يُحاولون أن يُنافسوا أسلافهم (ملوك الطوائف) أو يَزِيدُوا عليهم (في تشجيع الشعر). ثم إن المَوْشَعَ والزَّجَلَ على الأخص، وقد كانا أقربَ إلى أفهام الناس - لِقُرْبِهِمَا من مُستواهم الفكري والخلقي - أصبحا زِيّاً شائعاً، وكان ابنُ قُزَمَانَ (في الزجل) سَيِّدَ الجماعة »^(٢).

أما الخلل جنثالث بالنشيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣) فقد كان أكثرَ تشاؤماً، إذ قال: كان « عصرُ سيادة المرابطين على الأندلس عصرَ تأخيرٍ وأنكماشٍ للثقافة الأندلسية، وكان يوسف بن تاشفين - أولُ أمراء هذه الدولة - لا يكاد يفقهُ العربية ».

وأحَبَّ إحسانُ عباسٍ (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٩٠) أن يلزِمَ جانب الشعراء، فقال: « حتى إذا حلَّ عصرُ المرابطين تراجعت منزلة الشاعر أكثرَ من ذي قبل، وأصبح التصريحُ بكساد الشعر أشدَّ وأوضح - ذلك أن الشاعر، حتى في أسمى ما غدا يستطيع بلوغه من مكانة، لم يبقَ في طَوْقه منافسةُ رَجُلِ السيف (وهو من المُلثمين) والفقير والكاتب (وهما في الغالب من الأندلسيين). ولعلَّ الأعمى التَّطِيلِيَّ قد عبَّرَ في بعضِ لَحَظَاتِ الإحساس (بالتعس) عن هذا المعنى

(١) عبد الرحمن (١٠١ ر ٠) نيكل مستشرق أصله من بوهيمية (إحدى مقاطعات تشيكوسلوفاكية) أميركي الجنسية (مولده عام ١٨٨٥ ووفاته نحو ١٩٦٠ م. هو صاحب النظرية العربية للشعر البروفنسا (الفرنسي القديم) وأكثر اختصاصه في أدب العرب في الأندلس (الزجل والموشعات على الأخص).

(2) A. . Nykl, Hispano-Arabic Poetry 219

بأجلى عبارة حين قال:

أيا رَحْمَتًا للشعر أَقَوْتُ رُبُوعه، على أنها للمَعْرُومات مناسك^(١)؛
وللشُعراء اليوم تُلَّتْ عُرُوشُهُم: فلا الفخر مُخْتَالٌ ولا العِز تامك^(٢).
ويا «قام زيد»، أغرضي أو تعارضي؛
فقد حال من دون المنى «قال مالك»^(٣).

وكان حسن أحد مخمود (قيام دولة المرابطين ص ٤٤٤) حسن التعليل لكساد الشعر لما قال: «لا نُنْكِرُ أن مجيء المرابطين إلى شبه الجزيرة (إلى الأندلس) قد صحبه كساد في سوق الشعر إلى حد كبير، فقد كان عهد يوسف (بن تاشفين) في الأندلس عهد جهاد وكفاح وحرب، وليس بعهد ترف ورفاهية وإقبال على المُلذَّات... صَوَّرَ ذلك كله صاحب «الذخيرة» أبلغ تصوير إذ قال (٢: ٦٦٩): فلما صمَّتْ ذِكْرُ ملوك الطوائف بالأندلس طوي الشعر على غره^(٤) وبريء من حلوه ومُره، إلا نفثة مضدور أو آتفاتة مذعور. وهو (يقصد: عبد المجيد بن عبدون) اليوم ببلدة بائرة يرتشف فضل ثياده^(٥)، ويأكل من بقية زاده «مِمَّا كان قد ناله في أيام ملوك الطوائف».

إن الشعر الذي كسدت سوقه كان شعر التكسب؛ وإن تلك العاصفة التي أثارها نفر من الشعراء والمُشايخين للشعراء على يوسف بن تاشفين خاصة كان سببها كثرة ما

(١) أقوت الدار: خلت (من سكانها). الربع (بالفتح): المكان المسكون. المنك (هنا): المكان الذي يقوم به الإنسان بمباداة مفروضة (كالطواف حول الكعبة).

(٢) نل فلان الدار (هدمها)؛ وتل الهرش (أبطله، أذهب سلطانه وأهله). التامك: السنام (كناية عن الملو).

(٣) «قام زيد» كناية عن الاشتغال بالنحو (واللغة والأدب). أعرض: صد، انصرف (ترك المجال لغيره). تعارض الأمران: (هنا)؟ استعَدَّ للمقاومة وللنزاع. «قام مالك» (صاحب المذهب المالكي) كناية عن سيادة الفقه.

(٤) طوي الشعر على غره (كناية عن رضا الشعراء بالحال السيئة التي وصلوا إليها). الفر: التني في الثوب، مكان الطي منه.

(٥) الثاد جمع ثَد (بفتح فسكون: الماء القليل).

كان ينالُه الشعراء من أمراء الطوائف ثم ضياع تلك المغام في أيام السلطان يوسف ابن تاشفين. ونحن نعلم، من تاريخ الحضارة، أن الدول في أيام قيامها قلما تحفل بالشعر وبسائر الفنون، إذ نراها مهتمة بالفكر وبالعلم - رأينا ذلك في دولة الخلفاء الراشدين وفي مطلع الدولة الأموية وفي مطلع الدولة العباسية أيضاً. ثم إذا نحن استعرضنا العلم والثقافة والشعر نفسه أيضاً في عصر المرابطين لم نجدُها أدنى مما كانت من قبل. وكان بعضها أحسن حالاً، إلا شعر التكبس. وكتاب «الذخيرة» (وهو من نتاج عصر المرابطين) أحسن الأدلة على كثرة الشعر وكثرة الشعراء في ذلك الحين.

ثم إن الشعراء قد مدحوا سلاطين المرابطين (بعد يوسف بن تاشفين) ومدحوا أمراء المرابطين على المدن الأندلسية كثيراً. إن الأعمى التطليبي (ت ٥٢٠ هـ) قد قصّر ديواناً برمته على السلطان الثاني من المرابطين - علي بن يوسف بن تاشفين - بعد الحملة التي قادها علي على الفونسو صاحب طليطلة (وكان الإسبان قد استردوا طليطلة منذ عام ٤٨٥ هـ = ١٠٨٥ م) واستنفاذ طليطلة (راجع بروكلمان ١ : ٣٢٠). وكذلك مدحهم ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) وأكثر.

وأما سائر الشعراء الكبار الذين امتلأ بهم عصر المرابطين في الأندلس فمنهم ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ) ثم بنو القبطرنة ثم عبد الجبار المعروف بالمثنوي الجزيري وابن الرقاق وابن عبدون وابن حمديس وابن خفاجة وابن شرف أبو الفضل جعفر بن محمد (ت ٥٣٤ هـ) وابن بقي (ت بعيد ٥٤٠ هـ).

ومع أن فنون الشعر الكبرى لا تختلف كثيراً بين عصر وعصر، فإن الأغراض (الموضوعات الجزئية) تتبدل. فمن الأغراض التي برزت في هذا العصر النقد الاجتماعي الذي نشأ من كره الأندلسيين للجنود الصنهاجيين (البربر من جيوش المرابطين) كما نرى عند أبي بكر الأبيض (ت ٥٤٤ هـ) وأبي بكر اليكبي (ت نحو ٥٦٠ هـ) وعند ابن خفاجة نفسه (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٤٣ وما بعد). ولا غربة في أن يكثر رثاء المدن التي كانت تتساقط في عهد ملوك الطوائف في يد الإسبان أو بعد مطلع عهد المرابطين، كما نرى عند

الأعمى التطيلي ثم عند ابن عبدون خاصة (ت ٥٢٩ هـ) ثم عند ابن خفاجة أيضاً. ومع هذا فقد وجد ابن خفاجة نفسه مندوحة من اطمئنان النفس فتَوَقَّرَ في أثنائها على وصف الجنائن.

وكان من المنتظر أن نجد - لَمَّا اضطربت أحوال هذا العصر - انجازهين متناقضين في الشعر: مدحاً للرسول وآله، كما نجد عند أبي عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن أبي الخصال المتوفى نحو ٥٤٠ للهجرة وعند أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم النُميري من أحياء النصف الأول من القرن السادس (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٩ وما بعد، ثم بروكلمن ١: ٥٤٥). وكذلك نجد عند ابن خفاجة، في مثل هذا الباب، ذكراً للجهاز وللأماكن المقدسة، تقليداً للشريف الرضي. أما الاتجاه الآخر فهو الميل نحو الهزل والخلاعة، كما نرى عند أبي الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي الرُسيّ المَرِيّ (من أهل المَرِيّة) والمتوفى في دِمَشق سنة ٥٤٩، وكان له « نهج الرضاة لأولي الخلاعة » - ويبدو أن شعره قد ضاع -، ولكننا نجد له في « نفح الطيب » أبياتاً في هذا المعنى، منها (٢: ١٣٤ - ١٣٥) في أحد معاصريه:

... وهو على خِيفَةٍ به أبداً معترفٌ أنه من الثُقلاء؛
يُمَتُّ بالثَّلَبِ والرقاعة والسُّ سُخْفٍ، وأما بغير ذاك فلا^(١).
إن أنتَ فاتَحْتَه لِتَخْبِرَ ما يصدرُ عنه فَتَحَتَ منه خلا^(٢).

وله أيضاً معارضةً لمقصورة ابن دريد منها:

وكلُّ ملمومٍ فلا بُدَّ له من فُرْقَةٍ لو أُلزقوه بالغيرا.

وفي « قلائد العقبان » للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) أشياء من الهزل والتجني والسَّخَفِ على الأعيان تدخل في هذا الباب ويمكن تأويلها بهذا السبب من اضطراب

(١) الثلب: الانتقاص من قدر الناس وذكر معايبهم (أو نسبة المايب أو الميوب إليهم).

(٢) إذا أنت فاتحته (خاطبت) لتخبر (تعرف) ما يصدر عنه (عمّا له من القيمة الذاتية التي تمكنه من الكلام المفيد) فتحت منه (كشفت منه) خلا = خلاه: قراغاً).

الأحوال وضياع المثل العليا في زمن تُصبح أسباب الحياة المادية مقياساً للمعاملة. فقد قال في الوزير أبي محمد بن عبد الغفور (ص ١٨٢) - نثراً:

« قد كنتُ نَوَيْتُ أَلَّا أُثْبِتَ لَهُ ذِكْرًا وَلَا أُعْمِلَ فِيهِ فِكْرًا^(١)، وَأَدَعَهُ مُطَرِّحًا وَأَقْطَعَهُ الْإِهْمَالَ مَسْرَحًا^(٢)، لِتَهْوِيَهُ وَكَثْرَةِ تَقَعُّرِهِ^(٣). فَإِنَّهُ بَادِي الْهَوَجِ وَاعِرُ الْمَنْهَجِ^(٤)، لَهُ الْفَاطُ مُتَعَدَّةٌ وَأَغْرَاضٌ غَيْرُ مُتَوَقَّدةٍ لَا يُفَكُّ مُعَمَّاها^(٥) وَلَا يُعْلَمُ مَرَمَّاها، مَعَ نَفْسٍ فَاسِدةٍ الْاِعْتِقَادِ^(٦) ثَابِتَةٍ عَلَى الْأَحْقَادِ »

ابن الملح

١ - هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن الملح أو ابن الملاح اللخمي، أصله من شلب، كانت له مدائح في المعتضد العبادي وابنه المعتمد. وكانت وفاة ابن الملح في رمضان من سنة ٥٠٠ (ربيع عام ١١٠٧ م)، وقد أسن كثيراً.

٢ - كان أبو بكر بن الملح في أول حياته مُشتغلاً بالفتوة والبطالة ثم أناب (تاب) في أواخر أيامه وزهد. وكان إلى جانب معرفته بالفقه شاعراً وخطيباً. ومن خصائص شعره أنه كان يُغْرِقُ أحياناً في الصناعة من تشايبه واستعارات خاصة. ومن أغراض شعره الفخر والمدح والعتاب والفرل والنسيب والوصف. وشعره مقاطعٌ ومطولاتٌ.

-
- (١) ألا أذكره في كتابي «قلائد العقبان» ولا أفكر في أمره.
 - (٢) أتركه ملقى جانباً، مرمياً، مهملاً. أقطع (أمنحه قطعة من الأرض) الإهمال (قلة المبالاة أو الاهتمام به) مسرّحاً (يفعل ما يشاء، يشرح كاليهايم).
 - (٣) التهور: السقوط في الأخطاء والمخاطر لقلة التفكير وللطيش. التفرع: التشقق (الكلام من أقصى الفم وتكلف الكلام الغريب مع قلة فائدة).
 - (٤) بادي (ظاهر) الهوج (بفتح ففتح): الحمق (بالضم) والطيش. واعر (صلب، صعب) المنهج (الطريقة، السلوك).
 - (٥) المعنى: الأحجية، اللغز.
 - (٦) المرمى: الغاية، المقصد. فاسد الاعتقاد (سوء العقيدة) لا يؤمن بالحق.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكر بن الملح في الغزل:

ظَنِّي بِمَوْجِ الْهَوَىٰ بِنَاطِرِهِ حَتَّىٰ إِذَا مَا رَنَا بِهِ انْبَعَثَا^(١).
مُبْتَدِعُ الْبُحْلِ، لَا كَفَاءَ لَهُ: يُمَدُّ شَكْوَى صَبَابَتِي رَفَثَا^(٢).
أُنْكِرَ سُقْمِي، وَمَا قَصَدْتُ لَهُ، وَلَا تَعَرَّضْتُ لِلْهَوَىٰ عَيْثَا^(٣).
أَقْسَمَ فِي الْحَبِّ أَنْ أَمُوتَ بِهِ، فَمَا قَضَىٰ بِرِّهْ وَمَا حَنَّنَا^(٤).

- وقال في النسيب:

لَا حَدَّ لِلْوَجْدِ إِلَّا أَنْتَ عَارِفُهُ^(٥)، كَأَنَّ قَلْبَكَ لِلْأَشْوَاقِ مِيزَانُ.
وَلَا صَبَابَةٌ إِلَّا أَنْتَ وَاسِعُهَا، كَأَنَّ صَدْرَكَ لِلْأَشْجَانِ مِيدَانُ^(٦).
سِرْنَا نُرَاقِبُ إِعْلَانَ الصَّبَاحِ بِهِ، كَأَنَّنَا فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ كِتْمَانُ^(٧).
- وقال يمدح المعتمد بن عبادٍ بقصيدة فيها مدحٌ ووصفٌ وفخرٌ، منها:

وَالرَّوْضُ يَبْعَثُ بِالنَّسِيمِ كَأَنَّمَا أَهْدَاهُ يَضْرِبُ لِأَصْطَبَاحِكَ مَوْعِدَا^(٨).
سَكَرَانُ مِنْ مَاءِ النِّعَمِ، وَكُلَّمَا غَنَّاهُ طَائِرُهُ وَأَطْرَبَ رَدْدَا.
يَأْوِي إِلَى زَهْرِ كَانَ عُيُونُهُ رُقْبَةً تَقْعُدُ لِلْأَحِبَّةِ مَرْصَدَا^(٩).
زَهْرٌ يَفُوحُ بِهِ اخْضِرَارُ نَبَاتِهِ كَالزَّهْرِ أَسْرَجَهَا الظَّلَامُ وَأَوْقَدَا^(١٠).

(١) رنا: نظر (إليّ). انبعث: ثار (الهوى فيّ).

(٢) الصبابة: الحب، الشوق. الرفث: الكلام الغبيح.

(٣) ما أحببته عيشتاً (لعباً ولهواً)، ولكن جداً (لأنه مستحق أن يكون محبوباً).

(٤) أقسم أن أموت بحبه. لم يف بوعده (لم يحقّ)، وما حنت: ما أخلف وعده (لأنني متّ من هجره).

(٥) الوجد: شدة الحب.

(٦) الصبابة: الشوق. الشجن (يفتح لفتح): الحزن.

(٧) كان الليل شديد الظلمة فلم يرنا أحد.

(٨) الاصطباح: ثوب الحمر صباحاً.

(٩) المرصد: الكمين.

(١٠) الزهر (بالضم): النجوم.

قد خَفَّ مَوْقِعُهُ لَدَيْهِ، وَرَبِّمَا
أَعْلَى مَحَلِّ الشَّعْرِ أَنَّ قِصَائِدِي
خَطْبَتُهُ تَرْكَبُ بَطْنَ كَفِّي مِنْبَرًا،
أُبْغِي لَدَيْكَ الْعَيْشَ أَخْضَرَ يَانِعًا
يَقْظَانُ تَحْسِبُنِي الْكَوَاكِبُ نَاطِرًا
وَإِذَا تَكَنَّفَنِي النَّهَارُ لَبِسْتُهُ
سَمَحَ النِّسِيمُ بِعِطْفِهِ فَتَأَوَّدَا^(١).
جَعَلْتِ مَدِيحَكَ بِالْمَعَانِي مَقْصِدًا.
وَدَعْتِكَ تَعْمُرُ ظَهْرَ كَفِّكَ مَسْجِدًا^(٢).
فَأَجُوبُ جُنْحَ اللَّيْلِ أَسْفَعَ أَسْوَدًا^(٣)،
فِيهَا أَرَاقِبُ لِلْغَزَالَةِ مَوْرَدًا^(٤).
وَهَجَا لَفُوحًا أَوْ سَرَابًا مُزِيدًا^(٥).

- وكان لأبي بكر بن الملح ابنان شاعران. وكان أحدهما أبو القاسم أحد قدي
اشتغل منذ مطلع شبابه بالزهد وكتب التصوف. فقال له أبوه: يا بُني، هذا الأمر
ينبغي أن يكون في أواخر العمر. أما الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء والظرفاء
وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الأدب. فلما عاشر نفراً من الظرفاء زينوا
له شرب الخمر، فتهتك في الخلعة ثم قرأ إلى إشبيلية وتزوج امرأة لا تليق به -
كانت تضرب الدف في الأعراس - فصار يضرب معها بالدف. فكتب إليه أبوه:

يَا سَخْنَةَ الْعَيْنِ يَا بُنْيَا لَيْتَكَ مَا كُنْتَ لِي بُنْيَا^(١).
أَبَكَيْتَ عَيْنِي، أَطْلَلْتَ حُزْنِي، أَمَتٌ ذُكْرِي وَكَانَ حَيًّا.
حَطَّطْتَ قَدْرِي وَكَانَ أَعْلَى - فِي كُلِّ حَالٍ - مِنْ الثَّرْيَا.
أَمَا كَفَّاكَ الزَّنا اِرْتِكَاباً وَشُرْبُ مَشْمُولَةِ الْحَمِيَا^(٢)،

-
- (١) العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الكتف). تأوّد: ماس، تقابل.
(٢) قصائدي (التي ألفها من ورقة أحلها في كفي) تخطب (تتكلم) في فضائلك (مدحك). وقصائدي (حينما
تذكر أنت فيها) تملأ ظهر كفك بالقبيل (?).
(٣) البائع: (الشمر) الناضج. الأسفع: الأسود.
(٤) الغزالة النمس: المورّد (المطلع). أنا سهران في نظم مديحك طول الليل (حتى ليظنّ الناس أنني أريد
أن أرى الشمس كيف تطلع).
(٥) تكنّفي: أحاط بي (وفي أثناء النهار) أسير إليك، سواء أكان اليوم وهجاً لفوحاً (حاراً يلفح الوجه)
أو سراباً مزيداً: ماء كثيراً بارداً (?).
(٦) سخنة العين: دامة العين (حزينة). يا بنيّا: يا ابني الصغير - ليتك لم تولد لي (لم تكن ابناً لي).
(٧) الحميا: الخمر.

حَتَّى ضَرَبْتَ الدُّفُوفَ جَهْرًا وَقُلْتَ لِلشَّرِّ: جِيءَ إِلَيَّ؟
فَالْيَوْمَ أَبْكِيكَ مِلَّةَ عَيْنِي، إِنْ كَانَ يُغْنِي الْبُكَاءُ شَيْئًا.

١-★★ القلائد ٢١٤ - ٢١٥؛ الذخيرة ٢: ٤٥٢ وما بعد؛ المغرب ١: ٣٨٣ - ٣٨٤؛
الخريدة (المغرب) ٢: ٤٦٦ - ٤٦٧؛ نفع الطيب ٤: ٧٠ - ٧١، ١٤٨ - ١٤٩،
٢٦٣؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٤٨٨ - ٤٩٠.

تميم بن المعز الصنهاجي

١ - هو أبو يحيى تميم بن المعز^(١) بن باديس بن النصور^(٢) بن زيري بن مناد
الصنهاجي ولد في المنصورة^(٣)، في ثالث عشر رجب من سنة ٤٢٢
(١٠٣١/٧/٦ م).

كانت عاصمة بني زيري القيروان. ففي صفر من سنة ٤٤٥ (ربيع ١٠٥٣ م) عهد
المعز إلى ابنه تميم بالولاية على مدينة المهديّة. ولما توفّي المعز^(١) ظفر تميم بالملك. وقد
كانت في أيامه أحداث كثيرة: لم تكد تخلو سنة من ثورة داخلية أو هجوم خارجي.
براً أو بحراً. وقد تغلب تميم على جميع القائمين بهذه الحركات. ولكن عهد تميم اضطرب
بثلاثة أحداث كبيرة: هجوم قبائل بني هلال وبني سليم على القيروان وما حوّلها، في
أيام أبيه المعز واستمرار آثار تلك الهجمة إلى أيامه. ثم احتلال الجنويين الإيطاليين

(١) والمعز اسم وليس في الأرجح لقباً (راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥). والنصور مثل ذلك.

(٢) المنصورة التي يقال لها صيرة من بلاد إفريقية (وفيات الأعيان ١: ٣٠٥)، وهي المنصورة (ويقال لها
المنصورة) بلد قرب القيروان (تاج العروس - الكويت - ١٤: ٢٢٢).

(٤) هنالك اختلاف يسير في تاريخ وفاة المعز. ذكر ابن الأثير (١٠: ١٥) وفاة المعز في أخبار سنة ٤٥٣.
وفي الحلة السراء (٢: ٢١) كانت وفاته ٤٥٤؛ وفي وفيات الأعيان (١: ٣٠٥ و ٢٣٤) أنها كانت في
رابع شعبان من سنة ٤٥٤ (١٠٦٣/٨/١٢ م). أمّا البيان المغرب فيجعل وفاة المعز سنة ٤٥٤ (١: ١)
٢٩٥ راجع السطرين الخامس والسادس). ولكن سنة وفاته ترد (في المكان نفسه، السطر الرابع من
أسفل) هكذا ٤٥٥. ولكن في هذا التاريخ غلطة مطبعية تظهر من مراجعة الجملة كلها: «مولده
سنة ٣٩٩، وولي الملك سنة ٤٠٧..... وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ثمان وخمسون سنة، فكانت مملكته
سبعاً وأربعين سنة» (فتكون وفاته عند ابن عذاري أيضاً سنة ٤٥٤ هـ).

لمدينتي المَهْدِيَّة وَزَوَيْلَةَ (سنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م)، ثم استيلاء النورمان على صِقْلِيَّة (سنة ٤٨٤ هـ). وكانت صِقْلِيَّة تابعةً، منذ القرن الثالث للهجرة، للدُول التي تقومُ في القيروان.

وكانت وفاةُ تميم بنِ المعرِّ في رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٠١ (أواخر الشتاء من عام ١١٠٨ م).

٢ - كان تميم بنُ المعرِّ شجاعاً حازماً حسنَ السيرة كريماً مُحِبّاً للعلماء . وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ من فُحول الشعراء من الملوك . وأكثرُ شعره الحماسة والغزلُ والخمر . وكان ناقداً يعترضُ الذين يمدحونه أو يناشدونه فينتقدُ ألفاظهم فلا يتخلص منه إلا الماهرُ منهم . غير أننا نجد في شعره ، على جماله وعذوبته ، مأخذَ لغويةً ونحويةً .

٣ - مختارات من شعره :

- قال تميم بنُ المعرِّ الصنهاجي في الحماسة :

- * فإمسا الملك في شرفٍ وعِزٍّ عليَّ التاجُ في أعلى السَّريِّرِ ،
وإمّا الموتُ بينَ طبِّا العوالي ، فليستُ بخالدٍ أبدَ الدهورِ^(١) .
- * وذو عَجَبٍ من طولِ صَبْرِي على الذي أُلَاقِي من الأرزاء ، وهو جَلِيلُ^(٢)
يقولُ : ألا تشكو؟ فقلتُ : متى شكا شِبا السيفِ عَضْبَ الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ^(٣)
- وإنَّ امرأً يشكو إلى غيرِ نافعٍ ويسخو بما في نفسه لَجْهولِ^(٤) .
عَدائي أنْ أشكو إلى الناسِ أنِّي عليلٌ ومَنْ أشكو إليه عليلُ^(٥) .

(١) الطبا جمع طبَّية (بضمّ ففتح) : حدّ السيف . والعوالي : صدور الرماح . وكان بإمكان الشاعر أن يقول : « طبّا المواضي » (فلا يختل الوزن ويصحّ المعنى) .

(٢) المعجب : الاستغراب : الرزء (بالضمّ) : المصيبة الكبيرة . الجليل : العظيم .

(٣) الشبابة (بالفتح) : حدّ السيف . المضب : القاطع ، الحاذق . من حقّ « صَقِيل » (هي نكرة) أن تكون منصوبة على الحال .

(٤) سخا : جاد . بما في نفسه (بأسراره وحقيقته أمره) .

(٥) عدائي : صرْفِي .

سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ قُلُوبٌ^(١)
- وَقَالَ يَصِفُ مُنَافِقًا:

رَأَيْتُكَ قَاعِدًا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَنْتَ الشَّهْمُ فِي « قَالُوا وَقُلْتُ »^(٢)
وَطَرَّارًا لَهُ لُطْفٌ وَحِذْقٌ وَالْفَاظُ يُنَمِّقُهَا وَسَنَتُ^(٣)
وَنَقْتُ إِلَيْهِ مِنْ حَسَبٍ وَيَتَّبِعُ، وَلَوْلَا ذَاكَ مِنْهُ لَمَّْا وَتَقْتُ^(٤)
وَقَدْ يَعِدُّ الْوَعْدَ وَلَيْسَ يُوفِي وَلَيْسَ بِقَائِلٍ يَوْمًا: « فَعَلْتُ »^(٥)
كَخَزْزِ الْمَاءِ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ يَرُوقُ وَمَالَهُ أَصْلٌ وَنَبْتُ^(٦)
- وَمِنْ شَعْرِهِ الْوُجْدَانِيُّ فِي الْخَمْرِ وَالْقَزَلِ:

★ مُدَامٌ يَطُوفُ بِكَأْسِ الْمُدَامِ قَلَمٌ أَذِرُ أَتِيهَا أَشْرَبُ^(٧) !
فَهَذَا الصَّدِيقُ، وَهَذَا الرَّحِيقُ، وَهَذَا الْهَلَالُ، وَذِي الْكُوكَبِ^(٨) .
وَهَذَا يَمْدُ بِالْحَاطِظِهِ، وَهَذَا بَأَلْبَابِنَا تَلَمَّبُ^(٩) .
وَمَا الْبَدْرُ وَالنَّجْمُ مِنْ ذَا وَذَاكَ وَلَكِنَّهُ مِثْلُ يُضْرَبُ^(١٠) !

-
- (١) الاحتساب: طلب الأجر من الله. قُلُوبٌ جَمْعُ قَلٍّ (بالفتح): الكسر في حَدِّ السيف.
(٢) الشَّهْم: الذِّكْي، السِّدِيدُ الرَّأْي، الصُّور.
(٣) الطَّرَّار: النَّثَالُ الَّذِي يَشَقُّ الْجُيُوبَ عَمَّا فِيهَا وَيَحْتَضِفُهُ. السَّنَت: الْهَيْئَةُ، الْوَقَار.
(٤) الْحَسَب: الْفِعْلُ الْحَمِيدُ (وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ النَّسَبَ: الْأُسْرَةَ الْمَشْهُورَةَ). الْبَيْتُ (الْبَيْتُ الْمَشْهُورُ بِالزَّعَامَةِ أَوْ الْغَنَى، الْخ).
(٥) وَفِي وَأَوْفَى بِعَهْدِهِ: بَرَّ بِهِ وَنَفَذَهُ.
(٦) حَزَّ الْمَاءِ: مَا يَطْلُو وَجْهَ الْمَاءِ مِنَ الطَّحْلِبِ (تَعْلِيقٌ مِنْ خَرِيدَةِ الْمَرْغَبِ ١: ١٤٤).
(٧) مُدَامُ الْأَوَّلَى اسْمُ غُلَامٍ. مُدَامُ الثَّانِيَةِ: خَر.
(٨) الرَّحِيقُ: الشَّرَابُ الْحَلُوقُ. فِي الْبَيْتِ تَشَابِيهِ بَلِيغَةٌ: مُدَامُ (الْغُلَامُ) صَدِيقٌ وَهَلَالٌ، وَمُدَامُ (الْخَمْرُ) رَحِيقٌ وَكُوكَبٌ.
(٩) يَمْدُ بِالْحَاطِظِ: يَجْعَلُنَا نَنْظُرُ إِلَى بَعِيدٍ (إِلَى مَا لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهِ - لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَشْتَهِيهِ). اللَّبُّ بِالضَّمِّ: الْعَقْلُ.
(١٠) الْبَدْرُ لَيْسَ مِثْلَ مُدَامِ (الْغُلَامِ)، وَالنَّجْمُ (الْكُوكَبُ) لَيْسَ خَرًّا، وَلَكِنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِتَشْبِيهِ بَعْضِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِبَعْضِ.

- ★ هُمْ عَرَّضُونِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَوَى
جُفُونِي جَنَّتْ قَتْلِي عَلَى صَبَابَةٍ؛
- ★ وَجَاهِلِيَةِ بِالْحُبِّ لَمْ تَذَرِ طَعْمَهُ،
أَقَامَتُ عَلَى قَلْبِي رَقِيبًا وَحَارِسًا
أَذَرْتُ الْهَوَى، حَتَّى إِذَا صَارَ كَالرَّحَا
- ★ أَلَمْتُ بِوَجْهِ كَبْذَرِ الدُّجَى
كَبْذَرِ السَّمِّ بَدَا طَالِمًا
- ★ وَإِذَا حَرَكْتُ الْمَثَانِي عَنِيدٌ
وَسَعَى بِالْكُؤُوسِ بَدْرٌ مُنِيرٌ
مَا أَبَالِي إِذَا شَرِبْتُ ثَلَاثًا
- وَهُمْ قَطَعُوا حَبْلِي وَهُمْ صَرَفُوا رُسْلِي^(١)
وَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا بِالْحَاطِظَةِ قَبْلِي!
وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْحُبِّ.
فَلَيْسَ لِذَاكَ مِنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي^(٢).
جَعَلْتُ لَهُ قَلْبِي بِمَنْزِلَةِ الْقُطْبِ^(٣).
تَقَنَّعَ بِالْمِغْجَرِ الْأَزْرَقِ^(٤)؛
تَحَفُّ بِه زُرْقَةُ الْمَشْرِقِ.
وَسَيَفُنَا زَمْرًا وَلَحْنًا شَجِيحًا^(٥)،
وَسَقَانَا الرَّحِيقَ صِرْفًا وَحِيًّا^(٦)،
أَيُّ قَاضٍ بِالْجَوْرِ يَقْضِي عَلَيْنَا^(٧)!

- وَمِنْ آيَاتِهِ لَهُ فِي دَلَائِلِ التَّقْوَى:

- ★ مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ
إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ سِرٌّ
- ★ فَكَّرْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَهَوْلِهَا،
وَأَنْفَذَ الْحُكْمَ وَالْقَضَاءُ،
يَحْكُمُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ.
يَا وَيْلَتَانَا، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ^(٨).

- (١) الصبابة: الشوق. صرفوا رسلهم (لم يقبلوا دعوتي).
(٢) داني: قريب (مقرب) - رقيبها وحارسها بمنعها من الدنو إلى قلبي (لا أستطيع أن أحب سواها).
(٣) الرحا والرحى: الطاحون من حجرين يدور أعلاهما على أسفلهما حول قطب (أسطوانة قصيرة) في نصف الرحا الأسفل. - جميع الحبيبات جملتهم من مذهبي.
(٤) المغجر ثوب أصفر من الرداء وأكبر من المقنعة تلقه المرأة على رأسها ثم تلبس فوقه جلبابها.
(٥) المثاني (هنا): الآلات الموسيقية. عنيد (٢). الشجي: الحزين (المؤثر في العاطفة).
(٦) الرحيق: الشراب الحلو (هنا) الخمر. صرفا: غير ممزوجة بماء. حيا: ألقى (علينا) السلام، (أشار إلينا بالكأس).
(٧) الجور: الظلم.
(٨) لات حين مناص: ليس (في يوم القيامة) مناص (مفر من الناس، لسوء أعمالي في الدنيا).

فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ خَيْرَ وَسَائِلِي، يَوْمَ الْمَعَادِ، شَهَادَةُ الْإِخْلَاصِ^(١).

★ فَلْتَنْ صَبَّوْتُ لَقَدْ صَبَا أَهْلُ النِّهْيِ، وَلَنْ هَقَوْتُ فَلَسْتُ بِالْمَعْصُومِ^(٢)!

٤- ديوان قيم بن المعز لدين الله الفاطمي، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ م.

٤-★★ البيان المغرب ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ الحلة السراء (مع ترجمة أبيه) ٢: ٢١ - ٢٦؛

ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٤ - ٣٠٦؛ الخريدة (المغرب)

١٤١: ١ - ١٦٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧١ - ٧٢ (٨٢).

عز الدولة الصَّاهِجِيّ

١- هو عز الدولة أبو مروان عبد الله^(٣) بن محمد المعتمد بن مَعْن بن صَاحِح .

في سنة ٤٨٣ هـ جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جَوَازَه الثالث وهو يُضْمِرُ الاستيلاء على الأندلس فبدأ بقرنطة. وكان المعتمد بن صَاحِحَ مَكرًا بعميد التفكير فأراد تَأَلَّفَ يوسف بن تاشفين لعلَّه يترك الاستيلاء على المَرِيَّةَ، فأرسلَ ابنه عز الدولة لِيُهَيِّئَ يوسف بن تاشفين بالفتح. ولم يَخَفَ على يوسف مَقْصِدَ المعتمد فاعتقل عز الدولة وسجنه مُقَيَّدًا. ولكن المعتمد آخِثَالٌ في إنقاذ عز الدولة ونَقَلَه من طريق ثَغْرِ مَالِقَةَ إلى المَرِيَّةَ. حينئذٍ أَسْرَعَ يوسف بن تاشفين فأرسل جيشًا آخِثَلِ المَرِيَّةَ (٤٨٤ هـ).

وانتقل عز الدولة وشيكا إلى شَالِي إِفْرِيْقِيَّةَ ولجأ إلى أُمَيدِ المُرَابِطِينَ في بجاية لصلية كانت له به من قبل ولازمه آمناً عنده يُنادمه، وقد صَرَفَ أَهْمَامَهُ عن الكفاح واكتفى بِشُرْبِ الخَمْرِ ومُعَاشَرَةِ الملاح.

وفي سنة ٤٨٤ هـ، أو في السنة التي تليها، أرسل الشاعر ابن اللَّبَّانَةِ إلى عز

(١) المعاد: يوم القيامة. شهادة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله.

(٢) صبا: مال (إلى اللهو والغزل). النهي: العقل. هنا: أخطأ، أذنب.

(٣) في المغرب (٢: ٢٠١): هو الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله. وفي الحلة السراء (٢: ٨٨): هو عز

الدولة أبو مروان عبيد الله (عبيد بالتصغير). وفي نفح الطيب (٧: ٤٠): هو عز الدولة أبو مروان

عبد الله.

الدولة بَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ يَنَالُ مِنْ عَطَايَا بَنِي صُهَادِحَ مِنْ قَبْلُ، فَأَرْسَلَ عَزَّ الدَّوْلَةَ إِلَيْهِ مَبْلَغًا يَسِيرًا قَطْعًا لِّلْسَانِهِ.

وَلَمَّا سَارَ يَخْيِي بَنُ أَبِي بَكْرٍ، سَنَةَ ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ م)، لَفَتْحَ طَلَيْطَلَةَ كَانَ عَزَّ الدَّوْلَةَ مَعَهُ. وَلَعَلَّ عَزَّ الدَّوْلَةَ لَمْ يَعْشَ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا.

٢- قَالَ الشُّقْنَدِيُّ: إِنَّ عَزَّ الدَّوْلَةَ أَشْعَرُ مِنْ أَبِيهِ (نَفْح ٣: ٣٦٩). وَمُعْظَمُ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِ عَزَّ الدَّوْلَةِ الشُّكُوى وَالْعِتَابُ وَالنَّسِيبُ. كَانَ نَسِيبُهُ يَحْمِلُ خَصَائِصَ مُوَلَّدَةٍ، أَمَّا عِتَابُهُ فَجَزَلُ الْأَلْفَاظِ عَلَى عُمُودِ الشَّعْرِ. وَيَشْكُو عَزَّ الدَّوْلَةَ مِنْ أَنَّهُ، فِي أَعْتِقَالِهِ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ تَمَّ فِي اعْتِزَالِهِ بَعْدَ سُقُوطِ دَوْلِ الطَّوَانِفِ، لَا يُحَارِبُ وَلَا يِقَاتِلُ، مَعَ أَنَّهُ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ أَبِيهِ كَانَ مُنْصَرِفًا إِلَى اللَّهْوِ وَحْدَهُ، وَقَدْ زَادَ انْهَاكُهُ فِي الْمَلَاذِّ بَعْدَ ذَلِكَ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شَعْرِهِ:

- لَمَّا اغْتَقِلَ عَزَّ الدَّوْلَةَ الصُّادِحِيُّ فِي غَرْنَاطَةَ وَتَقَفَ (قَيْدًا) كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ: أَبْعَدَ السَّنَا وَالْمَعَالِي خُمُولُ؟ وَبَعْدَ رُكُوبِ الْمَذَاكِي كُبُولُ^(١)؟ وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ حُرًّا عَزِيزًا أَنَا الْيَوْمَ عَبْدٌ أَسِيرٌ ذَلِيلٌ؟ حَلَلْتُ رَسُولًا بِغَرْنَاطَةِ فَحَلَّ بِهَا بِي خَطْبٌ جَلِيلٌ^(٢). وَتَقَفْتُ إِذْ جِئْتُهَا مُرْسَلًا، وَقَدْ كَانَ يُكْرِمُ قَبْلِي الرَّسُولُ^(٣). فَقَدْتُ الْمَرْيَةَ - أَكْرَمَ بِهَا! - فَمَا لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا سَبِيلُ^(٤).

- قَادَ الْأَمِيرُ بِحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ غَزْوَةً إِلَى طَلَيْطَلَةَ، وَكَانَ مَعَهُ عَزَّ الدَّوْلَةَ، فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَيْهَا وَنَصَّبَ الْحِيَامَ فِي سَاحَتِهَا اتَّفَقَ أَنْ سَقَطَ لَوَاةٌ مِنْ يَدِ حَامِلِهِ.

(١) السَّنَا: الضَّوْءُ، ضَوْءُ الْقَمَرِ (الشَّهْرَةِ). الْمَذَاكِي: الْخَيْلُ (الْقَامُوسُ ٤: ٣٣٠) لَا مَفْرَدَ لَهَا. الْكُبُولُ جَمْعُ كِبَلٍ (بِالْفَتْحِ): قَيْدٌ.

(٢) خَطْبٌ: مَصِيْبَةٌ. جَلِيلٌ: عَظِيمٌ.

(٣) تَقَفَ الرَّجُلُ: وَضَعَ فِي رِجْلَيْهِ أَوْ يَدَيْهِ الثَّقَافَ (الْقَبُودَ).

(٤) الْمَرْيَةُ: مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٍ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ.

فانكسر عودُهُ. فتشاءم قومٌ من ذلك فقال عزُّ الدولة:

لَمْ يَنْكَسِرْ عُوْدُ اللّوَاءِ لِطَيْبِرَةِ يُغْشَى عَلَيْكَ بِهَا، وَإِنْ تَتَأَوَّلَا
لَكِنْ تَحَقَّقْ أَنَّهُ يَنْدَقُّ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ، لَدَى الْوَعْيِ، فَتَمَجَّلا.

- لَمَّا لَجَأَ عِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى صَدِيقِهِ الْمُرَابِطِيِّ فِي بَحَايَةِ (الجزائر اليوم) تَذَكَّرَ عِزُّهُ
الْقَدِيمَ فَقَالَ يَشْكُو:

لَكَ الْحَمْدُ؛ بَعْدَ الْمُلْكِ أَصْبَحُ خَامِلًا بَارِضٌ اغْتِرَابٍ لَا أَمِيرٌ وَلَا أَهْلِي^(١)
وَقَدْ أَصْدَأْتُ فِيهِ الْهُوَادَةَ مُنْصَلِي، كَمَا نَسَيْتُ رُكْضَ الْجِيَادِ بِهَا رَجُلِي^(٢)
وَلَا مِسْمِي بُضْفِي لِنَقْمَةِ شَاعِرٍ، وَكَفَيْ لَا تَمْتَدُّ يَوْمًا إِلَى بَذَلٍ؛
طَرِيدًا شَرِيدًا لَا أَوْمَلُ رَجْعَةً إِلَى مَوْطِنٍ بُوْعِدْتُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِي.
وَقَدْ كُنْتُ مَتَبُوعًا فَأَصْبَحْتُ تَابِعًا لَدَى مَعْشَرٍ لَيْسُوا بِجِنْسِي وَلَا شَكْلِي؛
وَقَوْلِي مَسْمُوعٌ وَفِعْلِي مُحْكَمٌ، وَهَا أَنَا لَا قَوْلِي يَجُوزُ وَلَا فِعْلِي.
وَقَدْ كُنْتُ غِرًّا بِالزَّمَانِ وَصَرَفِهِ، فَقَدْ بَانَ قَدْرُ الْعِزِّ عِنْدِي وَالذَّلُّ^(٣)

- وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

إِنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ كَمَدٍ فَإِنِّي قَدْ جَمَعْتُ الْهَمَّ وَالْكَمَدَ^(٤)؛
لَمْ أَبْقِ مِنْهُ لِفَعْرِي مَا يُحَاذِرُهُ، فَلَيْسَ يَقْصِدُ دُونِي فِي الْوَرَى أَحَدًا^(٥)

- وَمِنْ شِعْرِهِ فِي النَّسِيبِ:

أَهْوَى قَضِيصَ بُجَيْنٍ قَدْ أُطْلِعَ الْبَدْرُ فِيهِ^(٦).
إِنْ كَانَ مَوْئِي بِلُحْظٍ مِنْهُ قَعْنِي يَلِيهِ.

(١) لَا أَمْرٌ وَلَا أَهْلِي (لَا أَضُرُّ وَلَا أَنْفَعُ).

(٢) الْهُوَادَةُ (السُّكُونُ: الْبَقَاءُ بِلَا عَمَلٍ) أَصْدَأْتُ مُنْصَلِي (سَيْفِي): جَعَلْتُ الصَّدَا يَطْلُوهُ.

(٣) غَرًّا: قَلِيلُ الْإِخْتِيَارِ، جَاهِلٌ. صَرَفَ الزَّمَانُ: ثَقَلَبَهُ (مَعَاثِيهِ). بَانَ: ظَهَرَ.

(٤) الْكَمَدُ: الْحُزْنُ وَالْغَمُّ.

(٥) الْوَرَى: النَّاسُ، الْبَشَرُ كُلُّهُمْ. - اجْتَمَعَ الْكَمَدُ كُلُّهُ عَلَيَّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَخَافُ أَنْ يَجْلِيَ بِهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

(٦) بُجَيْنٌ: فَضَةٌ. قَضِيصٌ بُجَيْنٌ: كِتَابَةٌ عَنِ الْقَامَةِ الرَّشِيقَةِ الْجَمِيلَةِ. الْبَدْرُ (كِتَابَةٌ عَنِ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ).

يا رب، كم أتمنى
ولا أرى منه شيئاً
طوبى لدارِ حوثه
بل ألف طوبى لعبد
لقياء، كم أشتهيه!
سوى جفك ونيه^(١).
وأنته وأبيه،
في موضع يلتقيه.

★★-٤ المغرب ٢: ٢٠١ - ٢: ٢٠٢، الحلة السراء ٢: ٨٩ - ١٩٢ نفح الطيب ٧: ٤٠ -
١٤٣ نيكل ١٨٤ - ١٨٥.

ابن اللبّانة

١- هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الدائي، وُلِدَ في مدينة دانيّة ونُسِبَ إلى أمّه التي كانت، فيما يبدو، تبيعُ اللبن، ولا نَعْرِفُ شيئاً عن أبيه عيسى. وكذلك لا نَعْرِفُ شيئاً عن حياته الأولى.

بدأ ابنُ اللبّانة حياته العامّة بالدَّورانِ على بلاطاتِ ملوكِ الطوائفِ للتكسّب بشعره. اختار أن يذهب إلى المريّة ليمدح أبا يحيى محمد بن معن المعروف باسم المعتصم بن صّادح (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ)، سنة ٤٦٠ هـ أو قبل ذلك بقليل. ويبدو أنه لم يستطع في أول الأمر أن يتّصل به، ثم اتّصل به ومدحه. ولكن هذا الاتصال لم يطل لأنّ شاعراً آخر اسمه أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي - كان قد نال حظوةً عند المعتصم بن صّادح وأصبح وزيراً له - سرعاناً ما أقصد ما بين المعتصم بن صّادح ابن اللبّانة. فغادر ابن اللبّانة المريّة وذهب إلى بطلينوس ليمدح أميرها المتوكل على الله أبا حفص عمر. ولكن المتوكل على الله كان، فيما يبدو، قليل الاحتفال بالشعر في ذلك الحين لأنّه كان يحكم بطلينوس بالاشتراك مع أخيه المنصور يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ). وفي سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) توفي يحيى وانفرد المتوكل بالحكم.

وبارح ابنُ اللبّانة بطلينوس إلى قرطبة. وأغلب الظن أنه جاء إلى قرطبة سنة

(١) الجفاء: البعد. التكبّر.

٤٦٩ هـ لِيَهْتَمَّ المعتمد بن عبادَ بفتح قرطبة للمرة الثانية. ثم انتقل إلى بلاط المعتمد في إشبيلية ونال فيه حُظوةً أنستهُ مرارة الأيامِ الحالية.

وفي سنة ٤٨٤ هـ استولى المرابطون على إشبيلية وحلوا المعتمد بن عبادَ أسيراً وحبسوه في سجن أغثات (قرب مراكش)، فظلَّ ابنُ اللبَّانةِ وقيّاً للمعتمد يزوره بين الفينة والفينة ويمدِّحه. ولم يَملِ ابنُ اللبَّانةِ إلى المرابطين، بل كان منحرفاً عنهم كمُعْظَم الشعراء في ذلك الحين، لأن يوسف بن تاشفين كان يبني دولةً ومُلْكَاً ولم يَكُنْ يُلْقِي بالآ إلى المدائح والأهاجي.

ثم أنَّ ابنَ اللبَّانةِ جاء إلى جزيرة ميورقة في آخرِ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٤٨٥ هـ، قبل وفاة المعتمد بن عباد، لِيَمْدَحَ، فيما يبدو، أميرها ناصر الدولة مبشَّر بن سُلَيْمَانَ الذي كان قد جاء إلى حكم الجزيرة في تلك السنة نفسها. وبعد وفاة المعتمد في أغثات (٤٨٨ هـ) عاد ابن اللبَّانة إلى ميورقة ومدح ناصر الدولة بقصائدٍ كثيرة. غير أن ناصر الدولة غَضِبَ من ابن اللبَّانة، فغادر ابنُ اللبَّانة جزيرة ميورقة وانتقل إلى بجاية (في المغرب الأوسط) لاجئاً إلى بني حَمُود، في أواخر أيام النصور (بجاية ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ) أو في أيام ابنه باديس (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ).

وذهب ابن اللبَّانة إلى تِلْمَسَانَ ثم عادَ ثالثةً إلى ميورقة وتوفي فيها سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) قبل وفاة أميرها مبشَّر بنحو سَنَةٍ واحدة.

٢- كان أبو بكر بن اللبَّانة أديباً كاتباً شاعراً مكثرأ ومُجيداً في الشعر وفي النثر. وله قصيدٌ وموشحٌ وقصائدٌ طوالٌ ومُقطَّعاتٌ. وهو مُتَصَرِّفٌ في المعاني قليلُ التكلُّفِ قد جَمَعَ بين سهولة التركيب ورشاقة التعبير، يعتمدُ في ذلك جُودَةَ طبعه وقوَّةَ قريحته، ولا يَغرِفُ عِلَلُ الشِّعرِ وعُلُومَه. وله مديح كثير أحسنه في بني عباد. ومن فنونه أيضاً الشكوى والعتابُ والثناء والهجاء والغزلان المذكر والمؤنث، وله أيضاً وَصْفٌ للطبيعة. ثم هو مؤلِّف، له: كتاب مناقل الفتن - نَظْمُ السلوك في وعظ الملوك - سَقِيطُ الدُرِّ ولَقِيطُ الزَّهرِ (في شعر بني عباد).

- قال أبو بكر بن اللبّانة يَصِفُ جزيرةَ مَبُورَقَةَ (المغرب ٢ : ٤٦٦):
 بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا، وَكَسَاهُ حَلَّةٌ رِيْشَهُ الطَّائِفُوسُ^(١).
 وَكَأَنَّا نِلْكَ الْمِيَاهُ مُدَامَةً، وَكَأَنَّ قِيْعَانَ الدِّيَارِ كُؤُوسُ^(٢)!
 - وقال يهجو رجلاً اسمه ابنُ السَّيِّدِ:

يَرُوقُكَ فِي أَهْلِ الْجَمَالِ ابْنُ سَيِّدٍ كَتَرَجَمَةٍ رَاقَتْ وَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى^(٣).
 حَكَى شَجَرَ الدِّفْلَاءِ حُسْنًا وَمَنْظَرًا؛ فَمَا أَحْسَنَ الْمَجْلَى وَمَا أَقْبَحَ الْمَجْنَى^(٤)!
 - وقال يَمْدَحُ^(٥):

بَكَتْ عِنْدَ تَوْدِيْعِي، فَمَا عَلِمَ الرَّكْبُ أَذَاكَ سَقِيطُ الطَّلِّ أَمْ لَوْلُو رَطْبُ^(٦)!
 وَتَابَعَهَا سِرْبٌ؛ وَإِنِّي لَمَخْطِيءٌ، نُجُومُ الدِّيَاجِي لَا يُقَالُ لَهَا: سِرْبُ^(٧)!
 لَثِنَ وَقَفَّتْ شَمْسُ النَّهَارِ لِيُوشِعَ، لَقَدْ وَقَفَّتْ شَمْسُ الْمَهْوَى لِي وَالشُّهْبُ^(٨).

(١) طوق الحمامة: الريش الملون حول عنق الحمامة (ويكون عادة كثير الألوان). الحلة: الثوب من الحرير. - كناية عن أن أرض جزيرة مَبُورَقَة كثيرة المروج كثيرة الأزهار.

(٢) المدامة: الخمر. القيعان جمع قاع: بقعة منخفضة تتجمع فيها المياه.

(٣) يروقك: يمجيك، يرك. الترجمة: فاتحة الكتاب (مقدمته).

(٤) الدفلى والدفلاء: شجيرة لها زهر حسن ولكن لا رائحة له ولا ثمر لها. المجلى: المظهر، المنظر. المجنى: قطع (الزهر) أو قطعه قبيح إذا لا رائحة له.

(٥) في فوات الوفيات (٢ : ٣٢٥) أن هذه الأبيات من قصيدة في مديح المتمدن بن عباد، وفي فلتاند العتيان (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) بيت فيه ذكر مَبُورِق (مَبُورَقَة؟) ثم ذكر ناصر الدولة (بن سليمان صاحب مَبُورَقَة من سنة ٤٨٥ - ٥٠٨ هـ). وفي المغرب (٢ : ٤١٠) قصيدة من هذا البحر وعلى هذا الروي في المتوكل بن الأفطس.

(٦) الركب: الجماعة يركبون الجبل أو الإبل ويسهرون معاً. سقيط الطل: قطرات الندى التي تتكون ليلاً على أوراق الشجر. الرطب (صفة للؤلؤ): الذي له بريق (٢). - لما بكت الهبوبة وتساقت دموعها على خديها طنّ الذين يرافقوني أن دموعها ندى أو لؤلؤ.

(٧) وتابعتها سرب: يكي معها لبتائها سرب (السرب في الأصل القطيع من بقر الوحش = الغزلان، الظباء). نجوم الدياجي (جمع دجى: الليل المظلم) = كناية عن النساء الحسنات.

(٨) إذا كانت الشمس قد توقفت فوق الأفق ليوشع ولم تنب حتى استمر يوشع في غوض المعركة، فإن =

عَقِيلَةُ بَيْتِ المَجْدِ؛ لَمْ تَرَهَا الدُّجَى، وَلَا لَمَحَتْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ لَهَا يَرْبُ (١)
وَبَحْرٍ - سَيَوى مَجْرَ الهَوَى - قَدَرَكَيْتُهُ
وَلَمَّا رَأَتْ عَيْنِي جَنَابَ مَيُورَقِي
نَزَلْتُ بِكَافُورٍ وَتَبَرٍ وَجَوْهَرٍ
وَقُلْتُ: المَكَانُ الرَّحْبُ فِيهِ؛ فِقِيلَ لِي:
حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ عَفْوَاً، وَلَوْ سَمَى
وَيَرْتَا حُ عِنْدَ الجُودِ حَتَّى كَانَهُ
سَأَلْتُ أَخَاهُ البَحْرَ عَنْهُ فَقَالَ لِي:
وَلَا لَمَحَتْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ لَهَا يَرْبُ (٢)
أَمْرٌ؛ كِلَا البَحْرَيْنِ مَرَكِبُهُ صَفْبُ (٣)
أُمِنْتُ وَحَسَبُ المَرَّةِ بُغْيَتُهُ حَسْبُ (٤)
يُقَالُ لَهُ الحَصْبَةُ وَالرَّمْلُ وَالتُّرْبُ (٥)
ذُرَى نَاصِرِ العَلِيلِ أَجْمَعُهُ رَحْبُ (٦)
لَهَا البَرْقُ خَطْفاً جَاءَ مِنْ دُونِهَا يَكْبُو (٧)
- وَحَاشَاهُ - نَشَوَانٌ يَلْذُلُهُ الشَّرْبُ (٨)
شَقِيقَتِي إِلَّا أَنَّهُ البَارِدُ العَذْبُ!

- وَمِنْ مَوْشَعَاتِ أَبِي بَكْرِ بْنِ اللَّبَّانَةِ هَذِهِ المَوْشَعَةُ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا بَادِيسَ بْنَ
الْمَنْصُورِ (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ) مِنْ بَنِي حَمَّادٍ أَصْحَابِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَّادٍ وَبِجَايَةِ وَغَيْرِهَا فِي
المَغْرِبِ الأَوْسَطِ:

فِي نَرْجَسِ الأَخْدَاقِ وَسُوسِ الأَجْيَادِ نَبْتُ الهَوَى مَفْرُوسٌ بَيْنَ القَنَا المَيَادِ (٨)

★ ★ ★

= اللَوَاقِي وَقَفْنَ لودَاعِي شَمْسِ الهَوَى (المُحِبَّةِ) وَالنَّهْبِ (الْفَتَيَاتِ المَجْمِيلَاتِ المَرَافِقَاتِ لَهَا). يَقْصَدُ أَنَّ
الشَّمْسَ وَحَدَهَا وَقَفَتْ لِيُوشِعَ. أَمَّا هُوَ فَوَقَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَالنَّجُومُ.

(١) العَقِيلَةُ: الكَرِيمَةُ المَخْذَرَةُ، المَصُونَةُ. الدُّجَى: اللَّيْلُ، ظِلَامُ اللَّيْلِ. التَّرْبُ: المَائِثَلُ لغيرِهِ فِي العَمْرِ. - هِيَ
مَكْرَمَةٌ مَصُونَةٌ لَا تَتَبَدَّلُ فِي الأَعْمَالِ لَا نَهَاراً وَلَا لَيْلاً.

(٢) بَحْرٌ: هُوَ البَحْرُ الَّذِي تَجْرِي فِيهِ السَّفِينُ. لِأَمْرٍ: لِبَلُوغِ أَمْرٍ عَظِيمٍ. كِلَا البَحْرَيْنِ: البَحْرُ وَالهَوَى (المُحِبَّةُ).

(٣) الجَنَابُ: الجَانِبُ. حَسَبُ المَرَّةِ بُغْيَتُهُ: يَكْفِي الإِنْسَانَ أَنْ يَنَالُ بُغْيَتَهُ (مَا يَبْغِي، مَا يَطْلُبُ).

(٤) نَزَلَتْ فِي جَزِيرَةٍ حِجَارَتِهَا وَرَمْلُهَا وَتَرَابُهَا تُشَبِّهُ الكَافُورَ وَالدَّهَبَ وَاللُّؤْلُؤَ.

(٥) الرَّحْبُ: الوَاسِعُ، المَتَّعُ لِلصُّيُوفِ. الذَّرَى: المَكَانُ المَرْتَفِعُ كَالدَّرَوَةِ.

(٦) حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ: سَبَقَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ، عَفْوَاً: عَلَى مَهَلٍ وَمِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ لِدَافِعِهِ. وَمِنْ غَيْرِ أَنْ
يَجْهَدَ (يَتَعَبُ). وَلَوْ أَنَّ البَرْقَ أَسْرَعَ لِفَعَلِ فَعَلَ (الْمَدْدُوحُ) لَجَاءَ البَرْقُ وَرَاءَهُ تَعْباً أَيْضاً. يَكْبُو: يَسْقُطُ
عَلَى وَجْهِهِ.

(٧) يَرْتَا حُ: يَطْرِبُ، يَسُرُّ.

(٨) نَرْجَسُ الأَخْدَاقِ: العَيُونُ الَّتِي تُشَبِّهُ النَّرْجِسَ. سُوسُ الأَجْيَادِ: الأَعْنَاقُ الَّتِي تُشَبِّهُ السُّوسَ (الزَّنَقَ)
بِبَيَاضِهَا. القَنَا: الرَّمَاحُ. المَيَادِ: الَّذِي يَهْتَزُّ (كُنَايَةٌ عَنِ قَامَاتِ النِّسَاءِ الحَسَنَاتِ).

وفي نَقَا الكافورِ والمَسْدَلِ الرُّطْبِ
 والهَوْدَجِ المَزْرُورِ بالوْشِي والعَصْبِ
 نَادَى بها المَهْجُورِ مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ:
 قُضِبَ مِنَ البَلُورِ حُسَيْنَ بالقُضْبِ.
 أَذَابَتِ الأشْوَاقُ رُوحِي عَلَى أَجَادِ أَعَارَهَا الطَاوُوسُ
 مِنْ رِيشِهِ أُبْرَادُ^(١)

★ ★ ★

كَوَاكِبُ أَتْرَابٍ تَشَابَهَتْ قَسَدًا
 عَضَّتْ عَلَى العُنَابِ بِالْبَرْدِ الأَنْدَى،
 أَوْصَتْ بِي الأَوْصَابِ وَأَغْرَتِ الوُجْدَا.
 وَأَكْثَرُ الأَحْبَابِ أُغْدَى مِنَ الأَعْدَا.
 تَفْتَرُّ عَنْ أَغْلَاقٍ لَأَلْسِي أَفْرَادَ فِيهِ اللَّسَى مَخْرُوسُ
 بِأَلْسِنِ الأَعْيَادِ^(٢).

★ ★ ★

خَرَجْتُ مُحْتَالًا أَنْبِي سَنَا البَرَقِ
 أَقْطَعُ أَمِيالًا غَرْبًا إِلَى شَرْقِ،

(١) النقا: الرمل الأبيض. نقا الكافور: أبيض كلون الكافور. والمسدل (أجود أنواع العود = نبت طيب الرائحة) الرطب (المجديد الذي تنوح منه رائحة قوية). الهودج: شبه غرفة تحمل على الجمل وتركب فيها النساء. المزور: المربوط، المعلق، المستور. الوشي: نسيج فيه نقوش. العصب: نوع من الثياب الحريرية. قضب من البلور: نساء بيض (جيلات) طويلات القامة حنين: حاهن، قام حولهن سور من الرجال الشجمان القضب: السيوف. الأشواق (فاعل)، روعي (مفعول به). الأبراد جمع بُرد: ثوب من حرير.

(٢) كواكب أتراب: فتيات جيلات مثانات في الأعمار. القد: القامة. عضت على العناب بالبرد الأندى: لمن شفاء شديدة الحمرة وأستان شديدة البياض. أوصت:.... سببت (تلك الشفاء والأستان) لي الآلام وجعلتني شديد الحب لها (لصاحباتها). تفتتر (تنتفح، تنكشف) عن أغلاق (جمع علق بكسر العين: الشيء النفيس) لألى أفراد (مثل اللآلي الفريدة، الكبيرة، الثمينة: الأستان) اللسى: السمرة في الشفاء (الشفاء). الغمد: قراب (بيت) السيف. ألسن الأعهاد: رموش المعيون.

مَوْئَلًا حَالًا تَكُونُ مِنْ وَفْقِي.

فَقَالَ مَنْ قَالَا وَفَاءَ بِالصِّدْقِ:

دَعِ قَطْعَكَ الْآفَاقُ، يَا أَيُّهَا الْمُرْتَادُ وَاقْصِدْ إِلَى بَادِيَسَ خَيْرِي بِحِمَاذٍ^(١).

- وقال أبو بكر بن اللَّبَّانَةِ، لما استولى المرابطون على إشبيلية وخلصوا المعتمد بن عباد وحملوه مع أهلِهِ الباقيين على قَيْدِ الْحَيَاةِ أُسْرَى إِلَى الْمَغْرِبِ:

تَبْكِي السَّمَاءُ بُمَزْنٍ رَائِحٍ غَادِي	عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أُنْبَاءِ عِبَادٍ ^(٢) ،
عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي هَدَّتْ قَوَاعِدُهَا،	وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادٍ ^(٣)
وَكَمْبَةٍ كَانَتْ الْأَمَالُ تَخْدِمُهَا،	فَالْيَوْمَ لَا عَاكِفٌ فِيهَا وَلَا بَادٍ ^(٤) .
يَا ضَيْفُ، أَقْفَرَ بَيْتُ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ	فِي ضَمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ.
وَيَا مَوْئِلَ وَاذِيهِمْ لَيْسَكُنْهُ،	خَفَّ الْقَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي ^(٥) .
وَأَنْتِ يَا فَارِسَ الْخَيْلِ الَّتِي جَعَلْتَ	تَحْتَالِ فِي عُدَدٍ مِنْهُمْ وَأَعْدَادٍ ^(٦) ،
أَلْقِ السِّلَاحَ وَخَلِّ الْمَشْرِقِيَّ فَقَدْ	أَصْبَحَتْ فِي لَهَوَاتِ الضَّيْنِمِ الْعَادِي ^(٧) .
لَمَّا دَنَا الْوَقْتُ لَمْ تُخْلِفْ بِهِ عِدَّةً؛	وَكُلَّ شَيْءٍ لِمَيْقَاتٍ وَمِيعَادٍ ^(٨) .
كَمْ مِنْ دَرَارِيٍّ سَعِدَ قَدَحُوتُ، وَوَهَتْ	هَنَّاكَ مِنْ دُرَرٍ لِلْمَجْدِ أَفْرَادٍ ^(٩) .

(١) خرجت محتالا (لنكس الرزق) أبني (أطلب) سنا البرق (لعمان البرق: الخير). من وفقي: توافقي،

تنطبق على ما أريد. المرتاد: الذي يذهب أمام القوم ليكشف لهم مكاناً فيه مرعى وماء.

(٢) المزن (المطر) رائع (في المساء) غاد (في الصباح). البهلول: السيد الجامع لصفات الخير.

(٣) ذات أوتاد (ثابتة، راسخة).

(٤) الماكف: المقيم (في البلد)، المتوطن. البادي: الطاريء على البلد (الزائر) راجع القرآن الكريم ٢٢:

٢٥، سورة الحج.

(٥) القطين: الساكن خف: رحل.

(٦) العدة: الآلات، الأدوات. الأعداد (العدد)، الكثرة من الناس.

(٧) المشرقي: السيف. اللهوات (جمع اللهاة): اللحمة المشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم. الضينم:

الأسد. العادي: الهاجم، الجريه الوثاب.

(٨) لم تخلف (أنت) عدة (وعدا) - صبرت على ما جاء به القدر.

(٩) الدراري: النجوم. - نجوم السعد غابت (فانتشر الشؤم في العالم). - وهي: ضعف وانقطع (سلك المقد).

الدرر: حبات اللؤلؤ. أفراد (يقصد فراد أو فرائد جمع فريدة: اللؤلؤة الكبيرة النادرة الثمينة).

إِنْ يُخَلِّمُوا فَبَنُو الْعِبَّاسِ قَدْ خُلِّمُوا ،
 حَمَوًا حَرِيمُهُمْ حَتَّى إِذَا غُلِبُوا
 حَانَ الْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ
 سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنُّوحُ يَصْحَبُهَا
 كَمْ سَالَ فِي الْمَلِكِ مِنْ دَمْعٍ ، وَكَمْ حَمَلَتْ
 مِنْ لِي بِكُمْ ، يَا بَنِي مَلِكِ السَّمَاءِ ، إِذَا
 - وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِيقَاتُ
 وَالْدَّهْرُ فِي صِبْغَةِ الْحَرْبِ مُنْفِيسٌ ،
 وَنَحْنُ مِنْ لُغَبِ الشَّيْطَانِ فِي يَدِهِ ،
 فَأَنْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا ،
 وَقُلْ لِعَالَمِهَا السُّفْلِيِّ قَدْ كَثَمْتُ
 وَلِلْمُنَى مِنْ مَنَايَاهُنَّ غَايَاتُ^(٧)
 أَلْوَانُ حَالَاتِهِ فِيهَا أَسْتَحَالَاتُ^(٨)
 وَرَبِّهَا قُمِرَتْ بِالْبَيْذِيقِ الشَّاةُ^(٩)
 فَالْأَرْضُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَالنَّاسُ قَدْ مَاتُوا .
 سَرِيرَةُ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَغْمَاتُ^(١٠)

- (١) قبل سقوط المعتمد بن عباد عن عرش حص (أشبيلية) سقط بنو العبَّاس عن عرش بغداد .
- (٢) سيفوا أسرى متتابعين في حبل واحد (بعد المعركة ذلوا) .
- (٣) حان: قرب. ضجت: بكت. المفدأة: التي ينفذها الناس (محبوبها) والقادي: الذي ينفذ (محب الناس). جميع الناس حزنوا .
- (٤) يحدو بها: يسوقها. ساروا متودين (بعد أن كانوا قواداً) .
- (٥) القطنان: جمع قطيعة: قطعة من الأرض. والملموح (هنا) أنها السفينة .
- (٦) بنو عبَّاد أصلهم من المازدة أبناء ماء السماء (وماء السماء هي أم المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة) (ت ٦٠ قبل الهجرة = ٥٦٢ م). ماء السماء (الثانية): المطر. الحنى: القلب. الصادي: المعطشان .
- (٧) وللمنى (جمع أمنية: رغبة) من مناياهنَّ غايات (جمع غاية: نهاية) . - لكل أمنية (نعمة، حال حسنة) نهاية (موت، كما يكون للبشر) .
- (٨) الاستحالة: التبدل، التغير. أحوال الدهر لا تبقى على وتيرة واحدة .
- (٩) الشاة (يقصد الشاه - الملك - أعظم قطع الشطرنج) فإذا مات الشاه انتهت دورة اللعب بالشطرنج، ولو بقيت جميع الحجارة الباقية سليمة. البيذيق: الجندي: أصغر حجارة الشطرنج .
- (١٠) سريرة العالم العلوي (المعتمد بن عباد): خلاصة الوجود الإنساني. أغمات قرب مدينة مراكش سجن فيها المعتمد بن عباد .

طَوَتْ مِظْلَتَهَا لَا بَلْ مَدَلَّتْهَا مَنْ لَمْ تَزَلْ فَوْقَهُ لِلْعَزِّ رَايَاتُ^(١)؛
 مَنْ كَانَ بَيْنَ النَّدَى وَالْبَاسِ أَنْصَلُهُ هِنْدِيَّةٌ، وَعَطَايَاهُ هُنَيْدَاتُ^(٢).
 رَمَاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَسْتَرُهُ سَابِغَةٌ دَهْرٌ مُصِيبَاتُهُ نُبُلٌ مُصِيبَاتُ^(٣).
 وَكَانَ مَلْءُ عِيَانِ الْعَيْنِ تَبْصَرُهُ وَلِلْأَسَافِيِّ فِي مَرْعَاهُ مِرْعَاةُ^(٤).
 انْكَرَتْ إِلَّا التَّوَاتُاتِ الْقَيُودُ بِهِ؛ وَكَيْفُ تُنْكَرُ فِي الرُّوضَاتِ حَيَاتُ^(٥).
 حَسِبْتُهَا مِنْ قَنَاهُ أَوْ أُعِنْتِهِ، إِذَا بِهَا لِثِقَافِ الْمَجْدِ آلَاتُ^(٦).
 دَرَوْهُ لَيْشاً فَخَافُوا مِنْهُ عَادِيَةً، عَذْرَتُهُمْ فَلَعْدُوِي اللَّيْثِ عَادَاتُ^(٧).

- وَقَالَ يَصِفُ الرُّوضَ وَنَسِمَ الرُّوضُ:

وَالرُّوضُ إِنْ بَعُدَتْ عَلَيْكَ قُطُوفُهُ وَافْتَكَّ عَنْهُ الرِّيحُ وَهِيَ بَلِيلُ^(٨).
 حَسِبُ النَّسِيمِ مِنَ اللَّطَافَةِ أَنَّهُ صَحَّتْ بِهِ الْأَجْسَامُ وَهُوَ عَلِيلُ^(٩).

٤-★★ فَلَائِدُ الْعُقَيَانِ ٢٨٣ - ٢٩٠؛ الْمَرْغَبُ ٢: ٤٠٩ - ٤١٦؛ فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٢:
 ٣٢٤ - ٣٢٧؛ الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٤: ٢٩٧؛ ابْنُ الْأَثِيرِ ١٠: ١٨٨ - ١٩٢، ٣٤٩ -

- (١) المِظْلَةُ: الغطاء السقف. المَذْلَةُ (كناية عن سقف الجنب). - كانت تحفّق فوق رأسه رايات العزّ (في الملك والحرب) فأصبح فوق رأسه سقف السجن.
- (٢) النَّدَى: الكرم. البَاسُ: القوّة (الحرب). النّصل: حدّ السيف. هندي: (سيف) من صنع الهند. الهنيدة: المائة من الإبل.
- (٣) السابغة: الدرع. مصيبات (الأولى) مصائب، نواصب. النبلة: السهم. مصيبات (الثانية): اسم فاعل من أصاب (أصاب مقتلاً من الإنسان).
- (٤) المرعى (مكان الرعي). مرعاه: رعاية (المعتمد بن عباد للناس). مرعاه: مرعى (كان الناس يجدون في حكم المعتمد بن عباد أمناً وازدهاراً).
- (٥) رأيت المعتمد بن عباد في سجنه (في حال نفسية سامية، كما كنت أراه في قصره) لولا القيود التي كانت في رجليه. ثم إنّ الشاعر يشبّه المعتمد بن عباد بالروض وما فيه من أزهار وغار، ويشبّه قيوده بالأفاعي. وكلّ إنسان يستطيع أن يرى الفرق بين الأفعى وبين النبات.
- (٦) القنا جمع قنّاء: رمح. أعتة (جمع عنان بالكسر): لجام، رنس. ولكن كانت في الحقيقة ثقافاً (قيوداً) للمجد (للمعتمد بن عباد).
- (٧) دروه (عرفوه) ليشاً (أسداً). عادية: اعتداء. ومن عادة الأسد المدوى (الاعتداء) على غيره.
- (٨) إذا لم يكن للستان قُطُوف (أثمار) تأكلها وافتاك (جاءك منه) هواء بليل (رطب).
- (٩) عليل: مريض. والهواء العليل (إذا كان هبوه خفيفاً لطيفاً منعشاً).

٢٥٠ : المطرب ١٧٨ - ١٧٩ : المعجب ١٤٧ ، ١٤٩ - ١٥٠ : جيش التوشيح
 ٥٩ - ٧٢ : راجع ١٢٤ : نفع الطيب ١ : ٦٦٢ ، ٣ : ١٩٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٨ -
 ٣٦٩ ، ٦١٢ ، ٤ : ٩٤ - ٩٨ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٥٦ ، ٢١٤ - ٢١٨ ، ٢٢٢ -
 ٢٢٣ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٤٦ - ٢٤٨ ، ٢٥٥ - ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ،
 ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٧ : ٤٢ - ٤٣ : شذرات الذهب ٤ : ٢٠ : نيكل ١٦٣ : مختارات
 نيكل ١١٣ - ١١٦ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٥٣ : الأعلام للزركلي ٧ :
 ٢١٤ (٦ : ٣٢٢) ، بالنشأ ١٥٧ .

ابن طاهر القيسي

١ - أسرة ابن طاهر هذا أسرة عربية كبيرة العدد واسعة الثروة عالية المكانة
 ترجع بنسبها إلى قيس عيلان. وكان مسكنها في مربية من كورة تدمير (في الطرف
 الجنوبي الشرقي من الأندلس). ونشأ في هذه الأسرة «أعلام وحملت سيوف وأقلام»،
 كما يقول لسان الدين بن الخطيب (أعمال الأعلام ٢٠١) ثم صارت لهم - في مطلع
 الفتنة - الرئاسة على مربية.

وكان أبو بكر أحمد بن طاهر (والد صاحب هذه الترجمة) قد استبد بأمر كورة
 تدمير كلها، وكان حكمه صالحاً على الناس فاجتمعوا على طاعته والاعتراف بحقه.

أما صاحب الترجمة نفسه فهو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر،
 كان مولده نحو سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م). واتفق أن أحمد بن طاهر قُلبج في أواخر
 أيامه فقام ابنه أبو عبد الرحمن محمد مكانه وسد مسده. فلما توفي ابن طاهر الكبير،
 (سنة ٤٥٥ هـ)، خلفه ابنه أبو عبد الرحمن.

طمع المعتمد بن عباد ملك إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) بالاستيلاء على مربية،
 فوطأ (سنة ٤٧٤) رايوندو الثاني صاحب (حاکم) برشلونة، وحاصر الملك المسلم
 والملك النصراني مربية المسلمة - وتلك عادة كانت، مع الأسف، مألوفة في أيام
 ملوك الطوائف - ولكن الملكين لم ينجحوا في الاستيلاء على مربية.

ثم استطاع المعتمد - في حديث طويل - أن يتولى على مربية (بقيادة عامله
 على «حصن بلج» - على مقربة من جيان -، عبد الرحمن بن رشيق). ودخل ابن

رشيق مدينة مرسية وأخذ صاحبها ابن طاهر واعتقله. ثم إنَّ المعتمد أمر بإطلاق سراح ابن طاهر، فانتقل ابن طاهر إلى شاطبة، ثم ذهب إلى بلنسية وبقي فيها إلى أن تُوُفِّي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م). وفي العام التالي نُقِلَ رُفَاتُهُ إلى مرسية.

٢- أبو عبد الرحمن بن طاهر القيسي أديبٌ ناثرٌ يُعِيدُ النثرَ المسجوعَ جدًّا وهزلًا، ورويةً وارتجالًا، ومحلُّه من الأدب معروفٌ، إذ هو المثلُّ السائر في البلاغة والبيان. ثم هو ظريفُ التوقيع^(١) خفيفُ الروح عذبُ النادرة والفكاهة. وكانت به دُعاة غلبت عليه لا يتركها بحال. وهو مع ذلك قد رَوَى الحديثَ وروى الحديثَ عنه آخرون. وكذلك كان جوادًا ممدحًا مدحه أبو بكر بن عمّار (قُتل ٤٧٧ هـ) يوم كان أبو بكر بن عمّار لا يزال ناشئًا في الأدب خاملاً. وأغراضه في رسائله كثيرة. وهو يُكثِرُ الاستشهادَ بالشعر ولكن لا يقوله. وقد ألَّفَ ابن بسّام صاحب «الذخيرة» كتاباً في رسائل ابن طاهر عنوانه: «سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر» (الذخيرة ٣: ٢٥).

٣- مختارات من نثره:

- من كتاب لابن طاهر القيسي خاطب به أبا الحسن يحيى بن إسماعيل المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة^(٢):

...الآن عاد الشباب خير معاده، وابتض الزمان بعد سواده، وترك الزمان فضل عنانه^(٣)، فله الشكر المردّد بإحسانه. ووافاني - أيديك الله - كتابٌ كريمٌ كما طرّز البدر النهر، أو كما بلّل الفيت المطر، وطوّقي طوق الهامة^(٤) وألبسي ظِلّ

(١) التوقيع: تعليق جملة في آخر الرقعة التي تقدّم إلى الحكومة بطلب ما (بصرف - لا بصرف - إن الله مع الصابرين - كما تدن تدان... إلخ) كما يعرف منه ماذا يراد أن يفعل بطلب الطالب).

(٢) يحيى بن إسماعيل المأمون بن ذي النون حكم في طليطلة (جنوب مدريد) من ٤٦٧ إلى ٤٧٨ هـ.

(٣) العنان (بالكسر) اللجام. ترك (له) الزمان فضل (زيادة أو بقية عنانه): تركه بفعل ما يشاء.

(٤) وطوّقي (جعل حول عنقي طوقاً عقداً) طوق الهامة (مثل طوق الهامة: ثياباً). وطوق الهامة ريش مخالف في لونه لون الريش في سائر جسم الهامة.

الْعَامَةِ^(١)، وَأَثْبَتَ لِي فَوْقَ النِّجْمِ مَنْزِلَةً وَأَرَانِي الْخُطُوبَ نَائِيَةً عَنِّي وَمَعْتَزِلَةً. فَوَضَعْتُهُ عَلَى رَأْسِي إِجْلَالًا وَلَتَمْتُ كُلَّ سَطْوَرِهِ احْتِفَاءً وَاحْتِفَالًا.

- وله من رسالة يجري فيها مجرى الهزل:

.... مَتَلِي وَمِثْلُكَ مِثْلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ^(٢) اسْتَقْرَى عَقِيلَةً رَزِيبَ^(٣)، بَلْ سَلِيلَةً فَضْلًا وَحَسَبٍ. فَأَجْزَلْتُ قِرَاهُ وَأَكْرَمْتُ مَنَوَاهُ^(٤). فَلَمَّا أَطْلَأْتُ بِهِ الْمَجْلِسُ وَانْتَضَمَ النَّاسُ، سَعَتْ إِلَى بَعْضِ أَوْطَارِهَا فِرَاقَهُ مَا تَحْتَ إِزَارِهَا^(٥). فَجَعَلَ يُنْشِدُ:

يَا أَخْتَ خَيْرِ الْبَدَنِ وَالْحَضَارَةِ، مَاذَا تَرَيْنَ فِي فَتَى قَزَارَةٍ^(٦)،
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً يَغْطَارُهُ؟ إِيَّاكَ أَغْنَى وَاسْمَعِي، يَا جَارَةَ^(٧).

وَكَذَلِكَ غَيْرُكَ الْمُحَاظِبُ فِي شَوْوِي وَأَنْتَ الْمُرَادُ، وَإِلَيْهِ الْإِيْمَاءُ^(٨) وَفِيكَ يَبْدَأُ الْقَوْلُ وَيُعَادُ. وَلِلَّهِ أَنْتَ مَا أَعْطَرَ خِلَالَكَ وَأَكْثَرَ اهْتِبَالِكَ^(٩). لَا زَالَتْ أَيْدِيكَ كَالْأَطْوَاقِ وَمَعَالِيكَ مُعْطَرَّةَ الْآفَاقِ.

- وله من رسالة في التعزية (الذخيرة ٣: ٨٤ - ٨٥):

الدنيا - أعزك الله - ليست بدارٍ قَرَارٍ. والمرء منها على شفا جُرْفٍ هَارٍ^(١٠). وَإِنَّا

(١) وألبسي ظلَّ العمامة (ما يدفع عني حرَّ الشمس من غير أن يؤذيني البرد): تفضل علي بنعمة بعد نعمة.
(٢) العرب: البدو.

(٣) استقرى: طلب القرى (بكسر القاف) الضيافة. العقيلة: السيدة المهدرة، الزوجة الكريمة، سيد القوم. الرزيب: القطيع من الماشية. عقيلة رزيب (٤): أجل بنات قومها.

(٤) أجزلت: أكثرت. أكرمت منواه (مقامه، بالضم): أقامته عندها.

(٥) أوطارها: أغراضها، غاياتها. راقه: أعجبه. الإزار: ما تلبسه المرأة على جسمها (يبدو أن إزارها انكشف عن بعض جسمها).

(٦) قزارة: قبيلة من العرب.

(٧) مططرة: تستخدم العطر بكثرة. ذات رائحة عطرة. «إياك أعني....» مثل (أنا أنكلم عن غيرك وأعنيك).

(٨) الإيماء: الإشارة.

(٩) الاهتبال: اغتنام الفرصة (هنا: الذي يدرك حاجة السائل من التلميح).

(١٠) على شفا (طرف) جرف (شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله) هار (الرمال المتساقط النهار) - مكان فيه خطر (يحشى منه السقوط).

هي جسرٌ على الطريق وعدوٌ في ثياب صديق^(١). ولما بلغتني وفاة فلان - رحمه الله ونصر وجهه وبرّد مثواه^(٢) - علمتُ أنك الجبل الذي لا يرتقي الجزع ذراه^(٣). وإن كان سَهْمُ المنايا قد أصابَ حياً واستلَبَ كريماً^(٤)، فقد أبقي الله بك الصدعَ مرؤوباً^(٥) والجزعَ مغلوباً.

٤-★★ فلاند المقيان ٦٤-٧٩؛ المغرب ٢: ٢٤٧؛ الذخيرة ٣: ٢٤ وما بعد؛ الحلة ٢: ١١٦ وما بعد؛ أعمال الأعلام ٢٠١-٢٠٢؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٣١٣-٣٣٠؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥: ٣١٥) ووفاته فيه نحو ٤٨٠ هـ (وهو تقدير خاطيء).

أبو العرب مصعب بن محمد

١- هو أبو العرب مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْفُرَاتِ الْقُرَشِيِّ الْعَبْدِيُّ الرَّبِيعِيُّ الصِّقْلِيُّ، وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ سَنَةَ ٤٢٣ (١٠٣٢ م). وقد تركها بعد أن استولى عليها النورمانيون، سَنَةَ ٤٦٤، وانتقل إلى إشبيلية (في الأندلس) - بدعوة من المتمدن بن عباد (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣) - وكان المتمدن يعرف له قدره ويألف في إكرامه. وقد حظي كذلك عند عددٍ من ملوك الطوائف وتردد إليهم. وانتقل أخيراً إلى بلاطِ ناصر الدولة مبشر بن سليمان في ميورقة (٤٨٥ - ٥٠٨ هـ) فتوفي في (جزيرة) ميورقة بُعيد سَنَةِ ٥٠٧ (١١١٣ م).

٢- أبو العرب مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَالِمٌ بِالْأَدَبِ وَأَدِيبٌ شَاعِرٌ مَتِينُ الْأَسْلُوبِ عَالِي

(١) يقول أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا ليسب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق.

(٢) نصر (بيض ونور) وجهه (يوم القيامة) وبرّد مثواه (إقامته في الجنة).

(٣) الجزع: الحزن مع الخوف. الذرى: أعلى الشيء.

(٤) استلب (الموت): أخذ.

(٥) الصدع: الشق. مرؤوب: مضموم، مجموع (إن موت ذلك الميت لم يفرق قومه لأنهم وجدوا سيّداً لهم بعده لا يقل عنه).

النفس ، ولكن أثر أي تمام وأثر المتنبي يظهران في شعره واضحين . وأبرز فنونه المدح والوصف والخمر والحكمة .

٣ - مختارات من شعره :

- قال أبو العرب مُصَنَّبٌ بنُ مُحَمَّدٍ في الخمر وفي الساقم :

- ★ أبهى المناظر في عيني وأحسنها كأسٌ بكفٍ رَخيمِ الدَّلِّ سَمَارٍ^(١) .
 كأنه إذ يُسَقَّى سادة زُهراً نَجْمٌ يُورَعُ نَجْماً بين أثمار^(٢) .
 ★ يَكُرُّ حَصَانٌ إذا ما الماء واقعها أبدت لنا زبداً في سورة الغضب^(٣) .
 كادت تطيرُ نفاراً حين نافسها ، لولا الشباكُ التي صيغت من الحب .

- وله من قصيدة يمدح بها المعتمد بن عباد :

- يُشَاهِدُ أسرارَ الزمانِ جليّةً يفطنة مدلولِ البصيرةِ مُلهمٍ .
 أيادٍ أبانت عنه وهي صوامتٌ وربّ مُبَسِّسينَ ليس بالتكلمِ .
 فلا الفرضُ الأقصى عليه بعازبٍ بعيدٍ ، ولا المُتَنَاصُ عنه يُبْهِمُ^(٤) .

- وقال يمدح رجلاً بالقدرة على الظفر بكلّ هاربٍ من سلطانه :

- كأنّ فجاجَ الأرضِ يُمنّاك ، إن يَبرِزْ بها خائفٌ تجمع عليه الأنامل .
 فأتسى يَفِرُّ المرءُ عنك مجرّمه ، إذا كان يطوي في يدَيْكَ المراحل ؟
 - وقال في الحنين إلى وطنه صِقْلِيَّةَ :

- إِلّا أمتَ اتّباعي للأماشي الكواذب ، وهذا طريقُ الجديّ بادي المذاهب !
 أهُمّ ولي عزماب : عزمٌ مُشرّقٌ وآخرٌ يُغري هِمّتي بالمغارب .

(١) رخم : عذب (مطرب) . الدل : إظهار المرأة (على الحب) . سَمَار : كثير (حسن) السهر مع التدمان .

(٢) سادة زهر : بيض (كتابة عن شرفهم ومكانتهم) .

(٣) بكر (خمر لم يشرب من إنائها أحد بعد) حَصَان (لم تلمسها كفّ إنسان) . واقعها : جامعها (مزجت بالماء) .

(٤) العازب : البعيد . المتناس : الصعب .

ولا بُدَّ لي أن أسأل العيسَ حاجةً
 عَلَيَّ لآمالي اضطرابٌ مُؤَمِّلٌ،
 فإني نَفْسٌ، لا تَسْتَضِجِي الهُونَ إِنَّهُ
 ويا وَطَنِي، إِنْ بَنَتْ عَنْكَ فَإِنِّي
 (إذا كان أصلي من تُرابٍ فَكُلُّها
 وما ضاق عَنِّي في البسيطة جانبٌ
 إذا كُنْتَ ذا هَمٍّ فَكُنْ ذا عَزِيمَةٍ،
 تَشُقُّ على أخفافِها والغواربُ^(١).
 ولكن على الأقدارِ نُجَحُّ المطالبَ^(٢).
 - وإنْ خَدَعَتْ أَسبابُهُ - شرُّ صاحبِ^(٣)
 ساوِطٍ أو كَارَ العِتاقِ النجائبِ^(٤).
 بلادي، وَكُلَّ العالمينِ أَقارِبِ^(٥).
 - وإنْ جَلَّ إِلَّا اعْتَضَتْ عَنْهُ بِجَانِبِ.
 فما غائبٌ نال النجاحَ بغائبِ^(٦)!

٤-★★ التكملة ٣٨٦ (رقم ١٠٩٩ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ١٠٢ - ١١٠٨ وفيات
 الأعيان ٣: ٣٣٣، ٣٣٤، نفح الطيب ٣: ٥٦٩ - ٥٧٠، ٤: ٢٦٠ - ٢٦١
 الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩).

ابن القصيرة الولي

١- هو أبو بكر محمد بن سليمان الكِلاعيُّ الإشبيليُّ الوليُّ الأندلسيُّ، لَمَلَّ مَوْلَدَهُ
 كان نحو ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م). نشأ ابنُ القصيرة في دولة المُعْتَضِدِ بن عبادٍ (٤٣٤ -
 ٤٦١ هـ) ثم بَقِيَ عند المَعتمدِ وَكِبَ مَعَهُ، سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولكن يوسف بن
 تاشفين عادَ فقرَّبَهُ وَضَمَّهُ إلى كُتَّابِهِ. فانتقل ابنُ القصيرة إلى مَرَاكُشَ وَبَقِيَ فيها إلى
 أن تُوُفِّي، سَنَةَ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م).

٢- كان ابنُ القصيرة كاتباً مُتَرَسِّلاً مُجيداً. وكان له نَظْمٌ.

-
- (١) العيس: النياق. الحفَّ (بالضم) للبعير كالقدم للإنسان. الغارب: أعلى الكتف. تشقُّ على أخفافها الخ:
 حاجة في مكان بعيد لا تستطيع أن تصل إليه النياق.
 (٢) اضطرب: تحرك (تقلَّ في البلاد).
 (٣) الهون: الهوان، الذلُّ.
 (٤) بان: ابتعد. العتاق النجائب: الإبل الأصيلة (القادرة على السير).
 (٥) راجع ص ١٨٥.
 (٦) يقول أبو غمام (ت ٢٣٢):
 ما أب من أب لم يظفر بمجنته ولم يغب طالب بالنجح لم يغب.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب ابن القصيرة رسالة إلى الفتح بن خاقان منها:

وافنتي - أطال الله بقاءك - أحرفٌ كأنها الوشم في الحدود تَمِيسٌ في حُللٍ
إبداعها^(١)، وإنك لسابقُ الحيلة لا يُدركُ غبارُك في مضمارها ولا يُضَافُ سرارُك إلى
إبدارها^(٢).... وما أنتَ في البلاغة إلا نُكْتَةٌ فَلَكِها^(٣) ومُعْجَزَةٌ تَشْرُفُ الدُّوَلُ
بَتَمَلِّكِها. وما كانَ أَخْلَقَكَ بِمَلِكٍ يُدْنِيكَ وَمَلِكٍ يَقْتْنِيكَ^(٤). ولكنَّها الحِطَوطُ لا تَعْتَمِدُ
مَنْ تَتَجَمَّلُ بِهِ وَتَتَشَرَّفُ ولا تَقِفُ إِلَّا على مَنْ تَوَقَّفُ^(٥). ولو أنْفَقْتُ بِحَسَبِ الرُّتَبِ لما
ضَرَبْتَ إِلَّا عليك قَبابِها ولا عَطَفْتُ إِلَّا عليك أنوابِها^(٦).

- وكتب عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى طائفة مُتَعَدِّية (لعل الرسالة إلى
بعض ملوك الأندلس بعد معركة الزلاقة):

أما بعد، يا أُمَّة لا تَغْفِلُ رُشْدَها ولا تَجْري إلى ما تَقْتَضِيهِ نَعْمُ الله عندها ولا
تُفْلِعُ عن أذى تُفْسِيهِ قُرْباً وَبُعْداً جُهْدَها^(٧). فإنكم لا تَرَعُونَ لِجَارٍ ولا لغيره حُرْمَةً ولا
تُراقِبُونَ في مَوْمنٍ إِلَّا ولا ذِمَّةً^(٨). قد أغماكم عن مَصالِحكم الأَشْرُ^(٩)، وأضلكم ضلالاً
بعيداً البَطَر، وتَبَدَّثُمُ المعروف وراءَ ظُهوركم.... ليس فيكم زاجرٌ، ولا منكم إلا غَوِيٌّ
فاجرٌ.

-
- (١) الوشم: علامات ترسم على الجسم طلباً للجمال في الأكثر. قيس تغايل، تتخايل، تعتر وتفتخر.
(٢) سابق الحيلة: الحصان الذي يأتي أولاً. السرار: حال القمر في آخر الشهر. الإبدار: امتلاء القمر في
نصف الشهر. - ظلامك خير من نورهم.
(٣) النكتة: النقطة البارزة. الفلك: مدار النجوم. نكتة فلك البلاغة: أبرز رجالها.
(٤) ما أخلقك: ما أحقك. يدنيك: يقربك. يقتنيك: يخص نفسه بك.
(٥) لا تعتمد من تتجمل به: لا تحب حساب الذي يريدك قيسة، لا تطلبه وتقربه ابتداءً. من توقف: من طلب هو (التقرب من الملوك).
(٦) ولو أن الدنيا عاملت الناس بحسب أقدارهم لقربتك (يا فتح بن خاقان). ضربت عليك قبابها، الخ: أوتك، اعتزتك بك.
(٧) تفسيه: تنشره. جهدها: أكثر ما تستطيع.
(٨) رعى حرمة: حافظ على كرامته. ولا تراقبون... الخ: لا تحفظون له عهداً ولا حقاً.
(٩) الأشر: النشاط (الاعتداد بالقوة).

٤-★★ خريدة (الأندلس) ٢: ٣٤٢ - ٣٤٨؛ أعتاب الكتاب ٢٢٢ - ٢٢٤؛ قلائد
العقيان ١١٧ - ١٢٠؛ المغرب ١: ٣٥٠ - ٣٥١؛ المحمدون ٣٥٨؛ الوافي بالوفيات
٣: ١٢٨ - ١٢٩؛ الصلة ٥٠٢؛ المجب ١١٥ - ١٢١؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦):
١٤٩ - ١٥٠).

سراج بن عبد الملك بن سراج

١- أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج (ت ٤٥٦ هـ) بن عبد الله بن
محمد بن سراج، وُلِدَ في قُرْطُبَة سَنَة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٨ م) واقتصرَ في تَلَقِّي
العلم على أبيه عبد الملك (ت ٤٨٩ هـ) ثم تَصَدَّرَ للتدريس. ويبدو أَنَّهُ وَزَرَ للمُعْتَمِدِ
ابن عبادٍ في إشبيلية. وكانت وفاة ابن سراج في ثاني عَشْرِي جُمَادَى الثانية من سَنَةِ
٥٠٨ (١١١٤/١١/٢٣ م).

٢- كان أبو الحسين بن سراج عالمَ زمانه في الحديث والفقه، كما كان بارعاً في
اللغة والنحو مُلِمّاً بالتاريخ والأدب. وكان شاعراً أَكثَرَ شِعْرِهِ الغزلُ والنسيب
والحكمة.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسين بن سراج في الحكمة:

بُثَّ الصَّنَائِعَ لَا تَحْفِلُ بِمَوْقِعِهَا: فِي مَنْ نَأَى أَوْ دَنَا، مَا كُنْتُ مُقْتَدِرًا^(١)؛
كَالْفَيْثِ لَيْسَ يُبَالِي حَيْثُمَا انْسَكَبَتْ، مِنْهُ الْغَائِمُ، تَرْبَاً كَانَ أَوْ حَجَرًا.

- وقال في النسيب:

لَمَّا تَبَوَّأَ مِنْ فُؤَادِي مَنَزَلاً وَغَدَا يُسَلِّطُ مَقْلَتِيهِ عَلَيْهِ^(٢)،
نَادَيْتُهُ مُنْتَرِحاً مِنْ زَفَرَةٍ أَفْضَتْ بِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ:

(١) بُثَّ: نشر، فَرَّقَ. الصنائع جمع صنعة: عمل المعروف. نَأَى: بعد.

(٢) تَبَوَّأَ: نزل، سكن في منزل الخ.

رَفَقاً بِمَزَلِكِ الَّذِي تَعْتَلُّهُ، يَا مَنْ يُخَرَّبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ!

٤-★★ قلائد العقيان ٢٣١-٢٣٢ معجم الأدباء ١١: ١٨١-١٨٢ بغية الملتبس ٢٩١-٢٩٠ (رقم ٧٨١) المغرب ١: ١١٦-١١٧ معجم ابن الأثير ٣٠٥-٣٠٧ خريدة (الأندلس) ٢: ٥١٩-٥٢١ المحدثون من الشعراء ٤٨٩-٤٩٠ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥١٩-٥١٢ بغية الوعاة ٢٥١-٢٥٢ الديباج المذهب ١٢٦.

ابن قُزَمانَ الكبيرُ

١- هو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَيْسَى بْنِ قُزَمانَ - يُعْرَفُ بِابْنِ قُزَمانَ الكبير، تميّزاً له من من ابن أخيه أبي بكرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَيْسَى بْنِ قُزَمانَ الرِّجَالِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٥٥ (١١٦٠ م) - وَزَرَ أَوَّلَ مَا وَزَرَ لِأبي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُتَوَكِّلِ صَاحِبِ بَطْلَيْوَسَ (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ)، وَلَكِنْ لَعَلَّهُ لَمْ يَزِرْ لِلْمُتَوَكِّلِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ انْفَرَدَ الْمُتَوَكِّلُ بِالْحُكْمِ، سَنَةَ ٤٧٣ (١٠٨٠ م). نَالَ ابْنُ قُزَمانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَكَانَةً سَامِيَةً وَحَيَاةً نَاعِمَةً. وَلَكِنْ الدَّهْرَ عَادَ فَقَسَا عَلَيْهِ قَسْوَةٌ شَدِيدَةٌ - جَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ (ص ٢١٣) أَنَّ الْقَاضِي ابْنَ حَمْدِينَ تَعَمَّدَ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ. وَلَكِنْ لَا أَعْلَمُ مَنْ كَانَ ابْنُ حَمْدِينَ هَذَا. هُنَالِكَ ابْنُ حَمْدِينَ تَوَلَّى الْقَضَاءَ سَنَةَ ٥٢٩ (قَضَا الْأَنْدَلُسَ ١٠٣)، فِي أَيَّامِ وِلَايَةِ بَحْبِى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ غَانِيَةَ (ت ٥٤٣) وَالِي غَرْنَاطَةَ (رَاجِعْ نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ٧٦)، وَمِنْ الْبَعِيدِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ حَمْدِينَ هَذَا مَقْصُوداً بِرَوَايَةِ صَاحِبِ الْقَلَائِدِ^(١). وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ قُزَمانَ الْكَبِيرِ فِي سَادِسِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥٠٨ (١١١٤/٧/٣ م).

٢- كَانَ ابْنُ قُزَمانَ الْكَبِيرُ وَزيراً جَلِيلاً مِنْ أُسْرَةٍ كَانَ لَهَا تَقَدُّمٌ فِي مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ كَانَ ضَيْقَ الصَّدْرِ قَلِيلَ الْأَنْسِ بِالنَّاسِ. ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ، كَاتِباً مُتَرَسِّلاً وَشَاعِراً مُجِيداً. وَفِي شِعْرِهِ وَنَثَرِهِ دُعَابَةٌ وَمُجَوِّدَةٌ

(١) فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (٣: ٨٤٩) أَنَّ ابْنَ قُزَمانَ ذَلِكَ كَانَ فِي خِدْمَةِ ابْنِ حَمْدِينَ هَذَا.

أحياناً، ولكنه مُجون مستور كما ترى في قطعتهِ النثريةِ في المختارات. وهو بارِعٌ في الوصفِ والغزل.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ قُزَمانَ الكبيرُ في وصفِ جيشٍ ذاهبٍ إلى المعركة:

ركبوا السيولَ من الخيولِ وركبوا فوق العوالي السُّمرِ زُرُقُ نطافٍ^(١).
واستودعوا الخللَ الجداولِ واصطفوا بيضَ الرؤوسِ من الحبابِ الطافي^(٢).
وتجلَّلوا الغدرانَ مِنْ مَازِيهِمْ مُرَجَّةً إِلَّا عَلَى الْأَكْتَافِ^(٣).
- وقال بين الوصف والغزل:

قُلْتُ للعَيْنِ حينَ أَذْرَتْ عَلَى الخَذِّ بِدِ دُمُوعاً لَا تَسْتَفِيقُ انْهَالاً^(١)،
جَزَعاً مِنْ صُدُودِ أَحْوَرَ قَدْ حَدَّ حَيْرَ بَالاً، وَكَمْ جَنَى بَلْبَالاً^(٢).
لَا تَرُومِي مِثَالَ مَا لَمْ تَنَالِي وَالْمَجِيهِ كَمَا رَأَيْتِ الْهِلَالَ.
فَأَجَابَتْ: لَقَدْ أَحَلَّتْ مِثَالاً هُوَ أُنْأَى مِنْ الْهِلَالِ مَنَالاً.
إِنْ بَدَرَ السَّمَاءُ يَطْلُعُ لِلْأُذِّ صَارِ مُنْصَى وَمُضْبِحاً وَزَوَالاً^(٣).

(١) ركبوا خيولاً كثيرة (كأنها سيول). العوالي صدور الرماح. الأسمر: الجاف الذي خرج بلونه عن لون النبات (لأن الرماح تعمل من القصب الفارسي). نطاف (بالكسر) جمع نطفة (بالضمة): الماء الصافي (كناية عن النصل الحديد في أعلى الرمح). زرق جمع أزرق (حينما يكون الماء في الحوض العظيم صافياً يبدو أزرق اللون (لانعكاس لون السماء فيه).

(٢) الخلة (بالكسر): غمد (بالكسر) السيف، بيته. الجداول (كناية عن السيف) لأنه بياضه واهتزازة يشبه الجدول (محري الماء في السهل). اصطفى: اختار. البيضة: الخوذة يضعها المحارب على رأسه. حباب الماء: فقاعات مكدرة بياض. وضموها سيوفهم في أغصانها ولبسوا الخوذ (بضم ففتح) على رؤوسهم (لأنهم قاصدون إلى الحرب في مكان بعيد).

(٣) تجلَّلوا: لبسوا. الماذي: الدرع اللينة. الغدران: مجرى من الماء يغادر النهر (٤). مرَجَّة: الدروع ليثة تهتز على أبدانهم (لأنها مصنوعة من الزرد: حلق من حديد). إِلَّا عَلَى الْأَكْتَافِ فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الْأَكْتَافِ صَفَائِحُ مِنْ حَدِيدٍ (٤).

(٤) أذرى: نثر.

(٥) جزعاً: خوفاً. أحور: من كان في عينيه حور (بفتح ففتح: شدة بياض العين وشدة سوادها). جنى: ارتكب (سبب). البلبال: اضطراب الفكر.

(٦) الزوال: وقت مرور الشمس فوق الرؤوس (نصف النهار، الظهر).

وَإِذَا مَا اسْتَرَّ أَبَ وَقَدْ ذَا بَ اكْتِثَاباً مِنْ أَنْ يُغَبَّ وَصَالاً^(١).
 وَهُوَ الْبَدْرُ قَدْ أَجَدَّ مَلَالاً وَاجْتِنَاباً كَمَا أَجَدَّ كَمَالاً^(٢).
 يَتَوَارَى مِنَ الْعُيُونِ نَهَاراً، وَمَعَ اللَّيْلِ لَا يَزُورُ خَيْالاً^(٣).

- وله في الحكمة بيتان فيها تشاؤم وقسوة:

لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى أَحَدٍ وَاحْذَرْ وَشَرِّ وَاسْتَعِذْ.
 فَالْكُلُّ كُلُّبٌ مُوسَدٌّ إِلَّا إِذَا وَجَّهُوا أَسَدٌ.

- وكتب رسالة تهنئة ومُداعية إلى عروس^(٤):

الْكَلْفَةُ بَيْنَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - جِدُّ سَاقِطِيَّةٍ، وَالحَالُ الْجَامِعَةُ لَنَا فِي أَقْصَى حَدِّ
 الْمُوَانَسَةِ وَالْمُبَاسِطَةِ^(٥). فَلَا نُكْرَ أَنْ تَنْبَاتَ السِّرِّ الْمُحَجَّبِ، وَلَا غَرَوُ أَنْ نَتَكَاشَفَ
 الْمُغَيَّبِ^(٦). وَاتَّصَلَ بِي دُخُولُكَ بِعَقِيلَةِ أَثْرَابِهَا وَبَيْضَةِ خِذْرِهَا وَرَبَّةٍ مَحْرَابِهَا^(٧)،
 تُشَاطِرُكَ نَسْلَكَ كَمَا شَاطَرْتِكَ أَصْلَكَ^(٨)، (وَهِيَ) الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ إِلَّا لَهَا وَلَمْ تَكُنْ
 تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ^(٩). فَخَدَمْتِكَ بِالْبَيْتَةِ وَحَضَرْتِكَ عَلَى بُعْدِ الْمَشَقَّةِ وَتَقَاذُفِ الطَّيْبَةِ^(١٠).

- (١) اسْتَرَّ: خفي (في آخر الشهر). أَب: رجع (في أول الشهر). غَبَّ الزَّيَارَةُ: جاء يوماً وترك يوماً.
- (٢) الْبَدْرُ أَبْضاً يَلُّ مِنَ الطَّلُوعِ عَلَى الدُّنْيَا فَيُغَيَّبُ عَنْهَا حِيناً. هُوَ دَائِماً يَجْدُّ كَمَالَهُ (طُلُوعُهُ بَدْرًا) وَيَجْدُّ مَلَالَهُ (غَيْبَتُهُ عَنْ سَاهِ الدُّنْيَا بَدْرًا).
- (٣) يُوَازِنُ الشَّاعِرُ هُنَا بَيْنَ حُبِّييَّةِ وَالْبَدْرِ (حُبِّييَّةِ يَخَالِفُ الْبَدْرَ: لَا بَأْسَ لَزِيَارَتِي نَهَارًا وَلَا أَرَاهُ فِي مَنَامِي لَيْلًا).

(٤) الْعُرُوسُ تُقَالُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَعَلَى الرَّجُلِ (وَلَيْسَ فِي الْقَامُوسِ عَرِيسٌ).

(٥) الْحَالُ الْجَامِعَةُ: (الْمُوَانَسَةُ وَالْمُبَاسِطَةُ).

(٦) نَتَحَدَّثُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَبُوحُ بِهَا الْمُتَزَوِّجُونَ لِلْعَرَّابِ.

(٧) الدُّخُولُ (اجْتِمَاعُ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ لَيْلَةَ الْعَرَسِ). عَقِيلَةُ (سَيِّدَةُ) أَثْرَابِهَا (مِثْلَانِهَا). وَبَيْضَةُ خِذْرِهَا (الْمُصُونَةُ) الَّتِي لَا يَطْلُعُ أَحَدٌ عَلَى أَحْوَالِهَا. وَرَبَّةٌ (صَاحِبَةُ) مَحْرَابِهَا (كَتَابَةِ عَنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَتَقْوَاهَا).

(٨) شَتَرَكَ مَعَكَ فِي الْإِتْيَانِ بِنَسْلِ كَمَا قَدْ جِئْتَنَا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ (مِنْ أَسْرَةٍ كَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ).

(٩) قَالَ الشَّاعِرُ الْعَبَّاسِيُّ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (ت ٢١١) يمدح الخليفة المهدي:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرَ أَذْيَاهُ هَسَا.
 فَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا.

(١٠) بَعْدَ الْمَشَقَّةِ (كَذَا فِي الْأَصْلِ: بِالْمِمْ) وَالصَّوَابُ: الشَّقَّةُ (بِالضَّمِّ): السَّفَرُ الْبَعِيدُ، الْمَسَافَةُ الطَّوِيلَةُ. وَتَقَاذُفٌ =

وسألت الله أن يُبارك لك ويبارك عليك، ويجمع بينكما في خيرٍ وعافيةٍ على أسعدِ
الجدِّ وأمينِ الطيرِ إلى آخرِ القافية^(١). ثم ترقبتُ كتابك مُودِعاً من وصفِ حالِكَ ما
يُنْبئُ فحواه عن اجتماعِ شَمْلِكَ ونعمةِ بالِكَ. فراثني التواؤهُ وقَدَحَ في نشاطي توقُّهُ
وإبطاؤهُ^(٢). وتسلَّطَ عليَّ الظُّنُونُ وخِفْتُ ما عسى ألا يكون. وساء لي أن أَسْتَظِيرَ
مِنَ الأملِ جَهاًما، وأستنصرَ لدى ذلكَ العملَ كَهاماً^(٣)، ويَحِيدَ صاحِبُكَ مُعَرِّداً عن
المنَاجزة لا يُدْأ بالهاجرة^(٤)، منقطعاً عن موضعِ الحجج، مبدعاً به عن مستقبلِ
مَفَرِّقِ الطريق ولَقَمِ المنهج^(٥) :

تَريـدُ جَواً وَيُريـدُ بَراً كَأَنَّا أُسْعِطَ شَيْئاً مُرا^(٦) .

ثم قُلْتُ: لَعَلَّه قد حَظِيَّ بما جُنِيَ له فافتتحَ الحِصْنَ الذي نازَلَه قسراً، وتخلَّله كيف
شاء مَجالاً ومَكراً، وأفضى به انصداعُ ما صدَّعَه إلى التَّيَّامِ، وانشِبابُ ما شَعَبَه إلى
انتظامِ والتحامِ. ولُهي بتوايِعِ هذه الحالِ التي هي أُختُ الإمرةِ وجامعَةُ أَفانينِ^(٧)
المسرةِ عن صديقِي يَصِلُه بكتابٍ إليه يُعلمُه^(٨). وإن يكنَ ذلكَ فهناكَ وظَفِرتُ يداكَ،
وإن يكنَ ما عداه - ويكفي الله - فَمَعَ اليومِ غداً^(٩)، وفي اللَّمَمِ خِلالَ ذلكَ

= الطيِّبة: التردد في الجهات (مناطق البلاد) لعلَّ الزوج كان قد قضى وقتاً طويلاً في البحث عن زوجة
له.

(١) الحدُّ: الحظُّ. أمين الطير (في أحسن الساعات الميمونة: المباركة). إلى آخر القافية: إلى آخر الجمل التي
تعبّر عن هذا المعنى.

(٢) التواء الكتاب (ترك إرساله). قدح في نشاطي (جعل رغبتني في صداقتك فائزة؟).

(٣) الجهام (بالفتح): السحاب لا ماء فيه. الكهام (بالفتح): (السيف) المفلول (الذي لا يقطع).

(٤) صاحبك (كناية عما لا يجوز ذكره). عرَدَ: أحجم، تأخَّر. المناجزة: القتال. لاذ: لجأ. الهاجرة:
الفصل بين المتقاتلين.

(٥) مبدع به: مخدول، منقطع. اللقم: الطريق الواضح.

(٦) جَواً (في الداخل). بَراً (في الخارج). أسطط: أعطي سحوطاً (بالفتح): دواء يستنشَق فيمطس منه.

(٧) لُهي (مثل فرج) ولُهي (بالبناء للمجهول): تَلْهَى، استعاض بالزح عن الجد (بالكسر). أَفانين (جمع)
فنون جمع فنٍّ: أنواع. أُخت الإمرة (الإبارة) - لذة الزواج مثل السرور بتولي الإمارة والملك.

(٨) كأن الجملة هنا ناقصة كلمة أو أكثر.

(٩)فمع اليوم غدا: إن لم تنجح الآن فيمكن أن تنجح في مرة قادمة.

مُتَعَلِّلٌ^(١). ثُمَّ لَا يَشْغُلَ عَنِ الْكِتَابِ جَدَلٌ وَلَا يَحُولُ دُونَهُ خَلَلٌ^(٢).

٤-★★ قلائد المقيان ٢١٣-١٢١٤ الذخيرة ٢: ٧٧٤-١٧٨٦ خريدة (الأندلس) ٢: ٢٨٧ المغرب ١: ٩٩-١١٠٠ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٨٤٩ نيكل ٣٠٢، مختارات نيكل ١٧٨-١٧٩، الأعلام للزركلي ٧: ١٢٧ (٦: ٢٤٨).

أبو الحسن بن الحاج (*)

١- هو أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد بن أحمد بن سعيد الماغري من أهل لورقة؛ سَمِعَ من أبي عليّ حسين بن محمد الصدقيّ (ت ٥١٤ هـ). اتَّصَلَ أبو الحسن بن الحاج ببني عبّاد ليَتَكَسَّبَ عندهم بالشعر فلم يَنْلُ عندهم حظوةً لأنّ أحوالهم السياسيّة كانت قد ساءت. ويبدو أنّه كان في أول حياته مُنْذَفِعاً في اللهو ثمّ مالَ إلى الزُّهْدِ والنسك. ولعلَّ وفاته كانت نحو سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م).

٢- كان أبو الحسن بن الحاج شاعراً مُجيداً مُحسناً جيّد المعاني فصيح الألفاظ متين السبك، وفنون شعره المديح، مدح بني عبّاد وبني رُحيم، والعتابُ والهجة والفرزل والنسيب والوصف البارع، يُلَمُّ في أثناء ذلك كلّهُ بالحكمة. وهو عظيم الإجابة في المُقَطَّعاتِ له في كلّ مقطوعة لفظةٌ بارعة.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن بن الحاج يُعرِّضُ بالبخلاء:

عَجَباً لِمَن طَلَبَ الْحَا مِدَّ وَهُوَ يَمْنَعُ مَا لَدَيْهِ،

(١) اللّم: الذنوب الصغار (ها: التقبيل وما يشبهه). خلال: في أثناء. متعلّل: شيء من التعويض.
(٢) ثمّ لا يشغل عن (ومع ذلك فكل ما اتفق لك لا يجب أن يمنعك عن أن نكتب إلى رسالة قصيرة).
الجدل: الفرع. الخلل: نقصان الحال أو فساد.

(*) وصفه الفتح بن خاقان (القلائد ١٥٨) بندي الوزارتين. كما ذكر ابنه محمداً (القلائد ١٦٣) بأنه ذو الوزارتين أيضاً.

ولباسٍ آمالٍ ————— في الجهدِ لم يَسْطُ يَدَيْهِ
لَمْ لَا أَحِبُّ الضيفَ أو أرتاحُ من طَرَبِ إليه،
والضيفُ يأْكُلُ رزْقَهُ عِنْدِي وَيَخْتَدُّ عِلِيهِ^(١)!

- وله في صديقي سَيِّءِ الظُّنُونِ يُسَوِّغُ احْتِمَالَهُ إِيَّاهِ عَلَى مَا فِيهِ:

لِي صَاحِبٌ عَمِيَّتْ عَلَيَّ شُؤْنُهُ: حَرَكَاتُهُ مَجْهُولَةٌ وَسُكُونُهُ.
يَرْتَابُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيِّ تَوَهُّاءً، وَإِذَا تَيَقَّنَ نَازَعَتُهُ ظُنُونُهُ.
مَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ عَلَى شَرَفِي بِهِ كَالشَّيْبِ تَكَرُّهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ^(٢)!

- وَقَالَ فِي الْأَصْدِقَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ لَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ:

كُلُّ مَنْ تَهْوَى صَدِيقٌ مُنْجِصٌ لَكَ مَا لَا تَتَّقِي أَوْ تَرْجِي^(٣).
فَإِذَا حَاولْتَ نَصْرًا أَوْ جَدًّا لَمْ تَقِفْ إِلَّا بِيَابَ مُرْتَجٍ^(٤)!
- وَلَهُ فِي مَعْنَى قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ:

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْمَشارِعَ جَعَّ وَعِنْدِي إِلَيْهَا غَلَّةٌ وَأَوَامٌ^(٥).
وَمَنْ نَكَدَ الْأَيَّامِ أَنْ يَفْدَمَ الْغِنَى كَرِيمٌ، وَأَنْ الْمَكْثَرِينَ لِشَامٍ^(٦)!

- وَقَالَ يَعْزُضُ بِنِي عَبَادَ:

تَعَزَّزْ عَنِ الدُّنْيَا وَمَعْرُوفِ أَهْلِهَا إِذَا عُدِمَ الْمَعْرُوفُ فِي آلِ عِبَادَ.
أَقَمْتُ بِهِمْ ضَيْفًا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بَغَيْرِ قَرَى، ثُمَّ انْصَرَفْتُ بِلا زَادٍ^(٧).

(١) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْسِلُ رِزْقَ الضَّيْفِ إِلَيَّ ثُمَّ يَأْتِي الضَّيْفَ فَيَأْكُلُ مَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَبِحَسْبِي (يُشْكِرُنِي) أَنَا.

(٢) يَصُونُهُ: يَحْفَظُ عَلَيْهِ (لَأَنْ ذَهَابَ الشَّيْبُ هُوَ الْمَوْتُ) شَرِقَ (يَفْتَحُ فَكْسِرًا) فَلَانَ بِالْمَاءِ: عَصَرَ.

(٣) مَحْضُ إِنْسَانٍ إِنْسَانًا النَّصِيحَةَ: كَانَ مَخْلَصًا فِي النَّصَحِ. تَتَّقِي: تَخَافُ. تَرْجِي: تَأْمَلُ، تَنْتَظِرُ، تَرِيدُ لِنَفْسِكَ.

(٤) الْحَدَا: الْعَطَاءُ. مُرْتَجٍ: مَقْلُقٍ.

(٥) الْمَشْرِعُ: مَكَانُ الشَّرْبِ. جَعَّ: كَثِيرَةٌ. غَلَّةٌ: شِدَّةُ الْعَطَشِ وَحَرَارَةُ الْجُوفِ. الْأَوَامُ: اشْتِدَادُ الْعَطَشِ حَتَّى يَضْجَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ.

(٦) الْمَكْثَرُ: الَّذِي عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ.

(٧) قَرَى: ضِيَاةٌ.

- ٤- ** : فلاند العقيان ١٥٨ - ١٦٣ : بغية المتنس ٢٤١ - ٢٤٢ (رقم ٦١٦)؛ المغرب ٢ :
 ٢٧٧ - ٢٨١ : الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٩ - ١٤٧ : المطرب ١٧٥ -
 ١٧٧ : معجم ابن الأبار ٦٩ - ٧٠ : بغية الوعاة ٢٤١ : نفع الطيب ٢ : ١٠٨ : ٣ :
 ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٥٩٦ - ٥٩٧ ، ٤ : ٢٢٦ .

الجزّار السرقطي

١- هو أبو بكر يحيى السَّرْقُطِيّ (من سَرَقُطَة، في شَمَالِي الأندلس) كانت جِرفته الجِزَارَةُ أَوْ القِصَابَة - وهي بَيْعُ اللحم - . ويبدو أَنَّهُ تركَ الجِزَارَةَ مدَّةً وأَرَادَ أَن يتكسَّبَ بالشعر فلم يُوفِّقْ، فعاد إلى القِصَابَة . ثمَّ إِنَّ الأبياتَ الثلاثةَ في المختارات تدلُّ على أَنَّهُ عَيَّنَ مدَّةً في ديوان الحَرَّاج (لجمع الضرائب)، مع أَنَّهُ كان في أوَّل حياته يشكو العُمَال (جامعي الضرائب)، ثمَّ رأيناه يدافعُ عنهم في الأبياتِ الثلاثة المذكورة . ولعلَّ وفاته كانت نحو سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) . ويبدو أَنَّهُ كان صديقاً لابنِ حِداي الذي غادر الأندلس إلى القاهرة سَنَةَ ٤٩٥ هـ (راجع القطعة الأولى في المختارات) .

٢- كان الجزّار السَّرْقُطِيّ شاعراً مُقَصِّداً ووشاحاً جيِّدَ الطَّبَع (قليل التكلُّف) سهلَ الشعر إلى حدِّ الضَّعْف أحياناً . والهزل يَغْلِبُ على شعره . وفنونه المدحُ والأسْتعْطافُ، وهُوَ فيها كثيرُ الشكوى . وله خمرياتٌ وشيءٌ من الحكمة ومن القَصَص، ومن الهجاء مع التهكُّم .

٣- مختارات من شعره:

- كتب الوزيرُ أبو الفضلِ بنُ حِداي^(١) إلى ابن الجزّار السَّرْقُطِيّ:
 تركتَ الشعرَ من ضَعْفِ الإِصابة وعُدتَ إلى التِجارَةِ والقِصَابَةِ^(٢) .
 فردَّ ابنُ الجزّار على هذا البيتِ بقصيدةٍ منها:

(١) أبو الفضل يوسف بن أحد حِداي طبيب أصله من الأندلس ثم انتقل إلى مصر سنة ٤٩٥ هـ أو بعد ذلك بقليل (عيون الأنباء ٢ : ٥١) .
 (٢) الإِصابة: الصواب (التوفيق في العمل) . القِصَابَة: القطع (مُهنة القِصَاب: الجزّار، بائع اللحم) .

تَعِيبُ عَلَيَّ مَالُوفَ الْقَصَابَةِ. وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدَرِ الشَّيْءِ عَابَةً.
 وَلَوْ أَحْكَمْتَ مِنْهَا بَعْضَ فَنٍّ لَهَا نَكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ فِيهَا
 فَتَكُنَا فِي بَنِي الْعَزْيِ فَتَكَا وَلَمْ تُقْلَعْ عَنِ الثَّوَرِيِّ حَتَّى
 وَقَدْ شَهِدْتَ لَنَا كَلْبٌ وَهَرٌ وَمَنْ يَغْتَرُّ مِنْهُمْ بِامْتِنَاعٍ،
 وَيَبْرُزُ وَاحِدٌ مَنَا لِأَلْفٍ أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرَ، أَجِبْ يَدَائِي،
 وَإِصْفَاءً إِلَى شَكْوَى شُكُورٍ وَحَقِّكَ، مَا تَرَكْتُ الشَّعْرَ حَتَّى
 وَحَتَّى زُرْتُ مُشْتَاقاً خَلِيلِي وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدَرِ الشَّيْءِ عَابَةً.
 لَهَا اسْتَبَدَّلَتْ مِنْهَا بِالْحِجَابَةِ^(١). وَحَوَّلِي مِنْ بَنِي كَلْبٍ عِصَابَهُ^(٢)،
 هَزَبْتُ صَبِيرَ الْأَوْضَامِ غَابَهُ^(٣). أَقَرَّ الدُّعْرَ فِيهِمْ وَالْمَهَابَةَ^(٤)
 مَزَجْنَا بِالْدَمِّ الْقَانِي لُعَابَهُ^(٥). بَأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ حُرْنَا لُبَابَهُ^(٦).
 فَإِنَّ إِلَى صَوَارِمْنَا إِيَابَهُ^(٧). فَيَغْلِبُهُمْ، وَتِلْكَ مِنَ الْغَرَابَةِ.
 وَفَضْلُكَ ضَائِنٌ عَنْكَ الْإِجَابَةِ، أَطْلَعْتُ عَلَى صِنَاعَتِهِ عِتَابَهُ
 رَأَيْتُ الْبُخْلَ قَدْ أَوْصَى صِحَابَهُ^(٨)، فَأُبْدِي لِي التَّحْيِيلَ وَالْكَآبَةَ^(٩).

(١) الحجابة (في الأندلس): رئاسة الوزارة.

(٢) عصابة: جماعة. من بني كلب = من الكلاب (في هذا تورية: بين بني كلب القبيلة الماهلية وبني الكلب، أي الكلاب).

(٣) حال: أخاف. الهزير: الأسد. الوض (يفتح ففتح): الخشية أو الدفء الذي يقطع الجزار عليه اللحم. الغاب في الأصل جمع غابة. صَبِيرَ الْأَوْضَامِ غَابَهُ (يفترس الغنم على الوض كما يفترس الأسد فرائسه في الغابة).

(٤) بني العزى: المعزى.

(٥) الثوري (هنا) الثور (ذكر البقر) تورية مع الثوري المنسوب إلى قبيلة ثور (راجع القاموس ١: ٣٨٤). القاني (من الفارسية، قان: دم): الشهيد الحمر. اللعاب: الريق في الغنم.

(٦) كلب (أي الكلاب) وهَرٌ (أي الحررة) تُقَرُّ لَنَا (لجماعة الجزارين) بَأَنَّ خِلَاصَةَ الْمَجْدِ لَنَا نَحْنُ (لأنها تأكل من فضلات اللحم التي نلقها إليها).

(٧) والذي لا يابه بنا (من الغنم والبقر) إِذَا مَرَّ بَنَا (اغتراراً منه بأنه ناج) فَيَأْتِي دَوْرَهُ فِي الذَّبْحِ يَوْمًا.

(٨) كان الجزار السرقسطي قد ترك الجزارة وجعل يمدح الوجهاء فلم يعطوه على المديح بالشعر. البخل أوصى صحابه (أصحاب المال) يمنع ما لهم عن الناس.

(٩) التحيّل (كيلا يقابلني) والكَآبَةُ (الحزن).

وظنّ زيارتي لطلاب شيء ، فنأفرتني وغلظت لي حجابيه^(١) .

- كان والدُ الجزّارِ يحيى السّرّسطيني قد تقبّل أرضاً للأحباس (ضمن قطعة من أراضي الأوقاف) ليزرعها ثم يؤدّي عنها خراجها فضاع (خسراً) واجتمع عليه خراجُ الأرض (تراكمت عليه الضرائب) فكتب (يحيى عن والده) إلى العاملِ (جامع الضرائب) يستقبله (يطلب منه إعفاءه من ضَمَانِ الأرض مع إسقاط الضرائب عنه):

يا أبا جعفر، لَعاً من عِثارِ سيّدي، أَسْمَعُ لعبدك القنّ يحيى
خبراً مُضحِكاً من الأخبار^(٢):
كان لي والدٌ، وكان - لَمَمري - في بني العصر بالفلاحة دار^(٣).
كاملُ الرأْيِ تاجرُ البرِّ والبحرِ - رر، وناهيك، فارسٌ في التِّجَارِ^(٤)،
مِثْلَ ما سُمِّيَ اللدّيعُ سليماً؛ وأنا بعده على ذاك جار^(٥).
وكذا يسلُكُ النجيبُ ويقفو نهجَ آبائه على آثار^(٦).
لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماءً جفّ قبلَ الورودِ ماءُ البحارِ^(٧)،
أو لَمَسْتُ العمودَ النضيرَ بكفّي لَدَوَى بعدَ نَضْرَةٍ وأخضرار.
فاكتراها - ولم يكنْ مستخيراً - وقتِ شؤْمٍ بطالعِ الإذْبارِ^(٨) وقتِ شؤْمٍ بطالعِ الإذْبارِ^(٩).

(١) الحجاب: الستر (منع العامة من الدخول على الملوك).

(٢) أبو جعفر (هنا) اسم العامل الذي كان يجمع الضرائب على الأراضي في أيام الجزّار السّرّسطيني. لَعاً: رفعاً لك من عثرتك. غيائاً: أغثني، أنقذني. لا يقرّ فراري: لا أستطيع الهُدوء والاطمئنان (لكثرة الضرائب التي تطالبني بها).

(٣) القنّ: العبد الدائم أو المرتبط بالأرض.

(٤) دار (حقاً أن تكون دارياً - هي خير كان). - من هذا البيت وما بعد يبدأ الشاعر بالتهكم بآبيه: دارٍ بالفلاحة (يقصد: غير دارٍ بها) كامل العقل (يقصد: ناقص العقل) الخ.

(٥) ناهيك: يكفيك. التجار (بتسهيل الجيم) كالتجار (بتشديد الجيم).

(٦) اللدّيع: الذي لدغته الحية (يسمى سليماً تفاؤلاً بأنه سيشفى من اللدغة). وأنا سائر على خطي والذي (جاهل مثله في هذه الأمور).

(٧) النجيب: الولد الذكي. يقفو: يتبع. نهج: طريق.

(٨) الورد (بالكسر): الذهاب إلى الماء.

(٩) أكثرى (ضمن، استأجر) هذه الأرض من غير أن يستخير الله (أن يطلب من الله أن يكون في عمله

جَذْبَةً، بَعْضُهَا مِنْ الشُّؤْمِ أَضْحَى فِي عُلُوٍّ وَبَعْضُهَا فِي انْحِدَارٍ^(١).
 لَمْ يَزَلْ زَارِعاً بِهَا حِمْلَ بَغْلٍ رَافِعاً مِنْهُ نِصْفَ حِمْلِ حِمَارٍ.
 سَاءَ فِي مَا أَصَبْتُ فِيهَا، وَلَكِنْ سَرَّني مِنْهُ خَبِيَةُ الْعَشَارِ^(٢).
 مَا أَبَالِي؛ وَقَدْ غَدَا لِي رُكْنًا صَاحِبُ الشَّرْطَةِ الْكَرِيمُ النِّجَارِ^(٣).

- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْجَزَّارِ السَّرْقُطِيُّ فِي الْحِكْمَةِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٥١٨):

إِيْسَاكَ مِنْ ذَلَّلِ اللِّسَانِ، فَإِنَّا عَقْلُ الْفَقِي فِي لَفْظِهِ الْمَسْمُوعِ.
 وَالْمَرْءُ يَحْتَسِبُ الْإِنْسَاءَ بِنَقَرِهِ لِيَرَى الصَّحِيحَ بِهِ مِنَ الْمَصْدُوعِ^(٤).

- وَقَالَ فِي بَقَاءِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ وَذَهَابِ أَصْحَابِ الْمَالِ الْمُوْهَبِ

(نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٤٦٤):

ثَنَاءُ الْفَقِي يَبْقَى، وَيَنْقُصُ ثَرَاؤُهُ. فَلَا تَكْتَسِبْ بِالْمَالِ شَيْئاً سِوَى الذِّكْرِ.
 فَقَدْ أَبْلَسَ الْأَيَّامُ كَفَباً وَحَاتِماً، وَذَكَرُهَا غَضٌّ جَدِيدٌ إِلَى الْحَشْرِ^(٥).

- وَلَهُ مِنْ مَوْشَعَةٍ:

وَهُمْ بَاقْتَضَاحٍ فِي الْغَيْدِ الْمَلَاخِ وَقُمْ لَاضْطِيَاخٍ^(١)
 بِكَاسِ الْمُدَامِ ثُمَّ اشْرَبْ هَبِيّاً وَاسْقِ النَّدَامَ^(٢)

★ ★ ★

خير)، بل اتفق أن كان الوقت وقت شؤم وأن الكواكب كانت في الإِدْبَارِ، أي في الرجوع (كواكب نحس).

(١) جذبة (مؤنث جذب: مجذب، قليل المنصب بالكسر).

(٢) سرني خبيبة العشار (جامع العشور: الضرائب). ومنذ الزمن الأقدم كان الناس يكرهون دفع الضرائب.

(٣) النجار: الأصل والحسب.

(٤) المصدوع: المشقوق.

(٥) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأيواد (الكرماء) في الجاهلية.

(٦) هم (بكر فسكون) فعل أمر من هام يهيم (أحب حباً شديداً). الاقتضاح: اشتهاه الإنسان بما لا يليق. الغيد جمع غيداء (المرأة الجميلة) التي تنابل في مشيها. المliche: الحسنة المتظر (في اللون خاصة؟). ثم (انهض باكراً) الاضطياح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) الدمام: الخمر. ندام (بالكسر) وندماء (بالضم) جمع نديم: المصاحب على شرب الخمر والمسامر (الشريك في الحديث في الليالي).

فتاة كعاب نعيم الشباب عليها مُذاب^(١)
 كروض الفام لها الميك رما والدر ابتسام

- وشكا جماعة من الناس عما لهم (جامعي الضرائب) فوقع على كتاب شكواهم:
 نَسَبْتُمُ الْجَوْرَ لِعَمَالِكُمْ وَنِسَبْتُمُ عَنْ سُوءِ أَعْمَالِكُمْ^(٢).
 لا تَنسِبُوا الْجَوْرَ إِلَيْهِمْ، فَمَا عَمَالُكُمْ إِلَّا كَأَعْمَالِكُمْ.
 تَاللَّهِ، لَوْ مُلِكْتُمْ سَاعَةً مَا خَطَرَ الْعَدْلُ عَلَى بَالِكُمْ!

٤-★★ الذخيرة ٣: ٩٠٥ - ٩٠٨؛ المغرب ٣: ٤٤٤ - ٤٤٥؛ زاد المسافر ١٤٠ - ١٤١؛
 جيش التوشيح ١٤٧ - ١٥٧ (راجع ٢٥٩ - ٢٦١)؛ نفح الطيب ٣: ٤٦٤، ٥٩٨،
 ٦٠٩.

ابن النحوي التوزري(*)

١- هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المشهور بابن النحوي التوزري وُلِدَ
 في القيروان، سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وقرأ العلم في بلدته ثم دَخَلَ الْمَغْرِبَ وَتَطَوَّفَ
 فيه واستقر في قلعة بني حماد قرب بجاية. وقد حج وزار مصر.
 تصدر ابن النحوي التوزري للتدريس وأقرأ النحو خاصة، وكان لا يقبل على
 التدريس شيئاً، بل كان يعيش من ضيعة له في توزر. وكانت وفاته في قلعة بني حماد
 سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في الأغلب.

٢- ابن النحوي التوزري عالم قصر حياته على طلب العلم ونشره، وكان فقيهاً
 يميل إلى الاجتهاد. ثم هو شاعر ومُصَنِّفٌ، له الوصية، وتُنسَبُ إليه قصيدة
 «المنفرجة» (وتسمى أيضاً: الفرج بعد الشدة) نظمها شكرًا لله، فقد كان ضاع له
 مال ثم رُدَّ إليه. وقد نالت هذه القصيدة شهرة كبيرة فشرحها كثيرون وخمسمها

* توزر في القطر التونسي

(١) الفتاة الكعاب: التي كعب أو استدار ثديها (في أول شبابها).

(٢) الجور: الظلم.

آخَرُونَ، وقد كَثُرَ اعتقادُ الناسِ فيها وجَعَلُوا قراءتها وسيلةً إلى تَفْرِيجِ كُرُوبِهِمْ وَنَيْلِ أَمَانِيهِمْ. وقد نُسِبَتِ هذه القصيدةُ إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَطَّارِ الْقُرَشِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ التَّوَفَّى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)، كما نُسِبَتِ إلى الْغَزَالِيِّ (بروكلمان ١: ٣١٦، راجع أيضاً طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥). وقصيدةُ «المنفرجة» خاصَّةٌ قَرِيبَةُ الْمَعَانِي جَدًّا تَلَامُ أذْوَاقَ عَامَةِ النَّاسِ وَهِيَ مَنْظُومَةٌ عَلَى بَحرِ الْحَبَبِ الْمُرْقَصِ الْقَلِيلِ فِي الشَّعْرِ. وَتَرَكَيبُهَا سَهْلَةٌ جَدًّا أَيْضاً تَضَعُفُ أحياناً كَثِيرَةً.

٣ - مختارات من شعره:

- مختارات من قصيدة «المنفرجة»:

اشتدِّي، أزمَةً، تنفرجي؛	قد آذنَ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ ^(١) .
وظلامُ الليلِ له سُرُجٌ	حتَّى يَفْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ ^(٢) .
وسحابُ الخيرِ له مَطَرٌ،	فإذا جاءَ الْإِبَّانُ تَجِي ^(٣) .
وفوائدُ مولانا جُمْلٌ	لِسُرُوجِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهَجِ ^(٤) ؛
ولها أَرْجٌ مُخَيَّرٌ أَبَدًا،	فاقْصِصْ مُخَيَّرَ ذَاكَ الْأَرْجِ ^(٥) .
والخَلْقُ جَمِيعًا فِي بَدَنِ	فَذَوُّ سَعَةٍ وَذَوُّ حَرَجٍ ^(٦) ؛
ونزولُهُمْ	فإِلَى دَرَكٍ وَعَلَى دَرَجٍ ^(٧) ،
ومعايشُهُمْ	ليست في الْمَشْيِ عَلَى عَوَجٍ ^(٨) .

(١) الأزمة: الضيق والشدة. البلج: الضوء. - آذن ليلك بالبلج (البياض): قرب طلوع النهار.

(٢) سرج (هنا): نجوم. أبو السرج: الشمس.

(٣) الإبان (يكسر الهمزة وتشديد الباء): الزمن، الموسم.

(٤) مولانا: ربنا (الله). جل: كثيرة. سروج (جمع سرج) وسروج (بفتح السين): السريع من الخيل والإبل، والشروح (لم يتضح لي معنى البيت معنا).

(٥) أرج: راحة طيبة. أبداً: دائماً. مخي ذلك الأرج: الله. - لا تحاول أن تستعيد نشاطك بشم الرائحة الطيبة، بل الجأ إلى خالق هذه الرائحة.

(٦) ... من الخلق (الناس) من هو في سعة من العيش ومن هو في ضيق.

(٧) الدرك: للنزول (إلى أسفل) والدرج: للصعود (إلى أعلى). - كل أعمال البشر مقدره عليهم.

(٨) لا يستطيع الناس أن يمتثلوا (بالسير الأعوج: خلافاً للقانون الإلهي) لبلوغ ما يريدون بإرادتهم.

حِكْمٌ نُسِجَتْ بِيَدِ حَكَمَتَ إِذَا اقْتَصَدْتَ ثُمَّ انْفَرَجَتْ شَهِدَتْ بِعَجَائِبِهَا حِجَجٌ مُسِيحَ الْعَقْلِ الْآتِيهِ هُدًى، وَخِيَارُ الْقَوْمِ هُدَاتُهُمْ، وَإِذَا كُنْتَ الْمَقْدَامَ فَلَا وَإِذَا أَبْصَرْتَ مَنَارَ هُدًى وَالرِّفْقُ يَدُومُ لَصَاحِبِهِ،

ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسِجِ: (١).
فَبِمُقْتَنَصٍ وَبُنُجْرَجِ: (٢).
قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْحَجَجِ: (٣).
وَهَوَى مُتَوَلٍّ عَنْهُ هُجًى: (٤).
وَيُؤَاهَمُ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ: (٥).
تَجَزَّعَ فِي الْحَرْبِ مِنَ الرَّهَجِ: (٦).
فَاطْهَرُ فَرْدًا فَوْقَ الثَّبَجِ: (٧).
وَالْخَرْقُ يَصِيرُ إِلَى الْمَرْجِ: (٨).

- ولأبي الفضل النحويّ التوزيريّ أبيات يتشوّق فيها إلى مصر:

أَيْنَ مِصْرُ، وَأَيْنَ سُكَّانُ مِصْرٍ! بَيْنَنَا شُقَّةُ النَّوَى وَالْبُعَادِ: (١).
حَدَّثَانِي عَنْ نَيْلِ مِصْرٍ، فَإِنِّي مُنْذُ فَارَقْتُهُ إِلَى الْمَاءِ صَادٍ: (٢).
وَالرِّيَاضِ الَّتِي عَلَى جَانِبَيْهِ؛ وَاجْعَلَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ زَادِي.
رَقَّ قَلْبِي حَتَّى لَقَدْ خِلْتُ أَنِّي بَيْنَ أَيْدِي الزَّوَارِ وَالْعَوَادِ: (٣).

(١) للأمر الجاري في عالمنا حكمة أرادها الله ثم هي تنفذ بسمي الإنسان (المنتسج).

(٢) اقتصدت: اعتدلت، استقامت (صلحت).

(٣) عجائب الحكمة الإلهية قامت الحجج (السنوات الكثيرة المتوالية) دليلاً عليها. قامت بالأمر على الحجج (٢) جمع حجة (بالضم).

(٤) من عمل الأمور بعقل مدح (كان مدوحاً، محموداً). ومن تولى (مال، انحرف) عن العقل في أعماله هُجًى (كان مهجواً، مذموماً).

(٥) الهمج: الرُّعَاعُ من الناس لا نظام لهم.

(٦) الرهج: غبار الحرب (لا تخف من غبار الحرب، فإن الغبار لا يقتل. ولكن أقدم على القتال لأنّ الأعمار بيد الله).

(٧) أظهر (ارتفع، تسلّق) فرداً (وحدك) فوق الثبج (ما بين الكاهل إلى الظهر: المكان العالي).

(٨) الجُرْقُ: الجهل والحمق (قَلَّةُ الْعَقْلِ). المَرَجُ: (بفتح الراء): الحيرة واضطراب الأمور.

(٩) الشُقَّةُ: المسافة. النوى: البعد، البعد.

(١٠) صاد: عطشان.

(١١) ... - خلت (ظننت) أني ... مريض.

ما ترائي أبكي على كلِّ رَنعٍ ! ما ترائي أهيمُ في كلِّ وادٍ (١) !
 رَوْشٌ من رواشٍ النيسلِ خبيرٌ - بعدُ - مِنْ دِجْلَةٍ ومن بَغْدادٍ (٢).
 إِنَّ مِصْرًا لها مَعانٍ، لَعَمري، قد تَأَبَّتْ على جميعِ البلادِ (٣).
 هذه الأرضُ إِنَّا هي نادٍ؛ مِصْرٌ من بَيْنِها سِراجُ الناديِ (٤).

- ٤ - قصيدة « المنفرجة »، الاسكندرية (طبع حجر) ١٣٠٤ هـ (مع تخميس لها)، مطبوعة مع « منبّهات ابن حجر - ص ٥٥ - ٥٧ »، الاستانة (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ، مكة ١٣١٧ هـ؛ ذيل « جالية الكدر » للبرزنجي، القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢١ هـ.
 ★★ الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، لأبي يحيى زكريّا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، القاهرة ١٣٢٣ هـ.
 - المنفرجة على المنفرجة لعبد الله بن عبد العزيز الصوفي، مصر ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).
 المغرب ١: ٣٢٥، طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥، الخريدة (المغرب) ١: ٣٢٥ - ٣٢٦، التشوّف ٧٢، نيل الابتهاج ٣٤٩؛ بغية الوعاة ٤٣٤؛ بروكلمن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣ - ٤٧٤، الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٥ - ٣٢٦ (٨: ٢٤٧)، مجمل الأدب التونسي ١١٧٢، نويّس ٢٠٧ - ٢٠٨، راجع تخميساً لها في « عنوان الدراية » ٢٧٢ وما بعده؛ سركيس ٢٦٦ - ٢٦٧.

أبو القاسم بن الجَدّ

١ - هو أبو القاسم مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ فَرَحِ بْنِ الْجَدِّ الْفِهْرِيِّ - ويُعرفُ بلقب « الأَحَدَب » أصله من مدينة لَبْلَة، في الجنوب الغربيّ من الأندلس (وقيل من شِلْب المجاورة لَلْبَلَة).

وسكن أبو القاسم بن الجَدّ مدينة إشبيلية، فلماً وَلَّى المعتمدُ بْنُ عِبادٍ ابْنَهُ يزيدَ الراضيَ على الجزيرة الخضراء (في جَنُوبِ الأندلس) جَعَلَ أبا القاسمِ بنَ الجَدِّ وزيراً

(١) ألا ترائي بعد مفارقة مصر أبكي في كلّ مكان (حزيناً) وأمضي هائماً (حيران).

(٢) الروش: الشرفة (المعجم الوسيط ١: ٣٤٨).

(٣) تَأَبَّتْ على: استعصت، صمب وجودها.

(٤) النادي: مجتمع الناس، مجلس الأشراف.

معه. ثم انتقل الرازي إلى الولاية على رُنْدَةَ فانتقل أبو القاسم معه أيضاً. وبقي أبو القاسم مع الرازي إلى أن قُتل الرازي (٤٨٤ هـ) في حَمْلَةِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشِفِينَ للقضاء على ملوك الطوائف.

ثم إنَّ أبا القاسم بنَ الجَدِّ اعتزل الحياةَ السياسيَّةَ واستقرَّ في بلدِهِ لَبْلَةَ فَوَلَّاهُ أهلُها خِطَّةَ الشُّورَى فيها (المغرب ١: ٢٤١) فكان يُفِي في لَبْلَةَ.

وبعدَ أن استولى المرابطون على الأندلس اتصل بهم أبو القاسم بنُ الجَدِّ فدعاه أميرُ المسلمين يَوْسَفُ بْنُ تَاشِفِينَ إلى مَرَّاكُشَ فانتقل أبو القاسم إليها ثم استمرَّ يعيشُ فيها. وقد تَوَلَّى الكِتَابَةَ لعلِّي بْنِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشِفِينَ وكتب عنه رسالةً (سَنَةِ ٥١٢ هـ)، ولعله كان في هذا المنصب من قبل عليَّ بن تاشفين أيضاً.

وكانت وفاة أبي القاسم بن الجَدِّ، سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ م)، في مدينة مَرَّاكُش.

٢- كان أبو القاسم بنُ الجَدِّ من أهل التَّفَنُّنِ في المعارف، بارِعاً في الحديث والفقه خاصَّةً، ثم كان أديباً كاتباً: مُنِثِّلاً بارِعاً ومُتَرَسِّلاً قديراً وشاعراً أيضاً. وكانت بينه وبين الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مراسلةٌ. وشعره وجُدافيٌّ يدورُ على الوصفِ والعتاب في الأكثرِ ثم إخوانيات. ويبدو أن نثره أكثرُ من شعره وأعلى مكانةً^(١).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسم بنُ الجَدِّ (يَصِفُ قصيدة):

لَيْنَ رَاقٍ مَرَأَى لِلْحِسَانِ وَسَمْعُ، فَحَسَنَّاؤُكَ الْغَرَاءُ أَهْبَى وَأَمْنَعُ.
عُرُوسٌ جَلَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ فَانْجَلَّتْ إِلَيْهَا النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ تَطْلَعُ.
رَقَفْتَ بِهَا بِكَرًّا تَضَوَّعَ طَيْبُهَا؛ وَمَا طَيْبُهَا إِلَّا الثَّنَاءُ الْمَضَوَّعُ.

(١) في المطرب (ص ١٩٠) لأبي القاسم بن الجَدِّ ابنُ عمِّ أديبٍ شاعرٍ هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى ابن الجَدِّ، ولد سنة ٤٩٦ وتوفي سنة ٥٨٦ هـ.

لها من طرازِ الحُسْنِ وَشَيْءٌ مُهْلَلٌ، ومن صيغة الإحسان تاجٌ مُرَصَّعٌ^(١).

- وكتب عن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى أهل غرناطة مُهَدِّدًا:
 كتابنا - عَصَمَكُمُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسِّرْكُمْ لَهَا يَرْضَاهُ، وَجَنَّبَكُم مَّا يُسْخِطُكُمْ وَيَنْهَاهُ^(٢) -
 مِنْ حَضْرَةِ مَرَاكُشٍ^(٣) حَرَسَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ الْمُعْظَمِ سَنَةِ
 سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدْ اتَّصَلَ بِنَا أَنْكُمْ مِنْ مُطَالِبَةٍ فَلَانٍ عَلَى أَوْلَكُمْ وَفِي عُنْفَوَانٍ
 عَمَلِكُمْ^(٤)، وَأَنَّهُ لَا يَغْنَمُ تَسْغِيًا وَتَالِيًا مِنْ قَبْلِكُمْ^(٥). فَإِلَى مَقَى تُلَحُّونَ فِي الطَّلَبِ
 وَتَجِدُونَ فِي الْقَلْبِ وَتَقْرَعُونَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ^(٦)... لَقَدْ آتَى^(٧) لِحَرْكَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ أَنْ
 تَهْدَى وَلِلنَّائِرَةِ بَيْنَكُمْ أَنْ تُطْفِئَ وَلِذَاتِ بَيْنِكُمْ أَنْ تَنْصَلِحَ وَلِوُجُوهِ الْمَرَاشِدِ قَبْلَكُمْ أَنْ
 تَنْضَحَ^(٨). وَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ خِطَابُنَا هَذَا فَاتْرَكُوا مُتَابَعَةَ الْهَوَى وَاسْلُكُوا مَعَهُ الطَّرِيقَةَ
 الْمَثْلَى وَدَعُوا التَّنَافَسَ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا. وَلْيَقْبَلِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى مَا يَغْنِيهِ وَلَا
 يَشْتَغِلْ بِمَا يُنْصِبُهُ وَيُغْنِيهِ^(٩). فَلَا بَدَّ لِكُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَجَلٍ وَلِكُلِّ وَلايَةٍ مِنْ غَايَةٍ^(١٠). وَلَنْ
 يَسْبِقَ شَيْءٌ أَنَاهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا سَنَاهُ^(١١). وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

(١) مهلل: رقيق (نفس، ثمن، جيل).

(٢) تقواه: طاعته والخوف منه. جنَّبكم: أبعد عنكم. يسخطكم: يهضبك (إذا عوقبتم على سوء تأنونه). ينهاه (عليكم): يهيئكم به، يؤاخذكم عليه.

(٣) الحضرة: المكان الذي يوجد فيه كبير القوم. حضرة مراكش: عاصمة المغرب الأقصى.

(٤) مطالبة فلان: ما يطلبه منك (الثائر، العاصي، الخارج على الدولة). على أولكم: كما كنتم من قبل في أول الأمر (على المعصية). العنفوان: الشدة.

(٥) لا يزال يجد فيكم من يقوم له بالفتنة ويجمع حوله الأنصار منكم.

(٦) نصرؤن على بحارية الدولة وتجحدون حتى تنتصروا، وتقرعون (ندقون، تقاتلون) النبع (أغصان الشجر المتين، الرماح، قوة الدولة) بالغرب (بأغصان الشجر الضعيف، بقوة مسيرة).

(٧) آن: قرب الوقت.

(٨) النائرة: الهاجعة، الفتنة، الثورة. ذات البين: ما بين قومين، الصلة. قبلكم: عندهم.

(٩) الحطام: ما يتكسر من أطراف الأشياء اليابسة، قشر البيض (أشياء لا قيمة لها). أنصبه الأمر: أتمبه. عناء: أتمبه جدًا (من غير أن يستطيع التغلب عليه).

(١٠) لكل عمل أجل: مدة (إشارة إلى انقراض دويلات الطوائف). ولاية: حكم. غاية: نهاية.

(١١) أَنَاهُ: حينه، زمنه (لا يأتي شيء قبل أوانه). سَنَاهُ: سَهْلَهُ (الاقموس ٤: ٣٤٥). - الأني (بالفتح أو بالكسر): الحين.

لكم^(١). والله يعلم وأنت لا تعلمون^(٢). وَفَقَّكُمْ اللهُ لِمَا فِيهِ صَوْنٌ أَدْيَانِكُمْ وَتَسْدِيدُ أَعْمَالِكُمْ وَأَغْرَاضِكُمْ، بِنِّه^(٣).

٤-★★ فَلَائِدُ الْعُقَيَّانِ ١٢٣ - ١٢٩ الصَّلَاةُ ١٥٤٤ الخَزِيدَةُ (الْأَنْدَلُسُ) ٢: ٢٥٧ - ٣٦٨
الخَزِيدَةُ (الْمَغْرِبُ وَالْأَنْدَلُسُ) ٣: ٣٩٣ - ٤٠١ الذَّخِيرَةُ ٢: ٢٨٥ - ٣٢٢ الْمَغْرِبُ
١: ٣٤١ - ٣٤٢ الْمَطْرِبُ ١٩٠ - ١٩٢ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةُ ٣: ١٧٤٨
الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ٧: ١٠٣ - ١٠٤ (٦: ٢٣٨).

ابن القطّاع

١- هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ
ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ الْأَغْلَبِ السَّعْدِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ؛ وَيُعرفُ بِابْنِ
الْقَطَّاعِ السَّعْدِيِّ الصَّقَلِيِّ.

وُلِدَ ابْنُ الْقَطَّاعِ الصَّقَلِيُّ فِي صِقَلِيَّةَ، فِي الْعَاشِرِ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٣
(١٠٤١/٩/٩م). وَقَرَأَ ابْنُ الْقَطَّاعِ فِي بَلَدِهِ عَلَى تَفَرُّقٍ مِنْهُمْ الْعَالِمُ اللَّغَوِيُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ
ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الصَّقَلِيِّ.

وَلَمَّا أَشْرَفَ الْإِفْرَنْجُ (النُّورْمَانِيُّونَ) عَلَى احْتِلَالِ صَقَلِيَّةَ، فِي حُدُودِ ٥٠٠ هـ
(١١٠٦م) رَحَلَ ابْنُ الْقَطَّاعِ إِلَى مِصْرَ وَاشْتَغَلَ فِيهَا بِإِقْرَاءِ كِتَابِ الصِّحَاحِ
لِلجَوْهَرِيِّ وَبِتَعْلِيمِ أَوْلَادِ الْأَفْضَلِ بْنِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ.

وكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْقَطَّاعِ فِي الْقُسْطَاطِ (مِصْرَ الْقَدِيمَةِ)، سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ -
١١٢٢م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- كَانَ ابْنُ الْقَطَّاعِ الصَّقَلِيُّ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ خَاصَّةً وَفِي الْأَدَبِ وَاسِعَ الْإِطْلَاعِ؛
وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ. وَكَانَتْ لَهُ أَيْضًا مَوْلُفَاتٌ مِنْهَا: الْجَوْهَرَةُ الْخَطِيرَةُ فِي شُمَرَاءِ

(١) قرآن كريم (٢: ٢١٦)، البقرة.

(٢) قرآن كريم (٢: ٢١٦).

(٣) الصون: الصيانة والحفظ. النحو: القصد. الغرض: الغاية، الهدف. التة: الإنعام.

الجزيرة (أي صقلية)، وقد اشتمل هذا الكتاب على يائّة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت من الشعر) - كتاب الأفعال (هذب فيه كتباً في الأفعال لابن القوطية وابن طريف وغيرها) - كتاب الأسماء أو أبنية الأسماء (جمع فيه أبنية الأسماء كلها) - فرائد الشذور وقلائد النحور (في الأشعار) - كتاب العروض والقوافي - لمح الملح (في شعراء الأندلس) - كتاب ذكر تاريخ صقلية.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن القطّاع الصّقْلِيُّ يَفْتَحِرُ بِشِعْرِهِ:

يَا رَبَّ قَافِيَةً بِكَرٍ نَظَّمْتُ بِهَا فِي الْجَبَدِ عِقْدًا بِدُرِّ الْمَجْدِ قَدْ رُصِفَا؛
يَوَدُّ سَامِعُهَا لَوْ كَانَ يَسْمَعُهَا بِكُلِّ أَعْضَائِهِ - مِنْ حُسْنِهَا - شَفَا!

- وقال يتغزل:

إِيَّاكَ أَنْ تَذُنُوَ مِنْ رَوْضَةٍ بَوَجْنَتَيْهِ تُنْبِتُ الْوَرْدَا؛
وَاحْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ قُرْبِهَا فَإِنَّ فِيهَا أَسَدًا وَرَدَا!

- وقال في الرّهُدِ والحِكْمَةِ:

فَلَا تُنْفِدَنَّ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الصِّبَا وَلَا تَشَقِّقَنَّ يَوْمًا بِسُغْدَى وَلَا نَعْمَ؛
وَلَا تَتَذَبَّبَنَّ أَطْلَالَ مَيَّةٍ بِاللَّوَى وَلَا تَسْفَحَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ عَلَى رَسَمِ .
فَإِنَّ قُصَارَى الْمَرَّةِ إِدْرَاكَ حَاجَةٍ؛ وَتَبْقَى مَذَمَاتُ الْأَحَادِيثِ وَالْإِثْمِ!

- من مقدّمة «كتاب الأفعال»:

.... اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ مَا رَغِبَ فِيهِ الرَّاعِبُ وَتَعَلَّقَ بِهِ الطَّالِبُ مَعْرِفَةُ لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَوَرَدَ بِهَا حَدِيثُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَتَعْلَمَ بِهَا حَقِيقَةَ مَعَانِيهَا وَلِتَلَّا يَصِلَ مَنْ أَخَذَ بِظَاهِرِهَا . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اللُّغَةُ أَرْكَانُ الْأَدَبِ وَالشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ . بِالشَّعْرِ نُظِمَتِ الْمَآثِرُ وَبِاللُّغَةِ نُثِرَتِ الْجَوَاهِرُ^(١) . لَوْلَا اللُّغَةُ لَذَهَبَتِ الْأَدَابُ،

(١) الجوهرة: اللؤلؤة (نثرت الجواهر: كتبت المقاطع النفيسة). الماثرة (بضمّ التاء): العمل الحميد.

ولولا الشعرُ لَبَطَلَّتِ الأحسابُ. بِلغةِ العربِ نَزَلَ القرآنُ، وبِشعرِهِمُ مُيِّزَ الفرقانُ^(١).
 من ذَمَّ شِعْرَهُمْ فَجَرَ، ومن طَعَنَ على لُغَتِهِمْ كَفَرَ^(٢). سألَني - أراك الله السُّؤلُ^(٣)
 وبلغك المأمولُ - أن أُلْخَصَ لك ما انْفَلَقَ وَبَعِدَ، وأُخْلَصَ لك ما عَسِرَ وانْقَعَدَ من
 كتابِ «أُنبِيَةِ الأفعالِ» لأبي بكرٍ مُحَمَّدٍ بنِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ المعروفِ بابنِ
 القوطية^(٤). وهذا الكتابُ في غايةِ الجودَةِ والإحسانِ، لو كان ذا ترتيبٍ وبيانٍ،
 لأنَّه قد أرى^(٥) فيه على كُلِّ من أَلَفَ في معانيه. إلَّا أَنَّهُ لم يذكُرْ فيه سِوَى الأفعالِ
 الثلاثيةِ وما دَخَلَ عليها من الهمزِ. ولم يَسْتَوْعِبْ ذلك. وَتَرَكَ نَحْواً مِمَّا ذَكَرَ^(٦)، وَخَلَطَ
 في التَّبْوِيبِ وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ في التَّرْتِيبِ. وجعلَ الثُّلاثيَّ في اتِّفَاقٍ معنَى في أبوابٍ،
 وباختلافٍ معنَى في أبوابٍ، والثَّنَائِي المُضَاعَفَ في أبوابٍ، والمُتَّفِقَ والمُخْتَلَفَ منه في
 أبوابٍ. فَاتَّعَبَ الناظرُ وَأَنْصَبَ الخاطرُ^(٧). وصار الطالبُ للحرفِ يَجِدُهُ مُتَفَرِّقاً في
 الكتابِ في عِدَّةِ أبوابٍ. ولم يذكُرْ فيه الأفعالَ الرُّباعِيَّةَ الصَّحِيحَةَ والسُّداسِيَّةَ المَزِيدَةَ
 ولا الثَّنَائِيَّةَ المُكَرَّرَةَ. فَاجْتَنَتُكَ إلى ما سَأَلْتُ وَأَسْعَفْتُكَ^(٨) بما أَرَدْتُ، على ما في ذلك
 من النَّعَبِ الطَّوِيلِ والنَّصَبِ الجَزِيلِ، لأني أَحْتَاجُ (إلى) أن أُعْرِضَ الكُتُبَ لِكُلِّ
 حَرْفٍ عَرْضَةً^(٩)، وأَلْحِقَ به ما تَرَكَ من عِدَّةِ دَوَائِمٍ..... فَرَدَدْتُ كُلَّ فَعْلٍ إلى
 مِثْلِهِ، وَقَرَنْتُ كُلَّ شَكْلٍ بِشَكْلِهِ. وَرَتَّبْتُهُ خِلَافَ تَرْتِيبِهِ وَهَذَبْتُهُ خِلَافَ تَهْذِيبِهِ.

(١) بشعرهم... بمقارنة شعرهم بِلغة القرآن الكريم، ظهر أَنَّ أسلوبَ الفرقان (القرآن) مُمَيِّزٌ (يختلف)،
 فوق (الشعر).

(٢) فجر: استهتر في ارتكاب المعاصي. طعن على لغتهم: عابها، ذمها.

(٣) السؤل = السؤل = السؤال: ما يطلبه الإنسان، الحاجة (أراك الله...).

(٤) راجع ترجمة ابن القوطية (ت ٣٦٧).

(٥) أرى: زاد.

(٦) استوعب: استوفى (ذكر جميع ما أَرادَه). ترك نحواً (مقداراً مساوياً للذي أثبتَه في كتابه) مما ذكر
 (أنَّه سيعالجه). الأفعال الثلاثية (صيغة فعل: علم، أخذ، سمى). وما دخلها من الهمز (صيغة أفعَل:
 أعلم، أخذ، ألقى).

(٧) أنصب: أجهد، أتعِب.

(٨) الفعل الرباعي الصحيح (فعلل: دحرج). السداسية المزيدة (استفعل وافموجل: استعلم، استعبر ثم
 اخضوضر، احلولي). المكررة الثنائية (قلقل، جمجع). أسعف: ساعد.

(٩) عرضة: استعراض الكتاب مرَّةً جديدةً.

وذكرت ما أغفلهُ من الأفعال الثلاثية والمزيدة بالهمزة والثنائية المكررة. وأوردت الأفعال الرباعية الصحيحة والأفعال الخماسية والسداسية المزيدة. وأثبتها على حروف المفجَم حتى لا يحتاج الناظر (إلى) أن يخرج من باب إلا وقد استوعب جميع الأفعال. وأعلّمت ما أوردَهُ (ابن القوطية) بحرف «القاف» وعلى ما أوردَهُ أنا بحرف «العين»، ليُعرفَ بذلك ما أوردَهُ وما أوردَهُ، وما تركَ وما زِدْتُ.....

٤- كتاب الأفعال (رتبه سالم الكرنكوي)، حيدر آباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٠ - ١٣٦٤ هـ.

★ معجم الأدياء ١٢: ٢٧٩ - ٢٨٣ خريدة (المغرب) ١: ٥١ - ٥٥: إنباء الرواة ٢: ٢٣٦ - ٢٣٩: المحمدون ٦٣ - ٦٤: وفيات الأعيان ٣: ٣٢٢ - ٣٢٣: بنية الوعاة ٣٣١ - ٣٣٢: شذرات الذهب ٤: ٤٥: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٨ - ٨١٩: بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤٠: الأعلام للزركلي ٥: ٧٦ (٤: ٢٦٩).

ابن صارة الشنتريني

١- هو الأستاذ الأديب الكبير الشهير (نفع الطيب ٤: ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر بن صارة (أو سارة) الشنتريني، من أهل شنترين الغرب (في البرتغال اليوم).

كان ابنُ صارة «قليلَ الحظِّ إلا من الحرمان»: كان رجلاً «أعانَ الدهرَ على نفسه» فما رَفِقَ في مُعاشرة أحدٍ ولا صَبَرَ على عملٍ. من أجل ذلك كان يَتَكَسَّب ببيعِ المُحَقَّرَاتِ (الأشياء الثافهة)، كما اشتغل حيناً بالتأديب والتعليم. ولقد تطوَّف في الأندلس شرقاً وغرباً وراء الرزقِ ومدح نفرأ من الأمراء وكتبَ لِبَعْضِهِمْ (كان كاتباً عندهم). ثم استقرَّ في بَطْلَيْوسَ وعاش في بلاطِ بني الأفطس أيامَ التُوَكُّلِ أبي حفص عمرَ الذي جاء إلى الحكم سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) شريكاً فيه مع أخيه يحيى. فلما مات يحيى، سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) انفرد هو بالحكم.

لما استولى المرابطون على بَطْلَيْوسَ (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) وقتلوا المتوكل انتقل ابن صارة إلى إشبيلية (وكانت إشبيلية أيضاً في يد المرابطين) واشتغل في الوراقة

(نسخ الكتب وتجليدها) وعاش عيشة بؤس. ولما رجع القاضي أبو بكر بن العربي من الشرق سنة ٤٩٣ هـ، سكن إشبيلية فمدحه ابن صارة. ولما جاء أبو بكر بن إبراهيم والياً على غرناطة من قبل المرابطين ذهب ابن صارة إلى غرناطة ودخل عليه مع الشعراء ومدحه. ثم مدحه أيضاً في نوروز سنة ٤٩٩ هـ (رجب ٤٩٩ هـ = آذار - مارس ١١٠٦ م). وكذلك مدح أبا العلاء بن زهير (ت ٥٢٥ هـ) وأبا أمية بن عصام قاضي الشرق (شرق الأندلس)، ولا أعلم متى فعل ذلك.

ولا يبدو أن ابن صارة تكسب بالشعر ما يذهب بشقائه فاعتزل الحياة العامة في أواخر أيامه - وكانت وفاته بالمرية سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

٢- ابن صارة الشنترفي أديب نائر ناظم: كان شاعراً بارعاً مقتدرًا صحيح اللغة متين الأسلوب يحب المعاني الغريبة والتلاعب بالألفاظ مع قدرة على التوليد والاختراع. وقد أولع بالمقطعات القصار فأرسلها أمثالا. وكذلك كانت له براعة وقدرة في القصائد الطوال.

أما فنونه فهي المديح والثناء (فقد رثى ابنته رثاء فيه زهد فيها وفي الدنيا) والهجاء (وقد أكثر منه وخصوصاً في أيام شقائه الأولى) والوصف (وصف الطبيعة، وله أوصاف مستجادة في النار ووصف للشهاب). وتكثر الشكوى في شعره. وله حكمة وزهد وغزلان، مذكر ومؤنث.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابن صارة الشنترفي يمدح الأمير أبا بكر بن إبراهيم لما جاء أبو بكر إلى غرناطة والياً عليها:

اليوم أخمدت الضلالة نارها، واسترجعت دار الهدى عمارها^(١)،
واستقبلت حدق الوري غرناطة، وهي الحديقة فوقت أزهارها^(٢).

(١) استرجع (قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، المقصود: استرد. المار: الساكنون.

(٢) فوقت: أزهارها: جمعت ألوانها كثيرة.

فَكَأَنَّ تَشْرِيناً بِهَا نَيْسَانُهُ
 مَا شِئَتْ مِنْ نَهَرٍ كَصَدْرِ عَقِيلَةٍ
 أَوْ جَذُولٍ كَالنَّضْلِ فِي يَدِ نَائِرٍ
 اللَّهُ أَرْوَعُ مِنْ ذَوَائِبِ حِمِيرٍ
 مَا هَالَهُ بَيْدٌ تَعَسَّفَهَا، وَلَا
 فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي إِلَى قَصْرِ الْهُدَى
 خَضَبُوا السَّوَاعِدَ بِالرَّقَاقِ تَقَاوُلًا
 غَرَسُوا الْأَيَادِي فِي ثَرَى مَعْرُوفِهِمْ
 ضَرَبُوا سُرَادُقَ بَاسِيهِمْ مِنْ دُونِهَا
 لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ قَدَوُخَا
 شُهْبٌ إِذَا أَوْقَتْ عَلَى أَفْقِ الْوُغَى
 يَكْسُو رُبَاهَا وَرَذَاهَا وَبَهَارَهَا (١)
 شَقَّتْ أَنْامِلُهَا عَلَيْهِ صِدَارَهَا (٢)،
 أَمْنَى صَحِيفَتَهُ وَهَزَّ غِرَارَهَا (٣).
 رَاعَ الْعُدَّةَ فَمَا تَبَعَرُّ قَرَارَهَا (٤).
 لُحِجٌ بِجَنْحِ اللَّيْلِ خَاضَ بِجَارَهَا (٥).
 فَتَطَنُّهُمْ سَدَا الدُّجَى أَقْمَارَهَا (٦)،
 أَنْ سَوْفَ تَخْضَبُ بِالنَّجِيعِ شِفَارَهَا (٧)
 فَجَنُّوا بِالنَّيْنَةِ الثَّنَاءَ ثِمَارَهَا.
 وَقَدْ اشْرَأَبَ الْكَفْرُ يَهْدُمُ دَارَهَا (٨).
 أَرْضَ الْعِدَى وَاسْتَأْصَلُوا كُفَّارَهَا (٩).
 جَعَلَتْ أبا يَحْيَى الْأَمِيرَ مَدَارَهَا (١٠).

- (١) تشرين (الشهر العاشر في التقويم الميلادي) يبدأ فيه الحريف وتساقط ورق الشجر. نيسان (الشهر الرابع) فيه يبدأ الربيع واكتساء الأشجار بالورق وتفتح الأزهار في الحقول. البهار: الزهر الأصفر أو زهر الربيع عامة.
- (٢) الشاعر هنا يشبه مجرى النهر في المروج الأخضر بعقيلة (سيدة كريمة) تكشف بأطراف أصابعها ثيابها (الخضراء) عن (صدرها الأبيض). الصدار (ثوب قصير يغطي الصدر).
- (٣) النصل (السيف). أمهى (رقق السيف وجلاه). الفرار: حد السيف، والمقصود السيف كله.
- (٤) الأروع: الشجاع. الذؤابة: ضفيرة من الشعر (رئيس القوم). حير: عرب الجنوب (اليمن) أي الملوك. راع: أخاف.
- (٥) ما هاله (لم تخفه) بيد (أي الصحارى) تَعَسَّفَهَا (قاسى المشقة في قطعها) ولا لحج (أمواج) بجنح الليل (في الوقت الذي يشتد فيه الظلام).
- (٦) فنية (أقارب الأمير المدحوق؟). سَدَا الدُّجَى أَقْمَارَهَا (أقمارها بدل من الدجى): سَدَا (غَطَّوا - بفتح الطاء) الْأَقْمَارَ (لأنهم أجل من الأقمار).
- (٧) خَضَبُوا (صفَّوا) السَّوَاعِدَ (جمع ساعد: ما بين المرفق إلى الكف) بِالرَّقَاقِ (٩). النجيع: الدم. الشفرة (حديدة السيف).
- (٨) السرادق (الخيمة الكبيرة) البأس (القوة، الحرب) من دونها (دفاعاً عن بلادهم). اشْرَأَبَ: مدَّ عنقه (رغب في، أراد).
- (٩) لبسوا القلوب على الدروع (استهانوا بالموت). دَوَّخَ البلاد: جال فيها وعرف جميع نواحيها (استولى عليها). استأصل (اقتلع، قضى على).
- (١٠) شهب (جمع شهاب: نجم). أوفى على أفق الوغى (اقترب من ميدان المعركة) جعلت أبا يحيى مدارها =

حاشا لِأَزْنَدِ شِرْعِنَا مِنْ كَبْوَةِ
 أَوْلَيِّ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ، أَتَهَجَّتْهَا
 فَحُطِرَ الرَّعِيَّةَ فِي مَرِيعِ جَنَابِهَا
 وَاقْدِفِ نُحُورَ الْمُشْرِكِينَ بِجَحْفَلِ
 وَاحِلِ عُرَى تِلْكَ الْجَمَاجِمِ، إِنَّهَا
 وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ
 لَا تَرْضَ مِنْهُمْ بِالنَّفُوسِ تَحُوزُهَا
 صَمَتَتْ سَيُوفُكَ فِي الْعُمُودِ وَجَرَدَتْ
 لَمَّا اخْتَسَتْ خَمَرَ الْهِيَاجِ نِصَالُهَا
 - وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

وَمَهْمُفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطْوَاقِهِ قَمَرًا بِأَفَاقِ الْهَاسَنِ يُشْرِقُ^(١).

- = (دارت حوله لتحبه أو اقتدت به في الدوران معه في ميدان القتال).
- (١) الزند (قطعة من حديد تنفذ بها النار من الحجر الصوان). شرعنا (الإسلام). الكبوة: العثرة، السقوط. أوري: أوقد.
- (٢) أَوْلَيِّ = يا وليّ (الوالي، الأمير). أحمد (محمد رسول الله). أبهج فلان فلاناً (أفرحه، سرّه). الجور: الظلم. الجار (الجير، المنقذ، الهامى، المدافع).
- (٣) حاط يحوط (حفظ). المريع: الخصب. الجنب (الجنب من الأرض). رأب فلان الصدع: جمع شقيه وأصلحه. الثأى: الحرم (بالفتح)، الشق. اصطنع أحرارها (قرب إليك الأحرار لا الأشرار).
- (٤) الجحفل: الجيش العظيم.
- (٥) احلل عرى الجاهم (الرووس): اخلع رؤوس هؤلاء القوم عن أجسادهم (٢). الهدى: دين الهدى (الإسلام). الزنار: شعار النصارى يلقونه على أوساطهم.
- (٦) ثلّ: هم. بيضة الملك: ما يدافع الملك عنه (العاصمة). الجبار: الملك. = سلبت الجبار (مفعول به أول) بيضة ملكه (مفعول به ثان مقدم).
- (٧) لا تقع بأن تأخذ سر القنا (الرماح) أرواحهم، بل يجب أن تستولي أنت على بلادهم.
- (٨) احتسى: شرب. خر الهياج (القتال، الحرب): الدم. الطاغية: المستبد الظالم. الحار: السكر. إكثارك القتل فيهم جعل ملوكهم كأنّما أصابهم صداغ (بالضمّ: وجع في الرأس).
- (٩) المهفف: الدقيق الخصر. الطوق: المقد، قبة القميص. قمر (كتابة عن الوجه).

يُفْضِي إِلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةً مَتَأَلَّقَ فِيهَا سِنَانٌ أَزْرَقُ^(١).
- وقال يرثي أبنه له ماتت (ونجد في هذا الرثاء شيئاً من الاستخفاف بالأنثى إذا ماتت):

أَلَا يَا مَوْتُ، كُنْتَ بِنَا رَوْوفاً فَجَدَدْتُ الْحَيَاةَ لَنَا بِزَوْرَةٍ.
حَمَادٍ لِيُغْلِبَكَ الْمَشْكُورَ لَمَّا كَفَفْتَ مَوُوتَةً وَسَرْتَ عَوْرَهُ^(٢)؛
فَأَنْكَحْنَا الضَّرِيحَ بِلا صِدَاقٍ، وَجَهَزْنَا الْفَتَاةَ بِغَيْرِ شُورَةٍ!
- وقال يصف شهاباً ترك وراءه خطاً طويلاً من النور:

وَكُوكِبٍ أَبْصَرَ الْغَيْرِيَّةَ مُسْتَرْقَاً فَانْقَضَ يَذْكِي عَلَى آثَارِهِ لَهَبَةً^(٣).
كَفَارِسٍ حَلَّ إِحْضَارُ عِيَامَتِهِ فَجَرَّهَا كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذْبَةً^(٤)!
- وقال في وصف النار:

لِأَبْنَةِ الزُّنْدِ فِي الْكَوَانِينِ جَمْرٌ كَالدَّرَارِيِّ فِي دُجَى الظُّلُمَاءِ^(٥)!
خَبِرُونِي عَنْهَا وَلَا تَكْذِبُونِي: أَلَدَيْهَا صِنَاعَةُ الْكِيمِيَاءِ؟
سَبَكْتُ فَخَمَّهَا صَفَائِحُ تَبِيرٍ رَصَعْتُهَا بِالْفِضَّةِ الْبِيضَاءِ!
كَلَّمَا رَفُرَفَ النَّسِيمُ عَلَيْهِمَا رَقَصَتْ فِي غُلَّالَةٍ حَمْرَاءِ!
لَوْ تَرَانَا مِنْ حَوْلِهَا قُلْتَ: شَرِبٌ يَتَعَاطَوْنَ أَكُؤُسَ الصَّهْبَاءِ^(٦).

(١) يفضي: يصل. المهجة: دم القلب. صعدة (قصبة، رمح) (كتابة عن القامة الطويلة الرشيقة). متألَّق: لامع. السنان (نصل حديد في أعلى الرمح) أزرق (كتابة عن العين). - قدَّ هذا المحبوب كالرمح وعينه زرقاء كنصل الرمح، من أجل ذلك هو يقتل الهبتين.

(٢) حماد (اسم فعل): حدى (لفعلك). العورة: العيب (ما كان النظر إليه عيباً).

(٣) مسترقاً: يستمع سراً (أخبار السماء). فانقضَّ (الكوكب): سقط بسرعة. على آثار (العفريت): ورائه. لهبه (مفعول به من «يذكي»).

(٤) كالفارس الذي حلَّ إحضار فرسه (ركضه السريع) عمامته، فأصبحت عمامته منشورة كأنها عذبة (قطعة متدلّية من العمامة). لهذا الشهاب الساقط رأس مكورة (كرأس الإنسان) ووراءه ذنب طويل من النور.

(٥) الزند (هنا): الحطب أو الفحم المستدير (كزند الإنسان) أو النار (لأنَّ الزند - أي قطعة الحديد - هي التي تقود النار من حجر الصوّان). الدراري: النجوم.

(٦) الشرب (بالفتح) الجماعة يشربون (الخنس) معاً. الصهباء: الحمر الحمراء.

- وقال في وصف النار أيضاً:

باتت لنا النارُ درياقاً، وقد جَعَلَتْ
زهراءُ قَدَّتْ لنا مِنْ دِفْئِهَا لِحْفاً
تُبِيحُنَا قُرْبَهَا حِيناً وتُبْعِدُنَا:
كأَلَمْ تَقْطِعْنَا حِيناً وترْضِعُنَا!

- وقال يتغزل:

تَمَنَيْتُ مِنْهُ قُبْلَةً حِينَ زَارَنِي
فَقَبَّلْتُهُ ثِنْتَيْنِ فِي الْحَدِّ وَالْحَدِّ.
وَقُلْتُ لَهُ: جُدْ لِي بِتَفْرُكِ إِنِّي
أَقُولُ بِتَفْضِيلِ الْأَفَاحِ عَلَى الْوَرْدِ! (١)

- وقال يصف الشقاء من كَسْبِ المعيشة بصناعة الوراقة (نسخ الكتب):

أما الوراقةُ فهي أَنْكُدُ حِرْفَةً؛
أوراقُها وثأرُها الحِرْمَانُ.
شَبَّهْتُ صَاحِبَهَا بِصَاحِبِ إِبْرَةٍ
تَكْسُو الْعُرَاةَ وَجَسْمُهَا عُرْيَانُ.

- وقال يَتَهَكَّمُ بالنِّسَبِ يَمِينُونَ الْجَهَالَةَ (ويفضلون العلمَ عليها):

عَابُوا الْجَهَالَةَ وَأَزْدَرَوْا بِحُقُوقِهَا
وَتَهَاتَفُوا بِحَدِيثِهَا فِي الْمَجْلِسِ (٢).
وَهِيَ الَّتِي يَنْقَادُ فِي يَدِهَا الْغِنَى،
وَتَجِيئُهَا الدُّنْيَا بِرُغْمِ الْمَغْنَسِ (٣).
إِنَّ الْجَهَالَةَ لِلْغِنَى جَذَابَةٌ
جَذَبَ الْحَدِيدُ حِجَارَةَ الْمَغْنِطِيسِ!

- وقال يَصِفُ الْبَرْدَ الَّذِي يَهْبُ عَلَى غَرْنَاطَةٍ مِنْ جَبَلِ سُلَيْمٍ:

يَحِلُّ لَنَا تَرْكُ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكَ
وَشُرْبُ الْحُمَيْمِ وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ،
فِرَاراً إِلَى أَرْضِ الْجَحِيمِ، فَإِنَّهَا
أَحَنُّ عَلَيْنَا مِنْ سُلَيْمٍ وَأَرْحَمُ.
(فَإِنْ كُنْتُ، رَبِّي، مُدْخِلِي فِي جَهَنَّمَ
فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ).

(١) الدرياق = الترياق (دواء يشفي كل داء).

(٢) قَدَّتْ: قطعت، فصلت، خاطت، صنعت. اللحف (بالضم) جمع لحاف (بالكسر): الدثار (بالكسر) ثوب سابغ يغطي البدن ليمنع عنه البرد.

(٣) الأفاح (زهر الأخوان) كناية عن الأسنان (القم). الورد (كناية عن الحدود).

(٤) ازدرى فلان شيئاً: احتقره. تهاقف: هتف (صاح) بعضهم لبعض (استهزاء بشيء ما).

(٥) المغنس: الأنف. برغم الأنف: بالكراهة، بالإكراه.

٤-★★ فلاند العقيان ٢٢٩ - ٣١٤؛ المغرب ١: ٤١٩ - ٤٢٠؛ المطرب ١٧٨ وفيات الأعيان ٣: ٩٣ - ٩٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣١٥ - ٣٣١، ٣: ٥٧٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٥٦ - ٢٨٢؛ بغية الوعاة ٣٢٥؛ شذرات الذهب ٤: ١٥٥؛ نفح الطيب ١: ٤٩٩، ٢: ٣٠ - ٣١، ٦٥٢ - ٦٥٣، ٣: ٢١٦، ٤١٤، ٤٣٨، ٤٤١ - ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٨ - ٤٥٩، ٥٦٧، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٨٦: ٤، ٩١، ١١٧ - ١١٨، ١١٩، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نيكل ١٢٣٣ مختارات نيكل ١٥٥ - ١٥٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٨ (١٢٢ - ١٢٣).

أبو بكر بن عطية

١- هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، ولد سنة ٤٤١ هـ في غرناطة.

روى أبو بكر بن عطية عن أبي علي القسائي. ثم رحل باكراً سنة ٤٦٩ إلى المشرق فحج ولقي نفراً من العلماء. ولما عاد إلى الأندلس تصدر للإفادة فروى الناس عنه (راجع قضاة الأندلس ١١٠). وزهد في أواخر حياته. وكانت وفاته سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) في غرناطة بعد أن كف بصره.

٢- كان أبو بكر بن عطية عالماً محدثاً وله شعر في الزهد والشكوى والعتاب.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو بكر بن عطية في الشكوى من البشر:

كُنْ بِذَنْبٍ صَائِدٍ^(١) مُسْتَأْنَسًا وإذا أبصرت إنساناً فقِرَّ.
إنَّما الإنسانُ بَخْرٌ ما لَه ساحلٌ فاخْذَرُهُ: إِيَّاكَ الْغَرَرُ^(٢).
واجعلِ الناسَ كشْخَصٍ واحدٍ ثم كُنْ من ذلك الشخصِ حَظِيرَ^(٣)!

(١) صائد (كذا في الأصل). اقرأ: صائت: عابٍ (يعوي). قر: هرب.

(٢) الغرر: الهلكة، الهلاك.

(٣) اجعل جميع الناس كأنهم شخص واحد (شريد).

- وقال في عتاب صديقي (المغرب ٢: ١١٨):

وكنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رَضَوَى تَزُولُ وَأَنَّ وَدَّكَ لَا يَزُولُ.
ولَكِنَّ الزَّمَانَ لَهُ انْقِلَابٌ وَأَحْوَالُ ابْنِ آدَمَ تَسْتَحِيلُ.
فَإِنْ يَكُ بَيْنَنَا وَصَلٌ جَمِيلٌ، وَإِلَّا فَلْيَكُنْ هَجْرٌ جَمِيلٌ!

٤-★★ قلائد المعيان ٢٣٧ - ٢٣٩؛ الصلة ٢: ٢٤٣١ (رقم ٩٧٧)؛ بغية الملتبس ٣٢٧ (رقم ١٢٧٧)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٤٨٨ - ٤٩٠؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٢٦ - ٥٢٨؛ المطرب ٢١٥؛ نفع الطيب ٢: ٥٢٣ - ٥٢٦؛ أزهار الرياض ٣: ٩٩ - ١١٠؛ نيكل ٢٦٤؛ مختارات نيكل ١٧٧ - ١٧٨.

بنو القبطرونه^(١)

١- بنو القَبْطُرُونَه ثلاثة إخوة من أهل قُرْطِبَة ومن ذوي الوجاهة والغنى والذكاء والعلم والأدب، وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا مُتَقَارِبِينَ فِي السِّنِّ. وَوَزَرَ بَنُو الْقَبْطُرُونَه كُلُّهُمْ لِعُمَرَ الْمُتَوَكَّلِ بْنِ الْأَفْطُسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسَ (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ). وَبَعْدَ اسْتِيلَاءِ الْمُرَابِطِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)، دَخَلَ بَنُو الْقَبْطُرُونَه الثَّلَاثَةَ فِي خِدْمَةِ الْمُرَابِطِينَ.

وكان بنو القبطرونه يأخذون الحياة هُونًا فانصرفوا إلى اللَّهْوِ والخمر والنساء والصَّيْدِ وإلى قول الشعر في هذه الوجوه من الحياة وفي المديح للتكسُّب. وكان شعرهم، عُمومًا، وَجْدَانِيًّا عَذْبًا. وَلَا يَبْدُو مِنْ حَيَاتِهِمْ وَشِعْرِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ ذَوِي الْمَبَادِيءِ السَّامِيَةِ، بَلْ كَانُوا يَهْتَمُّونَ بِيَوْمِهِمْ وَلَا يَهْتَمُّونَ بِالْفَدْرِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ. ثُمَّ كَانُوا يَهْتَمُّونَ بِحَظِّ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَيَاةِ وَلَا يَبْدُو أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْفَلُونَ بِأَحْوَالِ الْبِلَادِ وَأَحْوَالِ الْأُمَّةِ. وَكَانُوا كُلُّهُمْ أَيْضًا أَصْدِقَاءَ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ (ت ٥٢٩ هـ)، وَكَانَ الْفَتْحُ مِثْلَهُمْ

(١) بنو القبطرونه (القبطرونه، الخ) هم أبناء سعيد بن عبد العزيز بن يحيى، ويبدو أن أصلهم من المولدين. والأغلب أن لقب «القبطرونه» دخل من كابو طورنو (الرأس المستدير، التلفت) Cabo torno (راجع قاموس اللغة الإسبانية - أصدرته الأكاديمية الإسبانية، مدريد ١٩٤٧ - الطبعة السابعة عشرة، ص ٢١٠ و ١٢٣٢).

في النظر إلى الحياة، وإن كانوا هم أحسن منه تستراً ومُدَاراةً.

(أ) كان أبو محمد طلحةُ أَسَنَ مِنْ أَخَوَيْهِ وَأَكْثَرَ وَجَاهَةً، كَتَبَ (وَزَرَ) للمتوكل بن الأفطس وكان يسامره، ولعله اتصل بالمعتد بن عبَّاد. ثم كتب ليوسف بن تاشفين. ولما توفِّي يوسف بن تاشفين، وخلفه ابنه عليُّ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ظلَّ أبو محمد بن القبطرونه على اتصالٍ بالبلاط المرابطي.

(ب) أما أبو الحسن محمد فكان أيضاً شاعراً بارعاً، ولكن أخباره أقلُّ من أخبار أخويه.

(ج) وأما أبو بكر عبد العزيز فلعله أصغرُ الإخوة الثلاثة شيئاً، وتذكر المصادر أنه كان فتىً جميلاً وأنه تولَّى الوزارة قبل أن يلتحق ولقب «الرئيس الكاتب الوزير الخطير». ويبدو أن مكثه عند بني الأفطس في بطليوس يلي لهم الوزارة قد طال حتى لقب «البطليوسي». وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان شعرُ بني القبطرونه وجُدانيّاً عذباً وأكثره مُقطَّعاتٌ في أغراضٍ عارضةٍ. وشعرهم سهلٌ عذبٌ وإن لم يكن فيه معاني مبتكرة ولا بعيدة الغور.

٣- مختارات من أشعارهم:

- كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ طَلْحَةُ بْنُ الْقَبْطَرُونِهُ إِلَى أَبِي نَصْرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ «قَلَائِدِ الْعِيقَانِ» (وقد غادر أحدها بلده):

أَبَا النَّصْرِ، إِنَّ الْجَدَّ لَا شَكَّ عَائِرُ، وَإِنْ زَمَانًا شَاءَ بَيْنَكَ جَائِرُ^(١).
فَلَا تُوجِّتْ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ رَاحَةً بِرَاحٍ، وَلَا حَتَّتْ عَلَيْهَا الْمَزَامِرُ^(٢).
وَلَا اكْتَحَلْتِ مِنْ بَعْدِ نَائِكَ مُقَلَّةً بَنُومٍ، وَلَا ضَمَّتْ عَلَيْهَا الْمَحَاجِرُ^(٣).

(١) الجدُّ (الخطُّ) عائر (واقع، ساقط): حظي سيء. بينك: فراقك (البعد عنك). جائر: حائد عن الصواب (ظالم).

(٢) الراحة: الكف. الراح: الحمر. حَتَّتْ: رَنَّتْ (صدر عنها صوت حينما تنقر أوتارها أو ينفخ فيها). لا دارت بعدك الحمر ولا صدحت الموسيقى (لا كان بعدك سرور ولا لهو).

(٣) النأي: البعاد. المهجر (بفتح) فسكون فكسر): التجويف الذي تكون القلة فيه.

ولي رَغْبَةٌ جاءَتْكَ وَهِيَ مُدَّةٌ تَسوقُ إِلَيْكَ الحَمْدَ وهو أزاھر^(١)
 لتَعْلَمَ أَنِّي عن جوابِكَ عاجزٌ ومُعْتَذِرٌ فيه، فَقُلْ: «أنا عاذر» .
 وكيف أَجاري سابقاً لم تَقُمْ له هُبُوبُ الصَّبَا والعاصفاتُ الخواطر^(٢)
 إِذا قِيلَ: من هذا؟ يقولون: كاتبٌ! وإن قيل: من هذا؟ يقولون: شاعر!
 وإن أَخَذَ التحقيقُ فيكَ بِحَقِّه وقيل: ومن هذا؟ يقولون: ساحر!
 تُسَمِّعُكَ الأَلْبَابُ وهي أواصفٌ، وتَتَبَّعُكَ الأَلْحاظُ وهي مواطر^(٣).

- وقال في الخمر:

إذا ما الشَّوْقُ أَرْقَنِي وباتَ الهمُّ من كَثْبِ^(٤)
 فَضَضْتُ الطَّيْنَةَ الحَمْرَا عن صفراء كالذهب^(٥).
 - وقال يرثي امرأته أُمَّ الفضل:

مَآذَ اللَّهِ أَنْ أَسْلُو بِيَذِرٍ وأن أَصْبُو إلى كَأْسٍ وخِر^(٦)،
 ولا لِأَرَاكِ نَهَضْتُ بِحَقِّهِ ولا لِروادفٍ وعَظِيمٍ خَصِرٍ^(٧)،
 ولا تَفَاحِيهٍ طَلَعَتْ بِحَدِّ ولا رُمانَةٍ نَبَتَتْ بِصَدْرِ^(٨)،

(١) مدَّة: جرينة في طلب الأشياء (منك).

(٢) أجاري: أسبق. السابق: الحصان. لم تقم له: (لم تنافسه) هبوب الصبا (الريح الشرقية، الريح) والعاصفات (جمع عاصفة) الخواطر (التي تهب فجأة - وتكون عادة سريعة عتيفة).

(٣) الألباب (العقول) أواصف (جمع أسفة: حزن). الألحاط (العيون) مواطر (تطر، تدمع): باكية، حزينة.

(٤) أرقني: ألقى نومي، منع نومي. كثب: قرب.

(٥) فضضت (نزع، أزلت) الطينة الحمراء (الحم الذي يكون على دَن الحمر أو على قَتينة الحمر) عن صفراء كالذهب (خر صافية عتيفة).

(٦) معاذ الله (لا قدر الله) أن أسلو (أنسى أُم الفضل، ولو كان بجانب يدي: امرأة أخرى جميلة) وأن أصبو (أشتاق، أميل) إلى كأس خر (ينسني أُم الفضل).

(٧) أراكة: شجرة (كأية عن المرأة الرشيدة الجميلة). نهضت: قامت، بدا لها. الحقو (بالفتح أو بالكسر): حيث يعقد الإنسان إزاره (الجانب الأدنى من الحصر). الردف (بالكسر): أحد قسيمي مؤخرة الإنسان. وعظيم خصر (المقصود معظم خصر): دقيق الحصر (؟).

(٨) ... ولا خد أحمر جميل، ولا نهد بارز على صدر فتاة.

وَأَنْ أَلْهُو مِنَ الدُّنْيَا بَشِيْءٌ ، وَأُمُّ الْفَضْلِ ، يَا أَسْفَا ، بِقَبْرِ !

★ - وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَبْطَرْنُوهُ فِي النَّسِيبِ :

ذَكَرْتُ سَلِيْمِي وَحَرَّ الْوَعْيِ كَجَنِيْمِي سَاعَةً فَارَقْتُهُمَا ^(١) .
وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَنَسَا قَدَّهَا ، وَقَدْ مِلَنْ نَحْوِي فَقَبَّلْتُهَا ^(٢) !

★ - وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْقَبْطَرْنُوهُ يَدْعُو صَدِيقًا إِلَى جُلْسَةِ أَنْسٍ :

هَلُمَّ إِلَى رَوْضِنَا ، يَا زَهْرًا ، وَلُحْ فِي سَهْلِ الْمُنَى ، يَا قَمَرًا ^(٣) .
هَلُمَّ إِلَى الْأَنْسِ ، سَهْمُ الْإِخْءِ لَقَدْ عَطَلْتُ قَوْسَهُ وَالْوَتَرَ ^(٤) .
إِذَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَنَا حَاضِرًا ، فَمَا لِنُصَوِّنَ الْأُمَانِي ثَمَرِ .
وَقَعْتَ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ الْمُنَى ، وَحَسَنْتَ فِي الْعَيْنِ حُسْنَ الْحُورِ ^(٥) .

- وَلَهُ يَرِثِي امْرَأَتَهُ :

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ ، فَوْقَ الْقَبْرِ ذُو حُرْقٍ يَرِثِي لَهُ الْقَبْرُ مِنْ شَجْوٍ وَمِنْ شَجَنِ ^(٦) .
تَبَايَنْتَ فِيكَ أَحْوَالي أَسَى ، فَمَضَى إِلَى لِقَائِكَ صَبْرِي طَالِبَ الْوَسَنِ ^(٧) ،
وَخَالَفَ الْقَلْبُ فِيكَ الْعَيْنَ مِنْ كَمَدٍ فَاسُودَ بِالْغَمِّ وَابْيَضَّتْ مِنَ الْحَزَنِ ^(٨) !

★★★ - كَانَ لِلْمَتَوَكَّلِ عَمَرُ بْنُ الْأَفْطُسِ صَاحِبَ بَطْلَيْوُسَ مُنْبِيَّةً (رَوْضَةً وَاسِعَةً ،

(١) الوعى: الحرب.

(٢) القنسا: الرماح. قنساها: قامتها. ذكرتها الرماح بقامتها. فلما مالت الرماح نحوي (لتقتلني) قبّلت تلك الرماح (هذا من قول عنتره: ولقد ذكرتك والرماح... راجع عنتره في الجزء الأول من هذه السلسلة).

(٣) يا زهر، يا قمر (أيها الذي تشبه الزهر والقمر). لح (فعل أمر من لاح): ظهر، حضر.

(٤) ... تعال إلينا. سهم الاخاء (٤).

(٥) في الإحاطة: وحزت من العين حسن الحور (أنت منّا كالبرؤوس من العين: لا يستغنى عنك، ولا نفع للعين بغير برؤوس).

(٦) فوق (عند) القبر ذو حرق (يقف زوجك). الشجو والشجن: الحزن.

(٧) تبائن: اختلف. الأسى: الأسف، الحزن. الوسن: النوم.

(٨) الكمد: الحزن الشديد... قلبي الأبيض أصبح أسود (بالحزن) وبرؤوس عيني الأسود صار أبيض (لا يرى) من كثرة البكاء.

ضبعة خِصبة)، وكان بنو القبطرونه يَقْضُونَ فيها بعضَ أَيَّامٍ لهوهم. ففي ليلة سَكروا فَلَغِبَهُمُ النَّوْمُ. وَقُبِيلَ الصُّبْحِ اسْتَيْقِظَ أَبُو مُحَمَّدٍ فَقَالَ:

يا شَقِيقِي، وَاغْنِي الصَّبَاحُ بَوَاجِيهِ سَتَرَ اللَّيْلَ نَوْرُهُ وَهَاجُؤُهُ^(١)؛
فَاصْطَبِخْ وَاغْتَنِّمْ مَسْرَةَ يَوْمٍ لَسْتَ تَذْهَبُ بِمَا يَجِيءُ مَسَاؤُهُ^(٢).
ثمَّ اسْتَيْقِظَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ:

يا أَخِي، قُمْ تَرِ النَّسِيمَ عَلِيلاً: بَاكِرِ الرُّوْضَ وَالْمُدَامَ شَمُولاً^(٣).
لَا تَنْمَ وَاغْتَنِّمْ مَسْرَةَ يَوْمٍ؛ إِنَّ تَحْتَ التُّرَابِ نَوْمًا طَوِيلًا!
فِي رِيَاضٍ تَعَانَقَ الزَّهْرُ فِيهَا مِثْلَ مَا عَانَقَ الْحَلِيلُ خَلِيلًا.
ثمَّ اسْتَيْقِظَ أَبُو الْحَسَنِ فَقَالَ:

يا صَاحِبِي، ذَرَا لَوْمِي وَمَعْتَبَتِي، قُمْ نَصْطَبِخْ خَرَّةً مِنْ خَيْرِ مَا ذَخَرُوا^(٤)؛
وَبَادِرَا غَفْلَةَ الْأَيَّامِ وَاغْتَنِّمَا. فَالْيَوْمَ خَمْرٌ، وَيَدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ^(٥).

٤-★★ قلائد العقيان ١٦٩ - ١٧٦ المغرب ١: ٣٦٧ - ٣٦٨؛ الحريدة (الأندلس) ٢: ٤١٢ - ٤١٩؛ المطرب ١٨٦ - ١٨٧؛ المصعب ١٧٣؛ الإحاطة ١: ٥٢٨ - ٥٣١؛
نفع الطبيب ١: ٦٣٤ - ٦٤٠، ٥: ٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٣ - ٨١٤؛
نيكل ١٧٣ - ١٧٩.

عَمَدُ بْنُ بَشِيرٍ

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرِ التَّنُوخِيِّ الْمَهْدَوِيِّ، كَانَ مِنْ

(١) وَاغْنِي: أَقْبِلْ، جَاءَ. نَوْرُ الصَّبْحِ وَهَاجُؤُهُ (جَالُهُ) سَتَرَ اللَّيْلَ (أَذْهَبَ سَوَادَ اللَّيْلِ).

(٢) اصْطَبِخْ: شَرِبَ الْخَمْرَ صَبَاحًا.

(٣) عَلِيلٌ: مَرِيضٌ (خَفِيفٌ، فِيهِ بَرْدٌ يَسِيرٌ وَرَطُوبَةٌ يَسِيرَةٌ يَنْعَثَانِ الْجَسْمَ). الْمُدَامُ: الْخَمْرُ. شَمُولٌ (مَشْمُولَةٌ، الرِّيحُ الْبَارِدَةُ): بَارِدَةٌ.

(٤) وَذَرَا، يَذَرُ: يَرْثُ. دَخَرٌ = آذَخَرُ: خِيَا (مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ).

(٥) بَادِرٌ: سَبَقَ. خَر (لَهُو). يَدُوْ خَيْرٌ (يَجِدُ مَا يَسِيءُ إِلَى الْإِنْسَانِ): (خَيْرُ الْمَوْتِ).

شُعراء الأمير علي بن يحيى بن غنيم الصنهاجي، وقد مَدَحَهُ لَمَّا فَتَحَ مَدِينَةَ قَابِسَ (تونس)، سَنَةَ ٥١١ هـ. وكانت وفاته في حُدُود ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ أديباً شاعراً جَمَعَ رِقَّةَ المعنى ومِثَانَةَ السَّبْكِ إلى وضوح الأغراض. وكانت له براعة في الوصف.

٣- مختارات من شعره:

- قال مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ قصيدةً يصف فيها الأسطول الذي أنشأه الأميرُ عليُّ بْنُ يَحْيَى في ثَغْرِ المَهْدِيَّةِ. وكان هذا الأسطول مُزَوِّداً أسلحةً ناريةً: من هذه القصيدة:

وأَعَدَدْتُ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُصَمَّمٍ	يسيرُ إليهم قاصداً وهو أهْوَجُ ^(١) ؛
كَيْسِلِ الرُّوَاسِي مِئْنَةً، غَيْرَ أَنَّهَا	على نَبَجِ الدَّامَاءِ تَرْدِي وتُدْلِجُ ^(٢) .
كَأَنَّ الْقَنَا وَالتَّبَلَّ فِي جَنَابَتِهَا	سِبَالٌ بِأَكْنافِ الْهَضَابِ وَعَوْسَجِ ^(٣) .
يُعِيدُ مُضِيءُ الْجَوِّ أَقْتَمَ حَالِكاً	دُخَانُ لَظَى مِنْ نَارِهَا يَتَوَهَّجُ ^(٤) .
إِذَا نَضْنَضْتُ مِنْ أُلْسِي لَهَيْبَةٍ	بِمَارِجِ نَارٍ يَسْتَقِلُّ وَيَعْرِجُ ^(٥) ،
رَأَيْتَ صِلَالاً أَخْرَجَتْ مِنْ جَهَنَّمَ	تُحَرِّقُ أَكْبَادَ الْعُدَاةِ وتُنْضِجُ ^(٦) .

٤-★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٥ - ١٧٦.

- (١) المصمّم: الذي عزم ثم لا يريد أن يرجع عن عزمه. القاصد: المتجه اتجاهاً مستقيماً. أهوج: مجنون.
- (٢) الرواسي: الجبال. المئنة (في القاموس: بفتح ففتح): الحصانة، والمنيع ما يصعب الوصول إليه. نبج: الدماء. وسط البحر. تردّي: سير بلا مبالاة (واثقة من نفسها). أدلج: سار ليلاً.
- (٣) القنا جمع قناة: رمح. النيل جمع نيلة: سهم. السيلة (بفتح ففتح) = السيلة: مجموع ثمر القمح (إشارة إلى ما فيه من الشوك). العوسج: نبات ذو شوك. أكناف جمع كنف (بفتح ففتح): طرف. الهضاب: الأراضي المرتفعة. - يشبه المراكب الحربية بهضاب على أطرافها شوك كثير (لكثرة السلاح في تلك المراكب).
- (٤) أقم حالك: (شديد السواد). لظى: نار. يتوهج: يتقد، يشتمل، بتلألاً.
- (٥) نضنضت الحية: أخرجت لسانها (وحركته ميمناً وشيلاً). المارج: لهيب النار الذي لا يخالطه دخان. يستقل: يتدفع اندفاعاً مستقيماً. يعرج: يميل، ينحرف. واستعمل الشاعر يعرج (بفتح) الراء لم يستعمل (مبني) عرج.
- (٦) الصلال هنا لا توافق المعنى. والشاعر يقصد الأصلال جمع صلة (بكسر الصاد): الحية الحبشة.

أبو بكر بن رحيم

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيمة صاحب الديوان المشرف ذو الوزارتين كان من بيت جاه ووزارة، مدح الأمير أبا اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن تاشفين بقصيدتين في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م). وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان أبو بكر محمد بن رحيمة شاعراً كثيراً مطيلاً أكثر فنونه المدح والوصف والغزل والنسيب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكر محمد بن رحيمة من قصيدة يصف فيها الرياض:

لله يوم ضربنا للمدام بها	رواق لهُ بطاسات وجامات ^(١) ،
وللبلايل الحان مرجمة	تجيبهن غوايننا بأصوات ^(٢) ،
وللرياحين أنفاس مغبرة	مع الرياح توافينا لأوقات.
حدائق أحدها للمنى شجر	خضر وأودية حفت بروضات ^(٣) .
جنان أنس رعى الرحمن بهجتها	حسبت نفسي منها وسط جنات.
منازل - لست أهوى غيرها - سقيت	حيا يعم وخضت بالتحيات ^(٤) .

- وله في النسيب:

خليلي، سيرا واربعاً بالمناهل ورذا تحيات الخليل المزايل^(٥).

-
- (١) الرواق: جانب البيت (مجرسقف). رواق هو: مدة طويلة من اللهو. الطاس والجام: وعاءان تشرب بهما الخمر.
- (٢) المرجمة: المترددة في الحلق. الألحان المرجمة: المتلاحقة. الفواقي: النساء الجميلات، المغنيات.
- (٣) أحدها = أحدها = أحدها (أحاطت) بها.
- (٤) الحيا: المطر.
- (٥) ربع: وقف. المنهل: مكان استقاء الماء (وتكون عنده ساكن). الخليل: الساكن مع غيره، العشير. المزايل: الذي ينوي الرحلة والسفر.

فَإِنْ سَأَلَ الْأَحْبَابُ عَنِّي تَشَوُّقًا
لَعَلَّ الصَّبَا تَأْتِي فَتُحْنِي بِنَفْحَةٍ
فِيَا لَيْتَ أَعْنَاقَ الرِّيحِ تُقَلِّنِي
فَقُولَا: تَرَكْنَاهُ رَهْيَنَ الْبَلَابِلِ^(١).
فُوَادِيٍّ مِنْ تِلْقَاءِ مَنْ هُوَ قَاتِلِي^(٢).
وَتُنْزِلُنِي مَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَنَازِلِ^(٣).

- موشحة لابن رحيم:

هَمَزَ آرْتِيَا حِي رَاحٌ بِرَاحِي مِسْكِيَّةُ الْأَنْفَاسِ سَحَبَ الْوُشَاحِ^(٤)

★ ★ ★

مَا لَذَّةُ الدُّنْيَا إِلَّا كُؤُوسُ:
سُلَافَةٍ تَحْيَا بِهَا النُّفُوسُ،
تُدِيرُهَا سُقْيَا لَنَا شُمُوسُ^(٥)
فِي رَوْضِ رَاحٍ غَسَضَ النَّوَاحِي يُهْدِيكَ عَرَفَ الْأَسْ مَعَ الرِّوَاكِ^(٦)

★ ★ ★

يَا شَادِنَا أَخُو رَقَفْتُ أَمْرِي
إِلَيْكَ، وَالشُّكُوى عُنْوَانُ صَبْرِي
لَا تَخْشَ أَنْ أَهْوَى سِوَاكَ، عَمْرِي^(٧).

-
- (١) البلابل جمع بلبل: شدة الهم.
(٢) الصبا: ريح الشرق. من تلقاء: من نحو، من عند. قاتلي (المحبوب الذي كاد حبه يهلكني).
(٣) ليت أعناق الرياح تقلني: ليت الريح تحملني (بسرعة إلى المحبوب).
(٤) الارتياح: السرور والانشاط (في نفس الإنسان لطلب اللهو أو لفعل جيد أو غير جيد). راح: خمر (كأس خمر) براحي (على كفي). الوشاح: نسيج عريض تلفه المرأة حول القسم الأعلى من جسمها. سحب الوشاح (٤).
(٥) السلافة: الخمر الخالصة، الصافية. تدبرها (تدور علينا بها) سقيا: لسقينا (لنشرها) شمس (نساء جيلات).
(٦) في القاموس (١: ٣٢٤، السطر التاسع): يوم راح (برفعها): شديد الريح. روض راح: ذكي الرائحة وزكيتها (٤). غسض: ناضر. الرواح: المساء.
(٧) الشادن: ولد الطيبة. الأخوى: الأسمر الشفة. عمري = طول عمري.

أَنْتَ أَقْتَرَا حِي مِنْ الْمِلَاحِ أَغْنَى عَنِ النَّبْرَاسِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ^(١)

★ ★ ★

أَهْوَاكَ لِلْفَضْلِ وَلِلْعَلَاءِ
وَذَلِكَ النَّبْلِ مَعَ السَّاءِ
وَالْقَلِّ النَّجْلِ وَهَنْ دَائِي^(٢).
مَرْضَى صِحَاحٍ تَبْرِي صِرَاحٍ وَلَا تَنْسِي، يَا نَاسُ، وَرَشَ جَنَاحِي^(٣)

★ ★ ★

صِلْنِي، أَيَا خَلِّي، أَخْشَى تَلَا فِي.
وَالْمَوْتُ فِي الْوَضْلِ مَعَ الْعَفَافِ
وَلَيْسَ مِنْ قُبْلِ وَلَا ارْتِشَافِ^(٤)
تَغْرِ الْأَقَاحِي عَلَى السَّمَا حِ لَذِي الْعَلَا مِنْ بَاسٍ وَلَا جُنَاحِ^(٥)

★ ★ ★

لَا أُنْسَ مَا عَشْتُ يَوْمًا شَرِبْتُ
مَعَ مَنْ بِهِ هِمْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ

-
- (١) الملّاح: النساء الجميلات. النبراس: السراج.
(٢) النبل: الشرف. الساء: الرفعة. القل (الميون) النجل (الواسعة).
(٣) مرضى (فاترة، ناعسة): تظهر كأنها مريضة). تبّري = تشغي. صراح (بالضم): صراحة (بالفتح)، بلا شك. يا ناس (أيها الناسي). رش (ضع رشاً) في جناحي (كناية عن المساعدة على القوة والحياة والثروة).
(٤) تلافي (يقصد تلفي): هلاكي. قبل (يجب أن تكون بضم ففتح). جمع قبلة (بالضم). ارتشاف: شرب من ريق محبوب.
(٥) الثغر (الفم) الذي فيه أسنان مثل بتلات الأصحوان (رقبة بيضاء منتظمة). السّاح: الكرم. لذي العلا من بّاس: من (يفتح فسكون) بّاس (قيل ؟) أو من (هكر فسكون) بّاس (شدة، مانع، حرج). ومؤدّي القراءتين واحد. «لدى العلا» (٤). جناح: ذنب.

حِينَ تَنَاشَيْتُ وَقَدْ طَرَبْتُ^(١) :

بِسَلَامِهِ، يَا صَاحِبَ، دُرُّ كَأْسِ رَاحٍ وَدَغَ كَلَامِ النَّاسِ مَعَ الرِّيحِ^(٢)

٤-★★ قلائد العقيان ١٢٩ - ١٤٤ : المحدثون ٧٩ - ١٨١ : الخريدة (الأندلس) ٣ : ٣٦٩ -
٣٨٣ : بغية الملتبس ٤٢ - ٤٣ (رقم ٣٠) : المغرب : ٢ : ٤١٧ - ٤١٨ : جيش
التوشيح ١٧٠ - ١٨١ ، راجع ٢٦٦ - ٢٦٨ : نفع الطيب ١ : ٦٧٣ : نيكل
٢٦٠ - ٢٦١ : مختارات نيكل ١٧٣ - ١٧٤ .

المتنبّي الجزيري

١- هو أبو طالب (أو أبو الوليد) عبد الجبار المعروف بالمتنبّي الجزيري
وبالمتنبّي الشقري (نسبة إلى جزيرة شقر قرب شاطبة)^(٣) . وبالمتنبّي الأندلسي أيضاً .
يبدو أنه في القسم الأوفر من حياته لم يطرأ على الدّول (لم يتكسّب من ملوك زمانه) ،
ولكنّه فيما بعد اتّصل بالمرابطين ومدّح عليّ بن يوسف بن تاشفين . وكان لا يزال حيّاً
في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

٢- المتنبّي الجزيري شاعرٌ وناثرٌ ، ولكنّ شعره أعلى طبقة من نثره . وشعره
رقيقٌ يَدورُ أكثره على الفزل والوصف . ويبدو من أرجوزته على الأخصّ أنّه كان
مُتَفَنِّناً في وجوه العلم والفلسفة ، وفي المنطق وعلم الكلام خاصّة . وهو أشعريُّ الرّأي
يعتقدُ بالصفات التي هي من أسماء الله الحسنى ويكره الملاحدة والمجادلين بغير علم .
وله أرجوزةٌ بدأها بالكلام على أشياء من العِلْم والفلسفة يجمّعها من نَفَرٍ من الفلاسفة
القدماء والمتأخّرين بلا قاعدة ثابتة . ثمّ قصّ في هذه الأرجوزة أحداث التاريخ ، مُنْذُ
خَلَقِ آدَمَ ، مُزَوَّجَةً بكثيرٍ من الإسرائيليات (الخرفات المأخوذة عن اليهود) . ثمّ جاء

(١) هام : شغف حبّاً . أحبّ حبّاً شديداً . تناشى (ليست في القاموس) : دار فيه السكر .

(٢) در (المقصود أدرك) . الراح : الخمر .

(٣) جزيرة شقر أرض محصورة بين نهر شقر ورافد له شماله . وشاطبة قرية من منتصف الساحل الشرقي
من الأندلس . وشقر بالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢) ، وبالضم (وفيات الاعيان ١ : ٥٧) .

إلى تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس (ولم يُعَرَّجْ على تاريخ المغرب في قاره إفريقية)، فَعَلَ ذلك كُلَّهُ على غاية من الإيجاز واعتمدَ في ذلك (كما يقولُ هو) المؤرِّخُ المسعوديُّ وغيره. ولكنَّه كان أكثرَ توسُّعاً في تاريخ الأندلس. وقد وَصَلَ في القَصَصِ (في السردِ) إلى أيامِ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وتبلغ هذه الأرجوزة أربعمئة وأربعة وستين بيتاً^(١).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان المتنبيُّ الجزيريُّ مرَّةً في باب الحنَّسِ بمدينة بَلَنْسِيَّة فابصر فتاةً جميلةً في أذُنِها قُرطانِ كأنَّها كوكبانِ فقال فيها قصيدةً مَطلَعُها:

مَعَشَرَ النَّاسِ، بِيَابِ الحَنَسِ بَدْرُ تَمِّ طالِعٌ في غَبَشِ^(٢).
عَلَّقَ القُرْطَ عَلَى مِئْمَرِهِ مَنْ عَلَيْهِ آفَةُ العَيْنِ خَشِي!
- وله في الحَمَرِ (يجري في سبيلِ أبي نُواس):

وَحَارٍ - أَنْخَسْتُ بِهِ - مَسِيحِي رَخِيمَ الدَّلِّ ذِي وَتَرٍ فَصِيحِ^(٣).
سَقَانِي تَمَّ غَنَانِي بِصَوْتِ، فداوى ما بقلبي مِنْ جُروحِ.
وَفَضَّ فَمَ الدِّانِ عَلَى اقْتِرَاحِي ففاحَ البيتُ منها طيبَ رِيحِ^(٤).
فَقُلْتُ لَهُ: «لَكُمْ سَنَةٌ تَرَاهَا؟» فقال: «أظُنُّهَا مِنْ عَهْدِ نُوحِ».
فَلَمَّا أَنْ شَدَا الناقوسُ صَوْتاً دعاني: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الصُّبُوحِ^(٥).
وَحَيَّانِي - وَفَدَّانِي - بِكَأْسِ، وَقَبَّلَنِي فَرَدَّ إِلَيَّ رُوحِي.

- من الخطبة التي قدَّمَ المتنبيُّ الجزيريُّ بها أرجوزته:

-
- (١) يمكن أن تصبح هذه الأرجوزة أربعمئة وخمسة وستين بيتاً. في الذخيرة (١: ٩٣٢)، في الحاشية بيتان: أُولُها قراءة مختلفة من بيت في المتن، وثانيها بيت جديد.
(٢) باب الحنَّس: محلةٌ في بلنسية، أو في سرسطة. الغبش: ظلمة آخر الليل.
(٣) الدَلَّ = الدلال: الفنج، تجرُّو المَحبوب على المَحبِّ.
(٤) الدَنْ: وعاء الخمر الكبير.
(٥) الصُّبُوح: شرب الخمر صباحاً.

.... لَمَّا كَانَتْ مُخَاطَبَةُ الرَّئِيسِ تَنْوُبُ عَنْ لِقَائِهِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ النَّفْسِ وَرَبِيعُ
الْقُلُوبِ..... وَكَانَتْ حَالِي^(١) قَدْ أَنَاخْتُ بِذُرَاهِ الرَّحْبِ^(٢)، وَأَمَالِي قَدْ كَرَعَتْ فِي
مَوْرِدِهِ الْعَذْبِ، إِذْ هُوَ سَمَاءٌ تُنْفِطِرُ وَبَحْرٌ لَا يُكْدَرُ وَغَيْثٌ مُنْرَعٌ^(٣) يَحْيَا بِهِ الْمُجْدِبُ. وَمَا
زَلْتُ أُرُومُ لِقَاءَهُ عَلَى تَرَاحِي الْأَيَّامِ. فَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَدَرٌ لَا يُرَامُ^(٤) وَعِقَالٌ تَقَاضِيهِ
غَيْرُ مُطْلَقٍ^(٥) وَبَابُ الرَّجَاءِ بِهِ^(٦) مُغْلَقٌ. فَأَعْمَلْتُ الْمِدَادَ^(٧) وَالْأَقْلَامَ بِرَجَزٍ صَنَعْتُهُ
وَكَلَامٍ وَضَعْتُهُ. وَالْغَرَضُ فِيهِ امْتِدَادُهُ، وَالْقَصْدُ مِنْهُ اسْتِمْنَاحُهُ^(٨). وَهُوَ فِي مَعْنَى مَا
تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ التَّوَارِيخِ: قَطَفْتُ عَيُونََ زَهْرِهَا وَالتَّقَطَّتُ مَكْنُونَ دُرَرِهَا^(٩).
وَاقْتَصَرْتُ عَلَى أَقْلَاهَا دُونَ أَكْثَرِهَا تَمَّا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ. وَحَذَفْتُ كُلَّ حَدِيثٍ يَتَغَلَّلُ وَخَيْرٌ
يَتَسَلَّلُ^(١٠)، إِلَّا مَا زِدْتُ حَلَاهُ رَوْنَقًا وَمُجْتَلَاهُ تَأْلَافًا^(١١) مِنْ شَأْنِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا
اتَّصَلَ بِذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ أَمْلَاكِيهَا الدُّرُسِ^(١٢) إِلَى وَقْتِنَا هَذَا وَمَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ
وغيرِهِمْ. وَذَكَرْتُ مَنْ وَلِيَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ الْمُطِيعِ اللَّهُ^(١٣) إِلَى وَقْتِنَا هَذَا -

(١) اقرأ: رحالي.

(٢) أناخت (بركت، نزلت) في ذراه (مكانه العالي، السامي) الرحب (الواسع).

(٣) المنرع: الخصب.

(٤) تراخي الأيام: تطاولها. امتدادها. يحول (يعترض) بيني وبينه. قدر (أمر مكتوب على الإنسان) لا
يرام (؟) مبني للمجهول من «رام - يرم» : يرح، ترك) لا يستطيع الإنسان أن يتجنب وقوعه.

(٥) عقال (رباط). التقاضي: مطالبة القريم (المدين) بما عليه من مال. (والمقصود هنا: المربوط به).

(٦) اقرأ: دونه (دون علي بن يوسف بن تاشفين). أو «باب الرجاء به» (بالقدر) دونه مطلق.

(٧) الداد: الحبر الأسود. أعملت: استخدمت (؟) لم أستطع أن أركب جلاً وآتي إليه فركبت الحبر
والأقلام: وجهت إليه هذه الأرجوزة).

(٨) الاستمناح: طلب المنح (العطاء).

(٩) العين: المنتخب، النفيس من كل شيء. الزهر بفتح ففتح كالزهر بفتح فسكون. المكنون: الخبايا
(لنفاسته) البهرة (اللؤلؤة).

(١٠) يتغلل: أسرع، دخل، جرى، تطبى بالطمر (وهذه المعاني لا توافق المقصود) اقرأ: يتعلم (بالعين
الهملة): يضطرب. يتسلسل (يستمر ويتشعب).

(١١) إلّا ما زدت حلاه (زينته) رونقاً (جلاً) ومجتلاه (منظره) تألفاً (لمعاناً).

(١٢) أملاك جمع ملك. الدُرس (الذين درسوا): فنوا (بضم النون)، ماتوا.

(١٣) المطيع العبّاسي (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ).

وهو وقت التاريخ الذي ذكرته في الأرجوزة - والإمام الآن فيه القائم بأمر الله^(١) ابن القادر بالله. وقصدتُ إلى معنى الاستدكار به^(٢) لجوامع التاريخ والأخبار وسلكْتُ مذهب الاختصار، رجاء أن تُطْلِعَنِي قريحتي على مغزاهُ وتنشِطَ مِنِّي إلى قرب مَرَمَاهُ^(٣). وقدمتُ أولاً (في الأرجوزة) مقدّماتٍ من أصول الاعتقادات.

- من أرجوزة المتنبي الجزيري (في الغاية وفي حمد الله وفي العلم والدين والتاريخ):

... أهدي من القريض ما نَمَقَّتُهُ	إلى رئيس سَيِّدٍ أَمَلَّتُهُ ^(٤) ؛
في كَلِمٍ كُلُّوْهُ العُقُودِ	أُنْظِمُ مَا ضَمَّنَهُ المَسْعُودِ
وغيره من سائر الأئمة	في كلِّ مَنْ وَلَّى أَمْرَ الأَمَّةِ؛
مُقْتَصِراً منه على عيونه	وحاذِفاً للحشو من فُنُونِهِ.
والحمدُ للمُبْتَدِعِ السَّامِعِ	والأرض ذي الآلاءِ والنِّعَمِ ^(٥)
وكلَّ شيءٍ عنده معلومٌ،	فَهُوَ الإِلَـهُ الواحدُ القَيُّومُ.
إِبَاهُ فَأَعْبُدْ، أَيْهَا الإنسانُ،	فهو اللطيفُ القادرُ المَنَّانُ.
عَلَّمْنَا بِالْقَلَمِ البَيَانَا	حَتَّى عَلَّمْنَا قَبْلُ ما قد كانَا ^(٦) .
من أَمْرٍ بادَتْ بِصَرْفِ الأَدْهْرِ	أَشْهَدْنَا من ذاك ما لم نَحْضُرِ ^(٧) .
سُبْحَانَهُ من واحدٍ قديرٍ	مُصَرِّفِ الأزمانِ والدُّهورِ.

(١) القائم المسمّى (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)، وهذا يدلّ على أَنَّ المتنبي الجزيري بدأ نظم أرجوزته باكراً (في أيام يوسف بن تاشفين).

(٢) استدكار (القاموس ٢: ٣٦): حفظ. جوامع التاريخ: الأحداث الجامعة لمظاهر كثيرة، المهمة، البارزة.

(٣) مغزاه: خلاصته والمقصود منه. تنشيط مِنِّي (قوّي) إلى مرماه (نهايته): حتّى أجد في نفسي همّةً للانتهاء منه (للبلوغ بتدوين الأحداث إلى أيامي).

(٤) سأشرح المختارات من هذه الأرجوزة شرحاً يقتصر على الأمور التي لا تفهم الأبيات إلّا بها.

(٥) الآلاء جمع ألي وإلى: النعمة. النعماء: الاطمئنان والسكون والمال.

(٦) ... ما قد كان من قبل.

(٧) صرف الدهر: أحداثه ومصائبه.

أَفْ لِقَوْلِ الْفَيْسَةِ الْبَصْرِيَّةِ
 فَاخَذَ - هَذَا اللَّهُ، يَا ذَا الْفَهْمِ -
 وَقُلْنَا بِمَا يَقُولُ أَهْلُ الْحَقِّ
 وَكُلُّ مَا تُذَكِّرُهُ مَوْجُودٌ
 فَالْجَوْهَرُ الْحَامِلُ لِلْأَعْرَاضِ،
 وَالْعَرَضُ الْمَحْمُولُ كَالْأَلْوَانِ
 أَوْصِيكَ، يَا مَنْ يَطْلُبُ الْعُلُومَا
 وَلَا تَقُلْ بِالْمِثْلِ لِلتَّقْلِيدِ،
 وَاتَّخِذِ الْعِلْمَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ،
 وَالْعِلْمُ، إِنْ أَرَدْتَ حَدَّ مَطْلَبَةٍ:
 وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ، أَيَا مَنْ يَحِثُّ:
 إِنَّ الْقَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ الْعَرْشِ
 أَهْلُ الْهَوَى وَالْفِرَقَةِ الْغَوِيَّةِ^(١)
 قَوْلُهُمْ وَاحْذَرْ مَقَالَ جَهْمٍ^(٢)
 مِنْ مُثَبِّتِي صِفَاتِ رَبِّ الْخَلْقِ^(٣)
 مُؤَلَّفٌ مَبْمُضٌ مَحْدُودٌ^(٤)
 وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أَبْعَاضٍ^(٥)
 وَحَرَكَاتٍ الْجَرْمِ وَالْإِسْكَانِ^(٦)
 أَنْ تَعْرِفَ الْمَوْهُومَ وَالْمَعْلُومَا
 فَذَاكَ رَأْيُ الْكُودِنِ الْبَلِيدِ^(٧)
 لَا لِلْمُبَاهَاةِ وَلَا لِلنَّخْصِ^(٨)
 مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ.
 عِلْمٌ قَدِيمٌ تَمَّ عِلْمٌ مُخَدَّثٌ.
 بَارِي (الْبَرِّيَّاتِ) الشَّدِيدِ الْبَطْشِ؛

- (١) الفتن البصرية: المعتزلة (فرقة كانت تقم العقل على الرواية الدينية وتقول بأن الإنسان محير يفعل الخير والشر بإرادته واختياره).
- (٢) جهم بن صفوان (١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) قال: إن المرء مجبر على أعماله (لأن الفاعل الحقيقي لها هو الله). وقال: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، أما الكفر فهو الجهل به فقط. وامتنع عن إبداء رأيه في صفات الله (أنكر صفات الله): إن علم الله حادث (أي إن الله يعمل الأمور بعد أن تحدث تلك الأمور) راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادى (القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م)، ص ١٢٨.
- (٣) أهل الحق (من مثبتي الصفات لله): الأشعرية.
- (٤) كل شيء مدرك بالحواس مركب من عناصر مختلفة تم هو قابل للقسمة ومحدود (بمكان معين وزمان معين).
- (٥) كل موجود له جوهر (أصل ثابت) وعرض (صفات طارئة متبدلة). الحديد جوهر، فإذا أحمر بالنار أصبحت الحرارة فيه عرضاً (لأنها تزول). وإذا صبغناه صبغاً أحمر (مثلاً) فلونه الأحمر عرض (لأنه كان بإمكاننا أن نصبغه بصباغ أصفر أو أزرق، الخ) ليس بذى أبعاض: غير القابل للقسمة أو للتجزؤ.
- (٦) الجرم: الجسم.
- (٧) الكودن: البغل.
- (٨) النخص (مصدر): الحصام والمجادلة.

وَمُحَدَّثٌ فَذَاكَ عِلْمُ الْخَلْقِ مِنْ نَاطِقٍ وَغَيْرِ مَا ذِي نُطْقٍ.
وَكُلَّ عِلْمٍ مُحَدَّثٍ عِلْمَانِ: عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِلَا بُرْهَانٍ.
كَالْعِلْمِ أَنَّ آتَيْنِي ضَعْفُ (الواحد) وَأَنَّهُ مَا قَائِمٌ (كالقاعد).
وَبَعْدَهُ فَالْعِلْمُ بِأَسْتِذْلَالِ وَالْمُنَاطِقُ الْبَحْثُ عَنِ الْأَحْوَالِ (١):
مَا فِيهِ يَنْظُرُ مَنْ يُفَكِّرُ يُدْرِكُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَتَّبِعُ (٢).
وَصَانِعُ الْعَالَمِ فَرْدٌ صَمَدٌ، وَالصُّنْعُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ (٣).
(ثُمَّ أَسْمُ فِي) التَّفَكِيرِ نَحْوِ النَّفْسِ تُبْصِرُ قُوَاهَا فِي مَحَلِّ الْقُدْسِ (٤)
بِحَجْمِ جِسْمِ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ وَالْمُسْتَدِيرِ الشَّكْلِ ذِي التَّخْطِيطِ (٥)
وَانْظُرْ إِلَى التَّسْخِيرِ فِيهَا لِأَزْمَا يَوْمُهَا كَمَا يَوْمُ الْعَالَمِ (٦)
مِنْ ذَاتِهَا فِي حَالَةِ التَّصْرِيفِ (مُنْقَادَةٌ فِيهِ) إِلَى التَّكْلِيفِ (٧)
لِقُوَّةِ الْعَقْلِ الَّذِي يَحْمِلُهَا فَهُوَ إِلَى اخْتِيَارِهِ يَنْقُلُهَا (٨).
إِذْ هُوَ أَعْلَى رُتْبَةً وَأَشْرَفُ مِنْهَا إِذَا حَصَلَتْهُ وَالطَّفُ (٩)
لَكِنَّهُ تَلَحُّقُهُ الْآفَاتُ مِنْ غَيْرِهِ وَالْعَجْزُ وَالْعَاهَاتُ.
فَدَلَّ ذَاكَ أَنَّ رَبًّا فَوْقَهُ بَاتِمِينَ بِالذَّاتِ وَالْأَسْمِ خَلَقَهُ (١٠).

- (١) بالاستدلال: بإقامة الدليل. المنطق يبحث في أحوال الموجود (ما هو؟ كيف هو؟ أين هو؟ الخ).
(٢) ما = الذي. إذا نظر الإنسان بعقله في شيء من الأشياء أو في أمر من الأمور أدرك (عرف) ذلك الشيء أو ذلك الأمر.
(٣) صانع العالم (الأصح: مبدع العالم): الله. فرد: لا ند (مساو) له. صمد: مقصود إليه.
(٤) محلّ القدس (الألوهية): المأ الأعلى. هذا رأي أفلاطون في وجود النفس مفارقة (مستقلة عن الجسد).
(٥) كان القدماء يعتقدون أن هذا العالم بجموعه جسم يشبه جسم الحيوان (الكائن الحي) وأن له نفساً كَلِيَّةً تحييه وتحركه.
(٦) وهذه النفس الكَلِيَّة (التي تحرك العالم كله) هي بدورها مُسَخَّرَةٌ (خاضعة في أفعالها) للعقل الكَلِي الذي يدير هذا العالم (لأن الله عندهم مَزْرَعٌ عن أن يتصل بالعالم المادّي. من أجل ذلك، وهب الله للعقل قُوَّةً يسيطر بها على العالم). أَم: قصد. وللعقل أيضاً سلطة على هذا العالم.
(٧) النفس الكَلِيَّة تخضع (من تلقاء نفسها) للعقل.
(٨) العقل يقلب النفس كما يشاء.
(٩) إِذْ هو (أي العقل). حصلته (أدركت كتبه، فهت أحواله). ألطف (في « مادته » من مادة النفس).
(١٠) باين (خالف) خلقه (الذين خلقهم) بذاته (جوهره) كما خالفهم في اسمه (خالق، ومخلوقون).

أَقُولُ قَوْلًا لَيْسَ بِالْمُفْتَدِ، وَلِي لِسَانٌ كَتَبَ الْهُتَدِ (١) :
 إِنَّ مَقَالَ الْمُسْلِمِينَ اتَّفَقَا أَنْ لَأَلَهُ الْعَالَمِينَ خَلَقَا -
 مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ أَوْ مِثَالٍ شَيْءٌ مُكُونٍ مِنْ مَيِّتٍ أَوْ حَيٍّ -
 أَبَدَعَ تَكْوِينَ الْمَبَادِي الْأَوَّلِ بِقُدْرَةِ عَظِيمَةٍ لَمْ تَزَلْ (٢) .
 وَكَانَ بَدْءُ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ وَتَمَّ فِي يَوْمِ الْقَرْوَةِ الْعَدَدِ (٣) .
 وَنِعْمَةُ اللَّهِ بِنَعْتِ الرُّسُلِ بِحَمْدِهَا يَنْطِقُ كُلُّ مَقُولٍ (٤) .
 أَوَّلُهُمْ آدَمُ الصَّفِيُّ وَآخِرُهُ مُحَمَّدُ النَّبِيُّ
 أَرْسَلَهُمْ طُرًّا لِيَهْدُوا النَّاسَ مُؤَلَّفًا بِالْدَعْوَةِ الْأَجْنَسَا
 فَبَيَّنُوا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَا وَأَنْفَذُوا الْأُمُورَ وَالْأَحْكَامَا
 حَتَّى بَدَأَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ وَأَسْمَعُوا مَنْ كَانَ ذَا أُذُنَيْنِ .
 تَأَلَّفَهُمْ صَحَابَةٌ أَعْجَادُ أَسْدُ حُرُوبٍ قَادَةُ أَنْجَادُ (٥) .
 حَتَّى هَدَى اللَّهُ بِهِمْ مَنْ أَهْتَدَى لَوْلَاهُمْ لَأَصْبَحَ النَّاسُ سُدى .
 ثُمَّ تَوَلَّى عُمَرُ الْفَارُوقُ فَالتَأَمَّتْ مِنْ بَعْدِهِ الْفُتُوقُ (٦) ،
 وَاسْتَعْمَلَ الْبُعُوثَ وَالْأَجْنَادَا وَأَلْفَ الْحُرُوبِ وَالْجِهَادَا .
 حَتَّى أَتَتْهُ مِحْنَةُ الشَّهَادَةِ فَصَيَّرَ الشُّورَى إِلَى أَصْحَابِهِ
 فَهَيَّا اللَّهُ لَهُ السَّعَادَةَ سَيِّئَتِهِمْ (إِذَا كَانَ) يَشْكُو مَا بِهِ (٧) .

(١) فَتَدَ فُلَانٌ قَوْلَ فُلَانٍ (كَتَبَهُ، أَبْطَلَهُ). الْهَبَا: الْحَد. الْمُهْتَدُ: السَّيْفُ (يَهْضُلُ فِي الْأُمُورِ بِلَا تَرَدُّدٍ).

(٢) أَبَدَعَ: أَوْجَدَ مِنَ الْعَدَمِ. الْمَبَادِي: الْأَوَّلُ (الْمَبَادِي: الْعَالِيَةُ): الْعُقُولُ وَالنَّفُوسُ السَّمَاوِيَّةُ (التَّهَانُوي ١: ١٠٦ س)، وَلَعَلَّهَا هُنَا: الْعَقْلُ وَالنَّفْسُ وَالصُّورَةُ وَالْمَادَّةُ وَالْعَلَّةُ.

(٣) بِقُدْرَةِ اللَّهِ الْقَدِيمَةِ وَالَّتِي لَا تَزَالُ بَاقِيَةً لَهُ.

(٤) الْمَقُولُ: اللَّسَانُ.

(٥) الْأَجْنَادُ جَمْعُ مُجِيدٍ (الَّذِي لَهُ مَجْدٌ: شَرَفٌ وَمَكَانَةٌ). وَالْأَنْجَادُ جَمْعُ نَجْدٍ (بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ أَوْ بِفَتْحٍ فَضْمٍ): الرَّجُلُ ذُو الْعَزِيمَةِ الْمَاضِي فِي الْأُمُورِ.

(٦) عُمَرُ الْفَارُوقُ بْنُ الْخَطَّابِ. التَّأَمُّ: اجْتَمَعَ. الْفُتُوقُ (الشَّقُّ) الَّذِي حَدَثَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ مِنَ الرَّدَّةِ (الْمَعْصِيَانِ لِلْسُلْطَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ لِلْخِلَافَةِ فِي الْمَدِينَةِ).

(٧) لَمَّا طَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَيْنَ سِتَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ =

فَأَثَرُوا عُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ،
بُؤْساً لِقَوْمٍ قَتَلُوا عُثْمَانَ
ثُمَّ تَوَلَّاهَا أَبُو السَّبْطَيْنِ
عَلِيٌّ ذُو الْعِلْمِ وَذُو الشَّجَاعَةِ
وَنَثَارَتِ الْحُرُوبُ بِالْخَوَارِجِ
ثُمَّ عَلِيٌّ (قَدْ نَحَا) مُعَاوِيَةَ
فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ فِي صِفِّينَا
وَدَامَ فِي حُرُوبِهِ عَلِيٌّ
حِينَ (أُصِيبَ مِنْ) يَدِ ابْنِ مُلْجَمٍ
تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَارِجِيٍّ فَاسَقَى
فَاغْتَالَهُ وَهُوَ يُنَادِي سَحْرَا
ثُمَّ تَوَلَّى الْحَسَنُ الْإِمَامَةَ
فَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ الدِّمَاءَ
(إِذْ) سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ
فَسَارَ فِيهَا آيُنُ أَبِي سُفْيَانَ

وَكَانَ لِلْإِلَهِ ذَا مَخَافَةٍ.
إِذْ تَقَمُّوا اسْتِخْلَاصَهُ مُرَوَّاناً^(١).
الْحَسَنُ (الْإِمَامُ) وَالْحُسَيْنُ:
وَالزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْبِرَاعَةِ.
- أَصْلَاهُمْ بِالنَّارِ ذُو الْمَعَارِجِ^(٢).
فَاضْطَرَبَ الْأَمْرُ بِعَمْرِو الدَّاهِيَةِ^(٣)
وَأُتِمُّوا الْبِنَاتِ وَالْبَنِيَا
حَتَّى دَهَاهُ حَادِثٌ دَهِيٌّ،
(وَحُضِبَ) الْمَفْرِقُ مِنْهُ بِالْدَمِّ.
خَالَفَ فِي التَّنْزِيلِ أَمْرَ الْخَالِقِ،
قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ يَدْعُو مُنْذِرَا.
فَمُنِحَتْ بَيْنِيهِ السَّلَامَةُ.
وَأَذْهَبَ الْمِخْنَةَ وَاللَّوَاءَ^(٤).
- حَيَاتُهُ - وَصَارَ عَنْهَا نَاجِيَةً^(٥).
بَسِيرَةً لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(٦)

- = والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص) وكانوا يطمحون إلى الخلافة وأنزهم إذا هو مات، أن ينتخبوا واحداً منهم للخلافة. بعد أن يتشاوروا فيها بينهم.
- (١) لما تولى عثمان الخلافة (بعد عمر بن الخطاب) جعل مروان بن الحكم كاتباً له (وزيراً ومستشاراً) وكان مروان هذا يسمى (طريد رسول الله)، لأنه كان أولاً من كتبة الوحي ثم اتهم في أمانته. وكان مروان مستبداً بكثير من أمور عثمان.
- (٢) أصلهم (أحرقهم) ذر المعارج (الله) بالنار.
- (٣) نحا: قصد. كان عمرو بن العاص أحد دهاة العرب، وكان يمالئ معاوية بن أبي سفيان على علي بن أبي طالب لأن معاوية كان قد وعده بالولاية على مصر مدى الحياة وعلى أن تكون مصر طعمة (بالضم) له (بأن يكون خراجها أو ضرائبها له).
- (٤) المنة (المصيبة على المسلمين بالاعتقال بين الصحابة على الخلافة). اللواء: الشدة والضيقة.
- (٥) اعتزل الخلافة ودفعها إلى معاوية.
- (٦) ابن أبي سفيان: معاوية.

وكان فرداً في النهى والجلم
 فانتقل الأمر إلى يزيد
 مجترماً في قتله الحسينا
 وغلب البغاة عبد الملك
 وقد توفاه مزيل ملكه
 وكان في السيرة لدناً لينا
 وقد بنى الجامع في دمشق
 في وقته فتح أندلوسا
 في عام تسعين مضت واثنين
 ثم تولى الأمر، بعد، عمر
 زهداً وعِلماً واعتدالاً وتقى
 قفا سبيل جدّه الفاروق
 وانقرض الأملاك من أُمّيه،
 حتى رماه حينه بسهم^(١)
 فعاد عن مناهج التسديد^(٢)
 وجاء في الحرّة فعلاً شينا^(٣)
 بالحزم والجِدْ وعزم مُوشِك^(٤)
 قولّي الوليد بعد هلكه
 مُستنسكاً حتى أذيق الحينا^(٥)
 مقتصداً في ذاك وفق الصديق
 طارق مولى ابن نصير موسى
 ثم سقاه الدهر كأس الحين....
 وكان في العدل إماماً يؤثّر^(٦)
 حتى اغتدى في الأمر فرداً مُنتقى
 ودَحَضَ الباطل بالحقوق^(٧)
 والموت قَصُرُ كُلِّ نفس حية^(٨)....

- (١) فرداً: لا شبه له في النهى (العقل) والحلم (سعة الصدر). الحين (بالفتح): الموت.
- (٢) حاد: مال. التسديد: الاستقامة والصواب.
- (٣) كان قتل الحسين بن عليّ في أيامه جرماً هو المسؤول عنه. وكانت وقعة (معركة) الحرّة قرب المدينة، وبعد الانتصار في تلك المعركة أباح مسلم بن عقبة المريّ (قائد الحملة) المدينة (بالاستيلاء على أموالها ونساها). الشين: العيب.
- (٤) البغاة: الطالبون (للخلافة)، لأن مروان بن الحكم (والد عبد الملك) كان لما تغلب على خصومه في معركة مرج راهط وحاز الخلافة دونهم، قد أرضى نفرأ منهم بأن سّاهم أولياء للعهد يأتون إلى الخلافة بعده (كان قد قطع لكل واحد منهم عهداً، في ستر عن الآخرين).
- (٥) اللدن: الطريّ. اللين يتسكين الياء كاللّين (بتشديد الياء). الحين (بالفتح): الموت.
- (٦) عمر بن عبد العزيز. أثر فلان فلاناً: فضّله (على غيره).
- (٧) كان عمر بن عبد العزيز سبط (بالكسر) عمر بن الخطاب، كانت أمّه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. دحض: أبطل، أزال. بالحقوق (بردّ الحقوق إلى أصحابها) - كان أهل البيت المالك من الأمويّين يتناولون رواتب من بيت المال فمتع عمر بن عبد العزيز ذلك.
- (٨) الأملاك: الملوك (جمع ملك). قَصُرَ: غاية، نهاية (في الذخيرة ١: ٩٣٣ قصري، وليست هذه في القاموس ولا في تاج العروس).

فصار في الأمر بنو العباس .
وصيرَ الأمرُ إلى المنصورِ
إذ كان ذا سياسةٍ وحزمٍ
وصار هرونُ الرشيدُ تالياً
فشيّدَ الملكُ وأعلى كعبه
واستوزَرَ البرامكَ الأعجادا
حتى دهاهمُ حادثُ الأيامِ ،
وجاءها المأمونُ عبدُ الله
حتى اغتَدَت في زينة العروسِ
إذ بايَعَ الناسُ له وسَلَمُوا
وكان في سيرته المأمونُ
ذا بصَرٍ بالعلم والكلامِ
وصيرَ الملكُ إلى المُعْتَصِمِ
فاستفتح المُعْتَصِمُ العَمَورِيَّةَ
فعاقَه عن ذاك أمرٌ مُزَعَجُ
وأنَّ الأفشينَ بدا من كُفْرِهِ
وقَتَلَ المُعْتَصِمُ الأفشينَا

ولم يكن في حُكْمِهِم من باسٍ .
فأَحْكَمَ التدبِيرَ للأُمُورِ ،
مُسَدِّدَ الرأي قوَيَّ العَزْمِ .
للمَلِكِ الهادي إماماً واليَا^(١)
حزماً وعزماً وأذلَّ صَغْبَهُ .
فاستوثَقَ الملكُ بِهِمْ وزاداً^(٢)
وكلُّ عِشْرٍ فإلى انصِرَامِ .
فانزاحَ عنها كلُّ أمرٍ داهٍ^(٣) .
وغاب عنها كوكبُ النُحُوسِ ،
فأشْرَقَ الدهرُ وكاد يُظْلِمُ .
عَدلاً رِضاً به تُقَى ودِينُ ،
مُؤَوَّهاً بالنُشْرِ والنِظَامِ^(٤) .
فأحسنَ السيرةَ (إذ لم) يَظْلِمِ .
ثمَّ أرادَ غَزُو قَسْطَنْطِينِيَّةَ^(٥) .
من نائِرٍ قامَ عليه يَخْرُجُ^(٦) ،
ما كان قد أَجَنَّهُ في صَدْرِهِ^(٧) .
إذ كان بالبَغْيِ يَكِيدُ الدِّينَا :

- (١) موسى الهادي أخو هرون الرشيد ولسفه في الخلافة .
(٢) الأجداد جمع مجيد : ذو الجهد (الشرف والمكانة) . استوثق : أخذ وثيقة من شخص (المقصود « نبت ») .
(٣) الداهي : المصيب (الذي يأتي بمصيبة) .
(٣) الكلام = علم الكلام (وكان المأمون معتزلاً يرى تقديم العقل على الرواية الدينية) . المؤوّه : حسن القول ، القادر على الكلام الجيد . النظام : نظم الشعر .
(٥) كان ملوك الروم (في أيام الدولة الأموية) من مدينة أموريوم (في آسيا الصغرى ، على مقربة من أنقرة) .
(٦) هذا النائر كان بابكاً الحُرَمِي .
(٧) الأفشين (حيدر بن كاوس) كان قائد الجيش العباسي (ولكنه كان يالئ بابكاً الحُرَمِي لأنه كان في الحقيقة يطن الكفر ويظهر الإسلام) . أَجَنَّهُ : كتمه .

أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ لَمَّا أَنْ بَغَى،
 ثُمَّ انْتَهَى مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ
 وَاسْتَوْثَقُ الْمُلْكُ بِهَذِي النَاحِيَةِ
 وَبِعَدَهُ النَّاصِرُ ذُو الْبِنَاءِ،
 وَبِعَدَهُ الْمُسْتَنْصِرُ بْنُ النَّاصِرِ،
 لَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ آلِ عَامِرٍ
 فَأَظْلَمَتْ فِي عَصْرِهِ الْآفَاقُ
 وَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ سُلَيْبَانُ يَلِي
 فَاسْتَوْثَقَ الْأَمْرُ لَهُ وَالطَّاعَةَ
 فَاغْتَالَهُ الصَّقْلَبُ فِي الْحَمَامِ
 ثُمَّ انْقَضَى (عَهْدُ) بَنِي حَمُودٍ
 وَظَهَرَ الْمُسْتَظْهَرُ الْمَرْوَانِيُّ
 وَهَكَذَا يَجْزِي الْإِلَهُ مِنْ طَغَى.....
 وَدَبَّرَ الْأَتْرَاكُ أَمْرَ النَّاسِ^(١).
 لِعَابِدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ^(٢)،
 خَمْسِينَ عَاماً، صَاحِبُ الزَّهْرَاءِ^(٣).
 وَبِعَدَهُ هِشَامُ آلِ عَامِرٍ^(٤).
 قَامَ بِهَا مَهْدِيُّ آلِ النَّاصِرِ^(٥)
 وَعَمَّهَا الشَّقَاقُ وَالْبِنْفَاقُ^(٦).
 حَتَّى انْبَرَى لَهُ ابْنُ حَمُودٍ عَلِيَّ^(٧).
 وَكَانَ - فِيمَا زَعَمُوا - تَلْقَاعُهُ^(٨).
 وَجَرَعُوهُ أَكْثُسَ الْحِمَامِ.
 وَالْحَرْبُ وَالْفِتْنَةُ فِي مَزِيدِ
 وَشِعْرُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَانِي.

(١) الأتراك (يقصد الناصر دويلات المشرق: السامانية والغزنوية؟).

(٢) استوثق (ثبت) الملك (الحكم) بهذي الناحية (في الأندلس) لعبد الرحمن الداخل (بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان). سمي الداخل لأنه كان أول من دخل الأندلس من أمراء بني أمية بعد سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العبّاس.

(٣) عبد الرحمن بن محمد المقتول بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. وعبد الرحمن الناصر (الثالث) أول من سمى بلقب خليفة في الأندلس وكانت أيامه أيام قوة وعزّ وازدهار. بنى قصر (مدينة) الزهراء.

(٤) الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر وخلفه في الخلافة. هشام آل عامر: هشام المؤيد (بن الحكم المستنصر وخليفته) جاء إلى الخلافة صغيراً فاستبد بأموره المنصور بن أبي عامر (الحاجب: رئيس الوزراء) بأموره، ثم استبد بأموره أيضاً ابنان للمنصور بن أبي عامر.

(٥) المهدي هو محمد بن هشام، الحادي عشر في سلسلة الجالسين على عرش الأندلس.

(٦) في أيامه بدأت الفتنة (القتال على الخلافة) بين العرب والبربر.

(٧) سليمان المستعين جاء إلى عرش الأندلس بعد محمد المهدي وأسمت الفتنة في أيامه. علي بن حمود استبد بأمر قرطبة وحكم مستقلاً.

(٨) تلقاعة (في القاموس ٣: ٨٢) بكسر التاء واللام وتشديد القاف: الكثير الكلام، الأحق، الداهية. ولا تستقيم في الوزن هنا إلّا بسكون اللام.

وقتلوه بعدَ ذاك صَبْرًا من بعد ما قَلَدوه الأَمْرًا^(١)
 فبايعوا للنَّاصِرِ المُستَكْفِي بعدَ خُطوبٍ طَال فيها وصفي^(٢).
 ففَرَّ عنهما ثم عاد المُعتَلِي باللهِ يَحْيَى نَجَلٌ حَمَوِدٌ عَلِي.
 ثم أَتَى من بَعْدِهِ المُعْتَدُّ والحَرْبُ في أَقْطَارِهَا تَشْتَدُّ^(٣)،
 فَتَقَمَّوا استِخْلَاصَهُ لِلْحَائِسِكِ وزيرِهِ، فَخَرَّ أَيُّ هَالِكٍ^(٤).
 وَخَلَعُوا مُعْتَدَّهُمْ هِشَامًا وسَجَنُوهُ عِنْدَهُمْ أَعْوَامًا.
 لَمَّا رَأَى أَعْلَامُ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ أَنَّ الْأُمُورَ عِنْدَهُمْ مُضْطَرِبَةٌ،
 (إِذْ) عُدِمَتْ شَاكِلَةٌ لِلطَّاعَةِ فَاسْتَعْمَلَتْ آرَاءَهَا الْجَمَاعَةُ^(٥)
 فَقَدَمُوا الشَّيْخَ مِنْ آلِ جَهْوَرٍ المَكْتَنِي بِالْحَزْمِ والتَّدَبُّرِ^(٦)
 ثُمَّ ابْنَهُ أَبَا الْوَلِيدِ بَعْدَهُ وَكَانَ يَحْدُو فِي السَّدَادِ قَصْدَهُ^(٧).
 فَجَاهَرَتْ فِي فَضْلِهَا الْجَهَاوِرُ وَكُلُّ قُطْرٍ حَلَّ فِيهِ (فَاقِرَةٌ)^(٨).
 (فِي كُلِّ قُطْرٍ) مُنْتَزِ (أَوْ) ثَائِرُ وَعَادِلٌ عَنِ كُلِّ عَدْلٍ جَائِرُ^(٩).
 وَابْنُ بَعِيشَ ثَارَ فِي طُلَيْطُلَةٍ، ثُمَّ ابْنُ ذِي النُّونِ تَصَفَّى الْمُلْكَ لَهُ.
 وَفِي بَطْلَيْوَسَ انْتَزَى سَابُورُ وَبَعْدَهُ آيْنُ الْأَفْطَسِ النُّصُورُ.

- وله من أرجوزة في تاريخ الأندلس: عدد من ملوك الطوائف ثم مجيء
 المرابطين:

- (١) قتلوه صبراً (بحسبه بلا طعام حتى مات جوعاً).
- (٢) محمد المستكفي (جاء إلى العرش سنة ٤١٤ هـ).
- (٣) هشام المعتد آخر الخلفاء في الأندلس.
- (٤) الحكم بن سعيد القرطبي (قتل ٤٢٢ هـ) كان حاكماً في قرطبة ثم توصل إلى أن أصبح حاكماً (رئيساً للوزراء) لهشام المعتد. فاستبد بالأمور وأساء السيرة في الناس.
- (٥) الناكلة: القاعدة، الطريقة (٢). الجماعة: رؤساء الناس.
- (٦) هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور كان وزيراً ثم لما اضطرب أمر الأندلس استبد بأمور قرطبة.
- (٧) كان ابنه يسير في ضبط الحكم مثل سيرته.
- (٨) الجهاورة (المتوالون في حكم قرطبة من آل جهور). فاقرة: داهية، مصيبة كبيرة (كل بلد في الأندلس استبد به رجل).
- (٩) المنتزي: العاصي على الدولة. عادل: مائل، منحرف. جائر: ظالم.

وَنَارَ فِي حِمَصِ بَنُو عَبَّادٍ
وَشَاعَ عَنْ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ
وَأَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ
وَقَالَ عَبَّادُ بِهِ فَصَدَّقُوا
فَنَصَبُوا دَعْوَتَهُ طِلْسًا
فَعَبِدُوهُ مُدَّةَ أَعْوَامَا
ثُمَّ نَمَاهُ بَعْدَ ذَا عَبَّادُ
وَنَارَ فِي غَرْنَاطَةِ حَبَّوسُ
وَأَلَّ مَعْنَى مَلَكُوا الْمَرْيَسَةَ
ذَكَرَهُمْ فِي غَيْرِ مَا قَصِيدٍ
وَنَارَ فِي (شَرْقِيَّهَا) الْفَتِيانُ
ثُمَّ زَهِيرٌ وَالْفَقِي لَبِيبُ
سُلْطَانِهِ رَسَا بِمَرْسَى دَانِيَةَ
ثُمَّ أَقَامَتْ هَذِهِ الصَّقَالِبَةُ
وَجُلُّ مَا مُلْكُهُ بَلَنْسِيَّةُ.
ثُمَّ تَمَادَتْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ

وَالْحَرْبُ وَالْفَتُونُ فِي ازْدِيَادٍ^(١)
بَأَنَّهُ حَيٌّ وَلَمَّا يُلْحَدُ^(٢)،
وَاحْتَلَّ فِي حِمَصٍ عَلَى الْحِجَازِ.^(٣)
بَأَنَّهُ حَيٌّ لَدَيْهِ يُرَزَقُ^(٤).
وَقَدْ مَحَا الْمَائَتُ مِنْهُ الرَّسَاءُ^(٥).
إِذْ عَدِمُوا الْأَلْبَابَ وَالْأَحْلَامَا^(٦).
مِنْ بَعْدِ مَا طَاعَتْ لَهُ الْبِلَادُ^(٧).
ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ بَادِيسُ.
بِسِيرَةِ مَحْمُودَةِ مَرْضِيَّةٍ^(٨).
يُشْرِقُ مِنْهُ النَّخْرُ بِالْفَرِيدِ^(٩).
الْعَامِرِيُّونَ مِنْهُمْ خَيْرَانُ^(١٠).
وَمِنْهُمْ مُجَاهِدُ اللَّيْسَبُ.
ثُمَّ غَزَا حَتَّى إِلَى سَرْدَانِيَّةِ^(١١).
لَا بِنَ أَيْ عَامِرِيهِمْ بِشَاطِبَةِ^(١٢).
وَنَارَ آلَ طَاهِرٍ بِمَرْسِيَّةِ.
تَخْلِفُهُمْ مِنْ آلِهِمْ خَوَالِفُ.

(١) حِمَصُ (إِشْبِيلِيَّةُ لِشَبِيهَا بِحِمَصٍ فِي الشَّامِ). الْفَتُونُ: الْفَتْنَةُ. الْفَتُونُ جَمْعُ فَتَنَ: الْخِلَافُ.

(٢) لَمَّا يُلْحَدُ: لَمْ يَدْفِنْ بَعْدَ.

(٣) عَلَى الْحِجَازِ (عَلَى ضَفَةِ النَّهْرِ مُسْتَعِدًّا لِلْحِوَارِ إِلَى قَلْبِ إِشْبِيلِيَّةِ؟).

(٤) أَبُو عَمْرٍو عَبَّادُ (الْمُتَضَدُّ) بِنَ مُحَمَّدٍ، مَلِكُ إِشْبِيلِيَّةِ (أَبْتَدَأَ مِنْ ٤٣٣ هـ).

(٥) الطَّلَسُمُ: الْعَمُودَةُ (بِالضَّمِّ)، التَّمِيصَةُ (اتَّخَذُوا اسْمَهُ حِجَّةً لِلْحَكْمِ).

(٦) عِبْدَةُ النَّاسِ (أَطَاعُوهُ وَانْقَادُوا لَهُ). اللَّبُّ (بِالضَّمِّ) وَالْحِلْمُ (بِالْكَسْرِ): الْعَقْلُ.

(٧) وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ عَبَّادٍ فِي حَكْمِ إِشْبِيلِيَّةِ نَمَى هِشَامًا (أَعْلَنَ مَوْتَهُ).

(٨) النَّخْرُ: أَعْلَى الصَّدْرِ. الْفَرِيدُ: الْوَلِيُّ.

(٩) الْفَتِيَانُ: مَوَالِي (عَبِيدُ) الْعَامِرِيِّينَ (النَّصُورُ بِنَ أَبِي عَامِرٍ وَأَهْلُهُ).

(١٠) رَسَا: اسْتَقَرَّ. سَرْدَانِيَّةُ جَزِيرَةٌ إِسْپَانِيَّةٌ.

(١١) الصَّقَالِبَةُ (مِنَ الْعَرَقِ السَّلَافِيِّ) كَانُوا مَوَالِي فِي خِدْمَةِ الْعَامِرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

وَإِذْ أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَ الْبَرِّ
فَجَاءَهُمْ كَالصُّبْحِ فِي إِثْرِ غَسَقٍ
وَإِسَى أَبُو يَعْقُوبَ كَالْعُقَابِ
وَوَاصِلَ السَّيْرِ إِلَى الزَّلَاقَةِ
لَهُ دُرٌّ مِثْلُهَا مِنْ رُقَقَةٍ
وُتْسِلَ لِلشَّيْءِ هُنَاكَ عَرَشُهُ،
فَوَجَبَ الْخَلْعُ لَدَى الْجَمَاعَةِ
فَاتَّصَلَ الْأَمْرُ عَلَى النِّظَامِ
إِسْتَصْرَحَ النَّاسُ ابْنَ تَاشَفِينَ^(١)
مُتَّيِّدًا كَالْمَاءِ يُنْقَى مِنْ رَقَقٍ^(٢)
فَجَرَدَ السَّيْفَ عَنِ الْقِرَابِ^(٣)
وَسَاقَهُ لِيَوْمِهَا مَا سَاقَهُ^(٤)
قَامَتْ بِنَصْرِ الدِّينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ يَوْمِهَا أَذْفُنُهُ^(٥)
وَصِرَحُوا لِيُوسُفَ بِالطَّاعَةِ^(٦)
وَامْتَدَّ ظِلُّ اللَّهِ لِلْإِسْلَامِ

٤-★★ المغرب ٢: ٣٧١ - ١٣٧٢ الذخيرة ١: ٩١٦ - ١٩٤٤ الخريدة (الأندلس) ٢:
٩٣ - ١٩٧ نفع الطيب ١: ٦٧١ - ٦٧٢، ٣: ١٨٢ نيكل ٢٣٨ مختارات
نيكل ١٦٠ الاعلام للزركلي (٣: ٢٧٤).

أبو بكر الطرطوشي

١- هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري
الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة (وهي مدينة في الشمال الشرقي من الأندلس على نهر
أبره قريباً من مصبه)، ويُعرف أيضاً بابن أبي رندقة.
وُلِدَ أبو بكر الطرطوشي في طرطوشة، سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م). وعاش في

- (١) استصرخ الناس ابن تاشفين (استجدوا بيوسف بن تاشفين).
- (٢) إثر: بعد. غسق: ظلام (حنة من هجاء النصارى الإسبان على البلدان الإسلامية). الرقق: الكدر (الوحد في الماء).
- (٣) أبو يعقوب (يوسف بن تاشفين). القراب: غمد (بالكسر) السيف.
- (٤) الزلاقة (راجع، فوق، ص ١٧). ساقه ليومها ما ساقه (جاء به إلى الزلاقة حرصه على دفع الشر عن المسلمين في الأندلس).
- (٥) ثل: هدم. الأذفنش: اسم عدد من ماوك الإسبان (وقد استخدم أيضاً لقباً). المقصود هنا ألفونس السادس ملك قشتالة (كاستيل).
- (٦) أهل الأندلس خلموا عنهم طاعة ملوك الطوائف ثم دانوا (أطاعوا في الحكم) ليوسف بن تاشفين.

سَرَقُطَّة مَدَّة وَدَرَسَ فِيهَا فِي إِشْبِيلِيَّة. وَفِي سَرَقُطَّة صَحِبَ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ (٤٠٢ - ٤٧٣ هـ) مَدَّةً يَسِيرَةً وَأَخَذَ عَنْهُ شَيْئاً مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ ثُمَّ دَخَلَ الْعِرَاقَ فَتَفَقَّهَ فِي بَغْدَادَ عَلَى أَبِي مَكْرَمٍ بْنِ أَحْمَدَ الشَّاشِيِّ (ت ٥٠٧ هـ) وَسَمِعَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ التُّسْتَرِيِّ (ت ٤٧٩ هـ) وَزَارَ الْقُدْسَ. بَعْدَئِذٍ جَاءَ إِلَى الشَّامِ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَتَطَوَّفَ بَيْنَ مُدُنِهَا. ثُمَّ انْتَقَلَ (٤٨٨ هـ) إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ رَشِيدَ مَدَّةً ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَقَعَدَ فِيهَا لِلتَّدْرِيسِ. وَفِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مُتَعَبِّدَةً مُوسِرَةً وَقَرَّتْ عَلَيْهِ كَثِيراً مِنْ السَّعْيِ فِي سَبِيلِ تَكَايُفِ الْحَيَاةِ.

وَجَاءَ الطَّرُطُوشِيُّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَزَارَ الْأَفْضَلَ بْنَ بَذْرِ الْجَمَالِيِّ وَزَيْرَ الْفَاطِمِيِّينَ (٤٩٥ - ٥١٥ هـ) زِيَارَةً نَصِيحَةٍ وَعِتَابٍ أَغْضَبَتِ الْأَفْضَلَ. وَلَكِنَّ الْأَفْضَلَ أَكْرَمَ الطَّرُطُوشِيَّ. وَبَعْدَ مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ فِي الْأَغْلَبِ (فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٥١٥ هـ) اسْتَدْعَى الْأَفْضَلَ أَبَا بَكْرَ الطَّرُطُوشِيَّ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ إِقَامَةَ قَسْرِيَّةٍ. وَفِي آخِرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥١٥ مَاتَ الْأَفْضَلَ فَخَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمَأْمُونُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَطَّانِحِيِّ (قَتَلَ ٥١٩ هـ) فَأُطْلِقَ سَرَاحَ الطَّرُطُوشِيَّ. فَعَادَ الطَّرُطُوشِيُّ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الطَّرُطُوشِيِّ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فِي ٢٦ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٥٢٠ (١٨ / ٦ / ١١٢٦ م).

٢- أَبُو بَكْرَ الطَّرُطُوشِيُّ عَالِمٌ حَافِظٌ مُحَدِّثٌ فَقِيهٌ وَأَدِيبٌ نَاصِرٌ وَشَاعِرٌ وَمُؤَلِّفٌ. لَهُ شِعْرٌ وَسَطٌ فِي الزَّهْدِ وَالْحِكْمَةِ وَلَهُ عِدَّةٌ مِنَ التَّصَانِيفِ، إِلَّا أَنَّ شُهْرَتَهُ تَقَوُّمٌ عَلَى كِتَابِهِ «سِرَاجُ الْمُلُوكِ» وَقَدْ أَلَفَهُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي مَدَى عَامٍ وَاحِدٍ وَانْتَهَى مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي رَابِعِ عَشْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥١٦ (١٩ / ١١ / ١١٢٢ م) وَقَدَّمَ لِلْبَطَّانِحِيِّ.

وَأَبُو بَكْرَ الطَّرُطُوشِيُّ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ وَاسِعُ الْبَيْرَايَةِ لَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: «اِخْتِصَارُ الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (لِلثَّعْلَبِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ) - «اِخْتِصَارُ» كِتَابِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ «(لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ حَيَّانٍ)» - كِتَابُ الْأَسْرَارِ (فِي حَقِيقَةِ الْعَقْلِ وَأَقْسَامِهِ وَمَدَارِكِهِ) - الْكِتَابُ الْكَبِيرُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِيَّاتِ

(أو التعليلية^(١) الكبيرة في الخلافات^(٢)) - حاشية على إثبات الواجب - شرح رسالة أبي زيد القيرواني - النهاية في فروع^(٣) المالكية - تحريم الاستمنا - منتخب من عيون خصائص العباد - نزهة الإخوان المتحايين في الله - كتاب الدعاء - المدة عند الكرب والشدة - الكلام على الغنى والفقر - كتاب يُعارض فيه الغزالي (يأخذ على الغزالي عدداً من آرائه في التصوف وفي الفلسفة ثم ينسب في بعضها إلى الابتداء، ويبدو أنه يخالف الغزالي في إباحة السماع أو الغناء والعزف) - كتاب الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومُحدثاتها) - تحريم الغناء واللغو على الصوفية في رقصهم وسماعهم - رسالة في تحريم جُبْن الروم (الجُبْنَة التي يصنعها اليونان ثم يصدرونها إلى مصر) - كتاب الفتن - رسالة إلى يوسف بن تاشفين (فيها عددٌ من النصائح في التزام أمور الدين وترك البدع) - كتاب برّ الوالدين - نفائس الفنون - سراج الملوك .

وأشهرُ كتبِ الطرطوشي - لعله أهمُّها أيضاً - كتابُ سراج الملوك ، وهو يبحث فيه في الاجتماع والتاريخ ويريد أن يُهذَّبَ نفوسَ الحُكَّام من طريقِ العِظَةِ وضَرْبِ الأمثال . وهو لا يفرِّقُ بينَ السُّلوكِ السياسيِّ ومبادئ الأخلاق ويعتقد أن صلاح الرعية من صلاح الملوك (الحُكَّام) . وأسلوبه فيه سهلٌ كثيرُ الاقتصادِ بالحسَنَاتِ اللفظية قليلةِ المبالغة في كلِّ شيء ، وهو يمزجُ فيه النثرَ بشيءٍ من الشعر .

٣ - مختارات من آثاره :

- قال أبو بكرِ الطُّرطوشيُّ في حالِ الزَّهاد ونظرهم إلى هذه الدنيا :
 إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً قُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا^(٤) .
 نَظَرُوا فِيهَا ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِغِيٍّ وَطَنَا

(١) التعليلية: ما يعلِّفه الطالب عن شيوخه (دَفْتَرٌ يَدَوِّنُ فِيهِ الطَّالِبُ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ أَسَاتِذَتِهِ) .

(٢) الخلافات: ما يختلف فيه أصحاب المذاهب .

(٣) في أمور الدين العملية: (المبادات والمعاملات) . الفروع غير الأصول .

(٤) القطن (بضم فسكون جمع فاطن و فطين ثم جمع فطن (بكسر ويفتح الخ): ذو فهم وعقل . والفتنة (بالكسر): المحن ، الابتلاء ، الاختبار والإعجاب بالشئ والفضال والافتتال والتزاع . والشقاق .

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنْفًا^(١)!
- وَمَا يَنْسِبُ إِلَيْهِ:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا، وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمٌ،
فَارْزِلْ بِأَكْمَسَةِ خَلَابَةٍ بِهِ صَمٌّ أَغْطَشُ أَبْكَمَ^(٢)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدِّرْهَمُ!

- لَأَيُّ بَكْرِ الطُّرُوشِيِّ قِطْعَةً عَبَّرَ فِيهَا عَنْ عَدِيدٍ مِنَ الْمَعَانِي نَثَرًا ثُمَّ أَعَادَ هَذِهِ الْمَعَانِي وَأَمَثَلَهَا شِعْرًا، هِيَ الَّتِي تَلِيَ (وَلَعَلَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْمَعَانِي عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ):
يَا بُنَيَّ، إِذَا هَاجَ شَوْقِي وَتَضَعَّضَ أَصْطِبَارِي وَاضْطَرَبَتْ عِزَائِي وَاضْطَرَمْتُ
بِلَابِلِي^(٣) أَسْرَحُ طَرْفِي^(٤)، فَلَا أَرَاكُمْ، وَأَسْتَقْبِلُ الرُّكْبَانَ فَلَا أَلْقَاكُمْ. فَلَا نَسِيْمُكُمْ أَشْمُهُ،
وَلَا شَخْصُكُمْ أَغْتَنِّقُهُ وَأَضْمُهُ، وَلَا وَجْهَكُمْ أَسْتَدْنِيهِ وَالْتَزِمُهُ. وَأَبْسُطُ كَفًّا وَأَرْفَعُ إِلَى
السَّمَاءِ طَرْفًا وَأَذْرِفُ الدَّمُوعَ ذَرْفًا، وَأَقُولُ كَمَا قَالَ مَنْ فَهَمَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعَارِضْ
قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ - لِمَا آتَيْتَنِي بِهِ مِنْ أَحِبَابِهِ وَصَبَّرَ عَلَى بِلَاثِهِ -: «فَصَبِّرْ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»^(٥). يَا بُنَيَّ، كُلَّمَا ذَكَرْتُكَ هَاجَ شَوْقِي إِلَى رُؤَيْتِكُمْ، أَلْحَظُ
النَّجْمَ الَّذِي تَلْحَظُونَهُ. وَأَنَا أَقُولُ:

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدًا لَعَلِّي أَرَى النَّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ؛
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبَانَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ لَعَلِّي يَمَنُّ قَدْ شَمَّ عَرَفَكَ أَظْفَرُ^(٦).
وَأَسْتَقْبِلُ الْأَرْيَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا، لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ؛
وَأَمْشِي، وَمَا لِي فِي الطَّرِيقِ مَارَبٌ، عَسَى نَعْمَةً بِاسْمِ الْحَبِيبِ سَتَذْكُرُ^(٧).

- (١) جَعَلُوهَا (عَدَّوْهَا، حَبَّوْهَا) لُجَّةً (جَانِبَ مِنَ الْبَحْرِ) ..
- (٢) الْأَكْمَةُ (الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى، وَلَكِنْ خَلَابَةٌ (خَدَاعَ). صَمٌّ (فَقْدَانُ السَّمْعِ) أَغْطَشَ (بِهِ ضَمَفٌ فِي الْبَصَرِ) أَبْكَمَ (أَخْرَسَ).
- (٣) الْبِلَابِلُ: شِدَّةُ الْهَمِّ وَالْوَسْوَاسِ.
- (٤) الطَّرْفُ: الْبَصَرُ.
- (٥) مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ١٢: ١٨، سُورَةُ يُوسُفَ.
- (٦) الْعَرَفُ: الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ.
- (٧) مَارَبٌ: حَاجَةٌ.

وَالسَّحُّ مِنْ أَقْصَاءِ مَنْ غَيْرِ حَاجَةٍ،
وَمَنْ ظَلَّ فِي عَيْدٍ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ
وإن زَارَ إِنْفَاءً إِنْفَاءً زُرْتُ مَنْزِلًا
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلِّ حَبِيبِهِ،
يُشَوِّبُ إِلَى الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ غَائِبًا
وَيَأْوِي إِلَى الْأَحْبَابِ مَنْ كَانَ حَاضِرًا
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى، وَكَأَنَّا
أَحْبَابُنَا، هَلْ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَنَا
أَمَا حَذِرَ الْوَاشِي مِنَ الدَّهْرِ صَرْعَةً؟
عَسَى لَمَعَةٌ مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ تُسْفِرُ^(١).
فَمَا لِي مِنَ الْأَهْلِينَ إِلَّا التَّحْيِيرُ.
وَحَوْلِي مِنَ أَهْلِ الْحَفِيزَةِ مَعَشَرُ^(٢).
وَمَا لِي مِنْكُمْ مَنْ أَنَا جِي وَأَنْظَرُ^(٣).
وَمَا لِي مِنَ الْأَوْطَانِ إِلَّا التَّذَكُّرُ^(٤).
وَمِنْ دُونِ أَحْبَابِي لَيَالٍ وَأَشْهُرُ^(٥).
عَلَى شَمْلِنَا خُطَّتْ مِنَ الْبَيْنِ أَسْطُرُ^(٦).
عَسَى نَلْتَقِي قَبْلَ الْمَاتِ وَنَحْضُرُ!
فَلِلدَّهْرِ وَاشْرَ لَا يَنَامُ وَيَسْهَرُ^(٧).

- من مقدمة «سراج الملوك» للطرطوشي:

إِنِّي لَمَآ نَظَرْتُ فِي سَيْرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُلُوكِ الْحَالِيَةِ وَمَا وَضَعُوهُ مِنَ السِّيَاسَاتِ فِي
تَدْيِيرِ الدُّوَلِ وَالتَّزْمُوهِ مِنَ الْقَوَانِينِ فِي حِفْظِ النِّحْلِ^(٨)، وَجَدْتُ ذَلِكَ نَوْعَيْنِ: أَحْكَامًا
وَسِيَاسَاتٍ. فَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْبُيُوعِ
وَالْأَنْكِحَةِ وَالطَّلَاقِ وَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا وَالرُّسُومِ^(٩) الْمَوْضُوعَةُ لَهَا وَالْحُدُودُ^(١٠) الْقَائِمَةُ
عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا فَأَمَرُوا بِاصْطِلَاحِهَا عَلَيْهِ بِعُقُوبِهِمْ، لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بُرْهَانٌ
وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ^(١١)، وَلَا أَخَذُوهُ عَنْ تَدْيِيرٍ^(١٢) وَلَا أَتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا. وَإِنَّا

(١) ... لعلِّي أرى شيئاً شبيهاً بجمالِكَ في وجوه الآخرين.

(٢) الحفيظة: البغضاء.

(٣) ناجاه: سارره.

(٤) تاب: رجع.

(٥) ومن دون أحبابي ليالٍ وأشهر (هم يميّدون عني جدّاً).

(٦) النوى: البعد. البين: الفراق.

(٧) صرعة: قتلة.

(٨) النحلة (بالكسر): الدين، العقيدة (العقيدة الفرعية من الملة أو الدين العام).

(٩) الرسم: الطريقة التي يجري عليها تصرف الأعمال.

(١٠) الحد: المقاب، القصاص.

(١١) ما أنزل الله بها (بوجوبها) من سلطان (حجة أو برهان).

(١٢) تدبير: تنظيم منتج من تفكير.

هي صادرة عن خَدَمَةِ النيرانِ وَسَدَنَةِ بُيُوتِ الأصنامِ وَعَبَدَةِ الأندادِ والأوثان^(١). وليس يَعْجِزُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله (عن) أَنْ يَصْنَعَ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ أَشْباهاً وَمِثَالها^(٢). وَأَمَّا السِّيَاساتُ التي وَضَعوها في أَلْتِزامِ الأحكامِ والذَّبِّ^(٣) عنها والحِمايَةِ لها، وتَعْظِيمِ مَنْ عَظَّمها وإِهانَةِ مَنْ خالَفها، فقد ساروا في ذلك بِسيرةِ العَدَلِ وَحُسْنِ السِّيَاسةِ وَجَمَعَ القلوبِ عليها والتزامِ النَصَفَةِ^(٤) فِما بَيْنَهم على ما تُوجِبُه تلكَ الأحكامُ.

فَجَمَعَتْ مُحاسِنَ ما أَنْطَوْنَ عليه سِيرَتُهم خاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطوائِفِ^(٥) وَحُكَّاءِ الدُّوَلِ فَوَجَدَتْ ذلكَ في سِتِّ أُمَمٍ، وَهُمْ العَرَبُ وَالْفَرَسُ وَالرُّومُ وَالْهِنْدُ وَالسِّندُ وَالسِّندُ هِنْدُ^(٦).... فَنَظَّمَتْ ما أُلْفِيَتْ في كُتُبِهِم مِنَ الحِكمِ البالِغَةِ^(٧) والسِّيرِ المُستَحسِنَةِ والكَلِمَةِ اللطيفةِ والطريقةِ المألُوفَةِ والتوقيعِ الجميلِ والأثرِ النبيلِ إلى^(٨) ما رَوَيْتُه وَجَمَعْتُه مِنْ سِيرِ الأنبياءِ، عَلَينِهم السَّلامُ، وآثارِ الأولياءِ وَبَراعَةِ العُلَماءِ وَحِكمَةِ الحُكَّاءِ وَنِوادرِ الخُلَفاءِ وما أَنْطَوَى عليه القرآنُ الكريمُ الذي هو بَحْرُ العُلُومِ وَيَنْبُوعُ الحِكمِ وَمَعْدِنُ السِّيَاساتِ وَمَفاصِلُ الجِواهرِ المَكْنُوناتِ^(٩).

وقد رَأَيْتُ أَنْ أَختَصِرَ^(١٠) لِمَحَدَّةٍ وإِشارةٍ خفيفة. فَإِنْ طالَ فَالفاظٌ بارِعَةٌ وآياتٌ

(١) الخدمة جمع خادم. خدمة النيران: الموكلون باهتاد النار باستمرار في هياكل الجوس. السادن: الخادم (القائم على تدبير بيوت العبادة).

(٢) النَّذ (هنا) ما يعبد على أَنَّهُ شريكُ الله (تعالى الله). الوثن: شيء يعبد، وهو على غير صورة معينة (حجر، شجرة، جانب من جبل، الخ).

(٣) الخلق، خلق الله: الناس، جماعات الناس. ومثالها (اقرأ: ومثالها).

(٤) النصف: الإنصاف.

(٥) ملوك الطوائف (ملوك الدول الصغيرة).

(٦) السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان - أي بلاد فارس - (تاج العروس - الكويت ٨: ٢٢١ - ٢٢٢)، هي باكستان اليوم. السندهند (٢).

(٧) أُلْفِي: وجد. البالغة: التامة (تصل إلى أقصى ما وصل إليه الاختبار الإنساني).

(٨) التوقيع: قول موجز يكتبه الخليفة أو الوزير في آخر الرقعة المقدمة إليه ليجوز تنفيذ ما فيها أو ليمتنع. إلى ما رويته (بالإضافة إلى ما رويته).

(٩) المفاصل: المكان الذي يفوص فيه الملاحون والصيدون. الجواهر (الآلي جمع لؤلؤة). المكنونة: التي لا تزال في الصدفة (النادرة، الثمينة).

(١٠) اقرأ: أَنْ أَختَصِرَ لِحَة...

مُعْجَزَةٌ.... فَاتَّظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَأَحْكَمْتُهُ غَايَةً^(١) فِي بَابِهِ غَرِيباً فِي فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ خَفِيفَ الْمَحِيلِ كَثِيرَ الْفَائِدَةِ لَمْ تَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ الْعُلَمَاءِ وَلَا جَالَتْ فِي نَظْمِهِ^(٢) أَفْكَارُ الْفُضْلَاءِ، وَلَا حَوَتْهُ^(٣) خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ.... (فَهُوَ عِصْمَةٌ^(٤)) لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرَّئَاسَةِ وَجَنَّةٌ^(٥) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أُولَى الْإِمْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَجَالٌّ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَابِ وَالْمُحَاضَرَةِ^(٦) وَعُنْوَانٌ لِمَنْ فَادَوْضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمُجَالَسَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ^(٧). وَسَمَّيْتُهُ «سِرَاجَ الْمُلُوكِ» يَسْتَفْنِي الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِهِ عَنْ مُصَاحِبَةِ الْحُكَمَاءِ، وَالْمَلِكُ عَنْ مُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ...

- مِنْ مَتْنِ الْكِتَابِ:

(ص ١٢): اَعْلَمْتُ أَنَّهَا الرَّجُلُ - وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ - أَنْ عَقُولَ الْمُلُوكِ، وَإِنْ كَانَتْ كِبَاراً، إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَفْرَقَةٌ بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ^(٨)، فَتَسْتَدْعِي مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا يَتَوَلَّجُ^(٩) عَلَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ وَيَتَغَلَّغُلُ فِي مَكَامِنِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ...

(ص ٧٩): إِنَّ السُّلْطَانَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ وَبَلِيَّتُهُ عَامَةٌ^(١٠)، وَقَدْ يَطْرُقُهُ مِنَ الْآفَاتِ وَيَخْتَوِشُهُ^(١١) مِنَ الْأُمُورِ الْمُهْلِكَاتِ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ تَمَّ حَمَلَهُ وَيَشْكُرَهُ عَلَى مَا عَصَمَهُ^(١٢): لَا يَهْدَأُ فِكْرُهُ وَلَا تَسْكُنُ خَوَاطِرُهُ وَلَا يَصْفُو قَلْبُهُ وَلَا

(١) غاية: نهاية (أحسن ما هو) في بابه (نوعه).

(٢) في نظمه (اقرأ: في نظم مثله).

(٣) ولا حويته (اقرأ: ولا حوت مثله).

(٤) عصمة: حماية، حفظ، وقاية.

(٥) جنّة: ستر (وقاية).

(٦) المحاضرة: مفاوضة في الكلام، تبادل الآراء.

(٧) المذاكرة: تبادل الآراء والأقوال التي يساعد بعضها على تذكر بعضها الآخر.

(٨) غارقة بكثرة الأعمال المطلوبة من الملك (عاجزة عن أن تحيط بكل ما يريده الملك).

(٩) تولّج: دخل (أعان على جلاء تلك الأفكار).

(١٠) خطره: مكانته. بليّته: مصيبتة (ما ينتظر منه أن يمله).

(١١) طرق النجم: طلع ليلاً. طرق الأمر فلاناً (أناه بفئة). احتوشه: أحاط به.

(١٢) اللب: العقل... -... تَمَّ حَمَلُهُ (الملك) ويشكر (الله) على ما عصمه (عصم الرجل غير السلطان)...

يَسْتَقِرُّ لَبُهُ. الْخَلْقُ فِي شُغْلٍ عَنْهُ، وَهُوَ مَسْفُوفٌ بِهِمْ^(١). وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا، وَهُوَ^(٢) يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ. وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَدْيِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ... وَتَدْيِيرُ مَعِيشَتِهِ، وَهُوَ مَدْفُوعٌ لِسِيَاسَةِ جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ: كُلُّمَا رَتَقَ فَنَقَأَ مِنْ حَوَاشِي^(٣) مَمْلَكَتِهِ أَنْفَتَقَ آخَرَ. وَكَلَّمَ - قَمَعَ عَدُوًّا أَرْصَدَ لَهُ أَعْدَاءَ، إِلَى^(٤) سَائِرِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ، وَ(مِنْ) نَصَبِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ وَبَغْثِ الْجُيُوشِ وَسَدِّ الثُّغُورِ وَاسْتِجْبَاءِ الْأَمْوَالِ^(٥) وَدَفْعِ الْمَظَالِمِ.

(ص ٢٠٧) مَنْ طَالَ عُدُوَانُهُ^(١) زَالَ سُلْطَانُهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ وَلِقَاحَةُ الْأَمْنِ وَنَتَاجَةُ الْعَدْلِ^(٢). وَهُوَ حُسْنُ السُّلْطَانِ وَمَادَّةُ الْمُلْكِ. وَالْمَالُ أَقْوَى الْعُدُوِّ^(٣) عَلَى الْعَدُوِّ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ وَحَيَاةُ الْأَرْضِ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فِي حَقِّهِ وَيُمْنَعَ مِنَ السَّرْفِ^(٤). وَلَا (يَجُوزُ أَنْ) يُؤْخَذَ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَّا مَا فَضَّلَ عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا ثُمَّ (يَجِبُ أَنْ) يُنْفَقَ ذَلِكَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى (الرَّعِيَّةِ).

٤ - سراج الملوك، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٨٩ هـ، القاهرة ١٣٠٦، ١٣١٩ هـ؛
(بهاشم مقدمة ابن خلدون)، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣١١ هـ.

-
- (١) الناس لا يهتمون بما يصيب الملك ولا بالواجبات التي عليه كيف يجب أن يقوم بها، بينما هو مجبر على الاهتمام بكل فرد منهم.
 - (٢) والرجل (العادي) يخاف عدوًّا واحدًا، وهو (أي الملك).
 - (٣) رتق: سدّ (خاط، أصلح). الفتق: الشقّ (الحادث، الثورة على الملك). حواشي المملكة: أطرافها البعيدة.
 - (٤) وكلّم قمع (قهر، تغلب على) عدوًّا أَرَصَدَ (برز) له أعداء، إلى (بالإضافة إلى).
 - (٥) الثغر: مكان ينفذ منه العدو إلى المملكة (الحدود). سدّ الثغر (حماه). استجباء الأموال (جمع أموال الجباية: الضرائب).
 - (٦) العدوان: الظلم.
 - (٧) لقاحة ونتاجة (٢). المقصود: لقاح (بالكسر: سبب) ونتاج (نتيجة).
 - (٨) العدد جمع عدّة (بالضّم): الأداة أو الآلة التي يستعين الإنسان بها على القيام بالعمل. (السلاح عدّة الحرب).
 - (٩) السرف: الإسراف.

- كتاب الحوادث والبدع (حقّقه محمد الطالبي)، تونس (مطبوعات كتابة الدولة للتربية القومية) ١٩٥٩ م.
- رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى ابن تاشفين (منشورة في «أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد....») - انظر السطر التالي.
- ★★ أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، تأليف جمال الدين الشّيبال (أعلام العرب، رقم ٧٤ - وزارة الثقافة: المؤسسة العامة للتأليف والنشر) ١٩٦٨ م.
- المغرب ٢: ٤٢٤؛ الصلة ٥١٧؛ بغية الملتبس ١٢٥ - ١٢٩؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٧٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٢: ٢٩٠ - ٢٩٢؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ الديباج المذهب ٢٧٦ - ٢٧٨؛ شذرات الذهب ٤: ٦٢؛ نفع الطيب ٢: ٨٥ - ٩٠؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٣ - ١٦٥؛ بروكلن ١: ٦٠٠ - ٦٠١؛ الملحق ١: ٨٣٩ - ٨٣٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٩ (١٣٣ - ١٣٤)؛ نيكل ٢٣٧ - ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٥٩ - ١٦١؛ سركيس ١٢٣٩؛ تراجم اسلامية لعبد الله عثان ٢٨٩ وما بعده؛ العربي ٨ / ١٩٧٠ م، ص ٨٨ - ٩٣.

ابن السيد البطليوسي

١- هو أبو محمد عبد الله بن السيد^(١)، أصله من شَنَبَ ومولده في بَطْلَيْوُسَ سَنَةَ ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م).

بدأ ابن السيد البَطْلَيْوُسِيُّ تَلَقَّى العلم في بَطْلَيْوُسَ على أبيه ثم على أخيه أبي الحسن علي بن السيد (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وكان لُغَوِيًّا أَدِيبًا. دَرَسَ ابنُ السيد القراءات على عبد الله بن محمد بن خلف الرازي (٢) وعلى علي بن أحمد بن حمدون (٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م)، كما دَرَسَ اللُّغَةَ على أبي بكرٍ عاصم بن أيوب البَطْلَيْوُسِيِّ^(٣).

وفي نحو سَنَةِ ٤٦٤ هـ ارتحل ابنُ السيد إلى المَرِّيَّة ومكث فيها عاماً واحداً سَمِعَ في أَثْنائِهِ من عبد الدائم بن جَبْرِ القَيْرَوَانِيِّ. ثم غادرها إلى قُرْطُبَةَ حيث دَرَسَ الحديث على أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغَسَّافِيِّ الجَيَّافِيِّ (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م)

(١) السَّيِّد (بكر السين وتسهيل الياء، بلا تشديد): الذئب.

(٢) أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م) من علماء اللغة، له «شعر الشعراء السَّنة (الجاهليين)» وكتاب «الأوائل».

الحدث (بروكلن ١ : ٤٥٤). بعدئذ أخذ ابن السيد ينتقل بين بلاطات ملوك الطوائف: اتصل بالقادر يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (٤٦٧ - ٤٧٨ هـ) في طليطلة ثم انتقل إلى سرقسطة واتصل بأحمد المستعين التنجي (٤٧٨ - ٥٠٣ هـ). ثم إنه اتصل بحسام الدولة أبي مروان عبد الملك آخر ملوك بني رزين في السهلة^(١)، فنال عنده حظوة ولحاسات أحوال السهلة وتغير عبد الملك على ابن السيد ارتحل ابن السيد إلى قرطبة وجلس في مسجد الجامع يُقْرَأ علوم الدين واللغة والنحو والأدب. غير أنه انتقل عن قرطبة وشيكاً وذهب إلى بلنسية حيث اشتغل بالتدريس والتأليف. وفي بلنسية توفي ابن السيد البطلوسي، في منتصف رجب من سنة ٥٢١ (٢٧ / ٧ / ١١٢٧ م).

٢- كان ابن السيد البطلوسي واسع المعرفة بفنون العلم: كان محدثاً وفقهاً ولغوياً ونحوياً وأديباً ناقداً وشاعراً ومؤرخاً عارفاً بأيام العرب وأشعارها، وقد تكسب بالشعر مدة. وكان أيضاً فيلسوفاً ومؤلفاً كثيراً.

وشعر ابن السيد الذي وصل إلينا قليل، على بعضه نغمة دينية صوفية، وعلى بعضه الآخر شيء من مجون. وله مدح ورثاء ووصف وغزل وزهد وحكمة. وأحسن شعره الزهد والحكمة.

ولابن السيد البطلوسي تصانيف نافعة ومُنتعة، منها كتاب المثلث^(٢) (أتى فيه بالمجائب ودل على اطلاع واسع) - الاقتضاب (في شرح «أدب الكتاب» لابن قتيبة^(٣))، وهو أشبه بدليل يستعين به المنشئون والمشتغلون في ديوان الإنشاء) - كتاب الحروف الخمسة (س، ص، ض، ظ، ذ، مع التمييز بين الكلمات التي ترد فيها هذه الحروف) - الإنصاف (في التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف بين الأئمة) - شرح (ديوان) سقط الزند (للمعري) وهو أجود من الشرح الذي صنعه المعري

(١) خلع المرابطون سنة ٥٠٣ هـ.

(٢) في اللغة، جمع فيه الكلمات التي يجوز أن يكون أولها مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً، مثل: جنة، ركوة.

(٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم الدهنوري (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) من أئمة الأدب ومن المصنفين الكثرين.

نفسه) - شرح ديوان المتنبي - الحداث في المطالب الفلسفية العالية المعويصة - الانتصار ممن عدل عن الاستبصار (رسالة صغيرة رد فيها على أبي بكر بن العربي^(١)) في عدد من وجوه الشعر واللغة والنحو والفلسفة).

ومن تصانيفه أيضاً: كتاب المسائل والأجوبة (وهو مجموع أجوبته على مسائل من فنون المعرفة كانت ترد عليه) - إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل^(٢) (وصفه ابن السيد نفسه بقال: غرضي في هذا الكتاب هو الكلام في إعراب أبياته: الأبيات الواردة في كتاب « الجمل » ومعانيها وكشف ما يخفى من أساء قائلها وعرض ما يتصل بكل بيت منها).

ولقد أراد ابن السيد البطليوسي (في كتبه) أن يُيسر النظر في اللغة وفي النحو وأن يفصل بين الإعراب (الذي يقصد منه فهم المعاني اللغوية) والتعليل الفلسفي (الذي يراد منه إظهار البراعة في الإتيان بأوجه متعددة من أحوال الإعراب ومن الجدال عند المفاضلة بينها). وقد جرّ عليه ذلك عداوة نفر من معاصريه أشهرهم الفيلسوف ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وأبو عبد الله محمد بن خلصة الضرير النحوي (ت نحو ٥٠٣ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن السيد البطليوسي بيتان في الحكمة مشهوران:

أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم^(٣).
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يُظن من الأحياء وهو عديم.

- وقال في مداراة الناس:

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي الأندلسي القاضي، من حفاظ الحديث ومن الأدباء والفقهاء (ت ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م).

(٢) كتاب « الجمل » لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٩ م) شيخ العربية (النحو) في أيامه.

(٣) الرميم: البالي، المتفتت.

إذا سألوني عن حالتي
أقول: بخير؛ ولكنّه
وربّك يعلم ما في الصدور
وحاولتُ عُذراً فلم يُمكن
كلام يدور على الألسن.
ويعلم خائنة الأعين^(١).

- وقال يمدح المستعين بالله بن هود:

هم سلبوني حُسنَ صبري إذ بانوا
لئن غادروني باللّوى، إنَّ مُهجتي
سقى عهدهم بالخيف عهدُ غنائم
أُحبابنا، هل ذلك العهد راجعٌ
ولي مقلّة عبّري وبين جوامحي
تتكرّر الدنيا لنا بعد بُعدي
بوجه آبن هودٍ كلّما أعرض الوري
أناخت بنا في أرض شنتمرية
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها،

بأقارِ أطواقٍ مطالعها بان^(٢).
مُسايرةً أطعانهم حيثما كانوا^(٣).
ينازعها مُزنٌ من الدمع هتّان^(٤).
وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان^(٥)؟
فؤادٌ إلى لُقيائكم الدهر حنّان^(٦).
وحلّت بنا من مُعضل الخطب ألوان^(٧).
صحيفةٌ إقبال لها البشرُ عنوان^(٨).
هواجسُ ظنّ خانٍ، والظنّ خوآن^(٩).
فلا ماؤها صدّاً ولا التبت سعدان^(١٠).

-
- (١) في القرآن الكريم: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» (١٠: ١٩، سورة غافر). خائنة: خيانية.
(٢) بان: ابتعد. البان: شجرٌ أغصانه طوال سراء مستقيمة تشبّه بها قامات النساء. قمر: كناية عن الوجه الجميل). الطوق: شبه العقد يُلبس في العنق.
(٣) اللوى: التلّة المستديرة من الرمل (رمز لمنزل الأحيّة). الظن: الهودج تسافر فيه المرأة.
(٤) مكان قريب من مكّة (كناية عن منزل المحبوب). هتّان: كثير المطر. عهد غنائم (مطر متتابع).
(٥) سلوان: نيان.
(٦) عبّري: دامة.
(٧) المعضل: المرض يمتصّي على التطبيب. الخطب: المصيبة. ألوان: أنواع.
(٨) البشر: تهلل الوجه وطلاقته، سروره.
(٩) في هذا البيت يعنّذ الشاعر من الزهارة التي كان قد قام بها إلى بلاد بني رزين في السهلة (وشنتمرية الشرق عاصمة السهلة). أناخ: برك، نزل. الهاجس: الحاطر.
(١٠) سوام: ابتغاء، طلب. لغيرها (للسقطّة، إلّيك). فلا ماؤها (ماء شنتمرية). صدّاً - في المثل: «ماء ولا كصداء» (فرائد اللال ٢: ٢٤٠). صدّاء ركيّة (بشر) ماؤها عذب جدّاً. السعدان: نبت تسمن عليه الإبل.

إلى ملك حاباه بالهجد يوسف، وشاد له البيت الرفيع سليمان^(١) :
إلى مستمعين بالإله مؤيد له النصر حزب والمقادير أعوان.
- وله من رسالة إخوانية:

.... وافاني - أعزك الله - كتاب شغل حاستي سعي وبصري، وملاً حافتني
فكري وخطري. وأراني الدر^(٢) إلا أنه لم ينظم، وأسمني البحر إلا أنه لم يحرم.
لو صيغ عقداً لأججل الدر والعقيان^(٣)، ولو حبك برذاً لقطل الدياج
والخسروان^(٤). فله قريحة أذكت ناره وأطلعت أنواره.... وقد طلع علينا طلوع
البدر في الفسق^(٥)، وضخ أفعها بخلوق من الخلق. واقتدخنا زند ذكائه فأورى^(٦)،
ولمحننا كوكب سائه فأعشى^(٧)، وشاهدنا البلاغة فيه شخصاً محسوساً، والرئيس
المتعاطي البراعة مرووساً. أقدمه الله خير مقدم وأغنمه أفضل مغمم.

- وقال في التوحيد والرد على المشركين:

إلهي، إنني شاكر لك حامد، وإنني لساغر في رضاك واجهد.
وإنك - مها زلت النعل بالفتى - على العائد التواب بالفضل عائد.
وما لي على شيء سواك معول إذا دهمتني المفضلات الشدائد.
وقدماً دعا قوم سواك، فلم يقم على ذاك برهان ولا لاح شاهد.
وبالفلك الدوار قد ضل معشر، وللبيرات السبع داع وساجد.

(١) المستمع بالله بن هود هو أحمد بن يوسف بن سليمان.

(٢) الدر: اللؤلؤة.

(٣) العقيان (بالكسر): الذهب الخالص.

(٤) البرد: ثوب من حرير. الدياج: ثوب منسوج كله من الحرير. الخسرواني والخسروي نوع من الشراب

ومن الثياب (التمينة) نسبة إلى خسرو شاه (من ملوك الفرس) - راجع تاج العروس - الكويت ١١ :

. ١٦٥

(٥) أذكى: أوقد. الفسق: الظلام.

(٦) ضخ: لطح، دهن. الخلق: الطيب، العطر. الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر الصوان. أورى:

اشتعل، أشعل.

(٧) أعشى: أضعف البصر، منع البصر من الرؤية.

وللعقل عبّادٌ، وللنفس شيعةٌ؛ وكلُّهم عن منهج الحقّ حائد.
 وهل يُوجدُ المغلولُ من غيرِ عِلَّةٍ، إذا صحَّ فكرٌ أو رأى الرُّشدُ راشداً.
 وهل غيّتَ عن شيءٍ فيُنكِرُ مُنكِرٌ وجودك، أم لم تَبْدُ منك الشواهد؟
 وفي كلّ معبودٍ سواك دلائلٌ من الصُّنع تُبدي أنّه لك عابد.
 وكلّ لك في خلقِ الورى من دلائلٍ يراها الفقى في نفسه ويُشاهد!

- فقرات من كتاب « الانتصار » (الداية ٣٤٨ - ٣٤٩):

قال ابن السيد البطليوسي يعرض بأبي بكر بن العربي:

....ورأيناك لما وصَلتَ بالقراءة والتصفحِ إلى قولِ (المعري):

فإن لقيتَ وليداً، والنوى كَثَبٌ، يومَ القيامة لم أَعِدْهُ تَبَكُّيتاً^(١)،

ذكرتَ أن روايةَ شَيْخِكَ « قَذَفَ »^(٢)، وهذا من الألفاظ التي ذكرنا أن المعريَّ غيَّرَها في آخرِ عُمُرِهِ، لما فيها من قُبْحِ التَّأويلِ والقالِ والقليلِ. (ذلك) لأنَّ الكَثَبَ: القُرْبَ، وهو الشيءُ القريبُ أيضاً. والقَذْفُ ضِدُّهُ - فإذا قال: « والنوى كَثَبٌ » كان فيه تقريبُ الأمدِ وأنَّه هامةُ اليومِ أو القَدْرِ. وإذا قال « قَذَفَ »، ففيه استبعادُ ليومِ القيامة.

....ورأيناك - أعزك الله - لما انتهى بك النظرُ إلى قولِ (المعري):

فذكرني بدرَ السماوةِ بادناً شفا لاحَ من بدرِ السماوةِ بال^(٣)،

أنكرتَ السماوةَ الثانيةَ وكَتَبْتَ السماوةَ بالهمزة. فلمْ أنكرتَها علينا؟ أحسبتَ أنها لا تُقالُ أم حسبتَ أنها أليقُ بالبيتِ؟ وكِلا الأمرين لنا فيه الظهورُ عليك^(٤)، لأنَّ أهلَ اللغةِ حكَّوا أنَّه يُقالُ سماً وسلمةً بالهمزِ وسماً وسماةً على وَزْنِ قِطَاةٍ. فمن قال

(١) النوى: البعد، (الفراق). كَثَب: قريب. التبكيت: التوبيخ.

(٢) قذف: بعيد.

(٣) السماوة: بادية في العراق. ذكرني بدر السماوة (الحلال المجدي في أول الشهر، راجع البيت السابق، في

الديوان، طبعة هندية، ص ١٠١) بادناً (وقد كبر). الشفا: حرف الشيء، والقليل من كلِّ

شيء..... في الديوان (ص ١٠١) السماوة.... والسلمة.

(٤) الظهور عليك: التفلب عليك.

سَاءَ فَهَمَزَ، بناها على ساءَ فَهَمَزَ. ومن قال ساءوا بالواو بناها على الفِعْل الذي هو سَاءَ يَسْمُو. وأما من طريق الترجيع^(١) بين اللَّفْظَتَيْنِ، فَإِنَّ السَّاءَةَ أَحْسَنُ الْوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَفْصَحُ اللَّفْظَتَيْنِ، لَأَنَّهَا أَكْثَرُ اسْتِمَالًا وَأَوْسَعُ مَجَالًا. ويدلُّ على ذلك أَنَّهُمْ قَالُوا سَاءَاتٌ، وبذلك قرأ القراء^(٢)، ولا يكادون يقولون سَاءَاتٌ. والوجه الثاني أَنَّهَا أَلِيقُ بِالْبَيْتِ لِمَا تَقَدَّمَ فِي صَدْرِهِ مِنْ ذِكْرِ السَّاءَةِ الْآخَرَى، فَأُقْسِدَتْ عَلَى الرَّجُلِ التَّجَنُّيسَ الَّذِي جَرَى إِلَيْهِ وَحَامَ فِكْرُهُ عَلَيْهِ. فما هذا الجِلَافُ والعِنَادُ، أَيْنَ النَّظَرُ الْحَسَنُ والانتقاد؟

....ورأيناك - وَتَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى قَوْلِ الْمَعْرِي:

فُبُعْدًا لِهَذَا الْجِسْمِ، يَا رُوحُ، مَسْلَكًا وَبُعْدًا لِهَذَا الرُّوحِ، يَا جِسْمُ، سَالِكًا.
تَوَاصَلْتُمَا فَاسْتَحْدَثَ الْوَصْلُ مِنْكُمَا عَجَائِبَ كَانَتْ لِلرِّجَالِ مَهَالِكًا.

قد أنكرت علينا في بعض كلامنا فيه أَنَّ الرُّوحَ طَاهِرٌ شَرِيفٌ، وَالْجِسْمَ دُونَهُ مَوَاتٌ^(٣) لَا يَقَعُ عَلَيْهِ تَكْلِيفٌ^(٤). فكتبت في الطُّرَّة^(٥): صَوَابُهُ مَوْجُودٌ شَرِيفٌ وَكَيْفَ حَدَثَ بِاقْتِرَانِهَا خَطِئَةٌ، وَهُوَ قَوْلٌ بِقَدَمِ الْأَعْرَاضِ^(٦) أَوْ مَجَازٌ لَا يَعْدَمُ انْتِقَاضُ^(٧). وهذا كلامٌ أَوَّلٌ مَا نَتَقَدُّ فِيهِ فِسَادُ الْإِعْرَابِ بِتَرْكِ نَصْبِ الْانْتِقَاضِ وَبَعْدَ ذَلِكَ نَقُولُ: كَيْفَ أَنْكَرْتَ قَوْلَنَا إِنَّ الرُّوحَ طَاهِرٌ شَرِيفٌ وَقَدْ طَهَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَّفَهُ عَلَى النَّفْسِ وَقَدَّمَهُ، فِي الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْنَا وَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ لَنَا...

٤ - الاقتصاب في شرح أدب الكتاب (قفاط وميداني - وقف على طبعه عبد الله البستاني)، بيروت ١٩٠١ م.

-
- (١) الترجيع (لعلها: الترجيح: المفاضلة بين شيئين).
 - (٢) القراء: حفظة القرآن الكريم.
 - (٣) موات: بلا حياة. كالحجر مثلاً.
 - (٤) تكليف: أمر بأداء العبادة وما يشبه العبادة من الواجبات.
 - (٥) الطُّرَّة: القطعة، رأس الصنعة.
 - (٦) في الفلسفة: الجوهر (كنه الشيء، مادته) قديم، لأنه ثابت. العرض لا يمكن أن يكون قديماً لأنه متبدل.
 - (٧) انتقاض: نقض، بطلان (حق انتقاض هنا النصب).

- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (أحمد عمر المصصاني)، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ.
- كتاب الحداث في المطالب العالية الفلسفية العويصة (محمد زاهد بن الحسن الكوثري)، القاهرة (السيد عزت العطار الحسيني) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).
- شرح سقط الزند للمعري (في كتاب «شرح سقط الزند» للجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري)، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م.
- شرح المختار من لزوميات أبي العلاء (حرره حامد عبد المجيد)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٧٠ م.
- رسائل في اللغة (إبراهيم السمرائي)، بغداد (مطبعة الإرشاد) ١٩٦٤ م (٢) كتاب المسائل والأجوبة.
- ★ ★ قلائد العقيان ٢٢١ - ٢٣١؛ الصلة ٢٨٢ (رقم ٥٣٩)؛ بغية الملتص ٣٢٤ (رقم ٨٩٣)؛ الذخيرة ٣ : ٨٩٠ - ٨٩٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٤٧٨ - ٤٨٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٥٠٩ - ٥١٨؛ المغرب ١ : ٣٨٥ - ٣٨٦؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ - ٩٨؛ المطرب ٤٣، ٢٢٦؛ إنباه الرواة ٢ : ١٤١ - ١٤٣؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ - ٩٨؛ الديباج المذهب ١٤٠ - ١٤١؛ بغية الوعاة ٢٨٨؛ شذرات الذهب ٤ : ٦٤؛ نفع الطيب ١ : ١٨٥، ٦٤٣ - ٦٥٠؛ ٣ : ٢٢٨، ٢٨٧، ٤٧٠، ٥٦٧؛ أزهار الرياض ٣ : ١٠١ - ١٤٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٠٩٢؛ بروكلمن ١ : ٥٤٧، الملحق ١ : ٧٥٨؛ نيكل ٢٣٤؛ مختارات نيكل ١٥٧ - ١٥٩؛ بالنشيا ١٨٧؛ الداية ١٧٩ - ٢١١، ٣٤٦ - ٣٥١؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٨ (١٢٣)؛ سركيس ٥٦٩ - ٥٧٠؛ العربي ٢ / ١٩٦٦.

ابن أخت غانم

- ١- هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن مَعْمَرِ النَّفْزِيِّ المالكِي المعروف بِأَبْنِ أَخْتِ غانم^(١)، كان مولده في مائة سنة ٤٣٤ أو قُبيل ذلك.
- روى أبْنُ أَخْتِ غانم عن خاله، وسمع الصحيحين على الدلائي^(٢) وُسْنِ أَبِي

(١) كان خاله أبو محمد غانم بن الوليد الخزومي (ت ٤٧٠ هـ أو ٤٦٥) وكان أديباً شاعراً (له ترجمة منفردة).

(٢) الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم (في الحديث). ابن الدلائي: أبو العباس أحمد بن عمر من علماء المروية - الأندلس (ت ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م).

داود^(١) على أبي الوليد الوقشي الطليطلي (٤٠٧ - ٤٨٨ هـ). ويبدو أن تصدّره للإقراء كان في مائة نفسها، وقد كانت عنايته مُنصرفة إلى إقراء كتاب «الهداية» لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي^(٢) (ت ٤٣٠ هـ).

ثم إن خاله نصحه بمفادرة مائة التي كانت في حُكم البربر - ولم يكونا فيها أمينين على نفسيهما - فانتقل إلى المريّة (حتى إذا قُتِلَ أحدهما في مكان بقي الآخر حيّاً). وقد نال ابنُ أخت غانم حُطوة عند صاحب المريّة المعتصم بن صّادح (٤٤٣ - ٤٨٤ هـ) فأقام فيها زمناً.

وكانت وفاته سنة ٥٢٥ (١١٣١ م) وقد قارب مائة سنة أو أربى عليها.

٢- كان ابنُ أخت غانم واسع الحفظ بارعاً في عددٍ من العلوم: في القرآن والحديث واللغة والنحو والنبات. كما كان حافظاً للكلام الأطباء ولأحوال الدّبانات. وله شرحٌ لكتاب النبات^(٣) في ستين مجلداً. وكان يقول الشعر في يسر. وقد كانت له نقائض مع أبي الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ).

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ أخت غانم في أبي الفضل بن شرف:

قولوا لشاعرٍ برّجٍ هل جاء من أرض العراق فحازَ طبعَ البحري^(٤)
واقسى بأشعارٍ تَضجُّ بكفه وتقول: هل أعزى لمن لم يشعر^(٥)
يا جعفرأ ردّ القريض لأهله وأترك مُباراةً لتلك الأبحر.

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) إمام أهل الحديث في زمانه، له كتاب السنن (في الحديث).

(٢) كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) مؤرخ ومهندس ونباتي جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

(٣) حاز: اكتسب. (كان في العراق فهل اكتسب خصائص البحري؟).

(٤) تضج: (تصرخ متمللة) بكفه (لأنه سرقها من غيره. تضج بكفه (٤). أعزى: أنسب. يشعر: ينظم شعراً.

لا تَزَعَمَنَّ مَا لَمْ تَكُنْ أَهْلًا لَهُ، هذا الرضابُ لغيرِ فيكَ الأَبْخَرِ^(١)!

٤-★★ المغرب ١: ٤٣٣، بغية الوعاة ١: ١٠٦، نفع الطبيب ٣: ٣٩٧ (راجع ٣٩٥)، الأعلام للزركلي ٧: ٣٢١ (١٠٦)، نيكل ١٨٨ - ١٩٠، مختارات نيكل ١٢٠ - ١٢١.

الأعمى التطيلي^(*)

١- هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن (أبي) هُريرة القَيْسيّ التّطيليّ الإشبيليّ، كان أصلُ أهلِهِ من مدينةِ تَطِيلَةَ ثم هاجروا إلى إشبيلية وسكنوها.

نشأ أبو العباس أحمد بن عبد الله في إشبيلية ضريباً، ولذلك لُقّب بالأعمى، وقضى فيها أكثرَ أيامِ حياته، ولم يكن مسروراً من الإقامة فيها، ومع ذلك فقد كان لا يُحبُّ مغادرتها. إلا أنه اضطرَّ إلى السكنى مُدَيَّدةً في مُرْبِيَّةٍ ثم إلى المَجْه إلى قُرْبَةِ ليتكسبَ بِمَدْحِ رجالٍ فيها.

وكانت وفاة الأعمى التّطيليّ سنّة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) قبل أن يُجاوِزَ الأربعينَ من عُمرِهِ في الأغلب.

٢- الأعمى التّطيليّ شاعرٌ وَجْدانيّ مُحسِنٌ مُجيدٌ وَشاحٌ بارِعٌ يتقدّمُ جميعَ وشاحي زمانِهِ وراجزٌ يكادُ يكونُ بَدَوِيًّا في أراجيزِهِ. وشعرُهُ عَذْبٌ رائقٌ جَزَلُ الألفاظِ متينُ الأسلوبِ يظهرُ عليه أثرُ التقليدِ للمشاركة- ولأبي تمامٍ والمتنبيّ خاصة- ظهوراً واضحاً. أمّا فنونه فأكثرُها المدحُ، وله أيضاً رِثاءٌ ووصفٌ قليلٌ وشيءٌ من الهجاءِ والتمريضِ، وغزلانٍ، ومُؤنثٌ ومذكّرٌ، وإخوانياتٍ. وموشحاته

(١) الرضاب: الرقيق ما دام في الفم (هذا الشعر الجميل). فيك: فمك. الأبخَر (الكربة الرائعة).

(*) هو غير أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التطيليّ الضريب القرطبي - وكان يعرف بالتطيليّ الأصفر - وكان أيضاً شاعراً. وقد توفي بعد التطيليّ الأكبر بزمانٍ يسير (راجع نكت الهميان ٩٠، الوافي بالوفيات ٦: ١١٣٤ تحفة الغادم ٢٧ - ٢٩).

مختلفة النسق جداً حتى كأنه يقصد أن ينظم كل موشحة من موشحاته على نسق مُستقل.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن خلدون (المقدمة، بيروت ١٩٦١، ص ١١٣٩): «إن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس في إشبيلية، وكان كل واحد منهم أصطنع موشحة وتأنق فيها. فتقدم الأعمى التطيلي للإنشاد؛ فلما أفتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحكٌ عن جُمانٍ سافرٌ عن بَدرٍ
خرقَ ابنُ بَقيٍّ موشحته وتبعه الباكون». وفي ما يلي هذه الموشحة:

ضاحِكٌ عَن جُمانٍ سافرٌ عَن بَدرٍ؛
ضاقَ عَنه الزمانُ وحواه صَدرِي^(١).

★ ★ ★

أهْ مَما أَجِذُ شَفَنِي ما أَجِدُ^(٢).
قامَ بي وقَعِدُ ظالمٌ مُتَّيِدُ^(٣)؛
كلِّما قُلْتُ: قَدُ قالَ لي: أينَ قَدُ^(٤)؟
وَأَتَنَسَّى خُوطَ بانٍ ذا مَهَرٍّ نَضَرِ^(٥).

(١) جان (جع جانة: اللؤلؤة الكبيرة) كناية عن جلال أسنانه (وشبابه). سافر (كاشف) عن بدر (عن وجه يشبه البدر). والحب الذي ضاق به البشر كلهم حويته أنا وحدي في صدري.

(٢) وجد، يجد وجداً (يسكون الجيم): شعر مجبب شديد نحو آخر. شفه الهم أو المرض: جملة غيلاً أو هزلاً. وجد، يجد وجداناً ووجوداً الخ: لقي. - يقول الشاعر: إن الذي ألقاه من الحب قد أحل جسمي.

(٣) - عذبي بجميع أنواع العذاب ظالم متئد (متمهل): يسير في عذابي على مهل ولا يبالي بي.

(٤) قد = قدي: يكفيني (عذاب منك). أين قد (أين الذي يكفي وزاد عن حده)، يقول ذلك متجاهلاً ما حلَّ بي.

(٥) خوط (غصن طري ناعم) بان (نبات أغصانه مستقيمة سمر). مهر: اهتزاز. نضر: غض، أخضر (لأن الغصن إذا يبس يبطل تأوده: اهتزازه وتمايله).

عَابَتْهُ يَدَانِ لِلصَّبَا وَالْقَطْرِ^(١).

★ ★ ★

ليس لي منك بُدٌّ خُذْ فؤادي عن يَدِ^(٢).
 لم تَدَعْ لي جَلَدٌ غَيْرَ أَنِّي أَجْهَدُ^(٣).
 مَكْرَعٌ مِنْ شَهْدٍ وَأَشْتِيَاقِي يَشْهَدُ^(٤).
 مَا لَبِثْتَ الدِّنَانُ وَلِذَاكَ الثَّغَرُ^(٥).
 أَيْنَ مُحَيَّا الزَّمَانُ مِنْ حُمَيَّا الْخَمَرِ^(٦)!

★ ★ ★

بي جَوَى مُضْمَرٌ لَيْتَ جُهْدِي وَفَقَهُ^(٧)؛
 كَلَّمَا يَظْهَرُ ففؤادي أَفْقَهُ^(٨).
 ذلِكَ الْمَنْظَرُ لَا بُدَاوِي عِثْقُهُ.
 بَأَيِّ كَيْفٍ كَانَ فَلَكِي دُرِّي^(٩)

(١) لمت به ربح الشرق والمطر (وجملت تحركه حركات مختلفة).

(٢) أنا لا أستغي عنك (فلماذا تنتزع قلبي مني انتزاعاً)، خذ فؤادي عن يدي (طوعاً وإيرادتي).

(٣) - حبك لم يترك لي قوة على الاستمرار في التعلق بك، ولكنني أئذل جهدي في ذلك.

(٤) مكرع: مكان الكرع (يسكون الرء): الثرب، ويقصد الشاعر فم الحبيب. الشهد (يفتح الشين أو بضمها ويسكون الهاء في الحالين): العمل (واضطر الشاعر إلى فتح الشين). - شوقي إلى فم الحبيب يدل على أن فيه عللاً.

(٥) بنت الدنان: الخمر. الثغر: الفم. - من أين تشبه الخمر ذلك (الصل) في فم الحبيب.

(٦) «محيا الزمان» غامضة الدلالة لعلها محيا (يسكون الهاء) الزمان (يكسر الزاي: المرضي!) فيكون المعنى حينئذ في البيتين معاً: إن الخمر لا تشبه العمل الذي في فم الحبيب لأن العمل الذي في فم الحبيب يشفي المرضي بينما يحيا الخمر (الثدة أو الإسكار الذي في الخمر) تعرض الأصحاء.

(٧) - حتى الشديد المعنى ليس جهدي وفقه (لا أستطيع أحقاله).

(٨) كَلَّمَا ظَهَرَ (الحبيب) ظهر في فؤادي (أنا أذكره دائماً).

(٩) فَلَكِ (يفتح اللام) الجارية وفلكت (استدار ثديها فثبت). الدرّي: نسبة إلى الدرّة (اللؤلؤة الكبيرة)، كناية عن إشراق الوجه وجاله.

راقٍ حتَّى استَبانَ عُذْرُهُ وعذري^(١).

★ ★ ★

هلْ إِلَيْكَ سَبِيلٌ أوْ إِلَى أَنْ أَيْسَأ.
ذُبْتُ إِلَّا قَلِيلٌ عَبْرَةً أَوْ نَفْساً.
مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ! ساءَ ظَنِّي بِعَسَى.
وَأَنْقَضَى كُلُّ شَأْنٍ وَأَنَا أَسْتَشْرِى^(٢).
خَالِعاً مِنْ عِنَانٍ جَزَعِي أَوْ صَبْرِي^(٣).

★ ★ ★

مَا عَلَى مَنْ يَلُومُ لَوْ تَنَاهَى عَنِّي^(٤).
هَلْ سِوَى حُبِّ رَيْمٍ دِينُهُ التَّجَنِّي^(٥).
أَنَا فِيهِ أَهْمٌ، وَهُوَ بِي يُغْنِي^(٦).
[قَدْ رَأَيْتَكَ عِيَانٍ لَيْسَ عَلَيْكَ، سَتَدْرِي.
سَيَطُولُ الزَّمَانُ، وَسَتَنْسَى ذِكْرِي!]^(٧)

- وقال الأعمى التُّطَيْلي في مطلع موشَّحة له:

-
- (١) - راقٍ وجهه وكثر جماله (فوق أنداده) حتَّى استَبانَ (ظهر للناس جلياً) عُذْرُهُ (في الصدود عن المحبوبين) وعذري (في التفاني في حبه).
(٢) استشرى الأمر: تفاقم (زاد سوءاً). أنا أَسْتَشْرِى: يتعاطم حتَّى للمحبيب.
(٣) خالِعاً لعنان (لا أُلْقِي بِالْأَمِّ، لا أَهَمُّ). جزعي وصبري (أَنْ أَجْزَع: أخاف وأحزن حتَّى يضرَّ في الجزع، وأنْ أترك الصبر حتَّى يضرَّ بي ذلك أيضاً).
(٤) تناهى الشيء: بلغ نهايته. تناهى عَنِّي: (هنا) أقصر، توقَّف (عن لومي).
(٥) الرِّيم: الغزال الأبيض. دينه: دأبه، عادته. التَّجَنِّي: أَنْ يَدْعِي أَحَدٌ عَلَى آخَرٍ أَنَّهُ أَتَى ذَنْباً وَالْآخَرُ لَمْ يَأْتِ ذَلِكَ الذَّنْبَ.
(٦) أَهْمٌ: أَجَنَّ (بضم الهزرة وفتح الهم). يَغْنِي بِهِ: (في القاموس) يمدح أو يذمُّه، و(هنا): يتسلَّى به، يهزأ به.
(٧) هذه القفلة (الأشطر الأربعة الأخيرة) من اللغة الحكيمية العائية.

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي، فِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ،
وَالرَّكْبُ وَسَطَ الْفَلَاحِ بِالْحُرْدِ النِّوَامِ قَدْ بَانُوا^(١).

★ ★ ★

أَقْبَلَنَ يَوْمَ الْجِمَامِ فِي سُنْدِيَّاتِ الْحُلَلِ
بِيضَ مَطَلِ الدِّمَا سَوْدَ الْفُرُوعِ وَالْمَقَلِ.
فِيَا مُعْتَى بِمَا لَوْ نَالَ نَالَ الْأَمَلِ^(٢).

دُونَ ذَوَاتِ الْحُلَى لِلسَّيْفِ بِالصَّوَارِمِ حِرْمَانُ
أَنْبَغِ النَّجَاةِ وَلَا يَغْرُزُكَ بِالضَّرَاغِمِ غِرْلَانُ^(٣)!
- وَقَالَ أَيْضاً فِي مَطْلَعِ مَوْشَحَةٍ أُخْرَى:

إِلَى مَتَى بَوْصِلْنَا تَبَخَلُّ وَلَا تَلِينُ
وَلَا تَفِي وَيَشْمَتُ الْعُدْلُ بِالْعَاشِقِينَ
أَنْتَ الْقَمَرُ يَجْلُو الدُّجَى نَوْرُهُ
تَحْتَ الشَّعَرِ يَرِفُ دَيْجُورُهُ.

(١) أَشْجَانُ، جَمْعُ شَجْنٍ (بِفَتْحٍ فَتَحْتِ): حَزَنٌ. الرِّكْبُ: الَّذِي يَرْكَبُونَ فِي الْقَافِلَةِ (لِلسَّفَرِ أَوْ الْإِنْتِقَالِ) مَعاً.

الْحُرْدُ جَمْعُ خَرِيدَةٍ: الْبَكْرُ مِنَ النَّسَاءِ (الْجَمِيلَةِ). بَانُوا: ذَهَبُوا، ابْتَدَعُوا. فِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ (٤).

(٢) الْحُلَلُ جَمْعُ حَلَةٍ (بِضَمِّ الْحَاءِ): ثَوْبٌ فَاحِرٌ. سُنْدَسٌ: نَسِيجٌ رَقِيقٌ مِنْ حَرِيرٍ. مَطَلُ الدِّمَا: (الْمَكَانُ الَّذِي تَطَلَّ مِنْهُ الدِّمَاءُ عِنْدَ الذَّبْحِ، أَوْ يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّمُ وَلَا يَرْجِعُ صَاحِبُهُ إِلَى الْحَيَاةِ) أَيْ الْعُنُقُ. يَقْصِدُ الشَّاعِرُ: بِيضَاءَ الْعُنُقِ، بِيضَاءَ اللَّوْنِ. الْفُرُوعُ: خَصَلُ الشَّعْرِ. الْمُقَلَّةُ: شَحْمَةُ الْعَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ السَّوَادَ وَالْبَيَاضَ. (يَقْصِدُ الشَّاعِرُ حُدُقَةَ الْعَيْنِ). الْمَعْنَى بِالثَّانِيَةِ: الْمُتَعَلِّقُ بِهِ، الَّذِي يَتَعَبُ نَفْسَهُ فِي طَلَبِهِ وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ.

(٣) ذَوَاتِ الْحُلَى: النَّسَاءُ الْجَمِيلَاتُ اللَّابِسَاتُ لِلْحُلَى، أَوْ اللَّوَاتِي يَكُونُ جَاهِلُنَ حُلَى لَهُنَّ. السَّيْفُ (بِفَتْحٍ) السَّيْنُ: الرَّجُلُ الْجَرِيءُ، وَالَّذِي يَحْمِلُ سَيْفًا) حِرْمَانٌ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّسَاءِ بِالصَّوَارِمِ (السُّيُوفِ الَّتِي يَحْمِلْنَهَا فِي عَيُونِهِنَّ). وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ: دُونَ ذَوَاتِ الْحُلَى بِالسَّيْفِ (بِكسر السَّيْنِ: جَانِبُ الْوَادِي، السَّكَنَاتُ فِي جَانِبِ الْوَادِي - كُنَايَةٌ عَنِ التَّرَفِّ وَالنَّمَةِ). لَا يَغْرُزُكَ بِالضَّرَاغِمِ غِرْلَانُ: لَا تَفْتَرُ بِأَنَّكَ تَهْجُمُ عَلَى غِرْلَانِ (نِسَاءِ جِبِلَاتٍ) فَيَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّهِنَّ يَفْتَكُنُ بِيْهَاهُنَّ كَالضَّرَاغِمِ (الْأَسُودِ).

إذا خطر نداداه مهجورة:

يا مَنْ عَتَا طُوبَى لِمَنْ قَبِلَ ذَاكَ الْجَبِينِ.
ويكتفي مِنْ رَيْقِكَ السَّلْسَلِ قَبْلَ النُّونِ.

- وقال يشكو زمانه وسيادة الظالمين الجهال الأغبياء ويشكو ما في ذلك في مدينته حمص (إشبيلية) ويحرض أهل حمص على حاكم ظالم:

إلى الله أشكو الذي غنّ فيه: أَسَى لَا يُنْهِيهِ مِنْهُ الْأَسَى!^(١)
على مثلها فلتشقّ القلوبُ - مكانَ الجيوبِ - وإلا فلا^(٢).
فشا الظُّلمُ وأغترّ أشياعُه، ولا مُسْتَفَاكٌ ولا مُسْتَكِي^(٣).
وساد الطُّغَمَاءُ بَتْمَوِيهِمْ؛ وهل يَفْدَحُ الرِّزْءُ إِلَّا كَذَا!^(٤)
وكيف تَضاحكُ هذي الرِّياضُ؟ وكيف يَصُوبُ النِّهَامُ الحَصَى^(٥)؟
(وماذا «يُجمَصِرُ» من المضحكاتِ، ولكنّه ضحكٌ كالْبُكا)^(٦).
وذا اليومُ حَمَلْنَا فادِحاً خَضَعْنَا لَهُ وَأَنْتَظَرْنَا غَداً^(٧).
ويا رَبِّ إلبِ على المُسلمين زَوَى الحَقِّ عن أَهْلِهِ فَأَنْزَوَى^(٨).

(١) أَسَى: حزناً. ينهيه: يكمّنه، يردّه، يخفّفه. الأسى: المداواة.

(٢) الجيوب: (جمع جيب): مدخل العنق في الثوب. - في المصائب الشديدة النازلة يقال: شقّ الحزين جيبه (وأكثر ما يقال ذلك في موت عزيز). أمّا مصيبة إشبيلية بماكها الظالم العدو للمسلمين فلا يكتفي فيها شقّ الجيوب بل تبلغ من الشدّة والعنف إلى أن المصاب يشقّ قلبه (يموت).

(٣) فشا: انتشر، شاع، كثر. اغترّ (طمع الظالمون بقوّتهم).... لا أحد قادراً على إغاثة الناس (إنقاذهم) ولا أحد يسمع الشكوى من الناس.

(٤) الطغماء: أوغاد الناس. يَفْدَحُ: يثقل، يعظم (يجعل الإنسان عاجزاً عن الاحتمال). الرزء: المصيبة.

(٥) تضاحك: تتضاحك (يكثر نباتها وزهرها). وكيف يَصُوبُ (يسقط) النِّهَامُ (المطر) الحَصَى (صفار الحجارة): كيف يزل المطر على الأرض من ظلم هذا الحاكم!

(٦) هذا البيت للمثنوي: «وماذا بمصر من المضحكات.....».

(٧) ...انتظرنا غدا: رجونا أن تتبدّل الحال في المستقبل.

(٨) الإلب (بكسر الهمزة في الأكثر): القوم يجتمعون على عداوة إنسان واحد. زوى: آمال، منع.

هو الكلبُ أسدُه جهْلُهُ، وراعهمُ زَارُهُ فيهمُ، تهاوَنَ باللهِ والمُسلمينَ، وقد خَلَعَ الدينَ خَلَعَ النِجادِ، فمَرَّاهُ في كُلِّ عَيْنٍ قَذَى، إذا سُئِلَ العَصْفَ بالمُسلمينَ وإنْ أَمَكَّنْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً ولا بُدَّ لِلْحَقِّ مِنْ دَوْلَةٍ، فها غَفَلَ اللهُ عَنْ أُمَّةٍ، أيا أهلَ جِمْنَصٍ، وقَدَمًا دَعَوْتُ! ألا قد لَحَنْتُ لَكُمْ فاسْمَعُوا

وطال؛ فخالوه لَيْثَ الشَّرَى^(١). ولو كان في غيرِهِم ما عَوَى^(٢). وقد كان في واحدٍ ما كفى^(٣). وقد أَكَلَ الدِّينَ أَكَلَ الرِّبَا^(٤). وذَكَرَاهُ في كُلِّ حَلَقٍ شَجَا^(٥). فأجَوَدُ مِنْ حَاتَمٍ بِالْقِرَى^(٦). فأفْتَكُ مِنْ خَالِدٍ بِالْعِدَا^(٧). تُمِيتَ الضَّلَالَ وتُخِي الهُدَى^(٨). ولا تركَ اللهُ شَيْئاً سُدَى. وهل تَسْمَعُونَ إلى مَنْ دَعَا؟ وحاجَّيْتُ، إنْ كان يُغْنِي الحِجَا^(٩).

- معظم قصائد الأعمى التُّطَيْلِيَّ على النهج المشرقي. ثم هو كثيرُ المبالغة كثيرُ الاستعارات قليلُ المعاني. من ذلك قوله يمدح أبا العلاء بن زُهْرٍ في قصيدة طويلة:

- (١) أسدُه جهله: جهله (بماقبة الظلم) أسدُه (أغراء وأطمعه) بأن يظلم. خال: ظن. لَيْث: أسد. الشرى: الجبل (للاعتقاد بأن أسود الجبال أشد فتكاً).
- (٢) راع: أخاف. الزَّارُ: الزئير: صوت الأسد. المواء (بالضم): صوت الكلب.
- (٣) كان في واحد ما (الذي) كفى: التهاون بالله وحده أو بالمسلمين وحدهم كاف حتى يجعل الإنسان كافراً مستوجباً للقتل.
- (٤) النِجاد: سير من جلد يحمل به السيف متدلياً من العنق إلى جانب الجسم. الرِبا: الفائدة الفاحشة (أو الفائدة مطلقاً) على الأموال. وقد أَكَلَ.....: كناية عن الإسراف في الظلم (الذي هو صنو الكفر) وعن السرور بفعله!!
- (٥) قَذَى: قدر، وسخ، ضرر. شَجَا: شيء يعترض في الحلق فيؤله.
- (٦) المصف: الظلم. القرى (بالكسر): الضيافة، الكرم.
- (٧) خالد: خالد بن الوليد.
- (٨) الدولة (يفتح الدال ويضماً): انقلاب الزمان والقلبة وانتقال الأمر من حال إلى حال.
- (٩) لحن فلان لفلان: قال له قولاً يفهمه هو عنه ويغنى على غيره (القاموس ٤: ٢٦٦). حاجى: فاطن (قال قولاً يحتر به فهم الآخرين: قال تلميحاً). الحجا: الفطنة والعقل (هل ينفع العقل الذي فيكم فتفهموا عني ما أعني). والحجا يمكن أن تكون مرخمة من الهجاء (مصدر حاجى).

أبى الله إلا أن يكون لك الفضل، وأن يتباهى بأسبك القول والفعل؛
وأن تَقِفَ العَلِيا عليك ظنونها إذا رابها جدُّ من القول أو هزل.
أضيق، يا سراج الدين وابن سراج، إذا اشتبَهَت تلك المسالك والسُّبل.
عفاءً على الأرض التي لا تحلُّها ولو نبَّتَتْ فيها السَّاحة والبَدَل.

- وقال يشكو الدهر الذي جعل شَعْرَه أبيضَ بعد أن بيضَ عَيْنَيْهِ (أعماه):

أما أَشْتَفَت مِنِّي الأَيَّامُ في وطني حتى تضايقَ فيها عَنٌّ من وَطَرٍ^(١)؛
ولا قُضِت من سَوَادِ العينِ حاجَتها حتى تَكْرَّرَ على ما كان في الشَّعْرِ^(٢)!

- هجاء ومُجَوَّن:

وجوَّةٌ تَعَزَّ عَلَى مَغْشَرٍ، ولكن تَهَوَّنَ عَلَى الشَّاعِرِ.

- ٤- ديوان الأعمى التطيلي (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
** فلاند العقيان ٣١٥ - ١٣٣٢ بغية الملتقى ١٧٥ - ١٧٦ (رقم ٤٢٩)؛ المغرب ٢:
٤٥١ - ١٤٥٦ الوافي بالوفيات ٧: ١٢٦ - ١٣٢ خريدة (المغرب والأندلس) ٥١١ -
٥٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٦٧ - ٥٨٢؛ الذخيرة ٢: ٧٢٨ - ٧٥٣؛ نكت الهميان
١١٠ - ١١٣؛ نفح الطيب راجع ٣: ٤٠٤، ٥٣٦؛ جيش التوشيح ١٦ - ٤٥، راجع
٢٣١ - ٢٣٣، ٢٧٩ - ٢٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٠،
الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٧٠ - ١٧١.

أبو عمرو الأندي

- ١- هو أبو عمرو أحدُ بنِ خليل الأندي نسبةً إلى أُنْدَة من كورة تُدْمِيرَ (جنوب
شرقيّ الأندلس)، لا نَعْرِفُ من تاريخِ حَيَاتِهِ شيئاً. ولعلَّ وفاته كانت نحو سَنَةِ
٥٢٥ هـ (١١٣١ م).

- (١) أما اكتفت الأيام (الدهر) بما نزل بي من الظلم والمصائب في بلدي إشبيلية حتى تضايق (تنفائق) من
تحقيق غاية من غاياتي مرةً بعد مرةً.
(٢) - ولم تكتفِ الأيام بإذهاب سواد عيني (بالعمى) حتى تعود بالهجوم على سواد شعري (بالشيب).

٢- كان أبو عمرو الأندلي طبيباً وشاعراً له مُقَطَّعاتٌ حِسانٌ وأخيلةٌ شعريةٌ بارعةٌ في اللفظ العذب والتركيب المتين، مع شيءٍ من الطبع على غرار القدماء. ومُقَطَّعاتُهُ التي وَصَلَتْ إلينا في الوصف والغزل.

٣- مختارات من شعره:

- لأبي عمرو الأندلي مقطعاتٌ منها:

★ * ومذعورةٌ من حلبيها قد دَعَرَتْها بَسَلَةٌ مَطَرُورٍ الْفِرَارِ مُهَنْدٍ^(١).
فما وَجَدَتْ للحزم إلا أَلْتَفَاتَةً تُرْقِرُقُها ما بَيْنَ دَمْعٍ وَإِنْمِيدٍ^(٢).
حَكَمْتُ عَلَى الْأَحَاطِيها بِعَضِّ حُكْمِها، فَحَسْبُكَ مِنِّي مُعْتَدٍ غَيْرُ مَعْتَدٍ^(٣)!
★ * وهيفاء رامُ الْفُصْنِ يُحْكِي قَواِمَها، وَقالتْ لَهَا شَسُّ الضُّحَى: أَنْتِ أَمْلَحُ^(٤).
يُقِلُّ رِدَاحَ الرِّدْفِ مِنْها مُخَصَّرٌ، بِأَضْيَقَ مِنْ خَلْخالِها تَتَوَشَّعُ^(٥).
تَلْعَبُ بِالْمِرْآةِ عُجْبَساً، وَإِنَّا نُلَاعِبُ ظِهي المَوْتِ فِي المِاءِ تَسْبِجُ^(٦).

(١) - شهر الشاعر سيفه في وجه حبيبته مزحاً لخبفها فقط لا ليؤذيها. مذعورة: خائفة. من حلبيها (من وسوسة: صوت الحلي التي تترنن بها - لركة إحساسها). دعرتها: أخفتها. بسلّة (إخراج السيف فجأة من غمده). مطرور (جمل) الفرار (الحد)، أي أبيض، مصقول (حاد، قاطع). مهند: من صنع الهند (دلالة على جودته).

(٢) فالت بوجهها إلى الوراء حذراً حينما توقعت أن السيف يمكن أن يصيبها. التفاتة ترقرقها (نجري معها دمعاً من عينيها). الإنميد: الكحل.

(٣) أريتها (في لحظة، من التهويل عليها بالسيف) ما تُري هي عشاقها في كل يوم من سيوف عينيها. فحسبك (يكفيك) مني أنني كنت معتدياً عليها (لأنني أخفتها) غير معتد (لأنني لم أقصد الإضرار بها). الهيفاء: المشوقة، النحيلة. رام: أراد. يحكي: يشابه، يقلد.

(٤) يقل: يحمل. رداح الردف (عظيمة وسط الجسم). مخصر: خصر نحيل. وشاحا الذي تلبسه على خصرها ضيق جداً (كأنه خلخال: سوار يلبس في الرجل فوق القدم).

(٥) - تلعب بالمرآة (تتسلّى بالنظر دوماً في المرآة، دلالة - للتمكّي دائماً من جمال وجهها) ومعنى الشطر الثاني غامض، وخصوصاً لأن كلمة «ظي» لا تدخل هنا في الوزن. المعنى المقصود: ظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. ولكن الوزن يقتضي لفظة على وزن «فعل» (بمركبة فسكون فحركة). ولعلّ الكلمة ظم (بفتح فسكون) عطش وظم الحياة (راجع القاموس وتاج العروس) تعبّر مألوف. =

** ذو غُرَّةٍ إِنْ مَرَّ تَحَسَّبْهُ رِيحاً يَمُرُّ أَمَامَهَا قَبَسٌ^(١).
 شَهْمٌ كَطَبِيعِكَ فِي الْوَعَى يَقِظُ، سَهْلٌ كَخَلْقِكَ فِي النَّدى سَلِسٌ^(٢).
 ** وَغَدِيرٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَانَ فِي قَعْرِهِ الَّذِي قَدْ سَاخَا^(٣).
 وَكَأَنَّ الطَّيْورَ، إِذْ كَرَعَتْ فِيهِ لَهْ وَعَلَتْ، تَزُقُّ فِيهِ فِرَاخًا^(٤).

** - ٤ الوافي بالوفيات ٦: ٣٧٤ - ٣٧٥ تحفة القادم ١٢: القدح الممل ١٦٨ - ١٦٩.

أبو الحسن بن الباذش

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ أحمدَ بن خلفٍ - أبنُ الباذش - الأنصاريُّ الأندلسيُّ،
 وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٤٤ (سِتَلَاءُ ١٠٥٣ م). قَرَأَ عَلَى نِعَمِ الْخَلْفِ بْنِ مُحَمَّدٍ
 ابْنِ بَيْحَى الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الصَّدِيقِ وَحَدَّثَ عَنِ الْقَاضِي عِيَّاضِ بْنِ مُوسَى وَأَبِي مُحَمَّدٍ
 أَبِي عَطِيَّةٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأَبِي خَالِدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَمَنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُ أُمِّ فِي
 صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ فِي جَامِعِ غَرْنَاطَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي غَرْنَاطَةِ فِي ثَلَاثِ عَشَرَ الْحَرَمِ مِنْ
 سَنَةِ ٥٢٨ (١١٣٣ / ١١ / ١٣ م).

٢ - كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَاذِشِ بَارِعاً فِي النُّحْوِ وَمُشَارِكاً فِي عَدَدٍ مِنْ فَنُونِ
 الْمَعْرِفَةِ: فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَسَوَى ذَلِكَ. وَهُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ عِدَّةٌ مِنْ
 الْكُتُبِ مِنْهَا: الْإِقْنَاعُ فِي الْقِرَاءَاتِ ثُمَّ شُرُوحٌ عَلَى كُتُبٍ، مِنْهَا: كِتَابُ سَيِّبَوَيْهِ -
 الْمُقْتَضَبُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ (لَا بِنَ جَنِّي) - الْأُصُولُ (لَا بِنَ السَّرَّاجِ) - الْإِبْرَاضُ لِأَبِي عَلِيٍّ
 الْفَارَسِيِّ - كِتَابُ الْجُمَلِ - الْكَافِي لِابْنِ النَّحَّاسِ^(٥). وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ.

= وَظُلْمُ الْمَوْتِ هَذَا (السِّيفُ الَّذِي فِي عَيْنَيْهَا ظَامِئٌ إِلَى قَتْلِ الْحَبِيبِ بِالْحَرَمَانِ). فَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ:
 تَسَلَّى بِالنَّظَرِ إِلَى فِتْنَةِ عَيْنَيْهَا فِي الْمَرَاةِ (فِي الْمَاءِ تَسْبَحُ: مَاءُ الْمَرَاةِ). وَتَجْعَلُ تَسْبَحُ بِسَبْحِ.
 (١-٢) الْبَيْتَانِ فِي وَصْفِ حِصَانٍ ذِي غُرَّةٍ بَيْضَاءَ، وَهُوَ سَرِيعُ الْجَرِيِّ. ثُمَّ هُوَ شَمٌ (سَرِيعٌ) فِي الْحَرْبِ، سَهْلٌ،
 سَلِسٌ (وَدِيعٌ) فِي النَّدى: الْكَرَمُ (فِي السَّلَامِ).
 (٣-٤) سَاخٌ: غَاصٌّ، غَرِقَ. كَرَعَتْ: شَرِبَتْ. عَلَتْ: شَرِبَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. - إِنَّهَا وَهِيَ تَضَعُ مَنَاقِبَهَا فِي الْمَاءِ
 ثُمَّ تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا عَالِيَةً (لِيَنْزِلَ الْمَاءُ فِي حَنَاجِرِهَا) تُشَبِّهُ أَمْهَاتِ الْمَصَافِيرِ وَهِيَ تَطْلُمُ فِرَاخَهَا.
 (٥) رَاجِعٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بَنِيَّةُ الْوَعَاةِ ٣٢٧.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسين بن الباذر شيء من النظم، منه:

أَصْبَحْتَ تَقْعُدُ بِالْهَوَى وَتَقُومُ وَبِهِ تَقْرَظُ مَغْشَرًا وَتَذِيْمُ^(١).
تَغْنِيكَ نَفْسُكَ فَاسْتَفِزْ بِصَلَاحِهَا أَنَّى يُعَيَّرُ بِالسَّقَامِ سَقِيمُ^(٢)!

- وله في مدح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي:

أَضِيعَ الْكَرَى لِتَحْفَظَ الْإِيضَاحُ وَصِلَ الْغُدُو لِفَهْمِهِ بِصَبَاحٍ^(٣).
هُوَ بُغْيَةُ الْمُتَعَلِّمِينَ، وَمَنْ بَغَى حَمَلَ الْكِتَابِ يَلْجُهُ بِالْمِفْتَاحِ^(٤).
لَأَبِي عَلِيٍّ فِي الْكِتَابِ إِمَامَةٌ شَهِدَ الرِّوَاةُ لَهَا بِفَوْزٍ قِدَاحٍ^(٥).
يَقْضِي عَلَى أَسْرَارِهِ بِنَوَافِذِ مِنْ عِلْمِهِ بَهَرَتْ قُوَى الْأَمْدَاحِ^(٦)،
فِيخَاطِبُ الْمُتَعَلِّمِينَ بِلَفْظِهِ وَيَحُلُّ مُشْكِلةً بَوَاضِعِ وَاحٍ^(٧).
مَضَتْ الْمُصَوِّرُ وَكُلُّ نَحْوٍ ظُلْمَةٌ، وَأَتَى فَكَانَ النُّحُو ضَوْءُ صَبَاحٍ.
أَوْصِي ذَوِي الْإِعْرَابِ أَنْ يَتَذَكَّرُوا بِمُجْرُوفِهِ فِي الصُّخْفِ وَالْأَلْوَاخِ^(٨).
فَإِذَا هُمُو سَمِعُوا النَّصِيحَةَ أَنْجَحُوا إِنَّ النَّصِيحَةَ غِيَّهَا لِنَجَاحٍ^(٩)!

(١) تَقْرَظُ: تمدح. ذام يذم ذمياً (يفتح الذال) وذاماً: ذم، هجا.

(٢) أنى: كيف. - كيف يعبر السقيم سقياً آخر!

(٣) أضيع فعل أمر من «أضاع» (أضيع). الكرى: النوم. تحفظ الكتاب: بذل جهداً في حفظه جزءاً بعد جزء. الإيضاح (كتاب الإيضاح). العداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(٤) بنى بغى: طلب، أراد. ولج: دخل. حل الكتاب (معرفة كتاب سيبويه معرفة صحيحة). المفتاح (كتابة عن كتاب الإيضاح!) - نسبة كل مفتاح إلى كل باب كنسبة الإيضاح إلى كتاب سيبويه.

(٥) لأبي علي (الفارسي) في الكتاب (كتاب النحو لسيبويه) إمامة (مقدرة وتقدم). الفدح (بكر القاف): سهم أو قطعة من خشب أو نحوه تستخدم في الاستقسام (الميسر أو القمار).

(٦) - يشرح ما غصص منه برأى نافذ (مصعب، صحيح) بهر: أدهش، غلب، فاق. الأمداح جمع مدح. قوى جمع قوة (أ). فهمه يزيد على كل مدح.

(٧) ومضة: بركة، لمعة. الواحي (من وحى يحي: أثار أوما). بسرعة.

(٨) ذوو الإعراب (المشتغلون بتعليم النحو).

(٩) أنجح (نجح). القيا: العاقبة، النتيجة.

٤-★★ إنباه الرواة ٢: ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ بغية الوعاة ٣٢٦ - ٣٢٧ ؛ الدياج المذهب ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٦٠ (٤ : ٢٥٥).

ابن الطراوة

١- هو أبو الحسين (أبو الحسن) سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّرَاوَةِ الشَّيْبَانِيَّ (المطرب - الخرطوم ٢٠٩ ؛ القاهرة ٢٣١) السَّبْتِيُّ أَوْ السَّبَّانِي (بغية الوعاة ٢٦٣) المَالَقِيُّ، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٤٠ (١٠٤٨ م). كَانَ أَكْثَرَ اهْتِمَامِهِ بِكِتَابِ سَبْيَوِيَّةٍ (فِي النُّحُو) قَرَأَهُ أَوَّلًا سَنَةَ ٤٦١ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ الْمُرْشَانِيَّ ثُمَّ فِي سَنَةِ ٤٦٥ عَلَى أَبِي الْحَجَّاجِ الْأَعْلَمِ (وَلَكِنْ بِقِرَاءَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَعْلَمِ) ثُمَّ رَحَلَ إِلَى قُرْطُبَةٍ وَقَرَأَ الْكِتَابَ نَفْسَهُ عَلَى أَبِي مَرْوَانَ بْنِ سِرَاجٍ ثُمَّ عَلَى أَبِي مَرْوَانَ الطَّنِينِيَّ.

ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ يَتَجَوَّلُ فِي الْبُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ لِيُعَلِّمَ فِيهَا مَا كَانَ يَعْرِفُهُ مِنَ النُّحُوِّ وَمِنَ الْأَدَبِ أَيْضًا. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْحُصْرِيِّ (ت ٤٨٨ هـ) مُخَاطَبَاتٌ نَالَتْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِيهَا مِنْ صَاحِبِهِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الطَّرَاوَةِ فِي رَمَضَانَ أَوْ شَوَّالِ سَنَةِ ٥٢٨ (صَيْفِ ١١٣٤ م).

٢- ابْنُ الطَّرَاوَةِ فِي الْأَصْلِ نَحْوِيٌّ، كَانَ نَحْوِيًّا مَرِيَّةً لَمْ يَكُنْ بِهَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِثْلَهُ. ثُمَّ إِنَّ لَهُ آرَاءً تَفَرَّدَ بِهَا وَخَالَفَ فِيهَا جُمْهُورَ النُّحَاةِ، وَلَقَدْ مَدَحَهُ عَلَيْهَا نَفَرٌ ثُمَّ لَامَهُ عَلَيْهَا نَفَرٌ آخَرُونَ. وَكَذَلِكَ كَانَتْ لَهُ عُنَايَةٌ بِالْأَدَبِ وَكَانَ يُقْرِئُهُ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢ : ١٤٢). وَلَهُ شِعْرٌ فِي الْمَذْحِ، مَدَحَ الْمُعْتَصِمَ بْنَ ضَاهِرٍ وَعَلِيَّ بْنَ يَوْسَفَ بْنِ تَاشْفِينَ. غَيْرَ أَنَّ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ شِعْرِهِ مُقْطَعَاتٌ فِي الْخَمْرِ وَالْغَزْلِ وَالنَّقْدِ الْاجْتِمَاعِيِّ. وَكَذَلِكَ كَانَ مُصَنِّفًا لَهُ: التَّرْشِيحُ (فِي النُّحُو - مُخْتَصَرٌ) - الْمَقْدَمَاتُ عَلَى كِتَابِ سَبْيَوِيَّةٍ - مَقَالَةٌ فِي الْأَسْمِ وَالْأَسْمَى - الْإِفْصَاحُ بِبَعْضِ مَا جَاءَ فِي الْإِبْرَاضِ (لِلْفَارِسِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٧).

٣- مختارات من شعره:

- لابن الطراوة مقاطع قصار منها:

★★ يَشْرَبُهَا الشَّيْخُ وَأَمثَالُهُ وَكُلُّ مَنْ نُحِمَدُ أَفْعَالُهُ.

- والبكرُ إن لم يستطع صَوْلَةً
 ★★ ألا بأيّ وغير أيّ غزالٌ
 فقال مُنادمي في الحُسْن صِفْهُ،
 ★★ ولَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ لَاحَ بِخَدِّهِ
 وأُظْلَمَها مِثْلَ الْغَزَالَةِ، وهو كالـ
 ★★ شَرِينَا بِمِصْبَاحِ السَّاءِ مُدَامَةً
 وظلّ جهولٌ يَرْقُبُ الصُّبْحَ ضِلَّةً،
 ★★ وقائلٌ: أَتَصْبُو لِلْفَوَانِي
 فقلتُ لها: حَثَّتِ عَلَى التَّصَايِي
 ★★ خَرَجُوا لِيَسْتَسْقُوا، وقد نشأتُ
 تُلْقَى عَلَى الْبُزْلِ أَثْقَالَهُ (١).
 أَتَى وَبِرَاحِهِ لِلشَّرْبِ رَاحٌ (٢).
 فقلتُ: الشَّمْسُ جَاءَ بِهَا الصَّبَاحُ.
 دَعَوْتُهُمْ: رِفْقاً تَلْعَ لَكُمْ الشَّمْسُ (٣).
 غَزَالٌ، فَتَمَّ الطَّيِّبُ وَاكْتَمَلَ الْأَنْسُ (٤).
 بِشَاطِي غَدِيرٍ وَالْأَزَاهِرُ تَنْفَحُ (٥).
 وَمَنْ أَكُوْسِي لَمْ يَبْرَحِ الصُّبْحُ بُصْبَحُ (٦).
 وَقَدْ أَضْحَى بِمَفْرِقِكَ النَّهَارُ (٧).
 (أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرُّكُضِ الْمَعَارِ) (٨).
 بَحْرِيَّةٌ يَسْدُو لَهَا رَشْحٌ (٩).

- (١) البيتان في الحمر. البكر (يفتح الباء): الجمل الصغير. البازل: الجمل الذي بزلت (طلعت) سنه (إذا بلغ ثمان سنوات أو تسعاً). الصلوة: السطوة في الحرب ونحوها. - لا تليق الحمر إلا بالوقور الهادي. وإذا عجز الصغير عن فعل أمر عهد بهذا الأمر إلى الكبير المجرّب.
- (٢) الراح جمع راحة: الكفّ. الشرب: الفين يشربون (الحمر) معاً. الراح: الحمر.
- (٣) الصبح (الوضوء والمجال) لاح (ظهر - لما بدا الساقى الجميل). تلوح: تظهر. الشمس (الحمر).
- (٤) جاء بالحمر مثل الغزالة (الشمس). الطيب: الرائحة (من الحمر). الأنس (بالفلام الجميل).
- (٥) شربنا (الحمر) بمصباح الساء (على ضوء القمر). تنفح: تنتشر رائحتها.
- (٦) ضلّة: ضلالة وجهلا. يقال: أصبح الرجل: دخل في الصباح (والشاعر يقصد: يطلع في كلّ لحظة من كؤوس الحمر التي أشربها صباح جديد).
- (٧) صبا: مال إلى. المفرق: مقدّم الرأس. النهار (البياض، الشيب).
- (٨) حثت على التصايي: أنت الآن (بقولك هذا وتذكيري أن شباني سينفضي قريباً) تحضيني على الميل إلى النساء الجميلات. المعار: العارية (الذي استعترته من غورك). والمعار: المسنن. وقيل المعار (بالفين المعجمة): المضمر - راجع «فوائد اللآل» ١: ١٨٨ وتاج العروس - الكويت ١٣: ١٧٩ هذا الشطر يروي لأنّ أبي خازم الجاهلي (راجع ديوانه بتحقيق عزة حسن، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، ص ٧٨ والحاشية الطويلة المفيدة رقم ٥٥). وهو ينسب أيضاً للطرماح بن حكيم الأموي - يجب أن أستفيد من بقية شباني!
- (٩) خرجوا إلى صلاة الاستسقاء (بالعراء) بعد انقطاع المطر مدّة طويلة. بحرية: غامة آتية من جهة البحر الراشح: تسرب الماء من خلال جسم ما.

حَتَّى إِذَا اصْطَفَوْا لِذَعْوَتِهِمْ وبدأ لأَعْيُنِهِمْ بِهَا نَضْحٌ^(١) ،
كُشِفَ الْغِطَاءُ إجابةً لَهُمْ ، فكأنَّها جِساءوا لِيَسْتَضْحُوا^(٢) .
★ ★ إذا رَأَوْا جَمَلًا يَأْتِي عَلَى بُعْدٍ مَدَّوا إِلَيْهِ جَمِيعًا كَفَّ مُقْتَنِبِصٍ^(٣) .
إِنْ جِئْتَهُمْ فَارْغًا لَزُوكَ فِي قَرَنِ ، وإن رَأَوْا رِشْوَةً أَفْتَوَكَ بِالرُّخَصِ^(٤) !

٤-★★ بغية الملتبس ٢٩٠ (رقم ٧٧٩)؛ التكملة ١٧٠٤؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ :
٥٧١ - ٥٧٢ ؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٦٥٦ = ٦٥٧ ؛ الذيل والتكملة ٤ : ٧٩ -
٨١ ؛ وفيات الاعيان ٤ : ١٦٠ ؛ بغية الوعاة ٢٦٣ ؛ نفع الطيب ٣ : ٣٨٤ - ٣٨٥ ،
٣٣٢ ؛ بروكلسن ١ : ١٧٦ (السطر ٢١) ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٩٦ (١٣٢) ؛
أخبار وتراجم أندلسية ١٧ ، راجع ٦٣ .

ابن الزقاق البلنسي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ (إبراهيم بن) عَطِيَّةِ اللَّهِ بنِ مُطَرِّفِ بنِ سَلَمَةَ اللَّخْمِيِّ ،
ويُعرفُ بابن الزقاق وبابن الحاج ، أصلُ أسرته من إشبيلية ، وقد كان بينهم وبين بني
عَبَّادٍ قرابةٌ (فلما خلعُ الْمُعْتَمِدُ بنِ عَبَّادٍ أنكَرُوا ذلك) . ويبدو أنَّ أهلَه انتقلوا ، بعدَ
أَسْتِيلاءِ المرابطين على إشبيلية (٤٨٤ هـ) ، إلى بَلَنْسِيَّةَ . وفي بَلَنْسِيَّةَ تزوَّجَ والدُ ابنِ
الزقاقِ أختَ الشاعرِ ابنِ خَفَّاجَةٍ (ت ٥٣٣ هـ) .

وُلِدَ ابنُ الزقاقِ البَلَنْسِيُّ في بَلَنْسِيَّةَ ، سَنَةَ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) ، وفيها نشأ وطلبَ
الْعِلْمَ وقضى حياته كلها ، ولا نعلمُ أنَّه غادرها إلى مكانٍ آخرَ . وتلقَى ابنُ الزقاقِ
جانباً من العلم على ابنِ السَّيِّدِ البَطْلَيْوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) في إحدى زوراتِ البَطْلَيْوْسِيِّ
إلى بَلَنْسِيَّةَ .

-
- (١) حَتَّى إِذَا اصْطَفَوْا (لِلصَّلَاةِ) وَلِلْقِيَامِ بِالْإِعَادَةِ . النضج : الرشح .
(٢) كُشِفَ الْغِطَاءُ (الغابات الغيوم عن وجه السماء) . لِيَسْتَضْحُوا : لِيَطْلُبُوا الصُّحُورَ - في البيت تهكم .
(٣) هذان البيتان في التهكم بالفقهاء . الجمل (هنا) : شيء ما (ولو كان كبيراً كالجمل) . الْمُقْتَنِبِصُ : الصَّيَّادُ
(الذي ينتهز الفرص في الحصول على ما يستطيع الحصول عليه) .
(٤) فارغاً (لا تحمل إليه هدية) لَزُوكَ في قرن (حبل) : ربطوك مع غيرك بحبل واحد (أذلوك) . أَفْتَوَكَ
بالرخص (الرخصة : ما له وجه من القانون) : وجدوا لك مخرجاً للتخلُّل من قيود القانون والشرع .

وكانت وفاة ابن الرزّاقِ البلسيّ نحوَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) قبلَ الأربعين مِنَ العُمُرِ.

٢ - كان ابنُ الرزّاقِ البلسيّ شاعراً وَجَدَانِيّاً رَقِيقاً مُحِبِّناً، حَسَنَ التصرفِ في معاني الشعر - يَحْتالُ للمعنى القديمِ حتّى يبدو كأنّه مُخْتَرَعٌ جَدِيدٌ - وكذلك كان نَبِيلَ الأغراضِ، يُطيلُ أحياناً وَيُجيدُ في المَقْطعاتِ. ولابنُ الرزّاقِ من الفنونِ مدحٌ قليلٌ جَيِّدٌ وشيءٌ من الرثاءِ وقليلٌ من الهجاءِ. وله الغَزَلانِ، المُوَثُّ والمذكّر، مع شيءٍ من المُجونِ المستورِ فيها كليهما. وله خَمْرٌ. وَيَكثُرُ الوصفُ في شعرِ ابنِ الرزّاقِ فهو بارعٌ في وصفِ الطبيعةِ دَقِيقُ الملاحظة؛ غيرَ أنّ وصفَهُ للطبيعةِ لَمَحَاتٌ مُستقلّةٌ موضوعيةٌ لم تَمتزجِ عادةً بالشاعرِ الإنسانية؛ وعلى هذا نَجِدُهُ أدنى مرتبةً في وصفِ الطبيعةِ من خاله ابنِ خفاجة.

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ الرزّاقِ البلسيّ قصيدةٌ في مديحِ أبي بكرِ بنِ عبدِ العزيزِ صاحبِ بلسيّ نَسِبَ فيها ويفتخرُ، منها:

يا شمسَ خِذْ ما لها مَغْرَبٌ،	أراملةٌ دارُك أم غُرْبٌ ^(١) ؟
ذهبتِ فاستَغْبِرْ طرْفِي دِمَاءً	مُقَضِّضُ الدمعِ به مُذْهَبٌ ^(٢) .
اللهُ في مُهْجَةٍ ذِي لَوْعَةٍ	تيمه يومَ النِّقا الرِّبْرِبِ ^(٣) !
ناشدْتُكَ اللهَ، نَسِمَ الصِّبَا،	أئنَّ اسْتَقَلْتُ ^(٤) بعدنا زَيْنَبُ؟

(١) شمس خدر: فتاة جميلة (كالشمس) غُدْرَة (لا تخرج من بيتها لوجاهتها وصونها فلا يراها الناس). ما لها مغرب: لا تغرب من الغروب (شابة أبداً). رامة وغرب: مكانان في شبه جزيرة العرب (يقصد: من أي بلاد الحسن والجمال أنت؟).

(٢) استمير: بكى. الطرف: العين. - امتزج دمعِي الأبيض بدمي الأحمر.

(٣) المهجة: دم القلب، القلب، اللوعة: الحرقه في القلب من الحب. تيمه: أمرضه أو عذبه بالحب. النقا: الرمل الأبيض. يوم النقا (يوم الاجتماع بذلك المكان الذي فيه نقا). الربرب: القطيع من بقر الوحش (الغزلان)، كناية عن جماعة من الفتيات الجميلات.

- الله في مهجة ذي لوعة: أعان الله الحب.

(٤) نسِم الصبا (يا نسيم الصبا). استقل: ذهب. استقل: حمل (أحاله وسافر).

لم تَسْرِ إِلَّا بَشْداً عَرَفَهَا؛
 ويا سَحَابَ الزُّنِّ، ما بَالُنَا
 هاتِ حديثاً عن مغاني اللوى
 أَفْلَحَ من خاضَ بِحَارَ الدُّجَى
 أَلَيْسَ في البَيِّداءِ مَنَدُوحَةٌ
 إن كانَ لِلْفَضْلِ أبٌ إِنَّه
 تَنَحَّطُ قَحْطَانُ وِسادَتُها
 لم تَخُلْ من نارٍ لَهُمُ في الدَّجَى
 هل شَيَّدَ العِلياءُ إِلَّا فَتَى
 في الدُّسْتِ مِنْهُ عَلمٌ أَصِيدُ،
 كُلَّ شِهَابٍ عِنْدَهُ خَامِدٌ،
 وإِلَّا، فإِذا النَّفْسُ الطَّيِّبُ^(١)
 يَشُوقُنَا ذَليكَ إِذْ تَسْحَبُ^(٢)؛
 فَمَهْدُكَ اليَوْمَ بِها أَقْرَبُ^(٣).
 وَصَهْوَةُ العِزِّ لَه مَرَكَبُ^(٤).
 إن ضاقَ يَوْماً بِالْفَقَى مَذْهَبُ^(٥)
 نَحَلُ بَنِي عَمَدِ العَزِيزِ الأَبُ.
 عَنْهُمْ، وَتَمْنِي خَلْفَهُمْ تَقْلِبُ.
 ثَنِيَّةٌ عَلَياءُ أَوْ مَرَقَبُ^(٦).
 راقِ بِهِ المَحْفِلُ والمَرَكَبُ^(٧).
 وفي الوَعْيِ ضَرْغامةٌ أُغْلِبُ^(٨).
 وَكُلَّ بَرَقٍ عِنْدَهُ خُلِبُ^(٩)

- وله في وصف الحمر ووصف الطبيعة:

- (١) - لَمَّا هَبْتَ، أَنها النسيم في الليل كانت رائحتك الطيبة منها، وإِلَّا فمن أين جئت بهذه الرائحة؟
- (٢) المزن: المطر. ذيل السحاب: الأطراف المتدلية من السحاب (ويكون هذا النوع من السحاب مطراً). يشوقنا (يبيجنا، يجعلنا غيل) ذيلك إِذْ تَسْحَبُ (لأنَّكَ تأتي بالمطر).
- (٣) المغاني جمع مغنى: المكان المأهول، المسكون. اللوى: الرمل الملتوي، تلة الرمل.
- (٤) - لقد نَجَّحَ الذي يسافر في الليالي يدفعه إلى ذلك عافضته على كرامته.
- (٥) البَيِّداء: الأرض الواسعة (الصحراء). مندوحة: متسع. المذهب: الطريق، السبيل، طلب العيش.
- (٦) الثَنِيَّةُ (المطفة في الطريق أو الجبل) العِلياء (العالية). المرقب: المكان المرتفع (ترى منه الطرق المتفرعة). هم كرماء (يشملون النار للضيوف عند كُلِّ عطفة طريق) وهم أبطال (يشملون النار على كُلِّ مكان مرتفع يدعون بها قومهم إلى الحرب).
- (٧) المحفل: مكان اجتماع الناس لأمر من الأمور (في السلم). المركب: الخيل (للحرب).
- (٨) الدست: المجلس الرسمي؛ يقال دَسْتُ الوِزارَةَ (الحكم). العلم: الرجل المشهور، الأصيل: الشريف (الصَّيِّدُ يفتح الصاد والياء: ميلان العنق، كناية عن الكبر بكر الكاف). والأصيل الملك أيضاً. الوعى: الحرب. الضرغامه: الأسد.
- (٩) كُلَّ نَجْمٍ مِمَّا يَكُن مَضِيئاً خَامِدٌ (لا نور فيه) بالإضافة إلى المدحوح. وَكُلَّ بَرَقٍ (مِمَّا يَكُن فيه من المطر) خَلِبٌ (لا مطر فيه). - كُلَّ جَدٍ أَقْلٍ من مجده وَكُلَّ كَرَمٍ أَقْلٍ من كرمه.

- (أ) بَلَنْسِيَّةٌ إِذَا فَكَّرَتْ فِيهَا وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا كَسَاهَا رَبُّنَا دِيَّاجَ حُسْنٍ
- (ب) أَدِيرَاهَا عَلَى الرُّوضِ الْمُنْدَى وَكَأْسِ الرَّاحِ تَنْظُرُ عَنْ حَبَابٍ وَمَا غَرَبَتْ نَجْمُ الْأَفْقِ لَكِنْ
- (ج) تُثِيرَ الْوَرْدُ بِالْخَلِيجِ وَقَدْ دَرَّ مِثْلَ دِرْعِ الْكَمِيٍّ مَرَّقَهَا الطَّمْدُ وَلَيْلٍ قَطَعَتْ دِيَّاجِيرَهُ
- (د) أَدِيرَتْ كَوَاكِبُ أَقْدَاجِهَا فَقَالَ - وَقَدْ طَارَ مِنْ خَيْفَةٍ - رَأَيْتُكَ تَشْرَبُ زُهْرَ النُّجُومِ
- وَفِي آيَاتِهَا أَسْنَى الْبِلَادِ^(١) بَأَنَّ جَالَهَا لِلْمَعْنِ بَادٍ^(٢) لَهُ عَلَمَانِ مِنْ بَحْرِ وَوَادٍ^(٣) وَحُكْمُ الصُّبْحِ فِي الظُّلُمَاءِ مَاضِي^(٤) يَنْوِبُ لَنَا عَنِ الْحَقِّ الْمِرَاضِ^(٥) نَقْلُنَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الرِّيَاضِ^(٦) جَهْ بِالْمُحِبِّ مَرُّ الرِّيحِ^(٧) نُفَالَتْ بِهَا دِمَاءُ الْجِرَاحِ^(٨) بِمَذْرَاءِ حَمْرَاءِ كَالْقَنْدَمِ^(٩) عَلَيَّ فَأَغْرَبْتُهَا فِي قَمِيٍّ^(١٠) وَإِصْبَاحُهِ وَاضِحُ الْمُبْسِمِ: فَوَلَّيْتُ خَوْفًا عَلَى أَنْجُمِي^(١١)!

- (١) أَسْنَى: أَكْثَرُ نُورًا وَإِشْرَاقًا. الْآيَاتُ: الْمَجَاطِبُ، الْأُمُورُ الْغَرِيبَةُ الْعَظِيمَةُ.
- (٢) - وَأَعْظَمُ مَا يُمْكِنُ أَنْ أُشْهَدَ بِهِ عَلَى جَالِهَا مَاخُذٌ مِنْهَا نَفْسَهَا، وَهُوَ أَنَّ جَالَهَا ظَاهِرٌ لِلْمَعْنِ.
- (٣) الدِّيَّاجُ: قُبُوبٌ مَنْسُوجَةٌ كُلُّهَا مِنْ حَرِيرٍ. الْعِلْمُ: رِسْمٌ فِي الثُّوبِ. الْوَادِي: النَّهْرُ.
- (٤) - يَا سَاقِيَانِ، أَدِيرَا الرَّاحَ (الْحُمْرَ) عَلَى الرُّوضِ الْمُنْدَى (وَنَحْنُ جُلُوسٌ فِي رُوضَةٍ فِي الصَّبَاحِ الْبَاقِرِ لَمْ يَجِفَّ الثُّدَى الَّذِي نَزَلَ فِيهَا فِي اللَّيْلِ بَعْدَ). وَحُكْمُ الصُّبْحِ فِي الظُّلُمَاءِ مَاضٍ: نُورُ الصَّبَاحِ يَطْرُدُ ظُلَامَ اللَّيْلِ.
- (٥) يَشَبُّهُ الْفَقَاقِيعُ الَّتِي تَطْفُو عَلَى وَجْهِ كُؤُوسِ الْحُمْرِ بِمَعْنَى تَنْظُرُ إِلَى الشَّارِبِينَ، تَقُومُ (لِجَالِهَا) مَقَامَ الْحَقِّ (الْمَعْنِ) الْمِرَاضِ (النَّاعَةِ).
- (٦) لَمَّا طَلَعَ الصُّبْحُ وَاخْتَفَتِ نَجْمُ اللَّيْلِ، فَإِنَّ نَجْمُ اللَّيْلِ لَمْ تَنْبِ وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ وَاسْتَقَرَّتْ فِي رُوضَتِنَا (كُنَايَةٌ عَنِ الْأَزْهَارِ، أَوْ كُنَايَةٌ عَنِ الْفَقَاقِيعِ الَّتِي تَطُوفُ عَلَى الْحُمْرِ فِي الْكُؤُوسِ).
- (٧) الْخَلِيجُ: النَّهْرُ.
- (٨) الْكَمِيٌّ: الشَّجَاعُ.
- (٩) الدِّيَّاجُورُ: الظُّلَامُ. الْمَذْرَاءُ: الْحُمْرُ (إِذَا شَقَّ عَنْهَا الدَّنَّ - خَابِيَةِ الْحُمْرِ - لِلْمَرَّةِ الْأُولَى). الْعَنْدَمُ: دَمُ الْأَخْوَانِ أَوْ الْبَقَمِ (نَبَاتٌ ثَمَرُهُ شَدِيدُ الْإِحْرَارِ).
- (١٠) أَغْرَبْتُهَا (جَعَلْتُهَا تَغْرِبُ) فِي قَمِيٍّ (يَقْصِدُ: شَرِبْتُهَا).
- (١١) - رَأَيْتُكَ تَشْرَبُ خَرًّا يَطْفُو عَلَى وَجْهِهَا فَفَاقِيعُ (كَالْكُؤُوسِ) فَخَفْتُ أَنْ تَشْرَبَ نَجْمِي أَيْضًا.

- وله في الغزل والنسيب وما يلحق بها:

- (أ) عَذِيرِي مِنْ هَضِيمِ الْكَشْحِ أَخْوَى رَخِيمِ الدَّلِّ قَدْ لَبَسَ الشَّبَابَا^(١)؛
أَعَدَّ الْمَجْرَ هَاجِرَةً لِقَلْبِي وَصَيَّرَ وَغَدَهُ فِيهَا سَرَابَا^(٢)؛
- (ب) وَأَعِيدِ طَافَ بِالْكُؤُوسِ ضُحَى وَحُثْمَا وَالصَّبَاحُ قَدْ وَضَحَا.
وَالرُّوْضُ أَهْدَى لَنَا شَقَائِقَهُ، وَأَسُهُ الْعَنَبَرِيُّ قَدْ نَفَحَا.
قَلْنَا: وَأَيْنَ الْأَقْبَاحِ، قَالَ لَنَا: أَوْدَعْتُهُ ثَغْرًا مِنْ سَقَى الْقَدْحَا.
فَظَلُّ سَاقِي الْمُدَامِ يَجْحَدُ مَا قَالَ، فَلَمَّا تَبَسَّمَ أَفْتَضَحَا.
- (ج) وَمَرْتَجَّةُ الْأَطْرَافِ أَمَّا قَوَامُهَا فَلَذَنْ وَأَمَّا رِذْفُهَا فَرَدَاحُ^(٣)،
أَلَمْتُ فَبَاتَ اللَّيْلُ، مِنْ قَصَرٍ بِهَا، بِطَيْرٍ وَلَا غَيْرِ السُّرُورِ جَنَاحُ^(٤)
فَبْتُ وَقَدْ زَارْتُ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ يُعَانِقُنِي حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحُ^(٥).
عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدَيْهَا حَائِلٌ فِي خَصْرِهَا مِنْ سَاعِدَيَّ وَشَاحُ^(٦).
- (د) سَقَتْنِي بَيْنَمَا هِيَ فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ يُجَاذِبُنِي مِنْ ذَاكَ أَوْ هَذِهِ سُكْرُ.
تَرَشَّفْتُ فَاها إِذْ تَرَشَّفْتُ كَأَسْهَا؛ فَلَاحِ، وَالْهَوَى، لَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا الْحَفْرُ!
- وَلا يَنْ الرِّقَاقُ مَوْشَعَةً مِنْهَا:

- (١) عذيري = عاذري: من يكون عاذري ولا يلومني (في ما أعمل). هضم (نحيل، ضامر) الكشح (وسط الجسم). أخوى: أسمر الشفة. رخم (ناعم) الدلّ (الدلال، الفنج).
- (٢) الهاجرة: نصف النهار، شدة الحر - هجره (اتبعه عني) كالحر الشديد لقلبي. السراب: لمعان يُرى من بعيد كأنه ماء. وَغَدَهُ سراب: لا يفي بوعد (لكنه يُطمع المحبين بوعوده).
- (٣) مرتجة الأطراف: مهتزة، متائلة (كناية عن ليونة الجسد وعن الشباب). لدن: لين، طري. الردف: الورك، الألية. رداح: متسع، ثقيل.
- (٤) أم: نزل، جاء (ضيفاً)، زار. من قصر بها: يبدو قصيراً لأنها معي.
- (٥) أنعم ليلة: أكثر الليالي نعمة عليّ. الصباح: أول النهار. صباح: فتاة جميلة تشبه الصباح (ببياضها وحسنها).
- (٦) الساعد = الذراع (من المرفق إلى طرف الأصابع). المائل جمع جمالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) سير من جلد يعلّق به السيف إلى الكتف أو العنق. الوشاح: قطعة من جلد أو نسيج تشدها المرأة على كتفيها وخصرها.

فَأَشْرَبُ مِنْ يُمْنَاهُ مَا فَوْقَ خَدِّهِ وَالْتِمُ مِنْ خَدِّهِ مَا فِي يَمِينِهِ^(١).

- ٤- ديوان ابن الزقاق البلسني (تحرير غارثيا غومس) مدريد ١٩٣٤ م، ١٩٥٦ م؛
(تحقيق عفيفة محمود دبراني)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
- ★ المغرب ٢: ٢٣٠-٢٣٨، المغرب ١٠٠-١١١، التكملة رقم ١٨٤٤، الذيل والتكملة
٥: ٢٦٥-٢٦٨، الحريدة (المغرب والأندلس). ٣: ٥٦٤-٥٦٨، الحريدة (الأندلس)
٢: ٦٤٧-٦٥٣ ثم ٦٦٥-٦٦٦، فوات الوفيات ١: ٧٧-٧٩، شذرات الذهب ٤:
١٨٩، نفع الطيب ٣: ١٩٩-٢٠٠، ٢٨٩-٢٩١، ٤١٤-٤١٥، ٤: ١٥٨-١٥٩،
٢٩٨-٣٠٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧١، بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١، نيكل
٢٣١-٢٣٣، مختارات نيكل ١٥٤-١٥٥ (ذكر باسم ابن القزاز)، الأعلام للزركلي ٥:
١٢٨ (٤: ٣١٢).

أبو الصلت بن عبد العزيز الأندلسي

١- هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، ولد في دانية بشرقي
الأندلس سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) ودرس على جماعة منهم أبو الوليد الوقيسي قاضي
دانية.

ولما استولى المرابطون على الأندلس بارحها أمية في أهل بيته إلى مصر فوصل
إليها يوم الأضحى من سنة ٤٨٩ (١٠٩٦/١١/٢٧ م)، في أيام الأمر الفاطمي أبي
علي المنصور. واتصل أمية برجل اسمه تاج المعالي كان من خواص الأفضل شاهنشاه
ابن بدر وزير الأمر. وقدمه تاج المعالي إلى الأفضل فعظمي أمية عنده. ولكن ذلك
ساء كاتباً لدى الأفضل فأضمر لأمية المكروه. ثم إن الأفضل تغير على تاج المعالي
فقبض عليه وعلى أمية وسجنهما، سنة ٥٠٢ هـ. وقيل إن سجن أمية كان لأن مراكباً
كان محملاً بالنحاس غرق في ميناء الإسكندرية، فقال أمية للأفضل إنه قادر على
إخراجه. وقدم الأفضل لأمية جميع ما طلب من المعدات والأموال. ولكن أمية خاب

(١) أشرب من الكأس التي في يمينه خراً كخده وأقبل وجنته فأجد تقبيلها لذيداً كالخمر التي يحملها
بيده.

في ذلك (راجع طبقات الأطباء ٢: ٥٣ وتاريخ العلوم عند العرب ٢٢٨-٢٢٩). وبعد ثلاثة أعوام وشهر، في ٥٠٥ هـ (١١١١ م)، خرج أُميَّة من السجّين. وبعد مدة ذهب إلى تونس فاستقبله أبو طاهر يحيى بن عمر بن المعز بن باديس. وتوفي أُميَّة في مدينة بجاية في عاشر المحرم من سنة ٥٢٩ (١١٣٤/١٠/٣٠).

٢- برع أُميَّة بن عبد العزيز في الطبّ والفلك وفي الفلسفة وفي الطبيعيات والرياضيات والموسيقى. ومع ذلك فقد كان قديراً في فنون الأدب: كان شاعراً مكثراً اختار له العبادُ الأصفهانيُّ في الخريدة (قسم المغرب ١: ١٨٩ - ٢٧٠) نحو ألف ومائة بيت على جميع حروف الهجاء، ما عدا الذال (أخت الدال) والواو، قصيداً ورجزاً، ومن أبواب الشعر المختلفة من المديح والتهنئة والثناء والهجاء والوصف والخمر والغزلين والنسيب (مع شيء من الدُعابة، والمجون أحياناً) والأدب والحكمة والإخوانيات والألغاز. وله المقاطع القصارُ والقصائد الطوال. ثم هو ناقد بارع في شعره وفي نثره. قال مثلاً (الخريدة، قسم المغرب ١: ٢٥٩):

جرّد معاني الشعر، إن رُمته كما تُوقى اللّوم والطغنا.
ولا تراعى اللفظ من دونها؛ فاللفظُ جِسمٌ روحه المعنى.

ولأُميَّة بن عبد العزيز اللّغة التالية في النقد (الخريدة - قسم المغرب ٢: ٣١):
وقال (المعتمد بن عباد) في جارية يُحبّها، وهي بين يديه تسقيه والكأس في يدها،
إذ لمع البرق، فارتاعت فقال:

روّعها البرق، وفي كفّها برق من القهوة لَمْعاً^(١).
يا ليت شِعري - وهي شمس الضحى - كيسف من الأنوار ترتساع.

(واتفق أن المعتمد بن عباد أنشد البيت الأوّل أمام عبد الجليل بن وهبون وطلب منه أن يُجيزه). فقال ابن وهبون:

(١) القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

ولن ترى أعجبَ من آنس^(١) من مثل ما يُسكُّ يرتاع^(٢).

فقال أبو الصلت في (كتابه) الحديقة:

هذا البيت (لأبن وهبون) أجود، لجودة ترتيب اللفظ مع جودة المعنى، وللمطابقة (التضاد التام، في البلاغة) بين لفظي الأنس والارتاع وتشبيه لمعان الخمر بلمعان البرق، وإن كان بيت الأمير (المعتمد بن عباد) جيداً.

وكان له من الكتب: الرسالة المصرية (ذكر فيها ما رآه في مصر من هيئتها وآثارها وذكر من اجتمع بهم فيها من الأطباء والمُنجِّمين والشُعراء وغيرهم من أهل الأدب. وقد ألّف هذه الرسالة لأبي الطاهر يحيى بن تميم) - كتاب الأدوية المفردة (على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وقد رتبّه أحسن ترتيب) - الملحُ العصرية من شعراء أهل الأندلس والطارئين عليها - رسالة في الموسيقى - كتاب في الهندسة - رسالة في العمل بالأسطرلاب - تقويم منطق الذهن (طبقات الأطباء ٢: ٦٢). وله أيضاً: ديوان شعر كبير، كتاب الديباجة في مفاخر صنهجة - ديوان رسائل - الحديقة في مختار أشعار المحدثين (معجم الأدباء ٧: ٦٤).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَصِفُ الثَّرِيَّاءَ^(٣):

رَأَيْتُ الثَّرِيَّاءَ لَهَا حَالَتَانِ مَنْظَرُهَا فِيهَا مُفْجَبٌ:
لَهَا عِنْدَ مَشْرِقِهَا صُورَةٌ يُرِيكَ مُخَالَفُهَا الْمَغْرِبُ^(٤).
فَتَطْلُعُ كَالْكَأْسِ إِذَا تُسْتَحْتُ وَتَغْرُبُ كَالْكَأْسِ إِذَا تُشْرَبُ^(٥)!

(١) نرتاع: تخاف.

(٢) آنس (يسكن مع الإنسان، مطمئن). من مثل ما يسك (الخمر التي يحملها في كفه).

(٣) الثريا مجموعة نجوم يُرى منها سبعة نجوم بالعين المجردة.

(٤) شكلها في رأي العين مختلف حينما تطلع (في المشرق) منه حينما تغرب (في المغرب).

(٥) حينما تطلع ترى طويلة (كالكأس المصولة في الكف) وحينما تغرب ترى مائلة وقصيرة (كالكأس حينما يشرب الشارب بها).

- شكوى:

مارستُ دهري وجربتُ الأناَم فلم
وكم تَمَنَيْتُ أن ألقى به أحداً
أحمدُهُمُ قطُّ في جدِّ وفي لَيبِ .
يُسلِّي من الهمِّ أو يُعدي على النُوبِ^(١) :
فما وجدتُ سوى قومٍ ، إذا صدَّقوا
كانت مواعيدُهُم كالآلِ في الكَذِبِ^(٢) .
وكان لي سَبَبٌ قد كنتُ أحسُّهُ
أخطى به ، فإذا داني من السَّبَبِ^(٣) :
فما مُقَلِّمُ أظفاري سوى قَلَمي ،
ولا كُتَّابُ أعدائي سوى كُتُبي^(٤) !

- من قصيدة في مدح أبي الطاهر يحيى بن تميم (وفيها نفحة من أبي فراس):
فلم أَسْتَسْخِ إلا نَداه ولم يكن
لِيَعْدِلَ عندي ذا الجَنابِ جنابُ^(٥) .
فما كلُّ إنعامٍ يَخِفُّ آحَتَالَهُ ،
وإن هَطَلَتْ منه عليَّ سَحَابُ^(٦) .
ولكن أجَلَ الصُّنْعِ ما جَلَّ رَبُّهُ
ولم يأتِ بابٌ دونَهُ وَجِجَابُ^(٧) .
وما شِئْتُ إلا أن أدُلَّ عواذلي
على أن رأيي في هَواك صَوَابُ^(٨) ،
وأَعْلَمُ قوماً ، خالفوني وشرَّقوا
وغرَّبْتُ ؛ إنِّي قد ظَفِرْتُ وخابوا^(٩) !

- وقال أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يمدِّحُ يحيى بن تميم بن المُعَرِّ الصنهاجيَّ (حكَمَ المَهْدِيَّةُ
من سَنَةِ ٥٠١ إلى سَنَةِ ٥٠٩ هـ). والظاهرُ أن هذه القصيدةَ في مدحِ وَلَدِهِ عليٍّ

(١) يُسلِّي (يسلى) ... يُعدي (ينصر، ياعد) على النوب (جع نائبة: مصيبة).

(٢) الآل: السراب (يرى من بعيد كأنه ماء ، فإذا حنته لم تجده شيئاً).

(٣) سبب أحطى (أنال حظوة، مكانة عند الناس): شعري وعلمي.

(٤) مقَلِّمُ أظفاري (مانعي عن نيل حقِّي).

(٥) لم استسغ: (أره سهلاً في حنجرتي) لم أحتمل نداء: كرمه وجوده. يعدل: يساوي الجناب: جانب الأرض، البلد.

(٦) هطل: كثر سقوط المطر (منه).

(٧) أجَلَ (أعظم) الصنع (المعروف) رَبُّهُ: صاحبه (المنعم بالمعروف). لم يأت بابٌ ... الخ: لم يكن الوصول إليه صعباً.

(٨) عواذلي: الذين لا موني (في قصدك بالمديح).

(٩) هم ذهبوا إلى المشرق ليمدحوا ملوكه فخابوا، وأنا أتيت إلى المغرب (لأمدحك) فظفرت (نلت ما أملكته).

المتوَلَّى بعده، من سَنَةِ ٥٠٩ إلى سَنَةِ ٥١٥ هـ (راجع الخريدة، قسم المغرب ١: ١٩٣، الحاشية الرابعة):

وما أَعْتَرَفَ الجَهُدُ إِلَّا لَكُمْ،
تَوَارَثْتُمُوهُ أَبَـأً عَنْ أَبِي
إِذَا بَلَدٌ ضَاقَ عَنْ آمِلِي
بَحِيثٍ يُنَادِي النَّدَى بِالْعَفَاةِ:
دَنَا كَرَمًا وَنَأَى هَيْبَةً
وَسَالَتْ نَدَى وَرَدَى كُفَّهُ:

فليس إِلَى غَيْرِكُمْ يُنْسَبُ (١).
كَمَا أَطْرَدَتْ فِي الْقَنَا الْأَكْمَبُ (٢).
فَمِنْكُمْ الْبَلَدُ الْأَرْحَبُ (٣)،
هَلِمُوا فَقَدْ طَفَحَ الْمَشْرَبُ (٤).
فَنَاءَ بِهِ الدَّسْتُ وَالْمَوْكِبُ (٥)،
فَهَذَا يُرْجَى وَذَا يُرْهَبُ (٦).

- وله رَجَزٌ يشكو فيه البراغيثَ وفعلها في جسده:

وليلةٍ دائمةٍ الفُسوقِ بعيدةٍ المُنسى من الشُروقِ^(٧)
كليلةٍ المُتتيرِ المشوقِ أطالَ في ظلماتها تأريقي^(٨)
أخبتُ خلقي للأذى غلوقِ. يرى دمي أشهى من الرّحيقِ^(٩)
يَمُبُّ فيه غيرَ مُستفيقِ. لا يتركُ الصّبحَ للغبوقِ^(١٠).

(١) المفروض أن الشرق كان عند المغاربة أفضل من المغرب. الشاعر الآن يقول: إن وجود هذا المدح جعل المغرب أفضل من الشرق. المطنب: المبالغ.

(٢) القناة: القصة. الكعب (العقدة في القصة). أطرد: تنابح على استواء. (كل واحد منكم كان مثل كل سلف من أسلافه).

(٣) الأرحب: الأوسع.

(٤) الندى: الجود، الكرم. الهافي: الذي يطلب المعروف. الشرب: المكان الذي يشرب الناس منه. طفع المشرب (كتابة عن الغير الكثير والكرم الكثير عند المدوح).

(٥) تاه: أعجب (بالبناء للمجهول) بنفسه. الدست: كرسي الحكم. الموكب (الذهاب إلى الحرب؟).

(٦) الردى: الموت.

(v) الفسوق: الإظلام (اشتداد الظلام).

(٨) المتيمم: الذي تيممه (أمرضه) الحب. التأريق (منع النوم).

(٩) الروح: الخمر الصافة.

(١٠) عباً: شرب مله فمه. غير مستفيق (غير واع، مستمر في العبء). الصبوح والنبوق (شرب الخمر صباحاً ومساءً). لا يترك الصبوح للنبوق يتصل شربه الخمر من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح).

لو بَتَ فوقَ قَمَّةِ العَيَّوقِ ما عاقَه ذلك عن طُروقِ^(١) .
 كعاشقٍ أُسرى إلى معشوق .
 من أَكحلٍ منها وباسليقي أَعْلَمُ من بُقراطَ بالعُروقِ^(٢) :
 من خَطَمِهِ المُذَرَّبِ الذَّلِيقِ يَفْصِدُهَا بِمُبْضَعِ رَقِيقِ^(٣) .
 فَصَدَ الطَّبِيبِ الحاذِقِ الرَفِيقِ^(٤) .

- وفيها يلي عدد من المقاطع الجياد لأمية بن عبد العزيز :

- ١- جَدَّ بقلبي وعبث ثم مضى وما أَكْثَرَتْ .
 واحرَبَــا مِن شادين في عَقْدِ الصبرِ نَفْثَ^(٥) .
 يَقْتُلُ مَنْ شاءَ بَعْدَ نَيْهِ ، وَمَنْ شاءَ بَعِثَ .
 فَأَيُّ وَدٍّ لَمْ يَحْنُ؟ وأيَّ عَهْدٍ ما نَكِثُ؟
- ٢- وقائلة: « ما بالُ مِثْلِكَ خامِلاً ،
 فقلتُ لها: « ذنبي إلى القومِ أَنِّي
 وما فاتني شيءٌ سوى الخطِّ وحده ،
 أأنتَ ضعیفُ الرأيِ أم أنتَ عاجِزُ؟ »
 لِمَا لَمْ يَحْزِزْهُ من المجدِ حائِزُ .
 وأما المعالي فهي عندي غرائِزُ »
- ٣- إذا كان أَصلي من تُرابٍ فكلُّها بِلادِي ، وكلُّ العالمين أَقاري* .
- ٤- سَكَنْتُكَ يا دارَ الفناءِ مُصَدِّقاً بَأَنِّي إلى دارِ البقاءِ أَصيرُ^(٦) .
 وَأَعْظُمُ ما في الأمرِ أَنِّي صائرٌ إلى عادِلٍ في الحكمِ ليس بِمُجورِ^(٧) .

(١) العَيَّوق: نجم . عاقه: أخره . الطروق: الطلوع (الوصول إلى) .

(٢) أُسرى: سار ليلًا (الحبَّ يَهْدِي إلى محبوبه في جميع الأحوال) . بقراط طبيب يوناني قديم كان بارعاً في التطبيب .

(٣) الأكحل (الأزرق): ويريد يحمل الدم الوسخ إلى القلب والرتتين لينقى . الباسليق (يبدو أنه من العروق التي تحمل الدم) .

(٤) السيف الذرب: الحادّ، الماضِ ، القاطع . اللسان الذلق: الطلق البليغ .

(٥) الشادن: الغزال الصغير . نفث: نقل ، بصرق ، (كانت الساحرات يَتَمَنَّينَ لشخص أمانة شرّ في الأكثر ثم ينفثن عليها ليربطن المسحور) . نفث في عقد الصبر (جعلني مربوطاً بالصبر: أصبر ولا أصل إلى ما أُرغب فيه) أو هو جعلني لا أصبر عن حبه .

* راجع ص ٩٣ .

(٦) دار الفناء (هذه الدنيا) . دار البقاء (الآخرة) .

(٧) إلى عادِل (إلى الله) . مجور: يظلم .

فيا ليت شعري، كيف ألقاه عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرٌ^(١).
 فإن أكَ مَجْزِيًّا بذنبي فأنني بشرٌ عِقَابِ المَذْنِبِينَ جَدِيرٌ^(٢).
 وإن يك عفوٌ منه عني ورحمةٌ فمَنْ نعيمٌ دائمٌ وسرورٌ^(٣).
 ٥ - ومَهْفَهِفٍ شَرَكْتُ محاسنُ وجهه ما مَجَّهٌ في الكاس من إبريقه^(٤).
 ففعلها من مُقْلَتَيْهِ، ولونها من وجنتَيْهِ، وطعمها من ريقه^(٥).

٤ - الرسالة المصرية (مطبوعة في نوادر المخطوطات): (نشرها عبد السلام محمد هارون)، القاهرة
 (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م.
 - تقوم الذهن، مجرّط ١٩١٥ م.

★ ★ معجم الأدباء ٧: ٥٢ - ٧٠: المغرب ١: ٢٥٦ - ٢٥٧: المقتضب من تحفة القادم ١٣
 الحريدة (المغرب) ١: ١٨٩ - ٢٧٠: ابن الأثير ١١: ١٨؛ وفيات الأعيان ١: ٢٤٣ -
 ٢٤٧، ٤٦٥؛ طبقات الأطباء ٢: ٥٢ - ٦٢؛ نفح الطيب ١: ٤٩٦ - ٤٩٨، ٢: ١٠٥ -
 ١١٠، ٣: ٤٨٠ وما بعد (مختارات)؛ شذرات الذهب ٤: ٨٣ - ٨٥؛ دائرة المعارف
 الإسلامية ١: ١٤٩؛ بروكلمان ١: ٦٤١؛ الملحق ١: ١٨٨٩؛ مختارات نيكل ١٦٠ -
 ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦٣ - ٣٦٤ (٢: ٢٣)؛ سركيس ٣٢٠.

الفتح بن خاقان الإشبيلي

١ - هُوَ أَبُو نَصْرِ الْفَتْحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ..... بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَاقَانَ الْقَيْسِيِّ
 الإِشْبِيلِيِّ، وَلَدَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا صَخْرَةُ الْوَلَدِ قُرْبَ قَلْعَةٍ يَحْصُبُ مِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةِ.
 ويبدو أنه نشأ فقيراً مُهْمَلًا فشبَّ شَرِيْرًا نَاقِيًا مُغَامِرًا خَلِيعَ الْعِذَارِ كَثِيرَ الْأَسْفَارِ
 سَرِيعَ التَّنَقُّلِ، لَا يُقِيمُ وَزْنًا لِفَضِيلَةٍ وَلَا يُرَاعِي حُرْمَةَ لَذِي مَكَانَةٍ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ وَافِرَ
 الذِّكَاءِ وَالنَّشَاطِ.

- (١) زادي (من التقوى والأعمال الصالحة).
- (٢) جدير: خليق، مستحق.
- (٣) ثم: هنالك (في الآخرة).
- (٤) المهفف: الضامر البطن الدقيق الحصر. فعل جمال وجهه فعل الحمر. نجه: لفظه، أخرجه، صبه.
 إبريقه (إبريق الحمر).
- (٥) ففعلها: فعّال الحمر (الإسكار).

وقد تَلَقَّى الفَتْحُ بْنُ خاقانَ شيئاً من فنونِ الأدبِ على ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ) وعلى ابنِ السيّدِ البَطْلَيْوَسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) خاصّةً. ثُمَّ كَتَبَ لِنَفَرٍ من الوُلاةِ، ولكنْ لم يَكُنْ يَسْتَقِرُّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً، لأنّه كان يُصَرِّفُ من الخِدمةِ وشيْكاً لَانْفِاسِهِ في الشّهواتِ واستِهْثارِهِ بها وَلِجُرْأَتِهِ على النّاسِ بالهَجاءِ والثَّلَبِ. وقد كَتَبَ مَدَّةَ سيرةٍ لوالي غُرناطة أبي يوسفَ تاشفينَ بنِ عليٍّ ثُمَّ انصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ لاسْتِثْنافِ تَطَوُّفِهِ حتّى وَصَلَ إلى مَرَاكُشَ.

وفي ٢٢ من المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٥٢٩ (١١٣/١١/١١٣٤ م) قُتِلَ الفَتْحُ بْنُ خاقانَ في فُنْدُقٍ كان يَنْزِلُ فيه في مدينةِ مَرَاكُشَ، قَبْلَ بَتحريضِ من سُلطانِ المرابطين أبي الحسنِ عليٍّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ.

٢- كان الفَتْحُ بْنُ خاقانَ أديباً بارِعاً كثيرَ التكلّفِ في الصنّاعةِ حاذقاً في التلاعُبِ بالألفاظِ وفي اقتناصِ التشابيهِ والاستعاراتِ. أمّا شِعْرُهُ فقليلٌ جدّاً عاديٌّ المعاني مَعَ لَمَحَاتٍ عارِضَةٍ.

وتَقُومُ شُهْرَةُ الفَتْحِ بْنِ خاقانَ على كتابينِ لَهُ، هُما:

« قلائدُ العُقيانِ »، وقد آلفَهُ بين سَنَةِ ٥٠٦ وسنةِ ٥٢١ هـ. وقَدَّمَهُ إلى الأميرِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ ابنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ. أَحَبَّ الفَتْحُ بْنُ خاقانَ أَنْ يُقَلِّدَ ابنَ بَسامٍ في « الذخيرةِ » باختياراتِ من أشعارِ مُعاصِرِهِ مَعَ نَتَقِ طَريقَةٍ من أحداثِ حَيَاتِهِمْ، من غيرِ التزمِ مِنْهاجٍ أو استقصاءٍ، مَصُوغَةً في نَثَرٍ فَنِّيٍّ أُنِيقٍ. غيرَ أَنَّهُ قَصَرَ عَنِ ابنِ بَسامٍ في أمرين: في الإحاطَةِ بالشعراءِ من مُعاصِرِهِ ثُمَّ في التزمِ التَقسيمِ الجُغرافيِّ والاجتماعيِّ (راجع الكلامَ على ابنِ بَسامٍ). عندئذٍ كَتَبَ الفَتْحُ بْنُ خاقانَ إلى نَفَرٍ من مشاهيرِ عَصْرِهِ (وأغنيائِهِ) يَطْلُبُ مِنْهُمْ شيئاً من شِعْرِهِمْ خاصّةً، فَمِنَ لَبَّاءِ مِنْهُمْ سَريعاً وأعطاهُ كثيراً ذَكَرَهُ ذِكْراً حَسَناً، وإِلَّا أَهْمَلَهُ أو أَسَاءَ ذَكَرَهُ. وَيَسْتَشْهِدُونَ في هذا البابِ بآبِنِ بَاجَهَ، فَقَدْ أَسَاءَ الفَتْحُ ذَكَرَهُ في القلائدِ (الترجمة الأخيرة) ثُمَّ ذَكَرَهُ في « مَطْمَحِ الأنفُسِ » (بعدَ أَنْ اتَّقَى ابنُ بَاجَهَ شَرَّهُ، فَمِلا يَبِيدُو، بشيءٍ من المبالغةِ) ذَكَرَهُ مُورِي: يُمكنُ أَنْ يُعَمَّمَهُ على خِلافِ ظاهِرِهِ.

أما كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس » فهو (من حيث أسلوب السرد) على غرار « قلائد العقيان »، ولكن في نفر ماتوا. ولقد حمله الوزير أبو العاص حكم بن الوليد على جمع هذا الكتاب (ص ٢، المقدمة).

٣- مختارات من آثاره:

- « وأحسن ما أنشدَه (الفتح بن خاقان) من شِعره قوله » (المغرب ١: ٢٥٥):

سَقَى أَرْضَ حِمَصٍ بِالْأَصِيلِ وَالضُّحَى سَحَابٌ كَذَمِي يَسْتَهْلُ وَيَسْجُمُ^(١).
وَمُدَّتْ بِهَا لِلرَّوْضِ أَبْرَادُ سُنْدُسٍ تُطَرِّزُهَا كَفُّ الْغَامِ وَتَرْقُمُ^(٢).
وَحَيًّا الْحَيَا أَرْضَ الْفُرُوسِ وَرَوْضَهَا بِحَيْثُ التَّوَى فِيهِ مِنَ النُّهْرِ أَرْقَمُ^(٣)!

- وقال يَصِفُ الحُصْنَ الزَّاهِرَ (في إشبيلية)، في ترجمة الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ (قلائد العقيان ٢٧):

.... وَكَانَ الْحُصْنَ الزَّاهِرُ مِنْ أَجْمَلِ الْمَوَاضِعِ لَدْنِهَا وَأَنْبَاهَا * وَأَحَبَّهَا إِلَيْهِ
وَأَشْهَاهَا * لِإِظْلَالِهِ عَلَى النُّهْرِ * وَإِشْرَافِهِ عَلَى الْقَصْرِ * وَجَالِهِ فِي الْعِيُونِ * وَاشْتِهَالِهِ
بِالشَّجَرِ وَالزَّيْتُونِ * وَكَانَ لَهُ بِهِ مِنَ الطَّرَبِ * وَالْمَيْشِ الْمُرْزِيِّ بِحَلَاوَةِ الضَّرَبِ^(٤) *
مَا لَمْ يَكُنْ يُجَلِّبُ لِبْنِي حَمْدَانَ * وَلَا لِسَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ فِي رَأْسِ غَمْدَانَ^(٥) * وَكَانَ
كَثِيرًا مَا يُدِيرُ بِهِ رَاحَتَهُ^(٦) * وَيَجْعَلُ فِيهِ انْشِرَاحَهُ * فَلَمَّا اسْتَدَّ إِلَيْهِ الزَّمَانُ

(١) حمص: إشبيلية. الأصيل: بين العصر وغياب الشمس. الضحى: بعد قليل من ارتفاع الشمس. استهل (الدمع والمطر) بدأ يسقط. سجم: كثر سقوطه.

(٢) البود: الثوب. السندس: ثوب رقيق من الحرير. رقم فلان الثوب: جعل فيه علامات ونقوشاً (أنبت المطر في الروض أنواعاً مختلفة من النبات).

(٣) حياً: ألقى التحية والسلام. الفروس (٤). الأرقم: الحية (الشاعر هنا يشبه النهر في سيره المتعرج بالحية في سيرها المتلوي).

(٤) المرزوي: الذي يزرع (بمبيب). الضرب: العمل.

(٥) بنو حمدان: قوم سيف الدولة حكّام الموصل وحلب. ذو يزن من ملوك اليمن. غمدان أم قصر في اليمن.

(٦) الراح: الحمر.

بَعْدُوانِهِ^(١) * وَسَدَّ عَلَيْهِ أَبْوَابَ سُلْوانِهِ^(٢) * لَمْ يَحِمْ إِلَّا إِلَيْهِ * وَلَمْ يَتَمَنَّ إِلَّا الْحُلُولَ
لَدَيْهِ * فَقَالَ (المعتمد بن عباد):

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْمَغْرِبَيْنِ أَسِيرُ سَيِّئِكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ

- من أسلوب الفتح بن خاقان (من مقدمة «قلائد العقيان»):

الحمد لله الذي راضَ لنا البيانَ حتَّى انقادَ في أُعْنَتِنَا وشادَ مشواهَ في أُجْنَتِنَا^(٣)،
وذَلَّلَ لنا من الفصاحة ما تصبَّبَ فمَلِكُنَاه وأوضحَ لنا من مُشكلاتِها ما تشبَّبَ
فمَلِكُنَاه، فصارَ لنا الكلامَ عبداً يجيبُ إذا ناديناها وسهماً يصيبُ الفَرَضَ إذا
رَمَيْنَاهُ... وبعدُ، فإنَّ الأدبَ أجلُّ ما أَلْتَحَفَتْهُ الهِمةُ وعَرَفَتْهُ هذه الأمة. فَإِنَّهُ مُطْلَقُ
اللسانِ من عِقَالٍ وَمُنْطَلِقُ الإنسانِ بصوابِ المقال. وله من النثر والنظم نَجَاجٍ صارت
القلوبُ لها فلكاً والخواطرُ مسلَكا..... ولَمَّا رَأَيْتُ عِناثَهُ في يَدِ الامتحانِ ومِدادَهُ
قد عَطَّلَ من الرهانِ، وبواترَهُ قد صَدِثَتْ في أَغْهادِها وشُعْلَهُ قد قَذِثَتْ^(٤) بِرَمادِها،
تداركتُ منه الذِّمَاءَ الباقيَ وتَلَقَّيْتُ لَهُ نَفْساً قد بَلَّغَتْ التراقي^(٥) وانتخبْتُ منه لَمَعاً
كالسيوفِ المُرْهَفَةِ والشفوفِ المَفُوقَةِ^(٦).... وانتخبْتُ من توليدِهِ المُخْتَرَعِ وتجديدهِ
المبتدِعِ لَمَعاً يَهْزُها الزمانُ عِطْفَهُ انتشاءً وتَرَوْقُ كالنجومِ طَلَعَتْ عِشاءً..... لِيُعْلَمَ
أَنَّ بِالْأَوَانِ افْتِنَاناً جَرَتْ لَهُ العوائقُ بَناناً وبيانا^(٧) فأبقتُ منهم أثراً لا عياناً^(٨)،

(١) استد (اتَّجِهَ على استقامة). العدوان: الاعتداء (بالمصائب).

(٢) السلوان: النسيان، التَّلْي عن المصوم.

(٣) العنان: الرِّس. أجنَّة، جمع جنين: الطفل ما دام في الرحم (بفتح فكسر). شاد (بنى) مشواه (بيته) في
أجْنَتِنَا (منذ كُنَّا أجنَّة: قبل أن نولد، منذ زمن قديم).

(٤) ميدانه عَطَّلَ من الرهان: توقَّعتُ جري الخيل فيه (خلا من الأدب). الباتر: السيف. قذيت العين:
نثا فيها قذى (وسخ).

(٥) الذِّمَاء: بقية الروح في الجسم. بلغت النفس التراقي (أعلى الصدر) أصبح موت صاحبها قريباً.

(٦) المرهفة: الرقيقة، الماضية، القاطعة. الشفَّ (بفتح أو بكسر): النسيج الرقيق. المَفُوق: المختلف
الألوان.

(٧) افتنان: تَفَنَّن، تنوَّع. البنان (رؤوس الأصابع) والبيان (وضوح التدبير). بنانا وبيانا (٢) كتابة
وإنشاداً.

(٨) الأثر: العلامة الباقية بعد زوال الشيء. العيان: الشيء المائل يرى بالعين.

ورجالاً لم تَنْسَحْ لإبداعهم مجالاً.... فأظهرت ما خَفِيَ من فَخَارِهِمْ وَدَلَّتْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فِي المعارِفِ وأقدارهم. واستثَبَّتْ فِي انتقاء من أَثَبَّتْ^(١)، وانتخبت ما جَلَبَتْ وَشَفَّتْ^(٢) ما صَنَّفَتْ، حَتَّى أَتَى وَكَانَ الْبَدْرُ فِي لَبَّتِهِ^(٣) وَنَسِمَ الْمِسْكُ مِنْ هَبَّتِهِ..... ولم يزل شخصُ الأدبِ وهو مُتَوَارٍ^(٤)، وَزَنَدُهُ غَيْرُ وَارٍ وَجَدُهُ عَائِرٌ وَمَنْهَجُهُ دَائِرٌ^(٥) إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ اعْتِلَاءَ أَسْمِهِ وَإِحْيَاءَ رَسْمِهِ وَإِنَارَةَ أَفْقِهِ وَإِعَادَةَ رَوْنَقِهِ، فَبَعَثَ مِنَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَوْسُفَ تَاشَفِينَ^(٦) مَلِكاً عَلِيّاً غَدَاً لِلْبَيْتِ الْمَجِيدِ حُلِيّاً..... وَلَمَّا أَنَارَتْ (بِه تِلْكَ) الْأَفَاقُ وَعَادَ بِهِ كَسَادُ الْفَضْلِ إِلَى التَّفَاقِ^(٧)، رَأَيْتُ أَنْ أَخْدُمَ مَجْلِسَهُ الْعَالِي بِزَفٍّ (هَذَا الْكِتَابِ) إِلَيْهِ.... فَوَسَّغْتُ بِأَسْمِهِ وَكَسَوْتُهُ نُورَ رَسْمِهِ.....

- ومن أسلوبه أيضاً (قلائد العقيان، ص ١٥٤ - ١٥٥) - من ترجمة «الوزير الكاتب أبي محمد بن سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى»:

مَنْ بَلَغَتْ هِمَّتُهُ السَّمَاءَ وَجَلَّتْ أُسْرَتُهُ^(٨) الظُّلُمَاءُ، لَهُ الرَّتَبُ الْمَكِينَةُ وَعَلِيهِ الْوَقَارُ وَالسَّكِينَةُ. أَخْتَمَ بِرَاعِهِ الْعَوَالِيَّ^(٩) وَاسْتَخْدَمَ الْأَحْرَارَ وَالْمَوَالِيَّ، وَأَقَامَ بِدَوْلَةٍ آلَ ذِي النُّونِ وَأَقْعَدَ وَتَبَوَّأَ سِهَابَهَا^(١٠) وَاقْتَعَدَ. فَمَا بِهِ قَدْرُهَا وَهَمِي بِسَبَبِ قَطْرُهَا^(١١) وَحَسَنْتُ

(١) واستثبتت في انتقاء من أثبتت: طلبت التثبت (الوثوق) من الأشخاص الذين ضمنهم كتابي. (في رأيي).

(٢) الشف (بالفتح): القوط (الذي يعلق في الأذن): شفت الشيء: زينتته، حليتته.

(٣) اللبة: أعلى الصدر.

(٤) متوار: محتجب، مخفف. زنده (الخديدة التي تنفخ بها النار من حجر الصوان) غير وار (لا يعمل شيئاً) - لا نتاج أدبياً فيه.

(٥) دائر: محو.

(٦) هو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك (والي) شرقي الأندلس، وكان أدبياً.

(٧) التفاق (بالفتح): الرواج (ضد الكساد).

(٨) الأسرة (هنا) خطوط الوجه (ملاحمه).

(٩) اليراع: القلم. العوالي (جمع عالية): صدر الرمح، القسم الأعلى منه: الرماح. (جعل الرماح (الحرب) خدماً (تطيع) قلمه (أوامره) (٢)).

(١٠) السهك برج (مجموع نجوم).

(١١) همى (انهل، سقط) بسببه (بمطائه) قطرها (مطرها): كل الخير منه.

سِيرَهَا وَأَمْنَتْ غَيْرَهَا. وَحُمِدَتْ أَيَامُهَا وَوَرَدَتْ جِوَامُ الْأُمَانِي خِيَامُهَا^(١). وَلَهُ أَدَبٌ غَضَّ
 الْمُقَاتِفِ رَطْبُ الْمُعَاطِفِ. إِنْ تَنَرَّ فَاالنَجُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَاقِهَا.
 قَدْ أَخَذَ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كَلِمُهُ وَأَعَدَّ^(٢) فِي طُرُقِ الْإِبْدَاعِ قَلَمُهُ. وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مَا
 تَسْتَهْدِيهِ زَهْرًا^(٣) وَتَرْتَدِيهِ بُرْدًا مُجَبَّرًا^(٤). فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يُخَاطَبُ أَبَا عَيْسَى بِنَ
 لَبُونٍ. وَافِرٌ^(٥):

أَبَا عَيْسَى، أَتَذْكُرُ حِينَ كُنَّا عَلَى هَامِ الْكَوَاكِبِ نَازِلِينَ،
 نَدُوسُ بِخَيْلِنَا زَهْرَ الثَّرِيَا وَنُورِدُهَا الْجَمْرَةَ إِنْ ظَلَمْنَا^(٦)،
 وَتَنْزِلُ جَنَّةَ الْأَسَدِ اعْتِسَافًا إِذَا مَا الْبَدْرُ مَرَّ بِهَا كَمِينًا^(٧)...

- ٤ - أنموذج تحليلي يعطي قطعاً من ابن خاقان عن ابن زيدون (هنريكوس الجليينوس وايزر -
 فايزر)، ليدن (بريل) ١٨٣١ م (١٢٤٧ - ١٢٤٨ هـ).
 - فلانك العقيان ومحاسن الأعيان (المعني بتصححه عبده سليمان الحرائري)، (باريس)
 ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)، بولاق ١٢٨٣، ١٢٨٤، الآستانة ١٣٠٢ هـ، القاهرة (مطبعة
 التقدم العلمية) ١٣٢٠ هـ (قَمَّ له محمد العناني)، تونس (المكتبة المتينة) ١٩٦٦ م.
 - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، القسطنطينية ١٢٨٣ هـ،
 القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ، القاهرة ١٣٢٠، ١٣٢٥، ١٣٢٨ هـ.
 * * المغرب ١: ٢٥٤ - ٢٥٥، خريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٣٨ - ٥٤٨ (ترجمة الفتح بن
 خاقان)، ٢: ١٧٣ - ٣٣٧ (إشارات متفرقة)، ٣: ٣٥٥ - ٥٣٨ (نقول من القلائد في
 الأكثر ومن المطمح في الأقل)، الخريدة (الأندلس) ٢: ٦١٠ - ٦٢٤، معجم الأدباء ١٦:

- (١) ورد: ذهب إلى الماء.. الجماع جمع جثة (بالضم): معظم الماء - هذا تضمين من قول زهير بن أبي سلمى:
 فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَاءَهُ وَضَعْنِ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ.
 (زُرْقَةُ الْمَاءِ، هُنَا، كُنَايَةٌ عَنْ صِفَاءِ الْمَاءِ الَّذِي لَمْ يَكْتَرَهُ بَعْدَ أَحَدٍ بِالزُّوْلِ عَلَيْهِ قَبْلَهُنَّ).
 (٢) أَعَدَّ: أَسْرَعَ.
 (٣) زهر (بالفتح) مفرد أزهار (وبالضم) جمع أزهر (لامع) كناية عن النجوم.
 (٤) حَبَرُ الْبَرْدِ أَوْ الثَّوْبُ: وَشَاءَ وَطَرَزَهُ.
 (٥) لَأَيُّ عَيْسَى بِنَ لَبُونٍ تَرْجَمَةُ مُفْرَدَةٌ (ت بعيد ٤٩٠ هـ). وافر (من البحر الوافر).
 (٦) داس: دعس. زهر (بالضم) - راجع الحاشية رقم (٤) أعلاه. الجمرة: أمّ النجوم (نجوم كثيرة متقاربة
 ترى ممتدة في عرض السماء كأنها نهر. ظمى: عطش (في القافية إقواء: اختلاف).
 (٧) اعتسافاً: بقوة وعنف. كميناً (٤): كمين لجميع الإناث الغائبات (من « كمن »: استهتر).

١٨٦ - ١٩٢ ؛ معجم ابن الأبار رقم ٢٨٥ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٢٣ - ٢٤ ؛ الذيل
 والتكملة ٥ : ٥٢٩ وما بعدها ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ ؛ شذرات الذهب ٤ :
 ١١٠٧ ؛ نفع الطيب (نقول منه) ٢ : ٦ - ٨ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٢٤٥ - ٢٤٧ ، ٢٩٤ - ٢٩٦ ،
 ٥٢٣ - ٥٢٨ ، ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٥٤٤ - ٥٤٥ ، ٥٥٢ - ٥٥٧ ، ٤ : ٢٤ - ٢٤ ، ٥٥ - ١٦٣ ،
 ١٦٥ ، ٢٠٩ - ٢١٤ ، ٢١٨ - ٢٤١ ، ٢٤٨ - ٢٥٧ ، ٢٧٣ - ٢٨٣ ، ٧ : ١٧ - ٢٤ ،
 ٢٩ - ٦١ ثم ١٨٣ : ٣ (تعريف به) ، ٤ : ٧٢ (تقديم « القلائد » للأمير ابراهيم بن يوسف
 ابن تاشفين) ، ثم ٢٣٢ : ٣ - ٢٣٣ ، ٥ : ٤٢ ، ١٣٨ (أخبار عنه) ثم ٣٢٧ : ٦ و ٢٢٠ :
 ٧ ؛ ٩٧ : ٧ (فيما يتعلق بأناس قلدوا أسلوبه) ؛ أزهار الرياض ٣ : ١٠٣ - ١٤٨ (نقول عنه) ؛
 دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٨٣٦ ، بروكلمن ١ : ٤١٣ ، الملحق ١ : ٥٧٩ ؛ نيكلسن ٢٢٣
 (راجع ٥٣٥) ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٢٣٣ (١٣٣) ؛ بالنشأ ٢٩٦ - ٢٩٩ ؛ سركيس
 ١٤٣٥ - ١٤٣٤

ابن عبدون

١ - هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري الباطني ، نسبة إلى بَابَرَة ، وهي
 بلدة في غربي الأندلس على نحو مائة كيلومتر من بطليوس غرباً في جنوب .
 يبدو أن مَوْلَد ابن عبدون كان في منتصف القرن الخامس الهجري (نحو
 ١٠٦٠ م) . وتلقى ابن عبدون العلم على أبي الوليد بن ضابط النحوي المالقي ، كما
 روى من الأعلام الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) وأبي مروان بن سراج (ت ٤٨٩ هـ)
 وعاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ) .

ولفَتَتْ عبقرية ابن عبدون نَظَرَ المتوكلِ عُمَرَ المظفر بن الأَظْطَسِ منذ كان عمرُ
 يتولى بطليوس مع أخيه يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ) فقَرَّب ابن عبدون وأكرمه ؛ فلَمَّا
 تَوَفَّى يحيى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) وانفرد عُمَرُ بالحكم اتخذ ابن عبدون
 كاتباً ووزيراً .

ولمَّا فَتَحَ المرابطون بطليوس وقتلوا عمر المظفر وولديه العباس والفضل رثاهم
 ابن عبدون . ولكنه سرعان ما دخل في خدمة سير بن أبي بكر بن تاشفين فاتح
 طَلَنْتُسَ (٤٧٨ هـ) ، فكان ذلك من المآخذ الكبار عليه لأنه جَرَحَ بذلك وفاءه للذين

كانوا سبباً نعمته. ولعل الحاجة هي التي دفعت ابن عبدون إلى التكسب ممن قتلوا أولياء نعمته.

ولما خلف علي بن يوسف بن تاشفين أباه على عرش المرابطين، ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م)، استدعى ابن عبدون إلى مراكش وولاه الكتابة.

وعاد ابن عبدون إلى يابرة، قبيل سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) - قيل لزيارة أهله؛ ولعله فعل ذلك لتقدمه في السن ولعجزه عن القيام بهام الدولة مع تبكيت ضميمه على الدخول في خدمة المرابطين - ومكث فيها إلى أن توفي سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبد المجيد بن عبدون أديباً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مقلداً. وكان عالماً بالخبر والأثر (الحديث) عارفاً بالتاريخ واسع الحفظ للأشعار. ولم يصل إلينا من شعر ابن عبدون سوى بضع مقطعات وقصيدة واحدة تُعرف بالقصيدة العبدونية لشهرتها في المغرب والشرق وتدعى «البشامة»^(١). هذه القصيدة التي تقوم عليها شهرة ابن عبدون تتألف من خمسة وسبعين بيتاً:

الآيات التسعة الأولى مقدمة عامة في عادة الدهر وغدر الدنيا. وابن عبدون ينصح القارئ بالآيات يغتر بغفلة الدهر عنه مدة ولا بما في الدنيا أحياناً من السرور.

ثم تأتي ثمانية وثلاثون بيتاً يستعرض فيها ابن عبدون ما فعل الدهر بالأفراد العظام والقبائل القوية والدول العظيمة قبل الإسلام وبعد الإسلام، عند العرب خاصة وعند الفرس مع إشارة إلى اليونان.

ثم تأتي عشرون بيتاً في رثاء عمر بن الأفطس ولذنيه وإشهار مناقبهم وفي التفجع لهم والحزن عليهم.

(١) في بروكلمن (١: ٣٢٠، الملحق ١: ٤٨٠): البشامة والبشامة (بالتشديد فيها). وفي المغرب (١: ٣٧٦، الحاشية ١) البشامة (بلا تحريك) اسم للقصيدة. وفي المطرب (٢٧، الحاشية ٥): «البشامة» (بلا تحريك أيضاً): اسم الترح الذي صنعه ابن بدرون لهذه القصيدة. والأصوب ما ذكره نيكل (ص ١٧٦): البشامة (بلا تشديد: اسم شجرة طيبة الرائحة - القاموس ٤: ٨٠)، يدل على ذلك العنوان التام: البشامة بأطواق المهامة.

وختم القصيدة ثمانية أبيات يندب الشاعر حظّه في أربعة منها ثم يتساءل عمّن يمكن أن يقوم له مقامَ عمرَ بن الأَطفَس ولديه . وهو لا يستكثر ذلك على الدهر ولا يستغربه من الدهر لأن الدهرَ في العادة كثيرُ التقلبِ غريب الأطوار (البیتان ٧١ و٧٢ من القصيدة) . وهذا هو الذي حَمَلَ نفراً من النقاد على أن ينسبوا قِلَّة وفاء ابنِ عبدون لمن كانوا سببَ نعمته وشهرته . ثم يفتخر الشاعرُ ، في الأبيات الثلاثة الأخيرة ، بهذه القصيدة ويتنبأ لها بأن تشتهر وتسير على الألسن .

والشاعر في قصيدته هذه صحيحُ المعاني متينُ الأسلوب مقتدرٌ في النظم بارع في العرض مع شيء من التأنق (الصناعة) وشيء من التكلف أحياناً . وتبدو مقدرة الشاعر وبراعته في أنه استطاع أن يَجْمَعَ في هذه القصيدة بين كثرة الإشارات التاريخية (المُجَانِبَةِ بطَبْعها للشعر) وبين سلاسة التركيب وطلاوة الشعر . وقد صدّق المُستشرق عبد الرحمن نيكُل البوهيمي حيناً قال : « وبخلاف ما زعمَ دوزي^(١) وجميع الذين تبعوه في رأيه^(٢) من أن في هذه القصيدة جفافاً ومبالغات (جُوفاً) ، نجدُ أن هذه القصيدة تستحقُّ الشهرةَ التي تَمْتَنِعُ بها بين العرب . أما القسم التاريخي منها فلا يَصِحُّ إلا بالشرح الذي علّقه عليها ابنُ بدرون^(٣) . وعلى قارىء هذه القصيدة أن يكونَ على علم تامٍّ بما تَضَمَّنَتْ مِنَ الإشارات التاريخية ، على أن يكون هذا القارئُ مُسلِّماً أو من الذين يَشْعُرُونَ شُعورَ المسلمين . وحينئذٍ فقط يكونُ لها صدَى مستحبٌّ في نفسه » .

وكان ابنُ عبدون مؤلفاً له كتابُ « الانتصار لأبي عبيدة على ابن قتيبة » .

-
- (١) في مقدّمته لشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون .
(٢) راجع رأي دوزي موجزاً وشيئاً من التعليق عليه في كتاب « تاريخ الفكر الأندلسي » ، تأليف آخِل غسالت بالنشيا ، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد الله الحصري الشامي (بكسر الشين) ، يبدو أنه عاش مدّة في إشبيلية . وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ - ١٢١٢ م) في الأغلب .

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن عبدون من قصيدة طويلة (البشامة) يرثي بها بني الأقطس:

الدهرُ يَجْعُ بعد العين بالأثر، فما البكاء على الأشباح والصور^(١)؟
أنهاك أنهاك - لا لوك موعظة - عن نومة بين ناب الليث والظفر^(٢).
فالدهرُ حربٌ، وإن أبدى مُسالة؛ فالبيضُ والسمرُ مثلُ البيضِ والسمرِ^(٣).
فلا تُغرِّنكَ من دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا، فما صِنَاعَةُ عَيْنِهَا سِوَى السهرِ^(٤).
ما للليالي؟ أقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يدُ الغيرِ^(٥).
تسرُّ بالشيء لكن كي تَمُرَّ به، كالأنمِ ثارٍ إلى الجاني من الزهرِ^(٦).
كم دولةٍ وَلِيَتْ بالنصرِ خِدْمَتَهَا، لم تُبقِ منها - وسَلْ ذِكْرَاكَ - من خير.

★ ★ ★

هَوَتْ بدارا، وفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ، وَكَانَ عَضْبًا عَلَى الْأُمْلَاكِذَا أَثَرُ^(٧).

- (١) العين: البناء الشاخص أو الشخص المائل. الأثر: العلامة الدالة على ما كان موجوداً. - فما البكاء على الأشباح والصور: ما الفائدة من الحزن على شيء سيمحى غداً صورةً أو شيئاً.
- (٢) أنهاك: أردك، أمنك، لا ألوك موعظة: لا أض عليك بموعظة (أنصحك بجميع النصائح المعروفة والمتخيلة). أنهاك عن نومة (المطمئنان) بين ناب الليث والظفر (بين أحداث في الحياة خطيرة مثل أنياب الأسد وأظفاره).
- (٣) حرب (خصام). البيض والسمر (الأيام والليالي) كالبيض والسمر (السيوف والرماح) في الفتك بالناس.
- (٤) لا تغرور (وتطمئن) إذا أمهلتك الأيام فلم تصبك (في فترة ما) بمصيبة. الدنيا بعينها تكون دائماً ساهرة ترقب، وإن بدت لك أنها نائمة (غافلة عنك).
- (٥) - ما شأن الليالي بنا (تصيينا في كل حين بالمصائب)؟ أقال الله عثرتنا: نحانا الله معها الغير: المصائب والأحداث. خانتها يد الغير: أنزل الله المصائب بالدنيا حتى تنقل عنا ونرتاح نحن منها.
- (٦) الأنم: الحية. الجاني: الذي يجني (يقطف) الزهر. - إذا أراد إنسان أن يمد يده لقطف زهرة (اطمئناناً) بأن الأزهار لا خطر منها على الإنسان) هجم عليه منها ثعبان.
- (٧) هوت بدارا: سقطت به (أهلكته). دارا: اسم ثلاثة من مشاهير ملوك فارس: دارا الأول (ت ٤٨٦ ق. م. = ١١٠٨ قبل الهجرة) انتصر في معارك كثيرة ووحد الإمبراطورية وقام بإصلاحات كثيرة ثم انهزم في معركة ماراثون في بلاد اليونان (٤٩٠ ق. م.). دارا الثاني هو قتل أخاه من أبيه =

واشترجعت من بني ساسان ما وهبت
والعقت أختها طسما، وعاد على
ومزقت سباً في كل قاصية
وأنفذت في كليب حكمها ورمت
ولم ترد على الضليل صحتة
ودوخت آل ذبيان وإخوتهم
وأهلكت إبرويزاً بابنه ورمت
ومزقت جعفرأ بالبيض واختلست
وخضبت شيب عثمان دماً وخطت

ولم تدع لبني يونان من أثر^(١)
عاد وجزم منها ناقص المير^(٢)
فما ألتقى رائح منهم بمبتكر^(٣)!
مهلهلأ بين سمع الأرض والبصر^(٤)
ولا ثنت أبدأ عن ربها حجر^(٥)
عسأ وغصت بني بدر على النهر^(٦)
بيزدجرد إلى مرو فلم يحر^(٧)
من غيلة حمزة الظلام للجزر^(٨)
إلى الزبير ولم تسخي من عمر^(٩)

- = ثم حدث في أيامه اغتيالات كثيرة ثم توفي هو أيضاً (٣٣٠ ق. م.). دارا الثالث حاربه الإسكندر المقدوني، قتله أحد ضباطه. الغرب: حد السيف (ثم قتل قاتله؟). وقد كان هو عضباً (سيفاً قاطعاً) على (في قتال) الأملاك (الملوك) ذا أثر (فيهم: يتغلب عليهم).
- (١) سلبت بني ساسان (المرس) ملكهم الذي كانت قد منحهم إياه. وفصت على ملوك اليونان
- (٢) طسم وعاد وجرحهم من القبائل العربية البائدة (المفرضة). المرة (بالكسر): القوة. ناقص المير (مبطل، مضعف كل قوة).
- (٣) وشنت أهل سبأ (اليمن) بعد انفجار سد مأرب فتفرقوا في جميع نواحي الأرض.
- (٤) كليب وأثل كان سيد قومه قتله حماس بن مرة (ولم يكن بدانيه في الشرف والقوة)، فأثار مهلهل (أخو كليب) حرب البسوس التي دامت أربعين سنة. ثم إن مهلهلأ اعتزل الحرب وترك أرضه ولم يعرف أحد بعد ذلك ما حدث له.
- (٥) امرؤ القيس الشاعر المشهور مات (شاباً) غريباً عند أنقرة (في آسية الصغرى) بالجديري (في الأغلب). وحجر (والد امرئ القيس) والملك على بني أسد، ثار عليه بنو أسد وقتلوه. الضليل لقب امرئ القيس.
- (٦) وكذلك أوقعت القتل والفناء في بني ذبيان وأولاد أعمامهم بني عس في حرب داحس والغبراء.
- (٧) غص: شق (مضج فكسر) ببني بدر على النهر (؟) الشاعر يستعمل «غص» متعدداً. وهي لارمة.
- (٨) كسرى أبرويز الثاني قتله ابنه قباد. يزدجرد قاتله المسلمون فانهزم منهم فقتله بعض أتباعه. حار بحور: رجع. (لم يرجع إلى ملكه).
- (٩) جعفر الطيار (أخو علي بن أبي طالب) قتل في سرية مؤنة (هـ ٨) ووجد في جسده تسعون طعنة. وحمزة ابن عبد المطلب (عم الرسول) قتل في معركة أحد (سنة ٣ هـ) ومضفت هند بنت أبي سفيان (أخت معاوية) قطعة من كبده (حقدأ عليه وانتقاماً) وكان هو كرمياً ينحر الجزور (الإبل) ويطعم الناس.
- (٩) عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعمر بن الخطاب قتلوا قتلاً.

وَأَجْزَرْتَ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ
وَلَيْتَهَا، إِذْ قَدَتْ عَمْرًا مَخَارِجَةً،
وَفِي أَبِي هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنٍ
فَبَعْضًا قَائِلٌ: مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ؛
وَلَمْ تُرَاقِبْ مَكَانَ أَبِي الزُّبَيْرِ وَلَا
وَلَمْ تَعُدْ قُضْبُ السَّفَاحِ نَائِيَةً
وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا، وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ
وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ
وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنٍ

★ ★ ★

- (١) أبو حسن (علي بن أبي طالب) قتله عبد الرحمن بن ملجم. والحسين بن علي قتل في كربلاء، قتله شمر (بفتح فكسر) بن ذي الجوشن.
- (٢) عمرو بن العاص كان والياً على مصر. مرض يوماً فلم يستطع الخروج إلى صلاة الصبح ليصلي بالناس فخرج مكانه رئيس شرطته خارجة بن حذافة (يضم الحاء) فقتل (وكان المقصود بالقتل عمرو بن العاص).
- (٣) ابن هند معاوية بن أبي سفيان انتزع الخلافة من علي بن أبي طالب (أو شركه فيها على الأصح) ثم اختار آل علي الحسن بن علي للخلافة، فتنازل الحسن عنها لمعاوية. ولم يكن ذلك منتظراً منه. المضلة هي المشكلة التي لا حل لها.
- (٤) يقال إن معاوية وعد امرأة الحسن أن يزوجه ابنة يزيد إذا هي قتلت زوجها الحسن. وهنا جماعة لا يريدون أن يتكلموا في ذلك فسكتوا. الحصر: المعجز عن الكلام.
- (٥) وعبد الله بن الزبير قتله الحجاج بن يوسف السفهاني (والي بني أمية على الحجاز) وكان ابن الزبير قد التجأ إلى الكعبة. البيت (الكعبة). الحجر (الحجر الأسود).
- (٦) القضيبي: السيف. السفاح: أبو العباس (أول الخلفاء العباسيين). نائية (بعيدة). مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين). الفاجر: الفاسق الذي يرتكب المعاصي (الذنوب). كان أهل الأندلس (في الأكثر) يحبون بني أمية ويكرهون بني العباس.
- (٧) أشرق فلان فلاناً بالاء: أغصه (جعلته يَغصُ - بفتح الياء والفن - لا يصفه). (هنا) الحياة أشرقت جعفرأ البرمكي (أماته بيته - بكسر الميم -) غص فيها بدمه. ريق الصارم (السيف) الذكر (المصنوع من الحديد الذكر: الفولاذ). الفضل (أخو جعفر) ويحيى (أبو جعفر). لَمَّا نكب هرون الرشيد البرامكة لم يقتل منهم إلا جعفرأ. ولكنه صادر أموال الباقيين.
- (٨ و ٩) أوثق: قيد، ربط. المروءة (بالضم): الرباط. أشرق: أغص. - إن الخلفاء والأمراء الذين تلقبوا =

بني المظفر، والأيام ما برحت
سُحفاً ليومكم يوماً ولا حَمَلَتْ
مَنْ لِلأَسِيرَةِ أَوْ مَنْ لِلأَعْنَةِ أَوْ
مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ
أَوْ دَفَعَ كَارِثَةً أَوْ رَدَعَ آزِفَةً
وَبِيعَ السَّاحَاحَ وَوَبِيعَ الْبَاسَ لَوْ سَلِمَا
سَقَتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَاسِ هَامِيَةً
ثَلَاثَةً مَا رَأَى الْعَصْرَانِ مِثْلَهُمْ
ثَلَاثَةً مَا أَرْتَقَى النَّسْرَانِ حَيْثُ رَقُّوا
ثَلَاثَةً كَذَوَاتِ الدَّهْرِ مَذْنَاوَا
مَرَّاجِلًا وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرٍ^(١)
بِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي مُقْبِلِ الْعُمْرِ^(٢).
مَنْ لِلْأَسْنَةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثَّقَرِ^(٣)؟
مَنْ لِلسَّاحَةِ أَوْ لِلنَّعْجِ وَالضَّرَرِ^(٤)؛
أَوْ قَنَعَ حَادِثَةً تَعْيَا عَلَى الْقَدْرِ^(٥)؟
وَحَسْرَةُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا عَلَى عَمْرِ^(٦)
تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَاحًا لَا إِلَى الْمَطْرِ^(٧).
فَضْلًا، وَلَوْ عَزَّزَا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٨)؛
وَكُلُّ مَا طَارَ مِنْ نَسْرِ وَلَمْ يَطِرْ^(٩).
عَنِّي مَضَى الدَّهْرُ لَمْ يَرْبِعْ وَلَمْ يَحْرِ^(١٠)

بألقاب هي: المعتمد والمقتدر والمأمون والمؤتمن والمنصور والمنصر وغير ذلك من الألقاب التي تدل على السلامة والقدرة والانتصار كلهم ماتوا أو سجنوا أو قتلوا (لأن للحياة سنة ثابتة تنبئها ولا تنهم بأمانى البشر).

- (١) مراحل (فترات زمنية). الورى (جميع الناس) على سفر (ينتظرون الموت).
- (٢) سُحفاً (بمداً) ليومكم (الذي قتلتم فيه).
- (٣) السرير: العرش (الملك). العنان: الرنس (الخيل، الشجاعة). السنان: الحديدة في رأس الرمح (الحرب). الثغر (الحدود الشمالية في الأندلس المتاخمة لمالك الصاري): الجهاد.
- (٤) البراعة (في نظم الشعر؟). البراعة: القلم (كتابة النثر). الساحة: الجود والكرم.
- (٥) الأزفة: القيامة، ميتة (بكسر الميم) السوء. حادثة (مصيبية) تعيا على القدر (يعيا على الإنسان أن يقاوم فيها القدر).
- (٦) السباح: التسامح والتساهل وسعة الصدر. البأس: القوة، الحرب. عمر بن محمد المتوكل، سن الألفس صاحب بطليوس (من ملوك الطوائف) قتله المرابطون مع ولديه، سنة ٤٨٧ هـ.
- (٧) ثرى: تراب (تربة، قبر). هامية: حاية مطيرة. سباحاً (جوداً وكرماً). تعزى: تنسب.
- (٨) العصران: الصباح والمساء (الدهر كله). عزَّزَ فلان فلاناً بفلان: أهداه، ضمه إليه.
- (٩) النسران: نجان في السماء. رقي: ارتفع. ما طار من نسر (النسر من الطيور) وما لم يطر (النسر من النجوم).
- (١٠) ذوات الدهر: كملوك الدهر (كانوا في ملكهم يملون إرادتهم على الأيام، فأملى الآن الدهر إرادته عليهم). نأوا: بعدوا، ابتعدوا (ماتوا) - مضى الدهر عني (زالت سعادتي). لم يربع (لم يبق، لم يستمع). ولم يحمر (من حار بجهور: رجع عاد) لم ألقى توفيقاً ونجاحاً بدمهم.

ومرّ من كلّ شيء فيه أطيبه
من للجلال الذي غصّت مهابته
أين الإباء الذي أرسوا قواعدهُ
أين الوفاء الذي أصفوا شرائعهُ
من لي، ولا من بهم، إن أظلمت نُوبٌ،
من لي، ولا من بهم، إن عطّلت سننٌ
على الفضائل إلّا الصبر بعدهم
يرجو عسى، وله في أختها طمعٌ؛
قرّطت أذان من فيها بفاضحة
سيارة في أقاصي الأرض قاطعة

حقّ التمتع بالآصال والبكر^(١).
قلوبنا وعيون الأنجم الزهر^(٢) ؟
على دعائم من عزٍّ ومن ظفر^(٣) ؟
فلم يرِدْ أحدٌ منها على كدر^(٤) ؟
ولم يكن ليئلهما يُفضي إلى سحر^(٥) ؟
وأخفيت السن الآثار والسير^(٦) ؟
سلام مرتقب للأجر منتظر^(٧) .
والدهر ذو عقب شتى وذو غير^(٨) .
على الحسان حصى الياقوت والدرر^(٩) .
شفاشقا هدرت في البدو والحضر^(١٠) .

(١) مرّ (من مرّ يمرّ بضم الميم في المضارع): ذهب، مضى، انقضى، انتهى؛ أو (من مرّ يمرّ بفتح الميم في المضارع: صار مرّاً، فيه مرارة). الأصيل (بين العصر وغيب الشمس) والبكرة: الصباح (وقت الهدوء والتمتع بالراحة).

(٢) غصّ: خفض، نقص أو أنقص. الزهر: النجوم الالامعة.

(٣) أرسى القواعد: جعلها راسخة (ثابتة).

(٤) الشريعة: مكان الشرب من النهر وغيره. ورد (شرب).

(٥) من لي؟ من يعني، من ينفذني؟ لا من بهم (؟) نائية: مصيبة. ليلها يفضي: يؤدّي. إلى سحر: صباح (إذا لم تتكشف عني الغمة، فمن يساعدي على إنقاذي منها؟).

(٦) عطّلت سنن (طرقات، شرائع)..... ثم من يجهر بفضلهم بعد أن تحمي آثارهم وتنتلف كتب التاريخ في حكم المرابطين (كان المرابطون - في أوّل الأمر على الأمل - لا يشجعون الشعر والثقافة).

(٧) لقد فارقتي كلّ ما كان في من فضائل (خسرت المال والجاء والسرور)..... ولكن لم أخسر الصبر لأنني صبر على أن أصبر).

(٨) المرتقب (المنتظر الصابر، أي الشاعر) يرجو «أأمل» عسى أن تسبّل الأحوال. وله في أختها «لعل» أمل آخر. والدهر ذو عقب - جمع عقبية: تعاقب، الخير بعد الشر، والنشر بعد الخير. الغير (جمع غيره بكسر الغين): أحداث الدهر وأحواله.

(٩) قرّط الأذن: جعل فيها قرطاً. من فيها (من ذكر منهم فيها: عمر المتوكل وأبناءه) - مدحتهم فيها مدحاً جيلاً. بفاضحة: (بقصيدة) تفصح (تخفّض عن الياقوت والدرر: اللؤلؤ) بما تنزّين به الحسان (النساء الجميلات).

(١٠) سيارة (مشهورة، متداولة بين الناس) قاطعة (مسكنة) شفاشقا (أصواتاً عالية: أشعاراً تنشد بصوت =

- ولابن عبدون رسالة طويلة كتبها سنة ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ هـ) عن أمير المسلمين علي بن تاشفين يذكر فيها فتح مدينة شنترين:

..... وكانت قلعة شَنْتَرِينَ - أدام الله أمرَ أمير المسلمين - من أحصن المعاقِلِ للمُشْرِكِينَ وأثبت المعاقِلِ^(١) على المسلمين. فلم نَزَلْ بِسَعْيِكَ الَّذِي أَكْتَفَيْنَاهُ وَهَذِيكَ الَّذِي أَكْتَفَيْنَاهُ نَخْضُدُ شَوْكَتَهَا^(٢).... وَنَتَنَاوِلُهَا عِلَّاءَ بَعْدَ نَهْلٍ وَنُطَاوِلُهَا عَجَلًا فِي مَهَلٍ^(٣).....

ولعلَّ..... أحاطَ بِهِمُ الْبَلَاءُ، واستشاطَ عَلَيْهِمُ بِغَضَبِ الْجَبَّارِ الْقَضَاءُ^(٤)، ولم يكن لِلَّيْلِ بِأَسَائِهِمْ سَحَرٌ يُتَأَمَّلُ^(٥).... اختاروا الدِّينَةَ عَلَى الْمَنِيَّةِ وَرَضُوا بِالْإِسْتِسْلَامِ لِلْمُجُودِيَّةِ..... وَكَانَ الْقَتْلُ - كَمَا قَدَّمْنَا - قَدْ أَتَى عَلَى صَيْدِ أَغْيَانِهِمْ وَصَنَادِيدِ^(٦) فُرْسَانِهِمْ..... وَقَدْ سَأَلُونَا الْإِبْقَاءَ عَلَيْهِمْ فَأَجَبْنَاهُمْ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمُوا مِنَ الْخُضُوعِ صَدَقَةَ بَيْنِ يَدَيِ نَجْوَاهُمْ^(٧). وَوَهَبْنَا أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ^(٨)، وَجَعَلْنَا الْعَفْوَ عَنْهُمْ تَطْرِيقًا

(عال) هدرت (ترددت بقوة وبصوت مرتفع) في اليد والحضر (في البادية وفي المدينة: في كل مكان) - هذه القصيدة ستسني الناس جميع القصائد الأخرى.

(١) المعاقِل جمع معقل. من أحصن (أشد) المعاقِل للمُشْرِكِينَ. أثبت المعاقِل على المسلمين (من أرسخ القلاع، الحصون لوصول المسلمين إليها).

(٢) اكتفى: أتبع. اكتفيناها (اكتفينا: قنعنا به). خصد: كسر. الشوكة: القوة، السلاح.

(٣) الطل: الشرب شيئاً فشيئاً. النهل: الشرب بقدر كبير. نطاوِلها: غاطل (نتظاهر بالتأخر في أخذها). عَجَلًا (ونحن في الحقيقة نابعهم فيها يبدو منّا مهلاً) (تَهَل، تَأَن، تَأَخَّر).

(٤) شاط: حمى، سخن، احترق. الجَبَّار (الله تعالى).

(٥) البأساء: الشدة، الضيق. سحر (صباح، فرح) يتأمل: ينتظر (يرجى).

(٦) الأصيد: المائل العنق (المتكبر اعتدأ بنفسه). الصنديد: البطل القوي.

(٧) قدّموا صدقة بين يدي نجواهم. هذه الجملة مقتبسة من القرآن الكريم: «إذا ناجيتهم الرسول فقدّموا

بين يدي نجواكم صدقة» (٥٨: ١٢، راجع ١٣، سورة المجادلة). ومعنى الآية: إذا كنتم تريدون أن

تخاطبوا الرسول سرّاً في أمر من أموركم الشخصية فتصدّقوا قبل ذلك شيء إلى أحد المهاجرين دلالة

على حبكم للخير، وعلى أنّكم لا تطلبون المشاورة مجاناً حيناً تريدون. بل يجب أن تشعروا أنّ عليكم في

ذلك أيضاً واجباً يجب أن تؤدّوه نحو المؤمنين. ومعنى الجملة: أنّ الإسبان لما خاطبونا سرّاً في أمر

النسلم دفعوا جزية.

(٨) وهبنا أولاهم (كبار السنّ فيهم؟) لأخراهم (لنسلم حتّى يرثوهم؟).

لسواهم من يَتَقَبَّلُ صَنِيعَهُمْ^(١) إِذَا نَحْنُ غَدَاً - بِإِذْنِ اللَّهِ - حَاصِرَانَهُمْ.....

- ٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨ م (في مجموعة نشرها محيي السن صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ .
- كرامة الزهر وفريدة الدهر: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٦ م .
- ★ ★ فلاندة المقيان ١٦٤ - ١١٦٨ : الصلة (رقم ٨٢١)، الذخيرة ٢ : ٦٦٨ - ١٧٢٧ : المغرب ١ : ٣٧٤ - ٣٧٦ : بغية الملتبس ٥٢٣ (رقم ١٥٦٧)، المطرب ١٨٠ - ١٨٣، راجع ٢١ - ٣٣ : المعجب ٥٣ - ٦٣، ١١٥ - ٢٢٢ : فوات الوفيات ٢ : ١١ - ١١٣ : صلة الصلة ١٤٢ : أعمال الأعلام ١٨٦ - ١٨٩ : نفع الطبيب ١ : ١٨٥، ٤٤٢، ٦٦٣ - ٦٦٦، ٦٧٣ - ٦٧٥ : ٣ : ٢٩٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٥٤، ٤٧٠ - ٤٧١، ٦٠٩، ٣٠٥ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٨٠ : بروكلمن ١ : ٣٢٠ - ٣٢١، الملحق ١ : ٤٨٠ : نيكل ١٧٥ - ١٧٩ : مختارات نيكل ١٢٠ - ١٣٢ : الأعلام للزركلي ٤ : ٢٩٣ (١٤٩) : بالنشأ ١١٨ - ١٢٠، سر كيس ١٦٧ .

ابن حديد الصِقْلِيّ

١ - هو عبدُ الجبَّارِ بنُ أبي بكرٍ مُحَمَّد بنِ حَمْدِيسِ الأَزْدِيُّ الصِقْلِيُّ، وُلِدَ في مدينة سَرَقُوسَةَ (في جزيرة صِقْلِيَّةٍ أو صقلية)، سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م)، في أسرة عربية تنتمي إلى الأزد من عَرَبِ الجَنُوبِ. وكانت أسرُهُ مُتَدَبِّئَةً مُحَافِظَةً. وَمَعَ ذلك فقد انصَرَفَ ابنُ حديدٍ في مُطَلَعِ حَيَاتِهِ إلى اللُّهُو كثيرًا.

في سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ - ١٠٧٩ م) كان النورمَنْدِيُّونَ قَدِ اسْتَوْلَوْا على مُعْظَمِ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ، فرأى ابنُ حديدٍ أن يُغَادِرَ صِقْلِيَّةً فَاخْتَارَ أن يذهبَ إلى إفريقية (تونس)، فَمَكَثَ هنالك مدَّةً ثُمَّ انتقلَ إلى الأندلسِ طَمَعًا في أن ينالَ حَظْوَةً عِنْدَ ملوكِها. ففي سَنَةِ ٤٧٧ هـ حلَّ في إشبيلية عاصمة المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّاد وأقام فيها مدَّةً مُهملاً

(١) تطريقاً: شق طريق (قدوة لغيرهم ليفعلوا مثل فعلهم حيناً تنقلب عليهم). يتقبل (يستظلل في القائلة: وقت القيلة: النوم بعد الظهر، يستريح) صنيعهم (عملهم). يقصد الكاتب: ليكون ما عاملناهم به تشجيعاً لغيرهم أن يفعل مثل ما فعلوا (في الاستسلام لنا).

نازلًا في خانٍ ينتظرُ أن يستدعيه ابنُ عبَّادٍ حتَّى قَطَعَ أو كاد . ثمَّ جاءه رَسولُ المعتمدِ فذهبَ إليه . وامتحنَه المعتمدُ بقولِ الشعرِ بديهةً وسرًّا من بديته . ونالَ ابنُ حمديسٍ عندَ المعتمدِ حُظوةً ومالًا وشُهرةً . ولها في إشبيلية ما شاء له اللّهُو .

وفي سنة ٤٨٤ هـ ، بعد أسْرِ المعتمدِ بنِ عبَّادٍ على يدِ المُرابطين ، انتقلَ ابنُ حمديسٍ إلى المَغْرِبِ وَتَطَوَّفَ بينَ أَعْيَانِ (قَرَبَ مدينةَ مَرَاكُشَ ، حيثُ كانَ المعتمدُ أسيرًا سجينًا) وبينَ سَفَاقِيسَ (في تُونِسَ على شاطئها الشرقي) وبالمدنِ التي بينهما عِشْرِينَ سَنَةً من غيرِ أنْ يَقَطَعَ صِلَتَهُ بالمعتمدِ . فلَمَّا ماتَ المعتمدُ (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) اتَّصلَ ابنُ حمديسٍ ببني عِلَّاسَ وبني زيري وبني خُرَّاسان - ولكنه لم يتَّصلَ بسلاطينِ المُرابطينَ وفاءً منه للمعتمدِ - . وأخيرًا اسْتَقَرَّ في بجايةَ (على الساحل ، شَرْقَ مدينةِ الجزائرِ) ، ويبدو أَنَّهُ كانَ قد عَمِيَ في ذلكَ الحينِ .

وكانتْ وفاةُ ابنِ حمديسٍ في بجايةَ ، في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٢٩ (تموز - يوليو ١١٣٥ م) .

٢- ابنُ حمديسٍ الصِّقْلِيُّ شاعرٌ مُكثِّرٌ مُجيدٌ من أكبرِ شعراءِ الأندلسِ ؛ وأسلوبُهُ مألوفٌ - على عَمودِ الشعرِ العربي - وعلى شِعْرِهِ أثرٌ واضحٌ من النَّفْسِ المَشْرِقي في الفنونِ التقليدية ، ويَظْهَرُ هذا الأثرُ في المعاني وفي الألفاظِ والتراكيبِ . ومعَ أَنَّ ابنَ حمديسٍ شاعرٌ وَجْداني يَجْري في نَظْمِهِ على السليقة ، فَإِنَّهُ يُوغِلُ أحيانًا في التكلُّفِ: في التجنيسِ والمطابقة . وشعرُ ابنِ حمديسٍ قصيدٌ وَرَجَزٌ قصائدٌ طيولًا ومُقطَّعاتٌ قصارًا . أما فنونه فالمديحُ والثناءُ (وليس له هجاءٌ) والغزلُ والنسيبُ والشكوى ، وَهُوَ كثيرُ الحنينِ إلى موطنه صقليةَ وإلى أيامِ طفولته وشبابه . ووصفه بارعٌ جدًّا ؛ وهو وصافٌ لمظاهرِ الطبيعةِ في مقطَّعاتٍ وفي مطالعِ القصائدِ أو في ثناياها أحيانًا ، ممَّا يذهبُ عادةً بقيمةِ فنونه الأخرى إذ يَضِيعُ المديحُ مثلًا في الأوصافِ المُتراكِمة . وقد تَضَعُفُ أوصافُهُ حينًا حينًا يُغْرِقُ في تَطَلُّبِ الصُّورِ الشعريةِ الغريبةِ فتَقْصُصُ تلكَ الصُّورِ . وكذلك له شيءٌ من الحُمُرياتِ والطَّرْدِ (وصفِ الحيوانِ) والحِكْمَةِ والرَّهْدِ .

ولابنِ حمديسٍ كتابٌ اسمه « تاريخ الجزيرة الخضراء » .

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ حديسٍ يتذكَّرُ صقلِيَّةً ويصفُ الخمرَ والرقصَ من قصيدة

مطلعها:

قَصَّتْ فِي الصَّبَا النَّفْسُ أَوْطَارَهَا، وَأَبْلَغَهَا الشَّيْبُ إِذْ نَادَاهَا^(١).

منها:

وَرَاهِبَةٌ أَغْلَقَتْ دَيْرَهَا فَكُنَّا مَعَ اللَّيْلِ زُورَاهَا.

هَدَانَا إِلَيْهَا شَذَا قَهْوَةٍ تَذِيحُ لَأَنْفِكَ أَسْرَارَهَا^(٢).

طَرَحْتَ بِمِيزَانِهَا دِرْهَمِي فَأَجَرْتُ مِنَ الدَّنِّ دِينَارَهَا^(٣).

تَفَرَّسَ فِي شَمِّهِ طَيْبَهَا مُجِيدُ الْفِرَاسَةِ فَاخْتَارَهَا^(٤).

فَتَنَّى دَارِسَ الْخَمْرِ حَتَّى دَرَى عَصِيرَ الْخُمُورِ وَأَعْصَارَهَا^(٥).

يَعُدُّ لَهَا شَيْئًا مِنْ قَهْوَةٍ سِنِيهَا وَيَعْرِفُ خَمَارَهَا.

وَقَدْ سَكَنْتُ حَرَكَاتِ الْأَسَى قِيَانٌ تُحَرِّكُ أَوْتَارَهَا^(٦).

فَهَذِي تُعَانِقُ لِي عُودَهَا وَتِلْكَ تُقَبِّلُ مِزْمَارَهَا.

وَرَاقِصَةٌ لَقَطَتْ رِجْلَهَا حِسَابَ يَدٍ نَقَرَتْ طَارَهَا^(٧).

(١) - في أيام الصبا نلت جميع أوطاري (غاياتي ومآري)، فلما جاء الشيب أجبرني على ترك اللذات وأخبرني بقرب الموت.

(٢) الشذا: الرائحة. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

(٣) - أعطيتها درهماً أبيض (من فضة) فوزنت لي خيراً حراء (كالنير: الذهب).

(٤) تفرس: نظر، تثبت (فحص واختبر). والاسم من « تفرس » الفراسة بكسر الفاء (القاموس ٢: ٢٣٦، السطر الثالث من أسفل).

(٥) دارس = درس: تعلم الخصائص في الأشياء. درى يدري: أدرك، عرف. عصير الخمر: نوعها (العنب الذي عصرت منه). أعصارها (بفتح الهمزة): زمنا الذي عصرت فيه.

(٦) الأسا أو الأسى: الحزن. (والحزن أحياناً يجعل الإنسان مضطرباً). قيان جمع فينة (بفتح القاف): المرأة الجميلة التي تحترف اللهو (كسقي الخمر والرقص الخ).

(٧) الطار والطاردة (ليسا في القاموس): الدف، أداة موسيقية تتألف من إطار يشد عليه رقى (بكسر الراء: جلد رقيق) وينقر عليه. نقرت رجلها حساب يد: ضربت الأرض برجلها ضرباً يماثل نقر الأصابع على الدف.

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُعَيِّجُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا^(١)،
وَمَنْزِلَةً لِلتَّصَايِي خَلَّتْ، وَكَانَ بَنُو الظَّرْفِ عُمَارَهَا^(٢)،
فَإِن كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا،
وَلَوْلَا مُلُوحَةٌ مَاءِ الْبِكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا،
ضَحِكْتُ ابْنَ عَشْرَيْنَ مِنْ صَبُوءٍ بَكَيتُ ابْنَ سِتِّينَ أَوْزَارَهَا^(٣)،
فَلَا تَغْطُمَنَّ لَدَيْكَ الذُّنُوبُ، فَمَا زَالَ رَبُّكَ غَفَّارَهَا.

- وقال يصف جماعة على جانبي نهر يشربون خمراً:

وَمُطَرَّدِ الْأَجْزَاءِ يَصْفُلُ مَتْنَهُ صَبَاً أَعْلَنْتُ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ^(٤)؛
جَرِيحٍ بِأَطْرَافِ الْحَصَى كُلِّمَا جَرَى عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعَهُ بِخَرِيرِهِ^(٥)،
شَرِبْنَا عَلَى حَافَاتِهِ دَوْرَ سَكْرَةٍ؛ وَأَقْتَلُ سَكْرًا مِنْهُ لَحْظُ مُدِيرِهِ^(٦)،
كَأَنَّ الدُّجَى حَطَّ الْمَجْرَةَ بَيْنَنَا وَقَدْ كَلَّلَتْ حَافَاتِهَا بِبِدْوَرِهِ^(٧).

(١) - شقاء الإنسان في حاضره يذكره النعم في ماضي حياته.

(٢) التصابي هو أن يشوق الحب محبوباً إلى نفسه (أيام التصابي: أيام الشباب). الطرف: الكيافة وحسن الوجه واللسان (يستعمل للفتيان والفتيات لا للشيوخ). العمار: السكان: عمر الأرض أو المكان أو المنزل: سكنه.

(٣) - سررت وأنا ابن عشرين سنة من الصبوة (الجهلة في زمن الشباب، الانفاس في الحب) ثم أصبحت وأنا ابن ستين أشكو من نتيجة ذلك في صحتي وفي دمي (الذنب الذي تحمّلته من جراء ذلك).

(٤) مطرد الأجزاء: متتابع الأجزاء على استواء. صقل: جلا، جعل الشيء أملس. متنه: ظهره، سطحه (سطح النهر). الصبا: ربيع الشرق. أعلنت: أظهرت. ما في ضميره: ما في جوفه (في قاعه).

(٥) يقول الشاعر: هذا النهر يتقلب في سيره على حصي (حجارة صفراء) فتجرحه فيتألم فيحدث خربراً (صوتاً حافناً كالغليظ الخارج من أنف النائم). - إن معنى هذا البيت يألف في المنطق مع معنى البيت السابق (لأن النهر المستوي الأجزاء المصفول السطح لا يحدث الصوت الذي يقصده الشاعر هنا).

(٦) حافتا الوادي: جانبيه. دور سكرة: شرب جماعة الشاربين مرة واحدة من خمر تدور عليهم. - على أن الذي جعلنا سكارى ليس هذا الدور من الخمر ولكن عيون الساقم الذي كان يدير علينا هذه الخمر.

(٧) كأن الدجى (الليل) حطّ (أنزل) المجرة (يشبه الشاعر النهر الأبيض في المرح الأخضر أو في الأرض الداكنة بنهر المجرة في عرض السماء ليلاً) غير أن هذا النهر يحيط به بدور (شباب صباح الوجوه) بينا المجرة في السماء يظهر عند أطرافها نجوم (صفار).

كَلَفْتُ بِكَاسَاتِ الصَّبَوحِ مُبَكَّرًا؛ وَكَمْ بَرَكَاتٍ لَلْفَقَى فِي بُكُورِهِ^(١).
هُوَ الْعِيشُ فَاغْنَمْ مِنْ زِمَانِكَ صَفْوَهُ وَصِدْ قَنَصَ اللَّذَاتِ قَبْلَ مُثِيرِهِ^(٢).

- وقال في الدعوة إلى الجهاد بعد الاضطرار إلى الجلاء عن الوطن:

بِني الثَغَرِ، لَسْتُ فِي الْوَعَى مِنْ بَنِي أُمِّي إِذَا لَمْ أَصِلْ بِالْعَرَبِ مِنْكُمْ عَلَى الْعُجْمِ^(٣)؛
فَرُدُّوْا وَجُوهَ الْحَيْلِ نَحْوَ كَرِيهِةٍ مُصَرَّحَةٍ لِلرُّومِ بِالتَّكْلِ وَالْيَتَمِ^(٤)؛
وَصُولُوا بِبَيْضِ فِي الْعَجَاجِ كَأَنَّهَا بُرُوقٌ بِضَرْبِ الْهَامِ مُحْمَرَّةُ السَّجَمِ^(٥)،
وَقَرِّعُ الْحَسَامِ الرَّأْسَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ سَمْعِي مِنَ الثَّغْرِ فِي الْبَيْتِ^(٦).
وَلَقَدْ أَرْضٌ إِنْ عَدِمْتُمْ هَوَاءَهَا فَأَهْوَاؤُكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنْشُورَةٌ النَّظْمِ^(٧)؛
وَعِزُّكُمْ يُفْضِي إِلَى الذَّلِّ، وَالنَّوَى مِنَ الْبَيْنِ تَرْمِي الشَّمْلَ مِنْكُمْ بِمَا تَرْمِي^(٨).
فَإِنَّ بِلَادَ النَّاسِ لَيْسَتْ بِلَادَ كَمْ وَلَا جَارُهَا وَالْخَلْمُ كَالْجَارِ وَالْخَلْمُ^(٩).
أَعَنْ أَرْضَكُمْ يُغْنِيكُمْ أَرْضٌ غَيْرُكُمْ؟ وَكَمْ خَالِيَةً جِنْدَاءٌ لَمْ تُغْنِ عَنْ أُمَّ^(١٠)!

(١) كلف فلان بالشيء: تعلقت به نفسه، اشتد حبه له.

(٢) القنص: الطريدة، ما يصيده الصياد. مثير الصيد: كلب أو إنسان يسير أمام الصياد ليدله على مكان الطائر أو ليشير الطائر الذي يكون كاساً هادئاً، ويكون ذلك عادة بإحداث صوت أو إلقاء حجر. وصد قنص اللذات قبل مثيره: أقبل على اللذة ما دمت أنت قادراً عليها وقبل أن تحتاج إلى من يدلك عليها (٤).

(٣) الثغر: المكان على حدود أرض العدو. بني الثغر: الأشخاص الموجودون في أرض يحتلها عدو. صال: وشب، هجم. العجم (بضم فسكون أو بفتح ففتح) = عجم الأندلس (إفرنج الأندلس الذين لم يكونوا يتكلمون اللغة العربية): الأعداء.

(٤) الكريهة: الحرب. التكل: التزج زوجه. اليم: فقد الولد أبويه. الروم: إفرنج الأندلس. الإفرنج عامة.

(٥) صولوا (اهجموا) ببيض (بسيوف) في العجاج (غبار المعارك، في الحرب). - كَانَ الْبَيْضُ السِّيُوفُ بِرُوقٍ (لبياض لونها ولكنها تصبح) بِضَرْبِ الْهَامِ (الرؤوس) مُحْمَرَّةُ السَّجَمِ (يسيل منها الدم الأحمر).

(٦) الرأس مفْعول به (من المصدر « قرع » المضاف إلى فاعله). اليم: الوتر الغليظ في العود (أحب إلي من سماع الموسيقى).

(٧) إذا عديمتم شئ هواء بلادكم (إذا جلوتم عنها) تفرقت أهواؤكم (غاياتكم وجهودكم).

(٨) يفضي: يقود، يؤدي إلى. - وتفرق الناس في الأماكن المتباعدة بقطع الصلات التي بينهم.

(٩) - وليس الجار في البلاد الغربية كالجار في وطنك ولا الخلم (الصدق) هناك كالخلم في الوطن.

(١٠) الجيداء: طويلة الجيد (العنق) (جيلة أو كريمة الأصل).

تَقَيَّدَ من القَطْرِ العزیز بِمَوْطِنٍ وَتَ عِنْدَ رَبِّعٍ من ربوعك أَوْرَشَمُ^(١) .
وإِيَّاكَ يَوْمًا أَنْ تُجَرَّبَ غُرْبَةً؛ فَلَنْ يَسْتَجِيرَ الْعَقْلُ تَجْرِبَةَ السُّمِّ^(٢) !

- وقال يصف الخمر في مطلع قصيدة في المديح:

قُمْ هَاتِيهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الْوِشَاحِ فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بِشَيْرِ الصَّبَاحِ^(٣) .
خَلَّ الْكَرَى عَنْكَ وَخَذَ قَهْوَةً تُهْدِي إِلَى الرُّوحِ نَسِيمَ ارْتِيَاحِ .
هَذَا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ، فَمَا عُدْرُكَ فِي تَرْكِ صَبُوحِ الصَّبَاحِ^(٤) .
بَاكِزٍ إِلَى اللَّذَاتِ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهِو ذَوَاتِ الْمِرَاحِ^(٥) .
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَرْتُشِفَ شَمْسُ الضُّحَى رَيْقَ الْفَوَادِي مِنْ تُغُورِ الْأَفَاحِ^(٦) ،
فِي رَوْضَةٍ غَنَاءَ غَنَّتْ بِهَا فِي قُضْبِ الْأَوْرَاقِ وَرُقَى فِصَاحِ^(٧) .
لَا يَعْرِفُ النَّاطِرُ أَغْصَانَهَا - إِذَا تَنَنَّتْ - مِنْ قُدُودِ الْمِلَاحِ^(٨) !
بَا صَاحِ ، لَا تَضَحُ ، فَكَمْ لَذَّةٌ فِي السُّكْرِ لَمْ يَذَرْ بِهَا عَيْشُ صَاحِ^(٩) ،
وَارْكَبْ زَمَانًا لَا جَاحَ لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْذُثَ فِيهِ الْجَاحُ^(١٠) .

(١) تَقَيَّدَ: ضَع قَيْدًا فِي رَجْلِكَ (لَا تَرْجِ وَطَنَكَ). الربيع: المكان المأهول. الرسم: المكان إذا خرب وهجره الساكنون.

(٢) لَا تَجَرَّبَ هَجَرَ الْوَطَنِ لِأَنَّهُ مَوْتُ أَوْ كَالْمَوْتِ. كَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَجْرِبَ فَعَلَ السُّمُّ فِي نَفْسِهِ هُوَ (يَكْفِي أَنْ يَرَى غَيْرَهُ مَاتَ بِالسُّمِّ كَمَا يَكْفِي أَنْ يَرَى حَالِ غَيْرِهِ مَيِّتًا جَلُوا عَنْ أَوْطَانِهِ).

(٣) هَاتِيهَا: هَاتِ الْخَمْرَ. الْوِشَاحُ (يَكْسِرُ الْوَاوُ أَوْ بَضْمَهَا): حَلِيَّةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَجَوْهَرٍ تَلْبَسُ فِي الْعُنُقِ؛ غِطَاءٌ عَرِيضٌ مَرَصُوعٌ بِالْجَوَاهِرِ تَضَعُهُ الْمَرْأَةُ عَلَى كَتِفَيْهَا. ذَاتِ الْوِشَاحِ: الْمَرْأَةُ (الْجَمِيلَةُ). - إِنَّ الْبَشِيرَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى قَرَبِ طُلُوعِ الصَّبَاحِ قَدْ دَلَّ عَلَى قَرَبِ انْقِضَاءِ اللَّيْلِ.

(٤) الصَّبُوحُ: شَرَبُ الْخَمْرِ فِي الصَّبَاحِ.

(٥) سَوَابِقُ (خَيْلٍ) اللَّهُو ذَوَاتُ الْمِرَاحِ (النَّشَاطُ وَالتَّيَخُّرُ).

(٦) تَرْتُشِفُ: تَشْرَبُ. الْفَوَادِي جَمْعُ غَادِيَةٍ: السَّحَابَةُ الْمَطْرَةُ فِي الصَّبَاحِ. - قِيلَ أَنْ تَجَقَّفَ الشَّمْسُ الْأَزْهَارَ (قِيلَ أَنْ يَذْهَبَ الشَّبَابُ).

(٧) الْقُضْبُ جَمْعُ قُضْبِيٍّ: غَصْنٌ. قُضْبُ الْأَوْرَاقِ: الْأَغْصَانُ الْمَكْسُوءُ بِالْوَرَقِ (كُنَاةٌ عَنِ الرَّبِيعِ). الْوُرُقُ (بِضَمِّ الْوَاوِ) جَمْعُ وَرْقَاءَ: حَامَةٌ. فِصَاحُ جَمْعُ فِصِيحَةٍ: وَاضِحَةٌ (عَذْبَةٌ الْفَنَاءِ).

(٨) - لَا يَفَرِّقُ النَّاطِرُ بَيْنَ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ (فِي اسْتِقَامَتِهَا وَجَمَالِهَا) وَبَيْنَ قَامَاتِ الْفَتَيَاتِ الْمَلَاحِ (الْجَمِيلَاتِ). الْمَلِيحَةُ فِي الْأَصْلِ: ذَاتُ اللَّوْنِ الْحَسَنِ (السَّمْرَاءِ).

(٩) بَا صَاحِ: يَا صَاحِبِي. لَمْ يَذَرْ بِهَا عَيْشُ صَاحِ: لَمْ يَعْرِفْهَا مِنْ قَضَى حَيَاتِهِ صَاحِبًا (لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ).

(١٠) الْجَاحُ: الْاعْتِزَازُ بِالنَّشَاطِ وَمَحَاوَلَةُ التَّغَلُّبِ عَلَى الْآخَرِينَ. - اسْتَفَدَ مِنَ الزَّمَانِ مَا دَامَ الزَّمَانُ مُوَاتِيًا.

- وقال يذكر موطنه صقلية ويندد باحتلال النورمان لها:

أَعَاذِلْ، دَعْنِي أَطْلِقِ الْعِبْرَةَ الَّتِي
لَقَدَرْتُ أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَوْمِهَا؛
وَكَيْفَ، وَقَدْ سَمِيتُ هَوَانًا، وَصَبَّرْتُ
إِذَا شَاءَتِ الرُّهْبَانُ بِالضَّرْبِ أَنْطَقْتُ
صِقْلِيَّةً كَادَ الزَّمَانُ بِلَادَهَا،
فَكَمْ أَعْيُنِي بِالْخَوْفِ أُمِسَتْ سَوَاهِرًا
أَرَى بَلَدِي قَدْ سَامَهُ الرُّومُ ذِلَّةً،
وَكَانَتْ بِلَادُ الْكُفْرِ تَلْبَسُ خَوْفَهُ،
عَدِمْتُ أَسْوَدًا مِنْهُمْ عَرَبِيَّةً
هُمْ فَتَحُوا أَغْلَاقَهَا بِسُيُوفِهِمْ،
يَخُوضُونَ بِحَرًّا كُلَّ حِينٍ إِلَيْهِمْ

عَدِمْتُ لها من أجل الصبر حاسباً^(١).
فساءتْ ظُنُونِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ يائساً^(٢).
مساجدها أيدي النصارى كئاشاً!
مَعَ الصُّبْحِ وَالْإِمَاءِ فِيهَا النُّوَاقِصُ.
وكانت على أهل الزمان محارساً^(٣).
وكانت بطيب الأمن منهم نواعساً^(٤).
وكانَ بقومي عِزُّهُ مُتَقَاعِساً^(٥).
فأضحى لذلك الخوفِ منهم لا يساً^(٦).
ترى بين أيديها العُلُوجُ فرائساً^(٧).
وَهُمْ تَرَكُوا الْأَنْوَارَ فِيهَا حُنَادِساً^(٨).
يَبْخَرُ يَكُونُ الْمَوْجُ فِيهِ فَوَارِساً^(٩)

ومن هذه القصيدة في وصف هجوم النورمان بالسفن الحربية على شواطئ صقلية وإطلاق النيران اليونانية عليها^(١٠):

- (١) أعاذل = يا عاذلي: يا لاني (على قلة الصبر). دعني أطلق العبرة (الدعوة): لا تلمني إذا بكيت. - لقد صبرت نفسي كثيراً فما استطعت أن أمنع عيني من البكاء.
- (٢) لقدرت: كنت قد قدرت.
- (٣) كاد الزمان بلادها: عاملها بالكر والخيبة والخيبة، غدر بها وأذلها. المحارس (غير موجودة في القاموس) أماكن للحراسة والأمن.
- (٤) منهم = من الذين احتلوا صقلية (النورمان). نواعس: هاجمة، نائمة (مطمئنة).
- (٥) عزه (قوته، مجده) متقاعس (مرتفع، قوي).
- (٦) أصبح يخاف من بلاد الإفرنج.
- (٧) عدمت: فقدت (الآن).... كنت ترى العلوج (إفرنج الأندلس) أسرى وقتلى بين أيديهم.
- (٨) الأغلاق (الأبواب المعلقة، القلاع). وهم تركوا الأنوار فيها حنادس (ظلمات): كانوا كثيراً فملأوا الأرض حتى بدت الأرض سوداء في النهار (٩).
- (٩) كانوا يأتون لفتح هذه الجزيرة بجيوش كبيرة كالبحر الذي له أمواج متلاحقة من الفرسان.
- (١٠) النار اليونانية مزيج من النفط والمواد المشتعلة الأخرى (كالقطن مثلاً) تشمل ثم تلقى بالمنجنيق على السفن والأسوار والمدن...

وَحَرْبِيَّةٍ ترمي بِمُحْرِقٍ يَنْفِطُهَا
تَرَاهُنَّ فِي حُمْرِ اللَّبُودِ وَصَفَرُهَا
إِذَا عَشْنَتْ فِيهَا التَّنَائِيرُ خِلَتْهَا
أُفَى قَصْرِئِي رُقْمَةً يَغْمُرُونَهَا،
وَمَنْ عَجَبٍ أَنْ الشَّيَاطِينَ صَبَّرَتْ
وَأُضْحَتْ لَهُمْ سَرَقُوسَةً دَارَ مِئْمَةٍ
مَشَوْا فِي بِلَادٍ أَهْلُهَا تَحْتَ أَرْضِهَا،
وَلَوْ شَقَّقْتَ تِلْكَ الْقُبُورَ لَأَنْهَضْتَ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفِيلَ إِنْ غَابَ لَيْتُهُ

فَيَغْشَى سَعُوطُ الْمَوْتِ فِيهَا الْمَاعِطَا^(١).
كَيْثَلُ بَنَاتِ الرَّنَجِ زُفَتْ عَرَائِصَا^(٢).
تُفْتَحُ لِلْبُرْكَانِ عَنْهَا مَنَاقِصَا^(٣).
وَرَسَمٌ مِنَ الْإِسْلَامِ أَصْبَحَ دَارِيسَا^(٤).
بُرُوجُ النُّجُومِ الْمُحْرِقَاتِ مَجَالِيسَا^(٥).
يُزَوِّرونَ بِالْدِيرَيْنِ فِيهَا النَّوَاسَا^(٦).
وَمَا مَارَسُوا مِنْهُنَّ أُبَيًّا مَارِيسَا^(٧).
إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ أُنْدَا عَوَاسَا.
تَبَخَّرَ فِي أَرْجَائِهِ الذُّئْبُ مَائِيسَا^(٨)!

- وقال في هلال رمضان يشبه شكله بالراء (الحرف الأول من كلمة رمضان):
قُلْتُ وَالنَّاسُ يَرْقُبُونَ هِلَالًا يُشْبِهُ الصَّبَّ مِنْ نَحَافَةِ جَسْمِهِ:

- (١) وحربية = وسفن حربية كثيرة. الماعطس: الأنوف. السعوط: مادة مطحونة تشم فتثير العطس. بدل قول الشاعر على أن النقط كان يترك دخاناً بسبب الاختناق.
- (٢) تراهن: ترى السفن الحربية. في حر اللبود وصفرها. كانت توضع على السفن الحربية لبود وجلود حتى لا تتصل النار بحشب السفن فيحترق. أما لماذا يصف هذه اللبود بأنها حر وصفر (وليست سوداً مثلاً) فلا أدري له وجهاً.
- (٢) عشن: دخن. التنور: حفرة توقد فيها نار. البركان: فتحة في الأرض يخرج منها مواد مصهورة. منفس: مكان يدخل منه الهواء ويخرج منه الدخان.
- (٤) قصريني بلدة في الجانب الشرقي من جزيرة صقلية تدعى اليوم «أنا» (بإمالة الهمزة ونمخيم الألف). يعمرونها: يسكنها الإفرنج). الدارس: المحو.
- (٥) في هذا البيت إشارة إلى أن الشياطين كانت إذا اقتربت من السماء لتسرق السمع وتعرف أخبار الغيب رجعت بالنجوم (بالشهب). يقول الشاعر: ومن العجيب (الآن) أن الشياطين (الإفرنج) جعلت بروج النجوم (المراكب التي ترمي منها النار كأنها شهب) مجالس لها!
- (٦) دار منعة: مكان يتمتعون فيه (بجمعهم). الناووس مقبرة النصارى.
- (٧) مشوا (مشى الإفرنج).... أهلها تحت أرضها: أهل البلاد (من الأبطال المجاهدين الأولين) تحت أرضها (ماتوا دفنوا فيها). وما مارسوا (وما اصطدم الإفرنج بأحد من هؤلاء الأبطال للضم الذين كانوا يجاهدون ويقاتلون).
- (٨) الفيل: الشجر الملتف (ورثاً كان مسكناً للأسود).

من يَكُنْ صائِماً فذَا رَمَضَانُ خَطَّ بِالنُّورِ لِلوَرَى أَوَّلَ اسْمِهِ
- وقال ابنُ حديس في الاعتذار عن الهجاء:

يقولون لي: «لا تحيدُ الهجاءُ»؛ فقلتُ: «وما لي أُجيدُ المديحُ»^(١)؛
فقالوا: «لأنَّكَ ترجو الثَّوَابَ». وهذا القياسُ - لعمري - صحيحٌ.
فقلتُ: «صفاقي؟» فقالوا: «حَسَنٌ»؛ فقلتُ: «نَسِي؟» فقالوا: «مَلِيحٌ»^(٢)؛
فقلتُ: «إِلَيْكُمْ، فلي حُجَّةٌ، وَللْحَقِّ فِيهَا مَجَالٌ فَسِيحٌ -
عَفَاؤُ اللَّسَانِ مَقَالُ الْجَمِيلِ، وَفُسْقُ اللَّسَانِ مَقَالُ الْقَبِيحِ.
وَمَا لِي وَلَا مَرِيءٌ مُسْلِمٌ يَرُوحُ بِسَيْفٍ لِسَانِي جَرِيحٌ!
- وقال في الحماسة والفخر يتذكر بلاده (صقلية):

ولو أَنَّ أَرْضِي حُرَّةٌ لَا تَيْتُهُمَا بعزمٍ يَعدُّ السَّيْرَ ضَرْبَةً لَا زَبَ^(٣).
ولكنَّ أَرْضِي كَيْفَ لِي بِفَكَاهِمَا مِنَ الْأَسْرِ فِي أَيْدِي الْعُلُوجِ الْفَوَاصِبِ^(٤)
أَحِينَ يُعَانِي أَهْلُهَا طَوْعَ فِتْنَةٍ يُضْرَمُ فِيهَا نَارُهُ كُلُّ حَاطِبٍ^(٥)؟
وَلَمْ يَرَحِمِ الْأَرْحَامَ مِنْهُمْ أَقَارِبُ تُرَوِّي سُيُوفًا مِنْ نَجِيعِ الْأَقَارِبِ^(٦).
وَأُضْحَتْ بِهَا أَهْوَاؤُهُمْ وَكَأَنَّهُمَا مَذَاهِبُهُمْ فِيهَا اخْتِلَافُ الْمَذَاهِبِ.
إِذَا ضَارَبُوا فِي مَازِقِ الضَّرْبِ جَرَدُوا صَوَاعِقَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِي سَحَابٍ^(٧).
لَهُمْ يَوْمَ طَعْنِ السُّمْرِ أَيْدٍ مَبِيحَةٌ كُلُّي الْأُسْدِ فِي كَرَائِهِمِ لِلثَّعَالِبِ^(٨).

(١) ما لي أُجيدُ المديح: لماذا أنا أُجيدُ المديح، فكيف أنا أُجيدُ المديح؟.

(٢) فقلتُ: صفاقي؟ = كيف تحيدون الوصف في شعري؟.

(٣) السير (الذهاب، الرجوع) إليها ضربة لازب (تعبير أصبح مثلاً): واجب، لازم (لا مفرَّ من فعله).

(٤) فكَاهِمَا: فُكَّاهَا، إِنْقَاذَهَا. العُلُج: الفرنجي الذي لا يتكلَّم العربية.

(٥) الحاطب (الذي يجمع الخطب): أصحاب المصالح الشخصية).

(٦) رَوَّى فلان فلاناً من الماء: سقاء حتَّى ارتوى (امتلاً). نجيع: دم.

(٧) مَازِقِ الضَّرْبِ: مكان القتال الضيق (في المعركة الشديدة). صواعق (سيوف تلمع كالصواعق): مجلوة، حادة، قاطعة)..... في سحاب (غمام يطر دماً).

(٨) الأسمر: الرمح. الكلي جمع كلية (مقتل الإنسان) - إذا بطل عمل الكليتين تسم بدن صاحبها (فات) - هؤلاء الأقارب يبيحون قتل الأسود (قومهم وأقاربهم) للثعالب (للأعداء: أعداء الفريقين).

تَحَبَّ بِهِمْ قُبٌّ يُطِيلُ صَمِيلَهَا بأَرْضِ أَعَادِيهِمْ نِيَاحُ النَوَادِبِ^(١).
 مُؤَلَّلَةُ الْأَذَانِ تَحْتَ إِلَّا هُمْ كَمَا حُرِّقَتْ بِالْبَرْزِيِّ أَقْلَامُ كَاتِبِ^(٢).
 إِذَا مَا أَدَارَتْهَا عَلَى آلِهَامِ خِلَتَهَا تَدَوَّرُ لَسْمَعِ الذِّكْرِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ^(٣).
 إِذَا مَا غَزَوْا فِي الرُّومِ كَانَ دَخُولُهُمْ بَطُونِ الْخَلَايَا فِي مُتُونِ السَّلَاحِ^(٤).
 يَمُوتُونَ مَوْتَ الْعِزِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْجَبَنِ بَيْنَ الْكَوَاعِبِ.

٤- ديوان ابن حديس الأزدي السيراكوسي (نشره مونكادا)، بالرمو ١٨٩٣؛ ديوان ابن حديس (وقف على تصحيحه سكياباريلى)، رومية ١٨٩٧؛ (صححه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠.

- الوطنية في شعر ابن حديس، تأليف زين العابدين السنوسي، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥٢ م.

★ ★ ترجمة ابن حديس الصقلي، تأليف عبد الغني المنشاوي ومصطفى السقا، القاهرة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م.

- في الأدب العربي وديوان ابن حديس، تأليف زين العابدين السنوسي تونس ١٩٥٢ م.
 - ابن حديس الصقلي، تأليف علي مصطفى المصراقي، القاهرة (في سلسلة أقرأ - دار المعارف) ١٩٦٣ م؛ طرابلس - ليبيا (دار الفكر) ١٩٧٢ م.

الذخيرة ٤: ٣٢٠ - ٣٤٢؛ الحريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٩٤ - ٢٠٧؛ الحريدة (الأندلس) ٢: ٦٦ - ٨٤؛ المطرب ٥٤ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٢١٢ - ٢١٥؛ المكتبة الصقلية ٢: ٥٩٢ - ٦٠٢؛ نفع الطيب ١: ٤٩١ - ٤٩٦، ٤٩٩، ٤٩٩ - ٦٠٦ - ٦٠٧، ٦١٦ - ٦١٧، ٢٥٦: ٤، ٢٧١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢ - ٧٨٣؛ بروكلمن

(١) ومع ذلك فهم شجمان (لو أرادوا) - تحب (تسير بسرعة) بهم قُبٌّ (خيل ضامرة البطن) بطيل صميلها: صومًا (وجودها في المارك) نياح النوادب (نواح الناديات اللواري يبكين القتلى من أهلين - كناية عن الانتصار في أرض العدو).

(٢) مؤللة (أذان خيلهم): منتصبه. الإلال (رفع الصوت بالدعاء).

(٣) إذا أداروا (سيوفهم فوق الرؤوس، وهم يحاربون). الهامة: الرأس. خال: ظن، حسب. سمع الذكر (استماع الذكر الحسن). - ظننت سيوفهم تدور في الفضاء الواسع عالية حتى كأنها تريد أن تسمع الفنن يتحدثون ببطولتهم في الكواكب (في كل مكان).

(٤) الروم: نصارى الأندلس من أي مذهب كانوا. - كان دخولهم (اقتحامهم، هجومهم) بطون الخلايا (إلى قلب ماوى الأسود. الخلية: ماوى الأسد) في (على) متون (ظهور) السلاحب (جمع سلب: الحصان الطويل).

١: ٢٦٩، الملحق ١: ٤٧٤ - نيكل ١٦٨ - ١٧٠: مختارات نيكل ١١٦ - ١٢٠: الأعلام للزركلي ٤: ٤٧ - ٤٨ (٣: ٢٧٤): سركيس ٨٧ - ٨٨.

الرشيـد العبـادي

١- هو الرشيـد أبو الحسين عُبَيْدُ اللهِ^(١) بنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ، كان مَوْلَاهُ نحوَ سَنَةِ ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م)، وأُمُّهُ أَعْتَادُ الرُّمَيْكِيَّةِ. وَهُوَ أَحَدُ النُّجَبَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُعْتَمِدِ، وَمِنْ الَّذِينَ يُوثَقُ بِهِمْ. فَلَمَّا أَنْصَرَفَ الْمُعْتَمِدُ إِلَى اللَّهِوِ أَلْقَى مَقَالِدَ الْأُمُورِ فِي الْإِدَارَةِ وَالْحَرْبِ إِلَى ابْنِهِ الرَّشِيدِ هَذَا. وَبَلَغَ الرَّشِيدُ فِي الْمَكَانَةِ إِلَى أَنْ مَدَّحَهُ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ (قُتِلَ ٤٧٧ هـ) بِقَوْلِهِ: «أَنْتَ الرَّشِيدُ فَدَعْ مَنْ قَدْ سَمِعْتَ بِهِ» (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤: ٢٧٢) تعريضاً بهرونَ الرَّشِيدِ.

وكان الرَّشِيدُ مِنْذُ مَطْلَعِ حَيَاتِهِ يَمِيلُ إِلَى اللَّهِوِ وَيَقْعُدُ مَجَالِسَ الْغِنَاءِ. ثُمَّ كَثُرَ انْفِاسُهُ فِي ذَلِكَ قُبَيْلَ النَّائِرَةِ: هَيَّاجِ النَّاسِ وَنِقَمَتِهِمْ عَلَى بَنِي عَبَّادٍ، وَقُبَيْلَ سَقُوطِ دَوْلَتِهِمْ. وَكَانَتْ وَفَاةُ الرَّشِيدِ الْعَبَّادِيِّ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢: ٦٨)، أَوْ ١١٣٥ م.

٢- كان الرَّشِيدُ الْعَبَّادِيُّ شَاعِراً يُحْسِنُ الْارْتِجَالَ. وَمِنْ فَنُونِ شِعْرِهِ الْغَزْلُ وَالْحِمَاسَةُ وَالْمَدْحُ. وَعَلَى شِعْرِهِ شَيْءٌ مِنَ الطَّلَاوَةِ.

٣- مختارات من شعره:

لَمَّا انْتَهَى الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ مِنْ بِنَاءِ الْقُبَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ «سَعْدِ السُّعُودِ» فَوْقَ مَجْلِسِهِ فِي قَصْرِ «الزَّاهِي» صَنَعَ قَسِماً (شَطِراً مِنَ الشُّعْرِ): «سَعْدُ السُّعُودِ يَتِيهُ فَوْقَ الزَّاهِي» ثُمَّ طَلَّبَ مِنَ الْحَاضِرِينَ أَنْ يُجِيزُوهُ فَعَجَزُوا. فَقَالَ الرَّشِيدُ ابْنُهُ:

(١) عبید الله (بتصغیر عبد) الحلة السیراء ٢: ٦٨ نفع الطیب ٤: ٢٥٦. وورد عبد الله (بلا تصغیر)، نفع الطیب ٣: ٦١٢، راجع ٤: ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠ (ولعله خطأ مطبعی). للمعتد ابن اسمه عبد الله أيضاً (راجع، فوق، ترجمة المعتد - توفي ٤٨٨ هـ).

وكلاهما في حُسنهِ مُتناهي.

ومَن اُغتدى سَكناً لِمثْلِ مُحَمَّدٍ قد جَلَّ في العَلْيَاءِ عن أَشباهِ^(١).

لا زالَ يبلُغُ فيها ما شاءه؛ ودَهَتْ عِداهُ من الخطوبِ دواهِ

- وفيما كانَ المُعتمدُ مُتَّجِهاً من مِكناسَةٍ إلى أَغاثَ (بعدَ أُسرِهِ) بَدَرَ مِنَ الرَشيدِ في أَثناءِ الطريقِ ما حَمَلَ أَباهُ على العُتبِ عليه وعلى الإِفراطِ في العُتبِ. فَكَتَبَ الرَشيدُ إلى أبيهِ يَسْتَغْفِرُهُ:

يا حَليفَ النَّدَى وربَّ السَّاحِ وحبِيبَ النُّفوسِ والأرواحِ^(٢)،

مِن تَمامِ النُّعْسى عَلَيَّ التَّياحِي لَمَحَةً من جَبِينِكَ الوُضاحِ^(٣).

قد غَنِينا بِبِشْرِهِ وَسَناه عن ضياءِ الصُّباحِ والبُصباحِ^(٤).

ذاك حَظِّي مِنَ الزَّمانِ. فَإِنْ جا دَ بِهِ لي بَلَّغْتُ كُلَّ اقْتِراحِي.

- ولَمَّا وُلِدَ لَهُ ابْنُهُ «المُعلَى» قالَ يَكشِفُ عَمَّا في نَفْسِهِ من آمالٍ:

أَهْنِيكَ- بَلْ نَفْسِي أَهْنِي- فَإِنِّي بَلَّغْتُ الَّذِي كانَ اقْتِراحِي على الدَّهرِ:

خَلاصَكَ من أَيْدِي المَمُونِ وَغُرَّةَ بَدَتِ لِلْمُعلَى مِثْلَ دائِرَةِ البَدْرِ^(٥).

كَأَنِّي بِهِ عَمَّا قَريبِ مُملُكَأ زِمَامَ المَعالي نَافِذَ النِّهي والأَمْرِ.

يَقودُ إلى الهِنجاءِ كُلَّ غَضَنَفِرٍ وَبَضْرِبُ مَنْ ناوَاهُ بالبَيضِ والسُّمْرِ^(٦).

فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنِي وَعَيْنُكَ في المُلا، ولا زالَ أَسْمِي في المَحَلِّ مِنَ الغَفَرِ^(٧).

(١) مُحَمَّدُ المُعتمدُ (والدُ الرَشيدِ عبيدُ اللهِ).

(٢) دَها: أَصاب. الدَّواهي: الأُمورُ المُنكَرةُ العَظيمةُ. المُطَب: المُصيبةُ.

النَّدَى: الكَرَم. السَّاح: التَّسامحُ والتَّساهلُ.

(٣) التَّياحِي (أَنْ أُلحَ أَنا).

(٤) البِشْر: طَلاقَةُ الوَجهِ وظَهورُ السُّرورِ على الوَجهِ. السَّنا: الضَّوءُ السَّاطِعُ.

(٥) يَبدو أَنَّهُ كانَ في وِلادَةِ المُعلَى عَشرٌ. وَلَمَلَّ القِطعةُ مُوجَّهةً إلى المُعتمدِ.....

(٦) يَقودُ (أَيُّ المُعلَى). الغَضَنَفِرُ من أَسماءِ الأَسَدِ (المُجنَدي الشَّجاع). الأَبْيَضُ: السِّيفُ. الأَسْمَرُ: الرَّمحُ.

(٧) قَرَّتْ عَيْنُهُ: سَكَنَتْ، هَدَأَتْ (كُنايَةُ عَنِ السُّرورِ). عَيْنُكَ (لَعَلَّ المُطابَّ للمُعتمدِ). الغَفَرُ ثَلاثَةُ نَجُومٍ صَغارٍ هي مَنزِلَةُ القَمَرِ.

أبو الحسن بن جودي

١- هو أبو الحسن عليُّ بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن جودي السَّعْدِيُّ، أصلُ سلفه من البيرة (وقيل من سَرَقُسطَة). نشأ في المَرِيَّة ثمَّ تَنَقَّلَ في بُلْدَانِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِبِ.

روى أبو الحسن بن جودي كثيراً من الحديث (حديث رسول الله) عن القاضي أبي عليِّ حسين بن محمد بن فيرة بن حيَّون الصَّدَقِيِّ (ت ٥١٤ هـ). وكذلك كان من المتَّصِلِينَ بأبي العلاء بن زُهْرٍ (ت ٥٢٥ هـ) ثمَّ حَدَّثَتْ بَيْنَهُمَا وَخْشَةٌ لَعَلَّ سَبَبَهَا أَنَّ ابْنَ جودي هذا قرأ على ابنِ بَاجَه (قَبْلَ سنة ٥١٢ هـ) شيئاً من علوم الفلسفة فاشتهرَ ذلك عنه وَاتَّهَمَ بالزُّنْدَقَةِ. يُضَافُ إلى ذلك أَنَّ أبا العلاء بن زُهْرٍ كان كارهاً لابنِ بَاجَه وخصماً له. واضْطَرَّ ابنُ جودي إلى أَنْ يَفَارِقَ أبا العلاء بن زُهْرٍ. ثمَّ طلب العامة ابن جودي لِيَقْتُلُوهُ فِهْرَبَ مِنْهُمْ وَتَشَرَّدَ عَنْ بَلَدِهِ وَصَارَ مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَقَلْعَةِ خُولَانَ.

ثمَّ نَسِيَ النَّاسُ أَمْرَ ابْنِ جودي فعاد ابن جودي إلى غَرْنَاطَةِ يُعَاوِدُ قِرَاءَةَ الطِّبِّ. في هذه الأثناء تَوَفَّى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحَدَ بْنِ خَلْفِ الْأَنْصَارِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَازِش، سنة ٥٢٨ هـ، فَرثَاهُ ابْنُ جودي. وَتَوَفَّى ابْنُ جودي في غَرْنَاطَةِ بَعْدَ سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م). وَلَعَلَّ عُمُرَهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ نَحْوَ خَمْسِينَ عَاماً.

٢- أبو الحسن عليُّ بن جودي أديبٌ شَارَكَ في عِدَدٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ: في الأدب والنحو والطب والفلسفة وغيرها. وهو شاعرٌ مُجِيدٌ عَلَى عَمُودِ الشِّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ. وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ النِّسَبُ وَالْفَزَلُ وَالْوَصْفُ. وهو كثيرُ التَّقْلِيدِ لِلشُّعْرَاءِ الْعَدَنِيِّينَ الْمَشَارِقَةِ، يَكْثُرُ في شِعْرِهِ الْحَنِينُ إِلَى نَجْدِهِ (كَمَا كَانُوا هُمْ يَفْعَلُونَ) وَيَذْكُرُ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ (مَحْبُوبَةَ قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ الْعَامِرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِمَجْنُونِ لَيْلَى) وَيَذْكُرُ الْعَامِرِيَّ (مَجْنُونِ لَيْلَى) نَفْسَهُ أَيْضاً.

٣- مختارات من شعره:

- وقال أبو الحسني بن جودي في النسيب:

لقد هيَّجَ النيرانَ، يا أُمَّ مالِكِ، بتدميرِ ذِكْرِي ساعدتها المدامُ^(١)،
عَشِيَّةً لا أرجو لقاءكِ عندها، ولا أنا، أن يدنومَعَ الليل طامع^(٢).

- وقال يصف مجيء الصبح في أحد أيام الشتاء:

نَبَهَتْهُ وعيونُ الزهر نائمةً والطلُّ يبكي وتغرُّ الكأسِ يبتسمُ.
والبرقُ يرقمُ من بُرْزِ الدُّجى علماً والزهرُ عقدٌ بجيدِ النهرِ منتظم^(٣).
حتى بَدَتْ رايةُ الإصباحِ زاحفةً في كفِّ ذي ظفرٍ والليلُ منهزم^(٤)!

- وقال في النسيب يذكر نجداً ولبلى العامرية يشبه نفسه بهجنون ليلي (بالعامري):

خَلِيلِي من نَجْدٍ، فَإِنَّ بَنَجْدِهِمْ مَصِيفاً لِبَيْتِ العامريِّ ومربعا^(٥).
أَلَا رَجَعَا عنها الحديثَ فَإِنِّي لأَغِيظُ من ليلي الحديثِ المُرْجَعَا^(٦).
عزيرٌ علينا، يا ابنةَ القومِ، أَنَا فَرِيقُ هَوَى مَنَا يَهَابِ، وَمُشَمِّمُ غريبانِ شَتَّى لا نُطِيقُ التَّجَمُّعا^(٧).
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى، وَكَأَنَّا يُحَاوِلُ يَأْساً أَوْ يُحَاوِلُ مَطْمَعَا^(٨).
حَرَامٌ عَلَيَّ الأَيَّامِ أَنْ نَتَجَمَّعا! حَرَامٌ عَلَيَّ الأَيَّامِ أَنْ نَتَجَمَّعا!

- وقال:

أَحِرْ إلى رِيحِ الشَّالِ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُنَا نَجْدَا؛ وَمَا ذِكْرُنَا نَجْدَا؟^(٩)

(١) تدمير، مقاطعة في الشرق الجنوبي من الأندلس. الطل: نقاط الندى التي تتساقط في آخر الليل على

الأغصان فتعلق عليها (وربما جدت بفعل البرد الليلي).

(٢) ولا أنا - أن يدنو مع الليل - طامع: وأنا لا أطمع أيضاً أن يدنو (يقترّب) لقاءك إذا جاء الليل (لا أطمع أيضاً أن أراك في منامي).

(٣) رغم الثوب يرقمه: وشأه (زَيَّنَه بالنقوش).

(٤) في كفِّ ذي ظفر: في يد قائد منتصر.

(٥) المصيف (مكان الإقامة في الصيف) والمربع (مكان الإقامة في الربيع).

(٦) رجَّع الصوت: ردَّه في حنجرته. والشاعر يقصد «أعاد الحديث» مرةً بعد مرةً.

(٧) لا نطيق التَّجَمُّعاً: لا نقدر على أن نجتمع (لبعد ما بيننا في السكنى).

(٨) مان: يمني الدار (في أقصى الجنوب) ومشم (من الشمال).

(٩) وما ذكرنا نجداً: ما ننقمتنا أن نذكر نجد (ولا سبيل إلى الاحتجاج بأهله: بالهبوب).

خليلي، لا والله، ما أخيلُ الهوى وان كنتُ في غير الهوى رجلاً جلدًا^(١) !

٤-★★ المغرب ٢: ١٠٩ - ١١٠، معجم الصدي، رقم ٢٥٩ (ص ٢٧٨ - ٢٧٩)، نفع
الطيب ٣: ٣٣٤، ٧: ٥٧ - ٦٠، المطمح.

ابن باجّه

١- هو أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ المعروف بابن باجّه (بتشديد الجيم ثم هاء ساكنة)، والباجّه بلغة نصارى الأندلس « الفضة ». وُلِدَ في سَرَقُسْطَة نحو سَنَةِ ٤٧٥ (١٠٨٢ م)، وفيها نشأ وقال الشعرَ ومدَحَ أميرها أبا بكر بن إبراهيم بن تيفلويّ. ثم وَلِيَ ابنُ تيفلويّ الشعرَ والشرقَ فاستوزرَ ابنُ باجّه. ولَمَّا حاصرَ ألفونسو الأولُ مَلِكُ الأَرغون مَدِينَةَ سَرَقُسْطَة غادرها ابنُ باجّه (٥١٢ هـ = ١١١٧ م)، قَبْلَ أَنْ يَسْتُولِيَ عليها ألفونسو، وانتقل إلى إشبيلية وطَبَّبَ فيها. ثم إِنَّهُ انتقل إلى مَرَاكُشَ ونال حُظُوَّةً عِنْدَ المُرَابِطِينَ. وقد حَسَدَهُ مُنافِسُوهُ، لِبِرَاعَتِهِ فِي الطِّبِّ ولِتَوْفِيقِهِ فِي التَّطْبِيبِ فَدَسُّوا لَهُ السُّمَّ فَمَاتَ، سَنَةَ ٥٣٣ (١١٣٨ م).

٢- كان ابنُ باجّه أولَ فَلَاسِفَةِ الإِسْلَامِ العَقَلِيِّينَ عَلَى الحَصَرِ، وَكَانَ عَالِمًا فِي الرِّيَاضِيَّاتِ وَفَلَكَيًّا رَاصِدًا قَدِيرًا يَحْسِبُ لِلخُصُوفِ وَالْكَسُوفِ. وَكَانَ وَاسِعَ العِلْمِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ. أَمَّا فِي المَوْسِيقَى فَقَالَ فِيهِ المَقْرِيُّ (نفع الطيب ٧: ٧، ٣: ١٨٥): « الحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بنُ باجّه صَاحِبُ التَّلَاحِينِ المَعْرُوفَةِ.... وَإِلَيْهِ تُنَسَبُ الأَلْحَانُ المَطْرِبَةُ فِي الأَنْدَلُسِ وَالتِّي عَلَيْهَا الِاعْتِدَالُ ».

وَأَمَّا فِي الأَدَبِ فَكَانَ شَاعِرًا مُقَصِّدًا وَشَاحَا، وَأَكْثَرَ شِعْرِهِ المَدْحُ وَالرِّثَاءُ وَالهَجَاءُ وَالنَّسِيبُ وَالفَزْلُ، وَلَكِنَّ الجَانِبَ المَعْنَوِيَّ فِي شِعْرِهِ أَفْضَلُ مِنَ الجَانِبِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي يَبْدُو عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الجَفَافِ. وَلَهُ نَشْرٌ عِلْمِيٌّ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّمْقِيدِ.

(١) المجلد: القوي الاحتال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن باجة في الغزل:

أَسْكَنْ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ، تَيَقَّنُوا بَأْنَكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ؛
ودوموا على حِفْظِ الْوِدَادِ فَطَالَمَا بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا اسْتَحْضِرُوا خَانُوا!
سلوا اللَّيْلَ عَنِّي، إِذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ: هَلْ أَكْتَحَلْتُ لِي فِيهِ بِالنَّوْمِ أَجْفَانُ؟
وهل جُرَدَتْ أَسْيَافُ بَرْقِ سَهَائِكُمْ فَكَانَتْ لَهَا إِلَّا جُفُونِي أَجْفَانُ^(١)!

- وقال يرثي أبا بكر بن إبراهيم بن تَيْفَلَوَيْتَ (ت ٥١٠ هـ)، وكان والياً على سَرَ قُطْنَةَ من قِبَلِ المِزَابِطِينَ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ لَعَمْرِي نَعَى الْمَجْدُ بَدَ نَوَاعِيكَ يَوْمَ قُتِمَ فُنُخُنَا^(٢).
كَمْ تَقَارَعَتِ وَالْخُطُوبُ إِلَى أَنْ غَادَرْتُكَ الْخُطُوبُ فِي التُّرْبِ رَهْنًا^(٣).
غَيْرَ أَنِّي إِذَا ذَكَرْتُكَ وَالِدَهُ رَا إِخَالَ الْيَقِينِ فِي ذَاكَ ظَنًّا^(٤).
وَسَأَلْنَا: «مَتَى اللَّقَاءُ؟» فَقِيلَ: «الْحَشْرُ!» قُلْنَا: «صَبْرًا إِلَيْهِ وَحُزْنًا!».
- وله في مديح «الْمُتَّمِّينَ»:

قَوْمٌ إِذَا انْتَقَبُوا رَأَيْتَ أَهْلَةً، وَإِذَا هُمْ سَفَرُوا رَأَيْتَ بُدُورًا^(٥).
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ النَّوَالِ عُفَاتِهِمْ شُكْرًا، وَلَا يَحْمُونَ مِنْهُ تَقِيرًا^(٦).
لَوْ أَنَّهُمْ مَسَّحُوا عَلَى جَنْبِ الرَّبِّي بِأَكْفُفِهِمْ نَبَسَتِ الْأَقَاحُ نَضِيرًا.

-
- (١) الجفن (بفتح الحيم): قراب السيف - حينما تشرق السماء من جهة بلادكم فلا يرى هذا البرق أحد غيري (لأنني أكون وحدي ساهراً في حيك، وجميع الناس نياماً!).
- (٢) قمن ونحن (بضم أولهما) فعلان ماضيان للجماعة الإناث من قام وناح.
- (٣) فارغ: نازع، غالب، قاتل. الخطوب جمع خطب (بفتح الحاء): المصيبة. رهناً = مرهوناً: باقياً.
- (٤) اليقين الموت - لم أصدق أنك مت.
- (٥) إذا انتقبوا (وضعوا نقاباً أو غطاء على وجوههم) أشرق نور وجوههم من خلال النقاب اشراقاً قليلاً كما يبدو الهلال في أول الشهر. أما إذا أسفروا (كشفوا عن وجوههم) فهم بدور.
- (٦) النوال: العطاء. العفاة جمع عاف: طالب العطاء. التقير: الذباب الأسود الصغير: هم يبيحون نوالهم لكل من يطلبه ولا يحمون (يعمون) من هذا النوال أحداً، ولا الذباب الأسود.

- حَسَبَ ابْنُ بَاجَهٍ مَرَّةً خُسُوفَ الْقَمَرِ وَنَظَّمَ فِي خُطَابِ الْقَمَرِ بَيِّنَتَيْنِ. ثُمَّ دَعَا نَفَرًا مِنْ أَصْدِقَائِهِ، قُبِيلَ مَوْعِدِ الْخُسُوفِ، وَجَعَلَ يَتَغَنَّى أَمَامَهُمْ بِذَنبِكَ الْبَيْتَيْنِ (نَفَحَ الطَّيْبُ ٧: ٢٥ - ٢٦):

شَقِيقُكَ غُيِّبَ فِي لَحْدِهِ؛ وَتُشْرِقُ، يَا بَدْرُ، مِنْ بَعْدِهِ؟
فَهَلَّا كُيِّفَتْ فَكَانَ الْكُسُوفُ حِدَادًا لَيْسَتْ عَلَى فَقْدِهِ!
وَجَعَلَ يَرُدُّ الْبَيْتَيْنِ. فَلَمَّا خُسِفَ الْبَدْرُ عَظُمَ التَّعَجُّبُ مِنَ الْحَاضِرِينَ.

- نَصَّ مِنْ كِتَابِ «تَدْبِيرِ الْمُتَوَحَّدِ»:

.... وَكُلُّ فَعْلٍ لَا يَسْتَعْمَلُ الْإِنْسَانُ فِيهِ فِكْرَهُ فَهُوَ (عَمَلٌ) بِهَيْمِيٍّ لَا شَرَكَةَ لِلْإِنْسَانِيَةِ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ الْمَوْضُوعَ (الْفَاعِلَ) جِسْمٌ خَلَقْتَهُ إِنْسَانِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُ مُسْتَنْبِطٌ بِهَيْمَةٍ. وَقَدْ يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانِ أَفْعَالٌ وَانْفِعَالَاتٌ مِنْ أَفْعَالِ الْإِنْسَانِ وَانْفِعَالَاتِهِ مِثْلَ الْمُجَبِّ لِلطَّائِفِ وَالْكَرَمِ لِلدِّيكِ^(١) وَالْمَلَقِ لِلْكَلْبِ وَالْمَكْرِ لِلثَّعْلَبِ وَالْحَيَاءِ لِلْأَسَدِ. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِذَا كَانَتْ لِلْبَهَائِمِ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً لِلنَّوْعِ وَلَمْ يَخْتَصَّ بِهَا شَخْصٌ (دُونَ شَخْصٍ) مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ. وَ (لَيْسَتْ) هَذِهِ الْأَخْلَاقُ فُضَائِلٌ لِلْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا تَسْتَعْمِلُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ سِوَا مَا كَانَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَوْ لَا يَنْبَغِي.... وَأَمَّا (الْأَفْعَالُ) الْفِكْرِيَّةُ فَفِي أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِالصُّورَةِ الرُّوحَانِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَصُورَةِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ.....

٤- تَدْبِيرِ الْمُتَوَحَّدِ (حَرَّرَهُ د.م. دَنْلُوب - مَجَلَّةُ الْجَمْعِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ الْأَسْيُوتِيَّةِ - لَنْدُنْ)، نَيْسَانَ (أَبْرِيلَ) ١٩٤٥م (حَرَّرَهُ مِيغِيلَ آسِينُ بِالْأَثِينِيَّاتِ)، مَدْرِيدَ - غِرْنَاطَةَ (الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، مُؤَسَّسَةُ مِيغِيلَ آسِينُ - مَدَارِسُ الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَدْرِيدَ وَغِرْنَاطَةَ) ١٩٤٦م (حَرَّرَهُ مَعْنُ زَيْسَادَةُ)، بَيْرُوتَ (دَارُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ - دَارُ الْفِكْرِ) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م.

- كِتَابُ النَّفْسِ (نَشَرَهُ مُحَمَّدٌ صَغِيرٌ حَسَنُ الْمُعْصُومِي)

(١) الْمُجَبُّ: الزَّهْوُ (الْفَخْرُ بِالنَّفْسِ). ذَكَرَ الْجَاهِظُ (ت ٢٥٥) فِي كِتَابِ الْبِخْلَاءِ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الدِّيكَةِ (بِكْرِ فَتَفْتَحُ: جَمْعُ دِيكٍ) أَنْ تَأْخُذَ الْحَبَّ فَتَلْقِيهِ أَمَامَ الدَّجَاجِ، مَا عَدَا دِيكَةً مَرُو (عَاصِمَةً خِرَاسَانَ فِي فَارَسَ) فَإِنَّهَا تَسْلُبُ الدَّجَاجَ مَا فِي مَنَاقِيرِهَا!

- تلخيص كتاب النفس
- كتاب الكون والفساد (نشره محمد صغير المعصومي)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٧ م.
- شرح السماع الطبيعي لأرسطو (تحرير ماجد فخري)، بيروت (دار النهار) ١٩٧٣ م.
- شروحات السماع الطبيعي (تحقيق معن زيادة)، بيروت (دار الكندي - دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
- رسائل ابن باجّه الإلهية (حقّقها ماجد فخري)، بيروت (دار النهار للنشر) ١٩٦٨ م.
- رسالة الاتصال (مضموم إلى كتاب «ابن باجّه» لأحمد فؤاد الأهواني).
- ** ابن باجّه والفلسفة المغربية، تأليف عمر فروخ، بيروت (مكتبة منبئة) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ثم ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م.
- ابن باجّه، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الأنوار) ١٩٦٥ م.
- قلائد العقيان ٣٤٦ - ٣٥٣ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٤ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٣ - ٢٨٦ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٠ - ٢٤٢ المغرب ٢ : ١١٩ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٩ - ٤٣١ ؛ نفع الطيب ٣ : ١٨٥ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ٤٦٧ ، ٧ : ٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١١٠٣ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٣٧٨ - ٣٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٦٠١ ، الملحق ١ : ٨٣٠ ؛ نيكل ٢٥١ - ٢٥٤ ؛ مختارات نيكل ١٦٩ - ١٧٠ ، الأعلام للزركلي ٨ : ٧ (١٣٧ : ٧) .

ابن خفاجة

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الهواريّ الشُقريّ، وُلِدَ في جزيرة شُقر* - وهي بليدة بين شاطِئَة وَبْلَنْسِيَّة - سَنَة ٤٥٠ (وفيات الأعيان ١ : ٥٧) في أسرة على جانب من اليسار وعلى قسْطٍ من العلم والأدب. بدأ علْمُه في بَلَدِه ثم تَرَدَّدَ بين مُرْسِيَّة وشاطِئَة فَسَمِعَ من القاضي أبي عليّ الصّدْفِيّ (ت ٥١٤ هـ) والفقهاء أبي عمران موسى بن تليد الشاطي (ت ٥١٧ هـ) وأبي بكر بن عتيق بن أسد (٥٣٨ هـ).

لها ابن خفاجة في مطلع حياته ثم تَرَكَ اللّهُو والمُجُون، وعاشَ صَرورةً (لم يتزوَّج) وقَضَى مُعْظَمَ حياتِه في ضَيْعَة له قُرْبَ بَلَدِه يَنْظِمُ الشَّعْرَ في أغراضٍ نَفْسِيَّةٍ ولم يَقْصِدْ أَحَدًا من مُلُوكِ الطوائِف. ولكنْ بعدَ أن استولى المرابطون على مُعْظَمَ جزيرة

(*) شُقر بالهم (وفيات الاعيان ١ : ٥٧) ؛ وبالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢)

الأندلس وأزالوا مُعْظَمَ ملوك الطوائف، اتَّصَلَ ابْنُ خَفَاجَةَ - وكان قد بَلَغَ أَشَدَّهُ وذاعت شُهْرَتُهُ - بِوَلَاةِ المرابطين على الأندلس ومدَحَهُم إعجاباً لا تَكْسُباً. وكانت له في أيامهم حُطُوةٌ. أمَّا وفاته فكانت في ٢٦ من شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٣٣ (١١٣٩/٦/٢٥م)، في بلدته.

٢ - يُحِيطُ ابْنُ خَفَاجَةَ بِعَدِيدٍ مِنْ فُنُونِ المعرفة: الحديث والفيقه واللُّغة والنحو وغيرها، ولكن غَلَبَ عليه نَظْمُ الشعر. وهو شاعرٌ وَجْدانيٌّ مطبوعٌ، على شِعْرِهِ طَلَاوَةٌ وفيه سهولةٌ، وهو عَذْبُ الجَرَسِ تشبُّعٌ فيه رَنَّةٌ موسيقيةٌ قَلَّ أَنْ تَجِدَ مِثْلَهَا عِنْدَ شَاعِرٍ آخَرَ. ثُمَّ هو على النَهْجِ المَشْرِقيِّ ما فارقَ عَمُودَ الشِّعْرِ قَطُّ. ورَبَّما حاول في القصيدة بعد القصيدة أَنْ يُلْقِيَ على أُنْيَابِهِ نَفْحَةً مِنْ فَخَامَةِ الشعر القديم. وفُنُونُ شعره المَدَحِ (إعجاباً بمدوحه لا تَكْسُباً منهم) والثناء والقزل والنسيب والهجاء (وربَّما أفضَحَ فيه) والعتاب والحكمة والزهد والإخوانيات. أمَّا الفن الذي بَرَعَ فيه فهو وصف الطبيعة والحنين إلى الوطن. وهو بارِعٌ جِدًّا في وصف الأشجار والأزهار والأنهار حتَّى سُمِّيَ «الجنَّان» (لكثرة أوصافه للحداثق والجنائن ولبراعته في تلك الأوصاف).

ولابن خَفَاجَةَ نَثْرٌ دون شِعْرِهِ مرتبةٌ يُصَرِّفُهُ في بعض أغراض نفسه في رسائل إخوانية أو في أغراض تتعلَّق بِعَدِيدٍ مِنْ قِصَائِدِهِ. وقد جَمَعَ ابْنُ خَفَاجَةَ شعرَهُ ونَثْرَهُ في ديوانٍ قَدَّمَ له بِمَقْدَمَةٍ أشارَ فيها إلى رأيه في الشعر وفي شعره ونَثْرِهِ. وفي هذه المَقْدَمَةِ خَطَرَاتٌ مِنَ النِّقْدِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقطعات القصار لابن خَفَاجَةَ:

★ ★ إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرَبَّيَا نَفْسٍ ^(١):

(١) رَبَّيَا: طيب الرائحة.

فَسَنَا ضَخُونَهَا مِنْ شَنْبٍ، وَدُجَى لَيْلِهَا مِنْ لَعَسٍ (١).
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً (٢) صَحَتْ: وَاشْفَوِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ!
** اللَّهُ نَهْرٌ سَالٌ فِي بَطْحَاءِ أَشْهَى وَرُوداً مِنْ لَمَى الْحَسَاءِ (٣).
مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السَّوَارِ كَأَنَّهُ، وَالزَّهْرُ يَكْنِفُهُ، مَجْرٌ سَاءُ (٤).
وَعَدَتْ تَحِفٌ بِهِ الْفُصُونُ كَأَنَّهَا هُذْبٌ يَحِفُّ بِمَقْلَةٍ زَرْقَاءُ (٥).
وَالْمَاءُ أَسْرَعَ جَرِيَّهُ مُتَحَدِّراً مُتَلَوِّباً كَالْحَيَةِ الرَّقْطَاءِ (٦).
وَالرِّيحُ تَعَبَتْ بِالْفُصُونِ، وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ (٧).
** وَمُرْتَبِعٌ حَطَطْتُ الرِّحْلَ فِيهِ بَحِثُ الظِّلِّ وَالْمَاءِ الْقَرَّاحُ (٨).
تَخَرَّمَ حَسَنٌ مَنْظَرَهُ مَلِيكَ تَخَرَّمَ مُلْكُهُ الْقَدَرُ الْمُتَّاحُ (٩).
فَجَرِيَّةٌ مَاءٌ جَذُولُهُ بُكَاءُ عَلَيْهِ، وَشَدُو طَائِرِهِ نُوحَا!
** أَلَا سَاجِلٌ دُمُوعِي، يَا حَمَامُ (١٠). وَطَارِخُنِي بِشَجْوِكَ، يَا حَمَامُ!
فَقَدْ وَقَيْتُهَا سِتَيْنَ حَوَلَا، وَنَادَيْتَنِي وَرَائِي: هَلْ أَمَامُ!
وَكُنْتُ وَمَنْ لُبَانَاتِي لُبْنَى هُنَاكَ، وَمَنْ مَرَاضِعِي الْمَدَامُ (١١).
يُطَالِعُنَا الصَّبَاحُ بِيَطْنٍ حَزْوَى فَيُنْكِرُنَا، وَيَعْرِفُنَا الظَّلَامُ (١٢).

- (١) السنا: الضوء الساطع. الشنب: بياض الأسنان. اللس: السمرة في الشفاء.
(٢) صبا: من الشرق (بليلة باردة).
(٣) البطحاء: الأرض المنبسطة. الورد: الذهاب إلى الماء للشرب. اللس: السمرة في الشفاء (وهنا: الرقيق).
(٤) يكنفه: يحيط به. المجر (لعلها هنا جمع مجرة) مجموع نجوم يعترض في السماء من الشمال إلى الجنوب.
(٥) الهدب: شعر جفون العينين.
(٦) الرقطاء: التي على جلدها نقط سود.
(٧) ذهب الأصيل (بين الظهر والمغرب): (نور الشمس الأحمر) على لجين (فضة) الماء (بياض الماء).
(٨) المرتبع: مكان ينزل الناس في الربيع. القراح: الصافي.
(٩) لعله وقف هنا على قبر أحد الملوك. المتاح: المرسل، الذي لا مفر منه.
(١٠) ساجله: باراه، سابقه (يقول إن دموعه أغزر من المطر). طارحه الحديث: تحادثا وناقش بعضها بعضاً. الشجو: الحزن.
(١١) اللبانة الحاجة. المدام: الخمر.
(١٢) إذا طلع الصباح افترقنا فلا يعلم النهار أننا محبان. وإذا جاء الظلام اجتمعنا فيعرف الليل أننا محبان

وكان لي البشامُ مراح أنس،
 ** أي عيش أو غذاء أو سنة
 قلص الشيبُ بها ظلَّ امرئ
 تارة تسطو به سيئة
 ** عاثتُ بساحتكِ الظبي، يا دارُ،
 فإذا ترددتُ في جنابك ناظرُ
 أرضٌ تقاذفتِ الحطوبُ بأهلها،
 كتبتُ يدُ التاريخ في عرصاتها
 ** يا أهلَ أندلس، لله درُّكمُ:
 ما جنةُ الخلدِ إلا في دياركمُ.
 لا تحسبوا في غد أن تدخلوا سقراً.
 ** يا لؤلؤاً يسي العيون أنيقاً*،
 ما إن رأيتُ ولا سِغتُ بمثله:
 وإذا نظرتُ إلى محاسن وجهه،
 فإذا بعدنا فقل البشام^(١) ؟
 لابن إحدى وثمانين سنة^(٢)
 طالما جرَّ صباه رسته^(٣).
 تُسخنُ العين، وأخرى حسنه^(٤)!
 ومعا محاسنك البلى والنار^(٥).
 طال اعتبارُ فيه واستعمار^(٦).
 وتمحصتُ بجرابها الأقدار^(٧)،
 (لا أنتِ أنتِ، ولا الديارُ ديار)^(٨).
 ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجار.
 ولو تَحَيَّرْتُ، هذا كُنتُ أختارُ.
 فليسَ تُدْخِلُ بعدَ الجنةِ النار^(٩)!
 ورشاً بتقطيعِ القلوبِ رقيقاً^(١٠)،
 دُرّاً يعودُ من الحياءِ عقيقاً^(١١).
 أَلْقَيْتُ وَجْهَكَ في سناه غريقاً^(١٢).

- (١) البشام: نوع من الشجر.
- (٢) سنة (بكر السين): التماس، النوم.
- (٣) قلص الشيء: صغر مساحته (بكر الميم). جرَّ صباه رسته (لجأه): كان قد جمعه الشباب يندفع في ملذاته بلا ضابط.
- (٤) تسخن العين: تُبكي، تؤلم.
- (٥) عاث: أفسد. الظبي جمع طبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. البلى: الفناء.
- (٦) اعتبار: تأمل في حوادث الأيام. استعمار: بكاء.
- (٧) تمحصت: انكشفت (ظهر أثرها).
- (٨) المرصّة (بفتح وسكون): ساحة الدار. «لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأبي تمام (كناية عن تبدل الأشياء تبدلاً كاملاً).
- (٩) سفر من أسلم جهنم.
- * نروي أيضاً لابن عبد ربه
- (١٠) لؤلؤ (كناية عن الوجه الأبيض: الجميل). الأنيق: الذي يعجب العين. الرشأ: الغزال الصغير.
- (١١) العقيق: حجر كريم أحمر اللون. (حينما يستحي وجهه الأبيض أحمر اللون).
- (١٢) رأيت وجهك في وجهه (كأن وجهه مرآة).

يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ، ما بِالْ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقًا؟
 ** ومائِةُ تُرْهِى وقد خَلَعَ الحيا عليها حُلَى حُمْرًا وَأَرْدِيَّةَ خُضْرًا^(١) .
 يذوبُ لها رَيْقُ الغنائمِ فِضَّةً ويحمَدُ في أعْطافِها ذَهَبًا نَضْرًا.
 - وقال يُداعِبُ مِنْ بَقَلٍ عِذارُه:

أُثَمِّها التائِه، مَهَلًا، ساءَ في أَنْ يَهْتَأَ جَهْلًا^(٢).
 هَلْ تَرى - فِيا تَرى - إِلَّا شَبابًا قد تَوَلَّى؟
 وَغرامًا قد تَسَرَّى وفُؤادًا قد تَسَلَّى^(٣)؟
 أَيْنَ دَمَعٌ فِيكِ يَجْري أَيْنَ جَنْبٌ يَتَقَلَّى...؟

أما بعدُ: أُمِّها النبيلُ النبيه، إِنَّه لَا يَجْتَمِعُ العِذارُ والتَّيِّبه^(٤). قد كان ذلك وَغُصْنُ الشَّيْبَةِ رَطْبٌ، وَمَنْهَلُ ذلك المُقْبَلِ عَذْبٌ^(٥). وأما والعِذارُ قد بَقَلْ^(٦) والزمانُ قد انتَقَلَ والصَّبُّ قد صَحَا وعَقْلٌ، فقد رَكَدَتْ رِياحُ^(٧) الأَشْواقِ ورَقَدَتْ عِيونُ العُشاق. فَدَعْ عَنكَ مِنْ نِظَرَةِ التَّجَنِّيِ ومِشْيَةِ التَّنْثِي، وَغُضْ مِنْ عِنانِكَ^(٨) وَخُذْ في تَرْضِي إِخوانِكَ. وَهشَّ عِنْدَ اللِّقاءِ هِشَّةً أُرْجِيَّةً واقْنَعْ بالإِماءِ رَجَعَ تَحِيَّةً^(٩). فَكَأَنِّي بِفِنائِكَ

(١) يصف زهرة بتلاتها بيض وجوفها أصفر. الحيا: المطر.

(٢) التائه: المعجب (بضم الميم وفتح الجيم) بنفسه والمتكبر على غيره.

(٣) تَسَرَّى: ذهب في السَّريَّة (خرج إلى الحرب): ذهب عَنكَ. ورَبَّما تَسَرَّى: تزوَّج سَريَّةً (أمة من النساء). تَسَلَّى (عَنكَ): نسيكَ لاشتغاله بغيرك.

(٤) العذار: الشعر الذي ينبت في الوجه.

(٥) المنهل: المشرب (مكان الشرب). المُقْبَل: الفم.

(٦) بقَل: نبت.

(٧) رَكَدَ: هَدَأَ.

(٨) التَّجَنِّي: نسبة الذنوب إلى الآخرين، ظلم الآخرين. التَّنْثِي: التخلُّع، التَّابِلُ بدلًا. غُضَّ (اخفض) مِنْ عِنانِكَ (لجامك): اكبح نفسك، لا تحاول أن تستميل الناس بالتَّكَبُّرِ عليهم (ذلك تفعله النساء الجميلات الشابات).

(٩) هَشَّ: تلقَّى الناس بطلاقة وجهه ويتواضع. الإِماء (الإشارة). لا تنتظر من الناس أن يحتفوا بك كما كانوا يفعلون من قبل).

مهجوراً وبزائرك مأجوراً^(١). والسلام.

- ومن مُقدِّمة ديوانه (نثراً):

والشعر - وإنِ اهْتَبِلَ به وأَعْتَمِلَ فيه^(٢) - ليس يخلو جيده من سَقَطٍ وانقسام
إلى طَرَفَيْنِ ووسطٍ.... فكلُّ ما ينشأ من أجزاء مُؤَبِّلَةٍ فَإِنَّا يتركبُ من أشياء
مختلفة. والشعرُ يَأْتِلُفُ من مَعْنَى ولفظٍ وعروضٍ وحَرْفٍ رَوِي^(٣)، فقد يتعاصى في
بعضِ الأمكنة جزء من هذه الأجزاء أو أكثر.... وإنَّ من قولنا^(٤) ما كنَّا قد
افْتَتَحْنَاهُ بِمَنْثُورٍ، وَشَحْنَاهُ بِفَقْرِ مُزدوجةٍ وشذور^(٥). وها نحن قد أوردناه كما كنَّا
سرَدْنَاهُ، ونَقْلْنَاهُ بِحَسَبِ ما قُلْنَاهُ، تَعَلَّقًا بِحَرْفٍ من النثر يُسَاقِ خِلَالِ النَّظْمِ، وَيَنْتَقِلُ
مُطَالَعُهُ من قِسْمٍ من الكلام إلى قسم. ولَمَلَّ ذلك أبْسَطُ للنفسِ وأنشَطُ، وأَذْهَبُ مَعَ
الأنسِ وأَهْذَبُ^(٦). ومنه ما كان انتظَمَ في عَصْرِ الشَّيْبَةِ وبطريقِ الدُّعَابَةِ والطَّيْبَةِ؛
ولَمَّا لم تُشِيرْ في معناه إلى نُكْرٍ، ولم نَلَمْ في ألفاظِهِ بِهُجْرٍ، أثْبَتْنَاهُ في بابِ الْفُكَاةِ
والهَزْلِ. وَلَمَلَّ لَهَا مَوْقِعاً من نَفْسِ الْفَقِي النَّدْبِ^(٧) والسَّيِّدِ الْجَزْلِ^(٨).

- وله مقطوعة في اللُّهُو:

وَلَيْلٍ تَعَاظِنَا الْمُدَامَ، وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ كَمَا هَبَّ النِّسِيمُ عَلَى الْوَرْدِ.

(١) الفناء: الباحة أمام البيت. فناؤك مهجور (لا يزورك أحد). مأجور: له أجر عند الله (بالأمر كانوا يزورونك لمعصية. واليوم يزورونك قياماً بواجب اجتماعي).

(٢) اهتبل: انتزع فجأة (أتى عفواً). اعتمل فيه: جهد الشاعر في نظمه.

(٣) العروض: وزن الشعر. الروي: الحرف الذي تبنى عليه قافية القصيدة.

(٤) قولنا: قول الشعر.

(٥) وشح: زين. الفقرة (بالكسر): الجملة القصيرة. مزدوجة: جملتان متساويتان في الطول ومسجوعتان. الشذر (بفتح فسكون): قطع صغيرة من الذهب توضع بين حبات اللؤلؤ في المقد (أتينا بين المزدوجات بجمل غير مسجوعة).

(٦) أبسط للنفس (أكثر سروراً) أذهب مع الأنس: أكثر موافقة للهو. أذهب: أشد أنراً في تهذيب النفس (٤).

(٧) النكر: الأمر المنكر (الذي لا يجوز فعله). المهجر: القول أو العمل القبيح.

(٨) الندب: الطريف. الجزل: العظيم، الكثير (الوقور).

نُعَاوِدُهُ وَالْكَأْسُ تَغْبِقُ نَفْحَةً؛
وَنُقَلِّي أَقَا حُ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطُّلَا
إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَأْسُ وَالْكَرَى
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا بَيْنَ أَضْلَمِي
وَعَايِنْتُهُ قَدْ سَلَّ مِنْ وَشْيٍ بُرْدِهِ:
لَبَانَ مَجَسُّ وَاسْتَقَامَةً قَامَةً
أَغَا زِلْ مِنْهُ الْغَضْنَ فِي مَفْرَسِ النِّقَا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَا فَإِنَّهُ
تَسَاوَرُ كِلْتَا رَا حَتِيَّ بِجِسْمِهِ،
فَتَهَيِّطُ مِنْ كَشْحِيهِ كَفِّي تِهَامَةً
وَأَطْيَبُ مِنْهُ مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي^(١)،
وَنَرْجَسُهُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدُهُ الْخَدَّ^(٢)،
وَمَالَا بِعِطْفِيهِ فَإِلَى عَلَى عَضْدِي.
مِنْ الْحَرِّ مَا بَيْنَ الثَّغُورِ مِنَ الْبَرْدِ!
فَمَا يَنْتُ فِيهِ السِّيفَ سَلَّ مِنَ الْغَيْدِ:
وَهَزَّةَ أَعْطَافٍ وَرَوَّقَ إِفْرَنْدِ^(٣).
وَالْتِمُّ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ^(٤).
أَخُوهَا كَمَا قَدْ الشَّرَاكَ مِنَ الْجِلْدِ^(٥).
فَطَوَّرَا إِلَى خَصْرِ وَطَوَّرَا إِلَى نَهْدِ:
وَتَصَعَّدُ مِنْ نَهْدِيهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ^(٦)!

- ٤ - ديوان ابن خفاجة، مصر (مطبعة جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ (نشره كرم بستانى)، بيروت (دار صادر) ١٩٥١ م، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م، (تحقيق مصطفى غازي)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦٠ م.
** ابن خفاجة، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

قلائد العقيان ٢٦٦ - ٢٧٨ الصلصة ١٠٠ وما بعدها؛ بغية الملتبس ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ١٤٧ - ١٦٣، ٥٤٨ - ٥٥٢

- (١) ما نعيد وما نبدي (نبداً) من الكلام أو من الأفعال.
(٢) النقل: ما ينفك به الناس من المكسرات والفاكهة وما شابهها. أقاح وأقاحي جمع أقعوان يضم الهزرة والماء (القاموس ٤: ٣٧٦) الثغر (القم: الأسان. سوسن: زنبق. الطلا جمع طلاء (بالضم): العنق..... يقصد أنه على الشراب لا يتناول اللوز والفتق. الخ، بل يقبل هذه الأعضاء من المحبوب.
(٣) اللبان: اللين. الإفرند: السيف.
(٤) - فامته التي هي كالغصن. النقا: الرمل الأبيض (يقصد أن وسط المحبوب كبير كأنه ثلث من النقا).
(٥) فإن لم يكنها: إذا لم يكن هذا المحبوب هو الشمس (بالنصب على أنها خبر كان، والضمير «هو» لتوكيد اسم كان). قد: قطع. الشراك: سير من جلد.
(٦) الكشح: أوسط الجسم (عند الخصر). تامة (ساحل الحجاز): المكان المنخفض. التجد: ما ارتفع من الأرض.

الخريدة (الأندلس) ١: ٢ - ٦، ٦٢٥ - ١٦٣٣ الوافي بالوفيات ٦: ٨٣ - ١٩٠ وفيات
الأعيان ١: ٥٦ - ٥٧، ٣٩٥، المغرب ٣: ٣٦٧ - ٣٧١، المغرب ١١١ - ١١١٧
بغية الوعاة ١٨٤: نفح الطيب ١: ١٦٩ - ١٧٠، ٢١٠، ٥٠٤، ٥٣٦، ٥٣٩، ٦٧٧ -
٦٨٧، ٣: ٢٠٠ - ٢٠٢، ٣١٨، ٣٢٠ - ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٠٥، ٤٦٠، ٤٨٨ - ٤٨٩،
٤: ١٤ - ١٥، راجع ٥٤، ١٠٦ - ١٠٧، ٣٢٨، ٤٥٥، ٥٩٨: دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ٨٢٢ - ٨٢٣ بروكلمن ١: ٣٢١، الملحق ١: ٤٨١ - ٤٨٢ مختارات
نيكل ١٥٠ - ١٥٤ تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣ - ١٢٥ الأعلام للزركلي ١: ٥١
(٥٧)، سركيس ١٩٥ تاريخ النقد (عباس) ٤٩٧ - ٤٩٩ نيكل ٢٢٧ - ٢٣١.

أبو الفضل بن شرف

١ - هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني، وُلِدَ في بَرْجَة، قرب المَرْيَة
(الأندلس) في الغالب، سَنَة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعدها بقليل^(١). وكان أبو الفضل
يتزّيا بِزَيِّ البدو. وجاء بهذا الزي من بَرْجَة إلى المَرْيَة لِيَمْدَحَ المعتصم بن صَاحِب^(٢).
ويبدو أَنَّ حاله ارتقت بعد ذلك فَكَثُرَ اتِّصَالُهُ بِملوكِ الطوائف وتولّى عندهم عدداً
من المناصب ثم تولى مَنْصِبَ الوزارة^(٣). وكانت وفاة أبي الفضل جعفر بن شرف سَنَة
٥٣٤ هـ (١١٤٠ م).

٢ - أبو الفضل بن شرف « هو الحكيم الفيلسوف » (نفح الطيب ٣: ٣٩٥)، وهو

(١) نفح الطيب (٣: ٣٩٥) « ... ولد ببرجة، وقيل إنّه دخل الأندلس مع أبيه وهو ابن سبع سنين ». ويبدو أن حسن حسني عبد الوقاب قد قبل أن يكون مولد جعفر بن شرف في القيروان ودخوله إلى الأندلس في السابعة من عمره. وبما أن أبا عبد الله محمد بن شرف (والد أبي الفضل جعفر) قد دخل إلى الأندلس في نحو سنة ٤٥٠ هـ، فقد جعل ولادة جعفر سنة ٤٤٤ هـ (مجلد تاريخ الأدب الأندلسي ١٧٧).

(٢) كان محمد بن معن المعتصم بن صَاحِب من ملوك الطوائف في المَرْيَة وما حولها. ويبدو أن جعفر بن شرف كان في مستقبل عمره لما جاء إلى المعتصم بن صَاحِب مادحا. ولعلّ ذلك كان قبل معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ)، فإنّ ملوك الطوائف اشتغلوا بعد تلك المعركة بمداغة المرابطين عمّا كان بأيديهم من البلاد التي كان النصارى الإسبان يستولون عليها قليلاً قليلاً، أي قبل أن يبلغ جعفر بن شرف الثلاثين من عمره.

(٣) مجلد تاريخ الأدب التونسي ١٧٧.

« فقيهٌ مشهورٌ » (بغية الملتبس ص ٢٣٩). ثم هو كاتبٌ شاعرٌ مليحٌ المعاني عذبُ الكلام زادَ في رِقَّةِ الشعرِ على أبيه^(١). وتراه أحياناً يسمو بشعره إلى المتانة والخشونة حتى يكادَ شعره يُصبحُ بدوياً جاهليّاً، كما يسمو أحياناً أخرى إلى مُعارضة المتنبي فيقاربه في الألفاظِ وبناء الأبيات، وربما لمَحَ لَمَحَةً أذنته من معاني المتنبي. وله أرجوزة^(٢) في الزُهدِ وذكُرَ النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم والصحابّة، ولعلَّ له تصانيف.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي الفضل جعفر بن محمد بن محمد بن شرف حكم منها:

العالم مع العلم كالناظر إلى البحر يستعظم منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر -
الفاضل في الزمن السوء كالصباح في البراح^(٣)، قد كان يضيء لو تركته الرياح -
التعليم فلاحه الأذهان، وليست كلّ أرض منبئة - الحازم من شكّ فروى وأيقن
فبادر^(٤) - ليس المحروم من سأل فلم يُعطَ، وإنّا المحروم من أعطي فلم يأخذ.

- وقال يمدحُ محمدَ بنَ مَعْنٍ المعتمدَ بنَ صَهاحٍ صاحبَ المَريّة:

مَطَسَلَ اللَّيْلُ بوعَدِ الفَلَقِ وتَشَكَّى النَجْمُ طَوْلَ الأَرَقِ^(٥).
ضربتُ رِيحُ الصَّبَا مِنْكَ الدُّجَى فَاسْتَفَادَ الرُّوضُ طَيْبَ العَبَقِ^(٦).
وَأَلَحَّ الفَجْرُ خَدًّا خَجَلًا جالَ من رَشَحِ النَّدى في عَرَقِ^(٧).

(١) خلط كثير من رواة الأدب والمؤرخين في تاريخ الأدب بين أشعار أبي عبد الله محمد بن شرف وبين أشعار ابنه أبي الفضل جعفر.

(٢) فهرسة ابن خير ٤٢٣.

(٣) البراح: المتسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

(٤) الباردة: ما يسرع به الإنسان من قول أو عمل.

(٥) الفلق: اشتقاق الفجر (طلوع الصبح). الأرق: السهر، قلة النوم. - لم يفرّ الليل بوعده في طلوع الصبح في حينه فسُئمت النجوم من سهرها في هذا الليل الطويل.

(٦) ريح الصبا الشرقية (الباردة) اختلطت بلون الليل (الذي يشبه المسك الأسود) فتنتجت (بالبناء للمجهول) منه رائحة طيبة.

(٧) ألاح (أبدى، أظهر، أدار) الفجر خدًّا خَجَلًا: بدأ ظهور الفجر، فظهرت (في النور القليل) نقاط =

جاوزَ الليلَ إلى أنْجَمِهِ فتساقطنَ سقوطَ الورقِ ^(١).
 واستفاضَ الصبحُ فيه فيضةً أُيقِنَ النجمُ لها بالفرقِ ^(٢).
 فأنجلى ذاك السنا عن حلكِ، وأمحى ذاك الدجى عن شفقِ ^(٣).
 بأبي بعدَ الكرى طيفَ سرى طارقاً عن سكرٍ لم يطرقِ ^(٤).
 زارني والليلُ ناعٍ يذقه وهو مطلوبٌ ببعضِ الرمقِ ^(٥).
 ودموعُ الطلِّ تمرُّها الصبا، وجفونُ الروضِ غرقى الحدقِ ^(٦).
 فتأتى في إزار ثابتٍ، وتثنى في وشاحِ قلبِقي ^(٧).
 ونجلى وجهه عن شعره فتجلى فلقٌ عن غسقِ ^(٨).
 نهبَ الصبحُ دجى ليلته فحبا الخدَّ ببعضِ الشفقِ ^(٩).

- =
 (١) - الندى (التي كانت قد نزلت في الليل البارد على الأشجار) كأنها نقاط عرق (على خد جيل).
 (٢) - بعد أن بدأ الفجر بطرد الليل وصل إلى النجوم فأخذت تحتفي نجماً بعد نجم (كما تساقط أوراق الشجر في الخريف).
 (٣) ثم جاءت دفعة جديدة من نور الفجر فأيقنت النجوم أنها ستحتفي كلها بعد ذلك.
 (٤) فنبذ السنا (النور) بعد الحلك (الظلام). وذهب الدجى (ظلام الليل) وبقي مكانه الشفق (حرة الفجر).
 (٥) أفدي بأبي = أي فداء: ما أحسن هذا الطيف (الخيال الذي رأيته في المنام) والذي جاء في آخر الليل (بعد أن نمت). طارقاً: مفاجئاً (على غير انتظار). سكن: شيء تسكن إليه، تسر به. لم يطرق: لم يزر (قبل الآن).
 (٦) ناعٍ يذقه (شدة ظلامه): وقد أوشك أن ينتهي. وهو مطلوب: يطلبه (يلحق به) الصبح ليجهز عليه، ولا يزال فيه بعض الرمق (بقية بسيرة).
 (٧) - وكانت نقاط الندى قد بدأت تمرُّها الصبا (قد بدأت ريح الصبا العليلية الخفيفة تمرُّ الأغصان فتساقط حبات الندى). بينما بقي عدد من الأزهار تملأ نقاط الندى (وعيون الروض، أي الأزهار) غرقى (يملأها الندى). الحدق: العيون (هنا: قلب الزهر).
 (٨) فتأتى (المحبوب الذي جاء في المنام): سار على مهل. يزار ثابت (كان إزاره، أي الثوب الذي على القسم الأدنى من جسمه، ثابتاً لا يتحرك، لأن أوسط جسمه مليء مكتنز) ويتثنى (يتأهل بدلال) بوشاح (عقد أو شيء تطرحه المرأة على أكتافها) فلق (كثير التحرك، لأن القسم الأعلى من جسد المحبوب أهيف، رشيق، ناعل).
 (٩) ولما أراح شعره عن وجهه فكأنه أزال الغسق (الظلام: شعره الأسود) عن الفلق (الصبح: وجهه الأبيض).
 (٩) إن الليل قد أخذ لونه من سواد شعر المحبوب وعوضه عن ذلك شيئاً من الحمرة في خده.

سَلَبَتْ عَيْنَاهُ حَدِيثِي سَيْفِهِ وَتَحَلَّى خَدَّهُ بِالرَّوْنَقِ^(١) .

وهنا أربعة وعشرون بيتاً تصِفُ فرساً وفارسه وجَوْلَانَهَا في معركةٍ خيالية يتَخَذُها الشاعرُ وسيلةً إلى الإتيانِ بصورةٍ بلاغيةٍ بارعةٍ معَ عددٍ من الألفاظِ الغريبةِ . وتنتهي القصيدةُ بأربعة أبياتٍ في المديحِ ، هي :

يا بنى مَعْنٍ لَقَدْ ظَلَمْتُ بِكُمْ شَجَرٌ لَوْلَاكُمْ لَمْ تُورِقِ^(٢) .
لو سَقَى حَسَّانٌ إِحْسَانَكُمْ مَا بَكَى نُدْمَانَهُ فِي جِلْقِ^(٣) .
أَوْ دَنَا الطَّائِيُّ مِنْ حَيْكُمٍ مَا حَادَ الْبَرْقَ لَرِجِ الْأَبْرِقِ^(٤) .
أَبْدَعُوا فِي الْفَضْلِ حَتَّى كَلَّفُوا كَاهِلَ الْأَيَّامِ مَا لَمْ يُطِيقْ^(٥) .

- وله من قصيدة في الحماة والحكمة :

إِنِّي - وَإِنْ غَرَّيْ نَيْلُ الْمُنَى - لَأَرَى حِرْصَ الْفَقَى خَلَّةً زِيدَتْ إِلَى الْعَدَمِ^(٦) .
تَقَلَّدَتْنِي اللَّيَالِي وَهِيَ مُدْبِرَةٌ كَأَنِّي صَارِمٌ فِي كَفِّ مُنْهَزِمِ^(٧) !
ذَهَبْتُ بِالنَّفْسِ لَا أَلْوِي عَلَى نَسَبٍ ، وَإِنْ دُعِيتُ بِهِ أَبْنُ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ^(٨) .

(١) في عينيه وخدَّه صفات السيف : حدَّ السيف القاطع في عينيه ، ولون السيف المجلو الأبيض في وجهه .
الروْنَقُ : الجمال والبياض .

(٢) ظَلَمْتُ = أَظَلَمْتُ : ظَلَمْتُ (الناس) بِحَكْمِكُمُ الْأَمِينَ الْعَادِلَ وَبِكْرَمِكُمْ .

(٣) لو أَنَّ كَرَمَكُمْ وَصَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ لَنَسِيَ (لَمَّا ذَكَرَ حَسَّانَ) كَرَمَ مَدْحِيهِ فِي جِلْقٍ (بَصْرِي عَاصِمَةُ الْفُصَاةِ) . كَانَ حَسَّانٌ قَدْ قَالَ :

لَهُ دَرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتُهُمْ يَوْمًا بِجِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ .

يَكُنْ ضَبِطَ هَذَا الْبَيْتَ بَيْنَهُ « سَقَى » لِلْمَجْهُولِ (سَقَى) وَبَرَفَعَ حَسَّانَ وَنَصَبَ إِحْسَانَكُمْ .

(٤) وَلَوْ أَنَّ حَاقِمًا الطَّائِيَّ جَاوَرَكُمْ مَدَّةً لَمَا اشْتَاقَ إِلَى رِجِّ الْأَبْرِقِ .

(٥) لَقَدْ جَاءَ الْمَدْحُوحُونَ (بَنُو مَعْنٍ) بِبَدْعٍ (أَشْيَاءَ لَمْ تَعْرِفْ مِنْ قَبْلُ) فِي الْكَرَمِ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا أَرَادَ تَقْلِيدَهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ .

(٦) الْحِرْصُ : الْجُبْنُ ، الطَّمَعُ فِي الْحَصُولِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . الْخَلَّةُ (بِفَتْحِ الْهَاءِ) : الْخُصْلَةُ ، الْخَاصَّةُ ، الصِّفَةُ . الْعَدَمُ : الْفَقْرُ .

(٧) تَقَلَّدَتْنِي اللَّيَالِي : حَلَّتْنِي ، تَزَيَّنَّتْ بِي . مُدْبِرَةٌ : مُتَهَيِّجَةٌ ، (أَيَّامُ فَقْرٍ وَهَزِيمَةٍ) . صَارِمٌ : سَيْفٌ . - جَثْتُ فِي زَمَانٍ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْتَفِيدَ فِيهِ مِنْ مَوَاهِي .

(٨) ذَهَبْتُ بِالنَّفْسِ (بِنَفْسِي) : تَكَبَّرْتُ ، فَضَّلْتُ نَفْسِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، تَرَفَعْتُ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا . لَا أَلْوِي (الْتَفَتْتُ) إِلَى نَسَبٍ (مَالٍ ، ثَرَوَةٍ) .

فللمصارع أطرافُ اليراعِ يدٌ بَنَتْ لي المجدَ بينَ السيفِ والقلمِ^(١).

- وقال يشكو الدهر وأهله (نفع الطيب ٣: ٢٢٩):

لعمرك ما حَصَلْتُ على خطيرٍ من الدنيا ولا أذركُ شيئاً^(٢).
وها أنا خارجٌ منها سَلِيباً أَقْلَبُ نادماً كِلْتا يَدَيَّ.
وأبكي ثم أَعْلَمُ أن مَبَكَايَ لا يُجدي فأَسْحَ مَقْلَتِيَا^(٣).
ولم أَجَزْغْ لَمَوْلِ الموت لكنْ بَكَيْت لِقَلْبِ الْبَاكِي عَلِيَّاءَ،
وَأَنْ الدَّهْرَ لم يَغْلَمْ مَكَانِي وَلَا عَرَفَتْ بَنُوهُ مَا لَدَيَّاءَ،
زَمَانٌ سَوْفَ أَنْشُرَ فِيهِ نَشْرًا إِذَا أَنَا بِالْحَمَامِ طُوبِت طَيِّبًا^(٤).
أَسْرُ بِأَنْسِي سَاعِيشُ مَيِّتًا بِهِ، وَيَسُوءُ فِي أَنْ مَيِّتٌ حَيًّا^(٥).

- وفد أبو الفضل بنُ شرفٍ مرَّةً على المعتمد بن صُهاج يشكو إليه عاملاً (جاني ضرائب) ناقشه في قريةٍ يحرثُ فيها، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها (نفع الطيب ٣: ٣٩٦):

قَامَتْ تَجَرُّ دُيُولَ الْعَصَبِ وَالْحَبِيرِ ضَعِيفَةُ الْخَصْرِ وَالْمِيثَاقِ وَالنَّظَرِ^(١).
لَمْ يَنْتَقِ لِلْجَوْرِ فِي أَيَّامِكُمْ أَثَرٌ إِلَّا الَّذِي فِي عُيُونِ الْغَيْدِ مِنْ حَوَرٍ^(٢).
مِنْ كُلِّ مَازِيَةٍ أُنْتَى، فَيَا عَجَبًا كَيْفَ اسْتَهَانَتْ بِوَقْعِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ^(٣).

- وقال في التملُّقِ والمدايرة:

إِذَا مَا عَدُوُّكَ يَوْمًا سَمَا إِلَى رُتْبَةٍ لَمْ تَسْتَطِعْ نَقْضَهَا،

(١) اليراعة: القصة الجوفاء (القلم) - ولعلها الرماح (٢).

(٢) خطير: عظيم، مهم، ذو قيمة.

(٣) مجدي: ينفع.

(٤) أنشر: أبكت (اشتهر). الحمام: الموت.

(٥) عشت مَيِّتًا (مغموراً، مجهولاً)، وساعيش مَيِّتًا: سأشتهر بعد موتي.

(٦) العصب: نوع من البرود (ثياب الحرير المقصية: المنسوجة بالذهب). الحير: الثياب حرير سود.

(٧) الغيداء: المرأة الجميلة. الحور: شدة أبيضاض بياض العين وشدة أسوداد سوادها.

(٨) الماذية الدرع (والدرع التي تلبس في الحرب مؤنثة). الصارم الذكر: السيف الذي سقى الذكرة (بضمّ

الذال)، الفولاذ.

فَقَبِّلْ - وَلَا تَأْتَنْ - كَفَّه إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَطِعْ عَضَّهَا.

- ٤- ** * فلاند العقيان ٢٩٠ - ٣١٤، الصلة ١٣١، التكملة ١٨٧٠، الذخيرة ٣: ٨٦٧ -
 ١٨٨٦، الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٧١ - ١٨١، الخريدة (الأندلس) ٢:
 ٢٣ - ٣٩، المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢، نفح الطيب ١: ١٥١، ٣: ٢٢٩، ٣٧١،
 ٣٩٣ - ٣٩٦، ٣٩٧، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦ - ٩٣٧، نيكل ١٨٧ -
 ١٨٨، مختارات نيكل ١٢٩ - ١٣٠، الأعلام للزركلي ٢: ١٢٤ (١٢٨).

أبو العباس بن العريف

١ - هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحَدُ بَنِي مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الصَّنْهَاجِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَرْبِيِّ، مِنْ قَبِيلَةِ صَنْهَاجَةَ وَمَنْسُوباً إِلَى مَدِينَةِ الْمَرْيَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١: ٩٤).

وُلِدَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ فِي الثَّانِي مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٤٨١ (١٠٨٨/٨/٢٣ م). وَقَدْ كَانَ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ الصَّالِحِينَ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاضِي عِيَّاضِ بْنِ مُوسَى الْيَحْصِيَّيِّ (ت ٥٤٤ هـ) مَكَاتِبَاتٌ. وَوَسَّى بِهِ بَعْضُ أَعْدَائِهِ إِلَى سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ عَلِيِّ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشَفِينَ فَاسْتَقْدَمَهُ عَلَيْهِ بَنِي يَوْسَفَ إِلَى مَرَّاكُشَ. وَفِي مَرَّاكُشَ تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ، فِي ٢٢ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٥٣٦ (١١٤١/٩/٢٦ م).

٢ - كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصَّنْهَاجِيُّ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْعُلُومِ وَعِنَايَةٌ بِالْقِرَاءَاتِ كَمَا كَانَتْ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا « كِتَابُ الْمَجَالِسِ » (تَمَا يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ). وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ أَيْبَاتٌ رَقِيقَةٌ عَلَى مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ (بَغِيَّةُ الْمُلْتَمَسِ ١٥٥: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١: ٩٤):

شَدَّوْا الْمَطِيَّ وَقَدْ نَالُوا الْمُنَى بِمُنَى ، وَكُلُّهُمْ بِالْإِيمِ الشَّوْقِ قَدْ بَا حَا^(١) .
سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْدَى رَوَائِحُهَا طَيِّباً بِمَا طَابَ ذَاكَ الْوَقْدُ أَشْبَا حَا^(٢) :
نَسِمْ قَبْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى لَهُمْ رَوْحٌ إِذَا شَرِبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَا حَا^(٣) .
يَا وَاصِلِينَ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ زُرْتُمْ جُسُوماً وَزُرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا^(٤) .
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وَعَنْ قَدَرٍ وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَا حَا^(٥) .

- وقال أبو العباس بن العريف (نفع الطيب ٥ : ٥٩٨) :

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا ، كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى^(١) ٣
لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلِرَغْبِي النُّجُومَ كُنْتُ مُخْلَا^(٢) .
إِنَّ لِلْعَاشِقِينَ عَنْ قِصْرِ اللَّيْلِ لِي وَعَنْ طَوْلِهِ مِنَ الْفِكْرِ شُغْلَا^(٣) .
- وقال (نفع الطيب ٤ : ٣٣١) :

إِذَا نَزَلْتُ بِأَحْتِكَ الرِّزَايَا فَلَا تَجَزَّعْ لَهَا جَزَعُ الصَّبِيِّ^(١) .
فَإِنَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ عِزَاءً بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ فَقْدِ النَّهْيِ^(٢) .

- (١) أَسْرَجُوا مَطَاهِمَهُمْ (خِلْمَهُمْ وَإِبْلَهُمْ) وَسَافَرُوا عَلَيْهَا. بَنَى مِنْكَ مِنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ شَرْقَ مَكَّةَ.
- (٢) مَطَاهِمُهُمْ كَانَتْ ذَاتَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَجْسَامُهُمْ كَانَتْ ذَاتَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ.
- (٣) الرُّوحُ (بِالْفَتْحِ): الرَّاحَةُ، السُّرُورُ. إِذَا ذَكَرُوا الرَّسُولَ طَرِبُوا كَمَا يَطْرِبُ الَّذِي يَشْرَبُ الرِّيحَ (الْحَمْرُ).
- (٤) الْمُخْتَارُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّسُولِ. مُضَرٌ: مِنْ عَرَبِ الشَّامِ. - أَجْسَامُكُمْ زَارَتْ الْأَجْسَامَ (الْأَبْنِيَّةُ) فِي مَكَّةَ، وَلَكِنْ أَرْوَاحُنَا التَّقَتْ بِذِكْرِ الرَّسُولِ وَبِالشَّوْقِ إِلَى تِلْكَ الْأَمَاكِنِ (الَّتِي زَرَعْتُمُوهَا أَنْتُمْ بِأَجْسَامِكُمْ).
- (٥) نَحْنُ أَقَمْنَا (فِي بِلَادِنَا: لَمْ نَذْهَبْ إِلَى الْحَجِّ) عَنْ عُذْرٍ (لَأَنَّا غَيْرُ مُسْتَطِيعِينَ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْحَجِّ) وَعَنْ قَدَرٍ (وَاللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَكْتُبْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْحَجِّ). وَلَكِنَّا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ (أَنْتُمْ رَغِبْتُمْ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ وَبَسَّرَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ. وَنَحْنُ رَغِبْنَا فِي الذَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ وَلَمْ يَبْسُرَ اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ).
- (٦) تَقَلَّى: جَلَسَ مُضْطَرِباً مُتَمَلِّلاً (كَأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ فِي الْمَقْلَى عَلَى النَّارِ).
- (٧) لَوْ كُنْتُ أَفْكَرَ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ وَقَصْرِهِ (فِي أُمُورِ هَذَا الْعَالَمِ) لَكُنْتُ مُخْلَاً (مُقْصِراً): كُنْتُ مُتَمَلِّهاً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِذِكْرِ أَشْيَاءٍ لَا قِيَمَةَ لَهَا.
- (٨) إِنَّ الْعَاشِقِينَ (الْحَبِيبِينَ لِلَّهِ - مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ) يَشْغَلُهُمْ (بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالغَيْنِ) ذِكْرُهُمْ لِلَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.
- (٩) الرِّزْيَةُ: الْمَصِيبَةُ الْكَبِيرَةُ. الْجَزَعُ: الْخَوْفُ مَعَ الْاضْطِرَابِ.
- (١٠) النَّازِلَةُ: الْمَصِيبَةُ. عِزَاءً: تَسْلِيَةً، نَسِيَانًا. - إِنَّ الَّذِينَ يَدْرُكُونَ مَصِيبَةَ الْمُسْلِمِينَ بِوَفَاةِ الرَّسُولِ تَهْوُونَ عَنْهُمْ جَمِيعَ الْمَصَائِبِ الْآخَرَى.

- ٤- محاسن المجالس (تحقيق آسین بالاثيوس)، باريس ١٩٣٣ م.
 ** بغية الملتبس ١٥٤ - ١٥٥؛ المقتضب ١٧؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣ - ١٣٥؛ وفيات الأعيان ١: ٩٣ - ٩٤؛ المغرب ٢: ٣١١ - ٣١٢؛ المطرب ٩٠ - ٩١؛ شذرات الذهب ٤: ١١١٢؛ نفع الطيب ٣: ٢٢٩ - ٢٣٠؛ ٤: ٣١٩، ٣٣١، ٥: ٥٩٧، ٥٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧١٢ - ٧١٣؛ بروكلمن ١: ٥٥٩، الملحق ١: ٧٧٦؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٨ - ٢٠٩ (٢١٥).

ابن برنجال

١- هو أبو بكر علي محمد بن الحسن بن يحيى بن خلف الأموي الأندلسي ويعرف بابن برنجال. كان من أهل دانية (شرق الأندلس)، سمع في بلده من طاهر ابن هشام وغيره. ثم رحل إلى المشرق وحج. وقد سمع في القدس (٤٦٥ هـ) من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) وفي عسقلان (فلسطين) وغيرها. وكان (٤٦٩ هـ) في الإسكندرية يتصدّر للتدريس فأخذ عنه الناس. ولكن نزلت به ضيقة ثم أنفجرت بأن تولى القضاء في الصعيد (مصر العليا) ثم في وادي إخم. وعاد ابن برنجال إلى الأندلس وتصدّر في دانية للتدريس (٤٧٢ هـ) وتولى القضاء فيها أيضاً. وكانت وفاته في دانية في الثالث والعشرين من رجب من سنة ٥٣٦ (١١٤٢/٢/٢٠ م).

٢- كان ابن برنجال الأندلسي فقيهاً مالكيّاً من أهل الدّراية في الفقه والحديث والنحو. وكان أيضاً أديباً شاعراً. وشعره وجداني سهل يدلّ على تسامي نفسه.

٣- مختارات من آثاره:

قال ابن برنجال عن نفسه (وكان في مصر):
 أَمَلْتُ سَنَةً مِنَ السِّنِينَ، فَقُلْتُ: أَذْرَكْتُني حِرْفَةُ الْأَدَبِ^(١)، فَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَقُولَ

(١) ألقى الرجل: افتقر. أذركني (لحقني) حرفة الأدب: قول شائع معناه أن العاملين في حقل الآداب والعلوم والدين لا تعظم ثرواتهم في الغالب، كما يقول ابن خلدون.

شِعْراً فِي الْوَالِي عِيَذَابٌ أَمْتَدَّحُهُ وَأَسْتَحْذِيهِ^(١). أَخْرَجَتْ نَفْسِي إِلَى السَّحَرِ وَأَعَدَدْتُ دَوَاةً
وَقُرْطَاساً فَلَمْ يُسَاعِدْنِي الْقَوْلُ فِيهِ^(٢) بَشِيءٌ. وَأَجْرَى اللَّهُ الْقَلَمَ بِأَنْ كَتَبَ:

قَالُوا: تَعَطَّفَ قُلُوبَ النَّاسِ! قُلْتُ لَهُمْ: أَدْنَى مِنَ النَّاسِ عَطْفًا خَالِقُ النَّاسِ .
وَلَوْ عَلِمْتُ لَسَعَيْي أَوْ لِمَسَالَتِي جَدَوِي، أَتَيْتُهُمْ سَعِيًّا عَلَى الرَّاسِ^(٣).
لَكِنْ مِثْلِي فِي سَاحَاتٍ مِثْلِهِمْ كَمَزَجَرِ الْكَلْبِ يَرعى غَفْلَةَ الْخَاسِي^(٤).
وَكَيْفَ أَبْسُطُ كَفِّي لِلسَّوَالِ وَقَدْ قَبَضْتُهَا عَنْ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَاسِ^(٥).
تَسْلِمُ أَمْرِي إِلَى الرَّحْمَنِ أُمْتَلُ بِمِنْ اسْتِلَامِي كَفَّ الْبَرِّ وَالْقَاسِي^(٦).

فَقَعَنْتُ نَفْسِي وَأَقْبَلَ أَنْسِي وَحَدِثُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَشَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَرَفَنِي عَنْهُ مِنْ
اسْتِجْدَاءِ مَخْلُوقٍ مِثْلِي. فَمَا لَبِثْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَ فِي كِتَابِي الْوَالِي عِيَذَابٌ يُؤَلِّمُنِي
فِيهِ بِحُطَّةٍ قِضَاءِ الْقَضَاءِ^(٧) بِالصَّمِيدِ ثُمَّ وَادِي إِخِيمَ.

١-٢-٢٢ * المَحْمُودُونَ ٣٠٥-١٣٠٦ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٥٠٨.

الإمام المازري

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ الشَّهْرُورِيُّ الْمَازَرِيُّ^(٨) نِسْبَةً

- (١) عِيَذَابٌ: مَرَقاً فِي جَنُوبِ مِصْرَ عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. اسْتَحْذِيهِ: أَطْلَبُ مِنْهُ حِذَاءً أَوْ عِطَاءً.
- (٢) السَّحَرُ: آخِرُ اللَّيْلِ قَبْلَ الْفَجْرِ (يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ قَدْ نَالَ قَسْطاً كَافِئاً مِنَ النَّوْمِ وَارْتَاحَ جِسْمُهُ وَعَقْلُهُ فَيَكُونُ أَكْثَرَ نَشَاطَةً وَأَقْدَرَ عَلَى نَظْمِ الشَّعْرِ وَعَلَى غَيْرِ نَظْمِ الشَّعْرِ).
- (٣) جَدَوِي: فَائِدَةٌ.
- (٤) فِي الْأَصْلِ: سَاحَاتٍ مِثْلِكُمْ. وَالْمَعْنَى يَقْتَضِي: مِثْلَهُمْ. مَزَجَرِ الْكَلْبِ (الْجُلُوسُ بَعِيداً) يَرعى (يَرَاقِبُ) غَفْلَةَ الْخَاسِي (الْخَاسِيَّةُ) وَالْخَاسِي مِنَ الْكَلَابِ الَّذِي لَا يَتْرَكَ أَنْ يَدْنُو مِنَ النَّاسِ. وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ بِالْخَاسِيَّةِ الَّذِي يَطْرُدُ الْكَلْبَ. فَيَقُولُ الشَّاعِرُ أَرَأَيْتَ غَفْلَةَ الَّذِي يَطْرُدُونَنِي، فَإِذَا غَفَلُوا عَنِّي اقْتَرَبْتَ مِنْ طَعَامِهِمْ.
- (٥) قَبَضْتُهَا عَنْ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَاسِ: كُنْتُ قَدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَى النَّاسِ مَرَاراً فَرَجَعْتُ يَدِي فَارِغَةً وَرَجَعْتُ أَنَا بِالنَّاسِ مِنْ خَيْرِهِمْ.
- (٦) أُمْتَلُ: أَلْبِقُ. الْاسْتِلَامُ: تَقَبُّلُ الْيَدِ وَغَمُوحَا. الْبَرُّ: التَّقِيُّ، الرَّفِيقُ بِالنَّاسِ.
- (٧) اسْتِجْدَاءٌ: طَلَبُ الْجَدْوَى (الْمَطْلَبَةِ). قَاضِي الْقَضَاءِ: مَنْصَبٌ يَتَنَاولُ الْقَضَاءَ الْعَامَّ غَيْرَ قَاصِرٍ عَلَى بَقْعَةٍ مَعْيِنَةٍ.
- (٨) مَعْظَمُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى كِتَابِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ (ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م).

إلى مازر^(١)، وهي بلدة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية (أو سقلية). ويبدو أن مولده كان في المهديّة (بالقُطر التونسي)، نحو سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م)، وفيها نشأ وتلقّى علومه على نفر من علماء المهديّة، منهم الفقيه أبو الحسن عليّ بن محمّد الرّبيعيّ اللّخميّ (ت ٤٧٨ هـ) وأبو محمّد عبد الحميد بن محمّد المعروف بابن الصّائغ (ت ٤٨٦ هـ).

تصدّر المازريّ للتدريس في المهديّة وقصده الطّلاب من القطر التونسي ومن خارجه. وكانت وفاته في (يوم الاثنين) ثامن عشر ربيع الأوّل من سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١/١٠ م). في المهديّة.

٢- كان الإمام المازريّ محدثاً حافظاً وفقيهاً مجتهداً، إلّا أن قلّمه (كتابته) أبلغ من لسانه (كلامه)، وإن كان كثير الاستشهاد بالأدب كثير الإيراد للحكايات. وكان ناثراً يشبه نشره نشر الفقهاء عامّة، ولعله كان ينظّم أيضاً. وقد تعلّم المازريّ الطبّ. ثم هو مصنّف للكتب كثير، له: المُعلّم بفوائد مُسلم (وهو مجموع ملاحظات أبداه المازريّ لما قرأه عليه صحيح مُسلم القشيريّ، في المهديّة، في رمضان من سنة ٤٩٩ هـ؛ ولا تبلغ تلك الملاحظات إلى أن تكون شرحاً) - إيضاح الحصول من برهان الأصول (وهو شرح على: البرهان في أصول الفقه لإمام الحرميّ أبي المعالي عبد الملك بن محمّد الجويني؛ وكتاب البرهان مفقود) - المُعين على التلقين (شرح كبير على كتاب «التلقين» لأبي محمّد عبد الوهاب بن عليّ الثعلبيّ المالكيّ، قاضي بغداد والمتوفى سنة ٤٢٢ هـ) - نظّم الفرائد في علم العقائد (صنّفه المازريّ في المعتقدات وأصولها) - تعليق على «مدوّنة» سحنون (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) - عدد من «الأُمالي» على «رسائل إخوان الصفا» (في إيضاح عدد من مشكلات هذه الرسائل في العلوم الرياضيّة والآراء الفلسفيّة) - «الواضح في قطع لسان النابح» (في الردّ على مُسلم كان في صقلية ثم ارتدّ وجعل يطعن على الإسلام) - كشف الغطا عن لس الخطا - كتاب في الطب (٢) - تنقيفُ مقالةٍ أوّليّ الفتوى وتنقيفُ أهل الجهالة والدّعوى.

(١) مازر (بفتح الزاي) - راجع تاج العروس (الكويت) ١٤: ١٢٠.

مختارات من آثاره:

- قال الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري:

ما أفتيت قط بغير المشهور، ولا أفتي به (بغير المشهور).

- وقال الإمام المازري في الإفتاء قولاً على شيء من التفصيل:

ولست أخيل الناس على غير المشهور من قول العلماء، لأن الورع^(١) قل، بل كاد يُعَدُّ. والتحفُّظ على الديات كذلك^(٢). و(قد) كَثُرَتِ الشَّهَوَاتُ وَكَثُرَ مَنْ يَدْعِي الْعِلْمَ وَالتَّجَاسَرَ^(٣) على الفتوى. ولو فُتِحَ لهؤلاء بابٌ مُخَالَفَةِ المشهور من المذهب لَأَتَّسَعَ الخِرْقُ على الرَاقِعِ^(٤) و(لَ) هَتَكُوا حِجَابَ هَيْبَةِ الدِّينِ. وهذا من المُفْسَدَاتِ الَّتِي لَا خَفَاءَ فِيهَا.

- وسئل الإمام المازري عن الأحكام التي يُضَيِّرُهَا الْقَضَاءُ الْمُسْلِمُونَ فِي صِبْغِيَّةٍ (وصفلية يومذاك في حكم دولة غير مسلمة)، كما سُئِلَ عن إقامة المسلمين فيها: أي اختيارية منهم أم اضطرارية؟ فقال:

القَادِحُ فِي هَذَا^(٥) عَلَى وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْقَاضِي مِنْ نَاحِيَةِ الْعَدَالَةِ (إِذَا) أَقَامَ بِبَلَدٍ الْحَرْبِ فِي قِيَادَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ. وَذَلِكَ لَا يُبَاحُ. وَالثَّانِي مِنْ نَاحِيَةِ الْوِلَايَةِ، إِذْ هُوَ مَوْلَى^(٦) مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الْكُفْرِ. فَالْأَوَّلُ لَهُ قَاعِدَةٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا (اقرأ: تعتمد) شرعاً - وهي تحسين الظن بالمسلمين ومُبَاعَدَةُ الْمَعَاصِي عَنْهُمْ، فَلَا يُعْدَلُ^(٧) عَنْ هَذَا الْأَصْلِ لِظُنُونٍ قَدْ تَكُونُ كَاذِبَةً. وَمِثَالُهُ حُكْمُنَا بِظَاهِرِ الْعَدَالَةِ. وَقَدْ يَجُوزُ (أَنْ)

(١) الورع: التقوى (الخوف من أن يقع الإنسان في الخطأ).

(٢) التحفُّظ: العناية. الدية: الغرامة التي توضع على القاتل (لابد من نصب قاض لإقامة الحدود: القضايا الجسائية، على الأقل).

(٣) اقرأ: وكثر التجاسر.

(٤) «اتَّسَعَ الخِرْقُ» (التق) على الرافع، مثل: أي أصبح إصلاح الأمور صعباً.

(٥) الذي يذم (القاضي المسلم إذا عينه سلطان غير مسلم في بلد غير مسلم).

(٦) مولى: معين في منصب.

(٧) فلا ترك هذه القاعدة الأساسية.

يكون ذلك القاضي في الحَفَاء وفي نَفْس الأمر (قد) ارتكبَ كبيرةً؛ إلّا من قامَ الدليلُ على عِصْمَتِهِ. وهذا التجويزُ مطروحٌ^(١). والحكم للظاهر، إذ هو الأصل؛ إلّا أن يَظْهَرَ (على ذلك القاضي) من الخايل^(٢) ما يَنجُرُّ عن الأصل. فيجبُ التوقُّفُ^(٣) حينئذٍ حتّى يَظْهَرَ ما يوضح.

(ثمّ) هذا المقيمُ ببلدِ الحرب، إن كان (يُقيم) اضطراراً، فلا شكّ في أن (ذلك) لا يَدْحُ في عدالته. وكذلك إن كان اختياراً (ولكن) جاهلاً بالحكم أو معتقداً للجواز، إذ لا يجب عليه أن يعلمَ هذا الطرفَ من العلم وجوباً يَدْحُ تركُهُ في عدالته^(٤). وكذلك إن كان مُتَأَوِّلاً - وتأويلُهُ كإقامته بدارِ الحرب لرجاءِ أفتكاكها وإرجاعها إلى الإسلام، أو لهدايةِ أهل الكفر، أو لتقليبهم عن ضلالةٍ ما.....

وأما الوجهُ الثاني، وهو تَوَلِيَةُ (الحاكم) الكافر للقضاة والعُدول والأمناء وغيرهم، فحجَزُ الناسِ بعضهم عن بعضٍ واجبٌ حتّى ادّعى بعضُ أهل المذاهب أنه جائزٌ عقلاً..... فتَوَلِيَةُ (الحاكم) الكافر لهذا القاضي العدْل - إمّا لضرورةٍ إلى ذلك أو لطلبٍ من الرعية - لا يَدْحُ في حكمه. (ثمّ) تُنفذُ أحكامُهُ كما لو (كان قد) ولّاهُ سلطانٌ مُسلمٌ. والله الهادي إلى سواء السبيل.

٤- ** الإمام المازري، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب (منشورات لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية)، تونس (الشركة التونسية لفنون الرسم) ١٩٥٥ م (تاريخ كلمة التصدير). - راجع نقد هذا الكتاب في «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق»، ٣١: ٣٠٤.

وفيات الأعيان ٤: ٢٨٥، الوافي بالوفيات ٤: ١٥١، المعبر للذهبي ٤: ١٠٠ - ١٠١ الديباج المذهب ٢٧٩ - ٢٨١ شذرات الذهب ٤: ١١٤ نفع الطيب، راجع ١: ٥٨٦، ٢: ١٥٩، ٣: ٦٥٠، ٤: ٣٠٦، أزهار الرياض ٣: ١٦٥، بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٣، الأعلام للزركلي ٧: ١٦٤ (٦: ٢٧٧).

(١) مطروح: متروك، مهمل (يجب طرحه: تركه).

(٢) الخايل: اللامات.

(٣) التوقّف: ترك الحكم إثباتاً أو نفيّاً.

(٤) إن نفراً كثيرين من الناس ليسوا أهل علم بالحكم الشرعي في كلّ الأمور.

أبو الطاهر التميمي القرطبي

١ - هو أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي^(١) المازني القرطبي السرقسطي المعروف أيضاً بالاشركوني أو الأشركوني (نسبة إلى أشركوني، وهي حصن قرب تطيلة في شمالي الأندلس، ويبدو أن أصل أهله منها). ولكن أبا الطاهر التميمي نفسه وُلِدَ في سرقسطة ثم كان مسكنه في قرطبة.

تلقى أبو الطاهر التميمي القرطبي العلم على نفرٍ كثيرين، أخذ أكثر ما أخذه عن الحافظ أبي عليّ الحسين بن فيره بن حيون بن سُكرة الصّدقي السرقسطي (ت ٥١٦ هـ) في مُرسية. وروى ابن الأبار (المعجم ١٤١) أن أبا الطاهر التميمي كان في مُرسية سنة ٥٠٨ هـ وسنة ٥٠٩ هـ (١١١٤ - ١١١٦ م) كما كان في سبتة في سنة ٥٠٩ هـ أيضاً.

ورحل أبو طاهر كثيراً في طلب العلم فأخذ عن أبي محمد بن السيد البطلنجوسي (ت ٥٢١ هـ) في بلنسية، وعن أبي عمران بن أبي تليد وأبي محمد بن ثابت وأبي محمد الركلي في شاطبة، وعن أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي مجر وأبي القاسم ابن أبي صواب في قرطبة. وكذلك راسل نفراً من العلماء في فنون مختلفة من العلم والأدب، من هؤلاء أبو بكر غالب بن عطية وأبو الحسن بن الباذش في غرناطة، وابن أخت غانم في مالقة، وابن الأخضر وابن العربي في إشبيلية؛ وقد لقي بعض هؤلاء أيضاً.

وأقرأ أبو الطاهر وحدث في قرطبة مدة^(٢).

وفي سنة ٥٣٨ هـ لحقت أبا الطاهر زمانة (علة مُقعدة) تُوُفِيَ منها في ٢١ من جُمادى الأولى^(٣) من سنة ٥٣٨ (١١٤٣/١٢/٢ م).

(١) يرد اسم صاحب هذه الترجمة في عدد من النسخ المخطوطة لكتاب «اللسل» (راجع ص ٧ - ١٥ من

النسخة المطبوعة): الشيخ أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي.

(٢) لعل أبا الطاهر قد خدم بالكتابة في بعض أدوار حياته.

(٣) في نسختين مخطوطين من كتاب «اللسل» أن وفاة أبي طاهر الاشركوني كانت لثلاثين بقين من شهر ربيع الآخر (راجع اللسل، ص ١٣، ١٥).

٢- كان لأبي طاهر التميمي القُرطبي إحاطةً باللغات (لهجات العرب) وبالآداب، وكان كاتباً ناثراً وشاعراً مُكثرًا وفقياً، ولكن غلبَ عليه العلمُ باللغة؛ وكان على شعره شيءٌ من الجفاف والضعف وكثيرٌ من التكلف. وله تصانيفُ منها كتابُ المُسلسل والمقامات اللزومية أو السَّرْقُطِيَّة أو القُرْطُبيَّة وغيرها (فهرسة ابن خير ٤٥٠). وكتابُ المُسلسل خمسون باباً لم يجعل أبو الطاهر لها عناوين. وهذا الكتاب في المُداخل أو المُداخلات، أي الألفاظ التي يكون لكل معنى كلمة منها معنى آخر (راجع النماذج) «وقد تعمَّد التميمي أن يفتح كل باب ويختتمه بشاهد شعري: يأخذ من الشاهد الأول الكلمة التي يجعلها أساساً للتسلسل، ويكون الشاهد الأخير استشهداً على معنى الكلمة الأخيرة في الباب» (مقدمة «المسلسل» ص ٥).

ولأبي الطاهر التميمي مقامات^(١) أراد أن يعارض بها الحريري (ت ٥١٦) فجعل مقاماته خمسين كما جعلها مظهراً للبراعة في غريب اللغة وأوجه البلاغة. وفي مقاماته شخصيتان رئيستان السائب بن قَام والشيخ أبو حبيب. ثم هنالك ابنان للشيخ أبي حبيب هما حبيبٌ وغريبٌ وشخص آخر هو المنذر بن حُمَام ينقل أحداث المقامة عن السائب. وقد دعا الاشتراكي «مقاماته» المقامات اللزومية تقليداً للمعري^(٢) والسَّرْقُطِيَّة (نسبة إلى بلد أصله) والقُرْطُبيَّة (نسبة إلى بلد سكّنه) والتميمية (نسبة إلى أصله العربي القديم). ومن المقامات المفردة ما له أسماء (مقامة الشعراء، المقامة الهمزية، المقامة البائية، مقامة النظم والنثر، الخ)، ومنها ما لا اسم له. ومع أن المقامات تنطوي على نقد اجتماعي، فإن أكثر أغراضها مأخوذة من المشرق. وفي هذه المقامات اثنتان تنطويان على نقد أدبي، إلا أن هذا النقد لا ابتكار فيه، بل هو ترديدٌ لآراء النقاد القدماء. قال في الفرزدق^(٣) وجرير (١١٤): «كُرسفٌ وحريرٌ،

(١) الخصائص التالية قد جمع أكثرها من «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس» لمحمد رضوان الداية ومن «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» لإحسان عباس.

(٢) للمعري ديوان اسمه «لزم ما لا يلزم» فيه مقطوعات شعرية في الحكمة والنقد الاجتماعي مبنيه على حرفي روي أو أكثر من حرفي روي.

(٣) الفرزدق (ت ١١٤). وجرير (توفي بعده بمدة قصيرة) كان بينهما مهاجاة وكان الناس منقسمين في شأنها.

وخطامٌ وجَريرٌ^(١). فَرَسًا رَهانٍ كَلاها غَيْرُ مُذالٍ^(٢) ولا مُهانٍ. أَمَّا هَمَّامٌ فَسَيْدٌ هَامٌ مُسْتَهْلٌ غَمامٍ وعَارِضٌ جَمامٍ^(٣). بَجْرٌ لا يُخاضُ غِمارُهُ وجَوادٌ لا يُتَعاطى مَسارُهُ: يَنْجِتُ من صَخَرٍ^(٤) وَيَنْطِقُ عن فَخْرِ. وَأَمَّا جَرِيرٌ فَسابقٌ دَرِيرٌ: أَحْزَنَ صَاحِبُهُ فَاسْهَلْ^(٥) (هو) وَأَعْجَلْ فَاسْهَلْ، وَصَعَبَ فَذَلَّلْ، وَأَكْثَرَ وَقَلَّلْ، وَأَعْوَصَ فَلَيَّنْ، وَشَدَّدَ فَبَيَّنْ^(٦): يَفْرُفُ من بَجْرٍ، وَيَنْطِقُ عن سِخْرِ، يُبَارِي بَرَقَةَ النسيمِ وَيَنْزُرُ من قَوْلِهِ الرَّائِقِ والوسيمِ^(٧).

ونقده عادي ومقصود على الشعراء المشاركة ثم ليس فيه شيء من التحليل بل هو أقوال مجموعة من آراء النقاد السابقين.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي طاهر الأشركي مَقَطَّعاتٌ من الشعر منها:

★ ★ وَمُنَمَّ الأَعْطافِ مَعسُولِ اللَّمَى ما شِئتَ من بَدَعِ المحاسنِ فيه^(٨).
لَمَّا ظَفِرْتُ بِلَيْلَةٍ من وصلِهِ، والصبُّ غَيْرُ الوصلِ لا يَشْفِيهِ^(٩).

- (١) كرسف: قطن. الخطام: اللجام (المجدول أو المصنوع على شكل معين). الجرير: قطعة من حبل (يقاد بها الحيوان) ليس فيها صنعة ولا عناية.
- (٢) مذال: مبتذل ومهان (مستخدم في غير الوجه الذي قصد به: نحن نذيل الحصان الأصيل إذا حملنا عليه حجارة).
- (٣) اسم الفرزدق: هَمَّام بن غالب. الهام: السيد الشجاع السخي. مستهل غمام: مطر منهمر بكثرة. عارض جمام.....^(٤)
- (٤) ينحت من صخر (كتابة عن صلابه شعره).
- (٥) سابق (حصان) درير (سريع). - في الجمل التالية مقابلات: أحزن (الفرزدق) فأسهل (جرير) الخ. أحزن: سار في الأرض الصعبة. أسهل: سار في السهل.
- (٦) أعجل: (أتى بالشيء قبل أوانه!)..... أعوص: أتى بالكلام المويص (الغريب: القليل الدوران على الألسن).
- (٧) يفر من بجر (كتابة عن سهولة شعره). الوسيم: الجميل. الرائق: الذي يروق للنظر أو للفكر (الذي يعجب الناس). يجوز في الرائق والوسيم «الرفع».
- (٨) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. اللمي: السمرة في الشفاء. البدعة (بالكسر): الشيء الجديد، المخالف للألوف.
- (٩) الصب: الحب المشتاق راجع، تحت، ص ٢٩٠.

أَنْضَجَتْ وَرْدَةً خَدَّيْ بَتَنْقُصِي وَظَلَلْتُ أَشْرَبُ مَاءَهَا مِنْ فِيهِ!
 ★ ★ هِيَهَاتِ مِنْ ذَنْبِ الْمُسِيءِ تَأْسُفُ، وَلَهُ عَلَى هَوْلِ الذَّنُوبِ تَعَسُفُ^(١)،
 قَالُوا: طَلِيقٌ فِي الْبَسِيطَةِ سَارِحٌ. أَنْتَى؟ وَفِي قَيْدِ الْغَوَايَةِ يَرِيفُ^(٢)!
 يَا مُذْنَبًا لَمْ يَذِرْ مَا جَمَرُ الْغَضَا، شَوْكُ الْقِتَادِ إِلَى عَذَابِكَ كُرُسُفُ^(٣).
 عَاوِذُ أَسَاكَ، لَعَلَّ تَوْبَةَ رَاجِعٍ! فَلَقَدْ يُفِيدُ تَسَدُّمٌ وَتَأْسُفُ^(٤).
 - وله من المقامة الخمسين^(٥):

.... قَالَ حَبِيبٌ لِفَرِيبٍ^(٦): هَذَا النِّظْمُ وَالنَّثْرُ، كَيْفَ الْقُلَّ مِنْهُ وَالكَثْرُ^(٧)؟ وَأَيُّ
 النِّصْلِ أَوْ الْأَثَرِ؟ وَأَيُّهَا أَعْقَبَ صَاحِبَهُ أَثَرًا وَأَحْرَزَ دُونَهُ أَثَرًا^(٨)؟ وَأَيُّهُمَا فِي النُّفُوسِ
 أَوْقَعُ وَأَشْنَى لَغْلَةً صَادِي وَأَنْتَعُ^(٩)؟ وَأَحْظَى عِنْدَ السُّوقَةِ وَالْمُلُوكِ وَأَمْضَى بِالسَّفَارَةِ
 وَالْأَلُوكِ^(١٠)؟ فَقَالَ حَبِيبٌ: الشَّعْرُ أَصْغَبَ مُرْتَقَى وَأَعَذَبُ مُنْتَقَى^(١١)، وَأَبْدَعُ

-
- (١) تَعَسَفَ الطريق: سار فيه على غير هدى. - لا ينفخ المذنب أن يندم على فعله إذا هو استمرَّ يرتكب الذنوب بلا مبالاة.
- (٢) أَنْتَى: كيف. - قَالُوا: هو يسير (في عمل الذنوب) على هواء حرّاً طليفاً. هذا خطأ: إِنَّهُ يَمْنَى وهو يرف (مقيداً) بقيود الضلال.
- (٣) الغضا: شجر كثيف المادّة وجمره شديد الحرارة (المقصود: نار جهنم عقاباً على الذنوب). القِتَاد: نبت صلب له شوك كالإبر. الكرسف: القطن.
- (٤) عاود أساك: اجعل الأسى (الحزن) عادة لك، فلملك تنوب توبة ترجع بها (نهائياً) إلى الله. فعينشد يكون ندمك وأسفك نافعين.
- (٥) النصّ التالي مجموع من الشواهد التي أوردها محمد رضوان الداية من المخطوطة.
- (٦) حبيب وغريب ابنا للشيخ أبي حبيب (رجل محتال من عُمان - بضمّ العين وإجمال الميم) هو والسائب ابن تَمّ الشخصان الرّيسان في مقامات أبي طاهر الأشتر كوفي.
- (٧) القلّ: الجانب القليل الأصغر من الشيء. والكثّر: معظم الشيء.
- (٨) الأثر: بريق السيف والأثر - العلامة - خلاصة السنن (الشيء الثمين).
- (٩) أوقع: أُنشد أثراً. اللغّة: العطش. الصادي: العطشان. أنتع: أكثر خدرة على إطفاء العطش.
- (١٠) السفارة: الذهاب في مهامّ رسمية إلى الملوك والرؤساء. الألوك: الرسالة (في هذين يستعمل النثر لا الشعر).
- (١١) أعذب منتقى (إذا انتقيت، اخترت، بضمة أبيات من الشعر فإنّها تكفي عادة في الاستشهاد، بينما الاستشهاد بالنثر يحتاج إلى إطالة).

لفظاً وأسرع حفظاً، وأوسع مجازاً وأنصح إيجازاً^(١).... وأقصر معاني وأغجد مباني،
وأورى زنداً وأذكى رنداً^(٢)، وأجرى على اللسان وأجرى بالإحسان^(٣)، وأبعث
للطرب وأذهب للكرَب. وهل سيعفتم بنثر تخلع عليه اللُحون؟.... (فقال أبوها):
كلّ - على حياله - محمولٌ على الحسنِ معدودٌ من اللسنِ^(٤). والشعر لحنٌ عقيم وسفرٌ
مقيم، وبغضٍ مودود ومُعذّرٌ مجدود^(٥).... وإن (هم) شابوه كذباً وميناً فقد أغضوا
عليه عيناً^(٦). وإنما حذّه أوفرُ من ذمّه، وشهدّه أكثرُ من سَمّه^(٧).... وأما النثر فإنه
أنثى ولودٌ وزندٌ لا كاب ولا صلود^(٨). عين ثرةٌ وأمّ برةٌ، له موضعٌ ومكانة، وعِزةٌ
واستكانة. يحلّولِي ويمرّ ويحلّ ويمرّ^(٩). يلجُ في كلّ نادٍ ويُقدحُ بكلّ زناد. بادٍ
حاضرٌ، وذابلٌ ناضرٌ^(١٠).... وقد فضّلته الأكابرُ والأعظم، فلا تُفضّلًا (أنثًا) قائلاً

(١) مجازاً: مرّاً، طريقاً. أنصح: أشدّ بياضاً (أوضح) - الإيجاز (الاختصار) أكثر إمكاناً في الشعر منه في النثر.

(٢) أغجد: أعلى. أورى زنداً: أشدّ إشعالاً للنار (الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر). أذكى: أطيب رائحة. الرند: نبات طيب الرائحة.

(٣) أجرى (أكثر دوراناً) أكثر استعمالاً. أجرى بالإحسان: أسهل (الذين يحسنون النثر أكثر من الذين يحسنون الشعر). - لعلها أحرى (بالهاء المهملة) بالإحسان: أجدر، ألصق.

(٤) على حياله: (بإزائه)، في موضعه. محمول على (الوجه) الحسن: يحسن في المناسبة التي تقتضيه. اللسن: الفصاحة.

(٥) لحن (نغم) عقيم (لا يلد): ليس له شبهة، وحيد في بابهِ. السفر: الجماعة يسافرون معاً. مقيم: دائم (في الشعر كأنك مسافر أبدأ بين أشياء جيلة). بنض (كره) لصموبة نظمه وإجادته. مودود: محبوب (ومع ذلك فكثيرون يحاولون قول الشعر أو يجيئون ساعه). معذر (مقبول العذر) مجدود (محظوظ): الناس يمعنون الشاعر إذا لم يكن كلّ شعره جيداً.

(٦) شاب: خلط، مزج. المين: الكذب. أغضى الرجل جفنيه (أدنى، قَرَبَ، بعضها من بعض): أغضوا عليه (على الشاعر) عيناً: عذروه إذا لم يحسن مرّة.

(٧) الشهد: الصل.

(٨) أنثى ولود (تعالج في النثر أغراض أكثر من تلك التي تعالج في الشعر). الزند: حديدة تقدح بها النار. الكاي: الزند الذي أصبح أملس جداً لا يملك الحجر حكاً صحيحاً. الصلود: (الزند) الذي لا يخرج ناراً من الحجر.

(٩) العِزة: القوة. الاستكانة: الضعف والذلة. يحلّولِي: يحلو (يصبح حلو الطعم) كثيراً. يمرّ: يصبح مرّاً الطعم. يحلّ (يبقى، يستقر) ويمرّ (يمضي، يذهب): يصلح لجميع الأحوال.

(١٠) يلج: يدخل. ناد: مجتمع. باد: ساكن البادية. حاضر: ساكن الحضر (المدن). ذابل: نجاف. ناضر: أخضر.

على قائل. والإحسان ضروب، والشمس طلوع وغروب.... وخذا في كل الأحوال
بالأعدل^(١) الأقط^(٢).....

- من مقدمة كتاب «المُسَلَّل»:

.... قد كان لعلم اللسان العربي، في صدر هذه الأمة، مطارٌ ونفاق^(٣)، وعلى
تقديمه إجماع وإصفاق^(٤). فتجرد لضبطها وتقييدها الخيار الصلحاء والخُلصُ
الأفاضل الصرحاء^(٥). وبذلوا فيها الاعتناء وقطعوا في جمعها وضبطها الأحيان
والآناء^(٦)، حتى أحرزوا منها غاية^(٧) ورفعوا لشأنها علماً وراية؛ حين رأوا أنه لسانُ
العلوم الشرعية والهادي إلى المعاني الأصلية والفرعية: بها يُتوصَّل إلى حقيقة معانيها
ويُتَسَمَّ دَرَجُ مبانيها. وعنها يصدر التأويل وتتوجه الأقاويل^(٨)، وأنه لا يُوصَل إلى
معرفة كتاب الله تعالى ومعرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابه
والتابعين وأئمة الهدى. من أمته إلا بحفظ لغات^(٩) العرب وأغنائها والأنس بإطنابها
وإبحائها، وإبلاغها وإيجازها، وتوسُّعها ومجازها^(١٠)، إلى ما في معرفتها من العون

(١) الأعدل: المعتدل (لا نقصان ولا زيادة).

(٢) الأقط: الأعدل (الحكم بالعدل).

(٣) المطار: علو الشأن، انتشار بين الناس. النفاق: الرواج، كثرة الاستعمال.

(٤) الإصفاق: الإجماع والاتفاق على رأي واحد.

(٥) تجرد الشيء: خصه باهتمامه. لضبطها (كان يجب أن يقول: لضبطه، أي اللسان العربي. ولكنه حل
اللسان على «اللسان» وأجرى الضائر في الألفاظ التالية مجرى التانيث). الصريح من الناس: الخالص
النسب.

(٦) الحين والآن: الوقت.

(٧) أحرز الشيء: اكتسبه، امتلكه. غاية: منتهى (قدراً كبيراً جداً).

(٨) يتسَّم: يرتقى. التأويل: فهم المقاصد من الجمل (من آيات القرآن الكريم خاصة). تتوجه الأقاويل:
تنشَّب الأقوال (يختلف التعبير عن الآراء).

(٩) اللغات (هنا): استعمال القبائل العربية المختلفة ألفاظاً مختلفة للشيء الواحد (كالسكن والمدينة).

(١٠) النحو: الوجه من الاستعمال. الإطناب: التفصيل في التعبير. الإيجاء: الإشارة السريعة. الإبلاغ:
التفنن في التعبير. الإيجاز: الاختصار في التعبير. المجاز: استعمال الكلمة لغير المعنى الذي وضع لها في
القاموس (الشمس: المرأة الجميلة. البحر: الرجل العالم والكريم).

على البلاغة والنطق، والاستظهار على قمع الباطل وبسط الحق^(١)، والتمكّن من أنحاء القول ومسالك الكلام والتقلّب في مسارح الأخبار والأعلام^(٢).

والآن فقد زهد الناس فيه زهدهم في الفضائل ورغبوا عنه رغبته عن الأواخر من العلم والأوائل^(٣). ولكلّ نجمة طلوع وأفول، ولكلّ حالة علو وسفول^(٤).

وأنّه كان فيما سُمع عليّ كتاب «المدخل في اللغة» لأبي عمر المطرزي^(٥) رحمه الله، فاستنزهه لِقْدَرِهِ (لكن) لم أخطأ بهلاله فيه ولا بديره. فرأيت أنّه رأيي لم يُستوفَ تَمَامُهُ وعَرَضٌ لم تُقرّطه سيّاه^(٦). ولعلّه إنّما ارتجله ارتجالاً وجرت^(٧) رِكَابُهُ فيه عَجَلاً، فلم يَدُمَتْ حَزَنُهُ ولا أَقَامَ وَزَنُهُ^(٨).

فحرّكتني ذلك إلى صِلَةٍ ما ابتدأ وتمكّن ما رَسَمَ منه وأنشأ، واقتَضَيْتُ^(٩) في ذلك خمسين باباً أَفْتَتَحْتُ كُلَّ بابٍ منها بِشِعْرِ عَرَبِيٍّ ثُمَّ خَتَمْتُ البابَ بِمَثَلٍ ذَلِكَ، وَأُورِدْتُ ما أَمَكَّنَ من الشاهد على ألفاظِه هنالك. وعلى ذلك فما اعتمدتُ مُجَاراةً ولا قَصَدْتُ

(١) الاستظهار: الاستماعة. قمع: قهر، إذلال. بسط الحق: إعلاء شأنه وتثبيت سلطانه، نشره.

(٢) التقلّب في مسارح الأخبار: التمهّن لأنواع الأخبار (التاريخ) والاستمتاع بها. الأعلام: مشاهير الناس.

(٣) رغب عن الشيء: فقد اللذة في الحصول عليه، تركه، مال عنه. فيه (في علم اللغة). الأواخر من العلم والأوائل (٤)، لعلّ هذه الجملة: رغبة الأواخر (التأخرين في الزمن: المعاصرين للمؤلف) عن علوم الأوائل (علوم الفلسفة القديمة، الفلسفة اليونانية). - بجزئنا ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) في مقدّمة «قصة حيّ بن يقظان» أن علوم الفلسفة كانت قليلة الانتشار في الأندلس قبل أيامه.

(٤) الأفول: الغروب. السفول: الانخفاض.

(٥) محمد بن عبد الواحد المطرزي عالم لغوي (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) له كتاب (المدخل - في غريب اللغة: الانتقال في اللفظة الواحدة من معنى إلى معنى؛ راجع النصّ التالي).

(٦) استنزهته (وجدت المذكور في كتابه قليلاً) لقدره (بالإضافة إلى مكانته العلمية وإلى ما كنت أنتظر منه أن يقول في كتابه). العرض: الهدف (العلامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسّهام أو بالرصاص الخ). لم أخطأ (لم أمتّع) بهلاله ولا بديره (لم أره وافياً كلياً ولا جزئياً). غرض: هدف. قرطس: أصاب القرطاس (الهدف: علامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسّهام أو بالرصاص، الخ).

(٧) ارتجّل الخطيب خطبته (قالها وهو واقف على رجليه - بلا استعداد سابق). جرت: سارت، ركضت.

(٨) دُمّت: لُيّن، سهّل، سوّى (جعل سطح الشيء مستوياً). الحزن: الأرض القاسية، التي يصعب السير فيها.

(٩) اقتضب: قطع أشياء يسيرة من رؤوس القضبان (أُتيت بأشياء مختصرة).

مُبَارَاة^(١). وإِنِّي لأرى فضلَ السابق وَأُبْغِعَ بُخُوعَ الْآبِقِ، وَأُحْمَدُ مِنْهُ ذَلِكَ الْبَدْءَ وَالْعَوْدَ^(٢).....

- مطلع كتاب المسلسل:

أُنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَصِيْبِيَّانِ الْأَعْرَابِ، وَتُرْوَى لِامْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ^(٣):
لَمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(٤)؛
يُنْـبِـدِي الْآخِرُ الْأَلَّ: أَلَا حَلَّوَا، أَلَا حَلَّوَا^(٥).
وَيُرْوَى: أَلَا حَلَّوَا، أَلَا حَلَّوَا. ويروى: زحلوقة بالقاف والفاء والكاف^(٦).

الْأَلَّ الْأَوَّلَ، وَأَوَّلَ يَوْمِ الْأَحَدِ، وَالْأَحَدُ هُوَ الْوَحْدُ، وَالْوَحْدُ الْفَرْدُ^(٧)، وَالْفَرْدُ الثَّوْرُ، وَالثَّوْرُ الظُّهُورُ، وَالظُّهُورُ الْغَلْبَةُ، وَالْغَلْبَةُ جَمْعُ غَالِبٍ، وَغَالِبٌ أَبُو لُؤَيٍّ، وَلُؤَيٌّ تَصْغِيرُ اللَّأْيِ^(٨)، وَاللَّأْيُ الثَّوْرُ، وَالثَّوْرُ فَحْلُ الْبَقَرِ، وَالبَقَرُ الْفَرْقُ، وَالْفَرْقُ تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الثَّنَايَا، وَالثَّنَايَا^(٩) الْعِقَابُ، وَالْعِقَابُ الْمَوَالَاةُ.....

- من كتاب « المسلسل » (الباب الثالث والعشرون):

قال زهيرُ بنُ أبي سلمى:

- (١) ما اعتمدتَ مجازاً (لم أقصد أن أفعل مثله) ولا مبارأة (ولا حاولت أن أصنع أفضل مما صنع).
- (٢) جمع بالحق مجوعاً: أقر به. وأحمد له (أشكره على) ذلك البدء (التأليف في هذا الموضوع). والعود: الطريق (راجع القاموس ١: ٣١٨ س)، الطريقة التي اتبعتها في تأليف هذا الموضوع.
- (٣) راجع ترجمة أبي عبيدة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وترجمة امرئ القيس في الجزء الأول.
- (٤) الزحلوقة: لوح من خشب يرفع على محور بحيث يتوازن ثم يجلس على كل طرف من طرفيه صبي ويميلانه (بضم الياء) فيرتفع أحد الطرفين وينخفض الآخر، ويتوالى ذلك. زلٌّ: يزلق الجالس عليها.
- (٥) انهلَّت العينان: سقط دمعها بكثرة (القاموس ٣: ٢٤٠).
- (٦) الْأَلَّ: الْأَوَّلَ (الأولون، السابقون). حَلَّوَا: اتركوا أمكتكم!
- (٧) حَلَّوَا: تَحَلَّوَا (فعل أمر، بفتح اللام المشددة). - يقال: زحلوقة وزحلوقة وزحلوقة.
- (٨) الواحد والفرد: المنفرد (الذي يعيش أو يمكث في مكان وحده).
- (٩) لُؤَيٌّ بن غالب جد بني قريش.
- (١٠) الثنية: السن (واحدة أسنان الإنسان). والثنية: الطريق في الجبل. العقاب (جمع عذبة): الطريق في الجبل. العقاب (مصدر): الموالاة (توالي الأمور واحداً بعد واحد).

فَشَدَّ - و لم يُفْرِغْ بَيوتاً كثيرة - لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قَشَمَ^(١) .

أَمْ قَشَمَ ههنا المَنِيَّةُ أو الحربُ أو الداهية . والقشَمُ النَّسْرُ ، قالَ عنترةُ :

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهَا جَزْراً لِحَامِصَةٍ وَنَسْرٍ قَشَمٍ^(٢) .

وَالنَّسْرُ النَّتْفُ ، والنْتَفُ الطَّرْقُ ، والطَّرْقُ الضَّرْبُ بِالْحَصَا^(٣) ، والحَصَا العُدُّ

الكثيرُ والكثيرُ الدَّيْسُ ، والدَّيْسُ الصَّغَرُ ، والصَّغَرُ عَسَلُ الرُّطَبِ^(٤) ، الخ الخ .

٤ - السلسل في غريب اللغة (قدّم له محمد عبد الجواد) مصر (وزارة الإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .

★ ★ الصلة ٥٢٩ ، ٥٣٠ : التكملة ١٤٠ - ١٤١ (رقم ١٢٤) ، فهرست ابن خير ٣٨٧ ، ٤٥٠

الوافي بالوفيات ٨ : ١٣٣ ، الوعاة ١٢٠ ، نفع الطبيب ، راجع ١ : ٢٩١ ، التشوف ١٩٦

بروكلمن ١ : ٣٧٧ ، الملحق ١ : ٥٤٣ ، الأعلام للزركلي ٨ : ٢٢ (٧ : ١٤٩) ، بالنبيا ١٨١

تاريخ النقد الأدبي (إحسان عباس) ٥٠٠ - ٥٠١ : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمد

رضوان الداية) ٣٥٢ - ٣٦٣ ، مجلة المقتبس (دمشق) ٤٦٦ : ٢ .

ابن الفخّار المألقي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن كامل المعروف بابن الفخّار الحضرمي

المألقي - ويُعرف أيضاً بابن نصف الرّبض - كانت وفاته في المغرب سنة ٥٣٩

(١١٤٤ - ١١٤٥ م) .

٢ - كان ابن الفخّار المألقي فقيهاً وكان أديباً يَسْلُكُ في الشعر مَسْلَكا قديماً

ومسلَكا جديداً ، وله شيء من توشيح العروض^(٥) لم يبلغ إلى أن يكون توشيحاً . وفي

(١) شَدَّ : هجم . بيوتاً كثيرة : جماعات كثيرة أو أشخاصاً (لم يفزع أحداً) هجم على النار (على هلاكه) .

(٢) جزراً : مجزوراً (مقطّعاً) . الحامصة : الضيع . القشَم : النسْر المنس .

(٣) النسْر (مصدر) : تنف ريش الطير . الطَّرْق : ضرب الصوف أو القطن بالحصى للتفريق بين أقسامها .

الطَّرْق بالحصى : تقليب الحصى اعتقاداً بأن مركز بعض تلك الحصى من بعض يدلّ على الحوادث المقبلة .

(٤) الرطَب : التمر .

(٥) العروض (بالفتح) : آخر الشطر الأول من البيت . وتوشيح العروض : التزام نسق معين في ختام

أواخر الشطور الأولى من الأبيات مع بقاء الأبيات نفسها ختومة بقواف على روي آخر (كما ترى في

القصيد) - . راجع القطعة الثانية في « مختارات » هذه الترجمة .

جانب من ألفاظه وبعض تركيبه ضَعْفٌ. وفنون شعره الفخرُ والحماسة والمدح والعتاب والوصف.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن الفَخَّار المَالَقِي في الشيب:

أُستَنَكَّرَ شَيْبُ المَفَارِقِ في الصِّبَا؟ وهل يُنَكَّرُ النُّورُ المُفَتِّحُ في الفُصْحَا؟^(١)
أظنُّ طِلَابَ المَجدِ شَيْبَ مَفْرِقِي، وإن كُنْتُ في إِحْدَى وَعِشْرِينَ من عُمرِي.

- وقال يعاتبُ صديقاً قديماً له كُنِيَّتُهُ أبو حَسَن:

أَقِلَّ عِتَابَكَ، ليس الكَرِيمُ يُجَازِي على حُبِّهِ بِالْقَلْبِ^(٢)؛
وَحَلَّ أَجْتَابَكَ، إن الزمانَ يَمَرُّ بِتَكْدِيرِهِ مَا حَلَا^(٣).
وَوَاصِلُ أَخَاكَ بِعِلَاتِهِ، فَقَدْ يُلْبَسُ الثَّوبُ بَعْدَ البَلَى.
وَقُلْ كَالَّذِي قَالَهُ شَاعِرٌ نَبِيلٌ - وَحَقَّكَ أَنْ تَنْبَلَا -:
«إِذَا مَا صَدِيقٌ أَسَا مَرَّةً، وَقَدْ كَانَ في مَا مَضَى مُحِينَا،
ذَكَرْتُ المُقَدَّمَ من فِعْلِهِ فَلَمْ يُفَيِّدِ الآخِرُ الأوَّلَا».
أَبَا حَسَنٍ، إنْ أَتَى حَادِثٌ يُجَرِّدُ لِي سِنْفَكَ [المُفَصَّلَا]^(٤)،
أَوَّلِي المَلَامَةَ، عنكَ، الزمانَ وَأَضْحَكَ الأَكْرَمَ الأَفْضَلَا^(٥).

- (١) المفرق (يفتح فسكون فكس): مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس.
- (٢) في الخريدة (الأندلس ٢: ٢٩٢): ليس الكريم يجازي (بجازي أخت الراء وبالبناء للمعلوم)، وفي الخريدة (المغرب والأندلس ٢: ٣٣٨): يجاري (بالراء المهمله وبالبناء للمعلوم أيضاً). وكلا القراءتين مقبولة. أما في «فلاند العتيان» (ص ٣٣٩): إن الكريم يجازي (بالزاي أخت الراء وبلا نقطتين تحت الياء). وكذلك في نفع الطيب (٣: ٣٩٣): إن الكريم يجازي (بالزاي أخت الراء المشكولة بكسرة وبنقطتين تحت الياء). وقد اعتمدت أنا: ... ليس الكريم يجازي ... الفلي: البغض والكراهة.
- (٣) الاجتناب: الابتعاد، الهجر، الترك (والاخيرتان بالفتح). يمر: يصبح مرّ الطعم (٤).
- (٤) في الخريدة (الأندلس ثم المغرب والأندلس): المنصل (بضم فسكون ثم بضم أو بفتح): السيف. وفي فلاند العتيان: المصغلا (ولعلها: المفصل - بكسر فسكون ففتح: القاطع من السيوف).
- (٥) أجمل الذنب على الزمان ثم أبهى مصاحباً لك معتقداً أنك أكرم الناس وأفضل الناس.

أقولُ - وأنتَ لسانُ المقالِ وعينُ الكمالِ ورأسُ العُلا - :
«لئن جارَ فيكَ عَلَيَّ الزمانُ فقد كان لي حَكَمًا أَعْدَلًا»^(١)،
لِيَالِي كُنْتَ صَحيحَ الإِخلِ صَريحَ الوَفاءِ بما أُملَا.
تُدافعُ عَنِّي خُطوبَ الزمانِ بِضَرْبِ الرِّقابِ وطعنِ الكُلَى.
ولكنَّ أَطَفَتَ غُواةَ الرجالِ وَبَغَتَ صَدِيقَكَ لا بِالْفَلَا.
سَاضْبِرُ لِلخَطْبِ حَتَّى يَزُولَ وَأَدْعُو لَه رَأْيَكَ الأَجْمَلَا»^(٢).
ودونَكُمَا كالعُروسِ الكَعابِ عَلَيَّها من الحَلِي ما فُضِّلَا»^(٣).

- وقال يخاطب شاعراً (على سبيل العتاب) بمقطوعة موشحة العَروض (مختومة بقوافٍ معيَّنة في صدورِها أيضاً):

رُوَيْدَكَ، أَيُّها الرَّجُلُ المُعَنَّى، فَإِنَّ الرِّفْقَ أَجْمَلُ باللَّيْبِ^(٤)،
ولا تَعَجَلْ، فَرَبَّ فَتًى تَأْتِي فَأُذِرَكَ غَايَةَ القَرَمِ النَجِيبِ^(٥)،
فَكَمْ عَقْدَ سَدِيدٍ قَدْ تَسْنَى بَلَا تَعْبَ ولا طَرِبَ مَرِيبِ^(٦).

★ ★ ★

فإِنَّ الجَيْشَ لَيْسَ يُطِيقُ شَيْئاً لِفَايَتِهِ بَلَا قَدَرٍ مُصِيبِ^(٧).

-
- (١) إذا جار على الزمان (طلعتي الآن في صحبتك) فقد طالما كان لي منصفاً من قبل.
(٢) الخطب: الحادث النازل، المصيبة. وأطلب منك أن تحكم بيننا برأيك الجميل (الثاقب، العادل).
(٣) فإليك مني هذه القصيدة كالعروس الكعاب (الثابتة) عليها من الحلي ما فصلاً (لؤلؤ فصل بين حياتي بقطع صغيرة من الذهب).
(٤) المعنى: الذي يشغل (يفتح الغين) نفسه بالأمر ويكثر الاهتمام بكل شيء. الرفق: اللطف والتأني. اللبيب: العاقل.
(٥) القرم: الفحل من الإبل لا يُركب ولا يُحمل (بالبناء للمجهول) عليه، بل يكون مخصوصاً بالضراب (بالكسر) للنسل. السيد العظيم (من الناس). النجيب: الفاضل من أبناء جنسه.
(٦) العقد (بالفتح) مصدر من «عقد» الحبل ونحوه (والمقصود «عقدة» بالضم). سديد (محكم، شديد). تسنى: انحل، انفك وباطه. الطرب: هزة تدل على الفرح أو على الحزن، اضطراب وقلق. مريب (هنا): يحمل الراي على الشك في أن هذا الطروب غير تام العقل. يدعو إلى التهمة وسوء الظن.
(٧) ٩.

ولا يَقْضِي الحَيَا لِلنَّبْتِ شَطْطاً إِذَا لم يَقْضِ عَلامُ الفُيُوبِ^(١).

★ ★ ★

أخوكَ مُحَمَّدٌ لَمَّا تَفَنَّى
وَقَضَاهَا بِوَاحِدَةٍ فَتَنَّى
فَخَذَهَا عَادَةً خُضِبَتْ يَرْنَا
إِذَا مَا رَامَهَا مِنْ قَدِ تَبَنَّى
جَمِيعَ بَيَانِهَا لَفْظاً وَمَعْنَى
كَمَا جُمِعَ الْحَبِيبُ إِلَى الْحَبِيبِ.

- وقال في الفخر والحامسة:

إِلَى كَمْ يَجِدُ الْمَرْءُ وَالِدَهُ يَلْعَبُ،
وَهَلْ نَافِعِي، إِنْ كُنْتُ سَيْفًا مُصَمَّمًا،
أُبَيَّتُهُمُ وَاللَّيْلُ كَالنَّقْصِ أَسْوَدُ،
فَلَا أَنَا عَمَّا رُمْتُ مِنْ ذَاكَ مُقْصِرٌ،
أَبَا حَسَنِ، سَائِلُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَعَى
وَأَعْتَنَى الْأَبْطَالَ حَتَّى كَانَا

- (١) الحيا: المطر. الشط: بدء النبات بالظهور فوق الأرض. علام الفيوب (الله).
(٢) أصاخ: استمع. أذن الغريب (الجاهل، البعيد، الصدوق) ...
(٣) عادة: امرأة جميلة (قصيدة). خضبت: صبغت. برناً: الحناء (مادة تصبغ الأشياء بلون أحمر) - كناية عن الجمال. تقدم (ليست في القاموس): اكتسب حمرة خفيفة. الصبيب (ما ينصب - بتشديد الباء): ما يسيل من الصباغ (بغير قصد) فيلون الأشياء تلوئناً خفيفاً على غير نسق معين.
(٤) رام: قصد. تعرض دونه شبح الحروب ... (لم يستطع أن ينظم مثلها) ...
(٥) المصم: (السيف) الذي يقطع العظام. يلقى (يلقى = يوجد). للحركات على كلمة «مضرب» راجع تاج العروس (الكويت) ٣: ٢٤٧. المعنى غامض (لعل المقصود: إذا لم يوجد رجل شجاع يضرب بالسيف) أو إذا لم يستخدم (في الحرب).
(٦) بيت الرجل القوم (هاجهم ليلاً). النفس: صباغ أسود. أجهمهم: اتهمهم (عليهم) مكانهم (أهجم عليهم وهم في بيوتهم). الطرس: الورق. أشهب: أبيض.
(٧) هش: داخله سرور، فرح. - الوعى: الحرب (لأنه يكون قد انتصر).
(٨) اعتناق الأبطال في الحركة كناية عن المبارزة بالجسم (الغالبية). البيض (النساء الجميلات). الربرب في =

- وقال يذمُّ السُّكنى في مدينة مَرَّاكش:

وأرضٍ سَكَنَّاها فِيا بَشَنَ مَسْكَنٌ، بها العِيشُ نَكْدٌ والجَنَاحُ مَهِيضٌ^(١)؛
نروحُ ونفسدو ليس إلَّا مَرُوعٌ: عقاربُ سودٌ أو أرقامُ بيضٌ^(٢)!

٤-★★ قلائد العقيان ٣٣٧-٣٣٩، بغية الملتبس ٦٠، (رقم ٩٠)؛ المغرب ١: ٤٤٣٢؛
المطرب ١٩٩٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣٣٤-٣٣٩؛ الخريدة (الأندلس)
٢: ٢٨٧-٢٩٦؛ الحمدون ٢٩٥؛ الوافي بالوفيات ١: ٣٥٧؛ نفح الطيب ٣:
٣٩٢-٣٩٣؛ الأعلام للزركلي (٦: ٨٥).

أبو العلاء عبد الحق بن الجنان

١- هو أبو العلاء عبد الحق بن خلف بن مُفرّج المعروف بابن الجنان، ولَدَ نحو
سَنَةِ ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)، في شاطِبة. ويبدو أَنَّهُ تَوَلَّى فيها الكِتابَةَ لَنَفَرٍ من الأُمراء
الذين تولَّوها. وقد صَحِبَ الشاعرَ المشهورَ ابنَ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ). وكانت وفاة ابن
الجنانِ هذا سَنَةَ ٥٣٩ هـ (١١٤٤-١١٤٥ م).

٢- كان أبو العلاء عبد الحق بن الجنان الشاطِبيُّ ذا بَصَرٍ باللُغَةِ وبالأدب، كما
كان أديباً وكاتباً مترسلاً وشاعراً بارعاً. وكذلك كانت له معرفةٌ بالطبِّ. وهو شاعرٌ
وُجِدَنايَ سَهْلُ الأسلوبِ قَريبُ المعاني. وأبياته التي وَصَلَتْ إلينا كانت في الإخوانيَّات
والأدب (الحِكْمَةِ) والنسيب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو العلاء عبد الحق بن الجنان (المغرب ٢: ٣٨٢) في النسيب:

= الأصل: قَطِيعُ الفِزْلانِ (المقصود: أغالِبُ الأعداءِ في المِرْكَةِ كما لو كنتَ أَلْهُو مع حَبِيبِي: بيسر وسهولة
وانسراح).

(١) نكد (بالضم): قليل (سَيِّئٌ). مَهِيضٌ: مكسور.

(٢) نروح (في الماء) ونفسدو (في الصباح): في كل وقت. مَرُوعٌ: غثيف. الأرقام: الحية.

سرى بَعْدَ الْهُدُوءِ خَيَالٌ لَيْلِي وَلَمْ تَسْدِرِ الْوُشَاةُ أَوَانَ سَارَا^(١).
 وَزَارَ وَأَعْيَنَ الرُّقْبَاءُ تَذَكِّي حِذَاراً أَنْ يَزُورَ وَأَنْ يُزَارَا^(٢).
 فَدُونَ طُرُوقِ ذَاكَ الْحَيِّ سُمُرٌ تَدُورُ بِجَانِبَيْهِ حَيْثُ دَارَا^(٣).
 سَأَشْكُرُ لِلْكُرَى خُلُصَاتٍ وَضَلِي كَمَا لَقَطَ الْقَطَا ثُمَّ اسْتَطَارَا^(٤).

- وقال من رسالة كَتَبَهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ غَانِيَةَ الْمَلَمَّ^(٥) (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الرَّئِيسِ الْأَجَلَّ وَاضْحَ آيَاتِ الْمَسَاعِي، مُجَاباً فِي تَأْيِيدِهِ دَعْوَةَ الدَّاعِي، وَلَا زَالَ مَعْقُودَةَ بِالظَّفَرِ الْوَيْتُهُ مَعْمُورَةً بِصَالِحِ الدُّعَاءِ سَاحَاتِهِ وَأُنْدِيَّتِهِ. كِتَابِي، وَمَا خَطَطْتُ بِحَرْفٍ إِلَّا رَمَقْتُ السَّمَاءَ بِطَرْفٍ أَدْعُو وَأَتَوَسَّلُ إِلَى مَنْ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ وَيَقْبَلُ، وَيُسْنِي الْحُظُوظَ وَيُجْزِلُ^(٦)، عَلَى مَا أَوَّلَى مِنْ قِسْمٍ أَتَاحَهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَأَلْقَى أَرْزَمَتَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى أَنْقَادَتْ لَهُ بَعْدَ شِجَاسٍ وَتَأَثَّتْ عَلَى يَاسٍ^(٧). وَهَلْ كَانَتْ إِلَّا خَبِيئَةُ الدَّهْرِ وَبَيْضَةُ الْعُمْرِ^(٨)، صَعَبَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلُ مِنْ أُولَى السِّيَاسَاتِ وَمُدْبِرِي الرِّيَاسَاتِ.

- وقال أَبُو الْعَلَاءِ عَبْدِ الْحَقِّ بْنُ الْجَنَّانِ أَيْضاً (الخريدة - المغرب والأندلس، ٣ :

٥٦٨):

- (١) الهدوء : سكون الناس في الليل ونومهم. أوان : وقت.
- (٢) أعين الرقباء تذكي : ترسل (تشدد المراقبة على الناس).
- (٣) الطروق : الطلوع (الهيء) فجأة. الأسمر : الرمح.
- (٤) الكرى : النوم. الخلة (بالضم) : الفرصة (القصرية). كما تَلَوَّطَ طَيْرُ الْقَطَا الحية من الأرض بمنقارِه) ثم استطار. في القاموس (٢ : ٨٠) انتشر الخ. والشاعر يقصد «استطير» (بالبناء للمجهول) : ذعر (يضركم)، أي خاف وطار.
- (٥) هو يحيى بن علي بن يوسف المسوفي (ت ٥٤٣ هـ)، وغانية أمه وكانت قريبة ليوسف بن تاشفين. ويحيى ابن غانية هذا كان أول الذين تولوا الأندلس من قبل (بكسر ففتح) الملتئمين (المرابطين).
- (٦) يسني الحظوظ ويجزل : يعطي جوائز سنية (قيمة) جزيلة (كثيرة وقيمة).
- (٧) التماس : الإباء والامتناع. ياس : قنوط (فقدان الأمل).
- (٨) «بيضة العمر» (تاج العروس - الكويت ١٣ : ١٠٩) تطلق على أشياء كثيرة والمقصود بها (هنا) «التيء النادر».

وَكُنَّا وَرِيبُ الدَّهْرِ وَسَنَانُ، وَالنَّوَى بَعِيدٌ مَدَاهَا لَا تَرَوُعُ لَنَا سِرْبًا^(١)؛
 قَعْدُنَا وَقَدْ صِرْنَا بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ، فَأَبْصِرْ بِهِ عَيْنًا وَأَسْمِعْ بِهِ قُرْبًا^(٢).
 أَبَا حَسَنِ، إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ نَازِحًا أَرَأَيْتَ لَمَعُ الْبَرْقِ أَوْ أَسْأَلُ الرُّكْبَا^(٣)؛
 فَكَمْ قَدْ تَجَادَبْنَا الْحَدِيثَ لِيَالِيَا نَقْلُهُ أَجْيَادَهَا لَوْلَا رَطْبًا^(٤).
 وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا الشَّمْسُ لَاحَتْ لَنَاظِرٍ فَأَوْنَةٌ شَرْقًا وَأَوْنَةٌ غَرْبًا^(٥).

٤- ** المغرب ٢: ٣٨١ - ٣٨٢، التكملة ٦٤٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٦٨؛
 الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٥٤؛ نفع الطيب ٣: ٣١٠ - ٣١١.

أبو بكر بن الجنان

١- أبو بكر أحمد بن عبد الحق بن الجنان شاعرٌ مُجِيدٌ لم أَعَثِرْ على تاريخ وفاته
 فَاَلْحَقْتُ ترجمته بترجمة أبيه. وفي ظني أنه لم يَمُتْ طويلاً لأنه دخل السَّجْنَ وَعُذِّبَ
 فيه وَقُتِلَ على الأَرَجِ.

٢- هو شاعرٌ مطبوعٌ متينُ السبكِ حَسَنُ الصَّنَاعَةِ يُجِيدُ الْقَصَائِدَ وَالْمُقَطَّعَاتِ.
 وشِعْرُهُ مَذَحٌ وَأَدَبٌ (حكمة) وَغَزَلٌ. وقد مَدَحَ الْقَاضِي أَبَا بَكْرَ بْنَ أَسَدٍ الشَّاطِئِيَّ.

٣- مختارات من شعره:

- جرتُ على أبي بكرٍ أحمد بن عبد الحق بن الجنان مِحنةٌ دخل على أثرها إلى

(١) ريب (حادث، مصائب) الدهر وسنان (قد غلب عليه النعاس) والنوى (الفراق، البعاد) لا تروع (لا تخيف) لنا سرباً (جماعة).

(٢) صرنا بمرأى وسمع (من الدهر) يصبينا بأحداثه. فأبصر به الخ (والدهر قويّ المصر قويّ السمع فأصابتنا بمصائب كثيرة).

(٣) نازح: بعيد، مغترب. الركب (الجماعة الراكبون: المسافرون معاً): أسأل عنك الناس وأحاول أن أعرف أخبارك في كل مناسبة. - راجع في خطاب «أبي حسن» ترجمة ابن الفخار المالقي (ت ٥٣٩ هـ).

(٤) كانت أحاديثك كالقلائد من اللؤلؤ الثمين لأجسادنا (لأعناقنا).

(٥) - كناية عن كثرة أسفاره.

السَّجْنُ وَوُضِعَتِ الْأَكْبَالُ (القيود) في يديه . وَلَمَّا أُقِنَ بِالْمَوْتِ كَتَبَ عَلَى حَاطِطِ السَّجْنِ
بِقِطْعَةٍ مِنَ الْفَخْمِ (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أَلَا دَرَى الصَّيْدُ مِنْ قَوْمِي الصَّانِدُ أَنِّي أُسِيرُ - بَدَارُ الْهُونِ - مَقْصُودُ .
لَا أَبْسُطُ الْخَطْوُ إِلَّا ظِلَّ يَقْبِضُهُ كَبَلٌ - كَمَا التَفَّتِ الْحَيَاتُ - مَعْقُودُ .
وَقَدْ تَأَلَّبَ أَقْوَامٌ لَسَفْكَ دَمِي لَا يَعْرِفُ الْفَضْلُ مَنَافَهُمْ وَلَا الْجُودُ
- وَقَالَ فِي غِلَامٍ مَرَّ بِهِ يَقْفِزُ فَارًّا (مَنْ نَارٍ عَلَقَتْ بِهِ ؟):

وَوَسِيمِ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ يَنْشَنِي كَالنُّصْنِ فِي الْوَرَقِ ،
مَرَّ يَلْقَى النَّارَ فِي ضَرَمٍ كَنُؤَادِ الصَّبِّ مُخْتَرِقِ .
وَمَضَى يَخْتَابُ جَاحِمَهَا * كَانْصِلَاتِ النُّجْمِ فِي الْأَفْقِ .

- قَالَ ابْنُ الْجَنَانِ الْمُرْسِيُّ يَمْدَحُ قَاضِيًا اسْمُهُ (أَوْ كُنْيَتُهُ) أَبُو بَكْرٍ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا:

أَلَا طَرَقْتُنَا فِي الدُّجَى رَبَّةَ الْخَدَرِ وَقَدْ جَنَحَتْ فِي الْأَفْقِ أَجْنِحَةُ النَّسْرِ (١)
وَمَالَتْ إِلَى الْغَرْبِ الثَّرْيَا كَأَنَّهَا مَطَارُ حَمَامٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرٍ (٢) ،
فَهَبَّتْ مَعَ الْفَجْرِ النَّعَامَى فَجَرَّرَتْ ذُبُولًا عَلَى الْفَيْطَانِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ (٣) .
فَمَنْ مُبْلَغِي - وَالِدَارُ بِالْقَوْمِ غُرْبَةً شَطُونٌ - وَصِدْقُ الْقَوْلِ أَجْدَرُ بِالْحُمْرِ (٤) ،
عَنِ الرُّوْحِ بِالرُّوْحَاءِ كَيْفَ نَسِيمُهُ وَهَلْ جَادَهُ بَعْدِي مُلْتُ مِنْ الْقَطْرِ (٥) ،
وَهَلْ حَلَّ قَلْبِي فِي مَعَاهِدِ زَيْنَبٍ بِذَاتِ النَّقَامِ رَاحَ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ (٦) .
وَمِمَّا شَجَا نَفْسِي تَأَلَّقُ بَارِقُ يَدُ جَلَابِيبِ الدُّجْنَةِ إِذْ يَسْرِي (٧) .

(١) طرق: طلع (جاء) فجأة. ربّة الخدر: المرأة المصونة. المقصود بالنسر هنا كوكبة (مجموعة نجوم).

جنت في الأفق: مالت إلى المغرب، كناية عن اقتراب نهاية الليل (راجع البيت الذي يلي التالي).

(٢) مطار جمع مطارة: مكان يكثر فيه الطير. نهض الطير: بسط جناحيه ليطير.

(٣) النعامى ريح الجنوب (وهي في شبه جزيرة العرب رطبة محبوبة).

(٤) الشطون (بالفتح): بعيدة.

* الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.

(٥) الروحاء (اسم مكان). الملت (المستمر). القطر: المطر.

(٦) السفر (بالفتح): الجماعة المسافرون معاً.

(٧) شجا: حزن (بفتح ففتح) وأحزن. تألق: لمعان. بقْدَ (يشق) جلابيب (جمع جلباب: ثوب) الدجّة

(الظلام) إذ (حينما) يسري (يسير ليلاً).

مَلِيحٌ إِذَا مَا أَهْتَاجَ قُلْتُ: صَفِيحَةٌ مِنْ الْهِنْدِ أَوْ رَجَمَ مِنَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرُ^(١) ،
 يَنْوُءُ بِهِ مُسْتَمَطَّرٌ ذُو هَيَادِبٍ كَمَا نَهَضَتْ بُذُنُ الْحَجِيجِ إِلَى النَّحْرِ^(٢) .
 إِلَى كَمْ أَطْيَعُ الْقَلْبَ فِي طَلَبِ الصَّبَا

وَأُجْهِدُ نَفْسِي فِي هَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ^(٣) ؟
 سَأَتْنِي عِنَانَ الشَّعْرِ عَنْ سُبُلِ الْهَوَى إِلَى مِدْحَةِ الْقَاضِي الْأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ^(٤) :
 فَتَى أَنْهَضَ الْإِسْلَامَ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَصَيَّرَ طَيِّ الْمَعْلُوتِ إِلَى النَّشْرِ^(٥) ،
 وَشَيَّدَ أَرْكَانَ الدِّيَانَةِ فَاعْتَدَتْ تَزَاجِمُ أَشْبَاحِ النَّعَامِ وَالنَّسْرِ^(٦) .
 حَفِيزٌ عَلَى ذَاتِ الْآلَةِ وَدِينِهِ ، مَلِيٌّ بِمَا يُرِضِيهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ^(٧) .
 تَحَدَّثَ عَنْ آثَارِهِ فَتَيَسَّرَ السُّرَى كَمَا حَدَّثُوا فِي الْمَحَلِّ عَنْ سُبُلِ الْقَطْرِ^(٨) .
 وَأَصْفَرَ مَصْقُولِ الْأَدِيمِ أَجَلْتَهُ فَرِيَعَتٌ مَتُونِ الْبَيْضِ وَالذُّبُلِ السُّمْرِ^(٩) .
 إِذَا اسْتَنْطَقْتَ يُمْنَاكَ مِنْهُ مُفَوَّهًا أَجَابَ بِمَا يُثْنِي بِهِ نُوبَ الدَّهْرِ^(١٠) .
 وَإِنْ خَضِبْتَ أَعْلَاهُ مَجَّةً حَبْرَهُ قَضَى بِالْحُبُورِ الْجَمَّ عَنْ ذَلِكَ الْحَبْرِ^(١١) .

- (١) صفيحة من الهند (صفحة سيف من صنع الهند). رجم (شهاب مضيء ساقط إلى جو الأرض). الأزهر: الأبيض، اللامع.
- (٢) مستمطر (قطع سحب فيها مطر). الهيدب: ما يتدلى من السحاب فيكون قريباً من الأرض (لكثرة الماء الذي فيه). البذنة (يفتح ففتح): حيوان (كالجمل والبقرة والحروف). الحجيج: الحجاج. النحر: الذبيح. ويستحسن في البدن (بالضم) التي يضحي بها الحجاج أن تكون سميكة.
- (٣) الصبا: الشباب (أفعال الشباب). أجهد: أمتب. البيض والسر (النساء الجميلات).
- (٤) سأتني (أرد) عنان (زمام) الشعر من الغزل (الهزل) إلى المدح (الجدد - بكسر الجيم).
- (٥) المعلاة: مقبرة مكة. طي (ما في بطن) المعلوات (جمع معلاة): المقابر. - أحيا آمال الناس (٤).
- (٦) تزاحم: تناوب (ترتفع، تملو) أشباح (أجسام) النعام والنسر (مجموعتا كواكب): جعل مكانة الدين سامية.
- (٧) الملهي: الكثير المال، والمضطلع بالأمور (التقدير على تصريف الأمور).
- (٨) السرى (السير ليلاً). المحل: الجذب، انقطاع المطر. القطر: المطر. - تحدت الناس في أسرارهم عنه (باهتمام وسرور) كما يتحدث الناس عادة عن سقوط المطر بعد زمن طويل من الجذب والقحط.
- (٩) وأصفر (قلم) أجلته (على الورقة). ريعت (الجهول من راع: خاف) المتن: الحد. البيض (السيوف) والذبل السر (الرماح).
- (١٠) المفوه: التقدير على الكلام. يثنى: يرد، يدفع. النائية: الحادث، المصيبة.
- (١١) خضب: صبغ. أعلاه (أعلى القلم: الطرف البري الذي يكتب به). الحبور: السرور. الجم: الكثير.

إِلَيْكَ، أبا بكرٍ، بَعَثْتُ عَقِيلَةً
ولستُ كَمَنْ يَنْهِي نَوَالَ مُمَدَّحٍ
فَدُونَكُهَا غَرَاءً أَمَا نَسِيْمُهَا
فَكَالرَّوْضِ يَنْدَى أَوْ كَعَبْرَةِ الشَّجَرِ (٢)
وما إنْ لها إِلَّا قَبُولُكَ مِنْ مَهْرٍ (١)
ولو نَوَّلْتَنِي الشَّعْرَيْنِ يَدُ الشَّعْرِ (٢)
فسيحَ المَدَى سامي المراتب والذِّكْرِ

- وله في النسيب:

خَلِيلِي مِنْ وادي اليَّامَةِ، خَبْرًا
وهلْ سَرَحَةُ القاعِ الرِّيعِ جَنَابُهُ
وما هِيَ إِلَّا لِلوَداعِ مَوَاقِفُ
فيا رَاكِبَ الوَجْنا، هل أَنْتَ مُبْلَغُ
مَتَى يَلْتَقِي جِسْمٌ بِرَأْمَةٍ مُتَمِّمُ
هلِ البانُ في أَرْجائِهِ يَتَأَوَّدُ (١)؟
تَصِيحُ إِذَا غَنَى الحِمامُ المُفْرَدُ (٥)
يُرَاقُ بِهَا دَمْعٌ وَيَفْنَى تَجَلَّدُ
دِيَارَ سُلَيْمَى ما أَقُولُ وَأُنْشِدُ (٦)
وَجِسْمٌ بِأَكْثافِ العَقِيقَيْنِ مُنْجِدُ (٧)؟

١-★★ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٣ - ٢٥٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٤٩ -
١٥٣؛ المغرب ٢: ٣٨٢ - ٣٨٣؛ زاد المسافر ٧٣ (١١٥).

ابن مجبر الصقليّ

١- هو مُجَبَّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَبَابِ الْأُمَوِيِّ،
المعروف بابن مجبرٍ وُلِدَ فِي صِيقَلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧١ - ١٠٧٢ م). وقد هاجرَ إلى
مِصْرَ فِي مَطْلَعِ حَيَاتِهِ، سَنَةَ ٤٨١ هـ. وكانت وفاته قبلَ سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م).

- (١) عقيلة: زوجة كريمة (قصيدة).
- (٢) الشعران: الثمرى المبور والشمرى الفمضاء نجان من القدر الكبير.
- (٣) غراء: بيضاء (كريمة). الشحر (شاطىء) في جنوب شبه جزيرة العرب.
- (٤) البان: شجر أغصانه طويلة رشيقة وسراء لساء (لعله كناية عن المحبوبة) يتأوّد: يتأمل (سروراً وسعادة).
- (٥) السرحة: الشجرة الطويلة الكبيرة (لعلها أيضاً كناية عن المحبوبة). الريع: الخصب. جنابه: جانبه.
- (٦) تصيح (تعبّر عن سرورها أو عن حزنها).
- (٧) الوجداء: الناقة.
- (٨) المنهم: المقيم في نامة (بالكسر: عند شاطئ البحر) والمنجد (السكن في نجد: المكان العالي).

٢ - كان ابن مجير الصقليّ رجلاً جديداً كريماً الخلق، وكان شاعراً فحلاً مكثرأ. وشعره فصيح الألفاظ متين التركيب مع سهولة واضحة. وفنون شعره المديح والغزل والوصف والأدب (الحكمة). ويبدو أنه كان قد أخذ نفسه بنظم ملحمة «السيرة المصرية».

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن مجير الصقليّ قصيدة في مدح رجلٍ كريمٍ، منها:

أَمْلاً كُؤُوسَكَ بِالْمَدَامِ وَهَاتِهَا.	إِنَّ الْهَوَى لِلنَّفْسِ مِنْ لَذَائِهَا ^(١) .
إِصْرَفْ عَنِ الْمُسْتَقِ صِرْفَ مُدَامَةٍ	رَشَفُ الرُّضَابِ أَلَدٌ مِنْ رَشَفَاتِهَا ^(٢) .
وَأَحِلُّ أَشْرِبَتِي وَأَحْلَاهَا الَّتِي	أَمَسَتْ تُغَوِّرُ الْبَيْضَ مِنْ كَاسَاتِهَا ^(٣) .
وَمَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ سَامَتْ فِي الْهَوَى	قَتَلِي قَهَانَ عَلِيٍّ فِي مَرْضَاتِهَا ^(٤) .
مَا زِلْتُ أَصْفَحُ فِي الْهَوَى عَنْ جُرْمِهَا	وَأَغْضُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْ هَفَوَاتِهَا،
حَتَّى تَوَهَّمْتُ الصَّدُودَ زِيَادَةً	فِي حُسْنِهَا عِنْدِي وَفِي حَسَنَاتِهَا.
مَا خِلْتُ أَنَّ النَّفْسَ يَنْكُدُ عَيْشُهَا	حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ مِنْ شَهَوَاتِهَا.
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ الْقِيَابَ وَأَوْجُهَا	فِيهِمْ كَالْأَقَارِ فِي هَالَاتِهَا ^(٥) .
وَالْوَرْدُ يَحْسُدُ نَرْجِسًا وَبَنْفَسَجًا	فِي شَهْلِ أَعْيُنِهَا وَلُفْسٍ لِثَائِهَا ^(٦) .
تِلْكَ الرِّيَاضُ اللَّاءُ مَا بَرِحْتُ بَدِي	تَجْنِي ثَارَ الْوَصْلِ مِنْ وَجَنَاتِهَا ^(٧) .

(١) الدام: الخمر.

(٢) الصرف: الخالصة (غير الممزوجة بماء). الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٣) الثغر: الفم. البيضاء: المرأة (الجميلة).

(٤) سام السلعة: عرضها للبيع وطلب فيها ثمناً. هان: سهل.

(٥) القباب جمع قبة (بالضمة): خيمة صغيرة أعلاها مستدير (تكون عادة للمرأة). الهالة: دائرة ترى أحياناً محيطة بالقمر أو الشمس أو السراج (يشبه المرأة في القبة كالقمر في وسط الهالة).

(٦) الورد (النبات الطبيعي) يحسد النرجس الذي يشبه عينيها (أو عينيها اللتين تشبهان النرجس). الشلهة (بالضمة): أن يخالط يؤثّر العين حرة (أو صفرة). اللبس: السرة. اللثة (بكسر ففتح بلا تشديد):

اللحم الذي تنبت فيه الأسنان.

(٧) اللاء: اللائي، اللوائي، التي.

وَلَرُبُّ قَافِيَةٍ شَرُودٍ شَرَدَتْ
حَتَّى وَرَدَتْ مِنْ التَّأْسِفِ بَعْدَهَا
مَا زِلْتُ أَنْظِمَ طَيْبَ ذِكْرِكَ عَنبراً
حَتَّى إِذَا نَشَرَ الصَّبَاحُ رِداءَهُ
وَتَمَثَّلَتْ عِقْداً تَوَدُّ كَوَاكِبُ الـ
أَعْدَدْتُهَا لِلْقَاءِ مَذْجِكَ سُبْحَةً
وَمَدَائِحُ الْكُرَمَاءِ خَيْرُ وَسِيلَةٍ
وَأَحَقُّهَا بِالنُّجَحِ مَدْحُكَ إِنَّهُ
فَالْيَوْمَ أَثْنَرُهَا جَوَاهِرَ حِكْمَةٍ
قَسَمًا بَيْنَ قَسَمِ الْمُحْظُوظَةِ فَنِلْتُ أَفْ
وَبَنَى الْعُلَى رُتْباً فَكُنْتُ بِفَضْلِهِ
لَوْلَا وَجُودُكَ فِي الزَّمَانِ وَجُودُكَ الـ
لَمْ يُعَرَفِ الْمَعْرُوفُ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ

نَوْمِي فَبِتُّ أَجُولُ فِي أُنْيَاتِهَا^(١)،
نَاراً دَمُوعِي الْحُمُرُ مِنْ جَمَرَاتِهَا.
أَرْجَا خِلَالَ الدُّرِّ مِنْ كَلِمَاتِهَا^(٢)،
عَنْ مِثْلِ نَفْحِ الْمِسْكِ مِنْ نَفْعَاتِهَا،
جُوزَاءُ عُقْدَتِهِ عَلَى لَبَاتِهَا^(٣)،
أَدْعُو بِهَا لِأُنَالَ مِنْ بَرَكَاتِهَا.
شُعِمْتُ بِهَا الْأَمَالُ فِي حَاجَاتِهَا.
لِلنَّفْسِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُرْبَاتِهَا^(٤)،
عَقُمْتُ بِحَارِ الشَّعْرِ عَنْ أَخَوَاتِهَا.
ضَلَّهَا وَنَالَ النَّاسُ مِنْ فَضْلَاتِهَا،
أَوَّلَى مَنْ أَسْتَوَى عَلَى غَايَاتِهَا^(٥)،
مُحْنِي الْمَكَارِمَ بَعْدَ بُغْدِ وَفَاتِهَا^(٦)،
طُفْنَا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا.

٤-★★ الخريدة (مص) ٢: ٨٢-٨٩.

ابن بقي الأندلسي

١- هو أبو بكر يحيى بن أحمد (أو محمد) بن عبد الرحمن بن بقي^(٧) القيسي،
القرطبي الطليطلي الأندلسي. ومن المستغرب أن المعروف من تفاصيل حياته نَزَرَ

(١) القافية الشroud: السائرة في البلاد. يقصد قصيدة بارعة جعل قوافيها متخيرة موافقة لأبياتها.

(٢) أرج: طيب الرائحة.

(٣) اللبة: أعلى الصدر.

(٤) القرية: ما يتقرب به الإنسان إلى غيره (في الأصل: إلى الله).

(٥) استولى على الغاية: سبق المتبارين.

(٦) جودك (كرمك). بعد بُغْدِ وفاتها (موت المكارم منذ زمن بعيد).

(٧) ابن بقي من أهل وادي آش (جنوبي الأندلس) ووفاته في وادي آش (صلة الصلة ١٧٤).

قليل برغم شهرته وتقدمه في تاريخ الأدب.

كان مولد ابن بقي (في طليطلة؟) في أواخر القرن الهجري الخامس (الحادي عشر للميلاد) قضى حياته في التّطوّاف في الأندلس نفسها وفي المغرب من غير أن ينال خيراً إلى أن قرّبه يحيى بن علي بن القاسم من بني العنصرة القضاة في سلا (قرب الرباط - في المغرب) فنال عنده حظوة يبدو أنها لم تطل فعاد من المغرب غاضباً يائساً. ثم كانت وفاته في سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، في رواية ياقوت (معجم الأدباء ٢٠: ٢١) ورواية ابن خلكان (وفيات الأعيان ٦: ٢٠٥). وقيل سنة ٥٤٥ هـ.

٢- أبو بكر بن بقي ناثراً^(١) وشاعرٌ مجيدٌ وشاحٌ بارع صاحبٌ موشحاتٍ وقصيدٍ في مقاطعٍ وقصائدٍ طوالٍ. كانت فنونه المديح، أكثر من مديح يحيى بن علي ابن القاسم، والشكوى والغزل الرقيق والنسيب. ويبدو أنه قد نُسبت إليه موشحات لم تكن له، ولكن شهرته دفعت الرواة إلى ذلك. ومع أن ابن بقي كان ذا مكانة سامية في التوشيح، فإن الأعمى التطيلي كان أكثر توفيقاً منه في بعض الأحيان (راجع مقدمة ابن خلدون ٥٨٤ / ١١٣٩ - ١١٤٠). وكان في موشحاته «خرجات» (والخرجة نهاية الموشحة) رومانسية، أي باللغة الأعجمية لغة نصارى الأندلس (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٩).

٣- مختارات من شعره:

- موشحة ابن بقي:

غَلَبَ الشَّوْقُ بَقْلِي فَأَشْتَكِي أَلَمْ الْوَجْدِ فَلَبَّسْتُ أَدْمُعِي.

★ ★ ★

أَيُّهَا النَّاسُ، فُؤَادِي شَفِيفٌ؛
وَهُوَ مِنْ بَنِي الْهَوَى لَا يُنْصَفُ؛

(١) وهو ناثراً أيضاً (صلة الصلة ١٧٤).

كَمْ أَدَارِيهِهِ وَدَنَمِي يَكْرِفُ؟
أُثِمَّا الشَادَنُ مَنْ عَلَّمَكَ بِسِهَامِ اللَّحْظِ قَتَلَ السَّبْعِ^(١)؟

★ ★ ★

بَسْدُرُ يَمَّ تَحْتَ لَيْسَلٍ أَغْطَشَ،
طَالَعُ فِي غُصْنٍ بِلَانٍ مُنْتَشِرٍ،
أَهْيَفُ الْقَدِّ بَحْدَ أَرْقَشِ.
سَاحِرُ الطَّرَفِ، وَكَمْ ذَا فَتَكَ بِقُلُوبِ الْأُسْدِ بَيْنَ الْأَضْلَعِ^(٢)!

★ ★ ★

أَيُّ رِيمٍ رُمْتَهُ فَاجْتَنِبَا،
وَأَنْتَنِي يَهْتَزُّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا
كَفْضِيبِ هَزَّةِ رِيحِ الصَّبَا.
قَلْتُ: هَبْ لِي، يَا حَبِيبِي، وَصَلِّكَ وَأَطْرِخْ أَسْبَابَ هَجْرِ وَدَعِ^(٣).

★ ★ ★

قَالَ: خَدِّي زَهْرَةَ مُذْ قُوفَا
جَرَدْتُ عَيْنَايَ سَيْفَا مُرْهَفَا
حَذَرَا مِنْهُ بَلَا يُقْطَفَا.

(١) الوجد: ألم الحب. شَفَفَ (ليت في الغاموس). المقصود « مشغوف » مجنون (من الحب). البهي: الظلم.

يكف: يهطل، ينسكب. الشادن: الغزال الصغير.

(٢) أغطش: ضعف البصر. والشاعر يقصد ليل غاطش (تاج العروس - الكويت ١٧: ٢٩٢): مظلم.

منتش: سكران (يتأود: يتأبل مثل السكران). أهيف القد: نحيل معتدل القامة. أرقش: (فيه ألوان): أحمر (٤).

(٣) ريم: غزال أبيض. رام: طلب. ربح الصبا: ربح الشرق. يجب أن يقول: هزته.

إِنْ مَنْ رَامَ جَنَاهُ هَلَكَا فَأَزَلَّ عَنْكَ عِلَالُ الطَّمَعِ^(١).

★ ★ ★

ذَابَ قَلْبِي فِي هَوَى ظَمِيرٍ غَرِيرٍ،
وَجْهُهُ فِي الدَّخَنِ صُبْحٌ مُتَنِيرٍ،
وَفُؤَادِي بِبَيْنٍ كَفَيْهِهِ أَسِيرٌ.

لَمْ أَجِدْ لِلصَّبْرِ عَنْهُ مَسْلَكًا فَانْتَصَارِي بِأَنْسَكَابِ الْأَذْمَعِ^(٢).

- شَكْوَى مَرِيرَةٍ مِنَ الدَّهْرِ وَالنَّاسِ فِي الْوَطَنِ وَالْغُرْبَةِ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُوهَا نَوَى أَجْنِبِيَّةٍ لَهَا مِنْ أَبِيهَا الدَّهْرِ شِمَةٌ ظَالِمٍ^(٣)،
إِذَا جَاشَ صَدْرُ الْأَرْضِ بِكِتَابٍ مُنْجِدٍ وَأَنْ لَمْ يَجِشْ لِي كُنْتُ بَيْنَ التَّهَامِ^(٤)،
أَكَلُ بَنِي الْآدَابِ مِثْلِي ضَائِعٌ فَأَجْعَلْ ظُلْمِي أَسْوَةً فِي الْمَظَالِمِ،
سَتَبِكِي قَوَائِي الشَّعْرِ مَلءَ جَفُونِهَا عَلَى عَرَيِّ ضَاعَ بَيْنَ أَعَاجِمِ.

- وَقَالَ فِي النَّسِيبِ:

بِأَيِّ غَزَالٍ غَاظَلْتُهُ مُقْلَتِي بَيْنَ الْعُذِيبِ وَبَيْنَ شَطْطِي بَارِقٍ^(٥)،
وَسَأَلْتُ مِنْهُ زِيَارَةً تَشْفِي الْجَوَى فَأُجَابِنِي فِيهَا بَوَعْدٍ صَادِقٍ^(٦)،
يَتَنَا وَنَحْنُ مِنَ الدُّجَى فِي لُجَّةٍ، وَمِنَ النُّجُومِ الزُّهْرِ تَحْتَ سُرَادِقٍ^(٧).

(١) التفويف: التلوين (كثرة الألوان). مرهف: رقيق (حادّ، قاطع). جناء = اجتناؤه: قطعه (تقبيله).
علال (ليست في القاموس بالمعنى المقصود). الشاعر يقصد علالة (بالضمّ: ما يتلفى الإنسان به) أو
التعلّل: التأميل، الأمل.

(٢) الغرير (الصغير، القليل الاختيار). الدجن: الغم.

(٣) نوى: بعاد، فراق. الأجنبية: الغريبة (البعيدة، في بلاد أجنبية؟). شيمة: خصلة.

(٤) جاش: تحرك، اضطرب. جاش في صدر الأرض: سرت في الأرض كثيراً. المنجد: المرتقي إلى النجد
(المكان المرتفع). التهائم جمع تهامة (بالفتح أو بالكسر): الأرض المنخفضة.

(٥) العذيب وبارق من أسماء الأماكن (ولا يقصد بها هنا مكاناً بعينه).

(٦) الجوى: ألم الحب.

(٧) الدجي (الظلام). اللجة: معظم الماء (في ظلام شديد). الزهر جمع أزهر وزهراء (أبيض، لامع).

السرادق: كلّ ما أحاط بك (خيمة كبيرة ممتدة: كانت النجوم كثيرة؟). بات: قضى الليل.

عَاطِيَّتُهُ، وَاللَّيْلُ يَحْبُ ذَيْلُهُ،
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْكَمِيِّ لِسِنْفِهِ
حَتَّى إِذَا مَالَتْ بِهِ سِنَّةُ الْكَرَى
بَاعَدْتُهُ عَنْ أَضْلَعِ تَشَاتُفِهِ
صَهْبَاءُ كَالْمَسْكِ الْفَتِيقِ لِنَاشِقِي^(١)،
وَذَوَابِتَاهُ حَائِلٌ فِي عَاتِقِي^(٢).
زَحْزَحْتُهُ شَيْئاً وَكَانَ مَعَانِقِي^(٣)؛
كَيْلَا يَنَامَ عَلَى وَسَادِ خَافِقٍ^(٤)!
- وَقَالَ يَتَفَرَّكُ:

يَا أَقْتَلَ النَّاسَ الْحَاطِطَ وَأَطْيَبَهُم

رَيْقاً، مَتَى كَانَ فِيكَ الصَّابُ وَالْمَلُّ^(٥)؟
فِي صَخْرِ خَدِّكَ، وَهُوَ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ،
وَرَدَّ يَزِيدُكَ فِيهِ الرَّاحُ وَالْحَجَلُ^(٦).
إِيمَانُ حَبِّكَ فِي قَلْبِي تُجَدِّدُهُ
مِنْ خَدِّكَ الْكُتُبُ أَوْ مِنْ لَحْظِكَ الرُّسُلُ.
إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنَّنِي عَبْدٌ مَمْلُوكَةٌ
مُرْنِي لِأَنْ شَتَّتَ آتِيهِ وَأُمَثَّلُ^(٧).
لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى قَلْبِي وَجَدْتَ بِهِ
مِنْ فِعْلِ عَيْنَيْكَ جُرْحاً لَيْسَ يَنْدَمِلُ.

٤-★★ فَلَائِدُ الْعَفْيَانِ ٣٢٢ - ٣٢٦؛ الْخَرِيدَةُ (الْمَغْرِبُ وَالْأَنْدَلُسُ) ٢٣٦ - ٢٤٦، ٣؛
٥٧٩؛ الْخَرِيدَةُ (الْأَنْدَلُسُ) ٢: ١٣٠ - ١٤٣؛ الْمَطْرِبُ ١٩٨؛ الْمَغْرِبُ ٢: ١٩ -
٢١، ٢٥؛ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٦: ٢٠٢ - ٢٠٥؛ مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢٠: ٢١ - ٢٥؛
الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢: ١٩٢؛ التَّكْلِمَةُ؛ (رَقْمُ ٢٠٤٢) صَلَاةُ الصَّلَاةِ ١٧٤؛
جَيْشُ التَّوَشِيحِ ٢ - ١٥، رَاجِعْ ٢٢٧ - ٢٣٠؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ١: ٤٧١ - ٤٧٣، ٣؛

- (١) عَاطِيَّتُهُ: شَرِبَتْ وَإِيَّاهُ. وَاللَّيْلُ يَحْبُ ذَيْلُهُ (طُولُ اللَّيْلِ؟). صَهْبَاءُ: خَرَّ حَرَامُ اللَّوْنِ. الْفَتِيقُ = الْفَتَقُ (مِنْ إِيَاءٍ فَتَحَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ). النَّاشِقُ (يَقْصِدُ الْمُنْتَشِقَ وَالْمُنْتَشِقُ: الَّذِي يَقْصِدُ أَنْ يَشْمَ رَاحَةً مَا).
(٢) الْكَمِيُّ: الْكَامِلُ السَّلَاحِ. ضَمَّ الْكَمِيِّ لِسِنْفِهِ (حَبّاً لَهُ وَمَحَافِظَةً عَلَيْهِ). الذَّوَابَةُ: الصَّغِيرَةُ. حَالَةٌ (مُلَاقَاةٌ عَلَى). الْعَاتِقُ مَا بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْكَتِفِ.
(٣) السِّنَّةُ (بِالْكَسْرِ): النَّعَاسُ. الْكَرَى: النَّوْمُ.
(٤) وَسَادٌ: مَخْدَةٌ. وَسَادٌ خَافِقٌ (يَقْصِدُ قَلْبَهُ).
(٥) الصَّابُ: شَجَرٌ مَرٌّ.
(٦) لَوْنُ الرَّاحِ (الْحُمْرُ - الْحُمْرَةُ) وَلَوْنُ الْحَجَلِ (الْحُمْرَةُ) أَوْ طَعْمُ الْحُمْرِ (عِنْدَ شَمِّ الْحَذِّ وَتَقْبِيلِهِ) وَلَوْنُ الْحَجَلِ.
(٧) حَقُّ «آتِيهِ وَأُمَثَّلُ» الْجَزْمُ (فِي جَوَابِ الْأَمْرِ). وَيَسْتَقِيمُ الْإِعْرَابُ إِذَا قُلْنَا: مَرْنِي، فَمَا شَتَّتَ آتِيهِ وَأُمَثَّلُ (أَطْيَبَهُ).

٢٠٨ - ٢٠٩، ٣٤٧ - ٣٤٨، ٤٠٤، ٤٣٩ - ٤٤٠، ٤٤٨، ٤ : ١٣، ١٥٥،
 ٢٣٦ - ٢٤٠، ٧ : ٦ - ٧، ٤٧ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٢٩، نيكل ٢٤١ -
 ٢٤٤ : مختارات نيكل ١٦٣ - ١٦٥، الأعلام للزركلي ١٨٨ : ٩ (١٥٨).

ابن أبي الخِصال الغافقي

١ - هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن مسمود بن طيب بن فرج بن خلصة الشقوري المعروف بابن أبي الخِصال الغافقي (نفع الطيب ١ : ٢٩٤)، وأوليته من قرطبة، قرب شقورة، وفيها كان مولده، سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م)، وكانت نشأته أيضاً. ثم إن ابن أبي الخِصال انتقل إلى قرطبة وسكنها.

وتردد ابن أبي الخِصال على أبي الحسن ابن مالك البعري قاضي أبلدة (راجع نفع الطيب ٣ : ٥١٩ - ٥٢٠). ثم عني بالحديث فقرأ على أبي علي الحسين بن محمد بن سكرة الصدي (ت ٥١٤ هـ) بالمرية صحيح مسلم وجامع الترمذي ومُصنّف أبي داود وأكثر صحيح البخاري.

وترقى في مراتب الدولة فأصبح رئيس كتاب الأندلس. وقد كان كاتباً لوالي غرناطة علي بن يوسف بن تاشفين (قبل أن يلي علي بن يوسف السلطنة، سنة ٥٠٠ هـ).

ولما قام السلطان علي بن يوسف بحملته على طليبة (غرب طليطلة) رافقه ابن أبي الخِصال. وسكن ابن أبي الخِصال مدة في فاس.

ولما استولى المصامدة (الموحدون) على الأندلس ظل يحيى بن غانية (آخر ولاة المرابطين على الأندلس) يقاوم جيوشهم. واتفق يوماً أن كان محمد بن أبي الخِصال في باب بيته في قرطبة فرأى الجنود المصامدة يهاجمون الناس ويقتلون نفراً منهم. فجعل ثقة بمكانته العلمية وحجاً بدفاعه عن الخلق والحق والدين ينصح الجنود بالكف عن قتل الناس. فجاء الجند إليه وقتلوه، في ثاني عشر ذي الحجة من سنة ٥٤٠ (١١٤٦/٥/٢٧ م).

٢ - كان محمد بن أبي الخِصال مُتَفَنِّناً في العلوم مُسْتَبَحِراً في الآداب واللُّغات (لغات العرب: لهجات العرب) بارعاً في البلاغة أديباً مُتَرَسِّلاً حَتَّى اشتهرَ بِأنّه رئيسُ كُتّاب الأندلس في أيامه، وإن كانت عنايته الأولى مُتَّجِهَةً إلى الحديث. وكذلك كان عالماً بالأخبار (التاريخ). ثمّ إنّه كان شاعراً يُحسِّنُ الارتجال، وكانت أكثرُ براعته في الوصف. غيرَ أنّه كان قليلَ الابتكار كما كان على شِعْره شيءٌ من الجفاف. ونثره مُثَقِّلٌ بالصناعة.

وكان مُصَنِّفاً أيضاً له كُتُبٌ منها: مجموعُ ترسُّلٍ وشعرٍ في خمسة مجلِّدات (معجم ابن الأَبار ١٤٤) - ظِلُّ القَمامة (في مناقب الصَّحابة) - مِنهاج المناقب - مِنهاج العَشْرة (المُبَشِّرِينَ بالجَنَّةِ؟) وعمِّي الرسول (حَمزة والعبّاس؟).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان لأبي عبد الله ابن أبي الخِصال أقوالٌ في الحِكْمة منها (المغرب ٢: ٦٦ - ٦٧):

لولا الظلامُ ما سَطَعَ السَّراجُ ولولا الصُّبرُ ما نَفَعَ الإِفراجُ - حقَّ الأديبِ على الأديبِ حقُّ الوابِلِ^(١) على المكانِ الجَدِيبِ - أَغْفِ صديقَكَ من ربيعِ العِتابِ وإن كانَ نَسِياً.

- وقال في مَعْنٍ زارَهُ بعدَ أن كان قد أَغْبَى (انقطع عنه مدّة):

وافى وقد عَظُمْتَ عَلَيَّ ذُنُوبُهُ في غَيْبَةٍ قُبِحتَ بِها آثارُهُ.
فمحا إِسْأاءَتَهُ بِها إِحْسانَهُ، واستَغفرت لِذُنُوبِهِ أوتارَهُ^(٢).

- وكتب الفتحُ بنُ خاقانَ إلى أبي عبد الله بن أبي الخِصال يَطْلُبُ منه نُحْبَةً من شِعْره فردَّ ابنُ أبي الخِصال بِرسالةٍ يعتذرُ فيها مِنْ ذلك، منها (قلائد العقيان).

(١) الوابِل : المطر الكثير.

(٢) الأوتار جمع وتر (كتابة عن العزف على الآلة الموسيقية): غنائي غناءً عذياً فنسيت هجرانه لي من قبل.

الحَبْرُ - أَعَزَّكَ اللهُ - يُؤْتِي مِنَ الثَّبَةِ^(١)، والحبيبُ يُؤَدِّي مِنَ الْمَقَةِ^(٢). وقد كنت أرضى من وُدِّكَ، وهو الصحيح، بِلَمْحَةٍ؛ وأقنع من ثنائِكَ، وهو المسك، بِنَفْحَةٍ. فما زِلْتُ تُعَرِّضُنِي لِلامْتِحَانِ وَتَطَالُبُنِي بِالْبُرْهَانِ، وَتَأْخُذُنِي بِالْبَيَانِ، وَأَنَا بِنَفْسِي أَعْلَمُ وَعَلَى مِقْدَارِي أَحْوَطُ وَأَحْزَمُ^(٣). وَالْمُعِيدِي يَسْمَعُ بِهِ لَا أَنْ يَرَى^(٤)، وَإِنْ وَرَدَتْ أَخْبَارُهُ تَتَرَى^(٥)، فَشَخْصُهُ مُقْتَحَمٌ مُزْدَرَى^(٦). وَلَا سِيَّما مِنْ لَا يُجَلِّي نَاطِقًا وَلَا يُبْرِزُ سَابِقًا^(٧). فَتَرْكُهُ وَالظَّنُونُ تَرْجُمُهُ، وَالْقَالُ وَالْقِيلُ يَقْسِمُهُ^(٨). أَوَّلَى بِهِ مِنْ كَشْفِ الْقِنَاعِ وَالتَّخْلُفِ عَنْ مَنَازِلَةِ الْإِمْتَاعِ^(٩). فِي الْوَقْتِ فَرَسَانُ هَذَا الشَّانِ^(١٠). وَقُطَّانُ هَذِهِ الْمَنَاهِلِ وَهَدَاةُ تِلْكَ الْمَجَاهِلِ^(١١). ... وَأَنَا أَنْزُهُ دِيْوَانَهُ التَّزْيِيهِ^(١٢) وَتَوْجِيهِهِ الْوَجِيهَةَ عَنْ سَقَطٍ مِنَ الْمَتَاعِ^(١٣) قَلِيلِ الْإِمْتَاعِ.....

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّسِيبِ:

وَلَيْلَةَ عَنَبْرِيَّةِ الْأَفْقِ رَوَيْتُ فِيهَا السُّرُورَ مِنْ طُرُقٍ^(١٤)؛

- (١) الذي يحذر من الأشياء التي يشك فيها يُخدع أحياناً بالشئ الذي يثق به.
- (٢) المَقَةُ: الحبة.
- (٣) أنا على مقداري احوط (أكثر حذراً) من أن تنزل مكائتي عندك.
- (٤) تسمع بالمعدي خير من أن تراه مثل يضرب لمن كانت حقيقته أقل من ظاهره.
- (٥) ترى: متوالية.
- (٦) مقتحم: تقتحمه العين (لا تكبره إذا رأيته). مزدري: محقر.
- (٧) جلي الفرس: سبق (إذا نطقت أنا لم أحسن الكلام مثل أصحابي). برز الفرس: سبق. وبرز الرجل: فاق أصحابه في الفضل.
- (٨) إذا تركت صاحبك ورأي الناس فيه مختلف بين الإجادة والإساءة خير من أن تكشفه فتثبت إساءته.
- (٩) امتنع الشيء: سر.
- (١٠) وفي (هذا) الوقت (الذي نحن فيه) فرسان (بارعون). هذا الشأن (الشعر).
- (١١) القاطن الساكن. الهادي: الدليل. المجهل: الأرض لا معالم (علامات) فيها. - هنالك من هو أبرع مني في ذلك.
- (١٢) أنزّه: أجلّه أبعد عن العيب. ديوانه (كتاب القلائد للفتح بن خاقان). التزيه (الذي لا ملطن فيه).
- (١٣) توجيهه: اتجاهه (خطه، طريقة). الوجيه: السيد في قومه (الصحيح الاتجاه). سقط المتاع: الأشياء الرديئة.
- (١٤) عنبرية: سوداء (كثيرة الغيم). رويت فيها السُّرُور من طرق: تَمَتَّت بأنواع مختلفة من اللهو.

وافت بنا عاطلاً وقد لَبَسَتْ
 فاجاً بها الدهرُ مِنْ بَنِيهِ دُجَى
 قامَتْ لنا في المَقامِ أَوْجُهُمْ
 وأُطْلِعَ البدرَ من ذرى غُصْنِ
 من عبدٍ شمسٍ بدا سَناءه، وهل
 مَدَّ بحمرائه من مُدامَتِهِ
 يشربُ في الراحِ حينَ يشربُها
 غَلالَةٌ فَصَلَّتْ من الحدَقِ^(١)
 بِفَتِيمةٍ كالصَباحِ في نَسَقِ^(٢)
 وراحَهُمُ بالنجومِ والشفقِ^(٣)؛
 تهفو عليه القلوبُ كالورقِ^(٤)
 ذا البدرُ إلَّا لذلك الأفقِ^(٥)؛
 بيضاءَ كَفِّ بِسَكِيَّةِ العَبَقِ^(٦)
 ما غادرتُ مُقلَّته من رَمَقِي^(٧).

٤-★★ قلائد العتيان ١٩٩ - ٢٠٦؛ المعجم لابن الأبار ١٤٤ - ١٤٩؛ المغرب ٢: ٦٦ -
 ٦٧؛ المطرب ١٨٧؛ بغية الملتبس ١٢١ (رقم ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢:
 ٤٥٩ - ٤٦٤ (راجع ٤٦٥ - ٤٧٧)؛ الإحاطة (القاهرة) ٢: ٣٦٤ - ٣٧٥؛
 المعجب ١٢٤ - ١٢٧؛ بغية الوعاة ١١٠٤ بروكلمن ١: ٤٥٤ - ٤٥٥، الملحق
 ٦٢٩؛ نيكل ٢٥٩ - ٢٦٠؛ مختارات نيكل ١٧٣، ١٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧:
 ٣١٦ (٩٥ - ٩٦)؛ بالنشيا ١٢٠، ١٢٧، ١٧٠.

رفيع الدولة الصّادحي

١- هو الحاجبُ رُفيعُ الدولة أبو زكريّا يحيى بنُ مُحَمَّدٍ المُعْتَصِمِ (ت ٤٨٤ هـ) بن

- (١) وافت بنا (وصلت تلك الليلة بنا) عاطلاً (إلى امرأة جميلة لا تلبس حلياً لأنّ جمالها يغنيها عن لبس الحليّ). غلّالة: ثوب رقيق. غلّالة فَصَلَّتْ من الحدق (هي عارية، ولكنّ العيون تنظر إليها من كلّ جانب حتّى كأنّ تلك العيون ثوب لها).
- (٢) فاجاً الدهر هذه المرأة الجميلة بفتيان كالصباح (شبان لهم جمال) في نسق (متّفقين في الرأي الخ).
- (٣) أوجههم كالنجوم (من جمالها) والراح (الحمر) كالشفق (حمره اللون).
- (٤) وهذا الدهر جاء لنا في تلك الليلة بفلّام جميل من ذرى غصن (رشيّق القوام كالغصن). تهفو... تسقط الورقاء (الحمامة) على الغصن.
- (٥) هو أمويّ من بني عبد شمس. ومثل هذا الفلام الجميل لا يكون إلّا من بني أميّة.
- (٦) جعل هذا الفلام يسقينا الحمر، فيمّد إلينا يده البيضاء بالحمر الحمراء.
- (٧) الحمر ذهبت بأكثر نشاطي ووعيي ثمّ ذهبت عيناه الناظرتان إليّ ما بقي من ذلك.

مَنْ (ت ٤٤٣ هـ) بِنِ صَادِحَ . يبدو أن مَوْلَدَه كان نحو ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م)، إذ كان أبوه المعتصم قد جعله حاجباً له (رئيساً للوزراء)، كما كان قد أصبحَ وله مكانةٌ سياسيةٌ واجتماعيةٌ وأدبية: كان صديقاً للشاعر يحيى بن مطروح، وكانت بينه وبين الشاعر ابن اللبابة (ت ٥٠٧ هـ) مكاتبةً (نفع الطيب ٧: ٤٢). ومدحه أبْنُ الفراء الأَخْفَشُ بِنِ مَيْمُونٍ ومدحه أيضاً الشاعرُ المنْقِلُ (نفع الطيب ٣: ٣٨٧ - ٣٨٨).

ولمَّا اسْتَوْلَى المرابطون على الأندلس وخَلَعُوا ملوكَ الطوائف (٤٨٤ هـ) كان رفيعُ الدولة لا يزالُ في عُنْفوانِ شبابه فوصلَ يده بيدُ المرابطين. ثمَ لَمَّا حاصرَ الموحِّدون تِلْمْسانَ (في الجزائر اليوم)، سَنَ ٥٣٩، كان رفيعُ الدولة عاليَ المكانةِ عندَ واليها المرابطي أبي بكر ابن القائِدِ مَزْدَلِي بِنِ سَلْتَنَانَ. وكان لا يزالُ فيه يومذاك بقيةٌ من قوَّةٍ وجَلَدٍ فجعله ابن مزدي مقدماً على بُنيانِ سور الرِّبَضِ (٤).

وكان برفيع الدولة عِلَّةُ الحصى (نفع ٣: ٣٧٠). وقد أَسَنَّ كثيراً (الحلَّة ٢: ٩٢) وعاش إلى آخرِ دولةِ المرابطين (الحلَّة ٢: ١٩٢) التي انتهت مُدَّتُها سَنَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م).

٢- كان رفيعُ الدولة ناثراً وشاعراً وُجْدَانِيّاً ذا بديهة. وله نَظْمٌ رائع (نفع ٣: ٣٦٩). ولم يكن في بني صَادِحَ أشعرُ منه، إلا أن الخمولَ أخنى على محاسنه، إذ كان مُنْهَمِكاً في ملاذ الدنيا من خمرٍ وهو وما يتبعها.

وكان رفيعُ الدولة فصيحَ الألفاظ سهلَ التراكيب ولكن رُيَا مَرَّ خطاً في أبياته (ديارهم «التي» ذَكَرْتَنِي). وأكثرَ شعره جارٍ على الجزالة في اللفظ والمتانة في التركيب، ولكن المُبْتَكِرَ من المعاني عنده نادر. وشعره الذي وصلَ إلينا مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ في النسيبِ والخمرِ والأدب. ورَّيَا أطال.

٣- مختارات من آثاره:

- قيلَ يوماً لرفيع الدولة: لا تَقْرَبْ هذا اللعينَ (أَبْنُ الفراءِ الأَخْفَشُ بِنِ مَيْمُونٍ) لأنَّه مدَحَ الوزيرَ اليهوديَّ ابنَ النخريْلَةَ ثمَ رثاه بعدَ موته. فردَّ رفيعُ الدولة على القائلِ بما يلي:

هذا، والله، هُوَ الْحُرُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُصْطَنَعَ، فَلَوْلَا وَفَاؤُهُ مَا بَكَى كَافِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ وَجَدْنَا فِي أَصْحَابِنَا مَنْ لَا يَرْغَى مُسْلِمًا فِي حَيَاتِهِ.

- لرفيع الدولة مقطعاتٌ في أغراضٍ مختلفةٍ، منها:

- سَطَا ظَنِّيُ الْخَمِيلَةَ يَا لَقَوْمِي! - عَلَى أَسَدِ الْعَرِينَةِ وَاسْتَطَالَا^(١).
 فَأَوْتَرَ قَوْسَ حَاجِبِهِ اخْتِيَالًا، وَفَوْقَ مَنْ لَوَاحِظِهِ نِبَالًا^(٢).
 * وَأَهْيَفًا لَا يَلْوِي عَلَى عَتَبِ عَاتِبٍ وَيَقْضِي عَلَيْنَا بِالظُّنُونِ الْكُوَاذِبِ^(٣).
 يُحَكِّمُ فِينَا أَمْرَهُ فَنُطِيمُهُ وَنَحْسُبُ مِنْهُ الْحَكْمَ ضَرْبَةً لَازِبًا^(٤).
 * مَا لِي وَلِلْبَدْرِ لَمْ يَسْمَحْ بِزُورَتِهِ؛ لَعَلَّهُ تَرَكَ الْإِجْمَالَ أَوْ هَجَرَ^(٥).
 إِنْ كَانَ ذَاكَ لَذَنْبٍ مَا شَعَرْتُ بِهِ، فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ يَعْفُو إِذَا قَدَّرَا.
 * هَسَنِي دِيَارُهُمُ الَّتِي ذَكَرْتَنِي عَهْدَ الصَّبَا وَحَدِيثَهُ الْمَعْسُولَا.
 مَا كَانَ أَجَلَ عَهْدِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، لَوْ كَانَ فِعْلُكَ، يَا زَمَانُ، جِيلَا.
 * إِذَا مَا الْأَمْرُ أَخْفَقَ فِيهِ سَفِيٌّ وَضَاقَ مَرَامُهُ عَنْ كُلِّ بَابٍ^(٦).
 فَلَا تَقْنُطْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِفَتْحٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي حِسَابٍ.
 * أبا العلاء، كُؤُوسُ الرَّاحِ مُتْرَعَةٌ، وَلِلْفُصُونِ تَتْنٌ قَوْفُهَا طَرَبًا.
 فَأَشْرَبَ عَلَى النِّهْرِ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ وَلِلنَّدَامَى سُورٌ فِي تَعَاطِيهَا.
 * بَاكِزٌ إِلَى الْقَصْفِ، أبا عامِرٍ، وَلِلْحَمَائِمِ سَجْعٌ فِي أَعَالِيهَا.
 فَأَشْرَبَ عَلَى النِّهْرِ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ كَأَنَّا عَصِرْتُمْ مِنْ خَدِّ سَاقِيهَا^(٧).
 * بَاكِزٌ إِلَى الْقَصْفِ، أبا عامِرٍ، فَإِنَّا نُجَحُّ الْفَتَى فِي الْبُكْرِ^(٨).

(١) سطا: اعتدى، قهر. الخميعة: الشجر المجتمتع الكثير المتنف. العرين: (المرين: مأوى الأسد). استطال: اعتدى.

(٢) فوق السهم: وضعه في الوتر (ليطلقه).

(٣) الأهيف: التحيل الحصر (الرشيق). ألوى: التفت (اهتم).

(٤) ضربة لازب: ضرورة (لا بد منه).

(٥) الإجمال: حسن الصنيع (ترك الإساءة، المداواة).

(٦) أخفق: خاب. المرام: الطلب (الوصول).

(٧) صهباء: خر حراء. صافية (رائقة لأنها عتيقة).

(٨) القصف: اللهو.

من قبل أن يَمْسَحَ كَفُّ الصَّبَا دَمَعَ الفَوَادِي من خُدُودِ الزَّهَرِ^(١).

- استأذَنَ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ وَجُوهَ دَوْلَةِ المُرَابِطِينَ فَقَالَ أَحَدُ جُلَسَائِهِ: «بَلَّكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ» (٢: سورة البقرة ١٣٤، ١٤١) اسْتِحْقَارًا لَهُ وَاسْتِثْقَالًا لِلْإِذْنِ لَهُ (يَقْصِدُ أَنَّ مَكَانَةَ بَنِي صُهَاجٍ قَدْ زَالَتْ مَعَ زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ). وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى رَفِيعِ الدَّوْلَةِ فَكَتَبَ إِلَى الْوَحِيهِ المُرَابِطِيِّ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ (وَهِيَ مِنَ التَّمَطِّ الْعَالِي):

خَلَّتْ أُمَّتِي، لَكِنَّ ذَاتِي لَمْ تَخُلْ. وَفِي الْفَرَعِ مَا يُغْنِي إِذَا ذَهَبَ الْأَصْلُ.
وَمَا ضُرُّكُمْ لَوْ قُلْتُمْ قَوْلَ مَا جِدِ يَكُونُ لَهُ، فَمَا يَجِيءُ بِهِ، الْفَضْلُ.
وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ رَاشِحٌ، وَهَلْ يَمْنَحُ الزُّنْبُورُ مَا مَجَّهُ النَّحْلُ.
سَاصِرُفٌ وَجْهِي عَنْ جَنَابِ نَحْلِهِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا إِلَى وَجْهِكَ السُّبُلُ.
فَمَا مَوْضِعٌ تَحْتَلُّهُ بِمَرْقَعٍ، وَلَا يُرْتَضَى فِيهِ مَقَالٌ وَلَا فِعْلٌ^(٢).
وَقَدْ كُنْتُ ذَا عَذْلٍ لَمَلَّكَ تَرْعَوِي، وَلَكِنْ بِأَرْبَابِ الْعَلَا يَجْمَلُ الْعَذْلُ^(٣).

- وَكَتَبَ إِلَى الشَّاعِرِ أَبِي زَكَرِيَا يَحْيَى بْنِ مَطْرُوحٍ، وَكَانَ يُنَادِيهِ، يَسْتَنْدِيهِ إِلَى مَجْلِسِ شَرَابٍ بِالْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ:

يَا أَخِي بَلْ سَيِّدِي بَلْ سَنَدِي فِي مُهِمَّاتِ الزَّمَانِ الْأَنْكَسَدِ،
لُحْ بِأُنْفِي غَابَ عَنْهُ بَدْرُهُ فِي اخْتِفَاءٍ مِنْ عُيُونِ الْحُسْدِ^(٤).
وَتَمَجَّلْ فَحَبِيبِي حَاضِرٌ وَفَمِي سَاقٍ وَكَأْسِي فِي يَدِي^(٥)!

٤-★★ الْمَغْرِبُ ٢: ١٩٩ - ١٣٠٠: الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢: ٩٢ - ٩٦، ١٩٩٢: نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣:
٣٦٩ - ٣٧٠، ٣٧٠، ٣٨٧ - ٣٨٨، ٧: ٤٢ - ٤٣: نَيْكَلُ ١٨٥ - ١٨٦.

-
- (١) قبل أن تجفف ربيع (النهار) الندى. الغداة (السحابة الآتية صباحاً).
(٢) المكانة التي تكون ساقطة لا يمكن أن يكون فيها عمل صالح ولا قول صالح.
(٣) كنت أود أن أعذك (ألومك وأنصحك) لو ترعوي (لو كان بالإمكان أن ترجع عن غبك). ولكن اللوم (والنصح) ينفع في خيار الناس فقط.
(٤) تعال إلينا بعد أن غبت عنا، ولكن في ستر كيلا يراك الحاسدون لنا فيمنعوك من الوصول إلينا.
(٥) وفي ساق (بني) الخمر^(٢).

أبو محمد بن عطية

١ - هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، ولد في غرناطة سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م).

بدأ أبو محمد بن عطية تلقى العلم على أبيه غالب (٤٤١ - ٥١٨ هـ)، وسَمِعَ من أبي علي الفسّاني، في غرناطة، سنة ٤٩٥ هـ، أدباً وشعراً، ومن أبي علي الصّدقي (ت ٥١٤ هـ) في مُرسِيّة ومن ابن عَتّاب وابن بحر الأسدي، وكان له اختصاصٌ بأبي الحسن بن الباذر النحوي (ت ٥٢٨ هـ).

وكان أبو محمد بن عطية يُكثِرُ الذهابَ إلى الغزوات مع أمراء المرابطين. وقد تولّى القضاء في المرّة، في المُحرّم من سنة ٥٢٩ (خريف ١١٣٤ م). وفي آخر أيامه ذهبَ إلى مُرسِيّة لتولّي القضاء فيها فلم يَتِمَّكُنْ من دُخولها فرَجَعَ إلى لورقة. وهناك توفّي في مُنتَصَفِ رَمَضان من سنة ٥٤١ (١١٤٧/٢/١٩ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمد بن عطية عالماً في تفسير القرآن حافظاً للحديث وفقياً له المُحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (عشر مجلدات) - برنامج (فهرسة بأسله شيوخه). ثم هو شاعر مجيد.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمد بن عطية في قرطبة (نفع الطيب ١: ٦١٦، راجع ١٥٣):
بَارِئِجِ فَاقَتِ الْأَنْصَارَ قُرْطُبَةً مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا^(١).
هَاتَانِ يُنْتَانِ، وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ. وَالْعِلْمُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا^(٢).
- وقال في وداع أهل قرطبة (نفع الطيب ١: ٦١٥ - ٦١٦):

(١) القنطرة: الجسر. الوادي: الوادي الكبير (نهر قرطبة).
(٢) الزهراء: مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة واتخذها بلاطاً.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَهْلَ قَرْطَبَةِ حَيْثُ عَهَدْتُ الْحَيَاءَ وَالْكَرَمَاءَ
وَالْجَامِعَ الْأَعْظَمَ الْعَتِيقَ وَلَا زَالَ مَدَى الدَّهْرِ مَأْمَنًا حَرَمًا.
- وَقَالَ يَصِفُ النَّرْجِسَ:

نَرْجِسٌ بَاكَرْتُ مِنْهُ رَوْضَةً لَذَّ قَطَعُ الدَّهْرِ فِيهَا وَعَذْبُ،
حَسَبَ الرِّيحُ بِهَا خَمَرَ حَيًّا رَقَصَ النَّبْتُ لَهَا تَمَّ شَرِبُ^(١).
فَقَدْأَ يُسْفِرُ عَنْ وَجْنَتَيْهِ نَوْرُهُ الْفَضُّ وَيَهْتَرُ طَرْبُ^(٢).
خِلْتُ لَمَعَ الشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ لَهَبٌ يَجْمُدُ مِنْهُ فِي لَهَبِ^(٣)،
وَبَيَاضَ الطَّلِّ فِي صُفْرَتِهِ تُقَطُّ الْفِضَّةُ فِي خَطِّ الذَّهَبِ^(٤).
- وَقَالَ يَذُمُّ أَهْلَ الزَّمَانِ:

دَاءُ الزَّمَانِ وَأَهْلُهُ دَاءٌ يَعْزُّ لَهُ الْعِلَاجُ^(٥).
أُطْلِفْتُ فِي ظُلُمَائِهِ وَدًّا كَمَا سَطَعَ السِّرَاجُ^(٦).
لِصَحَابَةٍ أَغْيَا ثَقَا فِي مَنْ قَنَاتِهِمْ أَغْوَجَاجُ^(٧).
أَخْلَقَهُمْ مَاءٌ صَفَا مَرَأَى، وَمَطْعُمُهُمْ أَجَاجُ^(٨):
كَالِدَرٍّ مَا لَمْ تَخْتَبِرْ، فَإِذَا اخْتَبِرْتَ فَهُمْ زُجَاجُ!

- (١) الحياء: المطر. يشبه الشاعر المطر بالخمر، ولذلك جعل النبات بعد هذا المطر يرقص.
(٢) أسفر: كشف. أخذ النور (بفتح النون: الزهر) بعد هذا المطر ينفث (تتكشف أوراقه الخضراء عن بتلاته الملونة).
(٣) خلت (ظننت) أن نور (بضم النون) الشمس لهب سائل يشرق على هذه الجنيينة فيصبح فيها لهباً جامداً (زهراً).
(٤) ظننت أن نقط الطل (ماء الندى) على تلك الأزهار نقط من الفضة (البيضاء) فوق كلمات مكتوبة بالذهب.
(٥) يعز: يصب.
(٦) - منحت أهل هذا الزمان الملوء بالعداوة وداء (صداقة ومحبة) بيضاء كنور السراج.
(٧) الثقاف والتثقيف: التثوم. القنائة: القصة (السلوك والأخلاق). أغيا: أتمب. - استحال عليّ تقوم أهل هذا الزمان.
(٨) أجاج: شديد الملوحة حتى أصبح مرّاً.

- وله من رسالة يَصِفُ فيها نُزُولَ الإفرنج حول سَرَقُشْطَةَ مُحاولين الاستيلاء عليها:

.... فَإِنَّ الْأَمِيرَ الْأَجَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْذَلَى - أَيْدُهُ اللَّهُ - أَضَاقَ بِضَبْطِ الطَّرِيقِ وَقَطَعَ الْمُتَصَرِّفِينَ دَرْعَهُمْ^(١) وَعَجَزَ بِنَصْبِ حِبَائِلِ الْحَيْلِ لِمَنْ شَدَّ أَوْ قَرَّ وَنُصِبَهُمْ^(٢). فَإِنَّهُ - دَامَ أَمْرُهُ - أَطْلَلَ إِطْلَالَ الْفَجْرِ عَلَى الظَّلَامِ وَأَخَذَ هُنَاكَ بِضَيْعِ الْإِسْلَامِ^(٣)، وَأَقَامَ مَرَّةً كَالْحَيَةِ النَّضْنُاضِ وَطَوَّرَ كَالْأَسَدِ الْقَضَاضِ^(٤)، يُسَرِّبُ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ مَنْ يُضْرِمُ نَارَ الْحَرْبِ فِي أَكْنَافِهَا وَيَأْتِي أَرْضَهُمْ يَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^(٥). وَلَوْلَاهُ مَا عَلَا هُنَاكَ لِلْإِسْلَامِ اسْمٌ وَلَا عَادَ لِلْمُدَافَعَةِ رَسْمٌ وَلَا لَاحَ لِلْمُكَافَحَةِ وَسْمٌ^(٦) وَلَا عَنْ لَتْلِكَ الْعِلَلِ الْمُجْهِزَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَقْطَارِ جَسْمٌ.....

٤- الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تفسير ابن عطية (تحقيق الطاهر الفاسي وأحمد بن شقرون....)

★ ★ قلائد العقيان ٢٣٩ - ٢٤٧ بغية الملتبس ٣٧٦ - ٣٧٧ (رقم ١١٠٢)، معجم ابن الأثير ٢٥٩ - ٢٦٢ (رقم ٣٤٠)، المغرب ١١٧: ٢ - ١١٨، المطرب ٩١ - ٩٢، قضاة الأندلس ١٠٩، الديباج المذهب ١٧٤ - ١٧٥، تحفة القادم ١٣٠، وفيسات ابن قنفذ ٢٧٩، بغية الوعاة ٢٩٥، نفع الطبيب ١: ١٥٣، ٦١٥ - ٦١٦، ٦٧٩ - ٦٨٠، ٣: ١٧٩، بروكلمان ١: ٥٢٥، الملحق ١: ١٧٣٢، نيكل ٢٦٥، الأعلام للزركلي ٤: ٥٣ (٣: ٢٨٢)، الخريدة (الاندلس) ٢: ٥٢٩ - ٥٤٠.

- (١) ... أضاق (ضيق) ذرع (قوة، فدره) لِمَا ضَبَطَ الطَّرِيقَ (سيطر عليها) وقطع المتصرفين (المستبدين) بها....
- (٢) شَدَّ: هجم. قَرَّ: هرب. ونصب الحيل لمؤلاء حتى عجز الموجودون عن الحرب وعجز الناثرون الجدد عن الهجوم. الوع: القدرة.
- (٣) الضيع: المصعد، جانب الجسم. أخذ فلان بضيع فلان: ساعده وأنبهه.
- (٤) النضناض: الحية تخرج لسانها وتحركه بيناً وشلاً (احتبالاً للدغ). القضااض: الأسد يأخذ الفريسة بفمه فيكسر عظامها بين أضراسه.
- (٥) يسرب: يبعث جماعة بعد جماعة. الأكناف: الأطراف. ينقصها من أطرافها: يستولي على قطع منها من جوانبها البعيدة.
- (٦) رسم: تنطيم، خطة. وسم: علامة (ما كان يشمر أحد أن هنالك مكافأة، قتالا).

المخزومي الأعمى الفَرْنَاطِيّ

١ - هو أبو بكر محمد الأعمى المخزومي الفَرْنَاطِيّ، أصله من حُصْنِ المَدَوْرِ (شَالِ شَرْقِيّ قُرطبة) تَنَقَّلَ في عِدَدٍ من مَدَنِ الأندلس كقُرطبة وطَلِيْطَلَة وَغَرْنَاطَة. وطال مُكثُه في غَرْنَاطَة حَتَّى لُقِبَ « الفَرْنَاطِيّ ». وكان يَطُوفُ يَتَكَسَّبُ بالشِّعر. وكانت وفاته سَنَة ٥٤١ (١١٤٦ - ١١٤٧ م).

٢ - كان المخزوميّ الأعمى رجلاً ذَكِيًّا فَطِنًا سَرِيعَ الجواب وشاعراً مطبوعاً مشهوراً مُقْتَدِرًا في النظم. ولقد غَلَبَ عليه الهِجاء فكان فيه مُقْدَعاً مُوجِعاً شَدِيدَ القِحَّةِ والشَّرِّه مُغْفِراً على الأعراض غير مُراعٍ للحرَمات فكان الأشرافُ يُدارونه. وله مَدْحٌ ضَعِيفٌ وَغَزَلٌ قَلِيلٌ ضَعِيفٌ. أمّا أسلوبُه فمَتِينُ السبكِ عَالِي النِّفْسِ من نَجَرِ الشِّعر القديم، ولكنّه يُصَرِّفُ ذلك الأسلوبَ الفَخْمَ في الهِجاء:

ألا فاعلموا أنّي لكم غير صابر	على لؤمِكُم أُخرى الليالي الفواير ^(١) .
فموجوا، بني اللّخناء، نحو هِجائكم	إلى لَعْنَةٍ تُزْري بَيْنَ في المقابر ^(٢) .
رَأَيْتُكُمْ لَا تَتَّقُونَ مَدْمَمَةً،	وَلَا عِنْدَكُمْ مِنْ هِزَّةٍ نَحْوَ شَاكِر ^(٣) .
فَأَيْنَ الْأَلَى كَانُوا إِذَا جَاءَ نَازِلٌ	تَلَقَّيْتُمْ مِنْهُمْ بِالْندَى كَفًّا نَاسِر ^(٤) !
سَلَامٌ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا ارْتَحَتُ نَحْوَهُمْ،	فَلَا أَثَرٌ مِنْ بَعْدِهِمُ لِلْمَآثِر.
أَعْيَرَكُمْ جُهْدِي بِكُلِّ قَبِيحَةٍ،	وَمَا لَكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ بِالْمَعَايِر ^(٥) !

٣ - مختارات من آثاره:

- قال المخزوميّ الأعمى يمدح عليّ بن أضحى قاضي غَرْنَاطَة ثم يَسْتَعِزُّ إلى هِجاء

- (١) أخرى الليالي (التي أصبحت كثيرة: لها أوائل وأواخر) الغابرة: الماضية.
- (٢) عاج مال، أتجه. (خذوا مِنِّي هِجاء لكم). اللّخناء: المرأة التي يكثر النتن في جسمها. تزري: تعيب من في المقابر (تصل إلى أجدادكم).
- (٣) تَتَّقُونَ: تخافون، تدفون. الهِزَّة: نشاط، طرب (يهتز منه الجسم فرحاً).
- (٤) الألى: الأولون، القدماء، الذين هلكوا. نازل: شاعر. الندى: الكرم. ناسر (للحال).
- (٥) المعايير (المعايير، نسبة المعايير إليكم) لا توقظكم (لا تؤثر فيكم).

عَجَباً للزمان يطلبُ ثأري وملاذي منه عليُّ بنُ أضحى (١).
الأبيُّ الذي يمدُّ من البأ س. إياه إلى الساكين (٢) رُمحا.
جاره قد سما على النطح عزاً: ليس يخشى من طالب النار نطحا (٣).
فكأنِّي علوتُ قرنَ فُـلـانٍ؛ أيُّ تيسٍ مطوّلُ القرنِ أَلحى (٤)!

فقال له عليُّ بن أضحى: يا أبا بكر، هَلَّا اقْتَصَرْتَ على ما أَنْتَ بسبيله؟ فكم تَقَعُ في الناس (٥)؛ فقال: أَنَا أَعْمَى، وَهُمْ لَا يَبْرَحُونَ حَفْراً (٥)؛ فقال (ابن أضحى): والله، لَا كُنْتُ لَكَ حَفْرةً أبداً. وَجَعَلَ يُوالي يَدَهُ عليه (يُحْسِنُ إليه).

- وقال يهجو بني سعيد (مؤلفي كتاب « المُقَرَّب ») في حديثٍ طويل:

★ ★ لَا تَرْجُونَ بني سعيدَ للندى، فالظلمُ أَفِيدُ مِنْهُمْ للسائلِ (٦).
فلقد مَرَزْتُ على مَنَازِلِهِمْ فَمَا أَبْصَرْتُ منها غيرَ بُعْدِ مَنَازِلِ (٧).
قومُ مُصِيبَتِهِمْ بَطْلَمَةَ وَاغِدِ، وَسُرُورُهُمْ أَبداً بِحَنِيَةِ راحِلِ (٨).
★ ★ أبنِي سعيدٍ، قد شَقِيتُ بِقُرْبِكُمْ فَلْتَتَرَكْنِي حَيْثُ شِئتُ أُسِيرُ (٩).

(١) الملاذ: الملجأ.

(٢) الأبي: المترفع عن الأفعال التي لا تليق. البأس: القوة والشدة. إياؤه يمدُّ للساكنين رُمحا. الساكنان صورتان للنجوم: إحداها السك الرامح (يحمل رُمحاً) والثانية منها السك الأعزل (بلا رُمح). - المدوح يغلب بإيائه الساكنين.

(٣) جاره: ضيفه، المستجير به (الشاعر يقصد نفسه). - لاحظ أن الشاعر يستعمل كلمة « النطح » هنا لأنَّه قد ألف ألفاظ المهجاء.

(٤) في هذا البيت استطراد (خروج من المعنى المقصود) إلى هجاء فلان (ولم يكن الهجاء من مقصد الشاعر). أَلحى: ذولحية.

(٥) ما أَنْتَ بسيله (ما تقصده من المدح). وقع في الناس: قال فيهم قولاً قبيحاً.

(٦) لا يبرحون حفراً: مستمرّون في محاولة الإضرار بي.

(٧) - الظل يدفع أذى الحرِّ عن اللاجئ. إليه، على الأقل.

(٨) ... غير أن منازلهم بعيدة (بأبي إليهم الإنسان من مكان بعيد ثم لا يحصل منهم على شيء).

(٩) الواعد: القادم (طلباً للمطاء).

(١٠) في الأصل: فلتتركوني (والأمر بنون التوكيد هنا أجرى مع متانة الأسلوب).

أَفْنِي الْمَدَائِحَ فَيْكُمُ: لَا وَعْدُكُمْ يُقْضَى، وَقَلْبِي فِي الْمِطَالِ أُسِيرُ^(١).
 أَعْطَيْتُمْ نَزْرًا عَلَى طُولِ الْمَدَى، وَيَقُولُ وَغَدُ: إِنَّهُ لَكَثِيرُ^(٢).
 وَلَشَدَّ مَا عَرَّضْتُمُونِي لِلْعَنَاءِ: فَرَسٌ عَتِيقٌ عَاشَرْتُهُ حَمِيرُ^(٣).
 فَإِذَا صَهَلْتُ غَدَا التَّهَاقُ مُجَاوِي. يَارَبِّ، أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ^(٤)!
 - وَمِنْ هَجَائِهِ الْمُقْدِرِ (مِمَّا سُرَّتْ مَعَانِيهِ):

★ ★ زَنْجِيكُمُ بِالْفُسُوقِ دَارِي يُسْـدِي مِنَ الْحِرْصِ كَالْحِمَارِ
 يَخْلُو بَنَجَلِ الْوَزِيرِ سِرًّا فَيُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ.
 ★ ★ أَلَا قُلْ لِنَزْهَوْنَ^(٥): مَا لَهَا تَجَرُّ مِنَ التَّيِّهِ أَذْيَالُهَا؟
 وَلَوْ أَبْصَرْتَ قَيْشَةَ شَمَرْتُ - كَمَا عَوَّدْتَنِي - سِرْبَالُهَا!
 ★ ★ يَا فَارَسَ الْخَيْلِ، وَلَا فَارِسُ إِلَّا عَلَى مَتْنِ جَوَادِ الْخَصِي.
 زِدْتُ عَلَى مُوسَى وَأَيَاتِهِ: تُفَجِّرُ الْمَاءَ وَتُخْفِي الْعَصَا!

٤- ★ ★ المغرب ١: ٢٢٣ - ٢٢٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٥٤ - ١٥٥، ١٥٦، ١٦٨؛ الإحاطة
 ١٤٣٢ - ١٤٣٥؛ نفع الطيب ١: ١٥٥، ١٩٣ - ٢٩٠، ٢٩٥؛ زاد
 المسافر ٧٥ (١١٧).

ابن بسّام الشنتريني

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ الشَّنْطَرِينِي، نَسَبَهُ إِلَى شَنْتَرِينَ عَلَى نَهْرٍ تَاجُهُ، قَرِيبًا
 مِنْ مَصْبِهِ، فِي غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ (البرتغال اليوم).
 وَلَدَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي شَنْتَرِينَ، فِي الْأَغْلَبِ، بُعِيدَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) فِي أَسْرَةٍ غَنِيَّةٍ
 وَجِيهَةٍ. وَفِي سَنَةِ ٤٧٧ هـ انْحَدَرَ إِلَى أَشْبُونَةَ (لشبونة) ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ، سَنَةَ

(١) المِطَال: التلّكّز في الوفاء بالوعد.

(٢) النَّزْر: القليل.

(٣) العناء: التعب. العتيق: الأصيل.

(٤) الصهيل: صوت الخيل. التهاق والتهيق: صوت الحمير.

(٥) نزّهون شاعرة ماحنة كانت نهجي الخزومي الأعمى، ولها ترجمة مفردة.

٤٩٤ هـ (١١٠٠ م) لِيَسْتَقَرَّ فيها. وَمَعَ أَنَّهُ لَمْ يَخْدِم أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ (الأمراء والولاة وأغنياء الناس) بكتابة أو وزارة أو بديح، فَإِنَّهُ أَلَفَ كِتَابَهُ الْقَيْمَ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» بِرِسْمِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالِي غَرْنَاطَةِ وَصِيهِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسَفَ سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ.

وجاء ابن بسّام إلى إشبيلية، سنة ٥٠٢ هـ، ولكن لم يلقَ فيها شيئاً من الإكرام بل عاشَ فيها مُدَّةً مُعْرَضاً لِلزَّعَاجِ وَلشَيْءٍ مِنَ الْكُورِ وَالاحتقار. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م).

٢- كان ابنُ بسّامِ الشَّنَرِيَّةُ أديباً ذَوَاقَةً بارعاً في النَّثْرِ غيرَ مُخْسِنٍ في الشعر. وأسلوبه جَزَلٌ أُنِيقٌ كثيرُ الخيالِ والسَّجَعِ والتَّكَلُّفِ.

لأبن بسّام عددٌ من الكتب منها: كتاب الاعتماد على ما صحَّ من أشعار المعتمد بن عبّاد - كتاب الإكليل المشتمل على ذكر عبد الجليل (بن وهبون) - سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر (صاحب مرسية) - تحية الاختيار من أشعار ذوي الوزارتين أبي بكر بن عمّار - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (عارض فيه «يتيمة الدهر» للشعالي). وتقوم شهرة ابن بسّام على كتاب «الذخيرة» وفيه مختارات مطوّلة من الشعر والنثر لنفسي من المعاصرين للمؤلف ثم عرّفهم المؤلف شخصياً أو من طريق نفر آخرين. والمؤلف يطري الذين اختار من آثارهم بأسلوب أنيق مسجّع يدلّنا على حماسة المؤلف في تقديم ما اختاره من آثارهم من غير أن يُفيدنا فائدة كبيرة تتعلق بتاريخ حياتهم أو بخصائصهم الفنية. أما الذين اختار لهم قسمهم أربعة أقسام:

(أ) أهل حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ وما يُصَاقِبُهَا مِنْ بِلَادِ مَتَوَسِّطَةِ الْأَنْدَلُسِ (٣٣ شخصاً)؛

(ب) أهلَ الْجَانِبِ الْقَرْيَةِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَذَكَرَ حَضْرَةَ إِشْبِيلِيَّةَ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ بِلَادِ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْهَيْطِ الرُّومِيِّ (٤٦ شخصاً)؛

(ج) أهلَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْ نَجَمٍ مِنْ كَوَاكِبِ الْعَصْرِ فِي أَفْقِ ذَلِكَ الشَّرَفِ الْأَعْلَى إِلَى مُنْتَهَى كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ هُنَاكَ (٣٢ شخصاً)؛

(د) مَنْ طرأ على الجزيرة في المدة المؤرخة من أديب وشاعر..... (١٥ شخصاً).
أما غاية ابن بَسَّام من تأليف « الذخيرة » ونَهجُه فيها فتمتَ طَرَفُ منها
في « المختارات من آثاره ».

٣ - مختارات من آثاره:

- في « المغرب » (١: ٤١٨) أن الأبيات التالية من شعر ابن بَسَّام الشنتريني أعلى
شعره مرتبة:

ألا بادِرْ فلا ثانٍ سوى ما عَهِدَتْ: الكأسُ والبدرُ التامُ^(١).
ولا تَكْسَلْ برويتِهِ ضَبَاباً تَقْصُ به الحديقةُ والمُدامُ^(٢)؛
فإنَّ الروضَ مُلْتَمِئٌ إلى أن تُوافِيَه فينحطُّ اللثامُ^(٣)!

- من مقدّمة كتاب « الذخيرة »:

أما بعدَ حَمْدِ اللهِ وَلِيَّ حَمْدِهِ وأَهْلِهِ^(١)، والصلاة على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ رُسُلِهِ، فإنَّ
تَمَرَّةَ هذا الأدبِ العَالِي الرُّتَبِ رسالةٌ تُنْشَرُ وتُرْسَلُ وأَبْيَاتٌ تُنْظَمُ وتُفَصَّلُ^(٢)؛ تَنشَأُ
تلكَ انشِئالَ القِطَارِ على صَفَحَاتِ الأزهارِ، وتَتَصَلُّ هذه اتِّصَالَ القِلائِدِ على نُحُورِ
الحُرَّائِدِ^(٣). وما زالَ في أَفْقِنَا هذا الأندلسيِّ القصِّي^(٤) إلى وَقْتِنَا هذا من قُرَّانِ
الفَنِّينِ وأُبْنَةِ النُّوعَيْنِ قومٌ هُمَ ما هُمَ طيِّبَ مَكَاسِرَ وصفاءِ جِوَاهِرَ وعذوبةِ مَوَارِدَ

(١) - أسرع في التعلّي من الحياة، فليس يليها أو يقارنها في الأهمية (واللذة) سوى الكأس (الخمر) والبدر
التام (المحبوب الجميل).

(٢) ولا تَكْسَلْ على المجهود إذا رأيت الضباب لا يزال يملأ الحديقة (في الصباح) ولا تطيب فيه الخمر.

(٣) إن الروض الآن مُغطًى وجهه (بهذا الضباب) انتظاراً لك حتّى تأتي...

(٤) وليّ الحمد (صاحب الحمد وحده) وأهله (أهل الحمد = مستحقّ الحمد وحده دون سواه).

(٥) تنثر: تكتب نثرًا. ترسل = لا تقيّد (ليس فيها قافية ولا لها وزن معلوم). تفصل: تجعل لها فواصل
(قواف) على نسق معلوم.

(٦) انشال: انصبّ، تتابع. القطار = القطر: المطر. القلائد جمع قلادة (بكر: القاف): عقد (بكر: العين).

الحُرَّائِدِ جمع خريدة: الفتاة البكر (الصغيرة الجميلة). النحور جمع نحر: أعلى الصدر.

(٧) أفقنا: مكان سكننا. القصي: البعيد (عن المشرق): الأندلس.

ومصادر^(١)، لَعِبُوا بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقَّى لَعِبَ الدُّجَى بِجُفُونِ الْمُؤَرَّقِ^(٢)، وَحَدَّوْا بِفُجُونِ السَّيْحَرِ الْمُتَمَقِّ حُدَاءَ الْأَعْنَى بِبَنَاتِ الْمُحَلَّقِ^(٣). فَصَبَّوْا عَلَى قَوَالِبِ النُّجُومِ^(٤) غَرَائِبَ الْمُنْثَوْرِ وَالْمَنْظُومِ، وَبَاهَوْا غُرَرَ الْأَصَائِلِ^(٥) بِعَجَائِبِ الْأَشْعَارِ وَالرِّسَائِلِ: نَثَرُوا رَأَاهُ الْبَدِيعُ لَنَسِي اسْمَهُ، أَوْ اجْتَلَاهُ ابْنَ هِلَالٍ لَوْلَاهُ حَكْمَهُ^(٦)؛ وَنَظَّمُوا لَوْ سَمِعَهُ كَثِيرٌ مَا نَسَبَ وَلَا مَدَحَ، أَوْ تَتَبَعَهُ جُرُولٌ مَا عَوَى وَلَا نَبَحَ^(٧). إِلَّا أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْأَفْقِ أَبَوْا إِلَّا مُتَابَعَةَ أَهْلِ الشَّرْقِ: يَرْجِعُونَ إِلَى أَخْبَارِهِمُ الْمُتَعَادَةَ رُجُوعَ الْحَدِيثِ إِلَى قِتَادَةِ^(٨)، حَتَّى لَوْ نَعَقَ بَتْلَكَ الْآفَاقِ غُرَابٌ أَوْ طَنَّ بِأَقْصَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ دُبَابٌ لَجَحَثُوا عَلَى هَذَا صَنِيعًا وَتَلَّوْا ذَلِكَ كِتَابًا مُحَكَّمًا^(٩)، وَأَخْبَارُهُمُ الْبَاهِرَةُ وَأَشْعَارُهُمُ السَّائِرَةُ مَرَمَى الْقَصِيَّةِ وَمُنَاحُ الرِّذْيَةِ^(١٠). فَمَا ظَنُّنِي مِنْهُمْ ذَلِكَ وَأَنْفُتُ مِمَّا هُنَاكَ، وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِجَمْعِ مَا وَجَدْتُ مِنْ حَسَنَاتِ دَهْرِي وَتَتَبَعْتُ مَحَاسِنَ أَهْلِ بَلَدِي وَعَصْرِي - غَيْرَةَ لِهَذَا الْأَفْقِ

- (١) قوم هم ما هم: ذوو قيمة ومكانة. طيب مكاسر: تظهر طبيعة نفوسهم بعد الاختبار (تشبيهاً بالجوهر الذي يكسر فيلبي سلباً طبيعياً لذيداً). غزوبة موارد ومصادر (المقصود: طيب الأصل وحسن المعاملة).
- (٢) الكلام المشق: الذي يلفظ لفظاً حسناً. الدجى: الليل. المؤرق: الذي ذهب نومه (أدبهم حلواً يشغل الناس).
- (٣) حدا: تفتى، أئند. السحر المنق: الأدب الغريب المزين الحسن. الأعشى: الشاعر الجاهلي المشهور. المحلق رجل كان له بنات لم يخطبهن أحد لفقره، فمدحه الأعشى (في حديث طويل) فتزوجت بناته كلهن وشيكاً.
- (٤) على قوالب النجوم: (أدب جميل) مثل النجوم.
- (٥) الغرة: الشعر في مقدم الرأس (أول كل شيء). الأصائل جمع أصيل وأصيلة: مبل النسج إلى الغروب (أول الأصائل يكون جيلاً في البداية لأن الحر عندئذ يخبأ).
- (٦) البديع = بدع الزمان المبدئي صاحب المقامات. وابن هلال = ابن هلال الصائغ من مشاهير الناثرين في العصر العباسي. لولاه حكمه (لجعله حكماً في نثره هو = نثر ابن هلال الصائغ).
- (٧) كثير = كثير عزة: زعيم الغزل العذري في العصر الأموي. نسب: تغزل. جرول: الخطيئة. عوى (كالذئب) ونبح (كالكلب) كناية عن الهجاء. - لو قرأ كثيرٌ والخطيئة الشعر الأندلسي لما نظمه شعراً في حياتها.
- (٨) قتادة بن دعامة تابعي مشهور كانت أحاديث الرسول التي تروى من طريقه صحيحة موثوقة.
- (٩) الكتاب المحكم: الذي لا تفاوت ولا اختلاف فيه (القرآن الكريم).
- (١٠) مرمى القصبة (كالناقة الغريبة التي تطرد عن المرمى وعن الماء)، ومناح الرذية: مبرك الرذية (الناقة المهزولة المربضة) لا يأتي أحد ليركبها أو يحمل حاجاته عليها (لا يجتثون بأدبهم).

الغريب^(١) أن تعود بدوره أهله وتُصَيِّح بحاره يُباداً مُضْمَجَلَةً^(٢) مَعَ كَثْرَةِ أَدْبَائِهِ وَوُفُورِ عُلَمَائِهِ؛ وَقَدِيمًا ضَيِّعُوا الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ^(٣)، وَيَا رَبُّ مُخْبِنٍ مَاتَ إِحْسَانُهُ قَبْلَهُ. وَلَيْتَ شِعْرِي، مَنْ قَصَرَ الْعِلْمَ عَلَى بَعْضِ الزَّمَانِ وَخَصَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ بِالْإِحْسَانِ!

وقد كتبتُ لأرباب هذا الشأن^(٤)، من أهلِ الوقتِ والزمانِ، مُحَايِنَ تَبْهَرُ^(٥) الألبابِ وَتَسْحَرُ الشُّعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ؛ وَلَمْ أُعْرِضْ لشيءٍ من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية^(٦)، إِذْ كَانَ ابْنُ فَرَجٍ الْجَيَّانِيُّ قَدْ رَأَى رَأْيِي فِي النِّصْفَةِ وَذَهَبَ مَذْهَبِي فِي الْأُنْفَةِ^(٧) فَأَمَلَى فِي مُحَايِنِ أَهْلِ زَمَانِهِ كِتَابَ الْخَدَائِقِ مُعَارِضًا لِكِتَابِ الزَّهْرَةِ لِلأَصْفَهَائِي، فَأَضْرَبْتُ أَنَا عَمَّا آلَفَ وَلَمْ أُعْرِضْ لشيءٍ مِمَّا صَنَّفَ، وَلَا تَعَدَّيْتُ أَهْلَ عَصْرِي مِمَّنْ شَاهَدْتُهُ بِعُمَرِي^(٨) أَوْ لَحِقَهُ بَعْضُ أَهْلِ دَهْرِي، إِذْ كُلُّ مُرَدِّ تَقِيلُ وَكُلُّ مُتَكَرِّرٍ مَمْلُوكٌ. وَقَدْ مَجَّبَتِ الْأَسْبَاعُ «يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ» وَمَلَّتِ الطِّبَاعُ «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ»^(٩)..... وَالْإِحْسَانُ غَيْرُ مُحْصُورٍ، وَلَيْسَ الْفَضْلُ عَلَى زَمَنٍ بِمُحْصُورٍ. وَعَزِيزٌ عَلَيَّ الْفَضْلُ أَنْ يُنْكَرَ^(١٠)، تَقَدَّمَ بِهِ الزَّمَانُ أَوْ تَأَخَّرَ؛ وَلَعَلِّي^(١١) اللَّهُ

(١) الغريب: العجيب، الطريف، المستحسن.

(٢) تعود بدوره أهله: تحطّ مكانته ويقلّ قدره. التلذذ: الماء القليل المتبقي من مطر أو غيره. اضمحل: انحلّ، ذهب، تلاشى.

(٣) الوفور: الكثرة. وقدِيمًا ضَيِّعُوا الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ: كَانَ (الْأَنْدَلُسِيُّونَ) مِنْ قَبْلِ قَدْ أَهْمَلُوا عُلُومَ قَوْمِهِمْ حَتَّى صَاعَتِ تِلْكَ الْعُلُومِ.

(٤) لأرباب (أصحاب) هذا الشأن (الأمر): المهتمين بالأدب الأندلسي.

(٥) تبهر: (يغلب نورها) الألباب (العقول): (تجمل الناس يتمتعون من جمالها).

(٦) دولة بني مروان بدأت بعبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨ هـ) وسقطت سنة ٤٢٢ هـ. ودولة المنصور بن أبي عامر (في الوزارة والاستبداد بالأمر دون الخليفة)، سنة ٣٦٦ هـ ثم استمرت في أولاده وأحفاده ومواليه إلى نحو ٤٧٠ هـ.

(٧) النصفه: الانتصاف (أن يسترد الإنسان حقّه المشروع أو يحصل عليه بدهاء). «الأنفة: الاستنكاف، إِبَاء (رفض) الذلّ.

(٨) بعمرى: في زمني، طول عمري.

(٩) «يَا دَارَ مَيَّةَ» مطلع معلقة النابغة، و «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ» مطلع معلقة طرفة (يقصد: ملّ الناس الأدب القديم).

(١٠) يَمَرُ (يصب) عَلَيَّ أَنْ يُنْكَرَ إِنْسَانٌ فَضْلَ غَيْرِهِ.

(١١) لحي: لمن.

قَوْلُهُم: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ! فَمَنْ دَفَعَ مِنْ إِحْسَانٍ وَأَخْمَلَ مِنْ فُلَانٍ^(١). وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُتَأَخَّرُونَ عَلَى كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ لَضَاعَ عِلْمٌ كَثِيرٌ وَذَهَبَ أَدَبٌ غَزِيرٌ.

وقد أودعتُ هذا الديوانَ الذي سَمَّيْتُهُ بِكِتَابِ الذَّخِيرَةِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ مِنْ عَجَائِبِ عَلَيْهِمْ وَغَرَائِبِ نَظْمِهِمْ وَتَثَرِهِمْ مَا هُوَ أَخْلَى مِنْ مُنَاجَاةِ الْأَحْيَةِ..... وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَتَصَفَّحُهُ سَيَقُولُ إِنِّي أَغْفَلْتُ كَثِيرًا وَذَكَرْتُ خَامِلًا وَتَرَكْتُ مَشْهُورًا. وَعَلَى رِسْلِهِ^(٢)! فَإِنِّي جَمَعْتُهُ، بَيْنَ صَغْبٍ قَدْ ذَلَّ وَغَرْبٍ قَدْ قُلَّ وَنَشَاطٍ قَدْ قَلَّ وَشَبَابٍ وَدَعٍّ فَاسْتَقْلَّ^(٣)، مِنْ تَفَارِيقِ كَالْفُرُونِ الْحَالِيَةِ وَتَعَالِيقِ كَالْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ بِمُخْطُوطٍ جُهَالٍ كَخُطُوطِ الرَّاحِ أَوْ مَدَارِجِ التَّمَلُّلِ بَيْنَ مَهَابِّ الرِّيَاحِ^(٤): ضَبَطْتُهُمْ تَضْخِيفَ، وَوَضَعْتُهُمْ تَبْدِيلَ وَتَحْرِيفَ، أَيْأَسُ النَّاسُ مِنْهَا طَالِبُهَا وَأَشَدُّهُمْ اسْتِرَابَةً بِهَا كَاتِبُهَا^(٥). فَفَتَحْتُ أَنَا أَقْفَالَهَا وَقَفَضْتُ قُبُودَهَا وَأَغْلَلْتُهَا فَأَضَحَّتْ غَايَاتُ تَبْيِينِ وَبَيَانِ وَوَضَحَتْ آيَاتُ حُسْنٍ وَإِحْسَانٍ^(٦).

عَلَى أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الدِّيَوَانِ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَخْبَارًا مُوضُوعَةً وَلَا أَشْعَارًا مَجْمُوعَةً تَفْسُحُ لِي فِي طَرِيقِ الْإِخْتِيَارِ مِنْهَا؛ إِنَّمَا انْتَقَدْتُ مَا وَجَدْتُ وَخَالَسْتُ فِي ذَلِكَ الْخَمُولَ^(٧) وَمَارَسْتُ هُنَاكَ الْبَحْثَ الطَّوِيلَ وَالزَّمَانَ الْمُسْتَحِيلَ حَتَّى ضَمَنْتُ كِتَابِي

(١) فَمَنْ دَفَعَ... الخ: أضاع أدباً جيداً كثيراً وأخمل ذكر أناس كثيرين.

(٢) على رسله: ليتمهل قليلاً، ليخفف من حية نقده.

(٣) الصغب: الجمل النشيط الذي لا يدع أحداً يركبه. ذلّ: رُؤس (بالبناء للمجهول فيها) = أصبح دليلاً طائعاً. الغرب: حد السيف. فلّ: تلمّ، أصبح لا يقطع. استقل: ذهب (يقصد بعد أن كبر في السن وذهب معظم قوّته ونشاطه).

(٤) تفاريق (أشياء متفرقة) كالقرون الحالية (متباعدة، منسية) وتعاليق (إضافات مكتوبة على الصفحات) كالأطلال (أثر الديار بعد رحيل ساكنيها عنها) البالية (المتهترّة، المنحوة). كخطوط الراح (جمع راحة: باطن الكف = رموز لا تقرأ). مدارج: آثار المسير. (كلّ هذا كناية على أن الخطّ سقيم تصعب قراءته).

(٥) تضييف: تبديل حروف الكلمة (جهاً). تحريف: تغيير الشيء (قصداً). استرابة: شكّ. (حتى الذي كتبها لا يستطيع قراءتها).

(٦) فضّ: كسر، شقّ، فتح. وضحت: ظهرت. آيات: عجائب، غرائب.

(٧) خالست الخمول: انتزعت أشخاصاً من طبقات الخمول وأبرزتهم.

هذا من أخبار أهل هذا الأفق ما لعلي سارني^(١) به على أهل المشرق. وما قصدتُ به - عِلِمَ الله - الطعن على فاضل، ولا التعصّب لقائل على قائل.....

وهذا الديوان إنما هو لسان منظوم ومنثور لا ميدان بيان وتفسير: أوردُ الأخبار والأشعار لا أفكُ معّاها في شيء من لفظها ولا معناها^(٢)، ولكن ربّما ألّمتُ ببعض القول بين ذكر أجريه ووجه عذراء أريه^(٣) لا سيما أنواع * البديع ذي المحاسن الذي هو قيم الأشعار وقوامها، وبه يُعرف تفاضلها وتباينها^(٤)، فلا بدّ (من) أن تُشير إليه وتنبّه عليه.....

ومع أن الشعر لم أرضه مركباً ولا اتّخذته مكسباً ولا ألفتُه مثنوى ولا مُنقلاً^(٥)؛ إنّما زُرّته لئلاّ ولمّخته تهمّاً لا اهتماماً^(٦)، رغبةً بمرّ نفسي عن ذلك وترقّعاً لموطئ أخصمي عن محلّه^(٧)؛ فإذا (أنا) شعّمت راحه لم أذقه إلاّ شياً^(٨) وما كنتُ إلاّ على الحديث ندياً^(٩). وما لي ولّه؛ وإنّا أكثره خدعة مُحْتالٍ وخلعة مُحْتالٍ^(١٠)؛ جدّه تَمْويه وتخييل، وهزله تدليه وتضليل^(١١)؛ وحقائق العلوم أولى بنا من أباطيل

(١) أرى: زاد (على).

(٢) المعنى: القول المصوغ في سياق يصعب على الفهم. (لم أفسر معانيها).

(٣) وجه عذراء (جملة متكررة لم يغل أحد مثلها بعد أو لم تقتر جملة مثلها بعد).

(٤) يكون الاسم المستثنى بعد لا سيما (إذا كان بكرة) مجرور أو مرفوعاً أو منصوباً. أمّا إذا كان معرفة، فالأولى جرّه، ويجوز رفعه، ولكن لا يجوز نصبه.

(٥) التفاضل أن يفضل شيء شيئاً آخر (يريد عليه في المعنى أو الجاهل الخ). التباين: أن يختلف شيء من شيء آخر.

(٦) المثنوى: المسكن: المنقلب: المرجع، المعتمد.

(٧) لئلاّ: غيّاً (بكسر الفين) = مرّة بعد مرّة من غير استمرار. تهم الشيء: طلبه طلباً يسيراً في الحين بعد الحين. الاهتمام: أن تجعل الشيء همك (موضع عنايتك الدائمة).

(٨) الأخص: باطن القدم. الحُلّ (بكسر الحاء): المكان الذي يحلّ (يزل) فيه الإنسان أو الشيء.

(٩) شعّمت: مزج (باللأ). الراح الخمر. شعّمت راح الشعر (مرحنه شيء من كلامي، قلت شيئاً قليلاً منه). النسيم: السم. لم أذقه إلاّ شيئاً (لا أقول منه إلّا قليلاً).

(١٠) ما كنتُ إلاّ على الحديث ندياً (رفيقاً، مؤانساً، محادناً) = أسمع الحديث ولا أشارك فيه (أندوى الشعر ولا أُنشده).

(١١) الخلة: التوب. الحتال: الذي يعرض نفسه على الناس مفتخراً متعاطفاً.

(١٢) التَمْويه: طلاء المعادن (الحسيسة) بالذهب. التخيل: الاحتيال لإظهار الأشياء على غير حقيقتها. =

المنظوم والمنثور. وعلى ذلك فقد وعدت أن أُلَمِّعَ في هذا المجموع بُلْغَ من ذِكْرِ
البديع^(١)، وأن أُمَهِّدَ جانباً من أسبابه وأُشْرَحَ جُمَلًا من أسائه وألقابه. وإذا ظَفَرْتُ
بِمَعْنَى حَسَنٍ أو وَقَفْتُ على مَعْنَى مُسْتَحْسِنٍ ذَكَرْتُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ وَأَشْرْتُ إِلَى مَنْ
نَقَصَ عَنْهُ أو زَادَ عَلَيْهِ؛ وَلَسْتُ أَقُولُ: أَخَذَ هَذَا مِنْ هَذَا قَوْلًا مُطْلَقًا فَقَدْ تَتَوَارَدُ
الْخَوَاطِرُ وَيَقَعُ الْحَافِرُ عَلَى الْحَافِرِ^(٢)، إِذِ الشَّعْرُ مِيدَانُ وَالشُّعْرَاءُ فُرْسَانُ.....

٤ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (منشورات جامعة فؤاد الأول)، القاهرة (مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م وما بعد (لم تطبع الأجزاء بالترتيب)، تحقيق إحسان
عبّاس، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

★ ★ بغية الملتبس ٣٧٦ - ٣٧٨ (رقم ١١٠٣)، معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ (سطران)، المغرب
١ : ٤١٧ - ٤١٨ بغية الوعاة ١٢٩٥ نفع الطيب ٣ : ٢٠٣ و ٤٥٨ (سبعة أبيات لابن
بِسام) ثم أماكن كثيرة (راجع فهرس نفع الطيب) فيها إشارات إلى ابن بِسام أو نُقُولُ
قصار أو طوال من كتابه «الذخيرة»، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٧٣٤ بروكلمن ١ :
٤١٤ - ٤١٥، الملحق ١ : ٥٧٩، الأعلام للزركلي ٥ : ٧٢ (٤ : ٢٦٦)، مجلة البحث العلمي
(الرباط) ماي - غشت ١٩٦٦ م، ص ٧٩ - ١٦٦ العربي (الكويت) تموز ١٩٦٦، ص
٦٣ تاريخ النقد (إحسان عبّاس) ٥٠١ - ٥٠٧، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمد
رضوان الداية) ٣٧١ - ٣٩٠، بالنشأ ٢٨٨ - ٢٩٦، تراجم اسلامية لعنان ٢٩٨.

أبو القاسم الكلاعيّ

١ - هو أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ★ الكلاعيّ الإشبيليّ، وُلِدَ في مطلع القرن
السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد) وتلقّى أشياء من العلم على أبي عبد الله بن أبي
العافية وأبي القاسم الرّجّانيّ والحافظ ابن إسماعيل. وتصدّر للتدريس في طورٍ باكِرٍ

= التذليّة: الخيال الذي يذهب فيه الغفل (الذي يقود إلى مثل الجنون). التضييل: الإيهام بغير الحق.

(١) اللع جمع لعة (بضم اللام): البقعة (من جسم الإنسان، مثلاً) لا يصبها ماء (الوضوء)، شيء قليل.

البديع: ذكر ألفاظ تتفق في اللفظ أو تتقارب مع اختلاف في المعنى. ★ راجع ص ٢٨٣ (ح ٧).

(٢) الخاطرة: ما يخطر للإنسان (يمرّ في ذهنه أو خياله). تتوارد الخواطر: يأتي بعضها مع بعض متشابهاً.

الخواطر (جمع حافر): منتهى قوائم الحيوان من ذوات الأظلاف (كالخيل). يقع الحافر على الحافر: يها

حصان حيث كان قد وطمى حصان آخر (يقول إنسان ما قاله إنسان آخر تماماً).

من حياته ثم انتقل وشيكاً إلى الكتابة في الدولة. وفي سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ - ١١٣٧ م) كان كاتباً لابن تاشفين^(١). ثم إنه أدرك وفاة ابن بسلام صاحب «الذخيرة»، سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م)، وتوفي بعد ذلك مُعْتَبِطاً^(٢) قريباً من مُنْتَصَفِ القرنِ السادسِ للهجرة.

٢- كان أبو القاسم الكلاعي من بيت علم وأدب ومن الكتاب. وقد كان مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة مُقَدِّماً في الفقه وفنون الأدب من البلاغة والنقد والشعر، كما كان كاتباً مُرْتَسِلاً وشاعراً. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له إحكام صَنْعَةِ الكلام (وهو الكتاب الوحيد الذي نعلم أنه وَصَلَ إلينا). ثم إن له عدداً من الكتب عارض فيها عدداً من مؤلفات المعري: الانتصار لأبي الطيب (المتنبي) - الساجعة والغريب (عارض فيه «الصاهل والشاحج»^(٣)) - كتاب (على مثال «السجع السلطاني») - خطبة الإصلاح (معارضة لخطبة الفصيح) - ثمرة الأدب (معارضة لسقط الرند^(٤)) - ديوان المعري.

٣- مختارات من آثاره:

- لأبي القاسم الكلاعي مُقْطَعَاتٌ منها:

★★ تركتُ التّصايي للصواب وأهله، وبيضَ الطّلالِ للبيض، والسُّمرَ للسُّمرِ^(٥)

(١) يجب أن يكون أحد أعضاء البيت التاشفيني الذين تولّوا (بفتح اللام) الولاية على الأندلس. أمّا سلاطين المرابطين في مَرَاكُش، في مدّة حياة أبي القاسم الكلاعي فكانوا: علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٤٧ هـ) وتاشفين بن علي ثم إسحاق بن علي (٥٤٠ - ٥٤١ هـ).

(٢) اعتُبط (بالبناء للمجهول) مات عيطة (بفتح): صحباً (بلا علة) شاباً.

(٣) الساجع والساجعة: الناقّة أو الحمامة إذا رددت صوتها. والغريب: الشديد السواد (والمقصود هنا: الحمامة والغراب!). الصاهل: الفرس. الشاحج: البغل أو المحار (شجع البغل أو المحار: رفع صوته. والشاحج: الغراب إذا أَسَنَّ وغلظ صوته).

(٤) الرند: حديدة تقدح بها النار من الحجر. السقط: الشرارة التي تحدث من قدح الحجر بالحديد.

(٥) التصايي: محاولة استمالة النساء. تركت التصايي وملت إلى العمل الصواب (اللاق بالإنسان الشريف). الطلاجع طلاء (بفتح): صفحة العنق (بيض الطلا كناية عن النساء الجيلات)... للبيض: للسيف. السمر: النساء السمرات. السمر: الرماح: فضلت القتال على الغزل.

مُدَامِي مِدَادِي، وَالْكُؤُوسُ مُحَابِرِي وَنَدْمَايَ أَقْلَامِي، وَمَنْقَلَتِي سِفْرِي^(١) !
 ** رُوَيْدَكَ، يَا بَدْرَ التَّهَامِ، فَإِنِّي

أَرَى الْعَيْسَ حُسْرَى وَالْكُوكَبَ ظُلْعًا^(٢).
 كَانَ أَدِيمَ الصُّبْحِ قَدْ قُدُّ أَنْجَبًا، وَغُودِرَ دِرْعُ اللَّيْلِ فِيهَا مُرْقَعًا^(٣).
 وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الشَّبَابُ مُحَبَّبًا إِلَيَّ فِي قَلْبِي أَجَلٌّ وَأَوْقَعًا،
 لَأَنْفُ مِنْ حُسْنِ بَشْعَرِي مُفْتَرَى وَأَنْفُ مِنْ حُسْنِ بَشْعَرِي قُنْعًا^(٤) !

- وله في الترجيح بين النثر والشعر (ص ٣٦):

إِنَّ التَّرْجِيحَ بَيْنَ الْمَثُورِ وَالْمَنْظُومِ يَمَّ قَدْ خَاضَ فِيهِ الْخَائِضُونَ وَمَيَّدَانُ قَدْ رَكَضَ
 فِيهِ الرَّاكِضُونَ. وَرَأَيْتُ أَنَّ الْقَرِيضَ قَدْ تَرْتَمَى مِنَ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ بِجُلَّةٍ سَابِغَةٍ ضَافِيَةٍ^(٥)،
 صَارَ بِهَا أَوَّلُ مَطَالَعٍ وَأَصْنَعُ مَقَاطِعَ وَأَبْهَرَ مَيَاسِمَ^(٦) وَأَنُورَ مَبَاسِمَ وَأَبْرَدَ أَصْلًا وَأَشْرَدَ
 مَثَلًا وَأَهْرَ لِعُطْفِ الْكَرِيمِ وَأَفْلَ لَغَرْبِ^(٧) اللَّثِمِ. (وَإِنَّ) النَّثْرَ أَسْلَمَ جَانِبًا وَأَكْرَمَ حَامِلًا

(١) مدامي (خري) ومدادي (خبري، كناية عن الاشتغال بالتأليف). الهيرة: إناء الخبر. المنقلة (بالفتح):
 المرحلة من السفر، و (بالكسر): أداة هندسية لضبط الخطوط والزوايا، وهو يقصد بالمنقلة (بالفتح!)
 وعاء يوضع فيه النقل (بالضم): ما يتفكك به الناس بين وجبات الطعام أو على الشراب من لوز وجوز
 ومقلبات وأشباهاها.

(٢) العيس (جمع عيساء أو أعيس): الإبل الكريمة. حسرى: كليله (ضعيفة، حل بها التبع). الطالع: الذي
 به عرج.

(٣) أديم الصبح (البياض). قد (تقطع) أنجباً (قطعاً بيضاً) كناية عن تخلل نور الصبح في ظلام الليل.
 الدرغ: (هنا) الثوب (لون الليل الأسود مرقع بقطع بيضاء من نور الصبح).

(٤) أكره أن أحسن شعري (بالكسر) بالافتراء (الكذب) أو أن أحسن شعري (بالفتح) بقناع (بصاغ).

(٥) بحر. الحلة: ثوب فاخر. سابع: يكسو الجسم كله. ضاف واسع طويل.

(٦) المطلع: البيت الأول في القصيدة. أصنع مقاطع (يسهل في الشعر صنع المقاطع - من أبيات أو بيتين
 أو بيت واحد - مما لا يمكن أحياناً كثيرة في النثر). أبهر: أكثر حسناً. الميسم (بالكسر): العلامة (أثر
 الجمل والحسن).

(٧) الأصل: الوقت بين الظهر والمغرب. أبرد أصلاً (كناية عن السرور عند قراءة الشعر). أشرد:
 (هنا): أندر وأحسن (للمثل في الشعر أتر أند في النفس من المثل في النثر). العطف: الجانب الأعلى
 من الجسم (الشعر أكثر استئالة للمخاطب به من النثر). أفل: أشد تقطيعاً (كبحاً ومنعاً). الغرب: حد
 السيف.

وطالباً^(١).....، لأنَّ الشعرَ داعٍ لسوءِ الأدبِ وفسادِ المنقلبِ^(٢) لآثِهِ - لضيقةِ وصُعوبةِ طريقِهِ - يَحْمِلُ الشاعرُ على الغُلُوِّ في الدينِ حتَّى يؤولَ إلى فسادِ اليقينِ^(٣)، ويَحْمِلُهُ على الكَذِبِ؛ والكَذِبُ ليس من شِيَمِ المؤمنين..... ومن مَعَايِهِ أَنَّهُ قَلِمًا يُجِيدُهُ إِلَّا مُتَكَسِّبٌ بِهِ. والدليلُ على ذلك قولُهُم: اللَّهُا تَفْتَقِ اللَّهُا^(٤)..... وَأَمَّا الكِتَابَةُ فبعيدةٌ عن هذا كُلِّهِ: سليمةٌ تَمَّا يدَعُو إلى المَهْجورِ أو يَتَشَبَّثُ بالمَهْجورِ^(٥).

(فصل: العاطلُ. وإِنَّا سَمَّينا هذا النوعَ «العاطِلُ»، لِقَلَّةِ تَحْلِيَّتِهِ بِالْأَسْجَاعِ والفواصلِ^(٦))، وهذا هو الأَصْلُ. والتجَمُّلُ بِكَثْرَةِ السَّجْعِ فرْعٌ طَارِئٌ عَلَيْهِ. ولم يَسْتَعْمِلْ ذلك إِلَّا الْمُتَقَدِّمُونَ..... من أَهْلِ الفصاحةِ والبَيَانِ. فكانوا إِذَا عَنَ لَهُمُ السَّجْعُ ذَكَرُوهُ، وَإِذَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ لم يَسْتَجْلِبُوهُ.....

٤ - إحكام صنعة الكلام (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.
 ★★ المطبع ٢٩ - ٣٠. فُلَانْدُ العَيَانِ ١٨٢ - ١٨٦؛ الذخيرة ٢: ٣٢٣ - ٣٢٥، ٤: ٥٤٨؛
 الوافي بالوفيات ٣: ٢٦٥ - ٢٦٦؛ المغرب ١: ٢٣٦؛ نفح الطيب ٣: ٥٥١ - ٥٥٣؛
 تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٩ - ٥١٢؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لحمد رضوان الداية) ٤٠١ - ٤١٣.

- (١) أَسْلَمَ جَانِبًا (لأنَّهُ لا يَفْرَضُ على قَائِمِهِ نَسَقًا مَعْنِيًّا فَيُخَالِفُ المَعْنَى في سَبِيلِ اللَّفْظِ). حَامِلًا وَطَالِبًا.....
 - (٢) المُنْقَلَبُ: آخِرُ الأَمْرِ، تَبَدُّلُ الحَالِ الرَّاهِنَةِ بِحَالٍ مُقْبِلَةٍ.
 - (٢) يؤولُ: يَرْجِعُ، يُوَدِّي. اليَقِينُ: العِلْمُ الثَّابِتُ. الاعتقادُ.
 - (٤) اللَّهُا (بِالضَّمِّ) جَمْعُ لَهْوَةٍ (بِالضَّمِّ): العَطِيَّةُ. اللَّهُا (بِالْفَتْحِ) جَمْعُ لَهَاةٍ (بِالْفَتْحِ): اللِّحْمَةُ المَشْرُفَةُ على مَدْخَلِ المَنجَرَةِ (المَالُ يَسَاعِدُ الشَّاعِرَ على قَوْلِ الشَّعْرِ).
 - (٥) المَهْجورُ: الأَلْفَاظُ الَّتِي بَطَلَ اسْتِعْمَالُهَا. يَتَشَبَّثُ: يَتَمَسَّكُ بِشِدَّةٍ. وَالمَهْجورُ: الَّذِي لا يَسْتَحْسِنُ اسْتِعْمَالَهُ مِنَ الأَلْفَاظِ في النَثْرِ.
 - (٦) العاطِلُ: المَرْأَةُ الجَمِيلَةُ لا تَحْتَاجُ إلى أَنْ تُزَيَّنَ، والأَحْرَفُ لا نَقْطَ عَلَيْهَا، وَالجَمَلُ لَيْسَ فِيهَا صِنَاعَةٌ (جَنَاسٌ أَوْ طَبَاقُ النِّجَاسِ). الفَوَاصِلُ: أَوَاخِرُ الجَمَلِ القِصَارِ.
 - (٧) في المغرب (١: ٢٣٦ - ٢٣٧): أَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الغَفُورِ (الْمُتَوَكِّلِيُّ) فِي أَهْيَامِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عُبَادٍ (ت ٤٨٨ هـ) ثُمَّ ابْنُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الغَفُورِ ثُمَّ حَفِيدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الغَفُورِ (صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَةِ) وَكُلُّهُمْ كَانُوا أَدْبَاءً. وَهَنَالِكَ مَقْطُوعَةٌ مِثْلُهَا:
- لا تَنْكَرُوا أَتَّيَا فِي مَهْمَةٍ أَبَدًا نَحْتُ في نَفْسِ طَوْرًا وَفي هَدَفٍ
 نَسَبْتُ في المَغْرِبِ (١: ٢٣٦) إِلَى مُحَمَّدٍ (الْجَدِّ) وَنَسَبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ (الْحَفِيدِ) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٣: ٥٥٢).

أبو بكر بن العربي

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المَعافري الأندلسي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية في الثامن والعشرين من شعبان من سنة ٤٦٨ (١٠٧٦/٣/٣٠ م).

بدأ أبو بكر بن العربي تعلّمه في الأندلس على أبيه عبد الله (٤٣٥ - ٤٩٣ هـ) وعلى خاله أبي القاسم حسن بن عمر الموزني (ت ٥١٢ هـ) وعلى أبي عبد الله السرقسطي.

وكان عبد الله من المتصلين ببلاط المعتمد بن عباد. فلما استولى المرابطون على إشبيلية وحلوا المعتمد أسيراً (٤٨٤ هـ) كره الإقامة في الأندلس فرحل عنها (في مُنتَهَل ربيع الأول ٤٨٥) وأخذ ابنه معه. ويبدو أنه في أثناء هذه الرحلة أخذ أبو بكر بن العربي شيئاً من الحديث في بجة من أبي عبد الله محمد بن عمار الكلاعي (ت ٤٨٥) ثم انتقل إلى المهديّة وأخذ عن أبي الحسن علي بن محمد الخولاني المعروف بالحدّاد المهدوي.

وفي مصر سمع ابن العربي من أبي الحسن علي بن الحسن الخُلعي (ت ٤٩٢ هـ). وفي^(١) ذي الحجة من سنة ٤٨٩ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٩٦ م) حجّ أبو بكر ابن العربي وسمع في مكّة من أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطبري (ت ٤٩٨ هـ). وسمع في دمشق من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (ت ٤٩٠ هـ). وأمّ أبو بكر بن العربي بغداد وطال مقامه فيها، وكان يخرج منها ثم يعود إليها. وفي بغداد سمع من أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة (ت ٤٩٣ هـ) وقرأ الأدب على أبي زكريّا التبريزي (ت ٥٠٣ هـ). وقد لقي في بغداد أيضاً أبا بكر محمد بن أحمد

(١) يمكن أن يكون تطوّف أبي بكر بن العربي في المشرق قد جرى على خلاف هذا الترتيب قليلاً أو كثيراً، فالصادر لم تأبه كثيراً بضبط هذا الترتيب.

ابن الحسين الشافعي (ت ٥٠٧ هـ) وأبا حامد الغزالي إثر رجوع أبي حامد من رحلته^(١).

غادر ابن العربي بغداد في سنة ٤٩١ ماراً بدمشق ثم وصل إلى مصر فتوفي أبوه (٤٩٣ هـ) في مدينة الإسكندرية، فعاد وخذّه إلى الأندلس ووصل إليها في السنة ٤٩٣ هـ نفسها^(٢).

عاد أبو بكر بن العربي إلى إشبيلية بعلم كثير كان قد تلقاه في المشرق. وفي سنة ٥٠٨ هـ - بعد عودته بخمس عشرة سنة - عُيِّن قاضياً للقضاة (قاضي الجماعة) في كورة إشبيلية كلها. ولكن يبدو أنه لم يلبث في هذا المنصب إلا مدة يسيرة، فقد عزل عنه فانصرف إلى نشر العلم. ثم إنه انتقل إلى قرطبة وحدث فيها.

وسقطت دولة المرابطين في المغرب (٥٤٠ هـ) وقامت على أنقاضها دولة الموحدون. وفي شعبان من سنة ٥٤١ (كانون الثاني - يناير ١١٤٧ م) استولى الموحدون على إشبيلية. ويبدو أن أبا بكر بن العربي لم يكن راضياً عن الموحدون - كما لم يكن هو وأبوه من قبل راضيين عن المرابطين - ومع ذلك فقد ذهب في وفد إلى مراكش، للتهنئة أو للإعراب عن الولاء، فسُجِنَ هناك ومن معه سنة كاملة أو تزيد. ولما أطلق سراح المسجونين اتخذ ابن العربي طريقه إلى الأندلس، ولكنه توفي في المغيلة (على مقربة من مدينة فاس)، في ربيع الآخر من سنة ٥٤٣ (صيف عام ١١٤٨ م).

٢ - أبو بكر بن العربي عالمٌ محدثٌ فقيه وأديب كاتب شاعر، إلا أن العلم بالحديث والفقه أغلب عليه. أمّا شعره فمتين السبك في الأغلب على مذهب القدماء. وشعره الباقي لنا في الوصف والغزل وفي التشويق أقرب إلى أهل المشرق.

(١) يروى أن أبا بكر بن العربي لقي حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في بغداد (نفع الطيب ٦٤ - ٦٥، راجع ٧٦ - ٧٧)، ولكن هذا مستبعد، لأن ابن العربي غادر بغداد قبل أن يرجع إليها الغزالي. ويستبعد أيضاً أن يكونا قد التقيا في أثناء طوافهما في المشرق.

(٢) الحريرة (الأندلس) ٢ : ٢٢٠.

ولأبي بكر بن العربي تصانيف كثيرة منها: كتاب القَبَس في شرح موطأ مالك بن أنس - كتاب ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك - كتاب أحكام القرآن - كتاب عريضة الأحوذ في شرح الترمذي^(١) - كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن - كتاب قانون التأويل - كتاب الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا - كتاب التوسط في صحة الاعتقاد والرد على من خالف أهل السنة من ذوي البدع والإلحاد - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف (بين الفقهاء!) - كتاب الحصول في علم الأصول - كتاب ترتيب الرحلة (رحلة ابن العربي إلى المشرق).

٣ - مختارات من آثاره:

- رَكِبَ أَبُو بَكْرٍ بن العربي يوماً مَعَ أَحَدِ أُمراء المَرابطين - وكان هذا الأمير صغيراً - فَهَزَّ عَلَيْهِ رُحْماً كان في يده مُداعِباً. فقال أبو بكر (المغرب ١ : ٢٥٠):
يَهْزُ عَلَيَّ الرُّمْحَ ظَنِّيْ مَهْهَفٌ لَعُوبٌ بِالْبَابِ الرَّيِّعَةِ عَابٌ^(٢).
ولو كَانَ رُحْماً واحداً لَأَتَّقَيْتُهُ؛ وَلَكِنَّهُ رَمْحٌ وَثَانٍ وَثَالُثٌ*.
- ودخل عليه غلام جميل في ثياب خَشِنَةٍ فقال (المغرب: ١ : ٢٥٠):
لَيْسَ الصَّوْفَ لِكَيِّ أَنْكِرُهُ وَأَتَانَا شاحِباً قَدْ عَبَا.
قُلْتُ: إِيَّاهُ، قَدْ عَرَفْنَاكَ؛ وَذَا جَلُّ سَوْءٍ لَا يَعِيبُ الْفَرَسَا^(٣).

(١) راجع نفع الطب ٢ : ٢٨ - ٣٥ وبروكلن (الملحق) ١ : ٨٠٠ (السطر ١٦ من أسفل)، راجع أيضاً ص ٢٦٨ و ٦٣٣، «الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم»، أو عارضة (في بروكلن: عريضة) الأحوذ في شرح الترمذي. والعارضة: القدرة على الكلام وقوة الحجّة. والأحوذ (بفتح الهزّة): الخفيف الحاذق المشرّ في الأمور (المستعدّ لمعالجة الأمور). والترمذي، هو (في الأغلب) الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن عليّ المتوفى نحو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)، راجع الأعلام للزركلي ٧ : ١٥٦ (٦ : ٢٧٢). وللترمذي الحكيم هذا كتاب عنوانه: «الدرّ المكنون في أسئلة ما كان وما يكون» (بروكلن ١ : ٣٥٦، السطر ١٧ من أسفل)، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي ردّ عليه ابن العربي.

(٢) مهفف: دقيق الحصر (رشيق).

(*) ولكنه رمح (الرمح الذي يحمله في يده) وثان وثالث (في عينيه).

(٣) الجَلُّ (بالفتح) والجلال (بالكسر): سرج (غطاء يوضع على ظهر الدابة). سوء (سيء، حقير المنظر).

كُلُّ شَيْءٍ أَنْتَ فِيهِ حَسَنٌ، لَا يُبَالِي حَسَنٌ مَا لَبَسَا^(١)!

- وقال قصيدة طويلة يتشوق فيها إلى أيامه في بغداد وإلى إخوانه في بغداد (وعلى هذه القصيدة نفحة من قصيدة المتنبي: أغالب فيك الشوق، والشوق أغلب). قال ابن العربي:

تقول ابنة العمري: ما لك مَوْضِعاً
أفي كلِّ عامٍ رائعٍ القلبِ رَوْعاً
فقلت: دَعيني - لا أبالِكَ - وأنظري
وكفني من التأنيبِ شَيْئاً، فرياً
وما أنا في الدارِ الخلاءِ بواقفٍ
وقد قيل: يَشْقَى الحاسدونَ بِسَمِيهِمْ؛
يريدُ بي الأعداءُ ما اللهُ دافعُ
ألا لَيتَ شِعْري، هل أبِيتَنَ ليلةً
بِشُرْعَةِ الكَرْخِ التي لم نَزَلْ بها
وكم شاربٍ للماءِ في غيرِ أرضِهِ؛
منازلُ عزٍّ طالَ فيهنَّ مَفْخَرُ،
وقد راق مَلَهَى للسرورِ ومَلَمَبُ^(٢)!
من البَيِّنِ لَا تُخْطِي وَلَا تَتَكَذَّبُ^(٣)!
فقد يَخْسِرُ البادي وَيَحْطِي المَعْقَبُ^(٤)؛
تَبَيَّنَ أَغْصَابُ الْأُمُورِ الْمُؤَنَّبُ.
أَكْفَ عَدَى الْأَجْفَانِ فِيهَا وَأَنْدَبُ *
ألا إِنَّا الحَمُودُ أَشْقَى وَأَنْصَبُ^(٥).
وَقَبِضُ المَعَالِي والجَلالُ المَهْذَبُ.
- من الدهرِ لَا أَخْشَى وَلَا أترَقُبُ -
يَلْذَ لَنَا شَرْخُ الشَّبابِ وَيُعْجِبُ^(٦).
ومُدْغَبْتُ عَنْهُ ماءَ عَيْنِي أَشْرَبُ^(٧).
ومنظَرُ حُسْنِ حَارٍ فِيهِ التَّعَجُّبُ.

(١) يبدو أن اسم المصوب كان حسناً (كما يكون جناساً مع «حسن» في صدر البيت).

(٢) ابنة العمري (نسبة إلى عمرو بن حريث وإلى عمرو بن عوف، وهذا بطن من الأوس - والشاعر يكنى بذلك عن محبوبة ما). الموضع (الذي يسوق دابته بسرعة): الذي يريد السفر عاجلاً.

(٣) راع: أخاف. البين: البعاد، الفراق.

(٤) البادي = البادية (الذي يبدأ أمراً فيعمله مرة واحدة؟). حظي: نال حظوة (حباً، مكانة، هدفاً). المعقب: الذي يطلب الأمر بحجة مرة بعد مرة.

(*) عدى (٢). أكف عدى الأجفان (المقصود: أمسح دموعي، لكثرة بكائي).

(٥) أنصب (أكثر تعباً).

(٦) المشرعة: شريعة الماء (المكان الذي يشرب منه الناس). الكرخ: الجانب الغربي من بغداد (غرب نهر دجلة).

(٧) ماء عيني: دمعي (أي أنا أبكي كثيراً).

قطعنا بأيام القطيعة دهرنا نُوالي سَاعَ الْعِلْمِ فِيهَا وَنَكْتُبُ.
 سلامٌ على بَغْدَادَ في كُلِّ مَنْزِلٍ؛ وَحَقُّ لَهَا مِنِّي السَّلَامُ الْمُطِيبُ.
 فوالله، ما فارقْتُها عن قَلِي لها، وكيف؟ ولي فيها مَجَالٌ وَمَرْحَبٌ^(١)!
 ولكنَّها الأَقْدَارُ يَوْمًا إلى الفِئ بما ظَلَّ يَهْوَاهُ، وَيَوْمًا تُنْكَبُ^(٢).
 فيا بَرَقُ، إِنَّ الْكَرْخَ هَمِّي وَهَمِّي؛ وَأَنْتَ إِلَيْهَا الْيَوْمَ أَدْنَى وَأَقْرَبُ.
 عسى فيكَ من ماء الصَّراةِ صُبَابَةٌ تَبْلُ غُلِيلًا غَلَّ قَلْبِي فَيَذْهَبُ^(٣).

- وله يصف رحلته (الأولى) في البحر:

.... وقد سَبَقَ في علم الله تعالى أَن يَعْظُمَ الْبَحْرُ بِرَوْلِهِ وَيُفَرِّقَنَا في هَوْلِهِ^(٤).
 فَخَرَجْنَا من الْبَحْرِ خُرُوجَ الْمَيِّتِ من الْقَبْرِ. وَانْتَهَيْنَا، بَعْدَ خُطْبِ^(٥) طَوِيلٍ، إِلَى
 بِيوتِ بَنِي كَعْبِ بْنِ سُلَيْمٍ وَنَحْنُ من السَّفَبِ عَلَى عَطَبِ^(٦) وَمِنَ الْعُرْيِ في أَقْبَجِ زِيٍّ -
 قَدْ قَذَفَ الْبَحْرُ زِقَاقَ زَيْتٍ مَرَّقَتِ الْحِجَارَةُ مَنِيَّتَهَا^(٧) وَدَسَمَتِ الْأُدْهَانُ وَبَرَّهَا
 وَجَلَدَتْهَا^(٨). فَاحْتَرَمْنَاهَا إِزَارًا وَاشْتَمَلْنَاهَا لِفَافًا تَمَجَّنَا^(٩) الْأَبْصَارُ وَتَخَذَلْنَا
 الْأَنْصَارُ.....

٤-★★ المَطْمَح ٦٢-٦٣: الصَّلَة ٥٣٢: بَغْيَةُ الْمُلْتَمَسِ ٨٢-٨٣ (رَقْم ١٧٩)؛ الْوَاقِي
 بِالْوَفَايَاتِ ٣: ١٣٣٠ وَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٤: ٢٩٦-٢٩٧ الدِّيَاغ ١٢٨١ ابْنُ قُفْطٍ
 ١٢٧٩ النَّبَاهِي ١٠٥-١٠٧ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤: ١٤١ نَعَجُ الطَّيِّبِ ٢: ٢٥-

- (١) قَلِي: بَغْضٍ، كَرِهَ. مَجَال (سَعَة من الْعَيْشِ). مَرْحَب (قَوْمٌ يَرْحَبُونَ فِي، يَحْيَوْنَهُ).
- (٢) ...يَوْمًا (ثَانِي) لِلْفَقَى بِمَا يَهْوَاهُ (يُحِبُّهُ) وَيَوْمًا تُنْكَبُ (تَبْعُدُهُ، تَبْعُدُ بِهِ عَمَّا يُحِبُّ).
- (٣) الصَّراة: قِصَاةٌ فِي بَغْدَادَ تَصِلُ دِجْلَةَ بِالْفَرَاتِ. صَبَابَةٌ: بَقِيَّةُ. الْغُلِيلُ: شِدَّةُ الْمَطَشِ. غَلَّ: دَخَلَ، تَخَلَّلَ، تَوَسَّلَ (وَصَلَ إِلَى وَسْطِ قَلْبِي).
- (٤) الزَّوْلُ (٤). الْهَوْلُ: الْفَزَعُ، الْأَمْرُ الشَّدِيدُ.
- (٥) الْخُطْبُ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ (يَتَخَاطَبُ - يَتَبَادَلُونَ الرَّأْيَ فِيهِ - فَلَا يَجِدُونَ مِنْهُ مَخْرَجًا).
- (٦) السَّفَبُ: الْجَوْعُ. الْعَطَبُ: الْهَلَاكُ.
- (٧) الزَّقُّ: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدِ الْمَنْيَّةِ. الْجِلْدُ (أَوَّلُ عَهْدِهِ بِالْدَيْغِ).
- (٨) وَدَسَمَتِ (جَعَلَتْ فِيهَا دَسْمًا، دَهْنًا).....
- (٩) احْتَرَمْنَاهَا: رُبَطْنَاهَا عَلَى أَوْسَاطِنَا مِثْلَ الْحِزَامِ. الْإِزَارُ: مَا يَلْفَتْ عَلَى الْقِسْمِ الْأَدْنَى مِنَ الْجِسْمِ. اشْتَمَلَتِ الشَّيْءَ: جَعَلَتْ شِمْلَةً (حَوْلَ جِسْمِنَا كُلِّهِ). تَمَجَّنَا: تَلَفَطْنَا (تَكَرَّرَ رُؤْيُنَا) الْأَبْصَارُ.

٤٣، ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧؛ أزهار الرياض ٣: ٦٢ - ٨٦، ٦٥ - ٩٥ دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ١٧٠٧ بروكلمن، الملحق ١: ١٦٦٣ نيكل ٢٥٨؛ الأعلام للزركلي
١٠٦: ٧ (٢٣٠: ٦) سركيس ١٧٤ - ١٧٥.

أبو بكر الحنفي

هو أبو بكر محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الحنفي المعروف بابن أبي ركب
(جمع رُكبة) من أهل جَيَّانَ، أخذَ القراءاتِ عن ابنِ النحاسِ وابنِ شفيعٍ وغيرهما،
وأخذ العربية (النحو) والآدابَ عن أبي عبد الله بن أبي العافية وابنِ الأخضرِ وابنِ
الأبرش كما أخذَ عن أبي الحسين بن سراجٍ وأبي عليٍّ الصَّدَقِ.

وفي أواخرِ عُمُرِهِ استوطنَ غَرْنَاطَةَ وتصدَّرَ فيها للإقراءِ وولَّى صلاةَ الفريضة
والخطبة في جامعها. وكانت وفاته في النصفِ الأولِ من شهر ربيعِ الأولِ من سَنَةِ
٥٤٤ (صيف ١١٤٩ م).

كان أبو بكر الحنفي من كبار نُحاةِ المغربِ (القاموس ١: ٧٦) ومن مفاخرها في
اللغة والنحو، له من الكتب: «شرحُ كتابِ سيبويه». وكان له شيءٌ من النظم.

★ بغية المتلمس ١٢١ (رقم ٢٨٣)، التكملة ١١٨٨، معجم الأدباء ١٩: ٥٤ - ٥٥، معجم
ابن الأبار ١٥٧ - ١٥٨، الوافي بالوفيات ٥: ٢٢ - ٢٣، بغية الوعاة ١٠٥، الأعلام
للزركلي ٧: ٣١٦ (٩٦).

ابن سلام المالقي

١ - هو أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهليّ الإشبيليّ المالقي، وُلِدَ في
إشبيلية سَنَةِ ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) وكان أبوه من وزراء المُعْتَمِدِ بن عبادٍ.
وَسَكَنَ مَالِقَةَ وكانت وفاته في شِلْبَ في نِصْفِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٤٤
(١١٤٩/١١/١٩ م).

٢ - كان ابنُ سلام المالقي أديباً كاتباً وشاعراً رقيقاً وصلَّ إلينا منه بضعة أبياتٍ

في الحكمة والفزل والنسب وكتاب « الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن سلام المألقي في الفزل:

لَمَّا ظَفِرْتُ بَلِيلَةٍ مِنْ وَصْلِهِ - وَالصَّبُّ غَيْرُ الْوَصْلِ لَا يَشْفِيهِ^(١) -
أَنْضَجْتُ وَرْدَةَ خَدِّهِ بَتْنَفْسِي وَطَفِئْتُ أَرْشَفُ مَا هَا مِنْ فِيهِ^(٢).

- وقال في النسب:

كَيْفَ لِي بِاللُّؤْ عَنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مَوْضِعُ السُّؤْلِ وَالْمُنَى وَالْمُرَادِ^(٣).
بَاعِدُونِي إِنْ شِئْتُمْ وَاهْجُرُونِي يَسْتَبِينَ قَدْرُ مَا لَكُمْ فِي فُؤَادِي^(٤).

- وله في الحكمة:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ فَضَائِلُهُ، وَقَامَتْ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ دَلَالُهُ؛
فَلَا تُنْكِرُ الْأَبْصَارُ مَا هُوَ فَاعِلُهُ، وَلَا تَنْكَرُ الْأَسْمَاعُ مَا هُوَ قَائِلُهُ.

٤ - الذخائر والأعلاق، القاهرة (مطبعة مصطفى وهي) ١٢٩٨ هـ.

★ * المغرب ١: ٤٣٤؛ الذيل والتكملة ٤: ٤٨ - ٥٥ (رقم ١٢٢)؛ نفع الطيب ٢: ٣٣٣،

٤: ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١؛ نيكل ٢٤٠ - ٢٤١.

القاضي عياض

١ - هو أبو الفضل عياض بن موسى^(٥) بن عياض^(٦) بن عمرو^(٧) بن موسى بن

(١) الوصل: لقاء المحبوب. الصب: الحب. راجع، فوق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) ماء ورد خده (٤).

(٣) اللؤ: النسيان، نسيان الحب. السؤل = السؤل: الطلب، المتنى.

(٤) يستبين: يظهر (لكم). ما لكم في فؤادي (من الحب).

(٥) في سياقة هذا النسب شيء من الاختلاف.

(٦) ولد قبل ٣٩٧ هـ بمدة يسيرة (أزهار الرياض ١: ٢٨).

(٧) في عدد من المصادر « عمرو ». ولكن الثابت عند المقرئ (أزهار الرياض ١: ٢٣، راجع ٢٥):

عمرون (توفي سنة ٣٩٧ هـ).

عياض بن عبد الله^(١) بن محمد^(٢) بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصي^(٣)، أصله من الأندلس ثم إنهم أتقنوا إلى المغرب مُتَنَقِّلِينَ. وأخيراً استقرّوا في سبتة. ولَدَ عياضُ بنُ موسى اليحصيُّ في سبتة، في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦ (٢٨ / ١٢ / ١٠٨٣ م). وفي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ - ١١١٤ م) دخل الأندلس طلباً للعلم ودرس في قرطبة على نفرٍ كثيرين من المحدثين والفقهاء خاصة^(٤). تولى القضاء في سبتة مدةً طويلة، ثم انتقل إلى قضاء غرناطة، سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م). بعدئذ عاد مدةً يسيرةً إلى قضاء سبتة.

وكان عياض قد دخل في طاعة المرابطين فأكرموه ورفعوا منزلة. فلما اضطربت أحوالهم، سنة ٥٤٣ هـ، ساءت حاله فخرج شريداً عن وطنه إلى مراكش حيث توفّي وشيكا، في سابع جُمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١٣ / ١٠ / ١١٤٩ م).

٢- كان عياض بن موسى اليحصي مُحَدِّثًا وُفْقِيًّا كما كان عالماً باللغة والنحو وبآيām العرب وأنسابهم وأدبهم. وكذلك كان أديباً خطيباً مُتَرَسِّلاً بليغاً وشاعراً مُكْتَرِئاً حَسَنَ الشعر رقيقاً. وهو مصنفٌ له تاليفٌ كثيرةٌ منها: الشفا في تعريف حقوق المُصْطَفَى (الرسول) - مشارق الأنوار إلى صحيح الآثار (في تفسير الألفاظ الغريبة في كتب الحديث الثلاثة: الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم، مع التنبيه على موضع الأوهام والتصحيفات في أسماء الرجال الواردة أسماؤهم في تلك الكتب الثلاثة) - كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة (في ضبط الألفاظ وتحرير المسائل) - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - بُغْيَةُ الرَّائِدِ لِما تَضَمَّنَهُ حديث أم زَرْعٍ من الفوائد - الإعلام بمحدود قواعد الإسلام - الغُنيَّة (في شيوخه من فقهاء المغرب والأندلس) - كتاب العيون الستة في أخبار سبتة - غُنيَّة الكاتب وُفْقِيَّة الطالب في الصدور

(١) هنالك خلاف على وجود « محمد » في سلسلة هذا النسب وعلى وجود « عبد الله » بعد « محمد ».

(٣) اليحصي يجب أن تكون بكسر الصاد عند المقرئ (أزهار الرياض ٢٧). وفضل بعضهم الضم. وأبعد الأقوال في ذلك « الفتح ».

(٤) راجع أسماءهم في « الديباج »، ص ١٦٩، وأزهار الرياض ٣: ٦٦ - ٣٢٦.

والترسل - سر السراة في أدب القضاة - ديوان خطبه، الخ.

٣ - مختارات من آثار:

- للقاضي عياض من الوصف البار:

انظر إلى الزرع وخاماته تحكي - وقد ماست أمام الرياح^(١) -
كثيبة خضراء مهزومة شقائق الثمن فيها جراح!

- وقال في التشويق (من لزوم ما لا يلزم):

الله يعلم أنني منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين.
فلو قدرت ركب البحر نحوكم لأن بعدكم عني جنى حيني^(٢)!

- وقال في التشويق (من لزوم ما لا يلزم أيضاً):

يا من تحمل عني غير مكترث، لكنه للضنى والسقم أوصى بي^(٣).
تركتني مستهام القلب ذا حرق أخا جوى وتباريح وأوصاب^(٤).
أراقب النجم في جنح الدجى سراً كأنني راصد للنجم أو صابي^(٥)!

- وقال القاضي أبو الفضل عياض لما رحل عن قرطبة (نفع الطيب ١ : ٥٤٤ -

٥٤٦):

(١) الحام من الزرع: أول ما نبئت منه، أو الضمة منه. ماس: قاتل.

(٢) جنى: أغمر. سبب. الحين (بفتح الهاء): الموت.

(٣) تحمل: ارتحل، سافر. غير مكترث: مهم، مبال. الضنى: المرض. كلاً ظن المريض أنه شفي منه انتكست حاله من جديد. السقم: المرض. للسقم أوصى بي: جعلني وديعة عند المرض (دام مرضي).

(٤) مستهام القلب: هائم القلب (كأنه موسوس من شدة الحب). الجوى: شدة الحب حتى كأن الحب فيه مرض. التبريح: التمهيد، شدة الأذى. الوصب: الألم، الوجع.

(٥) جنح (جانب من) الليل = يقصد الشاعر: في ظلام الليل، طوال الليل. السر (بفتح الميم): حديث الليل؛ والشاعر يقصد سراً (يسكون الميم): بلا نوم (سمر سراً: لم يمت). صابي = صابى: عابد النجوم (الصابئة طائفة قديمة من عبدة النجوم، وهي غير الصابئين الوارد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة والمائدة والحج - ٢ : ٦٢، ٥ : ٧٢، ٢٢ : ١٧).

أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ أَرْحَالِي وَغَرَدَتْ
وَقَدْ غَبِصَتْ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ مُقْلَتِي،
وَلَمْ يَنْسَقَ إِلَّا وَقْفَةً يَنْتَحِثُهَا
رَعَى اللَّهُ جِرَانًا بِقُرْطَبَةِ الْمُلَا
وَحَيًّا زَمَانًا بَيْنَهُمْ قَدْ أَلْفَتْهُ
إِخْوَانُنَا، بِاللَّهِ، فِيهَا تَذَكَّرُوا
غَدَوْتُ بِهِمْ مِنْ يَرْهَمٍ وَأَحْتَفَانِهِمْ
حُدَاتِي، وَزَمْتُ لِلْفِرَاقِ رَكَائِي^(١)،
وَصَارَتْ هَوَاءً مِنْ فَوَادِي تَرَائِي^(٢)،
وَدَاعِي لِلْأَحْبَابِ لَا لِلْحَبَائِبِ^(٣)؛
وَجَادَ رُبَاهَا بِالْعِيَادِ السَّوَاكِبِ^(٤)،
طَلِيقَ الْحَيَا مُسْتَلَانَ الْجَوَانِبِ^(٥)،
مَوَدَّةَ جَارٍ أَوْ مَوَدَّةَ صَاحِبِ
كَأَنِّي فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي.

- كَتَبَ الْقَاضِي عِيَاضٌ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ رِسَالَةً مُثَقَّلَةً بِالصَّنَاعَةِ وَقَدْ مَلَّاهَا
بِأَسْمَاءِ النُّجُومِ (كُلُّ أَسْمٍ عَلَّمَ عَلَى نَجْمٍ أَوْ مَجْمُوعِ نُجُومٍ أَتَّبَعَتْهُ بِهَذِهِ الْعَلَامَةِ: ★) -
مِنْ «الْخَزِيدَةِ» (الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ٣: ٤١٣ - ٤١٥) - وَقَدْ اخْتَرْتُ أَلَّا أَحُلَّ أَلْفَاظُ
هَذِهِ الْقِطْعَةِ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْإِسْتِعَارَاتِ:

قَدْ وَقَفْتُ - أَعَزَّكُمَا اللَّهُ - عَلَى بَدَائِعِكُمَا الْغَرِيبَةِ وَمَنَازِعِكُمَا الْبَعِيدَةِ، وَرَأَيْتُ
تَرْقِيَكُمَا مِنَ الزَّهْرِ إِلَى الزَّهْرِ، وَتَثَقَّلَكُمَا إِلَى الدَّرَارِيِّ^(٦) بَعْدَ الدَّرِّ، فَأَبْعَثْنَا جَمِي

(١) جَدَّ الرَّحِيلُ: اجْتَهَدَ الرَّاحِلُونَ بِالْإِسْتِمْدَادِ لَهُ وَأَسْرَعُوا. غَرَدَ: غَنَى. الْهَادِي: الَّذِي يَهْدِي سَبِيلَ الْقَافِلَةِ
وَيَهْدِي لِلْمَسَافِرِينَ كَيْلًا يَمْلَأُوا مِنْ طَوْلِ السَّفَرِ وَمُثَقَّلَةً: الرُّكُوبَةُ: الدَّابَّةُ الْمَعْدَّةُ لِلرُّكُوبِ. زَمْتُ (بِالْبِنَاءِ
لِلْمَجْهُولِ) رَكَائِي: أَخَذَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) بِزَمَانِهَا لَتَبْدَأَ سِيرَهَا. وَيَجُوزُ زَمْتُ (لِلْمَعْلُومِ) رَكَائِي: رَفَعْتُ
رَكَائِي رُؤُوسَهَا لَتَبْدَأَ السَّيْرَ.

(٢) غَمِصْتُ (بِالْفَعْلِ الْمَجْمُوعِ وَالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ): كَثُرَ فِيهَا الضَّمُّ أَوْ الرَّمَصُ: (الْقَنَى). فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١):
(٤٤٦) وَفِي الْخَزِيدَةِ (الْمَغْرِبِ ٣: ٥٠٣) وَالْخَزِيدَةِ (الْأَنْدَلُسِ ٢: ٥٥٣) غَمِصْتُ بِالْفَعْلِ وَالصَّادِ
الْمَجْمُوعَيْنِ. وَقَدْ أَشَارَتِ الْخَزِيدَةُ (الْمَغْرِبِ ٣: ٥٠٣، الْحَاشِيَةُ ٥) أَنَّ الْكَلِمَةَ فِي «قَلَانِدِ الْعَيَّانِ» بِالْفَعْلِ
الْمَجْمُوعِ وَالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ. رَاجِعْ «قَلَانِدِ الْعَيَّانِ» (ص ٢٥٧). التَّرَائِبُ: الْعِظَامُ فِي أَعْلَى الصَّدْرِ.
صَارَتْ هَوَاءً... (تَبَخَّرَتْ عِظَامُ صَدْرِي مِنْ شِدَّةِ حَرَارَةِ قَلْبِي؟).

(٣) لَمْ يَبْقَ مِنَ الْوَقْتِ لِبَدَةِ السَّفَرِ غَيْرُ وَقْفَةٍ قَصِيرَةٍ يَسْتَحْتَمُّهَا (يَسْتَجْلِهَا: يَطْلُبُ تَقْصِيرَهَا)... الْأَحْبَابُ جَمْعُ
حَبِيبٍ، وَالْحَبَائِبُ جَمْعُ حَبِيبَةٍ.

(٤) الْعِيَادُ: الطَّرِيقُ الْمَعْدُودُ (الَّذِي يَسْقُطُ مُتَتَالِيًا).

(٥) طَلِيقٌ (يَقْصَدُ: طَلَقَ، بِالْفَتْحِ) الْحَيَا (الْوَجْهَ): مَسْرُورٌ. اسْتَلَانَ الرَّجُلُ الْعَيْشَ: وَجَدَهُ لَيْتًا نَاعِمًا،
هَنِيشًا. مُسْتَلَانٌ (فِي الْقَلَانِدِ: مُسْتَلَيْنٌ) (٢).

(٦) الزَّهْرُ (بِالضَّمِّ) وَالدَّرَارِيُّ: النُّجُومُ.

النجوم وَقَذَفْتُهَا مِنْ ثَوَابِ أَهْمَايَكُمَا بِالرُّجُومِ، وَتَرَكْتُهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ ذَاتَ
وُجُومٍ^(١). فَحَلَلْتُهَا بِسَيْطِهَا غَارَةَ سَمَوَاءَ^(٢) لَهَا عَوْتُ أَكْلَبُ الْمَوَاءِ * هُنَالِكَ أَفْتَرَسَتْ
الْفَوَارِسُ وَلَمْ تُغْنِ عَنِ السَّيِّكِ * الدَّاعِسِ (٣) وَغَوْدِرَتْ النَّشْرَةُ * نِتَاراً وَأَغْشَى
لَأَلَاؤُهَا نَقْعاً^(٤) مَثَاراً كَانَ لَكُمْ عِنْدَهَا ثَاراً. وَأَشْعِرَتْ الشُّعْرَانِ * دُغْرَا وَقَطَعَتْ
إِحْدَاهُمَا أَوَاصِرَ الْآخَرَى. فَأَخَذَتْ بِالْحَزْمِ مِنْهَا الْعَبُورُ * وَبَدَرَتْ خَيْلَكُمْ وَسَيْنَكُمْ^(٥)
بِالْعُبُورِ. وَحَدِرَتْ اللَّحَاقَ عَنْ أَنْ تَمُوقَ عَنْ مُنْحَنَى الْعَيُوقِ * فَخَلَفَتْ أُخْتَهَا تَنْدُبُ
الْوَفَاءِ وَتَجْهَدُ جَهْدَهَا فِي الْإِخْتِفَاءِ. وَكَأَنَّ الشُّرَيَّا * حِينَ تُرْتَمُ بِقَطِينِهَا^(٦) اتَّقَتَكُمْ
بِيَمِينِهَا، فَجَذَبَتْ بَنَانَهَا وَبَذَلَتْ لِلخَضِيبِ * أَمَانَهَا^(٧). فَعِنْدَهَا أَسْتَسْهَلُ سُهَيْلٍ *
الْفِرَارِ فَأَبْعَدَ بِيَمِينِهِ الْقَرَارَ. وَوَلَّى الدَّبْرَانَ * إِثْرَهُ مُدْبِراً.

- وَلِلْقَاضِي عِيَاضٍ أَيْضاً خُطْبَةٌ جَمَعَ فِيهَا سَوْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - وَسَيَكُونُ اسْمُ
كُلِّ سُورَةٍ مُتَبَوِّعاً بِنَجْمٍ * (نفع الطيب ٧ : ٣٣٣ - ٣٣٤):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ * كَلَامَهُ وَبَيَّنَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ * أَحْكَامَهُ، وَمَدَّ فِي
آلِ عِمْرَانَ * وَالنِّسَاءِ * مَائِدَةَ * الْأَنْعَامِ * لِيُتِمَّ إِعْنَامَهُ. وَجَعَلَ فِي الْأَعْرَافِ *
أَنْفَالَ * تَوْبَةً * يُؤْنَسَ * وَ« أَلَزَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ »^(٧) * مُجَاوِرَةً يُؤَسَفَ *
الصِّدِّيقِ فِي دَارِ الْكِرَامَةِ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ * بِحَمْدِهِ، وَجَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى
إِبْرَاهِيمَ * لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْحَجَرِ * أَنَّهُ إِذَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ * وَلَا مَلْجَأَ

(١) الرجم (بضمّ ريم) والرجوم (حجارة تنساقط من السماء - تكون دائرة في أفلاك لها حول الكواكب
ثم تلت من مدارها فنسقط إلى الأرض بسبب جذب الأرض لها). الوجوم: السكوت.

(٢) حل: نزل. البسيط: الأرض المستوية. السمواء: المنتشرة. فعلتُم بسيطها غارة... (٣): ملأتم الأرض
بالحرب

(٣) النقع: غمار الحرب.

(٤) بدرت خيلكم وسينكم... (٥): سبقت النعريان: أحتان عبرت أحداها إلى الجانب الآخر من
السماء. فبكت الثانية حتى عصمت.

(٥) القطي: الساكن معك في بيت واحد.

(٦) الكفّ الخضيب: نجم.

(٧) « أَلَزَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ » بدء سورة هود (السورة الحادية عشرة في المصحف).

إِلَّا إِلَيْهِ لَا يُظْلَمُونَ قَلَامَةً^(١).

- ٤ - الشفا في تعريف حقوق المصطفى (الرسول)، استانبول ١٢٦٤ هـ، الخ، الهند ١٢٧٦ هـ الخ، القاهرة ١٢٩٥ هـ الخ فاس ١٣٠٥ هـ الخ. هـ ١٣٢٩.
- مشارق الأنوار، فاس ١٣٢٨، ١٣٣٣ هـ، القاهرة ١٣٣٢ هـ.
- الأملح إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، الهند بلا تاريخ.
- المدارك (حققه أحمد بكير محمود).
- ★ ★ أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين المقرئ التلمساني (ضبطه... مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ - ١٣٦١ هـ = ١٩٣٩ - ١٩٤٢ م.
- قلائد العقيان ٢٥٥ - ٢٥٨؛ بغية الملتبس ٤٢٥ (رقم ١٢٦٩)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٤١٣: ٣ - ٤١٤، ٥٠١ - ٥٠٥؛ الخريدة (الأندلس) ٥٥٠: ٢ - ٥٥٥؛ إنباه الرواة ٣٦٣: ٢ - ٣٦٤؛ معجم ابن الأبار ٢٩٤ - ٢٩٨؛ وفيات الأعيان ٤٨٣: ٣ - ٤٨٥؛ ابن قنفذ ٢٨٠؛ النباهي ١٠١؛ الديباج المذهب ١٦٨ - ١٧٣؛ شذرات الذهب ١٣٨: ٤ - ١٣٩؛ نفع الطيب ٥٤٤: ١ - ٥٤٥، ٥٠٨: ٥ - ٤٠٩، ٣٣٣: ٧ - ٣٣٤؛ تاج العروس (الكويت) ٢: ٢٨٧، ٤٥٠: ١٨؛ (تحقيق الاسم والنسبة)؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٥٦٦: ٢ - ٥٦٧، (الطبعة الثانية) ٢٨٩: ٤ - ٢٩٠؛ بروكلمن ٤٥٥: ١ - ٤٥٦، الملحق ١: ٦٣٠ - ٦٣٢؛ الأعلام للزركلي ٢٨٢: ٥ (٩٩)؛ بالنبيا ٢٨٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، مركيس ١٣٩٧ - ١٣٩٨.

أبو بكر الأبيض

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد الأبيض^(٢) أصله من قرية همدان^(٣) وتادب في إشبيلية وقرطبة (المغرب ٢: ١٢٧). وكان أبو بكر الأبيض قد ولج بهجاء الزبير بن عمر المثلث^(٤) أمير قرطبة من قبل المرابطين فقتله الزبير سنة ٥٤٤ هـ (وفيات

(١) القلام: ما يقطع عادة من الظفر (شيء قليل جداً).

(٢) وقيل: أحمد بن محمد (زاد المسافر ١٠٨؛ نفع الطيب ٣: ٤٦١). وقيل أيضاً: ابن الأبيض (جيش التوشيح ٤٦).

(٣) لعلها جنوب غرناطة (إذ هي من مملكة إلبيرة).

(٤) المثلث من المثلثين (المرابطين، الطوارق اليوم) لأن رجالهم كانوا يضمون لثاماً على وجوههم.

٢- أبو بكر الأبيض من الموشَّعين المطبوعين (مقدمة ابن خلدون ١١٤٠)، وهو شاعرٌ مشهورٌ ووشَّاحٌ حسنُ التصرفِ هَجَّاءٌ (المغرب ٢: ١٢٧) اخترعَ ووَلَّدَ ونَظَّمَ شعره وتوشَّيحه في قالبِ الإعجازِ مُتَصَرِّفاً فيه بالحقيقةِ والمجاز (جيش التوشيح، ص ٤٦).

وشعره القصيدُ على عمودِ الشعرِ متينٌ فخمٌ. أمَّا موشَّحاته ففيها لينٌ - حتَّى حينًا تُقاسُ بأشباهاها من الموشَّحاتِ الأندلسية - ولعله لا يستحقُّ المكانةَ التي يحتلُّها في أقوالِ النقادِ إذا نحنُ حَكَمْنَا على موشَّحاتِهِ التي وصلت إلينا^(١).

وفنونُ أبي بكرِ الأبيض - في قصيده وموشَّحه - المدحُ والهجاءُ والغزلُ والمجونُ وشيءٌ من الوصفِ. وهجاؤه كثيرٌ مُقَدِّعٌ. وقد هاجى ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرِ الأبيضُ في الفقهاء المرائين^(٢):

أهلَ الرِّياءِ، لِبِسْتُمُ ناموسكم كالذئبِ يذُلُّجُ في الظلامِ العامِّ^(٣)،
فَمَلَكْتُمُ الدنيا بذهبِ مالِكِ، وقسمْتُمُ الأموالَ بآبِئِ القاسمِ^(٤)،

(١) نسب إليه ابن خلدون (المقدمة ١١٤٠ - ١١٤١) الموشَّحة المشهورة « ما لد لي شرب راح » (هي ليست له في الأصح).

(٢) تروى أيضاً لابن البني (راجع نفح الطيب ٣: ٤٤٨، الحاشية ٢).

(٣) الناموس: القانون أو الشريعة (تظاهروهم باتباع الشريعة في أموركم). والقرينة هنا تدلُّ على أن الناموس ثوب أسود (٤).

(٤) الإمام مالك بن أنس فقيه أهل المدينة وصاحب المذهب المالكي الذي يعمل به جميع أهل الأندلس والمغرب (استغللتم الدين في سبيل جرِّ منافع الدنيا إليكم). ابن القاسم هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد فقيه مالكي صاحب مالك بن أنس عشرين سنة وجع بين العلم والزهد (ت ١٩١ هـ، في مصر). وهو صاحب الدَوْنَةِ (كتاب الفقه المعتمد في المغرب والأندلس) في رأي أتباع مالك، وعن ابن القاسم رواها سخون (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) وهو فقيه أهل المغرب. قسمتُ الأموال: اقتسمتموها أحترقتموها لأنفسكم.

وَرَكِبْتُمْ شُهَبَ الْبِفَالِ بِأَشْهَبِ، وَبَاصْبَغٍ صُبِغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ^(١).

- وَقَالَ يَتَهَكَّمُ بِرَجُلٍ زَعَمَ أَنَّهُ يَنَالُ الْخَلَافَةَ:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نِدَاءُ شَيْخٍ أَفَادَكَ مِنْ نَصَائِحِهِ اللَّطِيفَةِ^(٢)،
تَحَفَّظُ أَنْ يَكُونَ الْجَذْعُ يَوْمًا سَرِيرًا مِنْ أَسْرِيَتِكَ الْنُفِيسَةِ^(٣).
أَفَكَّرَ فِيكَ مَطْوَئًا فَأَبْكَى، وَتَضَحَّيْتُ بِأَمَانِكَ السَّخِيفَةِ^(٤).
- وَقَالَ يَهْجُو الزَّيْرَ أَمِيرَ قُرْطُبَةَ:

عَكَّفَ الزَّيْرُ عَلَى الضَّلَالَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرُهُ الْمَشْهُورُ كَلَبُ النَّارِ^(٥).
مَا زَالَ يَأْخُذُ سَجْدَةً فِي سَجْدَةٍ^(٦) بَيْنَ الْكُؤُوسِ وَنَعْمَةِ الْأَوْتَارِ.
فَإِذَا أَعْتَرَاهُ السَّهْوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صَوْتُ الْقِيَانِ وَرَنَّةُ الْمَزْمَارِ^(٧)!

- وَمِنْ أَحْسَنِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ فِي مَوْلُودِ (الْمَغْرِبِ ٢: ١٢٧):

يَا خَيْرَ مَعْنٍ وَأَوْلَاهَا بِعَارِفَةٍ، لِلَّهِ نِعْمَاءٌ عَنْهَا الدَّهْرُ قَدْ نَعَسَا^(٨)،

- (١) رَكِبْتُمْ الْبِفَالِ الشَّهَابَ (الْبَيْضَاءُ) كَنَاءٌ عَنِ الْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ الرَّفِيعَةِ وَعَنِ الثَّرْوَةِ. أَشْهَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَيْسِيُّ فَتِيهِ الدِّهَانُ الْمَصْرِيَّةُ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ (١٤٥ - ٢٠٤ هـ). أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ (ت ٢٢٥ هـ) مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ فِي مِصْرَ. وَكَانَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِرَأْيِ مَالِكٍ (الْقَامُوسُ الْمَحِيط ٣: ١٠٩). صُبِغَتْ (شَهْرَتَكُمْ، مَكَانَتَكُمْ: حَسَنَتْ) أَوْ نَلِمَ عَمَّا فِي الدُّنْيَا.
- (٢) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (نِدَاءٌ عَلَى التَّهَكُّمِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ يَدَّعِي أَنَّهُ سَيَنَالُ الْخَلَافَةَ). فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ٣: ٤٩٠. مِنْ أَمَالِيهِ.

- (٣) تَحَفَّظُ: احْتَرَسَ، أَحْذَرُ. الْجَذْعُ: جَذْعُ شَجَرَةٍ أَوْ قِطْعَةٍ مِنْ خَشَبٍ يَهْلَقُ عَلَيْهَا الْمَصْلُوبُ. سَرِيرٌ: عَرْشٌ أَوْ مَجْلِسٌ وَثِيرٌ. مُنِيفٌ عَالٍ. (فِي «عَالٍ» تَوْرَةٌ بَيْنَ الْعَالِي (الْمُرْتَفِعِ فِي الْجَوِّ) وَالْعَالِي (الْمُرْتَفِعِ فِي الْمَكَانَةِ). فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ: وَأَذْكَرُ مِنْكَ مَصْلُوبًا فَأَبْكَى.

- (٤) هُوَ الزَّيْرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُلْتَمِّ (الرَّابِعِي) أَمِيرُ قُرْطُبَةَ (رَاجِعْ نَفْحِ الطَّيِّبِ ١: ٤٧١، ٣: ٤٨٩ - ٤٩٠).
(٥) يَدْخُلُ بَيْنَ السَّجَدَاتِ (يُخْطِئُ فِي صَلَاتِهِ) لِأَنَّهُ لَا يَفْقَهُ مِنَ السَّكْرِ وَلَا يَمَيُّ مِنْ كَثْرَةِ الْفَنَاءِ وَالزَّفَرِ عِنْدَهُ.

- (٦) إِذَا نَسِيَ الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ حَرَكَةً أَوْ رُكْعَةً نَبَّهَ الْمَصْلُوبُونَ وَرَأَاهُ يَقُولُهُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ. أَمَّا الزَّيْرُ هَذَا فَإِنَّهُ يَخْطِئُهُ كَثِيرًا، وَلَكِنْ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، يَسْمَعُ وَرَأَاهُ غَنَاءَ الْمُفَتَاتِ وَأَصْوَاتِ الزَّمَامِيرِ (وَلِذَلِكَ لَا يَنْتَبِهُ إِلَى مَا يَنْسَاهُ مِنْ صَلَاتِهِ).

- (٨) مَعْنَى: بَنُو مَعْنٍ (لَعَلَّهُمْ آلُ صَادِحٍ - بِضَمِّ الصَّادِ - وَهُمْ أَمْرَاءُ الرِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ). أَوْلَاهَا أَوَّلَى قَبِيلَةٍ بَنِي مَعْنٍ. الْعَارِقَةُ: الْمَعْرُوفُ (فَعَلَ الْخَيْرَ). - أَنْتُمْ فِي نِعْمَةٍ نَعْسٍ (نَامَ) عَنْهَا الدَّهْرُ (نَسِيَهَا) فَدَامَتْ فِيكُمْ.

لِيُهْنِكَ الْفَارِسُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ؛ اللَّهُ أَنْتَ، لَقَدْ أَذْكَيْتَهُ قَبْسًا^(١).
 أَصَاخَتِ الْخَيْلُ أَذَانًا لَصَرَخَتِهِ، وَارْتَاعَ كُلُّ هَزْبٍ حِينًا عَطَا^(٢).
 تَعَلَّمَ الرُّكُضَ أَيَّامَ الْمَخَاضِ بِهِ فَمَا امْتَطَى الْخَيْلَ إِلَّا وَهُوَ قَرَسًا^(٣).
 تَعَشَّقُ الدِّرْعُ مَذًى شَدَّتْ لِفَائِفُهُ، وَأُنْكَرَ الْمَهْدَ لَمَّا أَبْصَرَ الْفَرَسَا^(٤).
 بَشَّرَ قِبَائِلَ مَعْنَى أَنْ سَيِّدَهَا قَدْ أَثْمَرَ الْمَلِكُ بِالْمَجْدِ الَّذِي غَرَسَا^(٥).

- لَمَّا وَلَعَ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْيَضُ بَهْجَاءَ الزُّبَيْرِ بْنِ عُمَرَ أَمَرَ الزُّبَيْرُ بِاحْضَارِهِ فَقَرَعَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْيَضُ: (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٩٠):

«إِنِّي لَمْ أَرِ أَحَقَّ بِالْمَجْزُوءِ مِنْكَ. وَلَوْ عَلِمْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَخَازِي لَهَجَوْتُ نَفْسَكَ إِنْصَافًا وَلَمْ تَكِلْهَا إِلَى أَحَدٍ»

فَلَمَّا سَمِعَ الزُّبَيْرُ ذَلِكَ مِنْهُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ.

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

سَفَكَ الْمَسِيحُ سُلَافَهَا وَأَخْتَارَهَا وَدَعَا لَهَا حَوْلًا بَيِّنَتِ الْمُقَدِّسِ^(٦).
 فَإِذَا بَدَا لِلْأَوَّلَى سَجَدُوا لَهُ مُتَطَوِّفِينَ بِهَا وَلَمَّا تَلَّسَ^(٨).
 يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّ عَيْسَى كَامِنٌ مُتَنَسِّسٌ فِي رَوْحِهَا الْمُتَنَسِّسِ.
 مِنْ هَذِهِ فَلْتَسْقِي، وَدَعِ الْتِي تَنْغَلَّ فِي جِلْبَابِهَا الْمُتَدَنِّسِ^(٩)!

(١) أَذْكَيْتَهُ قَبْسًا: أَوْفَدَنَهُ فَكَانَ مَشْعَلًا شَدِيدَ الضَّوءِ.

(٢) أَصَاخ: مَذًى أَذَنُهُ وَمَالَ بَرَأْسِهِ لِيَسْمَعَ جَيِّدًا. لَصَرَخَتِهِ (لَصَرَخَتُهُ الْأَوَّلَى يَوْمَ وَلَدِ). ارْتَاعَ: خَافَ. الْهَزْبُ: الْأَسَدُ. عَطَسَ (عَطَسَ عَقَبَ الْوَلَادَةِ). - كَانَ مَهْوِيًّا (بِخَافِ النَّاسِ مِنْهُ) مِنْذُ وَلَادَتِهِ.

(٣) الرُّكُضُ: السَّاقُ، الْمَجْزُوءُ فِي الْحَرْبِ. الْمَخَاضُ: آلَامُ الْوَلَادَةِ عِنْدَ الْمَرْأَةِ. - مَا بَلَغَ مِنَ السِّنِّ مَا يَبْدَأُ بِهِ النَّاسُ أَنْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ حَتَّى كَانَ قَدْ فَرَسَ (أَصْبَحَ مِنَ الْفُرْسَانِ السَّجْعَانِ).

(٤) اللَّفَائِفُ: الْأَقْطَعَةُ الَّتِي بَلَعَهَا الْوَلِيدُ. - حِينًا كَانَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ أَبْصَرَ حِصَانًا، فَأَصْبَحَ مِنْذُ ذَلِكَ الْحَيْنِ يَكْرَهُ الْبَقَاءَ فِي الْمَهْدِ رَغْبَةً فِي رُكُوبِ الْخَيْلِ.

(٥) إِنَّ رَئِيسَ قَبِيلَةٍ مَعْنَى قَدْ غَرَسَ مَجْدًا (الطِّفْلُ الَّذِي أَنْجَبَهُ) فَكَانَ ثَمَرُهُ ذَلِكَ مُلْكًا (دَائِمًا):

(٦) لَمْ تَكِلْهَا (لَمْ تَعْهَدْ بِهَا) إِلَى أَحَدٍ.

(٧) السُّلَافُ: أَفْضَلُ الْخَمْرِ وَأَخْلَصُهَا (أَكْثَرُهَا صَفَاءً). دَعَا لَهَا (صَلَّى عَلَيْهَا) حَوْلًا (عَامًّا).

(٨) وَلَمَّا تَلَّسَ: قَبْلَ أَنْ يَمْسَا أَحَدٌ (قَبْلَ أَنْ يَبْدَأُوا بِشَرِّهَا).

(٩) انْغَلَّ فِي الثَّوبِ: دَخَلَ فِيهِ. الْجِلْبَابُ: الرِّدَاءُ الْوَاسِعُ. الْمُتَدَنِّسُ: الْمُلَوَّثُ.

- من موشحات أبي بكر الأبيض (جيش التوشيح ٥٤) :
 من سقى عَيْنَيْكَ كَأْسَ الدَّمِ؟ بِأَمْسَى الْمُسْتَهَامِ^(١)

★ ★ ★

رَشَاءُ أَشْهَرَنِي وَهُوَ نَائِمٌ
 رَقًّا لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَازِمِ.
 عَجَبًا مِنْ دَمْعِهِ وَهُوَ بِاسْمِ
 خَيْثُ يَمْزُجُ تَحْتَ اللَّثَامِ عِبْرَةً بِابْتِسَامِ^(٢).

★ ★ ★

قَلْبَ دُنْيَايَ تَسْقَى رُوَيْدُ
 تَحْتَ إِحْسَانِ الْوَزِيرِ ابْنِ زَيْدُ.
 فَأَنَا أَرْبَعُ فِي خَيْرٍ قَيْدُ
 بَيْنَ بَرٍّ وَعَطَايَا جِسَامِ أَخَوَاتِ الْغَمَامِ^(٣).

★ ★ ★

بَائِنُ الْغَوْرِ بِعِيدُ الْمَسَافَةِ.
 قَدْ كَفَى قُرْطُبَةً كُلَّ آفَةِ.
 كَمْ يَدٍ أُولِّيتْ دَارَ الْخِلَافَةِ.
 طَوَّقْتَ جِيدَكَ طَوَّقَ الْحَمَامِ فِي حُلَى الْكِرَامِ^(٤).

★ ★ ★

-
- (١) المستهَام: الهَام (الذي حَيَّرَهُ الحبَّ).
 (٢) الرَشَاءُ: الغزال الصغير. الحيزوم: الصدر أو وسطه. والموت بين الحَيَازِمِ: قاربت الروح أن تخرج من الجسم. الخَنْت (هنا): اللَّيْنُ الجَسْم، والذي يفعل فعل الخَنْت من لِين الكلام.
 (٣) قلب دنياي تسقى (٤) رويد (على مهل). أربع: أربع، أرح في الربيع. في خير قيد (تقيدي به) (انقطاعي إليه وحده) خير كبير لي. أخوات الغمام (السحاب) كثيرة كريمة.
 (٤) بائن (بعيد، عميق) الغور (القمر)... لا يدرك أحد دهائه ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما وصل =

بِكَ، يَا مُشْرِفُ، صَحَّ الْيَقِينُ
 أَنْتَ صَبَحَ الْمَشْكَاةَ الْمَبِينُ.
 أَيُّ نَضْلٍ سَلُّهُ مَا.....
 مَلِكُ شَرْقِهِ فِي الْأَنَامِ حَفْلُ ذَاكَ الْحَمَامِ.

★ ★ ★

شُرِّفَ الْمَلِكُ بِهِ حِينَ حَاطَهُ
 فَشَدَّتْ وَجَدًا بِهِ غَرْنَاطَهُ
 إِذْ تَوَخَّى بِبِوَاهَا ارْتِبَاطَهُ.
 كُلَّ يَوْمٍ أَقْرَبَكَ، يَا حَبِيبُ، سَلَامٌ؛ وَنَسِيتَ أَنْتَ ذِمَامًا^(١).

★ ★ - ٤ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٣: ٥٨٠ - ٥٨١؛ الخريدة
 (الأندلس) ٢: ١٦٠، ١٦٧؛ وفیات الأعيان ٤: ٤٣٧؛ المغرب ٢: ١٢٧ - ١٢٨؛
 المطرب ٤٧٦؛ زاد المسافر ١٠٨ - ١١٣؛ جيش التوشيح ٤٦ - ٥٨، راجع
 ٢٣٤ - ٢٤٠؛ مقدمة ابن خلدون ٥٨٤ - ٥٨٥ (١١٤٠ - ١١٤١)؛ نفع الطيب
 ٣: ٢٨٧، ٤٠٤، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٨٩، ٧: ٧؛ نيكل ٢٤٥ - ٢٤٧؛ مختارات
 نيكل ٣١٩.

جعفر بن محمد الشنتمري

١ - هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري^(٢) من
 أهل شنت مريّة الغرب (فارو، البرتغال اليوم)، وَلِدَ فيها ونشأ وأقرأ النحو فيها منذ

= إليه هو. كم يد...: كم فصل لك على دار الخلافة (العاصمة) في حفظ الملك على أهله. لعدد من أنواع
 الحمام طوق (ریش مخالف لریش سائر الجسم يحيط بالعنق). الفضل ظاهر فيك ثابت (كثبات طوق
 الحمام). في (من) حلى الكرام: يدل على أصلك الكريم أو عسلك الكريم.

(١) حاطه: (حماه من الأخطار) فشدت (تفتت = اقتشعرت) وجداً به (حبّاله). إذ توخى (أراد) بسواها
 ارتباطه (الانتقال إلى بلد آخر) (٢). أقربك = أقرئك. الدمام: العهد (الحبة التي بيننا).

(٢) هو حفيد الأعم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ).

صباه الأول قبل أن يلتحي^(١). ويبدو أنه تطوّف بالأندلس قليلاً ومدّح سلطان المرابطين عليّ بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وقد تولّى القضاء في بلده سنت مرية. ويبدو أنه تولّى الوزارة أيضاً. وعاش جانباً كبيراً من حياته مُنفصلاً في ملاذّه من الخمر والنساء. ثم إنّه تاب وزهد. وكانت وفاته سنة ٥٤٧ (١١٥٢ - ١١٥٣ م).

٢ - كان جعفر بن محمد الشنتمري فقيهاً وبارعاً في النحو، كما كان أديباً ناثراً وشاعراً. وفي نثره تكلف ظاهرٌ للقريب وللصناعة. وفي بعض شعره إجادة وإحسان. ومن فنونه: الوصف والخمر والفزل والزهد.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال جعفر بن محمد الشنتمري يصفُ فرساً وسرجاً:

انظرُ إليه (إلى الفرس) سليم الأديم كريم القدير كأنّما نشأ بين الفبراء
والبحوم^(٢): نجمٌ إذا بدا ووهمٌ إذا عدا^(٣)، يستقبلُ بغزالٍ ويستديرُ برالٍ ويتعلّى
بشياتٍ تقسيماتٍ الجمال^(٤).... (وفي السرج): بزةٌ جيادٍ ومركبٌ أجواد^(٥): جميلُ
الظاهرٍ رحيبُ ما بين القادمة والآخر^(٦)، كأنّما قد من الحدودِ أديمه واختصّ بإتقان

(١) التحي الشاب: ظهرت لحيته.

(٢) الفبراء فرس (مؤنثة) لقيس بن زهير العبسي، وهي (أي الفبراء) خالة داحس (فرس مذكر). وبسبب داحس والفبراء ثارت الحرب المشهورة باسمها في الجاهلية. والبحوم فرس مذكر كان للنعمان بن المنذر وكان (أي البحوم) من نسل الحرون (راجع القاموس ٤: ١٠١، ٢١٣، وتاج العروس - الكويت ١٣: ١٩١). كأنّما نشأ بين الخ: كأنّ أمّه الفبراء وأباه البحوم.

(٣) وهم (خيال) إذا عدا (ركض): سريع جداً.

(٤) يستقبل بغزال (أي: رأسه وعنقه كرأس الغزال وعنق الغزال). ويستدير برال (أي: مؤخرته تشبه الرال) الرال: فرخ النعام. - والصورة لم تنضح (بكسر الضاد) لي. الشية: الصفة. تقسيمات (أقسام، أوجه).

(٥) بزة (ثوب) جياد (جمع جواد: حصان أصيل) ومركب أجواد (جمع جواد: كريم، يعطي من ماله).

(٦) رحيب (واسع) القادمة (الجمبة، الرأس، الخ) والآخر (أي طويل الجسم): سرج واسع.

- وله في النسيب وفي الغزل:

★ ★ كَتَبْتُ وَلَا عَجُ الْبُرْحَاءُ يُمْلِي، وَنَارُ الشَّوْقِ تَسْتَمْرِي الدُّمُوعَا^(٢).
ولو نفسي أطاوعَهَا لَقَضْتُ إِلَيْكُمْ، يَا أُحِبَّتِي، الضُّلُوعَا^(٣) ١
★ ★ قَالَتْ- وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَلْتِمَهَا، وَالْخَرْصُ لَا يَلْوِي عَلَى الدَّهْشِ-^(٤)
أَفْضَحْتُ نَفْسَكَ. قُلْتُ: وَاحْرَبَا! أَمُوتُ فِي غَرْقٍ مِنَ الْعَطَشِ^(٥) ٢

- وَقَالَ لَمَّا تَابَ وَزَهَدَ (وقد شارف الكُهولة):

أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرْعَوَيْتُ عَنِ الصَّبَا وَعَظَضْتُ مِنْ نَدَمٍ عَلَيَّ بَنَافِي^(٦).
قَاطَعْتُ نَصَاحِي، وَرَبُّ نَصِيحَةٍ جَاءَ وَابْهَاجَتْ فِي الْعِصْيَانِ.
أَيَّامٌ أَسْحَبُ مِنْ ذُبُولٍ شَبِيبَتِي مَرَحًا، وَأَعَثَرُ فِي فُضُولِ عِنَافِي^(٧)؛
وَأَجِلُّ كَأَنِّي أَنْ تَرَى مَوْضُوعَةً، فَعَلَى يَدِي أَوْ فِي يَدَيَّ نَذْمَانِي^(٨).
أَيَّامٌ أَحْيَا بِالْغَوَافِي وَالْفِنَا وَأَمُوتُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ،
فِي فِتْنَةٍ قَرَضُوا اتَّصَلَ هَوَاهُمْ، فَمَنَاهُمْ دَنْ مِنَ الْأَدْنَسَانِ^(٩).

(١) كَأَنَّا قَدْ (قطع) من الحدود أدنيه (جلده): أي ناعم الجلد (كأن الجلد الذي صنع منه بشرة حدود لنموته). الحبك (النسج، الجدل) تقويمه (مثاله): أي جميل الصورة.

(٢) البرحاء: الشدة (شدة حرارة الحُمى) - اللاعج: الموهى المحرق. استمرى: استحلب (جعل الحليب يجري من ضرع الناقة، الخ).

(٣) قَضَ فلان الشيء: دَقَّه وكَثَرَه.

(٤) الخرص (بالكسر): الحلقة (بفتح فسكون) توضع في الأذن. الدهش: الحيرة وتشتت الفكر. يلوي من الدهش (يجوز هنا في « يلوي » أن تكون على صيغة فعل وعلى صيغة أفعال): الخرص (الذي هو جاد) لا يلوي (لا يميل، لا يتحرك، لا يلتفت) من الدهش (لكثرة قبلاتنا وشدتها).

(٥) أَمُوتُ في غرق من العطش (أرى مجالاً واسعاً أمامي للتقبل، ثم لا أقبل حببي).

(٦) ارعويت (رجعت، تركت) عن الصبا (أفعال الشباب). عضضت الخ: ندمت.

(٧) حينما كنت أتمتع بكل ما أستطيع بشبابي. وأعثر في فضول (ذبول، زيادة) عِنَافِي (رستي): كنت لا أبالي ما أفعل ثم أخطئ وأعاقب بنتائج خطأي.

(٨) أجل: أرفع قدر كَأَمِي. الندمان (بالفتح) الندم، وقد تكون للجمع (القاموس ٤: ١٨٠).

(٩) الدن: الحايبة (للخمر).

هَزَتْ عَلَيْهِمُ أَرْجِيَّاتُ الصَّبَا، فَهَيَّ النَّسِيمُ وَهُمْ غُصُونُ الْبَانِ،
 مِنْ كُلِّ مَخْلُوعٍ الْأَعْيَنَةِ لَمْ يُبَلِّ فِي غَيْهِ بِمَصَارِفِ الْأَزْمَانِ^(١).

٤-★★ المغرب ١: ٣٩٦ - ٣٩٧ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ٤٩٣ - ٤٩٨ نفع
 الطيب ٤: ٣١ - ٣٥، ٧٣ - ٧٥، ٨٦.

ابن يَنْقَ الشاطبي

١- هو أبو عامرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلِيفَةَ الشاطبيُّ المعروفُ بِابْنِ يَنْقَ (من
 الإسبانية إنيثيق من اللاتينية أنيقوس)*، وُلِدَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م).

أَخَذَ ابْنُ يَنْقَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الصَّدَقِيِّ وَرَحَلَ إِلَى قَرْطَبَةَ وَسَمِعَ مِنْ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ
 سِرَاجٍ. وَكَذَلِكَ لَازَمَ أَبَا الْعَلَاءِ زُهْرَ بْنَ زُهْرٍ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ وَأَخَذَ عَنْهُ شَيْئاً مِنَ الطَّبِّ.
 وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي آخِرِ سَنَةِ ٥٤٧ هـ (١١٥٣ م).

٢- كَانَ ابْنُ يَنْقَ الشاطبيُّ بَارِعاً فِي عِدَّةٍ مِنَ الْعُلُومِ مُؤَرِّخاً أَدِيباً نَائِراً وَشَاعِراً.
 تَمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ: كِتَابُ الْحِمَاسَةِ (كَبِيرٌ) - مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ وَالْأَعْيَانُ وَالشُعَرَاءُ فِيهَا -
 مَجْمُوعَةٌ خُطِبَ (عَارِضٌ فِيهَا ابْنُ نُبَاتَةَ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- قَالَ ابْنُ يَنْقَ الشاطبيُّ فِي الْفَزَلِ:

وَمَا طَبِيبٌ أَدْمَاءُ تَأْلَفُ وَجَرَةً تَرُودُ ظِلَالَ الضَّالِّ أَوْ أَثْلَاتِهَا^(٢)
 بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ أُوْمَتَ بِلَحْظِهَا إِلَيْنَا وَلَمْ تَنْطِقْ حَذَارَ وَشَاتِهَا^(٣)!

(١) مَخْلُوعُ الْعَنَانِ: مُسْتَهْتَرٌ. لَمْ يَبَلِّ (لَمْ يَبَالِ): لَمْ يَتَمَّ. مَصَارِفُ الْأَزْمَانِ (تَقَلَّبَ أَحْوَالُ الزَّمَانِ).

* رَاجِعْ نِيكَل ٢٤٥.

(٢) أَدْمَاءُ: سَمَرَاءُ اللَّوْنِ. وَجَرَةٌ: اسْمُ مَكَانٍ مَشْهُورٍ بِالطَّبَاءِ. تَرُودُ (تَنْجُولُ). الضَّالُّ وَالْأَثْلُ: نَوْعَانِ مِنَ الشَّجَرِ.

(٣) أُوْمَتَ = أُوْمَتَ: أَشَارَتْ. حَذَارَ (خَوْفَ).

- وقال قصيدة في الديح مَطْلَعُهَا في الشكوى من الزمان ومُدَارَاة الحياة:

حَسْبِي مِنَ الدَّهْرِ أَنْ الدَّهْرَ يُنْتَجِلِي بِكَرِّ الْخُطُوبِ وَأَتِي عَائِرُ الْأَمَلِ^(١).
دَغْنِي أَصَادُ زِمَانِي فِي تَقْلِبِهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ بَظْلًا غَيْرَ مُنْتَقِلِ^(٢)؟
وَكَلَّمَا رَاحَ جَهَنَّمُ رُخْتُ مَبْتَسِمًا كَالْبَدْرِ يَزْدَادُ إِشْرَاقًا مَعَ الطَّفْلِ^(٣)!
أَغْرُ إِن تَدْعُهُ يَوْمًا لِنَائِبَةٍ جَلِي، وَلَا يَكْثِفُ الْجَلِي سِوَى جَلَلِ^(٤).
قَدْ أَوْسَعَ الْأَرْضُ عَدْلًا وَالْبَلَادُ نَدَى،

فَالرُّؤُوسُ طَلَقُ الرُّبَى وَالشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ^(٥).

يرعى الممالك من قرب ومن بُعْدٍ وَيَأْخُذُ الْأَمْرَ بَيْنَ الرِّيثِ وَالْعَجَلِ^(٦).
دَغْنُكَ مَا أَحْرَزْتَ يُونَانَ مِنْ حِكْمٍ وَسَارَ مِنْ حِكْمَاءِ الْفُرسِ مِنْ مَثَلِ
وَانْظُرْ إِلَيْهَا تَجِدُهَا أَحْرَزَتْ سَبَقًا فِي الْجُهْدِ مِنْهَا، وَحَازَ السَّبْقَ فِي مَهَلِ^(٧)!

- وكتب إلى هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي يدعوها إلى جلسة

غناء: (نفع الطيب ٤: ٢٩٣):

يَا هِنْدُ، هَلْ لَكَ فِي زِيَارَةِ فِتْيَةٍ نَبَذُوا الْمَعَارِمَ غَيْرَ شُرْبِ السَّلْسَلِ^(٨).
سَمِعُوا الْبَلَابِلَ قَدْ شَدَّتْ! فَتَذَكَّرُوا نَغَمَاتِ عُودِكَ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(٩)!

(١) حسي: بكسني. ينتج: بلد. بكر الخطوب (المصائب): الخطوب التي لم يعرف أحد مثلها قبلي. العائر (الذي يقع كثيراً في أثناء سيره). عائر الأمل: قلب الحظ.

(٢) أصادي: أداري (٢).

(٣) الجهم: العابس. الطفل (يفتح ففتح): ضعف النور قبيل الغروب.

(٤) أغر: أبيض (من قوم شهورين). النائبة: المصيبة. الجلي: العظيمة (ولا يجوز نعت النكرة باسم التفضيل، كان يجب أن يقول: جليلة مكان جلي). الجلي: الأمر الشديد والخطب العظيم. الجلل: (الرجل) العظيم.

(٥) الندى: الكرم. طلق الربى (التلال): مبتسم التلال (بالأزهار). الشمس في (برج) الحمل: في البرج الذي يبدأ به، عند النجمين، فصل الربيع (وهو برج السعادة أيضاً).

(٦) الريث: البطء والتأني.

(٧) إليها (إلى اليونان والفرس) - حكماء اليونان والفرس نالوا الفوز والنجاح ببذل الجهد (بضم الجيم: الكد).

(٨) السلسل: ما يجري في الحلق بسهولة (لعل المقصود هنا: الخمر).

(٩) شدا: غنى. الثقليل الأول من نقرات العود.

٤- ** قلائد العقيان ٢١٢ - ٢١٣ : المغرب ٢ : ٣٨٨ - ٣٨٩ خريدة (الأندلس) ٢ : ٤٨٤ - ٤٨٦ : طبقات الأطباء ٢ : ٦٥ : التكملة ١٩٨ : معجم ابن الأثير ١٦٢ - ١٦٣ : الوافي بالوفيات ٥ : ١٩٦ : بغية الوعاة ١١٢ - ١١٣ : نيكل ٢٤٥ : مختارات نيكل ١٦٦ : جيش التوشيح ١٨٢ - ١٩٦ : راجع ٢٦٩ - ٢٧١ : نفع الطيب ٣ : ٥٩٦ ، ٤ : ١٥ - ١٦ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ : الأعلام للزركلي ٨ : ٧ (٧ : ١٣٧).

ابن وكيل الأقبليسي

١- هو أبو جعفر (أو أبو العباس) أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد - أصل أبيه من أقبليش، وهي بلدة قرب طليطلة - ولذلك يعرف بابن الأقبليسي. وُلِدَ نحو سَنَةِ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) في دانية، وفيها نشأ وبدأ تعلّمه: سَمِعَ الحديث من أبيه ومن الفقيه أحمد بن طاهر بن عيسى (المتوفى في دانية ٥٣٢ هـ) وتعلّم له ثم رَحَلَ إلى بلنسية فأخذ اللغة والنحو والأدب عن عبد الله بن محمد البطلنوسي (ت ٥٢١ هـ). ثم أخذ عن كثيرين، منهم صهره طارق بن يعيش ومنهم أبو بكر بن العربي وعبد الحق بن عطية وأبو العباس أحمد بن العريف (ت ٥٣٦ هـ).

وبدأ ابن وكيل الأقبليسي الإقراء والتحديث في الأندلس. وفي سَنَةِ ٥٤٢ هـ رَحَلَ إلى المشرق وحجَّ (٥٤٦ هـ) وجاور في مكة مُدَّة. وعَزَمَ - منذ سَنَةِ ٥٤٧ هـ - على العودة إلى الأندلس، ولكنه تُوَفِّي في أثناء عودته - في قوص، من صعيد مصر - في رابع رَمَضان من سَنَةِ ٥٤٩ هـ (١٣ / ١١ / ١١٥٤ م) أو في سَنَةِ ٥٥٠ هـ. وقيل كانت وفاته في مكة.

٢- كان ابن وكيل الأقبليسي راوية للحديث عارفاً بالعلوم الشرعية وباللغة والنحو والأدب، وكان شاعراً أيضاً له أبيات في الزهد والحكمة والوصف. ثم هو مُصَنَّف له كتب منها: الكوكب الدرّي المُستخرج من كلام النبي العربي (مرتب على حروف الهجاء) - النجم من كلام سيد العرب والعجم^(١) (عشرة أبواب عاشرها

(١) المفروض أن يكون بين «النجم» و«المعجم» جمع وموازنة (فتح ففتح فيها أو ضم وسكون فيها...).

أدعية مأثورة عن الرسول) - الدر المنظوم فيما يُزيل الغُوم والهموم - أنوار الأثر (أربعون حديثاً في الصلاة على النبي) - الأنباء في حقائق (أو شرح) الصفات والأسماء (أسلمه الله الحُسنى) - شرح الباقيات الصالحات - أنوار الآثار (في أحاديث الرحمة) - ضياء الأولياء (في عدة أجزاء) - محاسن المجالس (في التصوف) - المعشرات (مجموع من شعره في الزهد).

ولابن وكييل الأقلشبي شعرٌ قليل منه المقطوعة الغائية التي عارضَ بها المقطوعة الغائية لابن الفرَضِيّ (ت ٤٠٣ هـ)، وقد استعارَ مطلعها.

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن وكييل الأقلشبي أبياتٌ في الوصف والأدب منها:

تَتَحَدَّرُ الْعَبْرَاتُ مِنْ أَحْدَاقِهِ فَتَرَى لَهَا فِي خَدِّهِ آثَارًا.
وَلَرُبَّمَا امْتَزَجَتْ دَمًا مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ الدَّمْعَ يَطْلُبُ ثَارًا!
* * * كَانَ حَقِّي إِلَّا أَذْكَرَ غَيْرِي، وَأَنَا مَا كُنَيْتُ شَرِّي وَضَيْرِي^(١).
غَسِيرَ أَنِّي بِرَحْمَةِ اللَّهِ رَبِّي أُرْتَحِي أَنْ يُفِيدَنِي^(٢) كُلَّ خَيْرٍ.
- وله أبيات في الابتهاال هي^(٣):

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفُ^(٤).
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغَيْرَةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ^(٥).
تَزِيدُ سُنُوهُ وَهُوَ يَزِيدُ زِيلَةً فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ^(٦).

(١) الضير: الضرر. - لا حق لي في أن أنصح غيري إذا كنت أنا لم أنخلص مما يضربني.

(٢) يفيدني (رَبِّي).

(٣) مطلع هذه المقطوعة كمطلع مقطوعة ابن الفرَضِيّ (ت ٤٠٣ هـ) في المعنى نفسه.

(٤) مخالف لطريق الحق.

(٥) الغرة (بالكسر): الغفلة.

(٦) الضلة: الضلال. العاكف: المقيم على الأمر المثابر عليه (المصر).

تَطْلَعُ صَبْحَ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ
ثلاثون عاماً قد تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا
وجاء المشيبُ المُنْذِرُ المرءَ أَنَّهُ
فيا أَحَدُ الْخَوَّانُ، قد أَدْبَرَ الصِّبَا
فهل أَرَقَّ الطَّرْفُ الزَّمانَ الذي مضى
فجُدْ بالدُمُوعِ الحُمْرِ حُرْنًا وَحَسْرَةً،
فما طاف فيه من سَنَا الْحَقِّ طَائِفٌ^(١).
حُلُومٌ تَقْضَتْ أَوْ بَرُوقٌ خَوَاطِفٌ^(٢).
إذا رَحَلْتُ عَنْهُ الشَّبِيهَ تَالِفٌ.
وناداك من سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفٌ^(٣).
وأبكاه ذَنْبٌ قد تَقَدَّمَ سَالِفٌ^(٤) ؟
فدمعُكَ يُنبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِيفٌ.

- ٤ - النجم من كلام سيد العرب والعجم، (مطبعة الاعلام) مصر ١٣٠٢ هـ.
تكملة الصلة ٧٤-٧٦؛ إنباه الرواة ١: ١٣٦ - ١٣٨؛ الوافي بالوفيات ٨:
١٨٣ - ١٨٤؛ أخبار وتراجم أندلسية ٢٤ - ٢٥؛ بقية الوعاة ١٧١؛ شذرات الذهب ٤:
١٥٤ - ١٥٥ (في وفيات ٥٥٠ هـ)؛ نفع الطيب ٢: ٥٩٨ - ٦٠٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٦ -
٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ١٢١؛ الاعلام للزركلي ١: ٢٤٣ (٢٥٩)؛ تاج العروس
(الكويت) ١٧: ٢٣٩؛ سركيس ٦٢٨ - ٦٢٩.

ابن السراج الشنتريني

- ١ - هو الشيخ الأديب الإمام الرئيس أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن
السراج الشنتريني^(٥)، سَكَنَ إِشْبِيلِيَّةَ وَأَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ (النحو) عن أبي عبد الله محمد بن
خَيْرَةَ ابن أبي العافية المقرئ النحوي الأموي (ت ٤٨٧ هـ) وعن علي بن عبد
الرحمن بن الأخضر الإشبيلي (ت ٥٤٥ هـ) وروى الحديث عن أبي القاسم النّفطّي ثم
حدّث عن أبي القاسم بكتاب «الموطأ» (للملك بن أنس).

- (١) السنا: الضوء. (واستخدم الشاعر «تطلع» متعدياً، خطأ).
(٢) الحلم (بالضم): المنام (ما يراه النائم). الخاطف (هنا): السريع.
(٣) يا أحد (تجريد: مناداة الإنسان نفسه) الخوّان: المبالغ في الحيانة (لنفسه) والمصرّ على الحيانة. أدبر:
تولّى. انفضى، ذهب. الهاتف: صوت يناديك ولا ترى صاحبه.
(٤) هل أرقت (أسهرت) حوادث الزمان طرفك (عينك): هل أخذت تفكر في أعمالك السيئة؟
(٥) سبى إلى شنتين: مدينة في غربي الأندلس على نهر تاجه شمال إشبونة (لشبونة اليوم)، عاصمة
البرتغال).

وفي سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) رَحَلَ ابنُ السَّراجِ إلى المَشْرِقِ فَنَزَلَ في مِصَرَ وأَقْرَأَ بها القرآنَ والنحوَ وَحَدَّثَ. ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ إلى اليَمَنِ فأقام فيها مُدَّةً عادَ بَعْدَها إلى مِصَرَ حيثُ تُوُفِّيَ في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٤٩ هـ (خَرِيفِ ١١٥٤ م) في الأَغْلَبِ.

٢- كانَ ابنُ السَّراجِ الشَّنْزَرِيُّ بارِعاً في القرآنِ والحديثِ والفِقْهِ وفي اللُغَةِ والنحوِ، أديباً ناقداً. وكانَ مؤلفاً، له: المِيعارُ في أوزانِ (وزن) الأَشعارِ - الكافي في علمِ القوافي - تنبيه الأَلِبابِ على فضائلِ (فضل) الإِعرابِ (أو تَلْقِيحِ الأَلِبابِ في عواملِ الإِعرابِ، كما ذَكَرَ السيوطي في بَغِيَةِ الوَعاءِ) - اختصارُ كتابِ العُمدة لابنِ رَشيقٍ والتَّنبِيهِ على أَغْلالِهِ (وقد أوردَهُ بروكلمن أيضاً باسمِ جواهرِ الآدابِ وذخائرِ الشعراءِ والكَتَّابِ) - تقويمُ البَيانِ لِتَحْرييرِ الأوزانِ.

٣- مَخْتاراتٌ مِنْ آثارِهِ:

- قالَ ابنُ السَّراجِ الشَّنْزَرِيُّ في مُقدِّمةِ كتابِ «المِيعارِ في أوزانِ الأَشعارِ»:

..... إِنَّ الشَّعْرَ لَمَّا كانَ دِيوانَ العَرَبِ المُتَقَفِّ لِأَخْبَارِها والمُقَيَّدِ لِأوزانِ كَلِمِها والمُبَيَّنِ لِمَعانِي أَلْفاظِها والمُنَبَّهِ على آدابِها ومُكافِئِ أَخْلَاقِها، وكانَ حُجَّةً نَزَجُ إليها في تَفسيرِ ما أَشْكَلَ مِنْ كِتابِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَفْزَعاً يُلْجَأُ إِلَيْهِ في بَيانِ ما اسْتَبْهَمَ^(١) مِنْ حَدِيثِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَيْتُ أَنَّ العِنايةَ بِمَعْرِفَةِ أوزانِهِ مُهِمَّةٌ في الدِّينِ، مُتَعَيِّنَةٌ^(٢) على كافَّةٍ مِنْ يَقومُ بِها مِنْ كافَّةِ^(٣) المُسلمينَ. (ذلكَ) لأنَّ الجَهْلَ بِالوزنِ يُؤدِّي إلى تَغييرِ اللَّفْظِ بِتَحريكِ ساكِني أو إِسكانِ مُتَحَرِّكِ أو تَخْفِيفِ مُشَدِّدٍ أو تَشْدِيدِ مُخَفَّفٍ، وَذلكَ يُبْطِلُ الثِّقَةَ بِكَلِمَاتِهِ وَيَمْنَعُ الاسْتِشْهادَ بِلُغَاتِهِ^(٤) لِتَعَرُّضِها لِلاختِلالِ عِندَ مَنْ يَجْهَلُ الِوزْنَ. وما كانَ هَذا سَبيلَهُ^(٥) فلا يَجوزُ الاسْتِدْلالُ بِهِ إِذْ لَيْسَ أَحَدٌ

(١) اسْتَبْهَمَ: كانَ مَعْناهُ غامِضاً.

(٢) مُتَعَيِّنٌ: واجِبٌ على شَخْصٍ بَعينه.

(٣) بِقالٍ: على المُسلمينَ كافَّةً، لا «على كافَّةِ المُسلمينَ». مُتَعَيِّنَةٌ على....: هَذِهِ الحِجَّةُ (البِراعةُ في الشَّعْرِ) واجِبَةٌ على كُلِّ مَنْ يَشْتَغِلُ بِتَفسيرِ القرآنِ الخ.

(٤) اللُّغاتُ: الكَلِماتُ الَّتِي لِلْمَعْنى الواحِدِ فيها صيغٌ مُختلِفة.

(٥) ما كانَ هَذا سَبيلَهُ: ما كانَتِ أَلْفاظُهُ تَحتمِلُ أَوْجهاً مُختلِفةً مِنَ الصَّيغِ والتَّهجئةِ.

مُحْتَمَلَاتِهِ بِأَوَّلَى بِهِ مِنَ الْآخِرِ ...

- ٤ - المعيار في أوزان الأشعار (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م، بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م (على الغلاف الخارجي: ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م).
- الكافي في علم القوافي (مطبوع مع الكتاب السابق).
- ★ ★ الوافي بالفريات ٤: ٤٦ بغية الوعاة ٦٨، البلغة في أئمة اللغة ٢٣٢ - ٢٣٣، نفع الطيب ٢: ١٣٨ بروكلن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣، الأعلام للزركلي ٧: ١٠ و ١٢٨ (٦): ٢٤٩ (معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢٥٨).

يونس بن عيسى المرسى

- ١ - هو أبو الوليد يونس بن عيسى^(١) المرسى الخباز، أصله من مُرْسِيَّة لا نعلم له مَشِيخَةً، ولكن نجد في «المطرب»^(٢) أن محمد بن أبي العافية^(٣) قد قرأ عليه. ولعل وفاته كانت في أواسط القرن السادس (أواسط الثاني عشر للميلاد).
- ٢ - كان يونس بن عيسى المرسى أديباً عصامياً ثقفاً نفسه وقال شعراً جيداً وموشحاتٍ كثيراً فيها براعة. ورُبَّما شَبَّهوه بالخبزِ أرزِي^(٤) أو بالخبزِ البَلْدِي^(٥). قال فيه لسانُ الدين بن الخطيب: «عَذَبَ سَبْكُهُ وراق ترصيعه وحبُّه، مع طَبْعٍ في نَظْمِ الكلامِ سَيَّالٍ وإلى الإحسان ميَّالٍ.... وهو في الأندلس شبه الخبزِ أرزِي في المشرق..... والذي حداه^(٦) إلى الاختراع والتوليد وأقدمه على الابتداء وترك التقليد ذكاء أرهَفَ قُوَّادَه.....».

- (١) في المطرب (الخرطوم ٨٥): يونس بن أبي عيسى.
- (٢) المطرب ٨٥.
- (٣) انظر الكتندي (محمد بن عبد الرحمن الشاعر) تحت (ت ٥٨٣ هـ).
- (٤) جيش التوشيح ١٣٥. والخبزِ أرزِي هو أبو القاسم نصر بن أحمد البصري (ت ٣٢٧ هـ) انتقل إلى بغداد. وكان خبازاً. وله شعر حسن. راجع الجزء الثاني ص ٤٣٠ - ٤٣١.
- (٥) راجع تعليق في جيش التوشيح، ص ٢٥٧.
- (٦) راجع هذا النص في جيش التوشيح ١٣٥. - الأصوب أن يقال حدا به: يقال عادة: حدا الجمل (ساقه) وحدا براكبه.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونس بن عيسى من قصيدة يمدح بها فاضلاً من أهل مَرْسِيَّة انتقل إلى المَرْيَةِ واسمُه ابن الأسود:

كَمْ سَامِعٍ غَزَلِي يَقُولُ تَعَجُّباً أَتَجَدَّدْتُ خَلْقُ الصَّبَا فِي يُونُسَ؟
لَا، وَالَّذِي خَصَّ ابْنَ أَسْوَدَ بِالْعَلَا، مَا أَصْبَحْتَ أَثْوَابُهَا مِنْ مَلْبَسِي.
لَا غَرَوْ أَنْ تُضْهِجِي المَرْيَةَ دَارَهُ، وَتَفُوزَ مَرْسِيَّةً بِحِطِّ أَنْفَسٍ^(١):
فَبِمَكَّةِ نَشَأَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ، وَاخْتَصَّ بِالْمِعْرَاجِ بَيْتُ المَقْدَسِ^(٢).
لَوْلَا الَّذِي أَحْرَزْتَهُ مِنْ هَيْبَةٍ لَاهْتَرَّ مِنْ طَرَبٍ جِدَارُ المَجْلِسِ!
- وقال في الرثاء:

كُلُّ كَمَالٍ إِلَى مُحَاقٍ وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى افْتِرَاقٍ^(٣).
سَجِيَّةُ الدَّهْرِ شَتُّ شَمَلِي، وَمَا سِوَاهُ فَعَنَ وَفَاقٍ^(٤).
أَيُّ نَوَى آدَمُ وَنُوحُ وَالمُصْطَفَى صَاحِبُ البُرَاقِ^(٥)؟
إِنْ قِيلَ: إِنَّ السُّؤَّ يُجْدِي! فَلَيْدُمُ البَدْرُ فِي اتِّسَاقٍ^(٦).
لِهِ مَا تَحِيلُ المَطَايِا مِنْ نَعْمِكَ اليَوْمَ فِي الرِّفَاقِ^(٧)!

- وقال يزعم أن إقبال الدنيا على الإنسان يُغْنِيهِ عن الشَّباب:

- (١) بحطَّ أنفَس: أَعْلَى (لأنَّها مولده).
- (٢) بيت المقدس: القدس. المعراج: انتقال الرسول بالإسراء من مكَّة إلى القدس ثم بالمعراج (بالرفق) إلى السَّهْل).
- (٣) المحاق: امَّحاء القمر في آخر الشهر (نقص، موت).
- (٤) سَجِيَّة: طَبِيعَة. شَتُّ: تَفْرِيق. وما سِوَاهُ (دوام الاجتماع) عن وفَاقٍ (اتِّفَاقاً، شذوذاً، نادراً أو صدفةً).
- (٥) نوى: اسْتَقَرَّ، بَقِيَ (نوى في قبره). المصطفى: مُحَمَّد رسول الله. البراق: دَابَّةٌ أَصْفَرُ مِنَ الحِصَانِ عَظِيمَة السَّيْرَةِ رَكِبَهَا الرُّسُولُ فِي المَعْرَاجِ (راجع فوق).
- (٦) السُّؤُّ: المَلُوءُ. مجدي: يَنْفَعُ (يُجِي من النقص والموت). ليدم البدر (البقي) في اتِّسَاقٍ (على حال واحدة من الكمال، كما يرى في وسط الشهر).
- (٧) - خير موتك كان شديداً على رفاقك.

إذا أَيْامَ دَوْلَتِكَ استمرت على تيهٍ فلا رجع السَّبابِ .
فَيُطْرِبُنِي الهَامُ إذا تَغَيَّى ، وَيُشْجِيْنِي إذا نَمَبَ الغُرَابِ .
- وله من موشَّحة :

مَنْ لِي بَطْنِي رَبِيبٌ * يَسْطُو بِأَسَدِ الْفِيَاضِ * لَوْى بِدَيْنِي لَمَّا * أَمَلْتُهُ لِلتَّقَاضِي ^(١) .

★ ★ ★

جَعَلْتُ حَظِّي مِنْهُ بَيْنَ الرَّجَا وَالتَّمَنِّي .
لَمْ أَظْهِرِ الْيَأْسَ عَنْهُ لَمَّا أَطَالَ التَّجَنِّي ^(٢) .
بَلْ قُلْتُ: يَا قَلْبُ، صُنْهُ لَدَيْكَ عَنْ سُوءِ ظَنِّي ^(٣) .
وَأَنْتِ، يَا نَفْسُ، ذُوبِي * وَيَا مُطِيلَ اعْتِرَاضِ * نَفَّذْ بِأَشِثِّ حُكْمًا * إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضٍ .

★ ★ ★

مَا حَالُ قَلْبٍ لَدَيْكَ لَا تَنْقُضِي حَسْرَاتِي -
يَشْكُو جَوَاهِ إِيْنَسِكَ وَلَيْسَ تُجِدِي شَكَائِي ^(١) .
مَهْلًا، فَنِي رَاحَتِيكَ حَيَاتِي وَمَمَاتِي -
يَا مُعْرِضِي وَطَبِيبِي * يَفِيكَ بُرْءُ الْمِرَاضِ * وَمَنْكَ قَدْ ذُبْتُ سَقَمًا * فَلْتَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ^(٢)

★ ★ ★

- (١) الربيب: (في الأصل) المرءى عند غير أبويه (المدلل - إذ يجب أن يكون محبوباً جداً حتى يربيه غير والده). يسطو: يبطش. الفيضة: مكان فيه شجر ملتف (كثيف). لوى الدين (بفتح الدال): مطله (حاول ألا يفيه، أنكره). أمَلته للتقاضي: رجوت أن يحكم في أمري بالحق (أو بالمطف).
- (٢) التجنى: نسبة جنابة (ذنب) إلى من لم يأتمها. * الهام: الشعر الابيض. الغراب: الشعر الأسود.
- (٣) صان: حفظ. من سوء ظني (من أن يصدق سوء ظني فيه).
- (٤) الجوى: شدة العشق التي تحول بصاحب العشق إلى الحزن والمرض. تحدي: تنفع. الشكاة: الشكوى.
- (٥) بغيك: في فمك (ربقك). برء: شفاء. المراض: المرضى (جمع مريض ومريضة). فلتقض... (افعل ما تريد). في القرآن الكريم (٧٢: ٢٠ طه): « قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » - (لن نسمع منك ونترك ما جاءنا من الله من قول الحق). فاحكم بما تريد لأن حكمك لا ينفذ إلا في هذه الدنيا الغانية. أما الحكم الثابت الدائم فهو في الآخرة ويكون لله وحده).

- وله أيضاً من موشحة:

بَرَحَ يَ الْهُوَى فِي اشْتِيَاقِي * فَكَمْ أَذُوبُ * وَهَذِهِ النَّفْسُ فِي التَّرَاقِي * هَلْ مِنْ طَبِيبٍ^(١)

★ ★ ★

اللَّهُ! يَا مَنْ بِهِ أَهْمِي،

فَعِنْدِي الْمَقِيدُ الْمُقِيمُ^(٢).

مَنْ رَامَ يَسْلُو فَـــــــلَا أُرِي^(٣).

هَذَا غَرَامِي عَلَيْكَ بَاقٍ * عَسَى يَنْوُبُ * لَا عَذَبَ اللَّهُ بِالْفِرَاقِ * غَيْرَ الرَّقِيبِ^(٤)

★ ★ ★

يَا شَدَّ فِي الْحُبِّ مَا لَقِيتُ^(٥):

دُهِيتُ فِيهِ بِمَا دُهِيتُ^(٦).

إِنْ قُلْتُ الْحَاطُّهُ تُمِيتُ،

فَفي الطَّلَامَةِ وَالتَّرَاقِي * مَحْيَا الْقُلُوبِ * لَأَشِيءُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعِنَاقِ * إِلَى الْكُثَيْبِ^(٧).

★ ★ ★

هِنْدُ - وَإِنْ شَفَّ حُسْبُ هِنْسِدٍ^(٨) -

-
- (١) بَرَحَ ي: آذاني اشتد عليّ. الترقوة: عظمة في أعلى الصدر (وها ترقوتان). بلغت النفس التراقي: أشرف صاحبها على الموت.
- (٢) المقعد المقيم: الهم العظيم (الذي يجعل الإنسان يقوم ويقعد: حائراً في ما يجب عليه أن يفعل).
- (٣) رام: أراد. سلا يسلو: ينسى، يتسلّى (عن همومه). رام يرم: ترك، يارح. - أنا لا أريد أن يذهب عني عذاب الحبّ.
- (٤) تاب ينوب: رجع. - عسى أن يرجع إليّ حبيبي (يرجع إلى العطف عليّ!).
- (٥) يا شدّ (ما أشدّ).
- (٦) دهى بالشيء: أصيب به (بمصيبة).
- (٧) الطلا جمع طلاء (بالضمّ): العنق، جانب العنق. الترقوة: عظم في أعلى الصدر.
- (٨) شَفَّ: أُنْجِلَ (أُسْقِمَ، أَمْرَضَ).

بَسْدُرُ غَرَامِي وَسِرُّ وَجْهِسِي^(١)،
وإنَّ عَدا حَبَّهَا وَهُغْدِي^(٢).
عسى خِلَالِ الَّذِي الْآتِي * مِنَ الْوَجِيبِ * أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ بِالتَّلَاقِي * عَمَّا قَرِيبِ^(٣).

★ ★ ★

من غَابَ في المِيدِ عن حَبِيبِي
وجَاءَ في ثوبِهِ وَطِيبِي
فَشَدَّوهُ يُظْهِرُ السَّيْءَ^(٤).
ما المِيدُ في حُلَّةٍ وَطَاقٍ * وَسَمِّ طِيبٍ * وَإِنَّمَا المِيدُ في التَّلَاقِي * مَعَ الحَبِيبِ^(٥).

٤-★★ جيش التوشيح ١٣٥ - ١٤٦ (راجع ٢٥٧ - ٢٥٨).

الحجاري صاحب «المُسَهَّب».

١- هو جاحظُ المَغْرِبِ (المغرب ٢: ٣٥) وحافظ الأندلس (نفع الطيب ٢:
٣٢٩) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي إسحاق إبراهيم^(١) بن وزمر^(٢) الصنهاجي

(١) الوجع: شدة العشق.

(٢) عدا حبها (جاوز الحد في تعذيبها). يمدى: يصيب بالمرض. حبها انتقل إلي كأنه مرض (لم أستطع أن أتجنسه).

(٣) الوجيب: خفقان القلب (من الاضطراب).

(٤) إنَّ الحَبَّ لو شدا (غشَّى) لظهر ما به (من الحزن) في غنايه.

(٥) الحَلَّة: الثوب الجميل. الطاق: الطيلسان (ثوب ثمين من حرير).

(٦) سَمِّي والده باسم جدِّه، لأنَّ والده ولد بعد موت جدِّه بقليل.

(٧) اسم والد جدِّه ولقبه «وزمر» (بضم الميم، ورياً بتشديد الزاي) كما يدل على نسبه في البربر (راجع المغرب ٢: ٣٣، نفع الطيب ٤: ١٢٣).

وكان جدُّه أبو إسحاق إبراهيم بن وزمر أديباً شاعراً (راجع المغرب ٢: ٣٣ - ٣٤). وكذلك كان عمُّه أبو محمد عبد الله (وكنيته واسمه ككنية صاحب الترجمة واسمه) أديباً شاعراً أيضاً (المغرب ٢: ٣٤).

الحِجَارِيُّ - نِسْبَةٌ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ - وَقَدْ كَانَ مَوْلَدُهُ فِي مَدِينَةِ الْفَرَجِ (أَوْ وَادِي الْحِجَارَةِ نَفْسُهَا: عَلَى نَحْوِ سِتِّينَ كِيلُومِتْرًا مِنْ مَدْرِيدٍ شَرْقًا فِي شَالٍ) ، وَذَلِكَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٠٠ (١١٠٦ - ١١٠٧ م). وَلَقَدْ نَشَأَ الْحِجَارِيُّ فِي أُسْرَةٍ عُثْبِيٍّ أَفْرَادُ مِنْهَا بِالْأَدَبِ وَأَشْتَهَرُوا بِهِ.

سَكَنَ آلُ الْحِجَارِيِّ فِي سَرَقُشْطَةَ ثُمَّ اضْطُرُّوا إِلَى مَغَادِرَتِهَا لَمَّا آسَتَوَلَّى عَلَيْهَا الْإِسْبَانُ، سَنَةَ ٥١٤ (١١١٩ م) فَأَنْتَقَلُوا - فِيمَا يَدُو - إِلَى بَلَنْسِيَّةَ (رَاجِعِ الْمَغْرِبَ ٢ : ٣٠٨). ثُمَّ سَكَنَ الْحِجَارِيُّ نَفْسَهُ فِي شِلْبَ (فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ - جَنُوبِيَّ الْبُرْتُغَالِ الْيَوْمَ) ، وَلَكِنْ أُنْتَقَلَ مُدَّةً إِلَى غَرْنَاطَةَ فَأَقْرَأَ فِيهَا الْبَلَاغَةَ.

فِي سَنَةِ ٥٣٠ (١١٣٦ م) وَقَدَّ الْحِجَارِيُّ عَلَى الْقَائِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ مَادِحًا - وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبَ قَلْعَةٍ يُخَصِّبُ^(١) - فَحَاوَلَ الْحُجَّابُ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّخُولِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لِزِيَةِ الْبَدْوِيِّ^(٢). وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ الدَّخُولَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَالَ عِنْدَهُ حُظْوَةً. وَرَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ سَعَةَ مَعْرِفَةِ الْحِجَارِيِّ بِتَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ وَبَادِيهَا فَرَعِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُصَنَّفَ لَهُ كِتَابًا يَضُمُّ مَخْتَارَاتٍ لِلْبَارِعِينَ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ. فَاسْتَقَرَّ الْحِجَارِيُّ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ نَحْوَ عَامَيْنِ (٥٣٠ - ٥٣٢ هـ) أَلْفَ لَهُ فِي خِلَالِهَا كِتَابُ « الْمُسْهَبِ ».

وَفِي سَنَةِ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) غَادَرَ الْحِجَارِيُّ قَلْعَةً يُخَصِّبُ - مَعَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ ابْنَ سَعِيدٍ كَانَ قَدْ بَالَعَ فِي إِكْرَامِهِ - مُتَمَلِّلًا بِأَنْ نَفْسَهُ تَوَاقَّةٌ إِلَى التَّنَقُّلِ وَالرَّحْلَةِ ، وَقَدِمَ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ هُوْدٍ فِي رُوْطَةَ (قُرْبَ سَرَقُشْطَةَ). وَاتَّفَقَ أَنَّ الْمُسْتَنْصِرَ كَانَ فِي ذَلِكَ

(١) بنو سعيد أسرة بنية الأصل جاء أولهم مع جيش الفتح (مع طارق بن زياد)، ونزلوا منذ ذلك الحين قرب غرناطة في قلعة تدعى قلعة أسطير فسميت باسم « قلعة بحصب » (نسبة إلى قبيلة بني سعيد اليمنية) ثم اشتهرت باسم « قلعة بني سعيد ». وفي الزمن الذي جاء فيه الحجاري إلى عبد الملك بن سعيد كان عبد الملك هو المتولي للقلعة وكان يدين بالطاعة لملي بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). - راجع نفع الطيب (٢ : ٢٧٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠). القائد (هو الوالي على مقاطعة - ولا تزال هذه الكلمة تستعمل بهذا المعنى في المغرب إلى اليوم). وبحصب بفتح الباء وكسر الحاء.

(٢) راجع نفع الطيب ١ : ١٣٢ - وكان الغالب على ما حول وادي الحجاره البداوة في طبيعة الأرض وفي عادات السكان (راجع نفع الطيب ١ : ٣٤٣).

الحين خارجاً في غَزْوَةٍ إلى أرضِ نِبرَه (على مَقْرُبَةٍ من حدودِ بلادِ الفَرَنْجَةِ على البحر) فرافقه الحِجَارِيُّ. انهزمَ ابنُ هود في هذه الغزوة ووقع الحِجَارِيُّ في الأسر. واستنجد الحِجَارِيُّ بابنِ هود لِيَقْتَدِيَهُ فلم يفعل ابنُ هود ذلك. ثم استنجدَ بعبدِ الملكِ بنِ سعيد فافتداه، فكان بذلك « طليق آل سعيد ».

ويبدو أنه في تلك الفترة - بعد تأليف كتاب « المُسَهَّب » ومغادرة قلعةٍ يحصِبُ كَثُرَ تطوافُ الحِجَارِيِّ في عددٍ من المُدُنِ الأندلسية: كان في باغَةٍ من كورةٍ إلْبيرة (نفع الطيب ٢: ١٥٥) ثم في أماكنٍ أُخرى، كما نجد في كتاب « المغرب »: في لُوشة (٢: ١٥٨) ولورقة (٢: ٢٧٥) وغرناطة (٢: ١٦٠).

ولعلَّ وفاةَ الحِجَارِيِّ^(١) صاحبِ « المُسَهَّب » كانتْ نحو سَنَةِ ٥٥٠ (١١٥٥ م) أو بعدَ ذلك بقليلٍ.

٢ - كان الحِجَارِيُّ أديباً بليغاً وناظماً ناثراً ومن ذَوِي البراعة في التصنيف (راجع المغرب ٢: ٣٥). وشِعْرُهُ مدحٌ وخمرٌ وغَزَلٌ ووَصَفٌ. ولكنْ نثرُهُ وتَصْنِيفُهُ أعلى مرتبةً من شعره. ثم إنه كان ناقداً. ومعَ أَنَّ النقدَ كان قد آرْتَمَى، في ذلك الحين في الأندلس، فإنَّ نقدَ الحِجَارِيِّ ظلَّ بدائياً يَقِفُ عند اللفظةِ أو عند البيتِ أو عند القصيدة. وأكثرَ أحكامِهِ تجري في جُمْلٍ لفظيةٍ عاطفيةٍ معَ كثيرٍ من المبالغة. فَمِنْ وَجوهِ نقْدِهِ:

★ قال عن يحيى بن سَهْلٍ اليكبي (المغرب ٢: ٢٦٦): هو ابنُ روميٍّ عَصْرِنَا وَحُطْبَيْتُهُ دَهْرِنَا، لا تُجيدُ قريحَتَهُ إِلَّا في الهِجَاءِ ولا تَنْشَطُ بِهِ في غيرِ ذلك من الأنحاء.

(١) في « تاريخ الفكر الأندلسي » (ص ٢٧٢) أنَّ مولده كان سنة ٤٩٩ وأنَّ وفاته كانت سنة ٥٤٩. وقال نيكل (ص ٢٦٣) إنَّ الحِجَارِيَّ تُوُفِّيَ سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) قبل ابنِ قزمان (الأصغر) بخمس سنوات. وقد اخترت أن أعتمد قول نيكل لتدقيقه في مثل هذه الأمور ولأنَّه أكَّدَ قوله بمقارنة بين وفاة الحِجَارِيِّ ووفاته ابنِ قزمان. ونيكل هو الثقة في بحوث ابنِ قزمان. وذكر خير الدين الزركلي مثل ذلك (الأعلام ٤: ١٨٧). وكذلك نسب الزركلي إلى الحِجَارِيِّ هذا كتاب « الهدية في البديع » مع أنَّ « الهدية في البديع » (وهي كتاب في فنِّ البديع من فنون البلاغة) لعمِّه الأديب أبي محمد عبد الله (المغرب ٢: ١٣٤) نفع الطيب ٥: ٥٧٢، راجع ٥٧١).

★ وقال ... (المغرب ٢ : ٣١٥): له نظم أرقُّ من دَمْعَةٍ مَهْجُورٍ تُدَارِ عَلَيْكَ بِهِ صَافِيَةُ الْحُمُورِ.

★ وقال في ابن الرِّقَاق (المغرب ٢ : ٣٢٣): ... من فِتْيَانِ عَصْرِنَا الذِّينَ أَشْتَهَرَ ذِكْرُهُمْ وَطَارَ شِعْرُهُمْ. وهو جَدِيرٌ بِذَلِكَ، فَلْيَشِعْرِهِ تَعَثَّقُ بِالْقُلُوبِ وَتَعَلَّقُ بِالسَّمْعِ^(١). وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الطَّبِيعِ الْقَابِلِ كَوْنُهُ أَسْتَمَدَ مِنْ خَالِهِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ خَفَاجَةَ وَنَزَعَ مَنَزَعَهُ^(٢).

★ وقال (المغرب ٢ : ٤٠٥): كَاتِبٌ بَلِغٌ الْكِتَابَةِ كَثِيرُ الْإِصَابَةِ.

★ وَأَطْنَبَ الْحِجَارِيُّ فِي الثَّنَاءِ عَلَى ابْنِ شَرْفٍ الْقَيْرَوَانِي، وَعَظَّمَهُ فِي الشَّعْرِ بِقَوْلِهِ فِي ابْنِ صَادِحٍ:

لَمْ يَنْتَقِ لِلْجَوْرِ فِي أَيَّامِكُمْ أَثَرٌ إِلَّا الَّذِي فِي عُيُونِ الْغَيْدِ مِنْ حَوَرٍ^(٣).

★ وَلَمَّا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ مِنْ أَيْبَاتٍ لَهُ:

وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَحْكِي ذَهَبًا فِي لَازُورِدٍ^(٤).

قَالَ الْحِجَارِيُّ: لَوْ قَالَ «لَوْلُوا فِي لَازُورِدٍ» لَكَانَ أَحْسَنَ تَشْبِيهًا (نفع الطيب ١ : ٤٣٦).

★ وَقَدْ قَدَّمَ الْحِجَارِيُّ صَاعِدًا اللَّغْوِيَّ الْبَغْدَادِيَّ بِقَوْلِهِ: (نفع الطيب ٣ : ٩٦):

كَأَنَّ إِبْرِيْقَنَا وَالرَّاحَ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَسَاوَلُ يَاقُوتَا يَنْقَارِ.

وَيُكَثِّرُ الْحِجَارِيُّ عِنْدَ النِّقْدِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ (المغرب ٢ : ٤٠ و ٣٦٧):

★ أَبُو تَمَّامٍ غَالِبٌ بْنُ رَبَاحٍ الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّامِ «شَاعِرُ الْقَلْعَةِ الَّذِي نَوَّهَ بِقَدْرِهَا

وَرَفَعَ مِنْ فَخْرِهَا، لَا أَحَاشِي حَدِيثًا وَلَا قَدِيمًا وَلَا أَخَصُّ لَيْثًا وَلَا كَرِيمًا»... وَأَبُو

(١) تَعَثَّقَ: التَّصَاقَ. تَعَلَّقَ بِالسَّمْعِ (حفظ سهل دائم).

(٢) نَزَعَ مَنَزَعَهُ (سار على طريقته).

(٣) الْحَوَرُ: الظُّلْم. الْحَوَرُ: اشْتِدَادُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَاشْتِدَادُ سَوَادِهَا.

(٤) لَازُورِدٍ: لَوْنٌ أَزْرَقٌ مَائِلٌ إِلَى الْحُمْرَةِ (بِنَفْسِي قَاتِم).

إسحاق إبراهيم بن خفاجة « هو اليوم شاعر الجزيرة، لا أعرف فيها شرقاً ولا غرباً نظيره ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قرطبة (نفع الطيب ١: ١٥٣) من « المسهب »:

كانت قرطبة في الدولة المروانية^(١) قبة الإسلام ومجتمع أعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليبانية^(٢)، وإليها كانت الرحلة في الرواية، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء^(٣). وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد. ونهرها من أحسن الأنهار مكتنف بدياج المروج^(٤) مطرز بالأزهار، تصدح في جنباتها الأطيوار وتنمر النواوير وينسم التوار^(٥). وقرطابها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وأقفا النماء والسرء^(٦). وإن كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة^(٧) أوجيها الحسان، فتلك عادته - وسل الحورنق والسدير وعمدان^(٨) - وقد أعذر (الزمان) بإنذاره إذ لم يزل يُنادي بصروفه^(٩): لا أمان، لا أمان. وقد قال الشاعر:

وما زلت أسمع أن الملو لك تبني على قدر أخطارها^(١٠).

- (١) الدولة المروانية: دولة بني أمية في الأندلس.
- (٢) تمخضت: صفت (أصبحت صافية). المعدية (من معد): عرب الشمال. اليبانية: عرب الجنوب.
- (٣) في الرواية (أخذ العلم والأخبار). المدن: الأصل. المصدر.
- (٤) مكتنف: محاط. دياج: (هنا): اللون الأخضر (النبات الكثير).
- (٥) نمر: صاح، صوت، غرد، غنى. التوار جمع نؤارة (بالضم): زهرة.
- (٦) القرط (بالضم): حلية تعلق في الأذن. الزاهرة (مدينة بناها المنصور بن أبي عامر لتكون مركزاً لدولته وسكنها لرجالها). والزهراء (مدينة بناها عبد الرحمن الناصر...). النماء (النعمة) والسرء (السرور).
- (٧) أخنى عليها الزمان (طال عليها وأهلك أهلها). البهجة: الحسن وتلاؤه.
- (٨) الحورنق والسدير (قصران في العراق) وعمدان (قصر في اليمن) وصفت كلها بالعظم والجمال.
- (٩) أعذر: أصبح له عذر (لا لوم عليه - لأنه كان صريحاً في تنبيهه الناس إلى عواقب الأمور). صرف (بالفتح) الزمان: الحادث، المصيبة.
- (١٠) الخطر (بفتح ففتح): الشرف والمكانة.

- ابن بَسَّام الشَّتْرِينِي (المغرب ١: ٤١٧ - ٤١٨) من «المُسَهَّب»:

العَجَبُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ الْآدَابِ الْأَنْدَلِسِيَّةِ أَنَّهُ سَيَبْعَثُ مِنْ شَتْرَيْنِ قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَمَحَلِّ الطِّمَنِ وَالضَّرْبِ ^(١) مَنْ يَنْظِمُهَا قَلَائِدَ فِي جِيدِ الدَّهْرِ وَيُطْلِعُهَا ضَرَائِرَ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرِ ^(٢) . - وَلَمْ يَنْشَأْ بِحَضْرَةِ قُرْطُبَةَ وَلَا بِحَضْرَةِ إشبيلية وَلَا غَيْرِهَا مِنَ الْحَوَاضِرِ ^(٣) الْعِظَامِ مَنْ يَمْتَعِضُ امْتِعَاضَهُ لِأَعْلَامِ عَصْرِهِ وَيَجْهَدُ فِي جَمْعِ حَسَنَاتِ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ. وَسَلِ «الذَّخِيرَةَ» فَإِنَّهَا تُعْنَوْنَ عَنْ مَحَاسِنِهِ الْغَزِيرَةِ ^(٤) .

- وَقَالَ فِي وَصْفِ بَلَنْسِيَّةِ (المغرب ٢: ٢٩٧):

مَطِيبُ الْأَنْدَلُسِ وَمَطْمَعُ الْأَعْيُنِ وَالْأَنْفُسِ. قَدْ خَصَّصَهَا اللَّهُ بِأَحْسَنِ مَكَانٍ وَحَفَهَا بِالْأَنْهَارِ وَالْجَنَانِ. فَلَا تَرَى إِلَّا مِيَاهًا تَتَفَرَّغُ، وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا أَطْيَارًا تَسْجَعُ، وَلَا تَسْتَنْشِقُ إِلَّا أَزْهَارًا تَنْفَحُ، وَمَا أَجَلْتُ لَحْظًا بِهَا فِي شَيْءٍ إِلَّا قُلْتُ: هَذَا أَمْلَحُ! وَلَهَا الْبُحَيْرَةُ الَّتِي يَزِيدُ فِي ضِيَاءِ بَلَنْسِيَّةِ صَحْوُ الشَّمْسِ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ إِنَّ ضَوْءَ بَلَنْسِيَّةِ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ سَائِرِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَجَوَّهَا صَقِيلٌ أَبَدًا لَا تَرَى فِيهِ مَا يُكَدِّرُ خَاطِرًا وَلَا بَصَرًا، لِأَنَّ الْجَنَنَاتِ أَحْدَقَتْ بِهَا فَلَمْ يُثَرِّ بِأَرْجَائِهَا تُرَابٌ مِنْ سَيْرِ الْأَرْجُلِ وَهَبُوبِ الرِّيَّاحِ فَيُكَدِّرُ جَوَّهَا. وَهَوَاؤُهَا حَسَنٌ لَتَمَكَّنْهَا مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ * وَأَخَذَهَا مِنْ كُلِّ حُسْنٍ بِنَصِيبٍ. وَلَهَا الْبَحْرُ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَرُّ الْمُتَسِعُ. وَحَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ جِهَاتِهَا لَا تَلْقَى إِلَّا مَنَازِلَ وَمَسَارِحَ، وَمَنْ أَبْدَعَهَا وَأَشْهَرَهَا الرُّصَافَةُ وَمُنِيَّةُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَهِيَ

(١) محلّ الطمن (بالرماح) والضرب (بالسيوف): بلد الاضطراب والحرب.

(٢) ينظمها = ينظم الآداب. القلائد: العقد يلبس فيه العنق. الضرة (بالفتح): الزوجة الثانية (المنافسة، الجارية). الزُّهْرُ: اللامعة.

(٣) الحاضرة: البلد الكبير، العاصمة.

(٤) امتعض: غضب، شقّ، (كره) ٢٢ يقصد: اهتمّ، واعتنى. الذخيرة = «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (كتاب ابن بَسَّام الشَّتْرِينِي). عَنَوْنَ عَنْ (كشف، دلّ على). الغزير: الكثير.

(*) كان القدماء يعتقدون أَنَّ القسم المسكون من الأرض إِنَّمَا هُوَ نِصْفُهَا الشَّمَالِي (من خطّ الاستواء إلى القطب الشمالي). وقد قسموا هذا النصف الشمالي من الأرض سبعة أقاليم، فكان الإقليم الرابع الذي في وسط هذه الأقاليم «أعدل بقاع الأرض» عندهم. - لتمكُّنها من الإقليم الرابع (لوجودها في وسط الإقليم الرابع).

مدينة مُتَمَكِّنَةُ الحضارةِ جليلةُ القدرِ .

- مَقَاطِعُ مِنْ آثَارِ الْحِجَارِيِّ صَاحِبِ « الْمُسْهَبِ » (من كتاب « المغرب »):

★ ★ كَانَ أَلَزَمَ لِلكَأْسِ مِنَ الْأَطْيَارِ لِلْأَغْصَانِ، وَأَوَّلَعَ بِهَا مِنْ خِيَالِ الْوَاصِلِ بِالْهَجْرَانِ (١: ٨٥).

★ ★ وَقَالَ فِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ الْأَعْمَى الْخَزُومِيُّ^(١) (١: ٢٢٣): بَشَارُ^(٢) الْأَنْدَلُسِ انْطِبَاعاً وَلَسْنَا وَأَذَاةً^(٣). وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا سِيرَةَ الْحَطِيبَةِ^(٤) بِالْأَنْدَلُسِ فَمَقَّتْ^(٥). وَكَانَ لَا يَسْلُمُ مِنْ هَجْوِهِ أَحَدٌ: وَلَا يَزَالُ يَخْطُ الْأَفَاقَ بَعْصَاهُ، وَيَقَعُ فِي مِنْ أَطَاعِهِ وَعَصَاهُ^(٦). وَأَصْلُهُ مِنَ الْمُدُورِ، وَفَرَّ إِلَى قُرْطُبَةٍ. ثُمَّ جَالَ عَلَى الْبُلْدَانِ وَأَكْثَرَ الْإِقَامَةَ فِي غِرْنَاةٍ وَتَعَرَّضَ لِشَاعَرَتِهَا نَزْهَوْنَ وَهَجَاها.....

★ ★ مُرْسِيَّةُ أُخْتُ إِشْبِيلِيَّةَ: هَذِهِ بَسْتَانُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، وَهَذِهِ بَسْتَانُ غَرْبِهَا. قَدْ قَسَمَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا النَّهْرَ الْأَعْظَمَ^(٧) فَأَعْطَى هَذِهِ الذِّرَاعَ الشَّرْقِيَّ وَأَعْطَى هَذِهِ الذِّرَاعَ الْغَرْبِيَّ. وَلِمُرْسِيَّةٍ مَرْيَّةٌ تَنْسِيرُ السُّقْيَا مِنْهُ. وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ إِشْبِيلِيَّةُ، لِأَنَّ نَهْرَ مُرْسِيَّةٍ يَرْكَبُ أَرْضَهَا، وَإِشْبِيلِيَّةُ تَرْكَبُ نَهْرَهَا^(٨). وَلِمُرْسِيَّةٍ فَضْلٌ مَا يُصْنَعُ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْحُلَلِ وَالِدِيَّاجِ، وَهِيَ حَاضِرَةٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ الْمَكَانِ كَثِيرَةُ الْإِمْكَانِ^(٩) (٢: ٢٤٥).

(١) كَانَ شَاعِراً زَكِيًّا، وَلَكِنَّهُ مَعْرُوفٌ بِالْهَجَاءِ، مَقْنَعٌ فِي الْقَوْلِ تُوَفِّيَ بِهِ ٥٤٠.

(٢) كَانَ بَشَّارَ بْنَ بَرْدٍ شَاعِراً أَكْمَهُ (أَعْمَى مِنْذُ الْوِلَادَةِ)، بَارِعاً فِي فُنُونِ الشُّعْرِ وَأَنْوَاعِهِ، شَدِيدُ الْهَجَاءِ (ت ١٦٧).

(٣) الْإِنْطِبَاعُ (هَذَا): الطَّبَعُ فِي قَوْلِ الشُّعْرِ. اللَّسَنُ: الْفَصَاحَةُ.

(٤) الْحَطِيبَةُ: شَاعِرٌ إِسْلَامِي شَدِيدُ الْهَجَاءِ (ت ٥٩).

(٥) مَقَّتْ: كَرِهَ.

(٦) يَخْطُ (يَضْرِبُ) الْأَفَاقَ (أَطْرَافَ الْبِلَادِ): يَتَطَوَّفُ فِي الْأَرْضِ. وَقَعَ فُلَانٌ فِي فُلَانٍ: قَالَ فِيهِ قَوْلًا قَبِيحًا.

(٧) الْوَادِي (النَّهْرُ) الْكَبِيرُ: نَهْرُ قُرْطُبَةٍ.

(٨) يَرْكَبُ أَرْضَهَا: يَجْرِي إِلَيْهَا مِنْ أَمَاكِنَ أَعْلَى مِنْهَا. إِشْبِيلِيَّةُ تَرْكَبُ نَهْرَهَا: تَقُومُ عَلَى أَرْضٍ أَعْلَى مِنْ مَسْتَوَاهِ.

(٩) حَاضِرَةٌ: بَلَدُ السُّلْطَانِ (عَاصِمَةٌ). كَثِيرَةُ الْإِمْكَانِ: ذَاتُ مَرَاقِقٍ (أَوَّجَةٍ لِلْمَعِيشَةِ وَالْإِدَارَةِ) كَثِيرَةٌ.

- وَقَدْ الْجِجَارِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَمِيدٍ يَدْحُهُ (٢: ٣٥ - ٣٦؛ نفع الطيب ٤:

١٢٤) فقال:

عَلَيْكَ أَحَالَنِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَجِئْتُ وَمِنْ ثَنَائِكَ لِي دَلِيلُ
.....
وَوَدَّعْتُ الْحَبِيبَ بِغَيْرِ صَبْرٍ وَلَمْ أَسْمَعْ لَهَا قَالِ الْعَذُولُ (٢)
وَأَسْتَبَلْتُ الظَّلَامَ عَلَيَّ سِتْرًا، وَنَجَمُ الْأَفْقِ نَاطِرُهُ كَلِيلُ (٣)
وَلَمْ أَشْكُ الْمَجِيرَ وَقَدْ دَعَانِي إِلَى أَفْيَائِكَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ (٤)
أَتَيْتُ وَلَمْ أَقْدَمْ مِنْ رَسُولٍ، لِأَنَّ الْقَلْبَ كَانَ هُوَ الرُّسُولُ (٥)
أَجَلَ طَرَفًا لَدَيَّ، فَإِنَّ عِنْدِي مِنَ الْأَدَابِ مَا يَحْوِي الْخَلِيلُ (٦)
وَمَثَّلَنِي بِدَنْ فِيهِ سِرٌّ يَخِيفُ بِهِ وَمَنْظَرُهُ ثَقِيلُ (٧)!

- وقال (نفع الطيب ٤: ٧٦ - ٧٧):

كَمْ بَيْتٌ مِنْ أَسْرِ السُّهَادِ بَلِيلُهُ نَادَيْتُ فِيهَا: هَلْ لِيَجْنَحَكَ آخِرُ (٨)
إِذْ قَامَ هَذَا الصُّبْحُ يُظْهِرُ مَلَّةً حَكَمْتَ بِأَنْ ذُبِيعَ الظَّلَامِ الْكَافِرُ (٩).

(١) جاء البيت الأول في «المغرب» (٢: ٣٥) كما أثبتته. وجاء في نفع الطيب (٤: ١٢٤) وعجزه (بنفع
ضم) ما أثبتته بعد النقط.

(٢) العذول: الذي يلوم المحبين.

(٣) أسبل: مد. كليل: ضعيف. - جئت في ليلة شديدة السواد (لشدّة حاجتي).

(٤) المجير (اشتداد الحر).

(٥) حقّ الرسول بلقي القافية) أن تكون منصوبة (لأنها خير كان). أمّا الضمير «هو» فهو توكيد لاسم
كان.

(٦) أجل طرفاً (نظراً، عيناً) لديّ: انظر ما عندي. الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٤ هـ) من العلماء في
صدر الدولة العبّاسية، سبق إلى تدوين علوم كثيرة: اللغة (في كتاب العين) والنحو والمعرض (أوزان
الشعر) وكان شاعراً.

(٧) الدنّ: خابية (وعاء كبير من فخار) للخمير خاصة: منظره الخارجي غير جميل، ولكن فيه خيراً تهمت
في شاربها نشوة.

(٨) السهاد: السهر، وقلة النوم. المنح: الجانب من الليل.

(٩) الملة، الملل، السأم. الكافر: الذي يغطي الأشياء ويستترها. - بدأ الصبح يتململ من طول الليل =

- وقال الجعاري (نفع الطيب ٣ : ٣٤٦) من « المسهب » :

كَتَبْتُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ اللَّوْثِيِّ^(١) أَسْتَدْعِي مِنْهُ شِعْرَهُ لِأَكْتُبَهُ فِي كِتَابِي، فَتَوَقَّفَ عَنِّي. فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

يَا مَانِعاً شِعْرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أَدَبٍ نَائِي الْمَحَلَّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُتَغَرِّبٍ :
يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَجَهٍ كَمَا يُرَى نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْعَذَبِ^(٢) ،
إِنِّي وَحَقَّ أَهْلٌ أَنْ أَفُوزَ بِهِ ؛ وَأَسْأَلُ - فَدَيْتَكَ - عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أَدْيِي .
فَكَانَ جَوَابُهُ :

يَا طَالِباً شِعْرٍ مِنْ لَمْ يَسْمُ بِالْأَدَبِ ، مَاذَا تَرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرِ مُنْتَخَبٍ ؟

.....

ثُمَّ كَتَبَ لِي مِمَّا أَتَحَفَّنِي بِهِ مِنْ نَظْمِهِ أَهْبَى مِنْ الْأَقْمَارِ وَأَرْقُ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ .

- قَالَ الْجَعَارِيُّ يَمْدَحُ بَنِي سَعِيدٍ (نفع الطيب ٢ : ٣٣٠) :

قَوْمٌ لَهُمْ فِي فَخْرِهِمْ شَرَفُ الْحَدِيثِ مَعَ الْقَدِيمِ ،
وَرِثُوا النَّدَى وَالْبَأْسَ وَالْ حَلْيَا كَرِيماً عَنْ كَرِيمِ^(٣) :
مِنْ كُلِّ وَضَّاحٍ بِهِ يُجْلَى دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ^(٤) .

- وَقَالَ فِي مَدْحِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ :

مَلِكُكَ طُفَيْلِيُّ السَّامَا ح عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ^(٥) .

= ويرسل أشعته الحمراء (الفجر الذي يشبه الدم في لونه) ، فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِهَاءِ اللَّيْلِ (أَهَامُ شَقَائِي) . فِي الْكَافِرِ (تُورِي) (كَأَنَّ اللَّيْلَ قَدْ ذَبَحَ) .

(١) لَمْ أَعْثُرْ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ اللَّوْثِيِّ هَذَا . فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥ : ١٢ ، ٧ : ١٤٧ ، ١٦٦) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

اللَّوْثِيُّ الْخَطِيبُ الْبَلِيغُ مِنْ شَيْخِ ابْنِ زَمْرَكٍ ، وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ جَدًّا عَنْ عَصْرِ الْجَعَارِيِّ .

(٢) يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ ... (سُتَشْتَهَرُ إِذَا وَرَدَ ذِكْرُكَ فِي كِتَابِي) الْعَذَبُ جَمْعُ عَذْبَةٍ (يَفْتَحُ فَفَتْحَ فِيهَا) : طَرَفُ

الْعَامَةِ الْمُدَّتِي وَغَيْرِ الْعَامَةِ .

(٣) الْبَأْسُ : الشَّدَّةُ (الْقِتَالُ ، الْحَرْبُ) .

(٤) وَضَّاحٌ : أَبْيَضٌ . الْبَهِيمُ : الَّذِي لَا عَلَامَةَ فِيهِ تَمَيِّزُهُ مِنْ غَيْرِهِ (اللَّيْلِ الْبَهِيمُ : الشَّدِيدُ السَّوَادِ) .

(٥) طُفَيْلِيُّ (٢) السَّاحِلِ (السَّاهِلُ وَسُوءُ الصَّدْرِ) ، وَلَمَّا الشَّاعِرُ يَقْصِدُ السَّاحَةَ (الْكُرْمَ) . - سَاحَ طُفَيْلِي :

مَعْرُوفٌ يَصِلُ إِلَى النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَهُ النَّاسُ .

مَا فُرِّجَتْ أَبْوَابُهُ إِلَّا تَفَرَّجَتِ الشَّدَائِدُ^(١).
* وفي مدح بني سعيد أيضاً:

وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجِياً خَيْرَ عُصْبَةٍ هُمْ فِي بَنِي أَرْمَانِهِمْ كَالْمَوَاسِمِ^(٢).

مُشَنَّفَةٌ أَسْمَاعُهُمْ بِفَضَائِلِي، مَسُورَةٌ أَنْيَانُهُمْ بِالصَّوَارِمِ^(٣).
فَكَمْ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ فَضْلِ نَاقِرٍ، وَكَمْ لَهُمْ فِي السَّلْمِ مِنْ فَضْلِ نَازِمِ^(٤).

* فِي الْغَزْلِ وَالْخَمْرِ:

زَارَتْكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ كَالْفُضْنِ يَثْنِيهِ النَّسِيمِ.
سَلَبَتْ ظِلَامَ اللَّيْلِ مَا أَبْصَرْتَ فِي الْعَقْدِ النِّظِيمِ^(٥).
فَلِذَاكَ أَمْسَى عَاطِلُ الْآ فِئَاقِ مُنَوَّدِ الْأَدِيمِ^(٦).
لَوْ لَا الْمَدَامُ لَمَّا أَهْتَدَى فِيهِ إِلَى كَأْسِ نَدِيمِ^(٧).

وَتَقُومُ شُهْرَةُ الْحِجَارِيِّ عَلَى كِتَابِهِ « الْمُسْهَبِ »^(٨):

أ- أَلَّفَ الْحِجَارِيُّ كِتَابَ « الْمُسْهَبِ » وَهُوَ مُقِيمٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (المغرب ٢ : ١٦٠). وكان- في أثناء التأليف- يكتبُ إلى الشعراء يطلبُ منهم أشياء من نتائجهم (نفع الطيب: ٣ : ٣٤٦) وربما زارهم في بلدانهم من أجل ذلك (راجع نفع الطيب: ٢ : ٣٨١). وكتاب « المسهب » هذا هو الذي وسَّعه بنو سعيد في جوانب ثم هذبوه واختصروه في جوانب أخرى حتى أصبح الكتاب المعروف باسم « المُغْرِبِ »

- (١) إذا فتحت أبوابه تفرَّجت (زالت) الشَّدَائِدُ (الصر في أسباب الحياة).
- (٢) أنجب الرجل: رزق أبناء فاضلين. الموسم: العيد.
- (٣) - أَسْمَاعُهُمْ (أَذَانُهُمْ) مُشَنَّفَةٌ (معلَّقة بها أقرطاع: تسع دائماً) بِالْفَضَائِلِ. أَنْيَانُ جَمْعُ بَيْنِ (اليد اليسرى) مَسُورَةٌ (محمية) بِالصَّوَارِمِ (بِالسُّيُوفِ) كِتَابَةٌ عَنْ شَجَاعَتِهِمْ.
- (٤) فِي الْحَرْبِ يَنْتَرُونَ (يَفْرُقُونَ، يَقْتُلُونَ) أَعْدَاءَهُمْ، وَفِي السَّلَامِ يَنْظُمُونَ (يَجْمَعُونَ) أَتْبَاعَهُمْ.
- (٥) مَا أَبْصَرْتَ فِي الْعَقْدِ (الْوَلْوُلُ الَّذِي يَشَبُّ النُّجُومَ).
- (٦) الْعَاطِلُ: الْمَرَأَةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي تَسْتَفْنِي بِجَاهِهَا الطَّبِيعِيَّ عَنِ الْحُلِيِّ. الْأَدِيمُ: الْجِلْدُ (صَفْحَةُ السِّلْمِ).
- (٧) الْمَدَامُ الْخَمْرُ. ضِيَاءُ الْخَمْرِ جَمْعُ النَّاسِ عَلَى الْمَشَارَكَةِ فِيهَا. (شَهْرَتَكُمْ بِالْكَرَمِ جَمَعْتُ النَّاسَ بِقَصْدِ وَنُكْمٍ).
- (٨) وَالْمُسْهَبُ (بِكسر الهاء): الْفَصْلُ. أَمَّا الْمُسْهَبُ (بفتح الهاء) فَمَا كَانَ فِيهِ تَطْوِيلٌ بِلَا فَايِدَةٍ.

في حُلَى الْمَغْرِبِ ». ويبدو أن كتابَ « السُّهْب » قد بَقِيَ قائماً بنفسِه مُستقلاً عن كتاب « الْمَغْرِب » إلى أيامِ الْمُقَرِّي (ت ١٠٤١ للهجرة) وقد وَصَفَه الْمُقَرِّي فقال (٢: ٣٢٩):

« وَقَصَدَهُ * سَنَةَ ٥٣٠، حَافِظُ الْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحِجَارِيِّ وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابَ « السُّهْبِ فِي غَرَائِبِ الْمَغْرِبِ »، فِي نَحْوِ سِتَّةِ أَصْفَارٍ^(١). وَابْتَدَأَ فِيهِ مِنْ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى التَّارِيخِ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيهِ، وَهُوَ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةً^(٢)... ».

وذكر الْمُقَرِّي هذا الكتابَ مرَّةً (نفع الطيب: ٣: ١٨٣) باسمِ « السُّهْبِ فِي فَضَائِلِ الْمَغْرِبِ » ومرتين (١: ٥٧٥، ٤: ٧٦) باسمِ « السُّهْبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ ». فإذا كانتْ هذه الأسماءُ الثلاثةُ عنواناً لكتابٍ واحدٍ، فمعنى ذلك أن الْحِجَارِيَّ كَانَ قد تَوَسَّعَ كثيراً في الجانبِ التَّارِيخِيِّ حتَّى قَالَ الْمُقَرِّي نفسه (١: ٥٧٥): « وَهَذَا مَنَقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْحِجَارِيِّ فِي « السُّهْبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » فَإِنَّهُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ (مِمَّا فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الْأُخْرَى) ». وكذلك يَنْقُلُ الْمُقَرِّي أحياناً صَفَحَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ تَتَعَلَّقُ بِتَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ، كَمَا نَجِدُ مثلاً فِي أَخْبَارِ مُعَيْتٍ فَاتِحٍ قُرْطُبَةَ (١: ١٢ - ١٤) وَفِي أَخْبَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ (راجع ٣: ٣٩ - ٤٧).

ب- « ... وَكِتَابُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجَارِيِّ الْمُسَمَّى « بِالسُّهْبِ فِي فَضَائِلِ الْمَغْرِبِ »، صَنَّفَهُ بَعْدَ الذَّخِيرَةِ وَ« الْقَلَائِدِ »^(٣) مِنْ أَوَّلِ مَا عُمِرَتْ^(٤) الْأَنْدَلُسُ إِلَى عَصْرِهِ. وَخَرَجَ فِيهِ عَنْ مَقْصِدِ (هَذَيْنِ) الْكِتَابَيْنِ^(٥) إِلَى ذِكْرِ الْبِلَادِ وَخَوَاصِّهَا مِمَّا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ الْجُغْرَافِيَا وَخَلَطَهُ بِالتَّارِيخِ وَتَفَنَّنَ الْأَدَبِ^(٦)... وَلَمْ يُصَنَّفْ فِي الْأَنْدَلُسِ مِثْلُهُ » (نفع الطيب: ٣: ١٨٣).

ج- وَفِي كِتَابِ السُّهْبِ لِلْحِجَارِيِّ فِي هَذَا الشَّانِ^(٧) - وَفِي تَدْيِيلِنَا عَلَيْهِ - فِي

(١) السفر (بالكسر): الجزء، المجلد، الكتاب.

(٢) ١١٣٥ - ١١٣٦ للميلاد.

(٣) « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بَاسَمِ الشَّنَرِيِّ ثم « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان.

(٤) عمر (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الدار (سكنها الناس).

(٥) أي « الذخيرة و« القلائد ».

(٦) تفنن الأدب: تنوع (٢) أوجه الأدب.

(٧) في هذا الشأن: (هنا) في الجغرافيا.

هذا الكتاب الجامع^(١) ما جَمَعَ زُبْدُ^(٢) الأوَّلَيْنِ والآخرين في ذلك (نفع الطيب ٣ : ١٨٥).

٤- ** المغرب ٢ : ٣٥ - ٣٦ ثم راجع الفهرس الهجائي؛ ويمدّ كتاب «المغرب» كلّهُ إيجازاً من جانب، وتوسيعاً (في عدد التراجم) من جانب آخر، لكتاب «السهب» - نفع الطيب (راجع الفهرس الهجائي)؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٨٧ (٦٣)؛ نيكل ٢٦٢، بالنشيا ٢٧٢ - ٢٧٣.

أبو جعفر بن عطية

١- هو أبو جعفر أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي، أصلُ أسرته من طُرُوشة ثم انتقلت إلى دانية ثم إلى مراكش. وكان مولد أبي جعفر سنة ٥١٧هـ^(٣) في مراكش، وفيها نشأ وتلقّى العلم على والده وعلى نفرٍ كثيرٍ من علماها.

دخل أبو جعفر في خدمة المرابطين فكان كاتباً لدى علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ولدى ابنَيْهِ تاشفين (٥٣٧ - ٥٤٠ هـ) وإسحاق (٥٤٠ - ٥٤١ هـ). ولما سقطت دولة المرابطين، سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ - ١١٤٧ م) استتر أبو جعفر بن عطية وتزوّج بزيّ الجند. ثم تطوَّع في جيش للموحدين لمحاربة محمد بن هود الماسي الذي ثار في السوس (جنوب المغرب)، سنة ٥٤١ هـ، انتصاراً للمرابطين. وبعد هذه المعركة التي انهزم فيها ابن هود الماسي وقتل، كتب أبو جعفر بن عطية (في خبر طويل) رسالة بالفتح إلى الخليفة عبد المؤمن، فاتخذهُ عبد المؤمن كاتباً. ثم جعله وزيراً.

ولما هاجم الإسبان مدينة المرية استنجدَ إليها السيد أبو سعيد بمجد المؤمن، فأرسل عبد المؤمن حملة بقيادة ابنه يوسف وجعلَ معه الوزيرَ أبا جعفر بن عطية.

(١) أي في «المغرب في حلّ المغرب».

(٢) زيد جمع زبدة (بالضم): خلاصة.

(٣) الأدب المغربي (ص ١٧٤) وفي الإحاطة (١ : ٢٧٩) ٥٢٧ وأظنه خطأ مطبعياً.

وبعد نجاح الحملة زار أبو جعفر مدينة غرناطة (٥٥١ هـ) وإشبيلية.

وبينا كان أبو جعفر في الأندلس نقلَ حسَّادهُ إلى عبد المؤمن وشايةً صدَّقها عبدُ المؤمن. فلما عاد أبو جعفر من الأندلس قبضَ عليه وأُلقي في السجن. وحملَه عبدُ المؤمن معه مُقيداً لما ذهب إلى تينيميل لزيارة قبر المهديِّ بن تومرت. وفي أثناء الرجوع إلى مراكش، أمرَ عبدُ المؤمن بقتله عند تاقمرت (نفع ٥ : ١٨٤) - على مقربة من مراكش - لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ من صَفَر من سنة ٥٥٣ (١١٥٨/٣/٢٧ م).

٢ - كان أبو جعفر بن عطية كاتباً مُترسلاً بليغاً سهلاً المأخذ (قريب المعاني) سيال الطبع. وكان له نظمٌ عادي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو جعفر بن عطية يستعطفُ عبدَ المؤمن:

تالله، لو أحاطت بي خطيئة^(١)، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة حتى سخرتُ
بين في الوجود^(٢) وأنفتُ لآدم من السجود^(٣).... وكتبتُ صحيفة القطيعة بدار
الندوة^(٤)، وظهرت الأحزاب بالقصوى من العذوة^(٥).... وقلتُ إنَّ بيعة السقيفة لا
توجب إمامة خليفة^(٦)، وشعدتُ شفرة غلام المغيرة بن شعبة^(٧).... ثم أتيت حضرة

(١) أحاطت به خطيئته (راجع القرآن الكريم ٨١ : ٢، سورة البقرة): كثرت خطيئاته وثبتت بالأدلة عليه.

(٢) من في الوجود (٤).

(٣) لم أرض أن أسجد لآدم كما أمر الله (وأن أفعل فعل إبليس الذي عصى أمر الله ولم يسجد لآدم).

(٤) في نحو السنة الثالثة قبل الهجرة كتب القرشيون صحيفة أخذوا فيها على أنفسهم أن يحضروا محمداً رسول الله ومن كان قد آمن معه في شعب (بكسر الشين: حي) أي طالب، وأن يقاتلهم فلا يبيحونهم ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يزوجهونهم ولا يتزوجون منهم....

(٥) في السنة الثانية للهجرة كانت معركة بدر. وكان القرشيون يمسكون على جانب الوادي المقابل لمعسكر المسلمين (يقصد لو كان مع الكفار مجارب رسول الله). إن كلمة «الأحزاب» توهم بأن الإشارة إلى معركة الخندق (سنة ٥ هـ). ولكن الكلام على العذوة القصوى (الجانب الآخر من الوادي) - راجع القرآن الكريم ٨ : ٤٢، سورة الأنفال - تشير إلى معركة بدر (سنة ٢ هـ).

(٦) يوم سقيفة بني ساعدة: يوم بايع الناس أبا بكر بالخلافة (يعني لو فارق لإجماع الأمة).

(٧) غلام المغيرة هو أبو لؤلؤة الذي قتل عمر بن الخطاب.

المعلوم لائئاً وبِقبر المَهْدِي عَائِداً^(١)، لَقَدْ آنَ^(٢) لِمَقَالَتِي أَنْ تُسَمَّعَ، وَتُغْفَرَ الْخَطِيئَاتُ لِي أَجْجَعُ، مَعَ أَنِّي مُقْتَرَفٌ^(٣) وبالذنب معترفٌ.

(وكتب مع هذه الرسالة):

عَطْفًا عَلَيْنَا، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ بَانَ الْعَزَاءُ لِفَرْطِ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ^(٤).
قَدْ أَغْرَقْتَنَا ذُنُوبٌ كُلُّهَا لُجَجٌ؛ وَعَطْفَةٌ مِنْكُمْ أَنْجَى مِنَ السُّنَنِ^(٥).
مِنْ جَاءَ عِنْدَكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ بِنَصْرِهِ، لَمْ يَخَفْ مِنْ بَطْشَةِ الزَّمَنِ.
فَالثُوبُ يَطْهَرُ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنِ، وَالطَّرْفُ يَنْهَضُ بَعْدَ الرُّكُضِ فِي سَنَنِ^(٦).

- ومن رسالة له بعد مقتل ابن هود الماسي:

.... هُزِمَ مِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَحْزَابِ وَتَسَاقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ تَسَاقُطَ الذُّبَابِ،
وَأَعْطَوْا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ صَفَحَاتِ الرِّقَابِ وَلَمْ تَقْطُرْ كَلِمَةٌ مِنْهُ إِلَّا عَلَى الْأَعْقَابِ^(٧).
فَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْجِهَاتُ بِأَجْسَادِهِمْ، وَأَذْنَتْ الْأَجَالُ بِانْقِرَاضِ آمَادِهِمْ^(٨). وَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى بِكُفْرِهِمْ وَفُسَادِهِمْ. فَلَمْ يُعَايِنْ مِنْهُمْ إِلَّا مِنْ خَرَّ صَرِيحاً وَسَقَى الْأَرْضَ نَجِيعاً^(٩).

٤-★★ إعتاب الكتاب ٢٢٥ - ٢٢٩ المعجب ١٩٨ - ٢٠٠ الإحاطة ١ : ٢٧١ -
٢٧٩ نفح الطيب ٣ : ٥٠٨ ، ٥ : ١٨٣ - ١٨٨ النبوغ المغربي ١٦٧ ، الأدب
المغربي ١٧٤ - ١٨٠ .

(١) المعلوم (٤)، وفي الإحاطة (١ : ٢٧٦) : المصوم . لاذ : التجأ . عاذ : احتسب .

(٢) آن : قرب الوقت .

(٣) اقترف ذنباً : ارتكب ذنباً .

(٤) بان : ابتعد . فرط : شدة . البث : الحزن الشديد .

(٥) اللجة : معظم الماء ، (وسط الماء) . ذنوب لجج (كثيرة تغمر أصحابها) .

(٦) الدرن : الوسخ . الطرف (بالكسر) : الحصان السابق . في الإحاطة (١ : ٢٧٦) : بعد الركض من وسن

(نوم ، نعاس) ، وفي نفح الطيب (٥ : ١٨٥) : بعد الركض في سنن (نهج الطريق ، اتجاهه الصحيح ،
النشوط الذي يركض فيه الخيل) . وأظن أن كلمة الركض خطأ في النسخ . وأرى أنها « الكبو »
(العرة ، السقوط) .

(٧) عن بكرة أبيهم : جميعاً ، كلهم . كلوم جمع كلم (يفتح فسكون) : جرح . قطرت جروحهم (دماً) على
الأعقاب (مؤخر الأرجل) : قتلوا وهم فارّون .

(٨) آجالهم (مقادير حياتهم) أذنت (أعلنت ، نادى) بانقراض آمادهم (بانتهاه مددهم في الحياة) .

(٩) النجيع : الدم .

أبو محمد بن الحاج

١- هو أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر من أهل لوريقة سكن مرسية وسمع، سنة ٥٠٣ وسنة ٥٠٤ هـ (١١٠٩ - ١١١١ م) من أبي علي الصدي (ت ٥١٤ هـ) وقرأ عليه. وفي سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) استدعي إلى مراکش وتولى الكتابة فيها، ولكنه استغنى بعد مدة قصيرة وعاد إلى مرسية زاهداً في المناصب وفي أمور الدنيا. ولما اختل أمر المرابطين خلّع أهل مرسية طاعة المرابطين وولّوا على أنفسهم أبا محمد بن الحاج، في رمضان من سنة ٥٣٩ (١١٤٥ م). ولكن أبا محمد بن الحاج ترك ولاية مرسية بعد نحو شهر وعاد إلى زهده ونسكه. وكانت وفاته بعد سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

٢- كان أبو محمد ابن الحاج بارعاً في الآداب ناثراً وشاعراً على شعره شيء من الرونق وفي نثره كثير من التكلف. والغالب على شعره الوصف والنسيب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو محمد بن الحاج في الوصف والنسيب:

سقاها الحيا من معانٍ فساح، - فكم لي بها من معانٍ فصاح^(١) -
وحلى أكاليل تلك الربى ووشتى معاطف تلك البطاح^(٢).
فما أنس لا أنس عهدي بهما وجري فيها ذبول المراح^(٣).
ونومي على جبرات الرياض يجاذب بُردَي مرّ الرياح^(٤)؛

-
- (١) الحيا: المطر. المعاني جمع معنى: المنزل أو السكن وفيه أهله. وقد نظمت وصفها شعراً واضح المعاني.
(٢) الحيا (المطر) ملأ أكاليل (رؤوس) الربى (التلال) ووشتى (زبن) معاطف (منحنيات) البطاح (الأرض المستوية) بالنبات والزهر.
(٣) المراح: نشاط الشباب. جرّ ذيل المراح: سار متبختراً معتزاً بشبابه ونشاطه.
(٤) الحبرة (بكر الماء وفتح الباء): ثوب حرير من صنع اليمن (يقصد الأرض المغطاة بالنبات والزهر المختلف الألوان). وتبّ الریح فتكشف ثوبي عني مرة وتردّه إلى حاله الأولى مرة.

بِحَيْثُ لَمْ أُعْطِ النُّهَى طَاعَةً وَلَمْ أَصْغِرْ سَمْعاً إِلَى نَحْيٍ لَّاخٍ^(١).
وَلِيْلِي كَرَجْمَةً طَرْفِ الْمُرِيءِ حَبٍ لَمْ أَذْرِ لِي شَفَقاً مِنْ صَبَاحٍ^(٢).

- كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَاجِّ رِداً عَلَى رِسَالَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ:

قَدْ رَمَانِي - عَلَى قُوَّةِ بَيَانِي بِبَيَانِكَ، وَقَدْ تَوَلَّى إِحْسَانِي وَارْجَحَنَ إِحْسَانُكَ^(٣) -
بَعَيْنَيْنِ مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ نَجْلَاوَيْنِ..... وَفَصْلَيْنِ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ، بَلْ أَصْلَيْنِ مِنْ
سِحْرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ^(٤). إِذَا لَمَحْتُ النَّثْرَ قُلْتُ: لَوْ نَظِمَ هَذَا لَفَسَدَ، وَإِذَا تَصَفَّحْتُ
النِّظْمَ قُلْتُ: لَوْ نُثِرَ هَذَا لَتَبَدَّدَ^(٥).... وَفِي الْقَطْرِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ - أَطَالَ اللَّهُ بَسْطَةَ
نَاصِرِهِ وَحَامِيهِ، وَوَصَلَ عِزَّةَ حَاضِرِهِ وَنَائِيَةِ^(٦)! - شَرَفٌ قَدِيمٌ وَسَلَفٌ كَرِيمٌ وَأَدَابٌ
وَعُلُومٌ وَأَلْبَابٌ وَحُلُومٌ وَأُودِيَّةٌ يَجْتَابُهَا الْفَضْلُ وَالطُّوْلُ عِذَابٌ^(٧) وَأُنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ
وَالْفِعْلُ رَحَابٌ^(٨). وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ شِهَابٌ وَوَكَّفَ سَحَابٌ^(٩).

٤-٢٢ * قُلَانْدُ الْمُقْبِيَانِ ١٦٤ - ١٦٨؛ مَعْجَمُ ابْنِ الْأَبَار ٢٣٣ - ٢٣٥؛ الْمَغْرِبُ ٢: ٢٧٦.

ابنُ قُزْمَانَ الْأَصْفَرُ

١- هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عِيْسَى بْنِ قُزْمَانَ الْأَصْفَرُ،

- (١) النُّهَى: الْعَقْلُ. اللَّحْيُ: اللَّوْمُ. الْآخِي: الْآخِرُ. - لَمْ أَطْعِ عَقْلِي فِي (تَرْكِ عِبَادَةِ الْمُحِبِّينِ) وَلَا سَمِعْتُ نَصِيحَةَ الَّذِي لَامَنِي عَلَى الْإِخْطَاءِ فِي الْحَبِّ.
- (٢) كَرَجْمَةً طَرْفِ الْمُرِيءِ (الْمُتَّهَمُ الْخَائِفُ): قَصِيرٌ جِدًّا. الشَّفَقُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ. وَالصَّبَاحُ بَعْدَ انْتِهَاءِ اللَّيْلِ (لَمْ أَذْرِ مَتَى بَدَأَ اللَّيْلُ وَلَا مَتَى انْتَهَى لِكثْرَةِ سُرُورِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ).
- (٣) الْبَيَانُ: الْمَقْدَرَةُ عَلَى التَّعْبِيرِ بِالْكَلَامِ. الْفُوتُ: الزَّهَابُ، الْإِنْقِضَاءُ. تَوَلَّى: ذَهَبَ، انْقَضَى. اِرْجَحَنَ: اِهْتَزَّ (مِنْ النِّشَاطِ وَالنُّضَارَةِ).
- (٤) رَمَانِي بِبَيَانِكَ بَعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ (وَأَسْمَتَيْنِ): أَعْجَبَنِي وَجَعَلَنِي أَعْشَقَهُ. هَارُوتَ وَمَارُوتَ سَاحِرَانِ قَدِيرَانِ كَانَا فِي بَابِلَ.
- (٥) لَوْ جَعَلَ كَلَامُكَ الْمُنْثَوْرَ نَظْمًا (شِعْرًا) لَذَهَبَ جَمَالُهُ. وَكَذَلِكَ لَوْ نَثَرَ شِعْرَكَ.
- (٦) الْبَسْطَةُ: اتَّسَاعُ الْمَلِكِ وَالسِّيَاطَرَةُ. نَائِيَةِ: بَعِيدَةٍ (٤).
- (٧) أَلْبَابٌ وَحُلُومٌ: عُقُولٌ. أُودِيَّةٌ: مَنَازِلُ، بِلَادٌ. يَجْتَابُهَا: يَقْطَعُهَا مِنْ طَرَفٍ إِلَى طَرَفٍ (يَلْأُهَا). الْفَضْلُ: الْكَرَمُ. الطُّوْلُ: الْفَضْلُ وَالْقُدْرَةُ وَالغِنَى. عِذَابٌ: حُلُوةٌ.
- (٨) رَحَابٌ: وَاسِعَةٌ.
- (٩) شِهَابٌ: نَجْمٌ. وَكَّفَ (سَالَ، أَمْطَرَ).

تَمييزاً له من عَمِّهِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٥٠٨ هـ).

ولد أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ قُرْمَانَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) فِي قُرْطُبَةِ فِي بَيْتِ جَلِيلٍ خَرَجَ مِنْهُ أَعْلَامٌ وَنُبَهَاءٌ. وَسَلَكَ ابْنُ قُرْمَانَ الْأَصْفَرَ فِي حَيَاتِهِ طَرِيقَ اللَّهِوِ وَالْمُجُونَ وَالِاسْتِهْتَارَ بِالْمُلْدَاتِ، وَكَانَ يُكْثِرُ التَّرَدُّدَ عَلَى إِشْبِيلِيَةِ لِلنَّزْهَةِ وَاللَّهُوِ (مَقْدَمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ ١١٥٤).

وَمَدَحَ ابْنُ قُرْمَانَ الصَّغِيرُ بِحَمِيٍّ بَنَ غَانِيَةً آخَرَ وَلَاةٍ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ (ت ٥٤٣ هـ). وَبَعْدَ سَقُوطِ دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ (٥٤١ هـ) عَاشَ فِي بُوَسْرٍ وَذَلِكَ، ثُمَّ أَصْبَحَ إِمَامًا مَسْجِدٍ (بَعْدَ ذَلِكَ الْمَجُونَ وَالِاسْتِهْتَارَ) لِلْحَصُولِ عَلَى الْكَفَافِ مِنَ الْعِيشِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ قُرْمَانَ الصَّغِيرِ فِي قُرْطُبَةِ ٢٩ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥٥٥ (١١٦٠/١٠/٢ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- اشْتَغَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُرْمَانَ الْأَصْفَرُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالشَّعْرِ الْمَغْرَبِ (الْفَصِيحِ) فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ كَثِيرًا إِذْ قَصَرَ فِيهِ عَنْ أُنْدَادِهِ وَمُعَاصِرِيهِ كَابِنِ خَفَاجَةٍ فَانْقَلَبَ إِلَى الْقَوْلِ فِي الرِّجَالِ (الشَّعْرِ الْعَامِيِّ). وَفِي شَعْرِهِ جُرْأَةٌ وَشَيْءٌ مِنَ النَّقْدِ الْاجْتِمَاعِيِّ. وَلَهُ مَدِيحٌ وَخَرَايَاتٌ وَغَزَلٌ مَذْكُورٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُرْمَانَ الْأَصْفَرُ فِي الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ الْفَارِسِ وَالْأَدِيبِ:

يُمِيكُ الْفَارِسُ رُحْمًا يَبِيدُ، وَأَنَا أُمِيكُ فِيهَا قَصَبَهُ^(١).
فَكَلَانَا بَطْلٌ فِي حَرْبِهِ؛ إِنَّ الْأَقْلَامَ رِمَاحُ الْكُتُبَةِ.

- وَلَهُ فِي الْهَرَمِ بَعْدَ الشَّبَابِ:

وَعَهْدِي بِالشَّبَابِ وَحَسْبِ قَدِّي حَكِي أَلْفَ آيِنٍ مُقَلَّةٍ فِي الْكِتَابِ^(٢).

(١) قَصَبَةٌ: أَنْبُوبٌ قَصِيرٌ مِنْ قَصَبٍ رَفِيعٍ (غَزَّار).

(٢) أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَقَلَةَ (ت ٣٢٨ هـ) خَطَّاطٌ عَبَّاسِيٌّ شَهُورٌ وَبَارِعٌ. أَلْفُ آيِنٍ مَقَلَّةٍ (لَعَلَّ آيِنٍ مَقَلَّةٍ =

فَصِرْتُ الْيَوْمَ مُنْحَنِيًّا كَأَنِّي أَفْتَشُ فِي التُّرَابِ عَلَى شَبَابِي.

- وكان ابنُ قزمانٍ مليحَ الموانسةِ فوجّه إليه الشاعرُ أبو عبد الله بنُ أبي الخِصَالِ (ت ٥٤٠ هـ) غُلامَهُ يدعوهُ إلى ليلةِ أنسٍ. فأساء الغلامُ الإِبْلَاحَ. فردّه ابنُ قزمانٍ. فكتب ابنُ أبي الخِصَالِ إلى ابنِ قزمانٍ أبياتاً مطلقها: «إِنِّي أَهْرُكَ هَرَّ الصَّارِمِ الْخَنِيمِ *». فأجابه ابنُ قزمانٍ بالأبيات التالية:

أتى من المجدِ أمرٌ لا مردَّ له نمشي على الرأسِ فيه لا على قدَمٍ .
رقزٌ ورقصٌ وما أحببتَ من مُلَحٍ عندي وأكثرُ ما تدرِيه من شِيمٍ ^(١) ،
حتى يكونَ كلامُ الحاضرينَ بها عندَ الصَّباحِ « وما بالعهدِ من قدمٍ » ^(٢) ،
(يا ليلةَ السَّخِّحِ هَلَّا عُدْتُ ثَانِيَةً ؛ سَقَى زَمَانُكَ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيمِ) ^(٣) .

وجاء ابنُ قزمانٍ إلى تلكَ الجلسةِ فامتنعَ الحاضرينَ بكلامِهِ. ثم اتفقَ أن يَدْرَتَ منه حركةً انطفأ بها السِّراجُ فقال:

يا أَيُّهَا السَّادَةُ الْعَالِي عِلْمُكُمْ ما مِلْتُ، لَكُنِّي مَالَتْ بِي الرِّاحُ ^(٤) .
فإنْ أَكُنْ مُطْفِئاً مِصْبَاحَ بَيْتِكُمْ فَكُلُّ مَنْ مِنْكُمْ فِي الْبَيْتِ مِصْبَاحُ ^(٥) .

٤ - (ديوان) ابن قزمان El Cancionero de Aben Guzman بالحرف اللاتيني (نشره نيكل Nykl) مدريد ١٩٣٣ ^(١).

= كان بطيل الألف على استقامة واحدة) كتابة عن انتصاب القامة والرشاقة. الكتاب: الكتابة (المخطئ). * الصارم (السيف) الخنم (الفاطم).

(١) الرقز: الرقص. والراقز: الضارب (على الدف - بضم الدال) راجع تاج العروس - (الكويت) ١٥ : ١٥٨. الشيمة: الخصلة الجميلة.

(٢) حتى يكون كلام الحاضرين بها (تنتهي عودتها لأنها كانت ليلة سرور - راجع البيت التالي). وما بالعهد من قدم (عمّا قريب؟).

(٣) هذا البيت للشاعر المصامي الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ). هطال من الديم (مطر غزير) ..

(٤) الراح: الحمر. مال: تروّج (تأمل على غير نظام).

(٥) فكل من منكم (تعبير فاسد): كل واحد منكم.

(٦) إن ديوان ابن قزمان يجمع أزراله. وليس من غايته كتابي أن يبحث في الكلام العامي. ولكن

★ المغرب: ١٠٠: ١ - ١٠١: مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦٦) ص ١١٥٤، ١١٥٥ نفع
الطبيب ٤: ٢٣ - ٢٥، ٢٩٦ - ٢٩٧ (٢)، ٧: ١٥ - ١٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٨٤٩ - ٨٥٣ بروكلمن ١: ٣٢١ - ٣٢٢، الملحق ٤٨١ - ٤٨٢ نيكل ٢٢٦ - ٢٣٠
مختارات نيكل ١٧٨ - ١٨٠ تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٨ - ٥٠٩ بالشيا
١٥٨ - ١٦٦ (٢)، الحريدة (الاندلس) ٤٨٧: ٢ سركيس ٢١٤ - ٢١٥ (١).

ابن الإمام الشَّليّ

١ - هو أبو عمرو عُمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُمَانَ، أصله من استجة^(٢) (نفع الطبيب ٣:
١٨٤) ومولده في شَلْب من جَنُوبِ غَرْبِ الأندلس. تلقى جانباً من علومه في قُرطبة
وإشبيلية، وكان من شيوخه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ). ولعلّ وفاة ابن الإمام
الشَّليّ كانت نحو ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أو بعد ذلك بوقت قليل.

٢ - كان ابن الإمام الشَّليّ شاعراً وناثراً ومؤرخاً. والأبيات الباقية لنا من
شعره في الشكوى التي تحالطها الحكمة، وهي على المنهج الشرقي. وعُرف ابن الإمام
الشَّليّ بأنه مؤلف كتاب «سِفْطُ الجَمَانِ وَسِفْطُ اللَّآلِي وَسِفْطُ المَرْجَانِ» - وقد ضاع
ولكن بقي لنا منه نَهاذِجٌ متفرقة، وخصوصاً في كتاب «المغرب» لابن سعيد. وكان
ابن الإمام مُعجِباً بنهج الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بسام الشنتريني
(ت ٥٤٢ هـ) فأراد أن يجمع كتاباً فيه ذكر للشعراء الذين كان ابن خاقان وابن بسام
قد تركاهم، وأن يُنمِّ هذه السلسلة إلى إيامه. ولعلّه أراد أن يقف عند السنة ٥٥٠
للهجرة. وتثرأ ابن الإمام أنيقاً حسن الصناعة، مُسَجِّعٌ أحياناً ومُطَلِّقٌ أحياناً، وربما
جرى في نثره على السجية كما نرى في كلامه على أيوب بن سليمان السُهيلي (المغرب ١:

= المستشرق عبد الرحمن نيكل، وهو المختص بدراسة ابن قزمان، قد جعل لهذا الديوان مقدمة (باللغة
الإسبانية) مفيدة جداً ★ ؟

(١) يخلط نفر كثيرون بين أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان هذا (ت ٥٥٥ هـ) وعمه المتوفي سنة
٥٠٨ هـ (وكنيته واسمه ككنية ابن أخيه واسمه ونسبه: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان).

(٢) استجة (يفتح فسكون ففتح ففتح): بلد بالأندلس من أعمال قرطبة (تاج العروس - الكويت ٦:
٢٨). وفي حاشية هذه الصفحة نفسها: بكسر فسكون فكسر (عن معجم البلدان).

٦٠ - ٦٢؛ قال ابن الإمام: «إنه من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان مَن حَمَلَ ذِكْرَهُ في الفتنة^(١)، كان يخدم أبنَ الحاجِّ. فلما ثار أبنُ الحاجِّ في مدَّة المَلثَمين (المرابطين) أنشده (أيوب) قصيدة منها:

إذا أنا لم أَبْلُغْ بِكَ الأملَ الذي قطعتُ به الأيامَ فالصبرُ ضائعٌ.
فأعْتذر له بالفتنة، فقال (له أيوبُ): إن لم يكن ما أرتقبه فَلْيَكُنْ وعدٌ والتفاتٌ
أَتَعَلَّلُ بها وأَعْلَمُ منها أُنِي في فكرِ الأمير. فالسُّكوتُ يَطْمِسُ أنوارَ الآمالِ وَيُغْلِقُ
أبوابَ الرجاء...».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عمرو عثمان بنُ علي بن الإمام الشَّيْبِيِّ (نفع الطيب ٣: ٤٨٧):

عذيري من الأيام، لا درُّ درُّها، لقد حَمَلْتَنِي فوقَ ما كنتُ أرهبُ^(١).
وقد كنتُ جَلَدًا ما تُنْهِيهِ النوى، ولا يَسْتَبِينِي الحادثُ المتغلبُ^(٢).
يقاسي صروفَ الدهرِ مِنِّي مع الصبَا جُذَيْلُ حِكَاكِ أو عُدَيْقُ مَرَجَبُ^(٣).

(١) الفتنة (الاضطراب السياسي) التي كانت في آخر حكم المرابطين في الأندلس، لا الفتنة المشهورة في أواخر أيام الخلافة الرومانية في قرطبة.

(٢) عذيري من الأيام (من ينصري على فعل الأيام؟ - من يعذرنِي إذا رَأَيْتُ أَلُومَ الأيام؟) لا درُّ (جرى) درُّها (لبنها): ليت لبنتها يحفَّ (ليتها تصاب بسوء). وكنت أخاف أن تصيبني مصيبة صغيرة فجاءتني بمصائب كبيرة كثيرة. أرهب: أخاف.

(٣) الجلد: القدرة على العمل الصعب والمستمِر. منه فلان فلاناً عن أمر: كَفَّه (ردَّه). النوى: (مؤنثة): البعد (في الأصل ينهني النوى - وذلك خطأ). استباه = سباه، أسره. إن الحادث (الأمر النازل: المصيبة) المتغلب (الشديد، القوي) لا يقعدني، لا يقهرني.

(٤) صروف الدهر جمع صرف (بالفتح): النائية، المصيبة. مع الصبا (برغم أنني كنت شاباً)، يقول: إن الدهر يقاسي مِنِّي (وأنا لا أقاسي منه). جذيل حكاك الخ. قال الحجاب (بالضم) بن المنذر (ت نحو ٢٠ هـ) يوم السقيفة (يوم بايع الناس لأبي بكر بالخلافة): «أنا جذيلها الهكك وعذيقها المَرَجَب». الجذَل (بالكسر) أصل الشجرة، وعود ينصب للزبل الجربى لتحك به أجسامها (يقال هو جذل حكاك: أي يستشفى برأيه). العذق (بالفتح): النخلة يحملها حينما تكون عليها العذوق (جمع عذق بالكسر): الفصن الذي فيه التمر. المَرَجَب المدعوم، المسند. هذا المعنى اللغوي. أمَّا المقصود الاجتماعي فهو: أنا رجل كثير الاختبار يستفتيني الناس في شؤونهم، وأنا رجل له قبيلة كبيرة قوية تمعذني وتمصرفني.

وكنْتُ إذا ما الخطْبُ مدَّ جَنَاحَهُ عليّ ترائي تحته أَثَقَلْتُ^(١)،
فقد صِرتُ خَفَّاقَ الجَنَاحِ يَروَعُنِي غرابٌ إذا أَبْصَرْتُهُ وهو يَنْعَبُ^(٢)،
وأَحْسَبُ من أَلْقَى حَبِيباً مُودَّعاً، وأنْ بِلادَ اللهِ طُرّاً مُحْصَبٌ^(٣)،

- وقال ابن الإمام الشَّيْلي في مُحَمَّد بنِ يَحْيى الشَّلَطِيْشي المعروف بابن القابلة (المغرب ١: ٣٥٢):

ذو النَّزْعِ اللطيف، والتَّلَوْنِ الشريف، وسالكُ مَهَمِّعِ ابنِ العَرِيف^(١)، ومُئْبِسُ
سُوقَةِ المعافي حَلَّلَ اللَّفْظِ الشريف. كلَّ حينَ تَهْدِلُ غُصُونُ آدَابِهِ وتَرْفِلُ أَيامُ شَبَابِهِ في
ذِيولِ آرابِهِ. يَنْدَى مَجْلِسُهُ بِقَطْرِ الأَدبِ الْفَضِّ^(٢)، وَيَفْرِي الْفَرِي لِسَانُهُ وَعَيْنَاهُ لَا
يَبْرَحُ مَغْرُزَهَا فِي الأَرْضِ^(٣).

- وقال في عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ معاويةَ بنِ هشامٍ^(٤) المَرْوَانِيَّ (المغرب ٢: ٢٤٦):

- (١) كنت إذا أصابني مصيبة أو دهاني أمر تقلبت تحته (عالجته، تخلصت منه).
- (٢) المنجّاح: جانب الجسم (حيث القلب؟). خفّاق المنجّاح (مضطرب القلب من الخوف). يروعي (يخيفني) نعيب (صوت) الغراب (مع أن صوت الغراب مألوف عندنا لا يجوز أن يخيف أحداً).
- (٣) وأحسب: أظنّ (يعني أوقن) أن كلَّ من ألقاه من الناس واتَّخذه صديقاً سافرة يوماً ما، وأن جميع البلاد «محسّبة» (مكان في منى - بكسر الميم - شرق مكة يذهب الحجّاج إليه لرمي الجمار - بكسر الجيم: سبع حصوات - ويبيت الحاجّ في منى عادة ثلاث ليالٍ في الأكثر). كلَّ بلد تحلّ فيه ستتركه يوماً ما.

(٤) المنزع: الخطة، الطريقة، الاتجاه. التَّلَوْن (تنوُّع أدب المدوح؟). المهيّج: الطريق الواضح. ابن العريف أحمد بن محمد الصنهاجي (ت ٥٣٦ هـ) كان يملك مملكة الصوفيّة. لم أجد صلة بين ابن العريف وابن القابلة (ت ٥٣٩ هـ) توضح هذه الجملة.

(٥) رقل: تبختر في سيره. آراب جمع إرب (بالكس): الحاجة، الدهاء، العقل. هدل الفصن: تدلّى إلى أسفل. وتهدل غصون آدابه الخ (٤). الفضّ: الطريق الناضر.

(٦) يفري (يقطع) الفريّ (الكلام الباطل، الكاذب). وعيناه مغرّزها (اقرأ: مغرّزها). يفري الفريّ لسانه (يطلق قوله الأفاويل الباطلة) وعيناه مغرّزها في الأرض (من التواضع).

(٧) - (١٥) لطلب الأمر (الحكم، الإمارة). ناقض: خالف لما توفي عبد الرحمن الداخل (أول أمراء بني أمية المتوارثين في الأندلس)، سنة ١٧٢ هـ، أوصى بالإمارة بعده لابنه هشام (ولم يكن أكبر إخوته، بل كان قد ولد في الأندلس، فاعتقد عبد الرحمن الداخل أن أهل الأندلس يمكن أن يطيعوا أميراً ولّد =

سَمَتَ نَفْسَهُ بَعْدَ أَبِيهِ لَطِيبِ الْأَمْرِ^(١) فَنَاقَضَ أَخَاهُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سُلْطَانَ الْأَنْدَلُسِ ، وَشَافَعَ أَخَاهُ الْخَارِجَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٢) . ثُمَّ حَارَبَ ابْنَ أَخِيهِ الْحَكَمَ بْنَ هِشَامٍ^(٣) ، ثُمَّ حَارَبَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ^(٤) . وَفِي مُدَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (كَانَ) يُهْزَمُ وَيُقْصَى^(٥) ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى عَنْ طَلِبِ الْأَمْرِ . وَآلُ^(٦) أُمُرِهِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَنْ خَطَبَ فِي جَامِعِ مُرْسِيَّةٍ وَدَعَا عَلَى الظَّالِمِ بَيْنَهُمَا ، فَعَاجَلَهُ اللَّهُ بِالْمَنِيَّةِ دُونَ بُلُوغِ الْأُمْنِيَّةِ .

٤-★★ التكملة ٦٦١ (رقم ١٨٣٣)؛ الحلة السراء ٢: ٩٢ (في الحاشية خاصة)؛ المغرب (نصوص مختلفة من كتابه) ١: ٣٠٨، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٩٦، ١٠: ٢، ٤٣، ٥٥، ١٤٣، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣١٥؛ نفح الطيب ٢: ٢٦٢، ٣: ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٧.

أبو بكر الصيرفي

١- هو أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاريُّ الغرناطيُّ المعروف بابن الصيرفي، أخذ عن الحسن بن مغيث وأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) وأبي مروان ابن بونة.

كان ابن الصيرفي كاتباً للأمير محمد بن تاشفين والي غرناطة. ثم كانت وفاته في أوريوله (من أعمال مرسية) في سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) في قولٍ أو في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) في قولٍ آخر، وقد أسن كثيراً.

٢- كان أبو بكر الصيرفي كاتباً مترسلاً مجيداً وشاعراً رقيقاً كثيراً. فصيح

= بينهم أكثر من طاعتهم أميراً ولد في خارج الأندلس). ولكن سليمان وعبد الله (أخوي هشام) قاوما أباها هشاماً. واستطاع هشام أن يترضى عبد الله أخاه يبلغ من المال فاعتزل إلى المغرب. فلما توفي هشام، وقد جعل الإمارة في ابنه الحكم، عاد سليمان وعبد الله إلى المصيان. واستطاع الحكم أيضاً أن يترضى عمه عبد الله يبلغ آخر فاعتزل إلى بلنسية وعرف بالبلنسي. وأما سليمان فقتل (سنة ١٨٤ هـ) في حديث طويل.

(١) آل: رجع، انتهى إلى.

الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني. وبعض شعره جزلٌ مشرقى النفس. وله
موشحاتٌ بارعة. ثم إنه كان مُشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الحديث واللغة
والنحو والأدب والتاريخ، وله كتابُ «الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المُرابطية».

٣- مختارات من آثاره:

- لابن الصيرفي موشحة منها:

قد جَنَحَتْ خَيْلي إلى أبي بكر^(١)
فلا إلى النيل ولا إلى مِصر^(٢)
أما ترى لَيْلي حَيْرَان لا يَسْري^(٣)
كأنَّا خَطَا * من ذَهَلِه مَجْرى * وكَلِّمًا شَطَا * جرّ الدُّجى جرّاً^(٤)!

* * *

لَهْفِي على مَوْعِدٍ لم يَقْضِهِ الدهرُ
عَلَّ الذي أَرْصُدُ قد عَاقَهُ عُدْرُ^(٥)
لِذاك ما أُنْشِدُ إذ عَزَّي الصبرُ^(٦)
مَحْبُوبِي قد أَبْطأ * مَنْ غَيَّبَ البَدْرَا * حتَّى لقد أخطأ * وأشغل السِّرا^(٧)
- موشحة لأبي بكر يحيى بن الصيرفي:

- (١) جنح: مال (زار). أبو بكر لعلّه أبو بكر يحيى بن تاشفين والي فاس (٩)
- (٢) سري: سار ليلاً.
- (٣) عند بدء طلوع الفجر يبدو في السماء شبه عمود (من نور الشمس التي لا تزال تحت الأفق) يشبه المجرى (الممر) كأنه أثر لذيل الليل (أو آخره). وكلّمًا شطّ الليل (انحرف عن اتجاه العمود): اتسع النور في السماء مع اقتراب الشمس من الأفق، جرّ الدجى جرّاً (سحبه) أي أبطأ ظهور النور في السماء (بالإضافة إلى سرعة ظهور عمود الفجر).
- (٤) أرصد: اترقب، أنتظر.
- (٥) عزّني (غلبني) الصبر: يثبت من الانتظار.
- (٦) أشغل (ليست في القاموس) بقصد «شغل»: صرف الإنسان عن عمله وأهله. لعلّها «أشغل». السرا: ما يخفيه الإنسان في نفسه. بقصد: إبطاء محبوبي في الزيارة جعلني مشغول البال.

جَرَّ الذِّئْلَ أَمَّا جَرَّ وَصِلَ السُّكْرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

★ ★ ★

وَخَضِبِ الزُّنْدَ مِنْكَ بِاللَّهَبِ مِنْ لُجَيْنٍ تَحِفُّ بِالذَّهَبِ^(١)
تَحْتَ سُلُوكٍ مِنْ لَوْلُو الْحَبِّ مَعَ أَحْوَى أَعْرَ ذِي شَنْبِ^(٢)
أَوْدَعْتَ كَفُّهُ مِنَ الْخَمْرِ جَامِدَ الْمَاءِ ذَائِبَ الْجَمْرِ^(٣)

★ ★ ★

ذَاكَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ قَدْ لَاحَا وَنَسِيمُ الرِّيَاضِ قَدْ فَاحَا
لَا تَقِذْ فِي الظُّلَامِ مِصْبَاحَا خَلَّ عَنْهُ وَشَشِعَ الرَّاحَا^(٤)
حِينَ تَنْهَلُ أَذْمُعَ الْقَطْرِ وَتَرَى الرُّوْضَ بِاسْمِ الزُّهْرِ

★ ★ ★

نَظَّمْتَ جَوْهَرَ الْعُلَا بِلُكَا كَفَّ مَلِكٍ يُزَيِّنُ الْمُلُكَا
مَا بَرَى اللَّهُ مِثْلَهُ مَلُكَا لَاحَ بَذْرًا وَفَاحَ لِي مِسْكَ^(٥)
كَالْحَيَا، كَالْأَمَانِ، كَالذَّهْرِ، كَعَلِيٍّ فِي الْحَرْبِ أَوْ عَمْرٍو^(٦)

★ ★ ★

(١) خضب: صبغ. الزند: ما بين الكف والذراع. باللهب: بلون أحمر. من (من خلال) لجين (فضة) يحف (يحيط) بالذهب (بالخمر) - حينما يحمل الشارب كأس الخمر يمرّ لونها الأحمر من خلال كأسها الزجاجي الأبيض ويقع على اليد).

(٢) سلوك جمع سلك: الخيط الذي تنظم فيه اللآلي. شبه الحبيب فقايع الهواء العاققة على وجه الخمر بالآلي، لجها وكثرها). أحوى: ذو شفة سمراء. أغر: أبيض. الشنب: بياض الأسنان.

(٣) أودعت: وضعت. جامد الماء (زجاج أبيض) ذائب الجمر (خمر حمراء اللون).

(٤) لا تقد (من وقد بقد) بمعنى اشتعلت النار. والشاعر يجعل «وقد» فعلاً متعدياً بمعنى أوقد. - اترك إضاءة المصابيح (في الليل) وشمع الراح (امزج الخمر بالماء) واشربها، فالخمر تضيء لك الليل.

(٥) يرى = برأ: خلق.

(٦) الحيا: المطر. علي (بن أبي طالب) وعمرو (بن العاص) أي جمع الشجاعة والدعاء.

أَيُّ بَحْرِ وَأَيُّ ضِرْغَسَامٍ ؟ أَيُّ رُمَحٍ وَأَيُّ صَمَصَامٍ ^(١)
 طَاعَنُ الصَّدْرِ ضَارِبُ الْهَامِ بَيْنَ كَرٍّ وَبَيْنَ إِقْدَامِ
 مُخْلَفُ الْبَيْضِ بِالْحُلَى الْحُمْرِ وَمُرَوِّي الْقَنَاقَةِ فِي النَّحْرِ ^(٢).

* * *

حَيْسَلْنَا لَاحَ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ كَهَلَالٍ تَحْفُفُهُ الدِّيمُ ^(٣)
 خَافَقْنَا فَوْقَ رَأْسِهِ عَلَمٌ غَنَّتِ الْعُرْبُ فِيهِ وَالْعَجَمُ
 عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَا أَيْ بَكْرِ.

- وله في النسيب:

أَجَرْتُ دَمِي تَحْتَ اللَّثَامِ لِثَامَا وَسَقَتَ - وَلَمْ تَذَرِ - الْكُؤُوسَ مَدَامَا ^(١)
 شَمْسٌ إِذَا سَرَقَتْ مَعَاطِفَ بَانَةٍ فِي ثَوْبِهَا سَجَعَ الْحُلَى حَامَا ^(٥)
 وَتَنَفَّسَتْ فِي الصُّبْحِ مِنْهَا رَوْضَةٌ بَاتَتْ تُنَادِي بَارِقًا وَغَمَامَا ^(٦)
 نَجَدْتُ بِهِ عَثَرَ النَّسِيمِ بِمِسْكَةٍ فِي تَرَبِهَا فَتَفَرَّقَتْ أَنْسَامَا ^(٧)!

٤- ** المغرب ٢: ١١٨ - ١١٩: التكملة ٢: ٧٢٣؛ صلاة الصلوة ١٨٣؛ جيش التوشيح
 ١٢٠ - ١٣٤ (راجع ٢٥٢ - ٢٥٦)؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ الأعلام للزركلي ٩:
 ٢٠٨ (٨: ١٦٤ - ١٦٥).

- (١) الضرغام: الأسد الشديد. الصمصام: السيف الذي يقطع العظم.
- (٢) مخلف (تارك، جاعل) البيض (البیوف) بالحلى الحمر (مصبوغة بدم الأعداء). مرووي (ساقى) القناة (الرمح) في النحر (في صدور الأعداء).
- (٣) تحفه: تحيط به. الديم جمع ديمة: غيمة فيها مطر.
- (٤) تحت اللثام (ما تحت اللثام) وجهها. لثام: غطاء. - وجهها الشديد الحمرة أخذ حرته من دمي (بإعجابي في حبها). وريقها هو الذي ملأ الكؤوس مداماً (خمرًا).
- (٥) البانة: شجرة ذات أغصان طويلة مستقيمة سمرام. المطف والمطاف: ثوب واسع. سرقت معاطف بانة (ظهرت في ثيابها كأنها غصن بان) وأحدث حليها نفراً جليلاً كهديل الحمام كناية عن أنها فتاة جميلة وليست قضيبي بان إلا على التشبيه.
- (٦) الروضة في الصباح أخذت من أنفاس المحبوبة اللعنان (الجمال والبياض) والبرودة المستحبة (التي يسببها الغم).
- (٧) الترب (ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الشاعر) المقصود تربية مفرد ترائب (الصدر). - نسيم نجد وجد في صدر المحبوبة قطعة من مسك فمطر بها جميع الرياح الطيبة الرائحة.

أبو جعفر بن سعيد

١ - هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرِ الْعَنْسِيِّ الصَّحَابِيِّ الْمَعْرُوفِ. وَجَدَهُ سَعِيدٌ هُوَ الَّذِي دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ وَحَلَ فِي قَلْعَةِ يَحْصِبَ^(١). وَلَمَّا جَازَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّخْلَ الْأُمَوِيَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، سَنَةَ ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) طَلَبَ وَالِي الْأَنْدَلُسِ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ مِنْ سَعِيدٍ أَنْ يَقَاوَمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُعَاوِيَةَ^(٢). وَيَبْدُو أَنَّ سَعِيداً لَمْ يَسْتَجِبْ لَذَلِكَ الطَّلَبِ؛ فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ ضَرَبَ عُنُقَهُ.

وَفِي أَيَّامِ الْفِتْنَةِ وَثُورَةُ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ (مَطْلَعُ الْقُرْنِ الْخَامِسِ الْمُهْجَرِيِّ = مَطْلَعُ الْقُرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ) اسْتَبَدَّ خَلْفُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بِقَلْعَةِ يَحْصِبَ. ثُمَّ لَمَّا مَاتَ خَلْفُ تَوَلَّى الْقَلْعَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ سَعِيدٌ ثُمَّ تَوَلَّاهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ.

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمُوَحِّدُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ قَاوَمَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ ثُمَّ خَضَعَ لَهُمْ. وَلَكِنْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ سُلْطَانُ الْمُوَحِّدِينَ لَمْ يَتَّقِ بَوْلَانَهُ فَسَجَنَهُ ثُمَّ عَادَ فَأُطْلِقَ سَرَاحَهُ. وَوَقَدْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْحِجَارِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (ت ٥٦٠ هـ) فِي قَلْعَةِ مَحْصَبٍ وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مَطْلُوعًا: «عَلَيْكَ أَحَالَتِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ» ثُمَّ أَلْفَ لَهُ كِتَابَ الْمُسْهَبِ فِي غَرَائِبِ الْمَغْرِبِ. وَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِكِتَابِ «الْمُسْهَبِ» فَهَذَبَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ. فَعَمِلَ هَذَا يَكُونُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ تَأْلِيفَ كِتَابِ الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ.

وَمِنْ مُؤَلَّفِي كِتَابِ الْمَغْرِبِ أَيْضاً أَبُو جَعْفَرٍ أَحَدُ بَنِي سَعِيدٍ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَةِ.

★ ★ ★

(١) قَلْعَةُ مَحْصَبٍ (بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكسْرِ الصَّادِ) أَوْ قَلْعَةُ يَحْصِبِ، وَفِي الْإِسْبَانِيَةِ: الْقَلْعَةُ الْمَلِكِيَّةُ (بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ) إِلَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ غَرْنَاطَةِ. وَقَدْ سَمَّيْتُ قَلْعَةَ بَنِي سَعِيدٍ.

(٢) رَاجِعِ الْجُزْءَ الرَّابِعَ.

أدرك أبو جعفر أحمد بن سعيد فترة الشُّغور بين المرابطين والموحِّدين^(١). وإذا صحَّ أنَّه كان تلميذاً للشاعر ابن الزَّقاق (ت ٥٢٨ أو ٥٣٠ هـ) وابن خفاجة المشهور (ت ٥٣٠ هـ)، فيجب أن يكون مولده قبل سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م).

وأرادَ عبدُ الملك بن سعيد شيئاً من الحُطوة والجاه لابنه أبي جعفر فادخله على عبد المؤمن بن علي، فألقى أبو جعفر بين يديَّ عبد المؤمن قصيدة، وذلك في أول سنة ٥٤٦ هـ (أول الربيع من عام ١١٥١ م) في الأغلب، حينما أذنَ عبدُ المؤمن لأهل الأندلس بالوفادة عليه في مدينة سلا (شمال مدينة الرباط الحاضرة) في المغرب الأقصى.

ثم إنَّ أبرزَ الأحداثِ في حياة أبي جعفر أحمد بن سعيد وأهمَّها كان حبُّه لحَفْصَةَ الرُّكُونِيَّةِ^(٢)، برغم الفارق في السنَّ بينهما. ونعم الحبيبَانِ مدَّةً بالزيارات والنزَّه ثم ألحَّ عليها الدهر بالشقاء.

في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) استولى أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن على غرناطة فكان أولَ ولاةِ الدولة الموحَّدية على تلك المدينة. واحتاج عثمان إلى كاتبٍ قدير فسمي له أبو جعفر أحمد بن سعيد. وتردَّد أبو جعفر في قبول المنصب - لأنَّه كان شخصاً يُحبُّ الدعة ويميل إلى الراحة؛ ولم يكن، فيما يبدو، بحاجة إلى المناصب والمال - ثم قَبِلَ.

وكانت حفصة تتردَّد على بلاطِ غرناطة فنشأتَ بينهما وبين عثمان بن عبد المؤمن ناشئة هوى. ويبدو أن حفصة جعلت تُراوحُ بين المُحبِّين فكان عثمان بن عبد المؤمن كثيرَ الغيرة من غريمه. أما أبو جعفر بن سعيد فكان يلومُ حفصة على قلة وفائها - ويقال إنَّه، في أثناء ذلك، جعل يُغيظُها بالتَّحَبُّبِ إلى جارية سوداء، أو أنَّه أحبَّ تلك الجارية فعلاً.

ويبدو أن هذه الحال قد طالَّت وبلغتْ غيرةَ عثمان ذروتَها ثم تجمَّع عددٌ من

(١) نحو عشر سنين بين ٥٣٩ و ٥٤٦ هـ (١١٤٤ - ١١٥١ م).

(٢) ستأتي ترجمتها (ت ٥٨٩ هـ). ويقال إنَّه كان بين حفصة وأبي جعفر بن سعيد فارق واضح في السن.

الأسباب يدعو إلى النِّقمة من أبي جعفر بن سعيد: منها أَنَّ أبا جعفر كان يُعَرِّضُ بعثانَ شعراً ونثراً ويتهكَّم عليه؛ قال مرّةً لحفصة: « ما تُحَبِّين في هذا الأسود (وكان لونُ عُثانٍ مائلًا إلى السواد)، وأنا أقدرُ أن أشتريَ لك من سوق العبید عشرةَ خيراً منه! ». ومنها أن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد (أخا أبي جعفر) فرَّ إلى محمد بن مردنیش الثائر في مُرْسِيَّة وشرقي الأندلس منذ سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م) - وكان قد سبق لوالد عبد الرحمن أن أتصل بآبن مردنیش - فخاف أبو جعفر أحمدُ بنُ سعيد أن يؤخذ بجريرة أخيه ففرَّ إلى مالقةً وتحفَّى فيها. غير أن رجال عُثان بن عبد المؤمن عرفوا مكانه فألقوا القبضَ عليه ووضعوه في سجن مالقة. واستشار عُثانُ أباه عبد المؤمن في قتل أبي جعفر بن سعيد على تَهمة الاتصال بآبن مردنیش، فأذن عبد المؤمن بذلك فقتلَ أبو جعفر في جُادى الأولى من سنة ٥٥٩ (نيسان - أبريل ١١٦٤ م).

ربما

٢ - كان أبو جعفر أحمدُ بنُ سعيد أديباً بارعاً في الشعر والنثر وناقداً بصيراً. وهو في الأصل شاعرٌ وجداً في مُكثَر، وشعره أعلى مرتبةً من نثره. ولكنَّ شعره أيضاً مُتفاوتٌ في الجودة. وكان يقولُ رويّةً وارجحاً، ورُبَّما أطال. غير أن المقطعات المروية له كثيرةٌ وفنونه متعددة، منها المدحُ والهجاءُ والفخرُ وأكثرها الوصفُ والخمر والغزلُ والمجون، وله عددٌ من الإخوانيات؛ وكان يقولُ في المناسبات. وقد كان مُصنِّفاً أيضاً، إذ قام بِقِسطٍ في تاليفِ كتابِ « المُغَرَّبِ » (المغرب ٢: ١٦٤)، راجع نفع الطيب ٢: ٤٢٩).

✓

ويبدو أن أبا جعفر بن سعيد كان حَسَنَ التَّقْدِيرِ للكلام، فقد قال عن حَمْدَةَ بنتِ زيادِ المؤدَّب: « هي خنساء المغرب » (المغرب ٢: ١٤٥)، كما كان يُثني على الشاعر أبي زكريّا يَحْيَى بنِ مَطْرُوح (المغرب ٢: ١٥٥). ولَمَّا قال أخيلُ بنُ إدريس الرُّنْدِي في مديح عبد المؤمن بن عليٍّ قصيدةً مَطلَّعُها:

ما الفخرُ إلّا فخرُ عبدِ المؤمنِ أثنى عليه كلُّ عبدٍ مؤمن،

قال أبو جعفر بن سعيد: « دعاه (الإغراق في) التجنيس إلى الضَّعْفِ والخروج عن

المقصود ولو قال: شادَ الخلافةَ، وهو أوَّلُ مُبْتَنِي (نفع الطيب ٤: ٢٠٢) لكانَ أوَّلِي وأحسَنَ.

٣- مختارات من آثاره:

- لَمَّا قُبِضَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ فِي مَالَقَةٍ وَوُضِعَ فِي السَّجَنِ مُقَيَّدًا دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ دَمِعَتْ عَيْنُهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ:

أَعَلَيْ تَبْكِي بَعْدَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَطَايِبَ لَذَائِهَا فَأَكَلْتُ صَدُورَ الدَّجَاجِ وَشَرِبْتُ فِي الرُّجَاجِ وَلَبِسْتُ الدِّيْبَاجَ وَتَمَتَّعْتُ بِالسَّرَّارِيِّ وَالْأَزْوَاجِ وَاسْتَعْمَلْتُ مِنَ الشَّمْعِ السِّرَاجَ الْوَهَّاجَ وَرَكِبْتُ كُلَّ هِمْلَاجٍ^(١). وَهَا أَنَا فِي يَدِ الْحَجَّاجِ مُنْتَظِرٌ مِخْنَةَ الْحَلَّاجِ^(٢) قَادِمٌ عَلَى غَافِرٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اعْتِذَارٍ وَلَا احْتِجَاجٍ!

- مِنَ الْمُتَنَزَّهَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِي غَرْنَاطَةِ حَوْرٍ مُؤَمِّلٍ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ فِي مُوَسَّحَتِهِ الْبَدِيعَةِ (المغرب ٢: ١٠٣ - ١٠٤):

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ فِضَّةُ النَّهْرِ.

★ ★ ★

أَيُّ نَهْرٍ كَالْدَامَةِ

صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامَةَ

نَسَجَتْهُ الرُّيُوحُ لَامَةَ

وَتَنَسَّجَتْ لِلْفَصَنِ لَامَةَ

فَهُوَ كَالْعَضْبِ الصَّقِيلِ حُفَّ بِالشَّفْرِ^(٣).

★ ★ ★

(١) الهملاج: البرذون (يكسر الباء وفتح الذا): البغل الحسن السير والتبختر فيه.

(٢) الحجَّاج بن يوسف الثقفي كان والي الأمويين على العراق، وكان معروفاً بالشدة (ينسبون إليه أشياء من الظلم لم تكن فيه). الحلَّاج: مخرق مشمود يدعي التصوف وقد كان متهاً في دينه وفي ولائه للدولة، وقد قتل.

(٣) الأصيل: بين العصر ومغيب الشمس. فضة النهر: البياض الحاصل من تقلب المياه في مجرى النهر. =

مُضْحَكًا ثَفَرَ الْكِمَامَ
 مُبْكِيًا جَفَنَ الْقِمَامَ
 مُنْطِقًا وَرَقَ الْحَمَامَ
 دَاعِيًا إِلَى الْمُدَامِ .
 فَبِهِذَا لِلْقَبُولِ خُطَطٌ كَالسَّطْرِ^(١) .

★ ★ ★

حَبَّذَا بِالْقَوْرِ مَغْنَمِي
 هِيَ لَفْظٌ وَهُوَ مَغْنَمِي
 مُذْهِبُ الْأَشْجَانِ عَنَّا
 كَمْ دَرَيْنَا كَيْفَ سِرْنَا
 تَمْ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ نَذْرِي^(٢) .

★ ★ ★

قَلْبَتِ وَالْمَرْجُ اسْتَدَارَا
 بِسَدْرِي الْكَسْأَسُ سَوَارَا
 سَالِبًا مَنَا الْوَقَارَا

= الدامة: الخمر (٤). الغدام: غطاء يوضع على قم الإبريق ونحوه، أو ما يصنّى فيه الشراب. اللامة: أداة الحرب كلّها من درع ورمح وسيف وبيضة (خوذة تلبس في الرأس). ثنى (حنى) اللام (حرف الهجاء (بين الكاف والميم). لام الغصن: اعتداله. العضب: السيف. الصقيل: المصقول (الحادّ، الماضي، القاطع). الشفر: (اسم جمع للشفرة - حدّ السيف).

(١) الكامة: غطاء الزهر (الكأس): الأوراق المحضرة التي تحيط بالزهرة قبل أن تنفتح الزهرة). داعياً إلى (شرب) الدمام (الخمر). فبهذا (٤) للقبول: (ريح الصبا (بالفتح: الشرق - وهي محبوبة في نجد). خطّ كالسطر (يبدو أن الضمير (في «خطّ» يرجع إلى «النهر» (في البيت: المقطع السابق)). رسمت الريح على صفحة النهر خطوطاً متعرجة، أو إشارة إلى الأشجار على شاطئه النهر.

(٢) الغور: المكان المنخفض (ويكون فيه ماء ونبات). مغنى: مكان للسكنى، مسكون. هي، أي الخمر (٤)، وهو معنى (٤). الشجن (بفتح ففتح): الحزن. تذهب الأشجان: الخمر (٤). كم درينا.... ندري: كنّا في أولّ النهار نسير سراً صحيحاً (لأنّا كنّا صاحين) وعند الأصيل (لأنّا تمكّن منا السكر) لم نكن ندري كيف نسير.

دائراً من حَيْسُوث دارا
صَادَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ شَبَّكَ الْخَمْرُ^(١).

★ ★ ★

وَعَدَ الْحَبِّ فَأَخْلَفَ
وَاشْتَهَى الْمُطْلَلِ فَسَوَّفَ
وَرَسُولِي قَد تَعَرَّفَ
مِنْهُ مَا أُدْرِي فَحَرَفَ.

بِاللَّهِ قُلْ: يَا رَسُولِي، لَسْ يَغِيبُ بِدْرِي^(٢).
- طلب أبو جعفر بن سعيد من محبوبته حَفْصَةَ أَنْ يَجْتَمِعَ بِهَا فَمَطَّلَتْهُ شَهْرَتَيْنِ،
فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

يَا مَنْ أَجَانِبُ ذِكْرَ آسِ مِهُ، وَحَسْبِي عِلَامَةٌ^(٣).
مَا إِنْ أَرَى الْوَعْدَ يُقْضَى، وَالْعَمْرُ أَخْنَى أَنْصَرَامَهُ.
الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، لَا أَنْ تَكُونَ لِي فِي الْقِيَامَةِ.
لَوْ قَدْ بَصُرْتَ بِجَالِي وَاللَّيْلُ أَرْخَى ظِلَامَهُ،
أَنُوحُ وَجَدًا وَشَوْقًا إِذْ تَسْتَرْبِحُ الْحَمَامَةُ^(٤).
صَبِّ أَطْلَالَ هَوَايَ عَلَى الْحَبِيبِ غَرَامَهُ^(٥).

(١) المزج: مزج الخمر بالماء. ذرى أو ذرا جمع ذروة (بالكسر أو بالضم): أعلى الشيء. شبك الخمر (الحباب) (بالفتح) الذي يطفو على سطح الخمر بعد مزجها بالماء.

(٢) الحب (بالكسر): المحبوب. هذه الحرجة (القفلة الأخيرة في الموشح باللغة العامية): لماذا يغيب عني بدري (حبيبي)؟

(٣) إِنَّ لِضُرَائِي عَنْ ذِكْرِ اسْمِهِ دَلِيلَ عَلَى أَنِّي أَحَبُّهُ.

(٤) الوجد: ألم الحب. الحمامة معروفة بأنها لا تهدأ عن الهديل (عن الصوت الذي يشبه النواح). ومع ذلك، فإذا وقفت الحمامة عن النواح فأننا أطلَّ أبكي.

(٥) الصب: الحب. غرامه: تعذيبه (شدة حب الحب للمحبوب - والمحبوب لا يبالي - تزيد في عذاب الحب).

لَمَنْ يَتَّبِعْهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرِدْ سَلَامَهُ .
 إِنْ لَمْ تُنَبِّسْ لِي أَرْجِي ، فَالْيَأْسُ يُثْنِي زِمَامَهُ (١) .
 - وقال يذكر اجتماعه بمحفصة في حَوْرٍ مُؤَمَّلٍ .

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا لَمْ يَرُحْ بُدْمَ عَشِيَّةٍ وَارَانَا بِحَوْرٍ مُؤَمَّلٍ (٢)
 وَقَدْ خَفَقَتْ مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرْجِيَّةٌ إِذَا نَفَحَتْ هَيْتَ بَرِيَا الْقَرْنُفَلِ (٣) ،
 وَغَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى الدَّوْحِ وَأَنْشَى قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ مِنْ فَوْقِ جَدْوَلٍ .
 يُرَى الرُّوْضُ مُسْرُورًا بِمَا قَدِ بَدَّلَ : عِنَاقٌ وَضَمٌّ وَارْتِشَافٌ مُقَبَّلٍ .

- وَقَالَ يَصِفُ رِحْلَةَ لَهُوٍ وَصِيدٍ . وَالْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ تَغْرِيزُ بَأْيٍ سَمِيدٍ عَثَانِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالْيَ غَرْنَاطَةِ ، وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي زَادَتْ فِي نَقْمَةِ وَالِي غَرْنَاطَةِ عَلَيْهِ :

وَيَوْمَ تَجَلَّى الْأَفَقُ فِيهِ بَعْضُ مِنَ الْغَيْمِ لُذْنَا فِيهِ بِاللَّهُوِ وَالْقَنْصِ (٤) .
 وَقَدْ بَقِيَتْ فِينَا مِنَ الْأَمْسِ فَضْلَةٌ مِنَ السُّكْرِ تُغْرِيزُنَا بِمَنْتَهَبِ الْفُرْصِ .
 رَكَبْنَا لَهُ صُبْحًا وَلَيْلًا ، وَبَعْضُنَا أَصِيلًا ، وَكُلُّنَا شِدَا جُلُجُلٍ رَقَصِ (٥) .
 وَشُئِبُ بُزَاةٍ قَدْ رَجَنَا بِشُهْبَاهَا طَيُورًا يُسَاغُ اللَّهُوُ إِنْ شَكَّتِ الْغُصَصُ (٦) ،
 وَعَنْ شَفَقٍ تَغْرِى الصَّبَاحَ أَوِ الدَّجَى إِذَا أَوْثَقَتْ مَا قَدْ تَحْرَكَ أَوْ قَمَصِ (٧) .

-
- (١) إِنْ لَمْ تَرْضَ (يفتح الضاد) بَوَاصِلِيْ أَعْلَى أَنْكَ لَا تَحْمِلُنِي ، فَيَأْسِي جَبْنُكَ مِنْ وَصَالِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَرُدَّكَ عَنْ جَبِكَ فَأَنْسَاكَ وَأَسْتَرْجِحَ .
 (٢) لَمْ يَرُحْ بُدْمَ : لَمْ يَنْتَه بِفَعْلٍ ذَمِمْ (إِذْ جَعَلْنَا نَلْتَمِي) .
 (٣) خَفَقَتْ : تَحَرَّكَ (سَارَ) . أَرْجِيَّةٌ : رِيَا (رَاضِعَةٌ طَيِّبَةٌ) .
 (٤) تَجَلَّى : انْكَشَفَ ، بَدَأَ . الْعَبِيرُ لَوْنُهُ أَسْوَرُ . لِذَا : التَّجَا . الْقَنْصُ : الْمَصِيدُ (الطَّرَائِدُ الَّتِي صِيدَتْ) : جَعَلْنَا نَأْكُلُ مِنَ الطَّرَائِدِ الَّتِي كُنَّا قَدْ اصْطَدْنَاهَا مِنْ قَبْلِ .
 (٥) الْجُلُجُلُ : جَرَسٌ صَغِيرٌ . إِنْ شِدَا : غَنَى (رَنَ) . كُنَّا فِي حَالِ انْشِرَاحٍ نَرْقِصُ (نَطْرِبُ جِدًّا مَعَهَا يُمْكِنُ السَّبُّ ضَمِيمًا) .
 (٦) (٢) .
 (٧) قَمَصَ : عَدَا فِي نَشَاطٍ (ذَهَبَ يَقْفِزُ قَفْرًا) (٤) .

وَمِلْنَا، وَقَدْ نَلْنَا مِنَ الصَّيْدِ سَوْلَنَا، عَلَى قَنَصِ اللَّذَاتِ وَالْبَرْدِ قَدِ قَرَصَ^(١)،
 بِخَيْمَةٍ نَاطُورٍ تَوَسَّطَ عَذْبُنَا جَحِيمٌ، بِهِ مَنْ كَانَ عَذْبَ قَدِ خَلَصَ^(٢).
 أَذْرَنَّا عَلَيْهِ مِثْلَهُ ذَهِيَّةً
 دَعْنَهُ إِلَى الْكِبَرَى فَلَمْ يُجِبِ الرُّخَصَ^(٣).
 فَقُلْ لِحَرِيصٍ أَنْ يَرَانِي مُقَيِّدًا بِخِدْمَتِهِ: لَا يُجْعَلُ الْبَارُ فِي الْقَفْصِ.
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا طَوْعَ نَفْسِي. فَهَلْ أَرَى مُطِيعًا لِمَنْ عَنْ شَأْوٍ وَفَخْرِي قَدْ نَقَصَ^(٤)؟
 - لِأَيِّ جَمْفِرٍ بَنِ سَعِيدٍ الْعَنْسِيِّ مَقْطَعَاتٌ بَارِعَةٌ، مِنْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٥١٥ - ٥١٧):

لَهُ يَوْمٌ مَسْرَةٌ أَضْوَى وَأَقْصَرُ مِنْ ذُبَالَةٍ^(٥).
 لَمَّا نَصَبْنَا لِلْمُنْسَى فِيهِ بَاوْتَارَ حِيَالَةٍ^(٦)،
 طَارَ النَّهَارُ بِهِ كَمُرٍّ تَاعٍ، فَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَةُ^(٧).
 فَكَأَنَّنَا مِنْ بَعْدِهِ بِغْنَا الْهِدَايَةَ بِالضَّلَالَةِ.
 * اسْقِنِي مِثْلَ مَا أَنَارَ لِعَيْنِي شَفَقُ أَلْبَسَ الصَّبَاحَ جِيَالَهُ^(٨)،
 قَبْلَ أَنْ تُبْصَرَ الْغَزَالَةُ تَسْتَدِ رَجُ مِنْهُ عَلَى السَّلَا غَلَالَهُ^(٩).

- (١) انصرفنا (بعد أن كنا قد اكتفينا بما صدناه من قبل) إلى قنص (صيد) اللذات. قرص البرد الإنسان (اشتد عليه وآله).
 (٢) عذبنا (ماؤنا الملوأ) - جحيم..... (٩٩) - لعله يقصد «ناراً موقدة (حرارة) طلباً للدفع».
 (٣) ذهية (آخر حرارة اللون - بلا مزج بهاء). الكبرى (الفاحة) فلم يجب (لم يفعل). الرخصة (حال تحيز للمتعبد أن يترك شيئاً من العبادة: كقصر الصلاة في السفر).
 (٤) الشأو: الشوط، الأمد، الغاية. نقص عن شأوي (قصر عن مجارتي).
 (٥) أضوى: أضعف، أرق، أدق. ذباله: قتيلة السراج.
 (٦) الحباله (بالكسر): مصيدة، شرك (من حبال). الوتر (كناية عن العزف على العود).
 (٧) طار (أسرع) النهار في الذهاب. مرتاع: خائف. أجفلت (مضت، أسرعت) الغزالة (الشمس): غابت باكراً.
 (٨) مثل ما أنار لعيني شفق (آخر حرارة اللون - غير ممزوجة بهاء).
 (٩) قبل أن تستدرج الغزالة (الشمس) بحرارتها (من الشفق: اللون الأحمر الذي يُرى على الأفق الغربي بعد غياب الشمس) غلالة (سترأ رقيقاً).. - قبل أن تغيب الشمس.

- وتأمل لَمَسْجِدٍ سَالَ نَهراً
 * لو لم يكن شَدُوُ الحمامِ فاضلاً
 طَرَبٌ نَسَى حَتَّى الْجِهَادَ تَرْنُحاً
 * في الرُّوضِ مِنْكَ مِثَابٌ مِنْ أَجْلِهَا
 الْفُضْنُ قَدْ، وَالْأَزَاهِرُ جَلِيَّةٌ،
 * ولقد قلتُ للذي قال: حَلُّوا
 لَا تُعَيِّنْ لَنَا مَكَاناً، وَلَكِنْ
 * أَلَا هَاتِيهَا، إِنَّ الْمَسْرَةَ قُرْبُهَا.
 مُدَامٌ بَكَى الْإِبْرِيْقُ عِنْدَ فِرَاقِهَا
- كَرَعَتْ فِيهِ، أَوْ تَقَضَّى، غَزَالَهُ^(١).
 شَدُوُ الْقِيَانِ لَهَا اسْتَخْفَ الْأَغْصُنَا^(٢).
 وَأَفَاضَ مِنْ دَمْعِ السَّحَابِ أُعْيُنَا.
 يَهْفُو لَهُ طَرْفِي وَقَلْبِي الْمُرْمُ^(٣).
 وَالْوَرْدُ خُذْ، وَالْأَقَاحِي مَبْسِمُ.
 ههنا: سِرْ، فَإِنَّا مَا سَيَّمْنَا^(٤).
 حَيْثُمَا مَالَتْ اللَّوَا حِظُّ مِلْنَا.
 وَمَا الْحُزْنَ إِلَّا مِنْ تَوَالِي جَفَائِهَا^(٥).
 فَأَضْحَكَ تَفَرَّ الْكَاسِ عِنْدَ لِقَائِهَا^(٦).

- وله أيضاً في الْمُتَنَزَّهِ المَعْرُوفِ بِحَوْرٍ مُؤَمِّلٍ (نفع الطيب ٣: ٥١٧):

- عَرَجٌ عَلَى الْحَوْرِ وَخَيْمٌ بِهِ
 وَاسِيقٌ لَهُ قَبْلَ ارْتِحَالِ النَّدى
 وَكُنْ مُقْبِياً مِنْهُ حَيْثُ الصَّبَا
- حَيْثُ الْأَمَافِي ضَافِيَاتُ الْجَنَاحِ^(٧).
 وَلَا تَزُرُهُ دُونَ شَادٍ وَرَاحِ^(٨).
 تَمْتَارُ مِسْكَاً مِنْ أُرِيحِ الْبِطَاحِ^(٩).

- (١) ماء النهر كمسجد (ذهب) من نور الشمس الواقع عليه، أو الأشعة الحمراء التي غلأ الجو. تقضى: انتفضى. غزالة: طيبة. - (٢).
 (٢) لو لم يكن شَدُو (غناء) الحمام أفضل (أعذب) من شَدُو القيان (النساء الجميلات المغنيات) لما استخفَّ الغصون (جعل الغصون تطرب وتنايل).
 (٣) مثابه (أوجه شبه). هنا: حنّ، اشتاق.
 (٤) حلّوا: انزلوا هنا.
 (٥) هاتيا (هات الحمير). - إِنَّ السُرورَ أَنْ تَقْرِبَ نَحْنُ مِنَ الْحَمْرِ، وَالْحُزْنَ أَنْ يَتَوَالِي (يتتابع، يستمر) جَفَائِهَا (بعدها عنّا).
 (٦) مدام (آخر). حينما يصبون الحمير من الإبريق يمكن أن تقطر منه نقاط (فكأنّه يبكي). وحينما يتنازع صَبَّ الحمير في الكأس تحدث قرقرة (فكأنَّ الكأس حينئذ تضحك).
 (٧) ضافي الجناح: متّسع (كثير).
 (٨) قبل ارتحال الندى: قبل أن تحفّف الشمس قطرات الندى (أي باكراً، قبل شروق الشمس). الشادي: الغفني. الراح: الحمير.
 (٩) الصبا: ريح الشرق. امتار جمع الميرة (الطعام). - كَأَنَّ الرِّيحَ الْهَابَةَ عَلَيَّ تَجْمَعُ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

والْقُضْبُ مَالُ الْبَعْضِ مِنْهَا عَلَى بَعْضٍ كَمَا يَفْنِي الْقُدُودَ ارْتِيَا ح^(١).
وَشَقَّ جَنْبَ الصُّبْحِ نُورٌ، كَمَا شَقَّتْ جُيُوبَ الطَّلِّ مِنْهَا الرِّيحَ^(٢).
* أَلَا حَبَّذَا رَوْضٌ بَكَرْنَا لَهُ ضُحَى وَفِي جَنْبَاتِ الرُّوضِ لِلطَّلِّ أَذْمُغُ.
وَقَدْ جَعَلْتِ بَيْنَ الْفُصُونِ نُسَيْمَةً تُمَزِّقُ قُوبَ الطَّلِّ مِنْهَا وَتَرْقَعُ^(٣).
وَعِنِ، إِذَا مَا ظَلَّتِ الْقُضْبُ رُكْعًا، نَظَلُّ لَهَا مِنْ هِرَّةِ السُّكْرِ نَرْكَعُ^(٤).

- وَقَالَ يَصِفُ غُلَامًا سَاقِيًا أَسْوَدَ وَقَدْ لَبَسَ ثِيَابًا بَيضًا:

وَعُصْنٍ مِنَ الْآبِنُوسِ ارْتَدَى بَعَاجٍ، كَلَيْلِي عِلَاهُ فَلَقَى^(٥).
يُحَاكِي لَنَا الْكَأْسُ فِي كَفِّهِ صَبَاحًا بِجَنَاحِ عِلَاهُ شَفَقَى^(٦).

- وَلَهُ فِي الْحِكْمَةِ، وَقَدْ تَرَكَ قَوْمًا فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مُضْطَرًّا لَا عَنْ رَغْبَةٍ مِنْهُ فِي ذَلِكَ:

تَرَكْتُكُمْ لَا كَارِهًا فِي جَنَابِكُمْ، وَلَكِنْ أَبِي رَدِّي إِلَى بَابِكُمْ دَهْرِي.
وَطَاحَتْ يَمِي الْأَطَاعُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ تُنْقَلِنِي مِنْ كُلِّ سَهْلٍ إِلَى وَغَرٍ^(٧).
وَمَا بَاخْتِيَارٍ فَارَقَ الْخُلْدَ آدَمُ؛ وَمَا عَنْ مُرَادٍ لِأَذَى أَيُوبَ بِالصَّبْرِ.
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ لَيْسَتْ مُقِيمَةً عَلَى مَا اشْتَهَاهُ مُشْتَهَى أَمَدَ الْعُمْرِ.
وَأَنَّكَ إِنْ فَكَّرْتَ فِي مَا أَتَيْتُهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ التَّرِكَ لَمْ يَكْ عَنْ غَدْرِ؛

(١) القُضْبُ (جمع قضيب): الأغصان. الارتياح: النشاط والسرور.

(٢) (٣).

(٣) يسقط الطل (الندى) عن الأغصان على الأرض (فتبدو الأرض جافة في مواضع ومبتلة في مواضع - فكان البقع المبتلة رقع على الأرض).

(٤) القُضْبُ (الأغصان) تدنو من الأرض بفعل النسيم، وعين في مشينا يدنو أعلى جسنا من الأرض (بفعل الأحمر).

(٥) الفلق: الصبح.

(٦) الجنح: الجانب من الليل (الشديد الظلام - السواد). الشفق: اللون الأحمر الذي يبدو على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.

(٧) طاح: اضطرب، تاه، مضى.

ولكن لجاجٌ في النفوس إذا انقضى
وإنِّي لمنسُوبٌ إليكم وإن نأت
وإنِّي لَمُتُّ بالذي نِلْتُ مِنْكُمْ
وإن خُنْتُكم يوماً فغائتي المني،
على أنني أقررتُ أنني مُذنبٌ،
- وقال يصف ناراً مُوقدةً في زمن الشتاء ليلاً:

نَظَرْتُ إلى نارٍ تَصُولُ على الدُجَى،
تُرَقِّمُها أيدي الرياح، وتارة
وإلا فَمَنْ لا يَمْلِكُ الصبرَ قلبُهُ
لها أَلْسُنٌ تشكو بها ما أصابها
إذا ما حَبِينُها تَناءت تَبَعْدُ^(٢)
تُخَفِّضُها فِعْلَ المَكْبَرِ يَسْجُدُ^(١)
يَقُومُ به غَيْظٌ هناك وَيَقْعُدُ^(٥)
وقد جَمَلَتْ من شِدَّةِ البردِ تُرْعَدُ^(٦)

- وقال يصف قَوادةً (أوردُ هذه الأبيات لأنها لا فِئَقَ فيها، ما عدا إشارتين بعيدتين في البيت الرابع والبيت التاسع):

قَوَادَةٌ تَقْطُرُ بالعِـــسَارِ
ولَاجَةً في كُلِّ دارٍ، وما
ظريفةٌ مَقْبُولَةٌ المُلْتَقَى
أَقُودُ من لَيْلٍ على سارٍ^(٧)
يَهْدِي بها من حِذْقِها دارٍ^(٨)
خفيفةُ الوَطءِ على الجارِ^(٩)

- (١) اللجاج: التادي (في العناد)، الاستمجال في معرفة النتائج.
- (٢) التدير: مجرى من الماء يغادر النهر. القطر: المطر.
- (٣) تصول: تسطو، تقهر (تغلب على) الدجى (الليل): نار كبيرة قوية نضوء الليل.... كلما اقتربنا منها نراها تبعد عنا (رغبنا في سرعة الوصول إليها توهمنا أنها تبتعد عنا).
- (٤) الرياح الشديدة تتلاعب بها علواً وهبوطاً (كما يفعل المصلي بيديه كلما قام بركن من الصلاة كبر ورفع يديه إلى أذنيه ثم خفضها).
- (٥) أو كالفضيان لا يستقر على حال (يقوم ويقعد لا يدري ما يفعل).
- (٦) ألسنة اللهب تتلاعب بها الريح الشديدة (فكان تلك النار ترتعد مثلنا من شدة البرد).
- (٧) الساري (السائر في الليل) يستر الليل عن عيون الناظرين.
- (٨) الولاج: الكثير الدخول (والخرُوج): كثير الحركة. الداري (اسم فاعل من درى): العالم بالأمور.
- (٩) خفيفة الوطاء (الدعس: صوت الأقدام): على الجار (لا يضر أحد بما تعمل).

لحافهمسالا لا يَنْطوي دائماً
 قد رُبِّيتُ - مذ عَرَفْتُ نَفْعَهَا
 جاهلةٌ حيث ثوى مَنجِدٌ
 بِسَامَةِ مُكْثِرَةٍ بَرَهَا
 عِلْمُ الرِّياضات حَوْنَهُ وما
 مُبْتاعَةٌ لِلنَّفل من كَيْسها
 تَكَاد من لُطْفِ أَحاديثها
 وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّغْدَ في صَفْعٍ وَجْهِهِ
 وَأَقْبَلَ يُبْدي لي غَرائبَ نُطْقِهِ،
 فَأَصْغَيْتُ إِصْفاءَ الْجَدِيبِ إلى الْحِدا
 مُنِيراً، دَعاني ما رَأَيْتُ إلى الشُّكْرِ (١)
 وما كُنْتُ أَدري قَبْلَهُ مَنزَعَ السَّحْرِ (٢)،
 كَيْمانَ ثَنائي كالرِّياضِ على القَطْرِ.

- وَلَمَّا أَمَرَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ بِسَجْنٍ
 قال أَبُو جَعْفَرٍ (وكانَهُ يُخاطَبُ أَباهُ) من ربه -
 "بِالشَّعر والنَّثر:"

مولاي، غيرُكَ يُعزِّي بِما لَمْ يَزَلْ يَجْري عَلَيَّ، وَيُذَكِّرُ تَأْنِيساً لَه في الْوَحْشَةِ
 بما يَطْرَأُ من الْخُصُوفِ وَالْكُصُوفِ على الشَّمْسِ الْخَمِيرَةِ وَالْبَذْرِ التَّامِّ ماذا
 تُفِيدُكَ من الْعِلْمِ (٣) وَصَدْرُكَ يَنْبوعُهُ، وَيَخاطِرُكَ لا يَزَالُ غُرُوبُهُ وَطُلُوعُهُ. وإِنَّمَا هي

(١) أَقلْتُ من راية بيطار (٢).

(٢) مذ عَرَفْتُ نَفْعَهَا: منذ أَقْنَعْتُ (طَلابَ اللّهُ) بِمُقدِرَتِها. الْفانِك: الجَرِيه على الْمَعاصِي. الشَّاطِر: الْخَبِيثُ الْفاجِر.

(٣) الرِّياضَةُ (هنا): ترويض الْإِنسان الصَّعب (الْإقْناع بِالْخَداع وَالْخيلة). تَقْوِم: إِصْلاح (بأسلوب خَيْر) وَأَسْحاَر (جَمع سَحَر): السَّيطرة النَفْسيَّة (النَّثر).

(٤) النعل: الزوجة. من كَيْسها الخ: تَهَيَّء اللّهُو لِلْمَعْمَر (المُغْل: الَّذي لا مال حاضراً مَعَهُ) وتَنْتَظر أن يَفِيها هذا الدِّين في الْمُسْتَقْبَل.

صَفْع (جانب) وَجْهِهِ.

الْمَنْزَع: الْاِتِّمَاف إلى هَدَف (غاية، طَرِيقَة).

(٧) الْعِلْم (بِمَافِي أَيْبات ذَكَرَها أَبُو جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ فيها حَكَم وَصانِح).

عادةً تَبَغُّها أَدَبًا، وَقَضَيْنَا بِهَا مَا فِي النَّفْسِ مِنَ الْإِعْلَامِ بِالتَّوَجُّعِ وَالتَّفَجُّعِ أَرَبًا^(١).
ولعلَّ اللهَ يُتَّبِعُ هَذِهِ التَّسْلِيَةَ بِتَهْنِئَةٍ، وَيُعْقِبُ بِالنَّعْمَةِ هَذِهِ الْمَرْزُوتَةَ^(٢).

٤- ** - المغرب ٢: ١٦٤ - ١٦٨ (وأماكن أخرى مفيدة - راجع الفهرس)؛ الإحاطة ١: ٢٢٢ - ٢٢٧؛ نفع الطيب ١: ٤٧٥، ٢: ٣٢٩، ٤: ١٧٩، ٢٠٢، ٢٠٤ - ٢٠٥ (وأماكن أخرى فيها إشارات مفيدة)؛ نيكل ٣١٧ - ٣٢٢؛ بالنشأ ١٢٧ - ١٢٨.

نزهون بنت القلاعي الغرناطية

١- هي نزهونُ القلاعية (بنتُ القلاعي، وقيل القُلَيْمِيّ - ولعله: أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب القسافي). قرأتُ على أبي بكرٍ المخزومي الأعمى فكانت تلميذةً له برُغمِ ما كان يَبْنِيها من المعارضة والمهاجاة. وكذلك كان بينها وبين الوزير أبي بكر بن سعيد (صاحب أعيان غرناطة في أيام المرابطين) مُحاضرةٌ ومذاكرةٌ ومراسلةٌ بالإضافة إلى ما كان بينها من الحبِّ واللقاء. ثم كان بينها وبين ابن قزمان (نحو ٤٨٠ - ٥٥٥ هـ) مناصرةً. ولعلَّ وفاتها كانت سنة ٥٦٠ (١١٦٥ م)^(٣).

٢- كانت نزهون ذات جمالٍ فائقٍ خفيفة الروح حُلوة اللفظٍ سريعة البديهة كثيرة النوادر بارعة في الأدب حافظةً للأشعار مع المعرفة بضرب الأمثال نابعة في قول الشعر، إلا أنها كانت ماجنة بلا احتشام ولا عِفَّة. وشعرها وجداً أكثره الغزلُ والهجاء.

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) المرزوة: المصيبة (الكبيرة).

(٣) نقل المقرئ (نفع الطيب ٤: ٢٩٥) عن الحجاري أنَّ نزهون كانت «من أهل المائة الخامسة» (٤٠٠ - ٤٩٩ هـ). ولكن نزهون كانت تلميذة للمخزومي الأعمى، وقد كان حيًّا بعد ٥١٠ هـ (نفع الطيب ١: ١٩٣) لم تكن معاصرة لابن قزمان (٤٨٠ - ٥٥٥ هـ). وعلى هذا قبلت أن تكون وفاتها سنة ٥٦٠ أو بعدها بقليل.

٣ - مختارات من آثارها:

- لَمَّا تَعَجَّبَ الْأَعْمَى الْخَزُومِيُّ مِنْ مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَعِيدٍ وَمِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ - وَكَانَتْ نَزْهُونُ حَاضِرَةً - قَالَتْ لَهُ:

وَتَرَاكَ، يَا أَسْتَاذُ، قَدِيمَ النِّعْمَةِ بِمَجْمَرٍ نَدٍّ وَغِنَاءٍ وَشَرَابٍ، فَتَعَجَّبَ مِنْ تَأْتِيهِ وَتُشَبِّهُهُ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَقَوْلٍ: مَا كَانَ يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّاعِ وَلَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ بِالْعِيَانِ! وَلَكِنْ مِنْ مِجْيِئِهِ مِنْ حُصْنِ الْمُدَوَّرِ وَيَنْشَأُ بَيْنَ تَبُوسٍ وَبَقَرٍ، مِنْ أَيْنَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِمَجَالِسِ النِّعَمِ؟
فَلَمَّا اسْتَوْفَتْ نَزْهُونُ كَلَامَهَا تَخَنُّجَ الْخَزُومِيِّ الْأَعْمَى، فَقَالَتْ نَزْهُونُ: ذُبْحَةٌ!
- إِنَّ نَزْهُونَ شَاهَدَتْ ابْنَ قُرْظَانَ الْأَصْفَرَ يَلْبِسُ غِفَارَةً (خُرْقَةً تُلْبَسُ تَحْتَ الْقَلَنْسُوَةِ!) فَقَالَتْ لَهُ:

أَصْبَحْتَ كَبْقَرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنْ لَا تَسُرُّ النَّاضِرِينَ.

- دَخَلَ الشَّاعِرُ الْكُتْنَدِيُّ عَلَى الْخَزُومِيِّ الْأَعْمَى، وَنَزْهُونُ عِنْدَ الْخَزُومِيِّ تَقْرَأُ عَلَيْهِ. فَقَالَ الْكُتْنَدِيُّ لِلْمَخْزُومِيِّ: أَجْزُ: «لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ مِنْ تَكَلُّمِهِ!» فَأَفْهِمَ الْخَزُومِيُّ وَلَمْ يَجِرْ جَوَابًا، فَقَالَتْ نَزْهُونُ:

..... لَفَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ^(١).

الْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ أُرْزَرْتِهِ، وَالْفُصْنُ يَمْرُجُ فِي غَلَائِلِهِ^(٢).

- قَالَتْ تُخَاطَبُ الْأَعْمَى الْخَزُومِيُّ بِهَجَاءٍ فِيهِ إِقْدَاعٌ^(٣):

قُلْ لِلْوُضِيعِ مَقْصَالًا يُتَمَلَّى إِلَى يَوْمٍ يُخْشَرُ:
مِنْ الْمُدَوَّرِ أَنْشُدْ، وَالْخَفْرَا مِنْكَ أَعْطُرْ،

(١) الخلال (بالفتح): حلية (بالكسر) كالسوار تلبسها النساء في الأرجل. أخرس من خلاخله: كثير الصمت. (إذا كانت المرأة سمينة فإن الأساور والخالخيل في يدي المرأة ورجليها لا تتحرك فلا تحدث صوتاً).

(٢) الزر: مدخل الثوب في العنق. الغلالة (بالكسر): ثوب رقيق يلبس (مباشرة على البدن). البدر (الوجه الجميل) والفصن (القامة المشوقة).

(٣) في هذه المقطوعة كلام قبيح وصور قبيحة لا حاجة إلى تفسيرها.

حيثُ البداوةُ أُمِّتَ في مَشِيهِمُا تَبَخَّرَ.
لِذَاكَ أُمِّتِيَتْ صَبَا بِكُلِّ شَيْءٍ مُدَوَّرُ:
خُلِقْتَ أَغْمَى، وَلَكِنْ تَهْمُ فِي كُلِّ أَعْوَرُ!
جَازِيَتْ شِعْرًا بِشَعْرٍ، فَقُلْ، لَعْمَرِي: مَنْ أَشْعَرُ؟
إِنْ كُنْتُ فِي الْخَلْقِ أَثْنَى، فَـإِنْ شِعْرِي مُدَكَّرُ!

- وَقَالَتْ تُنْسِبُ بَأَيِّ بَكْرِ بْنِ سَعِيدٍ:

حَلَلْتُ، أَبَا بَكْرٍ، مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سِوَاكَ. وَهَلْ غَيْرُ الْحَبِيبِ لَهُ صَدْرِي؟
وَإِنْ كَانَ لِي كَمَنْ مِنْ حَبِيبٍ فَإِنَّا يُقَدِّمُ أَهْلُ الْحَقِّ حُبَّ أَيِّ بَكْرٍ!^(١)

- وَلَهَا فِي النَسَبِ الصَّرِيحُ:

لَهُ دُرُّ اللَّيَالِي مَا أَحْيَسَنَاهَا، وَمَا أَحْيَسَنَ مِنْهَا لَيْلَةُ الْأَحْدِ!
لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتُ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ،
أَبْصَرْتُ شَمْسَ الضُّحَى فِي سَاعِدَيْ قَمَرٍ، بَلْ رِيحَ خَازِمَةٍ فِي سَاعِدَيَّ أَسَدٍ!^(٢)

٤-★★ بغية الملتبس ٥٣٠ (رقم ١٥٨٨)؛ المغرب ٢: ١٢١، راجع ١: ٢٢٣؛ المقتضب ١٦٤ - ١٦٥ راجع الإحاطة ١: ٤٣٢ - ٤٣٥، نفح الطيب ١: ١٩٢ - ١٩٣، ٣: ٢١٨، ٤: ٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٧ - ٢٩٨، راجع ١: ١٩٠ وما بعد؛ نيكل ٣٠٢ - ٣٠٨، مختارات نيكل ١٨٠ - ١٨١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٣٢ (١٧)؛ بالشيا، راجع ١٢٥ و ١٦٥.

أبو العباس الجراوي الملقب

١- هو أبو العباس أحمد بنُ حَسَنِ بْنِ سَيِّدِ الْجَرَاوِيِّ الْمَالَقِيِّ^(٣) أَخَذَ النُّحُو عَنْ

(١) يَفْتَمُ أَبُو بَكْرٍ (عَشِيرَ نَزْهُونٍ) عَلَى جَمِيعِ حَبِيبِيهَا، كَمَا قَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فِي الْخَلَاقَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. - كَمَنْ مِنْ حَبِيبٍ (مُحِبُّونَ كَثِيرُونَ).

(٢) شَمْسُ الضُّحَى (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ) وَالْقَمَرُ (الرَّجُلُ الْجَمِيلُ). الرِّيمُ: الْغَزَالُ الْأَبْيَضُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ) الْأَسَدُ (كُنَايَةُ عَنِ الرَّجُلِ الْقَوِيِّ).

(٣) هُوَ غَيْرُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَيِّدِ الْإِسْطِيلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِاللَّصِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٦ هـ. وَغَيْرِ ابْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلِيِّسِيِّ (ت ٥٣١ هـ).

سليان بن محمد الملقب المعروف بابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) وأخذ اللغة عن محمد بن معمر المعروف بابن أخت غانم (ت بعيد ٥٢٤ هـ).

وقد وقعت وحشة بين أبي العباس الجراوي والقاضي ابن الوحيدي^(١) فاضطرَّ إلى الانتقال من مألقة فذهب إلى قرطبة. ثم إن الجراوي استألف ابن الوحيدي فلان ابن الوحيدي له فعاد إلى مألقة بعد غياب أربعة أعوام. ثم تولى القضاء أبو الحكم ابن حسون فقربَّ أبا العباس الجراوي. ويبدو أن ابن حسون هذا قُتِلَ (٥٤٧ هـ)^(٢) فانتقل الجراوي إلى مراکش وأدب أبناء أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي^(٣) فما قدره وعظم صيته.

وكانت وفاة أبي العباس الجراوي بعيد سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م).

٢ - كان أبو العباس الجراوي من كبار النخاة والأدباء في الأندلس، وكان كاتباً بليغاً وشعره متين السبك. والأبيات القليلة المروية له هي في الأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العباس الجراوي الملقب:

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عمر الوحيدي، ولي القضاء في مدينة رية (٥٢١ - ٥٣٩ هـ) فار بالعدل وأدخل على إدارة الأحباس (الوقف) إصلاحاً كبيراً. ثم لما شاخ اعتزل القضاء واستغنى عن أخذ المرتب الذي يعلو لأشاله. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ. كتب إليه الخطيب ابن أبي العيش يوصيه بأحد المتخصصين لديه فكتب إليه ابن الوحيدي:

«وهبك الله وإلها من نعيم السوايح الضوافي، وأوردك من نسمة العذاب الصوافي. ولا زلت بصيراً بكائد الناس... فإنك كما تدرهم برهم الباطل ويرهم (يفتنون من طريق الباطل ويفتقرون من طريق الباطل). والعاقل يعظم ولا يفرح (لا يستطيع استئثارهم إلى سماع الوعد). ومثلك من الإخوان من علم تلون الزمان، وعرف سير المعجم والعرب، ولم يغب عنه الفرق بين السمع (٢ - لعل المقصود هنا «السمع»، وهو ما يسهل النحل بيوتا مدسة ثم يجزن فيها الصل). والضرب (يفتح ففتح: الصل). لا سيما والدنيا قد صارت مكتشوفة وأخلاق أهلها معروفة. فهناك يجب أن يهذر المرء أخاه..... والولي تكفيه الإشارة، وإن قصرت عن الغرض المطلوب المبارة.....» (راجع المرقبة العليا ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) راجع المرقبة العليا ١٠٤، السطر الثالث وما بعده.

(٣) دخل عبد المؤمن بن علي مدينة مراکش وانتزعها من يد المرابطين سنة ٥٤١ هـ.

★ وبين ضلوعي للصباية لوعةً مجكّم الهوى تقضي عليّ ولا أقضي^(١).
 جنى ناظري منها على القلب ما جنى فيا من رأى بعضاً يعين على بعض^(٢).
 ★ لما رأيْتُكَ عينَ الزمانِ وأنّ إليك تُحَثُّ الخطأ^(٣)،
 بكَرْتُ إليك بُكورَ الغرابِ ورُحْتُ عليك رَوَاحَ القطأ^(٤).

★ ورأى أبو العباس الجراوي جريحاً أُصِيبَ بِهِمْ فقال:

حَدَّثَكَ نَشَابُ الْقِسِيِّ لَأَنْ رَأَيْتُ عَيْنِيكَ أَمْضَى فِي الْإِصَابَةِ مَقْصِداً^(٥).
 فَجَنَّتْ عَلَيْكَ. وَيَا لَهَا مِمَّا جَنَّتْ. لَهْفِي عَلَيْكَ، فَمِ خَشِيتُ الْحَسداً!

- وللجراوي (٢) في الغزل (المغرب ٢: ٢٦٩):

يوسف، يا بغيقي وأنسي، صيرني مُغْرَماً هواكاً.
 حويت قلبي، وأنت فيه. كيف حويت الذي حواكاً؟

٤-★★ زاد المسافر ٣٤ (٤٩-٥١) ، الوافي بالوفيات ٦: ٣٠٧-٣٠٨ ؛ غفة القادم
 ٤٤ ؛ المطرب ٢٠٠ ؛ تكملة التكملة ٨٥ ؛ بغية الوعاة ١٣٠ .

أخيّل الرُنْدِيَّ

١- هو أبو القاسم أخيل بن إدريس، كان في أوّل أمره كاتباً للمرابطين ثم اتّخذَه حَمْدَنُ بنُ مُحَمَّدٍ كاتباً، وكان حَمْدَنُ مُسْتَبِداً بِقُرْطَبَةِ. فَلَمَّا اسْتَوَلَى ابْنُ غَانِيَةَ عَلَى قُرْطَبَةِ رَجَعَ أَخِيْلُ إِلَى بِلَدِهِ رُنْدَةَ واستطاع أن يستبدّ بها مُدَّةً يسيرةً. غيرَ أن ابنَ غَرْوَنَ (وكان من رجال ابنِ حَمْدَنٍ) اسْتَوَلَى عَلَى رُنْدَةَ فَنَجَا أَخِيْلُ بِنَفْسِهِ إِلَى مَالَقَةَ

(١) الصباية: الحبّ. لوعة: حرقه..... - مجكّم المحبوب عليّ فأقبل حكمه وأنا لا أستطيع أن أحكم عليه.

(٢) عيني رأته فأحبته فأصبحت معذباً فيه. ومن العجيب أن بعضي (عيني) جنت على بعضي (قلبي).

(٣) عين الزمان: خير الناس. (ورأيت) أن جميع الناس تسرع إليك (تطلب فضلك).

(٤) القطأ طائر سريع الطيران.

(٥) النشأ جمع نشأة (بضمّ النون فيها): النبل (بفتح النون): السهام. القسي جمع قوس. السهام حدثك لأنها رأت أنّ عينيكَ (سهام عينيكَ) أشدّ إصابة للهدف منها.

لاجئاً إلى صاحبها (٢) ابنِ حَسُونِ.

ثم إن أخيلَ ذهبَ إلى مَرَائشَ واتَّصلَ بالوزيرِ أبي جعفرِ بنِ عَطِيَّةَ (قتل ٥٥٣ هـ) فَعَطَفَ عليه أبو جعفرِ وردَ إليه ما كان قد نُهَبَ من أمواله. واستوطن أخيلُ مَرَائشَ مدَّةً ثم وقعتَ بينه وبينَ السُّلطانِ عبدِ المؤمنِ وَخْشَةٌ - لَوْشَايَةٌ نُقِلَتْ إلى عبدِ المؤمنِ رَعَمُوا فيها أن أخيلَ قال عن عبدِ المؤمنِ: كَيْفَ تَصُحُّ لَهُ الخِلَافَةُ وليسَ بِقُرْشِيٍّ! - فعاد إلى الأندلس. وقد تولَّى أخيلُ قضاءَ قُرطبةَ ثم قضاءَ إشبيلية. وكانت وفاته في إشبيلية سَنَةَ ٥٦٠ أو ٥٦١ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م).

٢ - كان أخيلُ الرُنْدِيُّ فقيهاً وشاعراً وناثراً مُتُرسِّلاً (لأنه كان يكتُبُ في الدواوين) وتَغَلَّبَ السهولةُ على شعره ونثره معاً. ولكن رِياً تَطَلَّبَ التجنيسَ فلم يُحْسِنَهُ، كما قال في مدحِ السُّلطانِ عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ:

ما الفخرُ إلَّا فخرُ عبدِ المؤمنِ. أثنى عليه كلُّ عبدٍ مؤمن.

ولا رَيْبَ في أن التجنيسَ هنا باردٌ. ولكن لما عَرَضَ أخيلُ بِمحمَّدِ بنِ سعدِ المعروفِ بابنِ مَرْدَنِشَ والثائرِ على الموحِّدين في الأندلس فقال:

أما ابنُ سعدٍ فَهوَ أَوَّلُ مَارِقِي. يا لَيْتَهُ بأبيه سعدٍ يَكْتَنِي^(١).

ما قدرُ مُرْسِيَّةٍ وحُكْمُكَ نافذٌ. إن شِئتَ من عَدَنِ لأَرْضِ المَعْدِنِ^(٢).

سُرَّ عبدُ المؤمنِ وقال له: أجدتُ. فقال أخيلُ مُرتَجِلاً بيتينِ من البحرِ والقافية:

من لي، أَمِيرَ المؤمنين، بِمَوْقِفِي هذا؟ وقولُك لي: أجدتُ ولم تَنِ^(٣)!

فلقد مدحتُكَ خائفاً أَلَّا يَنِي لَسَنِي بما يُعْنِي جَمِيعَ الألسُنِ^(٤).

(١) المارِقُ: الخارج من السن (الكافر). يا لَيْتَهُ..... هو لا يكتني بأبيه سعد لأنه يعرف أن سعداً ليس والده.

(٢) أرض المعدن: انكلترا أو إسبانية (٤).

(٣) ونى يَنِي: تعب (قَصُر).

(٤) لَسَنِي (بفتح فسكون): كلامي، لَفَتِي. الألسن جمع لسان: لغة. يعني: يتعب، يجعل الإنسان عاجزاً.

٣ - مختارات من آثاره:

قال أخيلُ بنُ إدريسَ يُعاتبُ محبوبه:

شَتَانُ ما بَيْنِي وبينَكَ في الهوى: أنا أَبْتَغِيكَ وَأَنْتَ عَنِّي تَصْدِفُ^(١).
وَإِذَا عَتَبْتُكَ وَارْعَوَيْتَ بَيْنِي لِي في الحينِ مِنْكَ بَأَنَ ذَاكَ تَكْلُفُ^(٢).
يَا لَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ يُقْضَى وَصْلُنَا؟ والعمرُ يَفْنَى والمواعدُ تُخْلَفُ!

- وقال في المديح:

إِلَيْكَ أَخَذْتُ جِبَالَ الذِّمَامِ وفيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ^(٣)،
فَأَرْسَلْتُهُ جَانِلًا كَالرَّمَايحِ، وَصَلْتُ بِهِ ثَانِرًا كَالْحَسَامِ^(٤).
وَمَا كُنْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهَا أَيْسَادُ تَفَجَّرَ صَمُّ السَّيْلَامِ^(٥).
وَتَشَنَّى الْفُصُونَ عَلَى هِرَّةٍ كَأَنَّ بِهَا سَكَرَاتِ الدَّمَامِ^(٦).
فَتَنَسَّى الْمَكْرُمَاتِ تَصَدَّى لَهَا بِحُكْمِ الْكُهُولِ وَسِنَّ الْفُلَامِ.
وَسَاقٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الَّتِي أَنْارَتْ لَهُمْ فِي اعْتِكَارِ الظَّلَامِ.

- وقيل لأخيل، وقد هَجَرَهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، اكَتَبَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرًا وَبَرَّهِنَ عَلَى بَرَاءَتِكَ، فقال:

« ما يَكُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَجَرَنِي إِلَّا وَقَدْ صَحَّ^(٧) عِنْدَهُ (ما نقل إليه عني). ولا (أريد) أَنْ أُنْسِبَهُ فِي أَمْرِي لِلجَوْرِ^(٨) وَقِلَّةِ التَّثَبُّتِ. وَإِنَّا أُرْغَبُ فِي عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ».

- وله من رسالة (المغرب ٣٣٥):

- (١) أَبْتَغِيكَ: أريدك، أَطْلُبُكَ (أَحْبَبُكَ). صدف: مال.
- (٢) إِذَا عَتَبْتُكَ (لَتَك) وَارْعَوَيْتَ (رَجَعْتَ عَنْ هَجْرِي) بَيْنِي (يُظْهِرُ) لِي فِي الْحِينِ (حَالًا).
- (٣) الذِّمَامُ الْمَهْدُ. إِلَيْكَ الْخ: جَمَعْتُ كُلَّ مَوْدِقِي لَكَ (٢).
- (٤) صال: سطا، قهر (هجم، قاتل).
- (٥) الْأَصَمُّ: الصَّلْبُ (بِالضَّمِّ). السَّلامُ (بِالْكَسْرِ) جَمْعُ سَلَمَةٍ (بِفَتْحِ فَكْسٍ): الْحِجْر.
- (٦) الدَّمَامُ: الْحُمْرُ.
- (٧) صَحَّ: (ثَبَتَ). يَرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ مُذْنِبًا عَلَى أَنْ يَجْعَلَ ظَنَّ السُّلْطَانِ كَاذِبًا.
- (٨) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ.

قد تَحَيَّلْتُ أَنَّ الهوى لا يبلغُ إلى هذا الحدِّ، كما تَحَيَّلْتُ أَنَّكَ لا تنتهي في الجفاء إلى هذا الإعراض والصدِّ. فَبِتُّ أَرْقُبُ الكواكبَ كَأَنِّي مُنْجَمٌ حاسبٌ، مُشِيداً لأفقي السماء - وقد تَحَيَّلْتُ^(١) أَنِّي عَلِقْتُ بِقَمَرِهِ وقَامَيْتُ مِنْهُ أَشَدَّ العناء^(٢) -:

لو بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي مَا بَتَّ أَرْعَى قَمَرَكِ .
- ولأخيلَ الرُنْدِي في الخمر (المغرب ١ : ٣٣٥):

وَدِدْتُ أَنَّ الْمُدَامَ حِلٌّ فَأَضْرِفَ الْهَمَّ بِالْمُدَامِ^(٣) .
لَكُنِّي خَائِفٌ عِقَاباً مُجَانِبٌ لَذَّةَ الْمَلَامِ .
مَا لَيْتَنِي قَدْ خُلِفْتُ مِنْ قَبْ لِي حَرَمُهَا بِالْفِ عَامِ .

٤-★★ المغرب ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦، الحلة السراء ٢ : ٢٤١ - ٢٤٥، نفع الطيب ٣ : ٢٤٩،
٢٠٢ : ٢٠٣ - ٢٠٣، الأعلام للزركلي ١ : ٢٦٥ (٢٧٨).

أبو بكر اليكِّي

١- هُوَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ سَهْلِ الْيَكِّيُّ نَسَبُهُ إِلَى يَكَّةَ (بالباء) وهي حصن شمال مُرْسِيَّة. أفرطَ اليكِّيُّ في هِجَاءِ أَهْلِ فَاسَ فَلَفَّقَتْ عَلَيْهِ دَعْوَى بَدِينٍ، فَبَا قِيلَ، وَسُجِنَ بِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَيْدَ سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م).

٢- كَانَ الْيَكِّيُّ شَاعِراً لَهُ إِجَادَةٌ. وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ فِي الْمَهْجَاءِ، وَفِي هِجَاءِ أَهْلِ فَاسَ خَاصَّةً، بِالْفَاطِمِ مُقَدِّعَةً. وَيَبْدُو أَنَّ شُهْرَتَهُ كَانَتْ لَوْقُوعِهِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْهَا لِمُجُودَةِ هِجَائِهِ مِنْ نَاحِيَةِ اللَّفَقَاتِ وَالصُّوَرِ الشِّعْرِيَّةِ.

٣- مختارات من شعره:

- قَالَ الْيَكِّيُّ يَمْدَحُ الْمُرَابِطِينَ (وهم من بني لَمْتُونَةَ الْبَرَبْرِ)، وَيُقَالُ لَهُمُ الْمُلْتَمُونَ

(١) تَحَيَّلَ أَفْقُ السَّمَاءِ .

(٢) الْعَنَاءُ : التَّعبُ .

(٣) الْمُدَامُ : الْخَمْرُ . حِلٌّ : حَلَالٌ .

لَأَن رَّجَالَهُمْ يَضَعُونَ عَلَى أَوْجُهُمْ لِثَامًا:

قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ الْعُلَا فِي حِمِيرٍ، وَإِذَا انْتَمَوْا لِمَتُونَةَ فَهُمْ هُمُ!!
لَمَّا حَوَّوْا إِحْرَارَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّشُوا!!

- وَمِنْ هِجَائِهِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُسْتَشْهَدَ بِهِ:

إِنَّ الْمُرَابِطَ^(١) بَاخِلٌ بَنَوَالِهِ لَكِنَّهُ بَعِيَالِهِ يَتَكْرَمُ^(٢).
الْوَجْهَ مِنْهُ مُخَلَّقٌ بِقَبِيحٍ مَا يَأْتِيهِ فَهُوَ مِنْ أَجْلِهِ يَتَلَثَّمُ^(٣).
* قَصَدْتُ جَلَّةَ فَاَسٍ أَسْتَرْزِقُ اللَّهَ فِيهِمْ^(٤).
فَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُمْ دَفَعْتُ^{هُ} لِبَنِيهِمْ.

- وَقَالَ لَهُ فَتَى اسْمُهُ أَيْمَنُ: هَجَوْتَنِي. فَقَالَ:

أَيْمَنُ، لَمْ أَهْجُكَ. لَا، وَالَّذِي يَعْلَمُ مَا أَخْفَى وَمَا أَظْهَرُ.
إِنْ كُنْتُ فِي مَا قُلْتَهُ كَاذِبًا، كَفَرْتُ بِاللَّهِ كَمَا تَكْفُرُ،
وَحَلَّ بِي دَاوُكُ - ذَاكَ الَّذِي إِنْ ذَكَرَ الْأَدْوَاءُ لَا يُذَكَّرُ.

٤-★★ المغرب ٢: ٢٦٦ - ٢٧٠، زاد المسافر ١١٩ - ١٢٣، بغية الملتبس ٤٨٨ - ٤٨٩
(رقم ١٤٧٩)، المطرب ١٣٢ - ١٣٣، الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦٩، صلة الصلة
١٧٧ - ١٧٨، نفح الطيب ٣: ٢٠٥ - ٢٠٦، ٣٢٤، الأعلام للزركلي ٩: ١٨٧
(٨: ١٥٢).

(١) هنالك اعتقاد سائد بأن أصل البربر من حيمر (أهل اليمن). - هؤلاء عظماء سواء أكان أصلهم من حيمر أو إذا اكتفوا بالانتساب إلى قبيلتهم لمتونة.

(٢) المرابط: المدافع عن حدود البلاد الإسلامية (وهنا: واحد المرابطين، البربر من لمتونة).

(٣) خلَّق: مشكَّل على هيئة معينة.

(٤) الجملة: كبار القوم.

عصر الموحدين

(نحو ٥٢٤ هـ إلى ٦٧٤ هـ)

لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ المَرَابِطِينَ قَامَ رَجُلٌ يُدْعَى أَمْعَارَ بْنَ تَوَمَرَةَ المَرْغَمِيُّ مِنْ قَبِيلَةِ مَصْمُودَةَ مِنْ أَهْلِ السَّوْسِ - وَيُسَمِّيهِ أَتْبَاعُهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَوَمَرَةَ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - بِدَعْوَةِ لِلإِصْلَاحِ فِي مَدِينَةِ تَيْمَنَلَ (فِي جِبَالِ الأَطْلَسِ). وَكَانَ ابْنُ تَوَمَرَةَ هَذَا قَدْ تَطَوَّفَ فِي الْبِلَادِ وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ. وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ لَقِيَ الْغَزَالِيَّ. وَلَكِنَّ الرَّاجِحَ أَنَّ ابْنَ تَوَمَرَةَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ فِي سَنَةِ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ مُدَّةَ سِيرَةٍ (وَلَمْ يَكُنِ الْغَزَالِيَّ، فِي ذَلِكَ الْحِينِ، فِي بَغْدَادَ - بَلْ كَانَ قَدْ اعْتَزَلَ فِي طُوسَ بِفَارِسَ). وَلَكِنْ لَا شَكَّ أَبَدًا فِي أَنَّهُ اتَّصَلَ بِتَغْيِيرِ مَنْ أَتْبَاعِ الْغَزَالِيَّ وَأَنْصَارِهِ، غَيْرَ أَنَّ تَأَثَّرَهُ بِأَرَاءِ الْغَزَالِيَّ لَمْ يَكُنْ فَاصِلًا. وَعِنْدِي أَنَّ الَّذِينَ رَتَّبُوا هَذِهِ الرِّوَايَةَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُسَبِّغُوا عَلَى حَرَكَةِ ابْنِ تَوَمَرَةَ شَيْئًا مِنَ الْوَجَاهَةِ، لِأَنَّ كُلَّ دَعْوَةٍ جَدِيدَةٍ مُحْتَاجَةٌ إِلَى صِلَةٍ بِحَرَكَةٍ كَانَتْ مَعْرُوفَةً مِنْ قَبْلُ وَعَلَى شَيْءٍ مِنَ الثَّبَاتِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ.

وَلَمَّا عَادَ ابْنُ تَوَمَرَةَ مِنْ رِحْلَتِهِ فِي الْمَشْرِقِ وَقَامَ بِحَرَكَتِهِ ثُمَّ كَثُرَ أَتْبَاعُهُ سَمَّاهُمْ «الْمُوحَّدِينَ» وَتَسَمَّى هُوَ «الْمَهْدِيُّ بْنُ تَوَمَرَةَ». بَعْدَئِذٍ أُرْسِلَ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)، جَيْشًا بِقِيَادَةِ أَحَدِ أَتْبَاعِهِ الْمُخْلِصِينَ الْأَشْدَاءَ - عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُومِيَّ - لِقِتَالِ المَرَابِطِينَ.

ثُمَّ تُوَفِّيَ الْمَهْدِيُّ بْنُ تَوَمَرَةَ فَجَاءَ - وَقَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعُمُرِ، فِي الْغَالِبِ - فَكَمَ أَتْبَاعُهُ خَيْرَ مَوْتِهِ حَتَّى اتَّفَقُوا عَلَى خَلْفِهِ لَهُ. وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ خِلَافَهُمْ كَانَ حَادِثًا بَيْنَ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ الْكَبِيرَةِ، تِلْكَ الْقَبَائِلِ الَّتِي لَمْ يَرْضَ بَعْضُهَا أَنْ يُعْرَفَ

لبعض بالتقدم والسيادة، فاتفقوا على ما يجري مثله، في مثل تلك الأحوال، على رجلي من قبيلة غير قوية هو عبد المؤمن بن علي. ولقد كان من الأسباب التي ساعدت على اختيار عبد المؤمن أنه كان من المقرّبين إلى المهدي بن تومرت وأنه كان ذا سابقة في الجهاد في سبيل قيام الدولة التي دعا المهدي بن تومرت إلى قيامها.

أخضع عبد المؤمن قبائل المغرب وطهر سواحل إفريقيا من النورمان ثم جاز إلى الأندلس واستولى على مدنها من أيدي بقايا المرابطين ومن أيدي الإسبان أيضاً. ولما توفي عبد المؤمن (٥٥٨ هـ = ١١٦٣ م) كان حكم الموحدين قد توطّد في المغرب وفي الأندلس. وكان أعظم سلاطين الموحدين أبو يعقوب يوسف حفيد عبد المؤمن والمعروف بلقب المنصور الموحي، وكان معاصراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي.

وفي أيام المنصور الموحي وصل بنو هلال وبنو سليم إلى المغرب. واستنجد صلاح الدين بالمنصور الموحي فلم يستطع المنصور إنجاده لأن يديه كانتا مفلولتين بالجهاد في الأندلس.

وفي سنة ٥٩١ هـ = ١١٩٤ كانت حشود عظيمة من الصليبيين آتية إلى المشرق فنزلت على سواحل الأندلس واشتركت مع ألفونس الثامن ملك قشتالة في قتال مسلمي الأندلس وأكثروا القتل والتدمير. فجاز المنصور الموحي إلى الأندلس، في تلك السنة نفسها، وقاتل الإسبان والفرنجية في معركة الأرك وانتصر نصراً مبيناً كالنصر الذي حازه يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة.

ولما توفي المنصور الموحي (٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م) خلفه ابنه محمد الناصر. ثم اشتد أذى الإسبان على المسلمين في الأندلس فجاز الناصر، سنة ٦٠٢ هـ، وقاتل الإسبان في معركة العقاب في موضع يُعرف بمحضن العقبان، ولكن المسلمين انهزموا. ثم جاء بعد الناصر ابنه يوسف المنتصر (٦١٠ هـ = ١٢١٣ م). ولما ألح الإسبان على المسلمين في الأندلس أمر المنتصر الولاة الموحدين على الأندلس بمحاربة الإسبان فوقعت المعركة في قصر أبي دانس وانهزم المسلمون فيها هزيمة كالهزيمة في معركة العقاب. وقد دلت هذه المعركة على ذهاب قوة الموحدين وعلى ضعف أمر المسلمين في الأندلس.

الحفصيون والمرينيون وبنو عبد الواد.

كانَ عبدُ الواحدِ الحفصيّ والياً للموحّدين على تُونِسَ، فلَمَّا تَوَفَّى، سَنَةَ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م)، خَلَفَهُ ابْنُهُ عبدُ الرحمنَ ثُمَّ ابْنُهُ الآخرُ عبدُ الله (سنة ٦٢٠ هـ). ثم جاء أبو زكريّا يحيى بن عبد الواحد وأمرُ الموحدّين في إذبار فأعلن استقلاله ونازع الموحدّين، ثم نازع بني مرّين حتّى امتدَّ مُلْكُهُ من طَنْجَة في الشّمال إلى سِجِلْمَاسَة في الجنّوب. وأغزى أبو زكريّا الحفصيّ جيشاً إلى الأندلس، ولكن لم يَنَلْ مَرَاماً. وقد كان أبو زكريّا الحفصيّ أعظمَ الحفصيّين، وهو الذي بنى، في تُونِسَ، جامعَ القَصْبَةِ وصَوَّمَعَتَهُ الجميلةَ وبنى سوقَ العَطَارِينِ وكثيراً من المساجد والمدارس. ولَمَّا تَوَفَّى (٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م) كانتْ أمورُ بني حَفْصٍ قد تلاشت.

أما بنو مرّين فكانوا يَنزِلون في بلادِ القِبْلَةِ ما بين الزاب وسِجِلْمَاسَة (في المغرب الأقصى). فلَمَّا ضَمَّ الموحدّون، بعدَ وقعة العقاب انتشرَ بنو مرّين في المغرب بقيادة رئيسِهِم عبد الحقّ بن محبو، لكنّه قُتِلَ في حَرْبِ زِنَاة (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م). وكان أعظمُ ملوكِ بني مرّين يعقوبُ المنصورُ المريني فقد اتَّسعَ مُلْكُهُ من فاس إلى سلا قَرَبَ الرِّباط وسِجِلْمَاسَة ثُمَّ إلى وادي أمّ الربيع جنّوباً. وقد جاز المنصورُ المرينيُّ إلى الأندلس أربعَ مرّاتٍ سياحياً الكلامَ عليها في الكلامِ على بني الأحمر. وفي سَنَةِ ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) استولى الإسبان على مَرَقَا سَلا فأخرجَهُمُ المنصورُ منه ثم حَصَّنَهُ.

وأما بنو عبد الوادِ فكانوا وُلاةً للموحّدين على المغرب الأوسط. فلَمَّا ضَمَّ الموحدّون أسَّسَ جابرُ بنُ يوسفَ دولةَ بني عبد الواد، سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م). وفي سَنَةِ ٦٣٣ هـ استقلَّ يَفْمَراسُ بن زَيَّانَ بالمغرب الأوسط واتَّخذَ تِلِمَسَانَ عاصمةً، ولكنَّ الحربَ ظَلَّتْ سِجالاً بينه وبين الحفصيّين أصحابِ تُونِسَ وبين المرينيّين أصحابِ المغرب الأقصى. وفي سَنَةِ ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) استولى بنو مرّين على تِلِمَسَانَ وزالتْ دولةُ بني عبد الواد.

وعظمتْ شهرةُ المنتصر بالله الحفصيّ الأولِ، وهو أبو عبد الله محمّد بن أبي زكريّا (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) في المغرب كُلِّهِ وفي الأندلس أيضاً، واستبحرتْ في أيامه الحضارةُ وكثُرَ العُمَرانُ.

ولمّا تابعتِ المعاركُ على الإفرنج الصليبيين في المشرقِ أرادَ البابا وملوكُ أوروبة أن يُحرزوا شيئاً من النصر في المغرب فأقنعوا لويسَ التاسعَ ملكَ فرنسة بأن يقودَ حملةً صليبيةً على تُونسَ فجاءَ على رأسِ أربعين ألفَ جنديٍّ ونزلَ على الشاطئِ التونسيّ فتصدى له أهلُ تُونسَ، وسارعتْ إلى نَجْدَةِ التونسيين قبائلُ من المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وبعد حربٍ اتّصلتِ سِتَّةَ أشهرٍ هلكَ لويسُ التاسعُ، في العاشر من المُحرَّم من سَنَةِ ٦٦٩ (١٢٧٠/٨/٢٩ م) وهلك معه مُعظمُ جيشِهِ.

ظلَّ الموحدونَ في نزاعٍ وِقْطالٍ حتّى زالتْ سُلْطَتُهُم عن الأندلس. ثمَّ قَوِيَ أمرُ بني مرينٍ فقاتلوا الموحدين وساروا على مَرَّاكُشَ. وقد تصدّى لَهُمُ المَلِكُ أبو العلاء إدريسُ المرينيُّ المعروف بِلقَبِ أبي دَبُوسٍ ولكنه قُتِلَ في المَعْرَكَةِ (٦٦٨ هـ = ١٢٦٧) ودخلَ المرينيونَ مَرَّاكُشَ. وانسحبَ الموحّدون إلى تِينْمَلٍ وبابوعوا فيها إسحاق بن أبي إبراهيم. وفي سنة ٦٧٤ هـ قَبِضَ السلطانُ يعقوبُ بنَ عبدِ الحقِّ المرينيُّ على إسحاقَ ابن أبي إبراهيم وقتله فانقرضتْ بِمَقْتَلِهِ دولةُ الموحدين.

ولمّا بدأ أمرُ بني حفصٍ يضعفُ بتنازُعِ أمراءِ البيتِ المالِكِ قاد أبو الحسَنِ المرينيُّ جيشاً كبيراً، سَنَةَ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وانتزعَ قُسْطَينَةَ من يدِ الحفصيين ثمَّ استولى على عاصمتِهِم تُونسَ. غيرَ أنَّ أبا الحسَنِ المرينيَّ أساءَ السيرةَ فثارت عليه فِتْنَةٌ شديدةٌ فاضطُرَّ إلى الرجوعِ عمّا كان قد استولى عليه (٧٥٠ هـ).

أما أعظمُ سلاطينِ الدولةِ الحفصيةِ فكانَ أبا فارسٍ عَزَّوَزاً (عبد العزيز) فإنَّه وسَّعَ مُلْكَهُ ووَطَّدَ الأمنَ فيه وسالَمَهُ بنو مرينٍ وبابعه أهلُ الأندلسِ وأطاعه أهلُ المغربِ كُلُّهُم. وبعد وفاة أبي فارسٍ عَزَّوَزِ الحفصيّ (٨٣٧ هـ = ١٤٣٤ م) بدأتْ أمورُ الدولةِ الحفصيةِ بالفسادِ.

الحياة الاجتماعية في عصر الموحدين...

اتَّخَذَ الموحّدونَ اسمَهُم من الرَغْبَةِ في « التوحيد » بالاقتصارِ في أمورِ الدينِ على ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ، فَهُمُ في ذلكَ سَلَفِيّونَ لا يَنْتَمُونَ إلى مذهبٍ من المذاهبِ التي كانتْ قد نشأتْ من قبلُ. وقد نَهَى يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠ -

٥٩٥ هـ) عن الإفتاء إلا بالكتاب والسنة، وأباح الاجتهاد لمن اجتمع فيه شروط الاجتهاد (من العلم والعدالة والمعرفة بالأصول التي تستخرج بها الأحكام). كما نهى عن التقليد وعن الأخذ بالأمور الخلافية (اختلاف الفقهاء في فروع الفقه والجدال في تقديم وجه على وجه منها).

وكان الناس في أيام الموحدين - منذ بدء حركتهم على يد المهدي بن تومرت - ثلاث طبقات هي: السابقون الأولون (الذين كانوا أنصار المهدي بن تومرت في حركته وفي أيامه) ثم الأتباع (الذين جاءوا بعد ابن تومرت أو لم يكونوا قد اتصلوا به) ثم العامة (وهم جمهور الناس). وخص أعضاء الأسرة المالكة من أبناء عبد المؤمن ابن علي - أول سلاطين الموحدين - أنفسهم بلقب «السيد».

واتسمت مرافق الدولة في أيام الموحدين وخصوصاً في القضاء والوزارة وفي نظام الجيش والأسطول. بلغ جيش الموحدين نحو نصف مليون جندي تآمي العدة والشارات (بالإضافة إلى زمنه) وكان يجري عرضه (استعراضه) مرة بعد مرة، كما بلغ العدد في مراكب الأسطول إلى أربعمائة مركب.

غير أن عصر الموحدين لم يخل من منغصات كانتشار البدو في أقطار المغرب. ومع أن البدو (من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم) كانوا قد جاءوا إلى المغرب منذ أواسط القرن الخامس للهجرة (أواسط القرن الحادي عشر للميلاد) فإنهم ظلوا إلى ذلك الحين رحلاً (ينتقلون من مكان إلى مكان). ثم بدأوا في أيام الموحدين يستقرون في الأرض. وكان نفر من الثائرين أو الناقمين على الدولة يستخدمون أولئك البدو في العصيان على سلطة الموحدين. ومنذ السنة الأولى لحكم السلطان يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثار يحيى بن إسحاق بن غانية - وهو من بني غانية ومن أقارب سلاطين المرابطين - في إفريقية (القطر التونسي) وفي طرابلس (الجانب الغربي من ليبيا اليوم) ودعا للخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ).

وقد اتسع العمران في أيام الموحدين، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور، فإنه بنى المساجد والقلاع والمستشفيات (للمرضى وللمجانين) وبنى القناطر (الجسور)

والأقنية لجَرِّ المياه وَحَفَرَ الآبَارَ وأجرى على الفقهاء وطلّبة العلم مُرْتَبَاتٍ. ومن آثارِ يعقوبَ المنصورَ الجامعُ الأعظمُ في مَرَاكُشَ والمِثْدَنَةُ المعروفةُ باسم «الْكُتُبِيَّةِ». ثم إنّه أنشأ مدينةَ الرِّباط (أورِباطُ الفتح) لتكونَ مركزاً لتجمّع الجنودِ إذا أرادَ الموحّدونَ الجُوزَ إلى الأندلسِ للدِّفاعِ عنها في وَجْهِ الإسبان. وبنى يعقوبُ المنصورُ في مدينةِ سَلا، على مسافةٍ سيرةٍ من الرِّباط الجامعِ الأعظمِ والمدرسةَ التابعةَ للجامع، كما بنى في ظاهرِ مدينةِ الرِّباط جامعَ حَسَّانِ ومِثْدَنَتَهُ الجميلةَ. وهذا الجامعُ اليومَ بقايا من الأعمدةِ ما عدا الصَّوْمَعَةَ (المِثْدَنَةُ) التي لا تزالُ قائمةً إلّا شيئاً يسيراً من أعلاها. وقد أتمَّ يعقوبُ المنصورُ جامعَ إشبيلية (الأندلس) ومِثْدَنَتَهُ التي هي طِرَازُ رائعٍ من العَظَمَةِ والزُّخْرَفِ، وارتفاعُها خمسةٌ وتسعونَ متراً.

... وفي أيامِ المرينيين

(٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م وما بعد).

كان بنو مرينٍ فخذاً من زِنَانَةِ (تصحيّف «جانا»: وهو جدُّهم الأعلى)، وكانت حياتهم بَدْوِيَّةً ومساكنهم، في الأكثرِ خياماً، وكانوا يَرْحَلُونَ من مكانٍ إلى آخرٍ ويعتنون بتربيةِ الإبلِ والخيَل. من أجل ذلك يبدو أن آثارهم الحضاريّة لم تكن كثيرةً برغمِ الثروةِ العظيمةِ التي كانت في أيديهم، وهذا، كما يقولُ عبدُ الرحمن بنُ محمّد الجيلاليّ (تاريخ الجزائر العام ٢: ٨٩) صعبُ التعليل. ومع هذا كلّهُ فنحنُ نَجِدُ في المغربِ وفي الجزائرِ أيضاً عدداً من المنشآت التي ترجعُ إلى أيامِ بني مرينٍ وتنصّفُ بِجَإِلِهَا وقيمتها الأثريّة. من ذلك مثلاً المدينةُ البيضاءُ (فاسُ الجديدة) التي يَرْجِعُ زمنُ بنائها إلى أيامِ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) خامسِ سَلاطينِ بني مرينٍ، إلى جانبِ عددٍ من المدارس والمساجد والأبراج. وفي «تاريخ الجزائر العام» (٢: ٨٧ - ٩٥) تفاصيلٌ لأوجهِ من الحضارة والثقافة تَنطِقُ بشيْءٍ من الرقيِّ ولكنها لا تَبْلُغُ إلى أن تكونَ وافيةً باتِّساعِ مُلْكِ بني مرينٍ وبِعَظَمِ الثروةِ التي اجتمعت في خزائنها.

... وفي أيام الدولة الحفصية

(٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م وما بعد).

بدأ الحفصيون، وهم أحفاد أبي حفص عمر بن يحيى الهنتائي الحفصي أحد أنصار عبد المؤمن بن علي الموحدي، ولاية للموحدين على تونس، قام بذلك منهم ثلاثة هم الشيخ عبد الواحد (٦٠٣ - ٦١٨ هـ) ثم أبناءه من بعده عبد الرحمن ثم عبد الله عبّو (٦٢٠ - ٦٢٥ هـ). ولما جاء ثالث أبناء الشيخ عبد الواحد - وهو أبو زكريا يحيى - إلى ولاية تونس، سنة ٦٢٥ هـ، في حديث طويل، كان أمر الموحدين في تراجع، فأعلن استقلاله عن الموحدين، وهو - في الحقيقة - مؤسس الدولة الحفصية.

وتمتعت الدولة الحفصية، في تونس بجزء وقوة، ثم اتسع ملكها اتساعاً كبيراً، ولكن غلب على رجالها وعلى تمدنها الاتجاه البربري في الحياة (البدوية)، كما غلب عليها سوء الإدارة. غير أن الحفصيين عادوا فساروا في طريق الحضارة والثقافة شوطاً بعيداً. فنجد أيام ولايتهم قربوا الشعراء. ثم إن أبا زكريا يحيى أنشأ المساجد والمدارس والمكتبات وقصده الشعراء، كما كان هو نفسه أيضاً كاتباً شاعراً. وهو الذي بنى جامع القصبة (القلعة) وصومعته الجميلة. ولما انتهى بناء هذا الجامع (غرة رمضان ٦٣٠: ١١/٦/١٢٣٣ م) أذن فيه السلطان أبو زكريا بنفسه.

وجاء بعد أبي زكريا يحيى ابنه محمد المستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) - وكانت الخلافة العباسية في بغداد قد سقطت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) على يد هولاكو المغولي، فأرسل أمير مكة أبو نعيم محمد بن علي (٦٥٢ - ٧٠١ هـ) إلى المستنصر الحفصي بمبايعة أهل مكة والمدينة، سنة ٦٥٧ هـ، فسر المستنصر بذلك سروراً بالغاً واحتفل بذلك اليوم احتفالاً عظيماً وتلقب بلقب أمير المؤمنين، إذ كانت الخلافة العباسية قد سقطت ثم كان هو أكبر سلاطين المسلمين في زمانه. وكذلك هاداه ملك برنو (وبرنو سلطنة في أواسط السودان أهلها مسلمون).

وعاش بنو حفص في الملك مدة طويلة بعد المستنصر، ولكن تلك المدة تخرج من نطاق هذا الفصل الذي خصت به دولة الموحدين.

العلوم الدينية عامة

كثُرَ التأليفُ في علوم القرآن والحديث والفقه لِمَلِيلِ الموحِّدين إلى التوسُّع في هذه العلوم. فمن علماء هذه الحِقْبَةِ أبو القاسم محمد بن فيرُ الشاطبي (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ) وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً ومحدث رسول الله، اشتهر بمنظومته «الشاطبية» أو «حِرْزُ الأمانِي ووجه التهاني» (وهي ألف ومِائَة وثلاثة وسبعون بيتاً) نظم فيها الشاطبي القواعد التي وردت في كتاب «التيسير» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧٠ - ٤٤٤ هـ) في القراءات. وكذلك نظم الشاطبي قصيدة دالية في خمسمائة بيتٍ لخص فيها كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). وكتاب «التمهيد» هذا يقع في سبعين جزءاً رتَّبَ فيها ابن عبد البر أسماء شيوخ مالك على حروف المُعْجَم. وللشاطبي أيضاً تفسيرٌ للقرآن - ناظمة الأزهار في عدد آيات القرآن - عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الخ (وللشاطبي في هذا الجزء ترجمة مفردة).

ومن المُفسِّرين في هذا العصر أبو عبد الله عليُّ بن أحمد الحرالي المراكشي (ت في حاة ٦٣٧ هـ) وابن خليل العشَّاب الإفريقي (ت ٦٣٧ هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإشبيلي (ت ٦٥١ هـ) له كتاب في تجويد القرآن ومخارج الحروف.

ولابن فرَّح الإشبيلي - شهابُ الدين أبو العباس أحمد بن فرَّح بن محمد - مولده في إشبيلية، سنة ٦٢١ هـ (وقيل ٦٢٥) ووفاته في تاسع شعبان من سنة ٦٧١ (١٢٧٣/٤/٢٩ م) - وقيل ٦٩٩ - له: «جامعُ أحكام القرآن» و«قصيدة غَزَلٍ في ألقاب الحديث» (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧).

الحديث خاصة

أما في الحديث فهناك أبو عبد الله محمد بن علي الجبَّار (ت ٥٦٣ هـ) له كتاب الأربعين من رواية الحمدين ثم هنالك أبو إسحاق إبراهيم بن قرقول أو ابن قرقول (ت ٥٦٩ هـ) وكان من المتحقِّقين بعلوم الحديث؛ وأبو حفص محمد بن عبد الحميد

المياثني (ت ٥٧٩ هـ) له كتاب «مالا يسعُ المحدثين جهله»؛ ثم عبدُ الحق بنُ عبدِ الرحمن بنِ الحَرَّاطِ الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) كلن حافظاً للحديث عالماً بعلله ورجاله وفقهياً، له: الجمع بين الصحيحين (صحيح - مُسلم - وصحيح البخاري) - الأحكام الكبرى - الأحكام الوسطي - الأحكام الضعفى - كتاب الجمع بين المصنفات الستة - كتاب المعتل من الحديث - كتاب الزقاقى.

وفي هذا الباب أيضاً محمد بنُ عبد الله القرطبي (ت ٦٢٩ هـ) له موجز كتاب «التمهيد» لابن عبد البر؛ وأبو الربيع الكلاعي (ت ٦٣٤ هـ) وأبو المكارم محمد بن محمد بن مُسدي القرناطي (ت ٦٦٣ هـ) له كتابٌ عنوانه «الأربعون المختارة في فضل الحج والزياره» (الأعلام للزركلي ٨: ٢٤ و ٧: ١٥٠).

الفقه

وفي أيام المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) تُركت دراسة فروع الفقه (لما كان فيها من الآراء المختلفة في مُفردات العبادات وأوجه المعاملات) فقد أمر المنصور بإحراق كتب المذهب (المالكي) بعد أن يجرد ما فيها من الآيات والأحاديث. قال عبد الواحد المراكشي (في المعجب): «فأحرقَ منها جُملةً في سائر البلاد، كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحوها..... وتقدم (المنصور) إلى الناس في تركِ الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها - على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بنُ تومرت في الطهارة. فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يُمليه بنفسه على الناس ويأمرهم بحفظه. وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخاصة..... وكان قصده في الجملة مخو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث. وهذا المقصد بعينه كان مقصداً أبيه وجده، إلا أنها لم يُظهروا وأظهره يعقوب هذا..... قال الحافظ أبو بكر

ابن الجَدِّ... «لما دخلتُ على أمير المؤمنين أبي يعقوب* - أول دخلةٍ دخلتها عليه - وجدتُ بين يديه كتابَ ابنِ يونسَ. فقال لي: يا أبا بكرٍ، أنا أنظرُ في هذه الآراءِ المتشعبةِ التي أُحدثتُ في دينِ الله! رأيَتَ، يا أبا بكرٍ، المسألةَ فيها أربعةَ أقوالٍ أو خمسةَ أقوالٍ أو أكثرُ من هذا؟ فأني هذه الأقوالُ هو الحقُّ؟ وأنيما يجبُ أن يأخذَ به المقلدُ؟ فافتتحتُ أُبينُ له ما أشكلُ عليه من ذلك. فقال لي - وقطعَ كلامي - يا أبا بكرٍ، ليس إلّا هذا (وأشارَ إلى المصحف) أو هذا (وأشارَ إلى سننِ أبي داود، وكان عن يمينه) أو السيفُ!» (ص ٢٠١ - ٢٠٣).

ومن فقهاء هذا العصر أحمدُ بنُ محمدَ بنِ خلفِ الحنفي القلعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ)، له كتابُ في الفرائض (تقسيم الإرث)، وأبو الوليد هشامُ بنُ عبد الله بنِ هشامٍ (ت ٦٠٦ هـ) له كتابُ «مفيد الحكام»، وأبو عبد الله بنِ عيسى بنِ أصبغ القرطبي (ت ٦٢٠ هـ) وعبدُ السلام بنُ غالبِ السراقي (بكر فسكون) اللبني المعروف بابنِ غلابٍ (ت ٦٤٨ هـ)، له كتابُ «الوجيز» (في الفقه المالكي)، وأبو العباس أحمدُ بنُ عمَرَ القرطبي (ت ٦٥٦ هـ)، له «كشف القناع عن حكم الوجد والسَّاع» (في التصوُّف؟) وشرحُ صحيحِ مُسلمٍ. ولأبي البقاء صالح بنِ شريف الرُّندي الشاعر (ت ٦٨٤ هـ) أرجوزةٌ في الفرائض.

وهناك أبو إسحاق إبراهيم بنُ أبي بكرِ التِّلْسانِي (ت ٦٩٠ هـ) له المنظومة التِّلْسانِيَّةُ (في الفرائض: الإرث؟) - وقد شَرَحَهَا كثيرون، وله أيضاً نتائجُ الحَيْرِ ومُزِيلَةُ الْغَيْرِ في نَظْمِ الْمَغَازِي وَالسَّيَرِ (بروكلمن الملحق ١: ٦٦٦). وكذلك نجدُ في القرنِ السابعِ أيضاً أبا عبدِ الله مُحَمَّدَ بنَ موسى بنِ النُّعْمَانِ الْفَاسِي الْمَرَاكِشِي الْمَرْزُوقِي، له كتابُ النور الواضح.

ونذكرُ من فقهاء الإباضِيَّةِ، في عصرِ الموحِّدين، أبا زكريا يحيى بنَ الحَيْرِ الجنوبيِّ من أهلِ جبل نفوسة (بروكلمن، الملحق ١: ٦٩١)، له كتابُ «الْوَضْع» (في فروع الفقه) ثم كتابُ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ. وهناك أيضاً من هؤلاء أبو يعقوبُ يوسفُ ابنُ إبراهيم بنِ مِيَادِ السِّدْرَاتِي الْوَرْغَلَانِي (ت ٥٧٠ هـ)، له: الدليلُ لأهلِ العقول (و؟)

* كذا في الاصل. اقرأ: يعقوب.

لباغي السبيل بما (هو؟) الدليل لتحقيق مذهب الحقّ بالبرهان والصدق ثمّ له أيضاً ترتيبٌ مُسنَدٌ الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيديّ البصريّ (بروكلمن، الملحق ١: ٦٩٢).

الفلسفة والتصوف

وبلغت الفلسفة والصوفية في العصر الموحد ذروتهما.

أما في الفلسفة فيكفي أن نُشيرَ هنا إلى ابنِ طُفَيْل (ت ٥٨١ هـ) وإلى ابنِ رُشْد (ت ٥٩٥ هـ) ولهما تَرْجُمان مُفْرَدَتان. ثم جاء بعدها ابنُ طُملُوسَ (ت ٦٢٠ هـ) وكانت له شروحٌ على عددٍ من كتب أرسطو في المنطق. وقد بقيَ منها «المُدْخِلُ إلى صناعة المنطق» نشره آسِن بالاثيوس (مدرّيد ١٩١٦ م). ولقد تأثّر ابنُ طُملُوسَ بابنِ رُشْد خاصةً، إذ كَانَ تلميذاً له (أخذاً عنه)، كما تأثّر بكتبِ الفارابيّ وبكتبِ الغزاليّ على الأخص. وأسَطرَضَ ابنُ طُملُوسَ حالَ الفلسفة معَ الناسِ عامّةً ومعَ الفقهاءِ خاصّةً ثم قال:

«..... ولَمَّا آمَتَدَتِ الأيَّامُ وَهَلَلَتْ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ (الأندلس) كُتِبَ أَيُّ حَامِدِ الْغَزَالِيِّ مُتَفَنِّئَةً. فَفَرَعَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَأْلَفُوهَا وَلَا عَرَفُوهَا، وَبِكَلَامٍ خَرَجَ بِهِمْ عَنْ مُعْتَادِهِمْ مِنْ مَسَائِلِ الصُّوفِيَّةِ..... فَبَعُدَتْ عَنْ قَبُولِهِ أَذْهَانُهُمْ وَنَفَرَتْ مِنْهُ نَفُوسُهُمْ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ فَهَذَا الَّذِي فِي كِتَابِ الْغَزَالِيِّ. وَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ وَأَجْتَمَعُوا لِلْأَمِيرِ إِذْ ذَاكَ وَحَلَوْهُ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ بِحَرْقِ هَذِهِ الْكُتُبِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الضَّلَالِ بِزَعْمِهِمْ، فَأَحْرَقَتْ كُتُبُ الْغَزَالِيِّ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا فِيهَا..... ثُمَّ لَمْ تَكُنْ تَمْتَدُّ الْأَيَّامُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِمَامِ الْمُهَدِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَانَ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا قَدْ تَحَيَّرُوا فِيهِ. وَنَدَبَ النَّاسُ إِلَى قِرَاءَةِ كُتُبِ الْغَزَالِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعُرِفَ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنَّهُ يُوَافِقُهُ. فَأَخَذَ النَّاسُ فِي قِرَاءَتِهَا وَأَعْجَبُوا بِهَا وَبِمَا رَأَوْا فِيهَا مِنْ جُودَةِ النِّظَامِ وَالتَّرْتِيبِ (مِمَّا) لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ فِي تَأْلِيفٍ (آخَرَ). وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ مَنْ لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ حُبُّ كُتُبِ الْغَزَالِيِّ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ إِفْرَاطُ الْجُمُودِ مِنْ غُلَاةِ الْمُقَلَّدِينَ، فَصَارَتْ قِرَاءَتُهَا شَرْعاً وَدِيناً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُفْراً وَزَنْدَقَةً. فَلَمَّا رَأَيْتُ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ - وَمَا جَرَى عَلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، مِنْ إِنْكَارِهِمْ أَوَّلًا مَا اسْتَحْسَنُوهُ آخِرًا - قَلْتُ فِي نَفْسِي:

ولعلَّ صِنَاعَةَ المنطق هكذا يكون حُكْمُهَا: تُنْكَرُ أَوَّلًا وتُسْتَعْمَلُ آخِرًا.... تَشَوُّتُ
إلى معرفتها.....» (بالنشيا ٣٦٢ - ٣٦٦).

وكان السلطان يعقوبُ المنصورُ شديدةَ الرَّغْبَةِ في علومِ الفلسفة. فلما أَرَادَ الجَوَازَ
إلى الأندلس لِقِتَالِ الإسبان الذين كانوا يُلْحَوْنَ بالاستيلاء على المدن الأندلسية من
أيدي المسلمين، أنبى الفقهَاءُ له ثم جعلوا يُثَبِّطُونَ النَّاسَ عَنِ الانْضِمَامِ إلى جيش
سُلْطَانٍ يَقْرَبُ إِلَيْهِ الفلاسفةُ ويشْتَغِلُ بعلومِهِمُ المخالفةَ للدين. فَأَضْطَرَّ المنصورُ إلى
تَرْضِي الفقهَاءِ فَأَظْهَرَ التَّبَرُّؤَ مِنَ الفلسفةِ وأَهْلِهَا ونفى الفيلسوفَ أَبْنَ رُشْدٍ إلى
أَلِيَّسَانَةَ (وكان مُعْظَمُ أَهْلِهَا من اليهود)، ثم تَقَدَّمَ إلى النَّاسِ بِتَرْكِ هَذِهِ الْعُلُومِ جُمْلَةً
وَاحِدَةً. ثم إنه أمر «بإحراق كتب الفلسفة، إلَّا ما كان من الطبِّ والحساب وما
يُتَوَصَّلُ بِهِ من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخذِ سُنَنِ الْقِبْلَةِ.
فانتشرت هذه الكتبُ في سائر (جميع) البلاد وعُمِلَ بِمَقْتَضَاهَا» (المعجب ٢٥٥).

وعبأ المنصورُ جيشاً عظيماً وجاز إلى الأندلس وواقع الإسبان في معركة الأرك
(سنة ٥٩١ هـ؛ نفح ١: ٤٤٣) وأنتصر أنتصاراً باهراً. «ثم لما رَجَعَ إلى مَرَاكُشْ نَزَعَ
عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَنَحَ إِلَى تَعَلُّمِ الفلسفةِ وأرسل يستدعي أبا الوليد (أبن رُشدٍ) من
الأندلس إلى مَرَاكُشْ للإحسان إليه والعفو عنه فحضر أبو الوليد - رحمه الله - إلى
مَرَاكُشْ.....» (المعجب ٢٢٥).

ومن المتصوفة في هذا العصر أبو مَدْيَنِي شُعَيْبُ بْنُ الْحُسَيْنِ الأندلسي^(١) (٥٢٠ هـ -
٥٩٤ هـ)، أصله من قطنبانية (قُربَ إشبيلية) بدأ حياته حائكاً ثم مالت نفسه إلى
العلم. أنتقل إلى المغرب وسكن فاسَ وأخذ التصوفَ عن أَبِي يَعْرَى (يعزة) الحرمزي
وعن عَلِيِّ بْنِ حَرْزَمٍ وعن الدقاق الذي ألْبَسَهُ الْحِرْقَةَ (أجازه بسلوك طريق التصوف
مُنْفَرِداً). وَرَحَلَ أَبُو مَدْيَنِي وَحَجَّ وَلَعَلَّهُ اجْتَمَعَ فِي مَكَّةَ بَعِيدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي وَبَنَفَرٍ مِنْ
أَتْبَاعِ الْغَزَالِي فَرَجَعَ مَتَأَثِراً جَدّاً بِآرَاءِ الْغَزَالِي (ت ٥٠٥ هـ) والجيلاني (ت ٥٦١ هـ)

(١) راجع: عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥، نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩، العربي ٦٩/١٢ ص ١٠٦، الأصلة
٢٦: ٤ ص ٢٨٤، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨، الأعلام للزركلي ٢٤٤: ٣ (١٦٦).

الصوفيَّين. ولما عاد أبو مدني إلى المغرب استقرَّ في بجاية. ثم إنَّ المنصورَ الموحديَّ دعاه إلى مراكش فلبى الدعوة، ولكنه مريض في أثناء الطريق وتوفيَّ قُربَ تلمسان، سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م)، وله إلى اليوم مقامٌ ومسجدٌ في إحدى ضواحي تلمسان.

ومن أقوال أبي مدني: لا يصلحُ سماعُ هذا العلمِ (علمِ التصوف) إلا لمن جُمِعَتْ له أربعة: الزهدُ والعلمُ والتوكلُ واليقينُ - مَنْ تعلقَ بدَعوى الأماشي لم يُفارقِ التواني - من لم يجد في قلبه زاجراً فهو (قلبه) خرابٌ - من عرَفَ نفسه لم يفتِرْ بشيءِ الناسِ عليه - علامةُ الإخلاص أن يَغيبَ عنك الخلقُ في مُشاهدةِ الحقِّ.

ومن المتصوفين في هذا العصر الموحدي: أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف البجائي (ت ٥٧٧ هـ) وابن طفيل الذي نحا في التصوف منحىً عقلياً ثم أبو الفضل عبد المؤمن بن عمر (ت ٦٠٢ هـ)، له: آداب السلوك (في الطريقة الصوفية) - ديوان الحِكم وميدان الكلم - ديوان المادح - ديوان الديباج (وفيه قصائد في مدح صلاح الدين الأيوبي قالها عبد المؤمن فيه حينما استقر عبد المؤمن مدة في القدس). ثم هناك عبد السلام بن مشيش (ت ٦٢٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الشريشي السلوي (ت ٦٤١ هـ) وكبير المتصوفة في الإسلام ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) وأبو الحسن الششتري (ت ٦٦٨ هـ) وابن سبعين المرسى (ت ٦٦٩ هـ) تلميذ ابن عربي والناقم عليه فيما يبدو، مع أنه سلك في أقواله مسلَك ابن عربي في المزج بين التصوف وأشياء من فلسفتي أفلاطون وأرسطو. غير أنه ظلّ - بخلاف ابن عربي - حريصاً على الاعتقاد بخلق العالم وبقاء النفس بعد الموت. وابن سبعين كُتِبَ منها: بُدُءُ المعارف وعقيدة المحقق المغرب الكاشف وطريق السالك المتبتل الماكف - الدرَج - الدرة المضية والخافية الشمسية (في علم الجفر) - رسائل متنوعة (إحداها وصاة إلى تلاميذه لَعَنَ فيها نفراً من معاصريه من الذين يُنكرون البعث والجنة والنار).

(١) بروكلمن، الملحق ١: ٨٤٤. اقرأ: بدو أو بدء (٢).

في هذا العصر اتسع التأليف في التاريخ على اختلاف أنواعه: التاريخ العام، تاريخ العصور وتاريخ المدن وكتب الفهارس (لأسلاف المشايخ الذين تخرج بهم نفر من العلماء). ولكن يبدو أن عدداً كبيراً من الكتب التي ألفت في هذا العصر قد ضاع. ثم إننا لا نجد مصنفًا تاريخيًا ذا قيمة راجحة إلا في أواخر هذا العصر.

فمن المؤرخين أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن سيدالة التجيبي (ت ٥٥٨ هـ)، له كتاب «مجموع من رجال الأندلس»؛ ثم أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر (ت ٥٥٩ هـ)، له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار». ثم هناك يوسف بن أبي زيد اللّري (ت ٥٧٥ هـ) ألف كتاباً في طبقات الفقهاء في القرنين الخامس والسادس؛ ثم أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) له فهرست مفيد في أسماء شيوخه.

ومن كبار المؤرخين أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٤٩٤ - ٥٧٨ هـ) ألف عدداً كبيراً من كتب التاريخ أهمها كتاب «الصلة» جعله استمراراً لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

ومن المؤرخين أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب «الغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الحافلة»؛ ثم محمد بن أبي بكر بن عفيون الشاطبي (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب في أخبار الزهاد والمبّاد. ثم يأتي أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩ هـ) وقد أشتهر بكتاية «بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس» وهو استمرار لكتاب «جذوة المقتبس» للحميدي (ت ٤٨٨ هـ). ثم هنالك أحمد بن هارون بن عات النقيري الشاطبي (ت ٦٠٩ هـ) له كتاب في قضاة بلده. وكتاب آخر؟ في قضاة الأندلس؛ ثم محمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت ٦٠٩ هـ) ألف كتاباً في أسماء شيوخه. هذا الكتاب قد ضاع، ولكن ابن الأبار نقل منه كثيراً إلى كتابه «التكملة لكتاب الصلة». ثم هنالك أبو عمرو محمد بن عيشون (ت ٦١٤ هـ) ألف كتاباً في «تاريخ الكتاب الأندلسيين»، ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن حاد

(ت ٦٤٢ هـ)، أَلَفَ (نحو سنة ٦١٧ هـ) كتاب « التَّبَذُّدُ المحتاجة في أخبار صِنَهَاة »
(الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة، ٦: ٢٨٠).

ويأتي في هذا الباب أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن إِيخْلَاف (أو
إِخْلَاف) الدرجيني (بلغ أشدّه نحو ٦٢٦ هـ)، وهو فقيه ومؤرخ وشاعر إباضي من
تيمجار في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاط في نشر المذهب الإباضي. وقد اشتهر
بكتابه « طبقات المشايخ ».

ومن كبار المؤلفين في التاريخ أبو الخطّاب بن دِحْيَة (ت ٦٣٣ هـ)، له كتاب
« التَّبراس في خلفاء بني العباس - الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صِفَيْن -
المُطرب من أشعار أهل المغرب (وفيه لمحات تاريخية مُهمّة ومفيدة).

ومنهم أبو العباس محمد بن أحمد العَرَفِي السَّبْئِي أَلَفَ (نحو ٦٣٣ هـ) « الدرّ المنظّم
في مولد النبي المعظّم » (ثم أمّه أبْنُه). ومن كبارهم ابنُ الأَبَّار القُضَاعِي المتوفى سَنَة
٦٣٥ هـ (راجع ترجمته). ولأبي عبد الله محمد بن علي المَالَقِي (ت ٦٣٦ هـ) « تاريخ
مالقة ». ثم إن هنالك أبا القاسم الطيلسان (ت نحو ٦٤٢ هـ)، له: زهر البساتين
وتَفَحّات الرياحين - غرائب أخبار المُسندين ومناقب آثار المهتدين - تاريخ صلحاء
الأندلس - أخبار القُرْطُبِيِّين والتَّبِيعِينَ عن مناقب من عُرِفَ بِقُرْبَة من التابعين
والعلماء الصالحين. ثم هنالك أبو عبد الله محمد بن سعيد الطَّرَاز الفَرْنَاطِيّ
(ت ٦٤٥ هـ) وله فهرسة مُشْتَمِلَة على أسماء شيوخه. ثم هنالك عبد الواحد المَرَاكُشِيّ
(ت ٦٤٧ هـ) - وله في هذا الجزء ترجمة مفردة؛ ثم جال الدين أبو الحجاج يوسف بن
محمد البِيَّاسِيّ (ت ٦٥٣ هـ) صاحب « الحماسة المُغْرِبَة » له في التاريخ كتاب « الإعلام
في الحروب والوقائع في صدر الإسلام » (من مقتل عُمَر بن الخطّاب إلى أيام هرون
الرشد). ثم إن لأبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عُمَيْرَة الخزوميّ (ت ٦٥٨ هـ) كتاباً
في فضائل ميورة وتاريخها وكتاباً آخر في « كائنة ميورة وتغلب العدو عليها ». ثم
هنالك محمد بن الحسن الحسنيّ المِصْرِيّ أَلَفَ (نحو ٦٥٩ هـ) كتاباً في أنساب القبائل،
ألّفه برسم السلطان أبي عبد الله محمد بن زكريا الحفصي صاحب تُونَس (٦٤٧ -
٦٧٥ هـ). ولبنی سعيد في هذا الجزء ذِكرٌ خاص، وبأبي الكلام على كتابهم « المغرب »

في ترجمة أبي عليّ الحسن بن موسى (ت ٦٨٥ هـ).

الجغرافية

أما المصنّفاتُ في الجُغرافية - في هذا العصر - فقليلةٌ جدًّا. ولا بأسَ في أن نُشيرَ هنا إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) من أهل سبته سَكَنَ الأندلسَ مدة ثم انتقل إلى جزيرة صقلية وأتصل بملكها رُجَّار الثاني (٥٦٢ - ٥٨٥ هـ) وآلف له كتاب «نزهة المُشتاق في آختراق الآفاق»، ويُعرَفُ أيضاً باسم الكتاب الرُّجَّاري. وقيمةُ هذا الكتاب إنما هي في شموله وفي الخُرُط الكثيرة الدقيقة التي تُوضِّحُ جانباً من مواقع الأماكن الواردة فيه. وقد صنع الإدريسيّ خارطةً للعالم تُعدُّ قريبةً من الواقع. وكان هنالك كُرَّةٌ من فضةٍ للعالم صنعت بإشراف الإدريسيّ، ولكن لم تصل إلينا.

وهناك الرحالة أبو حامد الفَرَناطيَّ (ت ٥٦٥ هـ) وله في هذا الكتاب ترجمة خاصة. كما تحسَّن الإشارة إلى ابن طُفَيْلٍ (ت ٥٨١ هـ) وله أيضاً ترجمة مفردة. وكذلك لابن عَفْيُون الشاطبيّ (ت ٥٨٤ هـ) في الجغرافية كتاب في عجائب البحر. ثم هنالك ابن جُبَيْر (ت ٦١٤) الرحالة المشهور وله ترجمة خاصة.

العلوم الرياضية والطبيعية

كان للعلم الرياضي وللعلم الطبيعيّ نهضةٌ في عصر الموحِّدين. فمن الكتب العامة ذات الدلالة: بَرَنَامُجُ أبي بكرٍ محمد بن خير بن عُمَرَ بن خليفة الإشبيليّ (ت ٥٧٥ هـ) فهو مُعْجَمُ شُيُوخِهِ أو «فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف»^(١). أما أبو جعفر أحمد بن محمد الحشَّاء التونسي فقد بلغ أشدَّه في أيام السلطان أبي زكريا يحيى الحفصيّ (ت ٦٤٧ هـ) وكتب كتاباً هو «مفيد العلوم ومبيد الهموم» أو تفسيرُ الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوريّ^(٢).

(١) تحرير كوديرا وريبيرا، سرقطة ١٨٩٣ م.

(٢) المنصوري: كتاب في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣٢١ هـ = ٩٢٤ م).

وكان في القرن السادس أبو عبد الله محمد بن عمر البَلَنْسِي صاحبُ كتاب «اختيار الجبر» ثم أبو محمد بن مُعَاذ الجِيَّانِي صاحبُ الشرح على كتب (فصول) أقليدس الخمسة (في الهندسة).

وآزدهرَ علما الجغرافية والفلك في هذا العصر، فإنَّ ابنَ طُفَيْلٍ خالفَ مُعاصريه والسابقين على زمانه وأعلن أن خطَّ الاستواء أعدلُ بِقَاعِ الأرض بقلَّة الاختلاف فيه بين درَجَتَيْ الحرارة في الليل والنهار. وألَّف أبو علي الحسنُ المَرَاكُشي (ت ٦٦٠ هـ) «جامع المبادئ والغايات في علم الميقات». وله خارطة للمغرب ظهرت عليها لأول مرة خطوط الطول وخطوط العرض (الدالة على الساعات في أقطار الأرض)، كما أنه وضعَ جدولا يضمُّ مائتين وأربعين نجماً رَصَدَهَا (وعَيَّن مواقعَهَا) بنفسه.

وكان الفيلسوف ابنُ رُشْدٍ أولَ من رأى الكَلَفَ^(١) على وجه الشمس. ثم عَرَفَ بوساطة الحساب الفلكي عبورَ كوكبِ عطاردَ على وجه الشمس.

ولابن طُفَيْلٍ ولتلميذه أبي إسحاق نور الدين البِطروجي جهودٌ مختلفة في الفلك ومحاولة لإصلاح نظام بَطْلَيْمُوسَ^(٢) في تفسير حركات الكواكب المتحركة^(٣). وقد «ابتدع البِطروجي نظرية جديدة في حركات النجوم..... نقض (بها) نظرية بطليموس من أساسها..... وقال بالحركة البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس.....»^(٤).

(١) الكلف: بقع غير مضبئة على وجه الشمس.

(٢) بطليموس القلوذي (كلوديوس بطولومايوس) عالم رياضي وفلكي ولد في صعيد مصر وقضى حياته في الاسكندرية وتوفي فيها نحو عام ١٧٠ م. وبطليموس هذا لا صلة له بالبطالة حكَّام مصر اليونانيين. والأغلب أن بطليموس لم يكن يونانياً.

(٣) الكواكب المتحركة هي الكواكب التي ترى مرَّة تسبق الشمس والقمر ثم ترى مرَّة أخرى تتأخر عن الشمس والقمر (في رأي العين). وجاءت هذه التسمية «متحركة» من أن بطليموس كان يعتقد أن الأرض ثابتة والشمس متحركة. ولو أنه عرف أن الشمس والنجوم ثابتة (بالإضافة إلى الأرض) وأن الأرض هي المتحركة (حول نفسها وحول الشمس) لاستطاع تحليل هذه الظاهرة تحليلًا صحيحاً.

(٤) كان الاعتقاد القديم أن مدارات الكواكب حول الأرض (والصحيح: حول الشمس) مستديرة. وقد =

وتَحَسُّنُ الإِشَارَةَ هُنَا إِلَى ابْنِ شَكْرٍ (أَوْ يَشْكُرُ) وَهُوَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِي الْأَنْدَلِسِي (ت ٦٨٠ هـ أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ)، وَقَدْ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْفَلَكَ كَثِيرِ التَّأْلِيفِ فِيهَا (بِرُوكْلَمِنْ ١: ٦٢٦، الْمُلْحَق ١: ٨٦٨ - ٨٦٩).

وَفِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ أَحْمَدَ «أَمِينَ الْأَوْقَاتِ» (الْمَوْقُوتُ أَوْ الْمِيقَاتِيُّ) فِي قُرْطُبَةٍ. وَقَدْ وَضَعَ رِسَالَةً فِي الْأَوْقَاتِ وَوَضَعَ الصَّفِيحَةَ الْجَامِعَةَ لَجَمِيعِ عُرُوضِ الْأَرْضِ.

وَنَجِدُ ابْنَ أَرْفَعَ رَأْسَهُ - وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى (ت ٥٩٣ هـ) - مِنْ الْمُهْتَمِينَ بِالصَّنْعَةِ (الْكِيمْيَاءِ الْقَدِيمَةِ) أَلْفَ عَدَدًا مِنَ الْكُتُبِ، مِنْهَا: شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي فَنِّ السَّلَامَاتِ (؟) وَهُوَ مَجْمُوعُ أَشْعَارٍ فِي حَجَرِ الْفَلَّاسَةِ - الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ بِالْقُرْآنِ الرَّحْمَانِيِّ - الْجِهَاتِ فِي عِلْمِ التَّوْجِيهَاتِ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ ثَابِتِ بْنِ سَلْيَانَ - رِسَالَةٍ فِي الْكِيمْيَاءِ.

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ التِّيفَاشِي (ت ٦٥١ هـ) مُؤَلِّفًا لَعَدَدٍ مِنَ الْكُتُبِ الطَّرِيفَةِ وَالْجَرِيئَةِ فَمِنْ كُتُبِهِ الْعِلْمِيَّةِ «أَزْهَارُ الْأَفْكَارِ فِي جَوَاهِرِ الْأَحْجَارِ» (فِي الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ) ثُمَّ «مَطَالَعُ الْبُدُورِ فِي مَنَازِلِ السَّرُورِ» (فِي الْمَعَادِنِ). ثُمَّ لَهُ أَيْضًا: «نُزْهَةُ الْأَلْبَابِ فِيمَا لَا يُوْجَدُ فِي كِتَابٍ» (قِصَصُ وَأَشْعَارُ فِي النِّكَاحِ) - رُجُوعُ الشَّيْخِ إِلَى صِبَاهٍ فِي الْقُوَّةِ عَلَى الْبَاهِ (وَقَدْ اشْتَهَرَ بِاسْمِ «الْبَاهِ فِي رُجُوعِ الشَّيْخِ إِلَى صِبَاهٍ». وَرَبَّمَا أَشِيرَ إِلَيْهِ بِاسْمِ «رُجُوعُ الشَّيْخِ» - رِسَالَةٌ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي اسْتِعْمَالِ الْبَاهِ تَمَّا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ.

وَبَرَعَ ابْنُ طُفَيْلٍ فِي التَّشْرِيحِ وَفِي التَّطْبِيبِ، كَمَا بَرَعَ ابْنُ رُشْدٍ فِي التَّأْلِيفِ فِي الطَّبِّ، مِمَّا نَرَى فِي كِتَابِهِ «الْكُلِّيَّاتِ»، فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى التَّشْرِيحِ وَوُضَائِفِ الْأَعْضَاءِ وَعَلَى الْأَمْرَاضِ وَأَعْرَاضِهَا وَعَلَى الْأَغْذِيَّةِ وَحِفْظِ الصَّحَّةِ وَالْعِلَاجِ.

غَيْرَ أَنَّ الَّذِينَ مَلَأُوا عَصَرَ الْمُؤَخِّدِينَ بِالزُّهْوِ فِي التَّطْبِيبِ كَانُوا بَنِي زُهْرٍ، وَكَانَ

= ذَكَرَ الْبَطْرُوجِيُّ أَنَّهَا إِهْلِيلِيَّةٌ، أَيْ بِيضَاوِيَّةٌ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ طُفَيْلٍ (ت ٥٨١ هـ) قَدْ طَلَبَ مِنْ تَلْمِيزِهِ الْبَطْرُوجِيَّ إِصْلَاحَ نِظَامِ بَطْلِيمُوسِ الْقَاتِلِ بِالْكُوكَبِ الْمُتَحَيِّرَةِ (رَاجِعْ أَيْضًا بِالنِّشْيَا ١٥٦).

أشهرهم أبو مروان عبدُ الملك (ت ٥٥٧ هـ) وأبْنُه أبو بكر محمد (ت ٥٩٥ هـ) الذي كان شاعراً ووشاحاً أيضاً.

ويأتي في هذا الباب أبو محمد محمد بن عليّ الإلبيريُّ له كتاب «النتائج العقلية في الوصول إلى المناهج الفلسفية والقوانين الطبية».

والصيدلة لاحقاً بالطبِّ ومتصلةً بعلم النبات. ونحن نجد أبا العباس أحمد بن محمد ابن الرومية الإشبيلي (ولد سنة ٥٦٠) يَدْرُسُ النباتَ على أنه علمٌ ولم يقتصرْ على درس منافع الطبِّية فقط. أما أشهر علماء النبات فكان أبنُ البيطار المالقي (ت ٦٤٦ هـ). وضع كتاب «الجامع لمفردات الأغذية والأدوية» (على ترتيب المعجم). قال ابنُ البيطار يوجز طريقته في التأليف:

«جمعتُ هذا الكتابَ في القول في الأدوية المُفْرَدَةِ والأغذية المُستَعْمَلَةِ على الدوام والآستمرار عندَ الآحتياج إليها في ليلٍ كان (ذلك) أو نهارٍ..... وأذكر ما ينتفع به الناس من شِعار (ثوبٍ يُلْبَسُ مما يلي البدن) وذيّار (ثوبٍ يلبس فوق الشِعار). وأسْتَوْعِبْتُ فيه جميعَ ما في الخمسِ مقالاتٍ من كتاب الأفضّل ديسقوريدس بنصّه. وكذلك فعلتُ أيضاً بمجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الستِ مقالاتٍ بنصّه. ثم ألحقتُ بقولها من أقوالِ المُحدّثين في الأدوية النباتية والمعدنية ما لم يذكرها، ووصفتُ عن ثِقَاتِ المُحدّثين وعلماء النباتيّين ما لم يَصِفْها. وأسندتُ - في جميع ذاك - (تلك) الأقوالَ إلى قائلها وعرفتُ طرق النقل فيها بذكر ناقلها.

واختصصْتُ بما تَمَّ لي به الآستبداد * وتوضّح لي القول ووضح عندي الاعتقاد.... وسمّيته «بالجامع» لكونه جمع بين الدواء والغذاء واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز (الإيجاز؟) والاستقصاء.....»

اللغة والنحو

برزَ في هذا العصر نفرٌ من مشاهير اللغويين والنحاة نَعُدُّ منهم السَّهيليَّ (ت ٥٨١ هـ) وأبا الحجاج البَلّويَّ (ت ٦٠٤ هـ) وابنُ يَلْبِخْتَ (ت ٦٠٧ هـ) وشرف الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الله المُرسِيَّ (ت ٦٥٥ هـ) اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ وأبا المطرّف

أحمد بن عبد الله المخزومي (ت ٦٥٨ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) صاحب المقرَّب في النحو وأبا الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي الربيع القُرشِيّ (ت ٦٨٨ هـ). ولعظم هؤلاء تراجمٌ في هذا الجزء .

في الأدب وتاريخه

في عهد الموحّدين ازدهر الشعر وكثُر الشعراء لاحتفال الموحّدين - خلافاً للمرابطين - بشعر المديح وبالإجازة عليه، وخصوصاً في أيام السلطان يعقوب المنصور (ت ٥٩٥ هـ)، فليس غريباً إذن أن تكثُر مجاميع الشعر التي صُنعت في هذا العصر، ثم وصل إلينا كثيرٌ منها. من هذه الجاميع: رَوْح الشعر ودَوْح الشجر لأبي عبد الله بن محمد بن الجلاب الفهري المعاصر للمنصور الموحّدي - زادُ المسافر لأبي بجر صفوان بن إدريس (ت ٥٩٨ هـ) - المطرِبُ لابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) - الحماسة المغربية لأبي الحجاج البياسي (ت ٦٥٣ هـ) - ثم الحُلّة السيّراء - تحفة القادم - إعتاب الكتاب (والثلاثة الأخيرة لابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ) - المغرب لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ).

ومن هذا العصر وصل إلينا موشحاتٌ بارعةٌ لأبي بكر بن زهير (ت ٥٩٦ هـ): «أيها الساقم، إليك المشتكى»، ثم «ما للمؤله من سُكره لا يُفِيق؟» ثم موشحة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ): «هل درى ظيُّ الحِمى أن قد حمى»، وهي الموشحة التي نظّم نفرٌ كثيرون على يشالها منهم لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في قوله: «جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى».

وبما أن المدن الأندلسية أخذت تسقط في أيدي الإسبان في أواخر هذا العصر، فإن قصائد رثاء المدن «كثرت، نذكرُ منها: «أذكرُ بحبيلك خيل الله أندلسا» لابن الأبار القُضاعي و«لكلّ شيء إذا ما تم نقصان» لأبي البقاء الرُندي (ت ٦٨٥ هـ).

وكذلك برزت العناية بالمقامات، فمن النّئين وضعوا مقاماتٍ تقليداً للحريري (ت ٥١٦ هـ): أبو الطاهر الأشرقوني أو الأشرقوني (ت ٥٣٨ هـ) ثم أبو محمد عبد الله الأزدي (ت ٥٧٥ هـ). وشرّح مقامات الحريري نفرٌ كثيرون أيضاً منهم: أبو طالب

عقيلُ بن عطيةَ القُضاعي المَرَاكشي (ت ٦٠٨ هـ) ثم الشَّرِيشي أبو العباس (ت ٦١٨ هـ).

في النقد

وفي النقد في هذا العصر نبداً بـابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) مبتدع القصة الفلسفية (سياقة الحقائق العلمية والآراء الفلسفية في أسلوب أدبي). ولما وصل إلى وصف ما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طور الولاية (أي وصف الملأ الأعلى: عالم الألوهية كما يتخيله رجال التصوف). جعل يتكلم «رمزاً» ثم قال: «إذ لا نجد في الألفاظ الجمهوريّة (الدائرة في الاستعمال بين جمهور الناس) ولا في الاصطلاحات الخاصة (الألفاظ الفنيّة التي وضعها العلماء والفلاسفة) أسماء تدلّ على الشيء الذي يُشاهدُ به هذا النوع من المشاهدة».

وانتقد ابنُ طفيل طريق الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في التأليف فقال عنه إنه قد بنى كتبه على عقلية عوامّ الناس ثم هو «يربطُ في مكانٍ ويحلّ في آخر، ويكفرُ بأشياء ثم ينتحلها. فمن جملة ما كفر به الفلاسفة مثلاً إنكارُهم لحشر الأجساد وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصّة. ولكنه عاد فقال في أوّل كتاب «الميزان» إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد الصوفية على القطع. بعدئذ أعلن في «المنقذ من الضلال» أن اعتقاده كاعتقاد الصوفية.

وقال ابنُ طفيل عن ابن باجّه (ت ٥٣٣ هـ): ولم يكن في زمن ابنِ باجّه في الأندلس من هو أثقُبُ ذهنًا وأصحُّ رويّةً منه، ولكنه مات قبل أن يقول كلّ ما عرفه. وأكثرُ كتبه ناقصةٌ أو وجيزة العبارة أو معقّدة التركيب. ولقد كان وقته يضيقُ عن ترتيب عبارته على وجهها الأكمل.

ومن يُنظّم في هذا السلك أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى الحميري المؤدّب (٥١٤ - ٦١٠ هـ) «آخر من أنتهى إليه علم الآداب بالأندلس» لم يكن فيها، في أيامه، أحدٌ «أزوى لشعرٍ قديمٍ أو حديثٍ، ولا أذكرُ بحكاية تتعلّق بأدبٍ أو مثلي سائرٍ أو بيتٍ نادرٍ أو سجمة مستحسنّة منه. قال عبد الواحد المراكشي - وكان أبو

جعفر الجيمري شيخه - : أنشدته يوماً (من أيام سنة ٦٠٦)، وكان من عادته أن يستشديني أشياء من شعري، بينت ارتجلتها في شاب كان يقرأ معنا شديد العفة - رحمه الله - مع حسن رائع وظرف ناصع، وكان اسمه فتحاً، وهما:

يا مَنْ له عن كناس من التيم قلبه،
ما أنت كاسيك فتح، وإنما أنت قلبه!

فطرب والتفت إلى ابنه وقال له: هذا - والله - الشعر، لا ما تُصدعني به طول نهارك. إن كنت تقول مثل هذا (فقل) أو فاسكت.

« فلما كان من الغد قال لي: لم يزل (عصام) أمس يُعيل فكرته، فبعد الجهد الشديد أخذ معنى بيتك فسلبه روحه وأعدمه رونقه ومسّخه جملة فقال:

سبى فؤادي خف ففوقي اليوم ضغف،
سموه فتحاً مجازاً وفي الحقيقة حتف.

ما زاد فيه أكثر من الجاز والحقيقة. فقلت أنا: هذا - والله - أحسن من شعري. فتغير لي وقال: يا بُني، دغ عنك هذه العادة، فإن أسوأ ما تخلق به الإنسان الملق وتزيين الباطل، (ولا) سباً إذا أضاف إلى ذلك الحلف الكاذب. والله، إنك لتعلم إن هذا ليس بشيء، وإلا فقد أختل ميزك وساء اختيارك. وما أظن هذا هكذا » (المعجب ٢١٩ - ٢٢٢).

وكان لعناية ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) بكتب أرسطو أن أبدى عدداً من آرائه في النقد في أثناء شرحه لكتاب أرسطو « في الشعر ». إلا أن آراء ابن رشد كانت أكثر صلة بالبلاغة عامة منها بالنقد الأدبي خاصة (راجع ترجمة ابن رشد).

واتفق أن حرش أمير سبته أبو يحيى بن أبي زكريا بين أبي الوليد الشقندي (ت ٦٢٩ هـ) وأبي يحيى بن المعلم الطنجي (ت ؟ هـ) ودعاها إلى أن يؤلف كل واحد منها رسالة في تفضيل عدوته. فكتب الشقندي رسالة في تفضيل عدوة الأندلس، وافتخر فيها بكل شيء في الأندلس: بملوكها وعلماؤها ومؤرخيها وشعرائها وبيدنها أيضاً. أما القسم المتعلق بكبار شعراء الأندلس فقد نحا الشقندي فيه نحو

الفخر والدفاع، ولا يمكن أن يسمى هذا نقداً إلا على الجاز. من ذلك قوله مثلاً (نفع الطبيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

«.... وإنك إن تعرضت للمفاضلة بالعلماء فأخبرني: هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب^(١) الذي يُعَمَّلُ بأقواله إلى الآن، ومثل أبي الوليد الباجي، ومثل أبي بكر بن العربي، ومثل أبي الوليد بن رُشد الأكبر، ومثل أبي الوليد بن رُشد الأصغر^(٢) - وهو ابن الأكبر - : نجوم الإسلام ومصباح شريعة محمد عليه السلام؟ وهل لكم في الحفظ^(٣) مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال إلى رتبة العلم ورأها فوق كل رتبة، وقال وقد أحرقت كُتُبُه: «دَعُوْنِي من إحراق رِقِّ وكاغِد» (راجع ترجمته، ت ٤٥٦ هـ) ومثل أبي عمر بن عبد البر صاحب كتاب «الاستدكار» و«التمهيد» ومثل أبي بكر بن الجَدِّ حافظ^(٤) الأندلسي في هذه الدولة؟ وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب «المُحَكَّم» وكتاب «السماء والعالم» (وهو) الذي إن أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته؟ وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السَّيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبي عليّ الشلوبين الذي بين أظهرنا الآن، وقد سار في المشارق والمغارب ذِكْرُه؟ وهل لكم في علوم اللُّهُون^(٥) والفلسفة كابن باجّه؟ وهل لكم في علم النجوم والفلسفة والهندسة ملكاً كالمقتدر بن هود صاحب سَرَقُطَّة فإنه كان في ذلك آية؟ وهل لكم في الطِّبِّ مثل ابن طُفَيْلٍ صاحب رسالة «حي بن يقظان» المُقَدَّم في علم الفلسفة ومثل بني زُهْر: أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر: ثلاثة في نَسَب؟ وهل لكم في علم التاريخ كابن حيَّان صاحب «المتين» و«المُقتَسِر»؟ وهل عندكم في رؤساء علم الأدب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب (كتاب) «العقد»؟ وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء إقليمه

(١) إن الكثرة من الأعلام الذين ترد أسماؤهم في هذا النص، يجد القارئ لكل واحد منهم ترجمة مفردة في هذا الجزء أو في الجزء الذي سبقه.

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ كان فقيهاً، وهو جد أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) الفيلسوف المشهور والذي كان أيضاً فقيهاً.

(٣) و(٤) في حفظ أحاديث رسول الله. وحافظ الأندلس (أشهر حفاظ الحديث في الأندلس).

(٥) الموسيقى.

والاجتهاد في حشدِ محاسنهم مثلُ ابنِ بَسَّامٍ صاحبِ « الذخيرة »؟ وهَبْ أَنَّهُ كَانَ يَكُونُ لَكُمْ مِثْلُهُ، فَمَا تَصْنَعُ الْكَيْسَةُ فِي الْبَيْتِ الْفَارِغِ^(١)؟ وَهَلْ لَكُمْ فِي بِلَاغَةِ النَثْرِ كَالْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الَّذِي إِنَّ مَدَحَ رَفَعَ وَإِنْ ذَمَّ وَضَعَ؟ وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْقَلَائِدِ » مَا هُوَ أَعَدُّ شَاهِدٍ. وَ(هَلْ لَكُمْ) مِثْلُ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ فِي تَرْسِيلِهِ وَمِثْلُ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلٍ بْنِ مَالِكٍ^(٢) الَّذِي بَيْنَ أَظْهَرْنَا الْآنَ فِي خُطْبِهِ؟ وَهَلْ لَكُمْ فِي الشِّعْرِ مَلِكٌ مِثْلُ الْمُفْتَمِرِ بْنِ عَبَّادٍ..... وَمِثْلُ ابْنِهِ الرَّاضِي؟.... وَهَلْ لَكُمْ مَلِكٌ أَلْفَ فِي فَنُونِ الْأَدَابِ كِتَابًا فِي نَجْوَى مَائَةِ مُجَلَّدَةٍ مِثْلُ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْأَفْطَسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسَ، وَلَمْ تَشْغَلْهُ الْحُرُوبُ وَلَا الْمُلْكَةُ عَنْ هِمَّةِ الْأَدَبِ؟

« وَهَلْ لَكُمْ فِي الْوُزَرَاءِ مِثْلُ ابْنِ عَمَّارٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَارَتْ أَشْرَدَ مِنْ مِثْلِ وَأَحَبَّ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ لِقَاءِ حَبِيبٍ وَصَلْ^(٣) » (تِلْكَ الَّتِي) مِنْهَا:

أَثْمَرْتُ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مُلُوكِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرًا؛
وَصَبَقْتُ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كُتَاتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرًا^(٤).

وَ(هَلْ لَكُمْ) مِثْلُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي لَمْ يُقَلِّ مَعَ طَوْلِهَا فِي النَّسِيبِ أَرْقَى مِنْهَا؟ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

كَأَنَّنَا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا، وَالسَعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا^(٥)؛
سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظَّلَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادُ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا.

وَهَلْ لَكُمْ فِي الشُّعْرَاءِ مِثْلُ ابْنِ وَهْبُونَ فِي بَدِيعَتِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُفْتَمِدِ..... وَهَلْ لَكُمْ مِثْلُ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ دِرَّاجٍ الَّذِي قَالَ فِيهِ التَّعَالِيُّ^(٦): هُوَ بِالصِّقْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ

(١) المقصود: يمكن أن يكون في المغرب (شالي إفريقية) نفر من المؤرخين، ولكن ليس في المغرب أدباء كبار يستحقون أن يؤرخ لهم مثل أدباء الأندلس. - الكيس (بتشديد الياء): العاقل، البارع.

(٢) أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي فقيه وخطيب بليغ وشاعر أندلسي (ت ٦٣٩ هـ).

(٣) المثل الشroud: البارع المشهور. من حبيب وصل (اتصل بمحبته).

(٤) الكمي: الشجاع والتأم السلاح.

(٥) غض (كف، صرف) من أجفان (عيون) واشينا (عدونا): خيب ظن الذين يريدون سوءاً بنا.

(٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد التتالي (ت ٤٢٩ هـ) صاحب « نبتة الدهر » من شاهير أدباء المشرق.

كالمتنبّي بصيغ الشام، والذي إن مدَحَ الملوك قال مثْلَ قوله:.....

وأنا أُقسِمُ بما حازته هذه الأبياتُ من غرائب الآياتِ لو سَمِعَ هذا المديحَ سيّدُ بني
حُذَانَ لَسَلّا به عن مدح شاعره^(١) الذي ساد كلّ شاعرٍ، ورأى أن هذه الطريقةُ أولى
بمدح الملوكِ من كلّ ما تَفَنَّنَ فيه كلّ ناظمٍ وناثرٍ.....»

ولابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) أحكامٌ عارضة في النقد منشورة في كتابه
«المطرب» على غير قاعدة. إنه اختار أشعارَ «المطرب» اعتماداً على «ذوقه
الشخصي»، وإلا فما الحُجَّةُ مثلاً لاختيار الرمادي (ت ٤٠٣ هـ - راجع ترجمته) في
شعراء المطرب ببيتين - هما سهلان عذبان ولكنها لا يمثلان الرمادي؟ وباعتماد ذوقه
الشخصي أيضاً جاء بأحكامه في النقد.

وابن دحية يورد أحكامه في النقد في جُمْلٍ عامّة مسجوعة قلّ أن تفيد «حكماً»
كقوله مثلاً: «له مُقَطَّعاتٌ غَزَلٍ أحسن من الرياض وأغزل من الميون المراض -
من نُسج على منواله وضُرب في بديع المعاني والألفاظ على مثاله».

وقد أكثر الشعراء من تشبيه عيون النساء الجميلات بالزرجس، فقال ابن دحية
في نقد ذلك: «هو تشبيه غير وثيق إذا حُكَّ بِمِثْلِكَ التحقيق، لأن بين نَرْجِسٍ
الحدائق والأحداق الموصوفة بالدعج وتكحيل الآفاق^(٢) من التباين ما بين الأضداد.
وليس يحسن أن تَجِلَّ الصفرة في موضع السواد. فتشبيهه بميون الهرر أولى من
تشبيهه بميون الناس في حكم القياس. ولكنه حسن تشبيهه بذلك لموضع إحاطة
البياض بالصفرة كإحاطة بياض العين بسوادها». ولكن مثل هذا التحليل قليل عند
ابن دحية.

ويقف ابن دحية في نقده موقف الدفاع عن شعراء الأندلس ويُسوّغ قلة سيرورة

(١) سيد بني حذان (سيف الدولة أمير حلب). سلا: تلى (عن)، نسي، أهمل. شاعره (شاعر سيف
الدولة: أبو الطيب المتنبّي).

(٢) الدعج: سعة العين مع الحور (شدة اسوداد البؤبؤ وشدة البياض حوله). تكحيل (سواد). المؤق:
طرف العين (المقصود: أطراف الجفون).

شعر الأندلسيين على الألسنة بالإضافة إلى سيرورة شعر المشاركة بشهرة المشاركة ومثل أهل الأندلس إليهم.

واختار ابن دحية ليحيى بن حَكَمَ الغَزَالِ (ت ٢٥٠ هـ) مقطوعته في تود الجوسية (راجع ترجمته): «كَلَفْتُ، يَا قَلْبِي، هَوًى مُتَعِباً» ثم علق عليها بقوله: «وهذا الشعر لو روي لِعَمَرَ بن أبي ربيعة أو لبشار بن بُرْدٍ أو للعباس بن الأحنف^(١) وَمَنْ سلك هذا المسلك من الشعراء المحسنين لاسْتَفْرِبَ له؛ وإنَّ ما أوجب أن يكون ذكره مَنَسِيّاً أن كان أندلسياً. وإلا فما له أخِل؟ وما حقَّ مثله أن يُهْمَلَ!....» «يا لأهل المشرق»، قَوْلُهُ غاصُّ بها شَرِقٍ^(٢)! ألا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان، وأقصروا عن استهجان الكثرِمِ الهجان^(٣)، ولم يُخرجهُمُ الإِزْرَاءُ بالمكان عن حَدِّ الإمكان...»^(٤).

وعبد الواحد المراكشي (ت نحو ٦٤٧ هـ) مؤرخ في الدرجة الأولى، إلا أنه كان أديباً بارعاً في عَرْضِ الخصائص واستعراض الشعر والنثر - وقد أكثر من غاذجها في كتابه «المعجب في تلخيص أخبار المغرب». وكان له نثر رشيق مع سهولته، ولكن شعره كان عادياً - ولقد قال هو نفسه على قصيدة من قصائده (ص ٣٠٩): «مع ركاكتها وقلة انطباعها وظهور تكلفها».

ولمبد الواحد المراكشي أحكاماً في النقد متفاوتة بمضماً إنشائي فقد قال في قصيدة ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ) الرائية: «الدهر يفجّع بعد العين بالأثر»: «....».

(١) راجع في هؤلاء الجزئين الأول والثاني.

(٢) «يا لأهل المشرق» قَوْلُهُ.... (يقول: أنا أفضل أدباء المشرق على أدباء الأندلس، وأنا كاره لذلك: برغمي).

(٣) أقصر: كف، اعتدل، استهجان: تقبيح الهجان: الكريم الأصل، الجيد من كل شيء.

(٤) الإِزْرَاءُ (أن يعب الإنسان إنساناً آخر ويحتقره). عن حَدِّ الإمكان (البقاء في نطاق الأحكام الممكنة: المعقولة، المنصفة، العادلة).

قصيدته الغراء، لا بل عقيلته الغراء^(١) التي أزرّت على الشعر^(٢) وزادت على السحر وفعلت في الألباب فعلَ الحمرة، فجَلَّتْ عن أن تُسامي وأنفَت من أن تُضاهي^(٣). فقلْ لها النظرُ وكثُرْ إليها المُشيرُ وتساوي في تفصيلها وتقديرها باقلْ وجريـر^(٤).... (ص ٧٥ - ٧٦).

غير أن له أيضاً أحكاماً دقيقةً صحيحةً، كقوله عن عبد الجليل بن وهبون (ص ١٠٢): «كان حسنَ الشعر لطيفَ المآخذِ حسنَ التوصلِ إلى دقيق المعاني». أو كقوله في الرصافي الرفاء (ص ٢٢١): «هو من مُجيدي شعراء عصره، ولا سبيلاً في المقاطع، كالخمسـة الأبياتِ فما دونها... وقد رأيتُ أن أوردَ من (شعره) ها هنا بُدَّةَ سيرةٍ تدلُّ على ما وصفناه به. فمن ذلك قوله يصف نهر إشبيلية الأعظم....».

ونستطيع أن ننسبَ جميعَ أحكامِ النقدِ الواردة في كتاب «المغرب» إلى أبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) لأنه آخرُ مُصنّفي الكتاب. والمفروض أنه قد تقبل هذه الأحكامَ كلّها، سواء أكانت للحجاري (ت نحو ٥٥٠ هـ) الذي كان قد بدأ تحرير هذا الكتاب باسم «المُسهب» أو كانت لآله الذين سبقوه في العمل على تنعيم «المغرب».

ومع أن ابنَ سعيدٍ ينحو أيضاً نحوَ الدفاع عن الشعراء الأندلسيين، فإنه لا يدفع المشاركة عن الإحسان والإبداع، فالفريقان لا يقتصران على قطر دون قطر. ونحن نستطيع أن نرى اتجاهَ ابنِ سعيدٍ في تطبيق الشعر (جعلهِ طبقاتٍ) من العناوين التي

(١) الغراء: البيضاء (البارعة، الجيدة). عقيلته: حليته، زوجته. الغراء (التي لم يتزوجها أحد غيره): لم ينظم مثلها شاعر سواه.

(٢) أزرّت على الشعر: عابت جميع الشعر (كانت أفضل القصائد، فظهرت جميع القصائد الأخرى بجانبها قليلة القيمة).

(٣) جَلَّتْ (عظمت، ارتفعت عن أن) تُسامي (ترتفع قصيدة أخرى إلى مستواها) وأنفَت (كرهت، ترفضت عن أن) تُضاهي (تُنازل: يكون لها مثيل أو شبهة).

(٤) النظر: المثيل. باقل: رجل كان غيباً (لا يحسن اللفظ ولا التلفظ بالكلام). جريـر: الشاعر الأموي المشهور (كان قصيداً عذب الكلام سهل التعبير، بخلاف معاصره ومهاجيه الفرزدق الذي كان في شعره فغامة مع شيء من التعقيد).

تَوَجَّحَ بِهَا كُتُبُهُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فَلَهُ : الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ - رَايَاتُ الْمُبْرَزِينَ
وَشَارَاتُ الْمُتَمِيزِينَ - عُنْوَانُ الْمُرْقَصَاتِ الْمَطْرَبَاتِ - الْمَشْرِقُ فِي حُلَى الْمَشْرِقِ - الْقِدْحُ
الْمُعْلَى فِي التَّارِيخِ الْمُجَلَّى - الْمُقْتَنَفُ مِنْ أَزَاهِرِ الطُّرْفِ .

وَالْمُخْتَارَاتُ فِي هَذِهِ « الْجَمَامِيْعُ » لَيْسَتْ مُمْتَحِزَةً (لِكُلِّ مِنْهَا حَيِّزُهُ الْخَاصُّ بِهِ) بَلْ
هِيَ مُتَدَاخِلَةٌ (تَجِدُ بَعْضُ مَا فِي مَجْمُوعٍ مُثْبِتًا فِي مَجْمُوعٍ آخَرَ) . وَالَّذِي يَغْلِبُ عَلَى هَذِهِ
الْجَمَامِيْعِ (كَمَا غَلَبَ عَلَى « الْمَطْرَبِ » لابْنِ دِحْيَةَ ، وَكَمَا غَلَبَ عَلَى الْحِجَارِيِّ) « النَّكْتَةُ
الطَّرِيفَةُ » . إِنْ هَذِهِ الْجَمَامِيْعُ كُلُّهَا لَا تُثْبِتُ لِلشَّاعِرِ مُخْتَارَاتٍ تُمَثِّلُ اتِّجَاهَهُ أَوْ تُنْصِفُ
عَبَقَرِيَّتَهُ أَوْ مَا يَدُلُّ عَلَى قِيَمَةٍ ذَاتِيَّةٍ فِي الْقِطْعَةِ الْمُخْتَارَةِ ، بَلْ تُثْبِتُ مَا فِيهِ نُكْتَةٌ أَوْ لَفْظَةٌ
أُعْجِبَ بِهَا الْجَامِعُ الْمُخْتَارَ . وَرَبَّمَا خَصَّ ابْنُ سَعِيدٍ (كَمَا فَعَلَ ابْنُ دِحْيَةَ مِنْ قَبْلِهِ) وَالْفَتْحُ
ابْنَ خَاقَانَ مِنْ قَبْلِهِمَا) شَاعِرًا بِفَصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ بَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ فَقَطْ .

ابن خَيْرَةَ^(١) المَوَاعِينِي

١ - هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطُبِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ - مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ثُمَّ سَكَنَ
إِسْبِيلِيَّةً وَأَصْبَحَ مِنْ أَعْيَانِهَا - تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ (ت ٥٤٣ هـ) وَابْنَ
أَبِي الْخِصَالِ (؟) مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٠) . وَيَبْدُو أَنَّهُ بَدَأَ حَيَاتَهُ الْعَامَّةَ
بِالدُّخُولِ فِي خِدْمَةِ الْمُوحِدِينَ ، فَقَدْ كَانَ كَاتِبًا لَوَالِي غَرْنَاطَةَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثُمَّ
لَأَخِيهِ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالِي إِسْبِيلِيَّةً . وَلَمَّا جَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ إِلَى
عَرْشِ الْمُوحِدِينَ ، سَنَةَ ٥٥٨ ، أَصْبَحَ ابْنُ خَيْرَةَ كَاتِبًا لَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى مَرَاكُشَ ثُمَّ تُوُفِّيَ
فِيهَا سَنَةَ ٥٦٤ (١١٦٨ - ١١٦٩ م) .

٢ - كَانَ ابْنُ خَيْرَةَ الْمَوَاعِينِيُّ أَدِيبًا نَائِرًا وَمُتَرَسِّلًا وَشَاعِرًا وَنَاقِدًا . وَلَعَلَّ النِّقْدَ
أَبْرَزَ فُنُونِهِ . لَهُ كِتَابٌ « رَيْحَانُ الْأَلْبَابِ وَرَيْعَانُ الشَّبَابِ فِي مَرَاتِبِ الْأَدَابِ » (فِي

(١) خَيْرَةُ (بِالْفَتْحِ أَوْ بِالْكَسْرِ) مِنْ أَسْمَاءِ الْبَنَاتِ ، وَلَعَلَّ الْفَتْحَ أَشْهُرُ وَأَكْثَرُ (رَاجِعِ نَاجِ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتِ
٢٤٧ : وما بعد) .

النقد الأدبي) جعله سبع مراتب (في أبواب متنوعة) هي: مرتبة تدرج النُمو والارتقاء إلى مراقي السمو والاعتلاء - مرتبة لُمع من قانون العربية وتبذ من الألفاظ اللغوية - مرتبة الإيهام بالمعارض والكلام المحتمل التعريض - مرتبة الفصاحة في البلاغة وجامع في لوازم إنشاء الصناعة - مرتبة نظام القريض والتزام ميزان العروض - مرتبة اقتضاب شجرة النسب ومنتهاه من ولد آدم ونوح إلى جذم العرب - مرتبة اختيار الأشعار والأخبار وما يتعلق بها من مآثور الحديث والآثار.... وفيه تاريخ بني أمية وبني العباس وفتح الأندلس وذكر ولاتها إلى سنة ٥٥٩.

والمواعيني يعتمد في آرائه كُتب المشارقة، وخصوصاً كتاب البيان والتبيين للجاحظ. وتجد في « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » لإحسان عباس عرضاً وافياً لآراء المواعيني في النقد. ولعل من آراء المواعيني البارزة أنه كان يحاول أن يرى الصواب في جودة الشعر اجتاع الجزالة (العربية القديمة) والركة (الأندلسية الحديثة) في القصائد كي يوفق بين آراء النقاد في الأندلس.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو محمد بن خيرة الإشبيلي من قصيدة يمدح بها أبا حفص بن عبد المؤمن:
 كأننا الأفق صرّح والنجوم به كواكب وظلام الليل حاجبه^(١)
 ولللال اعتراض في مطالع كأنه أسود قد شاب حاجبه^(٢)
 وأقبل الصبح فاستحييت مشارقه، وأذبر الليل فاستخفت كواكبه^(٣)

(١) الصرح: القصر (البناء العظيم). الكاكب: المرأة في أول شبها. الحاجب: الحارس (الذي يمنع العامة من الدخول على السلطان).

(٢) وقد بدأ طلوع الهلال (في الشرق) في أواخر الشهر القمري. الأسود (العبد الأسود). الحاجب (الشعر النابت فوق العين).

(٣) استحييت مشارقه (ظهر عليها الفجر بلونه الأحمر).

كَالسَيِّدِ الْمَاجِدِ الْأَعْلَى الْمُهَامِ أَبِي حَفْصٍ لِرُحْلَتِهِ ضُمَّتْ مُضَارِبُهُ^(١).

- وقال في الكلام الحسن مكتوباً بخط جميل:

يَا مَنْ لَهُ مَنْطِقُ كَالدَّرِّ فِي نَسَقٍ يُزْهِى بِهِ الْجِبْرِ فِي وَشْيٍ مِنَ الْحَبَرِ^(٢)،
وَيُشْرِقُ الطَّرْسُ مَمْسُوقاً بِأَسْطَرِهِ كَأَنَّا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَوَرِ^(٣)!
- وقال يمدح الرُّبَيْرَ بْنَ عُمَرَ:

بَرَقَتْ ثُغُورُهُمْ وَسَلَتْ أَدْمُعِي، فَانْظُرْ إِلَى بَرَقِ وَصَبِّ عِيَادِ^(٤).
طُولُوا وَصَلُّوا فَالْمُنَاسِبُ جَمِيرٌ: أَهْلُ الْمَافَاخِرِ وَالنَّدَى وَالنَّادِي^(٥).
لِلْقَوْمِ فِي كُلِّ الْبِلَادِ رِثَاةٌ تَحْكِي بَنِي الْعَبَّاسِ فِي بَغْدَادِ.
أَضَعَتْ مَجَالِسُهُمْ سُرُوجَ جِيَادِهِمْ، إِنَّ السُّرُوحَ مَجَالِسُ الْأَعْجَادِ^(٦)!

- وقال في صفات أمير (من رسالة):

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مَحْفُوقاً بِالرَّايَاتِ الْخَافِقَةِ، مَوْصُوقاً بِالْأَرَاءِ الْمُتَوَافِقَةِ. وَلَا
زَالَتْ أُنْصَارُهُ تُنِيرُ وَمِضَاؤُهُ يُبِيرُ^(٧). يَا لَهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - مِنْ مِضَاءِ^(٨) لَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ
عَلَى وَجَلٍّ، وَرَدَى يَسْتَوْهَبُ مِنْ كِهَانِهِ كُلُّ أَجَلٍ!

(١) اختفاء النجوم مع قدوم الصباح يشبه انطفاء المصابيح في مضارب (خيام، قصور المدوح) لكثرتها (٤).

(٢) يُزْهِى (يمعج بنفسه، يفتخر) الجبر (المداد الأسود الذي يكتب به: كناية عن تدوين كلامه). وَشْيٍ: تطريز (زخرف). الجبر (يفتح ففتح أو بكسر ففتح): ملاءة (توب واسع) من حرير.

(٣) المثنى: نوع من الخطوط تكون الحروف فيه طويلة. الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٤) الشعر: القم. الصوب: الدفعة من المطر الغزير. العياد: المطر (المتوالي).

(٥) طولوا: اقتضروا. وصلوا (تسلطوا). حير: عرب الجنوب. الندى: الجود والكرم. النادي: المكان الذي يجتمع فيه رؤساء القوم وكذلك أسرة الرجل. أنت واهل بيتك أنشرف البلاد وحكامها.

(٦) الأعجاد جمع ماجد (٤): الشريف الكريم. السروج مجالس الأعجاد (كناية عن ركوب الخيل للحرب)، دلالة على القوة.

(٧) المصر: البلد الكبير. المضاء: النفوذ في الأمور. ومضاء (بالكسر): السيف. أيار: أهلك. أضي.

(٨) مضاء بتشديد الضاد (شديد الغم؟). الوجل: الخوف. ردى: موت. الكمي: الشجاع الذي يتغلب سلاحه الكامل. رجاله (جنوده)، إذا هم لم يجاربوا أحداً عاش ذلك الشخص طويلاً.

- شروط الفصاحة في اللفظة :

..... أن تجِدَ لتأليفِ اللفظةِ في السَّمْعِ حُسْنًا وَمَزِيَّةً على غيرها، وإنْ تساوَيَا في التأليفِ من الحروفِ المتباعدة، كما أَنَّكَ تجِدُ لِبَعْضِ النِّعَمِ والألوانِ حُسْنًا يُتَصَوَّرُ في النفسِ ويُذَكَّرُ بالبصرِ والسَّمْعِ والحِسِّ. مِثَالُ ذلكِ من الحروفِ ع ذ ب، فإنْ قُدِّمَتْ بعضُ هذه الحروفِ على بعضِ ذَهَبَتْ حِلَاوَةُ الكَلِمَةِ ولم تجِدْ حُسْنَهَا على الصِّفَةِ. فإنْ قالوا: فَأَتُونَا بِكَلَامٍ يَتَبَيَّنُ مَوْقِعُ حُسْنِهِ بِلَفْظٍ يَشْفِي رَوْقَهُ عن غيره، فَمِثَالُ ذلكِ مِمَّا يُخْتَارُ قَوْلُ أَبِي القَاسِمِ المَغْرَبِيِّ^(١) من رِسَالَةٍ: فَرَعَوْا جَمِيعًا قَدْ تَأَنَّفَتْ رَوْضَتُهُ^(٢) ورادوا مَسْرَحًا مَسَحُوا عن أعطافِ نَبَاتِهِ قَطَرٌ نَدَاهُ^(٣) ونَشَرُوا مِن لَبَائِهِ عَقْدَ طَلِّهِ. فَتَأَنَّفَتْ كَلِمَةً لا خفاءَ بِمَوْقِعِهَا وَحُسْنِ مَوْضِعِهَا.....

..... وَلَمَّا لم تجِدِ الصَّوْفِيَّةُ كَلَامًا أَهَرَّ لِلنَّفْسِ وَأَبْعَثَ لِإِطْرَابِهَا من أَشْعَارِ النِّسِيبِ وَوَصَفِ المَحْبُوبِ تَنَاشَدَتْهَا وَتَفَانَّتْ على أَعْرَاضِهَا^(٤) وهَامَتْ بِظُواهرِ أَلْفَاظِهَا، وَلَكِنَّهُمْ يَخْنُونُ المَحْبُوبَ^(٥) الذي لا يُوجَدُ مِنْهُ الاضطرابُ ولا الصَّدُودُ إِذَا صَدَّ الأَحْيَابُ.....

٤-★★ المغرب ١: ٢٤٢، الوافي بالوفيات ١: ٣٥١، نفع الطيب ٣: ٤٢٦، بروكلمن ١: ٣٧٧ - ٣٧٨، الملحق ١: ٥٤٣، الأعلام للزركلي ٦: ١٨٦ (٥: ٢٩٦)، تاريخ النقد لعباس ٥١٣ - ٥٢١، تاريخ الفكر الأندلسي ١٧٨.

(١) لعلَّه الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين، (ت ٤١٨ هـ)، كان وزيراً من العلماء والأدباء (من أهل مصر) وكان أيضاً مصنفًا له عدد من الكتب (راجع الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٦ - ٢٦٧ (٢٤٥)).

(٢) رعى الجسيم (العشب الكثير النامي). تأنفت روضته (لم يرع أحد فيها).

(٣) راد: قصد. المسرح: المرعى. المطف (بالكس): الجانب. مسحوا الغ (هم أول من رعى أنعامه في هذا المكان).

(٤) تفانت على أعراضها (٤).

(٥) الله تعالى.

أبو حامد الغرناطي

١- هو أبو حامد (أو أبو عبد الله) محمد بن عبد الرحيم (أو عبد الرحمن) بن سليمان بن الربيع بن تميم بن محمد بن علي بن عبد الصمد المازني القيرواني القيسي^(١) الغرناطي الأندلسي المغربي، وُلِدَ سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وسَكَنَ أَفْلَيش^(٢).

تَرَكَ أَبُو حَامِدٍ الْأَنْدَلُسَ وَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) فَسَمِعَ فِيهَا (الْحَدِيثَ) مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الرَّازِي وَسَمِعَ فِي مِصْرَ (الْقَدِيمَةَ) مِنْ أَبِي صَادِقٍ مُرْشِدِ بْنِ يَحْيَى الْمَدِينِيِّ وَمِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْفَرَّاءِ وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرَكَاتٍ بْنِ هَلَالِ النَّحْوِيِّ (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَأَصَابَتْ أَبَا حَامِدٍ ضَائِقَةٌ مَالِيَّةٌ فَرَحَلَ، سَنَةَ ٥١١ هـ (١١١٧ م) إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِجَزِيرَةِ سَارْدَانِيَّةَ وَجَزِيرَةِ صِبْغِيَّةَ ثُمَّ نَزَلَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَانْتَقَلَ مِنْهَا وَشِكَأَ إِلَى الْقَاهِرَةِ. ثُمَّ غَادَرَ الْقَاهِرَةَ إِلَى دِمَشْقَ (بَعْدَ ٥١٢ هـ) وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّدْرِيسِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ كَانَ يَسْمَعُ مِنْ أَبِي الْعَزَّ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَادَشَ.

وَفِي سَنَةِ ٥١٦ هـ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَكَثَرَ فِيهَا أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ فَتَالَ حُطُوءَهُ لَدَى الْوَزِيرِ عَوْنِ اللَّهِ بِحْيَى بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هُبَيْرَةَ (٤٩٩ - ٥٦٠ هـ)، وَكَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا شَاعِرًا مَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ فَأَكْثَرُوا. وَقَدْ كَانَ يُحَدِّثُهُ بِمَجَانِبِ مَا رَأَى فِي أَقْطَارِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَرَغِبَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَنْ يُؤَلِّفَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً كِتَابًا فَالَّفَ لَهُ «الْمَغْرِبَ فِي عَجَائِبِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وَمِنْ بَغْدَادَ بَدَأَ أَبُو حَامِدٍ رَحْلَةً إِلَى شَرْقِيَّ آسِيَّةٍ وَشَرْقِيَّ أَوْرُوبَةَ: كَانَ فِي أَنْهَرِ (٥٢٤ هـ) وَفِي سَخْسِينِ^(٣) (٥٢٥ هـ) ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى بِلَادِ الْبُلْغَارِ (٥٣٠ هـ) عِنْدَ نَهْرِ

(١) المازني (مازن قبيلة عربية). القيرواني (أصله من القيروان). القيسي (نسبة إلى قيس، إحدى القبائل الكبرى من عرب الشمال - بفتح الشين). أو نسبة إلى آل قسي الإيبان. وذكر حسين مؤنس (هنا لندن، آب ١٩٦٨، ص ٥) أَنَّ أَبَا حَامِدٍ الْغُرْنَاطِيَّ وَلِدَ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ تَسْمَى قَيْسَ قَرِبَ غُرْنَاطَةَ (وسط العمود الثاني).

(٢) شرق طليطلة.

(٣) سخين أو سخين أو سختين ولعلها سختي (عند مصب نهر الفولغا في شال بحر قزوين).

الفولغا^(١). وقد رأيناه، سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) يعود من بلاد المجر^(٢) إلى بغداد ليستأنف منها رحلة إلى خراسان حيث بقي مدة يتطوف في بلدانها قبل أن يذهب إلى الحج.

وعاد إلى بغداد، سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ثم جاء في ٥٥٦ هـ إلى الموصل ونال فيها حظوة لدى معين الدين أبي جعفر أبي حفص عمر بن محمد بن خضير الأزدبيلي الملاء وآلف له «تخفة الألباب». ثم رجع إلى الشام وأقام في حلب سنتين. وبعدها عاد إلى دمشق حيث توفي في صفر من سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م).

٢- كان أبو حامد الفرناطي شيخاً فاضلاً حافظاً للحديث عالماً به، كما كان أديباً ينظم الشعر. واشتهر أبو حامد بالرحلة في المغرب والشرق وفي شرقي أوروبا: طاف المغرب كله وعرف قبائل كثيرة في السودان الغربي ووصف لنا أحوالها. ولم يكن أبو حامد الفرناطي جغرافياً ولا فلكياً ولا نساباً، ولكنه كان رحالة يدون ما يرى وما يسمع، مع ميل ظاهر إلى الاهتمام بالأشياء الغريبة والمستغربة وإلى المبالغة في وصفها وحكاية الأخبار المتعلقة بها. ومع أنه كان يحسن التحديث فإن لغته تنوء بشيء من الضعف في اختيار الألفاظ وفي بناء التراكيب. ولرحلة أبي حامد الفرناطي قيمة ظاهرة هي أنه وصف لنا فيها معالم في مصر قد زالت فيما بعد، كما وصف كثيراً من أحوال البلاد في شرقي أوروبا ومن أحوال التجارة في جنوبي الروسية.

٣- مختارات من آثاره:

- من تحفة الألباب (الديباجة):

.... ولما وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين وخمسمائة (نزلت بها) في جناب

(١) البلغار كانوا لا يزالون، في أيام أبي حامد الفرناطي، قبائل رحلاً بين نهر الفولغا ونهر الطونة (الدانوب) قبل استقرارهم في منازلهم الحالية شمال بلاد اليونان.

(٢) المجر ويسمى أيضاً باش كيرد وباش كورد (بلاد هنغارية).

الشيخ الإمام الزاهد معين الدين ... أبي حفص عمر بن محمد محيي سني سيد
المُرسلين بتأليف «وسيلة المتعبدين»^(١) متوخياً بتأليفها رضا الله تعالى وشفاعة نبيه
المصطفى

جَمَعَ الْوَسِيلَةَ مُشَبَّهَ الْفَارُوقِ وَسَيِّئُهُ فَسَأَ عَلَى الْعَبَاقِ^(٢).
بَاهَى بِهَا فَلَكُ الْبُرُوجِ فَأَصْبَحَتْ كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ طَرِيقِ^(٣).
خُتِمَتْ تَوَالِيفُ الْعُلُومِ بِهَا كَمَا خَتَمَ النَّبُوءَةُ أَحَدُ الصَّدِيقِ^(٤) (٢).

فَشَهِدْتُ مِنْ كَرَمِهِ وَإِكْرَامِهِ وَتَوَاضَعِهِ وَإِنْعَامِهِ، لَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِطْعَامِهِ
لِلْقَاصِدِينَ مِنْهُمْ وَالْقَاطِنِينَ، وَتَقَشُّفِهِ فِي لِبَاسِهِ عَلَى زِيِّ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالْإِقْتِدَاءِ
بِالْأَيُّمَةِ الصَّالِحِينَ الْعَالَمِينَ الْعَامِلِينَ، كَأَنَّهُ مَلِكٌ فِي زِيٍّ مَسْكِينٍ، فَهُوَ فِي هَذَا الْعَصْرِ
مَعْدُومُ الْقَرِينِ..... وَلَمْ يَزَلْ - أَيْدُهُ اللَّهُ وَأَبْقَاهُ، وَمِنْ الْمَكَارِهِ وَقَاهُ، يَحْتَشِي كُلَّمَا كُنْتُ
أَلْقَاهُ عَلَى أَنَّ^(٥) أَجْمَعَ مَا رَأَيْتُهُ فِي الْأَسْفَارِ مِنْ عَجَائِبِ الْبُلْدَانِ وَالْبَحَارِ وَمَا صَحَّ
عِنْدِي مِنْ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ وَالثِّقَاتِ الْأَخْيَارِ. وَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ،
لِعُزُوبِ الْفِطَنِ وَضِيقِ الْعَطَنِ^(٦) وَبُعْدِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ، وَتَشَتَّتِ الْأَحْوَالِ وَرُكُوبِ
الْأَهْوَالِ وَطُولِ الْإِغْتِرَابِ وَالبُعْدِ عَنِ الْأَخْيَارِ وَمُساوَرَةِ الْعَذَابِ^(٧)..... وَرَأَيْتُ أَنَّ

(١) معين الدين الأردبيلي له كتاب وسيلة المتعبدين (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٣ - ٧٨٤) في عدة أجزاء.

(٢) الفاروق: عمر بن الخطاب ... معين الدين الأردبيلي يشبه عمر بن الخطاب في أعماله وبأسه أيضاً (لأن اسمه عمر).

(٣) باهى فلاناً: غلبه في البهاء (زاد عليه في الجلال). الفلك: الخطط الوهمي الذي يسير فيه الكوكب (واستعمال الكلمة هنا بمعنى «الكوكب» خطأ). البروج جمع برج: (هنا) منازل تمر بها الشمس في أثناء العام (بحسب رأي القدماء).

(٤) كتاب معين الدين الأردبيلي (وسيلة المتعبدين) آخر كتب العلماء وأفضل كتبهم كما أن أحد (محمد صلى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء وأفضلهم. الصديق حقها الجر وهي هنا مرفوعة.

(٥) وقاه: حفظه. حش: حش، شجع على عمل شيء.

(٦) لم أكن هنالك: لست من أهل هذا الميدان (التأليف). العزوب: البعد. الفطنة: الذكاء (الذكاء بعيد عني). ضيق العطن: قلة الصبر (على العمل المجهد).

(٧) مساورة العذاب: إحاطة العذاب (أي من كل جانب).

أُسْمِيَ هذا المجموع «تُخْفَةُ الألباب» وأُرتَّبَتْهُ على مُقَدِّمَةٍ وأربعة أبواب. فالمُقَدِّمَةُ للبيان والتمهيد، والأبواب لَتَتِمَّةُ المقصود: البابُ الأوَّلُ في صِفَةِ الدنيا وسكَّانِها من إنسها وجانِّها. - البابُ الثاني في صِفَةِ عجائب البلدانِ وغرائبِ البُنيان. - البابُ الثالثُ في صِفَةِ البحارِ وعجائبِ حَيَواناتها وما يَخْرُجُ منها من العُنبرِ والقارِ وما في جزائرها من أنواعِ البُفَطِ والنار^(١). - البابُ الرابعُ في صِفاتِ الحفائرِ والقبورِ وما تَضَمَّنَتْ من العِظامِ إلى يومِ النشورِ^(٢) ليكونَ ذلكَ سَبَباً إلى الاعتبارِ وداعياً إلى الفِرارِ من دارِ البوارِ إلى دارِ القَرارِ^(٣).....

- من المُقَدِّمَةِ:

إِنَّ اللهَ تعالى فَرَّقَ بَيْنَ العالمينِ في العقولِ وَمَنَحَهُم منه ما شاء من كثيرٍ وقليلٍ كما فَضَّلَ الناسَ بَعْضَهُم على بَعْضٍ في الرِزْقِ وَسَعَةِ المالِ، كذلكَ فَضَّلَ بَعْضَهُم على بَعْضٍ في العقلِ..... وَبَقَدَّرَ هذا التَفَاوُتَ يَقَعُ الإنكارُ لأَكْثَرِ الحَفائِقِ من أَكْثَرِ الناسِ لِنُقْصانِ العقلِ لأنَّ الذي يَغْرِفُ الجائزَ والمستحيلَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَقْدُورٍ بِالإِضافةِ إلى قُدْرَةِ اللهِ تعالى قليلٌ. فالعاقِلُ إِذا سَمِعَ عَجَباً جائِزاً اسْتَحْسَنَهُ ولم يُكَذِّبْ قائلَهُ ولا هَجَنَهُ^(٤). والجاهِلُ إِذا سَمِعَ ما لم يَشاهِدْ قَطَعَ بِتَكْذِيبِ (قائلِهِ) وتزْييفِ ناقِلِهِ لِقَلَّةِ عقلِهِ وضيقِ باعِ فَضْلِهِ^(٥)....

- من مِتنِ الكتابِ: بلادِ السُودانِ الغُربي (ص ٤١ -).

.... لأنواعِ السُودانِ، وبلادُهُم مِمَّا يَلِي المِغربَ الأعلى المُتَّصِلَ بِطَنجَةَ^(٦). وقد

(١) العُنبرُ: المادَّةُ التي تَوجَدُ في الحوتِ المُسمَّى بِهذا الاسمِ، وهي مادَّةٌ ثَمِينَةٌ مَرجُوبٌ فيها سَماءُ اللونِ طَيبَةُ الرَّائِحَةِ. القارُ: الزَفتُ. البُفَطُ (بفتح النون أو كسرِها): البُتْرولُ (المادَّةُ السائِلةُ القابلةُ للاشتِعال). النارُ (نارُ البراكينِ التي تَخْرُجُ من عِدَدٍ من جزائِرِ البحارِ).

(٢) الحَفائِرُ جَمْعُ حَفيرٍ وحَفيرةٍ: القَبْرُ، البُشْرُ الواسِعةُ (كُلُّ حَفرةٍ كَبيرةٍ تَتَكشَفُ عن أَثَرٍ أو ثَروَةٍ). النَشورُ: البَعثُ (يَومُ القِيامَةِ).

(٣) دارُ البوارِ (الهِلاكُ) الدُّنيا. دارُ القَرارِ (الهُدوءُ والاستقرارُ والدوامُ): الآخِرَةُ.

(٤) هَجَنَهُ: عابَهُ وَقَبَحَهُ.

(٥) التَزْييفُ: الفُشْ. (زَيَّفَ ناقِلَهُ: نَسَبَ إلى ناقِلِهِ المَجهولِ والزِيادةَ في الكلامِ).

(٦) طَنجَةُ بَلَدٌ على سَاحِلِ المِغربِ الشَماليِّ على البَحرِ المُحيطِ.

أَسْلَمَ مِنْ مُلُوكِهِمْ فِيمَا يُقَالُ خَسُّ قِبَائِلَ أَقْرَبَهُمْ غَانَةً^(١) يَنْسِتُ فِي رِمَالِهِمُ الذَّهَبُ التَّيْبَرُ
 الْغَايَةُ^(٢)، وَهُوَ كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ يَخْمِلُ التَّجَارُ إِلَيْهِمْ حِجَارَةُ الْمِلْحِ^(٣) عَلَى الْجِبَالِ مِنَ الْمِلْحِ
 الْمَعْدِنِيِّ فَيَخْرُجُونَ مِنْ بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا سِجْلَامَاةٌ آخِرَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَعْلَى^(٤) فَيَمِشُونَ فِي
 رِمَالِ كَالْبَحَارِ وَيَكُونُ مَعَهُمُ الْأَدْلَاءُ يَهْتَدُونَ بِالنُّجُومِ وَبِالْجِبَالِ فِي الْقِفَارِ يَحْمِلُونَ مَعَهُمُ
 الرِّزْدَ لِسِتَّةِ شُهُورٍ. فَإِذَا صَارُوا إِلَى غَانَةَ بَاعُوا الْمِلْحَ وَزَنَّا بوزنِ الذَّهَبِ، وَرَبَّيْنَا بَاعُوهُ
 وَزَنَّا بِوزْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عَلَى قَدَرِ كَثَرَةِ التَّجَارِ وَقَلَّتِهِمْ. وَأَهْلُ غَانَةَ أَحْسَنُ السُّودَانِ سِيرَةً
 وَأَجْلَهُمْ صُورَةً سُبُطُ الشُّعُورِ^(٥) لَهُمْ عَقُولٌ وَفَهْمٌ وَيَحْجُونَ إِلَى مَكَّةَ. وَأَمَّا فَاوُهُ وَقَوْقُو
 وَمَلْيَ وَتَكَرُّورٌ وَغَدَامِسُ فَقَوْمٌ لَهُمْ بَأْسٌ^(٦) وَلَيْسَ فِي أَرْضِهِمْ بَرَكَةٌ، وَلَا خَيْرٌ فِي أَرْضِهِمْ،
 وَلَا دِينَ لَهُمْ وَلَا عَقُولٌ. وَشَرُّهُمْ قَوْقُو قِصَارُ الْأَعْنَابِ قُطُسُ الْأَنْوَفِ^(٧) حُمْرُ الْعِيُونِ
 كَانَ شُعُورَهُمْ حَبُّ الْفَلْفَلِ وَرَوَائِحُهُمْ كَرِيهَةٌ كَالْقُرُونِ الْمُحْرِقَةِ يَزْمُونَ بَنَبْلٍ مَسْمُومَةٍ
 بِدَمَاهِ^(٨) حَيَاتٍ صُغْرٍ لَا تَلْبُثُ سَاعَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَسْقُطَ لَحْمٌ مِنْ أَصَابِهِ ذَلِكَ السَّهْمُ
 عَنْ عَظْمِهِ، وَلَوْ كَانَ فَيْلًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ. وَالْأَفَاعِي عِنْدَهُمْ كَالسَّمَكِ يَأْكُلُونَهَا
 لَا يُبَالُونَ بِسُمِّهِمْ الْأَفَاعِي وَلَا الثَّعَالِبِينَ إِلَّا بِالْحَيَةِ الصَّفْرَاءِ الَّتِي فِي بِلَادِهِمْ فَإِنَّهُمْ
 يَتَّقُونَهَا^(٩) وَيَأْخُذُونَ دَمَهَا لِسِهَامِهِمْ. وَقِسِيهِمْ^(١٠) صِغَارٌ قِصَارٌ رَأَيْتُهُمْ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ
 وَنَبْلُهُمْ^(١١). وَرَأَيْتُ قِسِيَهُمْ. وَأَوْتَارُهُمْ مِنْ لِحَاءِ^(١٢) الشَّجَرِ الَّذِي فِي بِلَادِهِمْ، وَنَبْلُهُمْ

(١) غانة = لقب ملوك البلد الذي عاصته كومي. وتطلق على البلد أيضاً.

(٢) الذهب التبر الغاية: الذهب الصافي تماماً.

(٣) حجارة الملح = الملح المعدني (الذي يستخرج من مناجم في الأرض لا المستخرج من ماء البحر).

(٤) سجلاماسة: مدينة كانت في المغرب الأعلى (جنوبي المغرب) على حدود الصحراء.

(٥) الشعر البسط (بفتح السين) يسكون الباء أو فتحها أو كسرهما): المسترسل غير المجدد.

(٦) بَأْسٌ: قُوَّةٌ، شِدَّةٌ (في القتال).

(٧) الأنف الأفتس: المريض غير البارز.

(٨) يعتقد أبو حامد الغرناطي أَنَّ سَمَ الْأَفْعَى إِنَّمَا يَكُونُ فِي دِمَاهَا (وَالسَّمُ مَوْجُودٌ فِي كَيْسَيْنِ فِي رَأْسِ

الْأَفْعَى يَتَصَلَّانِ بِالنَّابِيَيْنِ).

(٩) يَتَّقُونَهَا: يَخَافُونَهَا، يَتَجَنَّبُونَ الْإِقْتِرَابَ مِنْهَا.

(١٠) الْقِسْيُ جَمْعُ قَوْسٍ. وَالسَّهَامُ جَمْعُ سَهْمٍ. الْمَقْصُودُ مِنْهَا أَنْ تَصِيبَ الْأَعْدَاءَ.

(١١) النَّبْلُ جَمْعُ نَبْلَةٍ: السَّهْمِ.

(١٢) الْوَتَرُ (بفتح وفتح فتح): الْخَيْطُ الَّذِي يَرْتَبِطُ بَيْنَ طَرَفِي الْقَوْسِ ثُمَّ يَسْتَخْدَمُ فِي إِطْلَاقِ السَّهْمِ. لِحَاءُ: قَشَرُ

الشَّجَرِ (وَتَعْمَلُ مِنْهُ الْأَوْتَارُ إِذَا كَانَ لَيِّقًا أَوْ يَشْبَهُ الْخَبُوطَ).

قصار كل سَهمٍ شبرٌ. ونصَّالهم^(١) شوكُ شجرِ الحديدِ في القوَّة قد شدَّوه في نَبْلِهِمْ بلحاءِ شجرٍ يُصَيَّبونَ الحَدَقَ^(٢). وهم شرُّ نوعٍ في السودان. وسائرُ السودان يُنْتَفَعُ بهم في الخِدْمَةِ والعَمَلِ إلَّا قوقو فلا خيرَ فيهِم إلَّا في الحرب. ولهم ألواحٌ صيفارٌ مُثَقَّبَةٌ يُصَفِّرونَ في تلكِ الثَّقَبِ^(٣) فَتُصَوَّتُ بأصواتٍ عجيبةٍ فتخرجُ إلى ذلك الصوتِ جميعُ أنواعِ الحَيَّاتِ والأفاعي والثعابينِ فيأخذونها ويأكلونها. وفيهم من يَشُدُّها على وَسْطِهِ كما يَشُدُّ الحِزامَ. ومنهم من يَتَعَمَّمُ بالثَّعْبَانِ الطويلِ ويدخلُ السوقَ على غَفْلَةٍ فيَكْشِفُ ثوبَهُ ويرمي على الناسِ أنواعَ الثعابينِ والحَيَّاتِ فيُعْطُونَهُ شيئاً حتَّى يخرجَ، وإن لم يُعْطَوْهُ أُلْقَى في دكاكينِهِمْ من تلكِ الحَيَّاتِ. ويَجِيءُ من بلادِ السودانِ أنواعٌ من جلودِ الماعِزِ مدبوغةٍ دِباغةً عجيبةٍ، الجِلْدُ الواحدُ يكونُ غليظاً كبيراً لَيِّناً مُحَبَّباً في لونِ البَنْفَسَجِ إلى السوادِ^(٤) يكونُ الجِلْدُ الواحدُ عشرينَ مَنًا يَتَّخَذُ منه الخفافُ^(٥) للملوكِ ولا يُبَلُّ بالماءِ ولا يَبْلَى ولا يَفْنَى مَعَ لَبْنِهِ ونُعُومَتِهِ وطِيبِ رائحتِهِ يُباعُ الجِلْدُ الواحدُ بِعَشْرَةِ دنانيرَ تَبْلَى خِيوطُ الخَفِّ ولا يَبْلَى هو ولا يَتَقَطَّعُ فيَغْسِلُونَهُ في الحَمَّامِ بالماءِ الحارِّ فيعودُ كأنَّهُ جَدِيدٌ يتوارثُهُ الحَفِيدُ من أبيهِ عن جَدِّهِ، وهو من عجائبِ الدنيا.

- في بلاد سخسين (ص ١١٦):

ولما دخلتُ سخسينَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، اجتمعَ إليَّ الناسُ من أهلِ العلمِ وغيرِهِم وفي جُمْلَتِهِمْ شيخٌ ضعيفٌ له ثيابٌ خَلَقَ^(١) فَأَلْقَى عِنْدِي سِوَارَ ذَهَبٍ وَزَنُهُ أَرْبَعُونَ مِثْقَالاً وَقَالَ: « ما أَصْنَعُ بهذا السِوَارِ »؟ فقلتُ: « لا أدري ما تصنعُ به، لستُ صائفاً حتَّى أَعْلَمَ ما تصنعُ به ». فقال: « اشترَيْتُ سَمَكَةً بِطُسُوجٍ^(٢) فوجدتُ هذا

(١) النصل (يفتح فسكون) حديدة السيف أو الحديدة التي تكون في رأس الرمح أو السهم.

(٢) الحدة (يفتح ففتح): يؤبؤ العين (الجزء الملون منها).

(٣) الثقب جمع ثقب (بالضَم): الحرق (بالفتح) النافذ.

(٤) محبباً: غير أملس، سطحه مغطى بما يشبه الحبوب. إلى السواد: ضارب (مائلاً) إلى السواد.

(٥) الخفاف جمع خف (بالضَم): حذاء خفيف من جلد.

(٦) خَلَقَ ليست في القاموس بالمعنى المراد هنا. يقال: ثوب خلق (يفتح ففتح): المتهرَّى، والجمع خلقان (بالضَم) وأخلاق.

(٧) طُسُوج: ربع الدائق، والدائق سدس الدرهم (الدرهم جزء من الدينار يكون عشرة أو أقل إلى جزء من عشرين).

السَّوَارَ فِي بَطْنِهَا . فَقُلْتُ : « عَرَفَهُ » ١٩(١) فَقَالَ : « قَدْ عَرَفْتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ أَشَدَّهُ عَلَى عَكَازِي وَأَطْوَفُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبُيُوتِ وَالطَّرِيقَاتِ وَفِي دُورِ الْأَمْرَاءِ فَلَا أَجِدُ لَهُ مِنْ يَدْعِيهِ » . فَقُلْتُ : « خُذْهُ أَنْتَ ! فَإِنَّهُ مَالٌ حَلَالٌ وَأَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ » . فَغَضِبَ مِنْ كَلَامِي وَقَالَ : « وَاللَّهِ ، لَا تَرَانِي أَكُلُهُ ! » . فَقُلْتُ : « لِمَاذَا تَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ ؟ » قَالَ : « لِأَنِّي رَجُلٌ صَانِعٌ ، أَعْمَلُ الْحِفَافَ وَأَخْذُ مَا يَكْفِينِي » . فَقُلْتُ : « أَفَدِرَ بِهِ الْأَسَارَى مِنْ أَيْدِي التُّرُكِ » . فَفَرَحَ وَقَالَ : « بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَرَجَّتْ عَنِّي كُرْبَةٌ » ٢٠(٢) . فَقُلْتُ : « أَوَلَيْسَ هَا هُنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَأْمُرُكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ » قَالَ : « هَا هُنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَقُولُ أُعْطِنَا إِيَّاهُ وَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا نَصْنَعُ بِهِ . وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ أَكُلَهُ » .

- فِي بِلَادِ الْبُلْغَارِ : (ص ١١٧ -) :

وَسَمِعْتُ بُلْغَارًا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي آخِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ فِي الشَّالِ ، هِيَ فَوْقَ سَقِينِ بَارْبَعِينَ يَوْمًا ، يَكُونُ النَّهَارُ فِي الصَّيْفِ عِشْرِينَ سَاعَةً وَاللَّيْلُ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ وَيَشْتَدُّ الْبَرْدُ فِيهَا حَتَّى إِذَا مَاتَ لِأَحَدٍ مَيِّتٌ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَذْفِنَهُ سِتَّةَ شُهُورٍ ، لِأَنَّ الْأَرْضَ تَصِيرُ كَالْحَدِيدِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْفَرَ فِيهَا قَبْرٌ . وَلَقَدْ مَاتَ لِي بِهَا وَكِدْتُ ، وَكَانَ فِي آخِرِ الشَّتَاءِ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَفْنِهِ فَبَقِيَ فِي الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى أُمَكِّنَ ذَفْنَهُ . وَبَقِيَ الْمَيِّتُ كَالْحَجَرِ . وَخَرَجُ التَّجَّارِ مِنْ بُلْغَارَ إِلَى وِلَايَةِ مِنَ الْكُفَّارِ يُقَالُ لَهُمْ وَيَسُوا (وَيْسُو) مِنْهُ ٢١(٣) بِحِجْيِهِ الْقَنْدَرُ ٢٢(٤) الْجَيْدُ ، وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِمُ السِّيُوفَ الَّتِي تَتَّخِذُ فِي آذَرَبَيْجَانِ نِصَالًا غَيْرَ مَحَلِيَّةٍ ٢٣(٥) تُشْتَرَى فِي آذَرَبَيْجَانِ أَرْبَعَةَ سِيُوفٍ بِدِينَارٍ وَيَسْقُونَهَا ٢٤(٦) سَقِيًّا كَثِيرًا حَتَّى إِذَا عَلِقُوا

(١) عَرَفَهُ : نَادَى فِي النَّاسِ بِهِ (أَعْلَنَ أَنَّكَ وَجَدْتَهُ) .

(٢) كُرْبَةٌ : حُزْنٌ وَغَمٌ .

(٣) أَقْرَأُ : مِنْهَا (مِنْ وَلايَةِ الشَّعْبِ وَيَسُوا) .

(٤) الْقَنْدَرُ (لَمْ أَعثرْ عَلَيْهَا فِي الْقَامُوسِ) . فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (١٣ : ٤٨٠) : الْقَنْدُورَةُ مِنْ مَلَابِسِ النِّسَاءِ . وَلَعَلَّهُ الْقَنْدَسُ (بِضْمٍ فَسُكُونُ فَضْمٍ) : حَيَوَانٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ الْفَرَّاءُ .

(٥) مَحَلِيَّةٌ (٤) .

(٦) يَسْقُونَهَا : (لَعَلَّ الْمَقْصُودَ : يَضَعُونَهَا فِي النَّارِ حَتَّى تَحْمَرَّ مِنَ الْحَرَارَةِ ثُمَّ يَغْسُونَهَا فِي الْمَاءِ فَتَصْبِحُ شَدِيدَةً الصَّلَابَةِ) .

النَّصْلَ بِخَيْطٍ وَنُقِرَ طَنْ^(١) كَثِيراً. فذلِكَ الَّذِي يَصْلُحُ لَهُمْ فَيَسْتَرُونَ بِهِ الْقَنْدَرِ. وَيَذْهَبُ أَهْلُ وَيَسُوا بِتِلْكَ السِّيُوفِ إِلَى وَلايَةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ^(٢) مُشْرِفَةً عَلَى الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السِّيُوفَ مِنْهُمْ بِمَجْلُودِ السَّمُورِ وَيَأْخُذُونَ تِلْكَ النُّصُولِ^(٣) فَيُلْقُونَهَا فِي الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ فَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ سَمَكَةً كَالْحَبْلِ تَتْبَعُهَا سَمَكَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا أَضْعَافاً تَرِيدُ أَكْلَهَا فَتَلْقِي نَفْسَهَا قَرِيباً مِنَ الْبَرِّ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُهَا الرُّجُوعُ فَيَدْخُلُونَ إِلَيْهَا بِالسَّفَنِ وَيَقْطَعُونَ مِنْ لَحْمِهَا شَهْوراً حَتَّى يَلْأُوا بَبُوتَهُمْ وَيَذْخِرُونَ وَيُقَدِّدُونَ^(٤) مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَذُفْنِهَا. وَرَبِّهَا يَكْبُرُ الْبَحْرُ^(٥) فَتَرْجِعُ تِلْكَ السَمَكَةُ إِلَى الْبَحْرِ وَقَدْ مَلَأَتْ مِائَةَ أَلْفِ بَيْتٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ لَحْمِهَا. وَإِذَا كَانَتْ السَمَكَةُ صَغِيرَةً يَخَافُونَ أَنْ تَصِيحَ إِذَا وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْقَطْعِ مِنْ لَحْمِهَا إِلَى عِظَامِهَا يُخْرِجُونَ أَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى مَوْضِعٍ بَعِيدٍ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا صَوْتَهَا.

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ التَّجَارِ أَنَّهَا خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ سَنَةً مِنَ السَّنِينَ سَمَكَةٌ عَظِيمَةٌ فَتَقَبَّوْا أَذْنَهَا وَجَمَلُوا فِيهَا الْحِبَالَ وَجَرَّوْهَا فَانْفَتَحَتْ أَذْنُهَا وَخَرَجَ مِنْ أَذْنِهَا جَارِيَةٌ حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ بَيَاضٌ سَوْدَاءُ الشَّعْرُ حُمْرَاءُ الْخَلْتَيْنِ عَجَزَاءُ^(٦) مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمِنْ سُرَّتِهَا إِلَى نِصْفِ سَاقِهَا جِلْدٌ أَبْيَضٌ كَالثُّوبِ خَلْقَةٌ^(٧) يَتَّصِلُ بِجَسَدِهَا يَسْتُرُ حَيْثُ وَجَسَدَهَا وَذُبُرَهَا^(٨) كَالْإِزَارِ دَائِراً عَلَيْهَا. فَأَخَذَهَا الرِّجَالُ إِلَى الْبَرِّ وَهِيَ تَلْطُمُ وَجْهَهَا وَتَنْتِفِفُ شَعْرَهَا وَتَمَضُّ ذِرَاعَهَا وَتَذِيهَا وَتَصِيحُ وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ النِّسَاءُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى مَاتَتْ فِي أَيْدِيهِمْ.

٤- تحفة الألباب ونخبة الأعجاب (حرره غريمال قرآن)، باريس (غوتتر) ١٩٢٥ م (منشورة

(١) نفر: ضرب عليه بعود أو بالأصبع. طَنْ: أحدث صوتاً.

(٢) الظلمات: البلاد التي يطول فيها الليل في الشتاء (٢).

(٣) السُّمُور: حيوان يتخذ منه الفراء. النُّصُول جمع نصل (بالفتح): حديدة عريضة قاطعة.

(٤) يَقْدِدُونَ: يَحْفَفُونَ.

(٥) بكسر البحر: يهيج. يعلو (يحدث فيه مد بعد الجزر؟)

(٦) المجزاء: الكبيرة المجز (بفتح فضاء) أي مؤخرة الجسم.

(٧) خَلْقَةٌ: مخلوقاً (طبيعي غير صناعي).

(٨) الحَيَّ والحَيَاء: فرج المرأة. الدبر: الجانب الخلفي.

- في جورنال آزياتيک، باريس ١٩٢٥ م).
- المغرب عن بعض عجائب البلدان (قسم شرقي أوروبا) (تحرير ضبلر)، مدريد ١٩٥٣ م.
- وصف رومية (عن تحفة الألباب - حرره كرسبو مونكادا)، بالرمو ١٩٠٠ م.
- ★ الوافي بالوفيات ٣: ٢٤٥، نفع الطيب ٢: ٢٣٥، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٢، بروكلن ١: ٦٢٨ - ٦٢٩، نیکل ٢٦٦، الأعلام للزركلي ٧١: ٧ (١٩٩: ٦ - ٢٠٠)، بالشيا ٣١٢، المكتبة العربية الصقلية ٧٤ - ٧٥، سركيس ٢٩٩.

ابن ظَفَرِ الصِقْلِيِّ

١- هو حُجَّةُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ (أبي) مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ ظَفَرٍ، وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ سَنَةِ ٤٩٧ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) وَنَشَأَ فِي مَكَّةَ. وَقَدْ تَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرًا: رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ (تُونِس) فَأَقَامَ فِي الْمَهْدِيَّةِ مُدَّةً وَشَهِدَ فِيهَا الْحَرْبَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنُّورِمَانِ حُكَّامِ صِقْلِيَّةَ وَاسْتِبْلَاءِ الْإِفْرَنْجِ النُّورِمَانِ عَلَيْهَا، فِي ثَانِي عَشَرَ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٤٣ هـ (١١٤٨ / ٧ / ١ م). ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى صِقْلِيَّةَ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَرَحَلَ مِنْهَا إِلَى حَلَبَ فَأَقَامَ فِي مَدْرَسَةِ ابْنِ أَبِي عَصْرُونَ. وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ نُبِيتَ كُتُبُهُ فَيَا نُهَبَ فَاثْنَقَلَ إِلَى حِمَاةَ فَلَقِيَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ وَمِنْ الْأَطْمِثَانِ، وَلَكِنْ رَزَقَهُ ظِلٌّ قَلِيلًا دُونَ الْكَفَافِ. وَقَدْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ - وَهُوَ فِي حِمَاةَ - بِغَيْرِ كُفُوٍّ، مِنْ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ، فَخَرَجَ الزَّوْجُ بِهَا مِنْ حِمَاةَ وَبَاعَهَا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ.

وكانت وفاة ابن ظَفَرِ الصِقْلِيِّ فِي حِمَاةَ سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢- كَانَ ابْنُ ظَفَرِ الصِقْلِيِّ أَحَدَ الْأَدْبَاءِ الْفُضْلَاءِ عَارِفًا بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَكَانَ نَاشِرًا وَشَاعِرًا. أَمَّا شِعْرُهُ فَشِعْرٌ عَادِيٌّ كَثِيرُ الْمَعَانِي قَلِيلُ الرُّونَقِ، وَمُعْظَمُهُ فِي الْحِكْمَةِ. وَجَعَلَهُ فِي نَثَرِهِ أَحْسَنُ مِنْ جَعَلِهِ فِي شِعْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَقَى كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْحِكْمِ مِنْ أَقْوَالِ الْأَوَائِلِ، وَخُصُوصًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُفَقَّعِ. غَيْرَ أَنَّهُ يُخَيَّنُ سَبْكَ مَا يَأْخُذُهُ عَنِ الْآخَرِينَ. وَقَدْ كَانَ مُصَنِّفًا مُكَثِّرًا مُجِيدًا. مِنْ كُتُبِهِ: الْيَنْبُوعُ أَوْ يَنْبُوعُ الْحَيَاةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (اثْنَا عَشَرَ جُزْءًا) - التفسير الكبير^(١) - إكسِيرُ كَيْمِيَاهُ

(١) الْيَنْبُوعُ وَالتفسير الكبير كتابان مستقلان (راجع معجم الأدباء ١٩: ٤٨).

التفسير - أساليب الغاية في أحكام آية - خير البشر بخير البشر (ذكر الإرهاسات التي كانت بين يدي ظهور^(١) النبي صلى الله عليه وسلم) - البشكين^(٢) في أصول الدين - كتاب المعادات^(٣) (بفتح الميم: في الاعتقاد) - الجنة^(٤) (بضم الجيم) من فِرَق أهل السنة (في الاعتقاد) - مُعَاتِبَةُ الجريء على مُعَاتِبَةِ البريء - مالك^(٥) الأذكار في مسالك الأفكار - الخَوْذُ الواقية والْعَوْدُ^(٦) الراقية (في الوعظ) - نصائح الذكري - أرجوزة في الفرائض (تقسيم الإرث)^(٧) - كشف الكسف في نقض الكتاب المسمى بالكسف - الإنباء عن الكتاب المسمى بالإحياء^(٨) - سُلوَانُ المطاع وعدوان الأتباع^(٩) (فيه خمسُ سلوانات: في التفويض ونتائجه، في التآسي وفوائده، في الصبر وعوائده، في الرضا وميامنه، في الزهد. وقد صنَعَ المؤلفُ من هذا الكتابِ عدداً من النسخِ كَتَبَ إحداها في صِقْلِيَّةَ، سَنَةَ ٥٥٤ هـ برَسَمَ القَائِدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي القَاسِمِ القُرْشِيِّ. والكتابُ مشتمل، كما قال العيادُ الأصفهانيُّ الكاتبُ، على حُسْنِ مَعْنَى وَلَفْظٍ وَذِكْرِ تَنْبِيهِ وَوَعْظٍ) - الاشتراك اللغوي - مَلْحُ اللغة (وهو فيما اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعْنَاهُ) على حروف المعجم - كتاب الاستنباط المَعْنَوِي - الإشارة إلى علم العبارة - القواعد والبيان (في النحو) - مختصر في النحو. وله على كُتُبِ الحريري مُصَنَّفَاتٌ منها: شرح المقامات (كبير) - شرح المقامات (صغير) - التنقيب على ما في المقامات من الغريب - حاشية على دُرَّةِ الْفَوَاصِلِ (رَدَّ فيها على الحريري). ثم له أيضاً: أنباء نُجباء الأبناء (ويُلقَى أيضاً بِعُنْوَانِ الْغُرُرِ وَالْذُرَرِ فِي نُجْبَاءِ الْأَوْلَادِ).

- (١) البشر (بضم ففتح) جمع بشري (بالضم): الخبر المفرح. الإرهاس: الأمر الحارق يظهر للنبي قبيل بعثته، بين يدي ظهور النبي: قبيل ظهوره.
- (٢) راجع الوافي بالوفيات ثم إنباء الرواة ٣: ٧٦، الحاشية ٣.
- (٣) المعاد (بالفتح): البعث يوم القيامة.
- (٤) الجنة (بالضم): الوقاية، الترس.
- (٥) الموازنة تقضي أن تكون كلمة «مالك» على وزن مفاعل (مثل مسالك).
- (٦) الخَوْذُ (بالضم) بيضة من معدن يلبسها المحارب في رأسه. العَوْدَةُ (بالضم): حُرْزٌ يُقَالُ إِنَّهُ يَمْنَعُ الْأَذَى عَنْ حَامِلِهِ.
- (٧) هنالك كتاب لابن ظفر اسمه «أرجوزة في الفرائض والولاء» (والأغلب أنه الأرجوزة نفسها).
- (٨) المقصود: كتاب إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥ هـ).

- قال ابنُ ظَمِرٍ الصِّقْلِيُّ (في مقدّمة «سُلوان المطاع»):

الحمدُ لله جاعِلِ الصبرِ للنجاحِ ضَمِيناً والمحبوبِ في المكروهِ كَمِيناً^(١)، الذي ضربَ دونَ أسرارِ الأقدارِ حِجاباً مستوراً، وقضى أنَ الخيرَ على الفَظِنِ لا يزالُ حِجْراً محجوراً^(٢)..... (ثم يلتفت إلى القارئ الذي صنع نسخة من الكتاب برسمه فيخاطبه قائلاً):

بارك الله له فيما أُلْهِمَهُ كَسْبُهُ، وكان وَلِيَّهُ وَحْسَبُهُ^(٣). فلقد أنزلَ الدنيا بِدَرَكٍ مَزَلَّتْهَا وَكُوشِفَ بِشَرِكٍ مَزَلَّتْهَا^(٤) فَعَمِلَ للبقاء لا للفناء وجمعَ للجُود لا للاقْتِناء، وجادَ لله لا للشئاء، وآخى للتعاونِ على البرِّ والتقوى لا للتَهافتِ في هوى الهوى^(٥). وزانَ الرئاسةَ بنفسِ لا تُضَيِّقُ بنازلةٍ ذَرْعاً ولا تُصْنِي إلى الوشاةِ سَمْعاً^(٦)، ولا تُدَسُّ بِطَبَعٍ طَبْعاً^(٧)، ويَجْلِسُ لا يرفعُ الغَضْبُ لَدَيْهِ رأساً وَحَزَمَ لا تخافُ الإيالةَ مَعَهُ بأساً^(٨). فالحمدُ لله الذي أباحني من إخوانه جَمِي مَنِيعاً وَحَرَمَ أَمِيناً ومَرْتَعاً مَرِيحاً ومَوْرَداً مَعِيناً^(٩):

-
- (١) ضمين: ضامن. والمحبوب في المكروه كمين (قد يكون ظاهر الأمر مكروهاً أو ضاراً ويكون باطنه محبوباً أو نافعا).
 - (٢) الذي ضرب دون.... (إنَّ الله أخفى الغيب عن الناس). وقضى أن الخير... الخ (الذكي لا يعظم رزقه).
 - (٣) ما أُلْهِمَهُ كَسْبُهُ: ما قَدَّرَ (الله) له أن يكسبه. الولي: الصاحب (المتني بغيره). حسبه: كافيهِ، ما كان وحده كافياً.
 - (٤) أنزل الدنيا يدرك (أدنى المكان): عرف المنزلة الحقيقية للدنيا. كوشف (كشف الله له) بشرك (عن شرك: فُتِحَ) مَزَلَّتْهَا (المنزلة: ما تترلق الرجل عليه. والماء ضمير راجع إلى الدنيا).
 - (٥) التهافت: التفرق، السقوط. الهوى (بالضم) جمع هوة: المكان العميق.
 - (٦) الذرع: القياس بالذراع، سعة الصدر، الاحتمال. تصني: تقيل (بالضم).
 - (٧) الطبع (يفتح ففتح): الفساد.
 - (٨) الإيالة: المنطقة، المقاطعة، البلد المجموع تحت حكم حاكم.
 - (٩) المرتع: المكان الذي يكثر فيه الثب فترعاه الماشية. مريع: خصيب. مورد: مكان الشرب. معين (يفتح الميم): قريب من سطح الأرض (لا يحتاج أحد إلى أن يستعين على جلب الماء منه بجمل).

فَنَحْنُ بِقُرْبِهِ فِيهَا اشْتَهَيْنَا وَأَحْبَبْنَا وَمَا اخْتَرْنَا وَشِينَا (١).
يَقِينًا مَا نَخَافُ، وَإِنْ ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا رَأَيْنَاهُ يَقِينًا.
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا!
وَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنَّ الشُّكْرَ عَقْدٌ شَرْعِيٌّ وَحَقٌّ مَرْعِيٌّ لَا قَرَرْتُ عَيْنَهُ بِطَيِّ مَا نَشَرْتُ
وَالتَّوَرِيَّةَ عَمَّا إِلَيْهِ أَشَرْتُ، إِذْ كَانَ - وَقَانِي اللَّهُ بَعْدَهُ وَلَا أَبْقَانِي بَعْدَهُ - يَرَى أَنَّ
الشُّكْرَ فِي وُجُوهِ آلَائِهِ نُدُوبٌ (٢) وَالْمَدْحُ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ ذُنُوبٌ.

- وَلَهُ مَقْطَعَاتٌ حِكْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

أَيُّهَا الْمُسْتَجِيشُ مِنَ أَلْسِنِ الْوُ عَاظٌ، قَدْ أَسْهَبُوا وَمَا أَنْقَطُوا (٣).
هَاكَ بَيْنًا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ سَجْعٍ وَقَرِيضٍ كَانُوا بِهِ وَعَظُّوكَا:
لَا تَشَاغَلْ بِالنَّاسِ عَنْ مَلِكِ الدَّاسِ، فَلَوْلَا نُمَاهُ مَا لَحَظُّوكَا (٤) !
* حَمَلْتُكَ فِي قَلْبِي، فَهَلْ أَنْتَ عَالَمٌ بِأَنَّكَ مَحْمُولٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ؟
أَلَا إِنَّ شَخْصًا فِي فَوَادِي مَجِلَّةٍ وَأَشْتَاتُهُ شَخْصٌ عَلِيٌّ كَرِيمٌ!
* مَرْحَبًا بِالْكَفَافِ عَيْشًا هَنِيئًا، تَمْ لَا مَرْحَبًا بِمِرْصٍ وَكَدٍّ (٥).
مَا عَلَّمْنَا - وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا وَسَمِعْنَا - مَنْ حَازَ جَدًّا بِجَدٍّ (٦).
لَا يَزَالُ الْحَرِيصُ يَسْتَامُهُ الْحِرْ صُ بِنُصْبٍ مِنَ الشَّقَا وَبِكَدٍّ (٧)،

(١) شِينَا: شَتْنَا: أُرْدْنَا.

(٢) آلَاءُ جَمْعُ أَلَى (بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ أَوْ كَسْرُهَا): النِّعْمَةُ. نُدُوبٌ جَمْعُ نَدَبٍ (بِفَتْحِ الْفَتْحِ): أَثَرُ الْمَرْحِ بَعْدَ شَفَاةِ (عَيْبِ).

(٣) الْمُسْتَجِيشُ مِنَ أَلْسِنِ الْوَعَاظِ: الْحَرِيصُ عَلَى أَنْ يَسْمَعَ كَثِيرًا مِنَ الْوَاعِظِينَ. الْإِسْهَابُ: الْكَلَامُ الْكَثِيرُ الَّذِي يَبْعَثُ عَنْ مَعَانٍ قَلِيلَةٍ.

(٤) مَلِكُ النَّاسِ هُوَ اللَّهُ (رَاجِعِ السُّورَةَ ١١٤): قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهَ النَّاسِ...

(٥) الْحَرِصُ: الرِّغْبَةُ الشَّدِيدَةُ فِي جَمْعِ الْأَشْيَاءِ وَالِاحْتِفَاطُ بِهَا. الْكَدُّ: بَذْلُ الْجُهْدِ وَالتَّعَبُ.

(٦) الْجَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِطُّ. الْجَدُّ (بِالْكَسْرِ) بَذْلُ الْجُهْدِ (بِالضَّمِّ).

(٧) يَسْتَامُهُ الْحَرِصُ: يَطْلُبُ شِرَاءَهُ (الْحَرِيصُ يَبِيعُ حَيَاتِهِ بِجَمْعِ الْأَشْيَاءِ الْمَادِيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا).
النُّصْبُ (بِالضَّمِّ): التَّرْوِيلُ وَالْبِلَاءُ. وَبِكَدٍّ (كَذَا) فِي الْأَصْلِ الْمَطْبُوعِ. وَفِي بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ بِجَهْدٍ: يَضُمُّ الْجَمْعُ أَيُّ يَتَّبَعُ. الْحَرِصُ يَمْلِكُ الْإِنْسَانَ أَشْيَاءَ مَادِيَّةٍ تَمْ يَسْلِبُهُ رَاحَتَهُ وَسَعَادَتَهُ.

ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَدَّى قَدْرًا مَا لِحُكْمِهِ مِنْ مَرَدٍّ^(١)!

- وله أقوال حِكْمِيَّةٌ منشورةٌ:

مُعَارَضَةُ الْعَلِيلِ طَبِيبِهِ تُوجِبُ تَغْذِيَةَ - الْمَالِ كَلَامًا ، فَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مَسْرَبًا ، يَنْسَرِبُ بِهِ مَا زَادَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، غَرِقَ بِهِ^(٢) - الْمُوَاسَاةُ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ عَوْدَةٌ بِقَائِمِهَا - الْمُؤْتَوُّقُ مُؤْمَوِّقٌ ، وَالْأَمِينُ بِالْمُودَّةِ قَمِينٌ^(٣) - كُنْ مِنْ عَيْنِكَ عَلَى حَدَرٍ: فَرُبُّ جُنُوحٍ حِينَ جَنَاهُ جُمُوحٌ عَيْنٌ^(٤) - السَّامَةُ مِنْ أَخْلَاقِ الْعَامَّةِ - مَنْ لَزِمَ الرِّقَادَ حُرِمَ الْمُرَادَ - الْغَرِيبُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ - الْعَاقِلُ يُقَدِّمُ التَّجَرِبَ عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَالْإِخْتِبَارَ عَلَى الْإِخْتِبَارِ ، وَالثِّقَّةَ عَلَى الْإِقَّةِ - الرَّأْيُ سَيْفُ الْعَقْلِ - رَبُّ حِيلَةٍ أَنْفَعُ مِنْ قَبِيلَةٍ.

٤ - سلوان المطاع في عدوان الاتباع (أماري)، فلورنسا ١٨٥١ م، ١٨٨٢ م (٤)؛ مصر (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ؛ (بتصحیح علي بن علي المزي الحنّلاقي)، تونس ١٢٧٩ هـ؛ استانبول ١٢٨٥ هـ؛ بيروت ١٣٠٠ هـ.

- خير البشر في خير البشر، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م).

- أنباء نجباء الأبناء (نشره مصطفى بن محمد القبّاني)، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.

★ ★ الخريدة (الثام) ٣ : ٤٩ - ٦٠ ، معجم الأدباء ١٩ : ٤٨ - ٤٩ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ١٤١ - ١٤٢ ؛ إنباء الرواة ٣ : ٧٤ - ٧٦ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٣٩٥ - ٣٩٧ ؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٥ ؛ بغية الوعاة ٥٩ - ٦٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٧٠ ؛ بروكلمن ١ : ٤٣١ - ٤٣٢ ، الملحق ٥٩٥ - ٥٩٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٧ (٦) : ٢٣٠ - ٢٣١ ؛ مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٥ : ١٤٩ ؛ سركيس ١ : ١٤٩ ؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٨١ - ٦٩٦ .

-
- (١) لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ ، مِمَّا يَكُنْ حَرِيصًا ، أَنْ يَتَخَطَى مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
- (٢) إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَاءِ فِي مَكَانِهِ مَنْفَذٌ يَخْرُجُ مِنْهُ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا يَسْتَوْجِبُهُ ذَلِكَ الْمَكَانُ فَاضَ الْمَاءُ مِنَ الْمَكَانِ وَأَغْرَقَ صَاحِبَهُ .
- (٣) مُؤْمَوِّقٌ : مَحْبُوبٌ . قَمِينٌ : أَهْلٌ ، مُسْتَحَقٌّ .
- (٤) جُنُوحٌ : مِيلٌ (بِالْفَتْحِ) ، مَجِيءٌ ، هُجُومٌ . حِينَ (بِالْفَتْحِ) : مَوْتٌ . جَوْحٌ عَيْنٌ : تَطَلُّعُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ لَهُ التَّطَلُّعُ إِلَيْهِ .

ابن المنخل الشلبي

١ - هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل المهري^(١) الشلبي، نسبةً إلى شَلْب (جنوبي غربي الأندلس)، انتقل إلى إفريقية واتصل بالموحدين منذ قيام دولتهم. وكانت وفاته في عشر السنين وخمسين^(٢) للهجرة^(٣)، وقد أَسَنَ كثيراً.

٢ - كان ابن المنخل الشلبي أديباً ومن الشعراء الموحدين وذوي النفس العالي على عمود الشعر القديم، بارعاً في الوصف والحماسة، كما كان مشاركاً في علم الكلام^(٤).

٣ - مختارات من شعره:

- في شهر ذي القعدة، من سنة ٥٥٥ (تشرين الثاني - نوفمبر ١١٦٠ م) أجازَ عبد المؤمن بن علي أول سلاطين الموحدين البحر من سبتة إلى جبل طارق، بعد أن جمعَ كلَّ بلاد إفريقية في حكمه وانتقل إلى الأندلس ليدافع عن المدين الإسلامية التي كان الإسبان يُهدِّدونها بالاستيلاء عليها. فقام بين يديه الخطباء والشعراء (في معسكر جبل طارق) يمدحونه. فقال أبو بكر بن المنخل قصيدة فخمة يعارضُ بها القصيدة التي كان المتنبي قد مدحَ بها سيف الدولة، سنة ٣٤١ هـ ومطلعتها:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَنْجٍ، وَإِنْ زِدْتُنَا كَرْبًا ۖ فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا^(٥)

والحقُّ أَنَّ قصيدة ابن المنخل الشلبي كانت بارعة. فمِمَّا جاء فيها:

(١) الوافي بالوفيات ٢: ١٧ في تعليق لعبد الهادي التازي (المن بالإمامة، ١٥١، الحاشية الأولى) «المهري».

(٢) في عشر السنين وخمسة: ٥٦١ - ٥٦٩ (والذين يجهلون التعبير العربي يقولون: السنين، نقلاً للتعبير الانكليزي). وذلك بالتاريخ الميلادي ١١٦٥ - ١١٧٣ م. ويبدو أن مولده كان نحو ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

(٣) علم الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية وتفسيرها بالعقل.

(٤) الربع: المسكن (الذي كان فيه المحبوب). الكرب: الحزن والغم. زدتنا كرباً لأنك تذكرنا بالمحبوب الذي ارتحل عنك، بينما كنت له كالشرق والغرب: (يخرج منك صباحاً ثم يعود إليك مساءً: كان ساكناً فيك).

فَتَحْتُمُ بِلَادَ الشَّرْقِ، فَاعْتَمَدُوا الْغَرْبَاءُ؛
أَصْرَتْهُمْ إِلَيْهِ الْخَيْلُ وَهِيَ أَجَادِلُ
وَدُسَّتُمْ بِهَا هَامَاتٍ كُلُّ مُضَلَّلٍ
رَمَيْتُمْ بِهَا مِثْلَ السِّهَامِ فَاصْبَحَتْ
[أَتَوْكُمْ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ] سَوَافِياً
وظَنُّوا - فِي الظَّنِّ الْجَهَالَةُ - أَنَّهُمْ
فَلَمَّا تَلَاقَيْتُمْ وَبَيَّنَّتِ الْوُغَى
أُظْلِتُّهُمْ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا^(٨)
وَقَادَتْهُمْ تِلْكَ السِّیُوفُ إِلَى الرَّدَى
وَرَامُوا فِرَاراً وَالرَّمَا حُ تَنَوَّشُهُمْ،

فَإِنَّ نَسِيمَ النَّصْرِ بِالْفَتْحِ قَدْ هَبَا^(١).
فَسَالَتْ بِكُمْ بَحْراً وَطَارَتْ بِكُمْ رُكْبَا^(٢).
وَلَمْ تَتْرَكُوا عُجْماً هُنَاكَ وَلَا عُرْبَا^(٣).
كَمَا تُنْهَمُ صَرْعَى وَأَمْوَالُهُمْ نُهْيَا^(٤).
كَأَنَّهُمْ الْبَحْرُ الْغَالِطُ إِذْ عَبَا^(٥).
يَقْلُونَ مِنْ أَجْنَادِكَ الصَّارِمَ الْعَضْبَا^(٦).
تَوَلَّوْا وَقَدْ طَارَتْ قُلُوبُهُمْ رُعْبَا^(٧).
فَكَانَتْ لَهُمْ رَفْعاً وَكَانُوا لَهَا نَصْبَا^(٨).
وَمَا غَادَرَتْ سَهْلَ الْقِيَادِ وَلَا صَعْبَا.
فَمَا قَطَعُوا فَجْأً وَلَا سَلَكُوا شِعْبَا^(٩).

- (١) بلاد الشرق (هنا: بلاد إفريقية). اعتمد: قصد. الغرب (بلاد الأندلس).
(٢) أصار: (بعث، أرسل، نقل). الأجادل: الصفر (تشبه به الخيل لثدة جسمه وسرعة طيرانه). فسالت بكم بحراً (كالبحر) لكثرتها. نظير بكم ركبا: نسرع بكم جداً وأنتم على طهورها.
(٣) الهامة: الرأس. المصلل: الداعي إلى ضلالة (التأثر). المعجم (عجم الأندلس: الذين لم يعتنقوا الإسلام ولا تعلموا العربية) العرب (الدو) القبائل العربية التي سرحها الفاطميون من مصر لإزعاج البربر في إفريقية (وهم بنو هلال وبنو سليم - بضم السين).
(٤) بها = بالخيل. مثل السهام (سريعة ومصبية!). الكمي: البطل، الشجاع. الصريع: القتل. النهي: النهي المنهوب.
(٥) «أتوكم...» من قول المتنبي:

أَتَوْكُمْ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ، كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِحِيَادٍ مَالاً لَمْ يَوَافُوا!

- سروا (يفتح الراء). السايغة: الدرع. الغالط... عب: عظم عبايه (بضم العين: الموج) حاج وعظم موجه.
(٦) قل: قطع (هزم). الصارم: السيف. العضب: القاطع.
(٧) بيئت الوغى (الحرب) برهننت على قوتك. تولي: فر، هرب.
(٨) البيض الصوارم: السيوف المقاطمة. القناة: الرمح. أظلتهم: ارتفعت فوق رؤوسهم بكثرة. في الأصل: أضلتهم (بالضاد المنقوطة - وهو هفوة من أهل المناطق التي يلفظ أهلها الضاد طاء).
(٩) كانت لهم رفعا (نرفع عليها رؤوسهم!). النصب (بالضمة): المندف (الهدف المرفوع الذي يصاب بسهولة).
(١٠) ناشه بالرمح: أصابه. الرماح تنوشهم: تناولهم من كل جانب. الفج: الطريق الواسع. الثمب: (بالكسر) الطريق (الفرعي، الضيق). لم يستطيعوا أن يهربوا.

وخرّوا جميعاً هامدين كأنهم
لقد حكمت فيهم طليبا الهند رأيها
وكانوا لكم جنداً فصاروا غنيمة،
قروكم عتاقاً شرباً وعوايقاً
أقيموا، إلى ابن الرقيق بعد صدورها،
رعتها الفياقي فاستدقت جوسمها
عليها رجال كالقيداح، وإنّا
فإن تبدأوا بالغرب فالفتح واضح؛
نعاف نعيم الماء صفوا، فإن جرى
يلوذون في الهيجا بأزوع ماجد
وإن عصفت ريح الوغى أهدقوا به،

- (١) الطبا جمع طبة (بضم ففتح): حدّ السيف. ضرباً (بالسيف). تأسرهم (كذا في الأصل) = تأسرهم. سرباً (جاعات، بالجملة).
- (٢) في هذا البيت يتكلّم على بدو إفريقية من العرب الذين ثاروا على الموحّدين. يزهى: يظهر الإعجاب برأيه.
- (٣) قروكم: قدّموا لكم (في الضيافة) عتاقهم (خيّلهم الأصيلية) وعواتقهم (العائق: المنكب، ما بين العنق والكتف) أي أنفسهم (أبيدوا هم وخیلهم).
- (٤) ابن الرقيق (ويقال: ابن الرنك) هو ألفونسو أنريكويز صاحب البرتغال. بعد (بعد ذلك). أقيموا صدورها (صدور الخيل): سيروا إلى حربه. - لا تهتمّوا إذا كنتم ترون خيولكم ضمراً (ضامرة، نحيلة) قتيّاً (جمع قتياء: ضامرة البطن)، فإنّ ذلك ليس من مرض أو عيب، بل من صفاتها الحميدة.
- (٥) مناخ البادية (الفياقي) ورعيها الكلأ (المشب) في البادية، وكثرة سيرها في الفياقي (الصحارى) جعل أجسامها دقيقة (نحيلة).
- (٦) القدح (بالكسر): السهم. الفضيب: السيف. هندية (من صنع الهند: جيّدة).
- (٧) طالعة: مشرقة (تتجّه من الشرق إلى الغرب).
- (٨) خيولكم تعاف (تكره) غير الماء (الماء الصافي). أفنيه شرباً (شربته كله). في الأصل: أفنيه (بناءً الخطاب) والصواب (كما أثبتته) بنون النسوة.
- (٩) - في هذا البيت يتكلّم الشاعر على جنود الموحّدين. يلوذون: يلجأون، يحتمون (يتبعون). الأروع: الشجاع. القطب: المحور الذي تدور حوله الأشياء (قطب الحرب: الذي يحمل العبء الأكبر من القتال).
- (١٠) أهدق: أحاط.

ملكك كأن الأرض قبضة كفّه،
لِكفّيه فضلٌ بأن عن كلِّ فاضلٍ،
إذا أُجْدِبَتْ أرضٌ نَعاها بِجُودِهِ،
وقد كان هذا الدينُ وَليَّ شِبابِهِ،
إذا ما ذَكَرْناه، وقد ضاقَ أمرُنا،
نَسينا به أبناءنا وديارنا،
بلادٌ قضى فيها الشَّبابُ مَآرِبِي
فَقُلْ لَآبِنِ رَيمُونِد: تَأَهَّبْ لَفِرْوَةِ
إذا جُرِدَتْ فيه السيوفُ حَبيبتِها
وإن عَثَرَتْ أعلامُه لِمحاربٍ
ويَسْتَنشِدُ البَطريقُ في عَرَصَاتِكِ:
فلا بُعْدَ - فَيَا يَنْتَحِيهِ - ولا قُرْباً^(١).
إذا سَدَّ عَقْدَ السِّلْمِ أَوْ بَعَثَ الحَرْبُ^(٢).
فما أَغْزَرَ السُّقْيَا وما أَكْثَرَ الحِصْبَا!
فلَمَّا تَوَلَّى الدِّينُ لم يَعدُ أن شَبَا^(٣).
تَفَرَّجَ حَتَّى صارَ مُتَسِعاً رَحْبَا.
فها نحن لا نرتاحُ إِنْ ذَكَرُوا شِلْبَا^(٤).
وَأَبْقَى لِنَفْسِي ما بَقِيَتْ بِهَا إِرْبَا^(٥).
يَسُدُّ عَلَيْكُمْ جِيشُها الأَفْيَحَ السَّهْبَا^(٦).
جَدَاوِلَ رَوْضٍ والرَّماحُ بِها قُضْبَا^(٧)!
جَرى دَمُه من تَحْتِها وإِبلًا سَكْبَا^(٨).
[فَدَيْنَاكَ من رَبعٍ وإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا]^(٩)

(١) انتحي: قصد.

(٢) بان: اختلف (هو مختلف - أفضل - من كلِّ أحد، في وقت السلم وفي وقت الحرب).

(٣) وَليَّ: ذهب (وَليَّ شِبابه: ضعفت سلطته السياسية). فلَمَّا تَوَلَّى (عبد المؤمن بن عليّ الخلافة - الحكم السياسي في الإسلام) - لم يعد أن شَبَا (عاد إلى الإسلام شِبابه). في الأصل: فلَمَّا تَوَلَّى الدين (مرفوعة بضمة). عدا بعدو: تحطّى، تجاوز.

(٤) شلب بلدة الشاعر (في الطرف الجنوبي الغربي من الأندلس). به: بالعيش معه (مع عبد المؤمن بن عليّ).

(٥) الإرب: الحاجة. - مع أَنِّي تَمَتَّتْ بِلَهْوِي كُلَّهُ فيها، ولا أزال - كُلُّما كنت فيها - أَتَمَّتْ ببقية من ذلك اللهو!

(٦) ريموند الرابع (١١١٥ - ١١٦٢ م) ابن ريموند الثالث (١٠٩٦ م) وخليفته: قوس برشلونة (١١٣١ -

١١٦٢ م) وأمير أرغونة (١١٣٧ - ١١٦٢ م)، وكان قد ساعد ملك قنطالة في الاستيلاء على طرطوشة ولاردة (١١٤٨ - ١١٤٩ م). والقصيدة مقولة في ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). الأفيح (الواسع) السهب (المتسع البعيد المكان). سيكون جيشنا كبيراً بحيث يملأ الأرض بيننا وبينكم. في الأصل: الأفتح (بناء بنقطتين من فوقها)، ومرفوعة على أَنها نعت لجيش. والصواب ما أثبتته.

(٧) القضب (جمع قضيب) أغصان الأشجار. - سَتَلْتُون أن سيوف جيشنا ورماحه أنهاراً وأعصاناً (لكثرتها).

(٨) عثرت أعلامه (أعلام عبد المؤمن بن عليّ). لمحارب (٢)، اقرأ: محارب (إذا لقيت مقاتلاً عدواً، ولو اتفاقاً) جرى دم هذا العدو تحت تلك السيوف والرماح وإِبلًا (كالمطر) سكباً (منهمراً بكثرة).

(٩) سيطلب ريموند، وهو أسير لديهم (العرصة بفتح فسكون: باحة مكشوفة) أن يشده أحد قصيدة المتنبي =

أُمْرِيْلَهَا شُعْتَ النَّوَاصِي سَوَاهِيَا وَمُصْدِرَهَا شُقْرَا، وَقَدْ وَرَدَتْ شُهْبَا^(١)
تَرَفَّقَ عَلَيْهَا إِنَّهَا خَيْرُ مَكْسَبٍ. وَأَفْضَلُ مَالِي الْمَرْءِ أَفْضَلُهُ كَسْبَا^(٢).
فَلَوْ لَمْ تُجْزَها السُّنُّ نَحْوُ عَدْوُهَا، لَجَازَتْ إِلَيْهِ الْبَحْرُ تَقْطَعُهُ وَثْبَا.
فَهَا أَعْطَيْتِ الْعُرْبَ الْقِيَادَ طَوَاعَةً وَلَا أَسْمَحْتَ وَدَا وَلَا أَدْعَنْتِ حُبَا^(٣)،
وَلَكِنْ رَأَتْ شُهْبَ الْهُدَى مُسْتَنِيرَةً فَخَافَتْ نَجْمَوَا مِنْ أَسْنَتِهِ شُهْبَا^(٤).
رَأَوْا بِكَ دِينَ اللَّهِ كَيْفَ اعْتَرَاذُهُ، وَأَنْتُمْ لَهُ حِزْبٌ فَكَانُوا لَهُ حِزْبَا^(٥)!

٤- ** المغرب ١ : ١٣٨٧ الوافي بالوفيات ٢ : ٧ - ٨ : المَنَ بِالْإِمَامَةِ ١٥٠ - ١٥١ ،
٢٤٣ - ٢٤٥ ، راجع ٤٥٧ ح ، ٤٦١ ، بقية الوعاة ١٨٦ ، نفع الطيب ٤ : ١١٧ ،
راجع ٣ : ٥٢٠ - ٥٢١ ، ٤ : ٧٣ ، زاد المسافر ٤٨٧ (١٢٩ - ١٣٠) .

ابن الصقر الخزرجي

١ - هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصَّقْرِ
الأنصاري الخزرجي، أصلُ أهله من سَرَقِسطَة: خَرَجَ مِنْهَا جَدُّهُ لِأَبِيهِ لِحَدُوثِ بَعْضِ
الْفِتَنِ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى بِلَنْسِيَّةَ. وَفِي بِلَنْسِيَّةَ وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (وَالِدُ صَاحِبِ هَذِهِ
التَّرْجُمَةِ). ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الْمَرْيَةِ، وَفِي الْمَرْيَةِ وُلِدَ أَحْمَدُ فِي آخِرِ شَهْرِ رَبِيعِ

= في سيف الدولة • فدينك ... • حتى يعلم ماذا فعل المستنق (بضم فضم فسكون فضم) البطريق (قائد
جيش الروم) حينما سار سيف الدولة لحربه (كان يجب على ريموند هذا أن يهرب من حرب عبد المؤمن
ابن علي كما هرب المستنق من حرب سيف الدولة).
(١) أُمْرِيْلَهَا: مَا مَرِسلُ الْخَيْلِ، شِمْتُ (مَقْبَرَةُ) النَّوَاصِي (شعر مقدّم الرأس) لكثرة أسفارها: حروبها،
وَمُصْدِرُهَا (راجعا بها من الحرب) شُقْرَا (حَرًّا، مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ) وَقَدْ وَرَدَتْ (ذهبت إلى مكان
المركة) شُهْبَا (بِضَاءٍ، لَا دَمَ عَلَيْهَا).

- (٢) خير مكسب: أفضل ما يجمع الإنسان من ثروة.
(٣) العرب (البدو): طَوَاعَة (يقصد: طَوَاعِيَّة): طَاعَة، عَنْ رِضَا. أَدْعَنْ: انْقَاد، أَمَرَ لِلْآخِرِينَ بِحَقِّ لَهْمِ.
(٤) شُهْب (نجوم) الْهُدَى (الإسلام): حَقَائِقُ الْإِسْلَامِ وَبِرَاهِينُهُ. نَجْمُ مِنْ أَسْنَتِهِ شُهْبَا (بِضَاءً): رُؤُوسُ رِمَاحِهِ
الْمُسَوْنَةِ.
(٥) فِي الْأَصْلِ: حَرْبٌ (مَرَّتَيْنِ) مَكَانٌ • حِزْبٌ •.

الأوّل من سنة ٤٩٢ (١٠٩٩/٢/٢٤ م).

وفي نحو سنة ٤٩٩ للهجرة (١١٠٥ - ١١٠٦ م) انتقلت أسرة بني الصقر إلى سبّنة (في العدوّة القرية) فسكنتها مدة، ثم إلى فاس وبقيت فيها مدة أقصر، ثم إلى مدينة مراكش. ورحل أبو العباس أحمد إلى الاندلس رحلة قصيرة ثم عاد إلى مدينة مراكش واستوطنها.

ولأبي العباس أحمد بن الصقر عدد كبير من الشيوخ ملأوا ثلاث صفحات كاملة من كتاب الذيل والتكملة (١: ٢٢٤ - ٢٢٦).

تولّى أبو العباس بن الصقر القضاء والإمامة في مراكش منذ أيام المرابطين، ثم في بلنسية. ثم تولّى القضاء في غرناطة. ولكن تولّى القضاء كان مدة يسيرة - وقد خبر الناس منه في القضاء سيرة حميدة ونزاهة - لأن اتّجاهه في الحياة نحو الزهد صرّفه عن مناصب الدولة (راجع الذيل والتكملة ١: ٢٢٧).

وكانت وفاته في مراكش في ثامن جادى الأولى من سنة ٥٦٩ (١١٧٣/١٢/١٥ م). وراثه جاره وصديقه ابن طُفيل (ت ٥٨١ هـ) فقال (الذيل والتكملة ١: ٢٣١ - ٢٣٢):

لأمر ما تغيّرتِ الدهورُ،	وأظلمتِ الكواكبُ والبُدورُ ^(١)
أبا العباس، جادتك الفوادي،	ولاقتك الكرامةُ والحبورُ ^(٢) .
لقد فقدتِ الأيامى واليتامى	مكانك والمحافل والصُدورُ ^(٣) .
وعطلتِ المدارسُ من مُفيضٍ	علومَ الوحي ليس له نظير....

٢ - كان أبو العباس بن الصقر مُفَرِّناً مُجَوِّداً ومُحَدِّثاً مُكثِراً ثِقَةً وفقيهاً متقدِّماً في علم الكلام وزاهداً، كما كان شاعراً مُحِيناً سهلاً التراكيب واضح المعاني. يُضاف

(١) لأمر (عظيم): موت ابن الصقر الخزرجي.

(٢) الفادية: السحابة (المطر) المقبلة في الصباح. ولاقتك الكرامة والحبور (السرور) في الجنة.

(٣) الأثم والأثمة: التي مات عنها زوجها. المحفل: مكان اجتماع الناس. الصدور صدور المجالس: لأن ابن الصقر كان، لمكانته ولعلمه، دائماً في صدر كل مجلس.

إلى ذلك كله نفسُ أبيَّةٍ وسيرةٌ محمودةٌ في الناس وخدمةٌ اجتماعيةٌ. ثم هو مُصَنَّفٌ، ولكن كُتِبَتْ في مَكْتَبَتِهِ وَكُتِبَ مِنْ تَصْنِيفِهِ قَدْ فَقِدَتْ، سَنَةُ ٥٤١ للهجرة (١١٤٦م)، لما دخل الموحِّدون مَرَاكُشَ وَأَنْتَزَعُوهَا مِنْ يَدِ الْمُرَابِطِينَ. له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دَخَلَ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الزَّهَادِ وَالْأَبْرَارِ»، أبتدأه ثم لم يُتِمَّهُ فَكَمَلَهُ أَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الصَّغَرِ الْحَزْرَجِيُّ (الوافي بالوفيات ٧: ٤٨؛ نفح الطيب ٣: ٣٣٣) في الحفاظ على الإخوان مهما تكن حالهم:

لله إخوانٌ تنساءت دارُهُمْ، حَفَظُوا الْوِدَادَ عَلَى النَّوَى أَوْ خَانُوا^(١).
يُهْدِي لَنَا طَيْبَ الثَّلَا وَدَادُهُمْ كَالنَّدَى يَهْدِي الطَّيْبَ وَهُوَ دُخَانٌ^(٢).

- وقال في مصانعة الأعداء (الوافي بالوفيات ٧: ٤٨؛ الإحاطة ١: ١٩٢؛ الذيل والتكملة ١: ٢٣٠؛ نفح الطيب ٤: ٣١٩):

أَرْضِ الْعَدُوَّ بظَاهِرٍ مُتَصَنِّعٍ، إِنْ كُنْتَ مُضْطَرًّا إِلَى آسْرَاضِهِ^(٣).
كَمْ مِنْ فَتَى أَلْقَى بِوَجْهِهِ بِاسْمٍ، وَجَوَانِحِي تَنْقُدُ مِنْ بَفْضَائِهِ^(٤).

- وقال في الزهد (الإحاطة ١: ١٩١؛ الديباج ٥٠):

إِلَهِي، لَكَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ حَقِيقَةً؛ وَمَا لِلْوَرَى - مِمَّا نَمَتْ - نَقِيرٌ^(٥).
تَجَافَى بَنُو الدُّنْيَا مَكَافِي فِرَافِي. وَمَا قَدَرُ مَخْلُوقٍ جَدَاهُ حَقِيرٌ^(٦).
وَقَالُوا: فَقِيرٌ - وَهُوَ عِنْدِي جَلَالَةٌ. نَعَمْ، صَدَقُوا. إِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ^(٧).

(١) تناءى: ابتعد. النوى: البعاد.

(٢) إِنَّ الثَّناءَ الْقَلِيلَ مِنْ خَصْمِكَ (أَوْ عَدُوِّكَ) يَدُلُّ عَلَى عَظَمِ هَيْبَتِكَ فِي نَفْسِهِ.

(٣) أَرْضِ: فَعْلٌ أَمْرٌ مِنْ أَرْضَى.

(٤) كَمْ مِنْ فَتَى أَلْقَى (أَلْقَاهُ أَنَا). تَنْقُدُ: تَنْقَطِعُ (بِفَضَا لَهُ).

(٥) الْوَرَى: النَّاسُ. مِمَّا نَمَتْ (مِمَّا أَصِفُهُمْ بِالْفَنَى) نَقِيرٌ: شَيْءٌ قَلِيلٌ. لَيْسَ مَا يَمْلِكُهُ النَّاسُ، إِذَا قَيسَ بِمَلِكِ اللَّهِ، شَيْئًا.

(٦) تَجَافَى (فَعْلٌ لَزِمٌ) تَبَاعَدَ. يَقْصِدُ الشَّاعِرُ: تَجَافَى بَنُو الدُّنْيَا عَنْ مَكَافِي (عَنِّي). الْمَجْدَا: الْكَرَمُ.

(٧) إِلَيْهِ: إِلَى اللَّهِ.

- في الذيل والتكملة (١: ٢٣٠ - ٢٣١): «وقوله في وداع القبر المكرّم، قبر النبي صلى الله عليه وسلم»، مع أننا لا نعرف له رحلة إلى المشرق:

حَسْبُ الْحَبِّ مِنَ الْحَبِيبِ سَلَامٌ	يُقْضَى بِهِ يَوْمَ الْوَدَاعِ ذِمَامٌ ^(١) .
رُحْنَا وَرَوْعُ الْبَيْنِ يُخْرِسُ أَلْسِنًا،	وَمِنْ الدَّمُوعِ إِشَارَةٌ وَكَلَامٌ ^(٢) .
يَا أَرْضَ يَتْرَبْ، لَا عَدَاكَ غَمًا.	أَنْتِ الْمُنَى لَوْ تُسْعِفُ الْأَيَّامَ ^(٣) .
لِلْقَلْبِ فِي تِلْكَ الْعَرَاصِ عَرَامَةٌ	مَضْمُونُهُ كَلَفٌ بِهَا وَغَرَامٌ ^(٤) .
قَبْرٌ تَضَمَّنَ أَعْظَمًا تَعْظِيمُهَا	عَنْهُ يَصِحُّ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ
وَرَدَّتْ بِهَا نَفْسُ الْمُنُوقِ مَنَاهِلًا	كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَهُنَّ حَرَامٌ.

٤- ** نخبة القادم ٤٩٩؛ الذيل والتكملة ١: ٢٢٣ - ٢٣٢؛ الإحاطة ١: ١٨٩ - ١٩٣؛
نفع الطيب ٣: ٣٣٣، ٣١٩.

ابن ميمون القرطبي

١- هو، في الأغلب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدي القرطبي المعروف بلقب مركوش (أو مرقس، لأنه من أصل غير عربي)، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٩٨ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) في قرطبة.

روى ابن ميمون القرطبي عن أبي بكر بن العربي وشريح وأبي الحسن الباذش ولازم أبا الوليد بن رشد عشر سنوات. ثم إنّه خرج إلى المغرب واستوطن مدينة

(١) الذمام: العهد، الحق، الحرمة (بالضم: ما يجب المحافظة عليه).

(٢) رحنًا (رحنا ماء)، غادرنا المكان. روع (الخوف من) البين (الفراق، البعاد).

(٣) يترب: المدينة المنورة. لا عداك (لا تخطأك). غم (أدعو الله أن تفر كل ساعة تيك - أن تكون الرحمة دائمة فلك). نسف: (تساعد) الأيام (على اللقاء).

مَرَأَشَ وتصدَّرَ فيها لإِقراءِ النَحْوِ خاصَّةً. وكان يحضِّرُ مَجْلِسَ السلطانِ عَبدِ المؤمنِ ابنِ عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ) مَعَ العُلَماءِ ، فَاتَّفَقَ يوماً أَنْ تُنشدَ أَبياتاً فيها زَنَدَقَةٌ (راجع المختارات) فَهَجَرَهُ عَبدُ المؤمنِ وَمَنَعَهُ مِنَ الحُضورِ في مَجْلِسِهِ وصَرَفَ بَنِيهِ عَنِ القِراءةِ عليه واقتدى كثيرون بِعَبدِ المؤمنِ.

وكانتْ وَفاةُ ابنِ ميمونِ القُرطُبِيِّ في ثامنِ عَشَرَ جُمادى الثانيةِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧ (١١٧٢ / ١ / ١٧ م).

٢ - كان ابنُ ميمونِ القُرطُبِيُّ حَسَنَ العُشْرَةِ فَكَيَّةَ الحديثِ وفيهِ شيءٌ مِنَ الدُّعابة. وكان عالماً بالقِراءاتِ والتفسيرِ والفقهِ واللُّغةِ والأدبِ مُبرِّزاً في النَحْوِ، كما كان كاتباً وشاعراً. ثُمَّ هو مُصَنِّفٌ، ألفَ عدداً مِنَ الكُتُبِ، منها: شرحُ (أبيات) الإيضاح - شرح مقامات الحريري - مَشاوِذُ الأفكارِ في ما أُخِذَ عَلى النُّظَّارِ (علماء الكلام وأصحابِ النظر العقلي).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رسالة لابنِ ميمونِ القُرطُبِيِّ إلى محبوبٍ له:

.... فبِاللهِ إِلا ما لَقِيتَ الرسولَ بِوَجْهِ يَدُلُّ عَلى القَبولِ، وَتَفَضَّلْتَ بِأَنْ تَصِلَ قَبْلَ رُجوعِهِ إِلَيْنَا وَتُخالِفَهُ مِنْ طَرِيقٍ مُختَصِرٍ حَتَّى تَطْلُعَ قَبْلَهُ عَلَيْنَا^(١). هَناكَ كُنَّا نَجْزِي لِلفضائلِ سُجُداً، وَلا نَزَالُ نُوالِي شُكْرَكَ وَذِكْرَكَ أَبداً^(٢).

- أنشد ابنُ ميمونِ القُرطُبِيُّ مَرَّةً في مَجْلِسِ عَبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ أَبياتاً كان قد نَظَّمَهَا في أبي القاسمِ عَبدِ المُنعمِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ تَيسِيت:

(١) تخالفة: تأتي من طريق غير الطريق التي سبّقي منها (وأفصر). تطلع علينا (مثل البدر).

(٢) فإذا فعلت ذلك فإننا نشكر نعمة الدهر علينا ونوالي (سنمّر) في شكره.

أبسا قاسم، والهوى جنة - وها أنا من مسها لم أفيق^(١) -
تَقَعْنَتَ جاحم ناري الضلوع كما خضت بجر دُموعِ الحندق^(٢).
أكنتَ الحليل، أكنتَ الكلم: أمنتَ الحريق، أمنتَ الفرق^(٣)!

- وقال في النسيب والعتاب:

طرقي، وحقك، يرعى الذ نجوم نجاً فنجماً^(٤)
مردداً: فكأنني أفك منها ممقى^(٥)!

- وقال في غلام قص شيئاً من شعره:

تبسم عن مثل نور الأفاحي وأقصدا براض صبح^(٦)
ومر يمس كما ماس غضن تلاعب عطفيه هوج الرياح^(٧)
وقصر من ليله ساعة فأعقب ذلك ضوء الصباح^(٨).

(١) الجنة (بكر الجيم): الجنون. المس: الإصابة بالجنون. لم أفيق: لم أبرأ (لم أشف).

(٢) تقعنّت: هجمت، رميت بنفسك. جاحم: شديد الحرارة. الحندق: العيون.

(٣) أكنت مثل الحليل (إبراهيم الذي ألقى في النار فلم يحترق) ومثل الكلم (موسى الذي خاض البحر الأحمر فلم يغرق). وقد غضب السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي على ابن ميمون لأنه شبه بمدوحه بإبراهيم وموسى.

(٤) طرقي = ناظري: عيني. يرعى: يراقب، يتأمل.

(٥) مردداً: مكرراً، مبدأً. الممقى: اللغز.

(٦) تبسم (فظهرت أسنانه جميلة منتظمة) مثل نور (بفتح النون: زهر) الأفايح. وأقصدا: قتلنا (بمعين) مراض (مريضة بمعنى ناعسة) صباح (سليمة).

(٧) يمس: يتأمل. العطف (بكر العين): جانب الجسم (يشبه العنق بإنسان). هوج الرياح: الرياح الشديدة.

(٨) قصر من ليله...: قصر من ليله (من شعره الأسود) ساعة (جزءاً يسيراً). فأعقب (تلا، تبع) ذلك (تقصير شعره) ضوء الصباح (ظهور جزء أكبر من وجهه).

وَأَنِّي - وَإِنْ زَعَمَ العاذِلُو ن - من خَمَرٍ أَجْفَانِهِ غَيْرُ صَاحٍ^(١).

٤- ** جذوة المقتبس ١٨٦ بغية المتنبي ١٢١ (رقم ٢٨٤)، المغرب ١١١: ١ - ١١٢
معجم الأدباء ١٩: ٦٣ - ١٦٤ الوافي بالوفيات ٥: ١١٠٤ إنباء الرواة ٣: ١٢١٨
المطرب ١٩٨ - ١٩٩، المن بالامامة ٢٢٦ - ٢٢٨ بغية الوعاة ٦١ - ٦٢، ١١٠٩
الأعلام للزركلي ٧: ١٠٧ (٦: ٢٣١).

أبو الحسن بن عيَّاش

١ - هو أبو الحسن عبدُ الملك بنُ عيَّاش بن فرج بن عبد الملك بن هرون الأزديُّ
القرطبي، أصله من مدينة يابرة (في غربي الأندلس: البرتغال اليوم، شرق أشبونة أو
لشبونة). صحبَ بني حَمْدَنَ بقرطبة - وكانوا أسرة نَبَغَ فيها نَفَرٌ من القضاة - ثمَّ
استخدمه المُوَحِّدُونَ في الكِتَابَةِ. وكانت وفاته في إشبيلية في غُرَّةِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ من
سَنَةِ ٥٦٨ (١١٨ / ١ / ١١٧٣ م).

٢ - كان أبو الحسن ابنُ عيَّاش كاتباً مُتَرَسِّلاً واسعَ المعرفة بالعربية وبفنون
الأدب يُكثِّرُ التضمينَ والاقْتِباسَ من كتابِ الله. وكان له نَظْمٌ أَذْنَى مرتبة من نثره.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو الحسن بنُ عيَّاش القرطبيُّ يَحُثُّ قبائلَ العَرَبِ (البُدُو) من بني هِلَالٍ
على الجهاد:

أَقِيمُوا إِلَى العَلِيَاءِ عُوَجَ الرَوَاحِلِ وقودوا إِلَى الهَيْجَاءِ جُرْدًا لَصَوَاهِلِ^(٢)
وقوموا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةً ثَائِرٍ وشُدُّوا عَلَى الأَعْدَاءِ شِدَّةَ صَائِلِ^(٣).

(١) سَأَطَلَ سكران من خمر عينيه ولو قال العاذِلون (اللاثمون، الميخضون) أَنِّي سَأَصُحو منها.
(٢) أَقام: رَفَعَ (أَهَضَ الدَّابَّةَ من مريضها استعداداً للسفر). الرَّاحِلَةُ: الدَّابَّةُ التي تُسَاحَدُ في
الرَّحْلَةِ (السفر والانتقال). العُوجُ جمع عُوجَاء: الضَّامِرَةُ البطن (تسرع في سيرها). الصَّاهِلُ: الحصان.
الأَجْرَدُ: الحصان القصير الشعر (وذلك من صفات الخيل الجياد).
(٣) شَدَّ: هَجَم. الصَّائِلُ: المهاجم الذي يهني فهر خصمه.

فما العِزُّ إِلَّا ظَهْرُ أَجْرَدَ سَابِحٍ تَمُوتُ الصَّبَا فِي شَدَّةِ الْمُتَوَاصِلِ^(١) ،
وَأَبْيَضُ مَأْثُورٌ كَأَنَّ فِرْنَدَهُ عَلَى الْمَاءِ مَحْبُوكٌ وَلَيْسَ بِسَائِلِ^(٢) ،
بَنِي الْعَمِّ مِنْ عَلِيٍّ هِلَالٌ بِنِ عَامِرٍ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِلِ^(٣) ،
تَعَالَوْا فَقَدْ سُدَّتْ إِلَى الْغَزْوِ نِيَّةٌ عَوَاقِبُهَا مَقْرُونَةٌ بِالْأَوَائِلِ^(٤) .

- وَلَمَّا تَغَلَّبَ الْمُوَحَّدُونَ عَلَى ابْنِ مَرْدَنِشٍ^(٥) فِي الْأَنْدَلُسِ، كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ
عِيَّاشٍ كِتَابَ الْبُشْرَى بِالنَّصْرِ إِلَى مَرَاكُشٍ. فِيمَا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ:

.....فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّابِغِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي حِينِ الزَّوَالِ اسْتَخَارَ اللَّهُ
الْمُوحَّدُونَ^(٦) عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الثَّنَائِيَا الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُرْسِيَّةِ^(٧) .
فَتَمَيَّزُوا شُعُوبًا وَقِبَائِلَ وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْبَةِ وَإِمْحَاضِ
النِّيَّةِ^(٨) . فَرَأَى الْأَعْدَاءُ مَا هَالَهُمْ وَأَحَالَ هَالَهُمْ^(٩) . هَذَا عَلَى احْتِدَادِ شُوكَتِهِمْ^(١٠)
وَكثْرَةِ عِدَّتِهِمْ. وَتَرَدَّدُوا بِسَفْحِ الْجَبَلِ زُهَاءً ثَمَانِيَةَ آلَافٍ فَارِسٍ أَكْثَرُهُمْ أَرْغُونُ^(١١)

-
- (١) السابح: الحصان (السرير). توت الصبا النخ: تقصّر الريح عنه في السرعة (٢).
(٢) أبيض: سيف. مأثور: متوارث (جيد الجنس، مختبر). الفرند: البياض في حدّ السيف. (هذا السيف
كانه منسوج من سطح الماء، ولكنه جامد غير جار).
(٣) هلال بن عامر: قبائل عربية (بدوية) كان الفاطميون (بعد انتقالهم من القيروان إلى القاهرة وبعد
ترك البربر للمذهب الفاطمي) قد سرحوها إلى المغرب لتحدث فيه قلاقل. الباسل: الأسد (التشديد في
الحرب).
(٤) عواقبها (نتائجها) مقرونة (مرتبطة، معتمدة على) الأوائل (الأسباب، المقدمات، الاستعداد).
(٥) هو محمد بن سعد (٥١٨ - ٥٦٧ هـ) ثار على الموحدين في شرقي الأندلس ووصل يده بيد الإسبان.
(٦) طمع في الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة. قاتله الموحّدون وحاصروه في مرسية فمات في أثناء الحصار.
(٧) من سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ / ١٠ / ١٤ م). الزوال (زوال الشمس عن خط كبد الماء): وقت الظهر.
(٨) استخار الله الموحّدون = الموحّدون استخاروا الله (طلبوا من الله أن يختار لهم ما هو أصلح لهم).
(٩) بينه (بين ابن مردنیش) وبين الثنايا (الطرق في الجبال).
(١٠) تميّزوا (افترقوا) شعوباً وقبائل (بحسب أقسامهم القبلية). «من المؤمنين رجال صدّقوا ما عاهدوا الله
عليه...» (٣٣: ٢٣، سورة الأحزاب). المحض: الخالص (الصافي، الصادق).
(١١) هالهم: أفرعهم. أحال: بذل.
(١٠) احتداد: اشتداد. الشوكة: القوة.
(١١) أرغون: نصاري أرغونة (شمال شرقي إسبانية).

وَقَفُوا يَتَشَاوِرُونَ وَيَتَنَازَعُونَ. وَلَمْ يَجِدُوا مَحِيداً عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي ضَمَّتْهُمْ، وَلَا مَنَفَذاً إِلَّا فِي الْمَسَافَاتِ الَّتِي حَفَّتْ مُحِيطَةً بِهِمْ وَعَمَّتْهُمْ..... وصَافَهُم جُنُودُ اللَّهِ مِنْ ضُحَى النَّهَارِ إِلَى أَنْ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(١)، فِي أَيَّامٍ يُقْبَلُ فِيهَا التَّوْبُ^(٢) وَيُغْفَرُ فِيهَا الذَّنْبُ وَيُخْشَعُ الْقَلْبُ وَيُعْبَدُ الرَّبُّ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْمُوحَّدِينَ أَنْ نَاشِبُوهُمَ الْقِتَالَ، وَقَدْ كَثُرَ الذِّكْرُ وَالْإِهْلَالُ^(٣). وَزَحَفَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَنَا السَّوَادُ مِنَ السَّوَادِ، وَتَشَوَّفَهُ بِالْكَلِمِ وَالطَّرَادِ^(٤). وَحَمَلَتِ الرُّومُ^(٥) حَمَلَتَهُمُ الْمَعْلُومَةُ الْمَعْمُودَةُ^(٦).... وَالتَّقَفَتْ عَلَيْهِمْ قِبَائِلُ الْمُوحَّدِينَ، وَاحْتَدَمَتِ الْحَرْبُ وَحَيَى الْوُطَيْسُ^(٧).... وَثَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَ الْمُوحَّدِينَ وَزَلَزَلَ أَقْدَامَ الْمُلْحَدِينَ. وَثَبَّتَتِ السَّاقَةُ الَّتِي فِيهَا الْأَعْلَامُ كَأَنَّهَا الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وَالْأَعْلَامُ^(٨). وَانْبَرَى الْمُوحَّدُونَ الْأَوَّلُ مِنْ أَهْلِ تَيْنَمَلَلٍ وَهَنْتَانَةَ^(٩) فَصَبَرُوا صَبْرَ أَمْثَالِهِمْ وَخَوَّلَهُمْ إِقْبَالاً فِي اسْتِقْبَالِهِمْ^(١٠). وَأَجْفَلَ الْكَفَرَةُ مُنْهَزِمِينَ وَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ مُدْبِرِينَ^(١١)، وَالسِّيفُ يَأْخُذُ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ، وَحِزْبُ

(١) صَافَهُم: أقام صفوف القتال في مواجهتهم. الضحى: الوقت الذي ترتفع فيه الشمس فوق الأفق قليلاً.

«إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٩: ٦٢، سورة الجمعة): وقت انتصاف النهار.

(٢) التوب: التوبة.

(٣) ناشبه القتال: نابهذه (طالبه بالقتال، استفزه للقتال). الذكر: ذكر الله تعالى. الإهلال: قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(٤) دنا السواد (الجسم) من السواد (أصبح الفريقان يرى بعضها بعضاً). تشوَّف: رأى عن بعد. الكلم: الكلام (المناداة). الطراد: معالجه الخصم بالهجوم.

(٥) الروم: (في الأندلس) النصارى، الفرغبة (من أي جنس كانوا).

(٦) الحملة: المعجزة. المعلومة المعمودة: (فيها غدر ووحشية).

(٧) الوطيس: حفرة صغيرة يجبر فيها ويشوى (تنور)، كناية عن اشتداد القتال.

(٨) الساقة: مؤخرة الجيش (ويكون فيها الطعام والصناعات لإصلاح ما يتكسر من السيوف والدروع الخ).

العلم (بفتح ففتح): الراية والجبل.

(٩) تينمَلَلٌ أو تينمَلَلٌ: البلدة (في جبال الأطلس) التي ظهرت منها دولة الموحدين. هنتانة: قبيلة كبيرة كانت مناصرة للموحدين.

(١٠) الأمثال (المقصود: الأمثال): خيار القوم وشجعانهم - صدق الجميع في الحرب كأنهم كلهم من خيار القوم. خولهم (أعطاهم) إقبالاً (سادة، حظاً، نصراً) في استقبالهم (في مقاتلة العدو وجهاً لوجه).

(١١) أجفل: مضى سراعاً. ولَّى (أعطى، أدار) الدبر (بضم فضم): الفكا (كناية عن الهرب). مدبر: راجع، منصرف إلى الخلف. هارب.

الله يتقدم غالباً فيصرع ويصدع^(١). وقُتِلَ رجال الشقي ومشاهيره^(٢)، والروم أكثر القتلى فيهم. فخرُوا كأنهم أعجاز نخل خاوية^(٣)..... ولاذ الشقي.... للفرار، وقد خبرَ من حدّ السيوف وأنبأها ما أغناه عن الأخبار.

٤-★★ المنّ بالإمامة ٨٣، راجع ١٦٠، ح ٢٥٢، ٢٧٦ - ٢٨٢ - ٣٠٢ - ٣٠٧، ٣٠٩ - ٣٧٦، ٣٧٣ - ٣٨٠، ٤١٥ - ٤١٧؛ التكملة ٢: ٦١٨ (رقم ١٧٢١)؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦ - ٣٠؛ زاد المسافر ٩٣ (١٣٥)؛ نفع الطيب ٣: ٤٤٦ - ٤٤٧، ٣٢٧ - ٣٢٨.

أبو عامر بن الحمار

١- هو أبو عامر محمد^(٤) بن الحمار الغرناطي - من المهدية في القطر التونسي - وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م)، ويُقَرَّنُ أَسْمُهُ بِلقب «الوزير». تتلمذ على ابنِ بَاجَه (ت ٥٣٣ هـ) في صِناعة الفناء وفي الفلسفة. وكانت وفاة أبي عامر بن الحمار، سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م).

٢- كان أبو عامر بن الحمار، فيما قيل، من فلاسفة الأندلس. ولكننا لا نعرف من حياته كلَّها سوى إشاراتٍ جزئية. وقيل فيه: كان عارفاً بصناعة الألحان: يصنَعُ العودَ بنفسه ثم ينظُمُ الشِعْرَ ويلعنه ويغنيهِ فيطربُ سامعيه. وقد وصلَ إلينا أبياتٌ بسيرةٍ من شعره تدلُّ على براعةٍ وعليها طلاوةٌ، وكان يرتجلُ أيضاً. وفنونه المدحُ والرياءُ والمجاءُ (وهجاؤه خبيثٌ) والغزلُ والوصفُ.

(١) ودع يدع: ترك. صرع: ألغى (خصمه) أرضاً، قتل. صدع: شق، كسر.

(٢) الشقي: ابن مردنیش. مشاهيره: أبطاله وخاصة أنصاره.

(٣) أعجاز النخل: أصولها (جذوعها). خاوية: فارغة نخرة. «كأنهم أعجاز نخل خاوية» (٦٩: ٧، سورة الحاقة).

(٤) هنالك قصة واحدة (راجع نفع الطيب ٤: ١٣ و ١٤٠) تروى مرة عن أبي عامر محمد بن الحمار ومرة عن أبي الحسين علي بن الحمار.

٣- مختارات من شعره:

- لأبي عامر محمد بن الحمار هذا البيت الذي أقتنص فيه صورة الحلم (النام) الذي ينفِرُ عن النائم (المغرب ٢: ١٢٠):

إذا ظنَّ وَكراً مُقلّي طائرُ الكرى رأى هُديها فازتاعَ خَوْفَ الحبائل^(١).

- وله في رثاء زوجته (المغرب ٢: ١٢٠):

ولما أن حَلَلَتِ التُّرْبَ قُلْنَا: لقد ضَلَّتْ مَوَاقِمُهَا النُّجُومُ.

ألا يا زَهْرَةَ دَبَلْتُ سَريعاً، أَضَنَّ الْمُزْنَ أم رَكَدَ النَّسِيمُ^(٢)؟

- ولما بنى أبو العباس بن القاسم بن العشرة قصره في مدينة سلا^(٣)، وصَفَ الشعراء ذلك القصر. واتفق أن كان أبو عامر بن الحمار حينئذ في سلا - ولم يكن قد أعدَّ شيئاً من الشعر لتلك المناسبة - ففكر قليلاً وقال (نفع الطيب ٤: ١٣ و١٤٠):

يا واحدَ الناسِ، قد شِدَّتْ واحدةٌ فَعُلَّ فيها مَحَلُّ الشَّمْسِ في الحَمَلِ^(٤).

فما كدَارِكَ في الدُّنيا لذي أَمَلٍ، ولا كدَارِكَ في الأُخرى لذي عَمَلٍ^(٥).

- وقال في مُداراة الأصدقاء (نفع الطيب ٣: ٥٩٧):

ولي صاحبٌ أَحْنُو عليه، وإنَّه لَيُوجِعُنِي حيناً فلا أَتَوَجَّعُ.

(١) شبه الحلم (بضم فسكون) بطائر تم قال: إنَّ ذلك الطائر قد ظنَّ أن مقلّي (عيني) وكر يمكن أن يلجأ إليه، ثم أبصر أهداب عيني (الشعر في جفنيها) فازتاع (خاف) إذ ظنَّ أهدابي حباله (يكسر الماء: مصيدة، شركاً) لكثرة ما كان قد رأى الطيور في الحبال.

(٢) شبه زوجته التي ماتت بزهرة ذبلت جفَّت وذوت لا تقطاع الزمن (المطر) أو لركود (هدوء) الهواء (إذ حلَّ محلَّ النسيم المنعش ريح حارة تقتل النبات).

(٣) سلا: مدينة قرب الرباط (في المغرب).

(٤) واحد الناس (أعظم الناس، لا مثيل له). واحدة (داراً هي أعظم الدور). حلَّ فيها (انزل فيها، اسكنها) كما تنزل الشمس في برج الحمل (إيذاناً بحلول فصل الربيع).

(٥) دارك هذه أجمل من جميع الدور في هذه الدنيا، وأفضل من منازل غيرك في الجنة في الآخرة.

أَقِمْ مَكَانِي مَا جَفَانِي، وَرَبِّهَا يُسَائِلُنِي الرَّجْعَى فَلَا أَتَمَنَّعُ^(١).
كَأَنِّي فِي كَفَّيْهِ غُصْنُ أَرَاكِ تَمِيلُ عَلَى حُكْمِ النِّسِيمِ وَتَرْجِعُ^(٢).

- لأبي عامر بن الجَمَّارَةِ مَقَاطِعُ حَسَنٌ مِنْهَا:

★ ★ اللَّهُ يَوْمٌ كَانَ فِيهِ مُنَادِي وَجْهُ الْحَبِيبِ وَزَهْرَةُ الْبِسْتَانِ،
صَرَخْتَنِي اللَّذَاتُ فِيهِ مَضْرَعاً مَا شِئْتَ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ^(٣).
يَا صَاحِبِي، تَمَتَّعَا مِنْ سَاعَةٍ شُقِلَ الزَّمَانُ بِهَا عَنِ الْحَدَثَانِ^(٤).
★ ★ لَوْ كُنْتُ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ فِي الْحُلُمِ لَمَّا قَرَعْتُ عَلَيْكَ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ^(٥).
يَحْمِي وَصَالِكَ أَعْدَاءُ لَهُمْ رَصَدٌ وَيَصْرِفُ الطَّيْفَ أَنِّي بَتُّ لَمْ أَتَمَّ^(٦).
يَا مَرْسَلًا سَهَمَ عَيْنِيهِ لِيَقْتُلَنِي، مِنْ ذَا أَبَاحَ لِدَاكَ اللَّحْظَ سَفَكَ دَمِي؟
★ ★ أَنَا نَا فَتَيْتُ الْمِسْكَ يَعْثَقُ عَرْفُهُ وَبِئْسَ عَلَى ذَاكَ النَّدَى وَالتَّكْرُمُ^(٧).
فَأَشْعَرَنِي رَبِّيَا حَبِيبِ أَعِيرُهُ، عَلَى رَقَبَةٍ، لِحَظَةِ الْمَشُوقِ الْمُتَمِّمِ^(٨).
فَوَاللَّهِ، لَوْلَا أَنْ تَقُولَ لِي الْمُنَى: رُوَيْدَكَ، لَا تُقَدِّمُ عَلَى غَيْرِ مُقَدَّمٍ^(٩).
لَحَدَّثْتُ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَشُمُّ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمِ!

- (١) إذا جفاني (صديقي): ابتعد عني (كره لِقائي) أفتت مكاني (لا أزوره). وإذا سألتني أن أعود إلى صداقته فلا أرفض.
- (٢) الأراكة: شجرة (لينة الأغصان؟).
- (٣) صرع الرجل خصمه: ألقاه أرضاً (على الأرض، قتله). الروح: الراحة، النسيم المنعش. الریحان: نبات ذو رائحة طيبة. - انفسست (ذلك اليوم) في اللذات حتى قدت وعيي.
- (٤) نسي فيها الزمان أن يجيء إلينا بمصائب.
- (٥) قرع السن ندماً (ندم ندماً كثيراً).
- (٦) رصد: مراقبة. الطيف: الخيال (الطارق في النوم). بت (قضيت الليل). أنا لا أرى خيالك في النوم (لأبي سهران في حبك ولا أنا).
- (٧) فتيت المسك (إذا فت المسك: طحن) يزيد انتشار الرائحة منه. عبق (يفتح فكس): ضاع (مضارعه: يضيوع): فاح، انتشر. العرف: الرائحة الطيبة. الندى: الكرم.
- (٨) الربا: الرائحة الطيبة. رقبة (مراقبة وحذر). المتيمم: الذي ذلله الحب. إن الرائحة الطيبة دلتني على وجود حبيبي فجعلت أعيره لحظي (أنظر إليه بحذر).
- (٩) المنى جمع أمنية. رويدك: مهلاً. مقدم (أمر يقدم الناس عادة عليه).

- وقال أبو عامر بن الحمارة يَزني أستاذَه ابنَ باجَه (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢):

يا صاحبَ القبرِ القريبِ - ودُونَه هُم تَبَيَّنَتْ لَهُ الكواكِبُ تَسَهَّرُ -
قَم، إِن أَطَقْتَ، وَهَاتِ عَن صُورِ الرَّدَى خَبْرًا، فَقَدْ عَايَنْتَ كَيْفَ تُصَوِّرُ^(١).
أَخْبِرْ عَنِ الْمَلَكُوتِ كَيْفَ رَأَيْتَه: إِنَّ الْغَرِيبَ عَنِ الْغُرَائِبِ يُخْبِرُ.

٤- ** بنية الملتبس ٥١٧ (رقم ١٥٥١؛ ١٠٥٥)؛ المطرب (الخرطوم) ١٠٧ - ١٠٨
الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢ (الأسطر ١١ - ١٤)؛ المغرب ٢: ١٢٠؛ نفع الطيب ١:
٢٠٥، ٣؛ ٥٩٧؛ ٤؛ ١٣؛ ١٤٠.

الأصم المرواني

١- هو الشريف الأصم المرواني القرطبي^(٢)، كان من نسل الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) من جهة أمه^(٣)، وكان في مطلع دولة الموحدين في أيام عبد المؤمن ابن علي. ويُسكن أن تكون وفاته بالتخمين بين ٥٧٠ و ٥٧٥ هـ (١١٧٥ - ١١٨٠ م).

٢- الأصم المرواني شاعرٌ جَزَلُ الألفاظِ متينُ الأسلوبِ مشرقِي الديباجةِ بَرَعَ في المديح والوصف. وقد اشتهر بقصيدته البائية التي قالها، في أواخر سنة ٥٥٥ للهجرة (أول ١١٦٠ م) في مديح عبد المؤمن بن علي (راجع المختارات) يعارضُ فيها قصيدة أبي تمام: «السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ».

٣- مختارات من شعره:

- لما جازَ عبدُ المؤمنِ بنَ عليٍّ، أولُ خلفاءِ الموحدين، بحرَ الرُّقاقِ (مضيقَ جَبَلِ

(١) قَم (انفض من قبرك). أطاق: قدر، استطاع. كيف تصوّر (كيف تكون صور الأمور في الآخرة).

(٢) بعد سقوط الدولة الروانية (الأموية) في الأندلس (٤٢٨ هـ) تم مجيء المرابطين (٤٨٤ هـ = ١٠٩١) ثم الموحدين، تفرق الأمويون في البلاد واستخفوا (يفتح الغاء) واستغنى أكثرهم عن التمدح بأسمائهم الشخصية. ولكن ظلوا يعرفون باسم الشرفاء. من هؤلاء كان الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) والأصم المرواني صاحب هذه الترجمة والشريف الفرناطي (٦٩٧ - ٧٦١ هـ).

(٣) المعجب ١٥٣ (٢١٥ - ٢١٦).

طارق) مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَافَاهُ الشُّعْرَاءُ فَأَلْقَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَصَائِدَ . فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أُلْقِيَ الْأَصَمُّ الْمُرَوِّثُ قَصِيدَتَهُ الْبَائِيَّةَ . وَمِمَّا جَاءَ فِيهَا :

مَا لِلْعِدَا جُبَّةٌ أَوْقَى مِنَ الْمَرْبِ . كَيْفَ الْمَفْرُ ، وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ ^(١) .
وَأَيْنَ يَذْهَبُ مَنْ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ إِذَا رَمَتْهُ سَمَاءُ اللَّهِ بِالشُّهُبِ ^(٢) .
حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ وَالْبَحْرِ قَدَمَلَا الْعَبْرَيْنِ بِالْعَرَبِ ^(٣) ،
وَطَوْدُ طَارِقٍ قَدْ حَلَّ الْإِمَامُ بِهِ كَالطُّورِ كَانَ لِمُوسَى أَيْمَنَ الرُّنَسِ ^(٤) .
لَوْ يَعْرِفُ الطَّوْدُ مَا غَشَاهُ مِنْ كَرَمٍ لَمْ يَسْطِرِ الْغَوْرُ فِيهِ الْكَفَّ لِلْسُّحْبِ .
مِنْهُ يُعَاوَدُ هَذَا الْفَتْحُ ثَانِيَةً أَضْعَافَ مَا حَدَّثُوا فِي سَالِفِ الْحَقَبِ ^(٥) ،
وَيُلْبَسُ الدِّينُ غَضًّا قُوبَ عِزَّتِهِ كَأَنَّ أَيَّامَ بَدْرِ عَنْهُ لَمْ تَقِبْ ^(٦) .
تَدْبِيرُ مَنْ قَارَعَ الْأَيَّامَ وَاخْتَلَطَتْ آرَاؤُهُ فِي الْوَعْيِ بِالسُّمْرِ وَالْقُضْبِ ^(٧) .
إِنْ أَبَى مِنْ غَزْوَةٍ أَفْنَتَ أَعَادِيَهُ كَانَ الْإِيَابُ لِأُخْرَى أَعْظَمَ النَّسَبِ ^(٨) .

- (١) الْجَنَّةُ (بِضْمِ الْجِيمِ) : الْوَقَايَةُ (مَا يَحْجُبُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْخَطَرِ) .
(٢) فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ (جَبَلٍ عَالٍ) : مَكْتُوفٌ مَعْرُضٌ لِلْأَخْطَارِ . الشَّهْبُ جَمْعُ شَهَابٍ : حَجَرٌ يَقْلُتُ مِنْ مَدَارِهِ حَوْلَ كَوْكَبٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ فَيَدْخُلُ جَوْ الْأَرْضِ وَيَشْتَمِلُ وَهُوَ سَاقِطٌ (إِذَا كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ إِهْلَاكَهُمْ) .
(٣) الرُّومُ كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ النَّصَارَى فِي الْأَنْدَلُسِ سِوَاءِ أَكَانُوا رُومًا أَوْ قُوطًا . حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ كَانَتْ الْجَيْشُوسُ الَّتِي تَجَمَّعَتْ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرُّومِ مُحَارِبَةً الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةً ، وَكَذَلِكَ كَانَ جَيْشُوسُ الْعَرَبِ كَثِيرَةً جَدًّا تَمْلَأُ الْعَبْرَيْنِ (الْجَانِبَ الْإِفْرِيقِيَّ وَالْجَانِبَ الْأَنْدَلُسِيَّ) .
(٤) طَوْدُ طَارِقٍ : جَبَلُ طَارِقٍ (الطَّرْفُ الْجَنُوبِي مِنَ الْأَنْدَلُسِ) . الْإِمَامُ : عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ . الطُّورُ : الْجَبَلُ الَّذِي وَقَفَ عَلَيْهِ مُوسَى . أَيْمَنُ : أَكْثَرُ مَيْمَنًا (بِضْمِ الْيَاءِ : بَرَكَةً) . إِنَّ جَبَلَ الطُّورِ كَانَ أَبْرَكَ الْمَوَاقِفِ فِي حَيَاةِ مُوسَى . وَنَزُولُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي جَبَلِ طَارِقٍ (لِلدِّفَاعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ) كَانَ بِرَتَبَةٍ وَقُوفٍ مُوسَى عَلَى جَبَلِ الطُّورِ .
(٥) سَالِفٌ : مَاضِي . الْحَقْبَةُ (بِكْسَرِ الْهَاءِ) : الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَنِ . - مِنْ جَبَلِ طَارِقٍ سَيَمَادَ فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا كَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ قَدْ فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْمَكَانِ .
(٦) الْفَضْلُ : الطَّرِيقُ ، الْجَدِيدُ . بَدْرٌ أَوَّلُ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ (سَنَةِ ٢ هـ = ٦٢٤ م) .
(٧) قَارَعَ الْأَيَّامَ : قَاوَمَهَا (اخْتَبَرَهَا) الْوَعْيُ : الْحَرْبُ . السَّمَرُ جَمْعُ أَسْرٍ : الرَّمْحُ . الْقُضْبُ جَمْعُ قُضْبٍ : السِّيفُ . - اخْتَلَطَتْ آرَاؤُهُ الْخَطْبُ : آرَاؤُهُ فِي خَوْضِ الْحُرُوبِ مَهْمَةً وَقَفَالَةً مِثْلَ السِّبْوَفِ وَالرَّمَاكِ .
(٨) أَبَى : رَجَعَ . - إِذَا انْتَصَرَ فِي غَزْوَةٍ انْتَصَارًا عَظِيمًا (كَادَ يَفْنِي أَعَادِيَهُ) كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا مَهْمًا لِيَعُودَ إِلَى خَوْضِ غَزْوَةٍ ثَانِيَةٍ .

مَلِكٌ إِذَا مَا دَعَتْهُ الْحَرْبُ مِنْ بُعْدٍ
 مَا بَيْنَ مُخَصَّرَةِ الْأَقْطَارِ نَازِحَةٍ
 حَتَّى أُنَاخَ بِأَمِّ الشَّرِكِ مُرْضِعَةً
 مَنِيعَةً مِنْ ذُرَى سُورٍ تَكْنَفُهَا
 تَغْلَغَلْتُ فِي خِنَاقِ الْجَوِّ صَاعِدَةً
 وَحِينَ غَادَرَهَا طَوْلُ الْمِصَارِ لَهَا
 أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِأَيْدِي الذَّلِّ طَائِمَةً
 سَارَ الْعُلُوجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ مِئَنَ
 مَدَّوَالْأَكْفَفِ لِلْمَسِّ الشَّمْسِ مِنْ قَرَحٍ ،
 إِنَّ الْجَزِيرَةَ مِنْ طَوْلٍ انْتِظَارِكُمْ

طَارَ السَّفِينُ أَمَامَ الْجَحْفَلِ اللَّجْبِ (١)،
 وَأَخْضَرَ فِي غِيَارِ الرِّيحِ مُضْطَرِبِ (٢).
 أَوْلَادَهَا حَلَبًا جَمًّا عَلَى حَلَبِ (٣)،
 وَزَاخِرٍ مُزِيدِ الْأَمْوَاجِ مِنْ غَضَبِ (٤).
 حَتَّى حَسِينًا مَدَارَ النَجْمِ فِي صَبَبِ (٥).
 كَأَنَّهَا مَرْكَبٌ أَشْفَى عَلَى الْعَطَبِ (٦)
 وَمَكْتَنَتَكَ مِنَ الْمَسْلُوبِ وَالسَّلْبِ.
 مِنْ عَفْوٍ مُقْتَدِرٍ لِلْفَرْزِ مُنْتَدِبِ (٧).
 وَشَمَرُوا لَوُثُوبِ الْبَحْرِ مِنْ طَرَبِ (٨).
 لَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ لَحْظٌ مُرْتَقِبِ (٩).

- (١) من بعد: من مكان بعيد (مها يكن مكان المعركة بعيداً). السفين: جمع سفينة. الجحفل: الجيش الكبير. اللجب: الكثير الأصوات (لكثرة ما فيه من الجنود ومن السلاح). طار السفين.... سبقت سفن البحر جيوش البر (شوقاً إلى الجهاد).
- (٢) مخضرة (كتيبة، قسم من جيش): مسودة (لكثرة ما فيها من السلاح). نازحة: بعيد ما بين أطرافها (واسعة، كبيرة). أخضر (أطول): أسود (لكثرة سفته - وتكون السفن عادة مطلية بالقار الأسود). غمار: وسط. مضطرب: كثير الحركة (شوقاً إلى الجهاد).
- (٣) أمّ الشرك: عاصمة الإسبان التي هاجمها عبد المؤمن آنذاك. مرضعة أولادها: مربية أهلها ومهيئة لهم (لخوض الحرب). الحلب: الحليب (اللبن). جمًّا: كثيراً - المقصود: أعدتهم إعداداً جيداً وافياً. حلباً جمًّا على حلب: مرة بعد مرة.
- (٤) ذرى سور تكنفها: سور عالٍ يحيط بها. زاخِر: (بحر) مملوء بالماء. مزيد الأمواج: شديد الهياج (تما يجعل الوصول إلى المدينة صعباً).
- (٥) صبيب: انحدار. هذه المدينة عالية حتى ليخيل إلى الناظر أن النجوم أدنى (أقرب إلى الأرض) منها.
- (٦) أشفى: قرب. المطب: الهلاك.
- (٧) الطلج: القوي، الشديد (هنا: غير العربي). في أعناقهم من (جمع منة: فضل) لأنك عفوت عنهم. منتدب: انتدبه الله للجهاد.
- (٨) فرحوا كثيراً (لما عفوت عنهم) حتى أصبحوا لحنفهم ونشاطهم كأنهم يستطيعون الوصول إلى الشمس أو الوثوب من فوق البحر.
- (٩) الجزيرة: الأندلس. لها بكل طريق... كانت تنتظر مجيئك من كل مكان.

يا وافتداً عَلِقْتَ مِنْ يُمْنٍ مَقْدَمِهِ
 ما بَيْنَ رَاحَتِهِ الطُّوْلَى وَخَاطِرِهِ
 أَلْقَتْ عِصْيَ النَّوَى أَشْيَاخُ قُرْطُبَةٍ
 أَتَشْكُ تَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعَمٍ ،
 تَزْدَادُ نُوراً إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ بِهَا
 وَالصَّبْرُ فِي كُلِّ خَطْبٍ طَعْمُهُ صَبْرٌ ،
 أَيْدِي الْأَمَانِي بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ ^(١)
 يَفِيضُ بَحْرُ النَّدى بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ^(٢) ،
 فِي مَنْبِتِ الْعِزِّ وَالْحَاجَاتِ وَالطَّلَبِ ^(٣) .
 وَإِنَّمَا أَرْجُ النَّوَارِ لِلْحَسْبِ ^(٤) .
 كَأَنَّهَا سُرُجٌ فِي حَالِكِ النَّوْبِ ^(٥) .
 لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ ^(٦) !

٤- ** زاد المسافر ١٢٦ - ١٢٧ ، المعجب ٢١٥ - ٢١٧ ؛ نفع الطيب ١ : ٤٧٥ ، ٣ : ٥٩٢ - ٥٩٣ ؛ المنّ بالإمامة ١٥٩ - ١٦٤ (وفي تعليف محقق « المنّ بالإمامة » عبد الهادي التازي - ص ١٥٩ - ما يومه أن الأصمّ المرواني هو الطليق المرواني ، مع أن هذا حفيد ذاك).

ابن حبّوس

١ - هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله بن حبّوس ، أصله من فاس ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) أو قُبيل ذلك في إشبيلية وفيها نشأ .

- (١) الوافد: القادم (عبد المؤمن بن علي). اليمن: البركة. منقضب: منقطع. علقت أيدي الأماني بمجل...: وثقت واطمأنت.
- (٢) الطولى (بالضّم): مؤنث الأطول (من الطول بالضمّ بمعنى القياس والطول بالفتح بمعنى الفضل والنعمة). الندى: الكرم.
- (٣) الأشياخ: كبار القوم وأعيانهم. العصا جمع عصا. ألقت عصا النوى: استقرت واطمأنت ثقة بك (من قول الشاعر: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى).
- (٤) أرج (رائحة طيبة) النّوار (الأزهار) للحسب (من فضل الغيم الذي يسقط فيسقي الأرض فتنبت الأرض نباتها وأزهارها).
- (٥) السرج جمع سراج: المصباح، القنديل. الحالك: المظلم. النوب جمع نوبة (بفتح النون): النازلة (المصيبة).
- (٦) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (المصيبة). صبر (بفتح فس): ذو الطعم المرّ. الضرب (بفتح فتح): العسل.

قرأ ابنُ حبّوس القرآنَ الكريمَ على ابنِ عَيْشُونِ المَقْرِيءِ (ت ٥٣١ هـ) وعلى القاضي أبي الحسنِ شُريحَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ شُريحٍ (ت ٥٥٧ هـ) ودرس النحو على ابنِ الرّمّاكِ (ت ٥٤١ هـ) وقرأ الأدبَ على الأديبِ البليغِ أبي مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ الغفورِ (ت ٥٤٢ هـ). ثم تَصَدَّرَ للإقراء في إشبيلية.

وتكسب ابنُ حبّوس بالشعرِ فمدَحَ الأمراءَ وكَثُرَ اتّصاله بسلطانِ الموحّدين عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ). وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م)، في الأغلب.

٢ - عُرِفَ ابنُ حبّوس بأنّه شاعرُ الدولةِ المَهْدِيّةِ (نسبةً إلى المَهْدِيِّ بنِ تُوَمَرَتَ مؤسسِ دولةِ الموحّدين). وهو شاعرٌ كبيرٌ بلا ريبٍ واسعُ القولِ فغَمَّ الكلامَ متينُ الأسلوبِ غزيرُ المعاني بارِعٌ في الصناعةِ متنوّعُ الأغراضِ. ولكنّه متطرّفٌ في عددٍ من آرائهِ حتّى لَتَطُنَّ حيناً أنّه فاطميّ. قال في مديحِ رجالِ دولةِ الموحّدين:

بَلَّغَ الزمانُ بهذِيكُم ما أَمَلَا، وتعلّمت أياّمه أن تُعَدِّلا (١).
فَلَأَنْتُمُ الحقُّ الذي لا يُبْتَرَى فيه، وليس بجائز أن يُجْهَلَا (٢).
وَلَأَنْتُمُ سرّ الإلَهـِ، وأمرُكم ملأُ العوالمِ مُجْمَلَا. ومُفَصَّلَا.
عُزِلْتُمْ ولأهـِ الحِسُّ عن إدراكه، فهو المنزّهُ حَسْبُه أن يُعْقَلَا (٣).

٣ - مختارات من شعره:

- حاصرَ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ مدينةَ بَجَايَة فلجأ الناسُ إلى قَصْرِ صاحِبِها يحيى ابنِ العزيزِ بنِ حَمَادٍ يستنجدون به ويسألونه أن يخوضَ بِهِمُ المَعْرَكَة. ولكنّه تَسَلَّلَ إلى زَوْرَقٍ كان قد أعدّه وهَرَبَ. فأنشدَ ابنُ حبّوسٍ في تلكِ الساعَةِ، بين يَدَيِ عبدِ المؤمنِ ابنِ عليٍّ، قصيدةً - قيل ارتجالاً - منها:

- (١) المَدي (بفتح فسكون) كالمَدى (بضمّ ففتح).
(٢) لا يَبْتَرَى فيه: لا يشكُّ أحدٌ فيه.
(٣) إنَّ سرَّ الإلَه الذي هو فيكم (راجع البيت السابق) لا يدرك بالحسِّ. هو منزّه (أعلى، أسمى) من اختبار الشرِّ، ويكني البشر أن يدركوه بعقولهم.

مَنْ الْقَوْمُ فِي الْغَرْبِ تُصْنِي إِلَى حَدِيثِهِمْ أَذُنُ الْمَشْرِقِ!
 جَرَوْا وَالْمَنَيا إِلَى غَايَةِ فَلَمْ يَسْبِقُوهَا وَلَمْ تَسْبِقْ،
 بِأَيْدِيهِمُ النَّارُ مَشْبُوبَةٌ، فَمِهَا تُصِيبُ بَاطِلًا تُحْرِقُ.
 يَقُودُهُمْ مَلِكُكَ أَرْوَعُ تَخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ آدَمَ
 إِلَى النَّاصِرِيَةِ سِرْنَا مَعًا، وَلَمَّا تَقَتْنَا وَلَمْ تُلْحَقْ^(١)؛
 إِلَى بَرْزَةِ فِي دُرَى أَرْعَى تَجَلُّ عَنْ السُّورِ وَالْمُتَدَقِّ^(٢).
 فَلَاذُوا بِقَصْرِ لَمَوْلَاهُمْ وَمَوْلَاهُمْ لَازِ بِالزُّورِقِ^(٣).
 وَفَارَقَهُ أَحْمَرًا أَيْضًا وَلَجَجَ فِي أَخْضَرِ أَرْقِ^(٤)،
 وَأَوْرَثَهُ خَوْفَكُمْ خِفَةً، فَلَوْ خَاضَ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَغْرَقْ.

- ولابن حبّوس قصيدة في مدح الوزير أبي جعفر بن عطية منها:

أَلَا زَارَ مِنْ أُمَّ الْحُشَيْفِ خَيَالُهَا وَمِنْ دُونِهَا الْبِيدَاءُ يَخْفِقُ أَلْهَا^(٥).
 لَقَدْ أَوْقَدَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْي جَمْرَةً بَدَا فِي سَوَادِ الْعَارِضِينَ أَشْتَعَالُهَا^(٦).
 تَكَلَّمْتُ اللَّيَالِي: عِنْدَ غَيْرِي سِلْمُهَا وَرَوَقَةُ دُنْيَاهَا، وَعِنْدِي قِتَالُهَا؛

- (١) أروع: شجاع. السُّود (بضم السين وفتح الدال الأولى أو صمها): المجد.
- (٢) - ما زال ينحدر منذ أيام آدم في أصلاب آبائه ولكنه يكتب رفةً كلما اقترب مولده.
- (٣) الناصرية: بجاية. لم تقفنا: لم تنج منا. لم تلحق: لم تصل إليها نجدة قبل استيلائنا عليها.
- (٤) البرزة: البارزة، المرأة الشريفة الواقعة من نفسها تبرز للرجال، قلعة حصينة بعيدة النال. أرعى: (هنا) له فضول (أي: جبل تحيط به مرتفعات ومنخفضات تجعل الوصول إليه صعباً). تجل (تكبر، لا تحتاج) عن السور والمتدق (لأنها حصينة بطبيعتها).
- (٥) لاذ: التجأ.
- (٦) فارقه (فارق القصر) أحمر (من الغضب أو الحجل) أبيض (من الخوف لذهاب لونه من وجهه). لجج: خاض في لجة (معظم الماء) البحر (على غير هدى). أخضر (أسود). الأخضر الأزرق: البحر البعيد عن الشاطئ، العميق القعر.
- (٧) الحشيف تصغير الحشف (يسكون الشين، وفتح الحاء أو كسرهما أو ضمها) ولد الطيبة ساعة يولد. يخفق (يضطرب) أله (سراها) لشدة الحر عند انتصاف النهار.
- (٨) العارضان: جانباً الوجه. بدا في سواد العارضين اشتغالها: بدا الشيب في شعري من جانبي الوجه.

أَتَحْصُدُنِي فِي أَنْ أُعِيشَ، كَأَنَّمَا
أَمَّا تَنْتَقِي أَنْ يَشْرَيْبَ لِنُصْرَقِي
إِذَا قَسَدَتْ حَالِي سَتَصْلُحُ حَالُهَا.
قَوِيَّ إِذَا رَامَ السَّمَاءَ يَنَالُهَا^(١).
وَزِيرُ الْعُلَا، عِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ فَضْلَةٌ:
رَوَيْتُهَا فِي مَذْحِكٍ وَأَرْجَاهَا^(٢).
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى مَدَّةَ الدَّهْرِ أَنْ أُرَى
تَمِيدُ بِي الدُّنْيَا وَأَنْتُمْ جِبَالُهَا!
- وَلَهُ قَصِيدَةٌ يَشْكُو فِيهَا النَّاسَ وَيُبْذِي رَأْيَا سَيِّئًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ، مِنْهَا:

وَعَامِلٌ بِالْحَدِيمَةِ مِنْ
وَهْزٍ لِمَعْشَرٍ سَيْفًا.
لَقِيتَ وَبَادِرَ الْفُرْصَا.
وَهْزٌ لِأَخْرَيْنَ عَصَا.
وَسَوْ ظَنَّنَا بِكُلِّ أَخٍ
يُقَاسِمُكَ الثَّنَا حُصَا^(٣).
وَلَا تَحْرُصْ، فَرُبَّ فَتَى
مُضَاعٌ عِنْدَمَا حَرَصَا
وَجِرْصُ الطَّائِرِ الْوَاقِ
عَ صَيَّرَ جَوْهَ قَفْصَا^(٤).
وَقَدْ ذَهَبَ الْوَفَاءُ، فَلَا
يَقُولُ مُغَالِطٌ: نَقْصَا!
وَمِنْ شَهَدِ الْخُطُوبِ وَعَا
شَ مِثْلِي يَشْرَحُ الْقَصَا.

٤- ** الحمدون من الشعراء ٢٦٣ - ٢٦٥ الوافي بالوفيات ٣: ١٦ - ١٧، التكملة
(رقم ١٠٥٥)، زاد المسافر ٤٣ - ٤٨، المطرب ١٩٩ - ٢٠٢، المعجب ١٥١ -
١٥٣، النبوغ المغربي ١٦٧ وما بعد، ٦٨٠، ٨٥٢ - ٨٥٤، ٩٠٨، ٩٠٩، الأدب
المغربي ١٦٩ - ١٧٣، تاريخ الجزائر العام ١: ٣٦٨، الأعلام للزركلي ٦: ٣٣٣
(١٠١).

أحمد بن مالك السرقطي

١- هو أبو بكر أحمد بن الوزير أبي الوليد محمد بن مالك الأنصاري أصله من
سَرْقُطَة، انتقل أبوه منها وسكنَ بَلَنْسِيَّةَ. ويبدو أنه هو أيضاً قد تولى الكتابة

- (١) تنقي: تخاف. اشرب: تناول، نهض.
(٢) ... وقتت جميع شمري (الذي أقوله أرجالاً والذي أقوله بمد روية وتفكير) على مدحكم وحدكم.
(٣) يقاسمك الثنا حصصاً: يعني عليك كل ما أثبتت أنت عليه (يعاملك معاملة حسابية).
(٤) - طمع الطائر في أن يلتقط كل حبة (حتى تلك القريبة من الفخ) هو الذي يوقمه في يد الصائد.

والوزارة. وقيل إنه ذهب إلى مراكش. وقد كانت له رحلة إلى مصر واشتهر هنالك. وكانت وفاته سنة ٥٧١ (١١٧٥ - ١١٧٦ م).

٢ - كان أحد بن مالك السرقسطي أديباً شاعراً مقصداً وشاحاً. وكانت له مشاركة في الفلسفة.

٣ - مختارات من شعره:

- موشحة لأحد بن مالك السرقسطي فيها مدحٌ وغزلٌ وخمرٌ:
حُتَّ كَأْسَ الطَّلَا عَلَى الزَّهْرِ وَأَدْرَهَا كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ^(١).

★ ★ ★

أَنْسِمُ يَفُوحُ أُمَ عِطْرُ
وَعُصُونُ أَمَالِهِمَا الْقَطَرُ
تَنْثَنِي وَمَا يَهَا سُكْرُ
وَطَبِيرُ نَطَقَنَ بِالسَّيْرِ حِينَ هَبَّ النِّسْمُ فِي السَّحْرِ^(٢)

★ ★ ★

اطرِدِ الهمَّ بَابِنَةِ الْعِنَبِ،
وَامزِجِ الرَّاحَ مِنْ لَمَى شَنِبِ.
إِنَّا طَيْبُ عَيْشٍ ذِي أَدَبٍ
قَطَعُ أَيْسَامَ دَهْرِ الْغُرِّ بِسُلَافٍ وَشَادِنٍ غِرٍّ^(٣).

★ ★ ★

-
- (١) الطلا: الخمر. الأنجم الزهر (البيضاء، الالامعة).
(٢) القطر: المطر (٤). السحر (بفتح ففتح أو بفتح وسكون أو بضم فسكون): آخر الليل قبيل مجيء الصباح.
(٣) اللمي: سمة الشفاء. الشنب (الريق) البارد. النمر (بالضم جمع أغر وغراء): البيض. السلاف: الخمر. الشادن: الغزال الصغير. النمر (بالكسر): الذي لا اختبار له (محبوب لطيف طيب القلب).

بِمَعَالِي أَيِّ عَلِيٍّ أَهَمِّ
 رَقٍّ طَبْعاً كَالْمَاءِ أَوْ كَالنَّسِيمِ
 ذِي جَبِينٍ طَلَقَ وَوَجْهَهُ وَسِيمٌ
 وَمِمَّنْ تَنَهَّلَ بِالنَّبِيرِ وَسُيُوفِ هَامَ الْعِدَا تَبْرِي^(١).

★ ★ ★

ذُو جَلَالٍ سَامٍ وَعِزٍّ أَثِيرٌ
 طَالِبٌ حَافِظٌ ذَكِيٌّ وَزِيرٌ
 زَادَ مِنَّا قُرْباً بِقُرْبِ الْأَمِيرِ
 وَهُوَ فَوْقَ السَّيَاحِ وَالنَّسْرِ إِنْ دَجَا لِيُنَاسِبَهُ نَسْرِي^(٢)

★ ★ ★

صِلْ نَسَاءً عَلَى ابْنِ أَبِي زَيْدٍ
 بَطَلٌ فِي الْحُرُوبِ ذُو كَيْدٍ
 وَعَلَى الْمَارِقِينَ ذُو أَيْدٍ
 لَمْ يَهْمُ بِالْحِصَانِ وَالسُّمْرِ إِنَّمَا هَامَ بِالْقَنَا السُّمْرِ^(٣)

★ ★ ★

رُبَّ هَيْفَاءٍ شَفَّهَا بُعْدَا
 عَفَا عَنْهَا فَلَمْ تَجْذُبْ دَا

(١) طلق: يشوش. وسيم: جميل. التبر: الذهب (المطايا). تنهل (تطهر) بالنبر: كريم، كثيرة العطايا. هام: رؤوس. برى: قص، قطع.

(٢) أثير: مكين، ثابت. السماك والنسر: نجان (كناية عن العلو والرفعة). دجا: أظلم. نسري: نسر ليلاً (إذا اضطربت الأمور اهتدينا به).

(٣) المارق: الخارج على إرادة جماعته. الأيد: القوة. هام: اشتد حبه. القنا (الرماح) السمر (جمع أسمر: رمح ذابل: دقيق قوي).

مِنْ هَوَاهُ فَأَنْشَدَتْ وَجْـدًا:

رَبِّ، قَوَّيْ ذَا الْهَوَى صَبْرِي إِنَّ هَجَرَ الْحَبِيبِ كَالصَّبْرِ^(١)

٤- ** التكملة ١: ٧٧ (رقم ٢٠٥). المغرب ٢: ٤٤٦ جيش التوشيح ٢١٣ - ٢٢٤ (راجع ٢٧٧)، أخبار وتراجم أندلسية ١٦.

ابن سعد الخير البلنسي

١- هو الأستاذ أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاريُّ البلنسيُّ، قشتيليُّ الأصل، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ نحو سَنَةِ ٥١٠ (١١١٦ م) وسكَّنها. وتلقَّى ابنُ سعدٍ الخيرَ العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن بنُ النِّعْمَةِ ولازمه وتأدَّب به، ومنهم أبو محمد بن السيِّدِ واختصَّ به. وكان منهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن خَيْرَةَ وأبو الوليد بن الدَّبَّاح. وقد تصدَّرَ للتدريس في بلنسية طولَ عُمُرِهِ. وكانت وفاته في ربيعٍ الآخر من سَنَةِ ٥٧١^(٢) (خريف ١١٧٥ م) في إشبيلية.

٢- كان ابنُ سعدٍ الخيرَ بارِعاً في علومِ اللسانِ (اللغة والنحو والأدب)، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مُجيداً جيِّدَ الوصفِ. وكذلك كان مُصنِّفاً له رسائلٌ بديعةٌ وكتبٌ منها: الحُلُلُ في شَرْحِ الجُمَلِ^(٣) (للزجاجي المتوفى ٣٣٧) والقُرْطُ المُدَّيْلُ على الكامل (للمبرد المتوفى سنة ٢٨٦) وله جذوةُ البيان وفريدةُ العقيان.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن الأنصاريُّ البلنسيُّ يَصِفُ سَحَابَةً يَظْهَرُ الْبَرَقُ مِنْ خِلَالِهَا:

(١) الهيفاء: المشوقة القوام. شُفِّها: أنحلها (من الهم أو من المرض). الوجد: الحب. الشوق: الصبر (يفتح

فكسر): الطعم المر (والشاعر استعمل الكلمة بسكون الباء).

(٢) في فوات الوفيات (٢: ٤٩): سنة «إحدى وسبعين وستائة» (بالأحرف) - وهو خطأ.

(٣) شرح الأبيات التي في كتاب الجمل (في النحو) للزجاجي.

وسارية سَحَبَسَتْ ذَيْلَهَا وَهَزَّتْ عَلَى الْأَفْقِ أَغْطَافَهَا^(١)؛
تَلُّ الْبُرُوقَ بِأَرْجَائِهَا كَمَا سَلَّتِ الرِّجُحُ أَسْيَافَهَا^(٢).

- وقال يصف طلوعَ البدر في لَيْلَةٍ دَاكِنَةٍ^(٣):

بَدَا الْبَدْرُ فِي أَفْقِهِ لَا يَسْأُ ثِيَاباً مِنَ الشَّقَقِ الْأَخْضَرِ.
فَشَبَّهَتْهُ - وَالْذُجَى حَائِلٌ عَرَوْساً تُزْفُّ إِلَى أَسْمَرَا

- وقال يصف ناعورةً يدورُ دولابُها:

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُيْنَعَتْ أَفْنَانَا^(٤).
قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَامُ بِشَجْوِهَا فُجِّبُهَا وَرُجِّعُ الْأَلْحَانَا^(٥).
فَكَأَنَّهُ ذَنْفٌ يَسْدُورُ بِمَقْهَدٍ يَكْبِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا^(٦).
ضَاقَتْ مَجَارِي جَفْنِهِ مِنْ دَمْعِهِ فَتَفَتَّحَتْ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا^(٧)!

٤-★★ زاد المسافر ١٤٥ - ١٤٧ (رقم ٥٥)؛ التكملة ٢: ٦٧١ (رقم ١٨٦٨)؛ تحفة القادم ٥١ - ٥٣؛ المغرب ٢: ٢١٣ - ٢١٤؛ الذيل والتكملة ٥: ١٨٧ - ١٩١؛ فوات الوفيات ٢: ٤٩ - ٥٠؛ صلة الصلة ٩١؛ نفع الطيب ٣: ٣٣٠؛ الأعلام للزركلي ٥٣: ٥ (٢٥١).

- (١) السارية: الغيمة الآتية في الماء. سحبت ذيلها (كتابة عن قريباً من الأرض: تكون ثقيلة كثيرة الماء).
- (٢) المعطف (يكسر العين): جانب الجسم (تتحرك كثيراً لاشتداد الريح).
- (٣) تظهر أقسام البرق من خلال فصولها كأن تلك الأقسام من البرق سيوف. سلت الرِّجُحُ أَسْيَافَهَا (شبه السحابة السوداء التي تَلُّ بروقها بالرِّجُحِ التين يَلُونُ أَسْيَافَهُم).
- (٤) الداكن (المائل إلى السواد). المائل (في البيت الثاني): متغير (الليل قليل السواد - لكثرة البرق!).
- (٥) السلسل: (الماء) العذب الذي ينحدر في المنجرة بسهولة. الأفنان: الأغصان. أُنِمت (الأغصان): نضج الثمر الذي عليها.
- (٦) طارحه: باده، تداول الحديث معه. الشجو: الحزن. رجّع: أعاد (الصوت) وكرّره.
- (٧) الدنف: المريض المقبل على الموت (من الحب). المعهد: المكان الذي كان مسكوناً. بان: ابتمد، هجر (المكان).
- (٨) في دولاب الناعورة قواديس (علب صغيرة) ترفع الماء من النهر أو البئر ثم إذا علت ألفتها في مجرى أو حوض (فكأن تلك القواديس عيون). ولكن أصابع الدولاب ترفع أيضاً ماء (فكأن الماء يخرج من ضلوع الدولاب).

الرّصافي الرّقاء البلنسي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرّقاء الأندلسي الرّصافي البلنسي، نسبة إلى رُصافة بلنسية.

وُلد الرّصافي الرّقاء الأندلسي في رُصافة بلنسية، في سَنَةِ نَجْهَلِها. وخرجَ به أهله من الرّصافة إلى مالقة - طلباً للرّزق - وله من العُمُر نحو عَشْرَ سِنِينَ. وفي مالقة بدأ الرّصافي يَتَلَقَّى شيئاً من فنونِ العِلْمِ والأدب لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيلها. غير أن الذي نَعْرِفُهُ أن الرّصافي عاش في مالقة عيشةً لهو ومَجَانةً، وأن مواهبهُ الشّعريّة تفتّحت باكراً.

في سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). جاء سُلطانُ الموحّدين عبدُ المؤمن بن عليٍّ إلى الأندلس ونَزَلَ بجبلِ الفَتَح (جبل طارق) ثم استَدعى الشعراء فوفدوا عليه، وألقى الرّصافي بين يديه قصيدة - فيها ثلاثة وستون بيتاً - صحيحة البناء تفيضُ بالروح الديني وتكثرُ فيها الإشاراتُ التاريخيّة. ولقد بَشَرَتْ هذه القصيدة الرّصافي الذي لم يكن بعدُ قد جازَ العِشرين بِمستقبلٍ زاهرٍ في الشعر.

ثم إن الرّصافي انتقلَ إلى غرناطة واستوطنها - ووالِها يومذاك محمد بن عبد الملك بن سميذ - من غير أن يترك التردّد، في الحين بعد الحين، على مالقة. غير أنه في هذه الأثناء زهدَ في الدنيا فانصرفَ إلى التكبُّب بالرّفو أنفةً من التكسُّب بالشعر. ومع ذلك فقد كانت عطايا الأمراء والأعيان تصلُ إليه. وقضى الرّصافي عُمُرَهُ عزباً.

وفي ١١ رَضانَ من سَنَةِ ٥٧٢ هـ (١١٧٧/٢/١٣ م) تُوُفِيَ الرّصافي البلنسي في مالقة.

٢ - كان الرّصافي الأندلسي شاعراً كبيراً مشهوراً في عصره. وكان يُطيلُ أحياناً ويُجيدُ في المُقطعاتِ وفي القصائد. ومع أنه كان من الذين يُنقَعون شِعْرهم ويُعَوِّدونَه ويتكلّفون فيه أحياناً، فقد كان في شِعْرهِ رَقّةٌ وعُدوبة. وفي شعره أيضاً تقليدٌ ظاهرٌ للمشاركة: كان يُشَبِّهُ بأبْنِ الرومي في القَوْصِ عن المعاني وفي توليد بعضها من بعض، كما كان يُقلِّد ابنَ خُفاجة الأندلسي، إلّا أنه كان أميل إلى الخيال. وللرّصافي مدح

قليلٌ ورثاءٌ بارِعٌ فيه من التصوير أكثر مما فيه من التفجع؛ ثم له وصفٌ جيدٌ للطبيعة يُكثِرُ فيه من وصف الطبيعة في وطنه؛ كما تكثرُ في شعره أوصاف الحياة الدنيا (كوصف النجار والصفار - صانع الأدوات من الصُفُر أو الشَبَةِ، أي من النحاس الأصفر). وفي شعره وصفٌ للخمر وغزل مؤنث وغزل مذكر ومجون. ويغلبُ على شعره النسبُ والشكوى والحنين إلى الوطن وإلى الماضي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الرُّصافيُّ البلسنيُّ يمدح أبا جعفرٍ الوَقْشيَّ وزيرَ ابنِ هَمَّكٍ بقصيدةٍ منها:

يا سعدُ،	قد طاب الحديثُ فزِدْ	منه أخا نَجْواك، يا سعدُ ^(١) .
فلقد تَجَدَّدَ لي الغرامُ، وإنْ	بَلَّيَ الهوى وتقادمَ القَهْدُ.	
ذَكَرْتُ تَمَرُّ على الفؤادِ كما	يُوحِي إِلَيْكَ بِسَقَطِهِ الزُّنْدُ ^(٢) .	
وإذا خَلَوْتُ بها تَمَثَّلَ لي	ذاك الزمانُ وعَيْشُهُ الرِّغْدُ ^(٣) .	
ولقاءُ جِيرتنا، غَدَاتِنْدِ،	مُتَيَسِّرٌ ومَرامُهُم قَصْدُ ^(٤) .	
من كَلِّ أَرْوَغَ حَشَوِ مِغْفَرِهِ	وَجَهْ أَغْرُ وفاحِمٍ جَعْدُ ^(٥) .	
ذُكِرَ الوزيرُ الوَقْشيُّ لهم	فأثارَهُم لِلقائِلِ الْوُدُ.	
قَد رَنَحَتْهُم من شائِلِهِ	ذَكَرْتُ كما يَتَضَوَّعُ النَّدُ ^(٦) .	
نَعَمَ الحديثُ الحَلُو تَمَلُّكُهُ الـ	رُكْبَانٍ حيثُ رَمَى بها الْوُخْدُ ^(٧) .	

-
- (١) النجوى: التَّسَارُّ (التخاطب بصوت منخفض جداً). أخو النجوى: الصديق الحميم.
- (٢) الزند: حديدية تقدح بها النار من الصَّوْانة. السقط: الشرر المتساقط من قذح الصَّوْانة بالزند. ذكر.... (يجب أن تكون بعيدة غائقة في النفس).
- (٣) إذا خلوت بها (أستعيد ذكراها) تَمَثَّلَ لي (وضح في ذهني). الرغد (خصب، كثير، ناعم).
- (٤) مرامهم (هدفهم) قصد (معتدل): لا يطلبون أموراً يصعب تحقيقها.
- (٥) أروغ: شجاع. المغفر: غطاء للرأس. حشو مغفره (أي رأسه). وجه أغر (أبيض): كريم الأصل والأعمال. وفاحم (شعر أسود) جعد: كناية عن الشباب والقوة.
- (٦) رَنَحَتِ الريح القوم: أمالتهم، حركتهم، هزتهم، (سرَّتهم). الشائِل: الصفات الحميدة. تَضَوَّعَ النَّد (نوع من الطيب): انتشرت رائحته.
- (٧) الركبان: المسافرون. الوخد: السير، السفر (البعيد الشاق).

رَجُلٌ إِذَا عَرَضَ الرِّجَالُ لَهُ كَثُرَ الْعَمِيدُ وَأَعْوَزَ النَّدُ^(١)
سَتَرَى الْوَزِيرَ وَمَجْدَهُ فَتَرَى جَبَلًا يُلَادُ بِهِ وَيُمْتَدُّ^(٢)،
وَتَرَى مَاثِرَ لَا تَفَادَ لَهَا بِالْعَدِّ حَتَّى يَنْفَدَ الْعَدُّ^(٣)؛
وَلَقَدْ أَرَانِي بِالْبِلَادِ وَآ مَالُ الْبِلَادِ بِيَابِهِ وَقَدْ^(٤)،
وَهَبَاتُهُ تَصِفُ النَّدى بِيَدِ عَلِيَاءَ أَقْدَمَ وَفَرَهَا الْمَجْدُ^(٥)
وَكَفَى بِأَنْ وَسَمَ النَّدى سِمَةً لَمْ تَمَحُهَا الْأَيَّامُ مِنْ بَعْدُ^(٦)،
بِعَوَارِفِ عَمَرَ الْبِلَادِ بِهَا فَاخْضَرَّ مِنْهَا الْقَوْرُ وَالنَّجْدُ^(٧)،
هَيْهَاتَ يَذْهَبُ عَنْكَ مَوْضِعُهُ فَطَلَّ الْغَمَامُ وَجَلَّجَلَ الرَّعْدُ^(٨)،
أَعْرَبْتُ عَنْ مَكْنُونِ سُودْدِهِ مَا تُنْجِمُ الْوَرَقَاءُ إِذْ تُشْدُو^(٩)؛
سُورًا مِنَ الْأُمْدَاحِ مُحْكَمَةً مِنْ آيِينَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدُ^(١٠)،
وَلَعَلَّ مَا يَخْفَى وَرَاءَ فَمِي مِنْ وَدِّهِ أَضْمَافُ مَا يَبْدُو.

- وقال يصف جماعة مسافرين قد نهكهم السفر فأخذوا يترنحون على العيس.

- (١) كثر العديد (كثر عدد الناس العاديين). وأعوز الند: استحال وجود شبيه له.
- (٢) يلاذ به: يلجأ الناس إليه، يهتمون به. يمتدُّ: يتخذ عدَّة (ذخيرة، وسيلة للدفاع) في المستقبل.
- (٣) المآثر: المحامد؛ لا تفاد له بالعد.....: مها تطل في العد لا تستطيع عد مآثره.
- (٤) آمال البلاد بيباه وفد: آمال الناس كلهم نتجحه إليه.
- (٥) هباته: عطاياه. تصف الندى (الكرم): هي التعريف الصحيح للكرم (لأن عطايا الناس صغيرة لا تدل على كرم، بينما عطاياه هو كبيرة جدًا). أقدم وفرها (غناها) الجد: تعودت ذلك منذ القدم.
- (٦) وسم الندى سمة: وضع على الندى (الكرم) علامة (خاصة به). لم تمحها الأيام من بعد: لم يأت بعده أحد أكرم منه حتى ينسى الناس كرمه هو.
- (٧) العوارف (جمع عارفة): المعروف (الصنيع الحسن). الغور: المكان المنخفض. النجد: المكان المرتفع.
- (٨) هيهات يذهب عنك موضعه: إنك لا تقل الطريق في الوصول إليه. جلجل: أحدث صوتاً قوياً. (إنك تبصر المطر وتسمع الرعد من نحو أرضه) - عطاياه دائماً لا تنقطع، وكثيرة لا تحصى.
- (٩) أعربت: أوضحت، بيّنت. مكنون: مستتر، خفي. السؤدد: الجد. أعجم الشيء: ستره، الورقاء: الحمامة. تشدو: تغني. - الحمام يذكر كرم هذا المدح ولكن الناس لا يفهمون كلام الحمام فجئت أنا بشعري أشرح كلام الحمام هذا وأبيّنه.....
- (١٠) سوراً من الأمداح: الحمامات تلو على الناس سوراً في مدحهم. من آيين: من آيات تلك السور. - أن الحمد والشكر اللذين تغني بها الحمام ها ما يستوجب هذا المدح على بعض أعماله.

(النفاق) من الناس كأنهم سكارى:

وَمُجِدِّنَ لِلسَّرَى قَدْ تَعَاطَوْا غَفَوَاتِ الْكَرَى بغير كُؤُوسٍ^(١).
جَنَحُوا وَانْتَشَنُوا عَلَى الْعِيسِ حَتَّى خَلَّتْهُمْ يَلْتَمُونَ أَيْدِي الْعِيسِ^(٢).
نَبَذُوا الْغَمَضَ، وَهُوَ حُلُوٌّ، إِلَى أَنْ وَجَدُوهُ سُلَاقَةً فِي الرُّؤُوسِ^(٣)!

- كان الرصافي بظاهر مألقة مع طائفة من أصحابه على أنس، فصمد غلام أسود لأحدهم شجرة لوز منورة ثم قطع منها غصناً وجاءهم به. فسأل الجماعة الرصافي أن يصيف ذلك لهم، فقال بديهة:

وَرَزَنَجِيَّ أَلَمْ بَنُورِ لَوْزٍ، فِي كَاسَاتِنَا بَنَتْ الْكُرومِ^(٤).
فَقَالَ فَتَى مِنَ الْفِتْيَانِ صِفْهُ فَقُلْتُ: اللَّيْلُ أَقْبَلَ بِالنُّجُومِ^(٥)!
- وقال يصف حائكاً (صغير السن جبلاً):

قَالُوا وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي حُبِّهِ عَدَلِي: لَوْ لَمْ تَهَمْ بُذَالِ الْقَدَرِ مُبْتَدَلِ^(٦)!
فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي الصَّبَابَةِ لِي لَأَخْتَرْتُ ذَاكَ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ ذَاكَ لِي.
عَلَّقْتُهُ حَبِيَّ النَّغْرِ عَاطِرُهُ، حُلُوا اللَّمَى سَاحِرَ الْأُجْفَانِ وَالْمَقَلِ^(٧).
غَزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغَزْلِ جَائِلَةً بِنَانُهُ، جَوْلَانِ الْفَكْرِ فِي الْغَزْلِ^(٨).

(١) السرى: السر ليلا. - يشبه النوم كأنه خر يشرها الإنسان.

(٢) جنحوا: مالوا. انتشأوا: انحنوا (يفتح النون). - كان أحدهم ينحني على ظهر ناقته كثيراً (وهو بلا وعي من عمق نومه) حتى يكاد رأسه يصل إلى الأرض.

(٣) لم يريدها أن يناموا فقهرهم النوم كأنه خر فيجب شاربها عن وعيه.

(٤) أظ: أصاب، قطف. النور (يفتح النون): الزهر الأبيض. بنت الكروم: الحمر.

(٥) الليل = الغلام الزنجي. النجوم = زهر اللوز الأبيض.

(٦) الفضل: اللوم. هام: ضلّ، جرى على غير هدى (أحب حباً بلا وعي). مزال: القدر: مهان، قليل القيمة. مبتذل: معروض ومبذول لكل طالب.

(٧) علّقته: تعلّق قلبي به، أحببته. الحببي: نسبة إلى الحبب = فقايق الهواء التي تطفو على سطح الحمر في الكأس. حبيّ الثمر (الفم): طعم ريقه كالخمر (!). اللمى (يفتح اللام أو كسرهما أو ضمّها): السمرة في الشفاه. حلو اللمى: حلو الريق، عذب التقبيل. المقلّة: العين.

(٨) غزِيل = مصغّر غازل. الغزل: خيوط القطن والصوف الخ. البنان جمع بنانة: طرف الإصبع =

جَذْلَانُ تَلْعَبُ بِالْهُوَاكِ أَنْعَلُهُ عَلَى السَّدى لَيْسَ الْأَيَّامُ بِالْأَمَلِ (١).
صَمًّا بِكَيْفِهِ أَوْ قَعْصًا بِأَخْمَصِهِ تَحْبُطُ الظَّنِّي فِي أَشْرَاكِ مُحْتَبِلِ (٢).

- وقال يتشوق إلى بلنسية (وكان قد نشأ فيها):

خَلِيلِي، مَا لِلْبَيْدِ قَدْ عَبَقَتْ نَشْرًا، وَمَا لِلرُّؤُوسِ الرُّكْبِ قَدْ رُنَحَتْ سُكْرًا (٣)

هَلِ الْمِسْكُ مَفْتُوقًا بِمَذْرَجَةِ الصَّبَا أَمْ الْقَوْمُ أَجْرَوْا مِنْ بِلَنْسِيَّةٍ ذِكْرًا (١)؟
بِلَادِي الَّتِي رِيشتُ قُوَيْدَمَتِي بِهَا فُرَيْخًا، وَأَوْتَنِي قَرَارَتُهَا وَكْرًا (٥).
مَبَادِيءُ لَيْلِ الْعَيْشِ فِي رَيْقِ الصَّبَا أَيْ اللَّهُ أَنْ أَنْسَى لَهَا أَبَدًا ذِكْرًا (٦).
أَكُلُّ مَكَانٍ رَاحَ فِي الْأَرْضِ مَسْقَطًا

لِرَأْسِ الْفَتَى يَهْوَاهُ - مَا عَاشَ - مُضْطَرًّا؟
بِلَنْسِيَّةٍ تِلْكَ الزَّبْرُجْدَةُ الَّتِي تَسِيلُ عَلَيْهَا كُلُّ لَوْلُوءَةٍ نَهْرًا (٧).
كَأَنَّ عَرُوسًا أَبْدَعَ اللَّهُ حُسْنَهَا فَصَيَّرَ مِنْ شَرْخِ الشَّبَابِ لَهَا عُمْرًا.

= (الإصحاح). - تتفنن أصابعه في نسج الثياب (بطرق وأنواع كثيرة) كما يذهب الفكر مذاهب كثيرة في تأمل جماله.

(١) جذلان: فرحان. الهواك ليست في القاموس، والشاعر يقصد «الوشعة»، والعامّة تقول: المَكُوك (وقد أفر جمع اللغة العربية كلمة «المَكُوك»): بكرة تلفت عليها خيوط ثم تقذف فوق السدى (الخيوط المنصوبة طولاً على المنوال) ميمناً ويساراً لتؤلف اللحمة (بضم اللام): الخيوط العرضية في النسج) فينشأ التسيج.

(٢) قذفاً بالوشعة بيده اليمنى إلى اليسار، ويده اليسرى إلى اليمين - بسرعة عظيمة حتى يبدو وكأنه يضم يديه. فعصاً بأخمصه (باطن قدمه): تحريكاً برجليه (على خشتين تفصلان السدى طبقتين حتى تمر بينهما الوشعة). المحتبل: الذي يصيد الحيوانات بالحبال (بضم الهاء): شرك من حبال.

(٣) البيد (جمع بدهاء: الأرض الواسعة). عبقت نشرت: انتشرت (في البيد) رائحة طيبة. الركب: المسافرين. رنحت: ترنحت، تمايلت.

(٤) المسك المفتوق: المسك حينما يفتح وعاءه للمرة الأولى. مدرجة: مكان تدرج فيه الريح (تهب وتسنم). الصبا: ريح الشرق.

(٥) القويمة = مصغر قادمة: الريشة الكبيرة في جناح الطائر. - بلادي (بلنسية) شبيت فيها وكانت سكناً (وطناً) لي.

(٦) ريق (أول) الصبا (الشباب). - عرفت أول حياتي الناعمة الهنيئة في بلنسية.

(٧) الزبرجد: حجر كريم أخضر. - بلنسية كثيرة الجنائن كثيرة الأنهار.

- وقال من قصيدة يرثي بها:

وقد ودَّعتُ قَبْلَكَ كُلَّ سَفَرٍ، ولكن غابَ حيناً ثمَّ آبا^(١).
وأفْسِحْ ما أكونُ لك اذْكاراً إذا ما النّجم صَوَّبَ ثمَّ غابا^(٢).
أرى فَقَدْ الحَبِيبَ من المنايا إلى يأسٍ كَمَنَ فَقَدْ الشَّبابُ.
وما معنى الحياةِ بلا شَبَابٍ؟ سواء مات في المعنى وشابا.
وليلِ أَسَى كصُبْحِ الشَّيْبِ قُبْحاً أكابِدْهُ سُهَاداً وانتِحابا^(٣).
تزيِدُ بِهِ جَوَانِحِي اتِّقَاداً إذا زادت مَدَامِعِي آنسكابا.
أيا عبدَ الإلهِ، نداءُ يأسٍ؛ وهل أرجو لَدَى رَمْسٍ جَوَابا!
أصِخْ لي كيفَ شِئتَ، فإنَّ أنسا لِنَفْسِي أن تُبَلِّغَكَ الحِطَابا^(٤).
سَقاك - ولا أخصُّ - ربابَ مُزِنٍ؛ لَعَلَّ ثَرَاكَ قد سَمَّ الرِّبابا^(٥).
ولكن ما يَسُوغُ على التكافي لِقَبْرِكَ أن يكونَ لَهُ شَرابا^(٦).
فإنِّي ربِّما اسْتَشْقَيْتُ يوماً لَكَ الجَوْنَيْنِ: جَفْنِي والسَّحابا^(٧).
فتَجَبَّلُ من مُلوحتيها دُموعي إذا ذَكَرْتُ شَمَائِلَكَ العِذابا^(٨)!

(١) السُّفر: المسافر، المسافرون. أب: رجع. عاد.

(٢) اذْكار: اذذكار: تذكّر. صَوَّب: انحدر، مال إلى المغيب.

(٣) ليلِ أَسَى: الليل الأسود من الأسى (الحزن) يشبه صبح الشيب (بياض الشعر). السهاد: السهر. الانتحاب: البكاء بصوت مرتفع.

(٤) أصاح: ألقى بسمعه. سمع.

(٥) الرباب (بفتح الراء): جع ربابة: الحابة البيضاء. - لا أطلب لقبرك أن تقيه الحب، فإنِّي أرى أن قبرك قد سقته حب كثيرة (لأنك أنت تستحق رحمة الله على ما كان منك من أحوال صالحة في الدنيا). حتى سمَّ قبرك المطر من السحاب.

(٦) ساغ: سهل مجرى الشراب في الخلق. ساغ له الأمر: جاز له أن يفعله. التكافي: المائلة. - إنَّ مطر السحاب وحده ليس أهلاً أن يكون الماء النازل على قبرك.

(٧) الجون: الأسود، السحاب الأسود (المطر). - كنت أحياناً أستسقي لك (أطلب لك السقيا) من دموعي أيضاً.....

(٨) ولكن كنت أخجل من طلي هذا حيناً أذكر أن دمعي مالح وأن شمالك (خصالك) عذبة (حلوة، رقيقة).

- ٤- ديوان الرصافي البلسني (جمعه وقدم له إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة ١٩٦٠ م).
 ★★ بغية الملتبس ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٥١)؛ المغرب ٢: ٣٤٣ - ٣٤٤؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٠٩ - ٣١٢، ٥: ٢٥٣؛ تحفة القادم ٥٦ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٢ - ٤٣٤؛ المعجب ١٥٤ - ١٥٩؛ أعمال الأعلام ٢٦٦ - ٢٦٨؛ شذرات الذهب ٤: ٣٤٢؛ نفح الطيب ١: ١٨١، ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦، ٣: ٢٠٣، ٤: ٤٨٦، ٥: ٥١٣، ٤: ٥١٥، ٤: ١٥٩ - ١٦١؛ نيكل ٣٢٧؛ مختارات نيكل ١٩٢ - ١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٧ (٦: ٣٢٤).

این هردوس

- ١- هو أبو الحكم أحمد بن علي بن هردوس، من أهل حصن مَـرْشَانَة * سَكَنَ مَالِقَة (مِنْطَقَة المَرِيَة)، كان كَاتِباً لِلسَيِّدِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالْيَ غَرْنَاطَة. كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَة ٥٧٢ أو ٥٧٣ هـ (١١٧٦ م) فِي مَرَاكُش.
- ٢- كان ابن هردوس كَاتِباً مَتَرَسِّلاً وَشَاعِراً وَوَشَّاحاً.
- ٣- مَخْتَارَات مِنْ شِعْرِهِ:

- قال أبو الحكم بن هردوس في الأرض تَضَيَّقُ عَلَيْكَ فَتَرْحَلْ إِلَى غَيْرِهَا:
إِذَا ضَاقتْ عَلَيْكَ قَوْلٌ عَنْهَا وَسِرَ فِي الْأَرْضِ وَاخْتَبَرِ الْعِبَادَا .
وَلَا تُنْسِكُ رِحَالَكَ فِي بِلَادٍ غَدَوْتَ بِأَهْلِهَا خَبْرًا مُعَادًا^(١).
- وَلَهُ مَوْشَعَةٌ فِي مَدِيحِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، مِنْهَا:
- بِأَلِيلَةِ الْوَصَالِ وَالسُّمُودِ، بِـ_____اللَّهِ، عُوْدِي.

★ ★ ★

كَمْ بَسَتْ فِي لَيْلَةِ التَّمَنَّى

(١) خبر معاد: يتحدثون عنك كثيراً (الطول إقامتك بينهم). * قرب إشبيلة.

لا أَعْرِفُ الْهَجَرَ وَالتَّجَنِّيَ
 أَلَيْسَ تَفَرُّ الْمُنَى وَأَجْنِي،
 من فوق رُمَاتِنِي نُهَوْد، زَهَرَ الْخُـــــــدُودِ.

★ ★ ★

مَدَحُ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَوَّلَى
 السَّيِّدِ الْمَاجِدِ الْمُغْلَى
 تَاجِ الْمُلُوكِ السَّنِيِّ الْأَعْلَى
 أَفْضَلُ مَنْ سَارَ بِالْجُنُودِ تَحْتَ
 الْبُنُودِ

★ ★ ★

أَكْرَمَ بَعْلِيَاءَهُ مِنْ هُمَامٍ
 إِمَامٍ هُدَى وَابْنِ الْإِمَامِ
 مَبْدُودِ الرُّومِ بِالْحُسَامِ
 يَفْقِدُ فِي هَامَةِ الْأَسُودِ بِيضَ الْهِنُودِ^(١).

٤-★★ المغرب ٢: ٢١٠ - ٢١١؛ التكملة (طبع الجزائر) ١٨٧؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥٧؛
 المقتضب من تحفة القادم ٥٤؛ صلة الصلة ٩٢؛ نفح الطيب ٤: ٢٠١ - ٢٠٢.

أبو الحسن بن نزار

١- هو الأمير أبو الحسن بن نزار حسيب وادي آش ومن أعيانها وحكامها. لما سقطت دولة المرابطين (٥٤١ هـ = ١١٤٦ م) خلفه أهل بلده وبايعوا لمحمد بن مردانيش صاحب مرسية (توفي ابن مردانيش ٥٦٧ هـ) ثم وشوا به إلى ابن مردانيش. فعمله ابن مردانيش إلى مرسية وسجنه فيها ثم أطلق سراحه وردّه إلى

(١) بيض (سيوف) الهنود (جمع هندي: سيف من صنع الهند).

حُكم وادي آش في حديث طويل. عاش أبو الحسن بن نزار في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة (النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد).

٢- أبو الحسن بن نزار شاعرٌ ومُترسِّلٌ. وشعره كثيرٌ جيّدٌ رقيقٌ. وله قصيدٌ وموشحٌ.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن بن نزار في الفخر (بعد أن خسر ملكه في الأغلب):

الآن أعرفُ قدرَ النفعِ والضَّررِ، وكيفُ أُصْدِرُ ما للملِكِ من صَدَرٍ^(١)،
وكيفُ أطلُعُ في أفقِ العُلا قمرًا ويستهلُّ بكفِّي واكِفُ الدُرِّ^(٢)،
وكيفُ أملأُ صدرَ الدهرِ من رُعبٍ وأستقلُّ بحملِ الحادثِ التُّكرِ^(٣)،
وأستعدُّ لما ترمي الخُطوبُ بهِ وأستطيلُ على الأيامِ بالفِكرِ^(٤).
لكنني رُبَّما بادتُ مُنتَهزًا لفرصةٍ مرَّقتُ كاللَّمعِ بالبصرِ.
في أمِّ راسي ما يعبأ الزمانُ بهِ شرحًا، فَلَ بَعْدَه الأيامُ عن خَبَرِي!

- في المغرب (٢: ١٤٧)، موشحة لابن نزار، وتروى لابن حزمون، منها:

اشربْ على نَفْمةِ المَثاني ثانٍ،
ولا تكنْ في هوى الغواني وانٍ،
وقُلْ لِمَن رام في مَمان: عانٍ
مَآذا من الحُسْنِ في بُرودٍ رُودٍ^(٥).

★ ★ ★

(١) كيف أصدر ما للملك من صدر: كيف أدبر أمور الملك.

(٢) وكيف يستهل بكفي واكف (منهمر) الدرر (اللؤلؤ، المال): كيف أصبح غنيًا.

(٣) وأستقل بحمل الحادث التكر (التكر، الفطيم): احتمل الحوادث وحدي.

(٤) وأستطيل على الأيام بالفكر: أغلب أحداث الدهر بالرأي الصائب.

(٥) الثاني جمع مثني وتر في العود. المثاني: آلات الفناء. ثان = ثانياً: مرة ثانية أو ثانياً من عطفك =

يَهْيِجُ وَجْهِي إِذَا الْأَنَامُ نَامُوا .
 قَوْمٌ إِذَا عَشَسَ الظُّسْلَامُ لَامُوا ،
 وَمَا بِهِ هَامَ مُسْتَهَامُ هَامُوا .
 فَقُلْ لَعَيْنٌ بَلَا هُجُودٍ : جودي (١)

★ ★ ★

أُفْنَيْتُ فِي الرَّوْنَقِ الصَّقِيلِ قَيْلِي .
 يَا رَبَّةَ الْمُنْظَرِ الْجَمِيلِ مَيْلِي ؛
 فَإِنَّا أَنْتِ ، وَالرَّسُولِ ، سُؤْلِي .
 رَأَيْتُ فِي وَجْهِكَ السَّعِيدِ عَيْدِي (٢) .

★ ★ ★

★★-٤ المغرب ٢ : ١٤٧ ؛ نفع الطيب ٣ : ٤٩٢ - ٤٩٨ .

أبو جعفر الوقشي

١ - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي من وقش بنواحي
 طليخيرة ، سَكَنَ مَالِقَةَ ثُمَّ وَزَرَ لِلْأَمِيرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَمَّكٍ الْمُسْتَبَدِّ بِمَدِينَةِ جَيَّانَ . وَلَمَّا انْهَزَمَ
 ابْنُ هَمَّكٍ فِي وَقْعَةِ السَّبِيكَةِ قُرْبَ غَرْنَاطَةَ ، سَنَةَ ٥٥٧ هـ ، أَمَامَ جَيْشِ الْمُوحِدِينَ سَلَّمَ

= (مفتخراً ، معجباً بنفسك) . وان = وانياً : ضعيفاً ، تيباً . رام : قصد ، أراد . في معان (تعبير عامي) :
 معونة ، عون ، مساعدة (أو مثل معاني ، مثل المعاني التي آتينا بها في الشعر) . عاب (فعل أمر من
 عابى : قامى ، جرب) . يبرد جمع برد (بضم الباء) ثوب من حرير . الرود : الفتاة اللبنة المنقمة
 (١) الأنام : البشر ، الناس . عسس الليل : أقبل ظلامه . وما به هام مستهام هاموا : إذا أحب أحد حباً
 شديداً هاموا هم : أحبوا أن يكثروا التحدث في شأنه . الهجود : النوم . جودي : ابني كثيراً .
 (٢) الرونق : الجمال . الصقيل : المصقول الناعم (دلالة على أول الشباب) . قَيْلِي : قولِي . - كان جميع شعري
 في وصف الجمال . والرسول = أقمم بالرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) . سُولِي = سؤلي : سؤالي ،
 مطلبي . - كل قافية ردهف جزء من القافية الأصلية : السعيد = عيدي

مدينة جَيَّانَ إلى وزيره أبي جعفرِ الوَقْشي فحماها الوَقْشي. ثم إن ابنَ هَمشكَ أرسلَ أبا جعفرِ الوَقْشيَّ إلى مَرَّاكُشَ، سنة ٥٦٤ هـ، في بعضِ شؤونه. ويبدو أن الوَقْشيَّ مال إلى الموحِّدين ومدَّحَ السُّلطانَ يوسفَ بنَ عبدِ المؤمن، سنة ٥٦٦ هـ، بقصيدة يَصِفُ فيها حالَ المسلمين في الأندلس ويدعو الناس إلى الجهاد.

ورَجَعَ الوَقْشيُّ من مَرَّاكُشَ إلى الأندلس. فلَمَّا وصل إلى مالقة تُوْفِيَ فيها، سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ - ١١٧٩ م).

٢- كان أبو جعفرِ الوَقْشيُّ من الوزراء الدُّعاة المقتدرين، وكان أديباً شاعراً برَّعَ في الوصف والمدح والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو جعفرِ الوَقْشيُّ في كِتْمَانِ السِّر:

وَمُسْتَوْدِعٍ عِنْدِي حَدِيثًا يَخَافُ مِنْ إِذَاعَتِهِ فِي السِّرِ إِنْ يَنْفَذِ الْعُمُرُ (١).
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَخْشَ مِنِّْي فَضِيحَةً لَسَرُّ غَدَا مَيِّتًا وَصَدْرِي لَهُ قَبْرٍ.
عَلَى أَنَّ مَنْ فِي الْقَبْرِ يُرْجَى نُشُورُهُ؛ وَسِرُّكَ مَا يُرْجَى لَهُ أَبَدًا نَشْرُ!

- وقال يمدِّحُ أبا يعقوبَ يوسفَ سُلطانَ الموحِّدين بقصيدة مطلعها: «أبْتَ غَيْرَ ماءٍ
بِالنَّخِيلِ وَرُوداً» جاء فيها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُمَدُّ لِي الْمَدَى فَأُبْصِرَ شَمَلَ الْمُشْرِكِينَ طَرِيداً (١).
وَيَغْزُو أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَنْتِ يَاقِبٍ يُعِيدُ عَمِيدَ الْكَافِرِينَ عَمِيداً (٢)،
وَيُلْقِي عَلَى إِفْرَنْجِيهِمْ عِبَاءَ كُلِّكُلٍ فَيَتْرَكُهُمْ فَوْقَ الصَّمِيدِ هُجُوداً (٣)،
وَيَفْتَكُ مِنْ أَيْدِي الطَّغَاةِ نَوَاعِيَا تَبْدَلُنَّ مِنْ نَظْمِ الْحُجُولِ قِيوداً (٤).

(١) أن يمدَّ لي المدى: هل يطول عمري.

(٢) شنت ياقب: بلدة في أقصى الشمال الغربي من جزيرة ايبيرية (إسبانية) كانت مقبل الإفرنج الإسبان.
يعيد = فيعيد. عميد: رئيس. معمود: مضروب بالعمود (قتيل).

(٣) عبه (ثقل) كلكل (صدر): شدة الحرب. الصميد: التراب (الأرض). هجوداً: نائمين (قتل).

(٤) افتك = فك: أطلق سراح (الأسرى). نواعم: نساء شابَّات الحجل (بفتح الحاء أو كسرهما): الخللخال.

وَأَقْبَلَن فِي خُشْنِ الْمُسُوحِ؛ وَطَالَمَا
وَعَبَّرَ مِنْهُنَّ السَّرَابُ تَرَائِباً،
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ نَظَامِي قِلَادَةً
عَدَّتْ يَوْمَ إِنْشَادِ الْقَرِيضِ وَحِيدَةً،
سَحَبْنِ مِنَ الْوُشْيِ الرَّقِيقِ بُرُوداً^(١).
وَحَدَّدَ مِنْهُنَّ الْمَجِيرَ خُدُوداً^(٢).
يُلْقِيهَا أَهْلُ الْكَلَامِ قَصِيداً^(٣).
كَمَا قَصَدَتْ فِي الْمَعْلُوتِ وَحِيداً^(٤)!

- وحضر يوماً قتل أسدٍ (مصارعة أسد) فقال:

جَهْمُ الْحَيَّا إِنْ تَبَسَّمَ هَبْنَتْهُ؛
وَكَاثَنَا هُوَ نَاطِرٌ عَنْ زَيْبِقٍ،
وَكَاثَنَا لِبَدْنُهُ بَقِيَّةُ فَرُودَةٍ
لَا تَمَرَّدُ فِي الْعَرِينَةِ فَتَحَتْ
وَعَلَا زَيْبُرٌ مِنْهُ حَتَّى خِلْتُهُ
وَطَنَنْتُ أَنْ الرِّعْدَ مِنْ حَيْثُ الْحَيَّا،
وَمِنَ الْعَجَائِبِ هَيْبَةُ الْمُتَبَسِّمِ^(٥).
وَكَاثَنَا هُوَ كَاشِرٌ عَنْ مِخْدَمٍ^(٦).
قَصُرَتْ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ^(٧).
أَبْوَابُهَا فَانْسَابَ مِثْلَ الْأَرْقَمِ^(٨).
كَالْفَحْلِ يَفْدُرُّ عِنْدَ شَوْلِ هَيْمٍ^(٩)،
حَتَّى سَمِعْتُ الْيَوْمَ رَعْدًا مِنْ قَمٍ^(١٠).

- (١) المسح (يكسر الميم): ثوب أسود من جلد (أو من نسيج خشن). البرد (بضم الباء): ثوب من حرير. الوشي: الزخرف في النسيج. سحن برودا: سرن مختلات فخورات.
- (٢) الترائب: جوانب الصدر. حدّد: شقّق. المجير: وقت اشتداد الحرّ.
- (٣) من نظامي: من نظمي، من شعري (من صنعي). قلادة: عقد يلبس في العنق (قصيدة، صنماً جليلاً).
- (٤) القريض: الشعر. المعلّوات جمع معلاة: الثرف، والمعلاة مقبرة في مكة.
- (٥) جهم: عابس. الحياء: الوجه. هاب: حاف.
- (٦) ناظر عن زئبق: تتحرك عيناه بسرعة ميمناً ويساراً (من الغضب أو الخذر). كاشر: فاتح فمه مطهراً أسنانه. مخدّم: سيف.
- (٧) اللبدة: شعر حول رقبة الأسد (الذكر). الفروة: ثوب صوف سابغ سميكة. بقية فروة (يشبه الناعر لبدة الأسد بالفروة التي قصرت بعد مرور زمن عليها).
- (٨) العرين والعرينة: مأوى الأسد (والمقصود هنا: القمص الذي كان فيه ذلك الأسد). تمرّد في العرينة: اشتدت حركته يريد الخروج (للصراع). الأرقم: الحية.
- (٩) الزئبر: صوت الأسد. حال: ظنّ. الفعل: الذكر النائم الحلقة والقوي (من الحيوان والإنسان). هدر الفعل: صوّت (من الهياج أو الغضب). الشول جمع شائلة: الناقة ترع ذنبها في موسم اللقاح. الهيم يقصد الهيام (بضمّ الهاء): الشاق، المعطاش (الراغبات في اللقاح).
- (١٠) الحيا: المطر. - كنت أظنّ أن الرعد يصدر عن السحاب فقط، وقد سمعت الآن رعداً من قم (الأسد).

وتناولت زُرْقُ الأَسِنَّةِ زُرْقَه حَتَّى بدا في شكله كالشَّيْمِ^(١).

٤-★★ الحلة البراء ٢: ٢٥٧ - ١٢٦٧ الذيل والتكملة ١: ١٩٧ - ١٢٠١ نفع الطبيب
٤: ٤٧٧ - ٤٧٨ نيكيل ١٣٢٦ الأعلام للزركلي ١: ١٤٢.

أبو بكر بن خير الإشبيلي

هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، وُلِدَ في إشبيلية سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م) وبدأ تلقّي العلم فيها. ثم إنّه قضى حياته بالتطوّف في بلدان الأندلس في طلب العلم: غادر إشبيلية (٥٢٧ هـ) فكان في قرطبة (٥٢٩ هـ) والمريّة وطريف (٥٤٠ هـ) وشلب (٥٤٩ هـ) ومورور (٥٦٣ - ٥٦٤ هـ). ويبدو أنّه كان في أثناء ذلك يعود مرّة بعد مرّة إلى إشبيلية (٥٣٥ هـ، مثلاً).

وفي سَنَةَ ٥٧٢ هـ تَوَلَّى أبو بكر بن خير - وكان قد ضَعَفَ جسْمه بتقدّمه في السن - الإمامة في جامع قرطبة. وكانت وفاته في قرطبة في رابع ربيع الأول من سَنَةِ ٥٧٥ هـ (١١٧٩/٨/٩ م) ثم نُقِلَ رُفاته إلى إشبيلية.

قضى أبو بكر بن خير حياته كلّها في طلب العلم، فلا غرو إن عَزَّ نظيره في هذا الباب. وقد صنّف ابنُ خير فهرستاً للكتب التي قرأها على شيوخ العلم والأدب في بلدان الأندلس. هذا الفهرستُ اليوم ذخيرةٌ ثمينّةٌ بما فيه من تراجم أولئك الشيوخ ومن وَصَفِ كُتُبِهِمُ التي بلغت في هذا الفهرست ألفاً وخمسةً وأربعين كتاباً. ولا ريب أن نُسْتَ كتباً لم يَصِفْها ابنُ خير في «فهرسته» لأنّها غابت عنه أو لأنّه لم يجدّها خليقةً بالوصف إلى جانب الكتب التي وَصَفَها.

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة..... أبو بكر محمد بن خير.....

(١) زرق الأسنة: الأسنة (رؤوس الرماح والسهام): الأسنة الصافية اللامعة لمضائها وقوتها على الطعن والقطع الخ. زرقه (ليس في القاموس معنى يوافق هذه الكلمة في موضعها هنا. في القاموس: «زرقه» بالنصل: رماه به. فيكون «زرقه» هنا - بفتح الزاي - مسافة جسم الأسد التي يمكن أن تصاب بالنبال). الشيم: القنفذ الذكر (أصبح جسم الأسد مملوءاً بالنبال كجسم الشيم المغطى بالشوك).

الإشبيلى (تحرير قداره ورباره وطرأغو)، سرقسطة (مطبع قوس) ١٨٩٣ م، طبعة ثانية
(بإشراف زهير فتح الله)، بيروت، بغداد، القاهرة (المكتب التجاري، مكتبة المثني،
مؤسسة الحانجي) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

★ الوافي بالوفيات (رقم ٢٣٩)، التكملة ١: ٢٤٠، المنّ بالإمامة ٣٠١ - ٣٠٢، وفيات ابن
قنفذ ٢٨٧؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٢؛ تاج العروس (الكويت) ١١: ٢٤٠؛ دائرة
المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ١: ٦٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٥٤ (١١٩)؛ بغية
الوعاة ٤١؛ سركيس ٤٥٠.

اليسع بن عيسى

١- هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله
الغافقي، ولد في جيان، وانتقل أبوه من جيان إلى المريّة، ثم سكن في بلنسية وبعدها
في مالقة.

كان اليسع بن عيسى قد أخذ القراءات عن أبيه وعن أبي العباس القصبي
وسواهما، كما سمع (الحديث) من أبي عبد الله بن زغبة، سمع منه صحيح البخاري
وصحيح مسلم. ثم أخذ عن نفر كثيرين. وقد اتخذه بعض الأمراء في شرق
الأندلس كاتباً.

وفي سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م) رحل اليسع بن عيسى إلى مصر فسكن
الإسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة. ولما قضى صلاح الدين الأيوبي على الخلافة
الفاطمية، كان اليسع بن عيسى أول من خطب على منابر مصر بالدعوة العباسية، في
المحرم من سنة ٥٦٧ (أيلول - سبتمبر ١١٧١ م) ولم يجسر أحد قبله على ذلك. من
أجل ذلك علّت مكانته عند صلاح الدين.

وكانت وفاة اليسع بن عيسى في القاهرة، في ١٩ رجب من سنة ٥٧٥
(١١٧٩/١٢/٢٠ م).

٢- كان اليسع بن عيسى مؤرخاً ومحدثاً وفقياً ومؤرخاً وشاعراً وخطيباً. ولكن

كتاب المغرب يقول فيه (٢: ٨٨): «نثره كزّ ثقیل، ونظمه مفسول»^(١) ليس عليه طلاوة، وكأنه أراد معارضة كتاب الفلاند^(٢). وهو مصنف له كتاب «المغرب في آداب المغرب»^(٣) صنّفه بمصر لصالح الدين الأيوبي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صدر الدين أبو طاهر أحد بن محمد الأصفهاني السلفي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ (أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩): أنشدني أبو يحيى اليسع بن عيسى بديار مصر لنفسه:

قل لمن تاه بدنياً ساعدته وترقى فوق أفلاك المال:
ذاك قطب يقلب العالي سفلًا، ويردّ السفل في الأغلب عالي.
لو توسطت ساء كنت نجاً آيناً من صرفه في كل حال.

- وقال اليسع بن عيسى في كتاب المغرب عند ذكر مدينة شنترة^(٤) (نفع الطيب ١: ١٦٤):

إن من خواصها أن القمح والشعير يزوعان فيها ويخصدان عند مضي أربعين يوماً، وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر. قال لي أبو عبد الله الباكوري، وكان ثقة: أبصرت عند المعتد بن عباد رجلاً من أهل شنترة أهدى إليه أربعاً من التفاح ما يقل الحمل على رأسه غيرها^(٥)، دور كل واحدة خمسة أشبار. وذكر الرجل أن المعتد عندهم أقل من هذا. فإذا أرادوا أن يجيء (التفاح) بهذا العظم قطعوا أصلها^(٦) وأبقوا منه عشراً أو أقل وجعلوا تحتها دعامات من الحشب.

(١) نظمه (شعره) مفسول: ليس فيه شيء من أوجه البلاغة (لا جناس ولا استمارة ولا غيرها).

(٢) معارضة (حاكاة، تقليد) الفلاند (كتاب فلاند العقيان للفتح بن خاقان).

(٣) المغرب ٢: ٨٨. ولمنوان هذا الكتاب قراءات أخرى.

(٤) شنترة: بلدة في غربي الأندلس (البرتغال اليوم).

(٥) ما يقل (يستطيع أن يحمل) الحمل على رأسه غيرها.

(٦) أصلها (كذا في المصادر). اقرأ: أكلها (بضم الهمة والكاف): نمرها.

٤-★★ التكملة (رقم ٢١١٢)، أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩: المغرب ٢: ٨٨؛ معجم الصديقي ٣٢٢-٣٢٣ (رقم ٣١٥)، شذرات الذهب ٤: ٢٥٠؛ نفح الطيب ١: ١٦٤، ٢: ٣٧٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٤٨-٢٤٩ (٨: ١٩١).

الوهراني صاحب المناجات

١- هو الشيخ ركن الدين (أو جمال الدين)^(١) أبو عبد الله محمد بن محمد الوهراني (نسبة إلى وهران، في الجزائر) المرقري. رحل إلى المشرق، نحو ٥٥٠ هـ؛ خرج من وهران ومرّ بجزيرة صقلية ثم انتقل إلى الشام وطاف بعدد من بلدانها واستقر في دمشق، وذلك في أيام نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١-٥٦٩ هـ). وفي سنة ٥٥٥ هـ ذهب إلى بغداد طلباً للتكسب بشعره فيها يبدو، لأن بغداد دار الخلافة. ولكنه لم يوفق في الأغلب فعاد إلى دمشق في ٥٥٦ هـ وبعد رجوعه من بغداد تولى الخطابة في دارياً (وهي قرية في الغوطة على مقربة من دمشق).

زار الوهراني مصر مرتين على الأقل. يبدو أنه زارها في المرة الأولى للتكسب بالشعر وللدخول في ديوان الإنشاء، وذلك في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩ هـ). فلما رأى فيها القاضي الفاضل (٥٢٩-٥٩٦ هـ) والجماد الكاتب الأصفهاني (٥١٩-٥٩٧ هـ) وتلك الحلبة من أمثالها في ميدان الإنشاء عاد إلى دمشق. ثم إنه زار مصر مرة أخرى أو أكثر من مرة وتطوّف فيها وعمل في التجارة، ولكن حظه من التكسب بالتجارة لم يكن أوفر من حظه في التكسب بالشعر.

وكانت وفاة الوهراني في دارياً، سنة ٥٧٥ هـ، في الأغلب - وقد وصل خبر وفاته إلى القاهرة في سابع عشر رجب (١٨ / ١٢ / ١١٧٩ م) - أو في سنة ٥٧٤ هـ. ولعله لم يمّر طويلاً.

٢- الوهراني أديب متمدّد نواحي الشخصية، له مشاركة في الأدب والفقه والعلم والفلسفة، وله معرفة بالفاطر الفرق الإسلامية الظاهرية والباطنية، ويبدو أن له

(١) لعله اتخذ هذا اللقب لما استقر في المشرق.

اطّلاعاً على علم الفلك. وهو يُصرفُ كلَّ ذلك في آثاره الكتابية. ثم هو مُنشىءٌ ظريفٌ بارِعٌ في وجوه الصناعة اللفظية خاصة، غير أنه يتكلم على تعابير بدیع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) كثيراً وعلى تعابير الحريري (ت ٥١٦ هـ) قليلاً. ولا ريب في أنه أدنى في الإنشاء طبقةً من الهمداني والحريري والقاضي الفاضل والجماد الأصفهاني. ومع أنه عدل عن طريقة هؤلاء وأمثالهم في الجد إلى الهزل والسخرية، فإنه اغتدر إلى الإسفاف والإحاض المكشوفين النابيين، ولم يستطع أن يسوق الهزل والإحاض في الكنايات البريئة كما فعل بدیع الزمان والحريري مثلاً.

ويبدو أن الوهراني قد ترك الكدبة أو الاستجداء في مقاماته. أما مقاماته الوهرانية فتتو بتدريج ممل.

وللوهرواني نظمٌ عاديٌّ. وعلى آثاره كلها شيء من الضعف.

وكان الوهراني مُتَكَبِّباً قليل الاحتفال بالمبادئ السامية. ومع كثرة إيراد الأقوال الدينية في آثاره، فإننا لا نستطيع أن ندفع عنه أشياء من قلة الورع تقرب من أن تكون شواهد على زندقته.

وللوهرواني من الكتب «جلس كل ظريف» فيه عدد من رسائله وفصوله الهزلية. وله «المنامات» وفيه مقاماته ورسائله. ولا يتضح من تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفش ولا من تصدير عبد العزيز الأهواني إذا كان «الجلس» و«المنامات» كتابين مستقلين أو إذا كانا يجمعان نصوصاً متداخلة. (وسلك الوهراني في «المنامات» مسلك أبي العلاء المعري في «رسالة الغفران» - وقد مدح ابن خلكان هذا الكتاب).

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقامة الفاسية:

دَخَلْتُ مَدِينَةَ فَاسٍ فِي أَيَّامِ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَرَأَيْتُهَا تُجَاوِزُ الْأَوْصَافَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْصَافِ. فَشَبَّهَا شَيْطَانِي فَأَقَمْتُهَا مَقَامَ أُوطَانِي. فَحَضَرْتُ يَوْمًا فِي بَعْضِ بَسَاتِينِهَا مَعَ

قوم من أهل دينها^(١)، وفيهم أبو الوليد القرطبي^(٢) سلطان الكلام يأمره قيوائفه وينهاه فلا يخالفه. وجرى بينهم حديث أهل البلاد ومن فيها من الأعيان والنقاد^(٣)، فقالوا: يا أبا الوليد، أنت حجر يحكنا وبودقة سبكنا^(٤). وما نحن سائلوك ففضل من يستحق وعيب، ليميز الخبيث من الطيب.

فقال: أنا أوضح إشكالكم فاسألوا عما بدا لكم. فقلنا: ما تقول في القاضي أبي القاسم^(٥)؟ فقال: علم من الأعلام وشيخ الإسلام ومنجز الأحكام وحاكم الحكام. غير أنه - رحمه الله - يتناس للخصمين فلا يوقظه إلا صلصلة الكمين، ولو قبضت على أنفه بالكلبتين.....

قلنا: فما تقول في ابن الأبار^(٦)؟ فقال: رجل عطار وبائع أزار. فإن تناول غير هذا فهو بينطار؛ يتعلم حجامه الحجام في أافية الأيتام. قلنا: فما تقول في ابنه أبي بكر^(٧)؟ فرد وجهه وقطب، وقام على أن يذهب؛ وقال: أبا بخر^(٨) انقلب!

قال الراوي لهذه الحكاية: فتعنته لهذه الغواية. فقال: إنني في كل هذا معذور، وما هي إلا فتنة مصدور. وأنشد:

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ولم أذم الحينس^(٩) اللئيم المذمما،
ففيهم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله الماسمع والغما!
قال: فودعناه وسار القوم، وخرجنا من المدينة في ذلك اليوم.

- من مطلع مقامته التي يصف فيها بغداد:

-
- (١) النمن: العادة. أهل دينها (الذين يتبعون طريقتهم في المعيشة).
(٢) يبدو أن أبا الوليد القرطبي بطل مقامات الوهرافي.
(٣) النقاد (بكسر النون وتخفيف القاف): نوع من الغم الرديئة.
(٤) حجر المحك تختبر به المعادن. البودقة: وعاء تصهر فيه المعادن.
(٥ و ٦ و ٧) أسلم مرتجلة (لا تدل على أشخاص بأعيانهم).
(٨) البخز: الرائحة الكريهة في الغم. فرد - لعلها: أريد: تغير لونه.
(٩) الحيس: الأمر الرديء.

قال الوهрани: لَمَّا تَعَذَّرْتُ مَآرِي وَاضْطَرَبْتُ مَغَارِي، أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِي^(١) وجعلتُ مُذْهَبَاتِ الشَّعْرِ بِضَاعِي وَمِنْ أَخْلَافِ الْأَدَبِ رِضَاعِي^(٢). فَمَا مَرَرْتُ بِأَمِيرٍ إِلَّا حَلَلْتُ سَاحَتَهُ وَاسْتَمَطَرْتُ رَاحَتَهُ، وَلَا وَزِيرٍ إِلَّا قَرَعْتُ بَابَهُ وَطَلَبْتُ ثَوَابَهُ^(٣)، وَلَا بِقَاضٍ إِلَّا أَخَذْتُ سَيِّئَهُ وَأَفْرَعْتُ جَنِّهَهُ^(٤). فَتَقَلَّبْتُ فِي الْأَعْصَارِ وَتَقَاذَفْتُ فِي الْأُمُصَارِ، حَتَّى قَرُبْتُ مِنَ الْعِرَاقِ وَسَيَّمْتُ مِنَ الْفِرَاقِ. فَقَصَدْتُ مَدِينَةَ السَّلَامِ لِأَقْضِي حَجَّةَ الْإِسْلَامِ^(٥). فَدَخَلْتُهَا بَعْدَ مَقَاسَاةِ الضَّرِّ وَمُكَابَدَةِ الْعَيْشِ الْمُرِّ. فَلَمَّا قَرَّ بِهَا قَرَارِي وَانْجَلَى فِيهَا سِرَارِي^(٦)، طَفَفْتُهَا طَوَافَ الْمُفْتَقِدِ وَتَأَمَّلْتُهَا تَأَمَّلَ الْمُتَنَقِّدِ، فَرَأَيْتُ بَحْرًا لَا يُغْبِرُ زَاخِرُهُ وَلَا يُبْصِرُ آخِرُهُ، وَجَنَّةً أَبَدَعَ جَنَّائِهَا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ سُكَّانُهَا..... وَتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مُعَادَاةِ الْعُقَلَاءِ وَاشْتَاقَتْ إِلَى مَعَاشِرَةِ الْفُضَلَاءِ، فَذَلَّنِي بَعْضُ السَّادَةِ الْمَوَالِي إِلَى دُكَانِ الشَّيْخِ أَبِي الْمَعَالِي^(٧)، وَقَالَ: هُوَ بُسْتَانُ الْأَدَبِ وَدِيْوَانُ الْعَرَبِ، يَرْجِعُ إِلَى رَأْيِي مُصِيبٌ وَيَضْرِبُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِنَصِيبٍ. فَقَصَدْتُ قَصْدَهُ وَجَلَسْتُ عِنْدَهُ. وَسَلَّنِي عَنْ حَالِي وَعَنْ طَرِيقِ انْتِحَالِي^(٨). فَقُلْتُ: إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ وَعَهْدِي بِالسَّفَرِ قَرِيبٍ. فَقَالَ: مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ خَرَجْتَ وَعَنْ أَيِّهَا دَرَجْتَ^(٩)؟ فَقُلْتُ لَهُ: مِنَ الْمَغْرَبِ الْأَقْصَى وَالْأَمَدِ الَّذِي لَا يُحْصَى^(١٠)، وَمِنْ الْبَلَدِ الَّذِي لَا تَصِلُ

- (١) تَعَذَّرْتُ مَآرِي: اسْتَحَالَ عَلَيَّ الْحَصُولُ عَلَى مَا أُرِيدُهُ (فِي بَلَدِي). اضْطَرَبْتُ مَغَارِي: تَعَذَّدْتُ أَسْفَارِي بَيْنَ بَلَدٍ وَبَلَدٍ. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِي (عَلَى كَتْفِي): سَرْتُ فِي الْبِلَادِ عَلَى غَيْرِ خُطَّةٍ مَرْسُومَةٍ.
- (٢) مُذْهَبَاتِ الشَّعْرِ: الْقَصَائِدُ الْجَيَادُ (تَشْبِيهًا لَهَا بِالْمَعْلَقَاتِ الَّتِي قَبْلَ إِنَّهَا كَانَتْ تَكْتُبُ بِالذَّهَبِ). الْأَخْلَافُ: جَمْعُ خَلْفٍ (بِكسر الحاء: ضَرْعُ النَّاقَةِ). - جَعَلْتُ أَنْتَكَسِبَ بِالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ.
- (٣) اسْتَمَطَرْتُ رَاحَتَهُ (كَتَفَهُ): طَلَبْتُ مِنْهُ عَطَاءً (مَالًا).
- (٤) السَّيْبُ: الْمَطَاءُ. الْجَنِّبُ (فِي الْأَصْلِ) مَكَانُ الْعُنُقِ مِنَ الثَّوبِ (وَهُنَا): شِبْهُ كَيْسٍ فِي ظَاهِرِ الثَّوبِ أَوْ بَاطِنِهِ تَوْضِعُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ.
- (٥) مَدِينَةُ السَّلَامِ: بَغْدَادُ. حَجَّةُ الْإِسْلَامِ: وَجُوبُ زِيَارَةِ بَغْدَادِ (عَاصِمَةِ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيَّةِ).
- (٦) السَّرَارُ: آخِرُ الشَّهْرِ الْقُسْرِيِّ (حِينَ لَا يَظْهَرُ الْهَلَالُ فِي السَّمَاءِ). انْجَلَى (انْكَشَفَ) سِرَارِي: بَدَأَ هَلَالِي يَبْدُو فِي السَّمَاءِ (بَدَأَتْ حَالِي تَحْتَضِرُ).
- (٧) الدُّكَّةُ وَالدُّكَانُ: مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ يُجْلِسُ عَلَيْهَا أَبُو الْمَعَالِي: (فِي مَنَامَاتِ الْوَهْرَانِيِّ، ص ٢، ح ١) هُوَ غَالِبًا أَبُو الْمَعَالِي الْكُتَيْبِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٨ هـ.
- (٨) انْتِحَالِي: لِحْلَقِي (بِكسر النون) مِنَ الْمَعَاشِ: طَرِيقَةُ تَحْصِيلِ مَعَاشِي.
- (٩) دَرَجٌ: بَدَأَ سِرَّهُ (خَرَجَ مِنْ طِفْلُوته إِلَى شَبَابِهِ).
- (١٠) الْأَمَدُ: الْغَايَةُ وَالنَّهَايَةُ; وَهُنَا: الْأَمَدُ الَّذِي لَا يَحْصَى: لَا يَعْرِفُ قِيَاسَهُ (الْبَعِيدُ).

إليه الشمسُ حتَّى تَكِلَ أَفلاكُها وتَضِجَ أَملاكُها^(١)....

قال: كيفَ مَعْرِفَتُكَ بَدَهْرِكَ وَمَنْ تركته وراءَ ظَهْرِكَ؟ قلتُ له: أُمَّا البلادُ فقد قَلْبْتُ جُنُوبَها وكَشَفْتُ عُيُوبَها^(٢). وأُمَّا الملوكُ فقد لَقِيتُ كِبَارَها وحَفِظْتُ أَخْبَارَها. فأَيُّ الدُّولِ تَجْهَلُ وعن أَيِّها تَسألُ؟...

قال: فما تقولُ في عبدِ المؤمنِ وأولاده وسيرته في بلادِهِ^(٣)؟ فقلتُ: مُؤَيَّدٌ مِنَ السماءِ خَوَاضٌ لِلدِّماءِ مُسَلِّطٌ مِنَ فَوْقِ المَاءِ^(٤). حَكَمَ سِيفَهُ فِي القِمَمِ وأَعْمَلَهُ فِي رِقَابِ الأُمَمِ^(٥)، حتَّى خَصَمَتْ لَهُ التَّيْجَانُ ودَانَتْ لَهُ الإِنْسُ والجَانُ. فَأَعَمَدَ الحِلْمُ سِيفَارَهُ وَقَلَمَ العِلْمُ أَظْفَارَهُ^(٦)، فَلَانَ مَسَّهُ وَهَدَأَ حَسَّهُ^(٧). ولو أَنَّ للعِلْمِ لِسَانًا وَلِلوَرَقَةِ إِنْسَانًا لَتَأَلَّمْتُ وَتَظَلَّمْتُ^(٨) وَلَا نَشْدَتُكَ فِي المَلَأِ قولَ الشَّيْخِ أَبِي العَلَاءِ^(٩):

(١) تَكَلَّ: تنبأ. أفلاك جمع فلك (المدار الذي يسير فيه الكوكب). والكلمة هنا مستعملة في غير محلها. ضَجَّ: صاح صباحاً يدلُّ على شِقَّةٍ أو فزع الخ. أَملاك جمع ملك (بفتح الميم: واحد الملائكة). - كان الاعتقاد الوثني اليوناني أَنَّ الشمس تسير في مركبة يسوقها ويدفعها أشخاص سايوية.

(٢) الجنوب جمع جنب: طرف، جانب. قَلْبْتُ جُنُوبَها الخ: أَكثرت من زيارة مناطقها وعرفت كثيراً من أحوالها.

(٣) عبد المؤمن بن عليٍّ، أمير المسلمين، وأوَّل سلاطين دولة الموحِّدين (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، كان له سِتَّة عشر ولداً من الذكور، منهم أبو يعقوب يوسف، خلفه في الملك (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). ولم يدرك الوهراني أحداً من سلاطين الموحِّدين بعده. ثم كان من أبناء عبد المؤمن نفر تولَّوا (بفتح اللام) عدداً من المدن في المغرب وفي الأندلس ويظهر أَنَّ الوهراني لم يكن ميَّالاً إلى دولة الموحِّدين لأنَّه لم ينل حظوة عند أهلها.

(٤) خواض للدماء: كثير المارك أو كثير القتل للناس. مسلَّط من فوق الماء (٢) السماء (سلطة الله على الناس).

(٥) حَكَمَ سِيفَهُ في القمم (قتل كثيراً من رؤساء الناس) وأَعْمَلَهُ في رِقَابِ الأُمَمِ (ظلم الناس والشعوب وأبادهم).

(٦) الحِلْمُ (بكر الحاء): العقل، سعة الصدر، ضبط النفس. الشفار جمع شفرة (بفتح فسكون): حديدة عريضة سنونة (سيف). قَلَمَ أَظْفَارَهُ: جملة عاجزاً عن الظلم أو القتل أو الاعتداء.

(٧) لانَ مَسَّهُ: أصبح ظاهره برهناً لا يدلُّ على خطر أو ضرر. راجع قول عنتره:

إِنَّ الأَفاعِي وَإِنْ لَانَتْ مِلاَسُها عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أُنْيَابِها العُطْبِ.

هدأ (قُلْ، بطل) حَسَّهُ (بكر الحاء): الشعور، ولا معنى لها هنا. وحَسَّهُ (بفتح الحاء) القتل.

(٨) ... لِسَانًا (يتكلم)... إِنْسَانًا (يؤيِّزُ للمعنى) يرى.

(٩) المَلَأُ = الأشراف القوم وجهرتهم. أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم والنائر النقَّادة (ت ٤٤٩ هـ).

جَلَوْا صَارِمًا وَتَلَّوْا بَاطِلًا وَقَالُوا: صَدَقْنَا. فَقُلْنَا: نَعَمْ^(١) !
وَلَكِنَّ السَّكُوتَ عَنْ هَذَا أَرْجَحُ وَمَسْأَلَةُ الْأَفَاعِي أُنْجَحُ. وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ
الْخُصُومُ^(٢).

- للوهرائي جوابٌ طويلٌ على رسالةٍ وردت إليه. سَلَكَ الوهرائي في هذا الجواب
مَسْلَكَ التَّرْسُلِ حِينًا وَمَسْلَكَ الْمَقَامَةِ أحيانًا، ثُمَّ طَوَاهِ عَلَى مَنَامٍ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَاهُ. وَهَذَا
الْجَوَابُ الرَّسَالَةُ الْمَقَامَةُ طَوِيلٌ يَبْلُغُ نَحْوَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ صَفْحَةً (٥٣٠ سَطْرًا) قَلَّدَ فِي
بَعْضِهِ رِسَالَةَ الْفُفْرَانِ لِلْمَعْرِيِّ: الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ وَالنَّائِثُ النُّقَادَةُ (ت ٤٤٩ هـ).
- مِنْ هَذَا الْجَوَابِ:

.... ثُمَّ تَرْتَفِعُ الضُّوْءُ، وَإِذَا بِمُوكِبٍ عَظِيمٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْمَقَامِ الْحَمُودِ^(٣) كَأَنَّهُمْ
الْشَّمْسُ وَالْأَقْيَارُ، رُكْبَانٌ عَلَى نَجَائِبٍ مِنْ نُورٍ يُؤْمُونَ الْمَشْرِعَةَ الْعُظْمَى مِنَ الْخَوْضِ
الْمُرُودِ^(٤). فَسَأَلْنَا عَنْهُمْ فَقِيلَ لَنَا: هَذَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَتَجَرَّي خَلْفَهُ وَنُجْهَدُ أَنْفُسَنَا فِي طَلْبِهِ. فَلَمْ نَصِلْ
إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزِّحَامِ. فَطَلَعْنَا عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ مِنْ جِبَالِ الْأَعْرَافِ^(٥) نَرَقُبُهُ حَتَّى عَبَّرَ
عَلَيْنَا - عَنْ يَمِينِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَنْ يَسَارِهِ عُمَرُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَوْلَادُهُ الصِّغَارُ مَعَ الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ وَعُثْمَانَ يَقْدُمُهُمْ^(٦). وَمِنْ وَرَائِهِ حَمْرَةُ وَالْعَبَّاسُ وَجَعْفَرٌ وَعَقِيلٌ^(٧)، وَبَقِيَّةُ

(١) جلا: أظهر، أبرز، شهر. الصارم (السيف). وتلا (قرأ) باطلاً (أحاديث غير صحيحة). وقالوا
صدقنا: ادَّعَوْا الصواب في أعينهم فقلنا نعم (اضطرونا إلى الطاعة).

(٢) أرجح: أثقل (أقرب إلى العقل) الأفاعي: الحيات. و «عند الله تجتمع (يتم القيامة) الخصوم» عجز
(يفتح ضم) بيت صدره «إلى دَهَانِ يومِ الحقِّ نَفْسي» دَهَانُ يومِ الحقِّ (يوم القيامة): الله تعالى.

(٣) المقام الحمود: الجنة. في القرآن (١٧: ٧٩، سورة الإسراء) في خطاب الرسول: «عسى أن يمشك
ربك مقاماً محموداً» (مقام الشفاعة يوم القيامة).

(٤) نجائب جمع نجيبة (الناقة الكريمة الأصلية). الخوض المورود (الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة).
المشركة العظمى (الكان الأرفع في ذلك الخوض).

(٥) الأعراف مكان بين الجنة والنار

(٦) أبو بكر الخليفة الأول ثم عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب. ثم
عثمان بن عفان الخليفة الثالث يقدمهم = يتقدمهم (يسير أمامهم قائداً لهم) الضمير المستتر في «يقدمهم»
يمكن أن يرجع إلى «عثمان».

(٧) حمزة والعباس ابنا عبد المطلب (عم الرسول). جعفر الطيار وعقيل ابنا أبي طالب وأخو علي

أَصْحَابِهِ يَمْشُونَ فِي رِكَابِهِ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ^(١) - وَهُوَ يُصْنِفِي أحياناً إِلَى حَدِيثٍ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَارَةً إِلَى عُثْمَانَ، وَهِيَ فِيهَا بَيِّنَةٌ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِ الصِّغَارِ. وَالنَّاسُ يُضَجِّجُونَ بِالْبُكَاءِ وَيُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَيْدِي وَيَسْتَفِيشُونَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ^(٢).

٤ - منامات الوهراني ومقاماته ورسائله (تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفش)، مصر (الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة: المكتبة العربية: التراث)، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع مصر ١٩٦٨ م.

★ ★ وفیات الأعيان ٤: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٨٦ - ٣٨٩؛ شذرات الذهب ٤: ١٢٥٢ بروكلمان ١: ٣٢٩، الملحق ١: ٤٨٩؛ أعلام الجزائر ١٧٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٤١، البحث العلمي ٦: ٢ (سبتمبر ١٩٦٥) ص ١٩٥؛ تعريف الخلف ٤٨٧ - ٤٨٨.

يونس بن عمّاد القسطلّي

١ - هو أبو الوليد يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَسْطَلِيّ من أهل الجزيرة الخضراء (على الساحل الجنوبي للأندلس)، كان كاتباً لبعض الولاة. وقد رَحَلَ إِلَى المشرق. وكانت وفاته سَنَةَ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م).

٢ - أبو الوليد الْقَسْطَلِيّ من خيار البلغاء وشاعرٌ مُكْتَبَرٌ من فحول الشعراء كان يُقَلِّدُ شعراء المشرق. وله مقطعات وقصائد طوال وأراجيز؛ وأكثر شعره المديح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يُونُسُ الْقَسْطَلِيّ يَمْدُحُ ابْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ سَعِيدٍ (الموحّدي)، وقد جاء إلى البلد (خريدة المغرب ١: ٣٤٨):

(١) المهاجرون أهل مكة من الذين هاجروا مع الرسول من مكة إلى المدينة الأنصار أهل المدينة الذين استقبلوا الرسول وأصحابه المهاجرين وحموه (بفتح الميم) وحاربوا معه

(٢) يستغيثون عليه (٢) يستغيثون عليه (يسألونه من كثرة ازدحامهم حوله). في القرآن الكريم (٧١: ٧، سورة نوح): «واستغثوا ثيابه» غَطُّوا بها رؤوسهم.

أَهْلًا بِمَرَاكِ السَّعِيدِ وَمَرْحَبًا، الْيَوْمَ رَقَّ لَنَا الزَّمَانُ وَأُعْتَبَا^(١).
بِكُمْ تَحَلَّى الدَّهْرُ أَحْسَنَ حَلِيَّةٍ فَفَدَتْ لِيَالِيهِ صَبَاحًا أَشْهَبَا^(٢)،
وَأَنَارَتْ الدُّنْيَا بِهَذِيكُمُ الَّذِي أَحْيَا مَشَارِقَهَا وَخَصَّ الْمَغْرِبَا^(٣).
وَلَهُ شَمَائِلُ كَالْخَمَائِلِ جَادَهَا صَوَّبُ السَّحَابِ عَطَّرَتْ نَوْرَ الرُّبَى^(٤)؛
وَيَسُوبُ ذَاكَ مَرَارَةً لِمَنْ اعْتَدَى. اللَّهُ دَرَكٌ مَا أَمْرٌ وَأَعْذَبَا!
يَهْتَرُ لِلْمَعْرُوفِ بِفَعْلِهِ كَمَا يَهْتَرُ عِطْفُ الْبَانِ تَحْتَ يَدِ الصَّبَا^(٥)؛
وَيَهْشُ غَوِ الْمَكْرُمَاتِ سَجِيَّةً، وَيُمَدُّ لِلْمَجْدِ الذِّرَاعِ الْأَرْحَبَا^(٦).

- وقال يصف غديراً يصب في بركة كبيرة:

وَفَوْقَ الدَّوْحَةِ الْفَنَاءِ غَدِيرٌ تَلَأُ صَفْحَةً وَسَجَا قَرَارَا^(٧).
إِذَا مَا انْصَبَّ أَرْزَقٌ مُسْتَقِيمًا تَدَوَّرَ فِي الْبَحِيرَةِ فَاسْتَدَارَا^(٨).
بُجْرَدُهُ قَمَّ الْأَنْبُوبِ صَلْتًا حُسَامًا ثُمَّ يَفْتِلُهُ سِوَارَا^(٩)!

٤-★★ التكملة ٤٤٧١؛ زاد المسافر ٥٧ - ٦٦؛ خريدة المغرب ١: ٣٤٨ - ٣٥٠؛ المغرب ١: ٣٢٨؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٤٨ (٨: ٢٦٣).

- (١) أعتبنا الزمان: أَرْضَانَا (صفا لنا).
- (٢) أشهب: أبيض.
- (٣) الهدي (يفتح الماء): الهدي (بضم الماء).
- (٤) الحميلة: جانب من الروضة فيه أشجار كثيفة كثيرة الزهر. جادها صوب الحيا: هطل عليها مطر كثير. النور (يفتح النون): الزهر.
- (٥) العطف: الجانب (هنا: الفص). البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة. الصبا: ريح الشرق.
- (٦) يهش: يرتاح ويسر. سجيّة: طبيعة. الأرحب: الأوسع (هنا: الأطول)، يمدُّ للمجد الخ: ينال من المجد ما لا يستطيع غيره أن يصل إليه.
- (٧) فوق الدوحة (الشجرة الكبيرة): بعيداً عنها. الفناء: الناضرة المملوءة بالورق. غدير: ماء يخادر النهر (بجلاف الرافد: ماء يصب في النهر). سجا: سكن، هداً. قرار: قمر. الملموح هنا أن الماء أت من النهر بأنبوب ضخم.
- (٨) أرزق: صاف (غير ممزوج بالهواء جتى يبدو أبيض).
- (٩) الصلت: الواضح، الأملس.

ابن سيد اللصّ الإشبيليّ

١ - هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الملك بن سليمان الكِنَافِيّ المعروف بابن سيّد اللصّ^(١) الإشبيليّ، وُلِدَ سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م).

قرأ ابن سيّد الإشبيليّ القرآنَ على ابن عيْشون (ت ٥٣١ هـ) وعلى أبي الحسن شريح بن محمّد (ت ٥٥٧ هـ) وقرأ كتابَ سيبَوَيْه (في النحو) على ابن الرّمّاك (ت ٥٤١ هـ) مرّتين وقرأ الأدبَ على أبي محمّد بن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدرّ لإقراء اللّغة والنحو والأدب. وعشق حفصة شاعرة الأندلس.

ولما جاء أوّل سلاطين الموحّدين عبد المؤمن بن عليّ إلى الأندلس وذهَبَ إليه الشعراء في جَبَلِ الفَنح (جبل طارق) يمدحونه كان ابن سيّد الإشبيليّ معهم. وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) أو في السنة التالية.

٢ - كان ابن سيّد الإشبيليّ مُقرئاً مُحدّثاً ومن علماء اللّغة والنحو المبرّزين، كما كان من أهل البلاغة والأدب، ناثراً قديراً وشاعراً بارعاً. وهو من مشهوري شعراء الأندلس. وكان حوداً متوتّباً بالهجاء على الناس، مُحبّاً لحُوكِ المكائد. وهنالك في آثاره عددٌ من الكلمات لا يَجْري على المنهج اللغوي القويم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن السيّد الإشبيليّ في النسيب:

كَلَنِي إِلَى أَذْمُعٍ تَنْحُو تَكْتُئِبُ شَرَحَ الْهُوَى وَتَنْحُو^(٢).
أَفْذِي الَّتِي لَوْ بَغَتْ فِساداً مَا كَانَ بَيْنَ الْأَنْامِ صَلُحٌ^(٣).
صَاحِبَةً وَالْجَفُونَ سَكْرَى: مِنْ أَسْكَرَتْهُ فَلَيْسَ يَصْحُو.

(١) لَقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي حَدَائِثِهِ يَغْيِرُ عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ (الوفاي بالوفيات ٧: ٢١٨).

(٢) كَلَنِي (فعل أمر م - وكل - يَكْلُلُ: عهد به إلى، تركه. سحا: انهمر المطر بشدة).

(٣) بَغَى (أراد).

جَارَ عَلَيْكَ الْأَنَامُ ظُلْمًا سَمَّوكَ لَيْلَى وَأَنْتِ صُبْحُ!

- ومن قصيدة له يمدحُ بها أبا بكر بن مردئ:

نَدَاكَ الْغَيْثُ إِنْ مَحَلُّ تَوَالِي، وَأَنْتِ اللَّيْثُ إِنْ شَهِدُوا الْقِتَالَا^(١).

غَصَبْتَ اللَّيْثَ شِدَّةَ سَاعِدَيْهِ - نَعَمْ - وَسَلَبْتَ عَيْنَيْهِ الْغَزَالَا.

وَمَا أَفْنَى السُّؤَالُ لَكُمْ نَوَالًا، وَلَكِنْ جُودُكُمْ أَفْنَى السُّؤَالَا

نَوَالٌ طَبَّقَ الْآفَاقَ حَتَّى جَرَى مَثَلًا بِهَا وَغَدَا مِثَالَا.

- وكان مُرَرَى يهجاء آلَ فَنَدَلَةَ ظُلْمًا فقالَ فيهم:

الموتُ لَا يُبْقِي عَلَى مُهْجَةٍ: لَا أَسَدًا يُبْقِي وَلَا نَعْتَلَةً^(٢).

وَلَا شَرِيفًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَلَا وَضِيعًا لِبَنِي فَنَدَلَةٍ.

- وكتب ابنُ سَيدِ الإِسْبِيلِي إلى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ^(٣) يمتدُّرُ مِنْ وَشَايَةٍ كَانَتْ

حُمِلَتْ إِلَيْهِ عَنْهُ:

سَلَامٌ كَتَسْنِيمٍ^(٤) عَلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْكَرِيمِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، وَإِنْ كَانَ

مَوْلَايَ لَمْ يُفَاتِحْنِي بِالسَّلَامِ وَلَا رَأَى أَهْلًا لِمُقَاوَمَةِ الْكِرَامِ، لَكِنْ حَطَّ قَدْرِي عِنْدَهُ مَا

نُسِبَ لِي مِنَ الذَّنْبِ الْمُخْتَلَقِ. وَلَا، وَاللَّهِ، مَا نَطَقْتُ بِلِسَانٍ وَلَا كُنْتُ مِمَّنْ رَمَقَ^(٥)؛ بَلِ

الَّذِي زَوَّرَ لِسَيْدِي فِي هَذِهِ الْوَشَايَةِ كَانَ الْمُعِينَ عَلَيْهَا وَالْمَلِمَ إِلَيْهَا. فَبَادَرَ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ

أُسَبِّقَهُ فَاتَّسَمَ بِأَسْقَطِ خِلَتَيْنِ: النَّذَالَةِ الْأُولَى وَالْوَشَايَةَ الْآخَرَى. لَوْلَا أَنَّ الْمَجَالِسَ

بِالْأَمَانَاتِ وَأَنَّ الْخِلَاعَةَ بِسَاطٍ يُطَوَى عَلَى مَا كَانَ فِيهِ، لَكُنْتُ أَسْبَقُ مِنْهُ وَلَكِنِّي يَأْبَى

ذَلِكَ خُلُقِي وَمَا تَأَذَّبْتُ بِهِ.....

ولولا ما أخشى من التثقيب وما أتوقع من الحجل إذا التقى الوجهان لآتيتُ

(١) الحبل (بالفتح): الجذب وانقطاع المطر.

(٢) النعتل: الذكر من الضباع. والنعتلة: الحمق (والشاعر يقصد: الثعلب).

(٣) أحمد بن عبد الملك بن سعيد الغنسي (قتل ٥٥٩ هـ).

(٤) التسنيم: عين في الجنة.

(٥) رمق: تابع الأشياء بصره (٢).

حَتَّى أَبْلَغْتُ فِي الْاعْتِذَارِ بِالشَّافِهَةِ مَا لَا يَسَعُ الْقُرْطَاسُ. لَكِنِّي مُتَكِلٌ عَلَى حِلْمِ
سَيِّدِي وَإِعْضَائِهِ مُتَوَسِّلٌ إِلَيْهِ فِي الْفُجْرَانِ بَعْلَانِهِ.....

٤-★★ زاد المسافر ٩٤ - ٩٥ الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨، المغرب ١: ٢٥٢، المطرب
٢٠٠ - ٢٠٢: المنّ بالإمامة ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٨، ١٧٠، ٤٥٣ - ٤٥٧: المعجب
٢١٧: بغية الوعاة ١٤٩ - ١٥٠: نفح الطيب ٤: ١٩٣، ١٩٦ - ٢٠٤: الأعلام
للزركلي (١: ١٧٤).

أبو الطيّب المسيلي

١- هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي (نسبة إلى مدينة المهدية،
وتسمى الحمّدية) المسيلي، نسبة إلى المسيلة في المغرب الأوسط (الجزائر). وُلِدَ سَنَةَ
٥١٢ هـ (١١١٨ - ١١١٩ م) وكانت وفاته سَنَةَ ٥٧٨ هـ (١١٨٢ - ١١٨٣ م).

٢- كان أبو الطيّب المسيلي من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب، له
مُقطَّعاتٌ حَسَنٌ في الغزل. وله مديحٌ ونسيبٌ وخمر.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الطيّب المسيلي في النسيب:

خَطَرْتُ عَلَى وَادِي الْعُذِيبِ بِأَدْمِي، فَمَا جُرْئُهُ إِلَّا وَأَكْثَرُهُ دَمٌ^(١).
وَقَدْ شَرِبْتُ مِنْهُ كِرَامُ جِيَادِنَا فَكَادَتْ بِأَسْرَارِ الْهَوَى تَتَكَلَّمُ^(٢).
رَحَلْتُمْ، فَهَذَا اللَّيْلُ فَيْكُمْ فَلَمْ يَعْذُ إِلَيَّ سِوَاهُ فَيْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ^(٣).

(١) خطرت (مررت عرساً، اتفاقاً) على وادي العذيب (نهر العذيب) وأنا أبكي. فما جرئته (فقطعه) إلا
وقد أصبح أكثر مائه دماً من أدمي.

(٢) حتى جيانا: خيلنا (وهي بهائم) لما شربت من وادي العذيب (بعد أن سال دمي فيه!) أصبحت
تتكلم في الهوى والحب.

(٣) منذ ذلك الليل الذي رحلتم فيه لم أتم (ولذلك لا أذكر أنه جاء ليل آخر بعده).

وما أنا صبٌّ بالنجوم، وإنما تُحِيلُ لي الآفاقُ أنْكُمْ هُمْ^(١) !
- وله في النسيب أيضاً:

سَلَّمَ إِذْ مَرَّ؛ وَلِي هَمًّا تَسْتَنْزِلُ الْأَقْمَارَ وَالْأَنْجُمَ^(٢).
نَظَّمَا وَلَا تَرَوِي، وَلَوْ أَنِّي أَلْتَمُتُهَا وَجَنَّتْهُ وَالْقَمَا^(٣).
هَذَا كَثِيرٌ؛ فَاشْكُرِي وَاحْمَدِي. فَكَيْفَ لَوْ مَرَّ وَمَا سَلَّمَ^(٤).

٤-★★ المطرب ٤١-٤٧.

ابن بشكوال

١- هو أبو القاسم خَلَفُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ بَشْكَوَالٍ..... الخَزْرَجِيُّ
الأنصاريُّ القرطبيُّ، أصله من سُرَّيْنٍ من قرى إشبيلية.

وُلِدَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ فِي قُرْطُبَةَ فِي الثَّالِثِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٤٩٤
(١١٠١/٩/٢٩ م) وَسَمِعَ كَثِيراً مِنَ الْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ فِي قُرْطُبَةَ وَإِشْبِيلَةَ عَلَى نَفَرٍ مِنَ
الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَتَّابٍ وَأَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رَشْدٍ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ.

وَنَابَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ عَنِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ فِي بَعْضِ جِهَاتِ
إِشْبِيلَةَ ثُمَّ تَوَلَّى عَقْدَ الشُّرُوطِ بِلَدِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ فَضَّلَ آخِرًا أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى
إِسْمَاعِ الْعِلْمِ.

وكانت وفاة ابن بشكوال في الثامن من رمضان ٥٧٨ (١١٨٣/١/٦ م).

٢- كان ابن بشكوال من علماء الأندلس، وقد كان له نحو خمسين مُصَنَّفًا ضاع

(١) أنا لا أحب نجوم السماء، ولكنني أسهر كل ليلة أنطلع إليها، لأن كل شيء يوهني أنها تشبهكم، فأنَا
أَنْطَلِعُ إِلَى مَا يَشَبِّهَكُمْ. أَنْتُمْ أَنْتُمْ تِلْكَ النُّجُومُ لِأَنَّكُمْ بَعِيدُونَ عَنِّي مِثْلَهَا.

(٢-٤) فِي هَذِهِ الْآيَاتِ حَدِيثٌ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: تَقُولُ نَفْسُهُ: إِنَّ الْمَحْبُوبَ مَرَّ وَسَلَّمَ فَقَطْ (وَكَانَ الْمُنْتَظَرُ
أَنْ يَنْزِلَ وَيَجَادِثَنِي). وَأَنَا لَا أَصْبِرُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ. فَقَالَ الشَّاعِرُ لِنَفْسِهِ: هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَحْبُوبِ (مَرَّ
بِكَ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْكَ)، فَاحْدِثِي اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ. لَقَدْ كَانَ بِالْإِمْكَانِ أَنْ يَمُرَّ وَلَا يَسَلَّمَ أَوْ لَا يَمُرَّ أَيْضًا!

مُعْظَمُهَا فمن كتبه: الصَّلَةُ في أخبار أئمة الأندلس (وهو استمرار لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفَرَضِي) - تاريخ صغير في أحوال الأندلس - أخبار قضاة قرطبة - كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة (وهو مختصر لكتاب المنتخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لأبي جعفر بن مُطَاهر) - كتاب الغوامض والمُبهمات (في أسماء نفر من رجال الحديث) - جزء صغير ذكر فيه الذين رَوَوْا كتاب الموطأ عن الإمام مالك نفسه - كتاب المستفيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات الخ - أصحاب الأندلس (نفع الطيب ٣: ١٨١) - التنبيه والتميين لمن دخل الأندلس من التابعين (نفع الطيب ٣: ٦٤، راجع ١٠ و ٦٠).

٣ - من مقدمة « الصلة » لابن بشكوال:

.... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْحَابَنَا - وَصَلَّ اللَّهُ تَوْفِيقَهُمْ وَنَهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُمْ - سَأَلُونِي أَنْ أَصِلَ لَهُمْ كِتَابَ الْقَاضِي النَّاقِدِ أَبِي الْوَلِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسُفَ الْأَرْدِيِّ، الْحَافِظِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْفَرَضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).... وَأَنْ أُبْتَدِءَ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى كِتَابُهُ وَأَيْنَ وَصَلَ تَأْلِيْفُهُ مُتَّصِلًا إِلَى وَقْتِنَا.

وَكُنْتُ قَدْ قَيْدْتُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِهِمْ^(٢) وَأَنَارَهُمْ وَسَيَّرَهُمْ وَبُلْدَانَهُمْ وَأَنَسَابَهُمْ وَمَوَالِدَهُمْ وَوَفَيَاتِهِمْ، وَعَمَّنْ أَخَذُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ رَوَى عَنْهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الرِّوَاةِ وَكِبَارِ الْفُقَهَاءِ. فَسَارَعْتُ إِلَى مَا سَأَلُوا وَشَرَعْتُ فِي ابْتِدَائِهِ عَلَى مَا أَحْبَبُوا، وَرَبَّيْتُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كَكِتَابِ ابْنِ الْفَرَضِيِّ وَعَلَى رُسْمِهِ وَطَرِيقَتِهِ. وَقَصَدْتُ إِلَى تَرْتِيبِ الرُّجَالِ - فِي كُلِّ بَابٍ - عَلَى تَقَادُمِ وَفَيَاتِهِمْ، كَالَّذِي صَنَعَ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَنَسَبْتُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى قَائِلِهِ، وَاخْتَصَرْتُ ذَلِكَ جُهْدِي. وَقَدِمْتُ هُنَا ذِكْرَ الْأَسَانِيدِ إِلَيْهِمْ مَخَافَةَ تَكَرُّرِهَا فِي مَوَاضِعِهَا^(٣).... وَكَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ مَا سَأَلْتُ عَنْهُ شُيُوخُنَا وَفَقَاتِ

(١) ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) من أخبار الأشخاص الذين أريد جمع أخبارهم في كتابي المقترح.

(٣) ذكر ابن بشكوال الرواة الأساسيين الذين أخذ عنهم في مقدمة كتابه كيلا يضطر إلى تكرار ذكرهم مع كل شخص أخذ عنهم خبراً من أخباره.

أصحابنا وأهل العناية بهذا الشأن ومن شُهرَ منهم بالحِفْظ والإِتقان وقد نَسَبْتُ ذلك إلى من قاله لي منهم، إلّا ما لَحِقْتُهُ بِسَنِي^(١) وشاهدته بنفسي وقيدته بخطي، فلستُ أُسَيِّدُهُ إلى أحدٍ وأَقْتَصِرُ في ذلك على ما عَلِمْتُهُ وَتَحَقَّقْتُهُ

٤ - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م؛ (عزة العطار)، القاهرة وبغداد (مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى) ١٩٥٥ م راجع نقد الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢: ٢٨٨.

* * * الصلة ٦٥٠؛ التكملة لكتاب الصلة ١: ٥٤ (رقم ١٧٩؛ معجم ابن الأبار ٨٢ - ٨٥؛ المغرب ٢: ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٤٢ - ٣٥٣؛ وفيات ابن تغذ ٢٩٠؛ وفيات الأعيان ٢: ٢٤٠ - ٢٤١؛ الديباج المذهب ١١٤؛ شذرات الذهب ٤: ٢٦١؛ نفع الطيب ١: ٢٣٠ - ٢٣١، ٤٦٣ - ٤٦٦؛ ٥٤٦ - ٥٤٧، ٥٥٠ وما بعد، ٥٥٥ - ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٥٦٣؛ ٥٣: ٢، ٥٤، ١٢٩، ٣: ١٠، ٦٠، ٦٤، ١٨١ (نقول وإشارات مفيدة)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٣ - ٧٣٤؛ بروكلمن ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٥٩ (٣١١)؛ بالنشأ ٢٧٣ - ٢٧٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٨٧ - ٥٧٩؛ سركيس ٤٦ - ٤٧.

الخزرجي الصقلّي^(٢)

١ - هو أبو عمر عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الأنصاري السرقوسي الصقلّي النحوي المقرئ، أصله من الخزرج الأنصار أهل المدينة ومولده أو مسكنه في سرقوسة عاصمة صقلية. ويجب أن يكون الخزرجي الصقلّي قد عاش طويلاً حتى أمكن أن يتصل بالذين اتّصل بهم على تباعد أزمانهم.

قرأ الخزرجي الصقلّي القرآن الكريم على الحسن بن خلف بن بليمة القيرواني (ت ٥١٤ هـ) وابن الفحام الصقلّي (٤٢٢ - ٥١٦ هـ) وغيرهما. ثم إنه غادر صقلية

(١) لحقته سني (عمري)؛ أدركته وهو حي.

(٢) للخزرجي الصقلّي ترجمتان في معجم الأدباء (١٢: ١٣٠ وما بعد)، رقمها ٣٨ و ٣٩.

فمرّ بالقيروان واتّصل بالمرتضى يحيى بن تميم ابن باديس الصنهاجي ملك القيروان (٤٥٣ - ٥٠١ هـ). ثم انتقل إلى مِصْرَ ولازمَ الحافظَ أبا طاهرٍ أحدَ بنِ محمدِ السِّلَفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) في أثناء إقامة السِّلَفي في مِصْرَ (معجم الأدباء ١٢: ١٣١) فقرأ على السِّلَفي وعلى من كان السِّلَفي قد قرأ عليهم كمحمد بن بركات المصري اللُّغوي (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وأبي صادق مُرشد بن يحيى المدني البصري الذي درس عليه في مِصْرَ ابنُ سعدونِ القُرطُبي^(١) (ت ٥٦٧ هـ) وكالفراء الموصليّ أبي الحسين عليّ بن الحسين بن عمر (وفيات الأعيان ٦: ٦٧، ٧: ٣٣٢) في مصر. ثم صارت له حَلَقَةٌ في جامع عمرو (في مصر القديمة) فروى عنه، سنة ٥١٧ هـ، أبو طاهرٍ أحمد بن محمد السِّلَفي^(٢) (الذي سبق أن قرأ عليه الخزرجي الصقلّي نفسه) وابن بريّ النحوي (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ). وكان السِّلَفي في مصر فبنى له الأمير العادل وزير الظافر العبدي مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦ هـ. وقال القِفْطِيّ (إنباء الرواة ٢: ٣٤٢ - ٣٤٣): «وكان (الخرزجي الصقلّي) قريباً من زماننا في المائة السادسة للهجرة». مِنْ كُلِّ ما تقدّم هنا نَمِيلُ إلى القولِ بأن الخزرجي الصقلّي قد عاش بين سنة ٤٩٠ و ٥٨٠ هـ (١٠٩٧ - ١١٨٥ م).

٢ - كان الخزرجي الصقلّي عالماً باللغة والنحو مُقرئاً للقرآن. وله شعرٌ على النَهجِ المَشْرِقيّ بين التقليد والجودة. وله نثرٌ خيّرٌ من شعره. أمّا نقدُه فجيّدٌ (راجع المختارات). ثم هو مُصنّف، له: حاشيةٌ على كتاب الإيضاح^(٣) أو شرح الإيضاح وهي غاية في الجودة - مخارج الحروف (مختصر) - مختصر في القوافي (وهو الذي رواه السِّلَفي عن الخزرجي الصقلّي) - مختصر عمدة ابن رشيقي (وقد زاد فيه أشياء كان ابن رشيقي قد أخلّ بها) - كتابٌ فيه نثر ونظم (له).

٣ - مختارات من آثاره:

- كَتَبَ أَحَدُ بنِ سِلَفَةَ (السِّلَفي) إلى الخزرجي الصقلّي كتاباً فيه شيءٌ من النظم

(١) ابن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ) درس على أبي صادق المدني (وفيات الأعيان ٦: ٧٦ و ١٧١).

(٢) روى السِّلَفي عن الخزرجي كتاباً مختصراً في القوافي (معجم الأدباء ١٢: ١٣٧).

(٣) الكتب المسماة «الإيضاح» كثيرة جداً، ذكر بروكلمان منها (راجع فهرست بروكلمان، الملحق ٣: ٩٠٧ - ٩٠٨) نحو خمسة وعشرين (معرفة باللام، غير المضافة إلى ما بعدها).

منه « ما وَقَعْتُ عيني على مثله ». فأجاب الخزرجي الصقلي بقول منه:
 وَقَفْتُ على ما تَفَضَّلْتُ به حَضْرَتُهُ وانتهت إليه من الآداب هِمَّتُهُ. فَمِنْ نثرٍ رَأَيْتُ
 الْعِلْمَ مَضْمُونَهُ، وَالذَّرَّ مَكُونَهُ، وَالْحِكْمَةَ قَرِينَهُ^(١)؛ وَمِنْ نَظْمٍ كَانَتْ الْفَصَاحَةُ بَيْنَهُ
 وَفَصْلُ الْخَطَابِ عَرْنِينَهُ^(٢). وَوَدَّ فَصِيحُ الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ، وَأَحْيَا الْقُلُوبَ وَكَشَفَ
 الْحُجُوبَ

تَوَجَّيْتُ مَوْلَايَ مِنْ قَوْلِهِ تَاجاً عَلَا التَّيْجَانِ مِنْ قَبْلِهِ^(٣)
 لِأَنَّهَا تَبَلَّى، وَهَذَا إِذَا مَرَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ لَمْ تُبْلِهِ^(٤).
 فَعِلْمُهُ يُشْتَقُّ مِنْ لَفْظِهِ، وَلَفْظُهُ يُشْتَقُّ مِنْ فَضْلِهِ.
 تَكَامَلَتْ أَوْصَافُهُ كُلُّهَا، وَمِثْلُهُ مَنْ كَانَ مِنْ مِثْلِهِ^(٥).

- وله من الشعر مَعَ شَيْءٍ مِنَ النَّدِيدِ. قَالَ:

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أَيْتَ مُتَبِّياً وَأَصْبَحَ مَحْزُوناً وَأَضْحَى مُفْرَماً.
 صَبِي مُدْنَفَاً أَوْ وَاعِدِيهِ وَأَخْلَفِي فَقَدْ يَتَرَجَّى الْآلَ مِنْ شَفَةِ الظَّهِ^(٦).
 ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ قَتْلِي، وَإِنَّا ضَمَانٌ عَلَى عَيْنِي أَنْ تَبْكِيَا دَمًا^(٧).

ثم قرأت بعد ديوان البحترى فوجدتُ مُعْظَمَ هذه الألفاظ مُبَدَّدةً فيه. فإذا كانت
 أَكْثَرُ الْمَعَانِي يَشْتَرِكُ فِيهَا النَّاسُ حَتَّى قَطَعَ ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٨) أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى « يُرِيدُ أَنْ

(١) مضمونه (ما كان ضمنه، فيه) ومكونه (ما كن، اختبأ فيه) وقرينه (المربوط معه، المساوي له).

(٢) بينه (أحسن قسميه وأقواها، في مقابلة شاله بكسر الشين). فصل الخطاب: القول أو الرأي الصحيح

البات الحازم. العرنين: أعلى الأنف (عرنين الشيء: أفضله).

(٣) كان أسمى وأتمن من جميع التيجان السابقة (تيجان الملوك).

(٤) بلي (بكسر اللام) بيلي (يفتح اللام) الشيء: تهرأ.

(٥) لبس في البشر رجل كامل الأوصاف إلا إذا كان مثل هذا المدحوح.

(٦) صلي (بكسر الصاد واللام) واصلي، أنعمي بالوصل أو اللقاء على المحبوب. المدنف: الذي مرض من

الحبِّ وأشرف على الهلاك. وأعديه: أقطمي له وعداً أو عهداً. أخلفي: انكثي في وعدك. الآل: السراب.

شَفَهُ: أغخله (جعل جسمه ناعلاً أو نحيلاً: ضيفاً). الظَّهْر: العطش.

(٧) ضمان (هنا) عزم وتأكيد.

(٨) ابن قتيبة ناقد مشرقي (ت ٢٧٦ هـ) له كتاب الشعر والشعراء.

يَنْقُضُ^(١) لَا يُعْبَرُ عَنْهُ إِلَّا بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ وَنَحْوِهَا فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَشْتَرَكُوا^(٢) أَوْ تَتَّفَقَ أَلْفَاظُهُمْ فِي الْعِبَارَةِ عَنْهَا. وَلَكِنْ أَمَى الْمُؤَلِّدُونَ إِلَّا أَنَّهَا سَرَقَةٌ^(٣).

- وله في الغزل:

رَحَلْتُ فَعَلَمْتُ الْفَوَادَ رَحِيلًا وَبَكَتْ فَصَيَّرَتِ الْأَسِيلَ مَسِيلًا^(٤).
وَإِذَا الْمَحَبُّ أَرَادَ قَتْلَ حَبِيبِهِ جَعَلَ الْفِرَاقَ إِلَى الْمَوَاتِ سَبِيلًا

٤- ** معجم الأدباء ١٢: ١٣٠ - ١٣٥ م ١٣٥ - ١٤١ (ترجمة مكررة)؛ إنباه الرواة
٢: ٣٤٢ - ٣٤٣ البلغة ١١٣٩ بغية الوعاة ١٣٢٣ المكتبة العربية الصقلية ٦٧٦.

ابن الفراء الضريع

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (بن محمد) الأستاذ الأديب الخطيب المقرئ النحوي، كان يُقْرَأُ الْقُرْآنَ وَالشِّعْرَ وَالنَّحْوَ وَاللُّغَةَ فِي الْمَرْيَةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ لِلْهَجْرَةِ (الثاني عشر للميلاد). ويبدو أن وفاته كانت في أواخر القرن السادس^(٥) لِأَنَّ جَدَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (نفع ٣: ٣٨٦ - ٣٨٧) كَتَبَ رِسَالَةً إِلَى يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ (ت ٥٠٠ هـ) يُعَاتِبُهُ فِيهَا لِأَنَّهُ طَلَبَ مَعُونَةً مَالِيَةً مِنْ أَهْلِ الْمَرْيَةِ. وَلَعَلَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَذَا (جَدُّ صَاحِبِ التَّرْجِمَةِ) هُوَ الَّذِي اسْتُشْهِدَ فِي مَعْرَكَةِ قَتْنَدَةَ (نفع الطيب ٤: ٤٦٠ - ٤٦١)، سَنَةَ ٥١٤ هـ.

- (١) في القرآن الكريم (١٨: ٧٧): «فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض» (على وشك أن يتهدم) وقد نسبت الإرادة إلى الجدار هنا على سبيل الاستعارة.
- (٢) اقرأ: فغير مستنكر على الشعراء أن يشاركوا...
- (٣) المؤلِّدون (في الشرق) الذين كان أحد أبويهم عربياً والآخر غير عربي. اقرأ: إلا أن يسموا الآراء المتقاربة في الأشعار سرقة (قد سرقها بعض الشعراء من بعض).
- (٤) لَمَّا فَارَقْتَنِي الْمَحَبُّوبَةُ رَحَلَ قَلْبِي مَعَهَا (فقدت الصبر والتفكير). وَلَمَّا بَكَتْ هِيَ أَصْبَحَ الْأَسِيلَ (أَي خَدِّي أَنَا) مَسِيلًا (مَجْرًى دَائِمًا لِلدَّمْعِ).
- (٥) يروي المقرئ في نفع الطيب (٤: ٢٨٦ - ٢٨٧) «أَنَّ ابْنَ صَادِحٍ أَرْسَلَ جَارِيَةً إِلَى الْأَسَازِ ابْنِ الْفَرَاءِ الْخَطِيبِ لِيُخْتَبَرَهَا، وَكَانَ (ابْنُ الْفَرَاءِ) كَفِيفًا....» وَيَصْغَبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرِّوَايَةُ مَوْثُوقَةً لِأَنَّ ابْنَ صَادِحٍ قَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٤ هـ.

٢- كان ابنُ الفراءِ الضريرُ إماماً في اللغةِ والنحو كما كان شاعراً مُجيداً مُحسناً. وفنونه العُتَابُ والفَزْلُ المؤنَّثُ والفَزْلُ المذكورُ.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ الفراءِ الضريرُ:

إذا كان وَرْدُكَ لا يُقْطَفُ وَتَغَرُّ ثَنَائِيكَ لا يُرْشَفُ^(١)،
فأيُّ اضْطِرَارٍ بنا أنْ نقولَ: دَلاً بَأَيِّ شَادِنٍ أَوْطَفُ؟^(٢)

- وقال:

قيل لي: قد تَبَدَّلَا، فاسألُ عنه كما سَلَا^(٣).
لَكَ سَنَعٌ وَناظِرٌ وفُؤَادٌ! فقلْتُ: لا.
قيل: غَالٍ وَصَالُهُ، قلتُ: لَمَّا غَلَا حَلَا.
أُثِمَّا الماذِلُ الذي بِمِذاي تَوَكَّلَا^(٤)،
عُذَّ صَحيحاً مُسَلِّماً، لا تُعَيِّرُ فتُبْتَلي^(٥)!

٤-★★ نفح الطيب ٣: ٣٨٢ - ٣٨٣، ٤: ٢٨٧؛ نيكل ٢٥٦ - ٢٥٨، مختارات نيكل ١٧١ - ١٧٢.

عبد الحق الإشبيلي البجائي

١- هو أبو محمد عبدُ الحق بنُ عبد الرحمن بن عبدِ الله بن الحسين بن سعيد الأزدِي الإشبيلي الأندلسي البجائي، ويُعرفُ بابنِ الحَرَّاطِ؛ وُلِدَ في ربيعِ الأولِ من

(١) وردك (= ورد خدك) لا يقطف: إذا كنا لا نستطيع تقبيك.

(٢) الشادين: الغزال الصغير. الأوطف: طويل أهداب العينين.

(٣) تبدل: تغير عن عهدك (ترك حبك). سلا: نسي، أهمل.

(٤) الماذل: اللاتم (الذي يلوم العشاق خاصة). توكل بالشئ: جملة منه وعمله.

(٥) عد: أرجع، اذهب عني. صحيحاً مسلماً: غير مريض بالحب وغير محب. لا تعييري (لا تلمني ولا تعب عليّ حتي) فتصبح مثلي مريضاً بالحب.

سَنَةِ ٥١٠ (تَمُوز - يُولْيُو ١١١٦ م).

رَوَى عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْبِيلِيُّ عَنْ نَفَرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ الْحَسَنُ بْنُ شُرَيْحٍ وَعَبْدُ السَّلَامِ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَرْجَانٍ (ت ٥٣٦ هـ) وَعُمَرُ بْنُ أَبِي بَرْجَانٍ وَطَارِقُ بْنُ مُوسَى بْنِ يَعِيشَ (إِسْبِيلِيَّة ٤٩٨ - حلب ٥٤٩ هـ) وَطَاهِرُ بْنُ عَطِيَّةٍ وَأَبُو الْإِصْبَعِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الطَّحَّانِ (ت ٥٥٩ هـ). وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ مُحَدِّثُ الشَّامِ ابْنُ عَسَاكِرَ (ت ٥٧١ هـ) وَأَجَازَ لَهُ رِوَايَةً (مَا كَتَبَ إِلَيْهِ بِهِ).

وَلَمَّا اضْطَرَبَ أَمْرُ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ وَنَشِبَتِ الْفِتْنَةُ أَثَرَهُ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ يُغَادِرَ إِسْبِيلِيَّةً فَانْتَقَلَ إِلَى بَجَايَةَ (فِي الْمَدِينَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ)، قُبَيْلَ ٥٤٧ هـ.

انصرفت عبد الحق في بجاية إلى التدريس والتأليف. وقد كانت الخطبة (يوم الجمعة). والصلاة في الجامع الأعظم في بجاية له، كما كان يجلس للتوثيق والشهادة^(١). وولّي أيضاً القضاء في بجاية مدّة يسيرة في أيام استيلاء عليّ بن إسحاق بن غانية على بجاية^(٢) من أيدي الموحّدين. وكان من الطبيعي أن يطلب ابن غانية من عبد الحق ألا يذكر الموحّدين في الخطبة، وأن يدعو في الخطبة لبني العباس^(٣) في بغداد (لا للموحّدين في مراكش). غير أن الموحّدين استطاعوا استرداد بجاية بعد قليل^(٤)، فكان المنصور الموحّدي (أبو يوسف يعقوب) يتوعّد عبد الحق بالقتل. ولكن عبد الحق نجا من الموت على يد الموحّدين ليموت حتف أنفه على فراشه وشيكاً بعد دخول جيش الموحّدين إلى بجاية، فقد مات في ربيع الثاني من سنة ٥٨١ (تموز - يوليو ١١٨٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبد الحق ابن الخراط الإشبيلي فقيهاً كبيراً وحافظاً للحديث ذا معرفة بعلمه وبرجاله، كما كان موصوفاً بحب الخير وبالورع والزهد. ثم إنّه كان مشاركاً في

(١) التوثيق: كتابة الوثائق (الصكوك والاتفاقات بين المتبايعين وأمثالهم) والشهادة (تحرير الشهادات أمام الحاكم!).

(٢) في سادس شعبان ٥٨٠ (١٢ / ١١ / ١١٨٤ م).

(٣) إذ كانت العادة أن يكون الدعاء في خطبة الجمعة للخليفة.

(٤) في صفر ٥٨١ (أيار - مايو ١١٨٥ م).

عدد من فنون الأدب ويقول الشعر. وقد اشتهر بالتأليف، وخصوصاً في الجُمع بين كُتُب الحديث^(١)، له كتاب «الجمع بين الصحيحين» (صحيح مسلم وصحيح البخاري) - وقد أضاف إلى ما فيها أحاديث لم تكن فيها من كُتُب أخرى) ثم له كتاب «الجامع الكبير في الحديث» (- وكان مقصوده فيه الجمع بين الكتب الستة: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) وسُنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) والسُنن لأبي داود (ت ٢٧٥ هـ) والجامع الكبير (أو الصحيح) للترمذي (ت ٢٧٩ هـ) والسنن الصغرى للنسائي (ت ٣٠٣) -. ثم أضاف إليها أحاديث ليست فيها كلها من كتابي البرازي (ت ٢٩٢ هـ) وهما المُسنَد الكبير (أو البحر الزاخر) والمُسند الصغير. وكذلك صَنَّفَ كتاب الأحكام وصَنَعَ منه ثلاث نُسخ: النسخة الكبرى (مفصلة) والنسخة الصغرى (موجزة) والنسخة الوسطى. وله الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام رسول الله والصالحين. ثم له أيضاً: مُعجزات الرسول - مقالة في الفقر والغنى - تلقين الوليد (كتاب صغير في الحديث يُتَمَثَّل به الصغار) - الواعي (في اللغة) ضاهى (أحب أن يزيد فيه على) كتاب الغريبين للهروي^(٢) - مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب^(٣) - كتاب الأحكام (نفع الطيب ٣: ١٨٠ و ٣٢٩) - الأحكام الصغرى^(٤) (نفع الطيب ٥: ٣٨٩)، وقد شرحه الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مرزوق المتوفى سنة ٧٨١ (راجع نفع الطيب ٥: ٤١٨) - العاقبة (نفع الطيب ٤: ٣٢٨)، وغيرها من كتب الحديث والفقه

(١) الجمع في كتب الحديث: سياقة الأحاديث التي فيها سياقة واحدة (وحذف المكرر).

(٢) هو أبو عبيد (بالضم) أحد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الباشاني (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) له كتاب عنوانه «كتاب الغريبين في القرآن والحديث» أو «كتاب غربي القرآن والحديث» أو «كتاب الغريبين في لغة كلام الله وحديث رسوله» أو «كتاب غربي القرآن والسنة وتفسيرها» (تفسير الألفاظ الغريبة فيها) راجع بروكلمان ١: ١٣٧، الملحق ١: ٢٠٠.

(٣) هو عبد الله بن علي الرشاطي (بضم الراء) الأندلسي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) له كتاب «اقتباس الأنوار والتاس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» (الأنوار جمع نور بضم النون، والأزهار لعلها جمع أزهر أي الأبيض النبيل من الرجال. والآثار جمع أثر أحاديث الرسول).

(٤) يذكر نفع الطيب كتاب «الأحكام» وكتاب «الأحكام الصغرى» على أنها، فيا يبدو، كتابان مستقلان (راجع نفع الطيب ٣: ١٨٠ و ٤: ٣٢٨ ثم ٢: ١٦٤ و ٥: ٣٨٩، ٤١٨).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الحقِّ الإشبيليُّ في الموت:

- * إِنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ لَشُغْلًا وَاذْكَارًا لِذِي النُّهَى وَبَلَاغًا^(١).
 فَاعْتَنِمِ خُطَّتَيْنِ قَبْلَ النَّامَا: صِحَّةَ الْجَسْمِ، يَا أَخِي، وَالْفَرَاغَا^(٢).
 * قَالُوا: صَيْفُ الْمَوْتِ، يَا هَذَا، وَشِدَّتُهُ. فَقُلْتُ - وَامْتَدَّ مِنِّي عِنْدَهَا الصَّوْتُ -:
 يَكْفِيكُمْ مِنْهُ أَنْ النَّاسَ إِنْ وَصَفُوا أَمْرًا يَرَوْعُهُمْ، قَالُوا: هُوَ الْمَوْتُ^(٣)!

- في نفع الطيب (٥: ٣٢٧):

رقيقة - أَلْقَيْتُ لِعَبْدِ الْحَقِّ الْإِشْبِيلِيِّ بَيْتًا هُوَ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ قَصِيدَةٍ:

قَدْ يُسَاقُ الْمُرَادُ وَهُوَ بَعِيدٌ، وَيُرِيدُ الْمُرِيدُ وَهُوَ قَرِيبٌ^(٤).

- ٤ - ** بغية اللئيم ٣٧٨ - ٣٧٩ (رقم ١١٠٤)، التكملة (رقم ١٨٠٧)، فوات الوفيات ١٣١٦: ١، وفيات ابن قنفذ ٢٦٣، الديباج المذهب ١٧٥ - ١٧٧، صلة الصلة ٤ - ١٧، شذرات الذهب ٤: ٢٧١، نفع الطيب ٢: ٦٣٤، ٣: ١٨٠، ٤: ١١٧، ٣١٥، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٥: ٣٢٧، ٣٨٩، ٤١٨ (إشارات مفيدة)، بروكلمن ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٤، الأعلام للزركلي ٤: ٥٢ (٣: ٢٨١)، الأصاله (الجزائر) ٤: ١٩ (ص ٢٥٩)، عنوان الدراية ٧٣ - ٧٦.

أبو القاسم السهيلي

١ - هو أبو القاسم (أبو زيد، أبو الحسن) عبدُ الرحمن بن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ

- (١) المعاد: البحث يوم القيامة. شغل: ما يشغل (يفتح الفين) الإنسان ويقلقه. الأدكار: الذكر والتفكير في العواقب. النهى: العقل. بلاغ: تنبيه، تحذير.
 (٢) الناما جمع منية: الموت. الفراغ: اتساع الوقت للعمل المنتج.
 (٣) يروعهم يدهشهم ويخيفهم معاً.
 (٤) المقصود في هذا البيت غير واضح. ريمًا: يصل الشيء المراد إلى الإنسان بينما ذلك الإنسان يظن أن ذلك الشيء بعيد المثال. ويتضح المعنى إذا نحن قرأنا: ويُراد المراد (يذهب الناس في طلبه إلى مكان بعيد).

أَحَدَ بْنِ أَصْبَغَ بْنِ حُسَيْنَ بْنِ سَعْدُونَ بْنِ رِضْوَانَ بْنِ قَتَّوحٍ الْحُثَمِيِّ السُّهَيْلِيِّ - نِسْبَةً إِلَى سُهَيْلٍ، وَهِيَ قَرْيَةٌ قُرْبَ مَالِقَةَ - الْمَالِقِيِّ. وَجَدَهُ قَتَّوحٌ هُوَ الَّذِي دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ.

وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّهَيْلِيُّ فِي سُهَيْلٍ، سَنَةَ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) وَتَلَقَّى الْعِلْمَ فِي غَرْنَاطَةِ وَإِسْبِيلِيَّةِ، وَرَوَى عَنِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ (ت ٥٤٣ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى مَالِقَةَ وَجَعَلَ يُحَدِّثُ فِيهَا (يَدْرُسُ الْحَدِيثَ).

وَفِي نَحْوِ سَنَةِ ٥٧٧ هـ بَعَثَ الْمَنْصُورُ الْمَوْجِدِيُّ دَعْوَةً إِلَى السُّهَيْلِيِّ فَذَهَبَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى مَرَاكُشَ وَنَالَ حُظُوءَةً عِنْدَ الْمَنْصُورِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبْتَعْ بِهَا طَوِيلًا، فَقَدَّ عَمِيًّا وَشَيْكَاً ثُمَّ تَوَفَّى، فِي ٢٦ شَعْبَانَ ٥٨١ (٢٢ / ١١ / ١١٨٥ م)، فِي مَرَاكُشَ^(١).

٢ - كَانَ السُّهَيْلِيُّ مُحَدِّثًا وَلُغَوِيًّا وَنَحْوِيًّا وَأَدِيبًا شَاعِرًا وَمُؤَلِّفًا. وَمَعَ أَنَّهُ شَاعِرٌ مُقَلٌّ فَإِنَّ لَهُ أَيْبَاتًا مَشْهُورَةً فِي الرِّثَاءِ وَفِي الْمُنَاجَاةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِاللَّهِ. غَيْرَ أَنَّ شُهْرَةَ السُّهَيْلِيِّ قَائِمَةٌ عَلَى كِتَابِهِ «الرَّوْضُ الْأَنْفُ» (وَهُوَ شَرْحٌ لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ). وَلَهُ كُتُبٌ أُخْرَى مِنْهَا: التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ فِي مَا أُبْهِمَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ^(٢). - نَتَائِجُ الْفِكْرِ (فِي النَّحْوِ) - مَسْأَلَةُ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّامِ وَرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْأَمَالِي (أَمَالِي السُّهَيْلِيِّ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ) - الْمَشْرُوعُ الرَّوِّي^(٣) فِيهَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ السَّيْرِ وَالْمَحْتَوَى.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- الْقَصِيدَةُ الْعَيْنِيَّةُ فِي الْإِبْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ (الْمُنَاجَاةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِاللَّهِ):

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ، أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ.
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا، يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمُفْرَعُ،

(١) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ (٣: ٤٠١): كَانَتْ وَفَاتَهُ ٥٨٣.

(٢) أَيِ التَّعْرِيفِ بِالَّذِينَ أُشِيرَ إِلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَذَكَرَ أَسْمَاؤُهُمْ، نَحْوُ: صَاحِبِهِ (٩: ٤١) التَّوْبَةِ) فَإِنَّهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لَا تَحْزَنْ».

(٣) الرَّوِّي: الرَّوَاهُ (الكَثِيرُ، الْعَذْبُ).

يا من خزائن رزقه في قول: «كُن»!
 ما لي سوى فقري إليك وسيلة،
 ما لي سوى قرعي لبابك حيلة،
 ومن الذي أذعو وأهتفُ باسمه،
 حاشا لجودك أن يُقنطَ عاصياً.
 امنن، فإن الخيرَ عندك أجمع^(١).
 فبالافتقار إليك فقري أذفع^(٢).
 فلتين رددتْ فأَيَّ بابٍ أفرعُ!
 إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع.
 الفضلُ أجزل والمواهبُ أوسع.

- أغار الإفرنج على سهيلَ وخرَّبوها فقتل نفرًا من أهل السهيلي وأقاربه، وكان هو غائبًا عن القرية، فجاء إليها ووقفَ على دُورِ أهله وأنشد:

يا دارُ، أين البيضُ والآرامُ، أم أينَ جيرانَ عليٍّ كرامُ^(٣)؟
 رابَ الحبِّ من المنازلِ أنه حيا فلم يرجعِ إليه سلام.
 لما أجابني الصدى عنهم - ولم يلجِ المسامعَ للحبيب كلام^(٤) -
 طارحتُ ورُقَّ حاميها مُترنِّبًا بمقالِ صَبٍّ، والدموعِ سِجَام^(٥):
 (يا دارُ، ما فعلتِ بكِ الأيامُ؟ ضامتكِ، والأيامُ ليس تُضام)^(٦).

- وقال في العتاب:

جَعَلْتُ طريقي على بابهِ وما لي على بابهِ من طريق.
 وعاديتُ من أجلهِ جِيرتي وأخيتُ من لم يكن لي صديق.
 فإن كان قتلي حلالاً لكم فسيروا بروحي سيرا رفيق.

- من مقدّمة كتاب «الروض الأنف»:

- (١) في قول: كُن (الإرادة والسرعة) من قوله تعالى (٣٦: ٨٢ يس): «إِنَّا أَمَرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ».
- (٢) فقري (مفعول به مقدّم) أذفع (فعل مضارع).
- (٣) الرّم: الغزال الأبيض. البيض والآرام (النساء الجميلات).
- (٤) ولج: دخل (لم أسمع جواباً من الحبيب).
- (٥) الورق جمع ورقاء: الحمامة. سجام: منهمة بكثرة.
- (٦) هذا البيت لأبي نواس. ضامه: ظلمه وأذله.

وبعد، فإنني قد انتحيتُ هذا الإملاء^(١)، بعد استخارة ذي الطُول والاستعانة بمن له القدرة والحول^(٢)، إلى إيضاح ما وَقَعَ في سيرة رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - (تلك) التي سَبَقَ إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المَظَلِّي^(٣) ولَخَصَّها عبدُ الملك بن هشام المَفايِرِيُّ المِصْرِيُّ النَّسَابَةُ النَّحْوِيُّ^(٤) مِمَّا بَلَّغَنِي عَنْهُ وَيُسِّرَ لي فَهْمُهُ: من لفظٍ غريب أو إعراب غامض أو كلام مُسْتَعْلَقٍ أو نَسَبٍ عويصٍ أو موضعٍ فَقِهٍ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عليه أو خيرٍ ناقصٍ يُوجَدُ السَّبِيلُ إلى تَتْمِيمِهِ، مَعَ الاعتراف بِكُلُولِ الحَدِّ عَنْ مَبْلَغِ ذلك الحدِّ^(٥). فليس الغَرَضُ المُتَعَمِّدُ أَنْ أَسْتَوِلِيَ على ذلك الأمدِّ^(٦).

إِنَّ هذا الكتابَ سَيَرْدُ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المُقَدَّسَةِ الإِمَامِيَّةِ، وَإِنَّ الإِمَامَةَ^(٧) سَتَلَحَّظُهُ بعين القبول، وَإِنَّهُ سَيُكْتَتَبُ لِلْخِزَانَةِ^(٨) المِبارَكَةِ - عَمَرَهَا الله - بِحِفْظِهِ وَكَلَامَتِهِ^(٩) وَأَمْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَأْيِيدِهِ وَرِعَايَتِهِ... فَتَبَجَّسْتُ لي - بِمَنْ^(١٠) الله تعالى - من المعاني الغريبة عُيُونُهَا، وَاثَالْتُ غُلِي من الفوائد اللطيفة أَبْكَارُهَا وَعُيُونُهَا^(١١).... فَأَعْرَضْتُ

(١) يبدو أَنَّ السَّهْلِيَّ قد أملى هذا الكتاب على سامعين له (طَلَّابٍ أو مُسْتَجِيزِينَ - طالبي شهادة) ولم يدونه بنفسه (أو دونه في زمنٍ مُتَقَدِّمٍ ثم أملاه في التاريخ الذي ذكره في آخر المقدمة - إذ ليس من المَعْفُولِ أَنْ يَمَّ شَرَحَ سيرة ابن هشام على الوجه الذي ترد فيه في «الروض الأنف» في مدى خسة أشهر.

(٢) الطول: الغنى والفضل (التفصيل على الآخرين). الحول: القوة. ذي الطول....: الله تعالى. استخارة الله: الطلب من الله أَنْ يَخِيرَ لَنَا (أَنْ يَوْفِقَنَا إلى الخير فيها نَعْمَلُ).

(٣) محمد بن إسحاق من أهل المدينة (توفي في بغداد، سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م) أقدم الذين كتبوا في سيرة رسول الله. وسيرته هذه مفقودة. ولكن نجد جانباً كبيراً منها في «سيرة ابن هشام» (راجع الحاشية التالية) وبعضها في كتاب «الرسول والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري» (ت ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م). وقيل إِنَّ شَيْئاً منها محفوظ مستقلاً.

(٤) محمد بن هشام من أهل البصرة (توفي في مصر، سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م).

(٥) الكلول والكلال: الضعف. الحدُّ (الأولى): غرار السيف (الجانِب الذي يقطع). كلال السيف (ذهاب حدته وقدرته على القطع). الحد (الثانية): المدى، الفاصل، الغاية.

(٦) استولى (الحصان) على الأمد (الغاية، النهاية): سبق جميع الخيل.

(٧) كتاب «الروض الأنف» جعل يرسم الخليفة عبد المؤمن بن علي (أول سلاطين الموحدين).

(٨) الخزانة (خزانة الكتب): المكتبة.

(٩) كلأ الله فلاناً: حفظه ورعاه.

(١٠) تَجَسَّت: تفجرت. المَن: النعمة.

(١١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). ائثال: انصب، هطل، سقط بكثرة. الفكرة البكر (التي لم تخطر لأحد من قبل). الفكرة العوان (بالفتح): التي سبق أن خطرت للناس).

عن بعضها إثباتاً للإيجاز ودَقِّعَتْ في صدور^(١) أكثرها خَشْيَةَ الإطالة والإملال. ولكنَّ
تحصَّلَ في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب، وأسئلة الرجال والأنساب، ومن
الفقه الباطني الباب^(٢) وتعليل النحو وصنعة الإعراب ما هو مُستخرجٌ من نَيْفِ^(٣)
على مائةٍ وعشرين ديواناً، سوى ما أنتجه صدي وتَفَحَّه فكري وتَنَجَّه نظري^(٤)
ولَقِّنْتَهُ عن مشيخي^(٥) من نُكَبِّ^(٦) علمية لم أُسَبِّقْ إليها ولم أُرَحِّمْ عليها^(٧). كلُّ
ذلك يُمْنُ الله وبركة هذا الأثر^(٨) المُحْيِي لخواطر الطالبين والمُوقِظ لِهَمِّ
المُتَرَشِّدين.

وكان إملائي هذا الكتاب في شَهْرِ الْمُحَرَّمِ من سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ^(٩).
وكان الفراغُ منه في جُمَادَى الْأُولَى من ذلك العام^(١٠).

- ٤ - القصيدة العينية في المناجاة أو الاستغاثة، القاهرة (في مجموع) ١٣١١ هـ.
- الروض الأنف (عبد السلام شقرون)، (مصر المطبعة الجاهلية) ١٣٣١ هـ؛ القاهرة (دار
الكتب الحديثة) بلا تاريخ؛ (طبعة جديدة مضبوطة ومنقحة - عبد الرؤوف سعد)،
القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٧١ - ١٩٧٣ م.
- أمالي السهلي (تحقيق محمد إبراهيم البنّا)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٧٠ م.
- ★ ★ تخميس القصيدة العينية (لإبراهيم السنوسي)، القاهرة (?) (طبع حجر، بلا تاريخ.
- بغية المتلمس - ٣٥٤ - ١٣٥٥ زاد المسافر ١٣٨ - ١١٤٠ التكملة ٥٧٠ (رقم ١٦١٣)،
المغرب ١ : ٤٨٨ المطرب ٢٣٠ وما بعد؛ إنباه الرواة ٢ : ١٦٢ - ١٦٤ نكت الهميان
١٨٧ - ١٨٨؛ وفيات الأعيان ٣ : ١٤٣ - ١٤٤، راجع ١٧٧، ٤٣٦ - ٤٣٧، ٤٣٧، ٩٨،

(١) دفع فلان في صدر فلان؛ رَدَّه، أَخَرَه (تركه).

(٢) الباطن الباب صفتان للفقه (?): المقصود من الفقه وخصائصه.

(٣) نَيْفٌ: أَكْثَرُ.

(٤) ما تفحه (نشره) فكري وتنتجه (وتدَّه) نظري (بحسب في الأمور).

(٥) ما لقننته (فهمته) عن مشيخي (أساتذتي).

(٦) النكتة (بالضم): المسألة الدقيقة (من مسائل العلم أو الأدب)، اللمحة اللطيفة الرائقة.

(٧) لم أُرَحِّمْ عليه: لم يسبقني أحد إليه.

(٨) الأثر (هنا) سيرة رسول الله.

(٩) آب (أغسطس) - أيلول (سبتمبر) من عام ١١٧٣ م.

(١٠) كانون الأول (ديسمبر) من ذلك العام.

٢٣٩: ٧؛ الديباج المذهب ١٥٠ - ١٦١؛ ابن قنفذ ٢٩٢؛ بغية الوعاة ٣٩٨ - ٢٩٩؛
نفع الطيب ١٠٢ - ١٠٣، ٣٣٥، ٣: ٤٠٠ - ٤٠١؛ شذرات الذهب ٢٧١: ٤ -
٢٧٢؛ بروكلمن ١: ٥٢٥ - ٥٢٦، الملحق ١: ٧٣٣ - ٧٣٤؛ الاستقصا ١: ١٨٧؛
الأعلام للزركلي ٤: ٨٦ (٣: ٣١٣)؛ نيكل ٣٢٩؛ مختارات نيكل ١٩٠؛ سركيس
١٠٦١ - ١٠٦٢.

ابن طفيل

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، وُلِدَ نحو ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) في وادي آش قُرب غرناطة. وبعد أن درّس وطبَّ مدةً في غرناطة تولى الحجابة (الوزارة) فيها.

واتصل ابنُ طفيل (٥٤٩ هـ) ببلاط الموحّدين في إفريقية وأصبحَ كاتباً لأسرار أبي سعيد بن عبد المؤمن والي سبّنة وطنجة. ولما جاء أبو يعقوب يوسف إلى عرش الموحّدين (٥٥٨ هـ) أصبحَ ابنُ طفيل طبيباً الخاصّ. ثم اعتزل هذا المنصبَ (٥٧٨ هـ) ولكنه ظلّ يتمتّع بالخطوة في بلاط الموحّدين إلى حين وفاته، سنة ٥٨١ (١١٨٥ م) في مراكش.

٢ - لم يصل إلينا من كتب ابنِ طفيل سوى رسالة واحدة، هي «قصة حيّ بن يقظان»، وغايتها أن تدلّ على نشوء الإنسان الأول من باطن الأرض بلا أب ولا أم، ثم على مقدرة الإنسان ذي الفطرة الفائقة على أن يعرفَ كلّ شيء من مظاهر العالم المادّي ومن العالم الإلهيّ من تلقاء نفسه من غير حاجةٍ إلى معلّم^(١). وتدلّ هذه القصة على براعة ابنِ طفيل في عددٍ كبيرٍ من العلوم إلى جانب أسلوب أدبيّ بارع. وابنُ طفيل أوّل من ساق الآراء الفلسفيّة والعلميّة سياقاً قصصياً^(٢).

(١) إن هذه القصة تمثل تطور الإنسانية وارتقاءها في المدنيّة لا تطور إنسان واحد. وإن كان بعض آراء ابنِ طفيل ينطبق على الفرد الفائق الفطرة (الكثير الذكاء).

(٢) لقد قدّم هذه القصة كتابٌ كثيرون، أشهرهم وأقربهم إليه السياسي القصصي الأدبي دانيال ده فوه (ت ١٧٣١ م) في قصته «روبنسون كروزو». (راجع ابنِ طفيل وقصة حيّ بن يقظان (للمؤلف)، ط ٢، ٩٣ - ٩٧).

٣ - مختارات من آثاره:

- قَالَ ابْنُ طُفَيْلٍ فِي الْغَزَلِ الصَّوْفِيِّ (بِالْعَزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ):

أَلَمَسْتُ وَقَدْ نَامَ الْمَشِيحُ وَهُوَ مَا،

وَأَسْرَتُ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ مِنَ الْحُمَى^(١)

وَجَرَّتْ عَلَى تُرْبِ الْمُحَصَّبِ ذَيْلُهَا، فَمَا زَالَ ذَاكَ التُّرْبُ نَهْأً مُقْسًا^(٢).

وَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا ظِلَامَ يَجْنُهَا، وَأَنْ سُرَاهَا فِيهِ لَنْ يَتَكْتَمَا^(٣)،

نَضَّتْ عَذَابَاتِ الرِّيطِ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا فَأَبَدَتْ مُحْيَاً يَذْهَبُ الْمُتَوَسَّأ^(٤).

فَكُلَّانِ تَجَلَّيْهُمَا جِجَابَ جَمَالِهَا

كُتْمِ الضُّحَى يَمْشِي بِهَا الطَّرْفُ كُلَّمَا^(٥)...

وَلَمَّا التَّقَيْنَا بَعْدَ طَوْلِ تَهَاجُرٍ وَقَدْ كَادَ حَبْلُ الْوَدِّ أَنْ يَنْصَرَمَا

جَلَّتْ عَنْ ثَنَائِيهَا وَأَوْمَضَ بَارِقٌ، فَلَمْ أَدْرِ مَنْ شَقَّ الدُّجْنَةَ مِنْهَا^(٦).

وَقَالَتْ، وَقَدْ رَقَّ الْحَدِيثُ وَأَبْصُرْتُ قَرَائِنَ أَحْوَالٍ أَدْعَنَ الْمُكْتَمَا^(٧)؛

نَشَدْتُكَ، لَا يَذْهَبُ بِكَ الشَّوْقُ مَذْهَبًا يَهْوُنُ صَعْبًا أَوْ يُرَخِّصُ مَأْثَا^(٨).

(١) أَلَمَسْتُ (العزّة الإلهية): زارت عرضاً، اقتربت. المشيح: المعرض بوجهه، الذي أدار وجهه (غفلة عما

ينبذ له). هوم: نام نوماً خفيفاً، جعل رأسه يتأيل من العباس. أسرى: سار ليلاً. وادي الحمى...

أسماء الأمكنة في الشعر الصوفي كتابة عن «المحسوب» ولا قيمة جغرافية لها.

(٢) نهياً مقسماً: يتنازعه الناس حرصاً على الحصول عليه (لأن مرورها بذلك المكان جعل له رائحة طيبة).

(٣) بجنتها: بسترها.

(٤) بضاً: رفع، كشف. العذبة: طرف من الهامة يتدلّى إلى جانب الرأس. الریط: الحرير. المتوسم:

المتطلع: الناظر التأمل (الذي يرجو الخير من ناحية أو يعجب بخيال المنظور).

(٥) التجلي: الظهور. حجاب: غطاء. ستر: الضحى: أول النهار. يعضف: يضعف. الطرف: البصر. (إذا

كان نور الشمس ضعيفاً، فإن الإنسان يستطيع أن يرى جسمها، استدارتها. أما إذا قوي نورها جداً

فإن الإنسان يعجز - بكسر الجيم - عن ذلك).

(٦) حلت: كشفت - الثنايا: الأسنان. أوامض: لمع. الدجنة: الظلام.

(٧) قرائن (دلائل) أحوال (وجوه من السلوك الإنساني) أدعن (كشفت، أظهرن) المكتم (السري: الحب).

(٨) نشدتك: طلبتك (استحلفتك). يهون صعباً (يوهمك أنك تستطيع الاتصال بالعزّة الإلهية) أو يرخص (يجيزه حلاًفاً للعادة). المأثم: الذنب. (تعتقد أن الحب في شأن الله كالحب في شأن البشر).

فَأَمْسَكَتُ، لَا مُسْتَفْنِيًّا عَنْ نَوَالِهَا وَلَكِنْ رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَوْفَى وَأَكْثَمًا^(١).

- من مطلع قصة حيّ بن يقظان:

ذَكَرَ سَلَفُنَا أَنَّ جَزِيرَةً مِنْ جَزَائِرِ الْهِنْدِ الَّتِي تَحْتَ خَطِّ الاسْتَوَاءِ يَتَوَلَّدُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ.... لِأَنَّ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ أَعْدَلَ بِقَاعِ الْأَرْضِ هَوَاءً^(٢).... وَهَذَا الْقَوْلُ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ... لَا يَلِيقُ بِمَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ. وَإِنَّا نَبْهَنَّاكَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَشْهَدُ بِصِحَّةِ مَا ذُكِرَ مِنْ تَحْوِيلِ تَوَلَّدِ الْإِنْسَانِ بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ. فَمِنْ (الْعُلَمَاءِ) مَنْ بَتَّ الْحُكْمَ وَجَزَمَ الْقَضِيَّةَ بِأَنَّ حَيَّ بْنَ يَقْظَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَكُونُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَرَوَى مِنْ أَمْرِ (حَيٍّ) ابْنِ يَقْظَانَ) خَبْرًا نَقَّصَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بِإِزَاءِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مُتَّسِمَةٌ الْأَكْنَافِ كَثِيرَةٌ الْفَوَائِدِ عَامِرَةٌ بِالنَّاسِ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ شَدِيدُ الْأَنْفَةِ وَالْقِيَرَةِ^(٣). وَكَانَتْ لَهُ أُخْتٌُ فَفَضَّلَهَا^(٤) إِذْ لَمْ يَجِدْ لَهَا كُفُوًا. وَكَانَ لَهُ قَرِيبٌ يُسَمَّى يَقْظَانُ فَتَزَوَّجَهَا سِرًّا عَلَى وَجْهِ جَائِزٍ مَشْهُورٍ فِي زَمَانِهِمْ. ثُمَّ إِنَّهَا حَمَلَتْ مِنْهُ وَوَضَعَتْ طِفْلًا. فَلَمَّا خَافَتْ أَنْ يَفْتَضَحَ أَمْرُهَا وَيُنْكَشَفَ سِرُّهَا، وَضَعَتْهُ فِي تَابُوتٍ^(٥) أَحْكَمَتْ زَمَهُ بَعْدَ أَنْ أَرُوْتَهُ مِنَ الرِّضَاعِ. وَخَرَجَتْ بِهِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ خَدَمِهَا وَثِقَاتِهَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ - وَقَلْبُهَا بِحَرَقٍ صَبَابَةٍ وَخَوْفًا عَلَيْهِ - ثُمَّ إِنَّهَا وَدَعَتْهُ وَقَالَتْ:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ خَلَقْتَ هَذَا الطِّفْلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَرَزَقْتَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ وَتَكَفَّلْتَهُ بِهِ حَتَّى تَمَّ وَاسْتَوَى. وَأَنَا قَدْ سَلَفْتُهُ إِلَى لُطْفِكَ وَرَجَوْتُ لَهُ فَضْلَكَ خَوْفًا مِنْ هَذَا الْمَلِكِ الْقَشُومِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ. فَكُنْ لَهُ وَلَا تُسْلِمْهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! ثُمَّ قَدَفَتْ بِهِ فِي الْيَمِّ. فَصَادَفَ جَرِيُّ الْمَاءِ بِقُوَّةٍ فَاحْتَمَلَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى سَاحِلِ الْجَزِيرَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.

(١) النوال: العطاء (الوصال، نيل المأرب من المحبوب).

(٢) المقصود باعتدال المناخ على خط الاستواء: قلة الفرق بين درجتي الحرارة في النهار والليل.

(٣) الأنفة: الاستكبار والرفض. القيرة: الخوف من أن يحصل على الأمر من لا يليق أو من لا يستحق.

(٤) عضل الرجل المرأة: منها أن تتزوج.

(٥) تابوت: صندوق.

- ٤ - حيّ بن يقظان (نشرها بوكوك)، أكسفورد ١٦٧١ م تم ١٧٠٠ م؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٩ هـ؛ الاسكندرية (المطبعة المصرية) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ)؛ القاهرة (مطبعة مصر) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ هـ؛ (نشرها ليون غوتيه)، الجزائر ١٩٠٠ م تم ١٩٣٦ م؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ)؛ (نشرها جميل صليبا وكامل عياد - مع دراسة وافية)، دمشق (مكتب النشر العربي ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م تم ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م تم تم ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م (٤)).
- حيّ بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهورودي (تحقيق أحمد أمين)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٢ م (ذخائر العرب - رقم ٨).
- ★ ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان، تأليف عمر فروخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م تم ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م.
- ابن طفيل (مختارات)، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٨ م.
- ابن طفيل، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الشروق الجديد) ١٩٦١ م.
- نظرات في طبّ ابن الطفيل (كذا) الأندلسي، تأليف شوكت الشطي. دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٢ م.
- الوافي بالوفيات ٤ : ٣٧؛ وفيات الأعيان ٧ : ١٣٤ - ١٣٥؛ المغرب ٢ : ٨٥ - ٨٦؛ المعجب ٢٣٩ - ٢٤٢؛ المنّ بالإمامة ٤١١ - ٤١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٥٧؛ بروكلن ١ : ٦٠٢ - ٦٠٣، الملحق ١ : ٨٣١ - ٨٣٢؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٢٨ (٦ : ٢٤٩)؛ بالنشأ ٣٤٨ - ٣٥٣؛ سركيس ١٤٦؛ تراجم إسلامية لعبد الله عنان ٣١٥ - ٣٢٧.

ابن غلنده الإشبيليّ

- ١ - هو أبو الحكم عبيد الله بن عليّ بن عبيد الله بن غلنّده (أو غلندو) الإفريقيّ الأصل الأمويّ بالولاء، وُلد في سَرَقُسطَة، سَنَة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولما استولى الإسبان على سَرَقُسطَة، سَنَة ٥١٢ هـ (خريف ١١١٨ م) غادرها آل غلنّده إلى قُرْبَة ثم انتقلوا إلى إشبيلية.

اشتغل أبو الحكم بن غلنّده بالطبّ في إشبيلية. ولما استولى عبد المؤمن بن عليّ - أولُ سلاطين الموحّدين - على الأندلس، سَنَة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م)، اتّصل به أبو الحكم ثم انتقل معه، إلى مدينة مَرَاكُش وبقيَ فيها حتّى تُوُفِّي سَنَة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م).

٢ - كان أبو الحكم بن غَلَنْدُه طبيعاً بارعاً كما كان أديباً مُتَفَنِّناً وشاعراً مُجيداً. ثم إنه كان حَسَنَ الخطِّ يكتبُ الخطَّينِ الأندلسيَّ (المَغْرِبِيَّ) والمَشْرِقيَّ. والأبياتُ القليلةُ التي وصلت إلينا من شعر ابن غَلَنْدُه أبياتٌ وَجْدانيةٌ في الوصف والغزل والنسيب والحكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بن غَلَنْدُه في الغزل والوصف:

ماسَتْ فَأَزْرَتْ بالفُصُونِ المَيْسَ ، وَأَتَشَكَّ تَحْطُرُ في غِلَالَةِ سُنْدُسٍ ^(١) .
وَتَبَرَّجَتْ جُنْحَ الظَّلَامِ كأنها شَمْسٌ تَجَلَّتْ في دِياجِي الحِنْدِسِ ^(٢) .
تَحْتَالُ بَيْنَ لَدَائِهَا فتخالها بدرأً بدا بين الجواري الكُنُسِ ^(٣) .
أَرَجَتْ بَرِّيَاها الصَّبَا فتَضَوَّعَتْ أنفاسُها، والصَّبْحُ لم يَتَنَفَّسَ ^(٤) .

- وقال في النسيب:

لَيْنُ غَيْبَتٍ عن عَيْنِي وشَطَّتْ بك النَوَى ، فَأَنْتَ بقلبي حاضِرٌ وقريبٌ .
خَيَالُكَ في وَهْمِي وذِكْرُكَ في فَمِي ومُثْوَاكَ في قلبي، فأَيْنَ تَغِيْبُ!

- في نَفْحِ الطَّيْبِ (٣: ٥٩٧ - ٥٩٨): ومَرَضَ أبو الحَكَمِ بنُ غَلَنْدُه فعاده جِماعَةٌ

(١) ماست: قابلت. أزرت الشيء بالشيء: عابه وأظهر نقصه. خطر: مرَّ وهو يتبختر (معجباً بنفسه).

(٢) الغلالة (بكسر الغين): ثوب رقيق يلبس قريباً من البدن. السندس: ثوب رقيق من الديباج (الحريز).

(٣) تبرجت المرأة: تزينت، أظهرت زينتها. الجُنْح: قطعة من الليل يشتد فيها الظلام. تجلّت: ظهرت، زال عنها الغطاء. الدياجي: الظلمات. الحندس (بكسر الحاء والدال): الظلمة الشديدة (ثلاث ليالٍ في آخر الشهر القمري لا يرى فيها القمر).

(٤) اختال: شئى وهو يتأيل. اللدة (الفناء المقاربة لأخرى في العمر). الجواري الكُنُس: النجوم التي تغيب وراء الأفق (في ليلة البدر يبقى البدر ظاهراً في السماء إلى الصباح. أمّا النجوم فتكس (بكسر النون): تغيب في أوقات مختلفة في أثناء الليل) - يستر البدر نورها.

(٤) أرج الطيب: فاحت رائحته. الرِّيا: الرائحة الطيبة. الصبا: ربيع الشرق. تضوّع المسك: انتشرت رائحته. - ربح الصبا اكتسبت رائحة طيبة من هذه الفتاة فأخذت ربح الصبا تنشر الرائحة العطرة من قبل أن يقترب الصبح ويبدأ تحرك النسيم (الذي يحمل الرائحة وينشرها).

من أصحابه فيهم قَتَى صَغِيرُ السِّنِّ، فَوَقَاهُ (ابنُ غَلَنْدُهُ) مِنْ بَرِّهِ مَا أَوْجَبَ تَغْيِيرَهُمْ
(استغرابَهُمْ وَنُفَرَّتَهُمْ). فَفَطِنٌ (ابنُ غَلَنْدُهُ) لَذلك وَأَنشَدَ ارجحاً .

تَكَثَّرَ مِنَ الإِخْوَانِ لِلدَّهْرِ عُدَّةٌ ۚ فَكَثْرَةُ دُرِّ الْعِقْدِ مِنْ شَرَفِ الْعِقْدِ .
وَعَظُمَ صَغِيرُ الْقَوْمِ وَابْدَأَ بِحَقِّهِ ، فَمِنْ خُنْصَرِي كَفَيْكَ تَبْدَأَ بِالْعَقْدِ (١) .
ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَأَنشَدَهُمْ ارجحاً قَوْلَهُ :

مُعِثُ أَيُوبَ وَالْكَافِي لَذِي النُّونِ يُحِلُّنِي فَرَجاً بِالْكَافِ وَالنُّونِ (٢) .
كَمْ كَرْبِيَّةٍ مِنْ كُرُوبِ الدَّهْرِ فَرَّجَهَا عَنِّي ، وَلَمْ يَنْكَشِفْ وَجْهِي لِمَنْ دُونِي (٣) !

٤ - معجم الأدياء ١٠ : ٢٤٥ - ١٢٤٦ تكلمة الصلة ٢ : ١٥٣٩ نفع الطيب ٣ : ٥٩٧ - ٥٩٨
الأعلام للزركلي ٤ : ٣٥١ (١٩٥) .

أبو الحسن بن لبَّال

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ أحدَ بنِ عليِّ بنِ لبَّالِ (ولبَّالُ اسمُه فَتَحٌ) بنُ أُمَيَّةَ بنِ
إِسْحاقَ القُرَشِيِّ الأُمَوِيِّ الأَنْدَلِسِيِّ ، وُلِدَ فِي شَرِيشَ شَذُونَةَ (بِجَنُوبِ الأَنْدَلُسِ) سَنَةَ
٥٠٩ هـ (١١١٦ م) . وَرَوَى ابْنُ لَبَّالِ عَنِ جَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَشُرَيْحُ وَأَبُو بَكْرٍ
ابْنُ طَاهِرٍ وَأَبُو الْحَجَّاجِ الأَنْدَلِيُّ وَأَبُو الْفَضْلِ بنُ الأَعْلَمِ وَابْنُ فَنْدَلٍ .

احتاج أهلُ شَرِيشَ إِلَى قَاضٍ . فَاجْعَمُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ قَاضِيَهُمْ ابْنُ لَبَّالِ فَأَبَى
وَلَكِنَّهُمْ أَصْرَوْا قَوْلِي الْقَضَاءِ مُكْرَهَا . ثُمَّ عَزَلَ عَنْهُ .

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ لَبَّالِ فِي ثَالِثِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٥٨٣ هـ (١١٨٨/٢/٤ م) .

(١) حينما يبدأ الإنسان بالمد على أصابعه يعقد (بكر القاف) ، أي يطوي خنصره (يصبغ الصغيرة) للدلالة
على « الواحد » ثم البنصر للدلالة على « الاثنين » الخ .

(٢) النبي أيوب مرض مرضاً شديداً طويلاً ثم أغاثه (شفاه) الله . وذو النون سقط في البحر وابتلته الحوت
فأنجاه الله . وإن الله سيحلني (يخلصني) فرجاً ويكشف عني الضيق بين الكاف والنون (بسرعة) - في
القرآن الكريم (٣٦ : ٨٢ يس) : « إِنَّا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ » .

(٣) لم ينكشف وجهي (لم أشك) ، لم أتذلل (لم أدوني (لمن هو أقل مني : لأحد من الناس) .

٢ - كان أبو الحسن بن لبّال رجلاً صالحاً ورعاً زاهداً، وكان مُحَدَّثاً وفقياً وأديباً
ناثراً شاعراً، له شعرٌ في الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الحِجَاز وفي عددٍ من
الأغراضِ الوُجْدانية ثم في المدح والثناء والوصف والألغاز. وَصَنَّفَ شرحاً لمقاماتِ
الحريري.

٣ - مختارات من شعره:

- لَمَّا وَلِيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ لَبَّالٍ الْقَضَاءَ كَارَهَا قَالَ:
كُنْتُ، مَذُ كُنْتُ، كَارَهَا أَنْ أَلِيَ خُطَّةَ الْقَضَا.
لَمْ أَرُدْهُ، وَإِنَّا سَاقِي نَحْوَهَا الْقَضَا^(١)!
- ثُمَّ قَالَ حِينَ زَالَ عَنِ الْقَضَاءِ:
حُبِلْتُ عَلَى الْقَضَاءِ وَلَمْ أَرُدْهُ، وَكَانَ عَلَيَّ أَثْقَلُ مِنْ ثَبِير^(٢).
فَلَمَّا أَنْ عَزَلْتُ جَعَلْتُ أَشْدُو: لَقَدْ أَتَقَذْتُ مِنْ شَرِّ كَبِير.
- وَقَالَ لَمَّا تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ:
لَمَّا تَقَوَّسَ مِنِّي الْجِسْمُ عَنْ كَبَرٍ فَايْبِضُ مَا كَانَ مُسَوِّدًا مِنَ الشَّعَرِ،
جَعَلْتُ أَشْيَ كَأَنِّي نَصْفُ دَائِرَةٍ تَشِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ قَوْسٌ بِلَا وَتَر!
- وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:
قَوْسٌ ظَهَرَ الْمَشِيبُ وَالْكَبَرُ. وَالدَّهْرُ، يَا عَمْرُو، كُلُّهُ غَيْرُ^(٣).
كَأَنَّنِي، وَالْعَصَا تَدِبُ مَعِي، قَوْسٌ لَهَا، وَهِيَ فِي يَدِي وَتَر.
- وَقَالَ فِي الْجَلَمَيْنِ (الْمَقْصَصِ):
وَمُعْتَنِقَيْنِ مَا أَنَّهُمَا بَعْثَقِ، وَإِنْ وَصِفَا بَضْمٌ وَاعْتِنَاق.

(١) ألي: أتولى. خطّة (منصب) القضاء.

(٢) ثبير: اسم جبل.

(٣) الغير = غير الدهر: أحداثه التي تتغيّر بالناس وتزل بهم المصائب.

لَعَمْرُ أَيْبِكَ، مَا اجْتَمَعَا لِمَعْنَى سِوَى مَعْنَى الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ.

٤-★★ المغرب ١: ٣٠٣ - ٣٠٤، المطرب ٩٧ - ٩٩، تحفة القادم ٧٤، التكملة رقم ٦٧٣ (رقم ١٨٧٤)، الذيل والتكملة ٥: ١٦٩ - ١٧١، صلة الصلة ١٠٨ - ١٠٩، نفع الطيب ٣: ٤٤٢، ٤: ٢٣١ - ٢٣٤، الأعلام للزركلي ٥: ٦١ (٤: ٢٥٦).

ابن غالب الفرناطي

١- هو الحافظ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ غَالِبِ الْفَرْنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَلَا نَعْلَمُ مِنْ أَخْبَارِهِ سِوَى أَنَّهُ عَاصَرَ أَبَا سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَاتَّصَلَ بِهِ حِينَ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ وَالِيًا عَلَى غَرْنَاطَةِ (٥٥٥ - ٥٧١ هـ). وَهَنَالِكَ إِشَارَةٌ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ١٨١ - ١٨٢) أَكْثَرُ دَقَّةٍ، هِيَ: ذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ الْفَقِيهَ أَبَا جَعْفَرٍ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ الْخَزَرَجِيَّ الْقُرْطُبِيَّ لَهُ كِتَابٌ كَبِيرٌ بَدَأَ فِيهِ مِنْ بَدْوِ الْخَلِيقَةِ إِلَى أَنْ أَنْتَهَى، فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ، إِلَى دَوْلَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (بْنِ عَلِيٍّ). قَالَ (ابْنُ غَالِبٍ): «وَفَارَقْتُهُ سَنَةَ ٥٦٥ هـ». وَبِمَا أَنَّ الْأَدْبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ لَا يَتَّصِلُونَ عَادَةً بِالْحُكَّامِ وَالْأَغْنِيَاءِ إِلَّا فِي مَطَالَعِ حَيَاتِهِمْ أَوْ عِنْدَ بُلُوغِ أَشُدِّهِمْ، فَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ غَالِبٍ قَدْ عَاشَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ (أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ).

٢- عُرِفَ لِابْنِ غَالِبٍ كِتَابٌ يُشَارُ إِلَيْهِ عَادَةً بِاسْمِ «فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ». أَمَّا عُنْوَانُهُ الْكَامِلُ فَيَبْدُو فِي الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي عُثِنَتْ بِابْنِ غَالِبٍ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ: فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ لِلْأَثَارِ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي فِي الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ (... فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ).

وَيَبْدُو - مِمَّا ذَكَرَهُ لُطْفِي عَبْدِ الْبَدِيعِ (رَاجِعْ رَقْمَ ٤) أَنَّ كِتَابَ فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ كَانَ كَبِيرًا وَأَنَّهُ قِسْمَانِ أَوَّلُهُمَا الْقِسْمُ الْمُسَمَّى «فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ لِلْأَثَارِ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي فِي الْأَنْدَلُسِ» (وَهُوَ قِسْمٌ جُغْرَافِيٌّ وَاسِعٌ) ثُمَّ ثَانِيهَا الْقِسْمُ الْمُسَمَّى «فَرَحَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي أَخْبَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ» - أَوْ فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ - «(وَهُوَ قِسْمٌ تَارِيخِيٌّ أَدْبِيٌّ).

والظاهرُ أيضاً أنَّ ابنَ غالِبٍ كان يريدُ بكتابهِ هذا أن يُعَدِّدَ مآثرَ الأندلسيين وأن يُبينَ فضلَهُم على غيرِهِم ويذكرُ جمالَ بلادِهِم ومكانَتِها.

٣ - مختارات من آثاره:

- أهل الأندلس (نفع الطيب ٣: ١٥٠ - ١٥١) عن « فرحة الأنفس »:

وأهلُ الأندلسِ عربٌ في الأنسابِ والعِزَّةِ والأَنفَةِ^(١) وعُلُوُّ الهِمَمِ وفصاحةُ الألسُنِ وطيبُ النفوسِ وإباءُ الضيمِ وقَلَّةُ احتِمالِ الدَّلِّ والسَّاحَةِ^(٢) بما في أيديهِم والنزاهةُ عن الخُضُوعِ وإتيانُ الدِّينَةِ. (وهم) هِنْدِيُّونَ في إفراطِ عِنايتِهِم بالعلومِ وحُبِّهِم لها وضَبْطِهِم لها وروايَتِهِم، بَعْدَادِيُّونَ في ظَرْفِهِم ونظافتِهِم وِرْقَةُ أخلاقِهِم ونَبَاهَتِهِم وذُكائِهِم وحسنُ نظَرِهِم وجُودَةُ قرائِحِهِم ولُطافَةُ أذهانِهِم وجِدَّةُ أفكارِهِم ونُفُوذُ خواطِرِهِم، يونانيُّونَ في اسْتِنْباطِهِم للمِياهِ ومُعاناتِهِم لِضُروبِ الغِراساتِ^(٣) واختيارِهِم لأَصنافِ الفواكِهِ وتدييرِهِم لِتركيبِ الشَّجَرِ^(٤) وتَحْسينِهِم للبساتينِ بأنواعِ الخُضَرِ وصُنُوفِ الزَّهَرِ. فَهَمُّ أَحْكَمِ الناسِ لأسبابِ الفِلاحَةِ. ومنهُم ابنُ بَصَالٍ صاحبُ « كتابِ الفِلاحَةِ » الذي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ بفضلهِ. وَهَمُّ أَصْبَرِ الناسِ على مُطاوَلَةِ التَّعَبِ في تجويدِ الأعمالِ ومُقاساةِ النَّصَبِ^(٥) في تحمينِ الصَّنائعِ، أَحَدَقُ الناسِ بالفُرُوسِيَّةِ وأَبْصَرُهُم بِالطَّعْنِ والضَّرْبِ.

- عبد الرحمن الناصر والمليَّة^(٦) الصُّغرى في قصره (قطعة من كتاب فرحة

الأنفس ٣٣ - ٣٤):

وكان (عبدُ الرحمنِ الناصرُ) قد اتَّخَذَ، لِسُقْفِ المِليَّةِ الصُّغرى التي كانت ماثلةً

(١) العِزَّةُ: القُوَّةُ (المادَّةُ والمعنوية). الأَنفَةُ: الحِصَّةُ (التَّرفُّعُ عن الأَهلِ التي لا تليق).

(٢) السَّاحَةُ: الكَرَمُ.

(٣) ضُروب: أنواع. الفُرس: نِصَبُ الأشجارِ (الزَّرعُ لما له ساقٌ لَبَنَةٌ، والفُرسُ لما له ساقٌ قاسيةٌ خشبيَّة).

(٤) تركيبُ الشَّجَرِ: نِصْبُهُ والعِنايةُ بِهِ، (تطعيمُهُ = مِزجُ نوعٍ من فصيلةٍ بنوعٍ آخَرَ مِنْهَا).

(٥) النَّصَبُ: التَّعبُ.

(٦) المِليَّةُ: غُرفةٌ (مُفَرَّدةٌ) في أعلى البِنااءِ.

على الصَّرح المدود، قراميد^(١) ذَهَبَ وَفِضَّةً، وأنفق عليها مالا جزيلاً وجعلَ سُقْفَهَا صفراءَ فاقمةً إلى البياض^(٢)، بياضاء ناصعةً تسلُّبُ الأبصارَ بمطارج أنوارها المُشْتَمِعة^(٣)، وجلسَ فيها، إثرَ تمامها، لأهل مملكته، فقال لِقَرَابَتِهِ وَمَنْ حَضَرَهُ من الوزراء وأهل الخِدْمة مُتَخَجِّراً عليهم بما صنعه من تلك البدائع: هل رأيْتُمْ أو سَمِعْتُمْ مَلَكاً قَبْلِي فعلَ مثلَ فِعْلي أو قَدَرَ عليه؟ قالوا: لا، والله، يا أمير المؤمنين. وإنَّكَ لَأَوْحَدٌ في شأنك كُلِّهِ، وما سَبَقَكَ في مُبْتَدَعاتِكَ هذه مَلَكٌ، وما بَنَاهُ، ولا أَنتَهَى إلينا خَبَرُهُ. فَانْهَجَهُ قَوْلُهُمْ وَسَرَّهُ تَنَاوُهُمْ. وَبَيْنَا هو كذلك سادراً ضاحكاً^(٤) دخلَ عليه القاضي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلْوطِيِّ واجِياً ناكساً رأسه^(٥). فلما استقرَّ في المجلس قال له (عبدُ الرحمن الناصر) كالذي (كان قد) قالَ لوزرائه مِنْ ذِكْرِ السُقْفِ وأقْتداره. فأقبلتْ دموعُ القاضي تَنْحَدِرُ على لِحْيَتِهِ، وقال: والله، يا أمير المؤمنين، ما ظَنَنْتُ أن الشَّيْطَانَ - أخزاه اللهُ - يبلُغُ منك هذا المَبْلَغَ، ولا أن تُمَكِّنَهُ من قِيادِكَ هذا التَّمَكِّينَ، مَعَ ما آتاك اللهُ وَفَضَّلَكَ على العالمين، حتَّى أنزَلَكَ منازلَ الكافرين. قال: فأقشمر^(٦) عبدُ الرحمن من قَوْلِهِ، وقال: انْظُرْ ما تقولُ. كيف أنزَلَنِي (اللهُ) منازلَ الكافرين؟ قال (مُنْذِرٌ): نَعَمْ. أليس اللهُ تعالى يقولُ^(٧): «ولولا أن يكونَ الناسُ أُمَّةً واحدةً^(٨) لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا من فِضَّةٍ ومِمارِجَ عليها يَظْهَرُونَ»^(٩)؟ قال فَوَجَّهَ عبدُ الرحمن وَنَكَّسَ رأسَهُ مَلِئاً^(١٠)، ودُمُوعُهُ على لِحْيَتِهِ تجري

(١) القرميد: الآجر (طين مطبوخ على شكل حجارة البناء).

(٢) الفاقع: اللون الصافي الناصع. لعلَّ الجملة.... صفراءَ فاقمةً (مائلةً) إلى البياض (أو) بياضاء ناصعة.

(٣) مطارج الأنوار: الأماكن التي يقع عليها الضوء حول الجسم المنير.

(٤) السادر: المتحير البصر.

(٥) واجياً (ساكتاً) ناكساً (خافضاً) رأسه.

(٦) أقشمر (جلد الإنسان): رجع (من هول أو خوف مفاجيء).

(٧) القرآن الكريم ٤٣: ٣٣، (سورة الزخرف).

(٨) تفسير الآية: إنَّ الناسَ كُلَّهُم (قبل الإسلام) كافرون لا فرق بينهم. ولولا ذلك لجعلنا للنبي يَكْفُرُ (وهو واحد من جلع مؤمنين) كلَّ أسباب الترف (في هذه الحياة الدنيا وحدها) ثم لا ينال شيئاً في الآخرة سوى العذاب.

(٩) المِراج (بالكسر) والمرج (بالفتح أو بالكسر) جمعها مِمارِج. المصد (أو السكبان العالي يبرز عليه الناس من مكان بطل على مشهد ما).

خُشوعاً لله تعالى . ثم أقبلَ على مُنذِرٍ وقال: جَزَاكَ اللهُ خيراً عَنِّي وعن جميع المسلمين، وَكَثَّرَ في المسلمين أَمْثَالَكَ، فالذي قُلْتُ، والله، الحقُّ. وقام مِنْ مَجْلَسِهِ وهو يستغفرُ الله. وأمرَ بِنَقْضِ^(١) سَقْفِ القُبَّةِ وأعادَ قِرامِيدَها ثُراباً.

- ٤- نص أندلسي جديد: قطعة من كتاب « فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس » (تحقيق لطفي عبد البديع)، مصر (مطبعة مصر) ١٩٥٦ م.
- ★ المغرب ١: ١٧٧-١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٥٠-٢٥١، ٢٢٧، نفع الطيب ١: ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢-٢٠٣، ٢٩٠-٢٩١، ٢٩٥، ٤٥٩، ٣: ١٥٠-١٥٢، ٣٨٦، ٤٠٥-٤٠٧ (?) سوى إشارات في أماكن أخرى.

الكتندي

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن خليفة بن أبي العافية الكُتْنُديُّ أو القُتْنُديُّ^(٢) الأزديُّ الغرناطيُّ الإلبيريُّ الأصل، وُلِدَ (بغية الوعاة ٦٥) سَنَةَ ٥٠٦ هـ (١١١٢-١١١٣ م). بدأ تَعَلُّمه في مُرْسِيَّةٍ ثمَّ أُنْتَقَلَ إلى غرناطة فسكَّنها مُدَّةً ثمَّ سكن مالقة.

سَمِعَ الكُتْنُديُّ من أبي بكر بن العَرَيِّ (ت ٥٤٣ هـ) ومن أبي الوليد بن الدبَّاغ (ت ٥٤٦ هـ) وأبي بكر بن مسعود الحُشَنِي. وقد لَقِيَ الشاعر ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) وابن دَحِيَّةَ صاحبَ «المُطَرَّب» (ت ٦٣٣ هـ). وكانت وفاة الكُتْنُديِّ في غرناطة سَنَةَ ٥٨٣ أو ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م).

٢- كان الكُتْنُديُّ لُغَوِيًّا وأدبياً وشاعراً مُكثراً مُجيداً، حَسَنَ الغَزَلِ والرائع.

(١٠٠) ملياً: طويلاً.

(١) نقض: هدم.

(٢) كتندة قرب سرقسطة. القُتْنُدي (راجع المطرب، ص ٨١، السطر العاشر، والهامية ١).

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكُتْنُديُّ في النسيب يُخاطب سَرَحَةَ، تَما يُذَكِّرنا بِجُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ^(١) :
يا سَرَحَةَ الحَيِّ يا مَطُولُ، شَرَحُ الَّذِي بَيْنَنا يَطُولُ^(٢).
عِنْدِي مَقالٌ، فَهَلْ مُقامٌ تُصَفِّينَ فِيهِ لِي أَقولُ^(٣)؟
وَلِي دِيونٌ عَلَيَّسِكَ حَلَّتْ لَوْ أَنَّه يَنْفَعُ الحُلُولُ^(٤)
ماضٍ مِنَ العَيْشِ كانَ فِيهِ : مَنَزَلُنا ظِلُّكَ الظِّلِيلُ^(٥)!
زَالٌ. وما عَلَيْهِ، ماذا، يا سَرَحَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ يَزُولُ^(٦)؟
حَيًّا عَنِ الذَّنْفِ المُعْنَى مَنَبَّتِكَ القَطَرُ والقَبُولُ^(٧)!

- وفي المغرب (٢: ٢٦٤) مطلعٌ بارِعٌ رقيقٌ في رثاء السيدِ عِثانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ المُوَحِّدِيِّ:

يَذْهَبُ المُلْكُ، وَيَبْقَى الأَثَرُ. هَذِهِ المَخالَةُ، أَيْنَ القَمَرُ؟
- وَلَهُ فِي النسيبِ (ذِكْرَى نَهْرٍ شَنِيلٍ فِي غَرناطَةِ):
هَذَا لسانُ الدَّمعِ يُمِلِّي الغَرامُ فِي صَفْحَةٍ أَثَرٌ فِيها السَّقامُ^(٨).

- (١) لما أعلن عمر بن الخطاب أن الذي يشبب بامرأة يعاقب بالجلد، احتال حميد بن ثور (ت نحو ٤٠ هـ = ٦٦٠ م) بأن خاطب سرحة (شجرة) فقال: «أبي الله إلا أن سرحة مالك.... تروق».
- (٢) المطول: (المراة) التي تختلف مواعيدها.
- (٣) مقام (بضم الميم): إقامة، وقوف.
- (٤) الحلول: حلول وقت الوعد (أنت تقولين: ألتاك في اليوم الفلاني. ثم يحل اليوم الفلاني فلا تجيئين إلى الموعد).
- (٥) كان ظلك منزلاً كنّا نلتقي دائماً ولا نفترق).
- (٦) يا سرح (منادى مرخّم: حذف آخره - يا سرحة)، فالفتحة على الميم هي فتحة الميم الأصلية وليست علامة للإعراب.
- (٧) الدنف: المريض (المحب) الذي اقترب من الموت (الهلاك والعذاب في الحب). المعنى: المشغول، المهموم، المذبذب. القطر: المطر. القبول: ربح الصبا (الشرق) أحسن الرياح في نجد تهبّ باردة بليلة (لأنها تأتي من جبال فارس مارةً فوق خليج البصرة). - حيّا القطر (نزل فيك المطر) والقبول (طاب مناخك) في منبتك (بيتك).
- (٨) في صفحة: في وجه. السقام: المرض والنحول.

عهدٌ لِهَنْدٍ لم يكنْ بالذي
يا نهرَ إشنيل، ألا عودَةٌ
ما كان إلا بارقاً خاطفاً
لله يومٌ منسـه لم أنسه،
إذ هندُ غصنٌ بينَ أغصانها
كالدَّوحِ يثنيه هديلُ الحمام^(١).

٤- ** زاد المسافر ١٩٥ منهاج الرعيني ١٦٦ المغرب ٢: ٣٦٤ - ٢٦٥ المطرب ٨١ -
١٨٢ الوافي بالوفيات ٣: ٢٣٢ بغية الوعاة ٦٥: ٣ نفع الطيب ٣: ٤٩٧ - ٤٩٨،
٥١٣ وما بعد، ٤: ٢٩٧ - ٢٩٨ الذيل والتكملة ٦: ٣٤٩ - ٣٥٠ (رقم ٩٣٥).

ابن زرقون

١- هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مُجاهد الأنصاري، أصلُ أهلِه من بَطْلِيَّوسَ، وكانَ مولدُه هو في شَريشَ في مُنتَصَفِ ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٥٠١ (١١٠٧/١١/٢ م). تلقى العلمَ على نَفَرٍ منهم أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ الحَوْلَانِي (ت ٥٣٥ هـ) وعبدُ الرحمن بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَتَّابٍ (ت ٥٢٠ هـ). ونقلَه أبوه إلى مَرَاكُشَ فَلَقِيَ فيها أبا عِمْرَانَ موسى بنَ عبدِ الرحمن بنِ تليدِ الشاطِئِي (ت ٥١٧ هـ).
ثم عاد ابنُ زرقونِ إلى الأندلسِ وتحوَّلَ فيها وصَحِبَ الفقيهَ الكاتبَ ابنَ عَبْدِونِ (ت ٥٢٩ هـ). ولازمَ أيضاً القاضيَ عِيَّاضَ بنَ موسى (ت ٥٤٤ هـ) مُدَّةً طويلةً.
وقد تولَّى ابنُ زرقونِ القضاءَ في سَبْتَةِ (من المَغْرِبِ) وشِلْبَ (في جَنُوبِ غربيِ الأندلسِ). وكانت وفاةُ ابنِ زرقونِ في إشبيليةَ في مُنتَصَفِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٨٦ (١١٩٠/٨/١٦ م).

- (١) تقدح فيه: شغفه، نعيبه، تؤثر فيه. النفثة: النفقة (كانت الساحرات إذا أردن الإضرار بشخص قرأن اسمه على خيط مراراً، وكلما قرأن الاسم مرّة عقدن في الخيط عقدة ثم نفثن عليها).
(٢) وذكر ما أولاه (ما صنعه لنا من المعروف) أولى (أحق أحداً) ذمام (عهد): أحق العمود بالحفظ (الحب).
(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة. يثنيه: يبيله، يميل به. الهديل: صوت الحمام.

٢ - كان ابنُ زرقونٍ عارفاً بالحديثِ والفقه، وكان قاضياً قديراً نزيهاً. ولكن يبدو أنه كان ظريفاً فنظّم أشياء من الشعر كان يتملّحُ بها ولم يكن يُواقعُ ما ذكره فيها من المَرَحِ أو المَجونِ. وفي شعره شيءٌ من السُهولة والعُدوبة وشيءٌ من الجفاف. وكان له نثرٌ جيّد.

وابن زرقونٍ مؤلّفٌ له: الأنوارُ في الجمع بين المنتقى والاستذكار (والثاني منها لابن عبد البرّ على القطع) - وكذلك جَمَعَ بين «الجامع الكبير» للترمذي و«سنن» أبي داوود (في الحديث).

- مختارات من آثاره:

- قال أبو عبد الله محمدُ بنُ زرقون في النسيب والمجون والزُهد (نفع الطيب ٣: ٤٧٤ - ٤٧٥):

دَكَرَ العَهْدَ والديارَ غريبٌ	فجرى دمه وَلَجَ النحيبُ ^(١) .
ذكر العهدَ والنوى من حبيبٍ؛	حبذا العهدُ والنوى والحبيبُ ^(٢) ،
إذ صفاءُ الودادِ غيرُ مشوبٍ	يَتَجَنَّ، ووُدُنَا مشوب ^(٣) ؛
وإذا الدهرُ دَهَرْنَا، وإذا الدا	رُ قَريبٌ؛ وإذ يقولُ المريبُ ^(٤) :
وقيانُ الأوتارِ تُسعيدُها الأط	سارُ، والروضُ زاهرٌ مخضوب ^(٥) .
ووشاحي معاصمٌ لَوَتْ الشو	قَ علينا وظاهرَتها القلوبُ ^(٦) .

(١) العهد المدة السعيدة التي كان قد قضاها، أو كان يتخيّل أنه قضاها). لَجَ: غادى، استمرَّ، ازداد قوة. النحيب: ارتفاع الصوت بالبكاء.

(٢) النوى: البعاد، الفراق.

(٣) مشوب (مزوج بشيء أقلّ قيمة منه). التجنّي: اتّهام شخص شخصاً آخر بذنب ظلماً. مشوب: متوقّد (قويّ)، فائز، عظيم.

(٤) الدهر دهرنا: موات لنا (موافق لهوانا). المريب: السيء الظنّ بالناس (وهو على غير الحق).

(٥) القينة: المرأة المغنّية الجميلة. قبان الأوتار (العارفات على الآلات الموسيقية). تسعدها: تساعد، تحاربها بالغناء). مخضوب: (ذو ألوان عديدة).

(٦) الوشاح (ثوب مزركش يوضع على القسم الأعلى من الجسم) معاصم (المقصود: أيد). لوى: عوج. كلّ =

وفراشي بطنٌ وصَدْرٌ وَنَهْدٌ، وعليها مِنِّي رَفِيقٌ طَبِيبٌ^(١).
واللّمي والرُّضابُ كَأَسِيٍّ وَخَرِيٍّ، حَبْدًا الكَأْسُ، حَبْدًا المشروب^(٢).
وَحِمَى الْأَزْرِ لِي مُبَاحٌ، وَحُكْمِي نافذٌ فِيهِ. وَالْفِعَالُ ضُرُوبٌ^(٣).
وَإِذَا مَا الْحِمَى أَغَارَ عَلَيْهِ حَاقِذُ الطَّمَنِ، فَالْحِمَى مَنْهُوبٌ.
أَسْأَلُ اللَّهَ عَفْوَ، فَلْتَن سَا ءِ مَقَالِي لَقَدْ تَعَفَّ الْقُلُوبُ.
قَدْ يَنَالُ الْفَتَى الصَّفَاثَرُ ظَرْفًا لَا سِوَاهَا، وَلِلذَّنُوبِ ذَنُوبٌ^(٤).
وَأَخُو الشَّعْرِ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ؛ وَسَوَاءٌ صَدُوقُهُ وَالْكَذُوبُ^(٥).

٤-★★ التكملة ٢٥٦ - ٢٥٧ (رقم ٨٢٤)؛ بغية الملتبس ٧٠ (رقم ١٣٨)؛ الوافي
بالوفيات ٣: ١١٠٢ المطرب ٢١٩ - ١٢٢٢ وفيات ابن قنفذ ١٢٩٥ نفع الطيب
٢: ١١٥ تم ١٦٢، ١٦٤، ٥٩٧، ٦٠٣ (لعلها لابن زرقون هذا، مع أنها وضعت في
الفهرس لابن زرقون آخر) تم ١٠٣ و ١٠٤ (ولا يظهر اسم «ابن زرقون» في
الصفحتين المشار إليهما)، ٣: ١٣٥، ١٣٧، ٤٤٦، ٤٤٧ (بيت شعر)، ٤٧٤ -
٤٧٥ (سبعة أبيات من الشعر)، ٥٢٠، ٤: ٣٢٣ - ٣٢٤ الأعلام للزركلي ٧:
١٠ - ١١ (١٦: ١٣٩)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٠٣ - ٢٠٨ (رقم ٥٩٧).

أبو بكر بن مغاور

١- هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بن حَكَم بن مُغَاوِر السَّلَمِيُّ من
أهل شاطبة وَلَدَ فِيهَا سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م). وَاتَّخَذَهُ أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ عَبْدِ
اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ كَاتِبًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَاطِبَةَ سَنَةَ ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

= واحد منا كان يحيط الآخر بذراعيه. وظهرتها (نصرتها، وافقتها): حبنا كان حقيقياً (من القلب إلى القلب).

- (١) مني (بكسر فكسر): مني (بكسر فتشديد). رفيق: متأن، لطيف. طبيب: عارف، عالم.
- (٢) اللمي: السمرة في الشفاء. الرضاب: الرقيق ما دام في الفم.
- (٣) الإزار (بالكسر) ثوب يلف به القسم الأدنى من الجسم. حى الإزار: ما يغطي (ما يستره الإزار).
الفعال (بالكسر): الأفعال، الأعمال. ضروب: أنواع (كتابة عن البراعة في أعمال عديدة).
- (٤) الصفاثر (الذنوب الصغيرة). ظرفاً: تسلياً وتلحاً. ذنوب (بالفتح): خطئ (قسم) من العقاب.
- (٥) الجناح: الذنب. الصدوق: (الشعر) الصادق (في الجدة). الكذوب (الشعر) الكاذب (في المزج).

٢ - كان أبو بكر بن مُغاورٍ من جِلَّةِ الأدباءِ والكَتَّابِ ومِنَ الفُقهاءِ أيضاً. له نثرٌ وشعرٌ. في شعره مِثَالَةُ وشيءٌ من المَرَجِ وهجاءٌ كثيرٌ. وقد جَمَعَ ابنُ مُغاورٍ شيئاً من نثره وشعره في كتابٍ سَمَّاهُ «نُورُ الكَلَامِ وَسَجْعُ الحِمْيَامِ».

٣ - مختارات من شعره:

- عَلَيَّ أَخُو أَبِي بَكْرٍ بِنِ مُغَاوِرٍ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي يَنْتَقُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

بَنِي يَنْتَقُ، كُفُّوا عَيُونَ طِبَائِكُمْ؛ فَمَا بَيْنَنَا ثَارٌ وَلَا بَيْنَنَا دَخْلٌ^(١).
أَسَوَّغْتُمُ الشَّهْدَ الْمَشُورَ لَطَاعِمٍ وَقَلْتُمْ: حَرَامٌ أَنْ يُلِمَّ بِهِ النَّحْلُ^(٢)؟
إِذَا مَا تَصَدَّتْ بِالطَّرِيقِ طَرُوقَةٌ فَغَيْرُ نَكِيرٍ أَنْ يَهِيَّجَ لَهَا الْفَعْلُ^(٣)!

- وقال أبو بكر بن مُغاورٍ يهجو قاضياً يرتشي فينقضُ في المساء ما كان قد حكم به في الصباح:

لَا تَظُنُّوا ابْنَ بَيْشَ فِي قَضَايَاهُ يَرْتَشِي.
إِنَّمَا الشَّيْخُ هُلْهُلٌ؛ فَهُوَ يَصْحُو وَيَنْتَشِي^(٤).
فَتَرَى الْحُكْمَ غُدُوَّةً وَتَرَى النِّقْضَ بِالْعَشِيِّ^(٥).

- كان ابنُ مُغاورٍ في شيخوخته يَحْمِلُ عَصاً، فرآه شخصٌ وقال له - كأنه يهزأ به - : أَنْتَ صَاحِبُ الْجَسَمِ! فَقَالَ ابْنُ مُغَاوِرٍ:

قَالَ لِي - يَهْزَأُ - مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ! مِنْ مَلَأَمَةٍ^(٦)،
إِذْ رَأَى كَفِّي دَابِئاً بِعَصَاهَا مُسْتَهَامَةٍ^(٧).

(١) طِبَاوِظٌ: نساؤكم. الذحل: العداوة والحقد. طلب مكافأة عن جريمة.

(٢) الشهد: العمل. المشور: المقطوف حديثاً. - معنى البيت غامض، ويجب أن يكون فيه تعريض بشرف بني يَنْتَقُ (كما يبدو من البيت التالي).

(٣) الطروقة: الناقة بلغت من العمر إلى أن يطرُقها الفعل (وكذا المرأة).

(٤) في رواية: يبيش.

(٥) الهلُهل (بضم الهاءين): الثوب السخيف (الرقيق النسيج).

(٦) يتوَقَّع (كذا في الأصل): ينتظر (٤).

(٧) دَابِئاً: على التوالي، باستمرار. مستهام: محب، متعلق بالأمر إلى حد الجنون.

أَنْتَ، وَاللَّهِ، صَحِيحٌ؛ سَوْفَ تَبْقَى لِلْقِيَامَةِ^(١).
 قُلْتُ: دَعْنِي مِنْ مُحَالٍ؛ قَدْ شَكَا الشَّيْخُ السَّامَةَ.
 كَيْفَ يُرْجَى لِي بَقَاءٌ وَجَسَدَارِي بِدَعَامِهِ^(٢)!

٤- ** زاد المسافر ٧٩ - ٨٢؛ التكملة ٥٧٨ (رقم ١٦٢٢)؛ معجم ابن الأثير ٢٤٣ -
 ٢٤٥؛ المغرب ٢: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الطرب ٨٠ - ٨١؛ شذرات الذهب ٤: ٢٨٩؛
 الأعلام للزركلي ٤: ١٠٤ (٣: ٣٢٨).

ابن مُجَبَّر

١- هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر الفِهْرِيّ، من أهل
 بَلَش مَالَقَة (صخرة مَالَقَة)، وَلِدَ نحو سَنَةِ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) في بِلْدَةِ شَقُورَة. وتعلَّم
 ابنُ مُجَبَّر في مَرْسِيَّة وسَكَنَ إِشْبِيلِيَّة ثمَّ أَخَذَ يَفِدُ على بِلَاطِ مَرَّاكُشَ عامّاً بعدَ عامٍ من
 قَبْلِ أَنْ يَلِيَّ يَعْقُوبَ بنَ يُوْسُفَ الْمُلُوكَ على المُوَحِّدِينَ بِاسْمِ المنصور (سَنَةِ ٥٨٠ هـ). ثمَّ
 سَكَنَ مَرَّاكُشَ. وكانت وفاته في مَرَّاكُشَ، لَيْلَةَ الأَضْحَى (تاسِعَ ذِي الحِجَّة) من سَنَةِ
 ٥٨٨ (١١٩٢/١٢/١٦ م).

٢- كان أبو بكر يحيى بن مُجَبَّر شاعرَ المَغْرِبِ في وقته، وقال فيه المَقْرِيّ في نَفْحِ
 الطَّيِّبِ: الشاعرُ الكبيرُ الشهيرُ (٤: ٣٣٥) وأديبُ الأندلس (٤: ٣٨٠)، وهو شاعرٌ
 مُكْتَبَرٌ كان له ديوانٌ في مُجَلَّدَيْنِ كبيرين يَضُمَّانِ أَكْثَرَ من تِسْعَةِ آلافٍ وأربعمائة بيتٍ
 أَكْثَرُها في مَدِيحِ المنصور المُوَحِّدِيّ (أميراً وخليفة). وهو يقولُ القصائدَ الطِّوَالَ
 والمُقْطَعَاتِ القصارَ ويرتجلُ أيضاً. وفنُونُ شِعْرِهِ المديحُ والرناءُ والهجاءُ والوصفُ
 والأدبُ (الحِكْمَةُ)، وهو مقتدرٌ في الهجاء.

(١) للقيامة = إلى يوم القيامة: ستميش طويلاً.

(٢) جداري: جانبي (جانِب من جِسمي). بدعامة: مستند إلى عصا (إذا ذهبَ العصا يَنقُ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرٍ يحمي بنُ مُجَبَّرٍ يَدْحُ المنصورِ الموحِديّ (وفيات الأعيان ٧: ١٣ -

: ١٤):

أَتَرَاهُ يـــــــتْرَكَ الْفَزْلَا وَعَلَيْهِ شَبٌّ وَأَكْتَهْلَا؟
كَلَفٌ بِالْفَيْدِ مَا عَقَلْتُ نَفْسُهُ السُّلْوَانُ مُذْ عَقَلَا^(١).
أَيْهَا اللُّوَامُ، وَيَعْكُمُو، إِنَّ لِي عَنْ لَوْمِكُمْ شُغْلَا.
ثَقُلْتُ عَنْ لَوْمِكُمْ أَذْنِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا الْهُوَى ثِقْلَا^(٢).
نَظَرْتُ عَيْسِي - لَشَقَوْتَهَا - نَظَرَاتٍ وَاقَفْتُ أَجْلَا^(٣).
غَادَةً لَمَّا مَثَلْتُ لَهَا تَرَكْتَنِي فِي الْهُوَى مَثَلَا^(٤).
يَا سَرَاةَ الْحَيِّ، مِثْلَكُمْ يَتَلَاوُى الْحَادِثُ الْجَلَلَا^(٥).
قَدْ نَزَلْنَا فِي جَوَارِكُمْ فَشَكَرْنَا ذَلِكَ النَّزْلَا^(٦).
ثُمَّ وَاجَهْنَا ظِيَاءَكُمْ فَلَقَيْنَا الْهَوْلَ وَالْوَهْلَا^(٧).
أَضْيَنْتُمْ أَمِنْ جَيْرَتِكُمْ ثُمَّ مَا أُمْتَمْتُ السَّبْلَا^(٨)؟

- (١) الكلف: شديد الحب والولع بالأشياء. الأغيد (والغيداء) - والجمع فيها: غيد: الناعم، المتخسّي، و(هنا): النساء الجميلات. |
(٢) عقلت (كذا في الأصل): أدرك، ميز الأمور، لجأ، انقبض، شئ (طوى) ساعده (بين المرقق والكف) على عضده (بين المرقق والكف)... الغ: وليس في هذه المعاني معنى يوافق المقصود من البيت. لعلها علفت (لحوه) علق فلان فلانا وعلق به: أحبه، أمسك به. السلوان: النسيان، التسلي (عن الحب). عقل: أدرك، بلغ الرشد.
(٣) ثقلت أذني (قل سمعها). لم يجد فيها الهوى ثقلا (صما عن سماع كلامه).
(٤) واقفت أجلا (نهاية العمر): سببت موتي.
(٥) السري: الوحية في قومه. يتلافى: يتجنب أمراً مكروهاً أو أن يجنب غيره ذلك الأمر المكروه. الحادث: النازلة (المصيبة). الجلل: العظيم.
(٦) النزول (بضم فم): المنزل، ما يبيت للضيف من مكان ينزل فيه ويأكل وينام.
(٧) ظباؤكم (النساء الجميلات في بلادكم). الهول: الأمر الخفيف. الوهل (بفتح فسكون أو بفتح ففتح): الغزع.
(٨) السبيل: الطريق. الجيرة: الجيران.

وَأَرَدْتُمْ غَضَبَ أَنْفُسِهِمْ قَبَّيْنْتُمْ بَيْنَهُمَا الْمَقَالَ (١)
لَيْتَنَا خُضْنَا السُّيُوفَ وَلَمْ نَلْقَ تِلْكَ الْأَعْيُنَ النَّجْلَا (٢)
عَطَّلْتَنِي الْغَيْدُ مِنْ جَلْدِي وَأَنَا حَلَّيْتُهَا الْفَزْلَا (٣)
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى فِتْنٍ سُنْتُهَا صَبْرًا فَمَا أَخْضَلَا (٤)
ثُمَّ قَالَتْ: سَوْفَ تَتْرُكُهَا سَلْبًا لِلْحَسْبِ أَوْ نَقْلَا (٥)
قُلْتُ: أَمَّا وَهِيَ قَدْ عَلَقَتْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا
مَا عِدَا تَأْمِيلُهَا مَلَكًا مِنْ رَأَى أَدْرَكَ الْأَمْلَا (٦)
أَوْدَعَ الْإِحْسَانُ صَفْحَتَهُ مَاءَ بَشَرٍ يَنْقَعُ الْغُلْلَا (٧)
فَإِذَا مَا الْجُودُ حَرَّكَه فَاضَ مِنْ يُمْنَاهُ فَأَنْهَمَلَا (٨)

- وقال أيضاً يَمْحُ الْمَنْصُورَ الْمُوَحِّدِيَّ (نفع الطيب ٣ : ٢٤٠ - ٢٤١):

مَلَسْتُ تَرْوِيكَ مِنْهُ شَيْمَةً أَنْتَبِ الظَّانَ زُرْقَ النَّطْفِ (٩)
جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ مَجْدٍ فَحَكَّتْ لَفْظَةً قَدْ جُمِعَتْ مِنْ أَحْرَفِ (١٠)
يَعْجَبُ السَّامِعُ مِنْ وَصْفِي لَهَا وَوَرَاءَ الْعَجْزِ مَا لَمْ أَصِفِ (١١)

(١) بحث: نشر، فرق الأشياء في مكان ما. المقلة: العين (كتابة عن المرأة الجميلة).

(٢) النجلاء: الواسعة (= المرأة الجميلة).

(٣) عطَّلْتُني (سلبتني) الغيد (النساء الجميلات) جلدي (احتالي للأمور القاسية: صبري عن حبِّ النساء).
وأنا حلَّيتها (ألبستها حل) من غزلي (من شعري في الفزل).

(٤) على فتن: اقتتان: (إعجاب بالجمال) سمتها (طلبت منها) احتملا (بالبناء للمجهول) لم يكن بالإمكان
احتماله (لم أقدر عليه).

(٥) نفل: غنيمة.

(٦) عدا: تجاوز.

(٧) صفحته (وجهه). البشر: انطلاق الوجه وظهور السرور عليه. تنع الماء الغلة (بالضم): أذهب الماء
العطش.

(٨) بناء: يده اليمنى. انهمل: انسكب بكثرة.

(٩) أروى: أذهب العطش (ملاً، كفى). شيمة (خصلة جبلة). النطفة: الماء القليل. زرق النطف (الماء
الصافي الذي يروي العطشان).

(١٠) حكى: شابه.

(١١) - صفات أخرى جبلة عجزت أنا عن وصفها.

لو أعارَ السهمَ ما في رأيه، ... من سدادٍ وهُدًى، لم يَصِفِ^(١).
 حِلْمُهُ الرَّاجِحُ مِيزَانُ الْهُدَى يَزِنُ الْأَشْيَاءَ وَزَنَ النَّصِيفُ.
 - حَضَرَ آيَنُ مُجْبَرٍ فِي مَجْلِسٍ، وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ زُجَاجَةٌ سَوْدَاءُ فِيهَا خَرٌّ، فَقِيلَ
 لَهُ: قُلْ فِي هَذَا شَيْئاً، فَقَالَ آرْتِجَالاً (نفع الطيب ٣: ٢٠٦):

سَأَشْكُو إِلَى النَّدْمَانِ أَمْرَ زُجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِشَوْبِ حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْحَمِ^(٢).
 نَصَبْتُ بِهَا شَمْسَ الْمَدَامَةِ بَيْنَنَا فَتَقَرَّبُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمِ^(٣).
 وَتَجَمَّعْدُ أَنْوَارَ الْحُمَيْمِ بِلَوْنِهَا كَقَلْبِ حَسَوِيٍّ جَاوِدٍ يَدُ مَنْعَمِ^(٤).
 - وَلَمَّا صَلَبَ الثَّانِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَزِيرِيُّ * وَمَنْ أَخَذَ مِنْ
 أَصْحَابِهِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَعَايَنَهُمْ أَنُ مُجْبِرٌ قَدْ رُفِعُوا فِي خَشَبِهِمْ أَنْشَدَ (بغية الملتبس
 : ٩٤):

رَكِبْتُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مَسِيرُهُمْ وَرِكَابُهُمْ لَا تَسْتَطِيعُ مَسِيرًا^(٥).
 الْحُمَى مِنْهُمْ لَا يُرَى مُسْتَوْطِنًا، وَالْمَيْتُ مِنْهُمْ لَا يُرَى مَقْبُورًا^(٦).
 مِمَّا يَزِيدُ الْأَرْضَ طَيِّبًا أَنَّهَا لَفَطَتْ عُدَاتَكَ أَبْطُنًا وَظَهُورًا^(٧).

-
- (١) الدِّاد (بالفتح): صفة الرأي والاستقامة. صاف السهم بصيف: مال، المحرف عن هدفه.
 (٢) الندمان (بالهم): جمع نديم: الرفيق الذي يشرب الخمر مع الآخرين - الملموح أن الزجاجة هنا كأس أو قدح.
 (٣) نصبُها (فيها) شمس المدامة (الخمر). يشبه الخمر (الحمراء المنيرة) بشمس تغرب في (زجاجة أو وعاء أسود). المجمع (بالضم): جانب من الليل.
 (٤) حينما تنزل الخمر في الزجاج السوداء، فإن تلك الزجاج السوداء (تجمع: تنكر، أي تستر) لون الخمر (الأحمر الجميل).
 * راجع المقرب ١: ٣٢٣ - ٣٢٤. ونفع الطيب ٤: ٦٥ - ٦٦. وكان الجزيري هذا شاعرا أيضا.
 (٥) الرك: الجماعة يركبون الإبل أو الخيل معاً (في السفر). الركاب (هنا): الإبل الموكوبة (يشبه الشاعر الحنب الذي صلب عليه أولئك الأشخاص بالإبل التي يسافر الناس عليها).
 (٦) مستوطن: ساكن في بلد. الحمى... (الذي لا يزال حياً على الخشبة التي صلب عليها).
 (٧) في الأصل غداثك (بالفتح الممجة). عداثك (بالضم) أعداؤك. لفظت الأرض عداثك (لم تقبل أن تحويهم) أبطنا (جمع بطن) أن بدفنا في جوفها، وظهوراً (جمع ظهر) أن بطرحوا على سطحها. فزادنا الأرض بذلك طيباً (رائحة طيبة وطهارة).

٤-★★ زاد المسافر ٥١-٥٧ بنية الملتبس ٤٩٣-٤٩٤ (رقم ١٤٩٣)؛ وفيات الأعيان ١٣:٧-١٤؛ شذرات الذهب ٤:٢٩٥؛ نفع الطيب ٣:٢٠٦، ٢٣٧-٢٤١، ٣٣٥-٣٣٧؛ نيكل ١٨٧-١٨٨؛ مختارات نيكل ١٩٧-١٩٩؛ الأعلام للزركلي ٨:١٧٨-١٨٨ (١٥٢).

حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ

١- هِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ، كَانَ مَوْلُودَهَا فِي غَرْنَاطَةِ بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) فِي أُسْرَةٍ ذَاتِ شَرَفٍ وَجَاهٍ وَغِنَى. وَشَبَّتْ حَفْصَةُ فَكَانَتْ فَتَاةً جَمِيلَةً ذَكِيَّةً مَتَادِبَةً مُتَّقَةً.

لَا نَعْرِفُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْأُولَى فِي حَيَاةِ حَفْصَةَ بِنْتُ الْحَاجِّ إِلَّا حُبَّهَا لِأَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الْعَنْسِيِّ، وَقَدْ تَبَادَلَا الرِّسَالُ نَثْرًا وَنَظْمًا وَنَعِمَا بِالْحُبِّ مُدَّةً ثُمَّ حَالَتْ حَيَاتُهَا مَأْسَاءً حِينَمَا وَلَعَ بِهَا أَبُو سَعِيدٍ عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالِي غَرْنَاطَةِ وَوَلَعَتْ هِيَ بِهِ أَيْضًا، فَيَا يَبْدُو.

فِي سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جَازَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْجِهَادِ، فَبَعَثَ أَبُو سَعِيدٍ عَثْمَانُ حَفْصَةَ بِنْتُ الْحَاجِّ وَافِدَةً عَلَى أَبِيهِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، فَأَكْرَمَهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَوَهَبَهَا قَرْيَةً قُرْبَ غَرْنَاطَةِ تُدْعَى الرُّكُونَةَ (بِفَتْحِ الرَّاءِ أَوْ بضمها). وَمِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتْ تُدْعَى «الرُّكُونِيَّةُ» (فَهِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ لَا حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ).

وَلَمَّا قَبِلَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ سَعِيدٍ، سَنَةَ ٥٥٩ هـ، حَزَنَتْ حَفْصَةُ عَلَيْهِ وَلَبَسَتْ السَّوَادَ وَمَالَتْ إِلَى الرُّهْدِ وَتَرَكَتْ قَوْلَ الشُّعْرِ. وَيَبْدُو أَنَّ حَفْصَةَ انْتَقَلَتْ، فَيَا بَعْدُ وَشَيْكَأً إِلَى مَرَاكُشَ ثُمَّ دَخَلَتْ بِلَاطِ الْمُوحِّدِينَ لِتَعْلِيمِ الْأَمِيرَاتِ وَتَهْذِيبِهِنَّ. وَأَرْجَحُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثَانِي سُلَاطِينَ الْمُوحِّدِينَ (٥٥٨-٥٨٠ هـ). ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ. وَيُسْتَبَعْدُ أَنْ تَكُونَ بَدَأَتْ التَّعْلِيمَ لِبَنَاتِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ الَّذِي وَلِدَتْ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وَجَاءَ إِلَى الْعَرْشِ سَنَةَ ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م).

وكانت وفاة حفصة الركونية، سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) في الأغلب، وفي مدينة مراكش. ووفاتها في معجم الأدباء (١٠: ٢٢٧، بالأحرف) سنة ٥٨٦ هـ.

٢- كانت حفصة بنت الحاج الركونية أستاذة قديرة وأديبة بارعة وشاعرة كبيرة؛ وهي بلا ريب أشهر شاعرات الأندلس، ولعلها أكبرهن. كانت سريعة الخاطر رقيقة الشعر تميل إلى شيء من الصناعة؛ وفي شعرها كثير من الصديق وشيء من التهمك والفكاهة. وتدور فنون شعرها على المدح والعتاب والغزل في الأكثر؛ ومُعظم شعرها في المناسبات التي ربطتها بأبي جعفر أحمد بن سعيد وبالمناسبات التي جمعتها به. ويرى نيكل (ص ٣١٧) أن قصة حفصة وابن سعيد تشبه قصة ولادة وابن زيدون، إلا أنها أقرب إلى النفس وإن كانت أقل تلويهاً وعنفاً.

٣- مختارات من شعرها:

- من مقطعات حفصة في صلتها بأبي جعفر بن سعيد:

★ ★ يــــا مدعي في الحــــن والغــــم الإمامــــة^(١)،
أتى قريضك، لكن لم أرض منه نظامــــة.
أمدعي الحبيب يثني بأس الحبيب زمامــــة؟
ضللت كل ضلال، ولم تفدك الزعامــــة.
ما زلت تصحب منذ كنت في السباق السلامــــة،
حتى عثرت وأخجلت بأفتضاح السامــــة^(٢)
بــــالله، في كل وقــــت يــــدي السحاب أنجاءه^(٣)؛

(١) في هوى الحن و (في) الغرام الإمامة.

(٢) - لم تكن تغامر (وتعلن حبك لي).... ثم شمت (مللت) هذا الكتان فيحت بالحبيب (في أبيات أرسلتها إلي) فافتضحت!

(٣) كذا في الأصل. والتخريج المعقول: بالله (للقسم). في كل وقت (ليس في كل وقت) لأن حرف النفي يحذف بعد القسم - في القرآن الكريم (١٢: ٨٥، يوسف): قالوا: تالله، تفتأ تذكر يوسف (= تالله، لا تفتأ تذكر يوسف). وقال السري الرفاء (ت ٣٦٢ هـ): =

والزهْرُ في كلِّ حين
لو كنتَ تعلمُ عُذري
* * أزوركُ أم تَروُرُ؟ فإنَّ قلبي
وقد أُمِنْتُ أن تَظْهَرُ وتُضْحِي
فتُغْري مَوْرَدَ عَذْبٍ زُلَالٍ،
فَجَعَلْ بالجوابِ؛ فما جيلٌ
* * ثنائي على تلك الثنايا لِأَنِّي
وأنصُفُها - لا أكذبُ الله - إنِّي
* * سلوا البارِقَ الحَفَّاقَ والليلُ ساكنٌ:
لَعَمْرِي لقد أهدى لقلبي خَفَقَهُ
* * أغارُ عليك من عَيْنِي رَقِيبِي
ولو أَنِّي خَبَأْتُكَ في عِيوِي
* * لَعَمْرُكَ ما سُرَّ الرِّياضُ بوصلنا

يَشُقُّ عَنْهُ كَأَمَّه^(١).
كَفَفْتُ غَرْبَ الْمَلَامَةِ^(٢).
إِلَى مَا تَشْتَهِي أَبَدًا يَمِيلُ^(٣).
إِذَا وَافَى إِلَيَّ بِكَ الْقَبُولُ^(٤).
وَقَرَعَ ذَوَائِي ظِلُّ ظَلِيلُ^(٥).
إِبَاؤُكَ عَنْ بُشَيْنَةَ، يَا جَيْلُ^(٦)!
أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَنْطِقُ عَنْ خَبَرٍ^(٧).
رَشَفْتُ بِهَا رَيْقًا أَرَقُّ مِنَ الْخَمْرِ!
أَظِلُّ بِأَحْبَابِي يَذْكُرُنِي وَهَنَا^(٨).
وَأَمْطَرُ عَنْ مُنْهَلٍ عَارِضِهِ الْجَفْنَا^(٩).
وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِكَ وَالْمَكَانِ.
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِي.
وَلَكِنَّهُ أَبَدَى لَنَا الْغَيْلَ وَالْحَسَدَ؛

تَلَّاهُ، أَغْدَرُ فِي الْهَوَى
أَي: لَا أَغْدَرُ فِي الْهَوَى.

- (١) الكأمة: كأس الزهرة قبل أن تتفتح (الأوراق الخضراء التي تغلف الزهرة). والكأمة هنا جنة (جنينة) لابن جعفر بن سعيد. وذكر الكأمة هنا إشارة فمهما ابن سعيد على أنها كانت دعوة من حفصة إلى الاجتماع به في ذلك المكان (راجع نفع الطيب ٤: ١٧٤).
- (٢) الغرب: الحد (حد السيف). غرب الملامة: اللوم القاسي.
- (٣) في معجم الأدباء (١٠: ٢٢٥): وكتبت حفصة إلى بعض أصحابها: «أزورك... الخ».
- (٤) تظاً: تعطش. تضحي: تبرد.
- (٥) الفرع: الشعر (بفتح الشين).
- (٦) بشينة حبيبة جيل بن معمر (من الحبَّين العذريَّين في العصر الأموي).
- (٧) الثنايا: الأسنان.
- (٨) وهنا: بعد منتصف الليل.
- (٩) المنهل: الساقط بكثرة. الجفن: جفن العين - جعلني هذا البرق (لما تذكرتك به) أبكي بدموع أكثر غزارة من المطر.

ولا صَفَقَ النهرَ آرْتِياحاً لُقربنا . ولا صَدَحَ القُمْرِيُّ إلّا لِمَا وَجَدَ^(١) .
 فلا تُحَسِّنُ الظَّنَّ الذي أَنْتَ أَهْلُهُ ، فَمَا هُوَ فِي كُلِّ المَوَاطِنِ بِالرَّشَدِ^(٢) .
 فَمَا خِلْتُ هَذَا الأفقَ أَبَدِي نَجْوَمِهِ . لِأَمْرِ سِوَى كَيْفَا تَكُونُ لَنَا رِصْدُ^(٣) .

٤- ** معجم الأدباء ١٠: ٢١٩ - ٢٢٧ المغرب ٢: ١٣٨ - ١٣٩ المطرب ١٠: تحفة
 القادم ١١٦٧ الإحاطة ١: ٤٩٩ - ٥٠٣ نفع الطيب ١: ١٧٦ - ٣: ١٨١ ، ٤:
 ١٧١ - ١٨١ نيكل ٣١٧ (راجع ٣١٧ - ٣٢٤) بروكلمان: ملحق ١: ٤٨٢ :
 الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٢ (٢٧٤) بالشيا ١٢٧ - ١٢٨ .

الإمام الشاطبي

١ - هو أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحد الشاطبي الرُعَيْنِيّ، نسبة إلى ذي
 رُعَيْنٍ أحدِ أقبالِ (ملوك) اليمن .

وُلِدَ الشاطبيُّ في آخرِ سَنَةِ ٥٣٨ هـ (مطلع صيف ١١٤٤ م) في مدينة شاطبة . وقرأ
 الشاطبي القراءاتِ على أبي عليّ بن محمد بن عليّ النَّفْزِيّ . ثمّ إنّه انتقل إلى بَلَنْسِيَّةَ
 وقرأ كتاب التسهيل على أبي الحسن محمد بن عليّ بن هُذَيْل (ت ٥٦٤ هـ) وسَمِعَ من أبي
 عبدِ الله محمد بن عبدِ الرحيم (ت ٥٦٧ هـ) . وكذلك سمع من أبي الحسن عليّ بن عبدِ الله
 ابنِ النعمة (ت ٥٦٧ هـ) ومن ابنِ سعادة^(٤) .

وَرَحَلَ الشاطبي إلى مِصْرَ واستوطن القاهرةَ وحَضَرَ مُدَّةَ مجالسِ الحفاظِ أبي
 طاهرٍ أحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ السلمي (ت ٥٧٦ هـ) . ولَمَّا أنشأ القاضي الفاضلُ مدرسته
 « الفاضلية » (٥٨٠ هـ) عيّن فيها الشاطبيَّ لإِقراءِ القراءاتِ واللغة والنحو .

(١) صدح: غنى . وجد يجد موجد: أبغض .

(٢) الظنّ الذي أنت أهله (يليق بك): أن تظنّ ظناً حسناً في كلّ شيء .

(٣) الرصد = الراصد: من يرصد النجوم (هنا: الرقيب، المنتظر الذي يريد إيقاع الشر بالآخرين) .

(٤) هنالك اثنان يعرفان بابن سعادة: أبو عبدِ الله محمد بن يوسف (توفي في شاطبة سنة ٥٦٦ هـ) ثم أبو عبدِ
 الله محمد بن عبدِ العزيز (ت ٦١٤ هـ) من أهل شاطبة .

ويبدو أن الشاطبي عَمِيّ، وهو في مصر^(١). وكانت وفاته في القاهرة في ٢٨
جُمادى الآخرة ٥٩٠ (١١٩٤/٧/١٤ م).

٢- كان الشاطبي مُقَرَّباً فقيهاً حافظاً للحديث بصيراً باللغة والنحو واسع العلم.
وكان له شعرٌ فيه شيء من التعميد. غير أن شهرته تقوم على مؤلفاته، وأهمُّ هذه
المؤلفات وأشهرها جِرْزُ الأمانِي ووجه التهانِي، وهي قصيدةٌ في القراءات (لقرائن
القرآن) فيها ١١٧٣ بيتاً وتُعرفُ باسم القصيدة الشاطبية أو بالشاطبية فحسب. ثم له
عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد (خمسائة بيت على رويِّ الدال، في الرسم -
أي الهجاء في المصاحف - من قرأها أحاط بكتاب التمهيد لابن عبد البر).
وللشاطبي كتب أخرى منها: كتاب الوقوف (المواضع التي يجب الوقوف عليها في
القرآن الكريم أو يَحْرُمُ أو يجوز أو يُستَحْسَنُ الخ). - تفسير القرآن - رسالة في
طبقات المفسرين - رسالة في إعجاز القرآن - طبقات القراء - نظيمة الزهر في عدد
آيات القرآن الشريف واختلاف أهل الأمصار فيها - الخ.

٣- مختارات من شعره:

- في نفع الطيب (٢: ٢٣): بعث الأميرُ عزُّ الدين بنُ موسى^(٢) إلى الشيخ
الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده، فأمرَ الشيخُ بعضَ أصحابه أن يكتبَ إلى عزِّ
الدين هذا:

قُلْ لِلْأَمِيرِ مَقَالَةً مِنْ نَاصِحٍ فَطِنَ نَبِيهِ:
إِنَّ الْفَقِيهَةَ إِذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهِ.
- ومن نظمه (نفع الطيب ٢: ٢٣):

خالصتُ أبنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ لَمْ أَرُ مِنْهُ آرْتِيَادِي مَخْلَصِي^(٣).

(١) راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٩٥ و ٥٩٦.

(٢) موسى (تفسير موسى)، وهو ابن خال صلاح الدين الأيوبي.

(٣) خالصة: ... عاشرت الناس باخلاص فلم أجد أحداً منهم لم آمن أن أخلص من شره.

رُدُّ الشَّبابِ، وَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ، أَهْيَا وَأَمَكُنْ مِنْ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ^(١).

- مِنَ الشَّاطِئِيَّةِ (حَزْرُ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهُ التَّهَانِيِّ):

هَذِهِ الْأَرْجُوزَةُ تَجْمَعُ الْقَرَاءَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَعَ نِسْبَةِ كُلِّ قِرَاءَةٍ إِلَى قَارِئِهَا. وَلَكِنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ لَا يَلِيْنُ لِلشَّعْرِ وَلَا يُطِيعُ الْوِزْنَ وَالْقَافِيَةَ إِلَّا مَعَ التَّكَلُّفِ الشَّدِيدِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةُ (بِخِلَافِ مَا يُقَالُ فِيهَا) غَامِضَةً مُعَقَّدَةً، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْجَوَازَاتِ فِي النِّظْمِ وَفِي الْقَوَافِي وَفِي اللُّغَةِ أَيْضًا. وَقُلُّ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْرِفُ الْقَرَاءَاتِ مَعْرِفَةً وَاسِعَةً (وَالْغَايَةُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ أَنْ تُذَكِّرَ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ بِمَا يَحْفَظُ).

وَلَقَدْ آخَرْتُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ عِدَّةً مِنْ أَيْبَاتِهَا وَحَاوَلْتُ شَرْحَ تِلْكَ الْأَيْبَاتِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ إِلَى فَهْمِ الْأَيْبَاتِ وَبِقَدْرِ طَاقَتِي.

- مِنَ الشَّاطِئِيَّةِ (حَزْرُ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهُ التَّهَانِيِّ):

(أ) الْمَقْدَمَةُ:

بَدَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ فِي النِّظْمِ أَوَّلًا.	تَبَارَكَ رَحْمَانًا رَحِيمًا وَمَوْئِلًا ^(٢) .
وَتَشَيْتُ صَلَّى اللَّهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا	مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ إِلَى النَّاسِ مُرْسَلًا،
وَعِزَّتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ	تَلَاهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْخَيْرِ وَبَلًا ^(٣) .
وَتَلَشَّتُ أَنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ دَائِمًا؛	وَمَا لَيْسَ مَبْدُوءَ آبِهِ أَجْذَمُ الْعَلَا ^(٤) .
وَبَعْدُ، فَحَبِّلُ اللَّهَ فِينَا كِتَابُهُ	فَجَاهِذْ بِهِ حَبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلًا ^(٥) .

(١) أَهْيَا: أَسْهَلُ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهِ. أَمَكُنْ: أَكْثَرُ ثَبَاتًا وَدَوَامًا.

(٢) مَوْئِلٌ: مَلْجَأٌ، التَّجَاءُ (إِلَى اللَّهِ وَاتِّكَالُ عَلَيْهِ).

(٣) الْعِتْرَةُ: الْأَقَارِبُ. الصَّحَابَةُ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ. تَلَاهُمْ (مَنْ تَلَاهُمْ): التَّابِعُونَ، الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَ اللَّهِ. وَلَكِنْ عَرَفُوا أَصْحَابَهُ. وَبَلٌ - الْمَقْصُودُ جَمْعُ وَابِلٍ: مَطَرٌ كَثِيرٌ.

(٤) أَجْذَمٌ: مَقْطُوعٌ. الْعَلَا: الرَّأْسُ.

(٥) الْحَبْلُ (هَذَا): مَا يَتِمَّكَ النَّاسُ بِهِ (كَيْلًا يَهْلِكُوا أَوْ يَضَلُّوا). تَحَبَّلَ الرَّجُلُ الصَّيْدَ: أَخَذَهُ بِشَرِكٍ مِنَ الْحَبَالِ (نَصَبَ الْحَبَائِلِ لِمَكَائِدِ أَعْدَاءِ الدِّينِ).

وأخْلَقَ به، إذ ليس يَخْلُقُ جِدَّةً، وقَارِئُهُ الْمَرْضِيَّ قَرَّ مِثَالُهُ هو الْمُرْتَضَى أَمَّا إِذَا كَانَ أُمَّةً هو الْحَرَّ، إِنْ كَانَ الْحَرِيُّ حَوَارِيًا وَإِنْ كَتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلِّ حَدِيثُهُ، وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ هُنَاكَ يَنْهَى مَقِيلًا وَرَوْضَةً، يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ، فَيَا أَنَّهُا الْقَارِي بِهِ مَتَمَسِكًا هَنِئًا مَرِيئًا، وَالدَّكَ عَلَيْهَا

جَدِيدًا مُوَالِيَهُ عَلَى الْجِدِّ مُقْبَلًا^(١).
كَالْأَنْرَجِ حَالِيهِ مُرِيحًا وَمُوكِلًا^(٢).
وَيَمَمَهُ ظِلُّ الرِّزَانَةِ قَنَقَلًا^(٣).
لَهُ بَنَحَرِيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلًا^(٤).
وَأَغْنَى غَنَاءً وَاهِبًا مُتَفَضِّلًا^(٥).
وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً.
مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلًا^(٦).
وَمِنْ أَجَلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى^(٧).
وَأَجْدِرُ بِهِ سَوْلًا إِلَيْهِ مُوَصِّلًا^(٨).
مُجَلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبْجَلًا،
مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَى^(٩).

- (١) أَخْلَقَ بِهِ (مَا أَحَقَّهُ، مَا أَحْسَنَهُ، أَيْ الْقُرْآنَ). لَا يَخْلُقُ (لَا يَبْلِي، لَا يَصْبِحُ قَدِيمًا). جِدَّةً: (سَيَظِلُّ جَدِيدًا مِمَّا يَفْرَاهُ النَّاسُ وَلَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهُ). مُوَالِيَهُ (هُنَا) مُصَافِيَهُ (الْمُقْبِلُ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِاخْتِلَاصٍ).
- (٢) قَرَّ مِثَالُهُ: صَحَّ تَشْبِيهِهِ. كَالْأَنْرَجِ (أَجْمَلَ الْهَمْزَةِ هَمْزَةً وَصَلَ لِيَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ): نَوْعٌ مِنَ اللَّيْمُونِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. حَالِيهِ (حَالَاهُ؟) مُرِيحًا وَمُوكِلًا (لِلثَمِّ وَلِلْأَكْلِ: طَيِّبٌ فِي الْحَالَيْنِ).
- (٣) إِذَا كَانَ أُمَّةً: إِذَا كَانَ الْفَرْدُ الْوَاحِدَ يَقُومُ فِي الْحَيَاةِ وَالْإِصْلَاحِ مَقَامَ جَمَاعَةٍ. يَمَمَهُ: قَصْدُهُ. ظِلُّ الرِّزَانَةِ (الْوَقَارِ): هُوَ لِمَكَانَتِهِ تَنْسَبُ الرِّزَانَةُ إِلَيْهِ. الْقَنَقَلُ: الْمَكْيَالُ الضَّخْمُ، وَتَاجٌ لِكِسْرَى (اِكْتَسَبَتِ الرِّزَانَةُ مِنْ صِفَاتِهِ؟).
- (٤) الْحَرِيُّ: الْجَدِيرُ (بِالْعِلْمِ). حَوَارِيًا (بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ، وَحَقَّقَهَا التَّشْدِيدُ): تَابِعًا (نَاصِرًا لِلْحَقِّ وَالْعِلْمِ). التَّحَرِّيُّ: الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ. تَنَبَّلَ: مَاتَ.
- (٥) أَغْنَى غَنَاءً: أَحَقَّ الْكَتَبِ بِأَنْ تَسْتَفِي بِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.
- (٦) - وَإِذَا دَفِنَ الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ، فَإِنَّ حَفْظَهُ الْمَاضِي لِلْقُرْآنِ يَصْبِحُ لَهُ نُورًا (فِي قَبْرِهِ). السَّنَا: الضَّوءُ. مُتَهَلَّلٌ: فَرَحٌ. يَرْتَاعُ: يَخَافُ.
- (٧) يَكُونُ الْقَبْرُ لَهُ مَقِيلًا (سَكْنًا) وَرَوْضَةً (مَنْزَرَةً). يُجْتَلَى: يُجْتَلَى بِرَأْيِهِ.
- (٨) - وَمِنْ حَفْظِ الْقُرْآنِ طَلَبُ الْقُرْآنِ لَهُ الْمَغْفَرَةُ بِالْحَاجِ مِنْ حَبِيبِهِ (اللَّهُ تَعَالَى). وَإِذَا شَفَعَ التَّرَانَّ لِأَحَدٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ.
- (٩) وَأُجْرُ حَفْظِ الْقُرْآنِ يَنَالُ وَالِدِي الْحَافِظِ أَيْضًا.

فما ظنكم بالنجل عند جزائه؟ أولي البر والإحسان والصبر والتقوى، عليك بها ما عشت فيها منافساً، جزى الله بالخصيرات عنا أئمةً فينهم بُدورٌ سبعةٌ قد توسّطت لها شُهْبٌ عنها استنارت فنورت وسوف تراهم واحداً بعد واحدٍ تحيّرهم نقادهم كلّ بارعٍ، فأما الكريمُ السِرّ في الطيب نافعٍ، وقالون عيسى ثم عثمان ورثهم ومكة - عبد الله فيها مقامه روى أحدُ البرّي له ومحمد

أولئك أهل الله والصفوة الملائكة: حلاهم بها جاء القرآن مفصلاً (٢). وبوع نفسك الدنيا بأنفاسها العلماً (٣). لنا نقلوا القرآن عذاباً وسلسلاً (٤). سلكه العلّ والعدل زهراً وكُملاً (٥). سواد الدجى حتى تفرّق وأنجلي (٦). منع اثنين من أصحابه مُتميلاً (٧). وليس على قرآنه متأكلاً (٨). فذاك الذي اختار المدينة منزلاً (٩). بصحبته الهدى الرفيع تأثلاً (١٠). هو ابنٌ كبيرٍ كاتر القوم مُعتلاً (١١). على سندٍ، وهو الملقب قنبلاً (١٢).

- (١) النجل: الابن. الملائكة: الأشراف. - إذا كان ذلك (البيت السابق) أجر الوالدين من ابنهما، فما قولك بأجر الابن نفسه؟.
- (٢) حلاهم: صفاتهم.
- (٣) الدنيا (الدنية). - تدلّ بالنفس الواحدة الدنية (في هذه الحياة) نفوساً كثيرة سامية (في الآخرة).
- (٤) السلسل: السهل الجريان في الخلق.
- (٥) الأزهر: الأبيض، اللامع (المشهور) الكَمَل (بمعنى الكلمة). بفتح ففتح: الكاملون.
- (٦) الشهاب (هنا): النجم اللامع الظاهر. أنجلي الدجى (الظلام): زال. تفرّق. ستأتي أسأؤهم.
- (٧) سيذكر الشاطي كلّ قارىء (حافظ للقرآن) ويذكر اثنين من أتباع كلّ واحد منهم.
- (٨) النقاد (المعارفون بقرأة القرآن) هم الذين اختاروا هؤلاء القراء الحفاظ (للقرآن) ومن ليسوا من المتأكّلين (المتكسّبين، المرتزقين) بقرأة القرآن.
- (٩) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ = ٧٨٥ م)، من أهل اصفهان ومنزله (مسكنه) في المدينة.
- (١٠) قالون هو أبو موسى عيسى بن مينا (ت ٢٠٥ هـ) ثم أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري، ولقبه ورش (ت ١٩٧ هـ). تأثّل: تشبّه. الهدى الرفيع يتأثّل (يتخلّق بأخلاق) قالون.
- (١١) أبو معبد عبد الله بن كثير المكيّ (ت ١٢٠ هـ). كاتر القوم: زاد عليهم (بالعلم). معتلى: قد علا فوق أُنْداده (٤).
- (١٢) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي برّة من أهل مكة (ت ٢٤٣ هـ). البرّي بالفتح (٤). ثم أبو عمر محمد بن عبد الرحمن، ولقبه قنبيل (ت ٢٩١ هـ).

وَأَمَّا الْإِمَامُ الْمَازِنِيُّ صَرِيحُهُمْ
أَفَاضَ عَلَى يَحْيَى الْيَزِيدِيِّ سَنِيَّةَ
أَبُو عُمَرَ الدَّوْرِيِّ وَصَالِحَهُمْ أَبُو
وَأَمَّا دِمَشْقُ الشَّامِ دَارُ ابْنِ عَامِرٍ،
هَاشِمٍ وَعَبْدُ اللَّهِ كَانَ أُنْتَسَابُهُ
وَبِالْكُوفَةِ الْفَرَاءُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، وَعَاصِمٌ أَسْمُهُ،
وَذَاكَ ابْنُ عِيَّاشٍ أَبُو بَكْرِ الرِّضَا
وَحِزَّةٌ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ

أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ وَالِدُهُ الْعَلَا^(١).
فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفَرَاتِ مُعَلِّلاً^(٢).
شُعَيْبٌ هُوَ السُّوسِيُّ مِنْهُ تَقَبُّلاً^(٣).
فَتَلَّكَ بَعْدَ اللَّهِ طَابَتْ مُحَلَّلًا^(٤).
لِذِكْوَانٍ بِالْإِسْنَادِ عَنْهُ تَنْقَلًا^(٥).
أَذَاعُوا، فَقَدْ ضَاعَتْ شَذَاوَقُ قَرْنَفَلًا^(٦).
فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلًا^(٧).
وَحَفْصٌ وَبِالْإِتْقَانِ كَانَ مُفْضَلًا^(٨).
إِمَامًا صَبُورًا لِلْقُرْآنِ مَرْتَلًا^(٩).

- (١) المازني هو أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ). صريحهم (كان عربياً خالص النسب، وكانوا هم موالي: غير عرب). وفي نسب المازني خلاف.
- (٢) يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) من أهل البصرة. السيب: الطهارة (من العلم). الفرات: الحلو (المازني أفاض علمه على اليزيدي). المثلل: الذي يُسقى الماء شيئاً فشيئاً.
- (٣) وقد قرأ على اليزيدي إثنان: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الكوفي (ت ١٩٤ هـ) ثم أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت ٢٦١ هـ).
- (٤) المثلل: المكان الذي ينزل فيه الناس (يسكنونه). أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي (ت ١١٨ هـ) ولد في قرية رحاب من البلقاء (شرق نهر الأردن) ثم انتقل إلى دمشق وسكنها.
- (٥) أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ) ثم أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان (ت ٢٤٢ هـ)، بالإسناد عنه (عن عبد الله بن عامر) تنقلاً (نقلًا عنه غير مباشرة، بل بواسطة آخرين بينها وبين ابن عامر).
- (٦) الفراء: البيضاء (المشهورة). أذاعوا: نشرها (القراءة للقرآن). ضاعت الرائحة: انتشرت. الشذا: الرائحة (الطيبة) القوية.
- (٧) أبو بكر عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) أخذ عنه شعبة، وهو في الأغلب أبو بطام شعبة بن الحجاج البصري (ت ١٦٠ هـ). أفضل: زاد في الفضل على غيره.
- (٨) أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي أخذ عن عاصم بن أبي النجود (راجع وفيات الأعيان ٣: ٩). الرضا: العدل. ثم أبو عمرو حفص بن سليمان الكوفي (ت ١٨٠ هـ)، بالأتقان كان مفضلًا (على أبي بكر ابن عياش).
- (٩) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت ١٥٤ أو ١٥٨ هـ) كان متورعاً (لا يأخذ أجرًا على تعليم القرآن) صبوراً (على العبادة) قليل النوم بالليل. مرتل (كان يرى دائماً وهو يرتل القرآن).

روى خَلَفَ عنه وخَلَدَ الذي رَوَاهُ سُلَيْمٌ مُتَقَنًا وَمُحَصَّلًا^(١).
 وَأَمَّا عَلِيٌّ فَالْكِسَائِيُّ نَعْتُهُ لِمَا كَانَ بِالْإِحْرَامِ فِيهِ تَسَرُّبًا^(٢).
 روى لَيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرُّضَا
 وحَفْصٌ هُوَ الدَّوْرِيُّ، فِي الذِّكْرِ قَدْ خَلَا^(٣)
 أَبُو عَمْرٍوهم وَالْيَحْصِيُّ ابْنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ، وَبَاقِيَهُمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا^(٤).
 لَهُمْ طُرُقٌ يَهْدِي بِهَا كُلُّ طَارِقٍ، وَلَا طَارِقٌ يُخْشَى بِهَا مُتَمَحِّلًا^(٥).
 وَهِنَّ اللَّوَاتِي لِلْمَوَاتِي نَصَبَتْهَا مَنَاصِبَ فَاَنْصَبَ فِي نِصَابِكَ مُفْضِلًا^(٦).
 وَهِيَ أَنْذَا أَسْمَى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ يَطْوَعُ بِهَا نَظْمُ الْقَوَائِي مُسَهَّلًا^(٧).
 جَعَلْتُ أَبَاجِيدَ عَلَى كُلِّ قَارِيٍّ دَلِيلًا عَلَى الْمَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلًا^(٨).
 وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِي الْحَرْفَ أُسْمِي رَجَالَهُ؛ مَتَى تَنْقُضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيَصِلَا^(٩)

- (١) أبو محمد خلف بن هشام البزار الأسدي (ت ٢٢٩ هـ) كان من بلدة قرب واسط ثم انتقل إلى بغداد. ثم أبو عيسى خلاد بن خالد الكوفي (ت ٢٢٠ هـ). ثم سليم بن عيسى بن الكوفي (وفيات ٧: ٢٥٠، التلخ والحاشية ٤، راجع ٢: ٢٤١، ٢٤٢). - خلف وخلاد قرأ على سليم، وسليم قرأ على حمزة (راجع الحاشية السابقة). متقن (محكم ومحفوظ). محصل (مجموع).
- (٢) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ)، سَمِيَ الكسائي لِأَنَّهُ أَحْرَمَ (فِي الْحَجِّ) فِي كَسَاءِ لَهُ.
- (٣) أبو الحارث الليث بن خالد أخذ القراءة عن الكسائي. وحفص الدوري في الذكر قد خلا: قد تقدم ذكره (راجع الحاشية ٣ ص ٤٩٨).
- (٤) أبو عمرو المازني (الحاشية ١، ص ٤٩٨) وعبد الله بن عامر اليحصي (الحاشية ١٣، ص ١) عربيَّان، وسائر القراء نَوَالٍ (أكثرهم من الفرس).
- (٥) الطرق (هنا): طريقة أخذ كل قاري عن سبقة. يهدي (بالبناء للمعلوم في الأغلب). الطارق: النجم المضيء (كتابة عن العالم). المتمحل: الذي يطلب للأمور تفسيراً له وجه له.
- (٦) هن اللواتي (أي القراءات). للمواتي (الموَاتِي): الموافق (الذي يوافق في قراءة هذه الألفية الشاطبية، ويتقن رموزها). نصبتها (رفعتها) مناصب (أعلاماً، إشارات ظاهرة). فانصب (اتنب، أجهد نفسك في فهمها). في نصابك (أصلك): في نيتك ومقصودك (نيتك الحسنة في إرادة الفهم)، فضلاً (فتصبح في تحصيل هذا العلم ذا فضل).
- (٧) حروفهم (اختلاف القراء في رواية عدد من ألفاظ القرآن الكريم). طاعه بطوعه: لأن له وانقاد. ورياً قصد بقوله «حروفهم»: الحروف التي رمز بها إلى القراء (راجع الحاشية التالية).
- (٨) أباجاد: حروف أبجد هوَز حطِّي الخ (راجع مقدمة دراسة الشاطبية، رقم ٢).
- (٩) الحرف (هنا) ما وقع من الاختلاف بين القراء في رواية لفظة من ألفاظ القرآن الكريم. لم يجعل =

سوى أحرفٍ لا ربيبةٌ في اتّصالها،
وربَّ مكانٍ كُرِّرَ الحرفُ قبلها
ومنهن للكوفيُّ ثاءٌ مثلثٌ
غَنِيَتْ الألى أثبتُّهُ بعدَ نافعٍ
وكوفٌ معَ المكيِّ بالظاء مُعْجَباً
وذو النقطِ شينٌ للكسائيِّ وحزرةٌ،
صحابٌ هم معَ حفصٍ عَمَّ نافعٌ
ومكٌ وحقٌّ فيه وابنُ العلاءِ قُلٌّ.
وباللفظِ أَسْتَغْنِي عن القيدِ إن جَبَلًا^(١)،
لما عارضَ والأمرُ ليس مُهَوِّلاً^(٢)
ويستُهم بالخاءِ ليس بأَغْفَلًا^(٣)،
وكوفٍ وشامٌ، ذالهم ليس مُغْفَلًا^(٤)،
وكوفٌ وبَصُرٌ غَيْنُهُم ليس مُهْمَلًا^(٥)،
وقُلٌّ فيها معَ شعبةٍ صحبةٌ تَلَا^(٦)،
وشامٌ ساءٌ في نافعٍ وقى العَلَا^(٧)،
وقُلٌّ فيها واليخصُي نَفَرٌ حَلَا^(٨) .

- = الناطبي حرف الواو رمزاً لأحد (الحاجته إليه كثيراً في عطف الألفاظ وعطف الجمل). من أجل ذلك حمل الواو فيصلاً (فاصلاً) بين مجموع من القراءات للفظة ما واللفظة أخرى.
- (١) إذا كان الفرق بين القراء واضحاً (معروفاً) فربما أَسْتَغْنِي عن الاتيان بواو العطف. جلا: ظهر. بان.
- (٢) القاعدة أن يذكر الناظم الحرف الذي يرمز إلى القاريء بعد الواو (التي هي حرف عطف). ولكنّه قد يضطر (لإقامة الوزن) أن يأتي بحرف الرمز قبل هذه الواو. لما عارض (ما زائدة): لأمر عارض. مهول: يخيف، مفرع (أنَّ مخالفة القاعدة هنا لا تجعل المقصود غامضاً).
- (٣) منهنّ (من حروف الأبجدية). ثاء (منقوطة بثلاث نقط) تدلّ على عاصم بن أبي النجود وحزرة الزبّات والكسائي (وهم الكوفيون) إذا اجتمعوا كلّهم على قراءة واحدة. أمّا إذا اجتمع السّنة القراء (نافع ابن عبد الرحمن وابن كثير والمازني وابن عامر وعاصم بن أبي النجود وحزرة والكسائي، أي البصريون والكوفيون معاً) فإنّ الناظم يرمز إليهم بالحرف « خاء » (بنقطة من فوقه)، وهو حرف ليس بأغفل (غير منقوط) بل هو منقوط.
- (٤) الذال (هنا) من كلمة « ذا » للرمز. ليس مغفلاً (ليس متروكاً بلا نقطة) بل هو منقوط بنقطة. هذا الرمز « ذ » جملة الناظم للدلالة على الكوفيّين وابن عامر (وهو من الشام: سورية).
- (٥) معجم: منقوط. مهمل: غير منقوط. وإذا اجتمع عاصم وحزرة والكسائي (وهم كوفيون) مع ابن كثير (وهو مكّي) على قراءة واحدة رمز إليهم بالحرف « ظ » (بنقطة).
- (٦) والشين (المنقوطة) رمز على حزرة والكسائي معاً. أمّا إذا وافقهم شعبة بن الحجاج البصري فإنّ الناظم يرمز إليهم جميعاً معاً بالكلمة « صحبة ». تلا: قرأ.
- (٧) كلمة « صحاب » رمز لما اتّفق على قراءته حفص وحزرة الزبّات والكسائي. وكلمة « عمّ » جعلها الناظم دالّة على اتّفاق لنافع وابن عامر معاً. أمّا كلمة « ساء » فهي رمز لنافع وأبي عمرو وابن كثير. وكذلك
- (٨) الكلمة « مك » (وحقّ؟) جعلها (جعلها؟) رمزاً لابن كثير وابن عمرو (ابن العلاء). ثمّ إنّ الكلمة « نفر » كانت رمزاً على ما اتّفق في قراءته ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو.

وَجِزْمِي الْمَكِّي فِيهِ وَنَافِعٌ وَحِصْنٌ عَنِ الْكُوفِيِّ وَنَافِعُهُمْ عَلَا^(١).
 وَمِمَّا أَتَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ كَلِمَةٌ
 فَكُنْ عِنْدَ شَرْطِي وَأَقْضِ بِالْوَاوِ فَيَصِلَا^(٢).
 وَمَا كَانَ ذَا ضِدٍّ فَلِأَنِّي بِضِدِّهِ غَنِيٌّ، فَرَأَيْتُ بِالذَّكَاءِ لِتَفْضُلَا^(٣).
 كَمَدٌ وَإِثْبَاتٌ وَفَتْحٌ وَمُدْغَمٌ وَهَمْزٌ وَنَقْلٌ وَاخْتِلَاسٌ تَحْصِلَا^(٤).

- (١) الكلمة «حرمي» تدل على ابن كثير ونافع. وكلمة «حصن» جعلها دالة على نافع وعلى الكوفيين (وهم: عاصم وحزة والكاساني).
- (٢) هذه الرموز يمكن أن يأتي كل رمز منها قبل كلمة أخرى - فتكون كلمة «صحاب» مثلاً (وهي رمز) مضافة إلى غيرها، نحو: صحابيم - وتأتي أيضاً بعد كلمة أخرى، فتكون الكلمة (التي هي رمز) حينئذ مجردة مفردة مستقلة (غير مضافة). فكن عند شرطِي (أي: خذ بالرموز التي شرحتها لك مفردة، ولا يدخل عليك تردد، إذا أنت رأيت رمزاً من هذه الرموز قبل كلمة أخرى أو بعدها (مضافة أو غير مضافة). فيصل: فاصل (إن واو العطف هي الدليل على انتقال الناظم من قاريه إلى قاريه (من قراءة القرآن الكريم) ومن مجموعة من القراء إلى مجموعة غيرها.
- (٣) إذا كان في قراءة خلاف على التضاد (قاريه يبدأ بالسلسلة وقاريه غيره يترك السلسلة)، فالناظم يذكر أحد الوجهين فقط، وأمّا الوجه الآخر (الذي هو الضد فيكون مستدرَكاً معروفاً بنفسه. زاحم بالذكاء (نافس غيرك باستخدام ما عندك من الذكاء) لتفضل (لتكون أفضل من غيرك في هذا المجال).
- (٤) المد: إعطاء حرف العلة (الألف بعد حرف مفتوح، والواو بعد حرف مضموم، والياء بعد حرف مكسور)، نحو: قام يقوم نريد (فحق الألف والواو والياء هنا أن تمدّ كلّها حركتين: بمقدار ما يمدّ الإنسان على أصابعه «اثنتين»). فإذا جاء بعد أحرف العلة همزة، نحو جاء، يسوه، البريه، طال حرف العلة أربع حركات. أمّا إذا كان حرف العلة في آخر كلمة تمّ تلا الكلمة أولها همزة، نحو «ما أنزلنا» (فإنّ حرف العلة هنا يطول بمقدار ست حركات).
- الإثبات: قراءة الآية على ما هي مدوّنة في المصاحف، نحو: «جنّات تجري من تحتها الأنهار». وفي عدد من الآيات ورد شيء من الحذف، نحو: «جنّات تجري تحتها الأنهار» (بحذف «من»).
- الفتح: لفظ الألف المقلوقة عن ياء (أو عن واو) بفتحة ظاهرة، نحو: رأى، تلا، مجراها، ضحاها. وبفهم الفتح إذا قلنا إن ضده «الإمالة» (أي لفظ الألف المقصورة هنا أو الألف الطويلة محيرة بين الفتح والكسر).
- الإدغام ضده (هنا) الإظهار. ففي الإظهار نقول مثلاً: قد جعل (بلفظ الدال والجم مستقلّتين)، وفي الإدغام يقول بعضهم: فجعل (بقلب الدال جيماً وأدخلها في جيم «جعل»). ومثل ذلك: إذ دخل (ادخل) وقل ربّ (قرّب)، وإن يأتوك (وإن يأتوك) ومن يعرض (وميعرض)، الخ.
- الهمز هو لفظ واضح للهمزة: يؤمنون، الذئب، هزوا. وضدّ الهمز: ترك لفظ الهمزة (يؤمنون، الذئب، هزوا).

وَتَثَبَّتْ فِي الْحَالِسِينَ دُرّاً لَوَامِعاً

وقل قال موسى وأحذِفِ الواوَ دخللاً^(١)؛
وجَزَمْ وتذكيرٌ وغَيْبٌ وخِفَّةٌ وجَمْعٌ وتنوينٌ وتحريكٌ أَعْمَلًا^(٢).
وحيث جرى التحريكُ غيرُ مُقَيَّدٍ هو الفتحُ، والإسكانُ أخاه منزلاً^(٣).
وآخِثٌ بَيْنَ النونِ والياءِ، وفتحِهِم وكسرُ يوبينِ النصبِ والحفْضُ مُنْزَلاً^(٤).
وحيث أقول الضمُّ والرفعُ ساكتاً فغيرُهُم بالفتحِ والنصبِ أقبلاً^(٥).
وفي الرفعِ والتذكيرِ والغَيْبِ جُمْلَةٌ على لفظِها أُطْلِقَتْ مَنْ قَيَّدَ الْعَمَلَا^(٦).

النقل: اسكان الحرف وتقديم حركته إلى الحرف الذي قبله: إِنَّ الأرض (بلام التعريف الساكنة وفتح الهمزة)، فبالنقل يقال: إِنَّ الأرض (بنقل فتحة الهمزة إلى لام وترك لفظ الهمزة): «إِنَّ لرض».

- الاختلاس: خطف الحركة (تسكين الحرف المتحرك)، نحو «سرق» (بضم السين وكسر الراء وفتح القاف - مثلاً)، قرأها بعضهم: «سرق» (بضم السين وسكون الراء).

(١) الدخُل (بضم الدال) فتح اللام الأولى أو ضمّها: من يداخل غيره في الأمور: لعل المقصود أن نفرأ من القراء يقرأون اللفظ الواحد على وجهين أو أكثر.

(٢) من الخلاف بين القراء: بالجزم (جزم الفعل للمضارع أو نصبه مثلاً)، والتذكير (أو التأنيث) والغيب: جعل الفعل بصيغة الغائب، نحو: «وسبّحوه (هم) - فمنهم من يقرأ: «وسبّحوه» (أنتم). وخِفَّةٌ (ضد الثقل)، نحو تساهلون (بفتح التاء والسين): يسأل بعضهم بعضاً، في مقابل: «تساهلون (بتشديد السين؟)». والجمع (ضد الافراد): يقرأ بالجمع أو بالمفرد إذا كانت الصيغة الواحدة يمكن باختلاف الحركات أن تقرأ مفرداً أو جمعاً، نحو: جذر (بفتح ففتح للمفرد) وجذر (بضم فضم للجمع). والتنوين أو افعال التنوين. ففي قراءة: اهبطوا مصر (أي مدينة كبيرة) وفي قراءة ثانية: اهبطوا مصر (القطر المصري). والتحريك (توالي حركتين)، فهناك قراءة: لقد جئت شيئاً نكراً (بضم فسكون) ثم قراءة ثانية (لقد جئت شيئاً نكراً (بضم فضم).

(٣) إذا قال: هذه الكلمة بالتحريك فهي بفتح ففتح، نحو: نهر (بفتح النون والهاء) وأما إذا قال بالنسكين فهي «نهر» (بفتح النون وسكون الهاء).

(٤) إذا قال: إِنَّ فلاناً قرأ فلاناً بالياء (للقائِب): «يكفر عنكم سيئاتكم (مثلاً) يكون غيره يقرأها بالنون (لجمع المتكلم): «نكفر عنكم سيئاتكم» (مثلاً). وأخى أيضاً بين النصب والفتح (قرن بينهما، جعلها دالين على شيء واحد (مع أنها أمران مختلفان. إِنَّ الضمَّ والفتح والكسر من الحركات الأصلية في الكلمة. أما الرفع والنصب والجَرَّ فهي علامات للإعراب. نقول: جاء زيد ورأيت زيدا. إِنَّ الضمَّين على الدال (من زيد) والفتحَين (من زيدا) هما علامة رفع وعلامة نصب. أما الفتحة والسكون والضمَّة الراء والهمزة والتاء (في رأيت) فهي من بناء الكلمة (لا تتغير باختلاف الإعراب).

(٥ و ٦) في هذين البيتين يكرّر الناظم التأكيد: إذا ذكر قراءة أحد القراء بوجه فتكون قراءة القارئ (الذي لم يذكره) بالوجه الآخر.

وَقَبْلَ وَبَعْدَ الْحَرْفِ آتَى بِكُلِّ مَا
وَسَوْفَ أُسَمِّي حَيْثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ
وَمَنْ كَانَ ذَا بَابٍ لَهُ فِيهِ مَذْهَبٌ
أَهْلَتْ فَلَبَّتْهَا الْمَعَانِي لُبَابُهَا
وَفِي يُسْرِهَا «التَّيْسِيرُ» رُمْتُ اخْتِصَارَهُ
وَأَلْفَاظُهَا زَادْتُ بِنَشْرِ فَوَائِدِ
وَسَمَّيْتُهَا «حِرَزَ الْأَمَانِي» تَيْمُنًا
وَنَادَيْتُ: أَللَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِعٍ،
إِلَيْكَ يَدِي، مِنْكَ الْيَادَي تَمُدُّهَا،
رَمَزْتُ بِهِ فِي الْجَمْعِ إِذْ لَيْسَ مُشْكِلًا^(١).
بِهِ مُوضِحًا جِيدًا مُعِمًّا وَمُخَوِّلًا^(٢).
فَلَا بُدَّ أَنْ يُسَمَّى فَيُذَرَى وَيُقْلَلًا^(٣).
وَصُفْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذْبًا مُسَلَّسًا^(٤).
فَأُجِنْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا^(٥).
فَلَقْتُ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تَفْضَلًا^(٦).
«وَوَجَّةُ النَّهَائِي» فَأَهْنَيْهِ مُتَقَبَّلًا^(٧).
أُعْذِنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلًا وَمَفْعَلًا^(٨).
أَجْرَنِي فَلَا أَجْرِي بِجَوْرِ فَأَخْطَلًا^(٩).

- (١) الحرف: القراءة من القرآن الكريم (نهر - بفتح فسكون أو بفتح ففتح - حرفان في اصطلاح قراءة القرآن الكريم). الرمز (هنا) هو الحرف من الحروف الهجائية التي جعلها الناطم علامة على كل قارئ. هذا الحرف الذي هو «رمز» يمكن أن يأتي في أبيات هذه الأرجوزة «قبل» الحرف الذي هو وجه من أوجه القراءة.
- (٢) ولكن ربيّا ذكر الناطم اسم القارئ صراحة (قالون، نافع، الخ) إذا أمكن ذلك في الوزن. موضحاً: مبيّناً. جيد. عتيق. معم (فيه شبه من عمه). مخول: (فيه شبه من خاله). «مجيد معم في الشيرة مخول» (شطر لامرئ القيس)، كناية عن صحّة النسب وكرم الأصل.
- (٣) إذا كان لقارئه قراءة خاصة به لا يقرأ بها أحد غيره فإنّ الناطم يذكر اسم ذلك القارئ صراحة ولا يرمز إليه بحرف من حروف الهجاء.
- (٤) أهلت: طلعت (بدت) كالحلال (منيرة). وأهل أيضاً: رفع الرجل صوته (كناية عن الوضوح). لبّتها المعاني (استجاب لها المعاني): استطعت أن أجمع فيها كلّ القراءات. لبابها (بدل من المعاني): الخالص من كلّ شيء (الصحيح، الأصل). ساغ الشراب (جرى في الحلق بسهولة).
- (٥) اختصر الناطم في هذه الأرجوزة كتاب «التيسير» (في القراءات) لأيّ عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ - راجع ترجمته في الجزء الرابع).
- (٦) يقول الناطم: ومع أنّ في هذه الأرجوزة أحكاماً أكثر عدداً من تلك الموجودة في كتاب «التيسير»، فإنّي لم أشر إليها كيلا يظنّ نفر من الناس أنّي أريد أن أفتخر على صاحب كتاب «التيسير».
- (٧) فاهنه (اعنا به - فعل أمر) متقبلاً: قابلاً، راضياً بما فيها، ومقبلاً عليها كي تستفيد مما فيها.
- (٨) التسميع: طلب السمعة (الشهرة عند الناس).
- (٩) الجور: الظلم، والحيد (بفتح فسكون عن الطريق السويّ). الخطل (بفتح ففتح). الكلام المضطرب الفاسد.

أَمِينٌ وَأَمْنًا لِلْأَمِينِ بِسَرِّهَا، وَإِنْ عَثَرْتُ فَهُوَ الْأَمُونُ تَحْمَلًا (١).
أَقُولُ لِحُرِّ وَالْمُرْوَةِ مَرُؤُهَا لِإِخْوَتِهِ الْمَرَأَةَ فِي التَّوْبِ يَكْحَلًا (٢).
أَخِي - أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ - يُنَادِي عَلَيْهِ كَاسِدُ السُّوقِ: أَجِيلًا (٣).
وظَنَّ بِهَا خَيْرًا وَسَامَحَ نَسِيجَهُ بِالْأَغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلًا (٤).
وَسَلَّمَ لِإِحْسَادِي الْحُسَيْنِيِّينَ إِصَابَةً
وَالْآخَرَى اجْتِهَادَ رَامِ صَوْبًا فَأَمَحَلًا (٥).

وَإِنْ كَانَ خَرَقٌ فَادْرِكْهُ بِفَضْلِهِ مِنَ الْحِلْمِ، وَلِيُصْلَحْهُ مِنْ جَادٍ مِقُولًا (٦).
وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الْوِثَامُ وَرَوْحُهُ لَطَاخَ الْأَنَامِ الْكُلِّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَى (٧).
وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا، وَعَنْ غَيْبَةٍ فَغِيبْ تُحَضَّرُ حِطَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغْسَلًا (٨).

- (١) أمين: (آمين): اسم فعل بمعنى «استجب» (يا رب). أمنا (منصوبة بفعل محذوف): هب لي (يا رب) أمنا. الأمين (الرجل المؤتمن على ما في هذه الأرجوزة من الأحكام). وإن عثرت (وإذا كان فيها عثرة: خطأ) فهو (أي القارئ) لهذه الأرجوزة الأمون (الناقة القوية) كتابة عن يستطيع بسعة صدره أن يضي عما يمكن أن يكون فيها من الخطأ.
- (٢) الإنسان الحر يكون مرآة لإخوانه (يهدئهم على عيوبهم من غير أن يقرعهم أو يفتخر عليهم).
- (٣) «كاسد السوق» إشارة إلى ناظم الأرجوزة، فهو ينادي (يقول لقارئها): أجل (قل فيها قولاً جيلاً - وإن كانت لا تستحقه).
- (٤) بالإغضاء (بفض البصر عن الميوب). المهمل: الثوب الضعيف النسج (القول الركيك القليل المعنى).
- (٥) في الأصل: إصابة واجتهاد (بالرفع بضمتين). ولعل الأصوب نصبها على أنها مفعول به من «سلم». إحدى الحسينيين (إشارة إلى الحديث الشريف: من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد): إذا كان في هذه الأرجوزة صواب فأنسبه إلى اجتهادي الذي وافق الحق. وإن كان فيها خطأ فأنسبه إلى حسن ظني ومدى معرفتي (القليلة). الصوب: سقوط الدفعة (بالضم) من المطر. أحمل المكان (أجذب) لم يسقط فيه مطر (لقد قصدت أن أصيب فلم يتيسر ذلك لي).
- (٦) الحرق: الخطأ الواضح الفاضح. وليصلحه (يصححه) من جاد (الذي يحسن) مقولاً (القول): من عرف وجه الصواب فيما أخطأت أنا فيه فليتفضل بأن يدل الناس عليه.
- (٧) طاح: هلك، اضطرب؛ تاه، ضل. الأنام الكل: كل الأناس. الخلف: الاختلاف. القلى: البغضاء.
- (٨) وعن غيبة (ذكر أخيك بما يكره) فغيب (اهجر): لا تقل شيئاً رديئاً عن أحد. فإذا فعلت ذلك تحضر (يدخلك الله) حطار (حظيرة: مكان فيه شجر تقي من الحر) القدس (الطهر، المكان الطاهر، النقي): الجنة. انقى مغسلاً (نظيفاً عارباً من كل درن: وسخ، ذنوب).

وهذا زمانُ الصبرِ، مَنْ لكَ بالتي
ولو أَنَّ عينا ساعدت لتوكَّفت
ولكنَّها عن قِيوةِ القلبِ قَحْطُها،
بنفسي مَنْ استَهْدَى إلى الله وحده
وطابت عليه أرضه فتفتَّحت
فطوبى له والشوقُ يبعثُ همَّةً
هو المُجتَبَى يغدو على الناسِ كُلِّهم
يُعَدُّ جميعَ الناسِ مولى لأنَّهم
كَقَبْضٍ على جَمَرٍ فتَنجُو مِنَ البَلَا^(١)
سَحَابُهَا بالدَمْعِ دِيماً وَهَطَّلاً^(٢)
فيا ضيعةَ الأعمارِ تَمْشِي سَبْهَلاً^(٣)
وكانَ له القرآنُ شِرباً وَمُغْضَلاً^(٤)
بكلِّ عَيرٍ حينَ أصبحَ مُخْضَلاً^(٥)
وزَندُ الأُسى يَحتاجُ في القلبِ مُشْعِلاً^(٦)
قريباً غريباً مُسْتَنَلاً مُؤْثَلاً^(٧)
على ما قضاهُ اللهُ يُجْرُونَ أَفْعَلاً^(٨).

(١) هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن محنة ومصائب وفتن (قتال وعداوات) كقبض على جمر (نار)، لصعوبة الحياة فيه (إشارة إلى الحديث الشريف: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر).

(٢) لو أَنَّ الناس يشعرون بما يحيط بهم من المصائب ويطلُّ عليهم من التهديد لتوكَّفت (قطرت، بكت) عيونهم. ديماً (جمع ديمة: مطرة دائمة) وهطَّلاً: مع هائل: مطر كثير.

(٣) السبيل: الفارغ، المفرد (بنفسه لا شيء معه). - ولكن عيون هؤلاء الناس لا تبكي لقسوة قلوبهم. الأعمار تمشي: تمر، تنقضي. تمشي سبهاً (يسير المرء بفرح وتكبر مع أن عمره خال من الأعمال الصالحة).

(٤) - أفدي بنفسي كلَّ إنسان يستهدي (يطلب الهداية) من الله وحده ثم يتخذ القرآن (بالاستمرار في قراءته) شرباً (حطاً، نصيباً) ومغضلاً (وسيلة إلى الاغتسال من الذنوب) لأنَّ قراءة القرآن تزيد في حسنات قارئه.

(٥) فإذا أكثر المسلم من قراءة القرآن «طابت عليه أرضه» (صلحت حاله بالطاعة) و «تفتَّحت» (تشتَّقت: انتشر منها) بكلِّ عَيرٍ (رائحة طيبة): شعر بالسرور والسعادة حين أصبح مغضلاً (مبتلاً بالماء): حين تعظم حسناته فيعظم سروره (لكثرة ما ينال من الخيرات من عند الله).

(٦) فطوبى له: ما أسعده (في هذه المدة التي يقرأ فيها القرآن ويقوم بطاعة الله). وزند (حديدة) تدح بها النار من الحجر (الأسى (الحزن) يحتاج في القلب مشعلاً (ندماً على الزمن الذي مرَّ في أوَّل حياته ولم يكن فيه يقرأ القرآن أو يقوم بفروض الدين).

(٧) هو المجتبي (الذي يقربه الله إليه)، ثم يصبح هذا الإنسان قريباً من الناس (محبوباً عندهم)، ولكن غريباً (لأن أمثاله قليلون) مستلاً (يحبُّ الناس أن يقربوه إلى أنفسهم - أو يتقربون منه) مؤثلاً (يرجو الناس المعونة منه عند الشدائد).

(٨) مولى (خليقاً بالرعاية). في الأصل «أفعل» (يفتح العين)، ولعلَّ الأصوب أن تكون «أفعل» (بضمَّ العين (جمع قلَّة قياساً مثل أجبل وأهر وأبحر). يحسن بالعامل أن يعذر الناس لأنَّ الأعمال السيئة التي يقومون بها (مثل أعمالهم الحسنة أيضاً) قد كتبها الله عليهم.

يرى نفسه بالذمّ أولى لأنّها
وقد قيل كُنْ كالكلب يُقصيه أهله
لعلّ الله العرش، يا إخوتي، يتي
ويجعلنا ممن يكون كتابه
وبالله حوّلي واعتصامي وقوّتي،
فيا ربّ، أنت الله حسبي وعدّتي،
على الهدى تلتق من الصبر والألا^(١).
وما يأتي في نصيحهم مُتبدلاً^(٢).
جاعتنا كلّ المكارِه هوّلاً^(٣)،
شفيماً له إذ ما نسوه فيمّحلاً^(٤).
وما ليّ إلاّ ستره متجلّلاً^(٥)
عليك اعتمادٍ ضارعاً متوكّلاً^(٦).

(ب) من المتن: «أحكام البسمة (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ٣٠)».

وبَسْمَلٍ بَيْنَ السُورَتَيْنِ بَسْمَةً
وَوَصْلِكَ بَيْنَ السُورَتَيْنِ فَصَاحَةً،
رَجَالٌ نَمَوْهَا دَرِيَّةً وَتَحْمَلًا^(٧).
وَصِلْ وَاسْكُنْ كُلَّ جَلَاءٍ حَصَلًا^(٨).

(١) الصبر (يفتح الصاد وكسر الباء - أو يسكون الباء مع كسر الصاد أو فتحها): عصارة شجر مرّ والألا: شجر مرّ الطعم. - إنّ من يلوم غيره (وهو لم يختبر ما اختبروه، أو لم يلق شيئاً من المشاق في الوصول إلى مكانته - أو لم يكلّف نفسه الثبات على طاعة الله) أحق من كلّ الناس بالذمّ.

(٢) إنّ الكلب أكثر وفاء للإنسان من الإنسان للإنسان. - ربّما طرد نفر من الناس كلباً كان عندهم (السبب ما)، ولكن هذا الكلب يظلّ (برغم ذلك) يبذل جهده في نصيح أولئك الناس (والدفاع عنهم).

(٣) يمي: يمي. هول (المقصود أن تكون جمع هائل: مخيف).

(٤) الكتاب: الصحيفة التي تكون فيها أعمال الإنسان ثمّ تعرض عليه يوم القيامة. فإذا كانت حسنات الإنسان في صحيفته أكثر من سيئاته شفعت له فدخل الجنة. - وربّما كان «الكتاب» (هنا): القرآن. فمن حفظه وتلاه (وأمّن بما فيه) كان القرآن شفيماً له يوم القيامة. محلّ يحمل فهو ماحل (خضم). من هجر القرآن في الدنيا كان القرآن خصمه يوم القيامة. وفي الحديث: القرآن شافع مشفع وماحل مصدّق. من شفع له القرآن يوم القيامة نجّا، ومن محلّ به (كاده أو سعى به إلى السلطان) كبّه الله في النار على وجهه.

(٥) الحول: القوّة. الاعتصام: التمسك.

(٦) حسي: كفايتي (إذا اعتمدت عليه فلا أحتاج إلى أحد بعد ذلك). وعدّتي (للمستقبل). الضارع: الذليل الخاضع.

(٧) إذا قرأ المسلم سورة ثمّ استمرّ إلى الثانية، فلا ضرورة للبسمة (قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم) بينها. ولكن من السنة (من عادة رسول الله أنّه كان يفعل ذلك). وهناك رجال (قراء) غموا ذلك: رفعوه (رووه عن الرسول) درية (أو دراية: بعلم يقين) وتحمّلاً (حلاً: رواية عن رجال آخرين - من الصحابة - كانوا يفعلون ذلك).

(٨) ويجوز أيضاً أن تصل بين السورتين (بنفس واحد) فتنتهي من سورة وتبدأ سورة من غير أن تبسمل بينها. وكلّ جلاياه حصلاً: وجميع القراء يعرفون ذلك. ولكن إذا انتهى القارئ من سورة الناس =

ولا نصَّ كَلَّا حُبَّ وجهَ ذكرته
وسكتهم المختارُ دونَ تنفسٍ،
لهم دون نصٍّ وهو فيهن ساكتٌ
ومها تصلُّها أو بدأت براءة
ولا بُدَّ منها في ابتدائك سورة
ومها تصلُّها مع أواخر سورة،
وفيه اختلافٌ جيده واضحُ الطُّلا^(١).
وبعضهم في الأربع الزُّهرِ بَسْمَلًا^(٢).
لِحِمْزةٍ فافهمه وليس مُخَذَّلًا^(٣).
لِتنزيلها بالسيفِ لست مُبَسِّلًا^(٤).
سواها، وفي الأجزاء خَيْرَ مَنْ تَلا^(٥).
فلا تَقْفَنَّ - الدهرَ - فيها فتثقلًا^(٦).

- أحكام تغنيم الرأى وترقيقها (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ١١٩ - ١٢٢):

ورَقَّقَ وَرَّشَ كُلَّ رَأَى وَقَبَّلَهَا مُسَكَّنَةً يَاءُ أَوْ الْكُسْرُ مُوَصَّلًا^(٧).

- = (رقم ١١٤ آخر المصحف) ثم أراد أن يصلها بالفاتحة (السورة الأولى أول المصحف) فيجب عليه أن يسمل.
- (١) ولا نصَّ على أحد الوجهين (البسلة أو ترك البسلة) إذا انتهى القارئ من سورة ثم بدأ السورة التي تليها بنفس واحد. ولكنَّ كلَّ قارئ قد اجتهد واختار بحسب اجتهاده. الجيد: العنق. الطلا جمع طلاة (بالضم): العنق أو صفحة العنق. واضح الطلا: أمر ظاهر.
- (٢ و ٣) هنالك سور يستحسن السكت عليها - بلا تنفس - أو البسلة عند الانتقال من احداها إلى التي تليها، لا ضرورة هنا لتفصيل ما يتملَّق بها).
- (٤) وعند قراءة سورة « براءة » أو « التوبة » (السورة التاسعة في المصحف) لا يسمل القارئ لها، لأن هذه السورة نزلت في الحرب وفي تهديد المشركين.
- (٥) أمَّا إذا ابتدأ القارئ قراءة سورة (غير براءة) فلا بدَّ من البسلة. أمَّا إذا أراد أن يقرأ جزءاً من سورة (فيبتدئ) من ربيعها أو وسطها (الخ) فله أن يسمل أو أن يترك البسلة.
- (٦) يجوز عند الانتقال بالقراءة من سورة إلى سورة تليها: قراءة آخر السورة والبسلة وأول السورة التالية وصلًا بنفس واحد - الوقف عند آخر السورة الأولى، والوقف على البسلة ثم الابتداء بقراءة أول السورة التالية - الوقف عند آخر السورة الأولى ثم قراءة البسلة وأول السورة التالية بنفس واحد. ولكن لا يجوز قراءة آخر السورة الأولى مع البسلة بنفس واحد ثم البدء بالسورة التالية بنفس جديد.
- (٧) إنَّ ورشاً قد قرأ كلَّ رَأَى (مهما يكن الحرف الذي يسبقها أو الحركة التي نسبتها): لفظها غيبة غير غليظة.

وَلَمْ يَزَ فَضْلاً سَاكِنُ سَماً بِمَدِّ كَسْرَةٍ

- سوى حرفِ الْإِسْتِعْلَاءِ سوى الْخَا فِيكُلاً^(١).
 وَفَحَمَّهَا فِي الْأَعْجَمِيِّ فِي إِرَمَ وَتَكَرَّرَ بِهَا حَتَّى يُرَى مُتَعَدِّلاً^(٢).
 لَدَى جِلَّةِ الْأَصْحَابِ أَعْمَرُ أَرْحُلًا^(٣) وَ« حَيْرَانَ » بِالتَّفْخِيمِ بَعْضُ تَقَبُّلًا^(٤).
 فِي الرَّاءِ عَنْ وَرْشٍ سِوَى مَا ذَكَرْتُهُ مَذَاهِبُ شَذَتْ فِي الْأَدَاءِ تَوْقُلًا^(٥).
 وَلَا بَدَأَ مِنْ تَرْقِيقِهَا بِمَدِّ كَسْرَةٍ إِذَا سَكَنْتَ، بِأَصْحَابِ، لِلْسَّبْعَةِ الْمَلَا^(٦).
 وَمَا حَرْفُ الْإِسْتِعْلَاءِ بَعْدَ، فَرَاؤُهُ لِكُلِّهِمُ التَّفْخِيمُ فِيهَا تَذَلُّلاً^(٧).
 وَيَجْمَعُهَا قَطْ خُصَّ ضَفْطُ، وَخَلْفُهُمْ بِفَرْقٍ جَرَى بَيْنَ الْمَشَائِخِ سَلْبًا^(٨).

- (١) وَلَكِنْ وَرِثَا بِفَحَمَ الرَّاءِ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ حَرْفِ اسْتِعْلَاءٍ (فَحَمَ بِنَفْسِهِ: خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) نَحْوُ: فِطْرَةٍ، إِصْرًا. وَلَكِنَّهُ يَرْقُقُ الرَّاءَ بَعْدَ الْهَاءِ (شَرْحُ ابْنِ الْقَاصِحِ ١١٩).
 (٢) ثُمَّ إِنَّ وَرِثَا فَحَمَ الرَّاءَ فِي الْأَلْفَاظِ الْأَعْجَمِيَّةِ: إِبْرَاهِيمَ، عِمْرَانَ (بِكَسْرِ الْعَيْنِ)، إِرَمَ (بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ)، وَفِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَتَكَرَّرُ فِيهَا الرَّاءُ، نَحْوُ: ضَرَارًا - حَتَّى يَرَى (الْفَلْظُ) مُتَعَدِّلاً: فَإِنَّ الرَّاءَ الثَّانِيَةَ مَفْخُمةً ثُمَّ فَخَمَتْ الرَّاءَ الْأُولَى إِلْهَافًا.
 (٣) جِلَّةُ الْأَصْحَابِ: كِبَارُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ. أَعْمَرُ الرَّحْلَ (بِفَتْحِ الرَّاءِ: مَنْزِلُ الْإِنْسَانِ): جَمْلُهُ أَكْثَرُ عِمْرَانًا (بِضَمِّ الْعَيْنِ). وَفَحَمَ وَرْشَ كَلِمَاتٍ مِنْهَا: سَتْرًا، وَزْرًا، صَهْرًا (بِالْكَسْرِ فِيهَا كُلِّهَا) وَلَكِنْ يَجُوزُ تَفْخِيمُهَا. غَيْرَ أَنَّ وَرِثَا يَرْقُقُ كَلِمَةً سَرًّا، مِثْلًا.
 (٤) وَجَمِيعُ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْ وَرْشٍ يَرْقُقُونَ أَلْفَاظًا مِثْلَ «بَشَرَ» (بِتَرْقِيقِ الرَّاءِ الْأُولَى أَيْضًا، لِأَنَّ مَا بَعْدَهَا مَكْسُورٌ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ وَمَا قَبْلَهَا مُفْتَوْحَيْنِ). وَلَكِنْ وَرِثَا نَفْسَهُ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى كَلِمَةٍ «بَشَرَ» فَخَمَ الرَّاءَ مِنْ مَعَى. وَأَمَّا غَيْرُ وَرْشٍ فَإِنَّهُمْ يَفْخِمُونَ الرَّاءَ الْأُولَى فِي «بَشَرَ». وَأَمَّا الرَّاءُ الثَّانِيَةُ فَلَهَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ وَجْهَانِ: التَّفْخِيمُ (إِذَا سَكَنُوا) وَالتَّرْقِيقُ (إِذَا هُمْ عَامِلُوهُمَا بِالرُّومِ - بِنَفْخِ الرَّاءِ -، أَيْ بِاخْتِلَاسِ الْحَرَكَةِ حَتَّى تَدُلَّ شَفْطَا الْقَارِئِ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْمَعَ الْقَرِيبُ مِنْهُ لَفْظَهَا. وَكَذَلِكَ رَوَى نَاسٌ عَنْ وَرْشٍ تَفْخِيمَ الرَّاءِ فِي كَلِمَةِ «حَيْرَانَ».)
 (٥) الْأَدَاءُ: طَرِيقَةُ لَفْظِ الْكَلِمَاتِ. تَوْقُلُ: صَدَّ فِي الْجَبَلِ. وَهَنَالِكُ رَوَايَاتٌ عَنْ وَرْشٍ فِي تَفْخِيمِ الرَّاءِ فِي عِدَدٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ مُخْتَلِفَةِ الْأَحْوَالِ وَشَاذَةٍ عَنِ الْقَوَاعِدِ فَيَحْسِنُ تَرْكَ التَّوَسُّعِ فِيهَا (فِي الْأَرْجُوزَةِ).
 (٦) وَجَمِيعُ الْقُرَّاءِ يَرْقُقُونَ الرَّاءَ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ كَسْرَةٍ (فِي وَسْطِ الْكَلِمَةِ)، نَحْوُ: فَرْعُونَ، شَرَعَةٌ (أَوْ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ)، نَحْوُ: فَاصِبِرْ، سَحَرِ سَمْتَرًا.
 (٧ و ٨) وَجَمِيعُ الْقُرَّاءِ قَدْ فَخَمُوا الرَّاءَ بَعْدَ أَحَدِ حُرُوفِ اسْتِعْلَاءِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ: الْهَاءُ وَالصَّادُ وَالضَّادُ وَالطَّاءُ وَالظَّاءُ وَالغَيْنُ وَالْقَافُ (مِجْمُوعَةٌ فِي: قَطْ خُصَّ ضَفْطُ). ثُمَّ إِنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا يَبِينُ (رَأَيْنَا قَبْلًا أَنَّ وَرِثَا يَرْقُقُ الرَّاءَ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْأَحْرَفِ إِلَّا الْهَاءَ، فَإِنَّهُ يَفْخِمُ الرَّاءَ بَعْدَ الْهَاءِ).

وما بعد كسرٍ عارضٍ أو مُفصلٍ ففَعَمٌ، فهذا حُكْمُهُ مُتَبَذَلًا^(١)
وما بعده كسرٌ أو الياء، فما لَهَمْ بترقيقهِ نصٌّ وثيقٌ فيمَثَلًا^(٢)
وما لقياسٍ في القراءة مدخلٌ، فدونك ما فيه الرِّضَا مُتَكَفَّلًا^(٣)؛
وترقيقُها مكسورةٌ عند وصلِهم وتفخيمُها في الوقفِ أَجْعُ أَشْمَلًا^(٤)؛
ولكنَّها في وقْفِهم مَعَ غيرها تُرَقِّقُ بعدَ الكسرِ أو ما تَمَيَّلًا^(٥)،
أو الياء تأتي بالسكون، ورومهم كما وصلِهم فابُلُ الذكاء مُصَقَّلًا^(٦).

(١) وجميع القراء (وورش فيهم أيضاً) يفخمون الراء إذا جاءت بعد كسر عارض (ليس من أصل الكلمة)، نحو: ارجعوا (فعل أمر للجماعة المخاطبين) وارتابوا، الخ ثم في امرأة، امرؤ، امرؤ... (لأن الراء هنا مسبوقة بسكون). وأما الكسرة في أول «ارتابوا» فإنها أيضاً ساكنة (لأنها همزة وصل) ثم نحن أجزنا كسرهما لنتمكن من لفظها إذا نحن بدأنا لفظها غير موصولة بكلمة قبلها. إذا قرأنا: لكل امرئ الفظنا ذلك بكسر اللام الثانية (في لكل) وبسكين همزة الميم معاً في «امرئ» (فتخفى حينئذ همزة وتبقى الميم ساكنة قبل الراء). أو مفصل (مفصول بينه وبين الراء، نحو «امرئ»، فإنه قد فصل بين الراء والهمزة المكسورة في اللفظ بالميم الساكنة). حكمه متبذلاً (مبذول، مشهور).

(٢) إذا وقع بعد الراء كسر أو حرف الياء، فلا نص حينئذ على ترقيق الراء فتكون الراء حينئذ مفخمة. فيمثل (بالبناء للمعلوم، في الأصل): يكون أمثل ذا وجه صحيح. ويجوز بناء «يمثل» للمجهول فيكون معناها: تتبع على أنها قاعدة.

(٣) والأداء (قواعد القراءة في القرآن الكريم) رواية عن الصحابة عن رسول الله، فليس فيه قياس بعض ألفاظه على بعض. من أجل ذلك يحسن أن يكتفي المطالع بهذه الوصايا العامة في تفخيم الراء أو ترقيقها.

(٤) إذا كانت الراء مكسورة: في أول الكلمات (نحو: رجال، رضوان) أو في وسط الكلمات (نحو: فرحين، الشاكرين) وجب ترقيقها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة في آخر الكلمة، فإن لها حينئذ وجهين: إذا نحن وصلنا القراءة، نحو: إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. إن الراء في «نهر» (بفتح ففتح فجر) فالراء في «نهر» تكون مرققة. وأما إذا قرأنا: «إن المتقين في جنات ونهر» (ووقفنا)، فإن الراء تكون حينئذ مفخمة.

(٥) عند الوقف على الراء المكسورة (إذا كان ما قبلها مفتوحاً: «كلمح بالبصر»، أو مضموماً: «إلى أزدل العمر»، أو كانت مسبوقة بألف: «وقنا عذاب النار» أو بحرف ساكن سكوناً صحيحاً: «إن مع العسر يسراً»، أو بواو: «في عتو ونفور فإنه يجب تفخيمها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة (عند الوقف عليها) بعد حرف مكسور: «عند مليك مقتدر»، فإنها ترقق. تميل من الأمانة (الحرف يحرك بين الفتح والكسر).

(٦) وإذا جاء قبل الراء (المتنوعة أو المضمومة) بعد الياء: نحو: «فافعلوا الخير» - إن الله على كل شيء =

وفيا عدا هذا الذي قد وَصَفَتْهُ
(ج) الخاتمة:

وقد وَفَّقَ اللهُ الكَرِيمُ بَنَّهُ
وأبْيَأَتْهَا أَلْفٌ تَزِيدُ ثَلَاثَةً
وقَدْ كُتِبَتْ مِنْهَا الْمَعَانِي عِنَايَةً
وَتَمَّتْ بِمَحْمَدِ اللهِ فِي الْخَلْقِ سَهْلَةً
ولَكِنَّهَا تَبْنِي مِنَ النَّاسِ كُفُوهَا
وليس لها إِلَّا ذُنُوبٌ وَلِيَّهَا
وقل: رَجِمَ الرَّحْمَنُ حَيًّا وَمَيِّتًا
عَسَى اللهُ يُدِنِي سَعْيِهِ بِجَوَازِهِ،

لَا كِبَالَهَا حَسَنَاءَ مَيِّمُونَةٍ الْجَلَاءِ (٢)
وَمَعَ يَائَةِ سَبْعِينَ زُهْرًا وَكُمَلًا (٣)
كَمَا عَرِيتَ عَنْ كُلِّ عَوْرَاءٍ مِفْصَلًا (٤)
مُزَهَّهً عَنْ مَنْطِقِ الْمُهْجَرِ يَقُولَا (٥)
أَخَا ثِقَةٍ يَعْفو وَيُغْضِي تَجْمَلًا (٦)
فِيَا طَيْبَ الْأَنْفَاسِ، أَحْسِنِ تَأْوِيلًا (٧)
فَقَى كَانَ لِلْإِنْصَافِ وَالْجِلْمِ مَقْعَلًا (٨)
وإن كَانَ زَيْفًا غَيْرَ خَافٍ مُرَلَّلًا (٩)

= فدير ، ، فإنها أيضاً ترقق. - قابل (اختير) الذكاء (ذكاءك) مصقلاً (مصقولاً مهذباً، مثقفاً): استعمل ذكاءك ومعرفتك في التفریق بين تفخيم الرأى وترقيقها.

(١) أمّا في جميع الأحوال التي لم تذكر (في الأبيات الثلاثة السابقة) فيجب تفخيم الرأى.

(٢) المُن: النعمة والإحسان والكرم. ميمونة: مباركة. الجلاء: المرض (على الناس).

(٣) زهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء (بيضاء). كمل جمع كامل.

(٤) عريت: خلت. العوراء: الكلمة القبيحة. مفصل: في القافية أو في وزن الشعر (يقول: ليس فيها عيب في نظمها من حيث وزنها ومن حيث قافيتها). والمفصل: اللسان (.... وليس فيها عيب في اللفظ).

(٥) في الخلق (في البناء، في النظم). المهجر: الكلام الفاحش. المقول: اللسان (لم يلفظ لسانى فيها بكلمة فاحشة).

(٦) تبني: تطلب. الكفؤ: المثل (هنا): العالم النصف. أخو ثقة (في علمه) يعفو عن الخطأ (إذا كان هذا الخطأ غير مقصود) ويغضي (يغض عينه عن تتبع مواضع الخطأ: لا يقصد البحث عن أخطاء غيره). التجمل: تكلف الانتصاف بالجمال أو بالفعل الجميل (يحسن بالقارىء إذا وقع على خطأ في هذه الأرجوزة أن يلتبس لناظمها عذراً في ذلك).

(٧) ليس في هذه الأرجوزة عيب إلا ذنوب وليها (ناظمها): ذنوبه في الدين (لا في نظم الشعر). التأويل (هنا) البحث عن وجه حسن لما تجده فيها من العيب (لأن ناظمها لم يقصد أن يخطئ).

(٨) فقى (يقصد بذلك نفسه): سأل قارىء هذه الأرجوزة أن يطلب الرحمة لناظمها. الحلم: سمة الصدر وساعة الآخرين إذا أخطأوا. المعقل: الحصن (الماوى، المكان).

(٩) يدني: يقرب. سعيه: عمله (هذه الأرجوزة). بجواز: بانتفاع الطلاب بهذه الأرجوزة - أو بجواز: يسر ناظمها يوم القيامة على الصراط ودخل الجنة). الزيف: الغش (خلط الشيء بما ليس من جنسه أو بما هو دون). المزل: الكثير الزلل والخطأ.

فيا خيرَ غفَّارٍ ويا خيرَ راحمٍ ، ويا خيرَ مأمولٍ جدًّا وتفضلاً^(١) ،
أقبلْ عِشْرَتِي وانقُصْ بها وبِقَصْدِهَا ؛ حَنَانِيكَ - يا الله - يارافعُ العُلا^(٢) .
وَأخِيرُ دَعْوَانَا بتوفيقِ رَبِّنَا أنِ الحمدُ لله الذي وَحَدَه عَلا .
وبعدُ صلاةُ الله ثم سَلامُه على سيِّدِ الخَلْقِ الرِّضا مُتَخَلِّلا^(٣) ؛
مُحَمَّدٍ المُخْتَارِ للمجدِّ كَغَبَّةٍ صلاةُ تَبَارِي الرِّيحِ مِسْكَاً وَمُنْدَلاً^(٤) ؛
وتُبْدِي على أَصْحَابِهِ نَفَاحَاتِهَا بغيرِ تَنَاءٍ زَرْباً وَقَرَنُفُلاً^(٥) .

٤ - حرز الأمانى ووجه التهاني (في القراءات السبع)، مصر (طبع حجر): بمطبعة حسن التتري (٩) ١٢٨٦ هـ؛ نشرت في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ (٩)؛ بعنوان «من الشاطبية» (شعبان محمد إسماعيل)، مصر (مكتبة جمهورية مصر، بلا تاريخ).

- عتيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٨ هـ.

★★ من الشروح عليها:

- كثر المعاني... لمحمد بن الحسن القاسمي (ت ٦٥٦ هـ)، بشاور^(١) (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ .
- إبراز المعاني من حرز الأمانى لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ)، مصر (مصطفى البالي الحلبي) لشطة الموصلية الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ)، القاهرة (على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء).

- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي لعلاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العُدري البغدادي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٣٩٤، ١٣٠٤^(٧)، ١٣١٧، ١٣٣٠، ١٣٤٦.

(١) الجداء: العطاء.

(٢) أقال فلان عثرة فلان: أقاله (رفعه، أنهضه) من عثرته (وقوعه أرضاً، أو في الخطأ).

(٣) سيد الخلق: محمد رسول الله. المتخَّل: المختار من الناس (من خيار الناس وأفضلهم).

(٤) تباري (تنااض) الريح (في الكثرة والقوة والسرعة) مسكاً ومندل (المندل: العود - نوع من البخور - الطيب الرائحة).

(٥) ... وأن يظهر أثر هذه الصلاة (الدعاء لله على محمد رسول الله) على أصحابه. النفعة: حركة الريح، وانتشار الرائحة الطيبة. الزرب والقرنفل: نبتان طيبان الرائحة.

(٦) بشاور مدينة في الشمال الغربي من القارة الهندية، كانت (في أيام الاستعمار البريطاني) من الهند (واليوم هي في باكستان).

(٧) مصر (المطبعة المتانية).

- ارشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ علي محمد الضباع، مصر (مطبعة محمد علي صبيح) ١٣٤٧ هـ.
- الوافي في شرح الشاطبية، تأليف عبد الفتاح القاضي، مصر (مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية)، بلا تاريخ.
- لأحد يوسف نجاتي.
- معجم الأدباء ١٦: ٢٩٣ - ٢٩٦، نكت الهميان ٢٢٨ - ٢٢٩؛ وفيات الأعيان ٤: ٧١ - ٧٣، التكملة (رقم ١٩٧٣)، الذيل والتكملة ٥: ٥٤٨ - ٥٥٧ (رقم ١٠٨٨)، المعبر (للذهبي) ٤: ٢٧٣ - ٢٧٤، الديباج المذهب ٢٢٤ - ٢٢٥؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٦، المنى بالإمامة ٢٦٦ - ٢٦٨، بغية الوعاة ٣٧٩ - ٣٨٠، شذرات الذهب ٤: ٣٠١ - ٣٠٣، نفح الطيب ٢: ٢٢ - ٢٤، شجرة النور الزكية ١٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣٧ - ٣٣٨، بروكلمن ١: ٥٢٠ - ٥٢٢، الملحق ١: ٧٢٥ - ٧٢٧، الأعلام للزركلي ٦: ١٤ (٥: ١٨٠)، تاج العروس (الكويت) ٣: ١٣١ - ١٣٢؛ سركيس ١٠٩١ - ١٠٩٢.

ابن مضاء

١- هو أبو العباس (أو أبو جعفر أو أبو القاسم) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حارث بن عاصم اللخمي والقرطبي؛ ولد سنة ٥١٣ (١١١٨ - ١١١٩ م) في بيت شرف وجاه. درس ابن مضاء النحو في إشبيلية على ابن الرماك وعلى ابن بشكوال وابن سحنون، كما درس الحديث في سبتة على القاضي عياض.

تولى ابن مضاء القضاء في فاس وبجاية ثم عينه السلطان يوسف بن عبد المؤمن قاضياً للجماعة. وبقي في هذا المنصب في أيام يعقوب المنصور. وقد كانت وفاته في السابع والعشرين من جمادى الأولى من سنة ٥٩٢ (٢٩ / ٣ / ١١٩٦ م)، وقيل قبل ذلك بأسبوع.

٢- كان ابن مضاء مشاركاً في عددٍ من العلوم: في الحديث والفقه واللغة والنحو والحساب والهندسة والطب، كما كان أديباً شاعراً. ولكنه خص نفسه بالنحو. ولقد بقي لنا من كتبه كتاب «الرد على النحاة» ألفه في أواخر حياته وحل فيه على

الذين يعملون بكثرة تَحْلِيهِمْ (تطلبهم للأوجه المتعددة الممكنة من القاعدة الواحدة) على تمقيد البحث في النحو وعلى أن تَمُضَ مناهجه وطُرُقُهُ، ثم دعا إلى تسهيل عَرْضِ النحو (في التأليف) وتعليمه.

وكان لابن مضاء من الكُتُبِ أيضاً: المشرق في النحو - تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان.

٣ - مختارات من آثاره:

- من كتاب « الردُّ على النحاة » لابن مضاء :

★ ★ (من المقدمة):

أما بعدُ، فإنه حلني على هذا المکتوب قولُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم: « الدين النصيحةُ »، وعلى الناظر في هذا الكتاب من أهل هذا الشأن - إن كان ممن يحتاط لدينه ويجمل العلم مِرْزَافاً له من ربه - أن ينظرَ، فإن تبين له ما نُبيِّنُهُ رَجَعَ إليه وشكر الله عليه، وإن لم يتبين له فليتوقَّفْ توقُّفَ الورع عند الإشكال. وإن ظهر له خلافه فليبين ما ظهر له بقول أو كتابة.

وإنني رأيتُ النَحْوِيَّينَ - رحمةُ الله عليهم - قد وضعوا صناعة النحو لحفظِ كلام العرب من اللَّحْنِ وَصِيَانَتِهِ عَنِ التَّغْيِيرِ فبلفوا من ذلك الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القَدَرَ الكافي فيها أرادوه منها فتوعرتْ مسالكها ووهنتْ مبانيها واخطتْ عن رتبة الإقناع حججها... على أنها إذا أخذتِ المأخذَ الجُراً من الفضول المُجرَّد عن الهاكاة والتخييل كانت من أوضح العلوم بُرْهاناً وأرجح المعارف عند الامتحان ميزاناً، ولم تشمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون.

وكذلك من أخذ من علم النحو ما يوصله إلى الغاية المطلوبة منه، واستعاض من تلك الظنون - التي ليست كظنون الفقهاء التي نصبها الشارعُ صلى الله عليه وسلم أمانةً للأحكام، ولا كظنون الطب التي جُرِّبَتْ وهي في الغالب نافعة في الأمراض

• مرثاة، مقرباً.

والآلام - العلوم الدينية السَّمعية منها والنظرية - التي هي الجَنَّة والهادية إلى الجَنَّة - فقد نفعه الله بالتعليم وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وأما من اقتصرَ كُلَّ الاقتصارِ على المعارفِ التي لا تدعو إلى جَنَّة ولا تَرْجُو عن نار - كاللغات والأشعار ودقائق عِلَلِ النحوِ ومُسَلِّيات الأخبار فقد أساء الاختيار...

★★ من المتن (ص ٨٥):

قصدي في هذا الكتاب أن أَخْزِفَ من النَحْوِ ما يستغني عنه النَحْوِيُّ وَأَنبَهَ على ما أجمعوا على الخطأ فيه. فَمِنْ ذلك ادِّعَاؤُهُمْ أَنَّ النَّصْبَ والخفضَ والجزمَ لا يكون إلا بعاملٍ لفظيٍّ، وَأَنَّ الرَّفْعَ منها يكونُ بعاملٍ لفظيٍّ وبعاملٍ معنويٍّ. وعَبَّرُوا عن ذلك بمباراتِ تَوْهيمٍ في قولنا: «ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا» أَنَّ الرَّفْعَ الَّذِي فِي «زَيْدٍ» والنَّصْبَ الَّذِي فِي «عَمْرًا» إِنَّمَا أَحْدَثَهُ (العامل: الفعل) «ضَرَبَ».... وَأما في الحقيقةِ ومحصولِ الحديثِ فالعملُ من الرَّفْعِ والنَّصْبِ والجزمِ وإِنَّمَا هو للمتكلِّمِ نفسه لا لشيءٍ غَيْرِهِ...

فإن قيل: أنت قد أَبْطَلْتَ أن يكونَ في الكلامِ عاملٌ ومعمولٌ، فَأَرِنَا كيف يَتَأْتَى ذلك مَعَ الوُصُولِ إلى غَايَةِ النحو؟ (ص ١٠٧)...

وَمَا قالوا فيه مَا لَمْ يُفْهَمْ وَأَضْمَرُوا فيه مَا يُخَالِفُ مَقْصِدَ القائلِ أَبوابَ نَصْبِ الفعلِ. وقد تَكَلَّمْتُ منها على بابِ الفاءِ والواوِ لِيُسْتَدَلَّ بِهَا على غَيْرِهَا وَلِيُعْلَمَ أَن مَا أَضْمَرُوهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي إعْطَاءِ القَوَانِينِ الَّتِي يُحْفَظُ بِهَا كَلَامُ الْعَرَبِ.... الفاءُ (إِذَا كَانَتْ لِلسَّبَبِيَّةِ) يَنْتَصِبُ بَعْدَهَا الفعلُ إِذَا كَانَتْ (تَرْطِيطُ) جَوَابًا لِأَحَدِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ: الْأَمْرِ والنهي والاستفهام والنهي والعَرْضِ والتمني والتضييض والدعاء.... قال الله تعالى (في حالِ النَّهْيِ): «وَلَا تَطْفَؤْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي» (ص ١٤٢ - ١٤٣)....

وَمَا يَجِبُ أَنْ يَسْقُطَ مِنَ النَحْوِ الْعِلَلُ الثَّوَابِي وَالثَّوَالِثُ، وَذلك مثلُ سؤَالِ السَّائِلِ عَن «زَيْدٍ» فِي قولنا: «قَامَ زَيْدٌ»! لِمَ رُفِعَ؟ فيقالُ لَأَنَّهُ فاعِلٌ، وَكُلُّ فاعِلٍ مرفوعٌ. فيقول: «وَلِمَ رُفِعَ الفاعِلُ؟» فالصوابُ أَن يُقالَ لَهُ: «كَذا نَطَقْتُ بِهِ الْعَرَبُ: ثَبِتَ

ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ولا فرقَ بينَ ذلك وبينَ مَنْ عَرَفَ أَنَّ شَيْئاً ما حرامٌ بالنصّ - ولا يُحتاج فيه إلى استنباط عِلَّةٍ لِيُنْقَلَ حُكْمُهُ إلى غيره، فسألَ لِمَ حُرِّمَ؟ فإنَّ الجوابَ على ذلك غيرُ واجبٍ على الفقيه (ص ١٥١)...

وكما أَنَا لا نسألُ عن عَيْنِ عِظْمٍ وَجِمْ جَعْفَرٍ وباءِ بُرْثَنٍ لِمَ فُتِحَتْ هذه وَضُمَتْ هذه وكُسِرَتْ هذه، فكذلك أيضاً لا نَسْأَلُ عَنْ رَفْعِ «زيد» (ص ١٦٠)...

وتما يجب أن يسقطَ من النحو الاختلافُ فيما لا يُفيدُ نطقاً كاختلافهم في عِلَّةِ رفعِ الفاعلِ ونصبِ المفعولِ وسائرِ ما اختلفوا فيه من العللِ الثواني وغيرها مِمَّا لا يُفيدُ نطقاً.

٤ - كتاب الردّ على النحاة (نشره شوقي ضيف)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

★ جذوة المقتبس ٧٦ (٢)، بغية الملتبس ١٩٣ (رقم ٤٦٥)، التكملة ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٣٤)، جذوة الاقتباس ١١٧، بغية الوعاة ١٣٩، الديباج المذهب ٤٧ - ٤٨، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٥ - ٨٥٦، الأعلام للزركلي ١: ١٤٢ (١٤٦ - ١٤٧).

أبو الحسن الجيانيّ

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بنِ محمد بنِ موسى بنِ محمد بنِ خلفِ الأنصاريّ الجيانيّ الأندلسيّ، سكن مدينةَ فاسَ (المغرب) وتولّى الخطابةَ في جامعها. وكانت وفاته سنةَ ٥٩٣ هـ (١١٩٦ - ١١٩٧ م).

٢ - كان أبو الحسن الجيانيّ من المشتغلين بالصنعة أو الكيمياء القديمة، أي محاولة قلبِ المعادنِ الحُسيّة (كالرصاص والنحاس) معادنَ شريفةً (كالفضة والذهب). وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً حتّى سَمَوْهُ «شاعرَ الحكماء وحكيم الشعراء». وله شعرٌ في الكيمياء عليه شيءٌ من الطلاوة. وقد قيل فيه: إنْ لم يُعْلَمْكَ صِنَاعَةُ الذهبِ عَلِمَكَ صِنَاعَةُ الأدب. ويُنسَبُ إليه كتاب «شُدُورِ الذهب» (وهو ديوانٌ شعريٌّ في الكلام على الكيمياء مرتّب على الحروف).

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسن الجياني قصيدة على الطاء ذات ثلاثة مظاهر: ظاهرها غزل، وهي مسوقة في ألفاظ مأخوذة من حياة موسى عليه السلام ورسالته، ومن التصوف. أمّا باطنها فكلام على الكيمياء. منها:

بزيتونة الذهب المباركة الوسطى غنيينا فلم يُبدل بها الأثل والخمط^(١).

صفونا فأنشأ من الطور نارها تشب لنا وهناً ونحن بذى الأرضى^(٢).

فلما أتيناها وقرب صبرنا

على السير، من بُعد المسافة، ما أبطأ-^(٣)

نحاول منها جذوة ما ينالها

من الناس من لا يعرف القبض والبسط-^(٤)

هبطنا من الوادي المقدس شاطئاً

إلى الجانب الغربي نمتثل الشرط...^(٥).

ولينة الأعطاف قاسية الحشا إذا نقتت في الصخر تصدعه هبطا^(٦)،

كان عليها من زخارف جلدها رداء من الوشي الموقف أو مرطاً^(٧).

(١) زيتونة الخ: كناية عن مصدر المعرفة (أو الكيمياء). غنيينا: استغنيا، أصبحنا أغنياء. الأثل والخمط: نوعان من الشجر (المقصود: لا نقبل شيئاً آخر بدلاً من الزيتونة).

(٢) وهناً: نصف الليل. ذات الأرضى: اسم مكان. الأرضى جمع أرطاة (شجرة، نوع من الشجر). أرطاة: حصن في الأندلس. الطور: جبل في سيناء صعد عليه موسى بعد أن رأى قربه ناراً (المقصود: لما صفت نفوسنا وأخلصنا للعلم، للكيمياء، عرفنا كل شيء من مصدره ونعم مقيمون في مكاننا).

(٣) لما صبرنا على الجهد والتعب (مع طول الزمان الذي نحتاج إليه)...

(٤) نريد أن نحصل على جذوة (قطعة جبر)، أي شيء من المعرفة. لا ينالها: لا يحصل عليها. البسط والقبض من ألفاظ الصوفية (من أحوال القرب من الله).

(٥) الوادي المقدس: مكان كان فيه موسى. نمتثل الشرط: نعمل بما اشترط الله علينا (خلعنا النملين لأننا في مكان مقدس): تركنا جميع أمور الدنيا وراءنا. (راجع في القرآن الكريم ٢٠: ١٢ سورة طه (د إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)).

(٦) المطف (بكسر الميم) جانب الجسم. الحشا: القلب. صدع: شقق. الهبط: التشقق (ظاهر الكلام على فتاة، والمقصود السائل الكياوي الذي تعالج به الملعان).

(٧) الزخرف: الزينة. الوشي: التزيين النافر. الموقف: الكثير الألوان. المرط: الثوب من الحرير.

توصلَ إبليسُ بها في هُبوطه إلى الأرض من عَدَنٍ ففارقها سُخْطاً^(١).
أَمَتْ بها حَيًّا وَسَوَدَتْ أَيْضاً، وأسرفتُ في قَلْعِ السوادِ فها أبطأ^(٢).
وأخَيِّتُ تلكَ الأرضَ من بعدِ مَوْتِها
بِرِيٍّ، وكانت تشتكي الجَدْبَ والقَحْطَ^(٣).
كَأَنَّ العيونَ الثابتاتِ بَحْضَرِها
عَقَدْنَ نَطاقاً أو على جيدها سِمطاً^(٤).
كَأَنَّ من البدرِ المنيرِ مَشايباً، ومن أنجُمِ الجوزاءِ في أذُنِها قُرْطاً^(٥).
ظَفِرتُ بها بالنفسِ من جِسْرِ أُمِّها كما ظَفِرتُ بالقلبِ في صَدْرِهِ لَقْطاً^(٦).
وأرَضَعْتُها بالـدَّرِ من ثَدْيِي بِنْتِها
فعاثتُ، وكانت قبلُ ماتتُ به غَبْطاً^(٧).
فَعَلَّتْ بِه رُوحُ الحياة كَأَنَّا مَرَجَتْ لَهَا في ذلكَ الدَّرِ إسْفَطاً^(٨).
وصَيَّرْتُها بِنْتاً، وصَيَّرْتُ بِنْتِها لَهَا مُرْضِعاً. فَأَعَجَبَ لِمُرْضِيعَةِ سَمْطاً^(٩).
فَعَالَتْ هُنَاكَ البِنْتُ وَالْأُمُّ فِضَّةً فَتَى لَمْ يَزَاحِمُهُ العِدَارُ وَلَا خَطَأً^(١٠).

- (١) عدن: الجنة. هذه اللَّيْنَةُ الأعطاف (الكيمياء، راجع البيتين السابقين) تستطيع فعل كل شيء. استخدمها إبليس حتى نزل من الجنة إلى الأرض ثم أبغضها (لأنه استخدمها في غير وجهها وأراد أن ينفع نفسه فأضر بنفسه).
- (٢) أنا أيضاً فعلت بها أشياء: أحبيت ميئاً (جعلت الرصاص الميت: الرخيص الخسيس الذي لا قدر له) فضة حية (ثمينة شريفة)، وجمعت الأشياء السود بيضاء والأشياء البيض سوداً (كل شيء).
- (٣) تلك الأرض: المعدن الخسيس (كالرصاص والنحاس). الرِّي: الإرقاء (المعالجة بالماء).
- (٤) إن عيون المعجبين (بضم الميم وفتح الجيم) ثبتت (في النظر إلى خصرها النحيل) حتى كأن تلك العيون قد أصبحت سَمَطاً (خطاً فيه حبات من اللؤلؤ: كناية عن العيون) أو حول جيدها (مكان العقد من عنقها).
- (٥) السائل الكياوي (الذي يقلب المعادن الخسيسة فيجعلها شريفة): جميلة فيها أشياء تشبه البدر...
- (٦-١٠) يصف الشاعر هنا طريقة العمل بالكيمياء: يأخذ المعدن (الشريف) فيستخرج روحه منه (يستخرج أكبر الذهب من الذهب، فكان الذهب أم وأكبر الذهب بنت ولدت منه). والذهب إذا أخذنا منه الأكسير لا يبقى ذهباً بل يصبح معدناً خيساً. أعود حينئذ إلى ذلك المعدن الذي مات (وإلى أمثاله من المعادن كالرصاص والنحاس والحارصين والجبس) فأرضعه (أسقيه) من هذا الأكسير فيصبح حياً (ذهبا).

له منظر كالشمس يُعطي ضياؤه، وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطى^(١).
فهذا الذي أعيانا الأنام فأضَمُّروا
وهذا هو الكنز الذي وَضَعُوا له
وتخليصه سهلٌ بغير مشقة
أبا جعفر، خُذْها إليك يتيمة
ولكنني لَمَّا رأيتك أهلها
لَمَنْ وَضَعَ الأرماز في علمه سخطا^(٢).
برأيي أخيرٌ وَخَصَّوْها بِها قِنطارا^(٣).
لَمَنْ عَرَفَ التَّطْهِيرَ والعَقْدَ والمُخْلَطَا^(٤).
تَوَرَّعَ لَوْقا أَنْ يُورَثَها قِنطارا^(٥).
سَمَحْتُ بِها لفظاً وأُثْبِتَها خطأ.

١- ** فوات الوفيات ٢: ١١٤-١١٦، نفع الطيب ٣: ٦٠٥-٦٠٦، الأعلام للزركلي ٥: ١٧٨ (٢٦).

أبو مدين

١- هو شيخُ الشيوخِ الفَوْتُ أَبُو مَدَيِّنٍ شُعَيْبُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَغْرِبِيِّ التِّلْمِسَانِيِّ، أصله من الأندلس من حُصْنٍ مَنُتَوِجَةٍ قُرْبَ إشبيلية.
وُلِدَ أَبُو مَدَيِّنٍ نَحْوَ سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١-١١٢٢ م). ويبدو أَنَّهُ غَادَرَ الْأَنْدَلُسَ بَاكِرًا إِلَى الْمَغْرِبِ وَنَزَلَ فِي فاس فَأَخَذَ الْعِلْمَ فِيهَا عَنْ أَبِي يَغْزَى وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ

- (١) الشمس في اصطلاح علماء الكيمياء: الذهب. البدر: الفضة. - يقصد أن الفضة أسرع إلى أن تصبح ذهباً من جميع المعادن الأخرى. ويجوز في الشرح اللغوي بقصد أن له - لمعدن الذهب - ضياء الذي ينبع منه، وهو ليس كالفضة، التي تشبه البدر الذي يكون نوره من الضياء الذي استمدته من غيره.
- (٢) الأرماز، يقصد الرموز جمع رمز. أعيان: أتعب. - علماء الكيمياء تكلموا على صنعتهم بالرموز فلم يفهمها الناس العاديون فكبروا أولئك العلماء.
- (٣) هذا الكنز (الكيمياء) وضعوا (بنوا) له برابي (أهرام) إخم (يكسر الحمزة) بلد في مصر أو هي مصر. فقط: بلد في صعيد مصر.
- (٤) تخليصه: تخليص الأكسير من المعدن. التطهير (التصفية، التنقية) العقد (التجميد) المخلط (المزج) بقادير صحيحة) من ألفاظ الكيمياء.
- (٥) أبا جعفر: يا أبا جعفر (ينادي رجلاً لعلَّه صديقه الذي كتب إليه بهذه القصيدة). تورع: خاف، تردد. قسطا بن لوقا: رجل كان في الدولة العبّاسية ينقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. تورع لوقا أن يورثها قسطا: خاف لوقا أن يكشف سرَّ الكيمياء لابنه (يضمُّ بها كلَّ إنسان على غيره حتى على ابنه).

حِرْزِهِمْ وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ غَالِبٍ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تِلْمَسَانَ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَذَهَبَ أَبُو مَدِينٍ إِلَى الْحَجِّ فَلَقِيَ فِي مَكَّةَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ (٤٧١ - ٥٦١ هـ) وَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَتَهُ فَالْتَبَسَهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ الْحِرْقَةَ (دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ أَصْبَحَ شَيْخًا مِنْ شُيُوخِ الصُّوفِيَةِ).

عَادَ أَبُو مَدِينٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَوَظَنَ بِجَايَةِ وَكَانَ يُدْرَسُ فِي زَاوِيَةِ الْفَقِيهِ أَبِي زَكَرِيَا الزَّوَاوِيِّ. فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ كَثْرَةً أَخَافَتْ الْمَنْصُورَ الْمُوَحِّدِيَّ فَاسْتَدْعَاهُ إِلَى مَرَاكُشَ (كَيْ يُبْعِدَهُ عَنْ مَرْكَزِ نَشَاطِهِ وَيَجْعَلَهُ فِي نِطَاقِ رِقَابَتِهِ). وَقَدْ تَوَفَّى أَبُو مَدِينٍ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ إِلَى مَرَاكُشَ عِنْدَ وَادِي يُسْرِ، فَحُمِلَ إِلَى تِلْمَسَانَ وَدُفِنَ فِي جَبَلِ الْمُبَادَّ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م).

٢- كَانَ أَبُو مَدِينٍ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَمِنْ حِفَاطِ الْحَدِيثِ وَنِزَمِ الْمُعْجَبِينَ بِكِتَابِ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» لِلْفَرَاوِيِّ (ت ٥٠٥ هـ). وَكَانَ فَقِيهًا يُفْقِي عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ. وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ تَطَرُّفٌ: اعْتَقَدَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ رَأْسُ السَّبْعَةِ الْأُبْدَالِ (بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْطَابِ) ثُمَّ تَخَيَّلَ أَنَّهُ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَخَاطَبَهُ. وَلَهُ شَعْرٌ وَنَثَرٌ فِي الْحِكْمِ. وَلَهُ، مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى كُتُبًا: بَدَايَةُ الْمُرِيدِينَ - أُنْسُ الْوَحِيدِ وَنَزْهَةُ الْمُرِيدِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ:

- مِنْ أَقْوَالِ أَبِي مَدِينٍ (عَنْوَانُ الدَّرَايَةِ ٦٢ وَمَا بَعْدَ):

مِنْ رَأْيَتِهِ يَدْعِي حَالًا لَا يَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْهُ ^(١) شَاهِدٌ فَاحْذَرُهُ - لَا يَصْلُحُ سَاعُ هَذَا الْعِلْمِ ^(٢) إِلَّا لِمَنْ جُمِعَتْ لَهُ أَرْبَعَةٌ: الزُّهْدُ وَالْعِلْمُ وَالتَّوَكُّلُ وَالْيَقِينُ ^(٣) - مِنْ تَعْلُقٍ

(١) ظَاهِرُهُ (ظَاهِرُ الْمَدْعَى: الْإِنْسَانُ الْمُتَصَوِّفُ) - مِنْهُ (مِنْ الْحَالِ). وَالْحَالُ (مَوْثِقَةٌ) هِيَ جَوْ نَفْسَانِي مُحِيطٌ بِالصُّوفِي وَهُوَ يَنْتَقِلُ فِي الْمَقَامَاتِ (لِلإِقْتِرَابِ مِنَ اللَّهِ).

(٢) الْعِلْمُ: عِلْمُ التَّصَوُّفِ. (عِلْمُ حَقَائِقِ الْأُمُورِ).

(٣) الْعِلْمُ: الْعِلْمُ الدِّينِي (أَوِ الْكُونِي أَيْضًا). الْيَقِينُ (الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ).

بَدَعُوا الْأَمَانِي لَمْ يَفَارِقِ التَّوَانِي^(١) - جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَحَلًّا لِلغَفْلَةِ
وَالْوَسْوَاسِ وَقُلُوبَ الْعَارِفِينَ مَحَلًّا لِلذِّكْرِ وَالِاسْتِثْنَانِ^(٢) - الْفَتْرَةُ هِيَ الْإِسْتِغَالُ
بِالْخَلْقِ عَنِ الْخَالِقِ^(٣) - مَنْ أَهْمَلَ الْفَرَائِضَ فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ - مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَفْتَرَّ
بِشَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ - اخْذَرِ الْمُتَبَدِّعِينَ فَهُوَ أَبْقَى عَلَى دِينِكَ، وَاحْذَرِ مَحَبَّةَ النِّسَاءِ فَهُوَ
أَبْقَى عَلَى قَلْبِكَ.

- وَمِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ (٧: ١٣٩ وما بعد):

مَقَامِي الْعُبُودِيَّةُ، وَعِلْمِي الْأُلُوهِيَّةُ، وَصِفَاتِي مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ:
مَلَأْتُ عِلْمُهُ سِرِّي وَجَهْرِي وَأَضَاءَ بَنُورِهِ بَرِّي وَبَحْرِي. فَالْمُقَرَّبُ مَنْ كَانَ بِهِ عِلْمًا، وَلَا
يَسْمُو إِلَّا مَنْ أُوتِيَ قَلْبًا سَلِيمًا... يَسْلَمُ تَمَامًا سِوَاهُ، وَلَا يَكُونُ (فِيهِ) إِلَّا مَا جَعَلَهُ
مَوْلَاهُ^(٤).

- وَلَهُ نَظْمٌ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ. وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧:
١٤٣ - ١٤٤) يَذْكُرُ مَظَاهِرَ الطَّبِيعَةِ بِالْفَاظِلِهَا الْمَأْلُوفَةِ ثُمَّ يَذْكُرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِاطْنِهَا:

بَكَتِ السَّحَابُ فَاضْحَكَتْ لِبُكَائِهَا	زَهَرَ الرِّيَاضُ وَفَاضَتْ الْأَنْهَارُ.
وَأَتَى الرِّبْعُ بِجَنِيلِهِ وَجُنُودِهِ	فَتَمَتَّعَتْ فِي حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ.
وَالْوَرْدُ نَادَى بِالْوُرُودِ إِلَى الْجَنَى	فَتَسَابَقَ الْأَطْيَارُ وَالْأَشْجَارُ ^(٥) .
وَالْكَأْسُ تَرْقُصُ وَالْعَقَارُ تَشْفَعُ	وَالْجَوْ يَضْحَكُ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ ^(٦) .
وَالْعُودُ لِلْفَيْسِدِ الْحَسَنِ مُجَابِبٌ،	وَالطَّارُ أَخْفَى صَوْتَهُ الْمِزْمَارُ ^(٧) .

(١) التَّوَانِي: الْكَلَلُ، فَتَوَرَّاهُ.

(٢) الْوَسْوَاسُ: اخْتِلَاطُ الْأَفْكَارِ وَتَوَهُّمُ الْهَازِلِ. الْعَارِفُ: الصَّوْفِي الَّذِي بَلَغَ دَرَجَةَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ. الذِّكْرُ

(جَمْعُهَا: أَذْكَارُ): تَرَدُّدٌ جَلَّ فِيهَا تَعْبِيرٌ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ (فِي التَّصَوُّفِ: اسْتِحْضَارُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ).

الِاسْتِثْنَانُ: الْإِطْمِئْنَانُ إِلَى الْحَاضِرِ مَعَ اللَّهِ.

(٣) الْفَتْرَةُ: انْقِطَاعُ التَّصَوُّفِ عَنِ الذِّكْرِ. الْخَالِقُ: الْمَخْلُوقُ، مَجْمُوعُ الْمَخْلُوقَاتِ. الْخَالِقُ: اللَّهُ.

(٤) ... لَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا مَا وَضَعَهُ اللَّهُ فِيهِ.

(٥) الْوَرْدُ (مَصْدَرٌ): الْجَمِيءُ إِلَى الْمَاءِ. الْجَنَى: قَطْفُ الثَّمَرِ.

(٦) الْعَقَارُ: الْحَمْرُ. تَشْفَعَتْ: مَزَجَتْ بِالْمَاءِ (هُنَا: ظَهَرَ بِرَبِّهَا).

(٧) الطَّارُ: نَوْعٌ مِنَ الدَّفِّ (يَضُمُّ الدَّالَ أَوْ فَتَحَهَا) يَكُونُ لَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ (بِخِلَافِ الطَّبْلِ الَّذِي لَهُ وَجْهَانِ).

لا تحسبوا الزمرَ الحرامَ مُرادنا؛ مِزمارُنَا التسبيحُ والأذكارُ.
وشرابُنَا مِن لُطْفِهِ، وغِناؤُنَا، نِعَمُ الحبيبِ الواحدِ القَهَّارِ.
والعُودُ عاداتُ الجميلِ، وكأسُنَا كأسُ الكِياسَةِ، والعُقارُ وقارُ.

٤-★★ أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد (شرحها شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملقب بأعش في كتاب له سناه: البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد، مصر ١٢٩٧، ١٣٠٠، ١٣٠٦ هـ).

تعريف الخلف ٢: ١٧٢ - ١٧٨؛ عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ نفع الطيب ٥: ٣١٧، ٧: ١٣٦ - ١٤٤؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ بروكلمان ١: ٥٦٧ - ٥٦٨، الملحق ١: ٧٨٤ - ٧٨٥؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦)؛ ابن قنفذ ٢٩٧ - ٣٩٧ سركيس ٣٤٥.

ابن صاحب الصلاة

١- هو أبو مروان (وأبو محمد) عبدُ الملكِ بنُ محمد بنِ أحمد بنِ محمد بنِ إبراهيم الباجي المعروف بابنِ صاحبِ الصلاة، ولَمَلْ مَوْلَدَه كان في سَنَةِ ٥٣٧ هـ (١١٤٢ - ١١٤٣ م) في باجة^(١).

تَقَلَّبَ ابنُ صاحبِ الصَّلَاةِ بَيْنَ المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ كثيرًا؛ كان في قَرْمُونَةَ، في مطلعِ سَنَةِ ٥٥٧ هـ (آخر ١١٦١ م). ثم قَوِيَتْ صِلَتُهُ بالموحِّدين فرأيناه في السَّنَةِ نفسها في قُرْطُبَةَ، ثم انتقلَ إلى المَغْرِبِ فزارَ سَبْتَةَ وفاسَ ثم كان في مَرَّاكُش في غُرَّةِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١٤ / ٥ / ١١٦٥ م). وأقام في مَرَّاكُش مدَّةً.

ثم إنَّه عادَ إلى الأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) وسكنَ إشبيليةَ، ولذلك أصبحَ يُعرَفُ بالإشبيليِّ أيضاً. وبعدَ عامين رَجَعَ إلى مَرَّاكُش ولكنَّه عادَ وشيكا إلى

(١) باجة قرب إشبيلية في الأندلس. وصاحب الصلاة منصب حدث في المغرب والأندلس في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) - ومعناه الإمام الذي يؤم الناس في صلاتهم.

الأندلس . ولعلّ وفاته كانت بُعيد سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م) وفي إشبيلية في الأغلب .

٢ - لابن صاحب الصلّاة كتابان: «ثورة المريدين»^(١) و«المنّ بالإمامة»^(٢). ولا يُعرفُ اليوم إلا الجزء الثاني من «المنّ بالإمامة». وعُرِفَتْ له أيضاً قطعتان من الشعر.

كتاب «المنّ بالإمامة» يتناول تاريخ الدولة الموحّدية، وفيه جوانبُ سياسية وجوانبُ إدارية (وصفٌ لعدد من وجوه الإدارة) وجوانبُ اجتماعية (دينية واقتصادية) وأدبية لكثرة ما فيه من الرسائل الديوانية^(٣) ومن الشعر خاصة. ويغلبُ على ابن صاحب الصلّاة في كتابه هذا التقربُ إلى الموحّدين. وأسلوبُ المؤلف يتنقلُ بين السردِ العاديِّ ومحاولةِ التأتّي (باللجوء إلى الموازنة والسجع) من غيرِ براعة خاصة.

٣ - مختارات من آثاره:

- ذِكْرُ عبّورِ محمد بن عبد المؤمن البحرَ من سبّنة إلى جبل طارق^(٤) (ص ١٤٧):
قال المؤلفُ: ولما أنارتِ الآفاقُ بالمُدوّة^(٥) والأندلسُ بالبشائرِ الواصلة بقرُب

(١) كان أبو العبّاس أحد بن قسي من المؤلّدين (في الأندلس: المسلمين من الأسيان). ويبدو أنّه كان يُبطن عداءً للإسلام (كمصر بن حفصون وغيره) فجمع حوله طائفة من الناس يتظاهر أمامهم بشيء من التعمّد والتصوّف فكانوا له أتباعاً (مريدين: بلفه أهل التصوّف) ثم دفعهم إلى إثارة الفتنة وقتال الدولة المسلمة.

(٢) الاسم الكامل لهذا الكتاب: «تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحّدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين» (ظهور: انتصار. المهدي: هو المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحّدين. الملثّمون: المرابطون، أصحاب الدولة الذين كانوا قبل الموحّدين. المقصود بأمر المؤمنين هنا: عبد المؤمن بن عليّ أول سلاطين الموحّدين. آخر الخلفاء الراشدين: الذي سلك مسلك الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ في التقوى والعدل).

(٣) الرسائل الديوانية: الرسمية (وكان له أسلوب خاص أنيق من استخدام أوجه البلاغة).

(٤) سبّنة في إفريقية وجبل طارق في أوروبة وبينهما بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).

الخليفة في الإياب من المسير، على أوفى الظفر والتيسير، أنفذَ السَّيِّدَ الأجلَّ الأعلى أبو يعقوب^(١) عزَّمه الأولَّ بالإسراع والوَخْدَ والزَّمِيلَ^(٢) لبركة اللقاء والاجتماع، واستناب بإشبيلية من طلبية^(٣) الموحِّدين - أعانهم الله - من يَنُوب مَنَابِه في مُحاربة أهل قَرْمُونَةَ الأشقياء أصحاب ابن هُمُشِك^(٤)....

- وُصُولُ خبر الانتصار على ابن مردانيش^(٥) إلى مَرَاكُش (ص ٢٧٥):

ومن عجائب الغال قال المؤلف: كُنْتُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الأَحَدِ الذي وَصَلْتُ فيه هذه البُشْرَى الفاتحة قد بَكَرْتُ على العادة، إلى مُنْتَبِهي^(٦) دار الخليفة رَضِيَ اللهُ عنه، جالساً مَعَ طلبية الحَضْر^(٧) وأُشْيَاخِ أهل الأندلس نتطَلَعُ إلى الأخبار وقد بَعَدَ زَمَانُهَا وتوقَّف الواصلين^(٨) بها، إذ رأيتُ قِطْأً على سقف دار الخليفة يمشي وفي فَمِهِ فَرُخٌ حمامٍ قد افترسه، فقلتُ لمن كان معي مِنْ أُشْيَاخِ أهل الأندلس: اللهُ أَكْبَرُ؟ هُزِمَ، والله، ابنُ مَرْدَانِيش! فقالوا لي: بِمَ تقولُ هذا؟ فقلتُ لهم: هذا القِطْأُ شِبْهُ الأسد، والأسد عُدُوِّي^(٩) والحمام عَجَمِي. فقد غَلَبَتِ الموحِّدون العَجَمَ وافترسوهم كافتراس هذا القِطْأُ الفَرُخ!

- (٥) العدو (بضم العين وكسرها): جانب الوادي. وهنا: الشاطئ، الإفريقي من المغرب.
- (١) أبو يعقوب: يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان والياً على إشبيلية (ثم أصبح سلطان الموحِّدين بعد وفاة أبيه).
- (٢) الوخد والزميل: الإسراع في المشي، الركض.
- (٣) طلبية الموحِّدين: أتباع الموحِّدين (٩).
- (٤) هو إبراهيم بن أحمد، صهر ابن مردانيش (انظر، فوق، ص ٤٣٩) من المولدين أيضاً تار على الموحِّدين، ثم تغلَّب الموحِّدون عليه وأسرّوه ونقلوه إلى المغرب فأت سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) في مكتاسة (في الجزائر اليوم).
- (٥) ابن مردانيش (مردنیش) هو محمد بن سعد من المولدين، كما يدلُّ عليه اسمه، استعان بالاسبان وثار على الموحِّدين. حاصره الموحِّدون في مَرَبَّة (الأندلس) فأت في أثناء الحصار، سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١) في أيام يوسف بن عبد المؤمن بن علي.
- (٦) منْتَبِهي كلمة بربرية تطلق على «سقيفة» تكون في أعلى القصر (من خصائص العمارة المغربية).
- (٧) طلبية الحضر:
- (٨) كذا في الأصل. وتوقَّف الواصلون بها: انتقلت (الأخبار) مدّة.
- (٩) العدوي (نسبة إلى العدو): الجانب (الآخر: كناية عن الجانب الأفريقي - موطن الموحِّدين). - الأسد من وحوش افريقية وليس من أرض الأندلس.

فما كان (إلا) مقداراً ما اكْمَلْنَا الكلامَ في هذا القول، (حق) دخل الفُرسانُ القادمون بالبُشرى في الحينِ بِخَيْلِهِمْ في مُنْتَبِهَتِي - وبأيديهم علاماتُ ابنِ مردانِشَ مستورة - على غيرِ عِلْمٍ ولا مُقَدِّمَةٍ من وُصولِهِمْ. فَفَزَعَ الناسُ أَوَّلًا لدُخُولِهِمْ بِغَيْرِ مُقَدِّمَةٍ ولا إِذْنٍ. ثُمَّ عَلِمُوا من صحيحِ صِياحتِهِمْ أَنَّها بُشْرَى بِالْفَتْحِ. فقام التكبيرُ والتهليل وضربتِ الطُّبولُ واتَّصَلَ السرور...

٤ - تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين.... (استخرجه عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الأندلس) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.
 ** التكملة ٦٢٠ (رقم ١٧٢٦)، الحلة السراء (ذكرَ عارضاً ١٥٤: ٢) الخ) المختضب ٦٨ - ٦٩ نفع الطبيب (ذكرَ عارضاً ٥٣٣: ٢)؛ بروكلمان، الملحق ١: ٥٥٤، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٤ - ٩٢٥، الأعلام للزركلي (٤: ١٦٤)، بالثيا ٢٤٢.

ابن رشد

١ - هو أبو الوليد محمد بنُ أحمدَ بنِ محمدَ بنِ أحمدَ بنِ رُشْدٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٠ (١١٢٦ م) في بيتِ علمٍ وجاهٍ. واتصل ابنُ رُشْدٍ بِبِلاطِ الموحِّدين ونالَ حُطُوَةً فيه. وفي سَنَةِ ٥٦٥ أصبحَ قاضيَ قُرْطُبَةٍ. ولَمَّا أَرَادَ ابنُ طفيلٍ أنْ يعتزلَ الطبَّ في بِلَاطِ الموحِّدين (٥٧٨ هـ) خَلَفَهُ فيه ابنُ رُشْدٍ بِتَوْصِيَةٍ من ابنِ طفيلٍ نَفْسِهِ.
 ولَقِيَ ابنُ رُشْدٍ من عوالمِ الناسِ أَضْطِهاداً شديداً بسببِ آرائِهِ الفِلسَفيَّةِ، فاضْطُرَّ إلى أنْ يعيشَ مُدَّةً في عَزْلَةٍ عن الناسِ. وكانتْ وفاتُهُ في مَرَّاكُش، في تاسعِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٥٩٥ (١١ - ١٢ - ١١٩٢ م).

٢ - ابنُ رُشْدٍ أَكْبَرُ فِلسَافَةِ الإِسْلامِ وأكْبَرُ الفِلسَافَةِ كُلِّهِمْ في العصورِ الوُسطى وأَعْظَمُهُم أثراً في التفكيرِ الأورَوبي الوسيط. وكانتْ عبقريَّةُ ابنِ رُشْدٍ تتجَلَّى في أَنَّهُ نَظَرَ إلى الدينِ مِنْ جَانِبِهِ الفِئِيّ وَمِنْ جَانِبِهِ الاجْتِماعيِّ معاً، وفي أَنَّهُ أَرَادَ أنْ يُشَبِّطَ العامَّةَ عن التوسُّعِ في الجانبِ الأوَّلِ (وهو جانبُ نظريٍّ في الأكثرِ) للاهتمامِ بالجانبِ الثاني (وهو الجانبُ العمليُّ في الحياةِ الإنسانية).

ولابن رُشدٍ شيءٌ من النقد الأدبي وشيءٌ من النظم.

كان لمعرفة ابن رشدٍ بكتاب السياسة لأفلاطون (وهو الكتاب المعروف عند نفَرٍ من المتأدِّين بجمهورية أفلاطون) وبكتاب الشعر لأرسطو أثرٌ في اتجاه ابن رشدٍ في النقد الأدبي. ومع أنَّ مِيارَ النقد اليوناني مختلفٌ من مِيارِ النقد العربي (لاختلافِ فنونِ الشعر وموضوعاته بين اللغتين قليلاً أو كثيراً، ولاختلافِ الثقافة والمثُلِ العليا لدى العرب واليونان)، فإن ابن رُشدٍ أرادَ أن يستفيدَ من آراء الفيلسوفين اليونانيين العَظِمين في الحكم على الشعر العربي. وابن رُشدٍ لم يتقيدَ بتفاصيل آراء الفيلسوفين العَظِمين، وذلك راجعٌ إلى خِطة ابن رشدٍ في شرحِ كتبِ أرسطو (إذ كان يتخذُ الشرحَ لتلك الكتب - في بعض الأحيان - وسيلةً إلى إبداءِ رأيه هو). في هذا المنحى فصلَ الكلام على التشبيه والكناية كما ألفها العرب.

وابن رُشدٍ ينهى عن تأديبِ الولدانِ بأشعارِ الفَرَزِّ ثم يحضُّ على تأديبهم بالأشعار التي تحثُّ على الشجاعة والكرم (وهذا موافق لرأي ابن سينا في تربيةِ الولدان).

٣ - مختارات من آثاره:

- من مَطْلَعِ كِتَابِ «فَصْلِ الْمَقَالِ وَتَقْرِيرِ مَا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحِكْمَةِ»^(١) من الاتِّصَالِ :

.... إِنَّ الْفَرَضَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ نَفْحَصَ - عَلَى جِهَةِ النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ - هَلِ النَّظَرُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومِ الْمُنْطِقِ مُبَاحٌ فِي الشَّرْعِ ، أَمْ مَحْظُورٌ ، أَمْ مَأْمُورٌ بِهِ ، إِمَّا عَلَى جِهَةِ النَّذْبِ وَإِمَّا عَلَى جِهَةِ الْوُجُوبِ^(٢) ؟ فنقولُ : إِنَّ فِعْلَ الْفَلَسَفَةِ لَيْسَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَاعْتِبَارِهَا مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهَا عَلَى الصَّانِعِ ، - أَعْنِي مِنْ جِهَةِ مَا هِيَ مَصْنُوعَاتٌ - فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ لِمَعْرِفَةِ صُنْعِهَا^(٣) . وَإِنَّهُ كَلِّمًا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِصُنْعِهَا أَثَمً ، كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِالصَّانِعِ أَثَمً .

(١) الحكمة: الفلسفة، التفكير بالعقل.

(٢) الوجوب: الفرض، الإلزام.

(٣) إذا كان الإنسان نجاراً مثلاً فإنه يستطيع أن يحكم حكماً أكثر عدلاً في اتقان أثاث المنزل وقيمته.

فَأَمَّا أَنْ الشَّرْعَ دَعَا إِلَى اعْتِبَارِ الْمَوْجُودَاتِ بِالْعَقْلِ وَتَطَلُّبِ مَعْرِفَتِهَا بِهِ، فَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مِثْلَ قَوْلِهِ: «فَاعْتَبِرُوا، يَا أُولِي الْأَبْصَارِ»^(١). وَهَذَا نَصٌّ عَلَى وُجُوبِ اسْتِعْمَالِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ، أَوِ الْعَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ مَعًا....

- مِنْ كِتَابِ «تَهَافُتِ التَّهَافَاتِ»:

وَالْقَدِيمُ أَيْضًا يُقَالُ عَلَى مَا هُوَ قَدِيمٌ بِذَاتِهِ وَ(عَلَى) مَا هُوَ قَدِيمٌ بِغَيْرِهِ^(٢). وَكَذَلِكَ الْفَاعِلُ أَيْضًا: مِنْهُ مَا يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ، وَمِنْهُ مَا يَفْعَلُ بِطَبِيعَتِهِ^(٣) (ص ١٦)..... وَالْقَوْمُ (الْفَلَّاسَةُ) لَمَّا أَدَّاهُمُ الْبِرْهَانُ إِلَى أَنَّ هُنَا مُحَرَّكًَا أَرْثِيًّا لَيْسَ لَوْجُودِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا انْتِهَاءٌ - وَأَنَّ فِعْلَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُتَرَاخٍ عَنْ وُجُودِهِ^(٤) - لَزِمَ أَلَّا يَكُونَ لِفِعْلِهِ مَبْدَأٌ كَالْحَالِ فِي وُجُودِهِ، وَإِلَّا لَكَانَ فِعْلُهُ مُمَكِّنًا لَا ضَرُورِيًّا^(٥). فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَفْعَالُ الْفَاعِلِ الَّذِي لَا مَبْدَأَ لَوْجُودِهِ لَيْسَ لَهَا مَبْدَأٌ كَالْحَالِ فِي وُجُودِهِ (ص ٢٠).....

- وَقَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي الْعِشْقِ وَالْأَدَبِ الْوَقُورِ (الْمَغْرِبِ ١: ١٠٤ - ١٠٥):

مَا الْعِشْقُ شَأْنِي، وَلَكِنْ لَسْتُ أَنْكِرُهُ. كَمْ حَلَّ عُقْدَةً سُلُوَانِي تَذَكُّرُهُ^(٦)
مَنْ لِي بَغْضٌ جَفَوْنِي عَنْ مُخْبِرَةِ الْ- أَجْفَانِ قَدْ أَظْهَرَتْ مَا لَسْتُ أَضْمِرُهُ^(٧).

(١) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ..... (سُورَةُ الْحَشْرِ: ٢، ٥٩).

(٢) الْقَدِيمُ بِذَاتِهِ (مَا لَيْسَ لَوْجُودِهِ سَبَبٌ): اللَّهُ. الْقَدِيمُ بِغَيْرِهِ (مَا كَانَ اللَّهُ سَبَبًا لَوْجُودِهِ): مَجْمُوعُ الْعَالَمِ.

(٣) مَا يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ: الْإِنْسَانُ (يُرِيدُ أَحْيَانًا أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا وَلَا يُرِيدُ أَحْيَانًا أُخْرَى أَنْ يَفْعَلَ). مَا يَفْعَلُ بِطَبِيعَتِهِ: الْعَوَامِلُ الطَّبِيعِيَّةُ كَالنَّارِ وَالْمَاءِ وَالسَّكِينِ فَإِنَّهَا تَحْرَقُ الْأَشْيَاءَ الْقَابِلَةَ لِلْإِحْتِرَاقِ أَوْ تَبْلُلُ الْأَشْيَاءَ الْقَابِلَةَ لِلْبَلَلِ أَوْ تَقْطَعُ الْأَشْيَاءَ بِلَا شِدُودٍ وَلَا تَوْقِفٍ.

(٤) غَيْرُ مُتَرَاخٍ عَنْ وُجُودِهِ: لَيْسَ ثَمَّةُ زَمَنٍ فَاصِلٌ بَيْنَ وُجُودِهِ وَفِعْلِهِ (إِنَّ الْعَالَمَ فَعَلَ اللَّهُ - مِنْ خَلْقِ اللَّهِ - وَاللَّهُ سَبَبُ وَجُودِ الْعَالَمِ. فَالْعَالَمُ هَذَا النَّظَرُ غَيْرُ مُتَأَخَّرٍ فِي الْوُجُودِ عَنْ وَجُودِ اللَّهِ نَفْسَهُ).

(٥) الْفِعْلُ الْمُمْكِنُ (مَا يَفْعَلُهُ صَاحِبُهُ إِذَا شَاءَ وَيَتْرَكُهُ إِذَا شَاءَ: أَفْعَالُ الْبَشَرِ عَامَّةً). الْضَرُورِيُّ: مَا لَيْسَ لِلْكَائِنِ خِيَارٌ فِي فِعْلِهِ: كَالْإِحْرَاقِ النَّارِ لَشَيْءٍ مِنَ الْخَشَبِ مِثْلًا يُلْتَمَى فِيهَا أَوْ كَشَعُورِ الْإِنْسَانِ بِالْحَرِّ أَوِ الْبَرْدِ فِي مَكَانٍ كَثِيرِ الْبَرْدِ أَوْ كَثِيرِ الْحَرِّ.

(٦) ذَكَرَ الْحُبَّ (مِنْذُ أَهَامِ الشَّبَابِ) تَلَحَّ عَلَيَّ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنْسِيَ أَنِّي إِنْسَانٌ يَشْعُرُ وَجِبَابًا.

(٧) لَوْ كُنْتُ الْإِنْسَانُ حَبَّةً (بِالسَّكُوتِ أَوْ بِقَلَّةِ التَّظَاهَرِ) فَإِنَّ عَيُونَهُ (وَنَظَرَاتِهِ) تَدُلُّ عَلَى مِيلِهِ إِلَى الْجَهْلِ.

لولا النهي لَأَطَمْتُ اللحظَ ثانيةً فيمن يَرُدُّ سَنَا الأَلفاظِ مَنْظَرَه^(١).
 ما لَينِ سَتَيْنِ قَادَتُهُ لَهَايتِه عَشْرِيَّةً فَتَأَى عَنْهُ تَصَبُّرَه^(٢).
 قد كان رَضَوِي وَقَاراً، فَهُوَ سَافِيَةٌ: الحَسَنُ يُورِدُهُ وَالْهُونُ يُضْدِرُهُ^(٣).

- من آخر دَهَاتِ التَهافت: (٥٨٤ - ٥٨٨):

.... إِنَّ الحكماءَ^(٤) بِأَجْمَعِهِمْ يَرَوْنَ فِي الشَّرَائِعِ هَذَا الرَّأْيَ، أَعْنِي: أَنَّ يُتَقَلَّدَ (من الأنبياء والواضعين مبادئ العمل والسُنَنَ* المشروعة في مِلَّةٍ مِلَّةً. والمدحُ عندهم من هذه الأعمالِ الضروريةِ هو ما كان منها أَحَثُّ لِلْجُمْهُورِ عَلَى الأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ حَتَّى يَكُونَ النَاشِئُونَ عَلَيْهَا أُمَّمٌ فَضِيلَةٌ مِنَ النَاشِئِينَ عَلَى غَيْرِهَا، مِثْلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَنَا^(٥)، فَإِنَّهُ لَا يُشَكُّ فِي (أَنَّهَا) تَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٦). وَإِنَّ الصَّلَاةَ الْمَوْضُوعَةَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فِيهَا هَذَا الْفِعْلُ أُمَّمٌ مِنْهُ فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ الْمَوْضُوعَةِ فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ، وَذَلِكَ بِمَا شَرِطَ فِي عِدِّهَا وَأَوْقَاتِهَا وَأَذْكَارِهَا وَسَائِرِ مَا شَرِطَ فِيهَا مِنَ الطَّهَارَةِ وَمِنَ التُّرُوكِ - أَعْنِي: تَرْكَ الأَعْمَالِ الْمُفْسَدَةِ لَهَا.

وكذلك الأمرُ فِيمَا قِيلَ فِي الْمَعَادِ^(٧) فِيهَا هُوَ أَحْتُّ عَلَى الأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ مِمَّا قِيلَ فِي غَيْرِهَا. وَلِذَلِكَ كَانَ تَمْثِيلُ الْمَعَادِ لَهُمْ^(٨) بِالْأُمُورِ الْجَسَمَانِيَةِ أَفْضَلَ مِنْ تَمْثِيلِهِ بِالْأُمُورِ الرُّوحَانِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ^(٩): «مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) النهي: العقل. - قد قيل عيني إلى وجه جميل ولكن عقلي ينهاني عن تكرار النظر، خوفاً من الوقوع فعلاً فيما لا يجوز (لاين ستين سنة).

(٢) عشريّة: فتاة عمرها بضع وعشر سنين.

(٣) قد كنت وقوراً (كجبل رضى) لا أميل إلى اللهو، والآن أصبحت خفيفاً مثل التراب الذي نسفه (تنثره) الرياح (في الجوّ): الجهال يجعلني أميل إلى صاحبه و(خوف) الهون (الذل واحترار الناس) يصدرني (يردني، يرجعني) - بفتح الياء وكسر الجيم) عن ذلك.

(٤) الحكماء: فلاسفة اليونان القدماء. (*) السن معطوفة على مبادئ.

(٥) عندنا (في الإسلام).

(٦) «.... وأقم الصلاة، إِنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.....» (٢٩: ٤٥، النكبات).

(٧) المعاد: الحشر (البعث يوم القيامة).

(٨) لهم (للناس).

(٩) ١٣: ٣٥، الرعد.

الأنهار». وقال النبي عليه السلام: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط ». وقال ابن عباس^(١): « ليس في الآخرة من الدنيا إلا الأسماء ». فدلّ (ت هذه الأقوال) على أن ذلك الوجود (الآتي) نشأة أخرى أعلى من هذا الوجود وطوّراً آخر أفضل من هذا الطور...

وقد رأيت أن أقطع ههنا القول في هذه الأشياء والاستغفار^(٢) من التكلم فيها. ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله... وهو، كما يقول جالينوس^(٣): « رجل واحد من ألف » - والتصدي إلى أن يقول فيه من ليس من أهله^(٤) ما تكلمت، علّم الله بحرف.

٤ - تهافت التهافت، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ هـ، مصر (الباي الحلبي) ١٣٢١ هـ، (موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٠ م.

- فلسفة ابن رشد (عنوان مجموع يضم ثلاث رسائل: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلّة - ذيل لفصل المقال... الخ) (نشرها مللر) مونيخ (فرانز) ١٨٥٩ م، مصر (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ، مصر (المطبعة الجاهلية) ١٣٢٨ هـ، مصر (محمود علي صبيح - المكتبة المحمودية) بلا تاريخ. ثم « فصل المقال... » (ليون غوتيه)، الجزائر (كاربوغيل) ١٩٤٨ م، (تحرير فضلو حوراني)، ليدن (بريل) ١٩٥٩ م، (نشرها ألبير نادر)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م. - مناهج الأدلة... (تقديم وتحقيق محمود قاسم)، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.

رسالة التوحيد والفلسفة (موللر)، مونيخ ١٨٧٥ م.

(١) عبد الله بن عباس (٣ قبل الهجرة - ٦٨ هـ) ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم لازم (على صغر سنه) الرسول وروى عنه الأحاديث الصحيحة، قيل فيه: ترجمان القرآن (لقدرته على تفسير القرآن) - وحبر (عالم) هذه الأمة (الإسلام).

(٢) وقد رأيت أن أقطع... والاستغفار...

(٣) جالينوس (نحو ١٣٠ - ٢٠٠ م) أشهر أطباء اليونان عند العرب برع في التشريح وكان قديراً في علاج المرضى، وله في الطب كتب كثيرة نقل جانب كبير منها إلى اللغة العربية.

(٤) ... ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله (ولولا الخوف) من أن يتصدى للكلام في ذلك من ليس من أهله.

رسائل ابن رشد، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
بداية المجتهد ونهاية المقتصد (في الفقه)، فاس ١٣٢٧ هـ، الآستانة ١٣٣٣ هـ، مصر
(الطبعة اليمنية) ١٣٣٤ هـ، مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣٩ هـ.
الكليات (في الطب) (تحرير ألفريد البستاني)، العرائش - المغرب (منشورات معهد
فرانكو) (مطبعة الفنون) ١٩٣٩ م.

رسائل ابن رشد (السماع الطبيعى - السواء والعالم - الكون والفساد - الآثار العلوية -
كتاب النفس - ما بعد الطبيعة)، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
تلخيص كتاب النفس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٠ م.
تلخيص المقالة الأولى من كتاب الخطابة لأرسطو: في الشعر (لازينيو) فلورنسة ١٨٧٥ -
١٨٧٨ م.

تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو (تحرير موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية)
١٩٣٨ م، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
فنّ الشعر (لأرسطو) مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد
(ترجمه عن اليونانية عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م.
تلخيص الخطابة لأرسطو (تحقيق محمد سليم سالم)، القاهرة (الجلس الأعلى للشؤون
الإسلامية) ١٩٦٧ م.

تلخيص السقسطه لأرسطو (تحقيق محمد سليم سالم)، القاهرة (دار الكتاب والوثائق
القومية - مركز تحقيق التراث) ١٩٧٢ م.
كتاب النفس: الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس - الحاسّ والمحسوس لابن رشد -
النبات المنسوب إلى أرسطو (راجمها على أصولها اليونانية وشرحها وحققها عبد الرحمن
بدوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٤ م.

★ - ابن رشد وفلسفته، تأليف فرح أنطون، الإسكندرية ١٩٠٣ م، بيروت ١٩٨١ م.
ابن رشد الفيلسوف، تأليف محمد يوسف موسى، القاهرة (دار احياء الكتب العربية)
١٩٤٥ م.

ابن رشد (دراسة ومختارات)، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م.
ابن رشد، تأليف عباس محمود العقاد، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
ابن رشد والرشدية بقلم أرست رينان (نقله إلى العربية عادل زعيتر)، القاهرة (دار
احياء الكتب العربية) ١٩٥٧ م.

ابن رشد فيلسوف العرب، تأليف عبده الحلو، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م.
ابن رشد وفلسفته....، تأليف محمود قاسم، القاهرة (مكتبة الأنكلو المصرية) ١٩٦٩ م.
في فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود، تأليف محمد عبد الرحمن بيسار، بيروت (دار

الكتاب اللباني)، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.

بغية المتتمس ٤٤ (رقم ٣٩)؛ التكملة ١: ٢٦٩، الذيل والتكملة ٦: ٢١ -
٣١ (رقم ١٢٩)، المغرب ١: ١٠٤ - ١٠٥، طبقات الأطباء ٢: ١٧٥، قضاة
الأندلس للنباهي ١١١، المعجب ١٧٤ - ١٧٥، ٢٢٤ - ٢٢٥، الديباج
المذهب ٢٨٤ - ٢٨٥، مقدّمة ابن خلدون (دار الكتاب اللباني) ٢٣٦ -
٢٣٧، وفيات ابن قنفذ ٢٩٨ - ٢٩٩، شذرات الذهب ٤: ٣٢٠، نفع
الطبيب ١: ١٥٥، ٤٦٣، ٣: ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٢، راجع ١٨٠ - ١٨١،
٧: ٨٧، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٩ - ٩٢٠، بروكلمن ١: ٤٧٩ -
٤٨٠، الملحق ١: ٦٦٢ (وفيه خلط بين أبي الوليد بن رشد الحفيد هذا وبين
وجده أبي الوليد أحمد بن محمد)، سركيس ١٠٨ - ١٠٩، بالنشأ ٣٥٣ -
٣٦٩، ٤٢٧، ٤٦٩ - ٤٧١.

أبو القاسم بن البرّاق

١ - هو أبو القاسم محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني الوادي آشي
المعروف بأبن البرّاق، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م).

روى أبو القاسم بن البرّاق عن جماعة كبيرة من الشيوخ (راجع تحقيقاً بالغا
لأسمائهم وأزمانهم ولصلة أبن البرّاق بهم ولما قرأ عليهم أو روى عنهم في «الذيل
والتكملة» ٦: ٤٥٨ - ٤٦٧). ولعله بلغ إلى منصب الوزارة (راجع المطرب
٢٤٢ ع).

ولا نكاد نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيل حياته، سوى ما قيل من أن الأمير ابن سعد
(٤) كان قد غَضِبَ عليه ثم غَرَبَهُ عن بلده وألَزَمَهُ السُّكْنَى في مَرْسِيَّةَ ثم في بَلَنْسِيَّةَ. ولَمَّا
مات ابنُ سعدٍ (سنة ٥٧١ هـ) عاد ابنُ البرّاقِ إلى وطنه. وكانت وفاة أبي القاسم بن
البرّاق في مَطْلَعِ رَمَضَانَ (ودُفِنَ في الثاني منه) من سَنَةِ ٥٩٦ (١٧/ ٦ / ١٢٠٠ م).

٢ - يبدو أن أبا القاسم بن البرّاق كان في أول حياته مُتَصَوِّفاً مُتَنَسِّكاً ثم بدّل
قليلاً (راجع المطرب ٢٤١ - ٢٤٢).

وكان أبو القاسم بن البرّاق مُحدثاً حافظاً راويةً مُكثِراً وضابطاً (لروايته) ثِقَّةً

وقفيها. وكان له أيضاً نظراً واسعاً في الطب، كما كان له كتابٌ في الفلك (بروكلمن ١: ٦٥٩). وكذلك كان أديباً بارعاً وكاتباً بليغاً مجيداً كثيراً سريع البديهة في النظم والنثر. والأدب أغلبُ عليه (الذيل والتكملة ٦: ٤٦٧ س). وكان وشاحاً كثيراً نظم نحواً أربعين موشحاً. ثم كانت له بديعياتٌ (في مدح محمد رسول الله). وفي نفع الطيب (٤: ٢٨٧ - ٢٨٨) ما يدل على أنه كان ناقداً أيضاً، فقد دخل في الخلاف في نسبة المقطعة:

وَقَانَا لَفَحَةَ الرَّمْضَاءِ وَإِدْرَاقَهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ،
وَقَالَ: أَشَدَّتْنَا حَمْدُهُ (أو حدوته) بنت زياد العوفية (ت نحو ٦٠٠ - راجع ترجمتها لنفسها).

وشعرُ أبي القاسم بن البراق متين السبك، لكن في بغيضه شيئاً من الجفاف (راجع، مثلاً الأبيات الواردة له في «زاد المسافر»، ص ١٥١ - ١٥٢).

وأبو القاسم بن البراق مُصَنِّفُ بَارِعٌ كَثِيرٌ، وأكثر تصانيفه في الأدب. فمن هذه التصانيف (الذيل والتكملة ٦: ٤٦٨): بهجة الأفكار وفُرْجة التذكار في مختار الأشعار - مباشرة ليلة السفح^(١) من خبر أبي الأصمغ عبد العزيز بن أبي الفتح^(٢) مع الأعلام الجلة: أبي إسحاق الحفاجي^(٣) وأبي الفضل بن شرف^(٤) وأبي الحسن بن الزقاق^(٥) - مقالة في الإخوان (خرجها من شواهد الحكم ومصنّف في أخبار معاوية)^(٦) - الدر المنظم في الاختيار المعظم (وهو مُقسَّم على تأليفين: أحدهما ملح

(١) السفح: أصل الجبل أو التلة (عند اتصالها بالسهل). ليلة السفح (كتابة عن الاجتماع للسرور واللهو). يقول الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ): «يا ليلة السفح، هلاً عدتُ ثانية.... الديم».

(٢) في المغرب (١: ١٠٢): أبو الأصمغ عبد العزيز بن فاتح القرطبي، كان من عمال (متولين جمع المال) في قرطبة في مدة (أيام حكم) لمتونة (المرابطين) واختص بأميرها الزبير بن عمر الملقب (ت ٥٣٧ هـ) وناداه. وكان أبو الأصمغ هذا شاعراً وعارفاً بالفناء.

(٣) الجلة: الكبار المشهورين في قومهم. أبو إسحاق الحفاجي (ت ٥٣٣ هـ، راجع ترجمته).

(٤) أبو الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ، راجع ترجمته).

(٥) أبو الحسن بن الزقاق (ت ٥٢٨، راجع ترجمته).

(٦) معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية.

الخواطر ولَمَحَ الدفاتر - والثاني مجموعٌ في ألغاز) - روضةُ الحدائق في تأليف الكلام الرائق (وهو مجموعٌ نظمه ونثره، وفيه فصول منها: مُلتقى السبيل في فضل رَمَضانَ، قصيدة في ذِكْرِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و(ذكر) أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد سماها «القرارة اليتربية المخصوصة بشرف الأُخفاء القدسية»^(١) - خَطَرَاتِ الواجد في رثاء الماجد^(٢) - رجوع الإنذار بهجوم العذار^(٣) - تصريح الاعتذار عن تقبيح العذار - قِطْعٌ من شعره (زُهْدِيَّةٌ وَوَعظِيَّةٌ مَعَ فصولٍ أُخرى) - مجموعُ مَوْشَحَاتِهِ (وقد صَدَّرَهُ بِمَقَالَةٍ سَمَّاها: «الإفصاح والتصريح عن حقيقة الشعر والتوشيح»). ثم له عددٌ من المصنّفات شرع فيها ولم يُتِمّها.

٣ - مختارات من شعره:

- لابن البرّاق أبي القاسم في الفَزَلِ المورّي^(٤):

يا سَرَحَةَ الحِمَى يا مَطُولُ، شرحُ الذي بيننا يطُولُ^(٥).

ولي ديونٌ عليك حَلَّتْ لو أَنَّهُ يَنْفَعُ الحُلُولُ^(٦).

- وقَعَدَ أبو القاسم بن البرّاق مَعَ أَحَدِ الأعيان^(٧) على ضفافِ نهرٍ طَلَبًا للراحة

فقال يُخاطبُ ذلك العَيْنَ (المغرب ٢: ١٥٠ راجع نفع الطيب ٣: ٥٠٦):

(١) هذه القصيدة قد سَطَّها (أو حَسَّها) أبو الكرم جودي - كان من أخصَّ تلاميذه به - ولعلَّه جودي بن

جودي (المغرب ٢: ١١٠ - ١١١)، وكان معاصراً لموسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (٥٧٣ -

٦٤٠ هـ). ونَحْصِسُ هذه القصيدة موجود في «الذيل والتكملة» (٦: ٤٦٩ - ٤٧٢).

(٢) الواجد: الحزين. الماجد: الشريف في قومه.

(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه.

(٤) المورّي: الرموز عنه (كالكتابة عن المرأة بالسرحة: الشجرة الطويلة - راجع هذه الكتابة نفسها في

قول حيد بن ثور: أُمِّي اللهُ إِلَّا أَنْ سَرَحَةَ مالِك - في الجزء الأول). البيتان في نفع الطيب ٣: ٥٠٦ -

راجع، فوق، الكتندي (ت ٥٨٤ هـ): هذان البيتان مع تنسئة لها مرويان له في زاد المسافر (ص ٩٥).

(٥) السرحة: الشجرة الطويلة، العالية. المطول: المرأة التي تعد ولا تنفي.

(٦) الحلول: حلول وقت استحقاق وفاء الدين، وصول.

(٧) العين: الرجل المنظور إليه في قومه.

انظر إلى الوادي الذي مَدَّ غَرْدَتُ أَطْيَارُهُ شَقَّ النِّسْمِ ثِيَابَهُ^(١).

أُتْرَاهُ أَطْرَبَ—هُ الْهَدْيِ—لُ، وَزَادَهُ

طَرِباً - وَحَقَّكَ - أَنْ حَلَلْتَ جَنَابَهُ^(٢)؟

- وله في غلامٍ آسَقَرَ عَلَى شَفَتَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمِدَادِ (الخِيزِ الْأَسْوَدِ) مِنْ أَثَرِ وَضْعِ الْقَلَمِ عَلَى الْفَمِ لَتَبْلِيلِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الرِّيقِ لِيُصْبِحَ الْخَبِرُ بِذَلِكَ أَكْثَرَ مِيعاً وَسَيْلَاناً وَجَرِيّاً:

يَا عَجَباً لِلْمِدَادِ أَضْحَى عَلَى فَمٍ ضَمَنَّ الزُّلَالَا^(٣)،

كَالْقَارِ أَضْحَى عَلَى الْحَمِيَا وَاللَّيْلُ قَدْ لَامَسَ الْهِلَالَا^(٤).

- وَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْبَرَّاقِ مَجْلِسَ بَعْضِ الْمُلُوكِ الْأَكَابِرِ^(٥) فَأَمَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَنْ يُقَدِّمَ السَّاقِي لَهُ كَأْساً مِنَ الْخَمْرِ مُشَارِكَةً لِلْحَاضِرِينَ، فَأَنْقَبَضَ ابْنُ الْبَرَّاقِ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَشْمَزَ. وَاتَّفَقَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنْ أَنْشَقَتْ صُرَاحِيَةٌ (إِنَاءٌ لِلْخَمْرِ) وَسَالَ مَا فِيهَا. فَتَشَاءَمَ الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَنَ، فَأَنْشَدَ ابْنَ الْبَرَّاقِ مِنْ قَوِّهِ عَلَى الْبَيْدِيَّةِ:

وَمَجْلِسَ بِالسُّرُورِ مُشْتَمَّ—لِ لَمْ يَخْلُ فِيهِ الزُّجَاجُ عَنْ أَرْبٍ^(٦).

سَرَى بِأَعْطَافِهِ تَرْتَحُنَا فَشَقَّ أَثْوَابَهُ مِنَ الطَّرِبِ^(٧).

فَسَرَّ الْمَلِكُ وَزَالَ مَا بِهِ.

- مِنْ «الْقَرَارَةِ الْيَثْرِيَّةِ بِشَرَفِ الْأَحْنَاءِ الْقُدْسِيَّةِ» (فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَصَحَابَتِهِ) لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبَرَّاقِ الْمُهَمْدَانِيِّ الْوَادِيَّاشِيِّ:

(١) الوادي: النهر.

(٢) الهديل: صوت الحمام. حللت جنابه: نزلت (سكنت) في أحد أطرافه.

(٣) الزلال: الماء الصافي العذب.

(٤) القار: الزفت. الحميّا: الخمر. العادة أن تحتم أنية الخمر بالزفت.

(٥) الملوك الأكابر يمكن أن يكونوا الرجال الأغنياء من ذوي المكانة في قومهم.

(٦) مشتمل (محاط). الأرب: الحاجة، البغية، الأمنية.

(٧) سرى (هنا): انتشر. العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من البدن. الترتج: التألُّل (من السكر أو الضعف). شقَّ الثوب كناية عن شدة السرور والانفعال.

بِالْمَضْبِ هَضْبٌ زَرُودٌ أَوْ تَلْعَايَا شَاتَنُكَ هَاتِفَةٌ عَلَى نَفَايَا^(١) ؟
 مَصْدُورَةٌ تَفْتَنُ فِي تَرْجِيمِهَا فَيَبِينُ نَفْثُ السَّحْرِ فِي نَفْثَاتِهَا^(٢) .
 إِنْ رَاقَهَا رَأْدُ الضُّحَى أَوْ رَاعَهَا جُنْحُ الدُّجَى سَيَّانٍ فِي ذِكْرَاتِهَا^(٣) :
 هَذَا يُبْتَعُّهَا، وَذَاكَ يَشُوقُهَا، فَاَلْمُوتُ فِي يَقْظَاتِهَا وَسِنَائِهَا^(٤) .
 لَا دَرَّ دَرُّ الْقَطْرِ إِنْ لَمْ يَرَوْهَا مِنْ دَرِّهِ وَيُلَفُّ مِنْ شَجَرَاتِهَا^(٥) ،
 حَتَّى تُطَارِحَنِي بِأَنْهَرَ شَجْوَهَا وَأُفُوقَهَا فِي بَثِّهَا حَسَرَاتِهَا^(٦) .
 سَجَمْتَ عَلَيْكَ، أَخَا الذُّنُوبِ، بِسَحْرَةِ فَرُيْتِ بِالْفَتَّانِ مِنْ سَجَعَاتِهَا^(٧) .
 أَمْرُنَةٌ تَهْدِيكَ لِلشُّكْوَى فَلَا تَمَازُ إِلَّا بِأَدْعَاءِ صِفَاتِهَا^(٨) ؟
 هَلَّا أَتَقَدَّدْتُ بِكَ، يَا مُتِّمٌ، فِي الْهَوَى، إِذْ مَا وَصِمْتَ بِهِ يَبْدُ سَيَّاتِهَا^(٩) ؟

(١) المضب جمع هضبة (بفتح فسكون فيها): الأرض المرتفعة. زرود (اسم رمل)، ووزوده هنا إشارة إلى الحجاز. التلعة (بفتح فسكون): ما ارتفع من الأرض، المكان العالي يسيل منه الماء. هاتفة: حامة) تهدل (تصوت، تغني).

(٢) مصدورة: في صدرها مرض أو هم. تفتن (تفتن): تأتي بفنون مختلفة. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق (عند الغناء). يبين (يظهر) نفث السحر (النفخ على أداة السحر من شيء مكتوب أو خيط معقود، كناية عن قدرة الساحر). نفثة (هنا): النفس الضعيف (من هم أو مرض).

(٣) رآد الضحى: أول الصباح. جنح (طرف) الدجى (جمع دجية وهي الظلمة بالضم فيها) ذكراتها...

(٤) هذا (أي جنح الدجى) يتمه (يطول عليه، يدوم)، وذاك (رآد الضحى) يهيج (يهيج) خوفاً من أن ينقضي). فالوت (الشقاء له) في يقظاته جمع بقطة (بفتح ففتح) عند الصبح وفي سناها جمع سنة (بكر ففتح): نوم.

(٥) لا درّ (سال) درّ (لبن) القطر: المطر (دعاء على المطر أن ينقطع) إذا لم يروها (إذا لم يسق المضب - راجع البيت الأول - ويشمها) ويلفّ من شجراتها (يحيط بشجرها: يكني جميع أشجارها).

(٦) تطارحنى: تحاورني وتبادلني (أي المرافقة: الهامة) بأهر: في أبهر (جبل في الحجاز) شجوها (حزنها) وأفوقها (أزهد عليها) في بثها (التصبير عن) حسراتها. إن حزني وحسرتي أكبر من حزنها وحسرتها (أنا حزين لأنني بعيد عن الحجاز - الأرض المقدسة - وهي لا مسوغ لها أن تحزن لأنها موجودة في أبهر: أحد جبال الحجاز).

(٧) سجمت (غنت) عليك (على سمعك فسمعتها) يا أخا الذنوب (يا كثير الذنوب). بسحرة (في أول الفجر) فزيت: أغريت (بالبناء للمجهول): أحببت الازدياد من سماع غنائها.

(٨) المرثة المرأة التي تنوح تهديك للشكوى (تدلك على الشكوى، تملكك الشكوى) فلا تستطيع أنت أن تفعل أكثر من القول إنك تشكو.

(٩) كان من الواجب أن تحاول تلك الهامة أن تقتدي بك في إظهار الحزن لأنك أنت متيم في الهوى (قد =

أوليسَ حُبُّكَ للنبيِّ مُحَمَّدٍ
يا كعبةَ الإسلامِ يا كهفَ الهدى،
يا من تَبَلَّجَ نورهُ عن صاعدٍ
يا شارِعاً في أمةٍ جُعِلَتْ به
في دارِ خُلْدٍ لا يَشِيبُ وَلِيدُهَا
يا خاضِداً للشُّركِ شوكةَ حِزْبِهِ،
يا الصيِّدِ من أذوائِها والقلبِ من
يا ناصباً علَمَ الديانةِ جَاهِداً،
يا آخِرَ النبِّاءِ في إرْسالِها،
يا مَنْ إذا جَلَّتِ الغزاةُ نورَها
أضعافَ ما بَثَّتْه من لَواعِتها؟
يا صارِفَ الأيامِ عن عاداتِها،
بالواضحاتِ الغُرِّ من آياتِها^(١)،
وسطاً فنالتِ مُستدامَ حياتِها^(٢)،
حيثُ الشابُّ يَرِفُ في جَنابِها^(٣).
يا نابِغاً للعُربِ في جَمَراتِها^(٤)،
صُرْحائِها والشَّمِّ من أُنبيائها^(٥).
يا دُخْرَها لِحياتِها ومَواتِها،
يا أوَّلَ الأرسالِ في قُرْبائِها^(٦)،
فَلَوَجْهَها يُعزى جِيلٌ إِيَّايَها^(٧)،

-
- أمرضه الحبَّ ودلَّه). ذلك لأنَّ ما وسَّمت أنت به (ما وصفت أنت به من الحبِّ لرسول الله يَدَّ، أي يغلب ما تتَّصف هي به في شكواها.
- (١) تَبَلَّجَ: ظهر وأضاء. الصاعد: الذي يتَّق (الظلام). والصادع بالشيء: الجاهر به والداعي إليه. بالواضحات (بالآيات الظاهرات البيِّنات) الغرِّ (البیض، الساميات).
- (٢) الشارِع: واضع القوانين. أمة جعلت وسطاً (أفضل الأمم). راجع القول الفلسفي: الفضيلة توسط بين نقيضتين، ثم المثل: خير الأمور الوسط، ثم أرْجِعْ إلى القرآن الكريم (٢: ١٤٣ سورة البقرة): «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...»
- (٣) رَفَّ: تَلَأَّ، اهْتَزَّ (من النشاط). دار الخلد: الجنة.
- (٤) خضد: كسر، قَطَعَ. شوكة: قوَّة، سلاح. الجمرة من الناس: أهل النعمة (بفتح ففتح: الدفاع عن النفس) والقوَّة والاتِّحاد. النابغ: الذي يبرز ويفوق أُنْداده.
- (٥) الصيد جمع أصيد: صاحب القوَّة والسلطان. الأذواء (ذو وزن وذو نواس) من ملوك اليمن. الصريح: ذوو النسب النقي الواضح. القلب من صرحائها (أوضح الناس وأنقاهم نسباً). الأثم: العالي. البيت: الشرف، المنزلة الكريمة.
- (٦) النبِّاء: الأنبياء (جمع نبيٍّ). مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الأنبياء الذين جاءوا إلى الإنسانية. الرسل (بفتح ففتح): الجماعة من الناس (والجمع أرسال). مُحَمَّد آخر الأنبياء، ولكنَّه أوَّل البشر (في المقدِّمة منهم: في الشرف والجاه والمكانة والشجاعة، الخ).
- (٧) الغزاة: الشمس. جلت: أظهرت. يعزى: ينسب. إِياء (بكسر الهجمة): نور الشمس.

من لي بِجُحْنِكَ كَلِمًا آعَتَكَرَ الْأُسَى
 أَنْتَ الَّذِي أَنْقَذْتَهَا مِنْ غَمَةٍ
 وَحَبَوْتَهَا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي
 لَوْلَاكَ مَا عُرِفَ السَّبِيلُ إِلَى النُّهَى
 فَعَلَيْكَ فَضْلُ خُشُوعِهَا وَخُضُوعِهَا،
 قَسَمْتَ أُرَادَ الْعُلَا بِشَرِيعَةٍ
 وَحَسَمْتَ مِنْ طُرُقِ الضَّلَالِ مَاخِذًا
 مَا زِلْتَ تَجْهَدُ فِي آتِنَاقِ شُرُودِهَا
 حَتَّى أَضَاءَ الْحَقُّ فِي مِثَاجِهِ
 يَا مَنْ تَوَضَّحَ جَمْرُهُ فِي زُمْرَةٍ
 أَقْمَارُ مِثْلَتِنَا وَشَهَبُ سَائِهَا
 فَسَرَّهَا صِدْقُهُ، وَسَنَّيَهَا

فِي النَّفْسِ فَأَشْتَمَلَتْ عَلَى كُرْبَاتِهَا^(١).
 فَرَجَتْ فِيهَا الصَّبَبُ مِنْ أَرْمَاتِهَا،
 بَلَّغَتْ بِلَاغَتِهَا مَدَى مِيقَاتِهَا^(٢).
 وَلَضَلَّتِ الْأَلْبَابُ عَنْ مَنَاجَاتِهَا^(٣).
 وَإِلَيْكَ أَجْرُ صِيَامِهَا وَصَلَاتِهَا.
 بَرَزَتْ وَجْهَ الْفَضْلِ مِنْ قَسَمَاتِهَا^(٤).
 غَرَقَتْ نَفْسُ الْخَلْقِ فِي زَلَّاتِهَا^(٥).
 وَتَعَوَّضُ الْأَنْوَارَ مِنْ ظُلُمَاتِهَا^(٦).
 وَتَرَكْتَ الْبُشْرَى عَلَى دَرَجَاتِهَا.
 رَقِيتْ بِسُنَّتِهِ يَفَاعَ نَجَاتِهَا^(٧).
 وَذَوُّ الْخِلَالِ الْفَرُّ مِنْ سَرَوَاتِهَا^(٨).
 فَارَوَقُهَا الْوَضَّاحُ عَنْ عَزَمَاتِهَا^(٩).

- (١) الكربة: شدة الحزن والغم. اعتكر: أظلم، اشتد. الأسى: الحزن. من لي (كيف لي) بحسبك (باحسانك، يا رسول الله، منقذاً). ٩.
- (٢) جبا: منح، أعطى. جوامع الكلم: الحكم البالغة. مدى ميقاتها (وصلت جوامع كلمك والآيات التي نزلت عليك والإسلام الذي جئت به إلى أقصى الأرض).
- (٣) في الأصل ما عرف (بالبناء للمعلوم) السبيل (بالنصب، على أنه مفعول به)، والأصوب بالبناء للمجهول. اللَّب (بالضم) العقل. المنجاة: النجاة وطريق النجاة أيضاً.
- (٤) أورد جمع ورد (بالكسر): القسم النصب، أو الشرب من الماء. القسة (بفتح ففتح ففتح أو بفتح فكسر ففتح): ملاح الوجه، والجمال.
- (٥) حسم: قطع.
- (٦) في انتقاص شرودها: في الإقلال من ضلالها.
- (٧) توضح: ظهر. جره (٩) لعل المقصود: كفاحه وهداه. زمرة: جماعة. يفاع: المكان العالي.
- (٨) الملة: الدين. الشهب: النجوم. الخلال: الخصال. الفر: البيضاء (الحميذة). السروات: رؤساء الناس وكرامهم.
- (٩) السري: الشريف من القوم. الصديق (أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة - بالضم). السني: العالي، ذو المكانة السامية. الفاروق هو عمر بن الخطاب. الوضاح الذي يبين الأمور. وقد سمي عمر بن الخطاب «الفاروق» لأنه فرق بين الحق والباطل. العزمات (جمع عزمة): الحقوق.

وَأَثَرُهَا عُثَانُ تَالِي وَحِيهَا
 وَعَلَيْهَا فِي الْمَكْرُمَاتِ عَلَيْهَا
 بَابُ الْعُلُومِ وَخَيْرٌ مِنْ جَالَتْ بِهِ
 مَنْ حُفَّ بِالسِّبْطَيْنِ ذِرْوَةُ عِزِّهِ
 لِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي الْجَلَالِ مَنَازِعُ
 وَحَرِيْهَا الْيَفْ أَيْنُ عَوْفٍ بِالْحِجَى
 وَأَخُو حِرَاسَتِهَا بِمُخْتَصَرِ الْوَعَى
 فِتْنَةٌ تَوَاصَتْ بِالسَّاءِ فَأُشْرَقَتْ
 فَالْبَشَرُ حَشْوُ ضُلُوعِهَا، وَالْفَضْلُ طَيْدُ
 شَهَدَتْ لَهَا بِالْجَنَّةِ الذَّاتُ الَّتِي
 وَمُزْخِرُ الْأَرْمَاتِ عَنْ سَادَاتِهَا^(١)
 رَبُّ آخِرَاتِ النُّصْرَى غَزَوَاتِهَا^(٢) ؛
 هِمَاتُهُ فِي مُرْتَقَى صَهَوَاتِهَا^(٣) .
 فَتَقَهَّرَ التَّغْيِيرُ عَنْ هَضْبَاتِهَا^(٤) .
 يَفْتَرُّ ثَغَرُ الرُّوْضِ عَنْ نَفَحَاتِهَا^(٥) .
 وَرَفِيعُهَا فِي حِلْمِهِ وَأَنَاتِهَا^(٦) .
 سَعْدُ مُبِيدُ الدُّعْرِ دُونَ حُمَاتِهَا^(٧) .
 شَمْسُ النُّبُوَّةِ فِي سَنَا جَبَّاهَاتِهَا^(٨) .
 سِي بُرُودِهَا، وَالْجَدُّ حَلْيُ طَلَاتِهَا^(٩) .
 وَطِئَتْ بِأَخْمَصِهَا ذُرَى غُرْفَاتِهَا^(١٠) .

- (١) الأثير: الموثوق المفضل. عثان (بن عثان). تالي وحيا (لاشتهار عثان بن عثان بتلاوة القرآن، فقد قتل وهو يتلو القرآن). الأزمة: الشدة. كان عثان يتبرع بمبالغ كبيرة من المال لتجهيز الجيوش إلى الجهاد أو لتفسيح الكرب عن الناس.
- (٢) عليها الأولى: علي بن أبي طالب. وعليها الثانية: أعلاها. رب: صاحب. اخترط السيف سلته من غمده. النصر (٩). لعله يقصد أن علياً كرم الله وجهه كان يحرز النصر في الغزوات للمسلمين بالسهولة التي كان يشهدها (بفتح الياء والهاء) سيفه من غمده.
- (٣) باب العلوم: العالم، فقد جاء في الحديث: «أنا مدينة العلم وعلياً بابها». الصهوة من كل شيء أعلاه.
- (٤) السبط: ابن بنت الرجل (ابن ابن الرجل: حفيد). السبطان: الحسن والحسين (سبطا الرسول من ابنته فاطمة). ابنا الإمام علي. الذروة: أعلى الشيء. تقهقر: تراجع. التغيير (٢).
- (٥) أبو عبيدة عامر بن الجراح من كبار الصحابة وكبار المجاهدين وقواد الجيش الإسلامي. منازع: جمع منزع: قوة، همة، غاية. الجلال: الأعمال العظيمة. النفع والنفعة: انتشار الرائحة الطيبة.
- (٦) الحري بالحجى (بالعقل، بالتصرف الحكيم): الخلق به، من هو أهل لذلك. المف: الضيف. ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة. الرفيع: العالي المكانة. الملم: سعة الصدر، العقل. الأناة: التأني.
- (٧) الوغى: الحرب. سعد بن أبي وقاص. الذعر: الخوف من الاضطراب. دون حاتم (مجاهدوها الأبطال). دون (أكثر من، دفاعاً عن).
- (٨) السناء: الرفعة والعلو. السنا: النور.
- (٩) البشر: طلاقة الوجه (ظهور السرور على الوجه عند لقاء الناس). البرد (بضم الباء): الثوب. الطلاة: المنق أو صفحة المنق.
- (١٠) شهدت لهم (لهؤلاء النفر ولغيرهم ورد ذكرهم في أبيات ليست في هذه المختارات) بالجنة (بدخول الجنة) =

هِيَ صَفْوَةُ الْمُخْتَارِ، فَأَتَقَنَفَ سُبُلَهَا،
فَعَسَاكَ أَنْ تَمْتَارَ مِنْ بَرَكَاتِهَا
يَا طَيِّباً ضَمَّتْهُ مِسْكَةُ طَيِّبَةٍ
شَوْقِي لِتَرْبَتَيْكَ الْمُقَدَّسَةِ أَقْتَضِي
فَارْزَحَمْ بِكُءَاءِ مُغْرِقٍ فِي أُنْجَرٍ
وَأَشْفَعْ لَهُ فِي تَوْبَةٍ يَصْفُو بِهَا
كَيْمَا يَكُونُ إِلَى الْمَعَادِ مُشْمِراً
تَمَّ السَّلَامُ عَلَيْكَ، يَا شَخْصَ الرِّضَا،
وَتَوَخَّ أَنْ تَسْتَنْ فِي مَرَقَاتِهَا^(١).
رِفْداً بِهِ تَفْعُدُ مِنْ طَبَقَاتِهَا^(٢).
فَتَضَوَّعَتْ دَارِينُ عَنْ جَدْرَاتِهَا^(٣)،
دَنَفِي وَصَدَّ النَّفْسَ عَنْ خَطَرَاتِهَا^(٤).
مِنْ دَمْعِهِ يَحْتَالُ فِي غَمَرَاتِهَا^(٥).
نَفْساً، فَتُقْلِعَ عَنْ قَبِيحِ سِنَاتِهَا^(٦).
وَيَكْفُفُ لِلْأَهْوَالِ مِنْ عَثَرَاتِهَا^(٧).
مَا دُمْتُ أَصْلَ رَشَادِهَا لِغَوَاتِهَا^(٨)،

الذات (الشخصية الكريمة: أي محمد رسول الله). الأخص: بالطن القدم. الغرفات جمع غرفة: أعلى
الأسكنة في الجنة. المقصود: إن الرسول أعلى مكاناً من هؤلاء في الجنة. أمّا المبشرون بالجنة فهم
عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبو
عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد.

(١) صفوة المختار (رسول الله): الذين اصطفاهم (اختارهم الرسول) وبشرهم بالجنة. استن: سار مجداً،
ركض.

(٢) امتار: تزود. الرغد: العطاء. اعتد: صار معدوداً (في جماعة). ويجوز: «تعتد» (بالبناء للمجهول).

(٣) يا طيباً (يا رسول الله) ضمتها (ضمّت جسده) طيبة (المدينة المنورة). المسكة: القطعة من المسك (مادة
طيبة الرائحة). مسكة طيبة (تراب المدينة المنورة الطيب الطاهر). تضوع: انتشر طيب الرائحة.
دارين: (مكان في الشام ومكان آخر في البحرين ذوا شهرة بوجود المسك. المجدرة (يفتح ففتح):
حظيرة الغنم (وتكون عادة غير طيبة الرائحة).

(٤) الدنف: المرض الذي يشرف بصاحبه على الموت. الخطرة: ما يخطر في بال الإنسان (من عمل غير
جيد). يجوز: وصدّ (فعل ماض) النفس (مفعول به).

(٥) الغمرة: لجة البحر، المكان الذي يكثر فيه الماء. يخال: يسير بفخر وازدهار. مع أن الناظم غريق في
دموعه (خوفاً من الذنوب التي اقترفها في حياته) فإنه مسرور بهذا الدمع لأنه دليل على تدمه. وتدمه
هذا مدعاة إلى مغفرة ذنوبه.

(٦) أقلع الرجل عن فعل ما: ترك ذلك الفعل. سناتها جمع سنة (بالكسر): النوم، ولا وجه له هنا. (إلا أن
يكون المقصود: نومها عن الأعمال الصالحة).

(٧) المعاد: يوم القيامة. مشمراً: (إلى دخول الجنة) ويكف: يرد. الأهوال: (يوم القيامة، مما يجعله
يعثر فيقع في جهنم).

(٨) يا شخص الرضا (محمد رسول الله). الفواة جمع غاو: ضال. أصل رشادها (سبب رشادها وسبيلها).

وَوَهَبَتْهَا الْمَأْمُولَ مِنْ طَلَبَاتِهَا وَوَقَّعَتْهَا الْمَهْذُورَ مِنْ آفَاتِهَا،
وَحَصَصَتْهَا عِنْدَ الْإِلَهِ بِمُحْظَوَةٍ أَقْطَعَتْهَا فِيهَا جَزِيلَ هَيَاتِهَا.

٤ - زاد المسافر ١٥١ - ١٥٢، التكملة ٢٧١ (رقم ٥٥٦)، الذيل والتكملة ٤٥٧:٦ - ٤٨٣ (رقم ١٢٣١)، المغرب ١٤٩:٢ - ١٥٠، المطرب ٢٤١ - ٢٤٢، نفع الطيب ٣:٥٠٦، ٤:٢٧٨ - ١٢٨٨ بروكلمن ١:٦٥٨، الملحق ١:٩١٤، الأعلام للزركلي ٧:١٦٨ (٦): (٢٨٠).

أبو بكر بن زُهر

١ - هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهر بن أبي مروان عبد الملك (ت ٥٥٧) بن أبي بكر محمد بن مروان بن زُهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي.

وُلِدَ أَبُو بَكْرٍ بِنَ زُهْرٍ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) - وقيل سنة ٥٠٤ هـ - في إشبيلية ونشأ فيها فَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالْفِقْهِ. وَلَا زَمَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْبَاجِي سَبْعَ سَنَوَاتٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمُدَوَّنَةَ.

وَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِنَ زُهْرٍ صِنَاعَةَ الطِّبِّ عَنْ أَبِيهِ عَبْدَ الْمَلِكِ (ت ٥٥٧ هـ) وَبَاشَرَ أَعْمَالَهَا فَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ وَخَدَمَ بِهَا الْمُتَمِّينَ (سَلَاطِينَ الْمُرَابِطِينَ) فِي آخِرِ عَهْدِهِمْ ثُمَّ خَدَمَ بِهَا سَلَاطِينَ الْمُوحِّدِينَ. وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ سُلْطَانُ الْمُوحِّدِينَ أَبُو يَوْسُفَ يَعْقُوبُ النَّصُورُ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إِلَى مَرَّاكُشَ وَأَكْرَمَهُ إِكْرَامًا كَثِيرًا.

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي بَكْرٍ بِنَ زُهْرٍ قُبَيْلَ خِتَامِ سَنَةِ ٥٩٥ هـ أَوْ فِي ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) فِي مَرَّاكُشَ - قِيلَ مَسْمُومًا.

٢ - أَبُو بَكْرٍ بِنَ زُهْرٍ طَبِيبٌ بَارِعٌ فِي الْمَعَالِجَةِ وَشَاعِرٌ مُكْثِرٌ مِنَ الْقَصِيدِ وَالْمَوْشَحِ. وَلَقَدْ بَلَغَتْ مَوْشَعَاتُهُ دَرَجَةً مِنَ الْكَمَالِ أَصْبَحَتْ مَعَهَا نَمَازِجٌ لِلتَّوْشِيعِ الْبَارِعِ. وَشِعْرُهُ جَيِّدٌ يَدُورُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْحِكَمِ وَالزُّهْدِ.

٣ - مختارات من شعره:

- المَوْشَحَةُ التَّالِيَةُ لِابْنِ زُهْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ أحيانًا تُرَوَى لغيره:

أُثْمَا السَاقِي، إِلَيْكَ الْمُشْتَكِي! قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ.

★ ★ ★

وَنَسْدِيرُ هِمَّتُ فِي غُرَّتِهِ
وَبُشْرُبِ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ.
كَلِمَا أَسْتَيْقِظُ مِنْ سَكْرَتِهِ
جَذَبَ الرِّقَّ إِلَيْهِ وَأَتَكَّى، وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ.

★ ★ ★

مَا لِمِيفِي عَشَيْتُ بِالنَّظَرِ:
أُنْكَرْتُ بِعَمَدِكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ.
فَلِذَا مَا شِئْتُ فَاسْمَعْ خَبْرِي:
عَشَيْتُ عَيْنَايَ مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ؛ وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي^(١)!

★ ★ ★

غُصْنُ بَانٍ مَالٍ مِنْ حَيْثُ أَلْتَوَى،
بَسَمَاتٍ مِنْ يَهْوَاهُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى
خَفِيقَ الْأَحْشَاءِ مُوْهِنَ الْقُوَى.
كَلِمَا فَكَّرُ فِي الْبَيْنِ بِكَيْ! وَبِحِمْ، يَبْكِي لِمَا لَمْ يَقْعِ^(٢).

★ ★ ★

لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلَدٌ.

(١) عشي البصر يمشى: ساء البصر وضعف (في الليل وفي النهار).

(٢) البان شجر أغصانه سماء ملء مستقيمة. الجوى: الحزن الباطن وحرقة الحب. فرط الجوى: زيادته فوق ما يحتمل الإنسان. البين: الفراق والبعد.

يَا لَقَوْمِي، عَذَّلُوا وَأَجْتَهِدُوا،
أُنْكُرُوا دَعْوَايَ مِمَّا أَجِدُ.

مثلُ حالي حقُّها أن تُشكِّي: كمدُ اليأس وذلُّ الطمع^(١).

★ ★ ★

كَبِدٌ حَرَّى ودمعٌ يَكِفُ
يَنْذِرُ الدَّمْعَ وَلَا يَنْذِرُ.
أَيُّهَا الْمَرِضُ عَمَّا أَصِفُ،

قد نما حيي بقلبي وزكا. لَا تَحَلْ فِي الْحُبِّ أَنِي مُدْعِي^(٢).

- لَمَّا كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زَهْرٍ فِي مَرَاكُشَ، وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْ إِشْبِيلِيَّةَ، قَالَ يَتَشَوَّقُ
إِلَى بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ وَإِلَى طِفْلٍ لَهُ صَغِيرٍ خَاصَّةَ:

وَلِي وَاحِدٌ مِثْلُ فَرْخِ الْقَطَاةِ صَغِيرٌ تَخَلَّفَ قَلْبِي لَدَيْهِ؛
وَأَفْرَدْتُ عَنْهُ؛ فَيَا وَحْشِي لِذَاكَ الشَّخِصِ وَذَاكَ الْوُجْهِ.
تَشَوَّقُنِي وَتَشَوَّقُنِي فَيَبْكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ.
وَقَدْ تَعَبَ الشَّوْقُ مَا بَيْنَنَا؛ فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمِنْهُ إِلَيْهِ.

- وَلَهُ فِي النَّسِيبِ:

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ أُحْيَتِي، طَابَ الْحَدِيثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ.
أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابَتِهِ؛ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ.
مَلَأَ الضَّلُوعَ وَفَاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الْحَبِيبُ يَذُوبُ.
مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِباً بِجَنَاحِهِ؛ يَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَطِيرُ قُلُوبُ؟

(١) عَذَّلُوا: لَامُوا، عَتَبُوا. اجْتَهِدُوا: أَكْثَرُوا، بِالْفَوَا.

(٢) وَكَفَ السَّقْفُ: سَالَ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ. وَكَفَ الدَّمْعُ: زَادَ سَقُوطُهُ. يَنْذِرُ الدَّمْعَ وَلَا يَنْذِرُ: لَا يَنْتَهِي الدَّمْعُ، لَا يَكْفُ الدَّمْعُ عَنِ السَّلَانِ، أَوْ لَا يَنْذِرُ الدَّمْعَ (جَفَّ دَمْعُهُ لَطُولَ الْبُكَاءِ). نَمَّا: زَادَ (بَعْدَ أَنْ كَانَ قَلِيلاً - نَمَّا الزَّرْعُ: كَبُرَ وَهَاجَ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَلِيلاً صَغِيراً). زَكَا: طَهَّرَ (كَانَ بَرِيئاً طَاهِراً عَفِيفاً).

- وله في الغزل والنسيب:

رَمَتْ كَيْدِي أُخْتُ السَّمَاءِ فَأَقْصَدْتُ،
قَرِيبَةً مَا بَيْنَ الْخَلَائِلِ إِنْ مَشَتْ،
نِعِمْتُ بِهَا حَتَّى أَتَيْتَ لَنَا النَّوَى؛
كَذَا شَيْمُ الْأَيَّامِ: تَأْخُذُ مَا تُعْطِي.^(١)
أَلَا بِأَبِي رَامٍ يُصِيبُ وَلَا يُخْطِي.^(٢)
بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْقَلَادَةِ وَالْقُرْطِ.^(٣)
وَقَالَ يَذْكُرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ:

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ قَدْ جُلَيْتِ
رَأَيْتُ فِيهَا شَيْخًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ،
فَقُلْتُ: «أَيْنَ الَّذِي بِالْأَسِّ كَانَ هُنَا؟»
فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُعْجَبَةٌ:
كَانَتْ سُلَيْمَى تَنَادِي: «يَا أَخِي»، وَقَدْ
فَأَنْكَرْتُ مَقْلَتَايَ كُلَّ مَا رَأَتَا.
وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ فَقِي.
مَتَى تَرْحَلُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، مَتَى؟^(٤)
«إِنَّ الَّذِي أَنْكَرْتَهُ مَقْلَتَاكَ أَتَى»^(٥)
صَارَتْ سُلَيْمَى تَنَادِي الْيَوْمَ: «يَا أَبَتَا!»

- ونظم أبياتاً لتكتب على قبره وجعل فيها إشارة إلى معالجة المرضى، وأنه قد
آل إلى ما كان يعالج الناس خوفاً منه:

تَأْمَلْ بِفَضْلِكَ، يَا وَاقِفَا،
تُرَابُ الضَّرِيحِ عَلَى صَفْحَتِي
أَدَاوِي الْأَنَامِ حَذَارَ الْمَنُونِ،
وَلَا حِظُّ مَكَاناً دُفِنَا إِلَيْهِ.
كَأَنِّي لَمْ أَمْشِ يَوْمًا عَلَيْهِ^(٦)
فَهَا أَنَا قَدْ صِرْتُ رَهْنًا لَدَيْهِ^(٧)

(١) أخت (شبيهة) السماء (قمر السماء أو شمس السماء: فتاة بارعة الجاهل). أقصدت: أصابت مقتلًا مني (هنا: جعلتني ميتاً في حبها).

(٢) سير بخطى قصيرة، وعنقها طويل، وهذان من أوصاف الجاهل عند العرب.

(٣) نعمت بها (تعمت بحبها) حتى (إلى أن، ثم). تاح الشيء: عرض، ظهر (بعد أن كان خافياً). النوى: البعد والبعاد والفراق.

(٤) الذي كان بالأس: الشباب - الوجه الأملس والشعر الأسود، الخ.

(٥) الذي أنكرته مقتلًا (عيناك): الشيخوخة والمهرم: الوجه المفضن والشعر الأبيض، الخ.

(٦) صفحتي: صفحة وجهي، وجهي.

(٧) الأنام: جميع الناس. حذار: خوفاً من. المنون: الدهر، الموت. - شغيت كل الناس من المرض الذي قد يؤدي إلى الموت ثم لم أستطع دفع الموت عن نفسي.

- موشحة:

ما للمؤلّة من سُكره لا يُفِيق؟ يا له سكران
من غير خمر! ما للكثير المشوق ينذب الأوطان؟^(١)

★ ★ ★

هل تُستعاذ أياُننا بالخليج وليالينا؟
أو يُستفاد من النسيم الأريج مِكُ دارينا؟
وإذ يكاد حسنُ المكان البهيج أن يحيننا.
نهرٌ أطلّهُ دَوْحٌ عليه أنيق مُورقُ فَنان.
والماء يجري وعائمٌ وغريقٌ من جَنَى الرّيحان^(٢).

★ ★ ★

أو هل أديبٌ يُحي لنا بالفروس ما كان أحلى،
مع الحبيب وصافياتِ الكؤوس فأسقني وأمّسلا.
عيشٌ يطيب ومَنزّة كالعروس عندما تُجلى.
عيشٌ لعلّهُ يعود منه فريق كالذي قد كان:
أضغاثُ فِكرٍ تَحْدو به وتسوق هذه الألحان^(٣).

★ ★ ★

- (١) المؤلّة (الذي فرّق الدهر بينه وبين ولده)، والذي حرّته (أو أحزنه) الأمر وحيره، وأذهب عقله.
(٢) كلمة يستفاد (بالبناء للمجهول، هنا) قلقة. نقول: استفاد الرجل مالاً: (اكتسبه). الأريج: الرائحة الطيبة. دارين مكان (في الشام، وفي البحرين) مشهور بالملك. يجوز أن نقرأ البيت: أو يستفاد (بالبناء للمجهول) من النسيم الأريج (بالرفع: نائب فاعل) مك (بالرفع: بدل من الأريج). أما التركيب الصحيح فيجب أن يكون: أو يستفيد مك (فاعل) دارين أريجاً (مفعول به) من النسيم (المواء الذي لا رائحة طيبة له، بل هو يستفيد الرائحة من النبات ذي الرائحة الطيبة؟). فنان: طويل الشعر، (وهنا) الواسع. المنسلط). الریحان: نبات ذو رائحة طيبة.
(٣) الفرس (بالفتح) الشجر المفروس وجمعه غراس (بالكسر) وأغراس (راجع القاموس ٢: ٢٣٤).

يا صاحِبِيَّأ إلى متى تَمُذِلاني؟ أَقْصِراً شَيْئاً،
 قد مِتَّ حَيًّا والبُتْلَى بالقِوَانِي مَيِّتٌ حَيًّا.
 جَنَى عَلَيَّا عَذْبُ اللَّمَى والمَعَانِي، عَاطِرٌ رَيًّا.
 هِلَالُ كُلِّهِ، غَزَالُ أَنْسٍ يَفُوقُ سَائِرَ الْفِرْلَانِ.
 مَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ لِي إِلَيْهِ طَرِيقٌ أَوْ إِلَى السُّلُوكِ؟^(١)

٤- ** معجم الأدباء ٨: ٢١٦ - ٢٢٥، الوافي بالوفيات ٤: ٣٩ - ٤٣، الذيل والتكملة ٣٩٨ - ٤٠٣ (رقم ١٠٧٦)، المطرب ٢٠٣ - ٢٠٧، المعجب ٦١ - ٦٣، وفیات الأعيان ٤: ٤٣٤ - ٤٣٧، المغرب ١: ٢٦٦ - ٢٧٨، طبقات الأطباء ٢: ٦٧ - ١٧٤، شذرات الذهب ٤: ٣٢٠، نفع الطيب ٢: ٢٤٧ - ٢٥٣، ٣: ٢١١، ٤٣٤، ٤٦٨، ٧: ٩، ١١٥١١٣، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٩٧٨، بروكلمن ١: ٦٤٤، الملحق ١: ١٨٩٣، نيكل ٢٤٨ - ٢٥١، مختارات نيكل ١٦٨ - ١٦٩، الأعلام للزركلي ٧: ١٢٩ (٦: ٢٥٠)، بالنشأ ١٢٩، ١٥٧، راجع ٤٧١.

عبد المنعم بن الفرس

١- هو أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج بن خلف بن سعيد بن هشام الحنزرجي، ويُعرفُ بابنِ الفَرَسِ الفَرْنَاطِي. وَلِدَ سَنَةَ ٥٢٤ أو ٥٢٥ (١١٣٠ - ١١٣١م) فِي غَرْنَاطَةِ. تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَعَلَى نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ (راجع صلة الصلة ١٧ - ١٨).

والشاعر جمعاً على «غروس» وعنى بها «مكاناً ذا شجر يذهب الناس إليه للزهوة». المتزه (يفتح فسكون ففتح): المكان البعيد. والشاعر عنى به «المتزه» (مكان الزهوة). حدا السائق بالراكب (غنى له في أثناء السفر): ساق. هذه الألحان (الآبيات من الشعر).
 (١) عنل: لام. أقصراً شيئاً: خففاً من لومكما شيئاً (قليلاً). اللمى: السمرة في الشفاء. «عاطر» (هنا) قلفة. يجب أن نقول: العاطر الرَيَّا (فتختلف القافية حينئذ وتصبح الإضافة اللفظية). ورَيَّا قلنا: عاطرأ (حال) رَيَّا (تمييز)، وفي ذلك تحلُّل. - غير أن هذا الصعب (مع جلال اللفظ فيه) من خصائص الموشح. الكلة: السر. هلال (فتاة جميلة) كلة (محبوبة عن أنظار الناس). السلوان: النسيان، النسلي عما يحبه الإنسان.

وَلَيْ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ الْفَرَسِ الْقَضَاءُ بِجَزِيرَةِ شُقْرُ ثُمَّ فِي وَادِي آشَ ثُمَّ فِي جَبَانَ ثُمَّ فِي غَرْنَاطَةَ. وَعُزِّلَ عَنْ قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ ثُمَّ رَدَّهِ الْمَنْصُورُ الْمُوَحِّدِي إِلَى قَضَائِهَا مُكْرَمًا وَأُضَافَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِي الشَّرْطَةِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَفِي سَنَةِ ٥٥٣ وَ ٥٦٦ (١١٧١ م) وَجَدْنَاهُ فِي مُرْسِيَّةٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ بُعِيدَ ذَلِكَ فَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَتَصَدَّرَ لِلتَّعْلِيمِ فَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَفِي سَنَةِ ٥٩٥ حَدَّثَ لَهُ اضْطِرَابٌ جَسَدِي وَعَقْلِي وَكَثُرَ تَشَتُّتُ فِكْرِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ النَّسْيَانُ ثُمَّ ظَلَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حَتَّى تَوَفَّى فِي رَابِعِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٣/٢ م).

٢- كَانَ عَبْدِ الْمُنْعِمِ ابْنُ الْفَرَسِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ مُسْتَبْجِرًا فِي عِدَّةٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ: مِنَ الْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ. وَكَانَ لَهُ عِدَدٌ مِنَ التَّأْلِيفِ: أَحْكَامُ الْقُرْآنِ (وَهُوَ أَجَلُ الْكُتُبِ فِي مَوْضُوعِهِ حَسَنٌ مُفِيدٌ جَمْعَةٌ فِي إِبَانَةِ نَشَاطِهِ وَمُقْتَبَلِ حَيَاتِهِ وَفَرَّغَ مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي مُرْسِيَّةِ سَنَةِ ٥٥٣) - كِتَابُ فِي الْأُبْنِيَّةِ (الصَّرْفِ) - كِتَابُ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا النَّحْوِيُّونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ - كِتَابُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ - رَدُّ عَلَى رِسَالَةِ أَبِي غَرِيبَةَ (رَاجِعَ ٤: ٦٨٣ وما بعد) فِي تَفْضِيلِ الْعَجَمِ عَلَى الْعَرَبِ. ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَصَرَ عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةِ (لِلْمَاورِدِيِّ؟) - نَاسِخُ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخُهُ لِابْنِ شَاهِينَ (صَلَةُ الصَّلَةِ، ص ١٩) - كِتَابُ الْحَتْسَبِ لِابْنِ الْجَنِّي (صَلَةُ الصَّلَةِ، ص ١٩). وَكَانَ لَهُ نَثْرٌ وَنَظْمٌ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ:

- قَالَ فِي الْعِتَابِ بِالْإِتِّكَاءِ عَلَى إِشَارَةِ فَهْمِيَّةٍ:

مَا بَالُنَا مُتَّهَمًا وَدُّنَا وَغَنَ فِي وَدُّكَ نَقْتَتُنَا
كَأَنَّكَ مِنْ لُفْقِهِ رَأَى أَنْ يَتْرَكَ الظَّاهِرَ لِلْمُحْتَمَلِ!

★★-٤ التَّكْمِلَةُ ١٦٥١، الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ ٥: ٥٨ - ٦٣ (رَقْمُ ١٢٩)، صَلَةُ الصَّلَةِ، ص ١٧ -

٢٠. البلغة ١٣١ - ١٣٢ المرقبة العليا (قضاء الأندلس) ١١٠. بغية الوعاة
 ٣١٥. الديباج المذهب ٢١٨ - ٢١٩ بروكلمن، الملحق ١: ١٧٣٤ الأعلام
 للزركلي ٤: ٣١٧ - ٣١٨ (١٦٨).

ابن محشرة

١- هو أبو الفضل محمد بن علي^(١) بن طاهر بن تميم القيسي، وُلِدَ في بجاية سنة
 ٥٤٠ (١١٤٥ م) أو قبلها بمدة يسيرة. رَوَى عن أبي القاسم القالمي وأبي محمد عبد الحق
 ابن عبد الرحمن.

كان أبو القاسم القالمي كاتباً للسيرة للخليفة أبي يعقوب يوسف (٥٥٨ -
 ٥٨٠ هـ). فلَمَّا تَوَفَّى القالمي أُرْسِلَ الخليفة إلى ابن محشرة يَسْتَقْدِمُهُ. فانتقل ابن
 محشرة من بجاية إلى مراكش وكتب لأبي يعقوب يوسف ثم لابنه يعقوب المنصور
 (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاة ابن محشرة سنة ٥٩٨ (١٢٠١ - ١٢٠٢ م).

٢- كان ابن محشرة أكبر المترسلين الذين ظهروا في الجزائر إلى جانب مشاركة في
 عدد كبير من فنون المعرفة كالفقه وسواه. وقد كان متمكناً من التصرف في وجوه
 البلاغة.

٣- مختارات من آثاره:

- كان من عادة ابن محشرة أن يُبْطِئَ في مجيئه، إذا دعاه أمير المسلمين يوسف
 ابن عبد المؤمن. ولَمَّا عَاتَبَهُ أمير المسلمين في ذلك قال له:
 يا أمير المؤمنين، أنت إمام المسلمين. وما أظنُّ أن محلَّ الإقامة^(٢) إلا كمحلَّ
 الصلاة. وكما آتَى إلى الصلاة آتَى إلى هذا المحلِّ. وقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه

(١) وقيل في سياقه نسبة: أبو الفضل وأبو العلي جعفر بن أحمد. وقيل أيضاً: أبو الفضل بن محمد بن علي
 ابن طاهر بن تميم - وقيل ابن محشوة (بالواو) مكان ابن محشرة (بالراء).

(٢) محلَّ الإقامة (محلَّ الإمام الذي يقيم الصلاة: يدعو الناس إلى الصلاة).....

وسلم: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تسعون وعليكم السكينة. فما أذركم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».

- (لم أستطع الحصول على نسخة من رسائل ابن محسرة - راجع رقم ٤).

٤- رسائل ابن محسرة (ليني بروفنسال)....

★ ★ راجع المعجب ١٧٦، ١٩٠، عنوان الدراية ٨٣ - ١٨٥ معجم أعلام الجزائر ١٦٥.

عبد الوهاب القيسي المنشي

١- هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي المنشي (نسبة إلى المنشأة - وهي حصن بغربي مألقة) الملقب المعروف بابن الأصم. وُلِدَ سَنَةَ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م).

روى عبد الوهاب القيسي عن أبي العباس بن سيد وأبي عبد الله الحِجَارِيِّ وأبي عبد الله بن الطراوة وأبي محمد القاسم بن دحمان وأبي مروان عبد الملك بن مُجَبَّر. وقد آثر سكنى البادية فلم تَبْقَ له شُهرَةٌ. ويبدو أَنَّهُ أَنتَقَلَ فِيهَا بَعْدُ إِلَى سَكْنَى الْحَضَرِ فَنَزَلَ مَالِقَةَ لِيَقْصِدَ نَفَرًا مِنَ الْوَلَاةِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ خَطِيبُ جَامِعِ مَالِقَةَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْتِجْهِيُّ تَوَلَّى عَبْدُ الْوَهَّابِ الْقَيْسِيُّ الْإِمَامَةَ وَالْخُطَابَةَ مَكَانَهُ ثُمَّ أَسْتَمَرَ فِيهَا إِلَى وَفَاتِهِ فِي رَابِعِ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٨/٥ م).

٢- كان عبد الوهاب القيسي فقيهاً ماهراً في عقد الشروط، كما كان عارفاً باللغة والنحو. وكان أديباً مُحَسِّناً مُجِيداً فِي النَثْرِ وَالنَّظْمِ، لَهُ رِسَالَتُلُ وَخُطَبٌ وَمَقَامَاتٌ وَأَشْعَارٌ حُلُوءٌ الْأَغْرَاضِ طَرِيفَةُ الدُّعَايَةِ. وَكَانَ نَاقِداً بَصِيراً. وَلَهُ بَيْتَانِ طَرِيفَانِ هُمَا:

يَا حُدَى هَذِهِ الْحَقَائِدِ جَارَةٌ تَرَى هَجْرِي وَتَعْدِي تِجَارَةٌ.
وَكَمْ نَادَيْتُ: يَا هَذِي، أَرْحَمِينَا، فَلَسْنَا بِالْحَدِيدِ وَلَا الْحِجَارَةِ!*

★ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٧: ٥٠، سُورَةُ الْإِسْرَاءِ): «قُلْ: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً.....»

ولقد طَرَبَ لها أدباء كثيرون وذُكِّلوها (زادوا عليها مثلهما) ولكن لم يبلغ أحدٌ إلى حُسْنِ بنايتها ولا إلى خِفَّةِ روحها . ولقد اتَّفَقَ لعبد الوهَّاب القيسيُّ أن يأتي بيتاه من لزوم ما لا يلزمُ بأربعة أحرفٍ (جاره) ثم في مضراعي البيت الأول بخمسة أحرفٍ (ت جاره - تجاره) . ويكثرُ لزومُ ما لا يلزم في قوافيه واسجاعه .

٣ - مختارات من آثاره :

- قال عبد الوهَّاب القيسيُّ في الموت :

الموتُ حَصَادٌ بِلَا مَنَجَلٍ يسطو على القاطنِ والمُنْجَلِي^(١) .
لا يَقْبَلُ العُذْرَ على حالةٍ : ما كان مِنْ مشكلٍ أَوْ مِنْ جَلِي^(٢) !

- وكتب إليه أبو الحجاج بنُ الشيخ في شأن بَيْتَيْهِ « بإحدى هذه الخيات جاره » ، فردَّ عبد الوهَّاب عليه برسالةٍ منها :

إِنَّ خَلِيلًا لِي مِنْ قُضَاعَةٍ ذَكَرَنِي أَيَّامِي المُضَاعَةِ ،
إِذِ الهوى واللَّهُو لي بِضَاعَةٍ . مهلاً! فذاك الدَّر قد أضَاعَةٍ
خِلْكَ لم يَسْتَدِم ارتضاعَةً^(٣) .

أَيُّهَا الفاضلُ الحبيبُ، إلى متى هذا التفرُّلُ والنسيبُ؟ أَلَمْ تَنْفُذْ أَيَّامُ المجهل؟ أَلَمْ يَعْزِ الفَقَى كالكَهْل؟ أما، والله، لقد أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ، وَأَنْ أَنْ يَخَافَ مِنَ العِقَابِ المُتَفَرِّلِ المراسِلِ^(٤).... ثُمَّ ما أَنْتَ وعهدُ ساكناتِ الخيامِ وإنْ كانتِ مِنْ

(١) القاطن: المستقر في بلده. المنجلي (النازح عن وطنه).

(٢) كلمة « أو » زائدة في الوزن (ويستقيم الوزن إذا حذفنا التنوين من « مشكل »). المشكل: الغامض. الجلي: الواضح.

(٣) الدَّر (بالفتح): حليب الأم. إذا توقَّف الطفل عن الرضاع من أمِّه فإنَّ حليب الأم ينقطع.

(٤) أحاطت...: أصبح الإنسان مكرهاً على السلوك الحسن. وأصبح الغزل الصريح (ذكر المحبوبة في الشعر ممنوعاً، يعاقب عليه المخالف. وكان عمر بن الخطاب قد منع التفرُّل الصريح. وقد نثر صاحب الترجمة ذلك من بيتين لأبي خراش الهذلي (توفي في خلافة عمر بن الخطاب، ١٣ - ٢٣ هـ). أما بيتا أبي خراش فهما (حاشية للدكتور احسان عباس، في الذيل والكلمة ٥: ١٧١، ص ٨٤):

وليس كمهد الدار، يا أمَّ مالك، ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل.
وعاد الفقى كالكهل: ليس بقائل سوى العدل شيئاً، واستراح الموادل.

مباركات الأيام ؟ كم تسأل عن أنباء سعاد سعداً ! هلاً قلت قول الألبا: سُخفاً للهوى
وبُعداً!.... تعالى، فلنخلع تلك اللبائن من الملابس، ولنزج عن الثرّاهات
البّاس^(١). ولنذر الديار وساكناتها ولنقرّ الأطيار على وكُنّاتها^(٢) ولنذهب في
مِنهاج من صالح العمل ولنْتَأهب لأنزعاج ليس يسمى به الجمل^(٣). هذا، والله، هو
الرأي السديد عند ذوي الرأي الحديد.... وقد ذُكرت أن قوماً من الشعراء ذكّلوا
بيتاً كان عندي منبوءاً بالعرّاء وأردت أن أقف على أبياتهم وأعرف كيف تفاوتهم
في غاياتهم. وزعمت أن لي بصراً بالتفريق بين من سار قصداً أو من حاد عن
الطريق. فسأقف عليها وإن كان الباع قصيراً ولم يكن الناقد بصيراً.... وحبداً
القائل (منهم):

شريف الحبّ ليس يُريدُ وصلًا سوى لثّر، فصّل فيه نجارة^(٤).
هذا رجلٌ يرجع إلى عفافٍ ويقنع بكفاف. سلّك في هواه أحدَ طريقه وقنع بمن
يَحوّاه بمجة ريقه. ليس كالعسل الطالب للنسل^(٥). وإذا تبادت العلة واشتدّت
الغلة^(٦)، فلا شافٍ كارتشافٍ ولا مُطفيءٌ حريقٍ كرشفة ريقٍ.....
أعزّك الله. ربّما كان في كلامي بعضُ دُعاة لم أذهب بها إلى معابة^(٧). فلّك الفضلُ
في بسطِ المُدرّ لديهم وإبصالِ التحيّة إليهم. ثم السلام الأتمّ الأعمّ الأكرم على أخي
ووليّ في الله، الفقيه الأجلّ أبي الحجّاج، ورحمة الله وبركاته.

٤-★★ التكملة (رقم ١٧٧٧)، صلة الصلة ٢٨ - ٣٠، الذيل والتكملة رقم ١٧١، (٥):
٧٥ - ٩٤) نفع الطيب، راجع ٣: ٤٠٣، ٤: ٣٢٨.

-
- (١) الثرّاهات البّاس: الأباطيل (المعجم الوسيط ٥٥).
(٢) الوكنة (بضمّ فسكون): عش الطائر.
(٣) الانزعاج الانتقال. ليس يسمى (بقدر عليه) الجمل (للبيد والمشفة)، بقصد: الموت.
(٤) «صِل» (فعل أمر من «وصل»): اجمل ذلك متعلّقاً. النجار (بكسر النون): الأصل (النبيّل).
(٥) عسل المرأة عسلا (بفتح فسكون): نكحها.
(٦) الغلة: العطش.
(٧) المعابة: العيب.

صفوان بن إدريس

١- هو أبو بحر صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التميمي المُرسي، وُلِدَ في مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٥٦١ هـ (١١٦٤ م). وتلقَى صفوانُ العِلْمَ على نفرٍ كثيرين من أهله ومِنَ العُلَمَاءِ؛ مِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُغَاوِرٍ، وَأَبُو رَجَالٍ أَيْ غَلْبُون، وَأَبُو عَبَّاسٍ بْنُ مَضَاءَ (سَمِعَ مِنْهُ صَحِيحَ مُسْلِمٍ)، وَابْنُ بَشْكُوَالٍ، وَأَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رَشْدٍ الْفَيْلَسُوفُ. وكانت وفاةُ صفوان في سادسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٠/٧/١٢٠٢ م) في مُرْسِيَّةَ.

٢- صفوان بن إدريس أديبٌ مشهور (نفع الطيب ٤: ٤٧٥) فهو كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ بليغٌ وشاعرٌ وَجْدَانِيٌّ مُخَيَّنٌ، حُلُوُ الْأَلْفَاظِ رَقِيقُ الْمَعَانِي سَهْلُ التَّرَاكِيِبِ رَائِقُ الدِّيَاجَةِ، تَمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَرِيعُ الْخَاطِرِ. وشعره قصائدٌ ومُقَطَّعَاتٌ، وفنونه البديعياتُ (في مدح الرسول). وله رثاءٌ أَكْثَرُهُ في آلِ الْبَيْتِ وفي الْحُسَيْنِ خَاصَّةً. وكذلك له غزلٌ بديعٌ وأوصافٌ أنيقة. وصفوان بن إدريس مُصَنِّفٌ، له: زادُ الْمَسَافِرِ وَغَرَّةُ مُحَيَّا الْأَدَبِ السَّافِرِ (تكملة لقلائد المُقَيَّانِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ) - الْعُجَالَةُ (تتضمن طَرَفًا مِنْ نَثَرِهِ وشعره) - كتابُ الرَّحْلَةِ - ديوان شعر. وفي شعره تَفَنُّنٌ في القوافي أحيانًا.

٣- مختارات من آثاره:

- قال صفوان بن إدريس من بَدِيعِيَّةٍ (في مدح الرسول):

تَحْيَةَ اللَّهِ وَطَيْبُ السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَنَامِ؛
عَلَى الَّذِي فَتَحَ بَابَ الْهُدَى وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ^(١).
بَدْرُ الْهُدَى، سَحْبُ النُّدى وَالْجَدَا؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَتَنَاهَى الْكَلَامُ^(٢).

(١) «ادخلوها بسلام» (كذا في الأصل)، وهي تضمين من القرآن الكريم. ويستقيم الوزن إذا قلنا: ادخلوها، سلام.

(٢) الندى: الكرم. الجدا: العطاء.

تَحْيَةً تَهْزَأُ أَنْفَاسُهَا بِالْمَلِكِ، لَا أَرْضَى بِمِلْكِ الْخِتَامِ*،
تَخُصُّهُ مِنِّي وَلَا تَنْتَفِي عَنْ آلِهِ الصَّيْدِ السَّرَّاءِ الْكِرَامِ^(١).
وَقَدَرُهُمْ أَرْفَعُ، لَكُنِّي لَمْ أَلْفِ أَعْلَى لَفْظَةً مِنْ كِرَامِ!

- وقال في الاعتماد على شفاعته رسول الله:

يَقُولُونَ لِي، لَمَّا رَكِبْتُ بَطَالَتِي رَكُوبًا فَتَى جَمِّ الْغَوَايَةِ مُعْتَدٍ:
«أَعِنْدَكَ مَا تَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ غَدًا؟» فَقُلْتُ: «نَعَمْ، عِنْدِي شَفَاعَةُ أَحْمَدِ»^(٢).

- وقال يصف أغصان الأشجار (في روضة) تحركها الريح تحريكاً خفيفاً
فيتساقط شيء من أزهارها:

وَكَاثِبًا أَغْصَانُهَا أَجْيَادُهَا قَدْ قُلِدَتْ بِلَالِيءِ الْأَنْوَارِ^(٣).
مَا جَاءَهَا نَفْسُ الصَّبَا مُسْتَجِدِيًّا إِلَّا رَمَتْ بِدَرَاهِمِ الْأَزْهَارِ^(٤).

وقال يصف شجرة تهزها الريح وغيمة تلقي بشيء من حبات المطر على أطراف
البستان:

وَالسَّرْحَةُ الْغَنَاءُ قَدْ قَبِضَتْ بِهَا كَفُّ النَّسِيمِ عَلَى لِوَاءِ أَخْضَرِ^(٥).
وَكَاثِبًا شَكْلَ الْغَيْمِ مُنْخَلُ فِضَّةٍ يَرْمِي عَلَى الْآفَاقِ رَطْبَ الْجَوْهَرِ.

- وقال في الغزل مع بعض المجنون والعفاف:

يَا حُسْنَهُ، وَالْحَسَنُ بَعْضُ صِفَاتِهِ؛ وَالسَّحَرُ مَقْصُورٌ عَلَى حَرَكَاتِهِ.

(١) الصيد جمع أصيد (يسكون الصاد وفتح الياء): مائل العنق (من الاعتزاز بالقوة والمجد). السراة جمع سروي: أحد كبار القوم وأعيانهم.

(٢) غدا (يقصد يوم القيامة).

(٣) الأجياد جمع جيد (بكسر الجيم): العنق. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهرة.

(٤) إذا هبت عليها ريح الصبا (الشرقية) تستجدي (تطلب منها شيئاً من الرائحة الزكية) رمت إليها (أعطتها) زهراً أبيض مستديراً (كالدرهم).

(٥) السرحة: الشجرة الكبيرة. الغناء: الناضرة (الكثيرة الورق). - تهزها الريح كأن الريح تحمل في يدها راية خضراء وتحركها بعنف.

(٦) الجوهر (هنا) حبات المطر.

بدرٌ، لو أَنَّ البدرَ قيل له: اقترَحْ
والحالُ يَنْقُطُ في صَحيفة خَدِهِ
وَإِذَا هَلالُ الْأَفْقِ قَابِلٌ وَجْهَهُ
عَبَّثَ بِقَلْبٍ مُحِبِّهِ لَحَظَاتِهِ؛
رَكِبَ الْمَأْتَمَ فِي آتِنَاهِ نُفُوسِنَا،
مَا زِلْتُ أَخْطُبُ لِلزَّمانِ وَصَالَهِ
فَغَفَرْتُ ذَنْبَ الدَّهْرِ مِنْهُ بَلِيلَةَ
غَفَلَ الرَّقِيبُ فَنَلْتُ مِنْهُ نَظْرَةً؛
ضَاجِعْتُهُ، وَاللَّيْلُ يُذَكِّي تَحَنُّنًا
بِتِنَا نُشْشَعُ، وَالْعَفَافُ نَدِيمُنَا،
حَتَّى إِذَا وَلَعَ الْكَرَى بِجُفُونِهِ،
أَوْسَقْتُهُ فِي سَاعِدَيَّ لِأَنَّهُ
فَضَمَّتْهُ ضَمَّ الْبَخِيلِ لِمَالِهِ
عَزَمَ الْغَرَامُ عَلَيَّ فِي تَقْبِيلِهِ
وَأَبَى عَفَافِي أَنْ أَقْبَلَ ثَغْرَهُ؛

أَمَلًا لِقَالَ: أَكُونُ مِنْ هَالَاتِهِ.
مَا خَطَّ جَبْرُ الصَّدِغِ مِنْ نَوَاتِهِ^(١).
أَبْصَرْتَهُ كَالشَّكْلِ فِي مِرَاتِهِ.
يَا رَبِّ، لَا تَعَبْتُ عَلَى لِحَظَاتِهِ^(٢).
فَاللَّهُ يَجْعَلُنَّ مِنْ حَسَنَاتِهِ^(٣).
حَتَّى دَنَا - وَالْبُعْدُ مِنْ عَادَاتِهِ.
غَطَّتْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَّاتِهِ.
يَا لَيْتَهُ^(٤) لَوْ دَامَ فِي غَفَلَاتِهِ^(٥).
نَارَيْنِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ وَجَنَاتِهِ^(٦).
خَمَرَيْنِ مِنْ غَزَلِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ^(٧).
وَأَمْتَدَّ فِي عَضْدَيَّ طَوَّعَ سِنَاتِهِ^(٨).
ظَنَنْيَ خَشِيتُ عَلَيْهِ مِنْ فَلَائِهِ^(٩).
يَجْنُو عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ.
فَنَفَضْتُ أَيْدِي الطَّوَّعِ مِنْ عَزَمَاتِهِ.
وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَمَرَاتِهِ.

- (١) النون (هنا) خصلة الشعر المكوفة على الصدغ (الجانِب الأعلى من الخَدِّ). الحال ينقطه في صحيفة خَدِهِ «نقطة سوداء» تشبه لون شعره.
- (٢) لا تعبث (!)، لعلها: لا تعبت (؟).
- (٣) ارتكب اثماً (ذنباً) لما انتهب نفوسنا (سلبنا نفوسنا، قتلنا بحبِّه). - نرجو الله أن يجعل ذنوبه هذه حسناتٍ له (لكثرة حبِّنا إياه).
- (٤) يا لَيْتَهُ لَوْ دَامَ (لَيْتَ الرَّقِيبُ دَامَ فِي غَفَلَتِهِ عَنَّا...).
- (٥) أَذَكِّي: أَشْعِلُ.
- (٦) شَشَع: مزج (أمزج كلامه بشعري، أو شعري بكلماته).
- (٧) ولع الكرى (النوم) بجفونه: استغرق في نومه. العضد (الجزء الأعلى من الذراع). السنة (بكسر السين): التعاس (أول النوم).
- (٨) أوسقته: جمعته (ضممته). الساعد: الجزء الأدنى من الذراع. - من عادة الظلي (الغزال) أن ينفر من الناس).

فَاغْجَبْ لِلتَّهَبِ الْجَوَانِحِ غُلَّةً يَشْكُو الظَّمَا والمَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ^(١)!

- ولصفوان بن إدريس قصيدة في رثاء الحسين مطلعها:

أَوْمِضْ بِبَرْقِ الْأَضْلَعِ وَأَسْكُبْ غَمَامَ الْأَدْمُعِ،
وَاحْزَنْ طَوِيلًا وَاجْزَعْ فَهَوَ مَكْسَانُ الْجَزَعِ.
وَانْثُرْ دِمَاءَ الْمُقْلَتَيْنِ تَالِيًا عِلَى الْحُسَيْنِ
وَأَبْكِ بَدْمَعِ دُونَ عَيْنِ إِنْ قَلَّ قَيْضُ الْأَدْمُعِ!

- وكتب صفوان بن إدريس إلى صديق له يعاتبه:

أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُدَّةَ الْأَخْرِ الَّذِي أَسْتَدِيمُ إِخَاءَهُ، وَإِنْ وَاجَهْتَنِي زَعَاذِرُهُ أَرْتَقِبُ
رُخَاءَهُ. وَتَجَاوَزْتُ عَنْ يَوْمِهِ لِأَمْسِهِ وَأَغْضَيْتُ عَنْ ظِلَامِهِ لَشَمْسِهِ، إِنَاءً وَاعْتِنَاءً،
وإِنْذَارًا وَإِعْذَارًا. وَرَجِمَ اللَّهُ مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَفْهَامِ وَعَصَى أَوْامِرَ الْأَوْهَامِ، وَرَأَى
الْخَلِيفَةَ فِي الْمَقُولِ لَا فِي الْمُخْتَلَفِ الْمَقُولِ. وَبَعْدُ، فَإِنَّهُ وَصَلَ كَلَامُكَ بِلِ مَلَأْمِكَ،
وَكُنَايُكَ بِلِ عِتَابِكَ، وَرِسَالَتِكَ بِلِ بَسَالَتِكَ. أَسْمَعْتَنِي بِالْفَاظِكِ الْعِذَابِ سَوْءَ الْعَذَابِ
وَأَرَيْتَنِي لِمَعَانَ الْحُسَامِ مِنْ فِقْرِكَ الْوِسَامِ....

٤- زاد المسافر، بيروت ١٩٣٩ م، (أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محمّد)، بيروت (دار الرائد العربي) (١٩٧٠ م).

★ ★ معجم الأدباء ١٢: ١٠ - ١٤، فوات الوفيات ١: ٢٤٥ - ٢٤٨، الذيل والتكملة ٤: ١٤٠ - ١٤٣ (رقم ٢٦٤)، المغرب ٢: ٢٦٠ - ٢٦١، الوافي بالوفيات ٢: ٢٨٢ (في ترجمة محمد بن ثعلبة)، تحفة القادم ٨٢ - ٨٦، نفع الطبيب ١: ١٧٠ - ١٧٥، ٤: ٨٧ - ٨٨، ٥: ٥٧ - ٧٤، ٦: ٢٥٣ - ٢٥٥، بروكلمان ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢، الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٥ (٢٠٥).

ابن عميرة الضبيّ

١- هو أبو جعفر (وأبو العباس) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ

(١) الغلّة: حرارة العطش. الظمّ: العطش. لهوات جمع لهاء (بفتح اللام): أقصى النّـم

الْقُرْطُبِي، وُلِدَ فِي بِلْدَةِ بَلَشَ فِي الْأَغْلَبِ، وَفِي نَحْوِ سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). وَبَدَأَ تَلَقَّى الْعِلْمَ فِي لُورِقَةِ الْقَرْيَةِ مِنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ (قِيلَ: قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْعَاثِرَةَ). ثُمَّ إِنَّهُ تَطَوَّفَ كَثِيراً فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنْ سَكَنَهُ كَانَ فِي مُرْسِيَّةٍ وَقُرْطُبَةٍ. وَرَحَلَ ابْنُ عُمَيْرَةَ إِلَى الْمَشْرِقِ حَاجًّا وَلَقِيَ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ هَذِهِ نَفَرًا كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُرْسِيَّةٍ، فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٥٩٩ (١٢٠٣/١/١٠ م).

٢- كَانَ ابْنُ عُمَيْرَةَ الضَّبِّيُّ مُحَدِّثًا كَثِيرَ الرِّوَايَةِ صَحِيحَ النُّقْلِ ثِقَةً صَدُوقًا. وَكَذَلِكَ كَانَ مُؤَرِّخًا بَارِعًا حَسَنَ الضَّبْطِ لَمَّا يَنْقُلُ. لَهُ مِنَ الْكُتُبِ «مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ لِصَحِيحِ الْأَثَارِ» - أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ - وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ (الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صَحِيحِ) الْبُخَارِيِّ وَ(صَحِيحِ) مُسْلِمٍ (تَمَّا كَانَا قَدْ اتَّفَقَا فِي رِوَايَتِهِ). غَيْرَ أَنَّ ابْنَ عُمَيْرَةَ الضَّبِّيَّ اشْتَهَرَ بِكِتَابِهِ: «بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّ فِي تَارِيخِ رِجَالِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ: عُُلَمَائِهَا وَأُمَرَائِهَا وَشُعْرَائِهَا وَذَوِي النَّبَاهَةِ فِيهَا يَمَعَنَّ دَخَلَ إِلَيْهَا أَوْ خَرَجَ عَنْهَا مِمَّا وَشَى بِهِ رِيَاضُ الْحُمَيْدِيِّ^(١) وَغَنَمُ وَالنَّعَمُ سَدَاهُ^(٢) وَتَمَمَّ أَحَدُ بَنِي بَحْيٍ بِنِ أَحَدِ بَنِي عُمَيْرَةَ الضَّبِّيِّ وَفَقَّهُ اللَّهِ». وَكِتَابُ «بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ» تَتَمُّ لِكِتَابِ «جُدُودِ الْمُقْتَبَسِ» لِلْحُمَيْدِيِّ وَتَنْبِيهِ عَلَى عَدِيدٍ مِنْ أَخْطَائِهِ. وَفِي «بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ» كَلَامٌ وَجِيزٌ عَلَى فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَعَلَى مُلُوكِهَا (ص ٦ - ٣٥) ثُمَّ تَرَاجِمُ مُوجَزَةٌ - أَوْ مُوجَزَةٌ جِدًّا، فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ. وَمُعْظَمُ هَذِهِ التَّرَاجِمِ لِرِجَالِ الْعِلْمِ (الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ) وَقَلِيلٌ مِنْهَا لِرِجَالِ اللَّغَةِ وَالْأَدَبِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ أَثَارِهِ:

- مِنْ مَقْدَمَةِ «بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ»:

... لَمَّا كَانَ النَّاضِرُ فِي الْحَدِيثِ وَعِلْمِهِ مُفْتَقِرًا إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ رِجَالِهِ وَوَقَايَتِهِمْ

(١) مُحَمَّدُ بْنُ فَتْوَحِ الْحُمَيْدِيِّ (ت ٤٨٨ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «جُدُودِ الْمُقْتَبَسِ». - هَذِهِ الْجُمْلَةُ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ فِي

السَّجْعِ وَالْمَوَازَنَةِ. وَأُظْهِرَ أَنَّ الْجُمْلَةَ قَدْ تَسْتَقِيمُ إِذَا قُرَأْنَا «رِيَاضُهُ».

(٢) نَعَمُ الْمَوْلُفُ كِتَابَهُ: نَقَشَهُ (لَوْنُهُ) وَزَخَرَفَهُ (زَيَّنَهُ). السَّيِّدُ (بِالْفَتْحِ) الْخِيُوطُ الَّتِي تَقْدُ (عِنْدَ نَسْجِ الثَّوْبِ أَوْ

حَيَاكِنِهِ طَوْلًا) وَاللَّحْمَةُ (بِالضَّمِّ): الْخِيُوطُ الَّتِي تَقْدُ عَرْضًا.

وَبُلْدَانِهِمْ، اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ (أَضَعَ كِتَابًا فِي) رُؤَاةِ الْحَدِيثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِ
الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشَّعْرِ وَمَنْ لَهُ ذِكْرٌ مِمَّنْ دَخَلَ إِلَيْهِمْ أَوْ خَرَجَ عَنْهُمْ فِي
مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالرَّائِسَةِ وَالْحَرْبِ وَأَجْعَلَ (ذَلِكَ) مِنْ وَقْتِ افْتِتَاحِهَا وَالَّذِي
تَوَلَّى فَتْحَهَا وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُرْتَبًا ذَلِكَ عَلَى حُرُوفِ
المعجم.

وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابٍ مِنْ تَقَدَّمَ كِتَابًا أَقْبَلَ^(١) مِنْ كِتَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرِ
الْحُمَيْدِيِّ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَنْتَهَى إِلَى حُدُودِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى أَكْثَرِ مَا
ذَكَرَهُ وَزِدْتُ مَا أَغْفَلَهُ وَغَادَرَهُ وَتَمَّتْ مِنْ حَيْثُ وَقَفَ. وَجَعَلْتُ مَا اعْتَمَدْتُهُ مِنْ ذَلِكَ
تَذَكُّرًا لِنَفْسِي وَمُطَالَعًا لِأَنْسِي لَمْ أَتَمَسَّ عَلَيْهِ مِنْ مَخْلُوقٍ عِوَضًا وَلَا طَلِبْتُ بِهِ مِنْ
أَعْرَاضِ الدُّنْيَا عَرَضًا^(٢)، جَارِيًا فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ^(٣) تَارِكًا لِلتَّطْوِيلِ
وَالِإِكْثَارِ.

٤ - بغية الملتبس (تحرير كودييه)، مجرّبط (مطبعة روخس) ١٨٨٤ م، القاهرة (دار الكاتب
العربي) ١٩٦٧ م.

★ التكملة لكتاب الصلة ١: ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٤٢)، دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٧٠٤ - ٧٠٥ بروكلمن ١: ٤١٥ - ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠، الأعلام للزركلي ١: ٢٥٤
(٢٦٨)، سركيس ١٩٩٣، بالنشأ ٢٧٦ - ٢٧٧.

حمدة بنت زياد

١ - هي حمدة (أو حمدونة) بنت زياد بن بَقِيٍّ الْعَوْفِيِّ الْمُؤَدَّبِ (أَوْ الْمُكْتَتَبِ) مِنْ
سَاكِنِي وَادِي الْحِمَةِ بِقَرْيَةِ بَادِي قُرْبِ وَادِي آشَ، كَانَتْ تَلْمِذَةً لِلْبَرَّاقِ (أَوْ ابْنِ

(١) اقرأ: أمثل (أحسن).

(٢) في الأصل: من أعواض الدنيا عرفاً.

(٣) بياض في الأصل. والكلمة مَنِي.

البراق^(١) كما حَدَّثَتْ عَنْ أَبِي الْكَرَمِ جُودِي بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُدَيْبِ^(٢). وَهِيَ مُعَاَصِرَةٌ لِنَزَاهُونَ. وَلَعَلَّ وَفَاتَهَا كَانَتْ فِي سَنَةِ ٦٠٠ (١٢٠٤ م).

٢- حَمْدَةُ بِنْتُ زِيَادٍ نَبِيلَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالْعَارِفِ، وَكَانَتْ بَرَزَةً (تَحْضُرُ) مَجَالِسَ الرِّجَالِ) مَعَ صَوْنٍ وَعَفَافٍ وَنَزَاهَةٍ. وَهِيَ أَدِيبَةٌ بَارِعَةٌ مَشْهُورَةٌ وَشَاعِرَةٌ جَمِيعِ الْأَنْدَلُسِ وَخِصَاءُ الْمَغْرِبِ، مِنْ الْمُتَصَرِّفَاتِ فِي فُنُونِ الشُّعْرِ وَالْمُتَفَرِّغَاتِ الْمُتَعَفِّفَاتِ وَمِنْ طَبَقَةِ الْعَرَبِيَّاتِ (أُولَئِكَ اللَّوَاتِي يُحَافِظْنَ عَلَى الْمَعَانِي الْعَرَبِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ). وَشِعْرُهَا وَجُدَانِي أَكْثَرُهُ الْغَزْلُ وَالْوَصْفُ. وَيَنْسِبُ الْأَنْدَلُسِيُّونَ إِلَيْهَا الْآيَاتِ الْحَسَنَ:

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَإِ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمُ!

وَلَكِنْ هَذِهِ الْآيَاتُ لِلْمَنَازِيِّ^(٣) الْمَشْرِقِيِّ الَّذِي عَاشَ قَبْلَ حَمْدَةَ بِقَرْنٍ وَنَصَفَ قَرْنٍ. وَلَعَلَّ الَّذِي حَمَلَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَلَى حُبِّ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهَا وَصَفَتْ عَلَيْهِ نَفْحَةَ أَنْدَلُسِيَّةٍ!

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهَا:

- لِحَمْدَةَ بِنْتُ زِيَادٍ مُقْطَعَتَانِ مَشْهُورَتَانِ تَجَمَّعَانِ إِلَى النَّسِيبِ إِعْجَابًا بِجَمَالِهَا:

★ أَبَاحَ الدَّهْرُ أَسْرَارِي بِوَادِي لَهُ فِي الْحُسْنِ آثَارُ بَوَادِي^(٤).
فَمِنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ، وَمِنْ رَوْضٍ يَطُوفُ بِكُلِّ وَادِي^(٥).
وَمِنْ بَيْنِ الطُّبَاءِ مَهَاءُ إِنْسٍ سَبَتْ لُبِّي وَقَدْ مَلَكَتْ فُؤَادِي^(٦).

(١) هُوَ الْأُدَيْبُ أَبُو الْقَاسِمِ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَمْدَانِيُّ الْوَادِيَّيُّ أَشْجِي (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ).

(٢) رَاجِعْ مَعْجَمَ الْأَدْيَاءِ (١٠: ٢٧٤، فِي الْحَاشِيَةِ). تَنْظُرْ الْإِحَاطَةَ (١: ٣٧٦ س.). وَفِي بَغِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٢١٣): جُودِي بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُودِي بْنِ مُوسَى..... أَبُو الْكَرَمِ أَسَازٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) وَالْأَدَبِ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ، مَاتَ سَنَةَ ٦٣٣.

(٣) أَحْمَدُ بْنُ يُوْسُفَ الْمَنَازِيُّ (ت ٤٣٧ هـ) رَاجِعْ تَارِيخَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ٣: ١١٨ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْآيَاتِ. رَاجِعْ مُنَاقَشَةَ نَسَبِ هَذِهِ الْآيَاتِ سَلْبًا وَإِجْبَاقًا فِي مَعْجَمِ الْأَدْيَاءِ ١٠: ٢٧٦ - ٢٧٧ وَنَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ٢٨٨ - ٢٨٩. (٤) الْوَادِي: النَّهْرُ.

(٥) بِوَادِي: فِي بَادِي (الْقَرْيَةِ الَّتِي وَلَدَتْ حَمْدَةَ فِيهَا). بِوَادِي = بَوَادٍ (جَمْعُ بَادٍ: ظَاهِرٌ).

(٦) الْمَهَاءُ: بَقْرَةُ الْوَحْشِ (نَوْعٌ مِنَ الطُّبَاءِ كَبِيرَةٍ الْعِيُونِ).

لَهَا لَخِطُّ تَرْقُدُهُ لِأَمْرِ، وَذَاكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادِي^(١).
 إِذَا سَدَلْتُ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا رَأَيْتَ الْبَذَرَ فِي أَفْقِ الدَّادِ^(٢).
 كَانَ الصُّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقُ، فَمَنْ حُزْنٍ تَسَرَّبَلْ بِالسَّوَادِ!
 وَلَمَّا أَبَى الْوَاشُونَ إِلَّا فِرَاقَنَا وَمَا لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ،
 وَشَنُّوا عَلَى أَسَاعِنَا كُلِّ غَارَةٍ، وَقَلَّ حَاقِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي،
 غَزَوْتُهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمِي وَمَنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ!

٤-★★ التكملة ٧٤٦ (رقم ٢١٢٠)؛ المغرب ٢: ١٤٥، معجم الأدباء ١٠: ٢٧٤-٢٧٨؛ تحفة القادم ١٦٢-١٦٣؛ المطرب ١١: الإحاطة ١: ٤٩٧-٤٩٨؛ فوات الوفيات ١: ١٨٨؛ نفح الطيب ٤: ٢٨٧-٢٩٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٠٥ (٢٧٤).

ابن الفرس (أو المهر) الفَرْنَاطِيّ

١- هو أبو القاسم عبد الرحيم^(٣) بن إبراهيم بن محمد الحَزْرَجِيّ الْفَرْنَاطِيّ المعروف بابن الْفَرَسِ أو بِالْمُهَرِّ بْنِ الْفَرَسِ، وَلِدَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ - ١١٧٠ م) وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ صِهْرِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْفَرَسِ (ت ٥٩٨ هـ) وَغَيْرِهِ^(٤). حَضَرَ ابْنُ الْفَرَسِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْمَنْصُورِ الْمُوحِدِيّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ يَفْضُ مِنْ خِلَافَةِ الْمُوحِدِينَ وَيَكْشِفُ عَنْ طُمُوحِهِ هُوَ إِلَى الْإِمَامَةِ. ثُمَّ خَافَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ فَتَخَفَى مُدَّةً. فَلَمَّا مَاتَ الْمَنْصُورُ الْمُوحِدِيّ ظَهَرَ ابْنُ

(١) تَرْقُدُهُ: تَنِيهِه (تَجْعَلُ لِحْطَهَا فَاتِرًا نَاعَسًا، وَهَذَا يُؤَثِّرُ فِي الْعَاشِقِينَ). وَهَذَا الْفِعْلُ يَجْمَعُنِي إِزْدَادًا حَبًّا لَهَا وَسَهْرًا فِي التَّفَكُّيرِ فِيهَا.

(٢) سَدَلَ وَأَسَدَلَ: أَرَاخَى السَّيْرَ. الدَّادُ (الْبَابِي) الثَّلَاثُ الْآخِرَةُ مِنَ الشَّهْرِ) نَكُونُ مَظْلَمَةً جَدًّا. رَأَيْتَ (وَجْهَهَا) فِي الدَّادِ (بِالنِّسْبَةِ إِلَى النِّسَاءِ الْآخِرَاتِ).

(٣) فِي بَغِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٣٠٥): عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ. وَفِي الْإِسْتِقْصَا (١: ١٩٠): عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

(٤) وَكَذَلِكَ ثَلَا (الْقُرْآنُ؟) عَلَى ابْنِ عَرُوسٍ (؟) وَأَخَذَ النُّحُو عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ (؟) - رَاجِعْ بَغِيَةَ الْوَعَاةِ ٣٠٥.

الفرس ودعا إلى نفسه في قبائل البربر جنوبَ مَرَاكشَ، إذ ادَّعى أَنَّهُ المَهْدِيُّ المُنتَظَرُ أو أَنَّهُ القَحْطَانِي (الذي ذُكِرَ في الحديث أَنَّهُ سَيُبْعَثُ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ). فعاربه الناصرُ الموحِّدِيُّ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) ثم غَدَرَهُ بِهِ جَمَاعَةٌ وَقَتَلُوهُ وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى مَرَاكشَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢- جاء في «بُغْيَةِ الوُعَاة» (ص ٣٠٥): كان ابنُ الفرس «فقيهاً جليلاً القَدْرِ رفيعَ الذِّكْرِ عارفاً بالنحو واللغة والأدب، باهرَ الكِتَابَةِ رائقَ الشُّعْرِ، سريعَ البَدْيَةِ، نَفَقَةً وَمَهَرَ فِي العَقْلِيَّاتِ والعُلُومِ القَدِيمَةِ». وكذلك كان شاعراً مطبوعاً ووشاحاً.

٣- مختارات من شعره:

- مُوشِحَةٌ مشهورةٌ لعبدِ الرِّحِيمِ بنِ الفَرَسِ الفَرْنَاطِي (المغرب ٢: ١٢٢):

يَا مَنْ أَغَالِبُهُ وَالشُّوقُ أَغْلِبَ
وَأُرْتَجِي وَصَلَّاهُ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ،
سَدَدَتْ بَابَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ مَطْلَبِ.
زُرْنِي وَلَوْ فِي الْمَنَامِ وَجُذْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ
فَأَقْلُ الْقَلِيلِ يُبْقِي ذِمَاءَ الْمُسْتَهَامِ^(١).



كَمْ ذَا أَدَارِي الْهَوَى وَكَمْ أَعَانِيهِ!
وَلَوْ شَرَخْتُ الْقَلِيلَ مِنْ مَعَانِيهِ
أَمْلَلْتُ أَسَاعَكُمْ مِمَّا أَرَانِيهِ.
هَيْهَاتَ، بَاعُ الْكَلَامِ مَا إِنْ بَغَى بِفَرَامِ^(٢).

(١) الذماء: بقية الحياة في البدن. المستهام: الذي اضطرب عقله وتغير حم هام (سار على غير هدى) على وجهه (من الحب).

(٢) الباع: مسافة ما بين أصابع اليد اليمنى وأصابع اليد اليسرى إذا مد الإنسان ذراعيه في خط مستقيم. باع الكلام (بجاء الكلام).

إلى الملأ الأعلى سَمَوْتُ بِهَمِّي كذلك شَأْنُ الشَّكْلِ لِلشَّكْلِ يَجْنَحُ^(١).

- ومن معانيه الجميلة في موشحة له ذكر فيها الخمر فقال (المغرب ١: ٢٧٧):

نَفَضُ مِنْكَ الْخِتَامَ عن عَسَجِدِي الْمَدَامُ!
وَرْدَاءُ * الْأَصِيلِ تَطْوِيهِ كَفُّ الظَّلَامِ.

٤- * * المغرب ١: ٢٧٧، ٢: ١١١، ١٢٢، الحلة السراء ٢: ٢٧٠ - ٢٧٢ بغية الوعاة
١٣٠٥ نفع الطيب ٤: ٨، راجع ٣: ٢٠٤ الاستقصا ١: ١٩٠ - ١٩١ نيل
الابتهاج ١٧٧.

أبو جعفر الذهبي

١- هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جُرْجَ الذهبي البلسني،
من أهل قرطبة، وكان أحد أجداده قد اشتغل بتذهيب الكتب فجاءت هذه النسبة
إلى أسرته.

وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتلقَى العِلْمَ على ابن مضاء وأبي عبد الله بن حميد
وأبي الطاهر بن عَوْفٍ ثم دخل في خدمة السيد أبي الحسن علي بن أبي حفص بن عبد
المؤمن والي غرناطة. وكان صديقاً للفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) فلما ثارَ
العامَّةُ على ابن رشد وأراد المنصورُ الموحدِي أن يترضاهم فنفى ابن رشد، استتر أبو
جعفر خوفاً من الطلب. ثم رَضِيَ المنصور على ابن رشد وقربَ أبا جعفر. ويبدو أن
أبا جعفر قد قضى مُدَّةً في مَرَاكُشْ طَبِيباً في بلاط المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) وفي
بلاط خلفه محمد الناصر. وكان مرةً مع الناصر في الأندلس فتوفي، سَنَةَ ٦٠١ هـ
(١٢٠٤ - ١٢٠٥ م) وهما راجعانِ إلى مَرَاكُشْ.

٢- كان أبو جعفر الذهبي مُتَفَنِّناً في العلوم ومُحِيطاً بكثيرٍ من علوم الفلسفة، كما
كان طبيباً ماهراً ومشاركاً في عددٍ من علوم الشريعة. ثم إنه كان شاعراً مُقِلّاً

(١) يَجْنَحُ: يميل. * لعلها: وذا رداء الأصيل.

مُحْسِنًا، وَلَكِنَّ الفَلَسَفَةَ غَلِبَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «عَالَمُ النِّقْصِ لَا تَكُونُ فِيهِ الْكَمَالَاتُ».

٣- مختارات من شعره:

- لَأَيَّ جَمْفِرٍ الذَّهَبِيُّ مُقْطَعَاتُ مِنْهَا:

★ ★ أُنْهِيَ الْفَاضِلُ الَّذِي قَدْ هَدَانِي نَحْوَ مَنْ قَدْ حَمِدْتُهُ بِأَخْتِيَارِي،
شَكَرَ اللَّهُ مَا أُتَيْتَ وَجَازَا كَ، وَلَا زِلْتَ أَيَّ نَجْمٍ سَارٍ^(١)،
أَيَّ بَرَقٍ أَفَادَ أَيَّ غَمَامٍ، وَصَبَّاحِ أَدَى لُضْوِهِ نَهَارٍ^(٢).
وَإِذَا مَا غَدَا النِّسْمُ دَلِيلِي لَمْ يُحْلِنِي إِلَّا عَلَى الْأَزْهَارِ^(٣)!
★ ★ أَنْتَ عَيْنُ الزَّمَانِ لَا تُنْكِرُ السَّقْمَ سَمَ، فَمَا ذَاكَ مُنْكَرٌ فِي الْعِيُونِ^(٤).
★ ★ نُسْرٌ بِالْأَعْيَادِ، يَا وَيْحَنَا وَكُلُّ عَيْدٍ قَدْ تَوَلَّى بِعَامٍ^(٥).
وَالْعُمْرُ دُرٌّ فِي نِظَامٍ، وَهَلْ نَفَرَحُ أَنْ يَنْقُصَ دُرُّ النِّظَامِ^(٦)؟
مَا فِي الْبَرَامَا عَاقِلٌ، كُلُّهُمْ يَزْدَى وَلَمْ يَحْمَلْ حِسَابَ الْفِطَامِ^(٧).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى، فَهَذِهِ حِكْمَتُهُ فِي الْأَنَامِ.

(١) أَيَّ نَجْمٍ: نَجْمٌ عَظِيمٌ. السَّارِي: السَّائِرُ فِي اللَّيْلِ. النِّجْمُ السَّارِي (الَّذِي يَنْتَقِلُ فِي السَّمَاءِ فَيَسْتَدِلُّ النَّاسَ بِمَحْرَكَتِهِ عَلَى الزَّمَانِ - بِخِلَافِ النِّجْمِ الثَّابِتِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ).

(٢) أَيُّ بَرَقٍ (عَظِيمٌ تَبِعَهُ رَعْدٌ شَدِيدٌ) أَفَادَ أَيُّ غَمَامٍ (أَيُّ: مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «أَفَادَ») جَعَلَ الْغَيْمَ يَسْقُطُ مَطَرًا (كَثِيرًا).

(٣) أَحْصَى الرَّجُلُ صَدِيقَهُ عَلَى الشَّيْءِ: أَقْبَلَ، جَاءَ بِهِ، دَلَّهَ عَلَى.

(٤) فِي هَذَا الْبَيْتِ كِتَابَاتٌ وَتَوْرِيَّاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ: (أَنْتَ عَيْنُ الزَّمَانِ: أَنْتَ مِنَ الزَّمَانِ بِكَانِ الْعَيْنِ، أَنْفَسُ شَيْءٍ فِيهِ - وَعَيْنُ الزَّمَانِ: مِنْ كِبَارِ الْقَوْمِ وَالْمَشْهُورِينَ). لَا تُنْكِرُ السَّقْمَ (فَعَلَ طَلَبَ وَأَمَرَ) - كَانَ الْخَاطِبُ مَرِيضًا، وَكَانَ الشَّاعِرُ يَمُودُهُ (يُزَوِّدُهُ فِي مَرَضِهِ) - فَمَا السَّقْمُ فِي الْعِيُونِ (الطَّبِيعِيَّةِ، أَيِ النَّفْسِ) مُنْكَرٌ (غَيْرُ مَأْلُوفٍ) بَلْ هُوَ مُسْتَحَبٌّ.

(٥) ... بِعَامٍ = بِمَضِيِّ عَامٍ مِنَ عُمُرِ الْإِنْسَانِ.

(٦) دُرٌّ: لَوْزُؤٌ. النِّظَامُ: الْخَيْطُ الَّذِي يَجْمَعُ الدَّرَجَاتَ عَقْدًا.

(٧) يَزْدَى (إِ) يَلْكَ (بِكْسَرِ اللَّامِ).

** كُنْتُ فِي رُكْنٍ مِنَ الْأَرَضِ عَلَى مِقْدَارِ فَهْمِي^(١)،
 مُفْرَدًا فِيهِ مُخَلَّسِي فَارغاً مِنْ كُلِّ خَصْمٍ^(٢).
 فَدَعَوْا بِي ثُمَّ قَالُوا: عَلِمَ فِي كُلِّ عِلْمٍ.
 عَرَضُونِي لِلْبَلَاءِ أَتَلَقَّى كُلَّ سَهْمٍ.
 يَسَا لِقَوْمِي، أَتَعْبُوا فِي قَصْدِهِمْ رُوحِي وَجِسْمِي.

**-٤ الفصول البانعة ٣٦ - ٤١: نفع الطيب ٣: ٢٠٦ - ٢٠٧، ١٤١١ طبقات
 الأطباء ٢: ١٨١ المغرب ٢: ٣٢١؛ بغية الوعاة ١٤٤؛ راجع الأعلام للزركلي ١:
 ١٦٠ (١٦٧).

أبو العباس السبتي

١- هو أبو العباس أحمد بن جعفر الحزرجي السبتي، وُلِدَ فِي سَبْتَةَ، سَنَةِ
 ٥٢٥ هـ (١١٣١ م). وَنَزَلَ مَرَاكُشَ وَسَكَنَهَا فِيهَا تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ -
 ١٢٠٥ م).

٢- كان أبو العباس السبتي رجلاً صالحاً عالماً من أهل التصوف، وكانت له بَسْطَةٌ
 فِي اللِّسَانِ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْكَلَامِ قَوِيَّ الْحُجَّةِ فِي الْمُنَاطَرَةِ ذَا تَأْثِيرٍ فِي النَّاسِ عَامَّةً وَفِي عَوَامِّ
 النَّاسِ خَاصَّةً. وَقَدْ رُوِيَ لَهُ كَرَامَاتٌ هِيَ مِنْ بَابِ الْأَعَاجِيبِ. هَذِهِ تُقَسَّمُ فِي الْحَقِيقَةِ
 قِسْمَيْنِ: قِسْماً يَعُودُ إِلَى ثَبَاتِ نَفْسِهِ وَقُوَّةِ تَأْثِيرِهِ فِي النَّاسِ، ثُمَّ قِسْماً هُوَ مِنْ بَابِ الرِّوَايَاتِ
 الَّتِي لَا تَثْبُتُ عَلَى مِثْلِكَ الْمَنْطِقِ وَالْوَاقِعِ. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ يَتَمَتَّعُ بِشَهْرَةٍ وَتَأْثِيرٍ كَبِيرَيْنِ.

(١) على مقدار فهمي (الحقيقي للحياة وأن لا ربح في معاشرَة عوام الناس).
 (٢) مفرد (بعيد عن الناس) مخلى (من التبعات وتكاليف الحياة الاجتماعية).

٣ - مختارات من آثاره:

- إِنَّا سَمِيَ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمَ عَرَفَةَ^(١) لانتشار الرحمة فيه لِمَنْ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ^(٢) بالطاعات.

- مَا أَمَرُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ. وَإِنِّي لَمَّا قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَخَّارِ، تَلْمِيزِ الْقَاضِي عِيَّاضٍ، وَنَظَرْتُ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ وَبَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ عِشْرِينَ سَنَةً، وَجَدْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» فَتَدَبَّرْتُ (مَعْنَى ذَلِكَ) وَقُلْتُ: أَنَا مُطْلُوبٌ بِهِ (هَذَا الْأَمْرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). فَلَمْ أَزَلْ أَجُحِّثُ عَنْهُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى أَنَّهَا (أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ) نَزَلَتْ حِينَ أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَنْهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ حُكْمَ الْمَوَاخَاةِ فَأَمَرَهُمْ بِالْمُشَاطَرَةِ^(٣). فَفَهَمْتُ أَنَّ الْعَدْلَ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي الْآيَةِ هُوَ الْمُشَاطَرَةُ..... فَعَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّةً أَنْ لَا يَأْتِيَنِي شَيْءٌ إِلَّا شَاطَرْتُ فِيهِ الْفُقَرَاءَ. فَفَعِلْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً، فَأَعْمَرْتُ لِي الْحُكْمَ بِالْمُخَاطَرِ فَلَا أَحْكُمُ عَلَى خَاطِرِي بِشَيْءٍ إِلَّا صَدَقَ. فَلَمَّا أَكْمَلْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً رَاجَعْتُ تَدَبُّرَ الْآيَةِ فَوَجَدْتُ الشُّطْرَ هُوَ الْعَدْلُ. وَالْإِحْسَانُ مَا زَادَ عَلَيْهِ. فَعَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ نَبِيَّةً (أَنْ) لَا يَأْتِيَنِي قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا أَسْكُتُ ثَلَاثَةً وَصَرَفْتُ الثَّلَاثِينَ لِلَّهِ تَعَالَى. فَفَعِلْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً فَأَنْمَرْتُ لِي الْحُكْمَ فِي الْخَلْقِ^(٤) بِالْوَلَايَةِ وَالْعَزْلِ فَأُولَئِي مَنْ شِئْتُ وَأَعَزَلْتُ مَنْ شِئْتُ.....

- أَصْلُ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْإِحْسَانُ، وَأَصْلُ الشَّرِّ فِيهَا الْبُخْلُ.

٤-★★ تطهير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، تأليف ابن الوقت، فاس ١٩١٨ م.

(١) يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة): يوم الحج.

(٢) إليه (إلى الله).

(٣) لما هاجر المسلمون الأوّلون من مكّة إلى المدينة، أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشَاطِرَ الْأَغْنِيَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِخْوَانَهُمُ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةِ أَمْوَالَهُمْ (أَوْ يَعْطِيَ كُلَّ غَنِيٍّ مَدَنِيٍّ) أَخَاهُ الْمَكِّيَّ الْفَقِيرَ نِصْفَ مَالِهِ.

(٤) في الخلق: في الناس (أصبحت لي سلطة على التأثير في أحوال البشر بإذن الله).

نفع الطيب ٩٩:٣ - ١٠٠:٧، ٢٦٦ - ٢٧٩، نيل الابتهاج ٥٩ - ٦٣، النبوغ المغربي ١٥٠ - ١٥١، الأعلام للزركلي (١: ١٠٧) مع الإشارة إلى أن ترجمة السبتي هذا تقع في كتاب «الإعلام بين حلّ مراكش وأغاث من الأعلام» تبلغ مائة صفحة (١: ٢٣٩ - ٣٣٨).

الحكيم الجلياني

١ - هو أبو الفضل عبد المنعم - وقيل: محمد عبد المنعم (نفع الطيب ٢: ٦٣٥، راجع ٦٣٦، السطر الثالث من أسفل) - بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضير بن مالك بن حسان القسائي المالقي الجلياني الوادي آشي الأندلسي، ولد في سابع المحرم من سنة ٥٣١ (١١٣٦/١٠/٥ م) في قرية جليانة من أعمال وادي آش (قرب غرناطة).

جاء الحكيم الجلياني إلى المغرب ثم رحل إلى المشرق وأقام في دمشق مدة طويلة واتصل بصلاح الدين الأيوبي ومدحه بمدح من القضاة مدحه سنة ٥٨٦ هـ بقصيدة وأرسلها إليه فوصلت في صفر من سنة ٥٨٧ (آذار - مارس ١١٩١ م) وهو محاصر في الفرنجة في عكا. ويبدو أن الجلياني قد تطوّل كثيراً في الشام وصار طبيب المارستان (المستشفى) السلطاني. ثم دخل بغداد، سنة ٦٠١ هـ. وكانت وفاته في دمشق سنة ٦٠٣ هـ في الأغلب (١٢٠٦ - ١٢٠٧ م).

٢ - كان الحكيم الجلياني بارعاً في الطب وفي التحكيل (طب العيون) خاصة، ملماً بالرياضيات والفلسفة، وكان يُعاني صناعة الكيمياء. وكذلك كان له كلام في التصوف، وقد عُرف بلقب «حكيم الزمان». ثم إنه كان أديباً ناثراً شاعراً. ولم يكن شعره كثير الرونق، ولكنه كان يجيد المقطعات وخصوصاً ما يتناول منها الأغراض الحكيمية. وكان يطيل قصائد المديح غير أن مدائحه عادية.

وللحكيم الجلياني عددٌ من الكتب منها عشرة كتب هي (طبقات الأطباء ١٦١٢): «ديوان الحكم وميدان الكلم» يشتمل على الإشارة إلى كل غامض

المدرک من العلم وإلى کلّ صادق المنسک من العمل وإلى کلّ واضح المسک من الفضيلة (وهو نظم) - ديوان المُشَوَّقات إلى الملأ الأعلى (نظم) - ديوان أدب السلوك، وهو كلام مُطلق يشتمل على مشارع کلمات الحکمة المُبَصِّرَات - نوادرُ الوحي، وهو يشتمل على كلام حکمة مطلق في غريب معانٍ من القرآن العظيم ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم - تحرير النظر، وهو يشتمل على کلمات حِکْمَة مفرداتٍ في البسائط والمرتکبات والقوى والحركات - سرّ البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب - ديوان المبشرات والقدسيات (وهو نظم وتدييج وكلام مطلق يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين...) (١) - ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيت وما يتصل بها منظوماً - ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأوصاف وزجريات (!) وأغراض شتى منظوماً - ديوان ترسل ومخاطبات في معانٍ كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والأدعية. ثم له: منادح المادح - وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين (ألفه سنة ٥٦٩ هـ) - تعاليق في الطب - صفات أدوية مركبة - جامع أنماط السائل (٢) في العروض والخطب والرسائل - نهج الوضاعة لأهل الخلاعة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الحکیم الجلياني في أمر الدنيا والناس:

ألا إنّها الدنيا بحارٌ تلاطمت؛ فما أكثرَ الفرقى على الجنّات .
وأكثرُ من لاقيت يُفَرِّقُ إلفه، وقلّ فتى يُنجي من الغمّرات (٣).

- وقال في مثل ذلك:

فأجنسُ شيءٍ حِکْمَة عند جاهل؛ وأهونُ شخصٍ فاضلٌ عند ظالم .

(١) لعلّه كتاب « المدبجات » (في مدائح صلاح الدين).

(٢) كذا في نفع الطيب (٢: ٦١٤). لعلّها: المسائل.

(٣) الإلف (بكر الهمة): الألف، العير، الرفيق. الغمرة: معظم الماء من البحر. - كلّ إنسان يحاول أن يهلك الآخرين، ويندر أن يحاول إنقاذ غيره من مصائبه.

فلو زُفَّتِ الحسناءُ للذئبِ لم يكن يرى قُرْبَهَا إِلَّا لِأَكْلِ المعاصمِ^(١)

- وله قصيدة طويلة يمدحُ بها صلاحَ الدين منها:

فَأَنْتَ الَّذِي أَيْقَظْتَ حِزْبَ مُحَمَّدٍ جِهَاداً وَهُمْ فِي غَفْلَةِ الْمُتَنَاوِمِ .
فَحَارَبْتَ لِلإِيمَانِ لَا لَصُغَائِنِ ، وَرَابَطْتَ لِلرِّضْوَانِ لَا لِلْمَغَانِمِ^(٢) .
فَدَارُكَ ، وَالْأَيْطَالُ ثَارَتْ حِيَالُهَا ، مَقَرُّ سُرُورٍ فِي مَقَرِّ مَأْتَمِ^(٣) .
فَهَجَرْتَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِقَاتِلٍ ، وَبَيَّتَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِنَائِمِ^(٤) ،
وَأَرْجَفْتَ رُومًا إِذْ خَرَقْتَ فَرَنْجَةَ فَكَانُوا غُشَاءً فِي سُيُولِ الْهَزَائِمِ^(٥) .
أَفَاتَحْتَ بَيْتَ الْقُدْسِ ، سِفْكَكَ مِفْتَاحُ لِقْفَلِ الْهُدَى يَفْلَاقُ بَابَ الْمَأْتَمِ^(٦) .
فَأَطْلَقْتَ تُرْكاً فِي ظَهْوٍ سَوَاحِرِ ، وَأَغْرَبْتَ شِرْكَاً فِي بُطُونِ الْقَشَاعِ^(٧) ؛
غَدَاةً قَدَحْتَ الْبَيْضَ فِي آلِ أَصْفَرِ فَلَمْ يَبْقَ زَنْدٌ مِنْهُمْ فِي مَعَاصِمِ^(٨) .

(١) - لو زوّجنا الذئب امرأة حسناء لما وجد فيها فائدة إلا أن يأكل منها .

(٢) رابط: أقام على حدود البلاد الإسلامية مدافعاً عنها . الرضوان: رضا الله .

(٣) دارك: منزلك (البلاد التي تحكمها) . حياها: إزاءها ، بجانبها (حولها ، فيها) . مقرر سرور (لقومك) في قلب مقرر للمأتم (للإفرنج الصليبيين الذين كانوا يحاربون في فلسطين) .

(٤) هجر: سار (عمل ، حارب) في الهجر (وقت الحرّ ، ظهراً) . قاتل: من قال بفيل (نام بعد الظهر ، ارتاح) . بيّت القائد جيش أعدائه (أعدّ خطة في الليل للهجوم في الصباح) . - إنه لا يرتاح ليلاً ولا نهاراً . بيّت أيضاً: حارب في الليل .

(٥) خرفت فرنجية: مزّت (هزمت) جموع الفرنجية فأرجفت (أخفت) روماً (البابوية) لأنّ انهزام الإفرنج الصليبيين انهزاماً لها وخطر عليها . القشاع: الزبد والأوساخ التي تطفو على سطح السيول .

(٦) مفتاح: مفتاح . تبدو كلمة «المأتم» هنا قريبة من كلمة «مأتم» ، وهذا في الأصل عيب في القافية . لعلها: المأتم (شاء بثلاث نقط) .

(٨) - الترك (الأتراك!) جنودك كانوا كثيرين على ظهور السوابع (الخيل) . وأغربت شركاً في بطون القشاع (النسور): قتلت أعداءك المشركين بالله وجعلتهم طعاماً للنسور .

(٩) قدح: طعن . لجأ الشاعر هنا إلى استعارة: جعل السيف حديدية بمقام الزناد (الذي تندح به النار من حجر الصوان) . البيض: السيوف . آل أصفر: الروم (الإفرنج عموماً) . لم يبق زند الخ: قطعت أيديهم (قتلتهم) .

وَإِذْ دَرَجُوا كَالنَّمْلِ أَغْجَرَ عَدُوَّهُ
 كَأَنَّ لَهُمْ فِي تَلٍّ عَكَا مَصَادَةً
 فَيَرْبُّ كَسِيرٌ مُوَبَّقٌ فِي حَفَائِرِ،
 وَمَا زِلْتُ أَجْلُو مِنْ حُلَاهُ عَرَائِشاً
 مَعَانٍ كِبَهَرِ السَّحَرِ فِي عِقْدٍ نَاطِرٍ،
 سَتُنْسِي بِذِكْرِهِ أَقَاوِيلُ مَنْ مَضَى
 - وَلَهُ فِي النَّسِيبِ:

أَبَاحَ لَهُ نَجْوَاهُ بِمَضَى شَقَائِهِ
 مَتَى لَمَحَتْ عَيْنُ الْعَلِيلِ طَبِيبِهِ
 فَكَمْ فِي الْهَوَى مِنْ مُكْتَسَبٍ بُرْدَ وَجْدِهِ
 سَبَاهُ حَبِيبٌ غَابَ فِي قَيْضِ حُسْنِهِ
 وَلَيْسَ لَهُ ثَانٍ يُلَاذِ بِهِ، فَمَنْ
 فَبَاحَ بِمَا أَخْفَاهُ مِنْ بُرَحَائِهِ^(١)
 فَلَا يَدَّ أَنْ يُؤْمِيَ إِلَيْهِ بِدَائِهِ^(٢)
 وَمُلْتَحِفٍ مِنْ دَائِهِ بِرَدَائِهِ^(٣)
 فَأَعْنَى عَيُوناً أَوْلَمَتْ بِبِهَائِهِ^(٤)
 حَوَاهُ هَوَاهُ لَمْ يَزَلْ فِي حَوَائِهِ^(٥)

(١) درج: مشى. الدبا: الجراد الصغير.

(٢) مصادة - يقصد الشاعر «مصاداً» (بالفتح: مكان الصيد) أو مصيداً أو مصيدة (بالفتح فيها: أداة يُصَادُ بها أو شرك). حاش الناس الصيد: جاءوا من حواليه ليدفعوه إلى الحيلة (بالضم) أو الترك. السوائم: الأنعام (الحيوانات الأليفة) المهملة التي لا راعي لها.

(٣) السرب: الجماعة من البهائم. كسير: مكسر الأعضاء. موبق من وبق: هلك. الحفيرة: الحفرة. حسير: ضعيف النظر والحيلة. مرهق: مدرك، محاصر. المقحم في القاموس بضم الميم وفتح الحاء: الضعيف. والشاعر يقصد: المأزق الذي لا مخرج منه.

(٤) و (٥) بيتان يقتصر فيهما الشاعر بشعره في المديح. النسي: العقل. البهر في القاموس الإضاءة، النور. وهنا: الجبال القدرة التي تدعو إلى المحبة. في عقد ناظم... النبر: الذهب. التذر: قطع صغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.

(٦) باح (سمح له) بعض شقائه (أله من المرض، أو الحب) نجواه (سره): أله جملة يهوج بما كان يحرس على كتمان. البرحاء: الأذى الشديد (من المرض، الحب).

(٧) يومي = يومي: يثير.

(٨) البرد: ثوب من حرير. مكس: لابس. ملتحف: مغطى. - بعض الناس يعلن حبه للناس، وبعضهم يكتمه عنهم.

(٩) سباه يسيه: أسره. غاب في فيض حسنه: (كثير الجلال). أعنى النور البصر: أنعم ومنعه الرؤية.

(١٠) هذا المحبوب ليس له شبه حتى يميل المحب إلى ذلك الشبيه، فهو أبداً أسير حبِّ محبوبه الأول.

٤-★★ المكتضب من تحفة القادم ١٩٠ الفصون اليانة ١٠٤ - ١٠٨. التكملة، رقم ١٨١٥ الذيل والتكملة ٥٧:٥ - ٥٨؛ طبقات الأطباء ١٥٧:٢ - ١٦٦ فوات الوفيات ٢:٢١ - ٢٢؛ صلة الصلة ١٥ - ١٦؛ نفع الطيب ٢:٦١٤ - ٦٣٥ - ٦٣٧ نيكل ١٣٢٦؛ مختارات نيكل ١٩١ - ١٩٢؛ الأعلام للزركلي ٤:٣١٧ (١٦٧).

أبو ذرّ الحُشني

١- هو أبو ذرّ مُصَنَّبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ (ت ٥٤٤ هـ) بن مسعود الحُشَنِيِّ المعروف كَأَبِيهِ بِاسْمِ ابْنِ أَبِي الرَّكْبِ، من أَهْلِ جَبَّانَ، رُئِيَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ - ١١٤٠ م) رَوَى عَنْ ابْنِ قَوْقَلٍ وَابْنِ بَشْكُوَالٍ وَعَبْدِ الْحَقِّ الْإِسْبِيلِيِّ ثُمَّ تَصَدَّرَ لِلْقِرَاءَةِ فِي بَلَدِهِ وَفِي غَيْرِهَا. وَقَدْ تَوَلَّى الْخُطَابَةَ بِإِسْبِيلِيَّةٍ ثُمَّ الْقَضَاءَ فِي جَبَّانَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ الْمُوَحِّدِيِّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَسَكَنَ فَاسَ وَتُوفِيَ فِيهَا سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢- كان أبو ذرّ الحُشَنِيُّ مُتَقَدِّمًا فِي إِقْرَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، بَارِعًا فِي مَعْرِفَةِ السِّيَرَةِ (تَارِيخِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَفِي مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهَا وَلُغَاتِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَنَحْوِيًّا نَاقِدًا لِلشَّعْرِ، كَمَا كَانَ لَهُ نَظْمٌ. وَكَذَلِكَ كَانَ مُصَنِّفًا، لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: شَرْحُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ (الْإِمْلَاءُ عَلَى سِيَرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ) - شَرْحُ الْإِبْرَاقِ - شَرْحُ الْجُمَلِ.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة شرح السيرة النبوية لأبي ذرّ الحُشَنِيِّ:

.... الْحَمْدُ لِلَّهِ بِاعِثِ الرُّسُلِ وَنَاهِجِ السُّبُلِ^(١)، الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَشَرَّفَنَا بِبَيْلَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. تَخَيَّرَهُ مِنْ أَكْرَمِ نَسَبٍ وَجَعَلَهُ سَيِّدَ الْعَرَبِ

(١) نهج (وضّح) السبل (الطرق: مناهج الحياة).

وَالْمَعْجَم. ثُمَّ بَعَثَهُ بِآيَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَلَئِيْدُهُ بِمُعْجَزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ^(١)، وَأَمَرَهُ بِجِهَادٍ مَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَلَمْ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢)....

وبعدُ، فهذا إِمْلَاءُ أَمَلِيَّتِهِ مِنْ حِفْظِي بِلَفْظِي عَلَى كِتَابِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي تَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٣) إِلَى جَمْعِهَا وَتَلْخِيصِهَا، أَوَانِ سُمِعَ هَذَا الْكِتَابُ مِنِّي وَقِيْدَتْ رِوَايَاتُهُ بِطَرُقِهَا^(٤) عَنِّي. قَصَدْتُ فِيهِ شَرْحَ مَا اسْتَنْهَمَ مِنْ غَرِيبِهِ^(٥) وَمَعَانِيهِ وَإِبْضَاحَ مَا التَّبَسَّ تَقْفِيْدُهُ عَلَى حَامِلِهِ وَرَاوِيهِ، مَعَ اخْتِصَارٍ لَا يُخِلُّ وَإِعْجَازٍ يَتِمُّ بِهِ الْبَيَانُ وَيَسْتَقَلُّ، لَمْ يَقْصِدْ فِيهِ قَصْدَ التَّأْلِيفِ فَتَمَدَّ أَطْنَابُهُ^(٦)، وَلَا يَنْحُو لِحَوِ التَّصْنِيفِ فَتَمَهَّدَ فُصُولُهُ وَأَبْوَابُهُ^(٧). وَإِنَّا هِيَ عُجَالَةٌ الْخَاطِرِ وَغُنْيَةٌ النَّاطِرِ^(٨). ثُمَّ عُرِضَ عَلَيَّ هَذَا الْإِمْلَاءُ بَعْدَ كِبَالِهِ فَتَصَفَّحْتُهُ، وَرَغِبَ فِي حَمْلِهِ عَنِّي، فَبَعْدَ لَأَيِّ مَا أَذْنْتُ بِذَلِكَ وَأَبْعَثُهُ^(٩)....

٤ - شرح السيرة النبوية (بولس بورله) القاهرة (ویر) ١٩٢٩ م.

★ التكملة ١٣٨٥ المغرب ٢: ٥٥؛ زاد المسافر ١٤٧ - ١٤٨ بغية الوعاة ١٣٩٢ شذرات الذهب ٥: ١١٤ نفع الطيب، راجع ٤: ٩٠، ١٦٢ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩)، معجم المؤلفين ١٢: ١٢٩٢ سركيس ٣١١.

- (١) الآية: العلامة (الدالة على عظمة الله). أيده: ساعده وسنده وجعله قوياً. المعجزة: العمل الخارق للعادة. الباهر: الدهش، المثير.
- (٢) صيد: رد، منع. لم يجب... (لم يؤمن).
- (٣) محمد بن إسحاق المدني (ت بغداد ١٥١ هـ) مؤلف «سيرة رسول الله».
- (٤) أوان: زمان (في وقت سماع هذه السيرة مني). بطرقها (باختلاف سلاسل رواياتها).
- (٥) استبهم: غمض. غريبه (غريب ألفاظه: الألفاظ القليلة التداول).
- (٦) الأطناب (جمع طنب بضمّ فضمّ): حبال تشدّها الخيوط من جوانبها المختلفة إلى أوتاد مفروسة في الأرض حولها لتثبت جيداً في مكانها.
- (٧) تمهّد: تيسر (توسّع).
- (٨) ... شيء وضع على عجل فيه (غنية: كفاية) للناطر (القارىء).
- (٩) اللأي: الشدة والمشقة (بعد التمتع).

أبو عمران المارتلّي

١ - هو أبو عمران موسى(*) بن عمران المارتلّي، نسبةً إلى مارتلة أو ميرتلة وهي بلدة فيها حصنٌ على نهر آتّة، في الجنّوب الغربيّ من الأندلس (في البرتغال اليوم)، ولّد سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م).

سكّن أبو عمران المارتلّي إشبيليةً وانصرف فيها إلى الزهد وخدمة الناس . وكان يعملُ الخوصَ (السلال والقُفّ إلخ) ويبيعه حتّى يأكلَ من عمل يده حلاًلاً ويتصدّق على المحتاجين. وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م) في إشبيلية.

- كان أبو عمران المارتلّي فقيهاً زاهداً، وكان له ثرٌ ونظمٌ يدوران على الزهد والحكم.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي عمران المارتلّي فقراتٌ من الحكمة منها:

كلّ ما يَفْنَى ما له مَعْنَى - من خَفَّ لِسَانُهُ وَقَدَّمَهُ كَثُرَ نَدَمُهُ - التفاؤلُ عن الجواب من فِعْلِ ذَوِي الْأَبَاب - من أَعْطَاكَ رِفْدَهُ^(١) فَقَدْ مَنَحَكَ وَدَّهُ - مَلِكٌ فَوَادَكَ مِنْ أَفَادَكَ .

- وقال في عِتَابِ نَفْسِهِ:

إلى كم أقولُ ولا أفعَلُ، وكَم ذا أحوُمُ ولا أنزِلُ^(٢) .
وأزجرُ عَيْنِي فلا ترعوي، وأنصَحُ نَفْسِي فلا تقبِلُ^(٣) .

* أبو عمران موسى بن حسين بن موسى... المارتولي، الميرتولي، المارتلّي.

(١) الرّد: العطاء .

(٢) حام حول الشيء: دار (أحوُم ولا أنزل: أنوي ولا أنفذ).

(٣) أزجر: أمتع، أبهى. ترعوي: ترجع عن النّي والجهل والذنب.

وَمَ ذَا تُقَلِّلُ لِي - وَتَجْهَأ -
 وَمَ ذَا أُؤَمِّلُ طَوَلَ الْبَقَاءِ
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي بِنَا
 أَمِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ أَرْجُو الْبَقَاءِ
 كَأَنْ بِي وَشِكَاً إِلَى مَضْرَعِي
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ السُّؤَالِ
 بَعْلٌ وَسُوفَ؛ وَمَ تَقْطُلُ^(١)!
 وَأَغْفُلُ، وَالْمَوْتُ لَا يَغْفُلُ.
 مُنَادِي الرَّحِيلِ: أَلَا فَارْحَلُوا.
 وَسَبْعٌ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعَجَّلُ؟
 يُسَاقُ بِنَفْسِي وَلَا أَمَهْلُ^(٢).
 وَطَوَلَ الْمَقَامَ لِي أَنْتَقِلُ^(٣)؟

٤-★★ المغرب ١: ٤٠٦ - ٤٠٧، التكملة ١٦٨٧، الفصوص البانعة ١٣٥ - ١٣٧، تحفة
 القادم ١٩٢، نفع الطيب ٣: ٢٩٦ - ٢٩٧، نيكل ١٣٢٥، الأعلام للزركلي ٨: ٢٧١
 (٣٢٢) - راجع الحاشية.

السيد أبو الربيع الموحدي

١ - هو الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الكومي
 الموحدي، نشأ في البلاط الموحدي (في مدينة مراكش) ولكن على شيء من الجفوة، لما
 كان بين أبيه وعمه يعقوب المنصور من المنافسة الحفيفة على الملك.
 تتلمذ أبو الربيع سليمان على أبي بكر بن زهر (ت ٥٩٥) حينما كان ابن زهر في
 مراكش. ولما تولى يعقوب المنصور الملك (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ولّى أبا الربيع على
 بجاية، ولكن علي بن يحيى بن غانية استولى على بجاية، في صفر من سنة ٥٨١ (ربيع

(١) تطل: تطلب لي العمل والأعداء لتسوية التوبة أو العمل الصالح: تأخيرها) عل = لعل (رجاء

المنقبيل). سوف (حرف استقبال) - تقول لي نفسي: لعلّي أتوب، سوف أتوب. تطل: لا تعي بقولها.

(٢) - ربما كان مصرعي (مقتلي، موق) وشيكاً (قريباً).

(٣) فيا ليت شعري (لا أدري، ليتني أعلم) بعد السؤال (سؤال منكرو وتكثير لي في أول نزولي في قبري)

وطول المقام (في القبر انتظاراً ليوم القيامة) لا (إلى أي مكان) أنقل (إلى جهنم أو إلى الجنة).

(١١٨٥ م) فنَقَلَ المنصورُ ابنَ أخيه أبا الربيع إلى ولاية سِجْلَسَة. وكان أبو الربيع قد آتَخَذَ كاتباً له هو أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ المَالْتَقِي.

وكانت وفاة أبي الربيع سليمانَ الموحّدي سنة ٦٠٤ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢ - السَّيِّدُ أَبُو الرَّبِيعِ المُوَحِّدِيُّ أديبٌ ناثِرٌ شاعرٌ، وديوانه قيل إنّه أقدمُ ديوانٍ شعرٍ لشاعرٍ مغربيٍّ وَصَلَ إلينا. وشِعْرُهُ مُتَفَاوِتٌ، قيل في سَبَبِ ذلك أَنَّ كاتبَه ابنَ عبدِ رَبِّهِ المَالْتَقِي كَانَ يَنْظِمُ أَشْيَاءَ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى لِسَانِهِ. وَفَنُونَ شِعْرُهُ المَدِيحُ والرَّثَاءُ وَالْفَزَلُ والزَّهْدُ والأَلْفَازُ. وله مُصَنَّفٌ هو «مختصر كتاب الأغاني».

٣ - مختارات من آثاره:

- من الغزل المشهور لأبي الربيع سليمانَ الموحّدي:

أَقُولُ لِرُكُوبِ أَدْلُجَا سَحِيرَةٍ: قِفُوا سَاعَةً حَتَّى أَزُورَ رَكابَهَا^(١)
وَأُمْلَأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَأَشْكُو إِلَيْهَا أَنْ أَطَالَتْ عَيْنَاهَا.
فَإِنْ هِيَ جَادَتْ بِالْوَصَالِ وَأُنْعَمْتُ، وَإِلَّا فَحَسْبِي أَنْ رَأَيْتُ قَبَائِلَهَا^(٢).

- وَقَدْ عَلَى مَرَاكُشَ وَفَدٌ مِنَ الشَّامِ فَعَيْنَ يَعْقُوبَ المنصورُ لهم موعداً في غَدَاةِ اليَوْمِ التَّالِي. وَيَبْدُو أَنَّ أبا الرَّبِيعِ كَانَ يَنْتَظِرُ موعِداً لَهُ مِنْ مُدَّةٍ، فَكَتَبَ إِلَى المنصورِ:

يَا كَعْبَةَ الجُودِ الَّتِي حَجَّتْ لَهَا عَرَبُ الشَّامِ وَغَزَاهَا وَالْدَيْلَمُ^(٣)،
طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى يَلُودُ بِهَا غَدَاً وَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ العَتِيقِ وَيُحْرِمُ^(٤)،
وَمِنْ العَجَائِبِ أَنْ يَفُوزَ بِنَظَرَةٍ مِنْ بِالنَّامِ، وَمَنْ بِمَكَّةَ يُحْرِمُ!
- وَقَالَ يمدحُ المنصورَ وَيُشِيرُ إِلَى هَرَبِ العَدُوِّ مِنْهُ:

(١) الرُّكْبُ: السَّفَرُ (يفتح فسكون) الجماعة يهاجرون معاً. أدلجوا: ساروا ليلاً. سحيرة: قبيل الفجر.

(٢) القَبَّةُ: الخيمة الكبيرة من جلد (المسكن).

(٣) الغَزُّ: قبائل من الترك. الديلم: جماعة من الفرس.

(٤) طوبى: الحسنى والخير. يلود: يلجأ. البيت العتيق: الكعبة. أحرَم: استعدَّ للقيام بمناسك الحج.

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ، وَجَرَتْ بِسَدِّكُمْ النُّجُومُ الطَّلُوعُ.
وَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورَهُ الْمُتَشَفِّعُ.
لَهُ جَيْشُكَ وَالصَّوَارِمُ تُنْتَضَى وَالْخَيْلُ تَجْرِي وَالْأَسِنَّةُ تَلْمَعُ^(١).
إِنْ ظَنَّ أَنَّ فِرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ، فَيَجْهَلُهُ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ.
أَيْنَ الْمَقَرُّ؟ وَلَا فِرَارَ لِهَارِبٍ، وَالْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْهِ وَتُجْمَعُ^(٢).
إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا؟ فَالْيَنَكُ، يَا مَعْقُوبُ، تَوْمِي الْإِصْبَعُ^(٣).
إِنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَإِنَّا أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِقُ تُبْعُ!

- لَمَّا كَانَ أَبُو الرِّبِيعِ وَالْيَا عَلَى سِجْلِمَاسَةَ عَلِمَ أَنَّ مَلِكَ السُّودَانِ (فِي غَانَةَ) يُضَيِّقُ عَلَى التُّجَّارِ الْمَغَارِبَةِ فِي بِلَادِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِرْسَالَةً:

نَحْنُ نَتَجَاوَرُ بِالْإِحْسَانِ وَإِنْ تَخَالَفْنَا فِي الْأَدْيَانِ. وَنَتَّقُ عَلَى السَّيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَنَتَأَلَّفُ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ لَوَازِمِ الْمُلُوكِ فِي حُكْمِ السِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ، وَ(أَنَّ) الْجَوْرَ^(٤) لَا تَعَانِيهِ إِلَّا النُّفُوسُ الشَّرِيرَةُ الْجَاهِلَةُ. وَقَدْ بَلَّغْنَا احْتِسَابُ مَسَاكِينِ التُّجَّارِ وَمَنْعُهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا هُمْ بِصَدَدِهِ^(٥). وَتَرَدَّدُ الْجَلَابَةِ^(٦) إِلَى الْبِلَادِ مُفِيدٌ لِسُكَّانِهَا وَمُعِينٌ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ اسْتِطَاعَتِهَا. وَلَوْ شِئْنَا لَاحْتَبَسْنَا مَنْ فِي جِهَاتِنَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، لَكِنَّا لَا نَسْتَصُوبُ فِعْلَهُ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَنَأْتِي مِثْلَهُ^(٧). وَالسَّلَامُ.

(١) الصَّارِمُ: السِّيفُ. انْتَضَى الْمَحَارِبُ السِّيفُ: أَخْرَجَهُ مِنَ الْغَدَمِ وَشَهَرَهُ (رَفَعَهُ). السَّنَانُ: الْحَدِيدَةُ فِي رَأْسِ الرَّمْحِ.

(٢) تَنْشَرُ فِي يَدَيْهِ وَتُجْمَعُ. (حُكِمَ بِحَيْطٍ بِالْأَرْضِ كُلِّهَا - كَانَ جَمِيعُ الْبَشَرِ فِي قَبْضَةِ كَفِّهِ).

(٣) أَوْماً يَوْمِي: أَشَارَ، دَلَّ عَلَى (شَيْءٍ).

(٤) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ.

(٥) فِيهَا هُمْ بِصَدَدِهِ: فِيهَا يَقُومُونَ بِهِ (يَتَأَجَّرُونَ).

(٦) الْجَلَابُ: التَّاجِرُ الَّذِي يَنْقُلُ الْبَضَائِعَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرٍ.

(٧) مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ.

لَا تَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَنَأْتِي مِثْلَهُ عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمَ.

٤ - ديوان أبي الربيع سليمان الموحّد^(١) (تحقيق محمد القبّاج ومحمد بن تاويت التطواني ومحمد بن تاويت الطنجي وسعيد أعراب)، الرباط (جامعة محمد الخامس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية).

- الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحّد: عصره وحياته وشعره، تأليف عباس الجراري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

★ المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ تحفة القادم ١٠٥ - ١٠٦؛ الفصول اليازمة ١٣١ - ١٣٤؛ نفح الطيب ٢: ٩٨، ٣: ١٠٥ - ١٠٩؛ النبوغ المغربي ١٦٨، ٣٥٠، ٧١٨، ٧٢١، ٨٥٨، ١٩١١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٠. (١٢٨).

أبو الحجاج البلوي

١ - هو أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي^(٢) المالقي الأندلسي، ويُقال له ابن الشيخ، وُلِدَ في مالقة سنة ٥٢٦ (١١٣٢ م) وقيل سنة ٥٢٩.

تلقّى أبو الحجاج البلوي العلم على نفر كثيرين منهم (في مُدُنٍ مختلفة): أبو محمد عبد الوهاب (ألف با ٢: ٣٩٢) والأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سورة (ألف با ١: ١٣) وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقول (٥٠٥ - ٥٦٩ هـ) وأبو زيد السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) وأبو محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي (٥١٠ - ٥٨١ هـ). ثم إنّه تولّى الخطابة في بلده مالقة وتصدّر أيضاً للتدريس، كما كان بناءً يعمل في الإشراف على البناء وعلى البناء بيده أيضاً.

وفي سنة ٥٦١ (١١٦٦ م) رحّل أبو الحجاج البلوي فمرّ على الإسكندرية فسمِعَ من المُحدّث الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت ٥٧٦ هـ) وتولّى الخطابة مدّة في الإسكندرية. ثم حجّ وعاد إلى الإسكندرية. ويبدو أنّه زار الشام في هذه الأثناء وحارب الإفرنج الصليبيين في جيش صلاح الدين.

(١) لم أستطع الاطلاع على الديوان. والعنوان «الموحّد» من النشرة التي ورّعها الناشر.

(٢) في العرب قبيلة بلي (مثل غني)، والنسبة إليها: بلوي.

وعاد أبو الحجاج البلويُّ إلى الأندلس وقام بكثيرٍ من أعمال الخير وبالمُرابطة: شارك في بناء عددٍ كبيرٍ من المساجد وفي حَفَرٍ عددٍ من الآبار (بماله وبعلمه وبعمل يده)، كما غزا مع المنصور الموحدِي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى جانب ما كان يقومُ به من التدريس في مالقة.

وكان البلويُّ هذا مِزواجاً ولكن لم يُرزق من نسائه أولاداً ولا كان سعيداً في حياته معهن. فتزوج أخيراً فتاةً صغيرةً سوداءً ليسعدَ معها. وقد رُزقَ منها على كِبَر غلاماً سمّاه عبدَ الرحيم.

وكانت وفاة البلويِّ في مالقة سنة ٦٠٤ (١٢٠٧ م).

٢- كان أبو الحجاج البلويُّ مُشاركاً في عددٍ كبيرٍ من فنون المعرفة: في الفقه والأصول واللغة والنحو والأدب والحساب والمِساحة (الهندسة) ومائلاً إلى التصوف. ولكن غلبَ عليه الأدب. وكذلك كان شاعراً مُكثِراً، ولكن شِعْرَهُ نَظْمٌ عاديٌّ كثيرُ التكلفِ قليلُ الرَوْنق. أمّا نثره فمَتِينٌ وإن كان كثيرَ التكلفِ جدّاً.

وكان للبلويِّ كتبٌ كثيرةٌ منها فهرسته (بأسماء شيوخه: أسانذته) (ألف با ١: ١٦٦) وكتابُ «تكميل الأبيات وتتميم الحكايات» ممّا اختصرته للألبّا في كتاب ألف با (ألف با ١: ١٧)، ثم كتاب «ألف با» وهو مجموعٌ موسوعيٌّ ضمّنه البلويُّ وجوهاً من المعرفة استفادها من القرآن والحديث والشعر والتاريخ واللغة والصرف والنحو، وسمّاه «ألف با» لأنّه بناء على عددٍ من الألفاظ التي تبدأ بالألف وعلى عدد يسيرٍ تبدأ ألفاظه بالباء وعلى غيرها.

هذا الكتابُ يتألف من مقدّمة (١: ٢ - ٧٣) ومن فصلٍ طويلٍ يزيدُ على ألفِ صفحةٍ، وهو في الحقيقة قاموسٌ طريفٌ (وإن كان قليلُ الفائدة) لعددٍ من الألفاظ الثلاثية التي يُمكنُ أن يتركّب من حروفها ألفاظٌ كثيرةٌ. يتناولُ البلويُّ الكلمةَ من مثل «باب» أو «أب» ويُقلِّبها في صُوَرها المُختلفة (من حيثُ التصحيفُ): أب، آب، أت، أث، باب، تاب، ثاب، بات، الخ. وربّما استطرَدَ إلى كَلِمَاتٍ لا صلة لها بالألف والباء إلّا مع التصحيف، نحو «زيد» (١: ٩٩) فإنّه يقال فيها: زيد، زند،

زبد، ندر، دندر، دثر، بدر، درن، نرد، الخ.

وفي أثناء هذه الأحاجي اللفظية يستطرد إلى أمور كثيرة: يخرج من لغة إلى قصّة، ومن قصّة إلى شعر، ثم يذكره شاعرٌ بشاعر، وشاعرٌ بحكاية، وحكايةٌ بقصيدة الخ. وقد قصّد بهذه الكتاب أن يُثَقِّفَ ابنه الذي كان عند تأليف الكتاب صغيراً.

وأما كتاب «التكميل» فقد ضمّنه كثيراً مما جرى بينه وبين شيخه وصديقه الأديب الزاهد أبي محمد عبد الوهاب القيسي (ت ٥٩٨ هـ) من الكلام في الأدب والشعر والتاريخ وغيرها.

وكان البلوي قد جمّع الألفاظ التي عالجهّا تلك المُعالِجَة في قصيدة من نظمه أثبتّها في المُقدِّمة (ويُخسّن أن نشير إلى أن البلوي كان قد أثبتّ الكلمات مُهمَّلة لا نُقَطَ فيها ولا سُكُلٌ - ولكنّ ناشري الكتاب تَوَلَّوْا التنقيطَ والتشكيلَ اجتهداً من عند أنفسهم). مَطَّلَعُ هذه القصيدة:

أخيّ أجيء بـقيلٍ ثـقيلٍ مـهيبٍ مُهيبٍ بـطلٍ بـطلٍ.
ومنها:

يُفِيدُ بِقُنْدٍ بِعُودٍ يَعود يُعِيدُ بِعِيدٍ المُجِلَّ المُجَلَّ
وَبَابَ وَثَابَ وَنَابَ وَتَابَ وَثَابَ وَبَاتَ وَيَلَّ وَيَلَّ

والمقصود بهذه القصيدة أن تجمع الألفاظ المتائلة في الرسم من غير اهتمام كبير بالمعنى (ولا بالرونق الشعري).

أما في سائر الكتاب فإنّ البلوي يعمد إلى تفسير هذه الكلمات وأمثالها في أشكالها المختلفة كما ترى في «المختارات من آثاره». وفي أثناء هذا الشرح اللغوي كان البلوي يستطرد إلى ذكر أشعارٍ وقصصٍ وتاريخٍ وحِكَمٍ وحسابٍ وأشياء تتعلّق بالإنسان والحيوان والنبات، وإلى أمورٍ من الأديان والمذاهب، ونوادرٍ من علم الصرف والنحو. ومع أن هذه المعارفَ عاديةً في الأكثر فإنّها منشورةٌ أيضاً على غير نظام. وقد أراد البلوي أن يكون هذا الكتاب وسيلةً إلى تثقيفِ ابنه، ولكنّ هذا الكتاب يُدْخِلُ على العقول تشويشاً. ولا نعلم ما الذي استفادَهُ عبدُ الرحيم بن البلوي من هذا الكتاب.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة «كتاب ألف با»:

..... أَمَا بَعْدُ - دَامَ لَنَا وَلَكُمْ السَّعْدُ - فَإِنِّي عَزَمْتُ، بَعْدَ اسْتِخَارَةِ ذِي الطَّوْلِ
وَمِنْ يَدِهِ الْقُوَّةَ وَالْحَوْلَ وَرَغَبْتُ إِلَيْهِ فِي السَّدَادِ^(١) فِي الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، عَلَى أَنْ أَجْعَ فِي
هَذِهِ الْأَوْرَاقِ كُلِّ مَعْنَى رَقٍّ أَوْ رَاقٍ تَمَّا هُوَ عِنْدِي مُسْتَحْسَنٌ لَا مُسْتَحْشَنٌ، وَمُسْتَمْلَحٌ لَا
مُسْتَقْبَحٌ، وَأَثْبَتَ فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا يُزَيِّرِي بِالْفَرَائِدِ^(٢)، وَمِنْ بَدَائِعِ الْعُلُومِ وَالْفُهُومِ مَا
يُرْتَقِي مِنَ التَّخَوُّمِ^(٣) إِلَى النُّجُومِ. وَجَمَلْتُ مَا أَوْلَفُ فِيهِ وَأُنْبِي^(٤) لِعَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِي
لِيَقْرَأَهُ بَعْدَ مَوْتِي وَيَنْظُرَ إِلَيَّ مِنْهُ بَعْدَ قَوْتِي^(٥)، إِذْ لَمْ يَلْحَقْ بَعْدُ - لَصِفَرِهِ - دَرَجَةً
النِّبْلَاءِ وَلَمْ يَبْلُغْ مَرْتَبَةَ الْعِقْلَاءِ. وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَا يَقْطَعَ بِهِ عَنْهُمْ،
فَيَكُونُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بَقْرَاءَةً هَذَا الْكِتَابِ فِي الزِّيَادَةِ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِالسَّادَةِ:
إِنَّ الْمَسَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُومُوهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا^(٦)!
وَسَمَّيْتُ مَا جَمَعْتُ لِهَذَا الطِّفْلِ الْمُرَبَّأِ^(٧): كِتَابُ أَلْفِ بَا.....

- من متن «كتاب ألف با» (١: ٢٨٠):

وَالْعَرَقُ: الطَّيْرُ تَصْطَفِّي فِي السَّمَاءِ، وَاحِدَتُهُ عَرَقَةٌ. وَالْعَرَقُ السَّطْرُ مِنَ الْخَيْلِ.....
وَمَقْلُوبُهُ قَعْرُ كُلِّ شَيْءٍ أَقْصَاهُ. وَبِشْرُ قَعِيرَةٍ. وَتَقَعَّرَ الرَّجُلُ إِذَا تَشَدَّقَ الرَّجُلُ وَتَكَلَّمَ
بِأَقْصَى قَعْرِ فِيهِ... وَمَقْلُوبُهُ أَيْضًا رَعَقٌ يَرَعَقُ رُعَاقًا، وَهُوَ صَوْتُ يَسْمَعُ مِنْ قَتَبِ^(٨)

(١) الطول (يفتح الطاء): البقاء، القدرة، الغنى. ذو الطول: صاحب الطول (الله). الحول: القوة.
السداد: الصواب في القول والعمل.

(٢) الفرائد جمع فريدة: الثمر (قطع من ذهب) تفصل بين اللؤلؤ في العقد. الفريد والفريدة: الجوهرة
(اللؤلؤة) النفيسة أزرق؛ عاب، جعل (الشيء) محترقاً.

(٣) التخوم جمع تخم (بالفتح أو الضم): الفاصل بين أرض وأرض (المقصود: الأرض).

(٤) أنبي (أنا) - من بنى يبني بناء (يؤلف).

(٥) بعد فوتي (موتي): بعد أن أمضي ويصبح عاجزاً عن اللحاق بي (عن الاستفادة مني).

(٦) البيت لأي تمام.

(٧) المرعى - يقصد: المرعى (المهذب، المثقف).

(٨) في القاموس: الرقيق صوت يسمع من بطن الدابة. ورعق كنع، أي مفتوح عين الفعل في الماضي
والمضارع (رعق يرعق بفتح العين فيها). قتب: سرج صغير.

الدابة.... ومقلوبه أيضاً رَقَعَ الثوبَ رَقْعاً ورقعته. والرقيعُ الأحق... ومقلوبه أيضاً عَقَرَ العقر، والعقر مصدر العاقر من النساء. وقد عَقَرَت المرأة، وعَقَرَت تَعَقَّرَ فهي عاقرٌ وعقير. وفي التنزيل^(١): «وامرأى عاقرٌ». والعاقرُ من الرمل ما لا يُنبتُ....

- وصفُ «كتاب ألفَ با» (١: ٦٤):

وهذا الكتابُ أَلْفَتُهُ - كما ذكرتُ - لولدي أو لِمَنْ يَكُونُ كَيْثْلُهُ مِنْ مُبْتَدِي. فَرُبَّمَا جَعْتُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ بَيْنَ الْفَتْ وَالسَّمِينِ وَالرَّخِيسِ وَالشَّمِينِ، وَالْجِدِّ وَالْهَزْلِ وَالضَّعِيفِ وَالْجَزْلِ^(٢)، كَمَا تَقَدَّمَ فِيهِ الْقَوْلُ مِنْ قَبْلُ، وَجَلَبْتُ مَا حَضَرَ مِنْ يَاسِرٍ وَأَخْضَرَ. وَعَقُولُ النَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي أَطْرَافِ أَقْلَامِهِمْ، بِهَا يُسْتَدَلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ. وَبِتَأْلِيفِهِمْ وَأَوْضَاعِهِمْ يُعْرَفُ الطُّوْلُ وَالْقِصَرُ فِي بَاعِيهِمْ^(٣) وَيُدْرَى اخْتِلَافُ طِبَاعِهِمْ....

- ومن نظمه:

★ ★ وظننتُ القويَّ يبقى على ما
فإذا القلبُ في الحقيقةِ قلبٌ
والذي قالَ قبلُ: «إني وإني»
فتذكرتُ قولَــةَ المتنبِّي،
(وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ
ظنَّ قومٌ بأنَّ حبيَّ إلهي
★ ★

(١) في التنزيل (الوحي): القرآن الكريم (٣: ٤٠، آل عمران): «وقال: ربِّ، أتني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأى عاقر ٤».

(٢) الفَتْ: التحيف (الفَتْ والسَمِين كتابة عن الرديه والجيد). الجزل: الكثير العظيم. والكلام الجزل: الفصيح الألفاظ المتين التركيب الجامع للمعاني الشريفة.

(٣) الباع: المسافة بين الكفَّين عند بسط الذراعين يميناً وشمالاً. طول الباع كناية على القدرة والبراعة، وتقصير الباع بخلاف ذلك.

(٤) قلب (الثانية) انقلاب، خلاف في الاتجاه. حال: تحول، تبدل.

(٥) من قال عن نفسه متبجحاً: «إني وإني».... كان خالياً من صفات الرجال، أي أنا لي كثير من صفات الرجال. محال (بالضم) ما لا يمكن وجوده أحياناً: صفات ليست تما يجتمع في الناس عادة).

(٦) البالة: الشجاعة.

غَلَطُوا فِي الْقِيَاسِ، مَا مِثْلُهُ يُشَدُّ
وَكَذَا حُبُّهُ يَجُلُّ عَنِ الْوَصْدِ
إِنَّمَا حُبُّهُ لَمَنْ كَانَ أَهْلًا
كُلُّ مَنْ كَانَ لِلْمَحَبَّةِ أَهْلًا
سَبَّهُ شَيْئاً فَيَقْتَضِي أَنْ تَقِيَسَهُ.
فَرِّ، تَعَالَى عَنِ الصِّفَاتِ الْخَسِيسَةِ.
لِلْمَعَالِي وَلِلْمَعَالِي النَّفِيسَةِ.
حُبُّهُ يَلْزِمُ النَّفْسَ الرَّئِيسَةَ.

٤ - كتاب ألف با (بتصحیح مصطفی وهی)، القاهرة (نشرته جمعية المعارف بمصر - المطبعة الوهبيّة) ١٣٨٧ هـ.

★★ التكملة، ٧٣٧ (رقم ٢٠٨٩)؛ صلة الصلة ٤١٧ - ٤٢٠ (رقم ٤١)؛ بروكلمن ١: ٣٧٨، الملحق ١: ٥٤٣ - ٥٤٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٧ (٨: ٢٤٧ - ٢٤٨)؛ سركيس ٣٠٠.

ابن شَكِيلِ الصَّدَقِيّ

١ - هو أبو العباس أحمد بن يعيش بن شَكِيلِ (بفتح الشين) الصَّدَقِيّ الشَّرِيشِيّ الأندلسي، تُوُفِيَ سَنَةَ ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) مُعْتَبِطاً (في شبابه بلا علة).

٢ - كان ابن شَكِيلِ الصَّدَقِيّ شاعراً مُجِيداً سَهْلَ الْقَوْلِ. ويبدو أنه لم يكن يتكسَّبُ بشعره. برَعَ في الوَصْفِ والتَّخْيِيلِ، له مُقَطَّعات في وصف الحَمَامِ وفي الأزهار. وقال، في أبي قَصَبَةَ الجَزُولِي الذي ثار على الموحِّدين سَنَةَ ٥٩٨ هـ ثم قُتِلَ وشيكاً، قصيدةً منها:

الله أطفأ ما أذكى أبو قَصَبَةَ من حَرْبِهِ، وَأَزَالَ السَّحَرَ بِالْغَلْبَةِ^(١).
فمن أرادَ سُؤلاً عن قَضِيَّتِهِ فجملة القول: إن الحقَّ قد غَلَبَهُ.
لقد شفى النفس أن وافى بهامته صدر القناة مكان الصدر والرقبة^(٢).

(١) أذكى: أشعل، أوقد (النار).

(٢) جاءوا برأيه مرفوعاً على رمح.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ شَكِيلٍ يَصِفُ حَمَّامًا:

تُلْهِى المِیونَ رُقُومُهُ فكَأَنَّهَا قد أَلِیَسَتْ سَاحَاتُهُ دِیابِجاً^(١)،
مِیوَعَةٌ أَضْدَادُهُ فَتَرَى بِهَا نَارَ الفُضَا والوَابلِ الثَّجَاجِ^(٢).
حَرَّانٌ مُنْكَسِبُ الدِّمُوعِ كَأَنَّا یَحْكِي، بِذَاكِ، العَاشِقَ المِیْتَاجِ.
دُحِیْتُ بِسِیْطَةِ أَرْضِهِ مِنْ مَرْمَرٍ فَعَجَرَ الزُّجَاجِ بِهِ وَثَارَ عَجَاجِ^(٣).
وَجَلَّتْ سَافَوْتُهُ السَّمَاءِ، وَإِنَّا جُعِلْتُ مَكَانَ النِّیرَاتِ رُجَاجِ^(٤).
قَامَتْ عَلَى عَمَدٍ جُلُیْنٍ عَرَائِشًا فَتَرَى لَهَا السَّمَكَ المُكَلَّلَ تَاجِ^(٥)!

- وَقَالَ فِي رَنْبَةِ (بِیضَاءٍ) أُوْدِعَتْ شَقِیْقَةً (حَمْرَاءَ):

سَوَسَنَةٌ بِیضَاءٍ قَدْ أُوْدِعَتْ شَقِیْقَةً قَانِیَّةَ البُرْدِ^(١)
أَبْیَضُهَا یَنْشِقُّ عَنْ أَحْمَرٍ كَالْبُرْقُوعِ انْشَقَّ عَنِ الحَدِّ.

٤-★★ الوافی بالوفیات ٨: ٢٧٧ - ٢٧٨؛ المقتضب من تحفة القادم ٩٧؛ الأعلام للزركلي (١: ٢٧١).

- (١) أرضه مبلطة برخام عليه أشكال مختلفة. الديباج: نسج من حرير.
- (٢) الفضا: شجر له نار شديدة. الوابل: المطر. الثجاج: الشديد الانصباب (في الحمام حر شديد وماء كثير).
- (٣) دحيت: بسطت، مهدت. جرى الزجاج به (فيه) وثار عجاجاً (غباراً): الماء الحار يتحرك فيه بخاراً لشدة الحرارة (كالفبار) ثم يتجمع قسم منه عند الزجاج فيسيل رطوبة. (شطرا البيت لا يأتلغان في المضى).
- (٤) جلت سافوته (سقوفه) السله: سقف الحمام يشبه السله منحوماً - كان سقف الحمام مزوداً بأكر زجاجية (تسمح للنور بالمرور) ولا تسرب الحرارة (لأن الهواء في هذه الأكر عازل للحرارة).
- (٥) قامت (سقوف) هذا الحمام: رفعت. عمد جمع عمود. جلبت العروس: عرضت على زوجها في أبيه زيتنها (كتابة عن جمال تلك الأعمدة بما عليها من النقش والزخرف). السمك: أعلى الشيء (السقف). المكمل (بتشديد اللام الأولى وفتحها: بيناتها للمجهول)، كانت السقوف أيضاً مزخرفة، فكأنها كانت أكاليل (من الأزهار) على رؤوس تلك الأعمدة.
- (٦) السوسنة: الزنبقة. الشقيقة (واحدة الشقائق: شقائق النعمان): زهرة برية حمراء البتلات وفي وسط كل بتلة بقعة صغيرة سوداء. قانية (لونها قان: شديد الحمرة - من الفارسية، قان: دم).

أبو عبد الله بن يربوع

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع، أصله من جَيَّانَ. كان مولده نحو سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م). سَكَنَ مُدَّةً في بَلَّسَ من أعمال لُورَقَةَ.

روى أبو عبد الله بن يربوع عن تَفَرِّ كثيرين، ولكن أكثر روايته عن أبي عبد الله ابن العربي وأبي القاسم السَّهيلي وأبي محمد القاسم بن دحان^(١). ثم إنه أقرأ فنونا كثيرة، منها: قراءة القرآن والحديث والعربية (النحو) والأدب. وكان يتردد في سبيل ذلك على جَيَّانَ وقيطاجة وأُبْدَةَ. وقد استوطن قيطاجة ثم أُبْدَةَ.

وكان وفاة أبي عبد الله بن يربوع في سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).

٢ - كان أبو عبد الله بن يربوع مُقرئاً ضابطاً ووافراً البضاعة من رواية الحديث، وقد كان بارعاً فيما ينقله. وكذلك كان بارعاً في علم العربية وعارفاً بالأدب، وبصيراً بالحساب. ثم كان كاتباً وشاعراً، ويبدو أن أكثر ميله كان إلى الهجاء مع شيء من البراعة والمرح. وقد ألف مجموعاً من الأشعار سماه «حديقة الأزهار»، وهو كتاب حسن، وتجد منه بضع مُقطَّعاتٍ في كتاب نفح الطيب (٥: ٦٠١ - ٦٠٢).

٣ - مختارات من شعره:

- لما جاء ابن يربوع إلى قيطاجة كتب إلى ماجد (٢) أن يُنْزله (في مسكن أو دار)^(٢) فأجابه ماجد: «في كلِّ جُحْر ضَبَّةٌ»^(٣). فردَّ عليه ابن يربوع بهذه الأبيات:

يا ماجداً إن جاد كان وضيعاً، أو قال قولاً كان فيه بديعاً.
قيطاجة قد ضَيَّقت أجحارها، وأرى لكم ما بينهنَّ وقوعاً^(٤).

(١) أبو عبد الله بن العربي وأبو محمد القاسم بن دحان (٢٢). ولعلَّ أبا القاسم السهيلي هو صاحب الروض الأنف والمتوفى سنة ٥٨١ هـ.

(٢) لعلَّ ماجداً هذا كان بنوياً شينا من الأحياس (الأوقاف) وتحت يده دور يمكن أن يسكن فيها الطائرثون على قيطاجة من أولئك الذين لا يجدون مسكناً أو لا يستطيعون ذلك.

(٣) الجحر: ثقب في الأرض تسكنه الحشرات. والضبَّة حيوان صحراوي يشبه الهرذون.

(٤) وأرى لكم ما بينهنَّ وقوعاً (أعتقد أنكم، يا ماجد، من أولئك الذين يسكنون أحد تلك الأحجار).

وَزَعَمَتْ أَنْ لِكُلِّ جُحْرِ ضِبَّةٍ، فَاسْتَبَدَّلْنَ مَكَانَهُ يَرْبُوعاً^(١).

- وقال يهجو مدينة لورقة:

أَخْسِنُ بَلْرُقَةً، لَا تُنْزِلُ بِسَاحَتِهَا، فَإِنَّ سَاكِنَهَا فِي الْوَيْلِ مَدْفُونُ.
أَرْضُ أَبِي اللَّهِ أَنْ تُنْشِيَ أَخَا كَرَمٍ: فَإِنَّهَا سَقَرٌ وَالْمَاءُ غَسْلِينَ^(٢).

- وقال أيضاً يهجو أبنَ أَخْلَى كَبِيرَ مَدِينَةِ لُورَقَةِ:

قَصَدْتُ أبنَ أَخْلَى فَالْفَيْتُهُ أَشَدَّ مُرَاراً مِنَ الْعَلَقَمِ^(٣).
عَلَى الْمَاءِ فِي دَارِهِ رَحْمَةٌ، وَفِيهَا عَلَى الْخَبْزِ سَفْكُ الدَّمِ^(٤).

٤- ** التكملة ٥٩٢: الذيل والتكملة ٦: ٧٦ - ٧٧ (رقم ١٦٩).

ابن بدرون

١- هو أبو مروان أو أبو القاسم^(٥) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرَانَ أَوْ بَدْرُونَ^(٦) الْحَضْرَمِيُّ الشُّلْبِيُّ، مِنْ أَهْلِ شُلْبٍ، رَوَى عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ بَلَدِهِ. وَلَعَلَّهُ عَاشَ مَدَّةً طَوِيلَةً فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شُلْبَ سَنَةِ ٦٠٨ (١٢١٢ م) أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ.

(١) لَا بَأْسَ أَنْ تَنْزِلِي مَكَانَ ضِبَّةٍ أَوْ ضِبَّةٍ مِنَ الضَّبَابِ. الْيَرْبُوعُ حَيَوَانٌ صَحْرَاوِي يُشَبِّهُ الْفَأَرَ وَلَكِنْ قَائِمَتِهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ قَصِيرَتَانِ جَدًّا وَقَائِمَتِهِ الْخَلْفَتَيْنِ طَوِيلَتَانِ جَدًّا هُنَاكَ نُورَةٌ بَيْنَ «يَرْبُوعٍ» (الحيوان الصحراوي) وَابْنِ «يَرْبُوعٍ».

(٢) تُنْشِي = تُنْشِيهِ. سَقَرٌ: مَكَانٌ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ (شَدِيدُ الْحَرِّ). الْفُلَيْنُ: الْوَسْخُ الَّذِي يَهِيلُ مِنَ الثُّوبِ عِنْدَ غَسْلِهِ، وَمَادَّةٌ تُسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ جَهَنَّمَ.

(٣) الْمَرَارُ (بِالضَّمِّ): يُقَالُ يَرَارُ مَرًّا. الْعَلَقَمُ شَجَرُ الْخَنْظَلِ (مَرَّ). لَا وَجْهَ لِلْقَوْلِ (فِي التَّرَكِيبِ النُّحَوِيِّ): «أَشَدَّ مُرَارٍ مِنَ الْعَلَقَمِ»، وَأَصُوبُ أَنْ يُقَالَ: «أَمَرُّ مَذَاقًا مِنَ الْعَلَقَمِ».

(٤) زَجَّةٌ: إِزْدِحَامٌ (لِقَلَّةِ الْمَاءِ فِيهَا).

(٥) بَرُوكْلِيَانُ ١: ٤١٥، الْمُلْحَقُ ١: ٥٧٩.

(٦) نَفْحُ الطَّيِّبِ ١: ١٨٥. - الْمَشْهُورُ بِدُرُونٍ (يَفْتَحُ الْبَاءَ) كَذَا ضَبَطَهَا إِحْسَانُ عِيَّاسٌ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١: ١٨٥) وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ (١: ٣٣٤). ثُمَّ ضَبَطَهَا بِضَمِّ الْبَاءِ (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣: ٤٧٠، السُّطْرُ التَّاسِعُ ثُمَّ ٧: ٢١٧، السُّطْرُ الثَّالِثُ عَشَرَ).

٢- هو الأديبُ (نفع الطيب ٧: ٢١٧) ابنُ بدرٍ، كان مُلمّاً بكثيرٍ من أوجه الثقافة وبالأحداث التاريخية خاصّة. وكان معروفاً بين أُنْداده وفي بَلَدِهِ بِاتِّساع المعرفة حتّى أمكنَ أن يطلبوا منه شَرْحَ قصيدةِ ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). وشُهْرُهُ ابنُ بدرٍ تَرْجِعُ في الحقيقة إلى شرحه على تلك القصيدة: «الدهرُ يَفْجَعُ بعدَ العين بالآثر» (كِيامة الزَّهر وصدَفَةُ الدُّرَر: شرح البَشامة^(١) بأطواق الحَمَامَة). ولولا تلك الشروحُ التاريخية التي عَلقها ابنُ بدرٍ على أبياتِ تلك القصيدة لَظَلَّ كثيرٌ من هذه الأبياتِ مُستغْلَقاً على القارئِ العادي.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة شرح البشامة (لاين عبدون):

... جَمَعَتِي يوماً من الأيام، مَعَ جماعةٍ من فرسانِ النُّثار والنظام، ندي^(٢) أدبٍ ومجلسٌ دعا إلى الإفاضة في هذا الشأنِ وَنَدَبَ. فأَقْضَنا قِداحَ المذاكرة في الأدبِ وَجَمالِهِ، وَأَقْضَنا أَقْداحَ^(٣) راحِ الحديثِ في الشَّعرِ ورجاله، (الشعر) الذي هو دِيوانُ العرب... وَذَكَّرْنا من دَرَجٍ من الأُمِّ، وَفَرَجَ^(٤) في الشَّعرِ أبواباً لم يَفْرَجْها غَيْرُهُ مَن كان له قَدَمُ القَدَمِ، وما أَبْدَعَ فيه من أنواعِ البديع.... كالتمسيط والإشارة والمقابلة والاستعارة والتوشيح والتجنيس^(٥).... ثم جُلْنَا في ذِكْرِ ذكر (٩) الإحالات

(١) نيكل ١٧٨، وفي عدد من المراجع: البشامة!

(٢) النثار (بالضّم): ما تناثر من الشيء. والمقصود هنا النثر (خلاف النظم: الشعر). النديّ والنادي محلّ اجتماع القوم للتداول.

(٣) القِداح جمع قَدَح (بالكسر): قطعة من خشب (أو غيره) تستخدم في الاستقسام (الميسر، القمار وغيره). الأقداح جمع قَدَح (بفتح ففتح): الكأس. الراح: الحمر.

(٤) درج: ذهب، مات، انقضى زمنه. فرج: فتح (أوجد أبواباً: أنواعاً جديدة).

(٥) البديع: تحسين اللفظ. التسميط: نوع من التوشيح (تعدد القوافي في المقطوعة الواحدة). الإشارة: اللمحة اليسيرة الدالة على المعاني الكثيرة أو البعيدة. والإشارة أنواع (راجع العمدة لابن رشيق، نشرها محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١: ٢٧١ - ٢٨٢). المقابلة تقال على الطباق (تضاد المعاني: أبيض وأسود، صغير وكبير). وتقال على الموازنة (تقابل صيغ الألفاظ في الجملة الواحدة: (ما جرى جارٍ في النهار وما سرى سارٍ في الليل). الاستعارة: نسبة فعل إلى الذي لا يفعله =

وَرَفَضْنَا مَا سِوَاهَا. وَذَكَّرْنَا مَا انْطَلَعَ فِيهَا وَمِنْ رَمِيدٍ حِينَ شَوَاهَا^(١). فَأَنْشَدَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ قَصِيدَةَ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ وَنٍ... فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْمُلُوكِ ثُمَّ ذَبَّتْ إِلَيْهِمُ الْأَيَّامُ أَيُّ دَيْبٍ، وَأَلْحَقَتْ شَمْسُهُمْ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ بِالْغَيْبِ، وَمَشَتْ إِلَيْهِمُ الضَّرَاءُ^(٢)... فَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَعْرِفْ كُنْهَ^(٣) حَالَاتِ تِلْكَ الْإِحَالَاتِ حَتَّى كَانَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ: مَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِلَّا كَالْمُعَمَّى^(٤). فَكَانَ فِي الْقَوْمِ مَنْ أشارَ نَحْوِي وَقَالَ: لَوْ شَاءَ فَلَانٌ لَا فَتَنْتَحَ رِجَالُهَا الْمُبْهَمَ، وَأُنْجَدَ فِي قِصِّ أَخْبَارِهَا وَأُنْهَمَ^(٥).

- مثال من الشرح:

« وَلِيَتَهَا إِذْ قَدَّتْ عَمْرًا بِجَارِجَةٍ قَدَّتْ عَلِيًّا بِنِ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ ».

هذا الذي ذُكِرَ هو عمرو بن العاص.... وخارجة رجلٌ من سَهْمِ بْنِ عمرو بن هُصَيْنٍ رَهْطِ عمرو بن العاص. وكان من خَبَرِهِ أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرٍو - كَمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ - مَشَى زَادَوِيَّةَ مَوْلَى بَنِي الْعَنْبَرِ إِلَى عمرو بن علي وَعَظَمَ مَعَ صَاحِبِيهِ^(٦)، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَأَرْصَدَ لِعَمْرٍو^(٧). وَشَكَا

عادة: ابتم البرق - (فالبرق لا ينسم، ولكنه شبه بالإنسان ثم نسب إليه فعل من أفعال الإنسان).
التوسيع: بناء القطعة الشعرية على أسطر معينة في العدد والأوزان محتومة بقوافٍ مختلفة ولكن على نسق معلوم. التجنيس: المجيء في الجملة الواحدة بكلمات تتفق في اللفظ وتختلف في المعاني الصنائع: الأوراق والرسائل إلى جانب الصنائع أي السيوف).

(١) ذكر ذكر (كذا في الأصل)... الإحالات. الإحالة (نسبة الشيء إلى العالم به!). الرمد (يفتح فكسر)

الكدر، الماء الأخر (المتغير، الفاسد). شوى الرجل الرجل: أصاب منه مقتلاً.

(٢) ذبَّتْ إليهم الأيَّامُ: عدت عليهم وقتت. أصابتهم بالزوال، الضراء: الشدة، الحال المضرة.

(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته وغايته (وسره).

(٤) المعمى: الأحجية (المعنى المضمحل الغامض).

(٥) الرتاج: الباب. أنجد: جاء نجداً (المكان العالي) وأنهم: جاء نهامة (المكان المنخفض) - قدر على كل شيء.

(٦) مع صاحبيه: عبد الرحمن بن ملجم (بضم فسكون ففتح) الذي أراد قتل علي بن أبي طالب ثم الحجاج ابن عبد الله المعروف بالبرك (بضم ففتح) التميمي الذي أراد قتل معاوية.

(٧) تخفى ليقول عمراً (كان عمرو بن العاص يرم من قصره إلى المسجد في كل يوم لصلاة الفجر... في يوم معروف).

عمرو في تلك الليلة من بطنه فلم يخرج للصلاة. فخرج خارجاً^(١) ليُصلّي بالناس عوضاً عمرو. فظنّه زادويه عمراً^(٢) فضربه وقتله. وأخذ (زادويه) ودخل به على عمرو فسمعهم يحاطبونه بالإمارة، فقال: أو ما قتلْتُ عمراً؟ قيل له: لا، إنّنا قتلنا خارجاً. فقال: أردتُ عمراً والله أرادَ خارجاً. فذلك قوله: وليتها. والهاء عائدة على الليالي...

- ولابن بدرون في الغزل (نفع الطيب ١: ١٨٥):

المشقُّ لذته التّعنيتُ والقُبْلُ، كما مُنْغَصُّ التّثريبُ والعذلُ^(٣).
يا ليت شعري، هل يُقضى وصالكم؟ لولا النسي لم يكن ذا العمر يتصل!

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، لندن ١٨٤٦ - ١٨٤٨ م؛ كرامة الزهر وصدفة الدرر (شرح البسامة)، مصر ١٣٤٠ هـ؛ في «مجموعة....» (نشرها محي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ (٢).

★ الصلة رقم ٨٣١، التكملة (رقم ١٧٢٧) الذيل والتكملة ٥: ٢١؛ نفع الطيب ١: ١٨٥، ٥٢٩، ٤: ٣٥٣؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠ (في ترجمة ابن عبدون)؛ بروكلمن ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩ - ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٦ (١٦١)؛ نيكل، راجع ١٧٦ (البسامة لا البسامة)؛ تاريخ النقد الأدبي لدابة ٢١١ - ٢١٥؛ سركيس ٤٥.

الكانميّ الأسود

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب^(١) الكانميّ، نسبة إلى كانم^(٥) من قرية

(١) خارجة بن حذافة رئيس الشرطة لعمرو بن العاص.

(٢) زادويه أو دادويه مولى بني النضير.

(٣) التعنيت: أخذ أحد الشخصين بعنق الآخر. التثريب والعذل: اللوم.

(٤) في المقتضب: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. وفي تاج العروس أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

(٥) في تاج العروس: كانم جنس من السودان وهم بنو عم تكرر ثم بلدة بنواحي غانة، وهي دار ملك السودان الذي يجنوب الغرب (المغرب) وكذا تكرر اسم للأرض. ونفع كانم إلى الشرق والشرق الشبالي من بحيرة شاد سكنها أولاد سليمان والشوا (وهم من عنصر عربي). ويبدو أن بعضهم جاء من =

اسمها بَلْعَةً. ويبدو أنه كان من العرب الذين انتقلوا إلى كاثم من ليبيا، ومن أجل ذلك يُزاد في نسبه « الذكواني السلمي »^(١). وقد اكتسب لونه الأسود ولقبه أيضاً من سكناه في السودان (الغربي).

وجاء الكانمي، قبل سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)، إلى مراكش وأقرأ فيها الآداب ثم دخل الأندلس ومدح أكابر الدولة. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م) أو ٦٠٩.

٢ - الكانمي الأسود أديبٌ شاعرٌ مشهور^(٢) ولم يُعرف في أرضه شاعرٌ سواه^(٣). كانت العُجمة غالبية عليه، ولكنه كان شاعراً مُحسناً جيدَ النظم رُوِيَ له أبياتٌ في الحكمة والفخر مع شيء من التصنيع. وكان عارفاً بالنحو.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكانميُّ الأسودُ يفتخرُ بنفسه وَيَعْتَذِرُ لِلْوَنَةِ الْأَسْوَدِ:

إِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِي الْعُجْمُ حُلَّتَهَا فقد نَهَانِي إِلَى ذِكْوَانِهَا مُضَرًّا^(٤).
فلا يَسُوكَ من الْأَغَادِرِ حَالِكُهَا إِنْ كَانَ بَاطِنُهَا الصَّمَامَةُ الذَّكْرُ^(٥)!

ليبيا بعد أن كانوا قد انتقلوا إليها وإلى تونس من صعيد مصر في منتصف القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) وكان في جمهورية تناد اليوم..

(١) الذكواني السلمي نسبة إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة (بضم الباء) بن سليم (بضم السين وفتح اللام) (راجع عجلة المتبدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر محمد بن أبي عثمان الهازمي الحمادي، الطبعة الثانية - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ص ٦٢).

(٢) القاموس ٤: ١٧٣.

(٣) الواقي بالوفيات ٦: ١٧٠.

(٤) العجم: غير العرب (والمقصود هنا: الزنج). غاني: رفيعي، رفع نسي، وصل نسي. مضر جد لعرب الشمال.

(٥) القمد: قراب (بيت) السيف. الحالك: الأسود اللون. الصمصامة: السيف الذي يتقطع في العظام. الذكر: الذي سقى الذكرة (بضم الذال المعجمة): الفولاذ فأصبح لبناً من غير أن ينكسر، ثم أصبح مصقولاً أبيض.

- وقال في الموت وفي غفلة الناس في حياتهم:

أفي الموت شك، يا أخي، وبرهان! فقيم هجوع الخلق والموت يقطان^(١)!
أتسلو سلو الطير تلتقط حبها، وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان^(٢)!

- وقال يُعبّر عن كُرْهِه للهجاء:

كم سائل: لم لا تهجو؟ فقلت له: لأنني لا أرى من خاف «من هاجي».
لا يكره الدم إلا كل ذي أنف، وليس لؤم لثام الخلق «منهاجي»^(٣)!

- ودخل الأديب أبو اسحاق إبراهيم بن يعقوب الكائن على المنصور الموحد
فأنشده (الاستقصا ١: ١٨١):

أزال حجابَه عني، وعيَني تراه من المهابة في حجاب.
وقربني تفضُّله، ولكن بُعدتُ مهابةً عند اقترابي.

٤-★★ الوافي بالوفيات ٦: ١٧٠ - ١٧١ المقتضب ١٠٩ - ١١٠ نفع الطيب ٤:
٣٨٠ الاستقصا ١: ١٨١ تاج العروس ٩: ٥١.

محمد بن سيدراي

١- هو أبو بكر محمد بن سيدراي^(١) بن عبد الوهاب بن وزير^(٢) القيسي من
أمراء المغرب، كما كان أبوه من قبله وابنه عبد الله من بعده^(٣). وظل أبو بكر بن

(١) وبرهان (أي هل يحتاج إلى برهان؟). الهجوع: النوم.

(٢) أتسى، أيها الإنسان، نفسك وأنت تتمتع بالحياة، كما تنسى الطير نفسها وهي تلتقط طعامها من

الأرض، وقد يكون حولها أشراك وفوقها في الجو عقبان (طيور كاسرة)؟

(٣) الأنف: الاستكبار (ترك الأمور التي لا تليق بالرجل النبيل). لؤم (كذا في الأصل بالهمزة)

والأصوب أن تكون «لوم» بالواو (هجاء).

(٤) في «نفع الطيب»: سدراي. (راجع ٤: ٣٦٥، الحاشية: سيدراي). وفي «المغرب» سدراي.

(٥) كذا في نسق نسبة (الحلة السراء ٢: ٢٧١). وفي المغرب ونفع الطيب: كان كاتباً ووزيراً.

(٦) راجع مناقشة طويلة مفيدة في تحقيق حول ولاية آل سيدراي في الأندلس (الحسين مؤنس، الحلة السراء

٢: ٢٧٢).

سيدر اي والياً على قَصْرِ الفتح حَتَّى مَقْتَلِهِ فِي وَقْعَةِ الْعِقَاب^(١)، نصف صفر من سنة ٦٠٩ (١٧ / ٧ / ١٢١٢ م).

٢- كان مُحَمَّدُ بْنُ سِيدْرَاي، كَأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ رَجَالَاتِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ وَقَائِداً كَبِيراً. وَكَانَ شَاعِراً مُحَسِّناً مِنْ فَنُونِهِ الْحِمَاسَةُ وَالْفَزْلُ وَالطَّرْدُ (فله وصفٌ فِي الْكَلْبِ وَشَعْرٌ فِي حِمَامَةٍ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيدْرَاي فِي الْحِمَاسَةِ، فِي مَعْرَكَةِ انْتَصَرَفِيهَا عَلَى الْأَسْبَانِ^(٢):
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَى الطَّمَنُ بَيْنَنَا فَمِنَّا وَمِنْهُمْ طَائِحُونَ عَدِيدُ^(٣):
رَجَالُ غِرَارُ الْهِنْدِ فِينَا وَفِيهِمْ فَمِنَّا وَمِنْهُمْ قَائِمٌ وَحَصِيدُ^(٤).
فَلَا صَدْرَ إِلَّا فِيهِ صَدْرٌ مُثَقَّفٌ، كِلَانَا عَلَى حَرِّ الطِّمَانِ جَلِيدُ^(٥).
وَلَكِنْ شَدَدْنَا شِدَّةً فَتَبَلَدُوا، وَمَنْ يَتَبَلَّدُ لَا يَزَالُ يَحِيدُ^(٦).
فَوَلُّوا وَلِلْبَيْضِ الرِّقَاقُ بِهَامِهِمْ صَلِيلٌ وَلِلسُّمْرِ الطِّوَالِ وَرُودُ^(٧)!

(١) كانت وقعة العقاب (بكر العين) قرب جيان، جنوبي الأندلس، وقد انهزم الموحدون فيها وباد معظم جيشهم.

(٢) لعله قال هذه الأبيات بعد المعركة (التي استردَّ الموحدون فيها قصر الفتح من البرتغاليين ٥٨٧ هـ ١١٩١ م).

(٣) طاح يطوح وبطيح: هلك.

(٤) الغرار: حدّ السيف. غرار الهند (نسبة إلى السيوف التي كانت تصنع في الهند وتعرف عند عرب الجاهلية بمجودتها). الحصيد: المحصود (كناية عن القتل).

(٥) - فلا صدر (إنسان) إلا فيه صدر مثقف (صدر الرمح: القسم الأعلى من الرمح) كناية عن أن القتال كان مواجهة (لم يهرب أحد من الفريقين فيطعن في ظهره في أثناء هربه).

(٦) شددنا: هجمنا. تبَلَدُوا (كسلوا عن القتال، ملّوا). حاد: مال عن الطريق. ولا معنى واضحاً لها هنا. «لا يزال» حقها أن تَجرَمَ (لا يزال) لأنها جواب الشرط. وقد جزم الشاعر فعل الشرط «يتبلد».

(٧) ولوا: هربوا. البيض: السيوف. هَامِهِمْ: رؤوسهم. صليل: صوت. السمر: الرماح. ورود: شرب. الرماح كانت ترد (أي تشرب دماءهم). في نفع الطيب (٤: ٣٨١، ٤٦٥):..... بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سحود.

- وقال في النسب:

وَمُرْتَجِ الْأَعْطَافِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ مُتَعَلِّلٌ أَبَدًا بِصِرْفِ مُدَامِهِ (١) .
خَنِيْتُ الْحَاجِرِ وَالْجُفُونِ كَأَنَّا يَسْرِي فَتَوَرُّ جُفُونُهُ لِكَلَامِهِ (٢) .
فَضَحَ الْمَلَالُ بَوَجْهِهِ، وَلَرِيًّا فَضَحَ الْقَضِيبَ بِلِينِهِ وَقَوَامِهِ (٣) .
وَعَدَا شَقِيقَ سَمِيهِ فِي حَسَنِهِ وَعَدَا الْعَنَا وَقَفَا عَلَى لُؤَامِهِ (٤) .

٤- ** الحلة السراء ٢: ٢٧١ - ٢٧٥، ٢٩٧، المغرب ٢: ٤٣٠؛ نفع الطيب ٣: ٤٠٧ - ٤٠٨، ٤: ٣٨١، ٤٦٥، الأعلام للزركلي ٧: ٢٥ (٦: ١٥٤).

أبو العباس الجراوي

١- هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي^(١)، نسبة إلى قبيلة جراوي (وكانت مساكنها بين قسطنطينة وقلعة بني حاد، بالجزائر اليوم) وأصله من تادلة (قرب فاس، بالمغرب الأقصى)، ونسبه في بني غفجوم البربر. وقد كان مولده سنة ٥٣٠ (١١٣٥ م) قرب فاس (٢).

سكن أبو العباس الجراوي مراكش ودخل الأندلس مراراً. وكان الجراوي قد اتصل بالموحدين منذ أيام أوليهم عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، ثم استمرت

(١) مرتج العطف (بكسر العين: الجانب الأعلى من البدن): متايل الجسم (من الدلال أو السكر). المقصود أنه «يفعل الشيء الواحد مرة بعد مرة». صرف الراح: الراح (الخمر غير المزوجة بماء) التي تحدث في شاربها سكرًا شديدًا.

(٢) مسترخي الحاجر (العيون) من الدلال لا من المرض. يسري (يسير ليلًا): يتر، ينتقل. فتور: هدوء.

(٣) ولريًا (كذا في الأصل)، ولو كانت: «ولطالما» كانت أصح وأبلغ. القضيب: الفصن.

(٤) سميه: الذي له مثل اسمه (القمرة). العناية: التنب (أصبح التنب على الذين يلومونه - أي يلوموني على حبه - لأنني لن أسمع منهم).

(٥) يقال فيه أيضاً: الكوراني والكوراني والكراوي. وقيل جراوي مكناسة اسم موضع. وقيل جراوي أو كراوة أو كوراي قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس. وقيل كوراية براهب يعيهم أهل المغرب - راجع في كل ذلك (وفيات الأعيان ٧: ١٧٦، الفصون اليازمة ٩٨، ١٥٨).

صِلَتُهُ بِهِ وثيقةً وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاته في إشبيلية، سنة ٦٠٩ (١٢١٢ م) في الأغلب.

٢- أبو العباس الجراويُّ شاعرٌ مشهورٌ، ولكنَّ شعره الذي وصل إلينا لا يُبرِّر شهرته. وقد كان كثيرَ التكبرِ مُعتدّاً بنفسه شديدَ الحسد للشعراء، لا يُقرُّ لأحدٍ منهم بالتقدم عليه. وشعره متينٌ مشرقِي الديباجة سهلُ التراكيب يدورُ في مُعظمه على المدحِ والهجاء والحكمة والغزل والوصف. وهو يُكثرُ الاتكاءَ في وصفِ المارك على أيِّ تمامٍ والمنتبى. وأولع بالهجاء حتَّى هجا قومه. وله هجاء للمدُن والناس، ورُبَّما أقدَحَ في هجائه. وكان الجراويُّ حافظاً لكثيرٍ من شعر القدماء والمُحدثين جَمَعَ منه كتاباً عَوانه: «صفوةُ الأدب ونُخبةُ كلام العرب» (ويُعرفُ باسم «الحماسة المغربية») صنَّعه على مِثال حماسة أيِّ تمام.

٣- مختارات من شعره:

- في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) جاز المنصورُ الموحديُّ إلى الأندلس وقاتل الإسبانَ في معركة الأرك وانتصر انتصاراً مُبيناً زاد في وَجاعة الموحدين وشدَّد عزائم المسلمين وردَّ الخطرَ عن الأندلس مدَّةً من الزمن. فقال أبو العباس الجراويُّ يمدحُ المنصورَ الموحديَّ:

هو الفتحُ أَعيا وصفهُ النَظَم والنَثرا	وَعَمَّتْ جَمِيعَ المُسلمين به البُشرى،
وأنجَدَ في الدنيا وغارَ حَدِيثُهُ	فراقت به حُسنًا وطابت به نُشْرًا ^(١) .
لقد أوردَ الأذقونشُ شِيعَتَه الرَدَى	وساقَهُمُ جَهلاً إلى البَطْشَةِ الكَبْرِى ^(٢) .
أطارتُهُ شَدَاتٌ تولَّى أَمامَها	شريداً وأنستهُ التعاطُظُ والكُفْرا ^(٣) .

-
- (١) أُمجد: جاء إلى البلاد العالية. غار (يقصد أغار): جاء إلى البلاد المنخفضة. النشر: الرائحة الطيبة.
- (٢) الأذقونش والفونش من أسماء ملوك إسبانية (يبدو في المصادر العربية أَنَّهُ لقب للملك الإسباني). وقد انتصر المنصور الموحدي في معركة الأرك هذه على ألفونس الثامن، سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م).
- البطشة الكبرى: الهزيمة في معركة الأرك.
- (٣) الشدة: الهجمة.

رَأَى الْمَوْتَ لِلْأَبْطَالِ حَوْلَيْهِ يَنْتَقِي
وَقَدْ أَوْرَدَتْهُ الْمَوْتَ طَعْنَةً نَائِرٍ
وَلَمْ يَنْتَقِ مِنْ أَفْنَى الزَّمَانِ حُمَاتِهِ
وَدَارَتْ رَحَى الْهَيْجَا عَلَيْهِمْ فَأَصْبَحُوا
يَطِيرُ بِأَسْلَافِهِمْ كُلُّ قَشْعَرٍ
فَكَيْفَ رَأَى الْمُغْتَرَّ عُقْبَى اغْتِرَارِهِ؟
وَكَانَ يَرَى أَقْطَارَ أُنْدُلُسٍ لَهُ
فَسْلَاهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ عَنِ الْمُنَى
فَطَارَ إِلَى أَقْصَى مَصَارِعِهِ دُغْرًا^(١)
وَإِنْ لَمْ يُفَارِقْ مِنْ شَقَاوَتِهِ الْعُمْرَ^(٢)
وَجَرَّعَهُ مِنْ فَقْدِ أَنْصَارِهِ صَبْرًا^(٣)؛
هَشِيئًا طَحِينًا فِي مَهَبِّ الصَّبَا مَذْرَى^(٤)،
فَمَا شِئْتُ مِنْ نَسْرِ غَدَا بَطْنُهُ قَفْرًا^(٥)!
وَكَيْفَ رَأَى الْغَدَارَ فِي غَيِّهِ الْغَدْرَا؟
مَتَى يَرْمِ لَمْ يُخْطِئْ بِأَسْهُمِهِ قَطْرًا
فَمَا يَرْتَجِي مِمَّا تَمَلَّكَهُ شَيْئًا
وَقَالَ يُهْنِئُ النَّصُورَ الْمُوَحَّدِيَّ بِالْعِيدِ:

شَيْلَلْتُ بِبِقَائِكُمُ الْأُمَمَ
وَهَمْتُ دَيْمٌ مِنْ رَاحَتِكُمْ
وَعَنَنْتُ لِعَزَائِمِكُمْ عَرَبًا
أُسْدٌ تَنْقَادُ الْأُسْدَ لَهَا،
حُمِدَتْ شَيْئُ الْأَيَّامِ بِكُمْ،
أَعْيَا الْبُلْفَاءُ مَقَامَكُمْ
وَسَمَّيْتُ بِرَجَائِكُمُ الْهَيْمَمَ
هَيْهَاتَ تُسَاجِلُهَا الدَّيْمُ^(١)!
تَشْقَى بِصَوَارِمِهَا الْعَجَمَ^(٢)،
يُهَمُّ تَنْقَادُ لَهَا الْبُهَمَ^(٣)،
وَلَكُمْ ذُمَّتْ مِنْهَا الشَّيْمُ!
وَلَوْ أَنَّ مَقَالَهُمْ حِكْمُ^(٤)

(١) فطار إلى أقصى... (٢).

(٢) الشاعر: (هنا) المنصور الموحدي. يقول الشاعر إن ملك الإيبان مات في المعركة في مقتبل العمر، مع أن ألفونس الثامن عاش نحو ستين سنة وتوفي عام ١٢١٤ م (٦١١ هـ).

(٣) الصبر (يجب تسكين الباء فيها حتى تستقيم في الوزن). الشاعر يقصد الصبر (بفتح فس): عصير شجر مر.

(٤) الرحي: الطاحون. الصبا: ريح الشرق (هنا: الريح). مَذْرَى (مفروق).

(٥) الشلو (بالكسر) المضو، بقية الجسم بعد تقطيعه. - غداً بطنه قفراً (٤): قبرا.

(٦) همى، سح، انسكب المطر. الدية: الغيمة المملوءة بالماء. تساجلها: تبارى، تعادها، تساوى، تشبهها.

(٧) عنى: خضع. الصارم: السيف. العجم (في الأندلس) النصارى الذين لم يتعلموا العربية (والنصارى الذين تكلموا العربية كان اسمهم المستعربين).

(٨) البهم جمع بهمة (بضم الباء): الصخرة، الرجل الشجاع.

(٩) - البلغاء عجزوا (بفتح الجيم) عن توفية حَقِّكَ من المدح...

العيدُ أحقُّ بتَهْنِئَةٍ فله بِكُمْ فخرٌ عَمَّ.

- وقال يهجو مدينة تادلا وأهلها من بني غَفْجُومٍ ثم يستطردُّ إلى هجاء قومه بني

الملجوم:

يا ابنَ السَّيْلِ، إذا نَزَلْتَ بتادِلا لا تَنْزِلَنَّ على بني غَفْجُومٍ^(١).
أَرْضٌ أَغَارَ بِهَا الْعَدُوُّ فلن تَرى إِلَّا مُجَاوِبَةَ الصَّدى لليوم.
قَوْمٌ طَوَّوْا ذِكْرَ السَّاحَةِ بَيْنَهُمْ لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا لَوَاءَ اللُّومِ^(٢).
لا حَظٌّ في أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمِ لِلسَّائِلِ العافي ولا المحرومِ^(٣).
لا يَمْلِكُونَ، إذا اسْتَبِيحَ حَرَمُهُمْ، إِلَّا الصُّرَاخَ بدعوة المظلومِ^(٤).
يا لَيْتَنِي من غيرهم، وَلَوْ أَنَّنِي من أَهْلِ فاسٍ من بني الملجوم.

- وقال في هجاء أهل فاس:

مضى اللُّومُ في الدُّنيا طريداً مُشْرِداً يَجُوبُ بِلادَ الله شَرْقاً وَمَغْرِباً.
فَلَمَّا أَتَى فاساً تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً!

- كان أبو العباس الجراويُّ في تُونِسَ، فتناول فتى - كان الجراويُّ يميلُ إليه -

سوسنةَ صفراءَ وأدناها من خَدِّه، فقال الجراويُّ ارتجالاً:

وَعُلُوِّي الْجَمَالَ إذا تَبَسَّدَى أراك جَبِينُهُ بدرأً وناراً^(٥)؛
أشار بِسُوسَنِي يَحْكِيهِ عَرَفَاً وَيَحْكِي لَوْنَ عاشقه اصفراراً^(٦).

(١) ابن السبيل: المسافر الذي انتقطع (فقد ماله ووسائل المودة إلى بلاده).

(٢) الساحة: الجود، الكرم. اللوم = اللوم.

(٣) النوال: العطاء. العافي: طالب المعروف (العطاء)، المحتاج.

(٤) الصراخ بدعوة المظلوم: الاستنجاد، القول بأنهم مظلومون.

(٥) علوي نسبة إلى علو (بضم فسكون): أعلى كل شيء. علوي الجمال: ذو جمال فوق طور البشر (كجمال الملائكة، في خيال الناس). أراك جبينة بدرأً (طلعة بيضاء مضيئة) وناراً (احمراراً يزيد البياض جلالاً).

(٦) أشار بسوسن (بحدّ شبه السوسن: الزنبق الأبيض) يحكيه (يشبه السوسن أيضاً) عرفاً (رائحة طيبة) (٢). ثم إنَّ البياض في الحدّ، إذا خالطه شيء من الصفرة كان أكثر جلالاً. ولكن الصفرة الكثيرة في =

٤-★★ زاد المسافر ٤٩ - ٥١؛ الوافي بالوفيات ٨ : ٦١؛ وفيات الأعيان ٧ : ١٣٦ -
 ١٣٧ برنامج الرعيي ٢٠٤؛ الفصول الياضة ٩٨ - ١٠٣؛ نفع الطبيب ٣ :
 ٣٠٩ - ٢١٠، ٢٣٨، ٤ : ٨٧ - ٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٩، ٥٩٨ -
 ٥٩٩، ٦٨٠ - ٦٨١، ٦٨١ - ٨٥٤، ٨٥٨، ٩٠٩، ٩١٠؛ الأدب المغربي؛ الأعلام
 للزركلي ١ : ١٤٥ (١٥٠)؛ الأدب المغربي ١٩٣ - ١٩٨.

الجزوليّ النحويّ

هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَحْت بن عيسى بن يُوما ريليّ الجزوليّ
 اليزدكَنْتِي، وُلِدَ نحو ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م).

رَحَلَ الجزوليّ هذا إلى المشرق وَحَجَّ ثُمَّ نَزَلَ بِمِصْرَ فَقَرَأَ النحوَ على ابنِ بَرِّي (ت
 ٥٨٢ هـ): قرأ عليه كتاب «المُجَلِّ» للزَّجَّاجي. وكذلك قرأ مذهبَ مالِكٍ وأصولَ
 الفقه على الفقيه أبي منصورٍ ظافرٍ بنِ الحسين (ت ٥٩٧ هـ). وعاشَ في مِصْرَ فقيراً
 يَعْمَلُ لِيَعِيشَ ولم يَدْخُلْ مدرسة^(١).

وعاد الجزوليّ إلى المَغْرِبِ ونَزَلَ في المَرْيَّة (الأندلس) ونالَ حُظُوَّةً عندَ الموحِّدين.
 ثمَّ إِنَّهُ انتقل إلى بجاية (في المغرب الأوسط) وأقامَ فيها مُدَّةَ الإقراء والتدريس، ثمَّ
 انتقل إلى مَرَّاكُشَ وتولَّى الخطابةَ في جامعها.

وكانت وفاةَ الجزوليّ النحويّ في أزمورَ (وقيل في هَسْكَورة)، قُرْبَ مدينةِ
 مَرَّاكُشَ، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ - ١٢١١ م)، وقيل قُبَيْلَ ذلكَ أو بُعِيدَ ذلكَ ولكنْ
 قَبْلَ سَنَةِ ٦١٠ هـ. واختار ابنُ قُنفُذٍ (كتاب الوفيات، ص ٦٠٤): سَنَةَ ٦١٦ هـ.

كان أبو موسى الجزوليّ ميزواراً (في البربرية: مُقَدِّماً في قومه)، وكان تَقِيّاً
 فاضلاً، وقد عَيَّنَهُ الموحِّدون للكُشْفِ على القُضاةِ والوُلاةِ (مفتشاً) يُقَيِّمُ مِنْهُمْ بِعَدَالَتِهِ

= الوجه (من المرض، مثلاً) عيب. ولون وجه العاشق يكتب صفرة من الشق الذي يصبح في صاحبه مرضاً.

(١) المدرسة (في الإسلام): مؤسسة تنشئها الدولة أو ينشئها الأفراد للتعليم، ولكنَّ خاصَّتها أن يكون
 المبيت فيها والطعام مجَّاناً.

وأمانته ونزاهته. وكان الجزولي إماماً في النحو، له «المقدمة» (وتُعرف أيضاً باسم الكراسة والقانون والاعتاد)، ألّفها في مصر، وقد نُبِجَتْ له من الأسئلة التي كان هو يُلقِيها على ابن بَرِّي في أثناء قراءة كتاب «الجمل» ومن الأسئلة التي كان يُلقِيها غيره من الطلاب. و«المقدمة» هذه شديدة الإيجاز مُجرّدة من الأمثلة والشواهد. من أجل ذلك كانت غامضة عسيرة الفهم فشرّحها جماعة، ولكن ظلت قليلة الفائدة العملية. ومع ذلك فالناس كثيرون اهتموا بها.

وللجزولي أيضاً: أمال (في النحو) - مختصر الفسر لابن جني (في شرح ديوان المتنبي) * - شرح أصول ابن السراج - شرح بانث سعاد

- شرح قصيدة «بانث سعاد»

★ ★ انباء الرواة ٢: ٣٧٨ - ١٣٨٠ الوافي بالوفيات ٥: ٦٣٣، التكملة ٦٩٠ (رقم ١٩٣٢)،
وفيات الأعيان ٣: ٤٨٨ - ٤٩١، صلة الصلة ٥٣ - ٥٤ (رقم ٩٥)، ابن قنفذ ٣٠٧ -
١٣٠٨ بغية الوعاة ٣٦٩ - ٣٧٠، شذرات الذهب ٥: ٢٦، دائرة المعارف الإسلامية ٢:
١ بروكلمن ١: ٣٧٦، الملحق ١: ٥٤١ - ٥٤٢، الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٨ (١٠٤)، النبوغ
المصري ١٥٢ - ١٥٣.

أبو جعفر الحِميري المؤدّب

١- هو أبو جعفر أحدُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يحيى الحِميريِّ الوزغي. وُلِدَ سَنَةَ ٥١٤ هـ (١١٢٠ - ١١٢١ م) من أهل قَرْطُبَةَ؛ أذَرَكَ جَماعَةً من كِبارِ المُلَمّا في الأندلس فأخَذَ عنهم القُرْآنَ والحديثَ والآداب. ثم إنّه جَلَسَ للتأديب والإقراء يقرأ على الطالبين ديوانَ الحماسة وديوانَ المتنبي من حفظه. وكانت وفاته في صَفَرٍ من سَنَةِ ٦١٠ (صيف ١٢١٣ م).

٢- كان أبو جعفر الحِميريُّ المؤدّبُ مُحبّاً للعلم واسع الرواية للأدب من شعرٍ ونثرٍ وأمثالٍ وما يَتَمَلَّقُ بها من أخبارٍ وأسبابٍ وأحوالٍ، حَسَنَ التحديث. وكان خطيب جامع قرطبة.

٣- مختارات من آثاره:

- كان عبد الواحد المراكشي يدرسُ على أبي جعفر الحفيري، فأنشد المراكشي شيئاً من شعره أمام أبي جعفر - وكان عصام بن أبي جعفر حاضراً - فالتفت أبو جعفر إلى ابنه وقال له:

هذا - والله - الشعر، لا ما كنتُ تُصدِّعني به طولَ نهارك. إن كنتَ تقولُ مثلاً هذا (الذي قاله عبد الواحد المراكشي) وإلا فاسكت.

فلما كان من الغدِ قال (أبو جعفر لعبد الواحد): أعلِمتَ ما صنَعَ عصامُ أمْس كان كما قالوا في المثل: «سَكَتَ أَلْفَا ...»، لم يَزَلْ أَمْسُ يُفَعِّلُ فِكْرَتَهُ، فبَعْدَ الجُهدِ الشَّدِيدِ أَخَذَ مَعْنَى بَيْتَيْكَ فَسَلَبَهُ رُوحَهُ وَأَعَدَمَهُ رَوْنَقَهُ وَمَسَخَهُ جُمْلَةً فَقَالَ ما زاد فيه أكثر من المجاز والحقيقة.

فقلتُ أنا (أي عبد الواحد): هذا، والله، أحسنُ من شعري. فتَغَيَّرَ لي وقال: يا بُنَيَّ، دَغَ عَنْكَ هَذِهِ الْعَادَةُ، فَإِنَّ أَسْوَأَ مَا تَخْلُقُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْمَلَقُ وَتَزْيِينُ الْبَاطِلِ، سَيِّئًا إِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْخَلْفَ الْكَاذِبَ. والله، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِلَّا فَقَدْ اخْتَلَّ مِيزُوكَ وَسَاءَ اخْتِيَارُكَ. وما أَظُنُّ هَذَا هَكَذَا.

- كان أبو جعفر أحمد بن يحيى يُحِبُّ أَنْ يَتَمَلَّحَ فِي الشَّعْرِ. قرأ عليه غلامُ اسمه عيسى ثم أَتَّفَقَ أَنْ قرأ عليه غلامٌ آخَرُ اسمه مُحَمَّدٌ، فقال:

تَبَدَّلْتُ مِنْ عِيسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ: هُدَيْتُ. ولولا الله ما كُنْتُ أَهْتَدِي.
وما عَنْ مَلَالٍ كَالِ ذَاكَ، وَإِنَّا شَرِيعَةُ عِيسَى عَطَلْتُ بِمُحَمَّدٍ.

٤-★★ المغرب ١: ٢١٥، المصجب ٢١٩ - ٢٢٣، الأعلام للزركلي ١: ٢٠٩ (٢١٧).

ابن أبي البقاء البلنسي

١- هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان البلنسي المعروف بابن أبي البقاء من أهل سَرَقُطَّة، تعلَّم العربية (النحو) ثم تصدَّر للتعليم فيها. وكانت وفاته

٢- كان ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ بارِعاً في العربية وقد اعتنى بتَقْيِيدِ الآثَارِ (الحديث!)، كما كان شاعراً مُجَوِّداً مُحَسِّناً في الوصفِ والفَرَزِ والرثاءِ .

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ يَصِفُ السَّيْفَ:

وذي رَوْنَقٍ كالبرق، لكنَّ وَعْدَهُ صدوقٌ. ووعدُ البرقِ كِذْبٌ، ورُيَا^(١).
عَقَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلٍّ تَأَمِّي، وقلْتُ له: كُنْ للمكارمِ سُلماً^(٢)!
وساءَ الأعادي إذ بَكَتْ شَفْرَاتُهُ، وسرَّ وِلَاةَ الوُدِّ حينَ تَبَسَّا^(٣).

- وقال في الفزل:

غيرُ خافٍ على بصيرِ الغرامِ أنَ يومَ الفِراقِ يومُ حِجَامِ^(٤):
عَبْرَاتُ تَصَدُّ عَنْ نَظَرَاتِ، ونَشِيجٌ يَحُولُ دُونَ الكَلَامِ^(٥)؛
وِدْمَاءُ تُرَاقُ بِاسْمِ دُمُوعٍ، ونُفُوسٌ تُودِي^(٦) بِرِسْمِ سَلَامِ.
شَرَبْتُ بَعْدَكَ اللَّيَالِي حَيَاتِي غيرَ أَوْشَالٍ لَوَعَتِي وَسَقَامِي^(٧).

(١) الرونق: الحُسْنُ والجمال، و(في السيف) صفاؤه ولونه. وعده صدوق: إذا هَزَّ (بَضَمَ الماء) ولع قبل أن يضرب به حامله كان صدوقاً (قاتلاً، مصيباً). أمَّا برق السماء فقد يلمع ولكن يكذب (لا يعفه مطر). - ورُبَّما أعقبه مطر أحياناً.

(٢) النجاد: جملة (بكسر الماء) السيف. لَحْلٌ (عند فَلَكَ أو خلع) تأمِّي (النميمة حرز يعلَّق في عنق الصبي الصغير). منذ طفولتي غرَّنت على القتال بالسيف.

(٣) حيناً يبيكي حدَّ سيمي (يسيل عليه الدم) يكون قد قتل به عدوً لقومي. تَبَسَّ السيف: لمع (وهو يهتز في يد المحارب). يَمُرُّ به الولاية (الأصدقاء - لأنه سيصرهم على خصومهم).

(٤) نصير الغرام: العارف بأمر الحب. الهيام (بكسر الماء): الموت.

(٥) عبرات (دموع) تصدُّ (تقع، تحول دون) نظرات (الرؤية). النشيج: البكاء بصوت خافت في الصدر.

(٦) كذا في الأصل. ولعلها - يودي - ملا همز (تهلك).

(٧) الوشل (يفتح ففتح): بقية الماء في المحوض ونحوه.

- وله مَرْثِيَّةٌ منها:

قد عَلَّمْتَنِي اللَّيَالِي أَنْ رِيَقَتْهَا صَابٌ، وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا عَسَلٌ^(١)
 إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ مُشْرِقَةً بِهِ وَعَيْشُ الْأَمَانِي بِرُذُهَا خَصِيلٌ^(٢)
 أَصَابَ صَرْفُ اللَّيَالِي مِنْهُ قُطْبَ جَبْتِي يَأْمَنْ رَأَى الشُّهْبَ قَدْ أَغْيَتْ بِهَا السُّبُلُ^(٣)
 وَهَذَا لِلْجِلْمِ طَوْدًا شَامِخًا عَلَا يَا لِلَّيَالِي تَشْكُو صَرْفَهَا الْحَيْلُ^(٤)!
 وَضَاقَ وَجْهُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ بَهْجَتِهِ، فَكَيْفَ تَوْسَعُهَا إِشْرَاقُهَا الْأَصْلُ^(٥)؟

٤-★★ الوافي بالوفيات ١: ٢١٥.

ابن خروف

١ - تشير المصادر، في هذه الحِجْبة، إلى أَتْنَيْنِ بِأَسْمِ «ابنِ خَروْفٍ»: (أبي الحسنِ عليّ بن محمد بن عليّ، ثمّ أبي الحسن عليّ بن محمد بن يوسف). وكِلَاهُمَا قَالَ شعراً وَأَلَّفَ في النَحْوِ. وكِلَاهُمَا رَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ وَحَجَّ وَزَارَ مِصْرَ وَسَكَنَ حَلَبَ (في شَالِي الشَّامِ: سورِيَّة) مدَّةً. وَلَكِنْ هُنَاكَ خِلَافٌ يَسِيرٌ في تَارِيخِ وَفَاتَيْهِمَا (بين ٦٠٥ و ٦٢٠ للهجرة وما بَيْنَهُمَا) وفي مَكَانِ مَوْتِهِمَا وَصُورَةِ مَوْتِهِمَا - أَحَدُهُمَا مَاتَ في إِسْبِيلِيَّةَ (الأَنْدَلُس)، وَالْآخَرُ مَاتَ في حَلَبَ، أَوْ مَاتَ في حَلَبَ مُتَرَدِّياً (سَاقِطاً) في بَئْرِ.

- (١) صاب: شجر مرّ.
- (٢) بردها، في الأصل بفتح الباء: (ضدّ الحرّ)، وَلَمَلَهَا بِضَمِّ الباء: الثوب الجميل من الحرير. المحض: المبتلّ (اللين، الجديد).
- (٣) القطب: المحور الذي تدور عليه الأرض، الطاحون الخ (الرجل الركن في قومه). الحجى: العقل. الشهاب: النجم. (مع أَنَّ للنجوم مداراً معروفاً معيّناً محدداً، فَإِنَّ النجوم أصبحت - بعد موت المرثي - لا تنهدي في سيرها). صرف الليالي: الخطب، المصيبة.
- (٤) الحلم: سعة الصدر والأناة (التفكير بدهوء)، العقل. الطود: الجبل. الشامخ: العالي. العلم: المشهور الظاهر من مكان بعيد. الشطر الثاني ورد هكذا. ربّما الجبل (بالجيم) مكان «الحيل» (بالحاء والياء).
- (٥) كان الليل الدامس لا يستطيع أن يحجب نور وجه فلان المرثي، فكيف أظلم الأصل (ما بين الحصر والمغرب: غروب الشمس) عند مونه (أو دفنه)؟

وفي تَرْجَمَتِي أَنبِي خُرُوفِ هَـذِينَ، في المصادر (معجم الأدباء - وفيات الأعيان - صلة الصلة - نفع الطيب وغيرها) تداخلٌ شديد. نَبه عليه إحسانُ عباس (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٥ ثم في نفع الطيب ٢: ٦٤٠) في حاشيَتَيْنِ على شيءٍ من التفصيل، ولكنَّ تَيْنَكَ الحاشيتين أَكْتَفَتَا بالإشارة الدالَّة الواضحة ولكنَّ لم تَفْصِلَا في الأمر. ومن الغريب أن قصَّة واحدة وأبيات شعرٍ واحدة ورسالة واحدة تأتي كُلُّها مُنسوبة إلى الآسمن في وفيات الأعيان (٧: ٩٤ - ٩٥، من القسم المرقَّم بالأرقام الهندية) وفي نفع الطيب (٢: ٦٤٠ - ٦٤٢).

والمفروض أنَّ ابنَ خُرُوفِ المترجم هنا هو نظامُ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن عليِّ الأندلسيِّ النَّحْوِيَّ (بغية الوعاة ٣٥٤) والذي هو ضياء الدين أو نظام الدين.... القيسيُّ القرطبيُّ القبذاقي^(١) الشاعرُ، عند المَقْرِي (نفع الطيب ٢: ٦٤٠ - ٦٤٢)، بدليل عددٍ من النماذج المنسوبة إليه بأعيانها في المصدرين. ولعلَّ شيئاً من التداخل قد وَقَعَ أيضاً في الترجمة المُثَبَّتة على هذه الصفحات. وكان مَوْلدُ ابنِ خُرُوفِ هذا نحو سَنَةِ ٥٢٥ للهجرة (١١٣١ م).

تَخَرَّجَ ابنُ خُرُوفِ في النحو على أبي الحسن بن طاهر الأندلسي المعروف بالحدِّب^(٢). وقد كان في أثناء ذلك كَلَّه رجلاً رقيقَ الحاشية يَعْمَلُ خِيَّاطاً. ثم إنه جَعَلَ يَتَعَرَّضُ بالمدح للأمراء والأعيان: مَدَحَ إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن في سَبْتَةِ، ومدح الوزير أبا سعيد بن جامع في مَرَاكُش، ولكن يبدو أنه لم يَنْتَلِ حُطُوةً عند الممدوحين. ثم مَدَحَ أبا عبد الله مُحَمَّدَ بنَ عِيَّاشٍ - وكان كاتباً ليعقوب المنصور الموَحِّدِي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ولابنهِ الناصر (٥٩٥ - ٦١١ هـ) فلم يُسَرَّ منه قطُّ فعزم

(١) القبذاقي (نفع الطيب ٢: ٦٤٠). وفي الفصول البانمة (ص ١٣٨): القبذاق حصن بين غرناطة وقرطبة وهو القبذاق (أعمال الأعلام ٣٣٤، السطر التاسع، ٣٦٥، اسم الأماكن: الإحاطة ٥٦٩).

(٢) الحدِّب (بكر ففتح فتشديد) هو أبو بكر مُحَمَّد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت ٥٨٠ هـ) مَقْرِي للقرآن وحافظ للحديث ونحويٌّ مشهور (راجع الوافي بالوفيات ٢: ١١٣ - ١١٤، بغية الوعاة ١٢). والحدِّب هو الرجل الطويل (بغية الوعاة ١٢). والحدِّب في تاج العروس (الكويت ٢: ٣٣٧): الشيخ العظيم الجافي الضخم.

على ترك المغرب فَرَحَلَ إلى مِصَرَ ثم إلى حَلَبَ وأقام فيها مُدَّة. ثم إنه عاد إلى الأندلس وتُوُفِّيَ في إشبيلية، سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلب^(١).

٢- كان ابنُ خروفٍ نَحْوِيًّا مُحِيطًا بعلوم العربية له مُصَنَّفَاتٌ بارعة: شَرَحَ كتابَ سيبويه شَرَحًا جَيِّدًا وشرح كتابَ الجُمَلِ للزجاجي. وهو شاعرٌ مُحِينٌ أيضاً في شعره لَفَتَاتٌ قائمة على التأنقِ البلاغي.

٣- مختارات من آثاره:

- كَتَبَ ابنُ خروفٍ النَحْوِيَّ إلى قاضي القضاة مُحْبِي الدين بن الزكي يَسْتَقْبِلُهُ من مُشَارَقَةِ مَارِسْتَانِ نور الدين، وكان بَوَابُ المَارِسْتَانِ يُسَمَّى السيد (بكسر السين: الذئب):

مولاي مولاي، أَجْرَنِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ الْأَسَى وَالْحَتُوفِ^(٢)؛
وليس لي صَبْرٌ عَلَى مَنْزِلِ بَوَابِهِ السَّيِّدِ وَجَدِّي خُرُوفٍ!
- وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شدَّادٍ يَطْلُبُ مِنْهُ فَرُوعَ خُرُوفٍ:

بِهَاءِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَيَخْرُ الْحَمْدُ وَالْحَسَبِ^(٣)؛
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا ۖ مِنْ جَدِّوَاكَ جِلْدَ أَيْ^(٤)؛
وَفَضَّلْتُكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بِسَارِعِ الْأَدَبِ؛
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ ۖ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلِّي^(٥)!

- وقال في نهر النيل وفيضانه:

(١) في الذيل والتكملة (٥: ٣٩٩): توفي بجلب متردداً في بئر في «نحو» العشرين وستائة.

(٢) الأسى: الحزن. الحنف: الهلاك.

(٣) الحسب: الأصل الكريم، الفعل الكريم.

(٤) النوء: حال الجؤ (وتطلق في كلام الناس عادة على هبوب الريح وزيادة البرد).

(٥) حلب أشطر الدهر (كان ذا اختبار واسع). وكان ابن خروف قد أقام في حلب (مدينة في شالي الشام:

سورية) مدة.

ما أعجبَ النِّيلَ، ما أخلَى شَمَائِلَهُ في ضِفْتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَرْوَاحُ^(١).
 مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ قَيَاضٌ عَلَى تُرْعٍ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبَ الرِّيحِ أَرْوَاحُ^(٢).
 لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً، كَمَا زَعَمُوا؛ وَإِنَّا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْوَاحُ^(٣).

- وقال في صَيِّ مَلِيحٍ حَبَسَهُ الْقَاضِي (لأنَّه سَرَقَ مَالاً):

أَقَاضِيَ الْمُسْلِمِينَ، حَكَمْتَ حُكْمًا أَتَى وَجْهَ الزَّمَانِ بِهِ عَبُوسًا:
 حَبَسْتَ عَلَى الدَّرَاهِمِ ذَا جَمَالٍ، وَلَمْ تَحْبِسْهُ إِذْ سَلَبَ النَّفُوسَا!
 - وَكَانَ ابْنُ خَرُوفٍ يُكْثِرُ مِنْ هَجَاءِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ اللَّهْيَبِ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

لَا بِنَ اللَّهْيَبِ مَذْهَبٌ فِي كُلِّ غَيٍّ قَدْ ذَهَبَ^(٤)؛
 يَتَلَوُ لِمَنْ يُنْصِرُهُ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ»^(٥).

- وقال أبياتًا فيها شيء من الغزل الصريح:

وَمُنَوَّعَ الْحَرَكَاتِ يَلْعَبُ بِالنَّهْيِ لَيْسَ الْحَاسِنَ عِنْدَ خَلْعِ لِبَاسِهِ^(٦).
 مُتَأَوِّدٌ كَالْفُضْنِ بَيْنَ رِيَاضِهِ، مُتَلَفَّتٌ كَالظَّنِّي عِنْدَ كِنَاسِهِ^(٧).
 بِالْعَقْلِ يَلْعَبُ مُقْبِلًا أَوْ مُدْبِرًا، كَالدَّهْرِ يَلْعَبُ كَيْفَ شَاءَ بِنَاسِهِ!

- وَابْنُ خَرُوفٍ رِسَالَةً (وَفِيهَا الْأَعْيَادُ: ٧: ٩٤ - ٩٥، نَفَحَ الطَّيِّبُ ٢: ٦٤١ -

٦٤٢) يَقُولُ فِيهَا بَعْدَ الْأَبْيَاتِ «بِهَاءِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا» (رَاجِعَ فَوْقَ فِي الْمُخْتَارَاتِ):

(١) السائل: الصفات الحميدة. الأرواح جمع ريح.

(٢) أرواح (هنا) جمع روح (بالفتح): رحمة.

(٣) أرواح جمع روح (بالضم): نفس (بفتح فسكون)، حياة.

(٤) النهي: الضلال.

(٥) «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» تضمين من القرآن الكريم (١١١: ١). أبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب

(عم الرسول) وكان يؤذي الرسول. (التضمين كناية عن العذاب: من رأى ابن الهيب فكأنه (لقيح

ابن الهيب وجفائه) يعاني عذاب جهنم.

(٦) النهي: العقل.

(٧) متأوِّد: متأيل. الكناس: المكان الذي يأوي إليه الطي (الغزال).

ذو الحَسْبِ الباهر والنسب الزاهر^(١) يَحْبُ ذُيُولَ سِراءِ السَّراءِ^(٢) وَيُحِبُّ
النُّحَاةَ من أَجْلِ الْفَرَاءِ^(٣)، وَيَمُنُّ^(٤) على الحُرُوفِ النَّبِيَّةِ بِجِلْدِ أَبِيهِ: قَانِي الصَّبَاغِ
قَرِيبَ عَهْدٍ بِالدِّبَاغِ^(٥)، مَا ضَلَّ طَالِبٌ قَرَطَهُ وَلَا ضَاعَ، بَلْ ذَاعَ ثَنَاءُ صَانِعِهِ وَضَاعَ^(٦).
أَثِيثُ خَمَائِلِ الصَّوْفِ، يَهْرَأُ من الرِّيحِ بِكُلِّ هَوْجَاءٍ عَصُوفٍ^(٧). إِذَا طَهَّرَ إِهَابَهُ بِخَافِهِ
الْبَرْدُ وَنَهَابَهُ^(٨). مَا فِي الثِّيَابِ لَهُ ضَرِيبٌ إِذَا نَزَلَ الْجَلِيدُ وَالضَّرِيبُ^(٩)، وَلَا فِي
اللِّبَاسِ لَهُ نَظِيرٌ إِذَا عَرِيَ من وَرَقِهِ الْفُضْنُ النَّضِيرُ لَا كَطَلِيسَانِ ابْنِ حَرْبٍ^(١٠)، وَلَا
جِلْدِ عَمْرِو الْمَرْزُوقِ بِالضَّرْبِ^(١١)...

٤-★★ زاد المسافر ٦٢-١٦٤ المغرب ١: ١٣٦-١٣٩ الفصول الياضعة ١٣٨-١٤٤
معجم الأدباء ١٥: ٧٥-١٧٦ برنامج الرعيني ٨١-١٨٢ وفيات الأعيان ٣:
١٣٣٥ فوات الوفيات ٢: ١٠٠-١٠١ التكملة، رقم ١١٨٨٤ الذيل والتكملة
٣١٩: ٥-١٣٢٣ صلة الصلة ١١٤-١١٥ (رقم ٢٣٢)، راجع ١٢٢-١٢٣
(رقم ٢٤٥)؛ وفيات ابن قنفذ ١٣٠٤ بغية الوعاة ١٣٥٤ نفح الطيب، راجع ٢:

- (١) الحسب: العمل الحميد. الزاهر: اللامع، (المشهور).
- (٢) يحب ذُيُولَ (طويل يحسن أن يبر لابه متبغترًا مفتخرًا). السراء: ثوب حرير فيه خيوط صفر.
- (٣) السراء: النعمة والمُسرة (٢).
- (٤) الفراء هو يحيى بن زهاد (ت ٢٠٧ هـ) إمام علماء النحو الكوفيّين وأكثرهم معرفة بالنحو.
- (٥) من عليه: أنعم عليه وأكرمه بغطاء جزيل (كثير، غني) بلا مقابل.
- (٦) قان: دم (أحمر). قريب عهد بالصباغ (جديد).
- (٧) القراط: شجر عظام يؤخذ منها مادة يصنع بها. القارط: الذي يجمع القراط. ضاع (الأولى): ضلَّ طريقه، فقد (بالبناء للمجهول)، هلك. وفي المثل: حتَّى يُؤوبَ (يرجع) القارطان (كتابة عن الذي يذهب في طلب شيء ثم تضيع آثاره) - ضاع (الثانية): انتشر (اشتهر).
- (٨) الأثيث: الكثيف. الخميصة: الشجر الكثير اللثغ (هو يربد هذا الجلد كثير الصوف).
- (٩) الإهاب: الجلد. هاب: خاف. طَهَّرَ (كذا: مشكولة - وفيات الأعيان ٧: ٩٥) وطهر (بلا شكل - نفح الطيب ٢: ٦٤١). ولعلها طهر: انكشف (للبرد).
- (١٠) ضريب (الأولى): نظير، شبه، مثيل. ضريب (الثانية): الصقيع (الجلد المتجمد على الأرض) كناية عن شدة البرد.
- (١١) إشارة إلى قول ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ): «يا ابن حرب، كسوتي طيلساناً»، وكان هذا الطيلسان (ثوب سابغ من الحرير) قديماً مشتهراً.
- (١٢) إشارة إلى المثل المألوف في الكتب القديمة في النحو (على الفاعل والمفعول به): ضرب زيدُ عمراً.

١٦٦، ٦٤٠ - ٣، ٦٤٢، ١٨٤: ٢٠٤، ٤٦٣، ١٨٩: ٤ بروكلين ٦٢٠: ٣، يشار إلى أن اسمه يرد في ١: ١٠٢ و ١١٠ من الطبعة الأولى (أي ١٠٠ - ١٠١ و ١٠٠ - ١١١ من الطبعة الثانية، ولكن لم أَعثر على اسمه في هذه الصفحات)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٥٠ - ١٥١ (٤: ٣٢٠).

أبو محمد بن الحسن القرطبي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري المالقي القرطبي أصله من قرطبة، وأبوه هو الذي انتقل منها إلى مالقة.

وُلد أبو محمد بن الحسن القرطبي في مالقة في ٢١ من ذي القعدة من سنة ٥٥٦ (١١/١١/١١٦١ م). دَرَسَ في مالقة على أبيه وعلى نَفَرٍ، منهم أبو زيد السهيلي والقاسم بن دحان وأبو عبد الله بن الفَخَّار وأبو إسحاق بن قرقول، ثم تصدَّرَ للتدريس قبل أن يُجاوِزَ العشرين. وتحوَّلَ في الأندلس لِلِقَاءِ المشايخ وزار إشبيلية

فلقي أبا بكر بن الجَدِّ وأبا بكر بن صافي وجعفر بن مضاء، كما زار غرناطة ومُرْسِيَةَ وَرَحَلَ إلى سَبْتَةِ. وخطب مُدَّةً بجامع مالقة ثم قُطِعَ عن الخطبة. وقد كان له، في جامع مالقة الأعظم، مَجْلِسٌ عامٌّ للحديث غير مَجْلِسٍ تدرّسه. وكانت وفاته في سابع ربيع الثاني من سنة ٦١١ (١٦/٨/١٢١٤ م).

٢ - كان أبو محمد بن الحسن القرطبي صَدْرًا في المُقرئين في زَمَنِهِ، وقد غَلَبَ عليه علم الحديث. وكان أديباً ناثراً ناظماً. وشعره صحيحٌ ولكنه قليلُ الطَّلَاوة. غير أنَّهُ أَمَّ ما له في النظم أبياتٌ جَعَلَهَا موازينَ للشعر نَظَمَهَا في بحور الشعر وأدخلَ في أوَّلِ العَجَزِ من كلِّ بيتِ اسمَ البحر الذي نَظَّمَ ذلك البيتَ عليه (كي يحفظَ هذه الأبيات من لا يستطيعُ معرفةَ بحور الشعر من تِلْقاءِ نفسه، فيستعينُ بهذه الأبياتِ على الاستدلالِ على ما يُريد من بُحُورِ القصائد). وكان له مُصَنَّفَاتٌ منها: مجموعٌ في قِرَاءَةِ نافع - تلخيص أسانيد الموطأ - مختصر في علم العروض.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو محمد بن الحسن القرطبي في التجنيس:

- لَعَمْرُكَ، ما الدنيا بِسُرْعَةٍ سَيَّرَهَا بُسْكَانَهَا إِلَّا طَرِيقُ مَجَازٍ^(١).
حَقِيقَتُهَا أَنَّ الْمَقَامَ بَغِيرَهَا، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أُولِعُوا بِمَجَازٍ^(٢)!
- ★ ★ سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ.
فَاطْرُقِ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ، فَجِئْلَانُكَ الْهَمُومَ جُنُونُ.
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ.
★ ★ وَهَلْ نَافِعِي أَنْ أَخْطَأَ الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدْ شَابَ أَتْرَابِي وَشَابَ لِدَاقِي^(٣).
لَيْنَ كَانَ خَطْبُ الشَّيْبِ يُوجَدُ عَيْنُهُ بِيَرِّي فَمَعْنَاهُ يَقُومُ بِذَاقِي^(٤).

- وله من الأبيات التي جعلها موازين للشعر:

- ★ ★ قَدُمُ دَائِبًا تُسَيِّ وَتُدْنِي أَمَانِيَاً (طويل) الأيادي ما تُسَامِي مَعَالِيكََا.
★ ★ نَبَا نَبَا أَشَادَ بِهِ رَسُولٌ (بوافر) نَعْمَةٍ شَمِلَ الْجَمِيْعَا.
★ ★ أَخِي رَاعِي أَمَادِيحِي وَ (تهزيجي) وَرَاعَاكََا.

٤- ★ ★ برنامج الرعيبي ١٤١: الذيل والتكملة ٤: ١٩١ - ٢١٧ (رقم ٣٦٣)؛ بغية الوعاة ٢٨٠، نفع الطيب ٣: ٢٢٧، الأعلام للزركلي ٤: ٢٠٧ (٧٨).

عبد البر بن فرسان

١- هو أبو محمد عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن الغساني من أهل

- (١) المجاز: العبور، المرور من جانب إلى جانب (في الطريق، في النهر، في البحر، إلخ).
(٢) المقام (الدائم) بغيرها (في الآخرة). المجاز: ضد الحقيقة.
(٣) الترقب (بكسر التاء) واللدة (بكسر اللام وفتح الدال): من ولد معك في وقت واحد.
(٤) إذا كان خطب الشيب (الضعف والدنو من الموت) يوجد عنه (أي ظاهره: اللون الأبيض) فمعناه (ففعله) يقوم بذاتي (أشعر أنا به في نفسي).

وادي آش، لعلَّ مَوْلَدَه كان نحو ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م). اتَّصل بعلِّي بن إسحاق بن غانيةٍ الثائر على الموحِّدين في الجزائر الشرقية وشرقي الأندلس. وقد أَرْسَلَه عليٌّ سَفِيرًا له في بعض الأمور إلى بغداد لأنَّ عليًّا كان يريدُ الاستعانةَ بالعبَّاسيين على الموحِّدين لتَنْشِيطِ حُكْمِهِ هُو. ولَمَّا ماتَ عليٌّ (٥٨٥ هـ ١١٦٠ م) خَلَفَهُ أخوه يحيى فأُسْنَدَ جميعُ أموره إلى عبدِ البرِّ بن فرسان.

وفي سَنَةِ ٥٩٩ خَسِرَ يحيى سُلْطَنَه على جزيرة مَيُورْقَة فَنَقَلَ نشاطَه إلى إفريقية واستولى على كثيرٍ من بلادِها (فيما يُعرَفُ اليومَ بالجزائر خاصَّة)، وذلك سَنَةَ ٦٠١. وقد انتقلَ عبدُ البرِّ بنُ فرسان إلى إفريقية واستمرَّ في توكلي الكِتَابَةِ ليحيى بن إسحاق.

وكان عبدُ البرِّ من الرجال الأقوياء الشجعان والبارعين في أمور الحرب، فكان يخوض المعارك مع يحيى. ثُمَّ لَمَّا تَقَدَّمت به السنُّ كثيرًا ملَّ ذلك. وكانت وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وقد عُمِّرَ طويلاً.

٢- كان عبدُ البرِّ بنُ فرسان من جَلَّةِ الأدباء وفحول الشعراء ومن الكُتَّاب البارعين. وَهُوَ متينُ الأسلوب عالي النفس في نثره وشعره، إلَّا أَنَّهُ في نثره أُمِيلُ إلى التكلُّف. وفي شعره وصفٌ وفخر وعِتاب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال عبدُ البرِّ بنُ فرسان الفسَّافي بعدَ معركةٍ انتصرَ فيها مَخْدُومُه:

ولَمَّا تلاقَيْنَا مَعَ القوم الذين دعاَهُمُ شيطانُ الفِتْنَةِ إلى أن يسجدوا للشِّفار وَيَحْمِلَهُم
سَبْلُ المِحْنَةِ إلى دارِ البوار^(١)، أَقْبَلْنَا إقبالَ «الريحِ العقيمِ» ما تَذَرُ من شيءٍ أَتَتْ
عليه إلَّا جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ^(٢). فَانْجَلَّتِ الحربُ عن تمزيقِ الأعداءِ كُلِّ مُمزَّقٍ،

(١) الشِّفار جمع شفرة: يصل السيف والسكين، الخ. المحنة: الابتلاء، البلية، المصيبة. دار البوار (الهلاك): جهنم.

(٢) الريح العقيم: الحارة التي تفضي على أسباب الحياة. تذر: تترك، تبقي. الرميم: المهلك، المتهرِّىء. في =

وأبصرناهم كَصَرَعَى السُّكَارَى مِنْ مُدَامِ السُّيُوفِ . وَخَفَقَتْ بِنُودُنَا . وَسَعِيَهُمْ أَخْفَقَ .

- وَلَا طَعَنَ فِي الْبَيْنِ وَضَعَفَ عَنْ مُتَابَعَةِ الْقِتَالِ أَرَادَ اعْتِرَازَ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَةِ
وَالذَّهَابَ إِلَى الْحَجِّ فَكَتَبَ إِلَى بِحْيِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ غَانِيَةَ:

أَمْنُنْ بِتَسْرِيحِ عَلِيٍّ فَعَلَّهُ سَبَبُ الزِّيَارَةِ لِلْحَظِيمِ وَبَثْرِبِ^(١) .
وَلَيْتَنِي تَقُولُ كَاشِحٌ أَنَّ الْهَوَى دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ وَأَنْكَرَ مَذْهَبِي^(٢) ،
فَمَقَالَتِي: مَا إِنْ مَلَلْتُ، وَإِنَّا عُمَرَى أَبِي حَمَلِ النِّجَادِ بِمَنْكِي^(٣) ،
وَعَجَزْتُ عَنْ أَنْ أَسْتَشِيرَ كَمِينَهَا وَأَشُقُّ بِالصَّمَامِ صَدْرَ الْمَوْكِبِ^(٤) !

- وَسَمِعَ طَائِرًا (حَمَامَةً) تَسْجَعُ عَلَى غُصْنٍ فَقَالَ:

نَدَى مُخْضِلًا ذَاكَ الْجَنَاحَ التَّمَنَّنَا وَسَقِيًّا وَإِنْ لَمْ تَشْكُ، يَا سَاجِعًا، ظِلًّا^(٥) !
أَعِدْهُمْ الْخَانَا عَلَى سَمْعِ مُغْرِبٍ يُطَارِحُ مُرْتَاخًا عَلَى الْقُضْبِ مُعْجَا^(٦) .
وَطِرَّ غَيْرَ مَقْصُوصِ الْجَنَاحِ مَرْقَهَا مُسَوِّغَ أَشْتَاتِ الْحُبُوبِ مُنْعَا^(٧) ،
مُحَلِّسِي وَأَفْرَاخًا بِوَكْرِكَ نَوْمًا، أَلَا لَيْتَ أَفْرَاخِي مَعِي كُنُّ نَوْمًا^(٨) !

- فِي الْقِطْعَةِ التَّالِيَةِ أَسْلُوبٌ طَبِيعِيٌّ لِعَبْدِ الْبَرِّ بْنِ قُرْسَانَ مُخْتَلَفٌ مِنْ أَسْلُوبِهِ
الْمُسَمَّقِ. جَاءَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ٦١٣ - ٦١٤):

- = القرآن الكريم (٥١: ٤١ - ٤٢، الذاريات): «وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ» .
- (١) الحطيم (في مكة)، أي الحج. يثرب: المدينة.
(٢) تقول: قال قولاً كاذباً. الكاشح: المبعض.
(٣) النجاد: سير من جلد يحمل به السيف. المنكب: الكتف.
(٤) الكمين: العدو المترصد في مكان مغفَى.
(٥) ندى مخضلاً (بالنصب) أسأل الله لك ندى (بلال الليل - كناية عن النوم الهادئ الآمن) أحضل: بلل.
الساجع: المترنم (حمامة). الظأ: العطش.
(٦) المغرب (المري: المبيت في كلامه): الإنسان. يطارح: يبادل. مرتاح: مسرور. المعجم (المعجمي): الذي لا يبين في كلامه): طائر، حيوان.
(٧) مرقه: عاتش في رفاهة وخصب. مسوغ: معطى، مرزوقاً.
(٨) محلى: متروكاً في أمن.

- تشاجر له (لعبد البر بن فرسان) ولد صغير مع ترب له من أولاد أميره أبي زكريا (يحيى بن اسحاق). فنال منه ولد الأمير وقال: «وما قدر أبيك؟» فلما بلغ ذلك أباه (أي عبد البر بن فرسان) خرج مُغضباً^(١) لبحينه ولقي ولد الأمير المخاطب لولده وقال: «حفظك الله تعالى. لست أشك في أنني خديم»^(٢) أبيك، ولكنني أحب أن أعرفك بنفسي ومقداري و (ب) حقدار أبيك. أعلم أن أباك وجهي رسولاً إلى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه. فلما بلغت بغداد أنزلت في دار أكثرت لي بسبعة دراهم في الشهر، وأجري علي سبعة دراهم في اليوم. وطول بكتاني، وقيل: من الميرقي الذي وجهه^(٣)؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مغربي نائر على أستاذه. فأقمت شهراً، ثم استدعيت. فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا إلي وقالوا للخليفة: هذا رجل جهل بمقداره. فأعدت لي محل أكثر لي بسبعين درهماً، وأجري علي مثلها في اليوم. ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر^(٤) من حوائجه وصدّر لي شيء له حظ من صلتيه^(٥). وأنصرفت إلى أبيك. فالعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الأقدار. والثانية كانت على قدري!».

١-٢-٢٠٠٠ * المغرب ١٤٢: ١٤٣ - ١٤٤٣ المقتضب من تحفة القادم ١١٥٠: ١١٦٠ نفع الطيب ٢: ٦١١ - ٦١٤، ٣: ٤٩٩، ١٥٦٣ الأعلام للزركلي ٤: ٤٧ (٣: ٢٧٣).

ابن حوط الله الحارثي

هو أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن

(١) الغضب (بضم فسكون) (فتح): الذي أغضبه من آخرين بجانب الحق فغضب للاعتداء على حقوق الله (لا لنفسه ولا لشيء مادي).

(٢) الخديم (ليست في القاموس): الخادم.

(٣) يحيى بن اسحاق بن محمد بن علي السوفي المعروف بابن غانية (ت ٦٣٣ هـ) كان لأمرته الحكم على جزيرة ميورة.

(٤) اقتضيت ما تيسر (نفذت ما قدرت عليه عما طلب مني).

(٥) صدر لي (أمر الأمير لي) شيء (بشيء). حظ: نصيب. صلتية: عطائه.

حَوْطٍ^(١) الله الحارثي الأنصاري الأندلسي، وُلِدَ في أُنْدَة (قُرْبَ بَلَنْسِيَة)، في رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٤٩ (مطلع الحريف من عام ١١٥٤ م).

إِنَّ الحَيَاةَ لم تَمُنْجِ أَبَا مُحَمَّدٍ بَنَ حَوْطٍ آسْتَقْرَارًا، فقد قَضَى حَيَاتَهُ في التَّطَوُّافِ في الأندلس وفي المَغْرِبِ - وكان في أَثْناء ذلك يَسْمَعُ من العُلَمَاءِ - سَمِعَ من أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بَنِ عَبْدِ المَلِكِ بَنِ عُمَيْرَةَ^(٢) الضَّبِّي (نحو ٤٨٠ - ٥٧٧ هـ) وغيره. ثُمَّ إِنَّهُ وَلِيَ القَضَاءَ في إشبيلية وقُرْبَةُ ومُرْسِيَّةَ وجزيرة ميورقة (في الأندلس) وفي سَلَا وسَبْتَةَ (المغرب) وكان - في أَثْناء ذلك كُلِّهِ يتصدَّرُ للتدريس، فقد كان يُدَرِّسُ الحديثَ (في المغرب)، سَنَةَ ٥٩٧ للهجرة (نفع الطيب ٣ : ٩٨)، كما كان يدرِّسُ الموطأ (نفع الطيب ٢ : ٦٠٤).

وكانت وفاة ابن حَوْطٍ الله في غَرْنَاطَة، في ثاني ربيع الأول من سَنَةِ ٦١٢ (١٢١٥/٧/١ م).

كان ابن حَوْطٍ الله الحارثي حَافِظًا للحديث عارفاً بالفقه والأصول (على مذهب أهل الظاهر)، ونَحْوِيًّا وأديباً كاتباً وشاعراً. وكانت له تصانيف ضاعت في أَثْناء أسفاره المضطربة. فمن تصانيفه هذه كتاب تَسْمِيَةِ شيوخ البُخاري ومُسْلِمٍ وأبي داوود والنسائي والترمذي^(٣) (ولم يُتِمَّهُ).

★★- التكملة ٥٠٦؛ بغية الوعاة ٢٨٣؛ شذرات الذهب ٥ : ٥٠؛ نفع الطيب ٤ : ٣٣٤ - ٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٢٤ (٩١)، بالنسبة ٣٩٩ - ٤٠٠، راجع ٢٣٨.

(١) أصله حَوْطَلَه، مصغر حوت (بضمّ الهاء : سمكة) مؤنث على لغة شرقي الأندلس، فإنهم يفتحون أول الكلمة من نحو الموت والسمود (وهي في الأصل بالضم) وينطقون بالناء طاء ثم يلحقون آخر المصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في الذكر وهاء ساكنة، فيقولون: حوطلة وحوطله. وبأي هذا كتابة الأفاضل إياه سلفاً عن خلف (كذا في بغية الوعاة ٢٨٣). وهذه اللام المشددة في آخر الاسم هي علامة التصغير في اللغة الأسبانية.

(٢) نفع الطيب ٢ : ٦٠١.

(٣) هؤلاء من كبار المؤلفين في الحديث لهم مجاميع معتمدة: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن النسائي والمجاميع الصحيحة للترمذي.

ابن جبير

١ - هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكِنَافِي دخل جَدَهُ عَبْدُ السَّلامِ إلى الأندلس في ولاية بَلْجَرِ بنِ بَشْرِ القُشَيْرِي، سنة ١٢٣ هـ ونَزَلَ في شَدُونَةَ. ثُمَّ إِنَّ أَهْلَهُ انْتَقَلُوا فِيهَا بَعْدَ إِلَى شَاطِبَةِ ثُمَّ سَكَنُوا بَلَنْسِيَةَ.

وُلِدَ ابنُ جُبَيْرٍ في العاشر من ربيع الأول من سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥/٩/١ م) في مدينة بلنسية ودرس الحديث والفقه على أبيه وتلقى علومَ الأدب والشعر في شاطبة. ومن شيوخه، غير والده: أبو عبد الله الأصيلي، وأبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش (ت ٥٦٠ هـ)؛ وقد سَمِعَ في دِمَشْقَ من أبي الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي (ت ٥٩٨ هـ)، ومن فقيه الشام قاضي القضاة أبي محمد بن أبي عَصْرُونَ المَوْصِلِي (٤٩٢ - ٥٨٥ هـ) والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠ هـ).

وكان ابن جبير قد سَكَنَ غَرْنَاطَةَ وَكَتَبَ فِيهَا لَوَالِيهَا السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ المَوْحِدِي.

وَرَحَلَ ابنُ جُبَيْرٍ إلى المشرق مرتين أو ثلاثاً: بدأ رَحَلَتَهُ الأولى في الثامن من شَوَّالٍ من سنة ٥٧٨ (١١٨٣/٢/٣ م) من جزيرة طريف إلى سبتة فالمدينة فمكة ثم زار العراق والشام. بعدئذٍ أبحر من عكا إلى جزيرة صقلية فإلى قرطاجنة الخلفاء من الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس (جنوب مرسية) وحلَّ في غَرْنَاطَةَ في أوائل ٥٨١ هـ (نيسان - أبريل ١١٨٥). ثم إنَّه عاد إلى المشرق في مطلع سنة ٥٨٥ هـ (أوائل آذار - مارس ١١٨٩ م) وحضر استرداد القدس من الإفرنج الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي (٢٧ رجب من سنة ٥٨٣). ويبدو أنه رَحَلَ رحلة ثالثة بقصد الحج، سنة ٦١٣ هـ فتَوَفَّى في أثناء رُجوعه، في الأسكندرية، في التاسع من شَعْبَانَ ٦١٤ (١٢١٧/١١/١٣ م) في الأغلب.

٢ - بَرَعَ ابنُ جُبَيْرٍ في صِنَاعَةِ القَرِيضِ والكِتَابَةِ، وكان شاعراً مُكثِراً، على شعره نَفْعَةٌ من زُهْدٍ وَتَصَوُّفٍ، وكان له أيضاً مَذْحٌ في صلاح الدين الأيوبي. على أن شهرته

إِنَّمَا هِيَ فِي رَحْلَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِرَحْلَةِ ابْنِ جَبْرِ. وَأَسْلُوبُهُ فِي رَحْلَتِهِ نَثْرٌ رَصِينٌ جَزَلٌ
الْأَلْفَاظِ سَهْلُ التَّرَكِيبِ بَارِعُ السَّبْكِ مُوجَزٌ بَلِيجٌ يَصْدُرُّ عَنْ شَمُورٍ بَا يَرَى وَيَتَأَثَّرُ بِهِ،
وَالْجَانِبُ الْقَصَصِيُّ فِي رَحْلَتِهِ بَارِعٌ جَدًّا كَمَا أَنَّ أَوْصَافَهُ طَرِيفَةٌ نَاطِقَةٌ بِمَا تُعْبِرُّ عَنْهُ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن جبير في النسب:

طُولُ أَغْثَرَابٍ وَبَرْحُ شَوْقٍ، لَا صَبَرَ - وَالله - لِي عَلَيْهِ^(١).
إِلَيْكَ أَشْكُو السَّذِي الْأَقْيَ يَا خَيْرَ مَنْ يُشْتَكَى إِلَيْهِ^(٢).
وَلِي بِفَرْنَاطِيَّةٍ حَبِيبٌ قَدْ غَلِقَ الرَّهْنُ فِي يَدَيْهِ^(٣).

- لَمَّا كَانَ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي بَغْدَادَ اتَّفَقَ لَهُ أَنْ قَطَعَ غُصْنًا نَضِيرًا مِنْ أَحَدِ بَسَاتِينِهَا
فَذَوَى الْغُصْنَ (جَفَّ وَيَسَّ) فِي يَدِهِ وَشِكَا، فَقَالَ يُوَازِنُ بَيْنَ الْغُصْنِ الْمَقْطُوعِ مِنْ
شَجَرَتِهِ وَبَيْنَ الْمُتَغَرَّبِ عَنْ وَطَنِهِ:

لَا تَغْتَرِبْ عَنْ وَطَنِي وَادْكُرْ تَصَارِيفَ النَّوَى^(١)؛
أَمَّا تَرَى الْغُصْنَ إِذَا مَا فَارَقَ الْأَصْلَ ذَوَى؛

- وَقَالَ فِي تَذْكَرِ الْأَوْطَانِ:

غَرِيبٌ تَذْكُرُ أَوْطَانَهُ فَهَيِّجْ بِالذِّكْرِ أَشْجَانَهُ^(١)؛
يَحُلُّ عُرَى صَبْرِهِ بِالْأَسَى وَيَعْقِدُ بِالنَّجْمِ أَجْفَانَهُ^(٢)؛

(١) البرج: العذاب.

(٢) يا خير من يُشْتَكَى إِلَيْهِ (الله).

(٣) غلق الرهن: ضاع (إذا لم يستطع أن يؤدى الرهن دونه إلى الدائن في مقابل شيء مرتين، سقط حق الرهن في الشيء المرتين).

(٤) التنصاري: تغلب الأحوال وسيرها. النوى: البعاد.

(٥) الأشجان جمع شجن (يفتح ففتح): الحزن.

(٦) العرى جمع عروة (بضم العين): ما تمسك به الدلو (والعروة أخت الزر تمسك مع الزر جانبيين من الثوب). الأسى: الحزن. يعقد بالنجم أجفانه: يديم التطلع إلى النجم (يدم السهر، لا ينام).

- وقال في تزيه نفسه ولسانه عن المَوراء (الكلمة القبيحة):

تَنَزَّهَ عَنِ المَوراءِ مِمَّا سَمِعْتَهُمَا صِيَانَةً نَفْسٍ ، فَهُوَ بِالْحُرِّ أَشْبَهُ^(١) .
إِذَا أَنْتَ جَاوَبْتَ السَّفِيهَ مُشَاتِيًا ؛ فَمَنْ يَتَلَقَّى الشَّتْمَ بِالشَّتْمِ أَسْفَهُ !

- وقال في طبائع الناس:

النَّاسُ يُمِثِّلُ ظُرُوفَ حَشْوِهَا صَبِيرٌ ، وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ^(٢) .
تَعْرِ ذَائِقَتَهَا حَتَّى إِذَا كُشِفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ^(٣) .

- وابن جبير مُعْرَمٌ بالبديع في شعره وخصوصاً في لزوم ما لا يلزم (في القافية)،

من ذلك قوله:

إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ أَرْضَ الْحِجَازِ فَقَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا أُمُّ لَهُ^(٤) .
فَإِنْ زَارَ قَبْرَ نَبِيِّ الْهُدَى فَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ مَا أُمُّهُ !

- ومن شعر ابن جبير ذي النِّفحة الدينية يَتَشَوَّقُ فيه إلى مناسكِ الْحَجِّ في

الحجاز:

يَا وَفودَ اللَّهِ ، فُرُتُمْ بِالنَّسِي ؛ فَهَيْئًا لَكُمْ ، أَهْلَ مَنِي^(٥) !
قَدْ عَرَفْنَا عَرَافَاتِ بَعْدَكُمْ ، فَلِهَذَا بَرَحَ الشَّوْقُ بِنَا^(٦) .
نَحْنُ فِي الْقَرْبِ ، وَبِخَرِي ذِكْرُكُمْ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ عَجْرِي هَتَّنَا^(٧) .

(١) مِمَّا سَمِعْتَهُمَا (مِمَّا كُنَّ سَمَاعُكَ لَهَا) . فهو ... (فذلك) .

(٢) الطرف (بفتح الطاء): الوعاء . الصبر (بفتح فسكون): عصاؤه (بضم العين) شعر مر .

(٣) كُشِفَتْ لَهُ: ظهرت له حقيقتها . الدخول: الفساد ، العيب .

(٤) أُمُّ لَهُ: قصد إليه . أُمُّهُ: نَمَاهُ .

(٥) وفود الله: الحجاج إلى بيت الله (الكعبة في مكة) . أُنْشِىَ جمع منية: المتشغى . النسب المراد . منى

(بكر الميم وبلا تنوين): منك من مناسك الحج (مكان بيت فيه الحجاج بعد نزولهم من عرفات) .

هَيْئًا لَكُمْ يَا أَهْلَ مَنِي لِأَنَّكُمْ فِي حَجٍّ دَائِمٍ .

(٦) عرفة أو عرفات: هضبة يجتمع عليها الحجاج . والاجتماع في عرفات هو المنسك الأعظم في الحج لا

يصح الحج إلا بالوقوف في عرفة . - نحن عرفنا عرفات بعدكم (مدة يسيرة) ولذلك يكثر تشوُّبنا إليه .

(٧) في الغرب: في الأندلس . عروب الدمع: أطراف العيين التي يسيل منها الدمع . هُنَا (جاء هاتين): وهو

الذي يسيل بكثرة .

سِرُّ بِنَا، يَا حَادِي الرُّكْب، عَسَى
 شِمُّ لَنَا الْبَرْقُ إِذَا لَاحَ وَقُلْ:
 جَمَعَ اللَّهُ بِجَمْعٍ شَمَلْنَا^(١)،
 بَلَدِيذِ الذِّكْرِ وَهْنًا، عَلْنَا^(٢).
 لَوْ حَنَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا لَقَضَى
 بَاجِئًا بِكُمْ بِالْمُنْحَسَى^(٣).
 لَاحَ بَرْقٌ مُؤَهِنًا مِنْ نَحْوِكُمْ؛
 فَلَقَمَرِي مَا هُنَا الْعِشْرُ هُنَا^(٤)!
 أَنْتُمْ الْأَحْبَابُ نَشْكُو بُعْدَكُمْ؛
 هَلْ شَكَوْتُمْ بَعْدَنَا مِنْ بُعْدِنَا؟

- من رحلة ابن جبير: حال الفرجة الصليبيين بين المسلمين.

ثم عُدْنَا إِلَى عَكَّةَ فِي الْبَحْرِ وَحَلَّلْنَاهَا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
 جُمَادَى الْمَذْكُورَةِ^(١) وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ أُكْتُوبَرٍ. وَاکْتَرَيْنَا فِي مَرْكَبٍ كَبِيرٍ^(٢) نُرِيدُ
 الْإِقْلَاعَ إِلَى مَسِينَةَ مِنْ بِلَادِ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةِ^(٣)....

وَمِنْهُمْ * مَنْ أَسْتَهْوَاهُ حُبُّ الْوَطَنِ فَدَعَاهُ إِلَى الرَّجُوعِ وَالسُّكْنَى بَيْنَهُمْ * * ، بَعْدَ أَمَانٍ
 كُتِبَ^(٤) لَهُمْ فِي ذَلِكَ بِشُرُوطٍ اشْتَرَطُوهَا. وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ - سُبْحَانَهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ
 وَنَفَذَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مَشِيئَتَهُ - وَلَيْسَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَعْدَرَةٌ فِي حُلُولِ بِلَدَةٍ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ
 إِلَّا بِمَجْتَازٍ وَهُوَ يَجِدُ مَدْرُوحَةً فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ^(٥) لِمَشَقَاتٍ وَأَهْوَالٍ يُعَانِيهَا فِي بِلَادِهِمْ

(١) حادي (مائق) الركب (القافلة التي يسافر الجماعة فيها. الركب: الجماعة يسافرون معاً). جمع = يوم

جمع: يوم الوقوف في عرفة. سِرُّنا: قطيعنا (جماعتنا).

(٢) شام ينجم البرق: نظر إليه. جمع (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وهنًا: بعد منتصف الليل.

(٤) المنحى: القطعة المستديرة من الرمل (مكان في الحجاز تغزل به الشعراء).

(٥) الموهن: الوقت بعد منتصف الليل. ما هنا (هنا: لذة) العيش هنا (عدنا، في غير مكة).

(٦) جدادى الثانية.

(٧) واكثرنا «مكاناً» في مركب كبير.

(٨) الإقلاع: السفر في البحر. مسينة: مدينة في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة صقلية (جزيرة كبيرة في جنوب شبه جزيرة إيطاليا).

(٩) بينهم (بين النصارى، بين الإفرنج الصليبيين).... معاهدة أمان...

(١٠) ... لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد أهلها من الكفار إذا كان يستطيع السكنى في بلد إسلامي (إلا إذا كان مسافراً ومراً في ذلك البلد ثم بقي فيه وقتاً ما حتى يتيسر له متابعة السفر).

منها المذلة والسكنة الذميمة^(١)، ومنها سماع ما يُفجع الأفئدة من ذكر من قدس الله ذكره^(٢) وأعلى خطره لا سيما من أراد لهم وأسافلهم؛ ومنها عدم الطهارة والتصرف بين الخنازير وجيع الهرمات إلى غير ذلك مما لا ينحصر ذكره ولا تعداده.

- من الحياة الاجتماعية في أثناء الحروب الصليبية:

ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم^(٣) القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء ممن أنقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم. وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه وفيه المياه الطردة والظلال الوارفة^(٤). وقلما يخلو من التبتل والزهادة^(٥). وإذا كانت هذه معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة، فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض. ومن أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفشتين مسلمين ونصارى. وربما يلتقي الجمعان ويقع بينهم المصاف^(٦) ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم^(٧) دون اعتراض، شاهدنا في هذا الوقت - الذي هو شهر جُمادى الأولى^(٨) - من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، وهو أعظم حصون النصارى، وهو المعرض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر - بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشف قليلاً^(٩).... فنارزله هذا السلطان وضيق عليه

(١) يعانها: يقاسيها، يخضع لها. السكنة الذميمة (الخضوع لغير المسلمين).

(٢) يفجع (يؤلم) الأفئدة: (القلوب) من ذكر من قدس الله ذكره (الرسول).

(٣) النصارى الذين كانوا (في مطلع القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد) يسكنون جوانب من الساحل.

(٤) المطردة: (الأهوار) التي يتتابع جريان مائها. الوارف: المتسع.

(٥) التبتل: ترك الزواج، الانقطاع إلى عبادة الله. الزهادة (بالفتح): الزهد (بالضم): ترك الرغبة في أمور الدنيا).

(٦) الجمعان: الفريقان المتحاديان. المصاف: الوقوف في موقف المستعد للقتال.

(٧) ورفاق المسلمين والنصارى (من الذين لا يتقاتلون) تختلف (يختلفون: يتنقلون) بينهم (بين الذين يتقاتلون) من مكان إلى آخر.

(٨) من سنة ٥٨٠ هـ (صيف ١١٨٤ م).

(٩) صلاح الدين الأيوبي.... الكرك (بلدة عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت). أشف: أقل.

وطال حصاره، واختلاف القوافل من مصرَ إلى دِمَشقَ على بلاد الإفرنج غير مُنقطع. واختلاف المسلمين من دِمَشقَ إلى عكَّة كذلك. وتُجارُ النصارى أيضاً لا يُمنَعُ أحدٌ منهم ولا يُعترَض. وللنصارى على المسلمين ضريبةٌ يُؤدونها في بلادهم^(١)، وهي من الأمانة على غاية. وتُجارُ النصارى أيضاً يُؤدُون في بلاد المسلمين على سَلَمهم^(٢). والاتفاقُ بَيْنَهُم والاعتدالُ في جميع الأحوال. وأهلُ الحرب مُشتغلون بحربهم، والناسُ في عافية. والدنيا لمن غلب.

٤ - رحلة ابن جبير (رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٢ م، الطبعة الثانية (ده خويه)، ليدن (بريل) ١٩٠٧ م؛ القاهرة (مطبعة السادة) ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)؛ (تحقيق حسين نصار، القاهرة (مكتبة مصر) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ م؛ القاهرة (دار التحرير والنشر) ١٩٦٨ م.

★ ★ زاد المسافر ١١٤ - ١١٥؛ المغرب ٢ : ٣٨٤ - ٣٨٥؛ التكملة رقم ٥٩٨؛ الذيل والتكملة ٥ : ٥٩٥ وما بعد؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢ : ١٦٨ - ١٧٤؛ شذرات الذهب ٤ : ١٦٠؛ نفع الطبيب ٢ : ٣٨٠ - ٣٨٩، ٤٨٥ - ٤٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٧٥٥؛ بروكلمن ١ : ٦٢٩، الملحق ١ : ١٨٧٩؛ نيكل ١٩٣ - ١١٩٤؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢١٤ (٣١٩ : ٣٢٠)؛ سركيس ٦١ - ١٦٢؛ بالنشيا ٣١٦ - ١٦٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٦ - ١٠٤؛ تراجم اسلامية ٣٢٨ - ٣٣٧.

ابن حزمون المرسى

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ الرحمن بن حزمون كان مُتصلاً بالمُوحدين وله مدائحٌ جليلةٌ في المنصور الموحدي. ويبدو أنه كان يُرافقه في عددٍ من الغزوات. وفي سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ - ١٢١٨ م) كان في مُرسيةٍ فلقيَ فيها عبدَ الواحد المراكشي (ت نحو ٦٤٧ هـ) ولعلَّ ابنَ حزمون تُوُفِّيَ في تلك السنة (أي ٦١٤ هـ) أو بعدها بقليل.

(١) في بلادهم (بلاد النصارى: البلاد التي استولى عليها الإفرنج الصليبيون).

(٢) السلة: الحاجة المروضة للبيع.

٢ - كان أبو الحسن بن حزمون متسع القول في أنواع الشعر يقول القصيدَ وَيَغْلِبُ عليه القولُ في الموشح. وفنونه المديح والهجاء والغزل. وكان كثير الميل إلى الهجاء يُقذِعُ فيه جِدًّا. ثم هو لم يترك مَوْشَحَةً سارت على ألسن الناس إلا عارضها فقلَّبا هجاء مُقذِعاً. وكان ابن حزمون ناقدًا بصيرًا. قال: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً من التكلف. ف قيل له: على مثلي ماذا؟ فقال: على مثلي قولي:

يا هاجري، هل إلى الوصال منك سبيل؟
أو هل يرى عن هواك سأل* قلب العليل؟

٣ - مختارات من شعره:

- لما رجع المنصور الموحدي من غزوة الأرك، سنة ٥٩١ للهجرة (وقد انتصر فيها نصراً عظيماً) قال ابن حزمون يمدحه:

حَيْثُكَ مُعْطَرَةٌ النَّفْسِ فَنَحَاتُ الْفَتْحَ بِأَنْدَلُسِ؛
فَذَرِ الْكُفَّارَ وَمَأْتَمَهُمْ؛ إِنَّ الْإِسْلَامَ لَنِي عُرْسِ.
أَمَامَ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ، طَهَّرْتَ الْأَرْضَ مِنَ الدَّنَسِ،
وَمَلَأْتَ قُلُوبَ النَّاسِ هُدًى قَدْنَا التَّوْفِيقُ لِلْمُنَسِ،
وَرَفَعْتَ مَنَارَ الدِّينِ عَلَى عَمِيدِ شَمٍّ وَعِلى أُسِّ (١).
وَصَدَّغْتَ رِداءَ الْكُفْرِ كَمَا صَدَّغَ الدِّيَجُورَ سَنَا قَبَسِ (٢).
جَاءُوكَ تَضِيقُ الْأَرْضُ بِهِمْ عَدَدًا لَمْ يُخْصَصْ وَلَمْ يُقَسِ.
خَرَجُوا بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ سِ لِيَخْتَلِسُوا مَعَ مُخْتَلَسِ (٣).

(*) السالي: الناسي

(١) عمد جمع عمود: أسطوانة.. شَمٌّ جمع أشم: عال.

(٢) صدع: شق. الديجور: الظلام (مفعول به مقدم). سنا: نور (فاعل «صدع» الثانية).

(٣) «خرجوا بطرا ورياء الناس» اقتباس من قوله تعالى «ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا

ورياء الناس» (٨: ٤٦)، (سورة الأنفال)، إشارة إلى قريش الذين جاءوا، في سنة ٥ للهجرة (٦٣٧ م)

بجيوش كبيرة لحصار المدينة (في غزوة الخندق أو الأحزاب).

وَمَضَيْتَ لِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى تَقْنَةِ بِاللهِ وَلَمْ تَخِسْ^(١).

ثم يصف الخيل وهزيمة الأذفنش (القب للملك الإسبان) ثم يخاطب الأندلس:

مَلَأَ التَّوْحِيدُ أَعْيُنَهَا وَأَغَارَ بِهَا رُوحُ الْقُدُسِ^(٢).

جَاسَتْ جَنَبَاتِ الْكُفْرِ فَلَمْ تَتْرُكْ لَهُمْ مَا لَمْ يُجَسْ^(٣)

لَمْ يَبْقَ بِهَا مَثْوَى رَجُلٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَذَا فَرَسٍ^(٤)

لَحِقُوا بِقُرُونِ الشَّمِّ فَلَا سُقَيَا لَطُلُولِهِمُ الدُّرُسِ^(٥).

إِنْ كَانَ نَجْمًا أَذْفُنُهُمْ فَإِلَى عَيْشٍ نَكِيدُ نَعْسٍ

فَمَضَى لَمْ يُلَوْ عَلَى أَحَدٍ، وَرَمَى بِالْدِرْعِ وَبِالْتُّرُسِ

لَصَلِيلِ الْمُنَادِ بِفَرْقِهِ لَا يَسْمَعُ صَلَصَلَةَ الْحَرَسِ^(٦).

أَجْزِيرَةَ أَنْدَلُسَ، اعْتَصِمِي بِأَمَامِ الْأُمَّةِ وَاخْتَرِسِي.

أَرْعَاكِ حِرَاسَتَهُ مَلِكٌ جَبْرِيلُ لَهُ أَحَدُ الْحَرَسِ.

- وله من موشحة^(٧) وهي تُروى لأبي الحسن بن نزار (ت قبل ٥٧٥ هـ) راجع فوق.

اشْرَبْ عَلَى نَعْمَةِ الْمَثَانِي ثَانٍ^(٨)

(١) خاس يحبس: ذل، نقض المهد، خان.

(٢) ملأ التوحيد (الإسلام) أعنة الخيل (خرجت للجهاد في سبيل الله). وأغار: هجم. روح القدس:

جبريل. - ما أنت الذي قادها إلى النصر، بل جبريل قادها إلى النصر بإذن الله.

(٣) جاست (دارت وترددت) الخيل في جوانب بلادهم (بالحرب). ما لم يحس (بالبناء للمجهول): بقعة لم تصل إليها بالحرب.

(٤) مثنوى (مقام) رجل (بقعة) بمقدار يكفي لمفعد رجل واحد). الشذا: الرائحة الطيبة (٤).

(٥) لحقوا بقرون الشم: وصلوا، هربوا (من الخوف) إلى الجبال العالية. فلا سقيا (لا سقى الله، لا بارك الله) في طولهم (بقايا بيوتهم التي تهدمت بالحرب) الدُّرُس (جمع دارس: الذي بحيث آثاره).

(٦) إن صوت وقع السيوف في مفارقه (مقدم رؤوسهم) كان شديداً حتى لو أنهم - لو قرعت الأجراس على مقربة منهم لما سمعوا.

(٧) لاحظ أن القافية في كل شطر هي الجزء الأخير من القافية الأولى.

(٨) المثنى: وتر من أوتار المود (المثاني هنا: الآلات الموسيقية). ثان (ثانياً) مرة ثانية!

ولا تَكُنْ في هَوَى الغواني وان^(١)
 وَقُلْ لِمَنْ لَمْ في مُعَانٍ: عان^(٢)
 ماذا من الحُسْن في بُرودِ رود^(٣).

* * *

يَمِيجُ وَجَدِي إِذَا الْأَنَامُ ناموا^(٤)
 قومٌ إِذَا عَنَّسَ الظُّلَامُ لاموا^(٥)
 وما به هَامٌ مُسْتَهَامٌ هاموا^(٦)
 فَقُلْ لِعَيْنٍ بَلَا هُجُودٍ: جودي^(٧)

- وقال يهجو نفسه ثم يَسْتَطَرِدُّ إلى هِجَاء شخص يسميه مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى:
 تَأَمَّلْتُ فِي الْمِرَآةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أَشَارَتْ إِلَى اللَّهِو^(٨).
 فَلَوْ كُنْتُ مِمَّا تُنَبِّئُ الْأَرْضُ لَمْ أَكُنْ من الرَّاغِبِ الْبَاهِي وَلَا الطَّيِّبِ الْخُلُو.
 وَأَقْبَحُ مِنْ مِرَايَ بَطْنِي، فَإِنَّهُ يَقَرِّقُرُ مِثْلَ الرِّعْدِ قَرَقَرَ فِي الْجَوِّ،
 وَإِلَّا كَقَلْبِي بَيْنَ جَنْبَيْ مُحَمَّدٍ سَلِيلِ ابْنِ عِيسَى حِينَ قَرَّ وَلَمْ يُلَوْ^(٩).
 يَوَدُّ بَانَ لَوْ كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ جَنِينًا وَلَمْ يَسْمَعْ حَدِيثًا عَنِ الْغَزْو.

- (١) الغانية: المرأة التي تستغني بجمالها عن التزويج بالخلي. وان (وانياً) تب.
 (٢) المعاني (بضم الميم): الذي عرف الحب ولقي فيه عذاباً. عان (فعل أمر): قبل أن تلومه على حب
 أحبيب أولاً مثله. («عان» تحتاج إلى مفعول به هو «ماذا» في الشطر التالي).
 (٣) ... ما تنطوي عليه برود (ثياب حرير) رود (امرأة بضء الجسم ناعمة).
 (٤) الوجد: الحب.
 (٥) عمن الليل: أنى بظلامه.
 (٦) هام: تحير، أحب حباً شديداً. هاموا: أحيوا.
 (٧) هجود: نوم. جودي بالبكاء: ابكي كثيراً.
 (٨) أشارت إلى اللهو: أرادت اللهو والغزل (وهذا قبيح من المجازات).
 (٩) ألوى: التفت، مال. - فر ولم يلو: هرب ثم لم يلتفت إلى ورائه (من الخوف).

تَقِيلُ وَلَكِنْ عَقْلُهُ مِثْلُ رِيثَةٍ تَطِيرُ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي مَهْمِهِ دَوٍّ^(١) .
تَمِيلُ بِشِدْقِيهِ إِلَى الْأَرْضِ لِحْنَةٍ تُظَنُّ بِهَا مَاءٌ يُفَرِّغُ مِنْ دَلْوَا

*** زاذ المسافر ١٠٦ - ١١٠٨ المغرب ٢: ١٤٧، ٢١٤ - ٢١٦، ٢١٥ - ٢١٨ المعجب
٢١٣ - ٢١٦ الذيل والتكملة ٥: ٢٤٠ - ٢٤٦ نفع الطيب ٣: ٤٦٥ - ٤٦٦، ٧:
٩ - ١٠ نيكل ١٣٤٢ الأعلام للزركلي ٥: ٧٨ - ٧٩ (٤: ٢٧١).

ابن المُرْخَى المَغْرِبِي

١ - هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللّخمي^(٢)
تَلَقَّى العِلْمَ عَلَى أَبِيهِ أَبِي الْحَكَمِ عَلِيٍّ، وَقَدْ أَجَازَ لَهُ أَبُوهُ فِي سَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٧٩ هـ، كَمَا
تَلَقَّى أَشْيَاءَ مِنَ الْعِلْمِ أَيْضاً عَلَى اللَّصِّ (أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَيِّدِ الْكِنَانِيِّ الْمُتَوَفَّى ٥٧٧ هـ)
وَمِنْ غَيْرِهِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْمُرْخَى الْمَغْرِبِيِّ سَنَةَ ٦١٦ (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كَانَ ابْنُ الْمُرْخَى الْمَغْرِبِيِّ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَأَدَبٍ وَوَجَاهَةٍ وَرِوَايَةٍ وَكِتَابَةٍ: كَانَ
أَبُوهُ أَبُو الْحَكَمِ عَلِيٌّ كَاتِباً، وَكَانَ جَدُّهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ. وَابْنُ
الْمُرْخَى صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ لُغَوِيٌّ وَأَدِيبٌ كَاتِبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ مُخَسَّنٌ. ثُمَّ هُوَ
مُصَنِّفٌ: اخْتَصَرَ كِتَابَ «الْغَرِيبِ الْمَصْنُوفِ» (لَأَبِي عُبَيْدِ بْنِ سَلَامٍ الْحَمَوِيِّ الْمُتَوَفَّى نَحْوَ
٢٢٣ هـ) وَسَمَّاهُ «حِلْيَةَ الْأَدِيبِ». وَلَهُ أَيْضاً مِنَ الْمَصْنُوفَاتِ «ذُرْوَةُ الْمُلْتَقَطِ فِي خُلُقِ
الْخَيْلِ» وَغَيْرُ ذَلِكَ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شَعْرِهِ:

- كَتَبَ ابْنُ الْمُرْخَى الْمَغْرِبِيُّ إِلَى أَسَاتِذِهِ ابْنِ سَيِّدِ اللَّصِّ يُخَاطِبُهُ بِالْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ:

- (١) المَهْمَةُ (الصَّغْرَاءُ الْوَاسِعَةُ) الدَّوُّ (الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ). الْأَرْوَاحُ جَمْعُ رِيحٍ.
(٢) رَاجِعْ صَلَةَ الصَّلَاةِ ص ١٠٦. فِي الْوَاقِعِ بِالْوُفَيَّاتِ (٤: ١٥٧): مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَفِي
بَغِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٧٥): مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. رَاجِعْ أَيْضاً حَاشِيَةَ
مُفِيدَةٍ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ (٧: ١٦٨) فِيهَا أَنَّ مَصْدَرًا ذَكَرَهُ بِاسْمِ ابْنِ الْمَرْجِي (بِالْجِيمِ) وَأَنَّ مَصْدَرًا آخَرَ
لَمْ يَذْكُرْهُ لَا بِاسْمِ ابْنِ الْمَرْجِي (بِالْجِيمِ)، لَا ابْنِ الْمُرْخَى (بِالْهَاءِ).

سَاهَجَرُ الْعِلْمِ لَا بُغْضًا وَلَا كَسَلًا،
 وَلَا أَمْرٌ بَبِيْسٍ فِيهِ مَسْكَنُهُ
 إِذَا ظَلِمْتُ، وَكَانَ الْعَذْبُ مُتَتَبِعًا،
 إِذَا طُرِدْتُ قَصِيًّا عَنْ حِيَاضِكُمْ
 قَدْ كَانَ عِنْدِي زَعِيمُ الْقَوْمِ عَالِمُهُمْ،
 مَا إِنْ رَأَيْتُ الَّذِي يَزِدَادُ مَعْرِفَةً
 وَآيَةُ الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَتَجَرُّبِي
 حَتَّى يُقَالَ ارْعَوِ عَنْ حُبِّهِ وَسَلَا^(١)،
 كَيْلًا يُمَثَّلُ شَوْقِي حَيْثَا مَثَلًا^(٢)،
 فَلَسْتُ عَنْ غَيْرِ ذَاكَ الْعَذْبِ مُعْتَرِلًا^(٣)،
 فَإِنَّ نَفْسِي مِمَّا تَكَرَّرَ النَّهْلُ^(٤)،
 فَالْيَوْمَ عِنْدِي زَعِيمُ الْقَوْمِ مَنْ جَهْلًا،
 إِلَّا يَزِيدُ انْتِقَاصًا كُلَّمَا كَمَلَا،
 أَنَّ الْجَوَادَ عَلَى الْعَلَاتِ مَا وَالَا^(٥)!

٤-★★ المطرب، راجع ٢٠٨ - ٢٠٩ الوافي بالوفيات ٤: ١٥٧ راجع صلة الصلة ١٠٦
 (رقم ٢١٦)، بغية الوعاة ١٧٥ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦: ٢٨٠).

أبو القاسم بن سعيد

١- هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي من أسرة
 مُصَنَّفِي كتاب «المُفَرَّب». كان شابًا قَلْبًا طَمُوحًا. وَلَمَّا اسْتَوَى الْمُوَحِّدُونَ عَلَى
 الْأَنْدَلُسِ كَانَ الْوَالِي مِنْهُمْ عَلَى غَرْنَاطَةِ السَّيِّدُ أَبُو سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فَاتَّخَذَ أَبَا
 جَعْفَرٍ أَحَدَ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ كَاتِبًا لَهُ. وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ
 مَعَهُ. وَحَدَّثَتْ نُفْرَةٌ بَيْنَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ. ثُمَّ كَانَ أَنْ فَرَّ

(١) ارعوى... عن حبه للعلم: رجع. سلا: نسي ونفسى.

(٢) ... مسكن العلم. مثل (يفتح ففتح أو يفتح فضم): قام منتصباً (وُجِدَ). كَيْلًا يُمَثَّلُ شَوْقِي حَيْثَا مَثَلُ: كَيْلًا
 أَشْرَ بِاحْتِرَامِ لَذَلِكَ الْمَكَانِ فَأَقَفَ (أَوْ أَبْقَى) فِيهِ عَلَى مَقْدَارِ حُبِّي (الْأَوَّلُ) لِلْعِلْمِ.

(٣) الواضح: إِذَا لَمْ أَتَمَّ نَصْبِي فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْعِلْمِ أَحَاوِلُ أَنْ أَتَالَهُ عَنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْعِلْمِ. وَلَكِنْ الْمُلُوحُ
 وَبِالْمُقَارَنَةِ بِالْبَيْتِ التَّالِيِ يَفْتَضِي حَذْفَ كَلِمَةِ «غَيْرَ» فَيَصِحُّ الْمَعْنَى: إِذَا لَمْ أَجِدْ مَا عَذْبًا (خُلُوعًا، أَيْ
 عَلِيًّا صَحِيحًا)، فَأَتَنِي لَا أَرْضَى شَيْئًا دُونَ (أَدْنَى مِنْ) ذَلِكَ.

(٤) قَصِيًّا: بَعِيدًا. الْهَوَاضُ: جَمْعُ الْمَاءِ. النَّهْلُ: الشَّرْبُ الْأَوَّلُ (المقدار اليسير من حاجة العطشان).

(٥) آية: علامة. الْجَوَادُ: الْحَصَانُ. الْمَلَّةُ: الشَّرْبَةُ الْأُولَى. - أَنَّ الْحَصَانَ إِذَا بَدَأَ يَشْرَبُ فَإِنَّهُ لَا يَبْلُ (يرجع)
 عَنْ الشَّرْبِ حَتَّى يَسْتَوْفِي حَاجَتَهُ مِنَ الْمَاءِ (وَأَنَا - مَعَ كُلِّ مَا أَصَابَنِي عَلَى يَدِ الْجَهَالِ - إِذَا رَأَيْتُ مَجْلِسَ
 عِلْمٍ فَلَا أَغَادِرُ مَكَانَهُ حَتَّى اسْتَوْفِيَ حَظِّي مِنْهُ).

عبد الرحمن إلى محمد ابن مردنیش ملك شرقي الأندلس (٥٤٢ - ٥٦٦ هـ).
أبي سعيد بن عبد المؤمن فيها فقتل أبا جعفر.

رحل عبد الرحمن عن الأندلس إلى المغرب ثم تابع الرحلة شرقاً إلى م
فالشام فالبحار فإلى العراق فبلاد المجرم إلى ما وراء النهر وسكن في بخارى. وقتل
عبد الرحمن في بخارى يوم دخلها التتار وقتلوا أهلها بعد أن كانوا قد آمنوهم،
وذلك في المحرم من سنة ٦١٧ (آذار - مارس ١٢٢٠ م) (راجع نفع الطيب ٢: ٣٧٣
ثم ابن الأثير ١٢: ٣٨٩، شذرات الذهب ٥: ٧٢).

٢ - كان أبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد أديباً مفطوراً سلس الشعر عذب الشعر
ينكشف نثره خاصة عن الإمامه بعدد من العلوم، ويبدو أنه أكثر القراءة في الجغرافية
والتاريخ. في نثره سجع قليل وصناعة خفيفة سائغة. شعره وجدائي تغلب عليه
الشكوى. وهو حسن السرد.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب أبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد من سمرقند^(١) إلى أهله بالأندلس
يصف شقاءه في أسفاره ويبيد بأساً من الإياب (العودة) إلى الأندلس:

مَنْ لَصَبٌ يَرعى النجومَ صَبَابَةً ضَيْحَ السَّيْرِ فِي المَهمومِ شَبَابَةً^(٢) ؟
زِدْتُ بُعْدًا فَزِدْتُ فِيهِ اقْتِرَابًا يودادي، كَذَلِكَ حُكْمُ القَرَابَةِ^(٣).
مَنْزِلِي الآنَ سَمَرْقَنْدُ، وَبِالْقَلْدِ حَقَّةَ رَنْجٍ وَطِثْتُ طِفْلاً تُرَابَهُ^(٤).
شَدَّ مَا أَبْعَدَ الفِرَاقُ انتِزَاحِي هَكَذَا اللَّيْثُ لَيْسَ يَذْرِى اغْتِرَابَهُ^(٥).

(١) سمرقند من أمهات مدن ما وراء النهر (التركستان).

(٢) اللَّصَبُ: الهب. والصبابة: شوق، رقة الشوق أو جوارته. رعى النجوم: راقبها (قضى الليل ساهراً).

(٣) حكم (قانون، عادة) القرابة أن الإنسان إذا اغترب زاد اشتياقه إلى أهله.

(٤) قلعة بني سعيد أو قلعة بحصب (نفع الطيب ٢: ٣٣٠) من عمل إلىبيرة (المغرب ٢: ١٥٩) من نواحي
غرناطة.

(٥) شَدَّ: ما: ما أشد ما أكثر. الانتزاع: الابتعاد. والليث: الاسد (الرجل المقدام ليس يذري اغترابه: لا
يشعر أنه يقطع المسافات).

لا ولا أرتجي الإيابَ لأمرٍ إن يكن يرنجي غريباً إياه .
- وكتب إلى أهله من بخارى :

إذا هبَّتْ رياحُ الغربِ طارتُ إليها مُهَجَّتِي نحوَ التلاقي^(١)
وأحسبُ مَنْ تَرَكْتُ بهِ يَلاقي، إذا هبَّتْ صباحاً، ما ألاقِي^(٢)
فيا لَيْتَ التفرُّقَ كانَ عدلاً فحُمِّلَ ما يُطِيقُ مِنْ اشتياقي^(٣)
وليتَ العُمُرَ لم يَبْرَحْ وصالاً ولم يُخْتَمَ عَلَيْنَا بالفراقِ .

إذا كَانَ الشوقُ فوقَ كُلِّ صِفةٍ فكيفَ تُعَبِّرُ عنه الشِّفَّةُ ؟ ولكنَّ العُنوانَ دَلالةٌ على بعضِ ما في الصَّحيفة . والحاجِبُ قد يَنوبُ في بعضِ الأمورِ مَنابَ الخليفة^(٤) . وما ظَنُّكُمْ بِشوقِ طريحٍ في يدِ الأشواقِ طليحٍ^(٥) ؟ يَقطعُ مِباحاتِ الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ ، وَيَجُوبُ أَهْوِيَةَ الأقاليمِ السَّبعِ^(٦) ، خارجاً بما أَدخله فيه اللَّجوجُ عَنِ الشَّرعِ^(٧) . فَكانَ خَليفةَ الإسكندِرِ^(٨) ، لَكِنَّ ما يَجيشُ من همومِ الغربةِ بِفكري قائِمةً مقامَ الجيشِ والمسكرِ^(٩) . جُزْتُ إلى بَرِّ العُدوةِ مِنَ القَرَبِ الأَقصى^(١٠) ،

(١) رياح الغرب (من جهة الغرب) الهجعة: دم القلب (القلب).

(٢) الصبا: ربح الشرق. - أَظُنُّ أَن أَهْلِي يَجِبُونَ رِيحَ الشَّرْقِ كَمَا أَحَبُّ أَنَا رِيحَ الغَرَبِ .

(٣) ... لعل الشاعر يلوم أهله لأنهم كانوا هم سبب الابتعاد عنهم ثم يدعو الله أن يحملوا من ألم الفراق مثل ما يحمله هو .

(٤) الحاجب (في الأندلس): رئيس الوزراء (الكناية غامضة، إلا إذا كان المقصود أن العنوان أحياناً يمكن أن يدلّ على كلِّ ما في الصحيفة).

(٥) الطليح: الذي بلغ منه الهزال (بالضمّ: التحول) والإعياء (بالكسر: التعب) مبلغاً عظيماً.

(٦) يجوب: يقطع (يطوف). أهوية جمع هواء (مناخ، بالضمّ). الأقاليم السبعة (كان القدماء قد جعلوا القسم المسكون من الأرض - شال خطّ الاستواء - سبعة أقاليم، أي سبع درجات من المناخ). - يريد أن يقول: إنّه قاسى الحياة في جميع الأحوال.

(٧) اللجوج (بفتح اللام؟): الشدّيد الخصومة. خارجاً بما الشرع (٤): القانون المألوف.

(٨) خليفة الاسكندر (ذو القرنين) الذي قطع البلاد من جانب إلى جانب حتّى وصل إلى منقطع الأرض (إلى مكان ليس وراءه بشر في ظنه).

(٩) - لكن الاسكندر المقدوني كان معه جيوش يستأنس بها ويعتمد عليها في دفع الأعداء، أمّا أنا فلم يكن معي سوى هموم الغربة (كنت وحدي تساوري المخاوف). قائمة (٤)، لعلّها: « كان قائماً. مائلاً، حاضراً ».

فَطَمَحَتْ نَفْسِي إِلَى مُشَاهَدَةِ الْغَرْبِ الْأَوْسَطِ فَلَاقَيْتُ فِيهَا بَيْنَهَا مِنَ الْمَسَافَةِ مِنَ الْمَسَاقِ مَا لَا يُخْصَرُ. ثُمَّ تَشَوَّقْتُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ دَرْبِ بِلَادِ الشَّرْقِ^(١)، فَاسْتَشْمَرْتُ مِنْ هُنَاكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بِلَادِي مِنَ الْفَرْقِ. وَاخْتَطِطْتُ مِنْ عَيْنِي تِلْكَ الطَّلَاوَةَ^(٢) وَأَنْتَزَعْتُ مِنْ قَلْبِي تِلْكَ الْحَلَاوَةَ..... ثُمَّ نَازَعْتَنِي نَفْسِي التَّوَاقُّةُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.... وَجُرْتُ بِحَرِّ جُدَّةٍ وَذُقْتُ تَبَارِجَهُ^(٣). وَقَضَيْتُ الْحَجَّ وَالزِّيَارَةَ^(٤)، وَمِلْتُ إِلَى الشَّامِ دِمَشْقَ وَالنَّفْسُ بِالسَّوَاءِ أَمَّارَةٌ^(٥). فَهَنَّاكَ بِعَتِّ الزِّيَارَةِ بِالْأَوْزَارِ^(٦)، وَأَلَّتْ تِلْكَ التِّجَارَةَ إِلَى مَا حَكَمْتَ بِهِ الْأَقْدَارَ^(٧).... فَلِلَّهِ مَا تَضَمَّنَ دَاخِلُهَا مِنَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ^(٨) وَمَا زُيِّنَ بِهِ خَارِجُهَا^(٩) مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْجَنَانِ..... وَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ عَنْ حَلَبٍ أَنَّهَا دَارُ الْكَرَمِ وَالْأَدَبِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْطِيَ^(١٠) بَصْرِي بِمَا حَظِي بِهِ سَمْعِي. وَرَحَلْتُ إِلَيْهَا وَأَقَمْتُ فِيهَا جَابِراً بِالْمُذَاكِرَةِ وَالْمُطَابَاةِ صَدْعِي^(١١). ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ فَالْفَيْتَهَا مَدِينَةً عَلَيْهَا رَوْتَقُ الْأَنْدَلُسِ،

(١٠) جزت (قطعت بحر الزقاق، بين الأندلس وقارة إفريقية) إلى برَّ العدوَّة (الجانب الجنوبي من بحر الزقاق: شالي إفريقية).

(١١) الغرب (المغرب) الأوسط: القطر الجزائري. إفريقية: «هنا» القطر التونسي. درب بلاد الشرق (الطريق التي تصل بالأسافر من الأندلس إلى الشرق: مصر والشام والحجاز وما وراءها شرقاً).

(٢) استنحر: أضمهر (الخوف)، والمقصود (هنا): شمر، أحسن. الطلاوة (بالفتح والكسر وبالضم) الحسن والرويق (ما يسر العين).

(٣) جدَّة: مرفأ مكة (على البحر). بحر جدَّة: البحر الأحمر. التباريح: الشدائد.

(٤) الحج: القيام بمناسك الحج في الموسم (من الثامن إلى العاشر من شهر ذي الحجة: الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية). الزيارة: زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة.

(٥) بالسوء (بالعمل القبيح). «إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسَّوَاءِ» (١٢: ٥٣، سورة يوسف).

(٦) الوزر (بالكسر): الإثم، الذنب. بعث الزيارة بالأوزار: ارتكبت (في دمشق) ذنباً ذهب بالحسنات التي كنت قد نلتها من زيارة المدينة المنورة.

(٧) آل: صار، رجع. التجارة (هنا): القيام بأعمال قبيحة بعدما قمت بمناسك الحج وزيارة المدينة (ما رجعت من الحسنات في الحج والزيارة خسرته في ارتكاب الذنوب في دمشق الشام). ما حكمت عليَّ به الأقدار (ما كان مكتوباً عليَّ أن أعمله من الذنوب).

(٨) الحور جمع حوراء (المرأة الجميلة).

(٩) خارجها (خارج دمشق): ضواحيها (الغوطة ودمر والهامة، الخ).

(١٠) أردت أن يحظى بصري (ينال بصري حظاً) بما حظي به سمعي: أردت أن أ شاهد ما كنت قد سمعت به (عن حلب).

(١١) جابراً صدي (شقي، كسري): مصلحاً ما فسد من أمري. المذاكرة (ليست في القاموس): مراجعة =

وفيهَا لَطَافَةٌ وَفِي مَبَانِيهَا طِلَاوَةٌ تَرْتَاحُ إِلَيْهَا الْأَنْفُسُ. ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَى مَقَرِّ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ فَعَانَيْتُ مِنَ الْعِظَمِ وَالضَّخَامَةِ مَا لَا يَبْقَى بِهِ الْكِتَابُ وَلَوْ أَنَّ الْبَحْرَ يَدَادُ^(١). ثُمَّ تَغَلَّفْتُ فِي بِلَادِ الْعَجَمِ بَلَدًا بَلَدًا، غَيْرَ مُقْتَنِعٍ بِغَايَةِ وَلَا قَاصِدًا أَمَدًا^(٢)، إِلَى أَنْ حَلَلْتُ بِبُخَارَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَجَمَعَ الْأَنَامِ. فَالْقَيْتُ عَصَا التَّسْيَارِ^(٣) وَعَكَفْتُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَاصِلًا فِي اجْتِهَادِهِ سَوَادَ اللَّيْلِ وَبَيَاضَ النَّهَارِ.

٤- ** - المغرب ١٧٢: ٢ نفع الطيب ٣٧٠ - ٣٧٤، ٤: ١٨١.

ابن طلحة الإشبيلي

١ - هو أبو بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن خلف بن أحمد بن الأسعد ابن حزم الأموي الإشبيلي، وُلِدَ فِي بَابِرَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ^(١) مِنْ سَنَةِ ٥٤٥ (ربيع ١١٥١ م). أَخَذَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ صَافٍ، وَأَخَذَ النُّحُوَّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ابْنِ مَلَكُونٍ وَأَبِي الْوَلِيدِ جَابِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ نَافٍ. وَقَدْ تَصَدَّرَ بَاكِرًا لِلتَّدْرِيسِ وَبَقِيَ أَسَازًا

-
- أشياء من الجذ (بالكسر) كأنواع العلوم والأخبار التاريخية مع نفر من الناس. المطاوعة: الخوض مع نفر من الناس في شيء من المزمج والقصص الخفيف (ثمًا تسر به النفس من غير فائدة عملية).
- (١) مداد: حير (سائل أسود يستخدم في الكتابة). لو كان عندي حير بمقدار ما في البحر من الماء ثم كتبت في أحوال بغداد لفرغ (يفتح ففتح فكسر) البحر من مائه قبل أن أفرغ (بضم الراء) أنا من تدوين وصف بغداد على الورق. راجع القرآن الكريم (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): «قل: لو كان البحر مداداً (بالكسر) لكلمات (بفتح الكاف وكسر اللام) ربّي، لنفد (بفتح ففتح فكسر) البحر قبل أن تنفد (بفتح الغاء) كلمات ربّي.....». فرغ (بكسر الراء) يفرغ (يفتح الراء): خلا، أصبح (الإناء) فارغاً. خالياً. ثم فرغ (بفتح الراء) يفرغ (بضم الراء): انتهى (الرجل من عمله).
- (٢) بلاد العجم (الذين لا يتكلمون اللغة العربية): البلاد الواقعة وراء العراق شرقاً. ولا قاصداً أمداً (غاية): لم أقصد أن أسير في بلاد العجم مسافة معينة.
- (٣) بخارى: عاصمة بلاد ما وراء النهر (جيجون) في أواسط قارة آسيا. ألقيت عصا التسيار (المسير): استغرقت. سكنت.

(٤) في بغية الوعاة (ص ٥٠): ولد في منتصف صفر سنة ٥٤٥ ومات بإشبيلية في منتصف صفر سنة

إشبيلية أكثر من خمسين سنة. وكانت وفاته في مُتَنَصَفِ صَفَرٍ من سنة ٦١٨ (٨ / ٤ م) ١٢٢١.

٢- كان ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ يُقرئ اللغة والنحو والأدب. وكان يقرئ كُتُباً منها (برنامج الرعي ٧٩): الأشعارُ الستة (الملفات) - كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) - شعرُ حبيب (أي تمام، ت ٢٣٢ هـ) - كتاب الحماسة (لأبي تمام) - إصلاح المنطق (لابن السكيت، ت ٢٤٤ هـ) - الأمثال (كتاب الأمثال لابن السكيت؟) - الكامل (للمبرد، ت ٢٧٦ هـ) - فصيحُ ثعلب (ت ٢٨٦ هـ) - الجُمَل (للزجاجي، ت ٣٤٠ هـ) - الإيضاح (في علل النحو للزجاجي؟) - أدب الكتاب (للصولي، ت ٣٣٥ هـ) - النوادر لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) - المقامات (؟) للحريري، ت ٥١٦ هـ)، وكان يُقرئ «على طريقة التفقه والتعلم» (برنامج الرعي ٧٩). ولابن طلحةَ شِعْرٌ رقيقٌ خارجٌ عن شعر النحاة (نفع الطيب ٣: ٤٧٦).

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ في غلامٍ كان له شعرٌ وافرٌ ثم قصَّ شيئاً منه:

بدا الهلالُ، فلما بدا نقضتُ وتما^(١).
كانَ جِسمي «فعلٌ» وسخرُ عَيْنَيْهِ «لما»^(٢).

- وله في الوصف:

إلى أيِّ يومٍ بعده يُرْفَعُ الحُمْرُ؟ وللورقِ تغريدٌ وقد خَفَقَ النَّهْرُ^(٣).

(١) يشبه وجه الغلام بالهلال (حينما كان شعره وافرأ ولا يرى إلّا جانب صغير من وجهه). فلما قصَّ الغلام شيئاً من شعره بدا جانب أكبر من وجهه (فكأنه أصبح بديراً). نقضت (نقضت قوتي بتقدم السن عن التمتع بشمات الجمال).

(٢) فعل: فعل مضارع معتلٌ، و«لما» (من أحرف الجزم) ينقص بها الفعل المعتل (يقول، ينمو: لم يقل، لم ينم).

(٣) - إلى متى يؤجّل شرب الحمر؟ الورقاء: الحماة. خفق النهر: زاد ماؤه (يكون ذلك في الربيع).

وقد صَقَلَتْ كَفَّ الغزاة أَقْفَهَا، وفوق مُتُونِ الرّوض أُرْدِيَةٌ خُضْرُ^(١).
وَلَمْ قَدْ بَكَتْ عَيْنُ السَّمَاءِ بِدَمْعِهَا عليها! ولولا ذاك ما ابْتَسَمَ الزَّهْرُ.

٤- ** برنامج الرعي ٧٩ - ١٨٠ المغرب ١: ١٢٥٣ بغية الوعاة ٤٩ - ١٥٠ نفح الطيب
٤٧٦ - ٤٧٧.

الشريشي

١- هو كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، وُلِدَ في شريش سَنَةَ ٥٥٧ (١١٦٢ م).

تطوَّفَ أبو العباس الشريشي بالأندلس وتلقَى العلمَ على نَفَرٍ، منهم: القاضي أبو الحسن علي بن لبّال الشريشي (ت ٥٨٣ هـ) والفقير محمد بن سعيد بن زرقون الشريشي (٥٠٢ - ٥٨٦ هـ) وأبو بكر بن زهر (ت ٥٩٦ هـ) والقاضي مُصَنَّبُ بن أبي ركب الحُشَنِي الجَيَّانِي (ت ٦٠٤ هـ) وعلي بن محمد بن خروف النحوي (٥٢٤ - ٦٠٤ هـ) وغيرهم. وَرَحَلَ الشريشي فزارَ مِصرَ والشَّامَ.

وتصدَّرَ الشريشي للتدريس في شريش وبلَنَسِيَّةَ لإِقراءِ اللُّغة والنحو والعروض والأدب، كما كان الأدباء يقرأون عليه «شُرْحَهُ» لمقامات الحريري. وقد كانت وفاته في شريش في ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦١٩ (أوائل ١٢٢٣ م).

٢- كان أبو العباس الشريشي واسعَ المعرفةَ بعلومِ اللُّغة عارفاً باللغات (لهجات العرب) وبفنون النحو والشعر والأدب. وكان مُصَنِّفاً بارعاً له: مُختصر نوادر القالي (ت ٣٥٦ هـ) - شرح الجُمَل للزجاجي (ت ٣٣٩ هـ) - شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) - شرح عروض الشعر - علل القوافي - وغيرها. غير أن شهرته تقوم على شرح «المقامات» للحريري (٥١٦ هـ) صنع منه ثلاث نسخ: شرحاً كبيراً وشرحاً وسيطاً وشرحاً صغيراً. وذاع شرح الشريشي للمقامات في أيامه ذيوماً

(١) صقلت كف الغزاة (الشمس) أقفها (أزالت منه اليوم). يرفع (اقرأ: نرفع) فالخمر مؤنثة.

عظيماً، قيل إنه أجاز سَبْعِمِائَةَ نُسخَةٍ منه، وقد أُقبلَ عليه النصارى واليهودُ ونقلوه إلى عددٍ من لهجاتهم. ذلك لأنَّ مقاماتِ الحريريَّ نفسها كانت قد وصلت إلى الأندلس وَلَقِيَتْ رَوَاجاً كبيراً وَنَسَجَ على مِنوالِها نفرٌ كثيرون. والشريشيُّ قد جَمَعَ شرحه للمقامات من عددٍ من الشروح عليها وأضافَ إليها أشياء كثيرةً من معرفته الواسعة بفقنون العلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال الشرishiُّ في مُقدِّمة « شرح المقامات الحريرية » (*):

الحمدُ لله الذي آخِضَ هذه الأُمَّةَ بأفصحِ الألسنةِ وأفسحِ الأذهانِ وشرَّفَ علَّماها بالافتنانِ في أفانين^(١) البلاغةِ والبيانِ....

أما بعدُ: فإنَّ العلمَ أَرَبُجُ المكاسبِ وأَرْجَحُ المناصبِ وأَرْفَعُ المراتبِ وأنْصَعُ المناقبِ^(٢)، وَجِرْفَةُ أَهْلِ الْهَمَمِ مِنَ الْأُمَمِ، وَنِخْلَةُ أَهْلِ الشَّرَفِ مِنَ السَّلَفِ^(٣)، لَمْ يَتَقَلَّدْ سِلْكَهُ إِلَّا جَيِّدٌ مُجَدِّدٌ^(٤)، وَلَمْ يَتَوَشَّحْ بُرْدَهُ إِلَّا عِطْفُ جَادٍ فِي طَلِبِ الْكَمَالِ جَاهِدٌ^(٥)، وَلَمْ يَسْتَحِقْ اسْمَهُ إِلَّا الْوَاحِدُ الْفَذُّ^(٦) بعدَ الْوَاحِدِ. وَهُوَ وَإِنْ تَشَعَّبَتْ أَفَانِينُهُ وَتَنَوَّعَتْ دَوَاوِينُهُ^(٧) فَعِلْمُ الْأَدَبِ عِلْمُهُ وَالْأَسُّ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ كَلِمُهُ، وَالرُّوحُ الَّذِي يَخْبُ فِي

(*) راجع ٣: ٢٣٨.

(١) اقْتَنَى اقْتِنَاءً: تَقَنَّنَ (أَكْثَرَ أَوْجِهَ الصَّنَاعَةَ، نَوْعَ الْبَحْثِ). أَفَانِينَ جَمْعُ أَفْنَانٍ (جَمْعُ فَنٍّ - بَفَتْحٍ فَتَحَ: غَصَنٍ): أَنْوَاعٌ.

(٢) الرَّاجِحُ: الثَّقِيلُ، الرَّزِينُ، الْوَقُورُ، الْكَامِلُ الْعَقْلُ. النَّاصِعُ: الصَّافِي، الْوَاضِحُ. الْمُنْقَبَةُ: الْفِعْلُ الْكَرِيمُ، الْمَفْخَرَةُ.

(٣) النِّخْلَةُ: الْعَمَلُ الَّذِي يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ بِهِ مَعَايِشَهُ.

(٤) تَقَلَّدَ الشَّيْءَ: عَقَلَهُ فِي عَقْهِ. السِّلْكُ: الْحَيْطُ الَّذِي تَنْظُمُ فِيهِ حَبَّاتُ الْعَقْدِ. الْجَيِّدُ: الْعَنَقُ. الْمَجْدُ: الْمَاجِدُ: الَّذِي لَهُ مَجْدٌ (نَبِيلٌ وَشَرَفٌ).

(٥) تَوَشَّحَ بِالشَّيْءِ: لَفَّ عَلَى أَعْلَى جِسْمِهِ. الْبُرْدُ: الثَّوبُ مِنْ حَرِيرٍ. الْمَطْفُ (يَكْسِرُ الْعَيْنَ): الْجَانِبُ الْأَعْلَى مِنَ الْجِسْمِ. الْمَجَاهِدُ: الَّذِي يَبْذُلُ أَقْصَى مَا فِي وَسْمِهِ.

(٦) الْفَذُّ: الْفَرْدُ، الْمَتَفَرَّدُ (الَّذِي لَا يَدَانِيهِ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ الْحَمِيدَةِ).

(٧) الْأَفَانُونُ (بِضَمِّ الْهَمْزَةِ): الْغَضَنُ. الدِّيَوَانُ: الْمَجْمُوعُ مِنْ فَنٍّ مِنَ النِّشَاطِ الْإِنْسَانِيِّ (الْمِيدَانِ).

ميدان الطرس قلته^(١). ولذلك كان أولى ما تَقَرَّحُه القرائح وأعلى ما تَجَنُّحُ إليه الجوانح^(٢)..... ولم يَزَلْ في كلِّ عَصْرِ من حَمَلَتِهِ بدرُّ طالعٍ، وزَهْرُ غُصْنٍ يانعٍ، وعَلَمٌ ترنو إليه أبصارٌ وتُومئُ إليه أصابعُ^(٣)؛ وصناعة البراعة بينهم تَتَمَكَّنُ وتَتَأَصَّلُ وتنويعُ البديع يَنْضَبُطُ ويتحصَّلُ، والآخر^(٤) يَكِدُّ ذِهْنَهُ في تَنَمِيمِ ما غادرَهُ الأوَّلُ، إلى أنْ أَعْتَدَلَتْ كِفَتَاهُ وامتَلأتْ صِفَتَاهُ وراق مُجْتَلاهُ ومُجْتَناهُ وتَناهى^(٥) في الحُسْنِ والإحسان لَفْظُهُ ومعناه. وكان آخِرُ البُلغاءِ وخاتمةُ الأدباءِ أوَّلُهُمُ بالاستحقاقِ وأوَّلَاهُمُ بِسِمَةِ السِّياقِ^(٦)..... أبو مُحَمَّدٍ القاسمُ بْنُ عليٍّ الحريريُّ..... قَبَسَ لِسَانَ الإحسانِ ومدَّ أَفْئانَ الاِفتِنانِ^(٧)، ومَهَّدَ جادَةَ الإِجادَةِ وقَوَّى مادَّةَ الإِفاذَةِ، ولم يُثِقْ في البلاغةِ مُتَعَقِّباً ولا للزِيادَةِ مُتَرَقِّباً^(٨)، لا سِيَّما في المقاماتِ التي ابْتَدَعَهَا والحِكاياتِ التي نَوَّعَهَا وفرَّعَهَا^(٩) والمُلَحَّ التي وَشَّحَهَا بِدَرَرِ الْفَقْرِ ورَصَّعَهَا^(١٠)، فَإِنَّهُ بَرَزَ فيها سابِقاً وبَرَزَ البُلغاءُ فائِثاً^(١١)..... ولَمَّا كَانَتْ مِنَ البراعةِ بهذا المَحَلِّ الشَّهيرِ وسارَتْ مَسِيرَ النِّيرانِ بَيْنَ مَشايرِ الجَماهيرِ^(١٢)، جَمَلَتْ الاعْتناءُ بِها سَهْمٌ فُهْمِي، والمُكوفُ عليها حَزَمٌ عَزْمِي^(١٣) والدُّووبُ في ضَبْطِ لُغائِها وفَكِّ مُخَبَّاتِها أَمُّ هَمِّي^(١٤)..... فكان أوَّلَ

(١) حَبَّ الفرس: عدا، ركض (أسرع). الطرس: الورقة.

(٢) جنح: مال. الجانحة: الضلع (القلب).

(٣) البائع: الناضج؛ ذو اللون الزاهي الجميل. رنا: تَطَلَّعَ. أوماً: أشار.

(٤) الآخر (الذي يأتي قِيا بعد).

(٥) الكفة (بكسر الكاف): وعاء في كلِّ جانب من جانبي الميزان. الضفة (بكسر الضاد): جانب النهر.

راق: حسن. المجتلى: المنظر. المجتنى: القطف، الثمر. تناهى: بلغ النهاية.

(٦) السمة: العلامة.

(٧) الفن: الفصن. الافتنان: التفتن، الهيم، الشيء على أشكال مختلفة.

(٨) تعَقَّبَ الرجل الشيء: تَتَبَّعَهُ ليُبَصِّرَ ما فيه من نقص. ترَقَّبَ: انتظر.

(٩) - الحريري لم يبتدع (يخترع) فنَّ المقامات، وإن كان قد توسَّع في موضوعاتها.

(١٠) الملحّة: الكلمة (أو الفتحة) البارعة الحلوة. الدرّة: الجوهر، اللؤلؤة. الفقرة (بكسر الفاء): العظمة في

العمود الفقري (بكسر ففتح)، الجملة أو جزء منها. رصَّع: زَيَّنَ.

(١١) بَرَزَ: غلب. الفائق: المتفوق، الذي يزيد في الإحسان على الآخرين.

(١٢) النيران: الشمس والقمر. مشاير الجماهير: المشاهير عند الجماهير (٤).

(١٣) سهم فُهْمِي (أوجهٌ إليها كلُّ تشكيري). المكوف على الشيء: الإقبال عليه والنظر فيه. حزم عزمي

(تأكيد قوِّي = الإصرار بجميع مقدراتي).

(١٤) الدُّووبُ: الثابرة. اللغات: الكلمات المختلفة التي تتقارب في المعاني. أَمُّ هَمِّي: أصل اهتمامي ورغبي.

مَنْ أَخَذَتْ عَنْهُ رَوَايَتَهَا وَتَلَقَّيْتُ مِنْهُ دِرَايَتَهَا بِإِذْنِ الْفَقِيهِ الْقُرِّي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَزْهَرَ الْحِجْرِيِّ^(١) ثُمَّ لَمْ أَدْعُ كِتَاباً أَلَّفَ فِي شَرْحِ أَلْفَاظِهَا وَإِبْضَاحِ أَغْرَاضِهَا... إِلَّا أَوْعَيْتُهُ نَظْراً وَتَحَقَّقْتُهُ مُغْتَبِراً وَمُخْتَبِراً^(٢).... وَلَمْ أَتْرُكْ فِي كِتَابٍ مِنْهَا فَائِدَةً إِلَّا اسْتَخَرْتُهَا وَلَا فَرِيدَةً إِلَّا اسْتَدْرَجْتُهَا وَلَا غَرِيبَةً إِلَّا اسْتَلَحَقْتُهَا^(٣).... فَاجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ حِفْظاً وَخَطأً أَعْلَاقُ جَهَّةٍ^(٤) وَفَوَائِدُ لَمْ تَهْتَمَّ بِهَا قَبْلِي هِمَّةٌ. ثُمَّ لَمْ أَقْنَعْ بِتَبْيِينِ الدَّوَابِّ وَلَا اقْتَصَرْتُ عَلَى تَوْقِيفِ التَّصَانِيفِ حَتَّى لَقِيتُ بِهَا صُدُورَ الْأُمُصَارِ^(٥) وَعُلَمَاءَ هَذِهِ الْأَعْصَارِ، فَبَايَحْتُ وَنَاقَشْتُ وَتَأَوَّلْتُ وَتَدَاوَلْتُ.... وَأَنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ أَلْتَمِسُ مَزِيداً وَلَا أَسْأَلُ بَحْثاً وَلَا تَقْيِيداً، إِلَى أَنْ عَثَرْتُ عَلَى شَرْحِ الْفَنَجْدِيِّيِّ لِلْمَقَامَاتِ وَالْفَنَجْدِيِّيِّ هُوَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْعُودِيِّ^(٦) مِنْ قَرْيَةٍ فَنَجْدِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ، فَرَأَيْتُ فِي شَرْحِهِ الْغَايَةَ الْمَطْلُوبَةَ وَالْبَغْيَةَ الْمَرْغُوبَةَ.... فَاسْتَأْنَفْتُ النَّظَرَ ثَانِياً، وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاعِدِ الْمَدَدِ لَا مَتَكَاسَلاً وَلَا مُتَوَانِياً^(٧)، وَعَايَنْتُ نَوْرَ الْمَعْنَى فِي نَوْرِ اللَّفْظِ فَاصْبَحْتُ مُجْتَلِياً جَانِياً فَاسْتَوْعَيْتُهُ أَيْضاً أَبْلَغَ اسْتِيعَابٍ^(٨) وَقَيَّدْتُ مِنْ فَوَائِدِهِ مَا لَمْ أَجِدْ قَبْلَهُ فِي كِتَابٍ.... فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي ضَمِّ مَا انْتَشَرَ مِنْ فَوَائِدِهَا وَنَظَمِ مَا انْتَشَرَ مِنْ فَرَائِدِهَا وَالْإِعْتِنَاءِ بِتَأْلِيفِ فِي الْمَقَامَاتِ يُغْنِي عَنْ كُلِّ شَرْحٍ تَقَدَّمَ فِيهَا وَلَا يُخَوِّجُ إِلَى سِوَاهِ فِي لَفْظٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا وَلَا

-
- (١) القرري: الذي يقرئ القرآن. في نفع الطيب (٢: ١١٥): الشريشي أخذ عن أبي بكر بن أزهر.
(٢) أوعيته (حفظته) نظراً (جعلت فيه كل نظري ودرسي). الاعتبار: التأمل في الشيء.
(٣) الفريدة (في الأصل): اللؤلؤة، فكرة جيلة. استدرجتها: احتلت حتى جعلتها تأتي إلي.
(٤) حفظاً (ما كنت قد تلقت من أفواه الرجال) وخطأً (ما هو مدون في الكتب). العلق (بكسر العين): الشيء النفيس الثمين.
(٥) صدور (كبار العلماء). الأمصار: جمع مصر (بكسر الميم): المدن الكبيرة في المقاطعات (بضداد قاعدة أو عاصمة. الكوفة مصر، والبصرة مصر، الخ).
(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود.... البندمي (أو البنجدبي: نسبة إلى قرية بنج ده) من أهل الفضل والأدب والفقه (٥٢٢ - ٥٨٤ هـ)، شَرَحَ مقامات الحريري (راجع بنية الوعاة ٦٦ - ٦٧).
(٧) التواني: التامل والتكاسل.
(٨) مجتلياً جانبياً (راجع، فوق، ص ٢٦٦، الحاشية ٥). استوعب فلان الشيء: أدخله كله في شيء آخر.

مَعْنَى من معانيها. فَمَنْ من ذلك مجموعٌ جامعٌ وموضوعٌ بارعٌ واودعتها من اللغات^(١) أصحَّها وأوضحَّها.

وكلُّ ذلك بلطفِ الله تعالى وبِسَعْدٍ من شَرَفَتْ كِتَابِي بِمُجِدَّتِهِ وَبَنَيْتُ تَالِيْفِي عَلَى أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَتِهِ.... عِمَادُ الْأَنَامِ وَالظِّلُّ الْمَدُودُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامَ.... سَيِّدُنَا الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ إِمَامِ الْأُمَّةِ الرَّاشِدِينَ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ سَيِّدُنَا الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو يَعْقُوبَ^(٢).

- مَطْلَعُ الْمَقَامَةِ الْأُولَى (الصَّنْعَانِيَّة) لِلْحَرِيرِيِّ:

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا أَقْتَعَدْتُ غَارِبَ الْاِغْتِرَابِ، وَأَنَا تُنْتِي الْمَتْرَبَةَ عَنِ الْأَتْرَابِ، طَوَّحْتُ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوِفَاضِ بِأَدْيِ الْأَنْفَاضِ، لَا أُمَلِّكَ بَلَقَةً وَلَا أَجِدُ فِي جِرَائِي مُضْغَةً.

*** من شرح الشريشي:

إِنْ قِيلَ: لِأَيِّ مَعْنَى اخْتَارَ الْحَرِيرِيُّ حَارِثًا وَهَمَّامًا وَأَبَا زَيْدٍ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَضَدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ». وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا الْحَارِثُ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ^(٣). وَصِدْقُهَا أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْرُثُ، أَيْ يُحَاوِلُ الْكَسْبَ أَوْ يَتِمُّ بِمَاجَتِهِ. وَأَمَّا أَبُو زَيْدٍ، فَإِنْ صَدَّقَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ بِعَيْنِهِ^(٤) - كَمَا تَقَدَّمَ فِي الصَّدْرِ^(٥) - وَقَعَ الْاِكْتِفَاءُ بِهِ^(٦)، وَإِنْ لَمْ يَصْدُقْ فَقَدْ حَكَى أَهْلُ اللَّفَّةِ أَنَّهُ كُنْيَةُ الْكَبِيرِ.... وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو سَعِيدٍ! وَالسَّرُوحِيُّ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا يَصِفُهُ بِالْكَبِيرِ وَالْهَرَمِ. وَإِنَّمَا

(١) اللغات: الألفاظ (المتخلفة والمستعملة في القبائل المتخلفة أو الأماكن المتخلفة).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثاني سلاطين الموحدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٣) أبو مرة كنية الملبس.

(٤) إذا كان الاسم «أبو زيد» يدل على رجل معين...

(٥) الصدر: التصدير (شبه مقدمة للكتاب). بدأ الشريشي شرح «الصدر» على الصفحة السادسة.

(٦) - لم نحتاج إلى أن نتلصص مقصد الحريري من اختياره.

عَنِي بِالْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ نَفْسَهُ ^(١) لِأَنَّهُ مِمَّنْ يَخْرُثُ وَيَنْهَمُ. وَلِذَلِكَ نَسَبُهُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَهِيَ بَلَدُ الْحَرِيرِيِّ. وَإِنَّمَا وَضَعَ أَبَا زَيْدٍ كُنْيَةً لِلدَّهْرِ لِأَنَّ (الْحَرِيرِيَّ) يَصِفُهُ بِأَشْيَاءَ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِالدَّهْرِ.

قوله (اقْتَمَعْتُ) أَي رَكِبْتُ، وَأَصْلُهُ اتَّخَذْتُ قُمْعَةً أَوْ قَعُوداً وَهِيَ اسْمَانِ لِلْبَعِيرِ يَقْعُدُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. وَ(الْفَارِبُ) مُقَدَّمُ سِنَامِ الْبَعِيرِ. وَ(الْإِغْتِرَابُ) وَالْغُرْبَةُ التَّجَوُّلُ فِي الْبُلْدَانِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْأَوْطَانِ.... وَأَرَادَ: لَمَّا اتَّخَذْتُ ظَهَرَ الْغُرْبَةِ قَعُوداً. (أَنَا تَنِي) أَبْعَدْتَنِي. (الْمُتْرَبَةُ) الْفَقْرُ. (الْأَتْرَابُ) الْأَصْحَابُ عَلَى سِنٍّ وَاحِدَةٍ. (طَوَّحْتُ) رَمَيْتُ. وَ(طَوَائِحُ) نَوَائِبُ. وَتَقُولُ: طَوَّحْتُ بِالرَّجُلِ إِذَا رَمَيْتَ بِهِ إِلَى الْهَلَاكِ. وَقِيَاسُ الطَوَائِحِ الْمَطَاوِحُ...

- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الشَّرِيشِيُّ (وَهُوَ فِي مِصْرَ) يَتَشَوَّقُ إِلَى الشَّامِ:

يَا جَبْرَةَ الشَّامِ، هَلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خَبَرٌ؟ فَإِنَّ قَلْبِي بِنَارِ الشَّوْقِ يَسْتَمِرُّ ^(٢).
بَعْدْتُ عَنْكُمْ. فَلَا، وَاللَّهِ، بَعْدَكُمْ، مَا لَذَّ لِلْمَعِينِ لَا نَوْمٌ وَلَا سَهْرٌ.
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِالنَّيْرَبِيِّنِ ضَعَى وَالْغَيْمُ يَبْكِي، وَمِنْهُ يَضْحَكُ الزَّهَرُ ^(٣)،
وَالْوَرْقُ تُنْشِدُ، وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ؛ وَالِدُوحٌ يَطْرَبُ بِالتَّصْفِيقِ وَالنَّهَرُ ^(٤).
وَالسَّفْحُ، أَيْنَ عَشِيَّاتِي الَّتِي ذَهَبَتْ لِي فِيهِ؟ فَهِيَ، لَعَمْرِي، عِنْدِي الْعُمْرُ!

- وَكَتَبَ، وَهُوَ فِي الشَّامِ (فِي حَلَبَ؟) إِلَى بَدْرِ الدِّينِ بْنِ الدَّقَاقِ نَاطِرٍ أَوْ قَافٍ

حَلَبَ (وَفِي الْبَيْتَيْنِ جِنَاسٌ بَيْنَ «كَمَالِ الدِّينِ» لَقَبِ الشَّرِيشِيِّ وَ«الْبَدْرِ عِنْدَ الْكَمَالِ» - التَّوْرِيَّةُ فِي «عِنْدَ الْكَمَالِ»):

(١) الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَرِيرِيِّ نَفْسَهُ.

(٢) اسْتَمَرَّ: تَوَقَّدَ (اسْتَشَدَّ اشْتَعَالُهُ وَكَثُرَتْ حَرَارَتُهُ).

(٣) النَّيْرَبُ: قَرْيَةٌ قَرِيبَ دِمَشْقَ عَلَى نِصْفِ فَرَسَخٍ مِنْهَا بَيْنَ الْبَسَانَيْنِ، وَهِيَ أُنْزِلَتْ فِي دِمَشْقَ (تَاجُ الْعُرُسِ - الْكُوَيْتُ ٤: ٢٥٩). وَتَرَدَّدَ فِي الشُّعْرِ مِثْلًا «النَّيْرَبِ». وَيُقَالُ الْيَوْمَ: بَابُ النَّيْرَبِ. وَالنَّيْرَبُ أَيْضًا قَرْيَةٌ قَرِيبَ حَلَبَ أَوْ نَاحِيَةِهَا. ضَعَى: أَوَّلُ النَّهَارِ (بَعْدَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قَلِيلًا).

(٤) الْوَرَقَاءُ: الْحَمَامَةُ. الدُّوْحَةُ (بِالْفَتْحِ): الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ.

مولاي بدر الدين، صِلْ مُدْنَفًا صَبْرَهُ حُبَّكَ مِثْلَ الْحِلَالِ^(١).
لا تَخْشَ من عَارٍ إِذَا زُرْتَنِي. فَمَا يُعَابُ الْبَدْرُ عِنْدَ الْكَمَالِ^(٢).

- ٤ - شرح مقامات الحريري (المقامات الحريرية، المقامات الأدبية، بولاق ١٢٨٤ هـ، القاهرة ١٣٠٠ هـ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ، مصر ١٣١٢، ١٣١٤ هـ).
- ★ فوات الوفيات ١: ١٧٦، الوافي بالوفيات ٧: ١٥٨، برنامج الرعي ٩٠ - ٩١، التكملة ١٣٧ - ١٣٨، (رقم ٢٨١)، الذيل والتكملة ١: ٢٦٨ - ٢٧٠، بغية الوعاة ١٤٣، نفح الطيب ٢: ١١٥ - ١١٦، ٣٩٢، ٣: ٤٤٦ - ٤٤٧، النهل الصافي ١: ٣٥٤، بروكلمن (في ترجمة الحريري) ١: ٣٢٧، الملحق ١: ٤٨٧، ٥٤٤، دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣١، الأعلام للزركلي ١: ١٥٨ (١٦٤)، الداية ٢١٧ - ٢٣٠، سركيس ١٢٢١ - ١٢٢٢.

ابن عبد ربّه المألقي

- ١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد ربّه المألقي من أهل الجزيرة الخضراء، له رحلة إلى مِصْرَ لَقِيَ فيها ابنَ سَنَاءِ الْمَلِكِ (ت ٦٥٨). وقد كان كاتباً لأبي الربيع سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (ت ٦٠٤)، كما كان صديقاً لعبد الواحد المراكشي^(٣).
- ويبدو أَنَّ شُهْرَتَهُ بِالشِّعْرِ كَانَتْ سَنَةَ ٥٩١. أَمَّا وَفَاتُهُ فَلَعَلَّهَا كَانَتْ قَرِيباً مِنْ^(٤) ٦٢٠ (١٢٢٣ م).

- ٢ - كان ابن عبد ربّه المألقي أديباً ناثراً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُحْصِناً مُجِيداً لَهُ مَدْحٌ

(١) الدنف: الشديد المرض والذي قرب من الموت. الحلال (بالكسر) وجمعها أخلة (بفتح الهززة وكسر الحاء وتشديد اللام): عود رفيع يتخلل به الناس (يخرجون به بقايا الطعام من بين أسنانهم).

(٢) البدر (قمر السماء - بدر الدين الدقاق). الكمال (كمال القمر: امتلاؤه - وكمال الدين الشريف).

(٣) قال عبد الواحد المراكشي: «فقال في ذلك صديق لي من الكتاب اسمه محمد بن عبد ربّه (المعجب ٢٩٧، السطر ٨، راجع أيضاً ٢٩٨ - ٣٠٠).

(٤) قال سعيد العمري (١٣٢٣ - ١٣٨٤ هـ): عبد الواحد المراكشي ألف كتاب «المعجب» في نحو الأربعين من عمره.... وكان مولده سنة ٥٨١ (فكان تأليف المعجب اذن نحو سنة ٦٢١). وعبد الواحد المراكشي نفسه يقول (المعجب ٢٩٨): «وأنشدته - رحمه الله - يوماً.....»

ورثاء ، ووَصفه بارعٌ جِدًّا ، وله مقامَةٌ . وكان مُشاركاً في أشياء من علومِ التعاليم (الرياضيات) والمنطق والفلسفة . ثم إنه كان مُصنِّفاً جَمَعَ ديوانَ أبي الربيعِ سُلَيْمانَ بنِ عبدِ المؤمن ، وله رسالةٌ في صِفَلِيَّةٍ ذَكَرَ فيها ما جَرى عليه في مِصْرَ وحَدَرَ من الأسفارِ لِما كان قد قاسى في أَثْنائها . ويبدو أَنَّهُ لم يَرَوْ له شِعْرٌ كثيرٌ . قال عبدُ الواحدِ المَرَاكشيُّ (المعجب ص ٢٩٩ - ٣٠٠) : « ولأبي عبدِ الله هذا اتَّساعٌ في صِناعَةِ الشعرِ . إلَّا أَنَّهُ نَحَلَ كثيراً من شِعْرِه السَيِّدَ الأَجَلُّ أبا الربيعِ سُلَيْمانَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المؤمن ، أيامَ كِتابَتِهِ له . ولم يَدَعْ بعدَ ذلك في شيءٍ تَمَّا نَحَلَهُ إِيَّاه من شِعْرِه ، ولا ذَكَرَ أَنَّهُ له . فكان أَكثَرُ شِعْرِه يُنشدُ لأبي الربيعِ وتَرْويهِ الرِوَاةُ له (لأبي الربيع) . عَرَفْتُ ذلكَ بعدَ مُفارقتِهِ إِيَّاه ^(١) ، لأنِّي فَقَدْتُ شِعْرَ السَيِّدِ أبي الربيعِ واختَلَفَ عَلَيَّ كَلَامُهُ . ورَأَيْتُ بِحَظِّهِ أَشْماراً نازلةً عن رُتْبَةِ الشِعْرِ جِدًّا . فَعَلِمْتُ أَنَّ ذلكَ الأوَّلَ ليس من نَسْجِهِ » .

٣ - مختارات من شعره :

- لابن عبد ربِّه المَالْقِي مُقَطَّعاتٌ منها :

- ★ ★ وفي جَنَباتِ الرُّوضِ نَهْرٌ ودَوْحَةٌ يَرُوقُكَ منها سُنْدُسٌ ونُضارٌ ^(٢) .
تقول - وضوءُ البدرِ فيه مُغْرَبٌ - :
★ ★ ما كُلُّ إنسانٍ أَخٌ مُنْصِفٌ ولا اللَّيالي أَبداً تُنْصِفُ .
فلا تُضِغْ إِنْ أَمَكَنْتَ فِرْصَةً واصحبْ من الإِخوانِ مَنْ يُنْصِفُ ^(٣) .
وانتِصِفْ من الدهرِ ولو رِيشَةً فَإِنَّا حَظُّكَ ما تَنْتِصِفُ .
★ ★ بينَ الرِّياضِ وبينَ الجِوِّ مُعْتَرِكٌ بيضٌ من البرقِ أَوْ سُرٌّ من السُّرِّ ^(٤) .

(١) كذا في الأصل ، والمملوح : مفارقتِهِ ابن عبد ربِّه لأبي الربيع سُلَيْمان . ولعلَّ الأصوب « مفارقتي إِيَّاه » (مفارقة المراكشي لابن عبد ربِّه) .

(٢) الدَوْحَةُ : الشجرة العظيمة . يَرُوقُكَ : يعجبك . سندس : أخضر (ورق) . نضار : ذهب (زهر ، ثمر) . والمملوح أن ضوء البدر جعل منها جانباً أحر (فكيف يمكن ، إذن أن يرى اللون الأخضر ليلاً؟) .

(٣) يمكن أن نقرأ : فلا تضغ - أن أمكنت ، فرصة (بالنصب على أَنَّها مفعول به من « تضغ ») .

(٤) راجع الأبيات كلها في ترجمة أبي الربيع سُلَيْمان الموحدي (ت ٦٠٤) . هذه الأبيات موجودة في ديوان =

★ ★ لَمَّا رَأَتْهُ الشَّمْسُ يَفْعَلُ فِعْلَهَا فِي الْعَالَمِينَ مُقَاسِمًا وَمُسَاهِمًا^(١)،
خَافَتْ تَوَالِي الْجُودِ يُنْفِدُ مَالَهُ نَثَرَتْ عَلَيْهِ دَنَانِيرًا وَدَرَاهِمًا^(٢)!

★ ★ - ٤ تحفة القادم ٩٤ (رقم ٦٠)، المعجب ٢٩٧ - ٣٠٠، الوافي بالوفيات ٣: ٢٠٣ -
٢٠٥، المغرب ١: ١٤٢٧، نفع الطيب ٢: ٩٧ - ٩٩، ١١٨ - ١١٩، ٦: ٢٥١ -
٣٥٦.

أبو عبد الله محمد بن أصبغ (ابن المناصف)

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف
بإبن المناصف. كان أهله من ساكني الأندلس، ولكن والده عيسى غادر الأندلس في
أثناء الفتن التي تلت انقضاء عهد المرابطين (٥٤٣ هـ). ولعل هذه الفتن قد دامت
إلى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) حينما استطاع السلطان عبد المؤمن بن علي من
استخلاص غرناطة.

وانتقل عيسى إلى إفريقية (القطر التونسي) وسكن مدينة المهدية، وفيها ولد
أبنته محمد (صاحب هذه الترجمة)، في رجب (في سنة ٥٦٣ هـ) ونشأ.

وولي أبو عبد الله محمد بن عيسى في الأندلس قضاء مدينة بلنسية ثم قضاء مدينة
مرسية. بعدئذ صُرف عن القضاء فسكن حيناً في قرطبة. ثم بدا له أن يرحل عن
الأندلس فانتقل إلى مصر وسكنها مدة يسيرة عاد بعدها (في الأغلب) إلى قرطبة.
وأخيراً انتقل إلى المغرب ونزل في مدينة مراكش إلى أن توفي سنة ٦٢٠ هـ
(١٢٢٣ م).

= أي الربيع (راجع نفع الطيب ٢: ٩٨، الحاشية ٣ - في الوقت الحاضر ٤ / ٥ / ١٩٧٦ لم أستطع
الموصول على الديوان للأحوال الحاضرة). ولكنها في نفع الطيب والمعجب تروى لابن عبد ربه
المالقي.

- (١) يَمُّ النَّاسِ كُلُّهُمْ بِجُودِهِ كَمَا تَمُّ الشَّمْسُ جَمِيعَ الْأَرْضِ بِنُورِهَا.
(٢) دَنَانِيرُ (جمع دينار على مفاعل. والمشهور جمعه على مفاعيل: دنانير). نَثَرَتْ (الشمس) عليه دنانير
ودراهم: وقع عليه نورها أبيض وأصفر (كالدرهم والدنانير).

٢- كان أبو عبد الله محمد بن أبي أصيبغ فقيهاً متيناً في العلم فيها يتعلّق بالأصول والفروع، كما كان لغوياً وأديباً وشاعراً. ولكن يبدو - من الأبيات القليلة التي وصلت إلينا من شعره - أن شعره عادي. ثم إنه كان مُصنّفاً له: السيرة النبوية - تنبيه الحكّام في الأحكام (تنبيه الحكّام في سيرة القضاة وقبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحسبة ٢) - مُذهبة في نظم الصفات من الحلى والسيئات (أرجوزة، نحو ألف بيت، في اللغة) - مُعقّبة (تعقيب أو مُلحق للمُذهبة) - أصول الدين.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو عبد الله بن المُناصف (نفع الطيب ٤: ٣٠٥):

أَلْزَمْتُ نَفْسِي خُمُولاً عَنْ رُتْبَةِ الْأَعْلَامِ^(١)،
لَا يُخَفُّ الْبَدْرُ إِلَّا ظُهُورَهُ فِي تَامِ^(٢).

- وقال (المغرب ١: ١٠٦):

تَغِيَّبَ عَنِّي وَقَلْبِي لَدَيْكَ رَهْنٌ مُعَذَّبٌ^(٣)،
فَرَدَّهُ لِي وَبْنٌ حَيٌّ مَا تَشَاءُ وَتَغَيَّبٌ^(٤).
أَلَّهُ بِعَلَمٍ أَنِّي طُولَ الدَّجَى أَتَقَلَّبُ^(٥).
فَجُذِّعْتُ عَلَيَّ بِطَيْفٍ، إِنْ كُنْتُ فِي الْوَصْلِ تَرْغَبُ.
إِنْ لَمْ تُلْخِ لِي بِدَرٍّ، فَلَخْ - فَذَيْتُكَ - كَوَكَبٌ^(٦).

(١) الأعلام جمع علم (يفتح ففتح): الرجل البارز في قومه المشهور.

(٢) خسوف القمر لا يكون إلا إذا صار القمر بديراً (عند قامه).

(٣) رهن: مرهون (محبوس).

(٤) بن (فعل أمر من «بان»: ابتعد).

(٥) طول الدجى = طول الليل.

(٦) تلوح: تظهر (تأتي لزيارتي). تلوح بديراً (كناية عن امتلاء القمر وقامه): كثيراً. لح لي كوكباً (قليلًا). - كان القدماء يعتقدون أن القمر أكبر من النجوم (ولم يعرفوا أن النجوم تظهر صغيرة لبعدها - ثم عرفوا هذه الحقيقة. ولكن الأدباء ظلوا يأخذون بالنظرية القديمة لموافقتها للخيال والتمر).

٤-★★ التكملة ٣٢٥-٣٢٦ المغرب ١: ١٠٥-١٠٦ الوافي بالوفيات نيل الابتهاج
٢٢٨-٢٢٩ نفع الطبيب ٤: ٣٠٥ بروكلمن ١: ٤٨٠-٤٨١ الأعلام للزركلي
٢١٤: ٢١٥ (٦: ٣٢٢-٣٢٣) معجم المؤلفين ١١: ١٠٧-١٠٨.

ابن سالم المالقي

١- هو أبو عمرو سالم بن صالح بن علي بن صالح بن سالم الحمداني المالقي، وُلِدَ نحو سنة ٥٥٧ للهجرة (١١٧٠ م) وتلقى العلم على أبيه وعلى جماعة كبيرة. ويبدو أنه لم يرحل ولكنه راسل نقرأ من علماء المشرق في مصر والحجاز فكتبوا إليه بإجازتهم له. وكانت وفاته في ثامن عشر رمضان من سنة ٦٢٠ (١٤ / ٩ / ١٢٢٣ م).

٢- كان ابن سالم المالقي طبيب النفس سليم الصدر جميل الصُحبة متواضعاً مائلاً إلى الزهد. وكان متسع الرواية (في الحديث) مُعْتَنِياً بالتقيد (بتدوين الروايات) جيد الضبط لما يُدَوِّن. ثم كان أديباً حافلاً حاشداً (يكثُرُ الناسُ في مجالسه) حَسَنَ الحديث كثير الإمتاع ناظماً ناثراً يُنسَبُ إليه شعرٌ قليلٌ جيد.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن سالم المالقي (راجع الذيل والتكملة ٤: ٥)^(١):

عَزَّ مَنْ لَا يَمُوتُ، يَا مَنْ يَمُوتُ، وَتَعَالَى فَلَمْ تَنْلُهُ التَّعَوُّتُ^(٢).
إِنَّ دُنْيَاكَ هَذِهِ غُرَّةٌ، مَا لَثَبَاتِ الْأَنَامِ فِيهَا ثُبُوتُ^(٣).

(١) قال مؤلف الذيل والتكملة، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (٦٣٤ - ٧٠٣ هـ): «ومن شعره (شعر ابن سالم المالقي) ما أنشدته على شيخنا أبي الحسن الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ)». ويقول الرعيني نفسه في برنامج شيوخه (ص ١٠٧): «وجدت منسوباً لشيخنا أبي عمرو (ابن سالم المالقي) المذكور (يقصد الأبيات: عز من لا يموت)، ولا أحققها له».

(٢) من لا يموت: الله تعالى. من يموت = الإنسان. التمت: الوصف (إن الله لا يمكن أن يوصف بصفة يعرفها البشر). تعالى: ارتفع عن مشابهة المخلوقين وتزَّه عن صفاتهم (عن أن يشبه أحداً من خلقه أو يشبه أحد من خلقه).

(٣) غُرَّة - بقصد: غرور (بفتح وضم بلا شدة - أو غرارة (بالشد): خداعة (تخدع الإنسان الغافل =

فَاتْرَكْنَهَا فَإِنَّهَا أُمُّ دَفْرٍ لِبَنِيهِمَا غَرَارَةٌ خَلْبُوتٌ^(١).

٤-★★ برنامج الرعي ١٠٥ - ١١٠٧ الذيل والتكملة ٤: ٢ - ٦.

أبو الحسن بن حريق

١- هو أبو الحسن علي بن محمد بن سلمة بن حريق المخزومي البَلَنْسِيُّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٣ م).

تَكَسَّبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ بِالشُّعْرِ، رَأَيْنَاهُ بُعِيدَ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) فِي جَيَّانَ يَدْحُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ صَنَانِيدَ - وَكَانَ أَبُوهُ وَالْيَا عَلَى جَيَّانَ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سَبْتَةَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمَوْحِدِيِّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) لِيَمْدَحَ وَالْيَا ابْنَ عَبْدِ الصَّمَدِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حَرِيقٍ فِي بَلَنْسِيَّةَ سَنَةَ ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ مُتَّبَعَرًا فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، حَافِظًا لِأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهِمْ. وَكَانَ شَاعِرًا ذَا بَدِيعَةٍ، مُتَصَرِّفًا فِي الْمَدْحِ وَالْوَصْفِ وَالنَّسِيبِ، وَلَهُ هَجَاءٌ لَطِيفٌ وَمَوْشَحَاتٌ. وَقَدْ أَلَّفَ عِدَدًا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ.

٣- مختارات من شعره:

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ يُفَضِّلُ سُكْنَى بَلَنْسِيَّةَ مَعَ مَا كَانَ يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ مَصَائِبِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ عَلَى أَيْدِي الْإِسْبَانِ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهَا:
بَلَنْسِيَّةَ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحٌّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ.

= القليل التجربة). ثبوت: دوام (لثبات الأناج فيها ثبوت - لا وجه لاستعمال ثبات وثبوت في تركيب واحد). ولكن إذا نحن أخذنا صيغة «ثبوت» (العاقل) من المصدر «ثبات»، وضع المعنى قليلاً: «ثبات الأناج (الناس)، أي صحة عقولهم (نما يدل على سلوكهم في الدنيا) لا ثبوت له (لا يقوم عليه عندنا دليل)».

(١) أم دفر: الداهية، المصيبة الكبيرة - وبها سببت الدنيا: أم دفر (لكثرة المصائب فيها)، راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٣٠٤. وفيه أيضاً (٣٧٨: ٢) رجل خلْبُوت: خذاع، كذاب.

فَإِنْ قَالُوا: مَحَلُّ غِلَاءِ سِفْرِ وَمَسْقَطُ دِيَمَتِي طَعْنِي وَضَرْبُ
فَقُلْ: هِيَ جَنَّةٌ حَقَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهِتَيْنِ مِنْ جَوْعٍ وَحَرْبٍ.
- قَالَ فِي الْوُقُوفِ عَلَى أَطْلَالِ الْأَحْيَةِ:

يَا صَاحِبِيَّ - وَمَا الْبَخِيلُ بِصَاحِبِي - هَذَا الدِّيارُ، فَأَيْنَ تِلْكَ الْأَدْمَعُ (١)؟
أَتَمُرُّ بِالْعَرَصَاتِ لَا تَبْكِي بِهَا، وَهِيَ الْمَعَاهِدُ مِنْهُمْ وَالْأَرْبَعُ (٢).
هَيْهَاتَ! لَا رَيْحُ اللَّوَاعِجِ بَعْدَهُمْ رَهْوٌ، وَلَا طَيْرُ الصَّبَابَةِ وَقَعَ (٣).
يَا سَعْدُ، مَا هَذَا الْمَقَامُ وَقَدْ مَضَوْا؟ أَتَقِيْمُ مِنْ بَعْدِ الْقُلُوبِ الْأَضْلَعُ (٤)؟
جَارُوا عَلَى قَلْبِي بِسِحْرِ جُفُونِهِمْ، لَا زَالَ يَنْشَعِبُ الْأَسَى وَيُصَدِّعُ (٥).
وَأَبَى الْهَوَى إِلَّا الْحُلُولَ يَلْتَلِعُ. وَيَحَ الْمَطَايَا، أَيْنَ مِنْهَا لَعْلُعُ (٦)؟
لَمْ يَذَرِ أَيْنَ ثَوَوًا فَلَمْ يَسْأَلْ بِهِمْ رِيحًا تَهْبُ وَلَا بُرَيْقًا يَلْمَسُ (٧).
وَكَاثَمُهُمْ فِي كُلِّ مَدْرَجٍ نَاسٌ، فَعَلَيْهِ مِنْهُمْ رُقَّةٌ تَنْضَوُّعُ (٨).
فَإِذَا مَنَحْتَهُمُ السَّلَامَ تَبَادَرَتْ تَبْلِيغُهُ عَنِّي الرِّيحُ الْأَرْبَعُ!

- وَقَالَ فِي فَنَاءِ اللَّذَاتِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهَا:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُعَادَّةُ الرِّجَالِ عَلَى الشَّرَابِ،
وَلَثْمُكَ وَجَنَّتِي قَمَرٍ مُنِيرٍ يَجُولُ بِخَدِّهِ مَاءُ الشَّبَابِ.

(١) هذه ديار الأحية (ومن عادة الزائر أن يبكي إذا لم يجد أحبابه في ديارهم)، فأين الأدمع (أدمعي أنا: لماذا لا أبكي).

(٢) العرصة: الفسحة أمام الدار. المعهد والريح: المكان المعد للكن.

(٣) اللعج: النار المتوقدة (نار الحب في القلب). رهو: ساكن، هادئ. الصبابة: الحب. وقع جمع واقع: موجود على غصن أو في وكرة. - سيكون حزني بعد فراقهم شديداً، ولن أمتع بحيي.

(٤) يا سعد (الشاعر يخاطب رفيق سفره)، لماذا نظلت واقفين وأهل الدار قد رحلوا؟

(٥) نصب وصدع: شق. الأسى: الحزن.

(٦) الهوى: الحب، المحبوب. لعل اسم مكان (بكني به الشاعر عن البعد).

(٧) ثوى: استقر، أقام، سكن.

(٨) مدرج: ناسم: المكان الذي تهب عليه الريح فتترك عليه علامات من هبوبها. - كأنهم يسكنون في كل مكان، ففي كل مكان تجد راحتهم الطيبة رفة (كدا في الحرب ٢: ٣١٩).

٤-★★ زاد المسافر ٦٤ - ٦٩ (رقم ٧) المغرب ٢ : ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٣٩ - ٣٤١ (موشحة)؛ فوات الوفيات ٢ : ٨٨ - ٨٩ ؛ التكملة ، ٦٧٩ (رقم ١٨٩٥) ؛ الذيل والتكملة رقم ٥٥٣ (١ : ٢٧٥ - ٢٧٧) ؛ صلة الصلة ١٢٩ ؛ بغية الوعاة ٣٤٦ ؛ نفح الطيب ٢ : ١١٦ ، ٣ : ٤٠٩ - ٤١١ ؛ نيكل ٣٣١ ؛ مختارات نيكل ١٨٩ - ١٩٠ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٢ (٤ : ٣٣١) .

ابن الفكون

١- هو أبو علي حسن بن علي بن عمر القسطيني^(١)، ويُعرف بابن الفكون، من أهل قسطنطينة. اتصل ابن الفكون بولادة بني عبد المؤمن (الموحدين) في بجاية ومدحهم. وفي سنة ٦٠٢ هـ جاء الخليفة الموحدي محمد الناصر إلى قسطنطينة فمدحه أيضاً. ثم كانت لابن الفكون رحلة إلى مدينة مراكش (لعلها متأخرة). وكانت وفاته في أوائل القرن السابع للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر للميلاد)*.

٢- ابن الفكون فقيه وأديب وشاعر. كانت شهرته في الشعر، إذ كان شاعراً مكثرًا بارعاً في التوشيح. «وهو من الأدباء الذين تُستظرف أخبارهم وتروى أشعارهم»^(٢)، ولكن عليه مآخذ كثيرة في شعره، فإن عدداً من أبيات شعره مختل الوزن وفي عدد منها لحن^(٣) (أخطاء في النحو). ولما رحل ابن الفكون إلى مراكش نظم قصيدة ذكر فيها البلدان التي مر بها بين قسطنطينة ومراكش. والأوصاف التي جعلها ابن الفكون للمدن التي مر بها أوصاف عامة، وفي أكثر الأحيان غير مناسبة للموضوع لأن تلك الأوصاف تدور على أغراض من الغزل (وفي هذه القصيدة مآخذ كثيرة من اللغة والنحو والعروض).

(١) في نفح الطيب (٢ : ٤٨٣ ، السطر الأول) : القسطيني (بالم مكان النون الأولى).

(٢) سنة ٦١٩ (٥).

(٢) «عنوان الدراية» : ٢٨٠ .

(٣) راجع «عنوان الدراية» : ٢٨٤ - ٢٨٦ .

فيا حسنَ ذاكِ القصرِ لا زالَ أهلاً، ويا طيبَ ربِّها نشره المتشَقُّ.
 رَتَمْنَا بهِ في رَوْضَةِ الأنسِ بعدمَا هَصَرْنَا بهِ غُصْنَ الْمَسْرَةِ مورك^(١)
 وَيُضْحِكُنَا طَوْلُ الْوِصَالِ، وَرَبِّمَا يَمُرُّ عَلَى الْأَوْهَامِ ذِكْرُ التَّفَرُّقِ،
 فَتُضْحِي مَصُونَاتُ الدُمُوعِ مُدَالَةً وَنَحْنُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدَّهْرِ أَبْلَقِ^(٢).
 لِيُثْلِحَهَا مِنْ مَنْزِهِ وَنَزَاهَةِ يُجَرِّرُ ذَيْلَ الدَّلِّ كُلُّ مُوقِفِ^(٣).
 فَلِلَّهِ سَاعَاتُ مَضَيْنَ صَوَالِحٍ عَلَيْهِنَ مِنْ رَقِّ الصَّبَا أَيْ رَوْنَقِ^(٤).
 خَلَعْنَا عَلَيْهَا النُّسْكَ إِلَّا أَقْلَهُ، وَإِنْ عَاوَدَتْ نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِيَ.

- وله، نثراً، مِمَّا أَلَحَقَهُ بِقَصِيدَتِهِ الْقَافِيَةِ:

وَلَمَّا نَضَبَ مَاءُ الْأَصِيلِ وَرَقَّ نَسِيمُهُ الْعَلِيلُ، وَهَمَّ الْعَشِيُّ بِانْصِرَامِ وَوَدَعَ النَّهَارُ
 بِسْلَامٍ، وَأَرْخَى اللَّيْلُ فَوْقَنَا سُدُولَهُ وَجَرَّرَ عَلَى الْأَفْقِ ذُيُولَهُ، عُدْنَا إِلَى زَوْرَقِنَا ذَلِكَ
 وَمُحَيَّا الْجَوْغِ غَيْرَ مُحْتَجِبٍ وَوَجْهَ الْأَفْقِ غَيْرَ مُتَلَفِّعٍ بِثَوْبِ الْغَامِ وَلَا مُنْتَقِبٍ.

- من قصيدته في السفر إلى مَرَّاكُش:

وَجِئْتُ بِجَايَةٍ فَجَلَّتْ بُدُوراً يَضِيقُ بِوصفِهَا حَرْفُ الرَّوْيِ^(٥).
 وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي بِمَسْئُولِ الْمَرَاشِفِ كَوْثَرِي.
 وَفِي مِلْيَانَةٍ قَدْ ذُبْتُ شَوْقاً بِلَيْنِ الْعِطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِيِّ^(٦).

(١) هصر الغصن: شدَّ به ليقطف ما عليه من الثمر. مورك (حقها النصب على أنها « حال »). ولكن يجوز أن تكون: هصرنا بغصن للمسرة مورك فتستقيم القافية والوزن أيضاً.

(٢) مدالة: مهانة (مرسلة بكثرة). في الأصل « مدالة » (ولا معنى لها، لأنها خطأ مطبعي). الطرف (بالكسر): الكريم من الناس ومن الخيل (وأكثر ورودها متصلة بالخيل). الأبلق: ما كان فيه سواد وبياض. « ونحن على طرف من الدهر أبلق » (فيه بياض وسواد: في حياتنا سرور وحزن؟).

(٣) الدل: الدلال، أو الإدلال (جرأة المحبوب على المحب في المطالب وفي المعاملة)، وحسن الحديث (مع الإعجاب بالنفس ومع الثقة بإعجاب الآخرين).

(٤) الرونق: الحسن، المبال الذي يعجب العين. أي رونق: رونق كثير.

(٥) حرف الروي: الحرف الأصيل في القافية (وهي الياء المشددة، في هذه المقطوعة). لا يني الشعر بوصفها.

(٦) العطف: الجانب الأعلى من الجسد. القسي: القاسي.

وأبَدْتُ لي تِلْمِسانَ قُدوداً جَلَبْنَ الشَّوْقَ للقلْبِ الحَلِيِّ^(١).
وأطْلَعَ قُطْرُ فاسٍ لي شُموسا مَفَارِبُهُنَّ في قَلْبِي الشَّجِيِّ^(٢).
وفي مَرَّاكُشٍ، يا ويحَ قلبي، أتى الوادي فَطَمَ على القَرِيِّ^(٣).
بدورٌ بل شُموسٌ بل صباح بَيْهٍ في بَيْهٍ في بَيْهٍ^(٤).
فها أنا قد تَخِذْتُ القَرَبَ داراً وأدْعَى اليومَ بالمرَّاكُشِيِّ^(٥).
فلي قلبٌ بأرضِ الشرقِ عانٍ، وجسمٌ حلَّ بالقَرَبِ القَصِيِّ^(٥).

٤-★★ عنوان الدراية ٢٨٠ - ٢٨٦ نفع الطيب ٢: ٤٨٣ - ٤٨٤ معجم أعلام الجزائر
٦٦ - ٦٧ الطبار ٧٧ - ٨٠ الأصالة ٤: ١٩ (ص ١٠٦).

أبو القاسم بن هشام القرطبي

١- كان لأبي الوليد هشام الأزدي القرطبي أبنان: عامر (ت ٦٢٣) وكُنيتُهُ أبو القاسم ثم أبو بكر (٦٣٥) وكُنيتُهُ أبو يحيى. وكانا كلاهما شاعرين. وربما اختلطت حقائق حياتهما ومفردات آثارهما في عددٍ من المصادر.

وصاحبُ هذه التَرْجَمَةِ هو أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي كان مشهوراً بالبطالة والمُنادمة مُفَرَّماً بِشَرْبِ الخمر مُسْتَهْتِراً بأنواع اللهو ثم صَلَحَتْ حالُهُ بعد ذلك وأقبلَ على النُكْ. وكانت وفاته سَنَةَ ٦٢٣ (١٢٢٦ م).

٢- كان أبو القاسم بن هشام القرطبي أديباً مُحَسَّناً في النثر والشعر، في القصائد والمُقطَّعات. وأغراضُ شعره الخمر واللهو والمُجون. وكان إذا أراد الجِدَّ أتى

(١) الحَلِيُّ: الذي لم يعرف الحبَّ بعد.

(٢) الشَّجِيُّ: الذي اجتمع عليه المُمُّ والحزن.

(٣) طَمَ الوادي على القَرِيِّ، مثل: الوادي: النهر، السيل. القَرِيُّ: سيل ماء - يقصد: مَرَّاكُش تفوق كلَّ البلدان في الجهال.

(٤) هذا البيت ضعيف جداً.

(٥) عانٍ: أسير. القَرَبِ القَصِيِّ (البعيد بالإضافة إلى القطر الجزائري والقطر التونسي).

بالشعر الجزل المتين (كما نرى في المقطوعة الضادية). ويبرز في شعره الأدب (الحكمة) والعنصر الشخصي (كما نرى في قصيدته النونية الطويلة). وقيل: كانت له موشحات.

٣ - مختارات من آثاره:

- رَقَتْ حَالُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ هِشَامِ الْقُرْطُبِيِّ فَنَصَحَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَلَاطِ الْمُوحِدِينَ فِي سَرَكَشٍ (لِلتَّكْسَبِ) فَأَبَى وَقَالَ قَصِيدَةً يَذْكُرُ فِيهَا ذَلِكَ وَيَتَفَرَّلُ بِقُرْطُبَةٍ. مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

يَا هَبَّةً بَاكَرْتُ مِنْ نَحْوِ دَارِينِ،	وَأَفْتُتْ إِلَيَّ عَلَى بُعْدِ تُحْيِينِي ^(١) ،
سَرَّتْ عَلَى صَفَحَاتِ النَّهْرِ نَاشِرَةً	جَنَاحَهَا بَيْنَ خَيْرِيَّ وَنَسْرِينِ ^(٢) .
رَدَّتْ إِلَى جَسَدِي رُوحَ الْحَيَاةِ، وَمَا	خَلَّتْ النَّسِيمَ إِذَا مَا مِتُّ يُحْيِينِي.
أَهْدَتْ إِلَيَّ أَرْجِيئاً مِنْ شَائِلِكُمْ	فَقُلْتُ: قَرَّبَنِي مَنْ كَانَ يُقْصِينِي ^(٤) !
يَا مَنْ يُزَيِّنُ لِي التَّرْحَالَ عَنْ بَلَدِي،	كَمْ ذَا تُحَاوِلُ نَسْلاً عِنْدَ عَيْنِي ^(٥) !
وَإِنِّي يَغْدِلُ عَنْ أَرْجَاءِ قُرْطُبَةٍ	مَنْ شَاءَ يَظْفَرُ بِالدُّنْيَا وَبِالْدِينِ ^(٦) .
قَطَرٌ فَسِيحٌ، وَنَهْرٌ مَا بِهِ كَدَرٌ	حَفَّتْ بِشَطِئِهِ أَلْفَاؤُ الْبَسَاتِينِ ^(٧) .
يَا لَيْتَ لِي عُمَرَ نُوْحٍ فِي إِقَامَتِهَا،	وَأَنْ مَالِي فِيهَا كُنْتُ قَارُونَ ^(٨) .
كِلَاهُمَا كُنْتُ أَفْنِيهِ عَلَى نَشْوَا	تِ الرَّاحِ نَهْياً وَوَصْلِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ ^(٩) .
وَأَنَا أَسْنِي أَنِّي أَهْمِيُ بِهَا	وَأَنْ حَظِّي مِنْهَا حَظُّ مَغْبُونِ.
أَرَى بِمَقِينِي مَا لَا تَسْتَطِيعُ يَدِي	مِنْهُ، وَقَدْ حَازَهُ مَنْ قَدَّرَهُ دُونِي ^(١٠) .

(١) دارين بلد في البحرين وفي الشام مشهور بالطيب (الملك).

(٢) الحيرى: نبت له زهر طيب الرائحة. النسرين: ورد أبيض اللون (له رائحة طيبة).

(٤) الأرجح: الرائحة الطيبة. التماثل (جمع شال بالفتح): الصفات. أقصاء: أبعد.

(٥) العنين: الذي لا يقوى على الجهاد.

(٦) يطل: يميل (يجر).

(٧) الألفاف جمع لفيف: مجموع من الشجر يقرب بعضها من بعض.

(٨) قارون: رجل كان غنياً جداً.

(٩) الراح: الحمر. الخردة (الجميلة) العين (جمع عيناء: واسعة العينين).

(١٠) استطال مستعملة في غير المعنى القاموسي (يقصد: نال، وصل إلى).

وَأُنَكِّدُ النَّاسَ عَيْشًا مِنْ تَكُونُ لَهُ
لَا تُجَنِّتَنِي رَاحَةً إِلَّا عَلَى تَعَبٍ،
وَصَاحِبُ الْعَقْلِ فِي الدُّنْيَا أَخَوْكَدَرٍ؛
يَا أَمِيرِي أَنْ أَحُثَّ الْعَيْسَ عَنْ وَطَنِي
نَصَحْتُ؛ لَكِنْ لِي قَلْبًا يُنَازِعُنِي.
لَأَلْزَمَنَّ وَطَنِي - طَوْرًا تُطَاوِعُنِي
مُدَّلًّا بَيْنَ عِرفَانِي، وَأُضْرِبُ عَنْ
هَذَا يَقُولُ: غَرِيبٌ سَاقَهُ طَمَعٌ؛
لَأُضِيرَنَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ كَدَرٍ

- وَهوَ مُقْطَعَاتٌ مِنْهَا:

★★ وَمَا زَادَ فِي شَجْوِي وَأَبْكِي
تَعَوُّضَ بِالْحِجَارَةِ عَنْ حُجُورٍ،
★★ الْفَقِيرُ ابْنُ نُصَيْرٍ
صَغِيرُ السِّنِّ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ^(٧)،
وَصَارَ عَنِ التَّرَائِبِ لِلتُّرَابِ^(٨).
خَطُّهُ خَطُّ نَبِيلٍ:

(١) العيس جمع عيساء: الناقة.

(٢) لو رحلت عن وطني لا ابتعدت عنه بجسمي وبقي قلبي فيه.

(٣) القوداء: (الفرس) الطويلة العنق والظهر، دليل أصالتها وقدرتها على السير وسرعتها.

(٤) العرفان: (مصدر) المعرفة. والشاعر يستعملها بمعنى المعارف (المعروفين) الذين يعرفونك وتعرفهم (الأصدقاء). أضرب عن الأمر. أعرض عنه، التفت عنه، أهمله، رفضه.

(٥) البر: الطاعة للقبيل (لأهل الرجل). جفاء: عاداه وابتعد عنه.

(٦) من عطاياه... الله. الكاف والنون (فعل أمر): كن. اقتباس من قوله تعالى (٣: ٤٧، آل عمران): «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ».

(٧) يبدو أن هذين البيتين في طفله له مات. الشجو: الحزن. مقتبل الشباب: مرجو له شباب مقبل.

(٨) الحجر: الحصى الترائب جمع تربة (هنا): جانب الصدر يقابل الشاعر بين ما حدث لطفله - إذ مات - وما كان سيحدث له - لو عاش - : مات فردد تحت الحجارة (القبور) - ولو عاش لوضع في الحجور: حجر أمه وأبيه وعبيده - مات فصار للترب - ولو عاش لصار بين الترائب - بقصد الأترب - اللذات.

أَلْفَسَاتُ كَرَمَاحٍ بَيْنَهَا الْمَغْنَى قَتِيلٌ^(١).
 ** وَأَيُّ الْمُدَامَةِ، مَا أُرِيدُ بِشُرْبِهَا صَلَفَ الرَّقِيعِ وَلَا انْهَاكَ اللّاهِي^(٢).
 لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ وَطِيبِهِ شَيْءٌ، كَعَهْدِي لَمْ يَحُلْ، إِلَّا هِي^(٣).
 إِنْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا لِغَيْرِ وَفَائِهَا فَتَرَكْتُهَا لِلنَّاسِ لَا لِلَّهِ^(٤)!

- وَسَكِرَ فِي لَيْلَةٍ مُطْمَرَةٍ ثُمَّ أَحَبَّ أَنْ يَرْفُدَ فِي غُرْضِ الشَّارِعِ. فَرَأَاهُ بَعْضُ الْحُرَّاسِ وَعَرَفَهُ فَرَفَعَهُ وَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ الْمُبَلَّلَةِ وَأَلْبَسَهُ شَيْئًا مِنْ مَلَابِسِهِ هُوَ ثُمَّ حَلَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ وَعَرَفَ صُورَةَ الْحَالِ قَالَ:

أَقُولُ وَقَدْ أَوْرَدْتُ نَفْسِي مَوْرِدًا
 أَبْخْتُ بِهِ مَا شَاءَ السُّكْرُ مِنْ عِرْضِي^(٥)،
 وَقَدْ صِرْتُ سَدًّا بِالطَّرِيقِ لِسَائِلِ
 مِنَ الْقَطَرِ، إِذْ لَا بُسْطَ تَحْتِي سِوَى الْأَرْضِ^(٦)،

(١) - خَطَلَهُ حَسَنٌ وَمَعَانِيهِ سَقِيمَةٌ.

(٢) المدامة: الخمر. وأي المدامة (يقسم بالخمر لِحَبَّتِهِ لَهَا). الصلف: التكبر. الرقيع: الأحق. انهاك (انفاس، إسراف) اللاهي (طالب اللهو، الذي همه في الحياة اللهو). - ويجوز: وأي، المدامة ما أريد بشربها (يقسم بأبيه)، وتكون « المدامة » مرفوعة على الابتداء. والأول أبلغ. ويبدو أن هذه الأبيات متنازعة بين نفر من الشعراء. في الواقي بالوفيات (٨: ٥١) عن ابن الأبار: « وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام، وأتانا هي لأبي جعفر (أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب) من أهل قرطبة ويعرف بالربضي لسكنائه الرض الشرقي منها. كتب أبو جعفر هذا للولادة حيناً، وكانت وفاته في أول شوال من سنة ٦١٦ (١٠ / ١٢ / ١٢١٩ م). ورويت أيضاً لأبي سليمان داوود بن أحمد الطبيب المالقي.

(٣) حال: تغيير وتبدل (أشياء كثيرة اختلفت في اليوم عما كانت في أيام شبابي - ما عدا الخمر، فلأني ما زلت أجد فيها ما كنت أجدُه من قبل).

(٤) أشرب الخمر في أيام شببي لأنها وفيّة لي منذ أيام شبابي. فلو أنني تركتها الآن لكان تركي لها رياء للناس....

(٥) العرض: شرف الأسرة. - العمل الذي عملته الآن (ولو كان في السكر) لا يليق بي!

(٦) السائل (الجارّي) على وجه الأرض). من القطر (المطر). البسط: ما يسط على الأرض (وطاء، بكسر الطاء): الحصير (ما يقال له: سجادة).

وقد هَزَنِي في آخِرِ اللَّيْلِ مَرَسَلٌ
من اللهِ أَخْبَانِي وَأَلْعَقَ بِي غَمَضِي^(١)؛

سَأَنْتِي عَلَيْكَ الدَّهْرَ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ؛ وما كُلٌّ من أولَيْتِهِ نِعْمَةً يَقْضِي^(٢).
(ولم أَذِرْ من أَلْقَى عليه رِداءه. خلا أَنَّهُ قد سَلَّ عن ماجِدٍ مَحْضٍ)^(٣).

- ومن قوله في مُخَاطَبَةِ أَحَدِ الرُّؤَسَاءِ:

... وَإِنِّي لَكَالْأَرْضِ الْكَرِيمَةِ إِن نُّظَرَ مِنْهَا^(٤) وَسُقِيَتْ أَنْبَتَتْ وَأَزْهَرَتْ وَأَوْدَعَتْ
لِسَانَ النِّسْرِ مَا يُعْبَرُ بِهِ فِي الْآفَاقِ عَنْ شُكْرِ الْخَيْرِ الْجَسِيمِ. وَإِنْ أَهْمِلْتَ صَوَحْتَ^(٥)
وَأَوْدَعْتَ السَّوَادِي مَا يُعْمِي الْعَيْنَ وَيُزْغِمُ الْأَنْفَ^(٦). وَإِنَّ لِسَيْدِي كَبِيرَ حَقٍّ،
وَلِمُعْظَمِيهِ^(٧) صَفِيرَ حَقٍّ. وَرَغِي أَحَدِيهَا مَنُوطٌ بِالْآخِرِ^(٨).

★★-٤ * زاد المسافر ١٠٤ - ١٠٥ (رقم ٢٨)، المغرب ١: ٧٥ - ١٧٦ الذيل والتكملة رقم
٢٠٢ (١٠٦: ٥ - ١١٠)^(٩)؛ نفح الطيب ١: ٤٧٣، ٥٤٢ - ٥٤٤، راجع ٣:

(١) هَزَنِي (رَدَنِي إِلَى نَفْسِي). أَلْحَقَ بِهِ غَمَضِي (جَعَلَنِي أَنَامَ نَوْمًا طَبِيعِيًّا).

(٢) هذا من قول بَشَّارِ بْنِ يَرْدٍ (ت ١٦٧) يمدح خالد بن برمك (٩٠ - ١٦٣ هـ):

لِعَمْرِي، لَقَدْ أَجْدَى عَلَيَّ ابْنَ بَرْمَكٍ، وما كُلٌّ من كان الغنى عنده يجدي.
أَجْدَى عَلَيَّ: أَعْطَى.

(٣) هذا البيت لأبي خراش الهذلي (ت في أيام عمر بن الخطاب، بين ١٣ و ٢٣ هـ) قاله من مقطوعة لما
وجد أخاه عروة مقتولاً وقد ألقى عليه رداءه. سَلَّ: نَزَعَ. الْحَضُّ: الْخَالِصُ.

(٤) نظر فيها!

(٥) صَوَحَّ: بَيَسَ.

(٦) السَّافِيَةُ: الرِّيحُ الَّتِي تَحْمِلُ التُّرَابَ. يَرْغَمُ الْأَنْفَ: يَجْعَلُ فِي الْأَنْفِ رِغَامًا (بَضْمُ الرَّاءِ: تَرَابًا)، أَوْ أَلْصَقَهُ
بِالتُّرَابِ.

(٧) مُعْظَمُهُ: يَقْصِدُ الْكَاتِبُ (أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ هِشَامٍ) نَفْسَهُ.

(٨) مَنُوطٌ: مَتَمَلِّقٌ، مُرْتَبِطٌ.

(٩) في حاشية الذيل والتكملة (١٠٦: ٥): ترجمته في صلة الصلة ١٥٣، والتكملة رقم ٢٤٣٩. وبالرجوع
إلى صلة الصلة (ص ١٥٣، رقم ٣٠٢) نجد ترجمة أبي الحسن عامر بن محمد (ت ٥٤٠)، أي قبل ثمانين
سنة من أبي القاسم عامر بن هشام. وليست التكملة بين يدي الآن.

٢٢٨، ٤: ٨٩ قطعتان منسويتان في «القدح المملّى» (أسفل ص ٩١ وأعلى ص ٩٢) لأخيه أبي يحيى، راجع برنامج الرعيي ١٧٥، الأعلام للزركلي ٤: ٢٥ (٣: ٢٥٥).

عبد السلام بن مشيش

١- هو الشيخ العارف الكامل أبو محمد (أو أبو عبد الله) عبد السلام بن مشيش (أبو بشيش) بن أبي بكر بن علي بن حُرْمَة بن عيسى بن سَلَام بن المِزْوَار بن حيدرة ابن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب (راجع النبوغ المغربي ١٥١). كان مولده في بني العروس في جَبَل العلم (قرب تَطْوَان - شَالِي المَغْرِب)، رَحَلَ (إلى الشرق) ثم عَادَ وتَلَمَذَ على أبي مدين في بجاية. بعدئذ رَجَعَ إلى موطنه. وَهُوَ أستاذ أبي الحسن الشاذلي.

وَقَتِلَ ابن مشيش شهيداً في رِبَاطِ جَبَل العلم، نَحَوَ سَنَةِ ٦٢٥ (١٢٢٨ م)، في مُقاومة آبن أبي الطواجين الكُتَامِي السَاحِر، ودُفِنَ في قَنَةِ جَبَل العلم.

٢- كان عبد السلام بن مشيش من رجال التصوّف المعتدل القائم على حُسن العمل لا على الكلام في المُفَيَّيات. وقد كَانَ مُتَشَدِّدًا في القِيَامِ بفروض الإسلام وفي الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر. ومكانته في المغرب كمكانة الشافعي في المشرق. ويُعَدُّ ابنُ مشيش أحدَ الأقطاب الأربعة في المغرب.

وله: كتابُ إعانة الراغبين في الصلاة والسلام على أفضل المرسلين (ويُعرفُ اختصاراً بِصَلَوَاتِ ابن مشيش). وعلى هذه «الصلوات» عددٌ من الشُّروح منها (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٨): كتاب الصلاة على النبي لِمُحَمَّد بن علي الخروفي المتوفى سَنَةَ ٩٦٣ - اللَّمَّحَاتِ الرَّافِعَات - التدهيش عن معاني صلاة ابن مشيش لمصطفى بن كمال الدين البكري المتوفى سَنَةَ ١١٦٢ - النَّفَحَاتُ القدسية لعبد السلام ابن حَمْدُونِ البَنَّانِي - الروضة العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية، وغيرها.

- الصلاة المشيشية (دعاء لأبن مشيش):

اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ وَانْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وَفِيهِ ارْتَقَتْ الْحَقَائِقُ وَتَزَلَّتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ^(١) الْخَلَائِقُ؛ وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ فَلَمْ يُذَكِّرْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ.... اللَّهُمَّ، إِنَّهُ سِرْكُ الْجَامِعِ الدَّالُّ عَلَيْكَ وَحِجَابُكَ الْأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ. اللَّهُمَّ، أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ^(٢)، وَعَرِّفْنِي بِهِ مَعْرِفَةً أَسْلَمَ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْمَجْهِلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ^(٣) وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمَلًا مَحْفُوفًا بِنُصْرَتِكَ....

(ثم يقول، وفي قوله تطرّف مخالف لما ذكّر عنه من الاعتدال):

.... رُجِّي فِي بَحَارِ الْأَحَدِيَّةِ وَانْشِلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ وَأَغْرِفْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ^(٤) حَتَّى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ وَلَا أَجِدَ وَلَا أُحِسَّ إِلَّا بِهَا^(٥)، وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي، وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِي بَتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ....

- قال عبد السلام بن مشيش:

انْظُرْ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ تَجِدِ اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(١) أعجز يجوز فيها البناء للمجهول حتى تكون الخلائق مرفوعة لمناسبة السجع مع «الحقائق». ويجوز أن تكون مبنية للمعلوم وفاعلها عائد على «من» (أي محمد رسول الله). ويجوز أن تكون «أعجزت» والضمير فيها راجع إلى «العلوم».

(٢) النسب: القرابة. والمحسب: العمل النبيل الحميد.

(٣) الموارد (الأولى) من «ورد» (أشرف على، وصل إلى). والمورد (الثانية) من «ورد» (ذهب إلى الماء).

(٤) الأحدية: الاعتقاد بأن الله واحد. التوحيد: الاعتقاد بأن الله غير العالم (وهذا في التصوّف التطرّف غير مقبول، لأنه يجعل العالم غير الله فيخرج العالم من الوجود الإلهي). الوحدة: الاتّحاد (الاعتقاد بأن المتصوّف يبر في حال يصبح فيها مع الله «واحداً» بالعدد).

(٥) بها = بالوحدة (أي لا أرى الخ إلا أنّ وجودي قد فني في وجود الله: فنيبت أنا عن الوجود، وبقي الله الموجود الوحيد).

ومُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ : بِقُرْبٍ هُوَ وَصْفُهُ وَبِحَيْطَةٍ هِيَ نَفْثُهُ . وَعَدَّ عَنِ النَّظَرِ فِيهِ وَالْحَدَّ
وَعَنِ الْأَمَاكِنِ ، وَعَنِ الصُّحْبَةِ وَالْقُرْبِ وَالْمَسَافَاتِ وَعَنِ الدَّوْرِ بِالْمَخْلُوقَاتِ . وَامْنَحُ الْكُلَّ
بِوَصْفِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . وَهُوَ : هُوَ هُوَ . كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ ، وَهُوَ
الْآنَ عَلَى مَا كَانَ .

- وقال ابن مشيش :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَرْبَعَةٌ بَعْدَ أَرْبَعَةٍ : الْحُبُّ لِلَّهِ ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا
وَالْتَوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ . هَذِهِ أَرْبَعَةٌ . وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْأُخْرَى فَالْقِيَامُ بِفَرَائِضِ اللَّهِ
وَالاجْتِنَابُ لِمَحَارِمِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عَلَى مَا لَا يَنْغِي وَالْوَرَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُنْهَى .

٤ - إغاثة الراغبين (مع شرح لها) ، استانبول ١٢٥٦ هـ .

- للفتحات الرافعات ، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ .

- النفعات القدسية ، بومباي (طبع حجر) ١٣١١ هـ .

- (مطبوع في) « دبقية المشتاق لأصول الديانة والمعارف والأذواق ، الخ » لمجد القادر بن عبد
الكرام الوردبني ، بولاق ١٢٩٨ هـ (ص ١٤٦ - ١٥٩) .

*** النبوغ المغربي ١٥١ - ١٥٢ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ (١٢ و ١٣ قبل ٣٥٨ من النقلة الأولى) ؛

دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٩١ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦٩ ، الملحق ١ : ٧٨٧ - ٧٨٨ ؛

الطبقات الكبرى للشعراني (القاهرة ١٣٢٩) ٢ : ٦ ؛ الاستقصا ١ : ٢١ ؛ الأعلام للزركلي

(٩ : ٤) .

أبو إسحاق بن أصبغ القرطبي

١ - هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي من أهل
قرطبة ومن بيوتاتها الأصيلة ، وكان أهله يُعرفون ببني المناصف .

وَلِيَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ أَصْبَغَ قَضَاءَ دَانِيَّةٍ ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا ، سَنَةَ ٦٢١ هـ . وَفِي هَذِهِ
السَّنَةِ نَفْسِهَا - وَفِي صَدْرِ الْفِتْنَةِ الْمُتَبَعَةِ فِيهَا - كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ يُعْمَلُ فِي دَانِيَّةٍ . وَكَانَ
قَدْ سَكَنَ بَلَنْسِيَّةَ أَشْهُرًا ثُمَّ أُنْتَقَلَ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي سِجِلْمَاسَةَ (فِي الْمَغْرِبِ
الْأَقْصَى) إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م) فِي الْأَغْلَبِ .

٢- يَرِدُ ذِكْرُ أَبِي إِسْحَاقَ هَذَا يَنْسَبُهُ الْكَامِلُ فِي «بُغْيَةِ الْوَعَاةِ» عَلَى أَنَّهُ نَحْوِيٌّ. وَأَمَّا الصَّدَقِيُّ فَيَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ ثُمَّ يُورِدُ لَهُ بَضْعَةً أُمِّيَّةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شَاعِرٌ رَقِيقٌ أَيْضاً. وَيَبْدُو أَنَّ بَرَاعَتَهُ الْأُولَى قَدْ كَانَتْ فِي النَّحْوِ فَكَانَ شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) وَوَاحِدَ زَمَانِهِ فِيهَا، أُمِّلَى فِي قَوْلِ سَيِّبُونِي «هَذَا عَلِمَ مَا الْكَلِمُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ» عِشْرِينَ كَرَّاساً بَسَطَ الْقَوْلَ فِيهَا فِي مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ وَجْهًا (نَفْحَ الطَّيِّبِ ٤: ١٤١).

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن المناصِفِ النَّحْوِيُّ فِي الْخَيَالِ:

وزائري زارني وَهْنًا فَقُلْتُ لَهُ: أَنَّى اهْتَدَيْتَ وَسَجَفَ اللَّيْلُ مَسْدُولُ^(١)
فَقَالَ: آنَسْتُ نَارًا مِنْ جَوَانِحِكُمْ أَضَاءَ مِنْهَا لَدَى السَّارِينَ قَنْدِيلُ^(٢).
فَقُلْتُ: نَارُ الْهَوَى مَعْنَى، وَلَيْسَ لَهَا نُورٌ يَبِينُ. فَمَا ذَا مِنْكَ مَقْبُولُ.
فَقَالَ: نَسَبْتُنَا مِنْ ذَاكَ وَاحِدَةً: أَنَا الْخَيَالُ وَنَارُ الْحُبِّ تَخْيِيلُ!

٤- ** الوافي بالوفيات ٦: ٧٦ - ٧٧؛ بغية الوعاة ١٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٠ (٥٦) تحفة القادم ١٣٢.

أبو الحسن بن الفضل المَعَارِي

١- هو أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَعَارِيُّ أَصْلُهُ مِنْ أَوْرِبُولَةَ، وَلِدَتْ سَنَةَ ٥٦٣ هـ (١١٦٧ - ١١٦٨ م). لَزِمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ سُكْنَى إِشْبِيلِيَّةَ فَصَارَ مَعْدُودًا فِي أَعْيَانِهَا، وَقَدْ سَكَنَ غَرْنَاطَةَ مَدَّةً ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا لِأَنَّهُ سَكَنَى إِشْبِيلِيَّةَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ (ت ٥٩٨ هـ) صِدَاقَةٌ وَمُكَاتَبَاتٌ وَمُسَاجَلَاتٌ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَمْدَحُهُ تَكْسِبًا. وَقَدْ تَكَسَّبَ بِالشَّعْرِ: سَارَ إِلَى مَرَاكُشَ وَمَدَحَ الْمُسْتَنْصِرَ

(١) وهنا: بعد نصف الليل. السجف (بالفتح أو بالكسر): السجاف (بالكسر: الستر، الستار، الستارة). مسدول: مرخي. آنس: أحسن (علم، رأى).

(٢) الجوانح جمع جانحة: عظم بجانب الصدر (يقصد: من قلبك المشتعل بالحب). الساري: السائر في الليل.

المَوْحِدِيَّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) وَطَلَّبَ أَنْ يَتَوَلَّى فِي إِشْبِيلِيَّةِ خُطَّةَ الزَّكَاةِ وَالْمَوَارِيثِ فَظَفِرَ بِذَلِكَ. وَمَدَحَ مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسَفَ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبَ مُرْسِيَّةٍ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ نَازِلٌ شَاعِرٌ وَشَاحٌ فَصِيحٌ الْأَلْفَاظِ سَهْلُ التَّرَاكِيِبِ عَذْبُ الْأَسْلُوبِ صَحِيحُ السَّبْكِ يُجِيدُ الْقَصَائِدَ وَالْمَقْطَعَاتِ وَيُنْكَشِفُ شِعْرُهُ عَنْ تَسْلُسِلِ مَنْطِقِيٍّ. وَأَعْرَاضُهُ الْوُجْدَانِيَّةُ يَمْتَزِجُ فِيهَا الْجِدُّ وَالْهَزْلُ، وَرُبَّمَا مَالٌ فِي عَدِيدِ مِنْهَا إِلَى الْمُجَوَّنِ. وَهُوَ بَارِعٌ فِي الْمَدْحِ وَالْوَصْفِ وَالْفَرْقَلِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- اجْتَمَعَ مَرَّةً فِي أَحَدِ مُتَنَزَّهَاتِ إِشْبِيلِيَّةٍ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ أَبُو بَجْرِ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ (ت ٥٩٨ هـ) وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ وَرَجُلٌ يَدَّعِي أَنَّهُ يُحْسِنُ الرِّمْيَ بِالْقَوْسِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُهُ. وَأَرَادَ الْجَمَاعَةُ أَنْ يَتَنَدَّرُوا بِهَذَا الْمُدَّعِي فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُصِيبَ طَائِرًا كَانَ وَاقِفًا عَلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ. فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا. فَقَالَ صَفْوَانُ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا:

أَعِذْ عَلَى سَمْعِي أَحَادِيثَ الْمُنَى، فَمَا قَبِيحٌ أَنْ تُعِيدَ الْحَسَنَا.
فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ الْمَعَاظِرِيُّ بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ:
أَفْضَلُ مَا حَازَ الْفَتَى قَنَاعَةً وَعِفَّةٌ تَنْبِيهِ عَنِ سُبُلِ الْخَنَا^(١).
انْظُرْ إِلَى أَجْدَائِهِمْ مُعْتَبِرًا، هَلْ تَمَّ فَرْقٌ بَيْنَ فَقْرٍ وَغِنَى^(٢)؟
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَمَى، وَأَنْ خَيْرَ السَّمَى تَحْلِيدُ الثَّنَا^(٣).
لَوْلَا ابْنُ إِدْرِيسَ وَفَضْلُ خُلُقِهِ لَمْ يَدَا مِنْ مَذْحِهِ مَا بَطَّنَا:

(١) تنبيه: تردّد. الخنا: القول أو العمل القبيح.

(٢) الجدث (بفتح ففتح) القبر.

(٣) في القرآن الكريم: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَمَى، وَأَنْ سَمِعَهُ سَوْفَ يَرَى، ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى» (٥٣: ٣٩ - ٤١، سورة النجم).

شَقِيقُ نَفْسِي تُرْبَةٌ وَغُرْبَةٌ
تَلَوْنَ الدَّهْرَ عَلَى عَادَاتِهِ،
مُهَذَّبُ الْفِكْرَةِ مَصْقُولُ النُّهَى
أَشْهُرُ مِنْ نُورِ الصَّبَاحِ الْمُجْتَلَى،
إِيَّهِ أَبَا نَحْرِ، وَعِنْدِي مَقُولُ
أَلَسْتُ مِنْ سَيْرَهَا غَرَائِباً
أَصْفَتْ لَهَا بَغْدَانُ حَتَّى اسْتَصْفَرْتُ
أَتَذَكَّرُ الْعَهْدَ الَّذِي مَرَّ بِنَا
أَيَّامَ ظِلِّ الدَّهْرِ عَنَا غَافِلاً
وَلَا كِيَوْمِ شَرِبْتُ أَرْوَاحُنَا
فِي فِتْنَةٍ - أَوْ فِتْنَةٍ - تَنْظُمُوا
كَنْتُ أَذُمُّ زَمَنِي مِنْ قَبْلِهِمْ،
.....
وَصَاحِبِ حُلُوِّ الْمَزَاجِ مُنْتَبِعِ
خَادَعَنَا لَمَّا مَشَى مَا بَيْنَنَا
.....
وَأَدْباً وَمَذْهَباً وَسَنّاً^(١).
وَهُوَ كَمَا أَذْرِيهِ مَا تَلَوْنَا.
مُسْتَعَذَّبُ الْخَبَرَةِ مَعْسُولُ الْجَنَى^(٢).
أَنْصَرُّ مِنْ نُورِ الْأَفَاحِ الْمُجْتَنَى^(٣).
يُخَيِّنُ أَنْ يَشْكُرَ تِلْكَ الْمِنَا^(٤)،
تُتَوِّجُ الشَّامَ وَتَكْسُو الْيَمْنَا^(٥)!
حَبِيبَهَا وَمُسْلِمًا وَالْحَسْنَا^(٦).
يَذِي النَّقَا حَيْثُ طِبَاءُ الْمُنْحَى^(٧)؟
حَتَّى جَنَيْنَا الْعَيْشَ غَضًّا لَيْنَا.
رَاحَ الْهَوَى فِيهِ بِكَاسَاتِ الْمُنَى،
سِمْطاً. أَأَبْصَرْتَ النُّجُومَ مَوْهِنَا؟
فِيَوْمٍ صَافَوْنِي حَيْدْتُ الزَّمْنَا!
.....
يُصْفِي السَّرُورَ وَيَقْدُّ الشَّجْنَا^(٨)،
مُحْتَجِنَا لِقَوِيهِ مُضْطَبِّنَا^(٩).

- (١) تربة: في الوطن. السن: الطريقة، المنهج.
(٢) النهى: العقل. الجنى: التمر (الحديث، الكلام). الخيرة (الخير): ما تعرفه من الإنسان بعد اختياره.
(٣) المجتلى: المنظور (الذي يحب الناس أن ينظروا إليه). النور (بالفتح) الزهر الأبيض. الأفاح جمع أقحوان. المجتنى: المقطوف حديثاً.
(٤) المقول: اللسان. المنة: المعروف (العطية).
(٥) سيرها: سائر القصاص (جعلها مشهورة). تتوَّج الشام (مع أن الشام كانت مصدر الملوك!) وتكسو اليمن (مع أن اليمن مشهورة بصناعة النسيج).
(٦) أصفى: استمتع. بغدان = بغداد. حبيب بن أوس أبو تمام ومسلم بن الوليد صريح الغوافي والحسن بن هاني أبو نواس.
(٧) النقا: الرمل الأبيض. المنحنى: تلة من الرمل مستديرة.
(٨) الشجن: الهم والحزن. قدَّ: شقَّ (٢). في المغرب (٢: ٢٨٧): «يجي السرور ويميت الحزننا».
(٩) احتجن الشيء: ضمه إلى نفسه (يحمل قوسه ولا يستخدمها). اضطبن الشيء: حله بجانبه.

يُحْكِي لَنَا مَا شَاءَ تَنْظُرُفًا وَيَذْهِي بِرَمِيهِ تَمَجُّنًا^(١).
 وَيَذْهِي التَّصْمِيمَ فِي أَغْرَاضِهِ. وَلَوْ رَمَى بَغْدَانُ أَصْصَى عَدَنًا^(٢).
 حَتَّى تَدَلَّى طَائِرٌ مِنْ أَيْكَةِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ: هَا أَنَا! قُلْنَا لَهُ: قَدْ أَكْثَبَ الصَّيْدُ، فَقُمْ
 فَقَامَ كَسْلَانٌ يَمُطُّ حَاجِبًا وَيَبْنِي أَوْتَرَهَا، وَبَيْنَمَا وَعِنْدَمَا رَمَى حَمَامَ قَتْنٍ
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَهُ. إِنْ لَمْ يَكُنْ لَوْ أَنَّ رَضْوَى مَثَلَتْ مِنْ كَثَبِ
 وَالْمَرْءُ مَغْرُورٌ بِبَادِي رَأْيِهِ. وَسَهْمٌ لَصَافٍ عَنْهَا وَائْتَنَى^(٣).
 وَيُظْهَرُ الْحَقُّ إِذَا مَا أَمْتَجْنَا^(٤)!

- وَلَأَيُّ الْحَسَنِ بْنِ الْفَضْلِ مِنْ مَوْشِحَةٍ (المغرب ٢ : ٢٩١):

فِي طَرْفٍ مِنْ أَهْوَاةٍ سِي_____فُ الْمَنُونِ^(٥).

- (١) يذْهِي: يفتخر. الرمي: إطلاق النبل عن القوس. التاجن: خلط الجذء بالزج.
- (٢) التصميم: إصابة الشيء مباشرة وفي وسطه. الغرض: الهدف. بغدان = بغداد. أصصى أصاب المقتل (ولكن في عدن: بعيداً جداً عن بغداد، عن الهدف الذي أراد أن يصيبه).
- (٣) أكثب: اقترب.
- (٤) الأين: التعب. الونى: فتور الهمة والضعف.
- (٥) أوتر الرجل القوس: وضع السهم في وترها ليطلقه. تشطى: تشتمت (ينفصل منها قطع). الإحنة (بكسر الهمزة): الحق. تشطى في يديه (يتمزق بين يديه لأنه لا يعرف أن يمك بها فضلاً عن أن يعرف الرمي بها).
- (٦) القتن: الفصن.
- (٧) رضى: جبل في بلاد العرب (يؤثر عن الشعراء القدماء بأنه كبير). مثل: انتصب، وقف منتصباً. من كذب: من قرب. صاف السهم: حاد عن الهدف.
- (٨) بادي الرأي: الرأي الذي يحظر للإنسان لأول مرة فيقبله من غير تفكير. وهو تضمين (راجع ١١ : ٢٧، سورة هود).
- (٩) الطرف: النظر، العين. المنون: الموت.

والقلبُ سبُّ في بلواه مِمَّنْ يَخُونُ^(١)
يا قدَّ غُصِنَ البانُ إذا أَتَشَبَى^(٢)،
الراحُ والرَّيحانُ بلِ النَّسَى^(٣)
في ذلكَ الوَسنانِ إذا رننا^(٤).
يا ربُّ، ما أقصاهُ! تُرى يَهونُ^(٥)؟
والصَّبُّ ما أَرْجَاهُ ما لا يكونُ^(٦)!

- وله من مطلعِ موشَّحة:

ألا هلْ إلى ما تَقْضَى سبيلُ فيُشْفَى الغليلُ وتوسى الكلومُ^(٧)؟

★ ★ ★

رعى اللهَ أَهْلَ اللَّوى واللَّوى ولا راعَ بالبَّينِ أَهْلَ الهوى^(٨).
فواللهِ، ما الموتُ إلَّا النوى؛ عَرَفْتُ النوى بتوالي الجوى^(٩)،
ومِمَّا تَحْلُلُ جِسمي النحيلُ لقد كِدْتُ أَنْكُرُ حَضَرَ الجُومِ^(١٠).

★ ★ ★

(١) - فلي في بلوى (مصيبة، شقاء) ثم يحزن (من الحبوب الخائن الذي يمد ولا يهي أو الذي يحبك مدّة، فإذا تملّقت به تركك وانصرف إلى غيرك).

(٢) قوامه كفص البان (وللبان أغصان طوال مستقيمة رشيقة). انتنى (تقابل في شيء).

(٣) الراح: الخمر. الريحان: نبات طيب الرائحة. المتى جمع منية (بالضم): أمل، غاية. الوسنان: النعاس، الفانر (صفة للعين). رنا تطلع.. - النظر إلى هذا المحبوب كثرب الخمر (يسكر) وكثم الريحان (ينعش).

(٤) ترى يهون: هل يصح الوصول إليه عليّ أهون (٤).

(٥) الصب: الشديد الحب. ما أَرْجَاهُ ما لا يكون: ما أشدَّ رجاءه (أمله، تملّقه) بما لا يكون (بالستحيل).

(٦) الغليل: العطش. توسى: تؤسى (!) تداوى. الكلم (بالفتح): الجرح.

(٧) اللوى الرمل المستدير (جانب التلّة): كناية عن مساكن العرب. البين: البعاد والفرق.

(٨) النوى: البعد. الجوى: ألم الحب.

(٩) دخن في جسمي أمراض كثيرة فأفسدته إلى حدّ أنّه يصعب إحيائه.

فواحسرتنا لزمانٍ مضى عَشِيَّةً بَانَ الهوى وانتضى
وأفردتُ بالرُّغمِ لا بالرُّضا وبِتَّ على جَمَرَاتِ القضا^(١)
أعانقُ بالفكر تلكَ الطُّلولَ وألثمُ بالوهمِ تلكَ الرُّسومَ.

- كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ مِنْ مَدِينَةِ مَرَاكُشَ إِلَى مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ^(٢)
رِسَالَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَدَبِ الرِّحْلَةِ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَجُونِ:

.... وَأَمَّا مَا نَشَأُ مِنْ عَجَائِبِ هَذِهِ السَّفَرَةِ الَّتِي أَطْرَبْتُ نَوَادِرُهَا وَأَضْحَكْتُ مَوَارِدُهَا
وَمَصَادِرُهَا^(٣): حِكَايَةُ شَيْخِنَا الْقُلُطِيِّ^(٤) مَعَ خَدِيمِهِ الْمُرَاهِقِ الْأَسْمَرَ الْفَاتِقِ ذِي
الطَّرْفِ الْكَحِيلِ وَالْحَذِّ الْأَسِيلِ^(٥) وَالرِّدْفِ الثَّقِيلِ وَالْخَصْرِ النَحِيلِ:

ذَاكَ الَّذِي بِتُّ مِنْ وَجْدِهِ، وَغَدَتُ فِيهِ أَحَادِيثُ جُلَاسِي وَسُمَارِي^(٦).
نَشَوَانُ مِنْ خَصَرَةِ الدَّلِّ الَّتِي شَغَلَتْ مِنْ ظِلٍّ يَمْشُقُّهُ عَنْ كُلِّ خَمَارٍ^(٧).
يَا لَهَا أَعْجُوبَةٌ طَرِيفَةٌ أَطْرَفَ مِنْ فِيهِ أَبِي حَنِيفَةَ:

أَعْجُوبَةٌ مَا سَعِينَا بِأَخْتِهَا فِي أَوَانٍ^(٨).
قَدْ صَارَ شَيْخُكَ مِنْهَا أَضْحُوكَةً فِي الزَّمَانِ.

وَذَلِكَ أَنَّا لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عَيْنِ الْقَدَحِ قَاصِدِينَ قَصْرَ كِتَامَةِ^(٩)، ظَهَرَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ

(١) القضا شجر جزل (كثيف المادّة) تكون ناره شديدة.

(٢) زار أبو الحسن بن الفضل مَرَاكُشَ مراراً. وموسى بن محمد سار إلى الحج سنة ٦٣٩ هـ وتوفي وشيكاً في الإسكندرية، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٣ - ١٢٤٣ م).

(٣) الموارد والمصادر (الذهاب إلى الماء والرجوع عنه): الأسباب والنتائج، الأحوال المختلفة.

(٤) القلطي، إذا لم تكن علماً أو نسبة، فهي (بفتح ففتح): القصير، الحبيث.

(٥) الأسيل: الأملس.

(٦) الوجد: الحب، الشوق، الميل. السامر: الذي يجادل في الليالي. - هذا المحبوب أصبح حديث الناس (لجماله).

(٧) النشوان: السكران. الدلّ: الثقة بالنفس والطمع بالناس الذين يعجبون بصاحب هذا الدلّ. الخصار: بائع الخمر. - اكتفى الناس من السكر بالنظر إليه فاستغنوا (بفتح النون) عن شرب الخمر.

(٨) الأوان: الزمان.

(٩) قصر كِتَامَةِ (في معجم البلدان): مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الاندلس (جنوبي الاندلس). ولعلّ المقصود (هنا) مكان في المغرب.

في هذا الأسر ما لم يظهر من الذي تمنى أن يكون هامة^(١). وصار يغار عليه من الألفاظ ولا يبرح متى كلم أو نظير يفتاظ، إلى أن وصلنا إلى وادي الخازن، والسيل قد ضاقت^(٢) بطلائعه صدره، وهو أبداً يزيد مدّه ولا يلم به جزره^(٣). ولم يسع الوقت جواز الشيخ والفلام، بل بادراً بتجويزه^(٤) وقد أقبلت كئائب الظلام. فلما أن دخل الشيخ في ذلك الجانب، بعد اللّيا والتي^(٥) من خوص ذلك العباب منع الوادي نفسه بمزاحة المياه^(٦). وبقي الشيخ في أعظم مصاب. وكنت، يا أخي، في من ظفر بالمجاز وحصلت له الحقيقة بعد المجاز^(٧):

فبات الشيخ في همٍّ وغمٍّ ضجيع الفكر والحزن الطويل.
وبت ضجيع أسره أنادي بحمي على التواصل والوصول^(٨).
فلا تسأل - فديتك - عن مبيتي هناك؛ وسلّ صحابك عن مقيلي^(٩).

ثم إنه لما وضح النهار وأصبح الشيخ كالموله لفقد الجوار^(١٠)، اكترى الشيخ من سبح به إلينا، وأرسل الله منه نعمة علينا. وجملته الأمر: أنا ظفرنا ليلة برّ هواه، وصفنا نهاره جميع قفاه!

- (١) أن يكون هامة: أن يموت (٢).
- (٢) كذا في الأصل. والصواب: ضاق بطلائعه صدره وادي الخازن مكان قرب القصر الكبير (شمال شرقي الرباط وجنوب شرقي العرائش) في المغرب.
- (٣) الجزر: تراجع مياه البحر. والمدّ علو ماء البحر عند الشط. لا يلم به جزره: لا يحدث انخفاض في مائه.
- (٤) الجواز: الانتقال عبر الماء من جانب إلى جانب. التجويز: جعل الآخرين يجوزون.
- (٥) بعد مصاب كثيرة.
- (٦) العباب: الموج. منع الوادي (النهر) نفسه (منع الناس من الجواز عبره).
- (٧) الحقيقة: دلالة الكلمة على المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: الجسم المشتعل الذي يضيء الأرض). والمجاز: دلالة الكلمة على غير المعنى الوضحي لها (الشمس: المرأة الجميلة) حصلت له الحقيقة بعد المجاز: ظفر بالهبوب بعد أن كان يتمنى الظفر به (٢).
- (٨) التواصل والوصل: نيل الرغبة من المبوب.
- (٩) لا تسأل عن مبيتي (نومي) في تلك الليلة (لأنني لم أتم فيها) أسأل عن مقيلي: النوم في النهار (لأنني كنت في الليل ساهراً مع المبوب).
- (١٠) الموله: الذي اشتدّ حزنه حتى كاد عقله يذهب. لفقد الجوار (جوار محبوبه).

٤ - * * زاد المسافر ١٠٦ (رقم ٣١)؛ المغرب ٢: ٢٨٦ - ٢٩١؛ القدر المعلق ١٠٨ -
١١١؛ الذيل والتكملة رقم ٦٥١ (٣٧٦: ٤ - ٣٨٧)؛ ازهار الرياض ٢: ٢١١.

أبو زيد الفازاني

١ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَفَن بن أحدَ الْيَحْشِي، وَلَدَ بُعِيدَ سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في قُرْبَةِ ونشأ فيها. ثمَّ إِنَّهُ سَكَنَ بِلْسَانَ وَغَيْرَهَا.
سَمِعَ أَبُو زَيْدُ الْفَازَانِيُّ مِنْ جَمَاعَةٍ فِيهِمُ الْحَافِظُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّهَيْلِيُّ (٥٨١ هـ)،
فِيمَا قِيلَ، وَالْحَافِظُ أَبُو الْوَلِيدِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَقِيٍّ الْقَاضِي وَأَبُو الْحَسَنِ جَابِرُ
ابْنُ أَحْمَدَ الْقُرَشِيُّ التَّارِيخِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ النَّجَّيِّ.
وَقَدْ كَتَبَ أَبُو زَيْدُ الْفَازَانِيُّ دَهْرًا طَوِيلًا فِي الْأَنْدَلُسِ لَوْلَاةِ الْمُوحِدِينَ. وَفِي سَنَةِ
٦٢٦ لِلْهِجْرَةِ - فِي مَطْلَعِ حُكْمِ السُّلْطَانِ الْمُوحِدِيِّ الْمَأْمُونِ أَبِي الْعَلَاءِ إِدْرِيسَ (٦٢٦ -
آخِرَ ٦٢٩ هـ) - نَالَتْهُ جَفْوَةٌ عَلَى يَدَيِ الْوَالِي فِي قُرْبَةِ وَإِشْبِيلِيَّةِ (٩)، فَأَلْزَمَتْهُ
السُّلْطَانُ دَارَهُ ثُمَّ نَفَاهُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ فَأَتَقَفَلَ إِلَى الْعُدُوَّةِ. وَفِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٢٧
(أَيْلُول - سَبْتِمَبْر ١٢٣٠ م) زَارَ أَبُو زَيْدُ الْفَازَانِيُّ مَرَآكُشَ وَتَرْضَى السُّلْطَانِ الْمَأْمُونِ،
فَرَضِيَ السُّلْطَانُ عَنْهُ. وَلَكِنْ أَبَا زَيْدٍ لَمْ يَعْشَ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا فَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مَرَآكُشَ
فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٧ نَفْسِهَا (أَيْلُول - تَشْرِينَ ١٢٣٠ م).

٢ - كَانَ أَبُو زَيْدُ الْفَازَانِيُّ مُشَارِكًا فِي عَدَدٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ مِنَ الْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ
وَعِلْمِ الْكَلَامِ (وَكَانَتْ بَضَاعَتُهُ مِنَ الْحَدِيثِ قَلِيلَةً)، وَكَانَ أَدِيبًا نَائِرًا مُتَرْسِّلًا وَشَاعِرًا
يَغْلِبُ عَلَى شِعْرِهِ مَدْحُ الرُّسُولِ وَأَشْيَاءُ مِنَ الزَّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ وَالْحِكْمَةِ، وَرَبِّمَا جَاءَ فِي
شِعْرِهِ بُلُزُومٌ مَا لَا يَلِزُومُ.

ثُمَّ إِنَّهُ مُصَنِّفٌ لَهُ: سَفِينَةُ السَّعَادَةِ لِأَهْلِ الضَّعْفِ وَالنَّجَادَةِ (مَجْمُوعٌ قِصَائِدَ) -
دِيْوَانُ الْوَسَائِلِ الْمُتَقَبَّلَةِ - الْقِصَائِدُ الْعِشْرِينَيَّاتِ (وَهِيَ قِصَائِدُ تَتَأَلَّفُ كُلُّ قِصِيدَةٍ مِنْهَا
مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا) فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذِهِ الْقِصَائِدُ شَائِعَةٌ
جَدًّا وَمُحِبَّةٌ إِلَى النَّفْسِ، وَخُصُوصًا فِي السُّودَانِ الْغُرَبِيِّ (غُرَبَى إِفْرِيْقِيَّةِ). وَرَبِّمَا أُوْرِدَ

نَفَرٌ من المؤلفين أساء هذه المجموعة بَعَثَاوَيْنَ مختلفَةٍ: المَعَشَرَاتُ في مدح النبي - القصائدُ العشرِيَّاتُ (المشرِيَّاتُ في النصائح الدينية والحِكَم الزُّهْدِيَّة - المنظومات المَعَشَرَاتُ الزهْدِيَّة والمَعَشَرَاتُ الحُبِّيَّة والتَفَاحَاتُ القَلْبِيَّة التي كُلُّ قصيدةٍ (منها) عِشْرُونُ بَيْتاً في المدائح النبويَّة.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو زيد الغازي في مديح الرسول:

كَتَلْتُ بَنَعَتِ مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْوَرَى غُرِرُ الْقَصَائِدِ كُلُّهَا وَحَجُولَهَا^(١)،
وَأَخْتُصَّ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ بِدَعْوَةٍ وَسِعَ الْعِبَادَ عُمُومُهَا وَشُمُولُهَا.
فَاضَتْ عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْهُ أَشِعَّةٌ طَلَعَتْ وَمَا عَقَبَ الطَّلُوعُ أَفْوَلَهَا^(٢).
فَالْإِنْسُ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَقْصُودُهَا، وَالْجِنُّ تُوقِنُ أَنَّهُ مَامُولُهَا.

- وقال في الرسول أيضاً (وهو من لزوم ما لا يلزم):

أَتَى وَالْوَرَى أُسْرَى، فَكَانَ غِيَاثُهُم بَنُورٍ سَمَاءً يَنْقُلُوهُ عَنِ الْإِسْرَا^(٣)
وَعَفَى رُسُومَ الْكَافِرِينَ وَأَهْلَهَا، فَلَا قَيْصَرٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَلَا كَيْسَرٍ^(٤).

(١) القصائد الغرر جمع غرة (بالضم فيها): البياض في جبهة الفرس، أول كل شيء وأكرمه. كلها، لعله يقصد كلها جمع كلة (بالكسر فيها): ستر رقيق ينصب على خدر المرأة ونحو ذلك. والحجول جمع حجل (بالكسر) الخلل (بالفتح). - يريد أن يقول إن هذه القصائد أصبحت خير القصائد لأن فيها مدحا لمحمد رسول الله.

(٢) الثقلان: عالم الإنس وعالم الجن (بالكسر فيها). عقب وأعقب فلان فلاناً: خلفه وجاء بعده. الأفول: الغياب.

(٣) أتى (محمد رسول الله). الورى (جميع الناس). الغيات (نزول المطر، كناية عن إنقاذ الناس من الضلال والبلاء والقطط، الخ). ينقلوه (كذا في الأصل. ويجب أن تكون «ينقلونه»). الإسراء: انتقال محمد رسول الله من مكة إلى القدس فإلى السماء ثم رجوعه إلى مكة (ليلاً). وكان ذلك في آخر الدور المكّي، قبل الهجرة من مكة إلى المدينة. واختلفت الرواة في هذا الإسراء: أكان بالروح فقط أم بالروح والجسم معاً؟.

(٤) عفى: عفا. الرسوم جمع رسم: النظام المألوف في المعاملات، الطريقة (هنا: الشرائع). قيصر (لقب ملوك الروم: اليونان) وكسرى (لقب ملوك الفرس).

تَقَدَّمَ كُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى مَدَى تَظَلُّ بِهِ الْأَوْهَامُ ظَالِمَةً حَسْرَى^(١)
فُسُحَّانَ مَنْ أَسْرَى إِلَيْهِ بِعَبْدِهِ،
وَبُورِكَ فِي السَّارِي وَبُورِكَ فِي الْمَسْرَى^(٢).

- ٤ - سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة، القاهرة ١٣٢٠ هـ.
- الوسائل المتقبلة (مع سابقات الجياد ليوسف بن اسماعيل النبهاني)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ.
- القصائد العشرينية^(٣) في مدح سيدنا محمد، القاهرة (دار الكتب الكبرى) ١٣٣٤ هـ.
- ★ التكملة ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦ بغية الوعاة ١٣٠٤ نيل الابتهاج ١١٦٣، نفع الطبيب ٢: ١١٩، ٤: ١٢٢، ٤٦٨ - ٤٦٩، ٧: ٥٠٧ - ٥١٢ بروكلمن ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢ - ٤٨٣ الأعلام للزركلي ٤: ١١٨ (٣: ٣٤٢)، معجم المؤلفين ٥: ١٩١ سركيس ١٤٢٧ - ١٤٢٨ تحفة القادم ١٣٣ - ١٣٤.

أبو الحجاج التادليّ ابن الرّيات

١ - هو أبو الحجاج أبو يعقوب يُوسُفُ بنُ يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادليّ (نسبة إلى تادلة في المغرب، بين مدينة مراكش ومدينة فاس)، ويُعرفُ بابن الرّيات. وقد كانت وفاته سنة ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو الحجاج التادليّ من أئمة اللغة والنحو والأدب، ويبدو أنّه اتّجه اتّجهاً قوياً إلى التصوّف في أواخر حياته وأصبح شديد الإيمان بالكرامات الحارقة

(١) إلى مدى (سافة بعيدة). الظالم: الذي يفرج (يفتح الرام) في مشيه، لا يستطيع الجري بيرة أو يسير (بضم الياء). حسرى جمع حسر (للمؤث والمذكّر): الكليل، الحائر القوى، الضعيف، العاجز (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٢ - ١٣).

(٢) «سبحان الذي أسرى عبده ليلامن المسجد الحرام (مكة) إلى المسجد الأقصى (القدس)» آية من القرآن الكريم (١٧: ١، سورة الإسراء). الساري: محمد رسول الله. المسرى: الانتقال (برسول الله) من مكة إلى بيت المقدس.

(٣) راجع عناوين لها مختلفة (في خصائص الفازازي، رقم ٢)، وعليها شرح لحدّ الزهري الصمراوي.

للعادة والطبيعة من المشي على الماء (التشوف، ص ٩٨، ١٩٢، ٣٢٥، ٣٦٥) والطيران في الهواء (ص ٢٥٢) وبجعل ماء البحر عذبا حلوا (ص ٢٨٠) وتكليم الموتى في قبورهم (ص ٢٨٧، وغيره). ثم هو مُصنّف، له: نهاية المقامات في دراية المقامات (شرح لمقامات الحريري المتوفى ٥١٦ هـ) - مناقبُ أحدَ السّبيّ دفينِ مراكشَ - التشوف إلى رجال التصوف (بدأ بتأليفه ٦١٧ هـ). في هذا الكتاب تراجمٌ للذين سبقوا عصره، إذ لم يترجم للأحياء. والكتابُ مملوءٌ بأفعالٍ منسوبة إلى المتصوفين أشبه شيء بالخرافات. وفي الكتاب شعرٌ كثيرٌ، يبدو أن قليلاً لأصحاب التراجم التي يردُّ ذلك الشعرُ في أثنائها، ويبدو أن أكثره غيرُ ذلك^(١). وهو يُوردُ ذلك الشعرَ مقطوعاً مُغفلاً لا ينسبُهُ إلى أصحاب التراجم ولا إلى غيرهم، إلّا في النادر الشاذ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة كتاب « التشوف إلى رجال التصوف »:

.... لم يَخُلْ زمانٌ من وليٍّ من أولياء الله تعالى يَحْفَظُ الله به البلادَ والعباد. وكانت طائفةٌ منهم عظيمةٌ بأقصى المغرب أُمِيتْ أخبارُهم وجُمِلَتْ آثارُهم حتّى ظنَّ مَنْ لا علمَ له بهم أنّه لم يكنْ منهم بأقصى المغرب أحدٌ.... وما زال كثيرٌ من الصالحين يَكْرَهُونَ الإقامةَ في قواعدِ البلادِ خيفةً من الفتنِ^(٢)، ومنهم من كان مُقيماً بها على وجهِ الاضطراب..... ولَمَّا خَفِيَ عن كثيرٍ علمُ مَنْ كان بحضرةِ مراكشَ^(٣) من الصالحين وَمَنْ قَدِمَهَا من أكابرِ الفضلاء رأيتُ أن أفرُغَ لذلك وقتاً^(٤) أجعُ فيه طائفةً

(١) هو يورد مثلاً أبيات القاضي المرحاني (٣٩٢ هـ):

يقولون لي: فيك اقتباس! وإنّا رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجبا.

في ترجمة أبي الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني (٥٧٩ هـ). راجع ص ٢٧٣.

(٢) خيفة من الفتن: خوفاً من أن يشتهروا فيكثر الناس من احترامهم والتبرّك بهم فيدخل على نفوسهم شيء من الغرور يفسد تصوّفهم.

(٣) حضرة مراكش: المدينة التي هي العاصمة (يحضر فيها الملك).

(٤) أفرغ: اتخلّى عن كلّ شيء وأهمّ بشيء واحد. وقتاً (مدةً من الزمن) - وهي هنا ظرف مفعول فيه منصوب.

أَدَوْنَ أَخْبَارَهُمْ..... وَتَحَرَّيْتُ فِي نَقْلِ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحَبَرِ وَالصَّلَاحِ
وَالْمُسْتَوْرِينَ^(١) مَا اسْتَطَعْتُ..... وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِالتَّشَوُّفِ إِلَى رِجَالِ التَّصَوُّفِ،
وَإِنْ كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى أَضْرَابٍ مِنْ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْعَبَادِ وَالزُّهَّادِ
وَالوَرَعِينَ... فَإِنَّ اسْمَ الصَّوْفِيِّ يَصْدُقُ عَلَى جَمِيعِهِمْ..... وَالَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ أَنَّ الصَّوْفِيَّ
هُوَ الْمُنْقَطِعُ بِهَيْئَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْمُنْتَصِرِفُ فِي طَاعَتِهِ.....

وَجَرَدْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عُلُومِ التَّصَوُّفِ وَاقْتَصَرْتُ عَلَى إيرادِ أَخْبَارِ الرِّجَالِ،
فَإِنَّ «إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ»..... لِلْفَرَّالِيِّ..... هُوَ الْمُنتَهَى فِي ذَلِكَ.....

- ٤ - التَّشَوُّفُ إِلَى رِجَالِ التَّصَوُّفِ (اعتنى بنشره وتصحيحه أدولف فور) الرباط (مطبوعات
افريقية الشمالية الفنية) ١٩٥٨. (مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية ١٢).
* نيل الابتهاج (بهامش الديباج المذهب) ١٣٥٢ بغية الوعاة ١٤٢٥، البلغة ٢٩٤، بروكلمن،
الملحق ١: ٥٥٨ - ٥٥٩، الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٩ - ٣٤٠ (٨: ٢٥٧).

أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (أو حمادو أو حمادة) - وكلها
بتخفيف الميم: بلا شدة عليها - من أهل قلعة بني حماد^(٢). وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٤٥ هـ
(١١٥٠ م) فِي قَرْيَةِ بُرْجِ حِمَزَةٍ مِنْ حَوَازِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادِ (البويرة - دائرة البليان)،
شَرْقَ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ، وَفِيهَا نَشَأَ.

بَدَأَ ابْنُ حَمَادِ الصَّنَهَاجِيُّ تَلَقَّى الْعِلْمَ فِي بِلَدِهِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادِ (وَكَانَتْ حَاضِرَةً مِنْ
حَوَاضِرِ الْعِلْمِ) ثُمَّ فِي بَجَايَةِ، ثُمَّ فِي عَدَدٍ مِنْ مَدُنِ الْمَغْرِبِ، وَفِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا. وَقَدْ كَانَ
مِنْ شُيُوخِهِ الْفَقِيهُ أَبُو عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَسِيلِيُّ (ت نَحْوَ ٥٨٠ هـ) مِنْ أَهْلِ بَجَايَةِ،

(١) المستورون: الذين لا يتظاهرون بالتصوف ولا يريدون أن يُعرف عنهم أنهم متصوفون.
(٢) المشهور في قلعة بني حماد وفي بني حماد من الأسر الحاكمة في المغرب أنها بتشديد الميم. وفي تاج العروس
(الكويت): حمادة، كحماء (بلا شدة على الميم) ناحية بالهامة (٨: ٤١). ولقد سَمَّى الْعَرَبُ حَمَادًا بِتَشْدِيدِ
الْمِيمِ (٨: ٤٠)، راجع (٤٥).

وكان يُلقَّبُ «أبا حامد الصغير» تشبيهاً له بأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ). ثم أحدث عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي المعروف بابن الخراط الأزدي الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) ثم أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الفردادي (ت ٥٨٤ هـ) من أهل بجاية (القطر الجزائري) ثم الصوفي المشهور أبو مدين شعيب بن الحسن (ت ٥٩٤ هـ) ثم أبو العباس بن مبشر (؟). ولقد تلقى ابن حماد الصنهاجي العلم على هؤلاء وعلى غيرهم أيضاً في عددٍ من مدن القطر الجزائري والقطر المغربي وفي الأندلس.

وتولّى ابن حماد القضاء في الجزيرة الخضراء (جنوبي الأندلس) إلى سنة ٦١٣ هـ. ثم نُقل إلى مدينة سلا (قرب الرباط - المغرب) فتولّى فيها القضاء إلى أن توفي فيها، سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ - ١٢٣١ م).

٢- يُعدُّ ابن حماد الصنهاجي من أئمة العلم في زمنه فهو أديبٌ شاعرٌ ومؤرخٌ وفقهٌ وراويَةٌ للحديث. وشعره الباقي لنا، وهو قليل، أكثره في الوصف، ثم هو على شيء من المدونة والطلاوة. وابن حماد مُصنّفٌ، له: برنامج (لشيوخه: فيه أسماؤهم وما أخذ عنهم من فنون العلم وما قرأ عليهم من الكتب) - ديوان شعر - شرح مقصورة ابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ) - عُدَّة المودع وعللة المشيع (في الأدب والشعر) - شرح الأربعين حديثاً (للنووي؟) - شرح كتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الإشبيلي (بن الخراط؟) - أخبار ملوك بني عبّيد (الفاطميّين) - الديباجة أو النبذ المحتاجة^(١) في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية - نبذة في أخبار البربر - تلخيص كتاب ابن جرير الطبري.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو عبد الله بن حماد الصنهاجي (رحلة التجاني ١١٧):
على عين السلام سلامٌ صبُّ غداه ماؤها العذبُ النَمِيرُ^(٢).

(١) المقصود: المحتاج إليها (ولكن حينئذ يطل السجع).

(٢) النار (النارة): بناء مرتفع يوجد في أعلاه نار لهداية المسافرين في البحر وفي غير ذلك). وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة، والعروسان مبنى بناء الناصر بن علناس (من حكام بني حاد في قلعة =

تَأَوَّدَ أُنْيُكْهَا وَجَرَتْ صَبَاهَا
وَأَبْرَدُ مَا يَكُونُ الْمَاءُ فِيهَا
وَمَا أَدْرِي: أَيَجْرِي فَوْقَ دُرٍّ
وَقَدْ قَامَ الْمَنَارُ عَلَى ذُرَاهَا
بِنَاءً يُزْدَرَى إِيوَانُ كِسْرَى،
لَدَيْهِ، وَالْخَوَزَنْقُ وَالسَّدِيرُ^(١).
وَأُنْدَى حِينَ يَحْتَدُمُ الْمَجِيرُ^(٢).
أَمْ أَبْتَسَمْتَ بِنَبْيِهَا الثُّغُورُ؟
كَمَا قَامَ الْعَرُوسُ أَوْ الْأَمِيرُ^(٣).
وَأُنْدَى حِينَ يَحْتَدُمُ الْمَجِيرُ^(٢).
أَمْ أَبْتَسَمْتَ بِنَبْيِهَا الثُّغُورُ؟
كَمَا قَامَ الْعَرُوسُ أَوْ الْأَمِيرُ^(٣).
لَدَيْهِ، وَالْخَوَزَنْقُ وَالسَّدِيرُ^(١).

- وقال أيضاً في الوصف (رحلة التجاني ١١٦):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً
وَهَلْ أَسْمَعُنُ تِلْكَ الطِّيَورَ غُدِيَّةً
وَهَلْ أَرْدَنَ عَيْنَ السَّلَامِ عَلَى الصَّدَى
وَأَنْظُرُ طَيْقَانَ الْمَنَارِ مُطْلَةً
كَأَنَّ الْقَبَابَ الْمُشْرِفَاتِ بِأَفْقِهِ
نُجُومٌ تَبَدَّتْ فِي سُودِ الْمَنَازِلِ^(٤).
بُؤَادِي الْجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الْجَدَاوِلِ؟
تَجَاوَبُ فِي تِلْكَ الْفُصُونِ الْمَوَائِلِ^(٥).
فَأُبْرِدَ مِنْ حَرِّ الضَّلُوعِ التَّوَاهِلِ^(٦)،
عَلَى الْوَجَنَاتِ الزَّاهِرَاتِ الْخَمَائِلِ^(٧).
نُجُومٌ تَبَدَّتْ فِي سُودِ الْمَنَازِلِ^(٤).

بني حماد، من سنة ٤٥٤ هـ إلى سنة ٤٨١ هـ). وكلّ هذه الأماكن مبان في قلعة بني حماد (رحلة التجاني

١١٦ - ١١٥). النمر: الطيب الذي يروي (ينبع العطش).

(١) تأوّد: تامل. الأيكة: مكان فيه شعر كثيف (الصورة البلاغية غير صحيحة، فإن الأشياء لا تتأيل: تتحرك بيناً وشمالاً في مجال واسع إلا إذا كانت متباعدة). الصبا: ريح الشرق. الشمال = الشمال (ريح الشمال). العبير = الرائحة الطيبة. كما فتق العبير (كما فتق أو شق أو فتح إناء العبير للمرة الأولى فتنبعث منه رائحة قوية).

(٢) وأندى (ما تكون الريح): أكثر بللا. المجير: اشتداد الحرّ في نصف النهار.

(٣) الذرى أو الذرا (بالضمّ فيها) جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. العروس أو الأمير بناء في قلعة بني حماد (راجع الحاشية التي قبل حاشيتين هنا).

(٤) إيوان كسرى: بناء ضخّم عال شرق بغداد (بناء القرن). الخوزنق والسدير بناءان في العراق (عربيان). ازدرى فلان شيئاً: احتقره. يقصد بناء العروس أو الأمير أعظم من إيوان كسرى ومن قصر الخوزنق وقصر السدير.

(٥) غديّة: في الصباح. تجاوب = يجيب بعضها بعضاً: كأنها تفتني على اشتراك فيما بينها.

(٦) ورد الماء: ذهب إليه ليشرب منه. الصدى: العطش. الناهلة: (الدابة) الذاهبة إلى النهل (الشرب) لأنها عطشى.

(٧) الطيقان جمع طاق: فتحة في الجدار شبه الشباك يشرف منها الإنسان على ما تحته. الخميّة: بقعة فيها زهر كثير يحمل بعضه بعضاً. الوجنات (٢).

(٨) المشرف: العالي المطلّ على غيره. الأفق: الناحية من الأرض (في اصطلاح المغاربة). - في علم الفلك =

فإن تَنَتِ الأَيَّامُ عنها أَعْنَتِي وَأَنْزَلَنِي فِي غَيْرِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ ،
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنَّ صَبَابَتِي سَتَبَقَى بَقَاءَ الطَّالِمَاتِ الْأَوَافِلِ ^(١) .

- من كتاب « نبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة » (المكتبة العربية
الصلفية، ص ٣٦٧):

(من الفصل الأول)... وَالْمِظَلَّةُ الَّتِي آخِطَصُوا بِهَا ^(٢) مِنْ دُونِ سَائِرِ الْمُلُوكِ شِبْهُ
دَرَقَةِ فِي رَأْسِ رُمَحٍ ^(٣) مُحْكَمَةُ الصَّنْعَةِ رَاقِيَةُ الْمَنْظَرَةِ صُرِفَ فِيهَا مِنْ ^(٤) الصَّنَاعَةِ فِي
الصِّيَاغَةِ وَنَظَمِ الْأَحْجَارِ الْعَالِيَةِ الْغَالِيَةِ مَا يَرُوقُ ^(٥) مَرَّاهُ وَيُذْهِشُ مَنْ رَأَاهُ ، يُنْسِكُهَا
فَارِسٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يُعْرِفُ بِهَا - فيقال: صَاحِبُ الْمِظَلَّةِ - . وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ خُطَّةٌ يَتَدَاوَلُهَا
مَنْ يُوَهِّلُ ^(٦) فَيُحَازِي بِهَا الْمَلِكُ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الشَّمْسُ يَتَقِيهِ حَرَّهَا بِظِلِّهَا ^(٧) . وَفِيهِ
يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ هَافِي ^(٨) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا مَعَدَّ الْمُعِزِّ الَّذِي يَأْتِي ذَكَرُهُ ^(٩) .
وَلَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ آتَاكَ هَذِهِ الْمِظَلَّةَ إِلَّا بَنُو عُبَيْدٍ ثُمَّ مَلِكُ الرُّومِ

القديم أن الشمس والقمر يزلان (في أثناء جريهما) ينزل (بمواقع في السماء) منها ما يدل على السعد
ومنها ما يدل على النحس.

(١) الصبابة: الشوق أو الشوق الشديد. الطالِمَاتِ الْأَوَافِلِ (الغاريبات): النجوم. سَتَبَقَى بَقَاءَ الطَّالِمَاتِ
الأوافل: سُدُومَ.

(٢) كانت مخصصة (أو خاصة) ببني عبيد الله المهدي (ملوك الفاطميين). بِهَا (بهذه المظلة).

(٣) درقة: ترس من جلد. فِي رَأْسِ رُمَحٍ (محمولة على رمح).

(٤) المنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك (تاج المروس - الكويك ١٤ : ٢٤٦). صُرِفَ (بالبناء
للمجهول: بضم الصاد وكسر الراء - مشددة أو غير مشددة) فِيهَا (غير موجودة في الأصل).

(٥) الأحجار أي الحجارة الكريمة كالزمرّد والماس (ولا تقل الألماس، فإنه من لحن العامة، راجع تاج
المروس - الكويك، ١٦ : ٥٢٦). يَرُوقُ: يبرق.

(٦) الخُطَّةُ (بالضم): المنصب (الوظيفة). يُوَهِّلُ (في الأصل: يزهل): يمدّ لها، يكون لها أهلاً (مستحقاً).

(٧) يَتَقِيهِ: يحميه. حَرَّهَا (حرّ الشمس). ظَلَّهَا (ظلّ المظلة). حَازَاهُ - وَاِزَاهُ، قَارِبَهُ.

(٨) مُحَمَّدُ بْنُ هَافِي الْأَنْدَلِسِيِّ الشَّاعِرِ (ت ٣٦٢، راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٩) الْمُعِزُّ لَدُنِ اللَّهِ الْفَاطِمِيُّ مَعَدُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (رابع الأئمة الفاطميين ٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وَفِي أَمَامِهِ اسْتَوْلَى
الْفَاطِمِيُّونَ عَلَى مِصْرَ. «بَاقِي ذِكْرُهُ» (سيذكره ابن حاد في كتابه).

باصقيلية^(١). وأحسب^(٢) أنهم أهدوها إليه في بعض هداياهم. وكأنني سمعتُ هذا.

٤ - أخبار ملوك بني عبيد (فان در هايدن)، الجزائر (منشورات جامعة الجزائر - السلسلة الثالثة، رقم ١٢) ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

★ التكملة (رقم ١٦٣٧)، رحلة التجاني ١١٦ - ١١٧، عنوان الدراية (نشره عادل نويض) ١٢٨ - ١٢٩، (نشره راجع بونار) ١٩٩٢، ابن قنفذ ٣١١، راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢، تاريخ الجزائر العام ١: ٣٩٨ - ٣٩٩، الطمار ٧٥ - ٧٧، الأعلام للزركلي ٦: ١٦٩ (٢٨٠)، المكتبة العربية الصقلية ٣١٧ - ٣١٨.

ابن مُعْطِرِ الزَّوَاوِي

١ - هُوَ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمُعْطِي بْنِ عَبْدِ النُّورِ الزَّوَاوِي الْجَزُولِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَنْفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُعْطِرٍ، وَلِدَ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م)، ودرس في الجزائر على أبي موسى الْجَزُولِيِّ (ت ٦٠٧ هـ). ثم إنه رَحَلَ إلى مِصْرَ ثم أَنتَقَلَ إلى دِمَشْقَ وسكن فيها مُدَّةً طَوِيلَةً وَدَرَسَ على الحافظِ ابْنِ عسَاكَرَ.

وَعَمِلَ ابْنُ مُعْطِرٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، فِي دِمَشْقَ، «شَاهِدًا» لِيَكْسِبَ قُوَّتَهُ. ثم ظهرتْ مَكَانَتُهُ وَعَظُمَتْ شُهْرَتُهُ فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ (٦١٥ - ٦٢٤ هـ) مَصَالِحَ الْمَسَاجِدِ (فِي دِمَشْقَ). ثم إِنَّ الْمَلِكَ الْكَامِلَ (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) سُلْطَانَ مِصْرَ رَغِبَهُ فِي الْإِنْتِقَالِ إِلَى مِصْرَ فَسَافَرَ إِلَيْهَا وَتَصَدَّرَ لِتَدْرِيسِ الْأَدَبِ فِي الْجَامِعِ الْعَتِيقِ (جَامِعِ عَمْرِو بِالْقُسْطَاطِ: مِصْرَ الْقَدِيمَةِ) وَجَعَلَ لَهُ رَاتِبًا جَارِيًا. وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تُوُفِيَ فِي ٣٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٨ (٢٩ / ٩ / ١٢٣١ م).

٢ - ابْنُ مُعْطِرِ الزَّوَاوِي أَحَدُ أَثَمَّةِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ فِي عَصْرِهِ: مَاهِرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) مَبْرَزٌ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ قَادِرٌ فِي النِّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ. وَهُوَ مُؤَلِّفٌ، لَهُ: قَصِيدَةٌ فِي

(١) باصقيلية = بصقلية (في صقلية). وهذه المظلة لا تزال إلى الآن مستخدمة في المغرب: يركب ملك المغرب حصاناً ثم يسير بجانبه رجل يحمل مظلة (من نسيج) يدفع بها حرَّ الشمس عن الملك.

(٢) في الأصل: حسب.

القراءات السبع - نَظْمُ الجوهرة لابن دُرَيْدٍ - الأَرْجُوزَةُ الأَلْفِيَّةُ (وَلَمَّهَا أَوَّلُ أَلْفِيَّةٍ فِي النَحْوِ) - الفصول الخمسون (في النحو) - البديع في صِنَاعَةِ الشعر - ديوان شعر - ديوان خُطَب - حواشي على أصول ابن السَّرَاج - نظم الصحاح للجوهري (لم يُكْمَلْه) - المثلث في اللغة (وهي قصيدة في العروض؛ راجع معجم الأدياء ٢٠: ٣٥).

والمُنَوَّنُ الكاملُ لأَلْفِيَّةِ ابْنِ مُعْطَرٍ هو: «الدَّرَّةُ الأَلْفِيَّةُ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ»، وهي - في الحقيقة - أَلْفٌ وَوَاحِدٌ وَعِشْرُونَ بَيْتاً من مشطور بَعَرِ الرَّجَزِ (راجع البيت الثالث عَشَرَ منها):

لِعَلِمِهِمْ بَأَنَّ جَفَظَ النَّظْمِ وَفَقُّ الذِّكْيِ وَالبَعِيدِ الْفَهْمِ^(١)،

لَا سِيَّاً مَشْطُورٌ بِحَرِّ الرَّجَزِ إِذَا بُنِيَ عَلَى اِزْدَوَاجٍ مُوجَزٍ^(٢).

وَأَلْفِيَّةُ ابْنِ مُعْطَرٍ جَافَّةٌ شَدِيدَةُ الْإِيجَازِ لَا تُفْهَمُ إِلَّا بِشَرْحٍ طَوِيلٍ. وَلَمَّهَا مُفِيدَةٌ لِمَنْ يُنْقِنُ النَحْوَ وَالصَّرْفَ. أَمَّا الَّذِي يَبْتَدِئُهُ تَعَلُّمُ النَحْوِ بِحِفْظِهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا (وَلَا مِنْ أَمْثَالِهَا) شَيْئاً. وَفِي هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ جَوَازَاتٌ شَاذَةٌ (لَا أَعْلَمُ إِذَا كَانَتْ مِنْ صَاحِبِهَا أَوْ مِنَ النَّسَاجِ).

٣ - مختارات من آثاره:

- من الدَّرَّةِ الأَلْفِيَّةِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ^(*):

* من مَبْدَأِ الأَلْفِيَّةِ:

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ الْعَفْوَ يَخْيِي بِنُ مُعْطَرِ ابْنِ عَبْدِ النُّورِ:

(١) راجع تفسير هذا البيت في «المختارات».

(٢) في تاج العروس (الكويت): والمَشْطُور من الرجز والسريع ما ذهب شطره (نصفه) وذلك إذا نقص ثلاثة أجزاء من سنته (١٧٢: ١٧٢). وهذا التعريف لا ينطبق هنا على أَلْفِيَّةِ ابْنِ مُعْطَرٍ، فَإِنَّهُ قَدْ التَزَمَ فِيهَا الِازْدَوَاجَ (مستفعلن ست مرات). والازدواج (في البيت المشار إليه يعني ازدواج القافية (عجى) كل شطرين على رويٍّ واحدٍ مستقلٍّ، بدلاً من أن تكون جميع أشطر الأَرْجُوزَةِ على رويٍّ واحدٍ).

(*) لَنْ أَتَنَاوَلَ الْأَبْيَاتِ بِشَرْحٍ مُفَصَّلٍ لِأَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ اسْتِمْرَاضاً لِقَوَاعِدِ النَحْوِ وَشَوَازِهِ أَيْضاً.

الحمدُ لله الذي هدانا
 فلم يَزَلْ يَمْسِي به الإسلامُ
 مُؤَيِّداً منه بِخَيْرِ الْكُتُبِ
 لِكُونِهِ أَشْرَفَ مَا بِهِ نَطِقُ،
 صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ثُمَّ سَلَّمَ
 وَبَعْدُ، فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ
 فابْدَأْ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ فَأَلْهَمْ،
 فَإِنَّ مَنْ يُتَّقِنُ بَعْضَ الْفَنِّ
 وَذَا حَدَا إِخْوَانُ صِدْقِي لِي عَلَى
 أَرْجُوزَةٍ وَجَزِيْرَةٍ فِي النَّحْوِ
 لِعَلِّمِهِمْ بِأَنْ حِفْظَ النَّظْمِ
 فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَاسِدٍ
 * الْقَوْلُ فِي الإِعْرَابِ وَالْبِنَاءِ،
 وَحَدُّهُ تَغْيِيرٌ فِي الْآخِرِ
 بِالرَّفْعِ أَوْ بِالنَّصْبِ أَوْ بِالْجَرِّ
 وَالْجَزْمُ مِنْ أَلْقَابِهِ، كـ «لَمْ يَرَمْ».

بأحدٍ ديناً له أَرْتَضَانَا^(١).
 حتَّى اسْتَبَانَتْ لِلْهُدَى أَعْلَامُ،
 وَحَيّاً إِلَيْهِ يِلْسَانِ عَرَبِي،
 كما الرِّسُولُ خَيْرُ مَخْلُوقِ خَلْقِ.
 وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَّمَا.
 وفي قَلِيلِهِ نَفَادُ الْعُمْرِ.
 فَالْحَازِمُ الْبَادِي فِيمَا يُسْتَتَمُ^(٢).
 يُضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلَا يَسْتَفْنِي.
 أَنْ أَقْتَضُوا مِنِّي لَمْ أَنْ أَجْعَلَا^(٣)
 عِدَّتُهَا أَلْفٌ خَلَّتْ مِنْ حَشْوٍ،
 وَفَقُّ الذِّكْيِ وَالْبَعِيدِ الْفَهْمِ^(٤).
 أَوْ جَاهِلِي أَوْ عَالَمِ مُعَانِدٍ^(٥).
 الْأَصْلُ فِي الإِعْرَابِ لِلْأَسْمَاءِ:
 بِعَامِلٍ مُقَدَّرٍ أَوْ ظَاهِرٍ^(٦).
 كـ «حَرَ زَيْدٌ رَاكِباً بِعَمْرٍو».
 وَلَيْسَ فِي الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ يَنْجَزُمُ^(٧).

-
- (١) أحمد من أسماء محمد رسول الله.
 (٢) إن العاقل يبدأ بالقيام بالأمور التي يستطيع أن يتيمها.
 (٣) حداً. دفع. اقتضى فلان فلاناً حقاً: طلبه منه.
 (٤) النظم (الشعر) أهون في الحفظ على الذكي وعلى بعيد (قليل) الفهم. وفق: قدر (أي يوافق ويساوي).
 (٥) ... وأنا أخشى أن ينهض لي رجل جاهل أو رجل عالم ولكنه يحب للعناد (الجدال) بحسني على ما أفضله فينتقدي ويخطئني ظمناً في عدد من الأمور.
 (٦) العامل (السبب في الإعراب). جاء زيد (زيد فاعل مرفوع بالفعل «جاء» - عامل ظاهر). زيد غائب (زيد مبتدأ مرفوع بالابتداء - عامل مُقَدَّر).
 (٧) من ألقابه (من خصائص الفعل). رام الرجل مكانه يرميه: برحه (غادره، تركه). - الجزم خاص بالأفعال وليس من خصائص الأسماء.

وليس في الأفعال ما يَنْجَرُ
والحرفُ مَبْنِيٌّ بِكُلِّ حَالٍ،
فَالْمُعَرَّبُ الاسمُ الَّذِي تَمَكَّنَّا
★ القول في إعرابِ الأسمِ الواحدِ:
فَرَفَعْنَاهُ بِضَمِّ تَبِينٍ
والنصبُ فيه بانفتاحِ الآخرِ،
وإن يَكُنْ آخِرُهُ مُعْتَلًّا
سُمِّيَ مَقْصُورًا بِهِ تُقَدَّرُ:
وإن يكن ياءً وكسرٌ قبله
نحو: الشَّجِي. والنصبُ فيه يظهرُ،
والواوُ والياءُ إذا ما كانا
أو كان مَهْمُوزًا كَيْثَلِ الشَّاءِ
وَالْعَدُوِّ وَالْعَدُوِّ وَالْكُرْسِيِّ
وَيَتَنَبَّهُ بِالْوَاوِ رَفْعًا إِنْ تُضِيفُ
أَخْ أَبٌ حَمٌّ هَنْ وَفَوْهُ؛
وكلُّ ما لم يَنْصَرَفْ تَفْتَحْهُ

فَعَوَّضَتْ جَزْمًا بِهَا يُقَرَّرُ (١).
وَالْأَصْلُ فِي الْبِنَاءِ لِلْأَفْعَالِ:
تَمَّ مِضَارِعٌ سِائِي بَيْنَا (٢).
كُلُّ صَحِيحٍ بِانْصِرَافٍ وَارِدٍ (٣).
وَيَتَّبَعُ الْحَرَكَةُ التَّنْوِينَ.
وَالْجَرُّ فِيهِ بِانْكَسَارِ ظَاهِرٍ.
بِالْفِ، نَحْوُ: الْفَتَى وَحُبْلَى
الْحَرَكَاتُ كُلُّهَا لَا تَظْهَرُ.
سُمِّيَ مَنْقُوصًا لِنَقْصِ حَلِّهِ (٤)،
وَالرَّفْعُ كَالْجَرِّ بِهِ يُقَدَّرُ.
فِي اسْمِ حَوَى قَبْلَهَا إِسْكَانًا،
وَالظَّيِّي وَالْآيِ وَالْكِسَاءِ
جُسِستَ بِإِعْرَابِ لَهَا جَلِيٍّ.
وَالْيَاءُ فِي الْجَرِّ، وَفِي النِّصْبِ الْأَلْفُ:
ذُو الْمَالِ قُلٌّ، وَلَا يَجُوزُ ذُوهُ.
جَرًّا - كِلَاسِقًا - وَيَأْتِي شَرْحُهُ.

- (١) الفعل لا يجر (لا تظهر على آخره كسرة، إلا في مثل قولنا: لم يَشَدْ - إذ يتعذر ظهور السكون على الشدة فيصبح الحرف الواحد عليه سكونان، ذلك لأن الشدة في الحقيقة تمثل حرفين متماثلين أولهما ساكن وثانيهما متحرك. فإذا نحن سكتنا آخر الكلمة أصبح على آخرها سكونان، وهذا متعذر في اللفظ) لم يَشَدْ (يجوز أن تظهر على آخرها الضمة أو الفتحة أو الكسرة).
- (٢) الاسم المتمكن: المنتهي بحرف صحيح كالجيم والنون مثلا. لا يجر علة، أي بألف طويلة (مثل العصا) أو ألف مقصورة (مثل الفتى) أو ياء معلولة (مثل القاضي). أما الواو والياء في مثل العدو والسمي فتعامل في الإعراب معاملة الحرف الصحيح.
- (٣) كل اسم صحيح الآخر يرد (يأتي) مصروفًا (تظهر عليه الحركات الثلاث). وغير المنصرف أو غير المصروف. تكون الفتحة علامة جره.
- (٤) الاسم المنقوص ما ختم بياء قبلها كسرة، نحو: القاضي - لأن الياء تنقص منه إذا نكرناه (تركنا تعريفه باللام): قاض ...

• - وروى ياقوت الحموي لابن عبد المعطي مقطوعتين هما (معجم الأدباء ٢٠ : ٣٦) :

★ قالوا: تَلَقَّبَ «زَيْنَ الدِّينِ»، فَهَوَّ لَهُ
فَقُلْتُ: لَا تَغْبُطُوهُ. إِنَّهُ لَقَبٌ
★ وَإِذَا طَلَبْتَ الْعِلْمَ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ
وَإِذَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ مُتَفَاوِلٌ فَاشْتَغَلْ فَوَادَكَ بِالَّذِي هُوَ أَفْضَلُ^(١).

٤ - الفصول الخمسون (سيوغرن)، ليبسيك ١٨٩٩ م.

- الأرجوزة الألفية في علم العربية (تشرشتاين)، ليبسيك ١٩٠٠ م. *

★★ معجم الأدباء ٢٠ : ٣٥ - ٣٦ تعريف الخلف ٢ : ٥٨٧ - ٥٨٨؛ وفيات الأعيان ٦ : ١٩٧؛ المعبر للذهبي ٥ : ١١٢؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٩؛ نفع الطيب، راجع ٢ : ٢٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٨٩٣؛ بروكلمن ١ : ٣٦٦ - ٣٦٧، الملحق ١ : ٥٣٠ - ٥٣١؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٢ - ١٩٣ (٨ : ١٥٥)؛ أعلام الجزائر ٢٠١ - ٢٠٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢ : ٥٥ - ٥٦؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦؛ الطمار ٩١ - ٩٢؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦.

أبو الوليد الشقندي

١ - هو أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندي، وُلِدَ في شُقُنْدَةَ^(١). تَطَوَّفَ جِنَاً في المَغْرِبِ، وَكَانَتْ صِلَتُهُ بِالْمَوْحِشِينَ وَثِيقَةً. جَالَسَ أَبَا يَوْسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورَ (٥٨١ - ٥٩٥ هـ)؛ وَوَلَّاهُ الْمَنْصُورُ الْقَضَاءَ فِي الْأَنْدَلُسِ: فِي بَيَاسَةَ ثُمَّ فِي لُورْقَةَ وَفِي أُبْدَةَ مِنْ

(١) متفاصل: بعضه أفضل من بعض.

(*) لا شك في أن هذه «الألفية» قد طبعت في عدد من البلاد العربية مرارا، ولكن لم أقع، بالوسائل التي بين يدي، على مثل هذه الطبعات.

(٢) شُقُنْدَةُ قرية من قرى قرطبة إلى الغرب من الرَبَضِ (الضاحية الجنوبية من قرطبة) جنوب الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير.

أعمال جَيَّان. ورأيناه مرةً في المغرب عند أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَةَ^(١). وكانت وفاته في إشبيلية، سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان أبو الوليد الشُّقْنُديُّ جامعاً لفنون كثيرة من العلوم الحديثة والعلوم القديمة^(٢) (نفع الطيب ٣: ٢٢٣) حافظاً للحديث أديباً وناثراً بارعاً. وكان شِعْرُهُ عادياً، وفي شِعْرِهِ شيء من المَجُون (نفع الطيب ٣: ٢٢٤). وله من الكتب: الطرف (نفع الطيب ١: ٣٩٩، ٢: ٢٧، ٣: ٣٦٩) أو طرف الظرفاء (بروكلمان، الملحق ١: ٤٨٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رسالة الشُّقْنُديِّ (نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

كان الشُّقْنُديُّ عند أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَةَ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي يَحْيَى ابنِ الْمُعَلِّمِ الطَّنْجِيِّ^(٣) نزاعٌ في التفضيل بين البرِّين (بين الأندلس والمغرب). ولَمَّا طال النزاعُ قال والي سَبْتَةَ: الرأيُ عندي أن يعمل كل واحدٍ منكما رسالةً في تفضيلِ بَرَةٍ (راجع نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد). فَعَمِلَ الشُّقْنُديُّ رسالةً في فضل الأندلس جاءت قطعةً بارعةً من النثرِ الأصيلِ السَّهْلِ المتينِ المُنْعِجِ بِرُوحِ الْفُكَاهَةِ خاصَّةً. وهي تنكشف عن علمٍ كثيرٍ، كما تدلُّ على ذوقِ الشُّقْنُديِّ في اختيارِ غماذجِ الشعرِ التي جاء بها في ثنایا تلك الرسالة:

- ص ١٨٧:

الحمد لله الذي جعل لمن يَفْخَرُ بجزيرة الأندلس أن يتكلمَ مِلَّةً فيه، وَيُطَنِّبَ ما شاء فلا يجد من يَنْثِيهِ^(٤)؛ إذ لا يُقالُ للنهار: يا مُظْلِمُ، ولا لوجهِ النعيم: يا قَبِيحُ!....

(١) كان أبو يحيى صهر الناصر الموحدي (٥٩٥ - ٦١١).

(٢) العلوم القديمة (العلوم الدخيلة): الفلسفة والفلك الخ. العلوم الحديثة علوم الدين والعربية (٤).

(٣) أبو يحيى بن المعلم الطنجي (لم أهتم إلى صاحب هذا الاسم إلا في هذا النص. ولم يرد هذا الاسم في مكان من الفهرس الهجائي لنفع الطيب).

(٤) أطنب: بالغ، أكثر الكلام في موضوع ما. ثناء يثنيه: رده، منعه.

أما بعد، فإنه حرك^(١) مني ساكناً وملأ مني فارغاً - فخرجتُ عن سَجَّتِي في الإغضاء مُكْرَهاً إلى الحمية والإباء^(٢) - مُنْازَعٌ (فاعل حرك) في فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع ويأتي بما لا تقبله النواظر والأسماع..... رام أن يفضل برّ العُدوة على برّ الأندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار، ويقول: الليل أضوأ من النهار...

- ص ١٨٨ :

.... افرح حياءك أيتها المفرد بالنعيب^(٣)، المتزين بالخلق المتحجب إلى الفواني بالثيب الخضيب^(٤).... أبلغت العصبية من قلبك أن تطيس على نورني بصرك ولُبك^(٥)؟ أما قولك: « الملوك منا »؛ فقد كان الملوك منا أيضاً^(٦). وما نحن إلا كما قال الشاعر:

فيومٌ علينا وفيومٌ لنا، وفيومٌ نساءً وفيومٌ نسر.

إن كان كرسي جميع بلاد المغرب^(٧) عندكم بخلافه بني عبد المؤمن - أدامها الله تعالى - فقد كانت عندنا بخلافه المشرقيين الذين يقول مشرقهم^(٨):

وإني من قوم كرام أعزّة لأقدامهم صبيغت رؤوس المنابر.

(١) فاعل (حرك) « منازع » (في السطر التالي).

(٢) السجية: الطبيعة. الإغضاء: غص البصر، السكوت عن أمر من الأمور. الحمية: الحاسة، شدة الدافعة عن أمر ما (حقاً أو باطلاً). الإباء: الرفض، الامتناع عن عمل ما.

(٣) المفرد (المفني) بالنعيب (رفع الصوت بالبكاء).

(٤) المتزين بالخلق (بفتح فتح): المتهرىء من الثياب. الغانية: المرأة المستغنية بجهاها عن الحلي. بالثيب الخضيب (الخضوب: المصبوغ باللون الأسود) - في هذه المتناقضات التي تقال هنا هزلًا وهزواً قاعدة أساسية من قواعد الشعر الحديث (وإن كان الشعر الحديث لا يأتي بمثل هذا الوضوح والتهكم العاقل).

(٥) اللب: العقل.

(٦) ان مدينة مراكش الآن (في أيام الثّقندي) كانت عاصمة المغرب الإسلامي (في إفريقية والأندلس). وقد كانت قرطبة من قبل (في أيام بني مروان في الأندلس) عاصمة للبلاد.

(٧) هذا الشعر للعتي (بالضم) وهو أبو عبد الرحمن بن محمد، وينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب. وأبو سفيان كان في الجاهلية رأس البيت الأموي. وكانت وفاة العتي سنة ٢٢٨ هـ (راجع وفيات الأعيان ٤: ٣٩٩).

خلافتُ في الإسلام، في الشريك قادة. هم وإليهم فخرُ كلِّ مُفاخر:
ويقول مَغْرِيْبُهُم^(١):

أَلَسْنَا بَنِي مَرَوَانَ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ بَنَا الْحَالُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَّوَاتِرُ.
إِذَا وَلَدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَاهْتَزَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ.
- ص ١٩٢:

.... وَإِنَّكَ إِذْ تَعَرَّضْتَ لِلْمُفَاضِلَةِ بِالْعُلَمَاءِ فَأَخْبِرْنِي: هَلْ لَكُمْ فِي الْفِقْهِ^(٢) مِثْلُ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ الَّذِي يُعْمَلُ بِأَقْوَالِهِ إِلَى الْآنَ، وَمِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي، وَمِثْلُ أَبِي
بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، وَمِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رَشْدِ الْأَكْبَرِ، وَمِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رُشْدِ الْأَصْفَرِ -
ابْنِ ابْنِ رُشْدِ الْأَكْبَرِ - نَجْمُ الْإِسْلَامِ وَمَصَابِيحُ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَلْ لَكُمْ فِي
الْحِفْظِ^(٣) مِثْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ الَّذِي زَهَدَ فِي الْوِزَارَةِ وَالْمَالِ وَمَالَ إِلَى رُتْبَةِ الْعِلْمِ
وَرَأَاهَا فَوْقَ كُلِّ رُتْبَةٍ ثُمَّ قَالَ وَقَدْ أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ:

دَعَوْنِي مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغِدٍ وَقُولُوا بِعِلْمٍ، كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَذَرِي.
فَإِنْ تُحَرِّقُوا الْقُرْطَاسَ لَا تُحَرِّقُوا الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقُرْطَاسُ، إِذْ هُوَ فِي صَدْرِي!
- ص ١٩٣:

... وَهَلْ لَكُمْ فِي عِلْمِ اللَّحُونِ وَالْفَلَسَفَةِ كَابِنِ بَاجَةٍ، وَهَلْ لَكُمْ فِي عِلْمِ النُّجُومِ
وَالْفَلَسَفَةِ وَالْمُهَنْدِسَةِ مِثْلُ كَالْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرَقُطَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ آيَةً^(٤)؟
وَهَلْ لَكُمْ فِي الطِّبِّ مِثْلُ ابْنِ طُفَيْلٍ صَاحِبِ رِسَالَةِ حَيٍّ بْنِ يَقْطَانَ الْمُقَدَّمِ فِي عِلْمِ
الْفَلَسَفَةِ، وَمِثْلُ بَنِي زُهْرٍ أَبِي الْعَلَاءِ ثُمَّ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ثُمَّ (ابْنِ) ابْنِهِ أَبِي بَكْرٍ^(٥): ثَلَاثَةٌ
فِي نَسَقِي؟

- (١) البيتان التاليان للأمير محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر في أواخر أيام المروانيين في قرطبة (راجع الحلة السراء ١: ٢٠٨ - ٢١٠، وراجع نفع الطيب ٣: ١٨٨، الحاشية الرابعة).
- (٢) فيما يلي أسماء علماء وأدباء عمن أن ترجع إلى شيء من أخبارهم وأحوالهم في الصفحات السابقة من هذا الجزء أو في الجزء السابق.
- (٣) في حفظ الحديث.
- (٤) كان في ذلك آية (عظيم البراعة).
- (٥) أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) والذي كان أيضاً وشاحاً.

... وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله^(١) الذي إن مدح رَفَعَ وإن ذمَّ وَضَعَ^(٢). وقد ظَهَرَ له من ذلك في كتاب « القلائد » ما هو أعدلُ شاهد، ومثلُ ابن أبي الجِصال في ترسيبه^(٣) ومثلُ أبي الحسن سهل بن مالك الذي (هو) بينَ أَظْهَرنا الآنَ في خُطْبِهِ؟ وهل لكم في الشعر مثلُ الْمُعْتَمِدِ بن عَبَّادٍ في قوله:

وَلَيْلِي بِسُدِّ النَّهْرِ أَنْسًا قَطَعْتُهُ بذاتِ سِوَارٍ مِثْلِ مُنْعَطِفِ النَّهْرِ^(٤).
نَضَّتْ بُرْدَهَا عَنْ غُصْنٍ بَانَ مُنَمِّمٌ ، فَيَا حُسْنَ مَا انشَقَّ الْكِيَامُ عَنِ الزَّهْرِ^(٥)!
..... ومثلُ ابنِهِ الرَّاظِي في قوله:

مَرَّوْا بِنَا أَصْلًا مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ فَأَوْقِدُوا نَارَ قَلْبِي أَيْ إِيْقَادِ^(٦).
لَا غَرَوْا إِنْ زَادَ فِي وَجْدِي مُرُورُهُمْ ، فَرُؤْيَا الْمَاءِ تُذَكِّي غُلَّةَ الصَّادِي^(٧)!

..... وهل لكم مِلْكُ آلَفٍ في فنونِ الآدابِ كتاباً في نحو مائةِ مجلِّدةٍ مثلُ الْمُظْفَرِ بنِ الْأَفْطَسِ مَلِكِ بَطْلَيْنُوسَ ولم تَشْغَلْهُ الحروبُ ولا المملَكَةُ عن هِمَّةِ الأدبِ؟ وهل لكم من الوزراءِ مثلُ ابنِ عِمَّارٍ في قصيدته التي سارت أشدَّ من مثلي وأحبَّ إلى الأسماع من لقاء حبيبٍ وَصَلَ، وهي التي يقول فيها -

- ص ١٩٤ :

أُثْمِرْتَ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مَلُوكِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْغُصْنَ يُنَشِّقُ مُثْمِرًا.
وَصَبَّغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كُبَاتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرًا^(٨)!

(١) هو الفتح بن خاقان.

(٢) وضع فلان مكانة فلان: خفضها، أنزلها (أذله).

(٣) الترسيل: كتابة الرسائل.

(٤) ذات سوار: المرأة (وفي المثل: لو غير ذات سوار لطمنني!).

(٥) نضت (خلعت) بردها (ثوبها الحريري) عن غصن بان (قامه طويلة رشيقة) منمّم (لينة، جميلة). الكيامة (بالكسر): الأوراق الخضراء التي تحتوي الأوراق الملونة في الزهرة.

(٦) الأصيل: ما بين المصير وغروب الشمس.

(٧) الغلة: العطش. الصادي: العطشان.

(٨) الكمي: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح.

..... وهل منكم شاعرٌ رأى الناسَ قد ضَجَّوا من سَاعٍ تشبيهِ الثَّغرِ بالأفاح^(١)،
وتشبيهِ الزَّهرِ بالنجومِ، وتشبيهِ الخُدودِ بالشقائق^(٢)؛ فتَلَطَّفَ لذلك في أن يأتي به في
منزِعٍ يُصَيِّرُ خَلْقَهُ^(٣) في الأسماعِ جديداً، وكَلِيلَهُ في الأفكارِ حديداً^(٤)، فأغْرَبَ أَحْسَنَ
إغرابٍ وأغْرَبَ^(٥) عن قَهْمِهِ بِحُسْنِ تَخْيِيلِهِ أنبلَ إغرابٍ، وهو ابنُ الرَّقَاقِي:

- ص ٢٠٠ :

وأغيد طافاً بالكؤوسِ ضَحَى وَحَنُها والصبحُ قد وَضَعَا^(١)،
والروضُ أهدى لنا شقائقه، وَأَسُّهُ المَنسَبِيُّ قد نَفَعَا،
قلنا: وابنَ الأفاحِ؟ قال لنا: أودَعْتُهُ ثَغْرَ من سَقَى القدحا^(٢).
فظلَّ ساقِي المُدامِ يَجْحَدُ ما قال، فلمَّا تَبَسَّمَ افتضحَا^(٣)!
وقال:

ورِياضُ من الشقائقِ أَضَحَّتْ يَتَهَادَى بها نَسِيمُ الرِّياحِ^(٤)،

-
- (١) تشبيه الثغر (الفم): يقصد الأسنان. الأقحوان (بضم الهمزة والحاء وفتح الواو) وجمعه أقاح. وأقاحي: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر.
(٢) شقائق النعمان (حراء اللون).
(٣) منزع تأتي في القاموس بفتح فسكون ففتح أو بكسر فسكون ففتح (ولا توافق المقصود من الجملة) - المقصود من الجملة « الاتجاه، الطريقة ». الخَلَقُ (يفتح ففتح): البالي، المتهرىء.
(٤) الكليل: الضعيف (السيف الذي لا يقطع). حديد: حاد، قوي، قاطع.
(٥) أغرب: أتى بالفريب (البعيد، النادر، المستغرب، الجميل). أغرب: أوضح، بين.
(٦) الأغيد: الناعم، المثلثي (الجميل). حتَّ الرجل رفيقه: استمجله، سأله موالاة العمل بسرعة.
(٧) الأفاح (يقصد بتلات الأقحوان، وتكون شبيهة بالأسنان الأمامية) (إذا كانت تلك الأسنان سليمة نظيفة). في البيت السابق يذكر الشاعر شقائق النعمان (الأحمر) والآس (الأخضر). فيسأله سائل عن الأقحوان (ذي البتلات البيض والوسط الأصفر)، فيقول الشاعر إنَّ الروض قد خصَّ ثَغْرَ (فم) الساقِي (ساقِي الخمر، النديم الجميل) بالأقحوان، إذ منحه الأقحوان أسناناً.
(٨) وسئل الساقِي عن ذلك فجعبه (أنكره). ولكن لَمَّا اتَّفَقَ أن ابْتَسَمَ الساقِي وبانت أسنانه، ظهرت أسنانه كبتلات الأقاحي.
(٩) شقائق النعمان (زهر أحر اللون). تهادى: سار وهو يتأمل.

زُرْتُهَا وَالْفَهَامُ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتِ تَرَوْقُ لَوْنَ الرَّاحِ^(١).
 قُلْتُ: مَا ذَنْبُهَا؟ فَقَالَ مُجِيبًا: سَرَقَتْ حُمْرَةَ الْحُدُودِ الْمِلَاحِ
 فَاظْطَرُّ كَيْفَ زَا حَمَ بِهَذَا الْاِخْتِيَالِ الْمُخْتَرَعِينَ وَكَيْفَ سَابِقَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْمُبْتَدِعِينَ...
 - ص ٢٠٩ :

... وقد أَطْلُتُ عِنَانُ^(٢) النَّظْمِ، عَلَى أَتْنِي اكْتَفَيْتُ مِنَ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى النَّهَارِ
 بِالصَّبَاحِ. فَبِاللَّهِ، إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي: مَنْ شَاعِرُكُمْ الَّذِي تَقَابِلُونَ بِهِ شَاعِرًا مِمَّنْ ذَكَرْتُ؟ لَا
 أَعْرِفُ لَكُمْ أَشْهَرَ ذِكْرًا وَأَضَحَّ شِعْرًا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِيِّ. وَأَوَّلَى لَكُمْ^(٣) أَنْ
 تَجْعَلُوا فَخْرَهُ وَتَنْسُوا ذِكْرَهُ. فَقَدْ كَفَاكُمْ مَا جَرَى مِنَ الْفَضِيحَةِ عَلَيْكُمْ فِي قَوْلِهِ مِنْ
 قَصِيدَةٍ يَدْعُ بِهَا خَلِيفَةُ:

إِذَا كَانَ أَمْلَاكُ الزَّمَانِ أَرَاقًا، فَإِنَّكَ فِيهِمْ - دَائِمُ الدَّهْرِ - ثُعْبَانٌ^(٤)!
 فَمَا أَقْبَحَ مَا وَقَعَ ثُعْبَانُ، وَمَا أَضْعَفَ مَا جَاءَ دَائِمُ الدَّهْرِ! وَلَقَدْ أَشْدَتْ أَحَدَ
 ظُرْفَاهِ الْأَنْدَلُسِ هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ: لَا يُنْكَرُ هَذَا عَلَى مِثْلِ الْجَرَاوِيِّ. فَسُبْحَانَ مَنْ
 جَعَلَ نَسَبَهُ وَرُوحَهُ وَشِعْرَهُ تَتَنَاسَبُ فِي الثَّقَالَةِ...

وَأَمَّا غَرْنَاطَةُ فَإِنَّهَا دِمَشْقُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَسْرَحُ الْأَبْصَارِ وَمَطْمَحُ الْأَنْفُسِ، هَا
 الْقَصَبَةُ الْمُنِيبَةُ ذَاتُ الْأَسْوَارِ الشَّامِخَةِ^(٥) وَالْمَبَانِي الرَفِيعَةِ.... وَزَانَتَا اللَّهُ تَعَالَى بَأَنْ
 جَعَلَهَا مُرْتَبَةً عَلَى بَسِيطِهَا^(٦) الْمُتَمَدِّدِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ فِيهِ سَبَائِكُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ زَبَرَجَدٍ^(٧)
 الْأَشْجَارِ...

- (١) جلد: ضرب. يجلد زهرات (يجعلها تتأيل). راق: أعجب. وفي القاموس (٣: ٢٣٨ س) راق عليه: زاد عليه فضلاً. لون الراح (الخمرة): الخمرة.
 (٢) العنان: الرنس. أطلت عنان النظم (تكلمت كثيراً في الشعر والشعراء).
 (٣) أولى لك: أبقى بك، خير لك.
 (٤) الأرقم: حية خبيثة. الثعبان: حية ضخمة. دائم الدهر: دائماً، طوال (بفتح الطاء) الدهر.
 (٥) القصبة: المدينة (الرئيسية) المنية (المحصنة) التي يتنوع على الموضع اقتحامها. الشامخة: العالية.
 (٦) البسيط: السهل، الأرض المستوية.
 (٧) سبيكة: قطعة مسبوكة. سبكاً على شكل مستطيل (من النضة: كناية عن النهر بجائه الأبيض). الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون.

- قال أبو الوليد الشُّقْدِيُّ في النسيب:

عَلَّلَانِي بِذِكْرٍ مِنْ هِمَّتْ فِيهِ ، وَعِدَانِي عَنْهُ بِمَا أُرْتَجِيهِ^(١) .
وَإِذَا مَسَا طَرَبْتُهَا لَارْتِيَا حِي ، فَاجْعَلَا خَمْرِي مُدَامَةً فِيهِ^(٢) .
لَيْتَ شِعْرِي - وَكَمْ أَطِيلُ الْأَمَانِي - أَيَّ يَوْمٍ فِي خَلْوَةِ أَلْتَقِيهِ؟
وَإِذَا مَا ظَهَرْتُ يَوْمًا بِشَكْوَى ، قَالَ لِي: أَيْنَ كُلُّ مَا تَدْعِيهِ؟
لَا دَمَوْعٌ وَلَا سَقَامٌ ، فإِذَا شَاهَدْتُ عَنْكَ بِالَّذِي تُخْفِيهِ؟
قُلْتُ: دَعْنِي أُمْتُ بَدَائِي فَإِنِّي ، لَوْ بَرَانِي الْغَرَامَ لَا أَبْدِيهِ^(٣) .

- ٤ - رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر العدو (تحقيق إحسان عباس)، بيروت ١٩٦٨، (تحقيق صلاح الدين المنجد) بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .
* * المغرب ١: ٢١٣ - ٢١٤، اختصار القدر المولى ١٣٨ - ١٣٩؛ الفصول اليازمة ٣٦ - ٣٧ نفع الطبيب ١: ١٤٧ - ١٤٨، ١٥٦ - ١٥٧، ١٧٦، ١٨٦: ٣، وما بعد، ٢٢٢ - ٢٢٤ بروكلين، الملحق ١: ١٣٨٤ نيكل ٣٣٠ - ٣٣١، الأعلام للزركلي ١: ٣٢٣ (٣٢٤ - ٣٢٣) .

أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي

١ - هو أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن خليل النفزي الحِمَيْرِيُّ التَّائِكُرُونِيُّ، وُلِدَ فِي تَائِكُرُونَا، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ قُرْطُبَةٍ، سَنَةَ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). تَرَكَ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّفْزِيَّ الْأَنْدَلُسَ بَاكِرًا فَمَرَّ بِمِصْرَ وَلَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْفَارُضِ^(١) ثُمَّ إِنَّهُ تَابَعَ رَحْلَتَهُ إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَوَصَلَ إِلَى

- (١) عَلَى السَّاقِي شَخْصًا (وَعَلَّلَهُ): سَقَاهُ (الْمَاءَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ). وَعَلَّلَهُ (أَيْضًا): دَاوَاهُ مِنْ عِلَّةٍ فِيهِ .
هَامُ فُلَانٍ بِفُلَانَةٍ: أَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا. عَدَ (بِكْسَرٍ فَسَكُونٍ) فَعَلَ أَمْرًا مِنْ «وَعَدَ» .
(٢) الْارْتِيَا حِي: السُّرُورُ وَالْإِطْمِئْنَانُ وَالنَّشُوءُ. الْمُدَامَةُ: الْخَمْرُ (وَلَا تَقُلْ: خُرَّةً). فِيهِ (فِيهِ).
(٣) بَرَى يَوْمًا: نَحَتَ (أَنْحَلَ، أَمْرَضَ). أَبْدَى: أَظْهَرَ .
(٤) الشَّاعِرُ الصُّوفِي (ت ٦٣٢ هـ) رَاجَعَ ٣: ٥٢٠ .

إِرْبِلَ (جنوب شرقِ الموصل)، سَنَةَ ٦٢٧ هـ. ثُمَّ وَصَلَ إِلَى آمِدَ، وَمِنْ آمِدَ عَادَ إِلَى أَرْزَنَ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ (جنوب شرقِي تَرْكِيَّةَ الْيَوْمِ) فَتُوِّفِيَ فِيهَا سَنَةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢- كَانَ عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَابًّا مُتَادِّبًا فَاضِلًا يَقُولُ الشَّعْرَ تَبْيِيتًا وَارْتِجَالًا وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ. وَشِعْرُهُ وَجْدَانِيٌّ فِيهِ وَصْفٌ وَغَزَلٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- مَقْطَعَاتٌ لِعِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّفْرِيِّ:

★ ★ يَا قَلْبُ، مَا لَكَ لَا تُفِيقُ مِنَ الْهَوَى
الْكُلُّ ذِي وَجْهِ جَبِلِي حَنَّةٌ
★ ★ إِنْ أَوْدَعَ الطَّرْسُ مَا وَشَاهُ خَاطِرُهُ
وإن تهَدَّدَ فِيهِ، أَوْ يَمِيزُ كَرَمًا:
★ ★ أَوْصَيْتُ قَلْبِي أَنْ يَفِرَّ عَنِ الصَّبَا
فَأَجَابَنِي: لَا تَخْشَ مِنِّْي بَعْدَمَا
حَتَّى إِذَا نَادَى الْحَبِيبُ رَأْيَتَهُ
كَذْبَالَةٍ أَخْمَدْتُهَا، فَإِذَا دَنَا
أَوْ مَا يَفِرُّ بِكَ، الزَّمَانُ، قَرَارٌ^(١)
وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارٌ^(٢)
أَبْدَى لِعَيْنَيْكَ أَزْهَارًا وَأَشْجَارًا^(٣).
بَثَّ الْبَرِّيَّةَ أَجَالًا وَأَعْمَارًا^(٤).
ظَنًّا بِأَنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيمًا.
أَقْلَتُ مِنْ شَرِّ الْغَرَامِ وَقَوَعًا^(٥).
آوَى إِلَيْهِ مُلْبِيًا وَمُطِيعًا^(٦).
مِنْهَا الضَّرَامُ تَعَلَّقْتَهُ سَرِيمًا^(٧).

٤- ★ ★ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٦٠٦ - ٦٠٨.

-
- (١) الزَّمَانُ (منصوبة لأنها ظرف مفعول فيه): طُولُ الزَّمَانِ، طُولُ حَيَاتِي.
(٢) حَنَّةٌ: حَنِينٌ (شَوْقٌ). سَالِفٌ: مَاضٍ.
(٣) وَشَاهُ: طَرَزَهُ. الطَّرْسُ: الْوَرَقُ (إِنْ كَتَبَ نَافِرًا أَوْ نَاطِلًا).
(٤) الْبَرِّيَّةُ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ. أَجَالًا (انتهاء الأعمار: قتل الناس). أَعْمَارًا (امتداد الحياة: وهب الناس أعمارًا جديدة).
(٥) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ٦٠٨) أَقْلَتُ (بفتح التاء).
(٦) آوَى: لَجَأَ (ذَهَبَ إِلَيْهِ).
(٧) الذَّبَالَةُ: قَتِيلَةُ السَّرَاجِ. الضَّرَامُ: النَّارُ الْمُشْتَعِلَةُ بِلَهَبٍ. تَعَلَّقْتَهُ: جَعَلْتُ (النَّارَ) تَعَلَّقَ بِهَا (اشْتَعَلَتْ).

المأمون الموحدي

١- هو أمير المؤمنين المأمون إدريس بن يعقوب (النصور) بن يوسف بن عبد المؤمن أول سلاطين الموحدين. كان المأمون الموحدي في أول أمره والياً في الأندلس على مالقة ثم على قرطبة ثم على إشبيلية. في ذلك الحين كان أمر المسلمين في الأندلس قد أصبح ضعيفاً جداً، استبد بنو هود بما كان قد بقي للمسلمين في الجانب الشرقي الجنوبي في الأندلس، وكان يُنازعهم بنو نصر الذين استبدوا فيما بعد بغرناطة وما حولها. وكانت سلطة الموحدين لا تزال مبسوطة على عدد من المدن كقرطبة وإشبيلية ومالقة، فكان المأمون الموحدي بشجاعته وبمقدرته في القتال يحول بين الإسبان والمُدن الأندلسية ما أمكن، كما كان يحول بين الثائرين المسلمين (من أمثال بني هود) وتقليص سلطة الموحدين في الأندلس.

وكذلك كان أمر المغرب مضطرباً بتنازع رجال الموحدين على الحكم. لما توفي السلطان أبو محمد عبد الله العادل (٦٢٤ هـ) أخذت البيعة للمأمون في مراكش وفي الأندلس. ثم رأى جماعة من أهل المغرب أن يعيدوا عن بيعة المأمون إلى بيعة ابن أخيه يحيى بن العادل - وكان صغير السن، ورجا الناكثون للبيعة أن يستبدوا بالأمر في أيامه -. نسي المأمون الموحدي (مع الأسف) كل شيء إلا حقه الشخصي في الملك ففقد مدة جمع في أثنائها جيشاً كبيراً ضم إليه اثني عشر ألفاً من فرسان الإسبان (النصارى) وجاء بذلك الجيش إلى المغرب. وانتصر المأمون على ابن أخيه يحيى وأباد الجانب الأكبر من جيشه ثم تتبع الناكثين لبيعتهم بالقتل. وكان المأمون الموحدي بعمله هذا قد زاد أمر المغرب والموحدين اضطراباً، كما كان قد ترك الجو في الأندلس خالياً للإسبان يُخرجون منها المسلمين شيئاً فشيئاً.

وكانت وفاة إدريس بن يعقوب المأمون الموحدي في ذي الحجة من سنة ٦٢٩ خريف (١٢٣٢ م) بعيداً عن مراكش.

٢- كان المأمون الموحدي رجلاً ذكياً عاقلاً وشجاعاً حازماً وجواداً كريماً. وكان أيضاً مفرماً بالبناء عارفاً بوجوهه حتى أن عرفاء البنائين كانوا لا يتصرفون إلا

بَنَظَرِهِ (برأيه وإرشاده). وكذلك كانت له مشاركة في عددٍ من فنون المعرفة. وفي رسائله وأشعاره ما يدلُّ على معرفة بالقرآن والحديث والفقه. ثم إنه كان أديباً وكاتباً فصيحاً وناظماً للشعر.

٣ - مختارات من آثاره:

- رسالة للمأمون الموحدي بإبطال دعوى المهدي (ابن تومرت) وعصمته^(١):

.... للحقِّ لسانٌ ساطعٌ وحُكمٌ قاطعٌ، وقضاءٌ لا يُردُّ وبابٌ لا يُسدُّ، وظلالٌ على الآفاق تمحو النفاق. والذي نوصيكم به تقوى الله والاستعانة به والتوكُّل عليه، ولتعلموا أننا نبذنا الباطلَ وأظهرنا الحقَّ، وأن لا مهديَّ إلَّا عيسى بن مريم^(٢) الناطقُ بالصدق. وتلك^(٣) بذعةٌ قد أرلناها، والله يُعيننا على القلادة التي تقلدناها^(٤)؛ كما أرلنا لفظَ العصمة^(٥) عمن لا تثبتُ له، وأسقطنا عنه وصفه ورسمه. وقد كان سيّدنا المنصور^(٦)، رضيَ الله عنه، هم أن يصدعَ بما به الآن قد صدعنا^(٧)، وأن يرقعَ للأمة الخرقَ الذي رقعنا. فلم يُساعدَه لذلك أمَلُه، ولا أجَلُه إليه أجَلُه^(٨). فقدمَ على ربِّه بصدقِ نيّةٍ وخالصِ طويّةٍ^(٩). وإذا كانتِ العصمةُ لم تثبتْ عند العلماء للصحابة^(١٠)، فما الظنُّ بمن لا يدرى بأيِّ يدٍ يأخذُ كتابه^(١١). أفْ لهم، قد ضلّوا

(١) النبوغ المغربي ٣٤٧ (الترقيم الثاني: يصل الكتاب إلى ص ٤٤٠، ثم يبدأ ٣٤١ الخ - راجع في باب المصادر والمراجع: النبوغ المغربي).

(٢) حينما ينزل في آخر الزمان.

(٣) أي دعوى المهدي بن تومرت.

(٤) القلادة: سلسلة توضع في العنق (هنا: التهمة التي تقلدناها أي أخذنا أنفسنا بمحملها).

(٥) العصمة: التنزه عن الذنب والخطأ (وهذا المعنى ليست في الإسلام إلّا لله).

(٦) أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثالث سلاطين الموحدين ووالد المأمون (لكن المأمون تأخر في المجيء إلى العرش).

(٧) صدع بالأمر: أعلنه.

(٨) أجَلُه (آخره) إليه (إلى إعلان الإبطال لدعوى المهدي بن تومرت) أجَلُه (انتهاء عمره).

(٩) - توفي وقصده أن يفعل ذلك (راجع الحاشية السابقة).

(١٠) الصحابة: الذين عاشوا في عصر الرسول واتصلوا به وصحبوه.

(١١) لا يعلم إذا كان يوم القيامة سيأخذ كتابه يمينه (يستحقُّ الجنة بأفعاله الصالحة) أو بشماله - بكسر الشين - (يستحقُّ النار بأفعاله السيئة).

وأضلّوا، وسقطوا في ذلك وزلّوا. اللَّهُمَّ، اشْهَدْ أَنَّا تَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ تَبَرُّهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمْرِهِمُ الرَّثِيثِ^(١) وَفَعَلُهُمُ الْحَبِيثِ، لَأَنَّهُمْ فِي الْمُتَعَدِّ كَفَّارٌ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَاسْتَقَامَ.

- وقال المأمون الموحدي لما قتل جُنْدُهُ ابنَ أَخِي لَهُ:

مَا آيُنُ أَخِي مِمَّنْ يَبْرُ عَلَى رَوْحِي، وَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ أَعْدَائِي^(٢).

لَا تُشَلُّ الْيَدُ الَّتِي جَرَعَتْهُ حَتْفَهُ! فَهُوَ زَائِدٌ فِي الدَّاءِ^(٣)!

- ولمَّا بلغه قولُ الناس عنه إِنَّهُ حَجَّاجُ الْمَغْرِبِ لكَثْرَةِ قَتْلِهِ، قَالَ:

أَنَا الْحَجَّاجُ؛ لَكِنِّي صَبُورٌ مُقَرَّرٌ بِالْحِسَابِ وَبِالْعِقَابِ^(٤).

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي بَفَنَاءِ قَوْمٍ عَمُوا عَنْ رُشْدِهِمْ - دُخْرَ الثَّوَابِ^(٥)!

٤-★★ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٠-٣٢٣؛ الإحاطة ١: ٤١٧-٤٢٦؛ شذرات الذهب ٥: ١٣٥؛ الاستقصا ١: ١٩٧ وما بعده؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٢٣-٢٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٩-٢٧٠ (٢٨١-٢٨٢)؛ النبوغ المغربي ٣٤٧-٣٥٠.

ابن إدريس التَّجِيبِي

١- هو أبو عمرو إبراهيم بن إدريس التَّجِيبِيُّ من أهل مُرْسِيَّةَ، تولى قضاء

(١) الرثيث: الجريح الذي لا يزال به رمق؛ بقية من حياة (وهو يقصد: الرث: رديء المتاع، والنسيج المتهرق!).

(٢) لا أفضل ابن أختي على نفسي.....

(٣) الحتف: الهلاك. فهو زائد في الداء (كان ابن أختي في حياته سبباً من أسباب شقائي).

(٤) الحجَّاج بن يوسف الثقفي والي الأمويين على العراق من سنة ٧٥ إلى سنة ٩٥ للهجرة (سنة وفاته). وأنهم الحجَّاج بالظلم وبإكثار القتل في الناس. لقد كان الحجَّاج بن يوسف حازماً شديداً وعنيفاً أيضاً (والمطام التي تنسب إليه مبالغ فيها كثيراً). والحجَّاج هو الذي أقرَّ الأمن في العراق وأقرَّ الملك لبني أمية في الشرق. الحساب والعقاب (يوم القيامة).

(٥) بفناء (هلاك) قوم (من أعداء المأمون الموحدي). عموا عن رشدهم (لم يعرفوا الصواب). الذخر: ما يهيأ للإنسان في المستقبل. الثواب (يوم القيامة).

مُزَيَّيَّةً وَالْحُطْبَةَ فِي جَامِعِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م).

٢- كان ابنُ إدريسَ التُّجِيبِيِّ شاعراً فَعَلَّامَتَيْنِ التَّرْكِيبِ سَهْلَ التَّعْبِيرِ، مِنْ فُنُونِهِ الْمَدْحُ وَوَصْفُ الْحَرْبِ وَالطَّبِيعَةِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ التُّجِيبِيِّ يَمْدَحُ مَلِكًا (لَعَلَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ) غَزَا الرُّومَ (الإِسْبَانِ):

شِئْتُ الصَّوَارِمَ أَنْ تُقَرِّبَ مَا نَأَى لَكِنْ عَلَى مَنْ عَزَمَهُ كُطْبَاتُهَا^(١).
أَخْلَصْتُ لِلرَّحِمِ نِيَّةً عَالِمٍ أَنَّ النَّفْسَ لَهُ عَلَى نِيَّاتِهَا^(٢).
أَوْطَأْتُ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ كُنَائِبًا كَادَتْ تُمِيدُ الْأَرْضَ مِنْ وَطْأَتِهَا؛
كَالْبَحْرِ يَطْفَحُ مَوْجُهُ جَرِيًّا إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ النَّصْرِ فِي رَايَاتِهَا.
ظَنُّوكَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ كُنَائِمِهَا إِذْ لَمْ تُطْلِقْ بِالْجُودِ رَدَّ عَفَاتِهَا^(٣).

٤-★★ تحفة القادم ١٣٣٨: الوافي بالوفيات ٥: ٣١٧ - ١٣١٨ الأعلام للزركلي ١: ٢٤. (٣١).

أبو القاسم البلويّ الإشبيليّ

١- هو أبو القاسم أحمدُ بنُ محمَّدَ الْبَلَوِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ، مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ، كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَكْتُبُ لِنَفَرٍ مِنْ وُلَاةِ الْمُوحِّدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ لَحِقَهُ مَا جَعَلَ النَّاسَ يَتَشَاءُونَ بِصُحْبَتِهِ وَبِرُؤْيَيْهِ «لَا يَتَعَرَّضُ لِرُئُوسٍ فَيَسْتَكْتِبُهُ (يَجْعَلُهُ كَاتِبًا فِي الدَّوْلَةِ)

(١) شِئْتُ (صَفَاتُ) الصَّوَارِمِ (السُّيُوفِ). نَأَى (ابْتَعَدَ). الظُّبَّةُ (بَضْمٌ فَتَحَ بِلَا تَشْدِيدٍ): حَدُّ السَّيْفِ.

(٢) «أَنَّ» بِفَتْحِ الْمِهْمَزِ - لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْمَأْوَلَةَ مِنْ «أَنْ وَمَا بَعْدَهَا» فِي مَجَلٍّ نَصَبَ مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «عَالَمٍ» -

أَنَّ النَّفْسَ تَلَاقِي مِنَ الْخَيْرِ بِقَدْرِ مَا تَكُونُ نَاوِيَةً أَنْ تَفْعَلَ مِنَ الْخَيْرِ.

(٣) الْكَمِيُّ: الْفَارِسُ (الشَّجَاعُ) الْكَامِلُ السَّلَاحِ. ظَنُّوكَ لَا تَسْطِيعُ رَدَّ (هَزَمَ) أَعْدَاؤُكَ لِأَنَّكَ لَمْ تَسْتَطِعْ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرُدَّ عَفَاتُكَ (طَالِي مَعْرُوفَكَ) خَائِبِينَ (بِلَا عَطَاءٍ).

ولا يأخذُ (يحاول) في صُحبة نبيلي فيصحبه ، (؟) - إلا حدث لهذا النبيل أو لذلك الرئيس حادثٌ مؤلمٌ أو أمرٌ مؤذٍ. فانقطعَ رزقه وسُدت أبوابُ الرزق في وجهه وعاش مُعتزلاً في منزله يشكو غدرَ الزمانِ وخيانةَ الإخوانِ حتَّى قال عليُّ بنُ موسى بنُ سعيدٍ (٦١٠ - ٦٨٥ هـ)، صاحبُ كتاب «القدح المملوء» : صيرتُ أترأوغُ (أتعاشي) عن لقائه وأدعو الله ألا يُعذبه بطولِ بقائه (كان يرجو له ألا تطول حياته). وكانت وفاته في سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ - ١٢٣٥ م) بعدما أصابه وسواسٌ شديدٌ كاد يذهبُ بعقله كله.

٢- كان أبو القاسم البلوي أديباً شاعراً ناثراً مشهوراً بصناعة الكتابة كثيراً من النثر والشعر. وأوسع فنونه - فيما يبدو - الأدب. ولما جلس أبو العلاء إدريس الموحدي الوالي على إشبيلية للهناء بقتل السيد أبي محمد البياسي الشاعر عليه (والبياسي من الموحدين أيضاً)، وذلك سنة ٦٢٣ هـ، قال أبو القاسم البلوي قصيدة مطلعها: «يا قبة السعد هُزي قبة الوادي» كان لها سيرورة على الألسنة واسعة حتَّى قال ابنُ سعيدٍ أبو الحسن عليُّ بنُ موسى (ت ٦٨٥ هـ): «لم ألقَ بإشبيلية من الأدباء والشعراء إلا من يحفظها ويلهجُ بذِكْرِها، ثم لا يحفظون ما بعدها» (القدح المملوء ١٢٠).

وكذلك كان أبو القاسم البلوي مُصنِّفاً، صنَّف كتاباً في رسائلِ كُتَّاب عصره.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسم البلوي الإشبيلي، لما أنزوى في بيته بعد أن هجره الناس (نفع الطبيب ٣: ٣٢٥):

لَمَنْ أَشْكُو مُصَابِي فِي الْبَرَايَا	وَلَا أَلْقَى سِوَى رَجُلٍ مُصَابٍ!
أُمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَكِيمٌ	لَعَاشَ مَدَى الزَّمَانِ أَخَا اكْتِثَابِ.
أَمَا فِي الدَّهْرِ مِنْ أَفْضَى إِلَيْهِ	بِأَسْرَارِي فَيُؤَنِّسَ بِالْجَوَابِ
يَسْتُ مِنْ الْأَنْسَامِ فَمَا جَلِيسٌ	سَرَى عَنِّي الْهَمُومَ سِوَى كِتَابِي ^(١) .

(١) سرى (فعل متعدي) عني الهموم (سار بها، أذهبا). يقال سرى فلان ثوبه: نزع عنه.

- ويبدو أَنَّ أبا القاسم البَلَوِيَّ الإِسْبِيلِيَّ كان في أثناء مِخْنَتِهِ القاسِيَةِ يَكْتُبُ إلى نَفَرٍ من إِخْوَانِهِ يَسْأَلُهُمْ ما يَسْتَمِعُونَ به على شَقَاةِ الْحَيَاةِ . من ذلك :

* وما كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، يا أَخِي المُشْفِقَ الحَدَبَ ^(١) ، هذا الْكِتَابُ إِلَّا وَأَنَا مُوَلَّهُ الْعَقْلَ تَمَّا حَلَّ بِي مِنْ اعتِدَاءِ الزَّمَانِ وَخِذْلَانِ الْأَصْحَابِ . وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ اخْتِلَالُ أَحْوَالِ رَبِّهِ الدَّارِ وَكُونُهَا جَارَتْ فِي أفعالِهَا وَأَقْوَالِهَا وَجَرَتْ على غَيْرِ الاختِيَارِ :

عِنْدِي مِنَ الْحُزْنِ ما لو أَنَّ أُنْسَرَهَ يُلْقَى على الْفَلَكَ الدَّوَّارِ لم يَدْرُ .
وكيف يَهْنَأُ المِيشُ مَعَ سوءِ الْحَالِ باطِناً وظاهراً وواردأً وصادرأً . أَحْيَايَ اللهُ بِالْهِجَامِ وَحَيَاتِي بِمُجْلُولِ دَارِ السَّلَامِ ^(٢) .

* لا مُشْتَكَايَ ، يا أَخِي ، إِلَّا إِلَيْكَ - وَإِنْ كُنْتُ أوردُ مِنْ ذَلِكَ ما يَشُقُّ عَلَيْكَ .
لَكِنِّي أَعْلَمُ حَسَنَ مُشَارَكَتِكَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ ^(٣) وَمُعَافَاةِكَ على شُرُوطِ الْوُدَادِ وَالْإِخَاءِ .

- وَكُتِبَ فِي وَصْفِ الْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ (حِينَ كَانَ الْإِسْبَانُ يَسْتَوْلُونَ على الْمُدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ) :

ولو شَاهَدْتُ ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ اشْتِمَالِ الْفِتْنَةِ واشْتَغَالِ أَصْنَافِ النَّاسِ بِأَنْوَاعِ الْمِخْنَةِ ، لَذَهَلْتُ عَنْ تَلْفِيقِ كَلِمَتَيْنِ ، وَحَمِدْتُ اللهَ فِيهَا ^(٤) حَاكَ بِهِ عَنْ هَذَا الْمُوْطِئِ الْمَسْخُوطِ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيِّنِ ^(٥) : سَيْفٌ مَجْرَدٌ وَخَيْفٌ مَحْدَدٌ ، وَحِقْدٌ لَا يَقْتَصِرُ على النَفُوسِ ، وَغِلٌّ ^(٦) لَا يُشْفَى إِلَّا بِقَطْفِ الرُّؤُوسِ .

٤- ** * الْقِدْحُ الْمَعْلَى ١٢٠ - ١٢٢ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٣٢٥ .

(١) الحَدَبُ : الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ إِذَا حَدَبَا (عَطَفَا على وَدَيِهَا) . الْمَوْلَةُ : الَّذِي وَلَّاهُ الْحُبُّ أَوِ الْحُزْنُ (ذَهَبَ بِعَقْلِهِ) .

(٢) الْهِجَامُ : الْمَوْتُ . أَحْيَايَ اللهُ بِالْهِجَامِ (أَنْقَذَنِي اللهُ مِنْ شَقَاةِ حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا بِالمَوْتِ) . وَحَيَاتِي (اسْتَقْبَلَنِي رِضْوَانُ : خَازِنُ الْجَنَّةِ) بِمُجْلُولِ (عِنْدَ حُلُولِ : دُخُولِ) دَارِ السَّلَامِ (الْجَنَّةِ) .

(٣) السَّرَاءُ : النِّعْمَةُ وَالرِّخَاءُ . الضَّرَاءُ : الشَّدَّةُ ، الْمَرَضُ الدَّائِمُ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ . اقْرَأْ : على ما .

(٥) الْمُوْطِئُ : الْمَكَانُ الَّذِي يَطَأُ (يَدْعَسُ ، يَمْشِي) النَّاسُ فِيهِ (الْمَكَانُ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ النَّاسُ) . الْمَسْخُوطُ :

الْمَكْرُوهُ . الْحِينَ : الْعَرَاةُ . الْحَادُ .

(٦) الْغِلُّ : الْحَقْدُ .

ابن طلحة الأنصاري

١ - هو أبو جعفر أحمد بن طلحة الأنصاري من أهل جزيرة شُقر من أعمال بَلَنْسِيَّة، كان يكتُب عند ولاة الموحدين في الأندلس. فلما ثار محمد بن يوسف بن هود بالصُخيرات (من عمل مُرسية)، سنة ٦٢٥ للهجرة، واستقل عن الموحدين اتخذ ابن طلحة كاتباً. وأصبح لابن طلحة في دولة بني هود مكانة حتى إنه كان ينوب عن الوزير إذا غاب. ثم غضب ابن هود على ابن طلحة (لزندقة ابن طلحة واستهتاره وتعرضه بالهجاء لرجال الدولة) ففر ابن طلحة إلى سبتة (ساحل المغرب). فأحسن إليه أبو العباس السبتي (القائم بأمر سبتة). ولكن ابن طلحة أوجع صدر أبي العباس (في حديث طويل) فدبر أبو العباس مقتله في رمضان (وقيل في ثامن شوال) من سنة ٦٣٢ (ربيع عام ١٢٣٥ م).

٢ - كان أبو جعفر بن طلحة فاسقاً مُتَهَتِكاً مُسْتَهْتِراً بالخمر والغزل مُتَوَبِّاً على الناس وكان كثير الإعجاب بنفسه وبشعره يُحطّ من قَدَر جميع الشعراء، وشعراء المشرق خاصة حتى أبو تمام والبحرّي والتنبي. وأكثر شِعره الوصف للطبيعة وله فيه جُودة. وله هجاء وغزل ومجون.

٣ - مختارات من شعره:

- من أوصافه في الطبيعة والخمر:

★ يا هل ترى أظرف من يومنا قلدَ جيد الأفق طوقَ العقيق^(١).
وأنطق الورق بعيدانها مرفصة كل قضيب وريق^(٢).
والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق^(٣)!

(١) قلد: جعل قلادة (عقد - بالكسر) جيد (عنى). العقيق: حجر كريم أحمر - كناية عن احمرار الأفق الشرقي بالفجر (قبل طلوع الشمس).

(٢) الورق جمع ورقاء: حامة. العيدان جمع عود (الآلة التي يعزف عليها) كناية عن هديل (غناء) الحمام. قضيب: غصن. وريق (عليه ورق أخضر).

(٣) الشقيق (أزهار شقائق النمان: بتلاتها حراء) الشمس لا تشرب خمر الندى (لا تبخر الندى الذي يسقط في الليل على الأغصان والأوراق والأزهار.....).

- * أَدْرِهَا فَالَسَّمَاءُ بَدَتْ عَرُوساً
وَحَدُّ الرُّوضِ خَفَرَهُ أَصِيلٌ،
وَجِيدُ الْفُضْنِ يُشْرِفُ فِي لَالٍ
هَاتِ الْمَدَامَ إِذَا رَأَيْتَ شَبِيهَهَا
فَالصَّبْحُ قَدْ ذَبَحَ الظَّلَامَ بَنَصْلِهِ
أَلِفْتُ الْحَرْبَ حَتَّى عَلَّمَنِي
وَلَمْ أَكُ عَالِماً، وَأَبْيَكَ، حَرْباً
فَهَا أَنَا بَيْنَ تِلْكَ وَبَيْنَ هَذِي
- مُضْمَخَةٌ الْمَلَابِسِ بِالْفَوَالِي^(١)،
وَجَفَنُ النَّهْرِ كَحَلَّ بِالظِّلَالِ^(٢)،
تُضِيءُ بَيْنَ أَكْنَافِ اللَّيَالِي^(٣)،
فِي الْأَفْقِ، يَا فَرْدَا بَغِيرَ شَبِيهِ^(٤)!
فَقَدَتْ تَخَاصُمَهُ الْحَمَائِمُ فِيهِ^(٥)،
مُقَارَعَةً الْحَوَادِثِ وَالْمُخْطُوبِ^(٦)،
بَغِيرِ لَوَاحِظِ الرَّشَاءِ الرَّيْبِ^(٧)،
مُصَابٌ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ حَبِيبٍ.

٤-★★ المغرب ٢: ٣٦٤ - ١٣٦٥، المقتضب ١١٥٧، القدح المعلق ١١٤ - ٨١١١٧: ٤٦ -
٤٧ الوافي بالوفيات ٨: ٤٦ - ١٤٧، الإحاطة ١: ٢٤٣ - ٢٤٧.

- (١) أدراها (طف علينا بها: بالهمز). مضْمَخَةٌ الملابس (في ملابسها أشياء من الطيب). الفوالي جمع غالية: نوع من الطيب يعمل من أخلاط طيبة الرائحة.
- (٢) خفره (جمعه ينجل فيحمر). الأصيل: بعد العصر وحينما تبدأ الشمس بالانحدار إلى المغرب (فيبدأ الأفق الغربي بالاحمرار). وجفن النهر (جانبه، ساحله) كحلَّ بالظلال: ظهر على جانبه (شاطئه) لون أسود لأنَّ الأشجار على ضفتيه (بالكسر) تمتع عنه نور الشمس.
- (٣) جيد: عنق. اللال: جمع لؤلؤة. الكنف (بفتح ففتح): الناحية، الطرف. - الصورة بعيدة. إذا قصد الشاعر بالآلي «الندى»، فإنَّ الندى لا يسقط على الأغصان إلَّا بعد نصف الليل. يشرف (٢).
- (٤) المدام: الحمر التي أدم طبعها بالنار. شبيهه الحمر في الأفق (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس - راجع البيت التالي). يا فردا: أنها الساقى الجميل (الذي لا يشبهه أحد في جماله).
- (٥) بنصله (بطرف الأفق - لأنَّ الليل ينكشف أولاً عند الأفق ثم يملو الضوء في الصباح شيئاً فشيئاً). وعلامة ذبح الظلام اللون الاحمر (الفجر) على طرفه (على الأفق). تخاصسه الحمايم = الحمايم تخاصم الصبح في ذبح الظلام (الليل) لأنها كلها تتغنى بأصوات كثيرة مختلط بعضها ببعض.
- (٦) المقارعة: ضرب الأبطال بعضهم بعضاً في الحرب بالسيوف. المخطوب جمع خطب (بفتح فسكون): المصيبة).
- (٧) لم أكن عالماً حرباً (لم أكن أعرف من أمور الحرب شيئاً). الرشاء: ابن الغزال (الغلام الجميل). الريبب الصغير الذي لا يزال يحتاج إلى عناية أمه).

ابن دحية الكلبي

١ - هو الحافظ مجد الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل ابن فرح بن خلف بن قويس بن مزال بن ملال^(١) بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة ابن فروة الكلبي - المعروف بذي النسيب^(٢) - الأندلسي البلنسي. قال ابن خلكان (٤٤٨: ٣): «تَقَلَّتْ نَسَبُهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ خَطِّهِ، وَكَانَ قَدْ قَيَّدَهُ وَضَبَطَهُ كَمَا هُوَ هُنَا».

وُلِدَ ابْنُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ فِي سَنَتِهِ، فِي الْأَغْلَبِ، فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٤٤هـ^(٣) (آذار - مارس ١١٥٠ م). وَقَدْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْحَدِيثِ فِي أَكْثَرِ الْمَدِينِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ فَسَمِعَ مِنْ ابْنِ بَشْكُوَال (ت ٥٧٨ هـ) وَابْنِ زَرْقُونِ (ت ٦٣١ هـ). وَيَبْدُو أَنَّهُ سَكَنَ بِلَنَسِيَّةٍ طَوِيلًا حَتَّى عُرِفَ أَيْضًا بِالْبَلَنَسِيِّ.

وَتَوَلَّى ابْنُ دِحْيَةَ الْقَضَاءَ مَرَّتَيْنِ فِي مَدِينَةِ دَانِيَّةٍ ثُمَّ صُرِفَ عَنْهُ لِسِيرَةِ نُعَيْمَتٍ^(٤) عَلَيْهِ، فَرَحَلَ إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ وَتَطَوَّفَ فِي الْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةِ فَزَارَ مَدِينَةَ مَرَاكُشَ وَبِجَايَةَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى تُونِسَ، سَنَةَ ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) أَوْ قُبَيْلَ ذَلِكَ، وَدَرَسَ الْحَدِيثَ.

بَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِمِصْرَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ، وَتَطَوَّفَ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَفَارَسَ وَمَا زُنْدَرَانَ فَسَمِعَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فِيهَا. وَيَذْكُرُ الْمَقْرِي (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٦: ٢٧٣ - ٢٧٥) أَنَّ ابْنَ دِحْيَةَ سَمِعَ فِي بَغْدَادَ مِنَ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧ هـ)، وَفِي أَصْفَهَانَ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الصِّدْلَانِيِّ (ت ٦٠٣ هـ)، وَفِي نَيْسَابُورَ مِنْ أَبِي سَمِيدِ بْنِ الصَّفَّارِ (ت ٦٠٠ هـ) وَمَنْصُورَ بْنِ الْفَرَاوِيِّ (ت ٦٠٨ هـ) وَالْمُوَيْدِ

(١) قويس أو القويس (بفتح القاف أو بضمها) لقب فرنجي، حاكم. وبنو ملال بلدة بين مدينة مراكش ومدينة فاس (٢٤٤).

(٢) ذو النسيب أو ذو النستين لأنَّ جدَّه لأبيه دحية كان من أصحاب رسول الله ولأنَّ أمَّه أمة الرحمن كانت من نسل الحسين بن علي. ويتكرَّرُ بعض النسابين على ابن دحية صحَّةَ هذا النسب وينسبونه حيناً إلى جدِّ من البربر وحيناً آخر إلى جدِّ من الموالى. (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وروى أَنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ ٥٤٦، ٥٤٧، أَوْ ٥٤٨ هـ.

(٤) لملك معيب عرف عنه.

الطوسي (ت ٦١٧ هـ). فإذا نحن تأملنا تاريخَ وفياتِ هؤلاء، ثم عَلِمنا أَنَّ ابنَ دحيةَ كان في تُونِسَ سَنَةَ ٥٩٥ هـ، اسْتَبَعَدْنَا أَن يَكُونَ قد جاء من تُونِسَ إلى مِصْرَ فَمَكَثَ فيها مُدَّةً ثُمَّ ذَهَبَ إلى الحَجِّ، وبعد ذلك أذرك ابنَ الجوزي وابنَ الصَّفَّارَ والصِّدْلانِيَّ.

وفي أوائل سَنَةِ ٦٠٤ هـ (صيف ١٢٠٧ م) كان ابنُ دحيةَ في إِرْبِلَ مُتَوَجِّهاً إلى خُرَّاسَانَ (وفيات الأعيان ٣: ٤٤٩)، وكان أميرُها الملكُ المعظمُ كوكبوري يستعدُّ للاحتفالَ بِمَوْلِدِ الرُّسُولِ فَعَمِلَ له ابنُ دحيةَ كتاباً سَمَّاهُ «التنوير في مولدِ السِّراجِ المنير»، وقرأه عليه بنفسِهِ فأعطاه الملكُ المعظمُ ألفَ دِينَارٍ.

ثُمَّ رَجَعَ ابنُ دحيةَ إلى مِصْرَ فَعَهَدَ إليه الملكُ العادلُ (الأوَّلُ) بتأديبِ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ. فلَمَّا رَمَى مُحَمَّدٌ هذا العرشَ باسمِ «الملكِ الكامل» (سَنَةِ ٦١٥ هـ) أَكْرَمَ ابنُ دحيةَ وبنى له المدرسةَ الكامِلِيَّةَ لعلومِ الحديثِ. ثُمَّ تَغَيَّرَ قلبُ الملكِ الكاملِ عليه فَعَزَلَهُ عن المدرسةِ.

وكانتْ وفاةُ ابنِ دحيةَ في القاهرة، في رابعِ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ من سنة ٦٣٣ (١٢٣٥/١٠/٣٠ م).

٢ - كان ابنُ دحيةَ الكلبيُّ على المذهبِ الظاهري^(١)، وكان مُحَدِّثاً ثِقَةً (وإنْ كان نفرٌ من العلماء يُجَرِّحُونَهُ) عارفاً باللغةِ فصيحاً وَحُوشِيَّهاً^(٢) وبالنحو وبأيامِ العربِ وأشعارها. وقد نَشَرَ كثيراً من علمِ الأندلسِ في المشرقِ. غير أنَّ شُهْرَتَهُ الصَّحِيحَةَ كانتْ في روايةِ الحديثِ وعلومه.

ولابنَ دحيةَ شيءٌ من الشِّعرِ ومن النثرِ في قصائدَ ورسائلَ ومخاطباتٍ، ولكنْ هذه كُلُّها ليستْ من الطَّبَقَةِ العاليةِ. ثُمَّ هو مُصَنِّفٌ مُكثِرٌ، فمن مُصَنِّفاتِهِ: الابتهاجُ في المِعراجِ - استيفاضُ المطلوبِ في تَهْجِيرِ الحروبِ - أنوارُ المَشْرِقَيْنِ في تنقيحِ

(١) المذهب الظاهري مذهب يانث (بطل العمل به). يحثون على الأخذ بظاهر ألفاظ القرآن الكريم والمحدث الشريف، وضحه هاوود بن علي بن خلف الأصمغاني (ت ٢٧٠ هـ)، وكان أكبر أنصاره في الأندلس أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) الحوشي والوحشي من الألفاظ الغريب القبيح اللفظ القليل الاستعمال.

الصحيحين^(١) المُشْرِقَيْن - تاريخ الأمم في أنساب العرب والمعجم - سلسلة الذهب في نسب سيد المعجم والعرب - التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق - التنوير على (في) مولد السراج المنير - عصمة الأنبياء - العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور - مَرْجُ البحْرَيْنِ في فضائل المُشْرِقَيْن والمَغْرِبَيْنِ - المُتَوَفَّى من أسماء المُصْطَفَى - النبراس في خلفاء بني العباس - نهاية السؤل في خصائص الرسول - الجمر في تحريم الخمر - المطرب من أشعار أهل المغرب - كتاب الاعتبار.

ومن خصائص ابن دحية في كتابه «المطرب» أنه يُحَسِّي التراجم فيُورِدُ في كل ترجمة ما يعجبه فلا تكون تلك الترجمة خاصة بصاحبها، بل يكون فيها أجزاء من عدد من التراجم ومن المختارات المختلفة.

ثم هو يعتمد في محاولاته النقدية الذوق ولا يلجأ إلى أسس أو قواعد. وتجد في ترجمته نماذج من هذه المحاولات. أما محاولة دفاعه عن شعراء الأندلس فتراه في مثل النموذج التالي (المطرب ١٤٥):

« وهذا الشعر^(٢) لَوِ رُوِيَ لِعَمْرٍ بن أبي ربيعة أو لبشار بن بُرْدٍ أو لعباس بن الأحنف^(٣) وَمَنْ سَلَكَ هذا المسلكَ من الشعراء المحسنين لاسْتَعْرِبَ له. وَإِنْ ما أَوْجَبَ أَنْ يكون ذكره مَنْسِيًّا أَنْ كان أُنْدَلُسِيًّا، وَإِلَّا فَمَا له أُخِيلَ وما حق مثله أَنْ يُهْمَلَ. وهل وَصَفُهُ إِلَّا الدَّرُّ المنتظم^(٤)؟ وهل نحن إِلَّا (أَنْ) نُظْلَمَ في حَقِّنا وَنُهْتَضَمَ؟ يا لله لأهل المشرق قولة غاصُّ بها شرق^(٥)! أَلَا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان وأقصروا عن استهجان الكريم الهيجان^(٦)، لم يُخْرِجَهُمُ الإِزْرَاءُ بالمكان عن حَدِّ الإمكان ».

(١) الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم (وهما مجموعان من أحاديث رسول الله).

(٢) وهذا الشعر الرقيق الجيد.

(٣) بشار بن برد والعباس بن الأحنف من الشعراء المحدثين (المحدثين). ومثلها عمر بن أبي ربيعة (وإن كان من العصر الأموي، فإن كثيرا من خصائص شعره تشبه خصائص الشعر العباسي المحدث).

(٤) الدَرُّ (اللولؤ) المنتظم (المنظوم في عقد: على نسق معين جميل).

(٥) الغصة: ما يعترض في الحلق ويمع الطعام أو الشراب من المرور. الشرق: الذي يفض (بفتح العين) بريقه.

(٦) الاستهجان: عَدُّ الأشياء قبيحة. الهيجان (هنا): الجيد. الكريم الأصل.

ولا بنِ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ أَحْكَامَ تَنْحَوْنَحُوْ النَّدَى يُرِيدُ أَنْ يَدَافِعَ بِهَا فِي الْأَكْثَرِ عَنْ شِعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَيَلْتَمِسَ الْمُدَّرَ فِي قِلَّةِ شُهْرَتِهِمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى شِعْرَاءِ الْمَشْرِقِ. وَرَبِّمَا سَاقَ أَحْكَامَهُ هَذِهِ مَسَاقُ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ^(١) فِي جُمْلَةٍ عَامِيَةٍ لَا «تُوجِبُ حُكْمًا صَحِيحًا» (راجع المطرب ١٦٤ و ١٧٢):

« فِي قِصَائِدِهِ الَّتِي ضَرَبْتُ فِي الْإِبْدَاعِ بِسَهْمٍ، وَطَلَعْتُ فِي كُلِّ خَاطِرٍ وَوَهْمٍ، وَنَزَعْتُ مَنَزَعًا قَصَرَ عَنْهُ حَبِيبٌ وَأَبْنُ الْجَهْمِ^(٢) - وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ غُرَرِ الْقِصَائِدِ وَدُرَرِ الْقِلَافَةِ، وَكُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا بَيْتٌ قَصِيدٍ وَوَاسِطَةٌ سَلَكُ فَرِيدٍ^(٣) ».

وربما آتَكَأ فِي نَقْدِهِ عَلَى النَحْوِ وَأَبْدَى فِي ذَلِكَ بَرَاعَةً (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

- قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ (ت ٥٨١ هـ) أُبَيَّاتًا فِي الْإِبْتِهَالِ مِنْهَا:

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلٍ: «كُنْ»،

أَمَنْ، فَلِإِنْ الْخَيْرِ عِنْدَكَ أَجْعُ^(٤).

فَعَلَّقَ ابْنُ دِحْيَةَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

أَمَّا رَفْعُ «أَجْع» فِي هَذَا الْبَيْتِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَوْكِيدًا لِمَكَانِ «إِنَّ» الْإِبْتِدَائِيَّةِ، إِذْ مَوْضِعُهَا الْإِبْتِدَاءُ. وَهِيَ مُؤَكَّدَةٌ لِلْجُمْلَةِ لَمْ تُغَيَّرْ مَعْنَاهَا وَإِنْ غَيَّرْتُ لَفْظَهَا. أَلَا تَرَاهُمْ قَدْ عَطَفُوا عَلَى أَسْمِهَا بِالرَّفْعِ - وَهُوَ إِذَا اسْتَوَفَتْ خَبَرَهَا، نَحْوُ: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ وَعَمْرُو^(٥). وَإِذَا لَمْ تَسْتَوِفْ خَبَرَهَا، فَلَا يُجِيزُ الْبَصَرِيُّونَ ذَلِكَ. وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّكَ وَزَيْدٌ قَائِمَانِ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ «زَيْدٌ» مَرْفُوعًا بِالْإِبْتِدَاءِ، وَيَكُونَ

(١) الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ (ت ٥٢٩ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «قِلَافَةِ الْعُقَيَّانِ» (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ).

(٢) حَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَّامِ الشَّاعِرُ الْمُبَاسِيُّ (ت ٢٣٢ هـ). وَعَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ (ت ٢٤٩ هـ) شَاعِرُ عَبَّاسِيٍّ.

(٣) بَيْتُ الْقَصِيدِ أَوْ بَيْتُ قَصِيدٍ هُوَ أَرْبَعُ الْأُبْيَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ (وَالْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ). الْفَرِيدُ (جَمْعُ فَرِيدَةٍ: لَوْلُؤَةٍ). السَّلَكُ: الْخِطُّ الَّذِي يَنْظُمُ فِيهِ عَقْدُ اللَّوْلُؤِ. الْوَاسِطَةُ (أَكْبَرُ حَبَّاتِ الْعَقْدِ، وَتَكُونُ فِي وَسْطِهِ - وَلِذَلِكَ سَمِّيَتْ الْوَاسِطَةُ).

(٤) الْأَصْلُ أَنْ تَكُونَ «أَجْع» (مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَعْلَى نَصَبِ حَالٍ: مَجْمُوعًا مَعًا).

(٥) «إِنْ» تَنْصَبُ (بِكَسْرِ الصَّادِ) الْأِسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ. وَقَدْ اسْتَوَفَتْ هُنَا اسْمَهَا وَخَبَرَهَا (إِنْ زَيْدًا قَائِمًا، بَقِيَتْ «عَمْرُو» فَتَخْرِيجُ إِعْرَابِهَا هُنَا: إِنَّ زَيْدًا قَائِمًا، وَعَمْرُو قَائِمًا).

عاملاً في خبر زيد وإنَّ عامله في خبر الكاف^(١). ولا يجوزُ اجتماع عاملين على معمولٍ واحدٍ^(٢). وأمَّا الكوفيون فاختلفوا، فذهب الكسائي إلى جواز ذلك مُطلقاً، سواء تبيّنَ عملُ «إنَّ» أو لم يتبيّن^(٣). نحو: إنَّ زيداً وعمراً قائمان، وإنَّه وبكرٌ مُنطلقان. وأستدلَّ بقوله جلَّ وعلا: «إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^(٤)»، فعطفَ ورفع^(٥). وذهب الفراء إلى أنَّه لا يجوزُ العطفُ إلَّا على ما يبيّنُ فيه العملُ، نحو: إنَّكَ وزيد ذاهبان، لأنَّه بعمدِ التأثير ضُمَّتْ، فجاز العطفُ كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان (ذلك) كذلك، جازَ أيضاً تأكيدُ الموضع بالرفع. والله أعلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدِّمة «المُطَرِّب من أشعار أهل المغرب»:

..... أمّا بعدُ، فإنَّ مولانا سلطان العرب والمعجم، عزَّ الملوكِ المصريَّة ومالك فضيلتي السيف والقلم، وملك اليمن والشام والديار المصريَّة: أبا المعالي أبا المُطَفِّر محمداً الكامل الكامل الأوصاف - لا يَرَحُّ بِبَقَائِهِ المالكُ مُهْتَزَّة الأعطافِ مُعْتَزَّة الأطرافِ^(١) - تَقَدَّمَ إِلَيَّ أمرُهُ المُطَاعُ، الواجبُ له عليَّ من المُجَهِّدِ غايةً ما يُسْتَطَاعُ، أنْ أَجْمَعَ له ما اجتمعَ عِنْدِي من الأناشيد التي رَوَيْتُهَا عن شعراء الأندلسِ وسائر

(١) في خبر «الكاف» من «أنَّك» (الكاف في محلِّ نصب اسم «إنَّ»). أمّا «زيد» (هنا) فيجوز أن يقال فيها: أنَّكَ وزيدا (معطوفة على الكاف) قائمان. ويجوز أن يقال: أنَّكَ وزيد (بالرفع في خبر الكاف)، أي تقول (في الأصل): أنت قائم وهو (أي زيد) قائم، فلما أدخلت «إنَّ» على الجملة، عملت (أثرت) «إنَّ» في الكاف ولم تؤثر في «زيد» (إذ فصلت الكاف بين «إنَّ» و«زيد»).

(٢) المقصود اجتماع عاملين يملآن عملين مختلفين.....

(٣) سواء أتبينَ عملُ «إنَّه» أم لم يتبينَ.

(٤) القرآن الكريم (٥: ٦٩، سورة المائدة).

(٥) «الذين هادوا» (اليهود) معطوفة على «الذين آمنوا» وفي محلِّ نصب. أمّا «الصابئون» فليست (هنا) معطوفة بل مبتدأ بها (هي مبتدأ على الاستئناف).

(٦) لا يرح: بقيت، دامت. المطف (بكسر العين) الجانب الأعلى من الجفم. مهتزة الأعطاف: فرحة مزهوة (مفتخرة). الأطراف: المناطق البعيدة عن العاصمة. معتزة الأطراف: قوَّة وثيقة الاتصال بالعاصمة أو بأهل الملك (والعادة أن البلاد البعيدة عن العاصمة تكون مهملة معرَّضة لهجمات العدو وقليلة الولاء للعاصمة في أحيان كثيرة).

المغرب بأقرب الأسانيد^(١). فجمعتُ منها لخدمَةِ مقامه العالي ما يُوكَلُ بالضمير ويُشربُ، ويُتَرَّزُ عند سَماعه ويُطَرَّبُ، في الفَزَلِ والنسيب والوصف والتشبيب، إلى غير ذلك من مُستطَرَفَاتِ التَّشْبِيهَاتِ المُستَغْذِيَةِ ومُبْتَكِرَاتِ بَدَائِعِ بَدَائِهِ^(٢) الخواطر المُستَغْرَبَةِ، ولُمَحِ سِيرِ ملوكِ المغرب وملَح أخبارِ أدبائه، ورَقِيقِ معاني كُتَّابه، وجَزَلِ أَلْفَاظِ خُطْبائه.

وبالجملة، فقد نثَّلتُ في هذا المجموع كِنَانَةَ محفوظاتي في المعارف الأدبية، ولم أَخْلِهِ^(٣) من أخايرِ ذَخَائِرِ ما التَّقَطَّطَتْ من أفواهِ مشايخي من مُشْكِلِ عِلْمِي الغريب والغَرِيبَةِ^(٤). إلَّا أَنِّي لم أَقْصِدْ جَمْعَ ذلك على الترتيب، ولا سَلَكْتُ فيه مَسْلَكِي المَهْودَ في التَّبْوِيبِ والتَّهْذِيبِ، بَلِ اسْتَرْسَلْتُ فيه مَعَ الخاطر على ما يَجُودُ به وَيَسْمَحُ وَيَبِينُ له وَيَسْنَحُ^(٥). فَالناظِرُ فيه يَسْرَحُ في بساتينَ ويمْرَحُ في ميادينَ ويَخْرُجُ من فَنٍّ إلى فَنونٍ، والحدِيثُ ذو شُجُونٍ^(٦).

- وقال (المطرب، ص ٢٤) في استيلاء الإسبان على بعض بلاد الأندلس:

قال ذو النسيب^(٧): وَقَدْ أَخَذَ الْآنَ هَذِهِ الْبِلَادَ ابْنُ الرِّيقِ^(٨) اللَّعِينُ، وَحَانَ لَهَا يَوْمٌ شَرٌّ مَا كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَحِينُ. فَمُتَلَكَّتْ شَتْرَيْنِ وَالْأَشْبُونَةَ^(٩) لَمَّا خَافَ أَهْلُهَا مِنْ

(١) الإسناد: رواية الخبر عن رجل رجل. الخبر القريب الإسناد هو القريب من زمننا برويه رجل أو رجلان أو ثلاثة، بينما الخبر البعيد الإسناد برويه نفر كثيرون حتَّى يصلوا به إلى قائله الأول.

(٢) بدائته ما قيل من الشعر على البديهة (بلا استعداد سابق).

(٣) نثْل: استخرج، سَجِب من وعاء، الخ. الكِنَانَةُ: وعاء مستطيل توضع فيه السهام. أَخْلَى فلان قلبه من الهم: أفرغه. لم أَخْلِهِ: لم أجمله خالياً.

(٤) العربية: النحو.

(٥) عن: ظهر، بان. سَنَح: مرَّ في الخاطر.

(٦) الشجن (يبتغى ففتح) الفصن التشبُّب. الحديث ذو شجون: يبدأ الحديث على نسق واحد ثم يتشَبَّب (يتناول أشياء كثيرة).

(٧) قال ذو النسيب: ابن دحية الكلبي (هو يقول ذلك عن نفسه).

(٨) ابن الرِّيق: أنريك، هانريك. وهو هنا بيدرو الثاني ملك أرغون بن ألفونسو أنريكي (وقد فقدت اللغة الإسبانية صوت الماء فهم يقولون في هنريكو أنريكو).

(٩) شتريين والأشبونة (لشبونة اليوم) ثمران على الشاطئ الغربي (في البرتغال اليوم).

القتل، ورأوا أَنَّ الأَسْرَ دونه^(١)، لكثرة من جاءهم في البرِّ والبحرِ و(ل) حُمود المسلمين عن الحماية لهم والنصر، حتَّى مَلَكَ الكُفَّارُ مَعَاقلَهُم المُنْتَبِعَةَ وَحُصُونَهُم المرتَفِعَةَ.

- وله من مُقدِّمة قصيدة يمدِّحُ بها الملكَ الكاملَ (وفيها معانٍ صوفية):

أمنازلَ الأحباب، أينَ أجيَّتِي؟ فهمُ إذا جَنَ الظلامُ الأنجمُ^(٢).
ولقد وَقَفْتُ برَّيعَ عَزَّةٍ مُنْشِداً: يا ربيعُ، أينَ تَرى الأحبَّةَ يَمُمُوا^(٣)؟
نادَيْتُهُم، وهُمُ المُنى يَمْنَى وقد ضربوا بها حُمُرَ القِبابِ وخَيَّمُوا^(٤).
هُمُ في السَّوَادِ، وفي السَّوَيْدا خَيَّمُوا: ما أَعْرَقُوا، ما أَيْمَنُوا، ما أَشَامُوا^(٥)!
وهُمُ الذِّينَ إذا سُئِلْتُ: مَنْ الذي تهواهُمُ؟ قُلْتُ: الذِّينَ هُمُ هُمُ^(٦)!
أحبابِنَا، طالَ المِطالُ بوَعْدِكُمْ لي بالوِصالِ، وطالَ لَيْلِي فيكمُ^(٧).
حَكَمْتُكُمْ في مُهْجَتِي فَحَكَمْتُ فيها بما شاءَ الغرامُ وَشَتَّتْ^(٨).

(١) رَأَوْا أَنَّ الأَسْرَ دونه: دون (أهون من) القتل.

(٢) جَنَ الظلام: غَطَى (كُلَّ شَيْءٍ)، اشْتَدَّ. هُمُ الأَلْجَمُ: هم الذين أَسْتَأْنَسَ بهم وأهتدي بهم في أيامِ الشدَّةِ.

(٣) الرِّيع: المكانُ السَّكُونُ. العَزَّة: بنتُ الطَّبِيعَةِ. وعَزَّةٌ مَحْبُوبَةٌ كَثِيرٌ (بَضَمُ الكافِ وكسر الياءِ المشدَّدة) بن عبد الرحمن المُذَرِّي الأموي (ويكنى بِعَزَّةٍ عن كُلِّ مَحْبُوبَةٍ). يَم: قصد، ذهب.

(٤) المنى (بَضَمُ الميمِ) جع مَنِيَّةٍ (بَضَمُ فسكون): مراد، غاية. مَنَى (بكسر الميمِ) منسَكٌ في مَكَّةَ بَيْتٌ فيه الحِجَابُ (ويكنى بها عن التَّقَرُّبِ إلى العَزَّة - بكسر العين - الإلهية). ضَرَبُوا (نَصَبُوا) حُرَّ الحِيَامِ: الحِيَامُ الحُمُرُ الكَبِيرَةُ المَصْنُوعَةُ من جِلْدٍ، (وتكون عادة خِيَامَ المُلُوكِ). وخَيَّمُوا: نَزَلُوا، سَكَنُوا.

(٥) هم في السَّوَادِ (سَوَادٌ عَيْنِي): هم قَرِيبُونَ مِنِّي جِدًّا. وفي السَّوَيْدا (السَّوَيْدَاءُ: سَوَيْدَاءُ القَلْبِ)، وفي الكَلِمَةِ تَوْرِيَّةٌ (لأنَّ السَّوَيْدَاءَ أيضاً اسمٌ لعدد من البلدان أحدها قَرِبُ المَدِينَةِ بالحِجَازِ، وأحدها في حُورَانَ بِالشَّامِ وثالثة في أَعْلَى العِراقِ ورابعة في شَمالِي الشَّامِ السُّورِي) في السَّوَيْدَاءِ خَيَّمُوا (هم في قَلْبِي - كِتَابَةٌ عن العَزَّةِ الإلهية)، ما أَعْرَقُوا (ما ذَهَبُوا إلى العِراقِ) ما أَيْمَنُوا (ما ذَهَبُوا إلى اليَمَنِ) ما أَشَامُوا (ما ذَهَبُوا إلى الشَّامِ: سوربة).

(٦) مَنْ الذي (يَقْصِدُ الذِّينَ، وهو خطأ استعمله الشاعر لضرورة الوزن). الذِّينَ هم هم: المَقْصُودُونَ المَعْرُوفُونَ لدى جَمِيعِ النَّاسِ (الله).

(٧) المِطال (بكسر الميمِ) المَاطِلَةُ، تأخير الوفاء بالوعد، الإخلاف بالوعد. الوِصال: اللقَاءُ. وقد تكون المِطال (بفتح الميمِ) من الطول: طول المَدَّةِ (أَي وَعْدَتَهُم وَعَدَاءُ بَعِيدِ الأَجَلِ جِدًّا). طال لَيْلِي فيكمُ (طال سَهْرِي وَعَذَابِي في انتِظارِ لِقَائِكُمْ). طاوله: مَاطَلَهُ (القاموس ٤: ٩).

(٨) المَهْجَةُ: دَمُ القَلْبِ. - جَمَلْتُمْ حَكْمًا في قَلْبِي (أَعَزَّ شَيْءٌ عِنْدِي، نَفْسِي، حَبِّي) فَحَكَمْتُ عَليَّ بِقِسْوَةِ (بِيعْدَمِ عَنِّي).

وَرَحَلْتُمْ بِالْقَلْبِ يَوْمَ رَحَلْتُمْ، وَظَعَنْتُمْ بِالصَّبْرِ يَوْمَ ظَعَنْتُمْ.

- ٤ - النبراس في خلفاء بني العباس (حققه عباس المزاري)، بغداد ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب (بتحقيق إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي)، بإشراف وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة: إدارة نشر التراث القديم، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م؛ (تحرير مصطفى عوض الكريم)، الخرطوم ١٩٥٤.
- ★ التكملة (رقم ١٨٣٢)، وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨ - ٤٥٠، صلة الصلة ٧٣ - ٧٤، العبر (للذهبي) ٥: ١٣٤ - ١٣٥، عنوان الدراية ٢٢٨ - ٢٣٨، بغية الوعاة ٣٦٠، شذرات الذهب ٥: ١٦٠، نفح الطيب ٢: ٩٩ - ١٠٤، ٣: ١٣٦ - ١٣٨؛ (الاختلاف في أمره)، ٥: ١١٥ - ١١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٤٧، بروكلمن ١: ٣٧٨ - ٣٨٠، الملحق ١: ٥٤٤ - ٥٤٥، نيكل ٣٢٥، الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ - ٢٠٢ (٤٤).

مَرْجُ الْكُحْل

- ١ - هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله الجزيري الأندلسي المعروف بِمَرْجِ الْكُحْل أو ابن مرج. الكحل نسبة إلى مَرْجِ الكحل على مقربة من بلدة جزيرة شُقر قُرْبَ بلنسية.
- وُلِدَ مَرْجُ الْكُحْل سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) في مَرْجِ الْكُحْل (وفيات الأعيان ١: ٣٧٨) وَنَشَأَ يَتَعَشُّ بِبَيْعِ السَّمَكِ يُنادي على بضاعته في الأسواق، وقيل كان أُمِّيًّا. وكذلك كان يَتَزَيَّا بِزِيَّ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. وكانت وفاته في جزيرة شُقر ثاني ربيع الأول من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢٣٦/١١/٣ م).
- ٢ - كان مَرْجُ الْكُحْل أديباً بارعاً في النثر والنظم، وهو شاعرٌ وَجْدَانِي رقيقٌ حَسَنُ التوليد، وأكثرُ شعره الوصفُ والنسيبُ والعتاب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال مَرْجُ الْكُحْل في طَلَبِ الرزق:
مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ.
أَنْتَ لَا تَذَرِكُهُ مُتَبِعاً، وَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبَعَكَ!

- وقال في الغزل والنسيب على النهج القديم :

وعندي من مراشيفها حديثٌ يُخبرُ أن ريقَتهَا مُدام^(١) .
وفي أجنانها السكرى دليلٌ ؛ وما ذُقنا ، ولا زَعَمَ الهُمام^(٢) .
تعالى الله ، ما أجرى دُموعي إذا عَنَّتْ لُفْلُتِي الخِيَام^(٣) ،
وأشجاني إذا لاحت بُروقٌ وأطرَبَني إذا غَنَّتْ حَمَام .

- وله قصيدة طويلة في وصف الطبيعة منها :

نَهْرٌ يَهيمُ بِجَنِينِهِ من لم يَهَم وَيُجِيدُ فيه الشمرَ مَنْ لم يَشعرُ^(٤) .
ما أَصْفَرُ وَجْهَ الشمسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إلا لفرْقَةٍ حُسنِ ذاك المنظر .
أَرَأَيْتَ جُفُونُكَ مِثْلَهُ من مَنْظرٍ : ظلٌّ وشمسٌ فوقَ خَدٍّ مُعْذِرٍ^(٥) ؟
وجداولُ كَأراقِمِ حَصْبَاؤِهَا كَبُطُونِهَا وَحَبَابُهَا كالأُظْهَرِ^(٦) .
أَمَلٌ بَلَقْنَاهُ بِهَضْبِ حَدِيقَةٍ قد طَرَزَتْهُ يَدُ الغمامِ المُطَرِّ ،
فكَأَنَّهُ - والزهرُ تاجٌ فوقَهُ - مَلِكٌ تَجَلَّى في بساطِهِ أخضر .

٤- ** زاد المسافر ٦٩ - ٧١ ؛ المحدثون من الشعراء ١٤٦ - ١٤٧ ؛ المغرب ٢ : ٣٧٣ -
٣٧٤ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٨١ ؛ برنامج
الرعي ٢٠٨ - ٢١١ ؛ التكملة ٣٤٤ (رقم ١٠٠٥) ؛ الذيل والتكملة ٦ : ١١٠ -
١١٧ (رقم ٢٩٧) ؛ الإحاطة (القاهرة) ٢ : ٢٥٢ - ٢٥٦ ؛ أعمال الأعلام ٢٧٨
(أبيات) ؛ نفح الطيب ٥ : ٥٠ - ٦٢ (متقطعاً) ؛ أزهار الرياض ٢ : ٣١٥ - ٣١٦ ؛
الأعلام للزركلي ٦ : ٢٥١ (٢٧) .

-
- (١) مدام : خمر .
(٢) في هذا البيت اقتباس من قول النابغة الذبياني عن أبي قابوس النعمان بن النذر في القصيدة زعم
الهمام ولم أذقه ، أنه ...
(٣) ما أجرى دُموعي : ما أكثر بكائي . إذا عَنَّتْ لُفْلُتِي الخِيَام : إذا رأيت مسكن الم محبوب ..
(٤) هام به : أحبه إلى درجة الجنون .
(٥) خَدُّ مُعْذِرٍ : بدأ نبات الشعر فيه .
(٦) الجدول : النهر الصغير . الأرقم : الحية . في قاع الجدول حصياء (حصى صفار) بيضاء تجعل القاع
مستوياً كبطن الحية . أمّا الحباب (الفقايع على وجه الجدول) فنشبه ما على ظهر الحية .

أبو الربيع بن سالم الكِلاعي الأندلسي

١- هو أبو الربيع سُلَيْمان^(١) بن موسى بن سالم بن حَسَّان بن سالم (وقيل: سُلَيْمان) ابن أحمد بن عبد السلام الحِميري الكِلاعي (نسبة إلى ذي الكَلَع أحد ملوك اليمن القدماء) الأندلسي، وُلِدَ في خارج مدينة بَلَنْسِيَّة (وقيل: مُرْسِيَّة) - في مُسْتَهَلَّ رَمَضان من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١٨ / ٥ / ١١٧٠ م) - ثم حُيِّلَ إلى بَلَنْسِيَّة وعُمِّرَ سَنَتان فنشأ فيها.

سَمِعَ أبو الربيع بن سالم الحديثَ في بلدِه من أبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله ابن نوح وأبي الخطَّاب بن واجب. ثم إنَّه تَجَوَّلَ في الأندلس وفي المَغْرِب وتلقى أشياء من العلم على جَماعَةٍ منهم: أبو عبد الله بن الفَخَّار وعبدُ المُنعم بن الفَرَس وأبو الوليد ابنُ رُشيد وأبو القاسم بن حُبَيْش وأبو بكر بن الجَدِّ وأبو عبد الله بن زَرْقُون.

وتولَّى أبو الربيع الحُطْبَةَ بالمسجد الجامع في بَلَنْسِيَّة في أوقاتٍ مُتفرِّقة وتولَّى القضاء أيضاً. ولقد كان في أثناء ذلك كُلِّه يذهبُ في الفِرَواتِ ويُباشرُ القتالَ بنفسِه ويُبلي فيه البلاءَ الحَسَنَ.

ولما شَدَّدَ الإسبانُ الحصارَ على بَلَنْسِيَّة خرج أبو الربيع على رأس جيش من المسلمين مُجاهداً وخاض معركة أنيعة، وكان يصيح إذا رأى تراخياً خلفه: «أمن الجَنَّةِ تَفَرُّون!» حتَّى سَقَطَ شهيداً، في ١٨ من ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢ / ٨ / ١٢٣٧ م).

٢- كان أبو الربيع سُلَيْمان الكِلاعي حافظاً للحديث، مُعدَّناً وفقيهاً مُحيطاً بعلوم اللغة والأدب، يُحِبُّ العلمَ والأدبَ ويَجْمَعُ حولَه العلماء والأدباء حينما كان في ولايته. وكذلك كان ناثراً ناظماً. وهو شاعرٌ مُكثِّرُ ضاع مُعْظَمُ شِعْرِهِ. وشعرُه الباقي لنا يدلُّ على أنه قديرٌ في النظم مَيَّالٌ إلى تَكَلُّفِ البديع؛ ونحن نجدُ على شعره نفحةً دينيةً صوفيةً شديدة. وفي شِعْرِهِ اعتذارٌ وعَزَلٌ ونَسِيبٌ.

(١) هو غير أبي الربيع سُلَيْمان بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٠٤ (راجع الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣).

وكانت لأبي الربيع بن سالم الكلاعي تصانيف في الحديث والتاريخ والأدب منها: تَخْفَةُ الرُّوَادِ وَنَجْمَةُ الوُرَادِ (وقيل: تحية الرواد وتحفة الوراد) في العوالي البدليّة^(١) الإسناد - الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء - الإعلام بأخبار البخاري الإمام - المجمع في مشيخة أبي القاسم بن حبش. وله في الأدب: جني الرطب في سني الخطيب (ثمانون من خطبه في أيام الجمع والأعياد وغيرها) - نُكْتَةُ الأمثال وَنَفْثَةُ السحر الحلال (بنى فيه الكلام على التوشيح بما تضمنه كتاب أبي عبيد من أمثال العرب واضطرار العرب من الخطباء والأدباء) إليها (إلى الاستشهاد بها) - جَهْدُ النصيح وَحَظُّ النُصيح في مُعارضة المعري في خطبة الفصح - الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال - مُفاوضة القلب العليل ومُنابذة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل - مائة مسألة مُلَفَّرَة - نتيجة الحب الصميم وزكاة الشور والمنظوم (؟) النشير والنظم) في مثال النمل النبوية على لابسها الصلاة والسلام (؟) أفضل الصلاة والتسليم) - الصُحُفُ المُشْرَّة في القِطْع المُعْشَرَة - ديوان رسائله - ديوان شعر.

٣ - مختارات من آثاره:

غَضِبَ والي بلنسية على أبي الربيع فأقصاه (سنة ٥٨٧ هـ ٢)، فَكَتَبَ إليه أبو الربيع يعتذرُ إليه وَيَسْتَغْفِرُهُ (إعتاب الكتاب ٢٤٩ - ٢٥١):

وبعدُ فَكَتَبَ الذي قَصَرَ ثم عَينَ قَصْدَهُ وَأَبْصَرَ، وَاقْتَرَفَ فَأَعْتَرَفَ^(٢) وَأَجْتَرَحَ فَلَمْ يَرَ أَجْدَى مِنْ أَنْ قَرَعَ بَابَ الْمُغْفِرَةِ وَاسْتَفْتَحَ^(٣). وفي عِلْمِ المَوْلَى أَنَّ العبيدَ أَهْلُ الخَطَا وَمَطْنَةُ السَّيِّئِ السُّبْطُ^(٤)..... وَمَتَى نَوْقَشُوا الحِسابَ على كُلِّ زَلَّةٍ وَعُوقِبُوا في

(١) راجع «الاكتفاء» لأبي الربيع بن سالم، الصفحة: ي.

(٢) عَينَ قَصْدَهُ: رأى بعينه الغاية المقصودة. اقترَفَ: اكتسب ذنباً.

(٣) أَجْدَى: أنفع. استَفْتَحَ: طلب أن يفتح له (باب المغفرة).

(٤) المولى: السيد المتفضل المسيطر. مطنة: مكان. المستبط: الذي يجيء بطيناً (يفصل بعد فوات الألوان). مطنة السي المستبط (من عادتهم أن يتأخروا في إصلاح الخطأ).

كُلَّ ضَلَّةٍ أَفْنَاهُمْ الْعِقَابُ سَرِيحاً وَأَهْلَكَهُمْ التَّأْدِيبُ جَمِيعاً. وَإِنَّا بَقَاؤُهُمْ فِي أَنْ يُسْبَلَ
الْمَوَالِي عَلَى هَفَوَاتِهِمْ سِتْرَ الْإِغْضَاءِ وَيُقَرَّبُوا عَلَيْهِمْ مَدَارِكُ الْإِرْضَاءِ^(١).....

- كتب أبو الربيع بن سالم الكلاعي إلى بحر بن صفوان بن إدريس (سنة ٥٨٧هـ) عَقَبَ انْفِصَالِهِ (خروجه) مِنْ بَلَنْسِيَّةَ:

أَجِئْ إِلَى نَجْدٍ وَمِنْ حَلٍّ فِي نَجْدٍ؛ وَمَا الَّذِي يُغْنِي حَنِينِي أَوْ يُجِدِي^(٢)؟
وَقَدْ أَوْطَنُوهَا وَادَعِينَ، وَخَلَفُوا مُجِيبُهُمْ رَهْنَ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ^(٣).
تَبَيَّنَ بِالْبَيِّنِ اشْتِيَاقِي إِلَيْهِمْ
وَوَجَدِي، فَسَاوَى مَا أَجِئُ الَّذِي أَبْدِي^(٤).

وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَتْهَا وَشَاحَ بِخَصَرٍ أَوْ سِوَارٍ عَلَى زَنْدٍ.
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاقِي مِنَ الْجَوَى؛ وَبَغْضُ الَّذِي لَا قَيْتَهُ مِرَ رُذِي^(٥).
فِي أَلَيْتِ شِعْرِي، هَلْ تَعُودُ لَنَا الْمُنَى وَعَيْشٌ كَمَا تَمَنَّمْتَ حَاشِيَتِي بُرْدٍ^(٦).

- قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ الْكَلَاعِي لَمَّا بَدَأَ شَبَابُهُ يُفَارِقُهُ وَالشَّيْبُ يَخْطُ شَعْرَهُ:

تَوَلَّيْتُ لَيْالٍ لِلْفَوَايَةِ جُونٌ وَوَافَى صَبَاحٌ لِلرَّشَادِ مُبِينٌ^(٧).
رِكَابُ شَبَابٍ أَزَمَّتْ عَنْكَ رَحْلَةٌ، وَجَيْشٌ مُشِيبٌ جَهَّزْتَهُ مَنُونٌ^(٨).
وَلَا أَكْذِبُ الرَّحْمَنَ فِي مَا أَجْنُهُ، وَكَيْفَ؟ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ جَنِينٌ^(٩).

(١) يسبل: يبدل، يغطي. الهفوة: النلطة الصغيرة (غير المقصودة). الإغضاء: إغراض العين عن تقصير الآخرين. المدارك: أسباب الوصول إلى.

(٢) أغنى، كفى، نفع. أجدى: نفع.

(٣) وادع: ساكن، هادئ، مطمئن. الصبابة: الشوق. الوجد: الحزن.

(٤) البين: الفراق، البعاد. جن: كتم. أبدى: أظهر.

(٥) الجوى: اشتداد المرض من عشق أو حزن. أردى: أهلك.

(٦) البرد: الثوب من حرير، فم: طرز الثوب تطريزاً ناعماً (صغير الزركشة).

(٧) تولت: راحت، ذهبت، انتقضت. الفوابة (يفتح العين): البطالة، الضلال. جون: سود. وافي: وصل،

حل. صباح: (شيب، هرم). مبين: واضح، ظاهر، أبيض (شيب أبيض).

(٨) الركاب: الطايا، ما يركب للسفر أو للحرب. أزعم: نوى، قصد. المنون: الموت.

(٩) أجنه: أكنمه، أخفيه. الجنين: المكتوم، المنفي.

وَمَنْ لَمْ يَخْلُ أَنْ الرِّبَاءَ يَشِينُهُ،
لَقَدْ رِيعَ قَلْبِي لِلشَّبَابِ وَقَدَّهْ،
وَأَلَمَنِي وَخَطُّ الشَّيْبِ يَلْمَنِي
وَلَيْلُ شَبَابِي كَانَ أَنْضَرَ مَنْظَرًا
فَاهَا عَلَى عَيْشٍ تَكْدَرُ صَفْوُهُ
وَبَا وَنَحْ فُؤَدِي أَوْ فُؤَادِي كُلَّمَا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي سَكُونٌ بِغَرَّةٍ؛
وَقَالُوا: شَبَابُ الْمَرْءِ شُعْبَةُ جَنَّةٍ؛
وَقَالُوا: شَجَاكَ الشَّيْبُ حَدَثَانِ مَا أَتَى،
فَمِنْ مَذْهَبِي أَنْ الرِّبَاءَ يَشِينُ^(١)،
كَمَا رِيعَ بِالْعَلَقِ الْفَقِيدِ صَنِينُ^(٢)،
فَعُطِّتْ بَقْلِي لِلشُّجُونِ فُنُونُ^(٣)،
وَأَتَقَ مَهْمَا لَحَظْتُهُ عَيُونُ^(٤)،
وَأُنْسَ خَلَا مِنْهُ صَفَاً وَحَجُونُ^(٥)،
تَزَيَّدَ شَيْبِي، كَيْفَ بَعْدُ يَكُونُ^(٦)؟
وَكَيْفَ مَعَ الشَّيْبِ الْمِضُّ سَكُونُ^(٧)؟
فَمَا لِي عَرَانِي لِلْمَشَيْبِ جُنُونُ^(٨)؟
وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْحَدِيثَ شُجُونُ^(٩)،

- (١) خال: ظن: يشين: يعيب، يَصِمُ الإنسان بالنقص والعيب.
(٢) ريع (المجهول من راع): أخيف، خاف، جزع. العلق: الشيء النفيس الذي يحرص الإنسان على الاحتفاظ به. الفقيد: المفقود، الذي فقده صاحبه. الضنين: البخيل.
(٣) وخطه الشيب: اختلط الشيب بسواد شعره (قليلاً أو كثيراً). اللثة: الشعر في مقدم الرأس. خطت: كتبت (بالبناء للمجهول). الشجون: الأحزان. ثم فنون: أنواع، أصناف.
(٤) كان ليل الشباب (سواد الشعر) أنضر (أحسن، ألين، أزهى). أتق: أجل. مهما لاحظته عيون: مهما يكن عدد الذين يرونه (يقصد: جميع الناس يقولون ذلك).
(٥) الأنس: السرور. خلا منه صفًا (مكان بسفح جبل أي قبيس بمكة) وحجون (جبل فوق مكة)، يقصد: إذا نزل الشيب بالإنسان انتفى السرور حتى في الأماكن التي يكثر فيها السرور، وهو يشير بذلك إلى البيت القديم:

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَنِينَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنِيسَ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرًا

- (٦) الفود: الشعر على جانبي الرأس.
(٧) لا يجوز لقلمي أن يطمئن. بغرة: في غفلة (عن نتيجة تزايد الشيب في الرأس). المضم: المؤلم (لأنه يذكر يقرب انتهاء الحياة).
(٨) شعبة جنة: نوع من الجنون. عراني: أصابني. (في الشباب يكون جنون الإنسان - إتيانه بما لا يحفل - من الفرح. أمّا في الشيخوخة فيكون جنونه من الحزن).
(٩) شجاك الشيب حدثان ما أتى (الإعراب والمعنى غامضان): شجاك (حزنك أو أحزرك) الشيب (فاعل) حدثان (بديل: الأحداث التي جاءت مع الشيب هي التي حزنك أو أحزنتك). والحدثان (بالكسر) جمع حدث (الناتبة، المصيبة). و «الحديث ذو شجون» (فنون، أنواع) مثل.

- وله من شعره ذي لَنَفْعَةِ الدِّينِيَّةِ :

أَمْوَالِي الْمَوَالِي، لَيْسَ غَيْرُكَ لِي مَوْلى؛ وما أَحَدٌ سِوَارُبٍّ، مِنْكَ بِذَا أَوَّلَى (١).
تَبَارَكَ وَجْهُ وَجَّهَتْ نَحْوَهُ الْمُنَى فَأَوْزَعَهَا شُكْرًا وَأَوْسَمَهَا طَوْلًا (٢).
وما هُوَ إِلَّا وَجْهَكَ الدَّائِمُ الَّذِي أَقْلُ حُلَى حَلْيَائِهِ يُخْرِسُ الْقَوْلَا (٣).
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي إِلَيْكَ وَقَوِّي، فَكُنْ قَوِّي فِي مَطْلَبِي وَكُنِ الْحَوْلَا (٤)؛
وَهَبْ لِي رِضًا - مَالِي سِوَى ذَلِكَ مُبْتَنًى وَلَوْ لَقِيتُ نَفْسِي عَلَى نَيْلِهِ الْحَوْلَا !

- من مقدمة كتاب « الاكتفاء » :

.... هذا كتابٌ ذهبْتُ فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع، باتِّساق الخبر عن سيرة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرِ نَسَبِهِ وَمَوْلِدِهِ وَصِفَتِهِ وَتَبَعِيَّتِهِ وكثير من خصائصه وأعلامِ نُبُوَّتِهِ (٥) وأَيَّامِهِ، من لَدُنْ مَوْلِدِهِ إلى أَنْ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ وَقَبَضَ رُوحَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَيْهِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ؛ مُقَدِّمًا لِدَلَالَةِ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، وَمُتِمًّا - من ذِكْرِ أَوْلِيَّتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِلَدَا وَمَحْتَدَا (٦) - بما يَحْسُنُ عِلْمُهُ وتعليمه، مُلَخَّصًا جَمِيعَهُ من كُتُبِ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ، (أُولَئِكَ) الَّذِينَ صَرَفُوا إِلَيْهِ اعْتِنَاءَهُمْ وَاسْتَنْفَذُوا (٧) فِيهِ آثَاءَهُمْ (٨).... وَلَكِنْ عِظَمُ الْمُعْوَلِ كَانَ، مُحْكَمِ الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ، عَلَى كِتَابِ (مُحَمَّدٍ) بْنِ إِسْحَاقَ (٩)؛ إِيَّاهُ أَرَدْتُ، وَتَجَرِيدَهُ مِنَ اللَّغَاتِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَنْسَابِ

(١) مولى الموالى: سَيِّدُ الْأَسْيَادِ (الله). أَوَّلَى: أَحَقُّ.

(٢) المنى: الْأَمَانِيَّةُ، الرِّغْبَاتُ. أَوْزَعَهَا شُكْرًا: أَعَانَهَا عَلَى أَنْ تَشْكُرَ (النعمة عليها). أَوْسَمَهَا طَوْلًا (القوة، القدرة): جَعَلَهَا أَقْدَرَ عَلَى بُلُوغِ أَمَانِيَّتِهَا.

(٣) الحلى جمع حلية (يكسر الهاء): الزينة، الجلال.

(٤) الحول: القوة، القدرة على التصرف، نفوذ البصر في الأمور. تَبَرَّأْتُ إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي وَقَوِّي (استسلمت إليك واعتمدت عليك).

(٥) الاعلام: الدلائل، العلامات.

(٦) المحدث: الْأَصْلُ الْكَرِيمُ.

(٧) استنفذوا (في الأصل: بالذال أخت الدال). اقرأ: استنفذوا (بالدال المهملة).

(٨) الْآثَاءُ جَمْعُ أَفٍ (يفتح فسكون أو يكسر فسكون): السَّاعَةُ، الْجُزْءُ مِنَ الْوَقْتِ. استنفذوا آثَاءَهُمْ: أَنْفَقُوا جَمِيعَ أَوْقَاتِهِمْ.

(٩) محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) صاحب «السيرة النبوية» (وهي مفقودة)، ولكن نجد معظمها في «السيرة» (لأبن هشام) وفي تاريخ الطبري.

والأشعار قصدت^(١)، وعلى ترتيبه غالباً جرت، ومنزعه^(٢) في أكثر ما يخص المغازي تحريت..... ثم بدا لي أن أزيد على هذا المقدار ما يحسن في هذا المضمار، و(أن) أعوض ما حذفت منه من اللغات والأنساب والأشعار، بما يكون - إن شاء الله - مزية الاختيار ويروق عليه رونق الإيثار^(٣) منتقياً ذلك من الدواوين التي طار لها في الناس طائر الشهرة، ومتخيراً له من الأماكن التي لا يستقل بحصر فوائدها وانتقاء فرائدها^(٤) كل مختار..... ثم القصد الثاني متوفر على إنباس الناس بأخبار نبئهم، صلى الله عليه وسلم، وعارة خواطيرهم بما يكون لهم في العاجل والآجل^(٥) أنفع وأسلم. وقد عم عليه الصلاة والسلام ببركة دعائه سامع حديثه ومبلغه. وقال صلى الله عليه وسلم: «ما أفاد المسلم أخاه المسلم أفضل من حديث حسن بلغه قبله».

٤ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد الواحد)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (مكتبة الهلال) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

★ ★ تحفة القادم ١٣٩ - ١٤٢؛ التكملة ٧٠٨ (رقم ١٩٩١)؛ عتاب الكتاب ٢٤٩ - ٢٥٣؛ برنامج الرعيبي ٦٦ - ١٧٢؛ المغرب ٣١٦ - ٣١٧؛ فوات الوفيات ١: ٢٣٠؛ الذيل والتكملة ٤: ٨٣ - ٩٥ (رقم ٢٠٣)؛ المرقبة العليا ١١٩ - ١٢٢؛ الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٤؛ نفح الطيب ٤: ٤٧٣ - ٤٧٦؛ ثم اشارات مختلفة (راجع الفهرس - والرقم ٤: ٣٢٢ في الفهرس خطأ وصوابه ٣٣٢ - ٣٣٣)؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٩ (١٣٦).

(١) تجريده من اللغات (ذكر الأوجه المختلفة من اللفظة الواحدة) وكثير من الأنساب والأشعار (باختصارها).

(٢) المنزع: الغاية، الأنحاء، المقصد.

(٣) راق: حسن، صار حسناً. الروتق: المجال المعجب للمعين. الإيثار: التفضيل.

(٤) الفريدة: اللؤلؤة النفيسة (القيمة، الغالية).

(٥) الزمن: العاجل (الدنيا) والآجل المتأخر (الآخرة).

أبو يحيى بن هشام القرطبي

١- هو أبو يحيى (كُنْيَتُهُ) أبو بكر (اسْمُهُ) بنُ هشامِ القرطبيُّ (أخو أبي القاسم المتوفى سنة ٦٣٢ - انظر ترجمته) قال فيه عليُّ بنُ موسى بن سعيدِ المغربي (المغرب ٧٤ : ٧٥):

هُوَ مِمَّنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ، وَأَذَرَكْتُهُ يَكْتُبُ عَنْ الْبَاجِي مَلِكِ إِشْبِيلِيَّة^(١). وَكُتِبَ عَنِ الْمَأْمُونِ^(٢) أَيَّامَ وَلَايَتِهِ عَلَى قُرْطَبَةَ. ثُمَّ لَحِقَ بِالْبِيَاسِيِّ النَّائِرِ^(٣) وَكُتِبَ عَنْهُ. ثُمَّ قُتِلَ الْبِيَاسِيُّ فَاسْتَخْفَى (أَبُو يَحْيَى) حِينًا ثُمَّ لَحِقَ بِإِشْبِيلِيَّة. بَعْدَئِذٍ حَاولَ أَنْ يَتَرَضَّى الْمَأْمُونُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُعْتَذِرًا وَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا:

مولاي، إِنَّ بَلِيَّيَ مَعَ خِدْمَتِي خَصَانٍ، فَاحْكُمِ اللَّيْ هِيَ أَقْدَمُ.
ولكن المأمون لم يرَضَ عنه.

وكانت وفاة أبي يحيى أبي بكر بالجزيرة الخضراء، سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ - ١٢٣٨ م).

٢- أبو يحيى أبو بكر بن هشام أديبٌ شاعرٌ نائرٌ مُترسِّلٌ. وشعره مُقطَّعاتٌ وُجْدَانِيَّةٌ فِي الْخمر والغزل والوصف، وفي عددٍ منها لَفَتَاتٌ بارعة. وهو شيخُ كُتَّابِ الأندلس (في وقته)، وكان سهلَ الطريقة.

٣- مختارات من آثاره:

- لأبي يحيى أبي بكر بن هشام مقطعات منها:

★ ★ لاموا على حبِّ الصِّبا والكاس لما بدا وَضَحُ المشيبِ براسي^(٤).

(١) الباجي (ولم أفع على اسمه كاملا في نفع الطب) نائر انتزع إشبيلية من ابن هود، ثم قتله ابن الآخر (نفع الطب ١: ٢١٦).

(٢) يبدو أنه إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، كان يلي قرطبة قبل أن يتولى الملك (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ).

(٣) لعله السيد أبو محمد من أمراء الموحدين، ثار بالأندلس، سنة ٦٢٢ أو ٦٢٣ ووصل يده بيد الإشبانية. وفي تعليق إبراهيم الإيباري على «الفتح المعلن» (ص ٨٩): هو أبو العلاء إدريس بن منصور.

(٤) وضح: بياض.

والفُصْنُ أَحوجُ ما يكونُ لِستِّهِ
 ★ ★ أمسى الفراشُ يطوفُ حولَ كُؤُوسِنا
 إذ خالها تحتَ الدجى قنديلًا (٢).
 ما زال يَخْفِقُ حولها بِجناحه
 حتى رَمَتْهُ على الفراشِ قتيلاً (٣) !
 ★ ★ وأغيدَ واني يَغْفِطُ السِّكرُ قَدَّهُ ؛
 وأيُّ قَضِيبٍ يَنْثِي مِثْلَ قَدِّهِ (٤) ؟
 ... طَلَعَ للأبصارِ في نَرْجِسِيَّةٍ
 كلُّونِ الذي يشكو مَرارةَ صَدِّهِ (٥) ؛
 وفي يَدِهِ اليُمْنَى شَبِيهُ عِذارِهِ ،
 وفي يَدِهِ اليُسْرَى شَبِيهُ خَدِّهِ (٦) !

- وله من جوابٍ على كتابٍ جاءه من صديقٍ طَلَبَ إليه أن يقوم بإسداء صنيعه في سبيل صاحبِ حاجةٍ :

وإلى هذا فإنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ مِنَ النِّعَاءِ ما يَهْطِلُ غَمَامُهُ ، وَمِنَ الْمِرَّةِ الْقُصَاءِ ما تَتَفَتَّحُ عَنْ زَهْرِ الْمِرَّةِ أَكْثَامُهُ (٧) ، من قُرْطَبَةٍ حَرَسَهَا اللهُ ، وَالْخَيْرَاتُ تَزْدَجِمُ عَلَيْنَا ، وَالْمَسْرَاتُ تَسَابِقُ إِلَيْنَا . وَالَّذِي بَيْنَنَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى وَسَاطَةِ الْأَقْلَامِ ، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ . وَلَمَّا وَصَلَ بِكِتَابِكُمُ الْمَرْجِيَّ الْمَحْفُوظِ الْمَقْبُولِ الْمَحْفُوظِ الْفَقِيهِ أَبُو فُلانٍ وَجَدَ مِنْهُ فِيمَا التَّمَسُّ صِدًّا ما وَجَدَ الْمُتَلَمِّسُ . وَعَادَ مِنْ قِضَاءِ

-
- (١) هذا مخالف لما يعرفه الفلاحون: إنَّ الأشجار والنباتات التي تنمقد أزهارها ثمراً تنطش في زمن إزهارها.
- (٢) خالها: ظنَّها.
- (٣) خفق الطائر: طار. خفق (الفراش): اضطرب وتحرك.
- (٤) الأغيد: الجميل. واني: أتى (إلينا). قَدَّهُ: قامته (جاء يتأهل من كثرة سكره). القَضِيب: الفصن. وأيُّ قَضِيبٍ يَنْثِي مِثْلَ قَدِّهِ؟ أيُّ الأغصان يكون قابلهما محبباً إلى النفس مثل قابله
- (٥) الحرف الأول من الكلمة الأولى ساعط. لعلَّ الكلمة: « تَطْلُع » (طلع، طلع علينا: جاء إلينا). نَرْجِسِيَّةٍ (يبدو أنها نوع من الثياب، أو ثياب بلون قلب الترجس، أي صفراء). الصَّد: الإعراض والمهجر. كلون: أصفر اللون.
- (٦) العذار: الشعر النابت في الوجه. - لو قال: « وفي كَفِّهِ (مرَّتَيْن) لثلاثي الزحاف (يفتح الزاي، بلا تشديد للحاء) « خطف المدَّ » (حذف السكون). - كان يحمل في يده اليمنى قضيب آس وفي يده اليسرى وردة.
- (٧) القُصَاء: العالية (النيعة). الكَم: الكأس (الأوراق الخضراء التي تضمُّ الزهرة قبل تفتُّحها).

غَرَضُهُ عَوْدَ الْمُبَاكَرِ الْمُفْلَسِ^(١). وَهُوَ لَعَمْرُ اللَّهِ أَهْلٌ لَأَنْ تَتَحَقَّقَ أَغْرَاضُهُ وَلَا تَتَصَوَّحَ^(٢) بِالْإِهْمَالِ رِيَاضَهُ. وَمِثْلُهُ مَنْ تُشْفَعُ فِيهِ وَتُطَلَّبُ لَهُ مَا يَكْفِيهِ.

٤-★★ المغرب ١: ٧٤-١٧٥ تحفة القادم ١١٥٩، القدح المملّى ٨٩-٩٣، نفع الطيب ٤: ٢٠-٢١ (٨٩)، قطعتان ترويان لابن القاسم بن هشام، وهما مرويتان في القدح المملّى لصاحب هذه الترجمة).

أبو بكر بن الصابوني الإشبيلي

١- هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الصابوني الصدي الإشبيلي، وكان أبو بكر بن الصابوني يُلقَّب بالحمار، لقَّبه به أبو علي بن الشلوبين فَلَزِمَهُ هذا اللقب، وكان هو يلقَى منه ويكرهه (الذيل والتكملة ٦: ٥٩، نفع الطيب ٣: ٥١٩، القدح المملّى ٧٠).

وأبو بكر بن الصابوني من أهل إشبيلية، رَوَى عن أبي الحسن الدبّاج وأبي الحسين ابن زرقون وأبي علي بن الشلوبين (الذيل والتذكرة ٦: ٥٩). أمّا أبو الحسن علي بن جابر الدبّاج فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ للهجرة وتُوفِّيَ سَنَةَ ٦٤٦ (صلة الصلة، ص ١٣٧). وأمّا أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (صلة الصلة، ص ٧٠) أو بآبن الشلوبين فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة وتُوفِّيَ سَنَةَ ٦٤٥. وأمّا أبو الحسين بن زرقون (الذيل والتكملة ٦: ٥٩) فلم أهُتَدِ إلى شيء من تفاصيل حياته، ولكنّ القرينة تدلّ على أنّه كان معاصراً للشلوبين وللدبّاج. ومن الغريب أن يكون أبو بكر بن الصابوني قد رَوَى عن جماعة توفُّوا بعده بِضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، إلّا أن يكون هو أصغرَ سنّاً ولكن

(١) المتلمّس: شاعر جاهلي (خال طرفة بن العبد) كتب له عمرو بن هند (أحد المناذرة من حكام الحيرة) صحيفة (رسالة) إلى عامله على البحرين. وكان عمرو بن هند قد أوهم المتلمّس أن في الصحيفة أمراً إلى العامل بمطية له، مع أنّه كان قد أمر العامل فيها بقتل المتلمّس. المتلمّس: (ظلام آخر الليل): باكراً جداً.

(٢) صَوَّحَ وَصَوَّحَ: يس.

أَعْتَبَتْ - مات شاباً - قبلهم، وأنا أَرْجِعُ ذلك لِمَا ستراه في قِسمِ خصائصه (رقم ٢، من هذه الترجمة).

وَاتَّصَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّابِقِيِّ بِرِجَالِ الدَّوْلَتَيْنِ المُوَحَّدِيَةِ وَالْحَفْصِيَّةِ: تَقَدَّسَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ إِدْرِيسَ بْنِ يَمْقُوبَ المُلَقَّبِ بِالمَأْمُونِ المُوَحَّدِي، تَاسِعِ سُلَاطِينِ المُوَحَّدِينَ (٦٢٦ إلى آخِرِ ٦٢٩ هـ). ثُمَّ رَأَى أَنَّ يَفْصِدَ سُلْطَانَ إِفْرِيقِيَّةَ (الْقَطْرِ التُّونِسِي) أَبَا زَكَرِيَّا يَحْيَى الْأَوَّلَ مُؤَسِّسَ الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ وَأَوَّلَ سُلَاطِينِهَا (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) فَلَقِيَهُ فِي مِلْيَانَةَ (الْقَطْرِ الْجَزَائِرِي) وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا (المغرب ١: ٢٦٣):

اللهُ جَارُكَ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحِلٍ، يَا مُغْلِباً مِلَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الْمِلَلِ.

ويبدو أَنَّهُ لَمْ يَنْلَ مَا يُؤَمِّلُهُ فَزَمَّ عَلَى الرِّحْلَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ لَمْ يَجِدْ مَنْ قَدَرَهُ قَدْرَهُ^(١)، وَ«عَاجَلَتْهُ مَنِيَّتُهُ» فَاتَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ قَبْلَ سَنَةِ ٦٣٨ لِلْهِجْرَةِ (المغرب ١: ٢٦٣). أَوْ فِي طَرِيقِهِ بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ (يُرِيدُ مُعَادَرَةَ مِصْرَ، سَنَةَ ٦٠٤ (أَرْبَعٌ وَسِتِّمِائَةٍ)، كَمَا وَرَدَ فِي قَوَاتِ الْوَفَايَاتِ (٢: ٢٠٩) وَفِي «اِخْتِصَارِ الْقَدَحِ الْمَعْلَى» (ص ٧٠) وَفِي الْوَاوِي بِالْوَفَايَاتِ (٢: ٩٩). أَمَّا سَنَةُ ٦٠٤، فَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهَا خَطَأٌ مَطْبَعِيٌّ، مِمَّا نَرَى مِنْ اتِّصَالِهِ بِالمَأْمُونِ المُوَحَّدِي (جاءَ إِلَى الْحُكْمِ سَنَةَ ٦٢٦) وَبِيَحْيَى الْحَفْصِي (جاءَ إِلَى الْحُكْمِ سَنَةَ ٦٢٥). وَفِي «المُغْرِبِ» أَنَّهُ تُوُفِّيَ قَبْلَ ٦٣٨ (ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ). وَلَعَلَّ التَّارِيخَ الَّذِي اقْتَرَحَهُ خَيْرُ الدِّينِ الزَّرِكَلِيُّ (الأعلام ٦: ٢١٥، الطبعة الرابعة ٥: ٣٢٠) قَرِيبٌ مِنَ الصَّوَابِ، أَيْ ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م). وَقَبْلَ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٣: ٥١٨، الْحَاشِيَةُ الْأُولَى) سَنَةَ ٦٣٦ لِلْهِجْرَةِ.

٢ - يبدو أَنَّ أَبَا بَكْرَ بْنَ الصَّابِقِيَّ لَمْ يَكُنْ سَلِيمَ الْأَعْصَابِ، بَلْ كَانَ مَرِيضَها. فَقَدْ كَانَ ضَيْقَ الصَّدْرِ شَدِيدَ الْأَحْزَافِ عَنِ الْمَسَلِّكِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّوِيَّةِ، سَيِّئِ التَّصَرُّفِ وَالْأَغْلَبُ أَنَّ أَسَاتِذَهُ أَبَا عَلِيٍّ الشُّلُوبِيَّيَّ قَدْ لَقَّبَهُ بِأَسْمِ «الْحِجَارِ» مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَفِي نَفْحِ

(١) قَدَّرَ الْإِنْسَانُ النِّهَاةَ قَدْرًا: بَيَّنَّ مَقْدَارَهُ، عَرَفَ مَكَانَتَهُ وَقِيَمَتَهُ.

الطيب (٣: ٥١٨) حِكَايَةُ تَشْرُحُ شَيْئاً مِنْ هَذَا:

كَانَ ابْنُ الصَّابُوْنِيِّ فِي مَجْلِسٍ أَحَدِ الْفُضْلَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ فَقُدِّمَ - فَبَا قُدِّمَ (فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ) - خِيَارٌ. فَجَعَلَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ يُقَشِّرُ (وَاحِدَةً مِنْهَا) بَيْكَيْنِ. فَخَطِفَ ابْنُ الصَّابُوْنِيِّ السِّكِّينَ مِنْ يَدِهِ. فَالْحَ عَلَيْهِ (ذَلِكَ الْأَدِيبُ) فِي (رَدِّهَا إِلَيْهِ). فَقَالَ لَهُ ابْنُ الصَّابُوْنِيِّ: «كَفْتُ عَنْيَ وَإِلَّا جَرَحْتُكَ بِهَا». فَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ (لِذَلِكَ الْأَدِيبِ): «أَكْفُفْ عَنْهُ لِثَلَاثِ يَجْرَحُكَ وَيَكُونُ جُرْحُكَ جُبَّاراً، تَعْرِضُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ (إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُرْحُ الْعَجَاءِ جُبَّارٌ»^(١). فَاعْتَاطَ ابْنُ الصَّابُوْنِيِّ، وَخَرَجَ مِنَ الْأَعْتَدَالِ، وَأَخْطَأَ بِلِسَانِهِ. وَمَا كَفَّ إِلَّا بَعْدَ الرُّغْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ.

أَمَّا فِي الشَّعْرِ فَكَانَ جَيِّدَ الْمَعَانِي مَتَيْنَ السَّبْكَ جَزَلَ الْقَوْلِ. وَفَنُونُهُ الْمَدْحُ وَالْمُجَاءِ وَالرِّثَاءُ وَالْحَمَاسَةُ (وَصِفَ الْحَرْبِ) وَالْوَصْفُ وَالْفَزْلُ وَالْحِكْمَةُ. وَلَهُ مَوْشَحَاتٌ أَيْضاً ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ مَجِيدٌ مَشْهُورٌ، وَلَكِنْ تَطَرَّفَهُ فِي الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ (وَقَدْ وَرَّثَ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ) قَدْ كَسَبَهُ عِدَاوَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَلْقَى سِتَاراً عَلَى شُهْرَتِهِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- لِأَبِي بَكْرِ بْنِ الصَّابُوْنِيِّ الْإِشْبِيلِيُّ شَعْرٌ كَثِيرٌ فِي الْحَمَاسَةِ (وَصِفَ الْحَرْبِ)، رَاجِعِ «الْوَاقِي بِالْفَوَايِدِ» (٢: ٩٩)، مِنْهَا:

أَلْقَيْتُ إِلَى الْهَرَبِ الْأَعْدَاءَ أَنْفُسَهَا وَمَا عَبَّيْتُ لَهَا جِيشاً سِوَى الرَّهَبِ^(٢).

(١) جِبَارٌ (بِالضَّمِّ): هَدْرٌ (يَفْتَحُ فَسْكَوْنٌ)، لَا قِصَاصَ فِيهِ وَلَا ضَمَانَ مَا تَتَلَفُهُ الْعَجَاءُ (أَيِ الدَّابَّةِ، الْحَيَوَانِ). وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ أَصْبَحَ الْمَادَّةُ الرَّابِعَةُ وَالتَّسْعِينَ مِنَ الْمَوَادِّ الْكَلْبِيَّةِ فِي مَجْلَةِ الْأَحْكَامِ الْعَدْلِيَّةِ. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ لَيْسَتْ مُطْلَقَةً، وَلَكِنَّهَا مَشْرُوعَةٌ بِشُرُوطٍ وَأَحْوَالٍ. إِذَا جَنَّتِ الْعَجَاءُ جَنَائِيَةً مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا (كَأَنَّ خَطْفَ تَطْلُبِ دَجَاجَةٍ أَوْ أَكْلَ ذَنْبٍ خَرُوفاً أَوْ كَانَتْ دَابَّةً تَرعى فِي مَرعى عَامٍ ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ دَعَسَتْ طِفْلاً) فَجَنَائِيَتُهَا تَكُلُّ لَا تَعَاقِبُ هِيَ عَلَيْهَا (لِأَنَّ الْعَقَابَ أَوْ الْقِصَاصَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ التَّكْلِيفِ، وَالتَّكْلِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ الرَّاشِدِ الْمَيَّزِ). وَلَكِنْ إِذَا كَانَ رَجُلٌ يَرْكَبُ دَابَّةً فِي السُّوقِ أَوْ فِي مَكَانٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ دَعَسَتْ تِلْكَ الدَّابَّةُ طِفْلاً فَارَكَبَتْ تِلْكَ الدَّابَّةَ (أَوْ صَاحِبَهَا إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا قَاصِراً، وَكَانَ يَرْكَبُهَا بِإِذْنِهِ أَوْ بِغَفْلَةٍ وَتَقْصِيرٍ مِنْهُ) ضَامِنٌ لِلضَّرْرِ الْحَاصِلِ مِنْهَا وَمُعَاقِبٌ عَلَيْهِ.

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ: عَبَّيْتُ. وَالْعَوَابُ: عِبَا أَمِيرُ الْجَيْشِ يَعْبَاهُ (يَفْتَحُ الْبَاءَ) أَوْ عِبَاهُ يَعْبُوهُ أَوْ عِبَاهُ (بِالتَّشْدِيدِ): حَشَدَهُ وَجَهَّزَهُ. الرَّهَبُ: الْخَوْفُ.

خيرَ الكتائبِ ما لم يُغْنِ غائبُهُ ، وأفضلُ الفتحِ ما واغى بلا تَعَبٍ ^(١) .
 * والبيضُ تُسَكِّنُ أوصالَ الكُماةِ ، وقد شَحَا له الضربُ كالأفواهِ للجدَلِ ^(٢) .
 إذا المُقاتِلُ عن قَصْدِ الردى كَهَمْتُ سَوَى لها الطعنُ مثلَ الأعينِ النُّجَلِ ^(٣) .
 وللِيفارِ شُرُوعٌ في الدَّرُوعِ كما تواتَرَ الطيرُ في الفُدرانِ للنَّهْلِ ^(٤) .

- ولأبي بكر بن الصابوني في الغَزَلِ أيضاً أشياء كثيرة (فوات الوفيات ٢ : ٢١٠ ، الوافي بالوفيات ٣ : ٤١٠ ، ٤ : ١٦٠) :

أَمَّا وعذارِ فوقَ خَدِّكَ ، إِنَّهُ لَأَنْتَكَ فِعْلَنِي مُقْلَتَيْكَ لَفَاعِلُ ^(٥) .
 وما خَيَّلْتُ نفسي إِلَيَّ بِأَنَّهُ سَتَفْعَلُ أفعالَ السيوفِ الهائلِ ^(٦) .

(١) الكتيبة: الجيش. ما لم يغن غائبه (ما لم تكن محتاجاً معه إلى نجدة). - خير الجيوش ذلك الجيش الذي ملك وهو قادر وحده على إحراز النصر.

(٢) البيض جمع أبيض: سيف. تسكن (كذا في الأصل)، اقرأ: تمكن (تساعد، تعين). أوصال جمع وصل (بالكسر أو بالضم): عظم مستقل في الجسم، عضو (يد، ذراع). الكمي: الشجاع الكامل. عدّة الحرب من السلاح. شحا القتال يشحو (أتسع مجال القتال فيه - بعدت فيه المسافة بين المتقابلين)، من أجل ذلك يستطيع المقاتل أن يحمل السيف صلة لذراعه ثم يدها فيصل بالسيف إلى خصمه. الضرب: القتال بالسيف. كالأفواه للجدل (للجدال والخصومة)..... التشبيه «كالأفواه للجدل» غامض (إلا أن يكون المقصود: عند اشتداد القتال). هذه الأبيات من قصيدة في مدح أبي زكريا يحيى الأول الحنفي.

(٣) المقتل: المكان في الجسم إذا أصيب مات صاحبه (كالعنق والقلب). الردى: الموت. كهم: أبطأ. العين النجلاء (الواسعة). - يقول: إذا كانت الجراح بالسيوف والتي تصيب المقاتل (من الخصوم) لم تكن كافية لتميت الخصم الذي أصيب في مقتلته، فإنّ الطعن (بالرمح) حينئذ يصل إلى جسم الخصم (لأنّ الرمح أطول من السيف) ويحدث فيه جراحاً واسعة (كبيرة) تتيته.

(٤) الشفرة: السيف. شروع: بدء. تواتر: توالى وتتابع بسرعة. الفدير: فرع يخرج من النهر. النهل: الشرب. - يقول: تبدأ السيوف أولاً فتقطع دروع الخصوم في أماكن مختلفة يستطيع الرمح أن ينفذ (بعض الغاء) منها إلى جسم الخصم.

(٥) وعذار (الواو للقسمة. العذار: الشعر النابت على جانبي الحنّين والذي يؤلّف فيها بعد اللحية). نكأ الرجل خصمه: جرحه وقتله. المقلة العين. يشبه الشاعر عيني المحبوب بالسيف، ويشبه عذاره (بالمثنى) بمجالة (بكسر الهاء): علاقة (بكسر العين) السيف. ثم يقول: المألوف أن السيف (هنا عيني المحبوب) هو الذي يقتل، ولكن أرى الآن أن حالة السيف (الشعر على خدي المحبوب) هو الذي يقتلني (بمعنى متيماً بحب صاحبها). فعلا مقتلتيك (عينيك): إيقاع الناظر في حبك ثم قتل الناظر إليك.

- * رأيتُ في خدّه عذاراً
قد كتَبَ الحُسنُ فيه سَطَراً:
(ويُولجُ اللَّيْلُ في النَّهَارِ)^(١)
- * أقبلَ في حُلّةٍ مُورَدَةٍ
تَحِبُّهُ كُلُّما أراقَ دمي
كالبدرِ في حُلّةٍ من الشَّقَقِ^(٢)
- * بعثتُ بِمِرْآةٍ إِلَيْكَ بديعةٍ
لتنظرَ فيها حُسنَ وجهك منصفاً
يَسحُ في ثوبِهِ طَبْيَ الحَدَقِ^(٣)
- * فأرسلَ بِذاك الحَدِّ لَحْظَكَ بُرْهَةً
لتنظرَ فيها حُسنَ وجهك منصفاً
فأطْلُعَ بِسامي أَفْهَها قَمَرَ السَّعْدِ^(٤)
- * مثالكُ فيها منك أَقربُ مَلَمَسا
وتعذّرني فيها أَكُنَّ من الوجدِ^(٥)
- * فأرسلَ بِذاك الحَدِّ لَحْظَكَ بُرْهَةً
لتنجني منه ما جَناه من الوردِ^(٦)
- * وأكثرَ إِحساناً وأبقى على العَهْدِ^(٧)

- كانَ أَحَدُ الفُقهاءِ قد سألَ أَبا بَكْرٍ الصَّابُويَّ الإِشْبِيلِيَّ أَن يَنْظِمَ لَهُ شَيْئاً يَتَعَلَّقُ
بِما يَجُوزُ مِنَ البَيْعِ وبِما يُعَدُّ مِنَ البَيْعِ رَبّاً^(٨). فقالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّابُويُّ (الذَّيْلُ والتَّكْمِلَةُ
: ٦٠ : ٦)

- (١) عذار (راجع الحاشية السابقة). خلع فلان العذار (الرسن): اندفع في طلب الشهوات جهراً بلا حياء .
- (٢) في القرآن الكريم (١٣ : ٦١، سورة الحج): « ذلك بأن الله يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ». يُولج: يدخل أحدهما في الآخر كلما زاد ضوء النهار نقص ظلام الليل، وكلما راد ظلام الليل نقص ضوء النهار. يشبه الشاعر وجه المحبوب بالنهار لبياضه، ويشبه عذار المحبوب بالليل لشدة سواده.
- (٣) حُلّة: ثوب. مُورَدَة (ذات لون أحمر). الشَّقَق: اللون الأحمر على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.
- (٤) أراق: سفك، أسال، أجرى - كلما جرحني المحبوب وهو ينظر إليّ. الطَبْيَة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. الحَدَقَة: العين. - أنّ اللون الأحمر في ثوبه من كثرة ما مسح أجفانه بثوبه بعد تكرار النظر إلى المحبين وجرحهم بسيوف عينيه.
- (٥) فاطلع بسامي أفهها (في الجزء الأعلى من المرأة) قمر السعد (وجهك).
- (٦) كن الرجل الشيء وأكثته: ستره. الوجد: الحزن (وَألم الحب).
- (٧) برهة: مدة. لتجني: تطفط (تستع). منه (من خدك). ما جناه: ما أجرم فيه (ارتكب جناية) من اكتسائه بدماء الماشقين.
- (٨) فيها (في المرأة). أقرب ملمساً (أكثر ثباتاً، لا يتغير) وأكثر إحساناً (إلى الناس لأنّ خيالها في المرأة لا يستطيع أن يؤدي أحداً، إذ لا يراه أحد غيرك). وأبقى على العهد (٤).
- (٩) الربا: استبدال عرض (سلعة) بمرض مثله (مال بمال، حنطة بحنطة، تمر بتمر، الخ) بنسيئة (بتأخير في ردّ الدين) وبزيادة في القدار (مائة دينار مكان سبعين ديناراً أو ستّة أرطال تمر مكان خمسة أرطال تمر).

إِمَّا أَرَدْتَ صَحِيحَ الْبَيْعِ تَعَلَّمَهُ
 مِنْ جَنْسٍ فَاسِدٍ فَاسْتَفْتِنِي وَاسْلُ (١)
 إِنْ وَافَقَ الثَّمَنُ الثَّمُونَ فَأَجْتَمَعَا
 فِي الْجَنْسِ كَانَا عَلَى قَسَمَيْنِ فِي الْعَمَلِ (٢) :
 فَإِنْ يَكُنْ رَبَوِيًّا لَمْ يَجْزْ أَبَدًا
 - إِذَا تَفَاضَلَ مَنِيًّا إِلَى أَجَلٍ (٣) - ،
 وَإِنْ يَكُنْ ضِدًّا هَذَا، فَلْتَكُنْ أَبَدًا
 مِنْ أَنْ يُبَاعَ بِتَأْخِيرٍ عَلَى وَجْهِ (٤) .
 وَبَعْدَهُ تَقْدِيمًا بِفَضْلٍ أَوْ مُثَالَةٍ ،
 وَأَسْأَلُكَ سَبِيلِي؛ فَهَذَا أَوْضَحُ السُّبُلِ (٥) .
 وَإِنْ هُمَا أَفْتَرَقَا فِي الْجَنْسِ وَاخْتَلَفَا
 لَمْ يَخْلُوا أَنْ يَكُونَا سَاعَةً الْبَسَدِ (٦)
 إِمَّا طَعَامَيْنِ أَوْ عَيْنَيْنِ قَدْ حَضَرَا
 أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، هَذَا الرَّأْيُ لَمْ يَفْعَلْ (٧) .
 فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ عَيْنًا لَمْ يَكُنْ أَبَدًا
 فِيهِ النِّسَاءُ بِوَجْهِ فَاعْتَقِلْ هَمَلٌ (٨)

(١) البيع الصحيح: الجاري على قواعد الشرع الإسلامي (تفصيل ذلك في الأبيات التالية).

(٢) إذا وقع الاتفاق على ثمن بضاعة وكان الثمن والبضاعة من جنس واحد (أي بيع نوع من التمر بنوع آخر من التمر) فذلك وجهان.

(٣) البيع الربوي (راجع الحاشية بمقدمة هذه المقتوعة). تفاضل الشيطان: زاد أحدهما على الآخر. المنسي (اقرأ: النسوة: المؤجل، المؤخر). لا يجوز بيع بضاعة بسعر أعلى من سعرها الحاضر احتجاجاً بأن ثمنها سيقبض بعد مدة.

(٤) وإذا لم يكن المقصود من البيع ربا (دينياً لعجز المشتري عن دفع الثمن فوراً) فاحرص على ألا تقبل بذلك (التأجيل في الدفع).

٤٥١. مع البضاعة نقداً بفضل (بزيادة في الثمن: ربحاً صافياً) أو مائلة (يمثل ثمنها).

٦١. وإذا كانت البضاعة مختلفة (في النوع من الثمن..... (راجع البيت التالي).

٧) (٨) إِمَّا أَنْ يَكُونَ الثَّمَنُ وَالْبُضَاعَةُ طَعَامَيْنِ (قَمْحاً وَقُرّاً أَوْ جَوْزاً وَلِهَا، الخ) أَوْ عَيْنَيْنِ (مَعْدِنَيْنِ مِنْ مَعَادِنٍ =

وَمِثْلُهُ كُلُّ مَطْمُومٍ سَمِعَتْ بِهِ،
فَلْتَسْرِ فِي أَثَرِي تَأْمَنَ مِنَ الزَّلْزَلِ^(١).
وَمَا عَدَا ذَلِكَ كَانَ الْبَيْعُ أَجْمَعَهُ
فِيهِ يَجُوزُ، فَلَا تَرْكَنُ إِلَى الْعِلَلِ^(٢).
إِلَّا إِذَا كَانَ مَا تُعْطِي إِلَى أَجَلٍ
مِنْ جَنْسٍ مَا يَفْتَدِي، فَأَحْذَرِ ذَلِكَ وَأَمْتَنِ^(٣).
أَوْ كَانَ أَكْثَرًا، وَلَمْ يَقْبِضْهُ مِنْكَ فَلَا
تَرُدُّهُ أَكْثَرًا نَسِيئًا. خُذْ بِذَا وَقُلْ^(٤).
وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ مَطْمُومًا وَيَقْبِضُ^(٥)
فَلَا تَرُدُّ طَعَامًا مُنْسَأً تُجِلُّ^(٦).
وَإِنْ يَكُنْ رَبَّوِيًّا فِي الطَّعَامِ فَلَا
تَرُدُّهُ مِنْ جَنْسِهِ، حَيَّتْ مِنْ رَجُلٍ^(٧).

-
- التقد أو العملة: ذهباً وفضةً) فيجوز تبادلها (بزيادة أحدها على الآخر؟) ولكن بلا تأجيل في الاستيفاء. فاعتقل همل (٩). اقرأ: اعتقد همل (تركبي للوجه الآخر: بيع فضة بذهب مع فضل - زيادة مقدار أحدها على الآخر - نقداً وفوراً جائز (٩). قال الرأي بغير: أخطأ.
- (١) ومن باب الاحتياط كل مطموم (مادة للطعام) تعامل معاملة القمح والتمر (راجع الحاشية السابقة). يرى نفر من الفقهاء أن كل طعام يبيع بطعام آخر مع فضل أو بزيادة أحدها على الآخر في المقدار فهو ربا. ويرى آخرون أن الربا خاص بالمواد الأساسية (لا تدخل فيها الفاكهة مثلاً).
- (٢) ما عدا ذين (هذين): الطعام والنفسد أو العملة فالبيع فيه جائز (متلاً وفضلاً: بشئ المثل أو بربح أكبر، ونقداً أو ديناً). لا تركز (تطمئن، تلجأ) إلى العلل (تخريج الأسباب).
- (٣) إلا إذا كان الثمن المؤجل من جنس البضاعة مع زيادة في مقدار أحدها (فهذا ربا): أربعة أروطال فصح بخمسة أروطال فصح بعد مدة.
- (٤) وكذلك إذا كانت البضاعة مما يؤكل، ولم يقبض منه فوراً، فلا يجوز أن تزيد في مقدار البديل (إذا كان ذلك البديل من جنس تلك البضاعة المأكولة ثم كان ذلك البديل أيضاً موجلاً إلى زمن لاحق).
- (٥) وإذا كانت البضاعة طعاماً وقبضته فوراً، فلا تردّ بدله طعاماً مثله منسأً (موجلاً) محل (يكن ذلك منك حيلة؟)، فهذا أيضاً ربا.
- (٦) وإذا استدان رجل طعاماً على أن يؤدي فيها بعد بدله طعاماً مثله فلا يجوز أن يكون في البديل زيادة في المقدار.

وفي الزيد على البتاع تقيضه

على الإقالة أضل غير ذي دخل^(١).

- ولأبي بكر بن الصابوني موشحة حسنة مطلقها والبيت الأول منها (نفع الطيب

(١٠: ٧):

قسماً بالهوى لـذي حجرٍ ما لليل المشوق من فجر^(٢).

★ ★ ★

خمد الصبح ليس يطرد.

ما لليلي فيما أظن غداً.

صح، يا ليل، أنك الأبد.

أو تقضت قوادم السر فنجوم السماء لا تسري^(٣).

- وله موشحة غير هذه منها (نفع الطيب (٧: ١١):

ما حال صبّ ذي ضنى وأكتئاب أمرضه، يا ويلته، الطيب^(٤)

عامله محبوبه بأجتنا ب ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب^(٥)

★ ★ ★

(١) الإقالة: الرجوع عن البيع (أو الشراء). الدخل: الفساد، والعيب والريبة. - إذا اتفق بائع ومشتري

على ثمن بضاعة ثم رأى أحدهما أن يرجع عما كانا قد اتفقا عليه، فلا مانع من أن يدفع الناقل

(الراجع عن الاتفاق) مبلغاً هو تعويض أو غرامة.

(٢) الحجر (بالكسر): العقل. في القرآن الكريم (٨٩: ٥، الفجر): «هل في ذلك قسم لذي حجر».

(٣) خمد: سكن، هداً (لم يتحرك). تقضت: انقطعت. القوادم: الريش الكبار في جناح الطائر. السر:

مجموعتان من النجوم (النسر الطائر والسر الواقع). تسري (هنا): تجري. يقول الشاعر: لعل الريش

الكبار في جناح النسر (الذي في السماء) قد قصت فهو لا يتحرك (ولا تتحرك النجوم معه)، ولذلك

استمر الليل نازلاً لا يطلع صباحه.

(٤) الصبّ: الحبّ (الذي صبا: مال إلى المحبوب). الضنى: المرض الذي يخشى منه الهلاك. أمرضه

الطبيب (أي الحبيب الذي يملك شفاءه، إذا عطف حبيبه عليه).

(٥) الاجتناب: الهجران. الكرى: النوم. اقتدى الكرى بالحبيب (النوم هجر الحب الماشق كما هجره

المحبوب).

جفا جُفوفي النومُ لكَسَنِي لم أبكِه إلا لِفَقْدِ الحَيَالِ^(١).
وذو الوصالِ اليومَ قد غرَّني منه كما شاء وشاء الوصالِ^(٢).
فلستُ بالسلامِ مَنْ صَدَّني بصورةِ الحقِّ ولا بالمُحالِ^(٣).

٤-★★ المغرب ١: ٢٦٣، تحفة القادم ١٦٦، القدح المعلّى ٦٩ - ٧٢، الذيل والتكملة ٦:
٥٩ - ٦٠ (رقم ١٢٩)، فوات الوفيات ٢: ٢٠٩ - ٢١٠، الوافي بالوفيات ٢:
٩٩ - ١٠٠، نفع الطبيب ٣: ٥١٨ - ٥١٩، ٤: ١٥٩ - ١٦٠، ٧: ١٠ - ١١،
الأعلام للزركلي ٦: ٢١٥ (٥: ٣٢٠).

ابن نعيم الحضرمي

١- هو أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، وُلِدَ بُعِيدَ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في تونس. وفيها نشأ وتصدّر للتدريس. كان مُشْرِفاً في بجاية أيامَ واليها السيد ابن عمران الموحدي. ثم إن يحيى بن عابنة^(١) استولى على بجاية (٥٨٠ هـ). وفي شهر صفر من العام التالي (أيار - مايو ١١٨٥ م) استردّ المنصور الموحدي بجاية وأخذ من أنصار ابن غانية أسرى كان فيهم السيد ابن عمران والشاعر ابن نعيم الحضرمي. وقد اتَّفَقَ لابن نعيم - وهو أسير في سجنه - أن يُخَمِّسَ القصيدة المنفرجة^(٥). فيقال إن المنصور الموحدي^(٦) رأى في منامه الرسول يطلبُ

(١) الخيال: المنام، الرؤيا. لم أهن لأن النوم جفافي (فارقي)، ولكن حزنت لأن مفارقة النوم لي منعتني من أن أرى حبيبي في منامي.

(٢) ذو الوصال (المحبوب الذي يملك أن يعطف عليّ) قد غرّني (تظاهر بأنّه يعطف عليّ).

(٣) لا ألوم الذي صدّني (ردّني عن وصال الحبيب)..... (٤).

(٤) يحيى بن علي بن يوسف الموسوي المعروف بابن غانية (ت ٥٤٣ هـ). وغانية أمّه، وكانت إحدى قريبات يوسف ابن تاشفين أوّل سلاطين المرابطين. ولآه المرابطون، في أيام دولتهم على عدد من المدن في المغرب وفي الأندلس. ولما سقطت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحدين ظلّ على ولائه للمرابطين وقاوم الموحدين.

(٥) القصيدة المنفرجة لابن التوزري النحوي (٤٥٣ - ٥٤٣ هـ راجع ترجمته).

(٦) المنصور الموحدي أبو يوسف يعقوب ثالث سلاطين الموحدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

منه إطلاق سراح ابن نعيم . وأستيقظ المنصور من منامه في جوف الليل وأمر بإطلاق ابن نعيم مكرماً .

وكانت وفاة ابن نعيم الحضرى في قسطنطينة في سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م) .

٢- كان ابن نعيم الحضرى أديباً ناثراً وناظماً ، كما كان من الفقهاء . وقد اشتهر بتخميس القصيدة المنفرجة . ومع أن التخميس أقل طلاوة من القصيدة الأصلية ، فإن الروح الدينى والسهولة في التعبير ظاهران عليه .

٣- مختارات من شعره :

- من تخميس المنفرجة :

لا بُدَّ لِضَيْقِي مِنْ فَرْجٍ وَالصَّبْرُ مَطِيَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ (١)
وَبِدْعُوهُ أَحَدًا فَأَبْتَهَجَ (أَشْتَدِّي، أَرْمَةِ، تَنْفَرِجِي) (٢)
قَدْ آذَنَ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ (٣) .

يَا نَفْسُ، رُوَيْدَكَ: لَا حَرْجَ وَثَقِي بِاللَّهِ . عَسَى فَرْجٌ (٤) .
وَكَذَا مَا ضَاقَ لَهُ فَرْجٌ ، (وِظْلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُرْجٌ
حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرْجِ) (٥) .

فَلِكُلِّ مُحَاوَلَةٍ قَدَرٌ وَقَضَا لَا يَدْفَعُهُ حَذَرٌ

- (١) مطية: دابة للركوب (وسيلة). النجي (بلا تشديد أو بتشديد): الحزين والذي أثقله الهم.
(٢) أحد = محمد رسول الله. ابتهج: فرح. أزمة: شدة. وحق = أزمة = (هنا) البناء على الضم (لأنها منادى مقصود بالتداء)، والرواية بالنصب.
(٣) البلج (بفتح ففتح) مصدر من بلج (بفتح فكرر) وجهه: أشرق سروراً. والشاعر يقصد ظهور النور في الصباح (بعد انقضاء الليل)، وهذا هو البلوج من الفعل بلج (بفتح فكرر).
(٤) رويدك: مهلاً. المرحج: الضيق.
(٥) السرج (جمع سراج)، هنا: كناية عن النجوم. أبو السرج: الشمس. - يظل في الليل (في أيام الشدة) نجوم (أمل بالنور وبالفرج) حتى يطلع أبو السرج أو الشمس (الفرج الكامل).

وَرُجُوعُكَ عَنْ هَذَا غَرَرٌ. (وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهُ مَطَرٌ
فَإِذَا جَاءَ الْإِنَانُ يَجِي) (١).

تَنْوِيضُكَ لِلرَّحْمَنِ رَجَاءٌ. كَمْ جَاءَ صَبَاحٌ بَعْدَ دُجَى (٢) !
وَيَكُونُ الصَّبْرُ لَهُ دَرَجَاتٌ. (وَرِضَاً بِقَضَاءِ اللَّهِ حِجَى (٣)
فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ نَفْعٌ) (٤)

فَتَحَرَّ بِمَا تَلْقَى رَشْداً لَا يَمْضِي عَمْرُكَ عَنْكَ سُدَى (٥)،
وَاقْطَعْ أَيَامَكَ مُجْتَهِداً (وَإِذَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هُدَى
فَاعْجَلْ لِخَزَائِنِهَا وَلُجْ) (٦).

٤-★★ عنوان الدراية ٢٧١ - ٢٧٨.

أبو الحجاج الإشبيلي الطبيب

١- هو أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلي، من أهل إشبيلية، رَحَلَ إِلَى
مِصْرَ، لَمَّا اضْطُرِبَتِ الْأَنْدَلُسُ بِثَوْرَةِ ابْنِ هُوْدٍ، سَنَةَ ٦٢٥ هـ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ نَجَاحاً.
عَظَفَ عَلَيْهِ جَمَالُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ يَغْمُورَ بْنِ جَلْدَكٍ (١) الْمَغْرِبِيِّ فَجَعَلَهُ مُشَارِكاً مَعَ أَطْبَاقِهِ
الْمَارِسْتَانِ (المستشفى). كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَجَّاجِ الْإِشْبِيلِيُّ طَبِيباً. وَيَبْدُو أَنَّ أَهْتَامَهُ بِالْأَدَبِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ
أَهْتَامِهِ بِالطِّبِّ. كَانَتْ لَهُ قِصَائِدٌ وَمَوْشَحَاتٌ. وَكَانَ شِعْرُهُ سَهْلاً وَاضِحاً الْمَعَانِي عَلَيْهِ

(١) الْإِنَانُ: الزَّمَنُ، الْوَقْتُ (كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ فِي وَقْتِهِ).

(٢) الرَّحْمَنُ: اللَّهُ تَعَالَى. الدُّجَى جَمْعُ دَجِيَّةٍ (بِالضَّمِّ): الظُّلُمَةُ (بِالضَّمِّ).

(٣) دَرَجٌ: تَدْرَجٌ (وَسِيلَةٌ إِلَى الِارْتِقَاءِ أَوْ إِلَى الْوَصُولِ). الْحِجَى (وَالْأَصُوبُ الْحِجَا): الْعَقْلُ.

(٤) الْمَرْكُوزَةُ (الْثَابِتُ مِنَ الْإِعْتَادِ عَلَى قِضَاءِ اللَّهِ). عَاجٌ عَلَى الْمَكَانِ: عَظْفٌ، مَالٌ إِلَيْهِ (التَّجَا).

(٥) تَحَرَّى فِي الْأُمُورِ: قَصَدَ أَفْضَلَهَا وَدَقَّقَ فِيهَا.

(٦) الْخَزَائِنُ (هُنَا): الثَّرَوَاتُ (بِفَتْحٍ فَتَحَتْ) الرُّوحِيَّةُ. وَلُجٌ: دَخَلَ.

(٧) جَمَالُ الدِّينِ بْنُ يَغْمُورَ رَئِيسُ الدِّهَارِ الْمِصْرِيَّةِ (نَفَحَ الطَّبِيبُ ٢: ٣٦٨) وَهُوَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ

مُوسَى بْنُ يَغْمُورَ بْنِ جَلْدَكٍ (نَفَحَ الطَّبِيبُ ٢: ١١٢).

مسحة من المرح. وكان مُصنِّفاً لعددٍ من الكتب.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحجاج الإشبيلي في الغزل الصريح:

فَقَطَمْنَا اللَّيْلَ بِالسَّهَرِ ^(١)	أَنْجَزَتْ وَعَدِي عَلَى غَرَرٍ
مَرُّهُ وَسَوَاسٍ مِنَ الْفِكْرِ ^(٢) .	فِي حَدِيثٍ لَا يُكْذَرُهُ
بِتُّ فِي رَوْضِ النَّدى الْعَطِرِ ^(٣) .	وَكَأَنِّي إِذْ أَضَاجِمُهُمَا
خَلَّتْهُ مِنْ نَسْمَةِ السَّحَرِ ^(٤) .	فِي خِتَامٍ مِنْ تَعَانِقِهَا
تُبْقِي مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَذَرِ ^(٥) .	فَدَعَتْني لِلودَاعِ فَلَمْ
وِغْرَابُ اللَّيْلِ لَمْ يَطِيرِ ^(٦) .	قُلْتُ: مَاذَا السَّيْرُ فِي عَجَلٍ
بِفَنُونِ النَّورِ وَالزَّهْرِ ^(٧) .	فَانْتَشَتِ كَالْفُضَى مُشْتَبِلًا
وَدَلَالٍ غَيْرِ مُعْتَذِرِ ^(٨) .	ثُمَّ قَالَتْ قَوْلَ ذِي غَنَجٍ
قَبْلَ شَوْبِ الصَّفْوِ بِالْكَدْرِ ^(٩) .	قُمْ قَوْدَعٌ غَيْرَ مُنْتَقِدٍ
ثُمَّ لَا تَأَلَّ عَنْ الْخُسْرِ!	فَتَعَانَقْنَا لِفُرْقَتِنَا

- وقال في مصر (بأسف لِقلة نجاحه فيها):

-
- (١) الغرر: التعرُّض للهلاك (والخطر).
(٢) الوسواس: الفكرة (التي تنذر بوقوع السوء: الخوف من مجهول).
(٣) بات: قضى الليل. الندى: الليل، النض، الطري.
(٤) ؟
(٥) يذر (يفتح ففتح): يترك (ولا يقال من هذا الفعل وذر ولا يقال واذر). - أتلقت نفسي لما طلبت مني فراقها (أن أذهب كيلا نحدث فضيحة).
(٦) غراب الليل (سواد الليل) لم يطر (لم يذهب) - لا يزال الليل مظلماً والصبح بعيداً.
(٧) انتشت: التفتت، مالت (إليّ). النور (بالفتح): الزهر الأبيض.
(٨) قول ذي غنج غير معتذر (ممتنع عما طلبت منها).
(٩) قم قودع (قبل ذهابك.... مرة ثانية). قبل شوب (خلط) الصفو بالكدر (قبل أن يراك أحد فيحدث ما لا محمد عقباه لي ولك).

أصبحت في مصر مُستضاماً
واضيعة العمر في أخير
بالجد رزق الأنام فيهم
لا تبصر الدهر من يراعي
أود من لؤمهم رجوعاً
للغرب في دولة ابن هود^(٥)
أرقص في دولة القروذ^(١)
مع النصارى أو اليهود^(٢)!
لا بذوات ولا جُود^(٣)
معنى قصيد ولا قصود^(٤)
للهرب في دولة ابن هود^(٥)
- وله من موشحة:

فقم نياكرها للصباح^(١)
والشهب تنثر من خيط الصباح^(٧)

- (١) استضام فلان فلاناً: ضامه (ظلمه ونقصه شيئاً من حقه). أرقص في دولة القروذ (أخدم أناماً أقل مني قيمة ومكانة).
- (٢) في أخير (في آخر العمر). مع النصارى أو اليهود (كان النصارى واليهود كثيرين في المارستانات المستشفيات حيث كان الشاعر يعمل).
- (٣) الجد (بالفتح): الخط. الذوات جمع ذات (شخص الإنسان): قيمة الفرد بالنظر إلى الفرد نفسه. الجود جمع جد (بالفتح) أبو الأب (أي بالنسب الشريف).
- (٤) لا يراعي معنى قصيد (لا يفهم شعراً) ولا قصود (٤): جمع مقصد (بكسر الصاد) وقصد (بالفتح): المعنى، الغاية (ولا يفهم معنى الكلام العادي).
- (٥) للغرب (إلى الأندلس) في دولة ابن هود - المتوكل محمد بن يوسف بن هود المستبد بأمر مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) تم استولى على عدد كبير من المدن الأندلسية ووقعت في أيامه حروب كثيرة مع الموحدين ومع عدد من الأمراء المستبدين. وجاء في «نفع الطيب» (١: ٢١٥):
- «.... إلى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل، ووجد قلوباً منحرفة عن دولة برّ العدو (بضم العين أو بكسرهما: المغرب، دولة الموحدين) مهتأة للاستبداد فملكها بأمر محاولة، مع الجهل المفرط وضعف الرأي. وكان مع العاتة كأنه صاحب شعوذة: يثني في الأسواق ويضحك في وجوههم ويباردهم بالسؤال. وجاء للناس منه ما لم يعتادوه (اقرأ: يتمودوه) من سلطان. فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء..... قال ذلك إلى تلف القواعد (المدن) العظيمة... وخروجها من يد الإسلام». وفي نفع الطيب أيضاً (٤: ٦٥ - ٦٦): «ودخل العدو كورة ماردة (وقد أخذها) من يد محمد بن هود سنة ست وعشرين وستائة، وكانت مفتتح المصائب على يده.....»
- (٦) نياكرها (نياكر الخمر) نشربها باكراً. الاصطباح: شرب الخمر في الصباح.
- (٧) الشهب (والشاعر يقصد النجوم) تنثر من خيط الصباح (يشبه الشاعر الصباح بملك أو شبكة تجمع فيها النجوم ثم تغيب فجأة) مع انتشار الضوء بعد طلوع الفجر - ولكن الصورة الطبيعية غير صحيحة. كان يجب أن يقول: «والشهب يخفيها ضياء الصباح».

والْقَضْبُ تَرْقُصُ فِي أَيْدِي الرِّيحِ^(١)
 عَلَى غَنَاءِ الْحَمَامِ وَالْكَأْسُ ذَاتُ ابْتِسَامٍ
 وَالظَّلَامُ قَتِيلٌ وَالصَّبْحُ دَامِي الْحَسَامِ^(٢).

٤-★★ المغرب ١: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٢٧٦ - ٢٧٧ القدح الملقى ١٦١ - ١٦٤ نفع الطيب ٢:
 ١١١ - ١١٢، ٦٦٣ - ٦٦٤ الأعلام للزركلي (٨: ٢٤١).

ابن خَبَازَةَ الحَطَّايِي

١- هو أَبُو عمرو مَيْمُونُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْحَطَّايِي المعروف بِابْنِ خَبَازَةَ،
 أصله من قبائل صِنْهَاجَةٍ. كان مَوْلَدُهُ في فَاسَ، نَحْوَ ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م). وقد تَوَلَّى،
 في أواخر أيامِهِ، حِسْبَةَ الطَّعَامِ في مَدِينَةِ مَرَاكُشَ. وكانت وفاته في الرباط، سَنَةَ
 ٦٣٧ هـ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م).

٢- كان ابنُ خَبَازَةَ الحَطَّايِي شاعراً مُكثِراً مُطَبِّلاً سَهَلَ الْقَوْلَ مَتِينَ التَّعْبِيرَ سَرِيعَ
 الْبَدِيهِ في النَّظْمِ والنَّثْرِ. وأبرزُ فنونه المَدائِحُ النَّبَوِيَّةُ. فبَدِيعَتُهُ الْيَائِيَّةُ « حَقِيقُ
 عَلَيْنَا أَنْ نُجِيبَ الْمَعَالِيَا » يَأْتِي وَثْنَانِيَّةً وَأَرْبَعُونَ بَيْتاً بِمِثْلِ مُضَمَّنٍ. وله شيءٌ من
 الرِّثَاءِ والتَّصَوُّفِ والوَعظِ، وله ترسُّلٌ أيضاً.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ميمونُ ابنُ خَبَازَةَ الحَطَّايِي في مديحِ الرسول:

حَقِيقُ عَلَيْنَا أَنْ نُجِيبَ الْمَعَالِيَا لِنُفْنِيَنَّ فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا.
 فَأَلْسُنُ أَرْبَابِ الْبَيَانِ صَوَارِمٌ مُضَارِبُهُا تُنْسِي السُّيُوفَ الْمَوَاضِيَا^(٣).

(١) القضب (جمع قضيب): أغصان الأشجار.

(٢) الحسام (السيف). يقول الشاعر: إِنَّ الصَّبْحَ قَتَلَ اللَّيْلَ فَظَهَرَ دَمُ اللَّيْلِ (الفجر) على حِصَامِ الصَّبْحِ (الأفق الشرقي).

(٣) أرباب (أصحاب) البيان (المقدرة على قول الشعر والنثر الواضحين البليغين). الصارم: السيف. مضرب السيف. السيوف المواضيا (هنا) سيوف الأبطال الماضين (٤).

لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحَدٍ أَجْمَأَ .
فلا مدحَ إِلَّا للذي بمدحه
رسولُ بَرَأَ اللهُ مِنْ صَفْوِ نَوْرِهِ
وما زال ذاك النورُ من عهدِ آدمِ
وَأَيَّامُهُ جَلَّتْ عَنِ الْعَدَا كَثْرَةُ
وَأَعْظَمُهَا الْوَحْيُ الَّذِي خَصَّهُ بِهِ
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَيَانِ بِأَسْرِهِمْ
وجاء به وَخِيّاً صريحاً يَزِيدُهُ
تَضَمَّنَ أَحْكَامَ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِمَا
وَأَخْبَرَ عَمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ:
وَوَافَقَ أَخْبَارَ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ
وما كتبتُ يُمْنَاهُ يَوْماً صَحِيفَةً
تَلُوحُ فَتَجَلُّو مِنْ سَنَاءِ الدَّهَاجِيا^(١).
تُطِيعُ إِذَا مَا كُنْتُ بِالْمَدْحِ عَاصِياً^(٢).
وَأَلْبَسَهُ بُرْدًا مِنَ النُّورِ صَافِياً^(٣).
يُنِيرُ بِهِ اللهُ الْعَصُورَ الْخَوَالِيا^(٤).
فَمَا تَبْلُغُ الْأَقْوَالُ مِنْهَا تَنَاهِياً.
فَبَلَّغَ عَنْهُ أَمراً فِيهِ نَاهِياً^(٥).
فَكُلُّهُمْ أَلْفَاهُ بِالْعَجْزِ وَانِياً^(٦).
مَرُورُ اللَّيَالِي جِدَّةٌ وَتَعَالِياً.
وَعَمَّ الْقَضَايَا مُثَبَّتاً فِيهِ نَافِياً^(٧).
يُرَى مَاضِياً أَوْ مَا يُرَى بَعْدَ آتِياً:
وَتَمَّ بِالْغَايَاتِ مِنْهُ الْمَبَادِياً.
وَلَا رِيءَ يَوْماً لِلصَّحَافِ تَالِياً^(٨).

٤-★★ أزهار الرياض ٢: ٢٧٩ - ٢٩٢؛ الأدب المغربي ١٩٩ وما بعد؛ النبوغ المغربي ١٧٠، ٤٠٦ - ٤١٢ (التعداد الثاني) وما بعد، ٨٥٨ - ٨٦٨، ٩١٢، ٩٢٩ - ٩٣٣؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٠٠. (٧: ٣٤١).

- (١) أحد = محمد رسول الله. السني: النور. الدياجي: الظلمات.
- (٢) لا مدح ذو قيمة إِلَّا بمدح طيع الله به (تكون به صادقاً = مدح رسول الله)، إذا أنت كنت يوماً عاصياً بمدح نفر من الناس (وكذبت في مدحهم).
- (٣) براه الله (خلقه). البرد: الثوب.
- (٤) في الخبر أن النور كان قد قسم بين آدم وحواء ثم افترق في أجيال البشر. بعدئذ وصل الجانب الذي كان في آدم من النور إلى عبد الله بن عبد المطلب، ووصل الجانب الآخر الذي كان في حواء إلى أمّة بنت وهب. فلما تزوج عبد الله بن عبد المطلب أمّة بنت وهب ثم كانت ولادة محمد (صلى الله عليه وسلم) من هذا الزواج اجتمع ذلك النور في محمد.
- (٥) الوحي الذي خصّ الله محمداً به (القرآن الكريم). عنه (عن الله).
- (٦) ألفى: وجد. الوافي: الضميف، التمث (يفتح فكس).
- (٧) مثبتاً (أمراً بالقيام بما يجب عمله) ونافياً (ناهماً عن فعل ما لا يجوز فعله).
- (٨) الصحيفة: الورقة المكتوبة (الكتاب). ريه (رئي): «رأى» مبنية للمجهول. التالي: القاري.

عبي الدين بن عربي

١ - لمحي الدين بن عربي تَرْجَمَةٌ مُفَصَّلَةٌ في الجزء الثالث من هذه السلسلة، وأُحِبِّبْتُ أَنْ آتِيَ له بترجمة ثانية هنا لأنه ابن الأندلس برُغْمِ رحلته واستقراره في المشرق^(١).

هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من نسل عبد الله بن حاتم أخي أحمد بن حاتم البصري (ت ٢٣١ هـ) راوية الأصمعي.

وُلِدَ في مُرْسِيَّةَ في سابعَ عَشَرَ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٦٠ (١١٦٥/٧/٢٧ م) في الأغلب. وكان يُعْرَفُ بِأَسْمِ «ابن العربي» (بلام التعريف) وبأَسْمِ آيِنِ سُرَاقَةَ (عنوان الدراية ٥٦).

وَأَنْتَقَلَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ من مُرْسِيَّةَ، سَنَةَ ٥٦٨ ونَزَلَ في إشبيلية وَبَقِيَ فيها إلى سَنَةِ ٥٩٨ للهجرة. ولا شك في أَنَّهُ كان في تلك الأثناء يزورُ البُلْدَانَ التي حوَلَهُ، فقد سَمِعَ في قُرْبَطَةَ من أبي القاسم بن بَشْكَوَال (ت ٥٧٨ هـ) وغيره. ودخل بجاية (في القطر الجزائري) في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٩٧.

ويبدو أَنَّهُ بدأ حياته بالاتصال برجال الدولة، فقد كَتَبَ في الأندلس لبعض الأمراء ثم إِنَّهُ «تزوَّج مريمَ بنتَ محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجي»^(٢). وعند ذلك بدأ مجرى حياته يتغيَّرُ، وكان سببَ هذا التغيَّر ما كان يسمعه من مواعظ زَوْجِهِ^(٣) التي ضربت له المثلَّ الصالح في الورع. وكذلك أُلْحِتْ عليه أمُّهُ بالإقلاع عمَّا

(١) لقد اقتضى هذا النظر أن يكون لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ترجمة منفردة في الجزء الثاني من هذه السلسلة ثم ذكر على شيء من التفصيل في الجزء الرابع منها.

(٢) هذا المقطع مأخوذ برمته (بضم الراء) من «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف أغنل خنشالت بالنيثيا (نقله إلى العربية حسين مؤنس). وكان الناقل قد أهمل (في الطبعة الأولى) جميع الحواشي التي تذكر المصادر، بعد أن كان قد وضع لتلك الحواشي أرقاماً في المتن. وقد رأيت الناقل من عهد قريب وقال لي إِنَّهُ أعد طبعة ثانية وأنه قد أثبت الحواشي كلها، وأن الطبعة الثانية ستظهر قريباً جداً. ولكنني لم أر هذه الطبعة الثانية.

(٣) الزوج يقال للرجل والمرأة.

هو فيه. ثم أصابه مرضٌ فلَزِمَ الفراشَ مدَّةَ تراحتَ له في أثنائها مناماتٌ تَمَثَّلُ له فيها عذاب جهنم^(١). وتُوَفِّيَ أبوه - عليُّ بنُ العربي - في أعقاب ذلك، وكان (هو) قد أخبر أباه بيوم وفاته قبل حلول أجله بِخَمْسَةِ عَشَرَ يوماً. وتجمَّعت هذه العواملُ كلها ودَفَعَتْ بِمُحِبِّي الدين بنِ عربيٍّ في طريق الرُّهْد والتَّصَوُّف. (من أجل ذلك كلُّه) نراه، قبلَ سَنَةِ ٥٧٩ للهجرة (١١٨٤ م) - أي قبل وفاته أيَّه - قد سَلَكَ الطريقَ (طريق التصوُّف)^(٢).

ومنذُ ذلك الحين تَرَكَ ابنُ عربيٍّ مناصِبَ الدولة والإقبالَ على زهرة الحياة كُرْهاً بهذا المسلكِ في الحياة وزُهداً في الدنيا (راجع الذيل والتكملة ٦ : ٤٩٤).

وفي سَنَةِ ٥٩٨ للهجرة بدأ رحلته إلى المشرق (ولا نَعْلَمُ إذا كان قد عادَ من بجايةَ إلى إشبيليةَ أو أَنَّهُ اسْتَأْنَفَ الرحلةَ من بجاية). ودخل، في أثناء طريقه، بصرً ثم تابعَ سَيرَه إلى الحِجاز لأداء فريضة الحج. ومكثَ في مَكَّةَ سَنَتَيْنِ. وفي سَنَةِ ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ م) لَقِيَ نَفراً من حُجَّاجِ الأناضولِ (آسية الصغرى) الأتراكِ فرافقَهُم إلى بلادهم، بطريق بَغْدَادَ والمُوصِلَ، فوَصَلَ إلى مَلْطِيَّةَ في ذي القعدة من سَنَةِ ٦٠١ (تموز - يوليو ١٢٠٥ م).

وتردَّدَ ابنُ عربيٍّ في المشرق: حجَّ (٦٠٢ هـ = ١٢٠٦ م) ثم وجَدَنَاهُ في قونيةَ في الجنوبِ الغربيِّ من آسية الصغرى (سَنَةِ ٦٠٦) ثم في بَغْدَادَ بعدَ سنتين (نفع الطيب ٢ : ١٦٣) ثم في حَلَبَ (سَنَةِ ٦٠٩) ثم في الأناضولِ أيضاً (سنة ٦١٢)، في بَلَدَةِ آق سَراي، من أواسطِ آسية الصغرى، شَرْقَ بحيرة طوز، وفي سيواس، على نحوِ أربعمائة كيلومترٍ شرقَ أنقرة (سنة ٦١٢). ثم سكن مَلْطِيَّةَ (في الجنوبِ الشرقيِّ من آسية الصغرى)، وفيها وُلِدَ ابْنُهُ سعدُ الدينِ مُحَمَّدٌ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٨ (نفع الطيب ٢ : ١٧٠) ولعلَّ إقامته في مَلْطِيَّةَ لم تَطُلْ، فلقدِ انْتَقَلَ إلى دِمَشقَ (سَنَةِ ٦٢٠، في الأغلب)، إلَّا أَنَّهُ، على كلِّ حالٍ، كان مُستقراً فيها سَنَةَ ٦٢٧.

(١) نجد أشياء من هذه المنامات، ومن منامات أخرى، في «الفتوحات» ٤ : ٥٥٢ وفي «عنوان الدراية»

١٥٨، وفي «نفع الطيب» (٢ : ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٠).

(٢) بالنشأ ٣٧١ - ٣٧٢.

ولم تكن إقامة مُحيي الدين بن عربي في دِمَشقَ هادئةً مُطمئنةً، فإن أهل دِمَشقَ كانوا على سيرة السلف، بينما هو كان صوفيّاً متطرفاً مُجانِباً لسيرة السلف في تفكيره وفي كثير من جوانب حياته الشخصية.

وفي دِمَشقَ عُرِفَ ابنُ عربيّ (نفع الطيب ٢: ١٥٧) بلقب « سيدي مُحيي الدين » وبُنِسبته « ابن عربي »، بإسقاط لام التعريف، تمييزاً له من أبي بكر بن العربي الفقيه (ت ٥٤٣ هـ).

ثمّ بدا على حياته شيءٌ من الهدوء والتّفٍّ حوله نفَرٌ من الناس. وكانت وفاته ليلة الجمعة (يوم الخميس مساءً) في الثامن والعشرين من ربيع الآخر من سنة ٦٣٨ (١١/١٥/١٢٤٠ م) ودُفِنَ في سَفْحِ جبل قاسيون (في الغرب الشّامي من المدينة). وقبره قائمٌ هنالك إلى اليوم في مقام يُزار. ولا يزالُ الحيّ حوله يُعرفُ باسم « سيدي مُحيي الدين ».

٢ - اختلفَ الناسُ في مُحيي الدين بن عربيّ: مِنْهُمْ من عدّه في الأتقياء والأولياء، ومنهم من جعله في المُلحدّين المارقين. وإذا نحن رجَعْنَا إلى ما قاله هو في نثره وفي شعره رأينا في نثره وفي شعره « شطْحاً » كثيراً. والشطْحُ قولٌ يدلُّ ظاهره على الانحراف عن الشريعة ولا يسلّمُ بآطئه مع التأويل. من ذلك مثلاً قوله: إِنَّ إِيْمَانَ فِرْعَوْنَ كان إِيْمَاناً صحيحاً، ذلك لأنَّ فِرْعَوْنَ قد آمَنَ لَمَّا أيقَنَ بالهلاك وبدا له وجهُ الحقِّ. وقيل إنَّ ابن عربي كان يَرمِزُ بكلمةِ فرعونَ إلى « النفس »، إلى نفسه، ثمّ يستشهدون على ذلك بقوله (نفع الطيب ٢: ١٦٩)، وهو يَمَّا نَسَبَهُ إليه غيرُ واحدٍ (أي أكثرُ من واحد):

قلبي قُطِبي وقالبي أجفاني، سِرِّي خِضْرِي، وعَيْنُهُ عِرْفَانِي^(١).

(١) الخضر (يفتح فكسراً) أو بكسر فسكون - وقيل بفتح وسكون. والعامة يقولون: « خضر » (بضمّ ضمّ): قيل فيه رجل صالح عاصر موسى عليه السلام، وأنكر آخرون وجوده (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٨٣ - ١٨٥). ومن الأسلم ألاّ نهتَرَ هذين البيتين.

روحي هرون، وكليمي موسى، نفسي فرعون، والهوى هاماني^(١).

ففي هذين البيتين يُمكنُ أن يتأتى الدفاع عن جميع التعمير إلا عن تعبير واحد: «كليمي موسى». إن موسى كلم الله، ولا يجوز لأحد أن يدعي مثل هذا التعبير، مهما يَنْتَجِلُ لنفسه من الأعدار البلاغية والرمزية.

ولا ريبَ في أن مُحيي الدين بن عربي كان من الذين لا يأمنون على أنفسهم في الدولة الإسلامية التي تُقيم شرائع الإسلام وحدوده، وكان ابن عربي أشدَّ خوفاً على نفسه من جميع هؤلاء. من أجل ذلك لم تكن رحلة ابن عربي إلى المشرق حباً بالرحلة فقط، بل خوفاً على النفس أيضاً. أورد ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) في كتابه «وفيات الأعيان» (٧: ١١) هذا المقطع:

«وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور^(٢) يُشدُّ في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس؛ وقتل في بعض الأحيان^(٣) على شرب الخمر، وقتل العمال^(٤) الذين تشكو الرعايا منهم. وأمر برفض فروع الفقه^(٥) وبأن العلماء لا يُفتون إلا بالكتاب والسنة ولا يُقلِّدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم مما يُؤدِّي إليه أجتهاذهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس^(٦). ولقد أذكرنا جماعة من مشايخ المغرب^(٧) وصلوا إلينا، إلى

(١) هرون أخو موسى بن عمران. وهامان: وزير فرعون.

(٢) هو يعقوب المنصور ثالث سلاطين الموحِّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٣) في بعض الأحيان (يقصد في عدد من المرات).

(٤) العامل، في الأصل، هو المكلف بجمع الزكاة (وجميع أموال الضرائب).

(٥) في هذه الجملة «وأمر برفض فروع الفقه» نقص أدنى إلى غموض (إذ فروع الفقه: الصلاة والصوم، الخ). وهذا الغموض تبيَّنه الجملة التالية: «وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) ولا يُقلِّدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين». بمعنى ذلك: الرجوع في فروع الفقه (العبادات والمعاملات) إلى القرآن والحديث فقط من غير تقييد في ذلك بما قاله أصحاب المذاهب (أبو حنيفة ومالك الخ) مما هو آراءهم.

(٦) مصادر التشريع في الإسلام أربعة: الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) والإجماع (اتفاق أهل الحل والعقد على أمر لم يرد في القرآن والحديث خلافاً). القياس: النظر بالعقل والمنطق من مسلم كعض في أمر (لم يرد فيه حكم في الكتاب والسنة ثم لم يتم فيه إجماع) بالتنظير بين ذلك

البلاد، وهم على ذلك الطريق^(١) : مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمر^(٢) ومُحَيِّي الدين بن عربي نزيل دمشق وغيرهم. و (كذلك) كان (أبو يوسف يعقوب) يُعاقِبُ على ترك الصلاة ويأمرُ بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو استغفل (في وقتها) بمعيشته عزَّره تَعزِيراً شديداً^(٣).

ولا شك في أن آبن خلَّكان قد عَنَى بقوله: «وهم على ذلك الطريق» (ولم يقل على هذا الطريق)، الطريقُ المُخالف للطريق الذي اتَّبعه الأميرُ أبو يوسف يعقوبُ.

والشُّطْحُ في آثار آبن عربي كثيرٌ جداً، كقوله مثلاً: الوليُّ خيرٌ من النبي. أو كقوله أيضاً: «من قال: «لا إله إلا الله فقد كَفَرَ» (وكان الواجب أن يقول: «لا موجود إلا الله»)). وكلُّ هذا الشطح مُخالف للإسلام ومُخالف للعقل والمنطق ومُفسدٌ للوِازِع الاجتماعي (مُقلقٌ لا طمَننانٍ للجماعات).

وكان آبن عربي مُصنِّفاً مُكثِراً، قيل بَلَغَتْ تصانيفُه نيفاً وأربعمائة (نفع الطيب ٢: ١٧٧) أوردَ آبن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) عدداً كبيراً منها (الذيل والتكملة ٦: ٤٩٤ - ٤٩٦). وأكثرُ عناوين هذه الكُتُب تجرِي مجرى الرمز، منها: مِفْتَاح السعادة في المدخل إلى طريق الإرادة - الجَلَا في استئزال رُوحانياتِ الملأ الأعلى - كشف المُعَمَّى عن سِرِّ الأسماء الحُسنى - إنزال الغيوب على مراتب القلوب - مُشاهداتُ الأسرار القدسيَّة - مِفْتَاح أَقْفال الإلهام الوحيد - الفُتُوحاتُ

الأمر وأمر آخر يشبهه أو يعرِّبه وورد فيه حكم في الكتاب أو في السَّنة (هناك شروط لهذه كلها، راجع موجزاً لها في كتاب «فلسفة التشريع في الإسلام» للدكتور صبحي الحمصاني، بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة مثلاً - ١٣٨ هـ = ١٩٦٦ م، ص ١٤٤ - ١٨١).

- (١) من المشتغلين بالأمر الشرعي.
- (٢) على الاهتمام بأراء أصحاب المذاهب والأخذ بأحكامهم ومراعاة خلافاتهم.
- (٣) ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) محدث فقيه ومؤرِّخ وأديب كان كثير البحث في الخلاف الفقهي بين الأئمة. وهو صاحب كتاب «المطرب» (راجع ترجمته في هذا الجزء). ثم يأتي أخوه أبو عمر عثمان بن الحسن بن دحية (ت ٦٣٤ هـ) - وكان أسن من أخيه أبي الخطاب (راجع وفيات الأعيان ٣: ٤٥٠).
- (٤) عزَّره: أذنبه، وبَّغعه وعاقبه عقاباً أقل من الحدِّ الشرعي (أقل من القتل أو الجلد).

المَكِّيَّة - القَسَمُ الإِلَهِيّ بالاسم الربّاني - الجدّاول والدوائر - تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ^(١) - أَلَهُوْ (هُوَ مُحَلَّلَةٌ بِلَاِمِ التّعريف) - القديم - القِدَم - الرقيم - العَيْن - الرمز - كُنْ^(٢) - الثوائي - الخزائن - النصل - المُوْمَن والمُسلم والمُحْسَن - الأنفاس والروائح - الأرواح - زيادة الكبد - العرش - الهباء - التِسْعَةُ عَشَرَ^(٣) - الإنسان الكامل.....

ويبدو بوضوح أَنَّ مُحْيِيَّ الدِّينِ بَنَ عَرَبِيٍّ كَانَ أَكْثَرَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُسْلِمِينَ أَطْلَاعاً عَلَى أَشْيَاءٍ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْقَدِيمَةِ (اليونانية خاصةً). من أجل ذلك، فيما يبدو أيضاً، عُرِفَ بِأَلْقَابٍ مِنْهَا: الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ والكَبِيرُ الْأَحْمَرُ^(٤) وابن أفلاطون. غير أَنَّ الَّذِي فِي آراءِ أَبِي عَرَبِيٍّ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْقَدِيمَةِ إِنَّمَا هُوَ لَفَتَاتٌ عَلَى غَيْرِ مِنْهَاجٍ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَأْلُوفِ فِي الْمُتَصَوِّفِ أَنْ يَخْطُ نَهْجاً وَاضِحاً ثَابِتاً فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ.

وإذا كانت أَشْيَاءٌ مِنَ فِلَسَفَةِ أَفْلَاطُونِ^(٥) قَدْ أَعْجَبَتْ أَبْنَ عَرَبِيٍّ فَإِنَّ اتِّجَاهَهُ كَانَ أَكْثَرَ تَأَثُّراً بِآرَاءِ أَفْلُوطِينِ^(٦). وَمِنْ الْمُنْتَظَرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَالَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ فِلَسَفَةِ

(١) تسعة وتسعون (أسلم الله الحسنى).

(٢) في القرآن الكريم: «إِنَّمَا أَمْرُهُ» (أمر الله تعالى) إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون. (٣٦: ٨٢، يس: ١٦ راجع ٤٠، النحل: ١٩: ٣٥، مريم: ٦١: ٧٣، الأنعام).

(٣) في القرآن الكريم: «وما أدراك ما سقر (جهنم)؟ لا تبقي ولا تذر. لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرٍ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ (المُؤَكَّلِينَ بِجَهَنَّمَ) إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا (٧٤: ٢٧ - ٣١، المذثر).

(٤) الكبريت الأحمر معدن نادر (يقصدون: كان أمثال ابن عربي قليلين).

(٥) أفلاطون فيلسوف يوناني (ت ٣٤٧ ق.م.). كانت فلسفته مثالية نظرية خيالية، وكان هو قديراً في الجدل المتسق الذي لم يكن قد أصبح علماً هو المنطق. واعتقد أفلاطون أن جميع الأشياء الموجودة في عالمنا موجودة صورها (أو مثالاتها) في المُلَا الأعلى (العالم الإلهي) وأن صورة الشيء يمكن أن تكون موجودة قائمة بنفسها غير متصلة بمادة. واعتقد أن النفوس كلها موجودة في المُلَا الأعلى تتأمل في الله. فإذا غفلت نفس عن ذلك سقطت وانصلت بمجد في الأرض حتَّى تعاقب على خطيئتها في المُلَا الأعلى. وأشهر كتب أفلاطون كتاب «السياسة» (بولوتيا) والناس يسمونه «الجمهورية» (وذلك نقل لفظي خاطيء للكلمة اللاتينية: رس بوبليكا (الشؤون العامة)).

(٦) أفلوطين (ت ٢٦٩ للميلاد) من أهل أسيوط (في مصر) تعلم في الاسكندرية تلقى مذهبه عن فيلون اليهودي (ت ٥٠ م.). وقد حرص فيلون على التوفيق بين التوراة والفلسفة اليونانية بأن فسّر قصص =

أرسطوطاليس^(١) أيضاً، ولكنَّ الغالبَ عليه أنَّه كان يُلَقِّقُ بَيْنَ الآراءِ : بأخذ ما يظُنُّ أنَّه ينصُرُ رأيَه هو ويُساعدُه على « أن يجعلَ مِنَ الإنسانِ كائناً قريباً من المَلَأِ الأعلى »^(٢)، وهذا يَجِدُهُ ابنُ عَرَبِيٍّ عِنْدَ فلوطنَ (أو أفلوطينَ) أَكْثَرَ مِمَّا يَجِدُهُ عِنْدَ أفلاطونَ، ثم هو لا يَجِدُ شيئاً منه عِنْدَ أرسطو.

ومَعَ كُلِّ هذا التشويه الذي يُمكنُ أن يَلْحَقَ بالنُّظُمِ الفلسفية حينما تَمُرُّ تلك النُّظُمُ - أو يَمُرُّ عددٌ من أوجهها وآرائها في الحَيَالِ الصوفيِّ - فإن هذا الاتِّجاهُ المُشوَّه قد لَقِيَ شيئاً من القَبُولِ عِنْدَ نَفَرٍ من المتصوِّفة في الإسلام وعِنْدَ نَفَرٍ من المفكرين في أوروبة النصرانية في العصور الوسطى ومَطْلَعِ العصور الحديثة^(٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- مقاطعٌ لمُحبِّي الدين بن عربيٍّ سليمةٌ الظاهر والباطن: (نفع الطيب ٢: ١٨٤):

يا حَبَّذَا المسجدُ من مسجدٍ وحَبَّذَا الروضةُ من مشهَدٍ^(٤).

التوراة وآراء التوراة تفسيراً رمزياً (حواء كناية عن الحسن المادّي، والحية كناية عن اللذة). وأفلوطين فعل في النصرانية ما كان فيلون قد فعله في اليهودية. وقال أفلوطين (توسيعاً لقول أفلاطون) إِنَّ العالمَ فاض من الله، ثم جعل المادّة تفيض من الله الذي هو روح حتّى يسوِّغ القول بمجيء عيسى المسيح من الله (على مذهب النصارى في ذلك). وتكلّم أفلوطين على «الإشراق» (وصول المعرفة إلى الإنسان من المَلَأِ الأعلى من غير حاجة إلى توسّط الحواس أو توسّط العقل الإنساني).

(١) أرسطوطاليس أو أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م). تلميذ أفلاطون ومُخالف له في اتِّجاهه الفلسفي. إنَّ فلسفة أرسطو واقعية عملية مادّية. وأرسطو منظم علم المنطق ومفرِّع فنون المعرفة الانسانية (علم الحيوان - علم النفس - السياسة - الاخلاق، الخ). ثم هو يبحث في العالم الواقع لأنَّ العقل الإنساني لا سلطة له على ما وراء الحسن. وكلُّ كائن مادّي في الحياة له سبب مادّي، ولا يفهم الوجود بغير ذلك. والمادّة عند أرسطو سابقة على كلِّ شيء..... والسياسة عنده واقعية: الغاية من الدولة أن يكون حكم الوالي على الرعية حكماً صالحاً جيلاً، وبمدد فليسم الوالي حكمه ما شاء من الأساليب: ملكاً، جمهورية، استبداداً، سلطاناً عسكرياً).

(٢) المَلَأُ الأعلى: العالم الإلهي.

(٣) راجع «تاريخ الفكر الأندلسي» (بالنشيا) ص ٣٧٩ - ٣٨٦.

(٤) المسجد = المسجد الحرام في مكّة المكرمة. الروضة = المكان الذي فيه قبر رسول الله في المدينة.

المشهد: المكان الذي يشهده (يحضر فيه) عدد كبير من الناس.

وَجَبَّذَا طَبِيبَةً مِنْ بَلْسَدَةِ فِيهَا ضَرِيحُ الْمُصْطَفَى أَحَدٍ^(١).
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ سَيِّدٍ لَوْلَاهُ لَمْ تُفْلِحْ وَلَمْ نَهْتَدِ.
قَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَأَعْتَبِرْ تَرْشِدٍ^(٢).
عَشْرٌ خَفِيَّاتٌ، وَعَشْرٌ إِذَا أَغْلِنَ بِالتَّأَذِينَ فِي الْمَسْجِدِ^(٣).
فَهَذِهِ عَشْرُونَ مَقْرُونَةً بِأَفْضَلِ الذِّكْرِ إِلَى الْمَوْعِدِ^(٤).

★ قال الشيخ سيدي محي الدين بن عربي، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَأَيْتُ بَعْضَ
الْفُقَهَاءِ فِي النَّوْمِ - فِي رُؤْيَا طَوِيلَةٍ - فَسَأَلَنِي: كَيْفَ حَالُكَ مَعَ أَهْلِكَ؟ فَقُلْتُ (نَفَعَ
الطبيب ٢: ١٦٧):

إِذَا رَأَتْ أَهْلُ بَيْتِي الْكَيْسَ مُمْتَلَأًا تَبَسَّمْتُ وَدَنْتُ مِنِّي تَهَازِحِي^(٥).
وإِنْ رَأَتْهُ خَلِيًّا مِنْ دَرَاهِمِهِ، تَجَهَّمْتُ وَأَتَشَنَّتْ عَنِّي تُقَابِحِي^(٦).
فَقَالَ لِي: صَدَقْتَ! كُلُّنَا ذَلِكَ الرَّجُل.

★ إِذَا حُلِّلَ ذِكْرُكُمْ خَاطِرِي فَرَشْتُ خُدُودِي مَكَانَ التُّرَابِ^(٧).
وَأَقَعَدَنِي الذَّلَّ عَلَى بَابِكُمْ قُعُودَ الْأَسَارَى لَضَرْبِ الرُّقَابِ^(٨).

(١) طَبِيبَةٌ = الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ. أَحَدٌ = مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

(٢) بِهِ (بِاللَّهِ)، ذَكَرَهُ (ذَكَرَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ). فِي كُلِّ يَوْمٍ (فِي الْأَذَانِ وَفِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ). اعْتَبِرَ الرَّجُلُ بِأَمْرِ
(وَجَدَ فِيهِ عِبْرَةً، حِكْمَةً، مَغْزًى). وَاعْتَبِرَ (هُنَا): فَكَّرَ فِي الْأَمْرِ. رَشِدَ (بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ) يَرْشِدُ (بِفَتْحٍ
فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ): بَلَغَ الرِّشْدَ وَكَانَ نَاضِجَ الْحُكْمِ. قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ذَكَرَهُ (قَدْ جُمِعَ فِي الْأَذَانِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بَيْنَ
اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْمِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).

(٣) عَشْرٌ (لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ تَقَالُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ - فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ - وَتُكَرَّرُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ دَفْعَتَيْنِ).
خَفِيَّاتٌ (فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِأَنَّهَا تَقَالُ فِي قَلْبِ الْمَسْجِدِ أَوْ فِي بَيْتِ الرَّجُلِ الْمُصَلِّيِّ) وَعَشْرٌ مَعْلَنَةٌ (لِأَنَّهَا
تَقَالُ مِنْ رُؤُوسِ الْمَأْذَنَ لِيَسْمَعَهَا جَمِيعُ النَّاسِ).

(٤) أَفْضَلُ الذِّكْرِ (ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى). إِلَى الْمَوْعِدِ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

(٥) الْأَهْلُ: الزَّوْجُ (الْمَرْأَةُ - لِأَنَّ الزَّوْجَ تَقَالُ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ)، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ إِذَا رَأَتْ أَهْلًا
بَيْتِي. الْكَيْسُ (كَيْسُ الْمَالِ).

(٦) تَجَهَّمْتُ وَجْهَ الرَّجُلِ: عَبَسَ، أَظْهَرَ التَّكْرَهَ. أَتَشَنَّتْ عَنِّي، ابْتَعَدْتُ. قَابِجٌ فَلَانٌ شَاتِمٌ (سَابَهُ):
قَابِلُهُ بِالشِّمِّ وَالسَّبِّ وَنَسَبَ إِلَيْهِ أَحْوَالًا سَاطِئَةً.

(٧) ذَكَرْتُكُمْ (ذَكَرَ اللَّهُ). فَرَشْتُ خُدُودِي مَكَانَ التُّرَابِ (تَذَلَّلَا لِلَّهِ). قُعُودَ الْأَسَارَى..... (بِمَضْوَوعٍ وَذَلَّةٍ) - فِي
هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَعْنَى صَوْفِي فِي التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

★ لَيْسَتْ شِعْرِي هَلْ ذَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ سَلَكُوا،
وَفُؤَادِي لَوْ ذَرَى أَيَّ شَيْءٍ سَلَكُوا^(١)؟
أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا؟
حَارَّ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَسْوَى وَارْتَبَكُوا.

- من كتاب « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » (١ : ٥ - ٦) :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أودعْتُ في هذا الكتابِ الذي سَمَّيْتُهُ « مُحَاضَرَةُ الْأَبْرَارِ وَمُسَامَرَةُ الْأَخْيَارِ » ضُرُوباً مِنَ الْأَدَابِ وَفُنُوناً مِنَ الْمَوَاطِظِ وَالْأَمْثَالِ وَالْحِكَايَاتِ النَّادِرَةِ وَالْأَخْبَارِ السَّائِرَةِ وَسِيرَ^(٢) الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - وَالْأَمْرِ وَأَخْبَارَ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْمَجْمُوعِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَعَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ وَمَا رَوَيْنَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ فِي أَبْتِدَاءِ الْأَمْرِ وَإِنْشَاءِ الْعَالَمِ^(٣) وَمَا أودَعَ اللَّهُ مِنْ عَجَائِبِ الصَّنْعِ وَبِدَائِعِ الْحِكْمَةِ وَحِكَايَاتٍ مُضْحَكَةٍ مُسْلِيَةٍ - مَا لَمْ تَكُنْ مُفْسِدَةً - مِمَّا تَسْتَرِيحُ النَّفُوسُ إِلَيْهَا عِنْدَ إِيرَادِهَا مِمَّا لَا أَجَرَ فِيهِ وَلَا وَزَرَ^(٤).

وَنَزَهَتْ كِتَابِي هَذَا عَنْ كُلِّ هَجَاءٍ وَمَثَلِيَّةٍ، وَضَمَّنْتُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْقَبَةٍ^(٥). وَإِذَا كَانَتْ الْحِكَايَاتُ الْمُضْحَكَةُ فِي رَجُلٍ مُعْتَبَرٍ مَشْهُورٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ أَوْ الْعِلْمِ لِهَفْوَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُ ضَحِكٌ لَهَا الْحَاضِرُونَ، أَوْ فِعْلَةٌ بَدَتْ مِنْهُمْ^(٦) مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَيْهَا فَأَذْكُرُهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الرَّاحَةِ لِلنَّفْسِ وَلَا أَسْمِي الشَّخْصَ الَّذِي ظَهَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ حَتَّى تَتَوَقَّرَ حُرْمَتُهُ وَلَا تَزْدَرِي لِقَدْرِهِ^(٧) مِنْ بَعْدِ شُهْرَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.

(١) الشعب (بالكسر): الفرع من الطريق.

(٢) السيرة: تاريخ حياة شخص واحد.

(٣) ابتداء الأمر: (أمر الله بوجود العالم) وإنشاء العالم (خلقه).

(٤) ثَمَّا تَسَرَّ بِه النَّفْسُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُبَاحَةِ الَّتِي لَا أَجَرَ (ثَوَابَ فِي الْآخِرَةِ عَلَيْهَا) وَلَا وَزَرَ (ذَنْبَ يَقْتَضِي عِقَاباً فِي الْآخِرَةِ) فِيهِ.

(٥) المثلية: المييب. المنفية: الفعل الكريم، المفخرة.

(٦) منهم: لا حاجة إليها.

(٧) ولا تزدري (تحتقر) لقدره (افترأ: ولا يبردري (بالبناء للمجهول) قدره.... أو: لا تزدري أنت قدره.

- ومن كتاب « محاضرة الأبرار » (٥ : ١١ - ١٤) :

وكلُّ ما سَطَرْتُهُ في كتابي هذا، فمنه ما شَهِدْتُهُ أَوْ حَدَّثَنِي بِهِ مَنْ شَهِدَهُ، ومنه ما نقلته من كُتُبٍ مشهورة رَوَيْتُهَا سَمَاعاً أَوْ مُدَاوَلَةً أَوْ كِتَابَةً^(١)، مثل: كتاب « الإمتاع والمؤانسة » للفاضل الأديب النحريين أبي حَيَّانَ التُّوحِيدِي^(٢)، رَحِمَهُ اللهُ..... وجعلتهُ مجالس^(٣)

وقد قَدِّمْتُ في صدرِ هذا الكتابِ أَسَانِيدَ^(٤) إلى الذين أقولُ عنهم، ورَوَيْنا من حديثِ فلانِ مُتَّصِلاً^(٥). وقد أَسَوَّقُ إسنَادَ ذلكَ المذكورِ إلى الحَبَرِ، وقد لا أَسَوِّقُهُ، على حَسَبِ ما يَتَّفَقُ. وأودَعْتُهُ أيضاً ثَمًّا لنا من منظومٍ في فنونٍ مختلفةٍ من أدبٍ ونَسِيبٍ ومَعْرِفَةٍ وحِكْمَةٍ ومُفَاخَرَةٍ بِحَسَبِ^(٦) وحَاسَةِ^(٧)، وغير ذلك، ثَمًّا تَقِفُ عليه - إن شاء اللهُ تعالى - واللهُ أعلمُ وبِهِ نَسْتَعِينُ.

..... وإذا قُلْتُ: رَوَيْنا من حديثِ أَبِي هِشَامٍ^(٨)، فَهُوَ ما حَدَّثَنَا بِهِ عَبْدُ الْوَاحِدِ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقُرَشِيِّ الدَّارِمِيِّ ثُمَّ الرِّيَاشِيِّ إِجَازَةً^(٩)، قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُعْطِيِّ بْنُ الْمَسافِرِ

(١) سماعاً: أصفاً إلى متكلم. مداولة: مبادلة للحديث ومناقشة. كتابة: استملاء (تدوين النصوص والآراء المجموعة).

(٢) أبو حَيَّانَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ التُّوحِيدِي (ت نحو ٤٠٠ هـ) أديب واسع المعرفة ومفكر. والباقي لنا من كتبه يدل على مقدرة في الفلسفة والعلم والأدب وفي فنون التحديث في المجالس.

(٣) المجالس (هنا) جمع مجلس: مقدار من الزمن يجتمع فيه الناس لتداول أمر من الأمور.

(٤) الاسناد: السلسلة من الأشخاص المتوالين في الزمن والذين نقلوا لنا الخبر عن قائله الأول.

(٥) الحديث المتصل: ما كان اسناده متصلاً لا فرق كبيراً في الزمن بين ناقل وناقل عنه (يجب أن يكون كل ناقل قد اتصل بالذي نقل عنه).

(٦) الحسب: العمل الشريف.

(٧) الهامة: الشجاعة والحرب.

(٨) ابن هشام هو الذي سيأتي في آخر هذا الحديث. وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (يكسر

الحاء وسكون الميم) الماعفري (ت ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد

في البصرة ونشأ فيها ثم سكن مصر وتوفي فيها.

(٩) إجازة (إفادة، شهادة): السماح لطالب العلم أن يروي ما تلقاه عن شيخه (استاذ).

بالإسكندرية قال: ثنا^(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، أنبا^(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن عمر النحاس، أنبا عبد الله بن جعفر بن الوردی عن أبي محمد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي^(٣) عن أبي محمد عبد الملك بن هشام.....

- قصة اتفقت لابن عربي نفسه (محاضرة الأبرار ١: ٣٠٨ - ٣٠٩):

... اتفق في بلدنا، بإشيلية (أن) كان عندنا رجل من سقلة الناس يقال له^(٤) له جمعة يبيع الخبز. وكان يتحاكم إليه أطراف الناس^(٥)..... اختصم إليه مرة، في إشيلية، رجل طبّاخ يطلب حق إدايمه^(٦) من رجل آخر. فقال (جمعة للطباخ) فكيف ترتب لي^(٧) ما تدعيه على هذا الرجل؟ فقال: إني رجل طبّاخ أبيع في الدكان ما أطبخه. فجاء هذا الرجل وبیده قرصة^(٨) من خبز، فجعل يأخذ اللقمة ويعرضها على بخار القدر الصاعد ويأكل حتى فرغت^(٩). فطلبت منه حق بخار القدر. فقال جمعة (للرجل الآخر): وجب عليك (الثلث)، يا هذا. أ عندك قطعة فضة^(١٠)؟ قال: نعم (ثم) أخرج المدعى عليه قطعة فضة. فقال جمعة للطباخ: أصغ بأذنك. ورمي القطعة على الحجر^(١١) فسمع لها طنين. فقال: يا طبّاخ، خذ هذا الطنين في حق بخارك، ورد القطعة الفضة لخصمك^(١٢). فقال الطباخ: ما نقصه شيء. فقال جمعة: ولا (هو) أخذ من قدرك شيئاً.

(١) ثنا = حدثنا (هكذا تكتب اختصاراً).

(٢) أنبا = أنبانا، أخبرنا (هكذا نكتبان اختصاراً).

(٣) البرقي (برقة بلدة في فارس). وهناك أيضاً مقاطعة «برقة» (شرقي ليبيا اليوم).

(٤) سقلة الناس = أراذلهم من الذين لا يريدون أن يحملوا تبعه في الحياة.

(٥) أطراف الناس (يبدو أن لكلمة «أطراف» معنيين: «الأشراف من الآباء والأمهات ثم البعيدين عن

مجتمع القوم، أولئك الذين لا قيمة لهم في المجتمع الذي يعيشون فيه).

(٦) إدايم (بالكسر): ما يأتد به: يفس به الأكل قطعة الخبز).

(٧) كيف ترتب لي ذلك = كيف تعرض أمرك علي وتهمني بإيه.

(٨) القرصة (الرغيف).

(٩) فرغ (بفتح ففتح): انتهى، تلاشى. فرغ (بفتح فكسر): خلا من الأشياء التي كانت فيه.

(١٠) قطعة فضة: قطعة من العملة الفضية.

(١١) على الحجر (على الأرض القاسية، أو على صخر، الخ).

(١٢) تناول القطعة من الأرض ثم ردها إلى الزبون الذي تنازع.

- ٤- التعريفات^(١) (فلوجل)، ليبزج (فوغل) ١٨٤٥ م.
- فصوص الحكم، الاستانة ١٢٥٣، مصر (مطبعة الترجان والمطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ، ١٣٢٣ هـ.
- ديوان (ابن عربي)، القاهرة (دار الطباعة الباهرة) ١٢٧١ هـ، نسخة مصورة بالأوفست (بلا مكان طبع ولا تاريخ).
- ردّ معاني الآيات المتشابهة إلى معاني الآيات المحكمة، بيروت (نادي الكتب العربية) ١٩١١ م.
- شجرة الكون، بولاق ١٢٩٢ هـ.
- ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق (في مجموعة: التحفة البهية)، الاستانة (مطبعة الجواثب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- الأمر الحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق من الشروط (في مجموعة التحفة البهية)، الاستانة (مطبعة الجواثب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- قصيدة المعشرة (وشرحها: مأوى الرغائب في مجد النصائح للشيخ عثمان عبد المنان)، الاستانة ١٣٠٦ هـ.
- مجموع الرسائل الإلهية، مصر، مصر ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م.
- مجموع رسائل: الرسالة الإلهية - القدسية - الاتحادية - السريانية - المشهدة - الفردوسية - العنصرية - الوجودية، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- تاج الرسائل ومتاهج الوسائل في إيضاح المعاني الإلهية المودعة في المعاني الروحية (في مجموع)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- الأخلاق، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.
- الدور الأعلى (في مجموع الهي؟) القاهرة ١٢٨٢ هـ.
- الوصايا، بيروت (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات) بلا تاريخ.
- رسائل محيي الدين بن عربي، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٨ م.
- العقيدة النظامية (محمد زاهد الكوثري)، القاهرة (مطبعة الأنوار) ١٩٤٨ م.
- مجموعة ساعة الخير^(٢) (علي محمد الضباع)، القاهرة (مصطفى الباي الحلبي) ١٩٤٩ م.
- المواسم من القواصم (محب الدين الخطيب)، القاهرة (لجنة الشباب المسلم) ١٣٧١ هـ.
- أحكام القرآن (علي محمد البجاوي)، القاهرة (الباي) ١٩٥٧ - ١٩٥٨.

(١) الكتب الواردة هنا لم ترد في ترجمة ابن عربي في الجزء الثالث.

(٢) في التنجيم.

- ترجمان الأشواق (حرّره نكلسن)، لندن ١٩١١ م؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م ثم ١٩٦٦ م.
- تفسير القرآن الكريم، القاهرة (بولاق) ١٢٨٣ هـ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- محاضرات الأبرار، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- رسالة القدس أو روح القدس (عزة حصرية)، دمشق (مطبعة العلم)، ١٩٦٤ و ١٩٧٠ م.
- الفتوحات المكيّة (عثمان مجي)، القاهرة (الهيئة العامّة المصرية للكتاب) ١٩٧٢ - ١٩٧٨.
- ★ - الفتح المبين في ردّ اعتراض المعارض على محي الدين، تأليف عمر العطار الدمشقي، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ.
- تنبيه النفي إلى تكفير ابن عربي: تحذير العباد من أهل العناد، تأليف برهان الدين البقاعي^(١).
- شروح رسالة الشيخ أرسلان في علوم التوحيد والتصوّف، تأليف وتحقيق^(٢) عزة حصرية، دمشق (مطبعة العلم) ١٩٦٥.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، تأليف ميخيل آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
- فهرست مؤلفات محي الدين بن عربي، عني بمجمعه كوركيس عوّاد^(٣).
- التكملة (رقم ٦٥٢)؛ الذيل والتكملة ٤٩٣: ٤٩٨؛ عنوان الدراية ١٥٨ - ١٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٧ - ٧١١؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٨١ - ٢٨٢)؛ سركيس ١٧٥ - ١٧٩؛ بالنشأ ٣٧١ - ٣٨٦، تمّ في أماكن أخرى (راجع الفهرس المجاني) فيها أشياء مفيدة؛ نيكل ٣٥١ - ٣٥٢؛ مختارات نيكل ١٧٢ - ١٧٣؛ سركيس ١٧٥ - ١٨٠.

سهل بن عمّد الأزدي القرناطي

- ١- هو أبو الحسن سهل بن (الحاجّ أبي عبد الله) محمّد بن سهل بن مالك الأزديّ

(١) تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل (راجع نقده في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٣١: ١٣٠).

(٢) كذا على غلاف الكتاب. ويبدو أن الكتاب رسالة جامعية (٢) يمتزج فيها التأليف بالنصوص.

(٣) راجع مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٣٠: ٥١.

الغرناطي^(١)، وُلِدَ بَغْرَاطَةَ سَنَةِ ٥٥٩ لِلْهِجْرَةِ (١١٦٣ - ١١٦٤ م) وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ كَثِيرِينَ^(٢) مِنْهُمْ فِي (غَرْنَاطَةِ): خَالُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرُوسٍ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُنْعَمِ ابْنُ الْفَرَسِ (٥٢٤ - ٥٩٩ هـ) وَ (فِي مَالِقَةَ) أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِي (ت ٥٨١ هـ) وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَخَّارِ (ت ٦٤١ هـ) وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ حُبَيْشٍ وَ (فِي إِشْبِيلِيَّة) أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحَدَّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَرْقُونٍ (ت ٥٨٦ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ تَبَصَّرَ لِلإِقْرَاءِ فِي غَرْنَاطَةَ وَإِشْبِيلِيَّةِ ثُمَّ فِي مُرْسِيَّةِ أَيَّامَ مَنْفَاهُ فِيهَا^(٣). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُنْتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٥/١٧ م).

٢ - كَانَ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ بَارِعاً فِي عِدَدٍ مِنْ فَنُونِ الْمَعْرِفَةِ: الْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ وَتَرْسُلٌ وَخُطْبٌ. وَكَانَ مُصَنِّفاً، لَهُ كِتَابٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) مُرْتَبٌّ عَلَى نَسَقِ كِتَابِ سَيِّبَوَيْهِ^(٤) (وَلَكِنْ لَمْ يُتِمَّهُ) ثُمَّ لَهُ تَعَالِيقٌ عَلَى كِتَابِ الْمُتَصَفِيِّ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ (لِلْغَرَّالِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٥ هـ).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- قَالَ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ:

نَهَارَكَ فِي بَحْرِ السَّفَاهَةِ تَسَبَّحُ، وَلَيْلَكَ عَنْ نَوْمِ الرِّفَاهَةِ يَصْبِحُ^(٥).

(١) هَذَا النِّسْبُ مَأْخُوذٌ مِنْ بَرْنَامِجِ الرَّعِينِيِّ (ص ٥٩) لِأَنَّ الرَّعِينِيَّ تَلْمِيزُهُ. وَفِي التَّكْمَلَةِ وَالذَّيْلِ (٤: ١٠١): سَهْلُ بْنُ أَحَدٍ بْنِ سَهْلٍ بْنُ أَحَدٍ بْنِ مَالِكٍ...

(٢) رَاجِعِ أَسْمَاءَ شَيْخِ الرَّعِينِيِّ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي كَانُوا يَقْرَءُونَهَا فِي بَرْنَامِجِ شَيْخِ الرَّعِينِيِّ وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ.

(٣) نَفِيٌّ مِنْ غَرْنَاطَةَ إِلَى مُرْسِيَّةٍ، فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ هُوْدِ الْمُسْتَبْدِ بِجَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) قَبْلَ بَنِي الْأَحْمَرِ.

(٤) هُوَ سَيِّبَوَيْهِ عَمْرُو بْنُ عَثَانَ (غَوْ ١٤٠ - ١٨٠ هـ) إِمَامُ انْتِحَاةِ الْمَصْرِعِيِّينَ، لَهُ كِتَابٌ فِي النَّحْوِ جَامِعٌ شَهُورٌ جَيِّدٌ يَعْرِفُ بِكِتَابِ سَيِّبَوَيْهِ أَوْ بِالْكِتَابِ فَقَطْ.

(٥) نَهَارَكَ (بِالنَّصْبِ) ظَرَفَ مَفْعُولٍ فِيهِ، أَيِ «تَبَقَّى طَوْلُ نَهَارِكَ». وَلَيْلَكَ مِثْلُهَا. يَصْبِحُ: يَدْخُلُ فِي الصَّبَاحِ - إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَطَلَعَ الصَّبَحُ كُنْتَ قَدْ نَمْتَ نَوْمًا هَادِئًا هَانِئًا.

وفي لَفْظِكَ الدَّعْوَى، وليس إزاءها من الْعَمَلِ الزَّاكِي دَلِيلٌ مُصَحِّحٌ^(١).
 إذا لم تُوافِقْ قَوْلُهُ مِنْكَ فَعَلَةٌ، ففي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ حَدِيثِكَ تَفْضُحٌ.
 تَنْجَ عَنْ الْغَايَاتِ، لست بأهلها. طريقُ الْهُوِينَا فِي سُلُوكِكَ أَوْضَحُ^(٢).
 إذا كُنْتَ فِي سِنِّ النُّهَى^(٣) غَيْرَ صَالِحٍ، ففي أَيِّ سَنٍّ بَعْدَ ذَلِكَ تَصْلُحُ؟

- وقال في الاضطراب والاطمئنان:

مُنْغَصُّ الْعَيْشِ لَا يَأْوِي إِلَى دَعَةٍ من كَانَ ذَا بَلَدٍ أَوْ كَانَ ذَا وَلَدٍ^(٤).
 وَالسَّاكِنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتُهُ سَكَنَى مَكَانٍ وَلَمْ يَرْكَنْ إِلَى أَحَدٍ^(٥)!

- وله في الحماسة (وصف صلابة نفسه): من «برنامج الرعيي»:

أَدَافُ هَمِّي عَنْ جَوَانِبِ هِمَّتِي، وتَأْيِ هُمُومُ الْعَارِفِينَ عَلَى الدَّفْعِ^(٦).
 وَأَلْتَمِسُ الْعُتْبَى وَحِيداً، وَعَاتِي وَصَرَفُ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ فِي جَمْعٍ^(٧).
 وَإِنِّي - مِنْ عَزَمِي وَحَزَمِي وَهَمَّتِي وما رَزَقْتَهُ النَّفْسُ مِنْ كَرَمِ الطَّبْعِ -
 لَفِي مُنْصِيبٍ تَعْلُو السَّمَاءُ سِهَاتُهُ فَتَثْبُتُ نُوراً فِي كَوَاكِبِهَا السَّبْعِ^(٨).

-
- (١) الدعوى: الادعاء (ادعاء المرء ما ليس فيه). إزاءها: إلى جانبها، معها. الزاكي: الطاهر، الصالح. مصحح: صحيح (مؤيد بأفعالك الصالحة الدالة على كلامك وادعائك).
- (٢) تنج: ابتعد، اترك. الغاية: علامة منصوبة يستيق الناس (يسابق الناس بعضهم بعضاً في الوصول إليها. بأهلها = بأهل لها (لا تلتج بك لأنك غير قادر عليها). الهوينا: التأني والبطء. - إن الذي يراقبك يدرك أنك تفضل الحياة التي لا كفاح فيها.
- (٣) النهى: العقل.
- (٤) - (اجمل الشطر الثاني في اجتلاء المعنى قبل الشطر الأول). من كان ذا بلد (صاحب دار أو بيت) البلد: الدار (لفظة بامية، تاج العروس، الكويت ٧: ٤٤٤). وسهل بن محمد أزدّي (أصله من أزد اليمن). - من كان ذا بلد وذا ولد (يحمل تبعة).
- (٥) - من أراد أن يعيش هادئاً فلا يسكن في مكان لا يثق بأحد من أهله.
- (٦) - أحاول أن أبعد الهموم عني، ولكن علمي العميق بمخاطر الحياة لا يمكنني من نسيان تلك الهموم.
- (٧) العتبي: الرضا، وإرضاء العاتب (اللائم، المنتقد). - المصائب والأحداث تسوغ أن يظل العاتب عاتباً.
- (٨) سياته (؟) لعلها جمع سمة (بكسر ففتح): علامة (صفة، فضيلة). - فضلي يخلع نوراً على النجوم.

غلا صَرَفُ دهري إذ علا، فإذا به
تدرَعُ بالصبر الجميل - وأجَلَبَت
فما مَلَأَتْ قلبي ولا قَبَضَتْ يدي
فلن عَرَضَتْ لي لا يَفْوهُ بها قَمي،
- وقال يصف شمعاً:

ولا مِثْلَ يومٍ قد نَعِمْنَا بِحُسْنِهِ،
إلى أن بَدَتْ شمسُ النهار تَرُوعُنَا
ولما توارَتْ شمسُهُ بِحِجَابِهَا،
وغابت فكان الأفقُ عند مَغِيْبِهَا
أَتَانَا بها صفراءُ يسطَعُ نورُها
فَرَدَّتْ علينا شَمْسَنَا وأَصِيلُنَا
مَذْهَبِ أَثْنَاءِ المَروِجِ صَقِيلِ^(١)،
بسيرٍ صَحِيحٍ واصْفِرَارِ عَليْلِ^(٢)،
وَأَذَنَ باقِي نورِها بِرَحِيلِ^(٣)،
كَقَلْبِي مُسَوِّدًا لَفَقْدِ خَلِيلِي،
فَمَزَّقَ سِرْبَالَ الدُّجَى بِقَتِيلِ^(٤)،
بُشْبِهِ شَمْسٍ فِي شَبِيهِ أَصِيلِ^(٥)!

- (١) - لما عظمت مصائب دهري عليّ غلت (أفرطت، بالفت في محاولة إذلالي فلم تذل مني غابتها). الشع:
سير تربط به النمل.
- (٢) مَلَأَتْ قلبي: أخافتني. قبضت يدي: منعني التصرف العاقل في الأمور. نحت أصلي: عابتي، نقصت
من شرفي. همرت (خففت) فرعي (غصني): لم تدلني، لم تخضمني لعلها: نحت أثلي (الأثل نوع من
الشجر). وفي القاموس (٣: ٣٢٧): وهو ينحت في أثلتنا (يطمن في حسنا).
- (٣) - لا أشكو منها ولا يضيّق ذرعي (صدري): أغضب.
- (٤) - لم نسرّ بحسن يوم من قبل كما سررنا بيومنا هذا. أثناء المروج: صفوف النبات فيها (٢). مذهبة
(بالزهر أو بنور الشمس!).
- (٥) راعه: أعجبه مع شيء من الهبة والخوف. - سير في الفلك كالرجل الصحيح (مستقيمة السير دائبة)
ولكن كالرجل العليل (صفراء اللون) - لعل ذلك كان في أوائل الربيع!
- (٦) توارت بالحجاب: غابت، اقتباس من: «حتى توارت بالحجاب» (٣٨: ٣٢ سورة ص). أذن به: أعلم
(أوشك، اقترّب). باقي نورها: الفسق (اللون الباقي على الأفق الغربي بعد غياب الشمس).
- (٧) بها (بشمعة). سربال: ثوب. قتيل: خيط مفتول يكون في الشمعة وتضاء بواسطته.
- (٨) ردت شمسنا: أضاءت لنا (في الليل). أصيلنا (الوقت بين الظهر والمغرب)، أي جمعت النور في الليل
مثله قرب الغروب لا عند الظهر (كان ضوءها قليلاً). في شبيه أصيل: لون الشمعة كان أحمر مثل
لون الجو عند الأصيل.

- وله أيضاً (نفع الطيب ٣: ٦٠٠ - ٦٠١):

وَرُبَّ يَوْمٍ وَرَدْنَا فِيهِ كُلَّ مُتَى، وَقَلَّ فِي مِثْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَنْ نَرِدَا^(٣)،
فِي رَوْضَتَيْنِ بِشَطْطِي سُلْسَلِي شِيمٍ، كَمَا اجْتَلَيْتَ مِنَ الْمَحْبُوبِ مُفْتَقِدَا^(٤)،
يُسَدُّ الْقَطْرُ فِي أَثْنَائِهِ حَلَقًا، فَتَنْظِمُ الرِّيحُ مِنْهَا فَوْقَهُ زَرْدَا^(٥)،
- وَيُرَوَّى لَهُ (المغرب ٢: ١٠٥):

كُلُّ وَجْدٍ سَعَتُهُ دُونَ وَجْدِي، لِأَصِيلِي يَفُوتُ طَرْفِي بِنَجْدِي^(٦)،
حَيْثُ جَرَزْتُ ذَيْلَ كُلِّ مُجُونٍ، بَيْنَ حُورٍ تَمِيسُ فِيهِ وَرَنْدِي^(٧)،
وَسَوَاقِي كَأَنَّهُنَّ سُيُوفٌ، جُرَدَتْ فِي الرِّيَاضِ مِنْ كُلِّ غَمْدٍ.

- (من نفع الطيب ٧: ٩ - ١٠)^(٨):

قال ابن سعيدي^(٩): سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى ابْنِ زُهْرٍ^(١٠)، وَقَدْ أَسْنُ (ابْنُ زُهْرٍ) وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ - إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بَعْضُ سَبْتَةِ - فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ. وَجَرَّتِ الْمُحَاضِرَةُ أَنْ أُنْشَدَ (أَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ) مُوشَعَةً وَقَعَ فِيهَا:

-
- (٣) النية: المشتى، الغاية. ورد: شرب (تمتع).
(٤) السلسل: الماء العذب (الخفيف) الذي يمر في الحلق بسهولة. شم: بارد. - كما لو رجع إليك محبوبك الذي كان قد هجرك.
(٥) القطر: المطر. في أثناؤه: في أثناء النهر. - يجري النهر فيندفع ماؤه في شبه حلقات متفرقة، فإذا هبَّت الرياح على النهر قَرَّبَتْ بعض تلك الحلقات من بعض فتبدو كأنها زرد درع.
(٦) وجد: حب، شوق. دون: تحت (أقل) لأصيل.... إلخ (٢).
(٧) تَمَّتْ بَكْلٌ لَهُو: الحور جمع حوراء: بيضاء (امرأة جميلة). الرند شجر طيب الرائحة. ماس: تأمل.
وبجوز: الحور (بالفتح): نوع من الشجر الكبير العالي.
(٨) يبدو المقطع التالي وكأنه غريب عن حياة صاحب الترجمة، ولكنه يوافق أحداث حياة صاحب الترجمة في المكان والزمان والاسم. فيحسن التفطن إلى ذلك.
(٩) ابن سعيدي = علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) أحد مؤلفي كتاب «المغرب في حلى المغرب».
(١٠) ابن زهر = أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) طبيب موفق وشاعر مجيد ووشاح بارع.

كُحِّلُ الدُّجَى بِجَرَى مِنْ مُقَلَّةِ النَّهْرِ عَلَى الصَّبَاحِ،
وَمِنْصَمُ النَّهْرِ فِي حُلَلِي خُضِرٍ مِنَ الْبَطَاحِ.

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهْرٍ وَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: اخْتَبِرْ. قَالَ (ابن زهر): وَمَنْ تَكُونُ؟ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ (ابن زهر): ارْتَفِعْ، فَوَاللَّهِ، مَا عَرَفْتُكَ.....
(وَمِنْ اشْتَهَرَ بِالتَّوَشِيحِ) أَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ بَغْرَنَاطَةَ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: كَانَ وَالِدِي يُعْجَبُ بِقَوْلِهِ:

إِنَّ سَيْلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ عَادَ بَحْرًا فِي أَجْمَعِ الْأُفُقِ^(١)
فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ الْوَرَقِ^(٢) أَتْرَاهَا خَافَتْ مِنَ الْفَرْقِ
فَبَكَتْ سَحْرَةً عَلَى الْوَرَقِ^(٣)!

٤-★★ زاد المسافر ٩٦-٩٧ (رقم ٢٣): برنامج الرعيبي ٥٩-٦٣ المغرب ٢: ١٠٥،
الذيل والتكملة ٤: ٢٢٩ (ص ١٠١-١٢٤)، الديباج المذهب ١١٢٥ بغية الوعاة
٢٦٤-٢٦٥ نفع الطيب ٢: ١١٢، ٣: ١٩٣، ٣٧٢، ٦٠٠-٦٠١، ٤: ٨،
٣١١، ٧: ٩-١٠، الأعلام للزركلي (٣: ١٤٣).

أبو بكر بن قسوم

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن قسوم^(١) بن أصبغ بن مهني

-
- (١) سيل الصباح: عمود النور الذي يرى فوق الأفق الشرقي بعد الفجر. عاد بحراً: انتشر.
(٢) تداعت: دعا بعضها بعضاً. النواذب جمع نادبة (اشتهر صوت الحمام بأنه يوحى بالفرح والحزن في وقت واحد). الورق جمع ورقاء: الحمامة.
(٣) سحرة: في الصباح الباكر. على الورق: على الأغصان (المكتسية بالورق).
(١) لعل «قسوم» تصغير «قاسم». «مهني» ضببط بفتح فسكون ثم كسرة من غير شدة على الياء (برنامج الرعيبي ٩٢). وضببط في الذيل والتكملة (٦: ٢٤٣) «بضم الميم وبفتحة حائثة بين الهاء والنون وبألف مقصورة: هاء بلا نقطتين). وفي تاج العروس (الكويت ١: ٥١٤): المهنا (بضم ففتح ففتح على نون مشددة ثم همزة) اسم رجل.

الأندلسي اللخمي الإشبيلي، وُلِدَ لثلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ٥٦٣ هـ^(١) (١١٦٨/٤/٢٥ م).

روى أبو بكر بن قسوم عن نفرٍ من العلماء منهم ابنُ عِمرانَ المارتنِي (ت ٦٠٤ هـ؛ راجع ترجمته)، لَزَمَهُ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ وأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَةَ التَّصَوُّفِ. ثُمَّ كَانَ مِنْهُمْ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلَكُونِ الْحَضْرَمِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ النَّحْوِيِّ (ت ٥٨١ هـ) وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْجَدِّ، وَقَدْ أَجَازَ لَهُ؛ وَمِنْهُمْ أَيْضاً أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سَيْدٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ عَنْهُ ثُمَّ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَيْدٍ أَبِيهِ^(٢).

وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قَسُومٍ - فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ - فِي خِدْمَةِ أَحَدِ أُمَرَاءِ وَقْتِهِ وَنَالَ مَعَهُ دُنْيَاً وَاسِعَةً وَجَاهاً عَرِيضاً. ثُمَّ إِنَّهُ زَهَدَ وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَاسْتَفْلَ مُدَّةً بِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ وَنَسَخِ الْمَصَاحِفِ. ثُمَّ كَفَّ بَصْرَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٦/٦ م).

٢- كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قَسُومٍ وَرِعاً زَاهِداً، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِذَلِكَ. وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْضِي كَثِيراً مِنْ أَيَّامِهِ صَائِماً مَعَ الْإِقْلَالِ مِنَ الطَّعَامِ. وَهُوَ أَدِيبٌ بَارِعٌ وَنَاطِمٌ وَنَاطِرٌ، سَهْلُ اللَّغَةِ وَاضِحُ الْمَعَانِي قَلِيلُ التَّكْلُفِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ مَعَانِيهِ مَا خُوِذَ مِنَ الْأَمْثَالِ وَمِنَ الْأَشْعَارِ.

من ذلك مثلاً:

قَدْ قُلْتُ قَوْلًا لِلْخَلِيفَةِ نَاصِحًا قَوْلَ الْحَقِّقِيِّ وَالنَّصِيحِ الْمُشْفِقِ؛
لَا تَصْحَبَنَّ مَاعِشَتَ قَارِيءِ مَنْطِقِي؛ «إِنَّ الْبَلَاءَ مَوْكَلٌّ بِالْمَنْطِقِ».
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١) في برنامج الرعيبي (ص ٩٣): ثلاثة (١) وخسون وخمسة.

(٢) أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سَيْدٍ لَمْ يَرِدْ فِي فِهْرِسِ بَرْنَامِجِ الرَّعَيْبِيِّ (وَلَمْ أَهْتَدِ أَنَا إِلَى شَيْءٍ عَنْهُ). ابْنُ سَيْدٍ أَبِيهِ هُوَ (بَرْنَامِجِ الرَّعَيْبِيِّ ١٢٠) إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الزَّهْرِيِّ مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةٍ وَمِنَ الْقُرَّاءِ (لِلْقُرْآنِ) وَالْحَفَاطِ (لِلْحَدِيثِ).

★ أصبحتُ لا أنا في الزُّهْد مُنْقَطِعٌ
مثلُ النِّعَمَةِ لا طَيْرٌ فَتَلَحُّقُهَا
★ دَفَعْتُ إِلَى الزَّمَانِ غُرَابَ بَيْنٍ
فَإِنْ يَكُنِ الْغُرَابُ جَنَى اغْتِرَابًا،
حَقًّا، وَلَا كَاسِبًا أَغْدُو إِلَى السُّوقِ ^(١) :
مَعَ الطَّيُورِ وَلَا تُحْدِي مَعَ النُّوقِ ^(٢) .
فَعَوَّضَنِي الزَّمَانُ بِهِ حَمَامًا ^(٣) .
فَقَدْ جَلَبَ الْحَمَامُ لَنَا حَمَامًا ^(٤) .

ضَحِكْنَا، وَكَانَ الضَّحْكُ مَنَا سَفَاهَةً .
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنْتَا
وَحَقُّ لَنَا، أَهْلَ الْبَسِيطَةِ، أَنْ نَبْكِي،
سَنَحْيَا لِمَلِكٍ أَوْ سَنَحْيَا إِلَى هُلُوكِ ^(٥) ؟
هَلِ الْمَرْءُ إِلَّا كَالزُّجَاجَةِ كُلَّمَا
تَخَلَّلَهَا صَدْعٌ أُعِيدَتْ إِلَى السَّبْكِ ^(٦) ؟

أَمَّا فَنُونُهُ فَبَيَّ الزُّهْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالرِّثَاءُ . وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مُكْثِرًا مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ
وَالْتَّرْسُلِ (فِي أَيَّامِ خِدْمَتِهِ فِي دِيْوَانِ أَحَدِ الْأُمَرَاءِ) وَلَكِنَّهُ أَتْلَفَ مَا كَانَ قَدْ أَنْشَأَ مِنَ
الرِّسَالِ وَنِظْمِ مِنَ الشُّعْرِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَفِظَ مِنْ شِعْرِهِ جَانِبٌ غَيْرُ قَلِيلٍ .

وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قَسُومٍ مُصَنِّفًا فِي الزَّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ وَرِجَالِهَا، لَهُ: عَاسَنُ
الْأَبْرَارِ فِي مُعَامَلَةِ الْجَبَّارِ ^(٧) - النِّبْذَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى شُدُورِ الْمُنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ (لَعَلَّ هَذِهِ
النِّبْذَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ أَبْنُ قَسُومٍ قَدْ أَتْلَفَهَا) .

-
- (١) منقطع (لا يعمل عملاً آخر). الكاسب: الذي يسمى لكسب رزقه. غدا: ذهب في الصباح.
(٢) تلحقها (أنت): تنسبها إلى الطير، تعدّها في الطيور. تحدى (تساق). النوق جمع ناقة.
(٣) غراب بين (غراق): شعر أسود كالغراب من المعروف أنّه سيبين (سيبتند): سيصبح بعد سواده
أبيض. حام (كناية عن الشعر الأبيض).
(٤) إذا كان الشعر الأسود لما جاء إلى رأسي جاء ومعه التهديد بالاغتراب (بالهجر، بالذهاب)، فإنّ الحمام
(بفتح الحاء: اللون الأبيض في الشعر) جاء ومعه نذير بالهيام (بكسر الحاء: الموت).
(٥) البيتان الأول والثالث نزييف لبيبي أبي العلاء المعري:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
يحطّمنا ربّ الزمان كأنّنا
★ وللبك عاد كبير الزجاج
ولا ببك الدرّ إذ ينكسر، البخ.

- (٦) الهلك: الهلاك. سنحيا لملك (٢).
(٧) الصدع: الشق (بالفتح).
(٨) الأبرار جمع بارّ: الرجل العابد الزاهد (والكثير الطاعة لله والرحيم بأهله). الجبّار (من أسماء الله
الحسنى). راجع تاج العروس (الكويت ١٠: ١٥٤).

٣- مختارات من شعره:

- لأبي بكر بن قسوم مثنان:

- تَجَنَّبَ مَا أَتَسَطَعَتْ إِخَاءُ قَوْمٍ
فَظَاهِرُهُمْ، إِذَا نُظِرُوا، ثِيَابٌ؛
★ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ قَدْ عَفَتْ آثَارُهُ،
وَمَضَى الْحَلَالُ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُ سِوَى
★ أَقُولُ، وَحُكْمُ اللَّهِ يَنْفُذُ فِي الْوَرَى،
أَلَا لَيْتَ عَيْنِي أَذْهَبَ الدَّمْعَ نَوْرَهَا،
★ لَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ الْغَوَانِي، إِنْ بَدَا
كَرَهُ الْغَوَانِي مِنْ بَيَاضِ مَفَارِقِي
★ إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ فَكُنْ ذَا مَحَامِدٍ،
هَلِ الْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ؟
★ إِذَا شِئْتُ يَوْمًا أَنْ تَعِفَّ عَلَى الْوَرَى
فَأُعْطِيَهُمْ مَا كَانَ عِنْدَكَ وَافِرًا،
- حَدِيثُهُمْ، إِذَا اعْتَبِرُوا، عُجَابٌ^(١)؛
وَبَاطِنُهُمْ، إِذَا خَبِرُوا، ذُئَابُ.
فَالْكُلُّ يَخْطِطُ مِنْهُ فِي عَمِيَاءِ^(٢).
خَبَّرَ كَمَا وَصَفُوا عَنِ الْعَنْقَاءِ^(٣).
وَقَدْ عَلِمَ الرَّحْمَنُ صِدْقَ مُرَادِي:
وَيَا لَيْتَ خَوْفَ النَّارِ فَتَّ فُؤَادِي.
مِنْهُ الشَّيْبُ فَعِضَ مَا قَدْ عِفَّتْهُ^(٤).
مَا لَوْ بَدَا بِرُؤُوسِهِنَّ كَرِهَتُهُ^(٥).
فَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يُؤْتَلُ بِالْحَمْدِ^(٦)؟
فَجُذِّ كَرَمًا؛ إِنَّ الْعَوَارِيَّ لِلرَّدِّ^(٧).
وَتُخْرِزُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ وَدَّهْمُ،
وَوَفَّرَ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ.

- (١) العجَابُ (بالضَّمِّ): ما يدعو إلى العجب الشديد.
(٢) عفا أثره (امحى، زال). خيط: سار على غير هدى. العمياء (أرض عمياء لا يرى السائر فيها علامة تدلّه على الطريق).
(٣) الحلال (الكسب من وجوه مشروعة). كما وصفوا (كذا في الأصل)، لعلّها: كما ذكروا (وهذا أصح في المعنى). العنقاء: طائر خرافي.
(٤) عاف: كره، هجر، ترك.
(٥) انّ الغواني (جمع غانية: المرأة الجميلة والمستغنية بمجالها الطبيعي عن التزّين بالحلي) تكره الشيب في رأس الرجل كما يكره الرجل الشيب في رأس المرأة.
(٦) أتّل الحمد: تّمّاه (زاد في قيمته).
(٧) العارة والعارية: ما تعطيه لغيرك على شرط أن يردّه إليك (أو يردّ إليك مثله) فيما بعد. والعواري (بتشديد الياء جمع عارية). وجمع عارة عوار. وهذان البيتان اتكاء على قول بشر بن برد في مديح خالد بن برمك. والبيت الأخير من مدحة بشر:
فأطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقيها، إنّ العواري للرّد.

- وقال أبو بكر بن قسوم يرثي ابناً له تُوفِّيَ وله مِنَ العُمُرِ ثلاثُ عَشْرَةَ سَنَةً (ويبدو أَنَّهُ كان أَبناً وحيداً):

يُمِرُّ الحَبِيبُ بِقَبْرِ الحَبِيبِ فِلا ذَا يُنادي، ولا ذَا يُجِيبُ.
وَكَيْفَ يُجِيبُ رَهينُ الثَّرى رَمَاهُ الحِمامُ بِسَهْمٍ مُصِيبِ^(١)
تُنَوِّسِي لَنَا نَأى عَهْدُهُ، وَأَقْفَرَ مِنْهُ اللَّوَى والكُتَيْبِ^(٢).
إِذَا أودَعَ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ، فَلَيْسَ لَهُ - وَنَحَهُ، مِنْ حَبِيبِ.
* شَطَطٌ بَيْنَ نَهْوَاهُ عَنْكَ الدَّارُ، وَقَضَّتْ عَلَيْكَ بِحُكْمِهَا الْأَقْدَارُ^(٣).
بَرْدٌ لَهَيْبِ الشُّوقِ مِنْكَ بِقَبْرِهِ تَنْقَعُ ضُلُوعَكَ، لِأَنِّهَا لَحِירَارُ^(٤).
رَحَلَ الحَبِيبُ عَنِ الحَبِيبِ، فَدَمَعُهُ عِنْدَ التَذَكُّرِ وَاكِفٌ مِدْرَارُ^(٥).
فِي الجَفَنِ مِنْهُ عَبْرَةٌ سَيَّالَةٌ تَسْقِي الخُدُودَ، وَفِي حَشَاهُ النَّارُ.
يَا حُرْقَةً، يَا فَجْعَةً، يَا لَوْعَةً سَكَنْتَ فَوَادِي مَا لَهَا مِقْدَارُ^(٦).
يَا ظَاغِنًا حَطَّ الرِّكَابَ بِمَغْشَرِ عَمِيتَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ الْأَخْبَارُ^(٧).
لَهُ مِنْكَ هِلَالٌ عَشْرٌ قَوْرِنَتْ بِثَلَاثَةِ لَوْ يَكْمُلُ الْإِبْدَارُ^(٨)!
أُنْسَتْ بِزُورَتِكَ الْقُبُورُ، وَأَصْبَحَتْ مِنْكَ الدِّيَارُ كَأَنَّهُنَّ قِفَارُ^(٩).

- (١) الرهين: المرهون (المحبوس). الحمام (بالكسر): الموت. الثرى: التراب.
- (٢) نأى: ابتعد. نأى عهده (طال الزمان بعد انقضاء حياته). اللوى (الرمال المستدير) والكُتَيْب (الرمال المستطيل المحدود) كناية عن الأماكن التي يسكنها البدو (أو يسكنها الناس عامة).
- (٣) شطط: أصبح بعيداً.
- (٤) العبرة: الدمعة (البكاء). نقع الماء غلغلي (حرارة جوفى): أذهبها. والأصل: نقع الماء العطش (أذهبه). حرار جمع حرى: شديدة العطش أو الحزن (أو الحرارة).
- (٥) دمعه (الهاء ضمير يرجع إلى «الحبيب» الثاني). واكف: سائل. مدرار: كثير السقوط (كالطرر).
- (٦) الفجعة: فقد عزيز (كموت قريب أو حبيب أو نسيب) أو خسارة ثمين (كالمال). واللوعة: الحرقعة والألم من حب أو حزن. مال ها مقدار (ما لَهَا مقدار معروف = عظيمة جداً).
- (٧) الطاعن: الراحل. حطَّ الرحال (جمع رحل بالفتح): الصرج على الجمل أو الفرس كناية عن السكنى الدائمة.
- (٨) عشر = عشر ليال. بثلاثة (كذا في الأصل. والصواب بثلاث = مع ثلاث ليال). لم يكمل الإبدار (بلوغ القمر تمامه حتى يصبح بديراً (ليلة أربع عشرة)). - يقول فقد ابنه، وعمر ابنه ثلاث عشرة سنة (ولم يبلغ بعد أربع عشرة سنة) يشبهاً بالبدر الذي يبلغ تمامه في الليلة الرابعة عشرة.
- (٩) القفار (بالكسر) جمع قفر (بالفتح): أرض خالية.

ولقد أَرَدْتُكَ أَنْ تعيشَ لكَبْرِي
ولقد تَرَاكُضْنَا الحياةَ لِغَايَةٍ:
ما إِنْ وجدتُ على مُصَابِكِ ناصراً
- وقال أبو بكرٍ بنُ قُصَومٍ يذمُّ الذين يشتغلون بالمنطق وعلوم الأقدمين (الفلاسفة) ثم هم يُهملون علومَ الشريعة:

أَلَا قَبِيحَ الرحمنُ شَرُّ عِصَابَةٍ
تُصَدِّقُ ما قالَ ابنُ سينا عِصْلَةً،
أَقاوِيلُ إِفْكِ ما لها من حَقِيقَةٍ
أَلَا غَضَبَةُ اللهِ في نَصْرِ دِينِهِ
★ عَذِيرِي، عَذِيرِي مِنْ فُرْقَةٍ
تَدِينُ بِما قالَهُ فاسِقُ
تُصَدِّقُ قولَ ابنِ سيناها

تَدِينُ بأقوالِ الفُؤادِ، وتَقْتَدِي^(١)
وَتُكْذِبُ قولَ الهاشميِّ مُحَمَّدٍ^(٢)
تُفِيدُ سِوَى الكُفْرِ الصريحِ المُجَرَّدِ^(٣)
تَقْدُ طُلَاهُمُ بالحُسامِ المُنْهَدِ^(٤)؟
غَدَتِ للشريعةِ أَعْدَى العِدَى^(٥)
تَزْنِدُ في قولِهِ وأَعْتَدِي^(٦):
وَتُكْذِبُ قولَ نبيِّ الهدى^(٧).

- (١) الكبرية التَقَمَ في السَّنِ كثيراً (حتى يعجز الإنسان عن قضاء حاجاته) والزمانة: المرض الدائم المتعمد. أرادك (فضل أن يأخذك مني) الجبل (الله).
- (٢) تراكضنا: ركضنا معاً (تسابقنا). يقال تراكضنا خيلنا (ينصب خيل على أنها مفعول به) جمعناها تركز في السباق. تراكضنا الحياة (بالنصب): جرت حياتي وحياتك في سباق (وكان المنتظر أن أسبقك أنا إلى الموت لأنني أبوك وأكبر منك سناً. فسبقت أنت (مت قبل). وخانتني أنا المضل، أي الحلبة - بفتح ففتح - التي تتسابق فيها الخيل. أنا عجزت عن أن أسرع في السباق).
- (٣) لم أجد ناصراً (من الناس) يخفف من حزني. فكانت الدموع وحدها أنصاري. (تعيني على تحمل الصيبة). ولعله يقصد أن يقول: أنصار جما لنصر (بالفتح) ونصرة (بالضم) بمعنى المظهر (تاج العروس - الكويت ١٤: ٢٢٤ و ٢٣٤) وحسن الموعظة (ص ٢٢٥).
- (٤) الفؤاد جمع غاوى: الممن (المبالغ) في الضلال (في الهدى عن الصواب).
- (٥) ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) طبيب عالم بارع وفيلسوف. ضلَّ (بالكسر): اتبع غير الرشاد وغير الصواب.
- (٦) الألف: الكذب.
- (٧) ألا غضبة لله (من حاكم قادر). تقد: تقطع. الطلا جمع طلاة (بالضم فيها): الرقبة، العنق. الحسام: السيف الذي يحسم (يقطع اللحم والعظم) المنهد (صنع الهند) ويكون جيد الحديد جيد الصنع.
- (٨) العذير: العاذر والناصر والمساعد. عذيري من فلان: من يميني على (قتال) فلان؟
- (٩) دان: خضع وذلل. اعتقد، عمل بقاعدة ما. الفاسق: الذي خرج عن طاعة الله، الجاهر بالمعصية.
- (١٠) ابن سينا (راجع حاشية تامة للمقطوعة السابقة). نبي الهدى: محمد رسول الله.

مَتَى يَأْذَنُ اللَّهُ فِي حَسْمِهَا بَضْرَبِ الْحُسَامِ وَحَزُّ الْمُدَى؟^(١)

٤-★★ التكملة ٢: ٧٥٤ (رقم ٢١٢٧)، الدليل والتكملة ٦: ٢٤٢ - ٢٥٢ (رقم ٧٠٥)،
برنامج الرعي ٩٢ - ٩٥، الأعلام للزركلي (٦: ٢٣٢).



(١) حسمها: قطعها (إبادته تلك الفرقة الفاسقة). الحسام: السيف القاطع. المدية (بالضم): السكين.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس أعلام الأشخاص

- * وفيه عدد يسير من المدارك العامة.
- * ثم يرد في المقدمة عدد من الأعلام أخذتها من كتب أخرى أمثلة فلم أَدْخِلها في هذا الفهرس، وكذلك الأسماء الواردة في قائمة المصادر والمراجع.
- ح = في الحاشية؛ م = مكرّر.
- * والنسبة «ابن فلان» مقدمة على الكنية «أبو فلان»، إلا إذا كانت الكنية مشهورة جداً أو إذا كانت النسبة مجهولة.
- * واللقب: الصدي، الصيرفي، الحجاري مقدمة على الكنية عموماً.

آ - أ

- إبراهيم بن وزمر (شخصان) ٣١٣ ح.
- آدم ١٣٧، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٨٧،
- أبرويز الثاني ١٩٦ م.
- أبقراط = بقراط. ٤٢٤، ٦٤٦، ٧١٥ م.
- آل زهر ٤٠ - ٤١.
- أبليس ٣٢٥ ح، ٥١٧ م، ٦٢٨ ح.
- الأمير الفاطمي - منصور بن أحمد
- ابن الأبار - محمد بن عبد الله ٢٣٧،
- ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨ م، ٦٤٢ ح.
- ابن الأتبار (شخص مقامات) ٤٤٧.
- ابن الأبرش ٢٨٩.
- أمنة بنت وهب ٧١٥ م.
- ابن أبي بزة = البري.
- إبراهيم (اسم) ٥٠٨ ح.
- إبراهيم بن أبي بكر التلمساني ٣٦٨.
- إبراهيم بن تاشفين = ابن تاشفين.
- إبراهيم بن محمد الاشبيلي ٣٦٦.
- ابن أبي البقاء البلسي (٥٩٥ -
- ٥٩٧).
- ابن أبي خازم ١٧٣ ح.

- ابن أبي الخصال - محمد بن مسعود (٢٦١ - ٢٦٤)، ٤٤، ٦٢، ٣٣٠، ٣٨٢، ٣٨٦، ٦٧١.
- ابن أبي الربيع - عبد الله بن احمد ٣٧٨.
- ابن أبي الركب = أبو ذرّ، محمد بن مسعود.
- ابن أبي رندقة = أبو بكر الطرطوشي.
- ابن أبي زمين - عبد الله ١٧٠.
- ابن أبي زيد - أبو عليّ ٤٢٧.
- ابن أبي زيد القيرواني - أبو محمد ١٤٦.
- ابن أبي الصقر الخزرجي - ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن (٤٠٧ - ٤١٠)، ٣٧٢.
- ابن أبي الصقر الخزرجي = عبد الرحمن ابن محمد.
- ابن أبي صواب ٢٣٧.
- ابن أبي الطواجين ٦٤٥.
- ابن أبي العافية ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٠٩.
- ابن أبي عامر = المنصور.
- ابن أبي عامر (صاحب منية بلنسية) ٣١٨ ح.
- ابن أبي عمرو ٣٩٨، ٦٠٨.
- ابن أبي العيش - علي ٣٥٣، ٦٠٨.
- ابن الأبيض = ابو بكر.
- ابن الأثير ٧٣ ح.
- ابن أحلي (ذكر في شعر) ٥٨٢ م.
- ابن أحمد القرشي التاريخي - جابر ٦٥٥.
- ابن الأحمر
- ابن أخت غانم - محمد بن معمر (١٥٩ - ١٦١)، ٢٣٧، ٣٥٣.
- ابن الأخضر الاشبيلي - علي ٢٣٧، ٢٨٩، ٣٠٧.
- ابن إدريس التجيبي - إبراهيم (٦٧٨ - ٦٧٩).
- ابن أرفع رأسه - علي ٣٧٦.
- ابن أزهر الحجري - أبو بكر ٦٢٧ م.
- ابن إسحاق (صاحب السيرة) ٤٦٨ م، ٥٦٨، ٥٦٩، ٦٩٧ م.
- ابن أسد الشاطبي (القاضي) ٢٥١.
- ابن أسد = ابن عتيق.
- ابن إسماعيل (الحافظ) ٢٨٠.
- ابن الأسود (ذكر في شعر) ٣١٠ م.
- ابن الأشركوني = السرقسطي.
- ابن أصبغ - عبد الجبار ٥٩.
- ابن أصبغ - عيسى ٣٦٨، ٦٣٢ م.
- ابن أصبغ = ابن المناصف

ابن الأصم = عبد الوهّاب القيسي
 المنيشي.
 ابن أضحى - عليّ (القاضي) ٢٧١ -
 ٢٧٢.
 ابن الأعرابي ٦٢٨.
 ابن الأفطس - الفضل بن عمر ١٩٢،
 ١٩٨.
 ابن الأفطس = المعتصم، المتوكل.
 ابن الأفطس المنصور - عبد الله بن
 مسلمة.
 ابن الأفطس المنصور - يحيى بن محمّد
 ٨٠، ١١٥، ١٩٢ م.
 ابن أفلاطون = ابن عربي.
 ابن أفلح = جابر
 ابن الاقليشي = ابن وكيل الاقليشي.
 ابن أريق ٤٠٥ م، ٦٨٩ م.
 ابن الامام الشلي (٣٣١ - ٣٣٤).
 ابن أمين السعدي - محمّد بن أحد ٦٢.
 ابن باجّه (٢١٥ - ٢١٨)، ١٦، ٤٠،
 ٤١ م، ٤٣، ٥٣، ٥٨، ٥٩،
 ٦١ م، ١٥٤، ١٨٧، ٢١٣،
 ٣٧٩ م، ٤١٦، ٤١٩، ٦٧٠.
 ابن الباذش - أحد بن خلف ٣٩.
 ابن الباذش - عليّ بن أحد (١٧٠ -
 ١٧٢)، ٢١٣، ٢٣٧، ٢٦٨،
 ٤١١.

ابن باق الجذامي - محمّد بن حكيم ٦٢.
 ابن بحر الأسدي ٢٦٨.
 ابن بدرون - عبد الملك (٥٨٢ -
 ٥٨٥)، ١٩٣ ح، ١٩٥ م.
 ابن برّاجان اللخمي - عبد السلام
 ٤٠، ٤٦٣.
 ابن البراق - محمّد بن علي
 (٥٣٠ - ٥٣٩)، ٥٥٥ - ٥٥٦.
 ابن برد - أبو حفص احمد ٥١ م.
 ابن البرقي ٧٣٢.
 ابن بركات = ابن هلال النحوي.
 ابن برنجال - محمد بن الحسن (٢٣٢ -
 ٢٣٣).
 ابن برّي - محمّد بن عبد الله ٦٢،
 ٥٩٣.
 ابن بسم الشنتريني (٢٧٣ - ٢٨٠)،
 ٣٩، ٥٠، ٥١ م، ٦٣، ٦٤ م،
 ٦٥، ٨٩، ١٨٧ م، ٣٣١، ٣٨١.
 ابن بشكوال (٤٥٦ - ٤٥٨)، ٦٠،
 ٣٧٢، ٥١٢، ٥٥٠، ٥٦٨، ٦٨٤،
 ٧١٦.
 ابن بشير = محمّد بن بشير
 ابن بصّال ٤٧٨.
 ابن بقنة ٤٨.

٧٤٣

ابن تاشفين - يحيى (والي فاس)
٣٣٥ م، ٣٣٧.

ابن تاشفين - يوسف = يوسف.

ابن تاويت التطواني - محمد ٥٧٤.

ابن تاويت الطنجي - محمد ٥٧٤.

ابن تليد الشاطبي - موسى ٢١٨،
٢٣٧، ٤٨٢.

ابن التوزري النحوي ٧٠٩ ح.

ابن تيسيت - عبد المنعم ٤١١.

ابن تيفلويت - أبو بكر بن إبراهيم
٢١٥، ٢١٦.

ابن ثابت - أبو محمد ٢٣٧.

ابن جامع - أبو سعيد ٥٩٨.

ابن جبر القيرواني ١٥٢.

ابن جبير (٦٠٨ - ٦١٣)، ٣٧٤.

ابن الجدّ - أبو بكر محمد بن عبد الله
١١٠ ح.

ابن الجدّ - أبو بكر ٣٦٧ - ٣٦٨،
٣٨١، ٦٠٢، ٦٦٣، ٧٢٩، ٧٣٤.

ابن الجدّ - أبو القاسم (١٠٩ - ١١٢)،
٥٣، ٣٧٨.

ابن الجلاب الفهري - أبو عبد الله محمد
٣٧٨.

ابن جلدك - موسى بن يغمور ٧١١.

ابن الجنّان - أبو بكر (٢٥١ - ٢٥٤).

ابن بقيّ الأندلسي - أبو بكر يحيى
(٢٥٦ - ٢٦١)، ٤٢، ٤٣، ٦٨،

١٦٢.

ابن بقيّ - يزيد (القاضي) ٦٥٥.

ابن بليّة القيرواني - الحسن ٤٥٨.

ابن البنيّ ٥٤ - ٥٥، راجع ٢٩٦ ح.
ابن بونة - أبو بكر ٣٣٤.

ابن بيش (بیش) ٤٨٥ م.

ابن البيطار ٣٧٧ م.

ابن تاشفين - إبراهيم بن عليّ ١٢٨.

ابن تاشفين - إبراهيم بن يوسف ١٩٠،
١٩٢.

ابن تاشفين - أبو حامد ٣٩ م.

ابن تاشفين - إسحاق بن عليّ ٢٨١،
٣٢٤.

ابن تاشفين - تاشفين بن عليّ ٢٨١،
٣٢٤.

ابن تاشفين = سير بن أبي بكر

ابن تاشفين - علي بن إسحاق ٢٨١ م.
ابن تاشفين - علي بن يوسف ٤٢، ٦٨،

١١٠ م، ١١١، ١٣١، ١٣٢،

١٧٢، ١٨٧ م، ١٩٣، ٢٠٠،

٢٣٠ م، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٠١،

٣٢٤، ٣١٤.

ابن تاشفين - محمد (والي غرناطة)
٣٣٤.

ابن الجنان - أبو العلاء عبد الحق
(٢٤٩ - ٢٥١).

ابن جني ١٧٠.

ابن الجني (له كتاب المحتسب) ٥٤٥.

ابن للجهم ٦٨٧ م.

ابن جمهور - أبو الوليد ١٤٢.

ابن جودي - أبو الحسن عليّ (٢١٣ -
٢١٥).

ابن الجوزي - أبو الفرج ٦٨٤، ٦٨٥.

ابن الحاجّ (ثائر) ٣٣٢ م.

ابن الحاجّ - بن عمر بن إبراهيم (١٠٠ -
١٠٢).

ابن الحاجّ - عبد الرحمن بن جعفر
(٣٢٧ - ٣٢٨).

ابن الحاجّ - محمد بن جعفر (وزير)
١٠٠ ح.

ابن الحبال - إبراهيم ٧٢٦.

ابن حبّوس (٤٢٢ - ٤٢٥).

ابن حبيب - عبد الملك ٣٦٧.

ابن حبيش - عبد الرحمن ٣٧٢،
٦٦٩، ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٢٩.

ابن حجر - (؟) ١٠٩.

ابن الحدّاد الوادياشي (الشاعر) - محمد
٨٠.

ابن حرب (ذكر في شعر) ٦٠١ م.

ابن حزم - علي ٣٧٠.

ابن حريق - أبو الحسن عليّ بن محمد
(٦٣٥ - ٦٣٧).

ابن حزم الكبير ٣٨١، ٦٧٠،
٦٨٥ ح.

ابن حزم = البسع بن عيسى

ابن حزمون المرسّي - عليّ بن عبد
الرحمن (٦١٣ - ٦١٧)، ٤٣٨.

ابن حسداي - يوسف ١٠٢ - ١٠٤.

ابن حسّون - أبو الحكم ٣٥٣ م، ٣٥٥.

ابن الحشّاء التونسي - أحمد ٣٧٤.

ابن حمّاد الصنهاجي - محمد بن عليّ
(٦٥٩ - ٦٦٣)، ٣٧٢.

ابن الحمارة = أبو الحسين، أبو عامر.

ابن حمدون - عليّ بن أحمد ١٥٢.

ابن حمديس - عبد الجبار (٢٠١ -
٢١١)، ٦٨.

ابن حمدين (القاضي) ٥٤، ٩٦.

ابن حمدين (آخر) ٩٦ م.

ابن حميد - أبو عبد الله ٥٥٨.

ابن حوط الله الحارثي (٦٠٦ - ٦٠٧).

ابن حيّان - حيّان بن خلف ٣٨١.

ابن حيّان - عبد الله بن جعفر ١٤٥.

ابن خاقان = الفتح بن خاقان

ابن خبّازة الخطّابي - ميمون بن عليّ
(٧١٤ - ٧١٥).

ابن خليفة الاشبيلي - محمد بن خير
٣٧٤.

ابن خليل العثّاب ٣٦٦.

ابن خيثمة القيسي - محمد ٦٢.

ابن خير الاشبيلي - أبو بكر محمد
(٤٤٢ - ٤٤٣)، ٣٧٢.

ابن خيرة المواعيني - محمد بن إبراهيم
(٣٨٦ - ٣٨٩)، ٥٢ م.

ابن خيرة - محمد بن عبد الله ٤٢٨.

ابن الدبّاغ - أبو الوليد ٤٢٨، ٤٨٠.

ابن دحان - القاسم ٥٤٧، ٥٨١ م،
٦٠٢.

ابن دحية الكلبي - أبو الخطاب
(٦٨٤ - ٦٩٠)، ٣٨٣، ٣٨٤،

٣٧٨، ٣٨٦ م، ٤٨٠، ٧٢٦ م.

ابن دحية الكلبي - أبو عمر ٧٢٠ م.

ابن درّاج القسطلّي ٣٨٢.

ابن دريد ٦٩، ٦٦٠، ٦٦٤.

ابن الدقاق - بدر الدين ٦٢٩ - ٦٣٠.

ابن ذكوان - عبد الله بن أحمد ٤٩٨ م.

ابن ذي النون - إسماعيل (؟) ١٤٢.

ابن رايوند = ريموند الرابع

ابن رحيم = أبو بكر محمد بن أحمد
(١٢٨ - ١٣١).

ابن الحرّاط الاشبيلي - عبد الحقّ
البجائي (٤٦٢ - ٤٦٥)، ٣٦٧،

٥٧٤، ٦٦٠ م.

ابن خروف - علي بن محمد (٥٩٧ -
٦٠٢)، راجع ٥٩٧ - ٥٩٨،
٦٢٤.

ابن خضر الاشبيلي الملاء - عمر ٣٩١.
ابن خفاجة (٢١٨ - ٢٢٥)، ٢٤، ٤٣،
٤٥، ٥١ م، ٦٨ م، ٦٩، ١٧٤،

١٧٥، ٢٤٩، ٣١٦ - ٣١٧،

٣٢٩، ٣٣٩، ٤٣٠، ٤٨٠،

٤٥١ م.

ابن خلدون ١٦ م، ٣٤، ٣٩، ٥٩،

١٦٢، ٢٣٢ ح، ٢٩٦ ح.

ابن خلصة - محمد بن عبد الله
(٥١٩ هـ) ٦١ - ٦٢.

ابن خلصة - محمد بن عبد الله الضرير
(٥٠٣ هـ) ١٥٤.

ابن خلصة - محمد بن مسعود = ابن أبي
الحصّال.

ابن خلف الأنصاري الاشبيلي - عبد
الله ٤٢.

ابن خلف الرازي - عبد الله ١٥٢.

ابن خلفون

ابن خلكان ٢٥٧، ٤٤٦، ٦٨٤،
٧١٩ - ٧٢٠.

- ابن رشد (الجد) ٣٩، ٥٦، ٣٨١ م،
٤١٠، ٤٥٦ (٢)، ٥٣٠، ٦٧٠ م،
٦٩٣ (٢).
- ابن رشد (الحفيد: الفيلسوف) (٥٢٤) -
٥٣٠، ١٦، ٣٩، ٣٦٩ م،
٣٧٠ م، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٠ م،
٣٨١ م، ٥٥٠، ٥٦٠ م، ٦٧٠،
٦٩٣ (٢).
- ابن رشيقي القيرواني - الحسن ٥١،
٣٠٨.
- ابن رشيقي - عبد الرحمن ٨٨ - ٨٩.
ابن الرماك ٤٢٣، ٤٥٣، ٥١٢.
ابن الرنك = ابن أريق (بالمهزة)
ابن الرومي ٣١٥، ٤٣٠، ٦٠١ ح.
ابن الرومية - أحمد بن محمد ٣٧٧.
ابن الرقيق = ابن أريق (بالمهزة)
ابن ريموند = ريموند الرابع
ابن زرقون - أبو الحسين ٦٨٤،
٧٠١ م.
- ابن زرقون - محمد بن سعيد (٤٨٢) -
٤٨٤، ٦٢٤، ٦٩٣، ٧٢٩.
ابن زغبية - أبو عبد الله ٤٤٣.
ابن الزقاق البلسني (١٧٤ - ١٨٠)،
٤٢، ٤٣، ٦٨ م، ١٧٤، ٣١٦،
٣٣٩، ٥٣١ م، ٦٧٢ - ٦٧٣.
- ابن الزكي - محيي الدين ٥٩٩.
ابن زمرك ٣٢١ ح.
ابن زهر - أبو بكر محمد بن عبد الملك
(٥٣٩ - ٥٤٤)، ٤١، ٣٧٧،
٣٧٨، ٣٨١، ٥٧١، ٦٢٤،
٦٧٠ م، ٧٣٢ - ٧٣٣.
- ابن زهر - أبو العلاء زهر بن عبد
الملك ٤١، ٥٧ - ٥٨، ١١٦،
١٦٧، ٢١٣ م، ٣٠٣، ٣٨١،
٦٧٠.
- ابن زهر - أبو مروان عبد الملك ٤٠ -
٥٨، ٥٨ م، ٣٧٧، ٣٨١، ٥٣٩،
٦٧٠.
- ابن الزيأت = أبو الحجاج التادلي
ابن زيد (وزير) ٢٩٩.
ابن زيدون ١٩١، ٣٨٢، ٤٩١.
ابن سالم المالقي (٦٣٤ - ٦٣٥).
ابن سبعين ٣٧١.
ابن سحنون - محمد ٥١٢.
- ابن سراج - أبو الحسين سراج بن عبد
الملك (٩٥ - ٩٦)، ٤٤ م.
ابن سراج - أبو مروان عبد الملك
٩٥، ١٧٢.
- ابن السراج - محمد بن السري ١٧٠.
ابن السراج الشنتريني - أبو بكر محمد

ابن عبد الملك (٣٠٧ - ٣٠٩)،

.٦٢

ابن سراقه = يحيى الدين بن عربي

ابن سعادة - محمد بن عبد العزيز

.٤٩٣ م.

ابن سعادة - محمد بن يوسف ٤٩٣ م.

ابن سعد (الأمير ؟) ٥٣٠ م.

ابن سعد الخير البلنسي * (٤٢٨ -

.٤٢٩)

ابن سعدون - يحيى بن عمر القرطبي

.٥٦

ابن سعيد = أبو بكر بن سعيد

ابن سعيد العنسي - أبو جعفر أحمد

(٣٣٨ - ٣٥٠)، ٣٠، ٤٥٤،

.٤٩٠، ٤٩١ - ٤٩٣، ٦١٨ -

.٦١٩

ابن سعيد العنسي - خلف بن محمد

.٣٣٨ م.

ابن سعيد العنسي - سعيد بن الحسن

.٣٣٨

ابن سعيد العنسي - سعيد بن خلف

.٣٣٨ م.

ابن سعيد العنسي - عبد الرحمن بن

عبد الملك (٦١٨ - ٦٢٢)،

.٣٤٠ م.

ابن سعيد العنسي - عبد الملك ٣١٥،

.٣٢٠، ٣٢١ - ٣٢٢، ٣٣٨ م،

.٣٣٩

ابن سعيد العنسي - علي بن موسى ٥٠،

.٣٣١، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٥ -

.٣٨٦، ٦٨٠ م، ٦٩٩، ٧٣٢.

ابن سعيد العنسي - محمد بن عبد الملك

.٤٣٠

ابن سعيد العنسي - موسى بن محمد

.٥٣٢ ح، ٦٥٣.

ابن سفيان - أبو محمد ١٩٠ - ١٩١.

ابن سكرة الصدي = الصدي

ابن السكيت - يعقوب ٦٢٣ م.

ابن سلام الباهلي - أبو الحسن سلام

.٦١

ابن سلام المالقي (٣٨٩ - ٣٩٠).

ابن سلام الهروي - أبو عبيد ٤٦٤ م،

.٦١٧، ٦٩٤.

ابن سلتكا = مزدلي

ابن سناء الملك ٦٣٠.

* في الأصل: ابن سعد الخير البلنسي (ولد نحو

سنة ٥١٠ هـ) وتلقى العلم على ابن السيد

البطلوسي (ت ٥٢١) وأختص به (وهذا

موضع نظر - إلا إذا كان مولد أبي الخير

البلنسي أسبق في التاريخ).

- ابن سهل الاشبيلي - إبراهيم ٣٧٨ .
 ابن سورة - أبو عبد الله ٥٧٤ .
 ابن السيد (؟)
 ابن سيد اللص الاشبيلي - أبو العباس
 أحمد (٤٥٣ - ٤٥٥) ، ٣٥٢ ح ،
 ٥٤٧ ، ٧٣٤ (؟) ، ٦١٧ - ٦١٨ .
 ابن سيد - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد
 ٧٣٤ م .
 ابن سيد - أبو العباس ٧٣٤ م .
 ابن السيد البطليوسي - أبو الحسن علي
 ابن محمد ١٥٢ .
 ابن السيد البطليوسي - أبو محمد عبد
 الله بن محمد (١٥٢ - ١٥٩) ، ٣٩ ،
 ٤١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٧٤ م ،
 ١٧٨ ، ٢٣٧ ، ٣٠٥ ، ٣٥٢ ح ، ٣٨١ ،
 ٤٢٨ .
 ابن سيدالة التجيبي - محمد ٣٧٢ .
 ابن سيدراي - عبد الله بن محمد ٥٨٧ .
 ابن سيدراي - محمد (٥٨٧ - ٥٨٩) .
 ابن سيده ٣٨١ .
 ابن سينا ٤٧٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٧٣٨ م .
 ابن شاهين ٥٤٥ .
 ابن شدّاد - بهاء الدين ٥٩٩ م ، ٦٠٠ .
 ابن شرف - أبو الفضل جعفر (٢٢٥ -
 ٢٣٠) ، ٤٤ ، ٦٨ ، ١٦٠ - ١٦١ ،
 ٥٣١ م .
 ابن شرف - أبو عبد الله محمد ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ح ، ٣١٦ .
 ابن شريح - أبو الحسن شريح ٤٢٣ ،
 ٤٥٣ ، ٤٦٣ .
 ابن شفيع ٢٨٩ .
 ابن شقرون - أحمد ٢٧٠ .
 ابن شقرون - عباس بن عبد السلام
 ٤٦٩ .
 ابن شكر - يحيى بن محمد ٣٧٦ .
 ابن شكيل الصدي (٥٧٩ - ٥٨٠) .
 ابن شلبون ١٨ - ١٩ .
 ابن الشلوبين = الشلوبين
 ابن شهيد - أبو عامر ٥٠ - ٥١ ،
 ٦٤ م .
 ابن الشيخ = أبو الحجاج
 ابن الصائغ = ابن باجّه
 ابن الصائغ - عبد الحميد بن محمد
 ٢٣٤ م .
 ابن الصابوني الصدي الاشبيلي - ابو
 بكر (٧٠١ - ٧٠٩) .
 ابن صاحب الصلاة - عبد الملك بن
 محمد (٥٢١ - ٥٢٤) .
 ابن صارة الشنتريني (١١٥ - ١٢١) ،
 ٦٨ ، ... ، ٢٩٦ .
 ابن صاف - أبو بكر ٦٠٢ ، ٦٢٢ .
 ابن الصفّار - أبو سعيد ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

ابن طلحة الأنصاري - أبو جعفر
أحمد (٦٨٨ - ٦٨٩).

ابن طملوس ٣٦٩ م.

ابن ظفر الصقلّي (٣٩٨ - ٤٠٢).

ابن عات النفزي - أحمد ٣٧٢.

ابن عامر اليحصي - عبد الله ٤٩٨ م،
٤٩٩ ح، ٥٠٠ م.

ابن عباس - عبد الله ٥٢٨ م.

ابن عبد البر - محمد ١١٢.

ابن عبد البر - يوسف بن عمر ٣٨،
٣٦٦ م، ٣٦٧ ح، ٣٨١، ٤٨٣،
٤٩٤.

ابن عبد ربّه - أحمد ٣٨١.

ابن عبد ربّه المالقي - محمد (٦٣٠ -
٦٣٢)، ٥٧٢.

ابن عبد الصمد (والي سبتة) ٦٣٥.

ابن عبد الصمد = محمد بن بشير

ابن عبد الرحيم - أبو عبد الله ١٧٠.

ابن عبد الغفور* - أبو القاسم محمد
(٢٨٠ - ٢٨٣)، ٤٤، ٥١، ٥٢،

٦٠، راجع ٤٢٣، ٤٥٣.

ابن عبد الغفور - أبو محمد ٧٠،
٢٨٣ ح.

ابن الصقر - أحمد بن عبد الرحمن
٣٧٢.

ابن صمادح = المتصم بن صمادح

ابن الصيرفي = أبو بكر بن الصيرفي

ابن ضابط النحوي ١٩٢.

ابن طاهر (صاحب مرسية) ٢٧٤.

ابن طاهر الأندلسي = الخدب

ابن طاهر بن عيسى = أحمد بن طاهر

ابن طاهر - أبو بكر أحمد ٨٨ م.

ابن طاهر القيسي - محمد بن أحمد
(٨٨ - ٩١).

ابن الطحّان - عبد العزيز بن علي

٤٦٣، ٥٣١ م.

ابن الطراز الفرناطي - محمد بن سعيد
٣٧٣.

ابن الطراوة - سليمان (١٧٢ - ١٧٤)،
٣٥٣، ٣٨١.

ابن الطراوة - أبو عبد الله ٥٤٧.

ابن طريف ١١٣.

ابن طفيل (٤٧٠ - ٤٧٣)، ١٦،

٢٤٣ ح، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤،

٣٧٥ م، ٣٧٦ م، ٣٧٩ م، ٣٨١،

٤٠٨، ٥٢٤، ٦٧٠.

ابن طلحة الاشيلي - أبو بكر

(٦٢٢ - ٦٢٤).

* راجع الصفحة ٢٨٣ (الحاشية السابعة).

ابن عبد الغفور - محمد بن عبد الغفور
٢٨٣ ح.

ابن عبد الملك = المراكشي

ابن عبد المؤمن - أبو الربيع ٤٨٤ .

ابن عبد المؤمن إدريس ٥٩٨ .

ابن عبد المؤمن - أبو سعيد عثمان

٣٢٤ ، ٣٣٩ م ، ٣٤٠ - ٣٤١ ،

٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،

٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٦٠٨ .

ابن عبد المؤمن - علي (٥٦٠) ...

ابن عبد المؤمن - أبو حفص عمر

٣٨٦ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .

ابن عبد المؤمن - محمد = محمد بن عبد
المؤمن

ابن عبدون - عبد الحميد (١٩٢) -

(٢٠١) ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

١٨٧ ، ٤٨٢ ، ٥٨٣ - ٥٨٥ .

ابن عتاب - عبد الرحمن ٢٣٧ ، ٢٦٨ ،

٤٥٨ ، ٤٨٢ .

ابن عتيق بن أسد - أبو بكر ٢١٨ .

ابن عتيق الذهبي - أحمد (٥٦٠) -

(٥٦٢) .

ابن عذاري ٧٣ ح .

ابن عربي = سعد الدين

ابن عربي - محيي الدين (٧١٦) -

(٧٢٢) ، ٣٧١ .

ابن العربي = أبو بكر ، ابن عربي

ابن العربي - أبو عبد الله ٥٨١ م .

ابن العربي - علي (والد محيي الدين بن

عربي) ٧١٧ .

ابن عروس - أبو عبد الله = (مقرئ)

٥٥٧ ح ، ٧٢٩ .

ابن العريف - أبو العباس أحمد

(٢٣٠ - ٢٣٢) ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٣٠٥ ،

٣٣٣ م .

ابن عساكر ٤٦٣ ، ٦٠٠ ، ٦٦٣ .

ابن العشرة - أبو العباس بن القاسم

٤١٧ .

ابن العشرة - محيي بن علي بن القاسم

٢٥٧ م .

ابن عصام - أبو أمية ١١٦ .

ابن عصفور - علي ٣٧٨ .

ابن العطار - محمد بن أحمد ١٠٧ .

ابن عطية - أبو جعفر أحمد بن محمد

(٣٢٤ - ٣٢٦) .

ابن عطية - طاهر ٤٦٣ .

ابن عطية - عبد الحق بن غالب

(٢٦٨ - ٢٧٠) ، ٣٧ - ٣٨ ،

١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٣٠٥ .

ابن عطية - عقيل ٣٧٨ - ٣٧٩ .

ابن عطية - غالب بن عبد الرحمن

(١٢١ - ١٢٢) ، ٢٦٨ .

ابن عيشون - أبو عمرو محمد
(ت ٦١٤ هـ) ٣٧٢.

ابن غالب - أبو الحسن ٥١٩.

ابن غالب = الفسائي

ابن غالب الفرناطي - محمد بن أيوب
(٤٧٧ - ٤٨٠).

ابن غالب السراقي - عبد السلام
٣٦٨.

ابن غانية - علي بن إسحاق ٤٦٣،
٦٠٤ م.

ابن غانية - علي بن يحيى ٥٧١.

ابن غانية - يحيى بن إسحاق ٣٢٩،
٣٥٤، ٣٦٣، ٦٠٤ م، ٦٠٥،

٦٠٩، ٧٠٩ م.

ابن غانية - يحيى بن علي ٧٠٩ م.

ابن غلاب = ابن غالب السراقي

ابن غرسية ٥٤٥، ٥٥٥.

ابن غروون ٣٥٤.

ابن غلبون - أبو رجال ٥٥٠.

ابن غلندة (غلندو) - عبيد الله
(٤٧٣ - ٤٧٥).

ابن فاطمة = أبو محمد

ابن فتحون الأوربلي - محمد ٣٨.

ابن الفحام الصقلي ٤٥٨.

ابن الفخار - أبو عبد الله محمد بن

الحسن الحضرمي المالقي (٢٤٥ -

ابن عفيون الشاطبي - محمد ٣٧٢،
٣٧٤.

ابن علقمة الصدي - محمد ٥٩.

ابن عمار - أبو بكر محمد ٨٩ م،
٢١١، ٢٧٤، ٣٨٢، ٦٧١.

ابن عمار العبدي = رزين بن معاوية

ابن عمار الكلاعي - محمد ٢٨٤.

ابن عمار المهدي - أحمد ١٦٠.

ابن عمار (القارئ) = هشام

ابن عمران المارتنلي ٧٣٤.

ابن عمران الموحي ٧٠٩ م.

ابن عميرة الضبي - أحمد بن عبد الملك
٦٠٧.

ابن عميرة الضبي - أحمد بن يحيى
(٥٥٣ - ٥٥٥).

ابن عميرة الخزومي - أبو المطرف أحمد
٣٧٣، ٣٧٨.

ابن العوام - يحيى ٥٧.

ابن عوف - أبو الطاهر ٥٥٨.

ابن عياش - أبو بكر بن سالم ٤٩٨ م.

ابن عياش - أبو بكر المرشافي ١٧٢.

ابن عياش - عبد الملك بن فرج
(٤١٣ - ٤١٦).

ابن عياش - أبو عبد الله محمد ٥٩٨.

ابن عيشون (المقريء) - المتوفى

(٥٣١ هـ) ٤٢٣، ٤٥٣.

- (٢٤٩)، ٣٦٥، ٦٠٢، ٦٥٥ (٢)،
 ٦٩٣، ٧٢٩.
 ابن الفخّار التجيبي (٢) ٦٥٥.
 ابن الفخّار الملقب - عليّ بن إبراهيم
 ٧٢٩.
 ابن الفراء = الأخفش بن ميمون
 ابن الفراء الضرير - محمد بن عبد الله
 (٤٦١ - ٤٦٢).
 ابن الفراوي = منصور
 ابن الفرج = اصبح
 ابن فرج الجيّاني - ٢٧٧.
 ابن فرح الاشيلي - أحد ٣٦٦.
 ابن الفرس (المهر) الفرناطي - عبد
 الرحيم (٥٥٧ - ٥٦٠).
 ابن الفرس - عبد المنعم (٥٤٤ -
 ٥٤٦)، ٥٧٧، ٦٩٣، ٧٢٨.
 ابن فرسان - عبد البرّ (٦٠٣ - ٦٠٦).
 ابن الفرضي - عبد الله بن محمد
 ٣٠٦ م، ٣٧٢، ٤٥٧ م.
 ابن الفضل المعافري - محمد (٦٤٨ -
 ٦٥٥).
 ابن الفكّون - حسن بن عليّ (٦٣٧ -
 ٦٤٠).
 ابن فيّره = الصدي
 ابن القابلة الشلطيّ - محمد ٣٣٣ م.
- ابن القادر العبّاسي ١٣٤.
 ابن القاسم - عبد الرحمن العتيق
 ٥٥ م، ٢٩٦ م.
 ابن القاسم = أبو محمد
 ابن القاصح - عليّ بن عثمان ٥١١.
 ابن القبطرنوه = بنو القبطرنوه
 ابن قتيبة ١٥، ١٥٣ م، ١٩٦،
 ٤٦٠ م.
 ابن قرقول (قرقل) إبراهيم ٣٦٦،
 ٥٧٤، ٦٠٢.
 ابن القزاز - الحكم بن سعيد ١٤٢ م.
 ابن قزمان (الأكبر) (٩٦ - ١٠٠)
 ٣٢٩، ٣٣١ ح.
 ابن قزمان (الأصغر) (٣٢٨ - ٣٣١)،
 ٩٦، ٣١٥، ٣٥٠ م، ٣٥١.
 ابن قسوم - محمد بن عبد الله (٧٣٣ -
 ٧٣٩).
 ابن قسي - أبو العبّاس أحد
 ٥٢٢ ح.
 ابن قسي الشلي - أبو القاسم أحد
 ٤٠.
 ابن القصيرة الولي - أبو بكر محمد
 (٩٣ - ٩٥)، ٥٤.
 ابن القطّاع - عليّ بن جعفر (١١٣ -
 ١١٥)، ٦٢، ٦٥.

- ابن القوطيّة - أبو بكر محمد ١١٣ ،
١١٤ م ، ١١٥ .
- ابن قوقل / قرقل ٥٦٨ .
- ابن كادش - أحمد بن عبد الله ٣٩٠ .
- ابن كشير - أبو معبد عبد الله
(القاري) ٤٩٧ م ، ٥٠٠ ح م ،
٥٠١ ح .
- ابن لبّال - علي بن أحمد (٤٧٥ -
٤٧٧) ، ٦٢٤ .
- ابن اللبّانة - محمد بن عيسى (٨٠ -
٨٨) ، ٧٧ - ٧٨ ، ٢٦٥ .
- ابن لبّون - أبو عيسى ١٩١ م .
- ابن اللهب - نجم الدين ٦٠ م .
- ابن ماجّة - محمد بن يزيد ٣٨ ح ،
٤٦٤ .
- ابن مالك - أحمد السرقسطي (٤٢٥ -
٤٢٨) .
- ابن مالك الأزدي - أبو الحسن سهل
٣٨٢ ، ٦٧١ .
- ابن مالك الأزدي الفرناطي - سهل بن
محمد (٧٢٨ - ٧٣٣) .
- ابن مالك - محمد بن عبد الله (النحوي)
١٦ .
- ابن مالك البعمري - أبو الحسن ٢٦١ .
- ابن مبشر = أبو العباس ٦٦٠ .
- ابن مجبر الصقلّي - مجبر بن محمد
(٢٥٤ - ٢٥٦) .
- ابن مجبر - عبد الملك: ٥٤٧ .
- ابن مجبر - يحيى بن عبد الجليل
(٤٨٦ - ٤٩٠) .
- ابن محرز = الوهراني
- ابن محشرة - محمد بن عليّ (٥٤٦ -
٥٤٧) .
- ابن مدير ٥٩ .
- ابن مرج الكحل = مرج الكحل
- ابن المرجي = ابن المرخي
- ابن المرخي - علي بن محمد ٦١٧ م .
- ابن المرخي - محمد بن عبد الملك ٦١٧ .
- ابن المرخي المغربي - محمد بن علي
(٦١٧ - ٦١٨) .
- ابن مردنيش - محمد بن سعد ٣٤٠ م ،
٣٥٥ م ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٣٧ م ،
٥٢٣ ، ٦١٩ .
- ابن مرزوق الخطيب - محمد بن عبد الله
٤٦٤ .
- ابن مزدلي - أبو بكر ٤٥٤ .
- ابن مزدلي - أبو عبد الله ٢٧٠ .
- ابن المسافر - عبد المعطي ٧٣١ .
- ابن مسدى الفرناطي - محمد بن محمد
٣٦٧ .

- ابن مسرة - أبو عبد الله محمد ٤٩ .
- ابن مسعدة (٩) (مقرئ) ٥٥٧ ح .
- ابن مسعود الاشيلي ٤٠ .
- ابن مسعود - أبو عبد الله محمد ٤٧ - ٤٩ .
- ابن مسلم - أبو عبد الله محمد ٤٦ - ٤٧ .
- ابن مسلمة - أبو عامر ٣٩ .
- ابن مسلمة الشاطبي - أبو عبد الله محمد ٣٠٤ .
- ابن مشيش = عبد السلام
- ابن مضاء - أبو العباس أحمد (٥١٢) - (٥١٥)، ٥٦٠ (٩) .
- ابن مضاء - أبو العباس جعفر ٥٥٠، ٥٦٠ (٩)، ٦٠٢ .
- ابن مطاهر - أبو جعفر ٤٥٧ .
- ابن مطروح - يحيى ٢٦٥، ٢٦٧، ٣٤٠ .
- ابن المظفر الباهلي - عبيد الله ٦٩ .
- ابن معاذ الجبائي - أبو محمد ٣٧٤ .
- ابن معط الزواوي - يحيى (٦٦٣) - (٦٦٧) .
- ابن المعلم الطنجي - أبو يحيى ٣٨٠، ٦٦٨ م .
- ابن مغاور - أبو بكر عبد الرحمن بن محمد (٤٨٤ - ٤٨٦)، ٥٥٠ .
- ابن مغيث = الحسن
- ابن المغيرة = أبو الوليد
- ابن المقفع ٣٩٨ .
- ابن مقلة (الخطاط) ٣٢٩ .
- ابن الملاح = ابن الملح
- ابن ملجم - عبد الرحمن
- ابن الملح - أبو القاسم أحمد ٧٢ .
- ابن الملح - أبو بكر محمد بن إسحاق (٧٠ - ٧٣) .
- ابن ملكون الحضرمي - ابراهيم بن محمد ٦٢٢، ٧٣٤ .
- ابن المناصف - ابراهيم بن عيسى بن أصبغ القرطبي (٦٤٧ - ٦٤٨) .
- ابن المناصف - محمد بن أصبغ (٦٣٢) - (٦٣٤) .
- ابن المنخل الشلي (٤٠٣ - ٤٠٧) .
- ابن موسك = عز الدين
- ابن مياد السدراقي - يوسف بن ابراهيم ٣٦٨ .
- ابن ميمون القرطبي (٤١١ - ٤١٣) .
- ابن ميمون = الأخفش بن ميمون
- ابن نام - جابر بن محمد ٦٢٢ .
- ابن نباتة الفارقي - عبد الرحيم ٤٤ .
- ابن النحاس (أو النحاس) - أحمد بن محمد ١٧٠ .

ابن هشام القرطبي - أبو بكر (٦٩٩ - ٧٠١)، ٦٤٠.

ابن هشام = طاهر.

ابن هشام القرطبي - عامر (٦٤٠ - ٦٤٥)، ٦٩٩.

ابن هشام - عبد الملك ٤٦٦، ٤٦٨ م، ٦٩٧ ح، ٧٢٥ - ٧٢٦.

ابن هشام - أبو الوليد هشام ٣٦٨.

ابن هلال الصابي - ابراهيم ٢٧٦ م.

ابن هلال النحوي - أبو عبد الله بن بركات ٣٩٠.

ابن همشك ٤٣٠، ٤٣٩ - ٤٤٠، ٥٢٣.

ابن هند = معاوية

ابن هود الماسي - محمد بن عبد الله (النائر) ٣٢٦، ٣٢٤ م.

ابن هود - أحمد بن يوسف (المستعين) ١٥٣، ١٥٥ - ١٥٦.

ابن هود - محمد بن يوسف (المتوكل صاحب مرسية) ٦٤٩، ٦٧٩، ٦٨٢، ٦٩٩ ح، ٧١١، ٧١٣ م، ٧٢٩ ح.

ابن واجب - أبو الخطاب ٦٩٣.

ابن الوحيددي - عبد الله بن عمر ٣٥٣ م.

ابن النحاس - عبد الرحمن بن عمر ٧٢٦.

ابن النحاس - ٢ (قراءات) ٢٨٩.

ابن النحوي التوزري - يوسف (١٠٦ - ١٠٩).

ابن نذير - أبو العطاء ٦٩٣.

ابن نزار - أبو الحسن (٤٣٧ - ٤٣٩).

ابن نزار - أبو علي ٦١٥.

ابن نصف الربض = ابن الفخار المالقي.

ابن النعمة - علي بن عبد الله ٤٢٨، ٤٩٣.

ابن نعم الحضرمي - عبد الله (٧٠٩ - ٧١١).

ابن النخيلة (النجدلة) ٢٦٥.

ابن النقاس الزرقالي - ابراهيم ٥٦ - ٥٧.

ابن نوح - أبو عبد الله ٦٩٣.

ابن هاني الاندلسي ٦٦٢ م.

ابن هبيرة - يحيى (الوزير) ٣٩٠ م.

ابن هذيل - محمد بن علي ٤٩٣.

ابن هردوس - أحمد بن علي (٤٣٦ - ٤٣٧).

- ابن الوردی - عبد الله بن جعفر ٧٢٦ .
ابن وکیل الاقلیسی - أحمد بن معد
(٣٠٥ - ٣٠٧)، ٥٦ .
ابن وهبون - عبد الجلیل ٢٧٤ ،
٣٨٢ ، ٣٨٥ .
ابن یاسین الجیانی ٥٦ .
ابن یحیی الحمیری - أحمد بن محمد
٣٧٩ - ٣٨٠ .
ابن یحیی - سعید بن عبد العزیز
ابن یشکر = ابن شکر .
ابن یربوع - محمد (٥٨١ - ٥٨٢) .
ابن یمیش - أحمد = ابن شکیل
الصدفی .
ابن یمیش (نائر) ١٤٢ .
ابن یمیش - طارق بن موسی ٣٠٥ ،
٤٦٣ ،
ابن یغمور = ابن جلدک
ابن یلبخت - عیسی ٣٧٧ .
ابن ینق - محمد بن یحیی (٣٠٣ -
٣٠٥)، ٣٩ ، ٥٩ .
ابن یونس - ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
ابنة أبي بكر (اسم) ٤٤٧ .
ابنة العمري (ذكرها ابن العربي) ٢٨٧ .
أبو الأصبع - ابن الطحان
أبو بحر = صفوان ابن ادريس .
- أبو بحر ٢٣٧ .
أبو البقاء الرندي - صالح بن شريف
٣٦٨ ، ٣٧٨ .
أبو بكر ٣٢٥ ح، ٣٣٢ ح، ٣٥٢ م،
٤٥٠ م، ٤٦٦ ح، ٥٢٢ ح، ٥٣٦ م،
٥٣٨ ح، ٦٨٦ .
أبو بكر (في شعر) ٢٥٢ - ٢٥٤ .
أبو بكر بن ابراهيم (والي غرناطة)
١١٦ - ١١٩ ، ٢٧٤ .
أبو بكر (بن) الأبيض (٢٩٥ - ٣٠٠)،
٥٤ ، ٦٨ .
أبو بكر بن خير = ابن خير
أبو بكر بن سعيد (صاحب غرناطة)
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
أبو بكر الطرطوشي - محمد بن الوليد
(١٤٤ - ١٥٢)، ٣٩ ، ٥٩ م .
أبو بكر بن العربي - محمد بن عبد الله
(٢٨٤ - ٢٨٩)، ٥٦ ، ١٦٦ ،
١٥٤ م، ١٥٧ ، ٢٣٧ ، ٢٨٤ م،
٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٨١ ،
٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٥٦ م، ٤٦٦ ،
٤٨٠ ، ٦٧٠ ، ٧١٨ .
أبو بكر الغرناطي - يحيى بن محمد
٥٩ .
أبو بكر بن مغاور = ابن مغاور .

أبو الحجاج الاشبيلي (الطبيب) -
يوسف بن عتبة (٧١١ - ٧١٤).

أبو الحجاج الأعم ١٧٢.
أبو الحجاج البلوي - يوسف بن محمد
(٥٧٤ - ٥٧٩)، ٣٧٧.

أبو الحجاج التادلي - يوسف بن يحيى
(٦٥٧ - ٦٥٩).

أبو الحجاج بن الشيخ ٥٤٨ - ٥٤٩.
أبو الحزم جهور بن محمد ١٤٢م.
أبو حسن (في شعر) ٢٤٦ - ٢٤٧،
٢٥١، ٢٤٨.

أبو الحسن الجياني = علي بن موسى
أبو الحسن الشاذلي ٦٤٥.
أبو الحسن المريني ٣٦٢م.

أبو الحسين بن الحمار ٤١٦ ح.
أبو حفص الهنتاتي = عمر بن يحيى
أبو حنيفة ٦٥٣، ٧١٩ ح.

أبو حيّان - أثير الدين ٥١م.
أبو حيّان التوحيدي ٧٢٥م.
أبو الخطاب عمر = ابن دحية

أبو خراش الهذلي ٥٤٨ ح، ٦٤٤ ح.
أبو داود السجستاني - سليمان بن
الأشعث ٣٨ ح، ١٦٠، ٢٦١،

٣٦٨، ٤٦٤، ٤٨٣، ٦٠٧ م.
أبو دؤس المريني - أبو العلاء ادريس
٣٦٢.

أبو بكر اليكّي - يحيى بن سهل ٦٨،
٣١٥.

أبو بكر اليكّي - يحيى بن عبد الجليل
(٣٥٧ - ٣٥٨)، ٦٨.

أبو تمام - حبيب بن أوس ٩٢، ٩٣ ح،
٢٢١ ح، ٤١٩، ٥٧٧ ح، ٥٩٠،
٦٢٣ م، ٦٥٠ م، ٦٨٢، ٦٨٧ م.

أبو تمام الحجام = غالب بن رباح
أبو جعفر (ذكر، عليّ بن موسى الجياني)
٥١٨.

أبو جعفر (عامل على جمع الضرائب)
١٠٤.

أبو جعفر الصيدلاني ٦٨٤، ٦٨٥.
أبو جعفر الحميري (٥٩٤ - ٥٩٥).
أبو جعفر بن عبد الحق الخزرجي
(الفقيه) ٤٧٧.

أبو جعفر بن عطية = ابن عطية (وزير
عبد المؤمن) ٣٥٥ م، ٤٢٤ -
٤٢٥.

أبو جعفر المنصور ٤٢، ١٤٠.
أبو جعفر الوقّشي - أحمد بن عبد
الرحمن (٤٣٩ - ٤٤٢)، ٤٣١ -
٤٣٢.

أبو حامد الغرناطي - محمد بن عبد
الرحيم (٣٩٠ - ٣٩٨)، ٧٥،
٣٧٤.

- أبو ذرّ الخثني - مصعب (٦٥٨ - ٦٥٩)، ٦٢٤.
- أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى (٦٩٣ - ٦٩٨)، ٣٦٧.
- أبو الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني ٦٥٨.
- أبو الربيع الموحّدي - سليمان بن عبد المؤمن (٥٧١ - ٥٧٤)، ٦٣٠، ٦٣١ - ٦٣٢، ٦٩٣ ح.
- أبو الروح عيسى = النفزي
- أبو زيد (اسم) ٦٢٨ م، ٦٢٩.
- أبو زيد (بطل مقامات) ٦٢٨.
- أبو زيد الأنصاري - سعيد بن أوس ٣٦٧.
- أبو زيد الفازازي - عبد الرحمن (٦٥٥ - ٦٥٧).
- أبو سعيد (اسم) ٦٢٨.
- أبو شامة - عبد الرحمن بن اسماعيل ٥١١.
- أبو شعيب السوسي = السوسي
- أبو شعيب = صالح بن زياد
- أبو صادق المديني = مرشد بن يحيى
- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (١٨٠ - ١٨٦)، ١٨، ٤٠، ٥٧، ٢٨٠.
- أبو طالب ٣٢٥، ٤٥٠ ح.
- أبو الطاهر التميمي = السرقطي الاشتروكي
- أبو الطاهر بن عوف - ابن عوف
- ابن طلحة الأنصاري (٦٨٢ - ٦٨٣).
- أبو الطيب = المتنبي
- أبو الطيب المسيلي = المسيلي
- أبو العاصي حكم = حكم بن الوليد
- أبو عامر (في شعر) ٢٦٦.
- أبو عامر بن الحمار (٤١٦ - ٤١٩).
- أبو عامر الشنتريني ٦١ م.
- أبو عامر = ابن مسلمة
- أبو العباس = ابن العريف، الجراوي، السبكي
- أبو العباس السفاح (العباسي) ١٩٧ م.
- أبو عبد الله محمد (جدّ ابن الفراء الضرير) ٤٦١ م.
- أبو عبيد، الهروي = ابن سلام
- أبو عبيدة - عامر بن الجراح ٥٣٧ م، ٥٣٨ ح.
- أبو عبيدة - معمر بن المثني ١٩٦، ٢٤٤ م.
- أبو العتاهية ٩٨ ح، ٥٧٣ ح.
- أبو العرب مصعب بن محمد (٩١ - ٩٣).

- أبو العلاء (في شعر) ٢٦٦ .
- أبو العلاء ادريس = المأمون الموحي
- أبو العلاء = المعري
- أبو عليّ بن أبي زيد = ابن أبي زيد
- أبو عليّ الفسّاني = الفسّاني
- أبو عليّ الفارسي ١٧١ م ، ١٧٢ ، ٦٢٤ .
- أبو عليّ القالي = القالي
- أبو عمران المارثلي - موسى (٥٧٠ - ٥٧١) .
- أبو عمران الموحّدي ٧٠٩ م .
- أبو عمرو الأندى - أحمد بن خليل (١٦٨ - ١٧٠) .
- أبو عمرو الداني ٣٦٦ ، ٥٠٣ .
- أبو عمرو بن العلاء = المازني
- أبو فارس عزّوز ٣٦٢ م .
- أبو فراس ١٨٣ .
- أبو فلان ٧٠٠
- أبو قابوس = النعمان بن المنذر
- أبو القاسم (شخص مقامات) ٤٤٧ .
- أبو القاسم البلوي = البلوي
- أبو القاسم = ابن الجدّ، السهيلي، القالمي، الكلاعي، المغربي (الوزير)
- أبو قصبة الجزولي ٥٧٩ م .
- أبو الكرم جودي ٥٣٢ م .
- أبو لهب ٦٠٠ م .
- أبو لؤلؤة ٣٢٥ .
- أبو محمّد عبد الوهاب ٥٧٤ .
- أبو محمّد بن فاطمة ٥٣ .
- أبو محمّد بن القاسم ٦٥ .
- أبو محمد الموحّدي = البياسي الثائر
- أبو مدين - شعيب بن الحسن (٥١٨ - ٥٢١) ، ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٦٤٥ ، ٦٦٠ .
- أبو مرّة = ابليس
- أبو مروان بن سراج = ابن سراج
- أبن مروان الطيني ١٧٢ .
- أبو المعالي الكتبي ٤٤٨ م .
- أبو المغيرة = أبو الوليد
- أبو مكرم = الشاشي
- أبو منصور ظافر بن الحسين ٥٩٣ .
- أبو موسى الأشعري ٥٤ .
- أبو موسى الجزولي = الجزولي
- أبو لمي محمّد بن علي ٣٦٥ .
- أبو نواس ٩١ ح ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ٤٦٧ ح ، ٦٥٠ م .
- أبو الوليد الباجي ١٤٥ ، ٣٨١ ، ٦٧٠ .
- أبو الوليد بن جهور = ابن جهور
- أبو الوليد القرطبي (بطل مقامات) ٤٤٧ م .

- أبو الوليد بن المغيرة ٤٧ ح .
أبو الوليد الوقشي ١٦٠ ، ١٨٠ .
أبو يحيى بن أبي زكريا (أمير سبته)
٣٨٠ ، ٦٦٨ م .
أبو (يمزة) يمزى = الحرمزي
الابيارى - ابراهيم ٢٩٥ ، ٦٩١ ،
٦٩٩ ح .
الأبيض = أبو بكر (بن) الأبيض
أنير الدين = أبو حيان
أحمد = محمد رسول الله
أحمد بن ابراهيم = النميري
أحمد بن جعفر = السبقى
أحمد بن حاتم = البصري
أحمد بن الحسين = السيلي
أحمد بن طاهر بن عيسى ٣٠٥ .
أحمد بن طلحة = ابن طلحة الأنصارى
أحمد بن عبد الرحمن = أبو الصقر
الحزرجى .
أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب
٦٤٣ ح .
أحمد بن عبد الملك بن سعيد = ابن
سعيد العنسى - أبو جعفر أحمد
أحمد بن عتيق = ابن عتيق الذهبي
أحمد بن عمر القرطبي = القرطبي
أحمد القيسي - أبو القاسم ٥٩ .
أحمد بن محمد الخولاني ٤٨٤ .
المستعين التجيبي = ابن هود
الأخفش بن ميمون ٢٦٥ م .
اخوان الصفا ٢٣٤ .
أخيل بن ادريس الرندي (٣٥٤ -
٣٥٧) ، ٣٤٠ .
الأدب ٤٢ .
ادريس المريني = أبو دبوس
ادريس بن يعقوب = المأمون الموحدى
ادريس بن يوسف = ابن عبد المؤمن
إلادريسي - الشريف محمد بن محمد
٣٧٤ ، ٥٧ م .
الأدفتش: الأذفتش ٥٩٠ - ٥٩١ ،
٦١٥ م .
الأذفونش: ألفونسو السادس
أرسطو ٤١ ، ٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ،
٥٢٥ م ، ٥٢٩ م ، ٧٢٢ م .
ارسلان (الشيخ) ٧٢٨ .
الأزدي - أبو محمد عبد الله ٣٧٨ .
الاستجي - أبو عبد الله ٥٤٧ .
اسحاق بن أبي ابراهيم ٣٦٢ م .
الاسكندر المقدوني ١٩٦ ح ، ٦٢٠ م .
اسماعيل - شعبان محمد ٥١١ .
الاشتركوني: الاشتركوني = السرقسطي
أشهب بن عبد العزيز القيسي ٢٩٧ ، ٢٥٥ م

- أصبغ بن الفرج المصري ٥٥ م ،
 ٢٩٧ م .
- الاصفهاني = داوود بن علي ٦٨٥ ح .
 الأصفهاني - محمد بن سليمان ٢٧٧ .
 الأصم الروافي (٤١٩ - ٤٢٢) .
 الأصمعي ٧١٦ .
 الأصيلي - أبو عبد الله ٦٠٨ .
 اعتاد الرميكية ٢١١ .
 اعراب - سعيد ٥٧٤ .
 أعشن - أحمد بن عبد القادر ٥٢١ .
 الأعشى ٢٧٦ م ، ٦٣٨ ح م .
 الأعلم الشنتمري - يوسف بن سليمان
 ١٩٢ ، ٣٠٠ ح .
 الأعمى التطيلي - أحمد بن عبد الله
 (١٦١ - ١٦٨) ، ٤٢ ، ٦٦ - ٦٧ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٥٧ .
 الأعمى الخزومي = الخزومي
 الأفشين ١٤٠ م .
 الأفضل - أحمد بن بدر الجوالي ١١٢ ،
 ١٤٥ م ، ١٨٠ م .
 أفلاطون ٤١ م ، ٥٨ م ، ٦١ ، ١٣٦ ح ،
 ٣٧١ ، ٥٢٥ م ، ٧٢١ - ٧٢٢ .
 أفلوطين ٧٢١ - ٧٢٢ .
 اقليدس ٣٧٥ .
 الاقليشي = ابن الوكيل .
- الإلبيري - محمد بن علي ٣٧٧ .
 ألفونسو أنريكويز = ابن ألبريق
 ألفونسو الأول (ملك أرغونة) ٢١٥ م .
 ألفونسو الثامن (ملك قشتالة) ٣٦٠ ،
 ٥٩١ .
 ألفونسو السادس ٣٣ م ، ١٤٤ م .
 ألفونسو (صاحب طليطلة) ٦٨ .
 ألكساندر دوماس (الابن) ٢٨ .
 أم الخشيف (في شعر) ٤٢٤ .
 أم الفضل (امرأة طلحة بن القبطرناه)
 ١٢٤ - ١٢٥ .
 أم مالك (في شعر) ٢١٤ ، ٥٤٨ ح .
 أماري - ميخائيل ٤٠٢ .
 الإمام المهدي (المنصور الموحد)
 ٣٦٩ .
 امرؤ القيس ١٩٦ م ، ٢٤٤ م ، ٥٠٣ ح .
 أمغار = المهدي بن تومرت
 أمة الرحمن (أم ابن دحية الكلبي)
 ٦٨٤ ح .
 أمير المسلمين ٣٣ .
 أمير المسلمين (المنصور الموحد) ٦٠ م .
 أمين - أحمد ٤٧٣ .
 أمية بن عبد العزيز = أبو الصلت .
 الأندى = أبو عمر .
 أنريك = ابن ألبريق .

البخاري - محمد بن اسماعيل ٣٨ م،

١٥٩، ٢٦١، ٢٩١، ٣٦٧، ٤٤٣،

٤٦٤ م، ٥٥٤، ٦٠٧ م، ٦٨٦ ح،

٦٩٤.

بدوي - أحمد أحد ٦٩١.

بدوي - عبد الرحمن ٥٢٩ م، ٧٣٤.

بديع الزمان الهمداني ٤٥ م، ٢٧٦ م،

٤٤٦ م.

البراذعي - خلف بن أبي القاسم ٣٦٧.

البراق ٣١٠.

البربر ٣٦.

البرجي - أبو الحسن ٦١.

البرقي - عبد الرحمن

البرك - الحجاج بن عبد الله ٥٨٤.

بركات بن ابراهيم = الخشوعي.

البرزنجي ١٠٩.

بروكلمن ٦١، ٣٠٨.

البراز - أحمد بن عمرو ٤٦٤.

البراز - خلف بن هشام ٤٩٩ م.

البرزي - أحمد بن محمد ٤٩٧ م.

البيستاني - ألفريد ٥٢٩.

البيستاني - عبد الله ١٥٨.

البيستاني - كرم ٢٢٤.

بشار الأندلس = المنزومي الأعمى

بشار بن برد ٣١٩ ح، ٦٤٤ ح،

٦٨٦ م.

الأنصاري - أبو يحيى زكريا ١٠٩.

أنطون - فرح ٥٢٩.

الأهواني - أحمد فؤاد ٢١٨.

الأهواني - عبد العزيز ٤٤٦.

أين (في شعر) ٣٥٨ م.

أيوب ٣٤٧، ٤٧٥ م.

أيوب بن سليمان السهلي ٣٣١ - ٣٣٢.

ب

بابك الخرمي ١٤٠ ح.

الباجي (المستبد باشيلية) ٦٩٩ م.

الباجي = أبو الوليد

باديس بن حبوس ١٤٣.

باديس بن المنصور بن بلكين ٨٤ -

٨٥.

الباذش = ابن الباذش

الباكوري - أبو عبد الله ٤٤٤.

بالاثيوس - ميغيل آسين ٢١٧ م،

٢٣٢، ٣٦٩، ٧٢٨.

بالنشيا آخل ٦٦، ١٦٩ ح، ٧١٦ ح.

بشينة (محبوبة جميل) ٤٩٢ م.

البجائي - عبد الرحمن بن يوسف ٣٧١.

البجاوي - علي محمد ٧٢٧.

البحثري ١٦٠ م، راجع ١٦٧ (وليد)،

٤٦٠، ٦٨٢.

البصري - أحمد بن حاتم ٧١٦ .
 البطائحي - محمد ١٤٥ .
 البطروجي - نور الدين ٣٧٥ -
 ٣٧٦ ح .
 بطليموس ٣٧٥ - ٣٧٦ ح .
 البطلبيوسي = ابن السيد، عاصم بن
 أيوب
 البقاعي - برهان الدين ٧٣٤ .
 بقراط ١٨٥ م .
 بكر (اسم) ٦٨٨ م .
 البكري - مصطفى بن كمال الدين
 ٦٤٥ .

بلج بن بشر القشيري ٦٠٨ .
 البلوي - أبو القاسم أحمد بن محمد
 (٦٧٩ - ٦٨١) ، ٥٩ .
 البلوي - خالد بن عيسى ١٩ - ٢١ .
 البلوي - عبد الرحيم بن يوسف ٥٧٥ ،
 ٥٧٧ ، ٥٧٦ .
 البلوي - يوسف = أبو الحجاج .
 البناء - محمد ابراهيم ٤٦٩ .
 البناني - عبد السلام بن حمدون ...
 البنجديبي: البندهي: الفنجديبي
 بنو سليم ٣٤ ، ٧٣ .
 بنو القبطرونه (١٢٢ - ١٢٦) ، ٦٨ .
 بنو هلال ٣٤ ، ٧٣ .

بهاء الدين = ابن شداد
 بورله - بولس ٥٦٨ .
 بوكوك ٤٧٣ .
 بونار - رابع ٦٦٣ .
 بويج - موريس ٥٢٨ ، ٥٢٩ .
 البياسي - أبو الحجاج - يوسف (المؤرخ)
 ٣٧٣ ، ٣٧٨ .
 البياسي - السيد أبو محمد ادريس بن
 منصور الموحي (الثائر) ٦٨٠ م ،
 ٦٩٩ م .
 بيسار - محمد بن عبد الرحمن ٥٢٩ .

ت

تاج المعالي ١٨٠ م .
 التاريخي - جابر بن أحمد ٦٥٥ .
 التازي - عبد الهادي ٤٠٣ ح ، ٥٢٤ .
 تاشفين بن علي - أبو يوسف ١٨٧ .
 التبريزي - أبو زكريا ٢٨٤ .
 الترمذي - محمد بن عيسى ٣٨ م ، ٢٦١ ،
 ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٦٠٧ م .
 الترمذي الحكيم (ت ٣٢٠ هـ) ٢٨٦ ح .
 تشرشتاين ٦٦٧ .
 التستري - أبو علي ١٤٥ .
 التطيلي الضرير القرطبي (الأصغر) -
 أبو اسحاق ابراهيم ١٦١ ح م .

التطيلي الضرير (الأكبر) = الأعمى
التطيلي.

التعليقة ١٤٦.

تميم بن المعز الصنهاجي - أبو يحيى
(٧٣ - ٧٧).

التوحيدي = أبو حيان

تود (ملكة الدغارك) ٣٨٤.

التوقيع ١٤٩.

التيفاشي - أبو العباس أحمد بن يوسف
٣٧٦.

ث

ثابت بن سليمان ٣٧٦.

الثعالي - أبو منصور عبد الملك
٣٨٢ م.

ثعلب - أحمد بن يحيى ٦٢٣.

الثعلبي النيسابوري - أحمد بن محمد
١٤٥.

الثعلبي - عبد الوهاب بن علي ٢٣٤.

ج

جابر بن أفلح ٤٠.

جابر بن يوسف (بن عبد الواد) ٣٦١.

الجاحظ ٥١، ٦٢، ٢١٧، ح، ٣٨٧.

جاحظ الأندلس: جاحظ المغرب =

الحجاري.

جالينوس ٣٧٧، ٥٢٨ م.

جانا (جد زناتة) ٣٦٤.

جبريل ٦١٥.

الجراري - عباس ٥٧٤.

الجرابي - أبو العباس أحمد بن حسن
(٣٥٢ - ٣٥٤)، ٦٧٣ م.

الجرابي - أبو العباس أحمد بن عبد
السلام (٥٨٩ - ٥٩٣)، ٦٧٣ م.

الجرجاني - علي بن عبد العزيز
(القاضي) ٦٥٨ ح.

جرول = الخطيئة

جيرير بن عطية ٢٣٨ - ٢٣٩.

الجزار السرقسطي - أبو بكر يحيى
(١٠٢ - ١٠٦).

الجزولي = أبو قصبة

الجزولي - أبو موسى ٦٦٣.

الجزولي النحوي - عيسى بن عبد
العزيز (٥٩٣ - ٥٩٤).

الجزيري (الثائر) - محمد بن عبد الله
٤٨٩ م.

جساس بن مرة ١٩٦ ح.

جعفر بن ابراهيم = ابن الحجاج

جعفر (الطيّار) بن أبي طالب ١٩٦،
٤٥٠ م.

جعفر بن عثمان المصنفي ٥٠ م.

جعفر بن محمد الشتيري (٣٠٠ -
٣٠٣).

جعفر بن يحيى اليرموكي ١٩٧ م.

جمعة (بائع خبز) ٧٢٦ م.

جميل بن معمر ٤٩٢ م.

الجنووني - يحيى ٣٦٨ م.

جهم بن صفوان ١٣٥ م.

جودي = أبو الكرم

جودي بن عبد الرحمن ٥٥٦ ح.

الجوهري - اسماعيل بن حماد ١١٢ م.

٦٦٣.

الجويني - عبد الملك بن محمد ٢٣٤ م.

الجباني = ابن ياسين

الجباني - محمد بن علي ٣٦٦ م.

الجبساني = علي بن موسى

الجيلالي - عبد الرحمن ٣٦٤ م.

الجيلاني - عبد القادر ٥١٩ م.

ح

الحائك: الحكم بن سعيد = ابن القزاز

حاتم الطائي ١٠٥ م، ١٦٧، ٢٢٨ م.

الحارث بن هشام (في المقامات) ٦٢٨ م،

٦٢٩ م.

الحازمي الحمداني - محمد ٥٨٦ ح.

الحباب بن المنذر ٣٣٢ ح.

الحبال = ابن الحبال

حبّوس ١٤٣ م.

حبيب (اسم) ٢٣٨، ٢٤٠ - ٢٤١ م.

حبيب = أبو تمام

الحبيب = محمد رسول الله.

الحجاج بن عبد الله = البرك

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٩٧ ح،

٣٤١ م، ٦٧٨ م.

الحجاري - عبد الله بن ابراهيم

(صاحب المسهب) (٣١٣ - ٣٢٤)،

٣٩، ٥٠، ٣٣٨، ٣٥٠ ح، ٣٨٥،

٣٨٦.

الحجاري - أبو عبد الله ٥٤٧ م.

الحجاري - ابراهيم ٣١٣ ح.

الحجاري - أبو محمد عبد الله (عم

صاحب المسهب) ٣١٥ ح.

حجر (والد امرئ القيس) ١٥٦ م.

الحداد المهدي - علي بن محمد الخولاني

٢٨٤.

الحرائري - عبده سليمان ١٩١ م.

الحراي - علي بن أحمد ٣٦٦ م.

حرب (اسم) ٦٢٨ م.

الهرمزي - أبو يعزى ٣٧٠، ٥١٨ م.

الحروب الصليبية ٣٤، ٥٢ م.

الحرون (حصان) ٣٠١ ح.

الحريري - القاسم بن علي ٤٤، ٤٥ م،

٢٣٨، ٣٣٩ م، ٣٧٨ م، ٤١١ م،

٤٤٦ م، ٤٧٦، ٦٢٣، ٦٢٤ م؛

٦٢٥ - ٦٢٩، ٦٥٨ م.

- حسام الدولة أبو مروان عبد الملك (من بني رزين) ١٥٣ م.
- حسان (جامع حسان) ٣٦٤ م.
- حسان بن ثابت ٢٢٨ م.
- حسن (في شعر) ٣٨٧ م.
- الحسن السائح = السائح
- حسن - عزة ١٧٣ ح.
- الحسن بن علي ١٣٨ م، ٣٥٩، ٤٥٠ م، ٥٣٧ ح.
- الحسن المراكشي - أبو علي ٣٧٥ م.
- الحسن بن مغيث ٣٣٤ م.
- الحسين بن أحمد (الموقت: الميقاتي) ٣٧٦ م.
- الحسين بن علي ١٣٨، ١٣٩ م، ١٩٧ م، ٤٥٠ م، ٥٣٧ ح، ٥٥٠، ٥٥٣ م.
- ٦٨٤ ح.
- الحسين بن محمد الغساني الجياني (٤٩٨)، ١٥٢، ١٥٣، ٥٦ م.
- الحصري - أبو الحسن ١٧٢ م.
- حصريّة - عزة ٧٢٨ م.
- الحطيئة ٢٧٦ م، ٣١٩ م.
- حفص - أبو عمر بن سليمان ٤٩٨ م، ٥٠٠ م.
- حفصة الركونية (٤٩٠ - ٤٩٣)، ٣٣٩ - ٣٤٠، ٣٤٣ - ٣٤٤، ٤٥٣ م.
- الحكم الجلياني - عبد المنعم (٥٦٤ - ٥٦٨).
- الحكم بن سعيد = ابن القزاز
- الحكم المستنصر ٥٠ م، ١٤١ م.
- الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ٣٣٤ م.
- حكم بن الوليد - أبو العاصي (الوزير) ٤٩ م.
- الحكيم الترمذي = الترمذي الحكيم.
- الحلاج ٣٤١ م.
- الحلو (عبده) ٥٢٩ م.
- حمادة: حمادو (بلا تشديد) ٦٥٩ م.
- حمدة (حدونة) بنت زياد (٥٥٥ - ٥٥٧)، ٣٤٠، ٥٣١ م.
- حمد بن محمد (المستبد بقرطبة) ٣٥٤ م.
- حمزة بن حبيب الزيات ٤٩٨ م، ٥٠٠ م، ٥٠١ ح، ٥٠٧ م.
- حمزة بن عبد المطلب ١٩٦ م، ٢٦٢، ٤٥٠ م.
- حيد بن ثور ٤٨١ م.
- الحميدي - محمد بن فتوح ٣٧٢، ٥٥٤ - ٥٥٥ م.
- الحميري - عصام ٥٩٥ م.
- الحميري = أبو جعفر

- حواء ٧١٥ ح .
 حوراني - فضلو ٥٢٨ .
 الخلامي - علي بن الحسن ٢٨٤ .
 الخليل = ابراهيم
 الخليل بن أحمد ٣٢٠ م .
 خنساء المغرب = حمدة بنت زياد .
 الخولاني = أحمد بن محمد
 خولة (في شعر) ٦٣ م ، ٢٧٧ .
 خيران العامري ١٤٣ .

خ

- د
 خارجة بن حذاقة ١٩٧ م ،
 ٥٨٤ - ٥٨٥ .
 خالد بن برمك ٦٤٤ م ، ٧٣٦ ح .
 خالد بن الوليد ١٦٧ م .
 الخباز البلدي ٣٠٩ .
 الخبز أرزي - نصر بن أحمد ٣٠٩ م .
 الخدب - محمد بن أحمد ٥٩٨ م .
 الخزوي - محمد علي ٦٤٥ .
 خروف (في شعر) ٥٩٩ .
 الخزرجي الصقلي - عثمان بن علي
 (٤٥٨ - ٤٦١) .
 الخشي = أبو ذر .
 الخشي - أبو بكر محمد بن مسمود ٤٨٠ .
 (٢٨٩) ، ٤٨٠ .
 الخشوعي - أبو الطاهر بركات ٦٠٨ .
 خضر (الخضر) ٧٢٧ م .
 الخطيب - محب الدين ٧٢٧ .
 داحس (حصان) ١٩٦ م ، ٣٠١ ح م .
 الداخل = عبد الرحمن
 دادويه = زادويه
 دارا الأول ١٩٥ م .
 دارا الثالث ١٩٦ ح .
 دارا الثاني ١٩٥ ح - ١٩٦ ح .
 الدارقطني - علي بن عمر ٣٨ م .
 الدارمي = أبو حفص عمر ٧٢٥ .
 الداني = أبو عمرو
 داوود بن أحمد المالقي ٦٤٣ ح .
 داوود بن أحمد - أبو سليمان الطبيب
 ٦٤٣ ح .
 داوود بن غلي = الأصفهاني
 الداية - محمد رضوان ٢٢٤ ، ٢٨٣ ،
 ٣٠٩ .
 الدباج - علي بن عامر ٧٠١ م .

الدرجيني - أحمد بن سعيد ٣٧٣ .

الدقاق (الصوفي شيخ أبي مدين) ٣٧٠ .

الدلائي - أحمد بن عمر ١٥٩ م .

الدمستق ٤٠٧ ح م .

دنلوب - م . د . ٢١٧ .

ده خويه ٢٧ م ، ٦١٣ .

ده فوه - دانيال ٤٧٠ ح .

الدوري - أبو عمر حفص (القاريء)

٤٩٨ م ، ٤٩٩ م .

دوزي ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠١ م ، ٥٨٥ .

دولة بني حماد ٣٤ .

دولة بني زيري ٣٤ .

ديراي - عفيفة محمود ١٨٠ .

ديستوريدس ٣٧٧ .

ذ

ذكوان بن ثعلبة ٥٨٦ ح .

الذكي - محمد بن الفرج ٦١ .

ذو الكلاع ٦٩٣ .

ذو رعين ٤٩٣ .

ذو النسبين = ابن دحية الكلبي

ذو نواس ٥٣٥ .

ذو النون (النبي) ٤٧٥ م .

ذو يزن ٥٣٥ .

ر

الرازي - أبو بكر محمد بن زكريا

٣٧٤ ح .

الرازي - أبو محمد ٣٩٠ .

الراضي يزيد بن المعتمد بن عباد

١٠٩ - ١١٠ ، ٣٨٢ ، ٦٧١ .

رايت - وليم ٦١٢ .

رايموندو الثاني (صاحب برشلونة) ٨٨ .

رايموندو = ريموندو

ربارا وطرأغو ٣٧٤ ، ٤٤٣ .

الربضي = أحمد بن عبد الرحمن

اللخمي

الربيعي - علي بن محمد ٢٣٤ .

الربيع بن حبيب الفرايدي ٣٦٩ .

رثاء المدن ٦٨ .

رزين بن معاوية بن عمار العبدري ٣٨ ،

٥٦ .

رسلان (الشيخ) ٧٣٤ .

الرسول = محمد رسول الله

الرشاطي - عبد الله بن علي اللخمي

٣٨ ، ٥٦ ، ٤٦٤ م .

الرشيد بن المعتمد بن عباد

(٢١١ - ٢١٣) .

الرصافي الرقاء البلنسي - محمد بن

غالب (٤٣٠ - ٤٣٦) ، ٣٨٥ .

الرعيي - أبو الحسن ٦٣٤ ح م .

الرعيي - أبو الحسن علي ٧٢٩ ح م .

الرقاء البلنسي = الرصافي

رفيع الدولة الصادحي (٢٦٤ - ٢٦٧) .

الركلي - أبو محمد ٢٣٧ .

الرمادي ٣٨٣ .

الرميكية = اعتاد

الرندي = أبو البقاء ، أخيل

روجار الثاني ٣٧٤ .

روح القدس = جبريل

الرياشي = عمر بن عبد الحميد

ربيرا = ربارا وطراغو

ريوندو: راجع رايوندو

ريوندو الثالث ٤٠٦ ح .

ريوندو الرابع ٤٠٦ - ٤٠٧ .

رينان - أرنست ٥٢٩ .

ز

زادويه (مولي بني الغنبر) ٥٨٤ - ٥٨٥ .

الزبير بن عمرو المثلث ٢٩٥ ، ٢٩٧ م ،

٢٩٨ ، ٣٨٨ ، ٥٣١ .

الزبير بن العوام ١٣٧ ح ، ١٩٦ م ،

٥٣٨ ح .

الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق

٤٢٨ م ، ٥٩٣ ، ٥٩٨ ، ٦٢٣ م ،

٦٢٤ .

الزرقالي = ابن النقاش

الزركلي - خير الدين ٣١٥ ، ٧٠٢ .

زرياب ٣١ .

الزريزير ٤٤ .

الزريزيرات ٤٤ .

زعيتر - عادل ٥٢٩ .

الزنجاني - أبو القاسم ٢٨٠ .

زهر = ابن زهر - أبو العلاء

الزهراوي = الغمراوي - محمد

الزهري = الغمراوي

زهير بن أبي سلمى ٢٤٤ .

زهير العامري ١٤٣ .

الزواوي - أبو زكريا ٥١٩ .

زيادة - معن ٢١٧ .

زيد (اسم) ٦٧ ، ٥١٤ م ، ٥٧٥ ،

٦٠١ ح ، ٦٦٥ ، ٦٨٧ - ٦٨٨ .

زينب (في شعر) ١٧٥ .

س

السائب بن تمام (اسم في المقامات)

٢٣٨ م .

السائح - الحسن بن محمد ١٩ - ٢١ .

سابور (صاحب بطليوس) ١٤٢ .

سالم بن صالح المالقي = ابن سالم

سالم الكرنكوي = كرنكو - فريتز

سالم - محمد سليم ٥٢٩ .

السبي - أبو العبّاس أحمد بن جعفر
(٥٦٢ - ٥٦٤)، ٦٥٨ .
السبي - أبو العبّاس (والي سبتة)
٦٥٨ ، ٦٨٢ م .
السبي = العزفي السبي
سحنون - عبد السلام بن سعيد ٥٥ ح ،
٢٣٤ ، ٢٩٦ ح ، ٣٦٧ .
سدراي ، سرراي = سيدرأي
السرقسطي الاشتركوئي - أبو
الطاهر (٢٣٧ - ٢٤٥) ،
٤٥ ، ٥١ ، ٦٢ م ، ٣٧٨ .
السرقسطي - أبو عبد الله ٢٨٤ .
السريّ الرفاء ٤٩١ - ٤٩٢ .
سعاد (في شعر) ٥٩٤ .
سعد (في شعر) ٤٣٠ م ، ٦٣٦ .
سعد بن أبي وقّاص ٥٣٧ م ، ٥٣٨ ح .
سعد - عبد الرؤوف ٤٦٩ .
سعد (والد ابن مردنیش) ٣٥٥ .
سعد الدين محمد بن عربي ٧١٧ .
سعدی (في شعر) ١١٣ .
سعيد بن زيد ٥٣٨ ح .
سعيد بن عبد العزيز بن يحيى ١٢٢ ح .
سعيد بن عثمان = ورش
السفاح = أبو العبّاس (العباسي)
السقا - مصطفى ٢١٠ ، ٢٩٥ .

سكيا باريلي ٢١٠ .
سلام بن سلام الباهلي = ابن لام
سلام بن عبد الله = ابن سلام المالقي
السلفي - أبو طاهر أحمد بن محمد
٤٤٤ ، ٤٩٣ ، ٥٧٤ .
سليم بن عيسى ٤٩٩ م .
سليمان بن الحكم = المستعين المرواني
سليمان بن عبد الرحم داخل ٣٣٤ م .
سليمان بن محمد المالقي = ابن الطراوة
سليمان (جدّ المستعين بن هود) ١٥٦ م .
سليمان الصنهاجي = أبو الربيع
سليمان بن عبد الواحد = أبو الربيع
الموجدی
سليمان بن موسى = أبو الربيع الكلاعي
سليمی (في شعر) ١٢٥ ، ٢٥٤ ، ٥٤٢ م .
السمراي - ابراهيم ١٥٩ .
السنوسي - ابراهيم ٤٦٩ .
السنوسي - زين العابدين ٢١٠ م .
السهورودي - يحيى بن حبش ٤٧٣ .
سهل بن محمد الأزدي = ابن مالك
الأزدي .
سهيل بن عبد العزيز ٣٣٢ .
السهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله (أبو
القاسم أبو زيد) (٤٦٥ - ٤٧٠) ،
٣٧٧ ، ٥٧٤ ، ٥٨١ م ، ٦٠٢ ، ٦٥٥ ،
٦٨٧ ، ٧٢٩ .

السهيلي = أيوب بن سليمان

السوسي - صالح بن زياد ٤٩٨ م.

سيبويه ١٧٠، ١٧١، ١٧٢ م، ٢٨٩،

٤٥٣، ٦٢٣، ٦٤٨، ٧٢٩ م.

السيد (في شعر) ٥٩٩ م.

سيدي محي الدين = ابن عربي.

سير بن أبي بكر (ابن تاشفين) ٥٣،

١٩٢.

سيف الدولة الحمداني ١٨٨، ٣٨٢ م،

٤٠٣، ٤٠٧ ح م.

سيف بن ذي يزن ١٨٨ م.

السيوطي - جلال الدين ٦١، ٣٠٨.

سيوغلر ٦٦٧.

ش

الشاذلي = أبو الحسن

الشاشي - مكرم محمد بن أحمد ١٤٥،

٢٨٤ - ٢٨٥.

الشاطبي - القاسم بن فيره (٤٩٣ -

٥١٢)، ١٦، ٣٦٦ م.

الشافعي ٦٤٥.

شريح ٤١٠ (٢).

الشريشي - أبو العباس أحمد بن عبد

المؤمن (٦٢٤ - ٦٣٠)، ٣٧١،

٣٧٩.

الشريف الادريسي = الادريسي

الشريف الرضي ٦٩، ٣٣٠ ح،

٥٣٠ ح.

الشريف الغرناطي ٤١٩ ح.

الشطبي - شوكت ٤٧٣.

شعبة بن الحجاج - أبو بسطام ٤٩٨ م،

٥٠٠ م.

الشعر ٦٥، ٢٢٣، ٣٠٨.

شعيب بن الحسن = أبو مدني

شعلان - ابراهيم ٤٤٦، ٤٥١.

شعلة الموصلية الحنبلي ٥١١.

شقرون - عبد السلام = ابن شقرون

الشقندي - أبو الوليد اسماعيل بن محمد

(٦٦٧ - ٦٧٤)، ٧٨، ٣٨٠،

٣٨١.

الشلطيشي = ابن القابلة

شلي - عبد الحفيظ ٢٩٥.

الشلوبين: الشلوبيني - أبو علي ٣٨١،

٧٠١ م، ٧٠٢.

شمر بن ذي الجوشن ١٩٧ م.

الشنترقي = ابن بسام

الشنتمري = جعفر بن محمد

الشيال - جمال الدين ١٥٢.

الشيخ أبو حبيب (في المقامات) ٢٣٨،

٢٤٠ ح.

شيخ الأرض - تيسير ٢١٨ ، ٤٧٣ .
الشيخ الأكبر = ابن عربي

ص

صاعد البغدادي ٣١٦ .

صالح بن زياد = السوسي

الصباغ - علي محمد ٧٢٧ .

صبري - محيي الدين ٢٠١ ، ٥٨٥ .

الصدقي: ابن سكرة - أبو علي الحسين بن

محمد بن فيره ٥٩ ، ١٠٠ ، ١٧٠ ،

٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،

٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ .

الصدقي - محمد = ابن علقمة

صرع الغواني = مسلم بن الوليد

الصفدي - خليل بن أيك ٦٤٨ .

صفوان بن ادريس (٥٥٠ - ٥٥٣) ،

٣٧٨ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ - ٦٥٠ ،

٦٩٥ .

صلاح الدين الأيوبي ٣٦٠ م ، ٣٧١ ،

٤٤٣ م ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٩٤ ،

٥٦٤ ، ٥٦٥ م ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ،

٥٧٤ ، ٦٠٨ م ، ٦١٢ م .

صليبا - جميل ٤٧٣ .

صنانيد - ابراهيم بن محمد ٦٣٥ .

الصوفي - عبد الله بن عبد العزيز

١٠٩ .

الصولي - محمد بن يحيى ٦٣٢ .

الصيدلاني = أبو جعفر

الصيرفي - يحيى بن محمد (٣٣٤ -

٣٣٧) ، ٣٩٠ م .

ض

الضباع - علي محمد ٥١٢ ، ٧٣٣ .

ضبلر ٣٩٨ .

الضيبي - أحمد بن يحيى ٣٧٢ .

الضليل = امرؤ القيس

ط

الطائي = حاتم

طارق بن زياد ١٣٩ ، ٤٢٠ م ، ٥٢٢ م .

طارق بن موسى = ابن يعيش

الطالي - محمد ١٥٢ .

طاهر بن هشام (؟) ٢٣٢ .

الطب ٤٠ .

الطبري ٢٧ م ، ٤٦٨ ، ٦٦٠ ، ٦٩٧ ح .

الطبي = أبو مروان

طراغو = رباره

الطرطوشي = أبو بكر

طرفة ٦٢ ح ، ٢٧٧ ح ، ٧٠١ ح .

الطرمّاح بن حكيم ١٧٣ ح .

طلحة بن عبيد الله ١٣٧ ح ، ٥٣٨ ح .

صلحة بن القبطرنوه - أبو محمد ١٢٣ -
١٢٤، ١٢٦.

الطليق المرواني ٤١٩.
الطوسي = المؤيد

الطيلسان - أبو القاسم ٣٧٣.

ظ

ظافر بن الحسين = أبو منصور

ع

العاذل الموحدي - عبد الله ٦٧٦ م.

عاصم بن أبي النجود - أبو بكر
٤٩٨ م، ٥٠٠ م، ٥٠١ ح.

عاصم بن أيوب البطليوسي ١٥٢ م.

عاصم بن عمر بن الخطاب ١٣٩ ح.

العامري = مجنون ليلى

العامرية = ليلى

عبّاد (سلف المعتمد بن عباد) ٨٥.

عبّاد = المعتضد بن عبّاد.

عبّاس - احسان ٤٤، ٦٦،

١٦٨، ٢١٠، ٢٣٨ ح، ٢٨٠،

٣٨٧، ٤٣٦، ٥٤٨ ح؛ ٥٨٢ ح،

٥٨٩، ٦٧١، ٧٠٢.

العبّاس بن الأحنف ٣٨٤، ٦٨٦ م.

العبّاس بن عبد المطلب ٢٦٢، ٤٥٠ م.

العباس بن عمر بن الافطس ١٩٢،
١٩٨.

عبد الإله (في شعر) ٤٠، ٤٣٢.

عبد الله (اسم) ٦٢٨.

عبد الله بن حاتم البصري ٧١٦.

عبد الله بن الحسن القرطبي (٦٠٢ -
٦٠٣).

عبد الله بن الزبير ١٩٧ م.

عبد الله بن السيد = ابن السيد

البطليوسي

عبد الله بن عامر = ابن عامر

عبد الله (البلنسي) بن عبد الرحمن
الداخل ٣٣٣ - ٣٣٤.

عبد الله بن عبد العزيز = الصوفي

عبد الله بن عبد المطلب ٧١٥ ح م.

عبد الله بن عبد الواحد الحفصي ٣٦١،
٣٦٥.

عبد الله بن عليّ اللخمي = الرشايطي

عبد الله بن محمد المعتصم بن صامح = عز
الدولة

عبد الله بن المعتمد = الرشيد العبادي

عبد الله بن نعيم = ابن نعيم الحضرمي

عبد الله بن موسى بن عياض ٢٩١ م.

عبد الله بن وزمر (عمّ الحجاري)
٣١٣ ح، ٣١٥ ح.

عبد البديع - لطفي ٤٧٧ ، ٤٨٠ .
 عبد البر بن فرسان = ابن فرسان .
 عبد الجبار = ابن حمديس ، المتني
 الجزيري
 عبد الجليل = ابن وهبون
 عبد الجواد - محمد ٢٤٥ .
 عبد الحق الاشبيلي = ابن الخراط
 عبد الحق بن غالي = ابن عطية
 عبد الحق بن محيو ٣٦١ .
 عبد الدائم = ابن جبر القيرواني
 عبد الرحمن (اسم) ٦٢٨ .
 عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم بن عبد
 الرحمن (الداخل) ٣٣٤ م .
 عبد الرحمن الداخل ١٤١ م ، ٢٧٧ ح ،
 ٣٢٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ م .
 عبد الرحمن العذري = كثير عزة
 عبد الرحمن بن عوف ١٣٨ ح ، ٥٣٧ م ،
 ٥٣٨ م .
 عبد الرحمن بن محمد بن الصقر ٤٠٧
 عبد الرحمن بن ملجم ١٣٨ ، ١٩٧ ،
 ٥٨٤ ح .
 عبد الرحمن الناصر ٥٠ ح ، ١٤١ م ،
 ٣١٧ ح ، ٤٧٨ - ٤٨٠ .
 عبد الرحمن بن عبد الواحد الحفصي
 ٣٦١ ، ٣٦٥ .

عبد الرحيم = ابن الفرس
 عبد السلام الكناي ٦٠٨ .
 عبد السلام بن مشيش (٦٤٥ - ٦٤٧) ،
 ٣٧١ .
 عبد العزى بن عبد المطلب = أبو نهب
 عبد العزيز (والد أبي بكر بن عبد
 العزيز) ١٧٦ .
 عبد العزيز بن القبطرونه ١٢٣ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ .
 عبد القاهر البغدادي ١٣٥ ح .
 عبد المجيد - حامد ١٥٩ ، ٦٩١ .
 عبد المجيد = ابن عبدون
 عبد المجيد بن عمر = المياشي
 عبد المطلب بن هاشم ٤٥٠ ح .
 عبد المعطي بن مسافر ٧٢٥ .
 عبد الملك بن حبيب ٣٨١ ، ٦٧٠ .
 عبد الملك (من بني رزين) = حسام
 الدولة
 عبد الملك الحضرمي = ابن يدرون
 عبد الملك بن زهر = ابن زهر
 عبد الملك بن سراج = ابن سراج
 عبد الملك بن سعيد = ابن سعيد
 العنسي - عبد الملك
 عبد الملك بن مروان ١٣٩ م .
 عبد الملك بن محمد = ابن صاحب الصلاة

عبد الوهاب بن عليّ (٥٤٧ -

٥٤٩)، ٥٧٤، ٥٧٦.

العبدري = رزين بن معاوية بن عمّار

عبّو = عبد الله بن عبد الواحد الحفصي

عبيد الله بن محمّد = الرشيد العبّادي

عتبة بن أبي سفيان ٦٦٩ ح.

العتبي - عبد الرحمن بن محمد ٦٦٩ ح م.

العتقي = ابن القاسم

عثان بن عفان ١٣٧ ح، ١٣٨ م،

١٩٦ م، ٤٥٠ م، ٤٥١، ٥٢٢ ح،

٥٤٧ م، ٥٣٨ ح.

عثان بن سعيد المصري = ورش

عثان بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن

عثان بن عليّ = ابن الامام الشلي،

الحزرجي الصقلي

العرب (البدو) ٣٤.

عروة بن حزام ٥٥٩ م.

عروة بن مسمود الثقفي ٤٧ ح.

عروة المسذلي (أخو أبي خراش)

٦٤٤ ح.

المریان - سعيد ٦٤٠ ح.

عزّ الدين الصمادحي - أبو مروان عبد

الله بن محمّد (٧٧ - ٨٠).

عزّ الدين بن موسك ٤٩٤ م.

المزّاوي - عباس ٦٩١.

عبد الملك بن هشام = ابن هشام

(صاحب السيرة)

عبد المنان - عثمان ٧٢٧.

عبد المنعم الجلياني = الحكيم الجلياني.

عبد المنعم بن الفرس = ابن الفرس

عبد المؤمن بن عليّ ٣٢٤، ٣٢٦،

٣٣٩ م، ٣٤٠ - ٣٤١، ٣٤٩،

٣٥٣ م، ٣٥٥ م، ٣٥٦، ٣٥٩،

٣٦٠ م، ٣٦٣، ٤٠٣، ٤٠٦ ح م،

٤٠٧ ح، ٤١١ م، ٤١٢ م، ٤١٩ -

٤٢٢، ٤٢٣ م، ٤٣٠، ٤٤٩ -

٤٥٠، ٤٥١ - ٤٥٢، ٤٥٣،

٤٦٨، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٩٠ م،

٥٢٢ ح، ٥٥٩ م، ٥٨٩، ٦٣٢.

عبد المؤمن - أبو سعيد ٦١٨ م.

عبد المؤمن بن عمر ٣٧١ م.

عبد الواحد بن اسماعيل ٧٢٥.

عبد الواحد الحفصي ٣٦١، ٣٦٥.

عبد الواحد المراكشي ٦٠، ٣٦٧،

٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٤ - ٣٨٥،

٥٩٥ م، ٦١٣، ٦٣٠ م، ٦٣١.

عبد الواحد - مصطفى ٦٩٨.

عبد الوهاب - حسن حسني ٢٢٥ ح،

٢٣٣، ٢٣٦.

عبد الوهاب القيسي النشي - أبو محمّد

العزفي السبي - محمد بن أحمد ٣٧٣ .

عزة (محبوبة كثير) ٦٩٠ م .

عزوز = أبو فارس عبد العزيز

العزي = الخللاني - علي

عصام بن أحمد = الحميري

المطار الحسيني = عزت ١٥٩ ، ٤٥٨ .

المطار - عمر ٧٢٨ .

المقاد - عباس محمود ٥٢٩ .

علي بن (ابراهيم) عطية - ابن الزقاق

البلنسي .

علي بن أبي طالب ١٣٧ ح ، ١٣٨ م ،

١٩٦ ح ، ١٩٧ م ، ٣٣٦ ،

٤٥٠ ح م ، ٤٥١ ، ٥٢٢ ح ،

٥٣٧ م ، ٥٣٨ ح ، ٥٨٤ م .

علي بن ابراهيم = ابن سعد الخير

البلنسي

علي بن بسام = ابن بسام الشنتريني

علي بن حود (المستبد بقرطبة) ١٤١ م ،

١٤٢ .

علي بن السيد - أبو الحسن ١٥٢ .

علي بن عبد الرحمن = ابن جودي

علي بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن

علي بن العربي = ابن العربي

علي بن محمد بن العربي ٧٢٣ .

علي بن محمد بن المرخي = ابن المرخي

علي بن محمد الخولاني = الحداد المهدوي

علي بن موسى الجباني (٥١٥ - ٥١٨) .

علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي

١٢٧ م ، ١٨٣ - ١٨٤ .

العاد الكاتب الاصفهاني ١٨١ ، ٣٩٩ ،

٤٤٥ ، ٤٤٦ م .

عمر بن أبي ربيعة ٣٨٤ ، ٦٨٦ م .

عمر بن أيوب ٤٦٣ .

عمر بن حفصون ٥٢٢ ح .

عمر بن الخطّاب ٥٤ ، ١٣٧ م ،

١٣٨ ح ، ١٣٩ ، ١٩٦ م ، ٣٢٥ ح ،

٣٧٣ ، ٣٩٢ م ، ٤٥٠ م ، ٤٨١ ح ،

٥٢٢ ح ، ٥٣٦ م ، ٥٣٨ ح ،

٥٤٨ ح ، ٦٤٤ م .

عمر بن عبد الحميد الدارمي الرباني

٧٢٥ ، ٧٣١ .

عمر بن عبد العزيز ١٣٩ م .

عمر بن الفارض ٦٧٤ م .

عمر بن الأفطس = المتوكل

عمر بن محمد = معين الدين أبو حفص

٣٩٢ - ٣٩٣ .

عمر بن يحيى الهنتاتي ٣٦٥ .

عمران (اسم) ٥٠٨ ح .

عمرو (اسم) ٥١٤ م ، ٦٠١ م ، ٦٦٥ ،

٦٩٢ - ٦٨٧ م ، ٦٨٨ م .

عمرو (في شعر) ٤٧٦.

عمرو بن حريث ٢٨٧ ح.

عمرو بن العاص ١٣٨ م، ١٩٧ م،

٣٣٦ م، ٥٨٤ - ٥٨٥.

عمرو بن عوف ٢٨٧ ح.

عمرو بن موسى ٢٩٠ م.

عمرو بن هند ٧٠١ ح م.

عمرون بن موسى = عمرو

الغنائي - محمد ١٩١.

عنقرة ٢٤٥، ٤٤٩ ح.

عنيد (?) ٧٦.

عوّاد - كوركيس ٧٢٨.

عوض الكريم - مصطفى ٦٩١.

عياد - كامل ٤٧٣.

عياض بن موسى (٢٩٥ - ٢٩٥)، ٣٩،

٥٦ م، ١٧٠، ٢٣٠، ٤٨٢، ٥١٢،

٥٦٣.

عيسى (في شعر) ٥٩٥ م.

عيسى بن عبد العزيز = الجزولي

النحوي

عيسى بن محمد اللخمي (والد ابن

اللبانة) ٨٠.

عيسى بن مريم (المسيح) ٢٩٨ م، ٦٧٧،

٧٣٢.

عيسى بن مينا = قالون

عيسى النفزي = أبو الروح

غ

غازي - مصطفى ٢٢٤.

الغافقي - أحمد بن محمد ٤١، ٥٨.

الغافقي - محمد بن القاسم بن أسلم ٥٨.

غالب (أبو لؤي) ٢٤٤ م.

غالب بن رباح - أبو تمام الهجاج ٣١٦.

غالب بن عبد الرحمن = ابن عطية -

أبو بكر

غالب بن الوليد المخزومي ١٥٩ م.

غانية المسوفية ٢٥٠ ح، ٧٠٩ ح.

الغبراء (اسم فرس) ١٩٦ ح، ٣٠١ م.

غريب (اسم) ٢٣٨، ٢٤٠.

الغرناطي = أبو بكر الغرناطي.

الغزالي - أبو حامد ٣٨، ٤٢، ٥٦ م،

٦٠، ١٤٦ م، ٢٨٥ م، ٣٦٩ م،

٣٧٠ م، ٣٧٨، ٣٩٩ ح، ٥١٩،

٦٥٩، ٦٦٠، ٧٢٩.

الغساني - أبو علي الحسين بن محمد

١٢١، ١٥٢ - ١٥٣، ٢٦٨.

الغساني - محمد بن أحمد بن خلف ٣٥٠.

الغمرائي - محمد الزهراوي ٦٥٧ ح.

غوتيه - ليون ٤٧٣، ٥٢٨.

غومس - غارثيا ١٨٠.

غويدي ٢٧.

ف

- الفارابي ٦١، ٣٦٩، ٥٢٩.
 الفارسي = أبو علي
 الفاروق = عمر بن الخطاب
 الفازازي = أبو زيد
 الفاسي - الطاهر ٢٧٠.
 الفاسي - محمد بن الحسن ٥١١.
 فاطمة ٥٣٧ ح.
 فان درهايدن ٦٦٣.
 فايزر - هـ ١٩١.
 فتح (في شعر) ٣٨٠ م.
 الفتح بن خاقان الاشبيلي - أبو نصر
 محمد (١٨٦ - ١٩٢)، ٣٩، ٤٥،
 ٤٩ - ٥٠، ٥١، ٦٤ - ٦٥، ٦٩،
 ٩٤، ١٠٠ ح، ١١٠، ١٢٢ -
 ١٢٣، ٢٦٢ - ٢٦٣، ٣٢٨،
 ٣٣١ م، ٣٨٢، ٣٨٦، ٦٧١ م،
 ٦٨٧ م.
 فتح بن أمية بن اسحاق القرشي =
 لبال
 فتح الله - زهير ٤٤٣.
 فتوح الحشمي السهيلي ٤٦٦.
 الفخار
 الفراء - يحيى بن زياد ٦٠١ م، ٦٨٨.
 الفراء - أبو الحسن علي بن الحسين
 (ت ٣٥٢ هـ) ٣٩٠، ٦٨٨.
 فرّان - غابريال ٣٩٧.
 الفردادي = ابن خلفون - ميمون
 الفرزدق ٢٣٨ - ٢٣٩.
 فرعون (اسم) ٥٠٨ ح.
 فرعون ٧١٨ م، ٧١٩ م.
 فروخ - عمر ٢١٨، ٤٧٣.
 الفضل بن عمر بن الأفتس = ابن
 الأفتس
 الفضل بن يحيى البرمكي ١٩٧ م.
 فلان (في شعر) ٢٧٢ م.
 الفكر: الفلسفة ٤١، ٦٠.
 فلوطرخس ٥٢٩.
 فلوطن = أفلوطين
 فلوغل ٧٢٧.
 الفنجديبي محمد بن عبد الرحمن ٦٢٧ م،
 ٦٧٠.
 فور - أدولف ٦٥٩.
 فيلون ٧٢١ ح - ٧٢٢ ح.
 ق
 القائم العباسي ١٣٤ م.
 القادر بن ذي النون - يحيى بن
 اسماعيل ١٥٣.
 القارظان ٦٠١ ح.
 قارون ٦٤١ م.
 قاسم - محمود ٥٢٨، ٥٢٩.
 ق

القاضي ٥٤.

القاضي - عبد الفتاح ٥١٢.

القاضي عياض = عياض بن موسى.

القاضي الفاضل ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٩٣.

القالبي - أبو القاسم ٥٤٦ م.

قالون - عيسى بن مينا ٤٩٧ م،

٥٠٠ ح م.

القالبي - أبو علي ٦٢٣، ٦٢٤،

٧١٦ ح م.

القباج - محمد ٥٧٤.

قباذ بن ابرويز ١٩٦ ح م.

القباني - مصطفى بن محمد ٤٠٢.

القحطاني ٥٥٨.

الكتندي = الكتندي

قتادة بن دعامة ٦٣ م، ٢٧٦ م.

قداره ٤٤٢.

القرطي - أحمد بن عمر ٣٦٨.

القرطي - هشام الأزدي ٦٤٠.

قسطا بن لوقا البلبكي ٥١٨ م.

القسطلبي = ابن دراج، يونس بن محمد

قسوم (اسم) ٧٣٣.

القصبي - أبو العباس ٤٤٣.

قلفاط ١٥٨.

قمير - يوحنا ٤٧٣، ٥٢٩.

قنبل - أبو عمر محمد بن عبد الرحمن

٤٩٧ م.

قيس (جد عربي) ٣٩٠ ح م.

قيس بن زهير العبسي ٣٠١ ح م.

القيسي = أحمد القيسي، عبد الوهاب

محمد المنشيء

قيصر ٦٥٦ م.

ك

الكافني الأسود - ابراهيم بن يعقوب

(٥٨٥ - ٥٨٧).

الكبريت الأحمر = ابن عربي (محيي

الدين).

الكتندي - أبو بكر محمد بن عبد الله

(٤٨٠ - ٤٨٢)، ٣٠٩، ٣٥١ م،

٥٣٢ ح م.

كثير عزة ٢٧٦ م، ٦٩٠ ح م.

كرنكو - فريز ١١٥.

الكسائي - علي بن حمزة ٤٩٩ م،

٥٠٠ م، ٥٠١ ح م، ٦٨٨.

كسرى ٦٥٦ م، ٦٦١.

كعب بن مامة ١٠٥ م.

الكلاعي = ابن القصيرة الولي.

كليب وائل ١٩٦ م.

الكليم = موسى

كمال الدين = الشريشي - أبو العباس

الكناني = ابن جبير ثم عبد السلام

كنون - عبد الله ١٧.

الكوثري - محمد زاهد ١٥٩، ٧٢٧.

كوديرا ٣٧٤ ح، ٤٥٨. راجع قدارة

كوكبوري ٦٦٣، ٦٨٥.

كولومبوس ٦.

م

ماء السماء (أم المنذر) ٨٦ ح.

ماجد (ذكر في شعر) ٥٨١، ٥٨٢.

المارتلي = ابن عمران

ماروت ٣٢٨ م.

المازري - محمد بن علي (٢٢٣ - ٢٢٦)،

٥٦.

المازني - أبو عمرو بن العلاء ٤٩٨ م،

٤٩٩ ح، ٥٠٠ م.

مالسك بن أنس ٥٥ م، ٦٠، ٦٧،

٢٨٦ م، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٧،

٣٠٧، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٥٧، ٥١٩،

٥٩٣، ٧١٩ ح.

المأمون بن ذي النون ٨٩ - ٩٠.

المأمون العباسي ١٤٠ م.

المأمون الموحدي - ادريس بن يعقوب

(٦٧٦ - ٦٧٨)، ٦٥٥، ٦٩٩ م،

٧٠٢ م.

الماوردي - علي بن محمد (٩) ٥٤٥.

المبرد ٤٢٨، ٦٢٣.

مبشر بن سليمان - ناصر الدولة

(صاحب ميورقة) ٨١ م، ٨٣ -

٨٤، ٩١.

المتلمس ٧٠٠ - ٧٠١.

المتنبي - أبو الطيب ١٨، ٤٣، ٦٤،

ل

لازنيو ٥٢٩.

لبال بن أمية القرشي ٤٧٥.

لبيب العامري ١٤٣؟.

لبنى (في شعر) ٢٢٠.

اللري - يوسف بن أبي زيد ٣٧٢.

لسان الدين بن الخطيب ٥٠، ٨٨،

٣٧٨، ٣٠٩.

اللس الاشبيلي = ابن سيد

اللفة ٦١.

اللوحي (القاضي) - أبو عبد الله محمد

٣٢١ م.

اللوحي - أبو عبد الله (آخر) ٣٢١ ح.

لوقا البعلبكي ٥١٨ م.

لؤي بن غالب ٢٤٤ م.

لويس التاسع ٣٦٢ م.

الليث - أبو الحارث بن خالد ٤٩٩ م.

ليفى بروفنسال ٥٤٧.

ليلي (في شعر) ٢٥٠.

ليلي العامرية ٢١٣، ٢١٤ م.

٥٠٩ ح، ٥١١ م، ٥٢٨ م، ٥٣١ م،

٥٣٢ م، ٥٣٣ م، ٥٣٥ - ٥٣٨ م،

٥٤٦ م، ٥٤٧ م، ٥٥٠ - ٥٥١ م،

٥٥٤ م، ٥٦٣ م، ٥٦٥ م، ٥٦٦ م،

٥٦٨ - ٥٦٩ م، ٦١٠ - ٦٢١ ح،

٦٢٨ م، ٦٤٥ م، ٦٤٦ م، ٦٥٥ م،

٦٥٦ - ٦٥٧ م، ٦٦٥ م، ٦٧٠ م،

٦٧٧ ح، ٦٨٤ م، ٦٨٥ م، ٦٨٦ م،

٦٩٤ م، ٦٩٧ م، ٦٩٨ م، ٧٠٣ م،

٧٠٩ - ٧١٠ م، ٧١٤ م، ٧١٥ م،

٧١٩ ح م، ٧٢٢ ح، ٧٢٣ م،

٧٣٨ م.

محمد (ذكر في شعر) ٢٤٨، ٥٩٥ م.

محمد بن اسحاق = ابن اسحاق

محمد بن ادريس = مرج الكحل

محمد بن اسحاق = ابن اسحاق، ابن

الملح

محمد بن الأعم ١٧٢.

محمد بن بشير بن محمد بن عبد الصمد

(١٢٦ - ١٢٧)

محمد بن تومرت = المهدي.

محمد بن الحسن = ابن برنجال

محمد بن الحسن الحسيني المصري ٣٧٣

محمد بن خير = ابن خير

محمد بن زكريا الحفصي ٣٧٣.

٩٣، ٢٢٦، ٢٨١، ٢٨٧، ٣٨٣ م،

٤٠٣، ٤٠٤ ح، ٤٠٦ ح، ٥٧٨ م،

٥٩٤، ٦٨٢.

المتنبي الجزيري - عبد الجبار (١٣٢ -

١٤٤)، ٦٨، ١٥٤، ١٦٦.

المتوكل بن الأفضل - عمر المظفر

٨٠، ٨٣ ح، ٩٦، ١١٥ م، ١٢٢ م،

١٢٥، ١٩٢، ١٩٣ - ١٩٤ م،

١٩٨ م، ١٩٩ ح.

المتوكل بن هود - ابن هود.

مجاهد العامري ١٤٣.

مجير بن محمد - ابن مجير الصقلي.

مجنون ليلى ٢١٣، ٢١٤ م.

محمّد - عبد القادر ٥٥٣.

المخلّق بن حنّ ٢٧٦ م، ٦٣٨ م.

محمد رسول الله ٣٨ ح، ٤٥ م، ٥٩ م،

٦٠، ٧٧ م، ١١٣، ١١٨ م،

١٣٨ ح، ١٤٥، ١٩٧، ٢١٣ م،

٢٢٦، ٢٣١ م، ٢٤٢، ٢٦٢ م،

٢٧٥، ٢٩١، ٢٩٥ م، ٣٠٥ م،

٣٠٦ م، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠ م،

٣٢٥ ح م، ٣٧٣، ٣٨١، ٣٩٢ م،

٤١٠ م، ٤٣٩ ح، ٤٥٠ - ٤٥١ م،

٤٦٤ م، ٤٦٦ م، ٤٦٨ م، ٤٧٦ م،

٤٩٥، ٥٠٦ ح م، ٥٠٨ ح،

محمد بن أبي القاسم القرشي، ٣٩٩،
٤٠٠ - ٤٠١.

محمد بن القبطرونه = ابن القبطرنة

محمد بن مالك = ابن مالك

محمد بن مسعود = أبو بكر الحنثي، ابن
أبي الخصال

محمد بن عيسى (ذكر في شعر) ٦١٦ م.
محمد المستكفي = المستكفي الرواني
محمد بن المعتمد بن عباد ٢١٢.

محمد بن معن = المعتمد بن صامح

محمد بن هشام = المهدي الرواني

محمد بن يحيى الشلطي = ابن القابلة

محمد بن يوسف التميمي = أبو الطاهر

محمد بن يوسف = ابن هود

الحمصاني - أجد عمر ١٥٩.

الحمصاني - صبحي ٧٢٠ ح.

محمود - أحد بكير ٢٩٥.

محمود - حسن أحد ٦٧.

محيي الدين بن عربي = ابن عربي

المختار = محمد رسول الله

المخزومي الأعشى الغرناطي - أبو بكر

محمد (٢٧١ - ٢٧٣)، ١٦، ٣١٩،

٣٥٠ م، ٣٥١ م.

المخللاقي - علي ٤٠٢.

مذكور - إبراهيم ٢٦.

محمد بن سعد = ابن مرديش

محمد بن سليمان بن معمر = ابن أخت
غانم

محمد صغير حسن = المعصومي

محمد بن عبد الله القرطي ٣٦٧.

محمد بن عبد الله المرسى ٣٧٧.

محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض
٢٩١ م.

محمد بن عبد الرحمن = قنبل

محمد بن عبد الرحمن التجيبي ٣٧٢.

محمد بن عبد الرحيم - أبو عبد الله
٤٩٣.

محمد بن عبد الصمد = محمد بن بشير

محمد بن عبد العزيز المعلم ٤٥ - ٤٦.

محمد بن عبد الملك = ابن السراج
الشنتريني

محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن
الناصر ٦٧٠ ح.

محمد بن عبد المؤمن ٥٢٢.

محمد بن علي = ابن عربي، ابن غي

محمد علي باشا ٢٥ ح م.

محمد بن علي المالقي ٣٧٣.

محمد بن عمر البلنسي ٣٧٥.

محمد بن غالب = الرصافي

محمد بن الفرج الكتاني = البذكي

المرابطون ٣٣ وما بعد.

المراكشي - محمد بن محمد بن عبد الملك

٦٣٤ ح ، ٧٢٠ .

المرأة الأندلسية ٣٦ ، ٥٥ ح .

مرج الكحل - م بن إدريس (٦٩١ -

٦٩٢) .

مرشد بن يحيى المدني ٣٩٠ .

مرقس (مركوش) = ابن ميمون

القرطبي

مرّة (اسم) ٦٢٨ م .

مروان بن الحكم ١٣٨ م ، ١٣٩ ح .

مروان بن محمد ١٩٧ م .

مريم بنت محمد بن عبدون الباجي

٧١٦ .

المرية ٣٦ .

المزالي - محمد بن موسى بن النعمان ٣٦٨ .

مزدلي بن سلكا - أبو بكر ٢٦٥ م .

المستظهر المرواني - عبد الرحمن ١٤١ ،

٣١٦ .

المستعين المرواني ١٤١ م . -

المستعين = ابن هود

المستكفي المرواني ١٤٢ .

المستنصر الحفصي ٣٦٥ م .

المستنصر = الحكم المستنصر

المستنصر الموحيدي ٦٣٥ ، ٦٤٨ -

٦٤٩ .

المستنصر بن هود ٣١٤ - ٣١٥ .

مسعود (في نسب عبد الله بن مسعود)

٤٨ .

المسعودي - علي بن الحسين ١٣٢ ،

١٣٤ .

المسعودي = الفنجدي

المسعودي - محمد بن عبد الرحمن

٦٢٧ م .

مسلم بن الحجاج ٣٨ م ، ١٥٩ ، ٢٣٤ م ،

٢٦١ ، ٢٩١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٤٣ ،

٤٦٤ م ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٦٠٧ م ،

٦٨٦ ح .

مسلم بن عقبة المري ١٣٩ ح .

مسلم بن الوليد ٦٥٠ م .

المسيح = عيسى

المسيلي - أبو الطيب أحمد بن الحسين

(٤٥٥ - ٤٥٦) .

المسيلي - حسن بن علي ٦٥٩ .

المصحفي = جعفر بن عثمان

المصراقي - علي مصطفى ٢١٠ .

المصطفى = محمد رسول الله

مصعب بن محمد = أبو ذر الحثني ، أبو

العرب

المطرزي - أبو عمر محمد بن عبد

الواحد ٢٤٣ م .

الطبع العباسي ١٣٣ م .

- المظفر بن الأفطس ٣٨٢، ٦٧١ .
- معاوية ١٣٨ - ١٣٩، ١٩٧ م،
- ٥٣١ م، ٥٨٤ .
- المعتد هشام المرواني ١٤٢ م .
- المعتصم بن الأفطس ٨٠ .
- المعتصم بن صلاح ٧٧ م، ٨٠ م، ١٦٠ ،
- ١٧٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ،
- ٢٢٩ ، ٢٦٥ ، ٣١٦ ، ٤٦١ ح م .
- المعتصم العباسي ١٤٠ م .
- المعتضد بن عباد ٧٠، ١٤٣ م .
- المعتلي بن حمود ١٤٢ .
- المعتد بن عباد ٤٢ - ٤٣ ، ٧٠ ،
- ٧١ - ٧٢ ، ٨١ م، ٨٣ ح ، ٨٥ -
- ٨٧ ، ٨٨ - ٨٩ ، ٩٢ م، ٩٣ ، ٩٥ ،
- ١٠٩ م ، ١٧٤ ، ١٨١ - ٢٨٢ ،
- ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ،
- ٢١١ - ٢١٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ح ،
- ٢٨٤ م ، ٣٨٢ م ، ٤٤٤ ، ٦٧١ .
- معد = المعز الفاطمي
- معركة الزلاقة ٣٣ .
- المعري ٤٣ ، ٤٤ م ، ٦٢ ، ١٥٣ ،
- ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٥٩ م ، ٢٣٨ ،
- ٤٤٦ ، ٤٤٩ - ٤٥٠ ، ٦٩٤ م ،
- ٧٣٥ ح .
- المعز (اسم) ٧٣ ح .
- المعز بن باديس الصنهاجي ٣٤ ، ٧٣ م .
- المعز الفاطمي - معد ٦٦٢ م .
- المعصومي - محمد صغير حسن ٢١٧ ،
- ٢١٨ .
- المعلم = محمد بن عبد العزيز .
- المعلّى بن الرشيد العبادي ٢١٢ م .
- المعيدي ٢٦٣ .
- المغربي - أبو القاسم الحسين بن عليّ
- (الوزير) ٣٨٩ م .
- مغيث (فاتح الاندلس) ٣٢٣ .
- المقامات ٤٥ .
- المقتدر بن هود ٣٨١ ، ٦٧٠ .
- المقدسي - نصر بن ابراهيم ٢٨٤ .
- المقري (صاحب نفح الطيب) ٢١٥ ،
- ٢٩٠ ح ، ٢٩٥ ، ٣٢٣ م ، ٣٥٠ ح ،
- ٤٦١ ، ٤٨٦ ، ٦٨٤ .
- الملاء = ابن خضر الاشبيلي
- الملك العادل (الأول) ٦٨٥ .
- الملك الكامل - محمد ٦٦٣ ، ٦٨٨ -
- ٦٩٠ ، ٦٩١ م ، ٦٩٤ - ٦٩٥ .
- الملك المعظم = كوكبوري
- مللر ٥٢٨ م .
- المنازي - احمد بن يوسف ٥٥٦ م .
- المنتصر الحفصي ٣٦١ .
- المنتصر الموحدوي ٣٦٠ م .

- المنجد - صلاح الدين ٦٧٤ .
- المنذر بن امرئ القيس ٨٦ ح .
- المنذر بن حمام (اسم مرتجل) ٢٣٨ .
- منذر بن سعيد البلوطي ٤٧٩ - ٤٨٠ .
- المنشأوي - عبد الغني ٢١٠ .
- المنشيء = عبد الوهاب بن علي القيسي
- المنصور (اسم) ٧٣ ح .
- المنصور بن أبي عامر ٤٨ م ، ١٤١ ح م ،
- ١٤٣ ح ، ٢٧٧ م ، ٣١٧ .
- المنصور العباسي = أبو جعفر
- منصور بن الفراوي ٦٨٤ .
- المنصور المريسي - يعقوب ٣٦١ م ،
- ٣٦٢ .
- المنصور الموحد - يعقوب ٦٠ ،
- ٣٦٠ م ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ، ٣٦٧ -
- ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ - ٣٧١ ،
- ٣٧٨ م ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ م ، ٤٨٦ م ،
- ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٤٩٠ م ، ٥١٢ ،
- ٥١٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
- ٥٥٧ م ، ٥٦٠ م ، ٥٦٨ ، ٥٧١ -
- ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٧ ،
- ٥٩٠ - ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٦١٣ ،
- ٦١٤ - ٦١٥ ، ٦٦٧ م ، ٦٧٧ م ،
- ٧٠٩ - ٧١٠ ، ٧١٩ - ٧٢٠ .
- المنصور يحيى (صاحب بطليوس) ٨٠ .
- المنفقل (الشاعر) ٢٦٥ .
- المهدي بن تومرت ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
- ٣٥٩ - ٣٦٠ ، ٣٦٢ م ، ٤٢٣ ،
- ٥٢٢ ح م ، ٦٧٧ - ٦٧٨ .
- المهدي العباسي - محمد ٩٨ ح .
- المهدي الرواني - محمد ١٤١ م .
- المهدي المنتظر ٥٥٨ .
- المهر = ابن الفرس
- مهمل ١٩٦ م .
- المهتأ ، مهتأ مهتأ ٧٣٣ م .
- المهدوي = الحداد المهدوي
- المواعيني = ابن خيرة
- الموالي ١٤٩ .
- الموحدون ٣٥٩ ، ٣٦٢ .
- موسى (اسم) ٥٠٢ .
- موسى ٢٧٣ ، ٤١٢ ، ٤٢٠ ، ٥١٦ م ،
- ٧١٨ ح ، ٧١٩ م .
- موسى بن نصير ١٣٩ .
- موسى الهادي = الهادي
- موسى - محمد يوسف ٥٢٩ .
- موسى بن يغمور = ابن جلدك
- مؤنس - حسين ١٩٦ ح ، ٣٩٠ ح ،
- ٥٨٧ ح ، ٧١٦ ح .
- مونكادا ٢١٠ ، ٣٩٨ .
- المؤيد الطوسي ٦٨٤ - ٦٨٥ .

المؤيد هشام الروافى ١٤١ م، ١٤٣.

المياشي - عبد الحميد بن عمر.

المياشي - محمد بن عبد الحميد ٥٦،

٣٦٦ - ٣٦٧.

ميداني ١٥٨.

الميرقي، الميورقي = ابن غانية - يحيى

ميمون بن خبازة = ابن خبازة الخطاطي

ميمون الفردادي ٦٦٠.

مبة (ذكرت في شعر) ٦٣ م، ١١٢،

٢٧٧.

ن

النابهة الذبياني ١٩ م، ٦٣ ح،

٦٩٢ ح.

نابليون ٢٥ ح.

نادر - البير ٥٢٩.

ناصر الدولة = مبشر بن سليمان

الناصر العباسي ٣٦٣.

الناصر الموحدي ٣٦٠ م، ٥٥٨،

٥٦٠ م، ٥٩٨، ٦٣٧ - ٦٣٨،

٦٦٨ ح.

نافع بن أبي نعيم (القاري) ٤٩٧ م،

٥٠٠ م، ٥٠١ م، ٦٠٢.

النباهاني - يوسف ٦٥٦.

النبي = محمد رسول الله

النثر ٦٣.

نجاشي - أحمد يوسف ٥١٢.

النحاس = ابن النحاس

نزهون بنت القلاعي (٣٥٠ - ٣٥٢)،

٢٧٣ م، ٥٥٦.

النسائي ٣٨ م، ٤٦٤، ٦٠٧ م.

نصار - حسين ٦١٣.

نصر بن ابراهيم المقدسي - أبو الفتح

٢٣٢.

نعم (ذكرت في شعر) ١١٣.

نعم الخلف بن محمد ١٧٠.

النعمان بن المنذر ٣٠١ ح، ٦٩٢ ح.

نفش - محمد ٤٤٦، ٤٥١.

النفزي - أبو علي بن محمد ٤٩٣.

النفزي - أبو الروح عيسى (٦٧٤ -

٦٧٥).

النفطي - أبو القاسم ٣٠٧ م.

النقد ٥٠، ٦٣.

نكلسن ٧٢٨.

النميري - أحمد بن ابراهيم ٦٩.

نوح ١٣٢، ٣١٠، ٣٧٨، ٦٤١.

نور الدين زنكي ٤٤٥، ٥٩٩.

النورمان (في صقلية) ٣٥.

نولدكه ٢٧.

النووي ٦٦٠.

نويهض - عادل ٦٦٣.

نيقوماخس الجرشى ٦١ .

نيكل - عبد الرحمن ٦٦ م ، ١٩٣ ح ،

١٩٥ ، ٣١٥ ح ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ح ،

٤٩١ .

هولاكو ٣٦٥ .

و

وايزر = فايزر

الورديني - عبد القادر ٦٤٧ .

ورش - أبو سعيد عثمان بن سعيد

٤٩٧ م ، ٥٠٧ م ، ٥٠٨ م .

وزمر الحجاري ٣١٣ م .

الوقشي = أبو جعفر ، أبو الوليد

الوكيل - عبد الرحمن ٧٣٨ ح .

ولادة بنت المستكفي ٤٩١ .

وليد (البحتري ؟) ١٦٧ .

الوليد بن عبد الملك ١٣٩ .

وهي - مصطفى ٥٧٩ .

الوهراني - محمد بن محرز (٤٤٥ -

٤٥١) .

ي

ياقوت الحموي ٢٥٧ ، ٦٦٧ .

اليحموم ٣٠١ م

يجي بن أبي بكر (الأمير) ٧٨ - ٧٩ .

يجي بن اسماعيل = المأمون بن ذي

النون

يجي بن الأفطس = ابن الأفطس

يجي بن تميم بن باديس - أبو طاهر

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ - ١٨٤ .

ه

الهادي العبّاسي - محمد ١٤٠ .

هاروت ٣٢٨ م .

هارون - عبد السلام محمد ١٨٦ .

هامان ٧١٩ م .

هانريك = أنريك ، ابن ألريق

هرون ٧١٩ م .

هرون الرشيد ١٤٠ ، ٢١١ ، ٣٧٣ .

الهروي = ابن سلام

هشام بن عبد الرحمن الداخل ٣٣٣ -

٣٣٤ .

هشام بن عمار (القاريء) ٤٩٨ م .

هشام = المعتد المرواني

هشام = المؤيد المرواني

هلال بن عامر ٤١٤ م .

هشام (اسم) ٢٣٩ ، ٦٢٨ .

الهنثاتي = عمر بن يحيى

هند (ذكرت في شعر) ٣٠٤ ، ٤٨٢ .

هوتسا ٢٧ .

الهوزني ٢٥ - ٢٦ .

الهوزني - حسن بن عمر ٢٨٤ .

يحيى بن حكم الغزال ٣٨٤.

يحيى بن خالد البرمكي ١٩٧م.

يحيى بن عبد الجليل = ابن مجبر

يحيى بن عبد العزيز ٤٢٣ - ٤٢٤.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي أبو

زكريا ٣٦١م، ٣٦٥م، ٣٧٤،

٧٠٢م.

يحيى - عثمان ٧٢٨.

يحيى (من بني العشرة) = ابن العشرة

يحيى بن عمر القرطبي = ابن سعدون

يحيى بن المبارك = اليزيدي

يحيى بن محمد المعتصم - رفيع الدولة.

يحيى المعتصم الموحد ٦٧٦م.

يزدجرد ١٩٦م.

يزيد بن معاوية ١٣٩.

يزيد بن المعتد بن عباد = الراضي

اليزيدي - يحيى بن المبارك ٤٩٨م.

اليسع بن عيسى بن حزم ٤٤٣ -

٤٤٥)، ٦٠.

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المريني

اليعمري = ابن مالك

يغمراسن بن زيان ٣٦١.

يقظان (اسم) ٤٧٢.

اليكي = أبو بكر اليكي

يوسف (في شعر) ٣٥٤.

يوسف بن تاشفين ٣٣ - ٣٤، ٣٧،

٤٢م، ٥٢م، ٥٤، ٥٦م، ٦٦م،

٦٧ - ٦٨، ٧٧م، ٨١، ٩٣، ٩٤،

١١٠م، ١٣٤، ١٤٤م، ١٤٦،

٧٠٩ح.

يوسف بن سليمان (بن هود) ١٥٦م.

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٣٣٨م.

يوسف بن عبد المؤمن ٤٤٠ - ٤٤١،

٤٤٩ح، ٤٧٠، ٤٩٠، ٥١٢،

٥٤٦ - ٥٤٧، ٥٨٢، ٦٢٨.

يوسف بن عتبة = أبو الحجاج

الاشبيلي

يوسف بن يعقوب ٢٩٤، ٣٨٦،

٤٩١ح، ٥٢٣م.

يوشع ٨٣م.

يونس ٢٩٤.

يونس بن عيسى المرسى (٣٠٩ -

٣١٣).

يونس بن محمد القسطلي (٤٥٠ -

٤٥٢).



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس بأسماء الكتب

يدخل في هذا الفهرس تلك الكتب التي عرّفت في هذا الجزء أو وصفت أو ذكرت في تراجم أصحابها (وكانت مطبوعة) ثم الكتب التي أخذ منها نصوص:

- أحكام القرآن ٧٢٧ .
- أخبار بني عُبَيْد ٦٦٣ .
- الأخلاق ٧٢٧ .
- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ٥١٢ .
- أزهار الرياض في أخبار عِيَاض ٢٩٥ .
- إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجَمَل ١٥٤ .
- الأضواء البهجة في إبراز معاني المنخرجة ١٠٩ .
- إعانة الطالبين في الصلاة والسلام على أفضل المرسلين ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ .
- الاعلام والحروب والوقائع في صدر الإسلام ٣٧٣ .
- كتاب الافعال ١١٣ ، ١١٤ .
- اقتباس الأنوار والتاس الأزهار إلخ ٤٦٤ ح .
- إبراز المعاني من حِرز الأمان ٥١١ .
- ابن باجّه ٢١٨ .
- ابن باجّه والفلسفة المغربية ٢١٨ .
- ابن حديس الصقلّي ٢١٠ .
- ابن خَفَاجَة ٢٢٤ .
- ابن رُشد ٥٢٩ م .
- ابن رشد والرشدية ٥٢٩ .
- ابن رشد وفلسفته ٥٢٩ .
- ابن رشد الفيلسوف ٥٢٩ .
- ابن رشد فيلسوف العرب ٥٢٩ .
- ابن طُفَيْل ٤٧٣ م .
- ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان ٤٧٣ .
- ابن عربي: حياته ومذهبه ٧٢٨ .
- أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد ١٥٢ .
- إحكام صنعة الكلام ٥١ - ٥٢ .

الاقتضاب ١٥٨ .

الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة

الخلفاء ٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

ألف با ٥٧٥ ، ٥٧٩ .

ألفية ابن مطر = الدرة الألفية .

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية

وتقييد السماع ٢٩٥ .

الإمام المازري ٢٣٦ .

أمالى السهيلي ٤٦٦ ، ٤٦٩ .

الأمر المُحكّم المربوط فيما يلزم أهل

الطريقة من الشروط ٧٢٧ .

الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان

المُوَحّدي ٥٧٤ .

أنباء نجباء الأبناء ٤٠٢ .

الانتصار ١٥٧ .

أنس الوحيد ونُزهة المُريد ٥٢١ .

الإنصاف ١٥٩ .

أنموذج تحليلي من ابن خاقان

١٩١ .

إيضاح الحصول من برهان الأصول

٢٣٤ .

ب

الباء في رجوع الشيخ إلى صباه ٣٧٦ .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٥٢٩ .

البسامة: البشامة ١٩٣ .

البشامة بأطواق الهامة ٥٨٣ ، ٥٨٥ .

بُغية المشتاق لأصول الديانات والمعارف

والأذواق ٦٤٧ .

بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

٣٧٢ ، ٥٥٤ .

البيان والمزید المشتمل على معاني

التنزيه وحقائق التوحيد ٥٢١ .

البيان الواضح في الملمّ الفادح ٥٩ .

ت

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في

إيضاح المعاني الآلهية المُودعة في

المعاني الروحية ٧٢٧ .

تاريخ المنّ بالإمامة على المُستضعفين

٥٢٢ ، ٥٢٤ .

تحذير العباد من أهل العناد = تنبيه

الغبيّ

تحفة الألباب ٣٩١ - ٣٩٧ .

التحفة البهية ٧٢٧ م .

تخميس القصيدة العينية في المناجاة

٤٦٩ .

تخميس المنفرجة ١٠٩ ، ٧١٥ - ٧١٧ .

تدبير المُتَوَحّد ٢١٧ .

ترجمان الأشواق ٧٢٨ .

ترجمة ابن حمديس الصقلّي ٢١٠ .

جهد النصيح وحظ المنيع في معارضة
المعري في خطبة الفصيح ٦٩٤ .
الجوهرة الخطيرة ١١٢ - ١١٣ .

ح خ

الحاسّ والمحسوس ٥٢٩ .
الحدائق ٥٨ ، ٦١ ، ١٥٩ ، ٢٧٧ .
جزر الأماني ووجه التهامي ٣٦٦ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ - ٥١٢ .
الحروف الخمسة ١٥٣ .
الحوادث والبدع ١٥٢ .
خير البشر بخير البشر ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

د

الدّر المنظّم في الاختيار المُعظّم ٥٣١ .
الدرة الألفية في علم العربية ٦٦٣ -
٦٦٧ .

الدّور الأعلى ٧٣٣ .

الديباجة = النّبذ المحتاجة .

ديوان ابن حمديس ٢١٠ .

ديوان ابن حمديس الأزدي السيراكوسي
٢١٠ .

ديوان ابن خفاجة ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ديوان ابن الرقاق البلنسي ١٨٠ .

ديوان ابن عربي ٧٢٧ .

ديوان ابن قُرمان (الأصفر) ٣٣٠ .

التشوّف إلى رجال التصوّف ٦٥٨ -
٦٥٩ .

التعريف والإعلام في ما أهبّهم في القرآن
من أسماء الأعلام ٤٦٦ .

التعريفات ٧٢٧ .

تفسير القرآن الكريم ٧٢٨ .

تفسير ما بعد الطبعة ٥٢٩ .

تكميل الأبيات وتتميم الحكايات
٥٧٦ ، ٥٧٥ .

تلخيص الخطابة ٥٢٩ .

تلخيص كتاب النفس ٢١٨ ، ٥٢٩ .

تلقيّن الوليد ٤٦٤ .

تنبيه النفيّ إلى تكفير ابن عربي ٧٢٨ .

التنوير في مولد السّراج المنير ٦٩١ ،
٦٩٢ .

تَهافت التهافت ٥٢٨ .

ث

ثورة المريدن ٥٢٢ .

ج

الجامع لمفردات الأغذية والأدوية
٣٧٧ .

جليس كلّ ظريف ٤٤٦ .

الجمع بين الصحيحين

جَنِّي الرُّطَب في سَنِي الحُطَب ٦٩٤ .

ديوان أبي الربيع سليمان الموحد ٥٧٤ .
 ديوان الأعشى التطيلي ١٦٨ .
 ديوان ترسل ومُخاطبات ٥٦٥ .
 ديوان تميم بن المعز ٧٧ .
 ديوان الحكم وميدان الكلم ٥٦٤ .
 ديوان الديباج ٣٧١ .

ذ

ذخائر الأعلاق في شرح تَرْجَمَان
 الأشواق ٧٢٧ .
 الذخائر والأعلاق في أدب النفوس
 ومكارم الأخلاق ٢٩٠ .
 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٥١ ،
 ٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ .
 ذيل جالية الكدر ١٠٩ .
 ذيل لفصل المقال ٥٢٨ .

ز

رجوع الشيخ = الباء
 رحلة ابن جُبَيْر ٦١٣ .
 الرد على النُّعَاة ٥١٢ - ٥١٥ .
 ردُّ مُعَاوِيَةَ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ إِلَى الآيَاتِ
 المُحْكَمَةِ ٧٢٧ .

رسائل ابن بَاجَه الأَلَهِيَّة ٢١٨ .
 رسائل ابن رُشد ٥٢٩ م .
 رسائل إخوان الصفا ٢٣٤ .

رسائل في اللغة ١٥٩ .
 رسائل محي الدين بن عربي ٧٢٧ .
 رسالة الاتصال ٢١٨ .
 رسالة التوحيد والفلسفة ٥٢٨ .
 رسالة... الطُّرطوشي إلى... ابن
 تاشفين ١٥٢ .
 رسالة (روح) القُدُس ٧٢٨ .
 الرسالة المصرية ١٨٢ ، ١٨٦ .
 رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر
 العُدوة ٦٧٤ .
 الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ
 إلخ ٤٦٤ .
 الروض الأُنْفُ ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ .
 روضة المآثر والمفاخر من خصائص
 الملك الناصر صلاح الدين ٥٦٥ .
 روبنسون كروزو ٤٧٠ ح .
 رَيَّحَانُ الْأَلْبَابِ وَرَيَّحَانُ الشَّبَابِ فِي
 مراتب الآداب ٣٨٦ .
 الریحان والریحان ٥٢ .
 زاد المسافر ٥٥٠ ، ٥٥٣ .

س

سابقات الجياد ٦٥٦ .
 سراج القاريء المبتدي وتذكار
 المقرئ المنتهي ٥١١ .

الشا بتعريف حقوق المصطفى ٢٩٥ .

ص

الصلة ٣٧٢ ، ٤٦٧ ، ٤٥٨ .

صلوات ابن مشيش = اعانة الراغبين

ع غ

العشرينيّات = القصائد العشريّيات
عقيلة أتراب القصائد في أسنى

المقاصد ٤٩٤ ، ٥١١ .

العقيدة النظامية ٧٢٧ .

المواصم من القواصم ٧٢٧ .

الفريبين (كتاب الفريبين: غريب اللغة
وغريب الحديث) ٤٦٤ .

ف

الفتح المبين في ردّ اعتراض المعارض

على محيي الدين ٧٢٨ .

الفتوحات المكيّة ٧٢٨ .

الفرج بعد الشدة = المنفرة

فرحة الانفس الأندلس ٤٧٧ -

٤٨٠ .

فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة

والحكمة من الاتصال ٥٢٥ ،

٥٢٨ .

فلسفة ابن رشد ٥٢٨ .

سراج الملوك ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،

١٥١ .

سفينة السعادة لأهل الضعف والنّجادة

٦٥٧ .

سُلوان المُطاع وعُدوان الاتّباع ٣٩٩ ،

٤٠٠ .

السّاع الطبيعى ٢١٨ .

سيمط الجُمان وسفط اللّال وسفط

المرّجان ٣٣١ .

سيرة رسول الله ٤٦٨ .

ش

الشاطبية = حرز الأمافي ...

شجرة الكون ٧٢٧ .

شرح البسامة (البشامة) ٥٨٥ .

شرح سفط الزّند ١٥٧ ، ١٥٩ .

شرح السيرة النبويّة ٥٦٩ .

شرح قصيدة «بانت سعاد» ٥٩٤ .

شرح قصيدة ابن عبدون ٢٠١ ، ٥٨٥ .

شرح المختار من لزوميات أبي العلاء

١٥٩ .

شرح مقامات الحريري (المقامات

الحريرية) ٦٣٥ ، ٦٣٠ .

شروح رسالة الشيخ رسلان في علوم

التوحيد والتصوّف ٧٢٨ .

شروحات السّاع الطبيعى ٢١٨ .

الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد
الملّة ٥٢٨ .

الكليات (في الطب) ٥٢٩ .

كاهة الزهر...: شرح قصيدة ابن
عبدون ٢٠١ .

كاهة الزهر وصدفة الدرر = شرح
البشامة

كز المعاني ٥١١ .

الكوكب الدرّي المستخرج من كلام
النبيّ العربي ٣٠٥ .

الكون والفساد ٢١٨ .

ل

اللمحات الرافعات ٦٤٧ .

م

مأوى الرغائب في مجد النصائح ٧٢٧ .

المبشرات والقدسيات ٥٦٥ .

متن الشاطبية ٥١١ .

مجموع آلهي ٧٣٣ .

مجموع رسائل ٧٢٧ .

مجموع الرسائل الالهية ٧٢٧ .

مجموعة ساعة الخبر ٧٢٧ .

محاسن المجالس ٢٣٢ .

محاضرة (محاضرات) الأبرار ومسامرة

(مسامرات) الأخيار ٧٢٤، ٧٢٥،

٧٢٨، ٧٢٦ .

فصوص الحكم ٧٢٧ .

الفصول الخمسون ٦٦٧ .

فنّ الشعر ٥٢٩ .

فهرسة ما رواه عن شيوخه.... أبو
بكر بن خير ٤٤٢ .

فهرست مؤلفات محيي الدين بن عربي
٧٢٨ .

في الأدب العربي وابن حديس ٢١٠ .

في فلسفة ابن رشد ٥٢٩ .

الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة
٤٥٧ .

ق

القرارة اليربسية المخصوصة بشرف
الأخفاء القدسية ٥٣٢-٥٣٣ .

القصائد العشرينيات ٦٥٥ - ٦٥٦ ،
٦٥٧ .

قصة حيّ بن يقظان ٤٧٠ ، ٤٧٢ ،
٤٧٣ م .

القصيدة العينية في المناجاة ٤٦٩ .

قصيدة المعشّرة ٧٢٧ .

القصيدة النظامية ٧٣٣ .

قلائد العقيان ٤٩ - ٥٠ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩١ .

ك

الكافي في علم القوافي ٣٠٩ .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
٢٧٠.

المداخل - المداخلات ٢٣٨، ٢٤٣.

المدارك ٢٩٥

المسلسل ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥.

المُنْهَب ٣٢٢.

مشارك الأنوار إلى صحيح الآثار
٢٩٥، ٢٩١.

المطرب من أشعار أهل المغرب ٦٩١.
مطلع الأنوار لصحيح الآثار ٥٥٤.

مطمح الأنفس ٤٩ - ٥٠، ١٨٨،
١٩١.

المُغْرَب عن بعض عجائب البلدان
٣٩٨.

المغرب في آداب المغرب ٤٤٤م.

المُعْتَرَات = القصائد العشرينية.

المُعَلِّم بفوائد مسلم ٢٣٤.

المِيعَار في أوزان الأشعار ٣٠٩.

المعين على التلقين ٢٣٤.

المُغْرَب في حلى المغرب ٣٢٢ - ٣٢٣.

مُفيد العلوم ومُبيد الهموم ٣٧٤.

المقامات اللزومية ٢٣٨، ٢٤٠.

المقدمة (في النحو) ٥٩٤.

الْمَنْ بِالْإِمَامَةِ... = تاريخ المن بالإمامة.

مناسات الوهراني ومقاماته ٤٤٦،

٤٥١.

مُنْبَهَات ابن حجر ١٠٩.

الْمُنْفَرَجَة ١٠٦ - ١٠٧، ١٠٩، ٧١٥،

٧١٦ - ٧١٧. الْمُوطَأ ٣٨ ح.

ن

النبات (كتاب) ٥٢٩.

النَّبْد المحتاجة بأخبار صنهاجة
بأفريقية وبجاية ٦٦٠، ٦٦٢.

النِّيرَاس في خلفاء بني العبَّاس ٦٩١.
النجم من كلام سيّد العرب والمعجم
٣٠٥، ٣٠٧.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٧٥،
٣٧٤.

نصّ أندلسي جديد ٤٨٠.

نظرات في طب ابن الطِّفِيل (كذا)
٤٧٣.

نظم الفرائد في علم العقائد ٢٣٤.

نظيمة الزهر ٤٩٤.

النفحات القدسية ٦٤٧.

النفس (كتاب) ٥٢٩.

نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال
٦٩٤.

نواذر الوحي ٥٦٥.

و

الوافي في شرح الشاطبية ٥١٢.

الوسائل المتقبّلة ٦٥٦ .

وصف رومية ٣٩٨ .

الوصايا ٧٢٧ .

الوقوف ٤٩٤ .

الوطنية في شعر ابن حديس ٢١٠ .

ثاني ذي القعدة ١٤٠١

١٩٨١ / ٨ / ٣١ .